

موسوعة

الذخائر العظام

في ما أُثِرَ عن الإمام الهمام
الشهيد عبد الله عزام
المجلد الثاني

نشر وإعداد :
مركز الشهيد عزام الإعلامي
ص ب (١٣٩٥) پشاور - باكستان
تلفون وفاكس: (٨٤.٤٨.)
حقوق النشر والطبع محفوظة
طبع بمشاركة اللجنة النسائية العربية

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

مقدمة الناشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فهذه القفزة العظيمة والحلم الكبير الذي كان يراود أحلامنا، لطالما انتظرناه منذ زمن بعيد، فساق الله عز وجل لنا فرصة ذهبية لتحقيقه على أرض الواقع كي تكتمل عندنا المرحلة الثالثة من برنامجنا بتوفيق من الله عز وجل ورعايته.

هذا العمل الضخم لم يكن ليخرج لولا رعاية الله عز وجل لنا، ومواكبة القدرة الإلهية منذ اللحظة الأولى لهذا الكنز العظيم الذي ينتظر إخواننا الباحثين والمؤرخين في العالم الإسلامي للعمل عليه وتقديمه للجيل المؤمن المجاهد القادم بثوب جديد.

وقبل أن أنتقل إلى فوائد هذه المرحلة لابد أن أشير إلى عدة نقاط مهمة:

النقطة الأولى: أن كل ما خطه الشيخ بيده أو قاله بلسانه في هذه الموسوعة إنما هو نتاج عشر سنوات متتالية مليئة بالأحداث الجسام امتدت ما بين سنة ١٩٧٩-١٩٨٩م سوى انحلال الزواج في الفقه والقانون (١).
النقطة الثانية: أن كثيراً من خطب ومحاضرات الامام الشهيد التي أقيمت في الفترة المذكورة أعلاه في أوروبا وأمريكا والخليج لم نستطع الحصول عليها بسبب الظروف التي آلت بعسيرة عملنا والظروف السياسية التي قلبت العالم على عقب بعد استشهاد الشيخ رحمه الله.

النقطة الثالثة: معظم هذه المادة تركز على التجربة الجهادية والمسائل الفقهية والعقدية والجوانب الفكرية الإسلامية المعاصرة والأحداث الجسيمة والتيارات المنحرفة والمؤامرات التي دارت على الإسلام خلال القرن العشرين.

النقطة الرابعة: لا بد أيضاً أن ننبه إلى أن الشيخ عبدالله رحمه الله كان له نشاط دعوي وتربوي على مستوى رفيع في الأردن وفلسطين في الستينات والسبعينات تخلله إلقاء خطب ومحاضرات وكتابات قيمة في الصحف والمجلات لم نستطع أيضاً العثور عليها.

فوائد هذه الموسوعة:

١- جمعت جميع ما قاله وما خطه الإمام الشهيد عبدالله عزام في أربع مجلدات بعد أن كانت هذه المادة مشتتة ومفرقة في كتب صغيرة وكبيرة يصعب على أي باحث احضارها، فيما لو أراد الحصول عليها مجتمعة فضلاً على أن كثيراً من هذه الكتب أو الأجزاء قد نفدت وصعب علينا إعادة طبعها من جديد.

٢- أن هذه المرحلة وفرت علينا من الناحية المادية الشيء الكثير.

فعلى سبيل المثال استطاعنا أن نجمع مجلدات التربية الست في مجلد واحد مما وفر علينا الثمن من قيمة الطباعة، وكذلك وفر نفس النقيصة من حيث الوزن فيما لو أردنا إرسالها في البريد، وهذا ينطبق على بقية المجلدات الأخرى وأصبح كل انسان يستطيع الحصول على المجموعة الكاملة بنصف القيمة السابقة.

(١) كذلك رسالة الدكتوراه ثم نضمها داخل هذه الموسوعة والتي حصل عليها في عام ١٩٧٣م. بالإضافة إلى الكتاب الذي شارك في تأليفه (الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وشرعية بشرية) تحت اسم مسابق أمين والذي كان له نصيب الأسد في تأليفه. وكذلك بعض الكتابات القليلة والأشرطة التي لم نشر عليها بعد.

- ٢- أصبحت هذه المادة ويثويها الجديد سهلة النقل مع أي شخص مسافر إلى الخارج لصغر حجمها وقلة وزنها وهذه نقطة مهمة جداً كان يعاني منها كل من أراد أن ينقلها معه إلى بلده أو إلى الجهة التي ينوي السفر إليها.
- ٤- النقطة المهمة والأخيرة: أن هذه المرحلة هي توطئة للمرحلة القادمة وهي المرحلة التي ستركز عليها العمل القادم^(١).

متهجنا في العمل:

فكرنا كثيراً في كيفية العمل على هذه الموسوعة فاستقر الأمر على الترتيب الآتي:

- ١- جمع كل ما خطه الامام الشهيد بيده في مجلد واحد^(٢)، وقد أطلقنا على هذا المجلد من الموسوعة (المجلد الأول).
- ٢- جمع كل ما خطه الامام الشهيد بيده في مجلة الجهاد ونشرة لهيب المعركة في مجلد واحد كمجلد (في خضم المعركة وكلمات من خط النار الأول وعشاق الحور ومن القلب إلى القلب وحاضر العالم الإسلامي وشهر بين العمالق) وأطلقنا عليه: المجلد الثاني.
- ٣- جمع مجلدات في التربية الجهادية والبناء الست في مجلد واحد وأطلقنا عليه: المجلد الثالث.
- ٤- جمع بقية المجلدات الأخرى كمجلد (في ظلال سورة التوبة وفي التأمير العالمي ومجلد في الجهاد فقه واجتهاد، ومجلد في الهجرة والاعداد) من الأشرطة، وكذلك بقية الكتب الأخرى المتفرقة التي فرغت من الأشرطة والتي لم تجمع في السابق في أي مجلد وقد وضعت جميعها في مجلد واحد وأطلقنا عليه المجلد الرابع.
- ٥- ونحن نسعى بإذن الله لاصدار مجلد خامس يحتوي على فهرسة جميع هذه المجلدات ونسأل الله التوفيق والسداد وأخيراً: ندعو الله عز وجل أن يبارك لكل من وقف خلف هذا العمل وساهم به سواء من الناحية المادية أو المعنوية وأن يخلفه خيراً، ويانتهاء هذه المرحلة نكون قد طويينا نهاية المرحلة الثالثة تعهيداً للمرحلة الرابعة إن شاء الله تعالى.
- وحسبنا أننا اجتهدنا صادقين فإن أصبنا فمن الله وإن اخطأنا فعنا ومن الشيطان ونأمل من الله القبول والثبات.

والله ولي التوفيق

مدير المركز

أبو عادل عزام

(١) راجع المرحلة الرابعة في نهاية المجلد الرابع من هذه الموسوعة (التعريف بالمركز).

(٢) باستثناء كتابين سبقا طبعاً من المجلد الأول وهما (حاضر العالم الإسلامي - جزئية - وشهر بين العمالق) فاضطررنا اضافتهما إلى المجلد الثاني من الموسوعة.

كلمة قصيرة

صدرت الطبعة الأولى من كتب الامام الشهيد عبدالله عزام على شكل كتيبات صغيرة متناثرة يصعب على الاخوه حملها واحتواها وجمعها وبناءً على رغبة تلاميذ الامام الشهيد عزام ومحبيه وأنصار فكره قام المركز بجمع بعض هذه المتناثرات على شكل مجلدات متوسطة الحجم حتى تكون جنباً إلى جنب مع الكتب الفكرية المعاصرة داخل المكتبات العامة والخاصة ولتضيف زخماً جديداً في الفكر الاسلامي المعاصر.

وبعد فترة رأينا من الأنسب أن تضاف جميعاً في مجلد واحد يحمل رقم (٢) كي يسهل على الباحثين مهمة البحث في هذه الكتب بحيث تكون موسوعة تجمع جميع ما قاله وما خطه الامام الشهيد وسيكون مجموع هذه المجلدات أربعة يتبعها مجلد خامس فهرسه باذن الله تعالى.

مركز الشهيد عزام الإعلامي

في فضاء المركبة

الأهداء

إلى روحك يا أمي أقدم ثواب عملي المتواضع ضارعا إلى الله القبول ، فلطالما كتبت هذه المواضيع وأنت بين ظهرانينا أستلهم التوفيق من الله -عز وجل- بدعائك الصباحي الذي كنت أحس بحاجتي إليه، وكم كانت أسارى تنفرج، وأعماقي تطمئن، وأنا ألتزم يدك الكريمة صباحا متوجها إلى عملي، فأرى يدك الكريمتين ترتفع إلى السماء وأنت ترددين دعائك لي تستمطرين الرحمة والحماية والرضا لي ورد كيد الأعداء عني .

فرحمك الله رحمة واسعة، وجمعنا بك في الفردوس الأعلى .

إبنك البار/ عبدالله

١٩٨٩/٩/٩

المقدمة

أحداث ضخمة شرفنا الله بشهودها، وصفحات من التاريخ الاسلامي أعزنا الله بأن قدر أن نكون كلمات بين أسطرها .
 وأنشودة عذبة حذاها العاملون لهذا الدين كتا بقدر الله لعنا من ألائها، فشكرا لله وحمدا (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي) .

تجارب عظيمة اكتسبناها على هذا الطريق الشاق الدامي، ونضوج نفسي، وصفاء روحي، وتوكل حقيقي جنيناه ثمرة دانية
ناضجة لهذه المسيرة المريرة .

عشنا مع هذا الشعب بإيائه وصفائه وغيرته وحياته وزهده وتقائه وشعبه ووفائه، فوجدنا أنفسنا حقاً، وأنشدنا بلسان حالهم:

أطرح المجد عن كتفي وأطلبه وأترك الفيث في غمدي وأنتجع (١)
والمشرفية (٢) مازالت مشرفة دواء كل كريم أو هي الرجس

من أبراجنا العاجية التي كتا نخلق بها بأحلامنا العذبة وأمانينا المحلقة نزلنا ومشينا فوق أرض الواقع بإنسانية الإنسان
وكبواته وهفواته وأخطائه فوجدنا البون الشاسع والبعد الواسع بين العيش بين صفحات الكتب وبين السير على أرض المحن وجمر
المواجهات للمشاكل الحقيقية ، فالحمد لله لقد استيقظنا من أحلامنا الهائلة على الحقائق فاستعذبنا المرارة في مواجهتها، واستسهلنا
الشدائد في القلب مع عجالاتها، ولنا أن نردد مع أبي الطيب :

رمانى الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال
فهان وما أبالي بالرزاء لأنني ما انتفعت بأن أبالي

والحق أننا مع هذه المحن المتلاحقة والمصائب المتساقفة، ومع مواجهة المؤامرات الداخلية والعالمية لم يعد يهزنا شيء،
وأصبحت الحياة والمنية سياراً أمام نواظرننا (إن لم يكن بك غضب عليّ فلا أبالي غير أن عافيتك هي أوسع لي) ، كل مايطمع به
القلب أن تكون الخاتمة شهادة في سبيل الله فوق أرض النزال ومكرّ الإبطال

أأنت الموت تخشاه ؟ رأيت الموت جنتك !!

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهون ما يمر به الوحسول

شعاني حجج متواصلة طوت هذه القضية من ريعان عمري، فأحالت شعري الاسود إلى ثغامة - أبيض -، واشتعل الرأس
شيباً، وما أنا بتادم على شيء، بل أحس بالسعادة الفامرة لجواني، وأدرك اللطف الرياني والرحمة الإلهية التي تنزلت عليّ بأن
اختارني ربي أن أكون خادماً لهذا الجهاد، وشرفني بأن أخوض غماره، واتكلم عن أقداده ورجاله، وأدركت أن دين الله لا تفهم
أسراره، ولا تفتح كنوزه حقاً إلا للذين يجاهدون في سبيل رفع رايته وإعلاء كلمته، وفسرت الآية الكريمة على نفسي:

{ للملأ نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون } .

فالنافرون هم الذين يفقهون كما رجع الطبري ومجاهد .

لقد حلّت في نفسي عقد كثيرة، منها عقدة الخوف على الرزق والاجل التي تشكل العقبة الكؤود على طريق الدعاة، وأيقنت أن
دين الله لا يمكن أن يقوم في الأرض، ولا يمكن لشجرتة أن تستوي على سوقها، ولا أن تستقر بجنودها في الأعماق، ولا أن ترسل
بشارها في الأفاق إلا بالجهاد في سبيل الله .

وأدركت أن النفس البشرية لا تنضج، والروح لا تصقل إلا بالقتل والقتال:

{ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم أجره فيقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون } .

(١) أنتجع : أطلب الكلا

(٢) المشرفية : السيوف

لقد كانت هذه المقالات التي انتقنا بها مجلة الجهاد عصارة الأحداث التي جرت فوق أرض العز والنخار ، وكثير من الكلمات كانت تهتصر أعصابنا وأنفسنا وتعتصر قلوبنا قبل أن تسيل على أسنة أقلامنا .

فهي وإن كانت سجل أحداث عظيمة فهي مع هذا صورة حقيقية لما كان يعمل في جوانبنا من آلام، وانعكاس واقعي لما يحلق بين جوانبنا من آمال .

والحمد لله ، لقد أضحت مجلة الجهاد حديث السامر ، تفتت بها الركبان، وأصبحت حديثاً للأجيال المسلمة في سائر البلدان . وأصبحت (الجهاد) لها عشاقها ينتظرون صدورها غرة كل شهر يعدون الأيام والليالي لتطلع عليهم كئنها البدر في الأيام البيض . فالفضل لله أولاً وآخرأ ، منه التوفيق وإليه يرجع الأمر كله .

واليوم وبعد أن طوت (الجهاد) عامها الخامس فلا زالت تتألق وتزداد إشراقاً، وتترجم وتؤرخ لأعظم قضية إسلامية في الأرض شغلت بأحداثها الناس في أرجاء الأرض .

وهذه المقالات تمثل الخط البياني الحقيقي للجهاد، ويدرك الإنسان من مطالعتها الأنوار التي مرّ بها القتال .

وإنني لأحسّ بصغر حجمي وقزامتي أمام هؤلاء الأبطال الذين أنوار والذين فسروا لي ما أعجم عليّ من كثير من أحداث السيرة، وأعادوا إلى مخيلتي بطولات أولئك السلف الذين يمثلهم الحديث الشريف (خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه بطير على متنه كلما سمع هبة أو قزعة طار إليها يبعثي الموت مغانه) ، والحق أن انبهارني بهذا الدين وإعجابي بأفذاذه الذين ننشد لكل واحد منهم

أسد دم الأسد الهزير خضابه موت فريص الموت منه ترعد

وفي النفس الكثير لا أستطيع أن أنقل انطباعاتها ومشاعرها على صفحات الأوراق، وحسبي أنني اجتهدت صادقاً، وأمل من الله القبول والثواب .

(ربنا اهز لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين).

عبد الله عزام

أعمدة الجهاد^(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن صلاح الدنيا والدين قائم على الجهاد، إذ يقول رب العزة: [ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين] بل إن الشعائر ودور العبادة قائمة على الجهاد: [ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً] (الآية ١٠- المعج).

والجهاد قائم على أعمدة أهمها:

أولاً - العزة: النفس الذليلة المحطمة لا تستطيع نزال الأعداء في ساح الفداء، ولذا فعندما أراد الله سبحانه للجيل المؤمن من بني إسرائيل أن يتربى في الصحراء لينخلوا براية التوحيد فلسطين عندما عصى الجيل الذليل موسى عليه السلام فقالوا: [أذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون].

قال الله عز وجل:

[فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض] (الآية ٢٦ المائدة).

وفي هذه السنين الأربعين، مات الجيل الذليل، وجاء جيل عزيز في جو صحراء التيه، حتى كان طعامهم سماءياً ليس من الأرض من أجل إنشاء أمة فريدة تحمل على عاتقها نصرة دين الله وتجاهد الجبابرة في الأرض.

والعزة تعتمد على الاستغناء عن الناس، والاستغناء عن الناس ركته الركين الزهد. وفي الحديث الشريف: ^(٢) "أزهد في الدنيا بحبك الله، وأزهد بها في أيدي الناس بحبك الناس". ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ البيعة على بعض الصحابة رضوان الله عليهم "أن لا يسألوا الناس شيئاً".

يقول عوف بن مالك رضي الله عنه وهو أحدهم: (فلقد رأيت بعض أولئك نفر يسقط سوطه فما يقول لأحد يناوله إياه).. رواه مسلم ^(٣).

ومن أخذ عليهم صلى الله عليه وسلم هذه البيعة أبو بكر وأبو ذر وثوبان، لأن الارتقاع بالنفس عما في أيدي الناس يجعله في مقام الداعية، وفي طريق الأنبياء عليهم السلام الذين كانوا جميعاً يبدأون دعوتهم لقومهم بالتوحيد والاستغناء عما في أيديهم {وما أسألكم عليه من أجر إن أجرين إلا على رب العالمين} (الآية ٩-١٠ الشعراء).

ثانياً - الصبر: والصبر كما عرّفه العلماء: حبس النفس عن التسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش. والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (خير عيش أتركناه بالصبر). والصبر لا بد له من أن يكون ملازماً للجهاد، وإلا فلا جهاد بلا صبر.

والصبر أنواع: صبر على الطاعات، وصبر عن المحرمات، وصبر على البلاء وامتحان الله، وأنواع الصبر الثلاثة موجودة في الجهاد.

ففي الجهاد: صبر على الطاعة، وصبر عن المحرمات كالفرار من الزحف والتخلف عن نصرة المؤمنين، وأما الابتلاء، فهو نتيجة طبيعية للجهاد، فلا بد أن تسيل الدماء، وتتناثر الأشلاء، وتهدم المنازل، ويدرس العدو المقدسات والحرمان، ولكن النتيجة هي العزة في الدنيا والفلاح في الآخرة.

وكما أن الصبر رأس الإيمان فالجهاد قمة سنام الإسلام، والرئاسة في الدين والدنيا تعتمد عليه كلياً: [وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يركنون] (الآية ٢٤ السجدة)، فالإمامة في الدين مبنية على الصبر واليقين.

١ - نشرت في مجلة الجهاد - العدد الأول - ١٣٨٤/١٢/٢٨ م. ٢ - الحديث حسن رواه ابن ماجه (١١٠٢) وأبو نعيم في الحلية (٨ / ٤١).

٣ - صحيح مسلم بشرح النووي / ج ٧ / كتاب الزكاة / ص - ١٣٢ وهو قطعة من حديث طويل.

وفوائد الصبر كثيرة، منها:

- ١- الجزاء بغير حساب [لما يُوقى الصابرون أجرهم بغير حساب] (الاية ١٠ الزمر).
 - ٢- ضمان النصر واستئصال الملائكة [بلى إن تصبروا وتتقوا وبأتوكم من لوزهم هذا يُحددكم ربكم بخمسة آلا من الملائكة مسمومين] (الاية ١٢٥ آل عمران)، قال الحسن : (فهؤلاء الخمسة آلاف رده للمؤمنين الى يوم القيامة) ^(١).
 - ٣- رؤية العبر والآيات بعين البصيرة التي تزيل قضاها حرارة الجهاد [إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور] (الاية ٥ إبراهيم).
 - ٤- ومنها المنفعة الخاصة من رب العالمين للصابر [إن الله مع الصابرين] .
- فلا بد لحياة الأمم من جهاد، ولا بد للجهاد من عزة وزمه وصبر، ولذا قال الله عز وجل: [يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا وراہطوا] على الشغور في مواجهة الأعداء، [واتقوا الله] -إله الأرض والسما- [الملك تفلحون] (الاية ٢٠٠ آل عمران). في الدنيا وفي دار البقاء .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

إلى المتقاتلين من الجهاد^(٢)

إلى الأنصار..

أنصار هذا الدين في أي بقعة من الأرض.. نذكركم فإن الذكرى تنفع المؤمنين.. أن الجهاد الأنفاي فريضة على المسلمين حتى لو كان عدد أعدائهم من الروس وغيرهم أضعاف عدهم، وأنهم لمنصورون بعون الله تعالى على أعدائهم، وإن الواحد منهم كفؤ لعشرة من الأعداء، وكفؤ لاثنتين في أضعف الحالات.

وفريضة الجهاد إذن لا تنتظر تكافؤ القوى الظاهرة بين المؤمنين وعندهم، والواقع يدل على ذلك، فحسب المؤمنين أن يعدوا ما استطاعوا من القوى، وأن يتقوا بالله، وأن يثبتوا في المعركة ويصبروا عليها، والبقية على الله، ذلك بأنهم يملكون قوة أخرى غير القوى المادية الظاهرة.

[يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتكم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير] (التوبة: ٢٨)

إن النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع على ثقل اللحم والدم، وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان ، وتطلع إلى الخلود الممتد في الآخرة، وخلص من الفناء المحدود.

وما يحجم نو عقيدة في الله عن النفرة للجهاد في سبيله إلا وفي العقيدة دخل ، وفي إيمان صاحبه بها ومن وضعف ، لذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح: "من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق" رواه مسلم .^(٣)

فالتفاق -وهو دخل في العقيدة يعوقها عن الصحة والكمال- هو الذي يقعد من يزعم أنه على عقيدة من الجهاد في سبيل الله خشية الموت أو الفقر، والأجل بيد الله، والرزق من عند الله، (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل)، وإلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير (التوبة: ٢٨-٢٩).

والخطاب لقوم معينين في موقف معين، ولكنه عام في مدلوله لكل ذي عقيدة في الله، والعذاب الذي يتهديهم ليس عذاب الآخرة وحده، فهو كذلك عذاب الدنيا، عذاب الذلة التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح والغلبة عليهم للأعداء، والحرمان من خيرات الدنيا

١- القرطبي / ج ٤ / ص - ١٩٤ .

٢- نشرت في مجلة الجهاد - العدد الثاني - يناير / ١٩٨٥م.

٣- شرح التوبى / ج ٢ / ص ٥٦ عن أبي هريرة بلفظ (ولم يحدث به نفسه) .

والآخرة، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح: "تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا الجهاد في سبيلي وإيمان به وتصديق برسلي فهو ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة" رواه البخاري ومسلم^(١)

والأحاديث حول هذا كثيرة جداً، فارجع إليها وإلى كتاب الله أولاً، ثم حاسب نفسك على تقصيرك وقعودك، ولا تسوف، فالتسوف قاتل. وتأمل يا أخي المسلم أن القاعدين مع ذلك كله يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد، ويقدمون على مذبح الذل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا لها الفداء، وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل، فدفعت مرغمة صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء.

فيا أنصار هذا الدين، لا تنسوا نداء إخوانكم المجاهدين الأفغان (يا للأنصار) ، وارجعوا إلى نداء أبي عقيل للأنصار في المعركة وقت الشهادة في معركة اليمامة ضد مسيلمة الكذاب ، وتأملوا فيها فإن فيها عبرة لمن اعتبر.

ولا نريد الإطالة عليكم أكثر من ذلك، فسارعوا إلى مغفرة من ربكم، وجنة عرضها كعرض السماء والأرض.. سارعوا إلى أرض الرباط.. أرض الجهاد.. إلى جانب إخوانكم المهاجرين.. قدموا ما استطعتم من جهد في سبيل الله بالنفس والمال.. تعرفوا على أحوالهم: (فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) .^(٢)

والسبيل إلى ذلك سهل ويسير على من يسر الله عليه، فإذا عزمتم يا أخي في الله فأنخلص النية، وتوكل على الله، ثم اتصل بالمجاهدين بالعناوين المذكورة في نهاية المجلة تجد إخوة لك في الله من المجاهدين المخلصين -إن شاء الله- بانتظارك، وسيحققون لك ما تصبو إليه -بإذنه تعالى-، فاستخر الله عز وجل ولا تتأخر، فإن الوقت قد نزعت منه البركة.. وهذا من علامات الساعة، والساعة هي أدهى وأمر.

وإذا كنت من أصحاب الأعذار الشرعية فإنه (من طلب الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه) -كما ثبت في الصحيح^(٣)، - ومع ذلك فلا تقصر في الدعاء للمجاهدين بالنصر، وجاهد بمالك، جهز غازياً، أو اخلف غازياً في أهله بالنفقة على من يعمل تكن -إن شاء الله - ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيح: "من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله بخير فقد غزا" متفق عليه^(٤)

أما إن لم تكن معذوراً شرعاً، وغلبتك شهواتك وشياطين الإنس والجن، وأصررت على القعود، فلا تقصر كذلك بالجهاد بمالك . فقد روى مسلم^(٥) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للقاعدين : (أبكم خلف الحارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الحارج)، ولكن إثم القعود لا يسقط عنك بذلك بلا شك، إلا إذا ثبت وبادرت إلى الجهاد.

ونخبرك يا أخي - إذا عزمتم على الجهاد بمالك - بأن أرقام حساب المجاهدين مذكورة في نهاية المجلة أيضاً، ألا هل بلغنا.. اللهم فاشهد.

ونستودعكم الله تعالى الذي لا تضيع ودائعه.

١ - فتح الباري / ج ٦ / باب ٨ - برقم (٣١٢٣) شرح النووي / ج ١٣ / ص (٢) - واللفظ تقريباً له والمتفق عليه عن أبي هريرة بلفظ (تكفل الله ...)

٢ - المسند الضعيف / ج ١٤ / رقم (٣١٠) وقال عنه الألباني ضعيف جداً.

٣ - شرح النووي / ج ١٣ / ص - ٥٦ عن سهل بن أبي أمامة بلفظ (من سأل الله الشهادة)

٤ - فتح الباري / ج ٦ / باب ٢٨ / برقم (٢٨٤٣) / شرح النووي / ج ١٣ / ص - ٤٠ عن زيد بن خالد بلفظ (... من خلفه في أهله ...)

٥ - شرح النووي / ج ١٣ / ص - ٤١

الشراباء (١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا .. من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : اتعص عهد الدينار وعهد الدرهم وعهد الخميصة ، تعص وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش، طرى لعهد قدام في سبيل الله عز وجل، شاعت رأسه، إن كان في الساقة كان فيها ، وإن كان في الحرم كان منهم ، وإن شفع لم يشفع، وإن استأذن لم يؤذن له، طوى له ثم طوى (٢)

يقسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الناس قسمين : أهل الدنيا ، وهؤلاء عبيدها، بل يعبدون - شيئاً بخساً وأمرأ تافها، منها الدرهم والدينار والثوب (الخميصة)، وهؤلاء يدعو عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالانتكاس والارتكاس ، ففوق انتكاسهم بعبودية شهواتهم، وارتكاسهم في حماة رذائلهم ، يدعو عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالضران والخيبة، وبعدم إقالة عثراتهم إذا عثروا ، وكم من قتيل من أجل درهم أو متاع، هؤلاء عبيد الدنيا محرومون من الارتقاء إلى المعالي ، والصعود إلى القمم، يعيشون غارقين في مستنقع الدنيا مقابل لعاعة من لعاعاتها، وأمر تافه من سفاسفها، غارقين في لذاتهم يتقلبون بين أعطاف النعيم ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وأن يعيشوا عيش المستضعفين من النساء والولدان ، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً .. هؤلاء محرومون من تنسم الحرية ومن تنوق المعالي ومن العيش في القمم ..

ومن لا يحب صعود الجبال يعش أبد الدهر بين الحفر

ومقابل هذه الصورة ، حملة المبادئ الذين غابت ملامح وجوههم وراء المعركة ، فشعرهم أشعث أغبر، لباسهم أسمال بالية، حفاة الأقدام، خمص البطون، لا ينظرون إلى الدنيا، ولا يتعلقون بحطامها .

ولباسه الحقيق لما يستر به عورته .. جل ما يحمله معه .. جرابه وركوته ، يكابد السهر ليقطع عنه شدة آلام السهر، وقلبه معلق في الملا الأعلى، يتحمل الأذى صابر على البلوى، يأكل ليعيش لا يعيش ليأكل، همه كله نصرة هذا الدين، وقلبه مشغول بعزة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، كأنه يسمع صوت منادي الرحمن وهو ينادي بالتخلف من الدنيا كما جاء في الحديث عن أبي الدرداء مرفوعاً : (ما طلعت شمس قط إلا وبجنتيها ملكان يناديان بسمعان من على الأرض غير الثقلين: أيها الناس هلموا إلى ربكم، ما قل وكلى خير مما كثر وألهى، ولا هربت إلا وبجنتيها ملكان، يناديان: اللهم أعط متفقاً خللاً وأعط ممسكاً تلقاً) (٣)

هؤلاء الأخفياة الذين لا يعرفهم أحد هم حملة هذا الدين ورافعوا لوائه، بهم تحمى النيار، وتعيش الأجيال هانقة مطمئنة على أموالها وأعراضها، هؤلاء مصابيح الهدى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه معاذ رضي الله عنه (إن الله عز وجل يحب الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم ينتقدوا، وإن حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل فتنة عسياء مظلمة) (٤)

هؤلاء كل منهم أخذ بمنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها يطلب الموت مظانه، صدورهم كالمراجل تغلي حرقة على هذا الدين ، وعيونهم لا تجف عبرتها حزناً على حال المسلمين، فانتطلقوا متخففين من حطام الدنيا لعلهم ينصرون هذا الدين ويكف الله بهم بأس الكافرين

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين على الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً)

(النساء: ٨٤)

سمعوا أنات الإسلام الجريح فاستجابوا علمهم يداوون الجراح .

والإسلام يشن جريحا يومئذ إلى السبي إلى

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد الثالث - ٧/فبراير/ ١٩٨٥ م. (٢) - إسناده صحيح رواه الطبراني في الأوسط رجاله رجال الصحيح .

(٣) - رواه أحمد والطبراني. (٤) - رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

أفلا يوجد فيكم شهم	أوما في الوجدان بقية
أفلا يوجد فيكم عمر	يملا سمع الكون نورا
أفلا يأتي يوم فيسـ	نخلع ثوب الذل قصيا
أفلا يأتي يوم نسيه	يظهر نور الحق بهيا
أنا اسلام أنا ايمان	أنا شريان يتبخر حيا

فكم غاب تحت ثرى فلسطين، وكم غاب وسقط فوق ندى الهندوكوش (أفغانستان) ، وكم من التجيع الطاهر فوق أرض لبنان وفي كل مكان من الأراضي الإسلامية من هذه النماذج التي روت شجرة هذا الدين بدمائهم لا تعرف أسماؤهم، ولا تحفظ كتابهم، لقوا ربهم دون أن يهتف لهم هاتف أو يصفق لهم المعجبون .

مضوا إلى الله عز وجل خالقهم الذي لا يضيع سعيهم، إن غمطوا حقهم في الأرض قلن يضيع لهم مثقال ذرة في ميزان عدل لا يفسد شعيرة ولا يضيع ذرة ، وإن لم يحتفل بهم أهل الأرض فقد ابتهج بهم الملائكة الأعلى، واستبشرت الملائكة بأرواحهم (أهتز عرش الرحمن لموت سعد واستبشرت الملائكة بروحه) (١).

هؤلاء هم بناء الأمم ، هم صانعو الامجاد ، هم حماة البلاد، رفعوا اللواء ومضوا إلى ربهم أعزة كراما ،
وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

فاستبقوا الخيرات^(٢)

إن الحمد لله، نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ويعد .

إنها لمصر يسوقها الله عز وجل للبشر لاغتنامها، وقد لا تتكرر، وهي أسواق تعقد ثم تفض، يربح فيها من يربح، ويخسر فيها من يخسر، والمسلم سباق للغير لا يدع لحظة من لحظات حياته تمر دون فائدة، والزمن له قيمة كبرى في حياة المسلم، بل الزمن هو حياة الإنسان، ولذا فقد كانوا يقولون: الوقت من ذهب، ولكن الوقت أغلى من الذهب، لأن الوقت هو الحياة، والحياة لا تقدر بثمن، وكما قال الوزير الصالح يحيى بن هبيرة :

والوقت أنفس ما عنت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

ولقد كان سلفنا الصالح حريصين على وقتهم حتى تركوا لنا هذه الثروة الضخمة التي حفظ الله بها الإسلام، وحمى بها هذا الدين من الضياع، فابن الجوزي مثلا بلغت مؤلفاته خمسمائة وتسعة عشر مصنفا، منها ما هو عشرون مجلدا ، قال ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (. . .) قال الموفق عبداللطيف : كان ابن الجوزي لا يضيع من زمانه شيئا، يكتب في اليوم أربعة كرايس، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلدا إلى ستين (٣).

(وقيل انه جمعت الكرايس التي كتبها ابن الجوزي وحسبت مدة عمره فقسمت على المدة، فكان ما خص كل يوم منها تسعة كرايس)(٤) ، ونقل الكمي (٥) (أن براءة أقلام ابن الجوزي التي كتب بها الحديث جمعت فحصل منها شيء كثير وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته، ففعل ذلك فكلت ففضل منها).

وهذا الإمام البيهقي ألف ألف جزءا ومكث يصوم ثلاثين عاما، وهذا القاضي أبو بكر ابن العربي ألف تفسيره في ثمانين ألف صفحة، وترك ابن أبي الدنيا ألف مؤلف، وكتب ابن عساكر (تاريخ دمشق) في ثمانين مجلدا، وكتب ابن شاهين ثلاثمائة وثلاثين كتابا منها التفسير في ألف جزء وترك ابن حزم أربعمائة مجلد تشتمل على قرابة ثمانين ألف ورقة، وكتب الحاكم القأ وخمسمائة جزء وهو صاحب المستدرک، وكتب ابن تيمية حوالي خمسمائة مجلد، وكتب ابن القيم حوالي خمسين مجلدا، وكان ورد القاضي أبي بكر

(١) - والديانة عن جابر بلقد (إهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ) أما بقية الكلام فهو من تفسير الامام النووي رحمه الله . .

٢- نشرت في مجلة الجهاد - العدد الرابع - ٢٢ / مارس / ١٩٨٥ م - (٢) - ٤١٢ / ١ - (٤) - نقمة المختصر في أخبار البشر ٢ / ٢١٨ - (٥) - في النكت والالفاظ ١ / ١٢٢

الباقلائي لكل ليلة عشرين ترويجة، ولا ينام حتى يكتب خمسا وثلاثين ورقة من حفظه، وهذا أشرف التهاني المتوفى سنة ١٣٦٢ هـ قد مات عن إحدى وثمانين عاما ترك فيها مؤلفات زادت على الألف مؤلف .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ)^(١)، والمقصود أن غالب الناس لا ينتفعون بالصحة والفراغ .

قال رجل لعامر ابن عبد القيس (أحد التابعين الزهاد) كلمني ؟ فقال عامر أمسك الشمس، يعني أوقف لي الشمس وأحبسها عن المسير حتى أكلمك .

وقد روي أن أبا يوسف كان في النزاع والذماء (بقية الروح) وكان يناقش من حوله ببعض المسائل الفقهية، وما أجمل قول أمير الشعراء شوقي:

وقات قلب المرء قاتلة له إن الحياة دقائق وثوان

وقال ابن نباتة السعدي :

أعاذلني على إتياب نفسي ورعبي في الدجى روض السهاد
إذا شام الفنى برق المعالي فأهون فانت طيب الرباد

وقد ألف الأستاذ جميل العظم الدمشقي المتوفى سنة ١٣٥٢ هـ كتابا أسماه (عقود الجواهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفا فأكثر)، فذكر فيه خلقا كثيرا منهم (ابن جرير الطبري، وابن الجوزي، والنووي، وابن سينا، والغزالي، وابن حجر العسقلاني، والبدر العيني، والسيوطي، وابن تيمية، وابن القيم، وعلي القاري، والميناوي، وعبد الغني النابلسي، وعبد الحي اللكنوي)^(٢).

أيها الإخوة هؤلاء سلفنا الصالح قد قدموا ما قدموا وكانت حياتهم نذرا للإسلام وخدمة المسلمين .

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعنا يا جرير الجامع

يا معشر الشباب إن لم تعبدوا الله اليوم فمتى تعبدون ؟ وإن لم تجاهدوا الآن فماذا تنتظرون ؟ ألا تنتظرون مرضا أو صدمة أو موتا ؟

إن لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جباناً

استمع إلى وصية نبيك صلى الله عليه وسلم: (اغتسم خمسا قبل خمس : حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك)^(٣)، لماذا تدخر هذا اللحم الذي وهبك الله إياه؟ ولماذا ترضن به؟ وهذا العزم الذي منحك الله لماذا تدخره ؟ وهذه العظام المتينة تنتظر حتى ترق وتضعف وتاكلها الديدان .

هذه الحياة قصيرة، والميتة واحدة، فاحرص أن تكون في الله والله ...

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (ال عمران: ١٠٢).

من يحفظ الأعراض إذا تعرضت للانتهاك ؟ من يذود عن المقدسات إذا ديست ؟ من يحمي الأطفال والنساء والمستضعفين ؟ من للقيم والمبادئ ؟ من لدين الله أن يرفعه إذا تخليت ؟

أفئيت يا مسبيكين عسرك بالقنوه والحزن

وقعدت مكشوف اليدين تقول حاربني الزمن

إن لم تقم بالعباد أنت فمن يقوم به إذن

يا أيها الإخوة: إن الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، وإن الفرص الثمينة لا تتكرر، وإن فرصة أفغانستان لا نظير لها في

(١) - رواه البخاري في صحيحه ٢٢٩/١١ والترمذي ٣٧٧/٣.

(٢) - كل هذا منقول من كتاب الشيخ عبد الفتاح أبي غدة (قيمة الزمن عند العلماء).

(٣) - حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس .

الأرض، ميدان واسع تؤدي فيه فريضة الجهاد، قم شاهقة تتنفس فيها الصعداء، نماذج فذة تستعيد بها قصص السلف، فهل نستطيع أن تؤدي الفريضة إلا في هذه الأرض؟ هل أثرت العيش تحت لزع السياط، أنفاسك مكتومة، نبضاتك معبودة، وحركاتك مرصودة؟ قد لا نستطيع أن تؤدي الجماعة في المسجد خوفاً من الذين يكادون يزلقونك بأبصارهم.

لقد فائقنا فرصة ١٩٦٧ - ١٩٧٠ م حيث الحدود مفتوحة عبر نهر الأردن كنت أتناها أخطب الجمعة فوق المنبر وأنا أتكئ على سلاح (الكلاشنكوف)، كنا نمشي في شوارع عمان وفي الجامعة الأردنية والمسدد لا يفارقنا .

كنا نمشي على الأرض بأجسادنا، ولكن أرواحنا معلقة بالملا الأعلى، وكانت سيارتنا تمر من شوارع أريد وفوقها ينتصب الرشاش أو مدفع الهاون .

ثم مضت الفرصة الفريدة التي أضعتها، وأصبح اقتناء رصاص أو مسدد جريمة يقدم صاحبها إلى المحكمة العسكرية . وأصبحنا كالخوالب لا نملك سوى الحوالة والهمهمة والانات والحسرات تحت مطارق العذاب وكابوس الظلم، وليس بيتنا وبين النساء فرق .

أيها الإخوة: (سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض . . .) (آل عمران: ١٣٣)

(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب الهم ، تؤمنون بالله ورسوله ومحاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) (الصف: ١٠-١١).

أيها الأحبة: أيها الشباب : يا أبناء هذا الدين، يا أنصار هذه الشريعة . . لا تضيعوا فرصة أفغانستان على أنفسكم كما ضاعت عليكم فرصة ١٩٦٩م في غور الأردن .

أقبلوا تمنح لكم عزة الدنيا والآخرة، واطلبوا الموت توهب لكم الحياة، وإن الأمم التي عاشت وسادت هي الأمم التي تحسن صناعة الموت . ومن حرص على الدنيا أذلته ، ومن أذلها أكبت على أقدامه . . فاقبلوا على الله (والله معكم ولن يتركم أعمالكم) . . (القتال: ٢٥).

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

العذاب العذاب^(١)

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره . . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . . من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله . . أما بعد ، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً .

فمن خلال نظرتي في هذا الدين وتعرسي بشعائره وعباداته وجدت أن أشق عبادة على النفوس هي الجهاد، ولذا كان قمة سنام الإسلام، ولم يكن مصادفة عابرة هذ الثواب الجزيل الذي رتبته الله للمجاهدين ، ففي الصحيحين عن أبي ذر قلت يا رسول الله أي العمل أفضل قال: (الايان بالله والجهاد في سبيله .) (٢)

وفي الصحيحين عن أبي هريرة: (كلم يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً . . كل ذلك يقول لا تستطيعونه، ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الثابت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله تعالى) (٣).

وفي الحديث الصحيح: (قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة) (٤)

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد الخامس - ٢٩/أبريل/١٩٨٤م.

(٢) - فتح الباري / ج ٥ / كتاب العتق برقم (٢٥١٨) / شرح النووي / ج ٢ / ص - ٧٢ وله عنده نسخة

(٣) - فتح الباري / ج ٦ / آيات الأول برقم (٢٧٨٥) / شرح النووي / ج ١٢ / ص - ٢٤ وألفظ له .

(٤) - عند أحمد (٥١٤/٢) والترمذي (١٤ / ٢) بنلف مستشف وهو في الأحاديث الصحيحة برقم (٩٠٢) بلفظ (مقام أحكم في سبيل الله خيراً من صلاة ستين عاماً خالياً)

ولذا فقد انعقد الإجماع كذلك أنه لا يعدل أجر الجهاد شيء وأن الرباط أفضل من جوار الكعبة، وفي الصحيح عن أبي هريرة مرفوعاً وموقوفاً: (لأن أرباط ليلة في سبيل الله خير من أن أقوم ليلة القدر عند أخبر الاسود)^(١). وفي محكم التنزيل:

(أجعلتم سقاية الحاج وعسارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يسترون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون) (التوبة: ١٩-٢٠)

وقد جاء في صحيح مسلم أن سبب نزول هذه الآية هو اختلاف الصحابة في أعظم العبادات أجراً، أم سقاية الحاج أم عمارة المسجد الحرام أم الجهاد في سبيل الله ؟

ووجدت أن أصعب شيء في الجهاد هو انتظاره، والرباطة لانتظار المعركة أصعب من المعركة ذاتها . . إذ كلما طالت المدة في الرباطة كلما بدأ الملل يتسرب إلى النفوس المتوقدة، ويبدأ الحماس يخبر يوماً بعد يوم إن لم تجد النفس من العبادات والزاد الروحي ما يحفظ عليها حماسها، ويبقي لها شعلة وقودها، ويقدر لها زناد حماسها وغلانها، ويؤجج نار شوقها للمعركة .

والذي يعيش بين المجاهدين يدرك هذه الحقيقة بوضوح، خاصة بين الذين يقعون إلى الجهاد من بعيد يتركون زينة الحياة الدنيا وزخارفها، ويريق الأمانى ولعانها، يعود الشيطان ليسول له الرجوع إلى دنياه التي تركها، ولكنه لا يدخل له إلا من مدخل المصلحة والموازنة بين المصالح والمقارنة بين الإيجابيات والسلبيات .

لا يدخل له مباشرة من باب ترك الجهاد، بل من باب أن الحي الذي تركه ضاع أبناؤه، والمسجد الذي غادرته قل عماره، والاسرة التي انتزعت نفسك منها تمزقت، وتزداد آلام الحيرة ونار التردد إذا كان المجاهد ذا مكانة في بلده، كأن يكون مربى جيل، أو استاذ جامعة، أو مدير شركة، ومما يؤجج نار الشك والتردد والحيرة، مبررات العودة التي تزداد يوماً بعد يوم ...

ومن أبرزها :

رؤية بعض الغناء في أرض الجهاد مما يسبب الغثيان لدى المهاجر المجاهد، فقد تكون مقاديره ألقت به بين مجموعة عضها الجوع بنابه، أو جائتها الحاجة إلى الاحتيال والكذب للحصول على بعض المال من يده لكسب قوتها وتحصيل ما تسد به رمقها . وتزداد الحيرة مع حواجز اللغة، وبعض العادات، وشذف الحياة، ووعورة المسالك، ووحشة السبيل .

ولاشك أن طول الطريق، مع علو التضحيات، وفداحة الخسائر المادية الظاهرة، تخفف من أوار حماس المجاهد وتعيق حركته. وكذلك فإن بذل التضحيات على هذه الجادة الطويلة يوقن جني ثمار عاجلة تجعل النفوس تتخاذل، خاصة إذا لم تكن هذه النفوس قد تربت على البذل والصبر والمشقة حتى صلب عودها، إذ بقدر صلابة العود تحتمل المصائب وتبذل التكاليف .

وأن النفوس الكبيرة والقلوب الحانية والصنور الواسعة التي تسبق في أرض الجهاد هي التي تشكل صمام الأمان بالنسبة للذين يتقلتون وينتظرون أدنى مناسبة للعودة من حيث أتوا، هذه النفوس الكبيرة تشكل الروضة الوارفة الظلال في هاجرة الهجرة لهؤلاء الوافدين للجهاد، وتكون المستراح الهادئ لهم .

وكما كثر أبناء اللغة الواحدة، أو الأرض الواحدة مع الإيمان الصادق، كلما قلت الحيرة، وزالت نار التردد، لأن النفوس بطبيعتها تميل وتحنو إلى سماع لغتها الخاصة، وتقاليدها التي تربت عليها، ومن هنا كان الدعاء الشريف: (اللهم هب إلينا المدينة كما هبت إلينا مكة)^(٢).

وإذا غاب الهدف الكبير الذي جاء من أجله المجاهد، وضاعت معالم الطريق الذي يسير عليه، فمن الصعب أن تقنع بالبقاء، أو

(١) مر عند البخاري في التاريخ الكبير برقم (٤ / ٢ / ٤٠٨ / ٣٥٠٧) وعند ابن حبان برقم (١٥٨٢) وحافظ بن عسكر في (أربعين الجهاد) برقم (١٨) وهو في السلسلة الصحيحة برقم (١٠٦٨) بلفظ (لأن أرباط ليلة في سبيل الله أحب إليّ ...) .

(٢) - فتح الباري / ج ١١ / باب ١٢ / برقم (١٣٧٢) وهو مروي عن عائشة (رضي الله عنها) .

أذكر أننا عندما من الله علينا فترة بالعيش في القواعد في شمال الأردن، كان بيننا شاب صغير في مقتبل العمر، مؤدب، قليل الكلام، مطيع، فصرت أثنى عليه، حتى صار الجميع يحترمونه ويجلونهم، ثم أصبح يواجه ضغوطا شديدة من والده الذي يعمل خبازا، وتحين الشاب (أبو صبحي) - رحمه الله - الفرصة حتى سمع مني كلمة توجيهية لإخوانه، وإذا به يهب غاضبا بين إخوانه ويقول : إن الشيخ عبد الله يقصدني ، وأكدت له أنها كلمة عامة ولم يكن هو واردا في الحساب ، ولكنه أصر على مغادرة القاعدة بعد أن حزم أمتعته وعاد يعمل مع والده خبازا ، وظن والده أن ابنه قد نجا من الموت "نزام" الذي يلاقيه أهل القواعد، ولكن القدر ليس بيد البشر ... فجاءت أحداث أيلول سنة ١٩٧٠، ودخل الجيش مدينة جرش، وقتل أبو صبحي في حضن والده ، وفي داخل مخبزه، بينما لم يُجرح أحد من الذين ظلوا في قواعدهم .

وإن استمرار التضحيات وتوالي المأسى يهد العزيمة ويلين القناة (إلا من رحم ربك وقليل ما هم)، خاصة إذا فقد الطعام واللباس، وتحول البيت إلى مآتم تصب فوقه كل يوم مصيبة .

ويعجب الإنسان عندما يطلع على شريحة من شرائح المجتمع الأفغاني المسلم كيف بقي ثابتا حتى الآن، وإليك مثالا من هذا المجتمع : جلست قبل أسبوع في بيشاور مع خمسة من القادة حول كابل، ذهلت عندما سألتهم عن الشهداء الذين قدمتهم أسرهم: دوست محمد قائد في بگرام قتل أمه وأخته وأخوه وابن أخته وزوجة أخيه، جلال الدين قائد في ديسبس قتل أخوه وخاله وابن خاله، بيدار قائد في بجرامي قتل له اثنان من أعمامه وخمسة من أبناء عمه وابن أخته ويشرف على ١٢ أرملة - شبيير أحمد قائد في بجرامي قتل أخوه وخاله وابن خاله وزوج أخته وزوج خاله - صوفي حبيب قائد في بجرامي مسجون له ستة من أقاربه ، وقتل له ستة شهداء ، إن لسان حال كل واحد منهم يردد :

صبت علي مصائب لسو أنها صبت على الأيام صرن لياليا

يقول بيدار: تكاد نجن ونفقد أعصابنا عندما نرى الأسر الجائعة، والأجسام شبه العارية، والحاجة المذلة، ونخفي هذه الآلام بسبب نصرة الله لنا في المعارك، وعندما نرى إخواننا المسلمين خاصة العرب يقفون بجانبنا ويواسون جراحنا ويكون دما لحائنا كأن شيئا لم يكن، وتنسى كل مأسينا ومصائبنا .

أقول: إن الصبر على مرارة الطريق لابد أن ترافقها تنوق حلوة عبادة الجهاد، ولا تتم الحلوة إلا بأن يدرك المجاهد هدفه، ويضع نصب عينيه غايته، فلا بد أن يستقر في أعماقه:

(١)- أن الجهاد ليس (عرضا قريبا ولا سفرا قاصدا)، إنما الجهاد رحلة العمر المرافقة للحياة، فلا ينتهي الجهاد مادامت الفروق تنبض بالدماء، وليس الجهاد لتحرير أفغانستان أو فلسطين أو لبنان، إنما الجهاد فريضة دائمة، وعبادة لازمة لعنق الإنسان مادام يدب فوق الأرض، وقادرا على حمل السلاح وكما أن الصلاة والصيام فرضان لازمان للإنسان لا يسقطان عنه بحال حيثما حل وأيضا صار، فكذلك الجهاد عبادة لا تسقط عن الإنسان إلا في حالات الضرورة كالمرض والكبر المقعد عن الحركة وغيرها .

إن جهاد المسلم ليس من أجل قطعة أرض، وليست معركته معركة قوم، إنما مداها الأرض كلها، ومدارها الزمان كله، وهدفها إنقاذ جنس الإنسان .

(٢)- إن الغرض الأسمى للجهاد هو الثواب، والصفقة بين العبد وربّه تمت على هذا (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) (الصف:١٢)

(٣)- إن النصر في المعارك التي تهفو إليه النفوس يقلل الأجر: (وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) (الصف:١٢)

وفي صحيح مسلم:

(ما من غزاة أو سرية تغزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم، وما من غزاة أو سرية تخفق وتصاب إلا تم لهم أجورهم) .^(١)

(١) - شرح النووي / ج ١٣ / ص - ٥٦ بين كلمة (لهم) .

(٤) - مقارنة الدنيا بحطامها ومتاعها بالآخرة ونعيمها حتى تبقى الدنيا زميدة صغيرة في عين المجاهد، وفي كما جاء في صحيح مسلم أنها أحقر من الجدي الميت :

(للدنيا أهون على الله من هذه عليكم) ^(١)، وفي الصحيحين (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع صرث أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها) . ^(٢)

وعندما ينظر المؤمن إلى حقارة الدنيا تهون عليه النفس وترخص في عينه التضحيات، عندها يصبح العذاب عذبا، ومرارة الحرمان والمآسي خلوة، ووحشة الطريق أنسا، ويفسى الإنسان آلامه، بل يفسى الدنيا بأسرها .

(عليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم) ^(٣) وعندها فقلب كل واحد ينشد ونفسه تردد عند رزية المصائب :

عذابه فيك عذب ويعسده فيك قرب
حسبي من الهب أني لما تحب أحب

عندها له أن يريد ما ريدت رابعة العبودية من قبل :

وليت الذي بيني وبينك عامر وبينني وبين العالمين خراب
إذا صبح منك الود فالكل ميم وكل الذي فوق التراب تراب

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

الجهاد والصيف ^(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد :

أقبل الصيف يشمس حره ، وبدأ الثلج ينوب ، وبدأت حركة المجاهدين من حول أفغانستان نحو داخلها ، إذ الشتاء يمثل درعا حصينا وترسا قويا يحتمي الروس بشوجه ويرده، ويهاجر كثير من المجاهدين تاركين قواعدهم في الداخل طلبا للدفع والطعام في مناطق القبائل الباكستانية التي تقطن على طول الحدود الأفغانية على الجانب الشرقي والجنوبي لخط (ديورند الانجليزي) والذي يمثل الحدود الأفغانية الباكستانية والممتدة على طول (٢٢٥٠) كم شرق وجنوب أفغانستان، إذ أنه من العسير جدا أن يعيش المجاهدون في قمم الجبال المكسرة بالثلوج، والتي تسد الطرقات إليها أكوام الجليد والثلج الذي قد يرتفع إلى متر في الطرقات فكيف في ذرى الجبال؟! ولقد استغرقت رحلة أنس ومحمد أمين وأبي بصير من بيشاور إلى بلخ أربعين يوما ذهابا فقط، يخوضون فيها الثلج، وينامون فوق الجليد .

وأكثر ما يطمع فيه المجاهدون خلال الشتاء هو المحافظة على قواعدهم حتى لا يحتلها الروس، ولقد استمات الروس في هذا الشتاء ليسوا معابر المجاهدين وطرقاتهم الموصلة من مناطق القبائل في باكستان إلى داخل أفغانستان، لكنهم فشلوا أن يسدوا معبرا واحدا من هذه المعابر التي تعد حوالي (٢٦) معبرا رئيسيا .

إن المعارك في الشتاء تكلف المجاهدين مشقة وعنتا بالعين، إذ أن خروج المجاهد من قاعدته يعني أحد أمرين: إما أن يموت متجمدا في الثلج، وقد حدث هذا للكثيرين، أو تقطع أصابعه، أو تجمد أقدامه، أو يؤخذ أسيرا إن لم يدمر الدبابة التي أمامه ، بينما

(١)- شرح النووي ج ١٨ / كتاب الزهد / ص - ١٢ (

(٢) - فتح الباري / ج ٦ / باب ٧٣ / برقم (٢٨٩٢) شرح النووي / ج ١٢ / ص - ٢٦ بلفظ آخر وهو عند الترمذي (١ / ١٦٦١)

(٣)- رواه أحمد والحاكم وهو في صحيح الجامع برقم (٣٩٤٢) وفي الإحياء الصحيح برقم (١٩٤١)

(٤) نشرت في مجلة الجهاد - العدد السادس - ٥/مايو / ١٩٨٥ م.

يعيش الجندي الروسي داخل دبابة مكيفة بالتدفئة وزنها <٢٦> طناً، ومع هذا فقد حضرت بنفسه إثر معركة حاولت روسيا فيها أن تسد طريق جاجي، وهي تشكل طريقاً هاماً لحوالي (١٧) ولاية أفغانية، وألقت بثقلها ودباباتها وكان المجاهدون لا يتجاوزون مئة في البداية، بينما الشيوعيون يعدون بضعة عشر ألفاً، وكانت النتيجة أن قتل حوالي < ٧٠٠ - ٨٠٠ > من الكفار، بينما لم يستشهد سوى < ٧ > من المجاهدين، والآن نحن بانتظار المعارك الضارية التي ستثور رحاها في هذا الصيف إن شاء الله .

لقد أكرمنا الله في السنوات السابقة أنه في كل صيف ترتفع خسائر الكفار سنة بعد أخرى، ففي هذا الصيف نحن نتنظر رحمة الله ونصره، وأن تكون خسائر الروس أضعاف مضاعفة عما شاهدناه في العام الماضي .

إن حول أفغانستان حوالي < ١٦٠٠٠٠ > من المجاهدين كل ينتظر سلاحه ومؤوته لينطلق داخل أفغانستان، هؤلاء كل منهم يحتاج حوالي ألف دولار أجرة طريق وكراية سلاحه وأمتعت ، وهذه تحتاج إلى أيدي المسلمين السخية ، تحتاج إلى نماذج أيديها أتت تقاس الأموال لتعطيها نماذج سيوفها أزهقة نفوس الأبطال ، وتضعها في أيدي أناس امتلوا ليالي الدهر الأدهم، وقتلوا أيامه سيوفاً وصوارم .

إن الفترة تحتاج إلى أفراد الجود في أيديهم، خاتم ، ونفس حاتم في نقش ذلك الخاتم ، تعطيها لأناس يروون الرصاص من دماء أكبادهم، ويصنعون بسنابك الخيل سماء من العجاج نجومها الأستة، ويخطون بنجيهم الطاهر مسار التاريخ حتى تسلم لهم البشرية القيادة وتعطيهم الأمانة .

والمسلمون بطبيعتهم قد يعذرون بعض الناس لعدم شهودهم ساح النزال، ولبعدهم عن أن يضطلعوا بأثقال القتال، بسبب انشغالهم بأعمالهم خلال العام، ولكن لا يمكن أن يعذرون أحد إذا أخذوا إجازتهم الصيفية خاصة المدرسين والطلاب من أن يسيحوا في الأرض سياحة اشرف الخلق صلى الله عليه وسلم بالجهاد، بدل أن يقضوها على شواطئ البحار، أو في سويسرا، أو في أعماق الغرب أو الشرق يبحثون عن الهواء العليل والنسمة المروحة، فهيا إلى جبال الهندوكش، هنا مصايف لا نظير لها، احفظوا نفوسكم في جيوبكم وافتحوا صحنكم أعمالكم لتصب عليها الحسنات صبا، و (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، ولقدرة أو راحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها) متفق عليه (١) .

في الحديث الصحيح عن عثمان بن عفان قال وهو يخطب على منبره: إني محدثكم حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان بمنعني أن أحدثكم إلا الضن -البخل- عليكم، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (حرس ليلة في سبيل الله تعالى أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها) (٢) .

يا شباب الإسلام اقبلوا على الله، واستخدموا أجسادكم في طاعته، وأوقاتكم في عبادته، ولا تفوتوا الفرصة التي يسوقها الله لكم فإن الإنسان مسؤول عن أوقاته :

شبابنا هيا إلى المعالي	هيا اصعدوا شوامخ الجبال
هيا امتفوا يا معشر الرجال	قولوا لكل الناس لا تسبالي
شبابنا سبيروا إلى الجهاد	بمساعدة الإيمان والعناد
لتوقفوا قوافل الفساد	وتنشسروا السلام في البلاد
شبابنا قد حان أن تسسعدوا	لسواحة الإيمان كي تسودوا
غدا بكم سيسسعد الوجود	ويكبت المستعبد العنيد

يا شباب الإسلام : لقد طالعنا الصحف العربية بأخبار الفتاة سناء الحيدلي ابنة السادسة عشرة التي لم تترب على الإسلام وحب الجهاد والاستشهاد، ولكنها قدمت نفسها فداء لوطنها، فاستحييت من نفسي وتواريت خجلاً من هذه الفتاة ذات الشعر المنثور .

عندما قرأت قصتها تذكرت قصة أبي الهيثم الحداد اللص السراق، قال عبدالله بن أحمد : كنت كثيراً أسمع والذي (أحمد بن حنبل) يقول: رحم الله أبا الهيثم غفر الله لأبي الهيثم، عفا الله عن أبي الهيثم . . . فقلت له يا أباي من أبو الهيثم ؟ قال ألا

١ - فتح الباري / ج ٦ / باب ٧٣ / برقم (٢٨٩٢) بزيادة (و موضوع صبر أحدكم . . .) شرح النووي / ج ١٢ / ص - ٢٦ من بداية قوله (لغية ١٠) ١٢ - ١٣ - الآية (١٩) النساء
(٢) - رواه أحمد وصححه الحاكم وأقره الذهبي وقال الحافظ أساده حسن

تعرفه؟ قلت : لا، قال: ابر الهيثم، الحداد اليوم الذي أخرجت فيه للسياط ومدت يداي لثعابين -هما خشبتان- يشبح الرجل بينهما ليجلد- إذا أنا بإنسان يجذب قوبي من وراشي فيقول: تعرفني؟ قلت: لا، قال: أنا ابر الهيثم العيار -أي النشيط في المعاصي- اللص الضرار -أي النشال من الجيوب- مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أنني ضربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفريق ، وصبرت على ذلك في طاعة الشيطان لأجل الدنيا ، فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين .

هل هذه الفتاة أولى منا بالتضحية ؟؟ أم أحق منا في بذل النفس والروح ؟ .

ثم طوفت في مخيلتي لأرى الشباب الطيب في العالم الإسلامي قد توقف عن بذل الدماء .. ورأيت شجرة دعوته تكاد تنوي، مصفرة العروق، شاحبة الأغصان يايسة الأوراق، قد فقدت نضارتها، لأن ماء حياتها قد انقطع عنها ، وهو دم الشباب وعرقهم وأشلاؤهم .

يا شباب الإسلام : أليس لله زكاة في أوقاتكم؟ أليس لله تعالى حق على أجسادكم؟ أليس لإخوانكم المسلمين حق عليكم في نصرتهم ولايتهم؟

من يحمي الأعراض من الانتهاك؟ من يحمي الأطفال من الذبح؟ من يكفكف دموع الثكالي ؟ من يهدد آلام الأراامل والأيتام ؟ :
(وما لكم لا تنقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) . (النساء: ٧٥)

لقد حدثني قاضي محمد أمين رئيس اللجنة العسكرية في الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان أن الروس نبخوا طفلا فخرج الحليب من عروقه بدل أن يخرج الدم ، وحدثني أن أحد المجاهدين من قرية (إمام صاحب) من قندوز يبكي دما بدل الدموع ، فذهب إلى الطبيب فأخبره أن هذه ضغوط الأحزان والآلام .

أخي هل تراك سمعت الكفاح

وألقيت عن كاهليك السلاح

فمن للضحايا بواسي الجراح

ويرفع رايتها من جديد

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

مسؤولية العرب أمام الله^(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد:

فإن كل أمة من الأمم عاشت كانت لها ميزة قنعتها إلى صفحات التاريخ، وحفظت لها مكانتها في التراث الذي قدمته البشرية على مر عصورها .

والعرب من بين الأمم التي خلدت وتسلمت قيادة البشرية فترة، وإن كانت لازالت تملك الكثير الذي تستطيع أن تقدمه للمائدة الإنسانية، مما يؤهلها مرة أخرى لاستلام زمام المركب البشري وقيادته .

لقد شرف الله العرب أولاً باختيار النبي الكريم الخاتم منهم، قال تعالى: (الله يصطلي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير) الآية ٧٥ الحج

قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم) (٢).

ولقد شرف الله العرب ثانية باختيار حملة الرسالة منهم، فكانوا القادة الفاتحين، والدعاة المبلغين، والأئمة الراشدين، وكما قال

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد السابع - ٢/يونيو/ ١٩٨٥م.

٢- رواه مسلم وهو في الأحاديث الصحيحة برقم ٢٠٢

ابن مسعود رضي الله عنه: (من كان منكم مستقناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد، كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم) (١)

ولقد شرف الله العرب باختيار مكة في بلادهم، لتكون قبلة المسلمين في العالم كله، ولا يقبل الله أحداً أن يتوجه إليه بالصلاة إلا إذا توجه شطر المسجد الحرام:

(ومن حيث خرجت قل وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) الآية (١١٤) البقرة.

ولقد شرف الله العرب بأن يكون في أرضهم المسجد الحرام والمسجد النبوي في المدينة، وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين: المسجد الأقصى، وشرف الله العرب بأن تكلم بلغتهم، وأنزل كتابه الخالد بهذا اللسان: (وإنه لعنزل رب العالمين# نزل به الروح الأمين# على قلبك لتكون من المنذرين # بلسان عربي مبين) الشعراء (١٩٦ - ١٩٥) ولذا فقد خلدت اللغة العربية بخلود القرآن، وحفظت بحفظ الله لكتابه: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الآية ٩ الحجر.

وما عرفت قيمة هذه النعمة التي أنعم الله بها على العرب حتى اختلطت مع الأمم غير العربية في باكستان وأفغانستان، فعرفت هذه النعمة الجليلة التي أنعم الله بها علي؛ أني ولدت بين العرب، لأن أحكام التنزيل ومدارك الأوامر الربانية لا بد لها من هذه اللغة.

ولقد كان العرب مادة هذا الدين وخامته الأساسية، وكانوا صفوة الأمة الإسلامية، ومحور قيادتها، ودانت الأمم للعرب بإسلامهم، وعرفوا لهم مكانتهم، وسلموا لهم قيادتهم، ورضوا بأن يكونوا أئمتهم.

ولذا فقد حرص صلى الله عليه وسلم أن تكون جزيرة العرب محط أنظار الأمم، وحرص على صفاء عقيدة أهلها، ونقاء مشاربهم، وتفرد مسلكهم، ليكونوا شامة في جبين الأمة الإسلامية، كما أن الأمة الإسلامية شامة بين الأمم جميعاً. فحرص على تطهير الجزيرة، فكان صلى الله عليه وسلم يردد وهو على فراش الموت: (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) متفق عليه (٢) (أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب) رواه مسلم (٣).

فكان حريصاً صلى الله عليه وسلم أن لا يلتقي دينان في جزيرة العرب، ولا تجتمع نطقتان فيها، فكان معاً بشر به صلى الله عليه وسلم أمته في حجة الوداع: (إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في الفحريش بينهم) رواه مسلم (٤). ولقد قاد العرب الأمم بهذا الدين، ورضيت البشرية إمامتهم بهذا الكتاب الكريم، وامتن الله عليهم قائلاً: (لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون) (الآية ١٠ الانبياء)

قال الطبري: لقد أنزلنا كتاباً فيه شرفكم . . . ثم قال: وهذا القول أشبه بمعنى الكلمة، وهو نحو مما قال سفيان الذي حكينا عنه: وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه. (٥)

وقال الرازي: (٦) (ذكركم: شرفكم وصيتكم). وقال القرطبي: (٧) (فيه ذكركم: فيه شرفكم، فالقرآن نزل بلسان قريش، وإياهم خاضب، فاحتاج أهل اللغات كلها إلى لسانهم، فصاروا عيالاً عليهم، فشرفوا بذلك على سائر أهل اللغات). (٨)

وأنا أحدث عن مكانة العربي المسلم في نفوس المسلمين غير العرب مما رأيت وسمعت:

١ - أن الطلاب في جامعة الجهاد والدعوة (وهم من أبناء المجاهدين والمهاجرين الأفغان) يطلبون مني أن أحدثهم عن فلسطين

١ - مجموعة الفتاوى ١٢٨/١

٢ - فتح الباري / ج ٦ / كتاب الجزية برقم (٢١٦٨)

٣ - شرح النووي / ج ١٢ / كتاب الجهاد / ص - ٩٢ بلفظ (أخرجوا اليهود . . .)

٤ - رواه مسلم

٥ - جامع البيان / ج ١٧ / ص - ٧ الطبعة العنبرية

٦ - التفسير الكبير ج ٢٢ / ص - ١١٤، ٧، جامع أحكام القرآن / ج ١١ / ص - ٢٧٢ /

وعن الحركة الإسلامية في مصر والعالم العربي، مع أنهم يكتوبون بنار الأحداث عدهم ويصطلون بجراحها، ويتجرعون ويلت الحروب والدمار يوميا.

٢ - المجاهدين الأفغان يقولون: اللهم ارزقنا الجهاد في أفغانستان، وارزقنا الجهاد والاستشهاد فوق أرض بيت المقدس، فقيل لهم: إن الشهادة واحدة سواء في أفغانستان أو في فلسطين، فقالوا: إن فلسطين هي الأرض المباركة، وهي أقدس وأقدس وأكثر بركة من أفغانستان، ولذا فالشهادة فوق أرضها لها قيمة أجل وأعظم.

٣ - كثيرا ما كنت أحدث المجاهدين الأفغان عن الجهاد فيصفون فإذا ذكرت فلسطين فاضت أعينهم بالدموع.

٤ - أن أكثرهم يردد: (من كابل إلى فلسطين).

٥ - أن أمير المجاهدين سياف يردد كثيرا: أن قضية فلسطين هي قضيتنا الأولى، وهي قضية الإسلام الأولى، ولكن الأحداث داهمتنا فاهلقتنا عن فلسطين.

٦ - لقد سألت الكثيرين منهم هذا السؤال: ماذا بعد أفغانستان؟ فكان معظمهم يجيب: الأقصى وفلسطين، وبعضهم يجيب إلى موسكو.

٧ - وعندما دخل اليهود لبنان أرسل سياف وراء المنسوب الفلسطيني وقال له: أريد أن أقدم كتيبة من المجاهدين تدافع عن المسلمين الفلسطينيين واللبنانيين، ولكن لي شرط واحد (أن يفرد لهم مكان ليقاتلوا من فوقه، وتتفرد فوق رؤوسهم راية لا إله إلا الله).

٨ - لقد دخل بعض الشباب العربي المسلم المجاهد ليؤبوا الجهاد فوق أرض أفغانستان، وليقدموا هذه العبادة - عبادة الجهاد - لله عز وجل من فوق هذه الأرض، منهم: ضرار واسماعيل: ذهبوا إلى زابل وهم شباب صفار حول العشرين فقط، قال لهم كبار قادة المجاهدين الأفغان: نحن لا نمك شيئا نقدمه لكم عنوانا لفرحتنا، واحتفاء بقدمكم، لو جاز لنا أن نتيح أولادنا تحية لكم لذبحناهم.

٩ - ومنهم: أنس ومحمد أمين وأبر أسيد إلى مزار شريف (بلخ)، قال أنس ومحمد أمين: كانت القرى المجاهدة في بلخ عندما تسمع بقومنا تخرج وتصطف على الجانبين لتحظى بالسلام على العرب، ويواصل قائلا: لقد كان الشيوخ الطامنون في السن يمشون أربعة أيام على الجليد يقطعون المسافات الواسعة من أجل أن تصافح أيديهم يد عربي مسلم.

لقد جمعوا لي أربع عشرة قرية في مسجد واحد، مع أن المنطقة كلها تحت الغارات اليومية بالطائرات الروسية - هذه الطائرات التي تخرج من مطار ترمذ (بلد الترمذي المحدث) ذلك المطار الذي يقع تحت قبضة الشيوعية منذ سنة ١٩١٨ - تخرج منه الطائرات لتدمر القرى في الشمال خاصة - بلخ - وتعود.

ويستطرد أنس قائلا: جمعوا هذ الجمع الكبير الذي بعد ألفاً مؤلفة في هذا الوضع الخطير، ووضعوا مضادات الطائرات فوق المسجد، وبقيت أخطب فيهم من الظهر إلى العصر ولم يقطع الخطبة سوى النشيج والبكاء المرتفع، واصوات التكبير التي كانت تجلجل في أرجاء المسجد.

كنا أحيانا نبقى في دروس مستمرة حتى الساعة الحادية عشرة ليلا، حتى إذا فرغنا في هذه الساعة قام أناس حاضرون في المسجد قائلين: إن أهل قريتنا ينتظروكم منذ ساعات فيضطر أنس والإخوة معه أن يذهبوا إلى مكان تجمع الناس، فيمتد الكلام إلى الواحدة ليلا، لقد جاء كبار القادة الذين زلزلوا الأرض تحت أقدام روسيا يقولون لهؤلاء الشباب: (نحن طوع أمركم، وذهن إشارتكم، فمرونا بأمركم).

لقد عرضوا على أنس أن يبقى بين ظهرائهم، ويزوجوه من بناتهم، ويهبوه دارا للسكن، رغم حساسية هذا الموضوع عند شعب قبلي كالشعب الأفغاني).

١٠ - لقد سمعت محمد صديق چكري - قائد في كابل - يقول: إن عريبا واحداً بيننا أحب إلينا من مليون دولار تقدم إلينا رغم حاجتنا الماسة اليها.

هذه المكانة التي يحتلها العرب في قلوب المسلمين تضعهم أمام مسؤولية كبرى أمام الله، ثم توفقهم أمام مسؤولية عظمى أمام التاريخ (وإنه لا ذكر لك ولقرمك وسوف تسألون) (الآية ٤٤ الزخرف).

إنها مسؤولية القيادة والريادة . . . مسؤولية تلقي على عاتقهم تبعة ثقيلة.

قد أهلوك لأمر لو فطنست له فأربأ بنفسك أن ترمى مع الهمل

لابد للعرب أن يحاولوا إعادة دورهم هذا، وأن يتحملوا تكاليف المسؤولية، وأن يعرفوا تبعات هذا الطريق.

لابد أن ينسحب من أذهانتنا إلى الأبد الإسلام الإقليمي الذي يقبع في الحدود الجغرافية التي خطها الانجليز أو الأمريكان.

لقد استطاعت الأجهزة اليهودية الدولية للإعلام أن تنقل قضايانا المصيرية من قضايا إسلامية تعيشها الأمة المسلمة بكاملها بإحساسها وقلوبها ومشاعرها، لقد نقلت القضية الفلسطينية - على سبيل المثال - من قضية إسلامية جهادية تفرض على كل مسلم أن يساهم في تخليصها فرض عين إلى قضية إقليمية، عربية، ثم من قضية عربية إلى قضية فلسطينية، ثم أذابت القضية الفلسطينية في قضية أسمى (مشكلة الشرق الأوسط) لتصبحها وإنسانها للناس.

والآن استطاعت أجهزة الإعلام الشيوعية واليسارية في العالم العربي أن تلبس قضية الجهاد الأفغاني وتظهرها بمظهر المنافس للقضية الفلسطينية، وبدأت بعض الأصوات ترتفع بالذكير على كل من نادى بدعم الجهاد الأفغاني، بل لقد أعرب بعض أبناء جلدتنا من فلسطين، قالوا: إن قضية أفغانستان أثارتها الماسونية العالمية لطمس القضية الفلسطينية.

فإذا كانت الشيوعية العالمية ترمي الشعب الأفغاني عن قوس واحدة، وترمى اليمن الجنوبي والهند والدول الشرقية بأبنائها في المحرقة الشيوعية في أفغانستان لتثبت تضامنها مع الشيوعية الدولية . . . فهل يحرم بعد هذا أن تنادي بعض المسلمين لدعم الجهاد الأفغاني بالنفس والمال؟

أحرام على بلابله النوح حلال للطير من كل جنس

ولقد أصبح هذا الأمر مشكلة لدى بعض القوم، حتى أصبح بعض الناس يلمزونا لأننا نتكلم عن أفغانستان، ولم نتودع صحيفتنا المسلمة (الأخبار) أن تنشر لأبي أحمد رسالة من حيدر آباد يتهمنا بأننا نسينا فلسطين، معاذ الله أن ننساك يا فلسطين، فإنقاذ فلسطين جزء من ديننا وعقيدتنا وفرض علينا، ولكن مثلي ومثل فلسطين كرجل يصلي ثم أغرقت داره بالماء، فبدأ يبعث عن مكان يصلي فيه، فوجد داراً لأحد إخوانه ليس فيها ماء، وبإستطاعته أن يصلي، فهل يقول عاقل أن عليه أن يترك الصلاة أو يصلي دون سجود لأن داره فيها ماء، وهل من العيب أن يصلي في بيت أخيه؟ إنه يصلي في بيت أخيه حتى لا يعطل فريضة الصلاة، وينتظر الوقت الذي يستطيع الصلاة في داره، وهذا شائي في فلسطين وفي أفغانستان، لقد أدينا فريضة عبادة الجهاد، في فلسطين، ثم حيل بيننا وبين أداء هذه العبادة، فبدأنا نبحث عن مكان نعبد الله فيه عبادة الجهاد فوجدنا أرض أفغانستان، فقمنا بأداء العبادة فوق أرضها، ولكننا نترقب الوقت المناسب الذي نعود فيه لأداء هذه العبادة في أرضنا المباركة، فبدلاً من أن نعطل الجهاد، ونتشغل بالدنيا، ونغرق في متاع الدنيا، وتترهل أجسامنا، وتنقل هممنا، ونكتفي بالفواح على فلسطين كأجهزة الإعلام العربي . . .

بدلاً من هذا التخلف قلنا: نواصل جهادنا في أفغانستان حتى يفتح الله علينا رييسر لنا الجهاد في الأرض المباركة وفي ربوع الأقصى، ولا بد أن ننبه أن الجهاد في أفغانستان فرض عين بالنفس كالجهاد في فلسطين، قال لي نور الدين الفلسطيني - وهو مجاهد في أفغانستان الآن - قال لي هذا الأخ: والله مازاد حنيني وشوقي للجهاد في فلسطين إلا بعد أن جئت إلى أفغانستان، وإذا كانت العصابات اليهودية قد اشتركت في الحرب العالمية الثانية في جيوش الحلفاء من أجل المزيد من الدرية والمران، وإذا كان موشي ديان قد ذهب إلى فيتنام ليأخذ الخبرة في مقاومة حرب العصابات ليستعملها ضد الفدائيين الفلسطينيين، فهل لنا أن نخرج من دائرة القول والتعني إلى دائرة الجد والعمل لاسترداد فلسطين؟ . . .

هلا واجهنا الواقع بوسائل مكافئة ونزلنا من بروجنا الخيالية التي نحلم فيها بانتقاذ فلسطين إلى إعداد النفوس والقلوب والأرواح والأبدان والعقول؟

ومن طلب العلا من غير جد أضاع العمر في طلب المحال

إن تار أعداء الله تلتهم كل ما تواجهه من أناس وقيم ومبادئ وديار، وكادت تأتي على البنيان العربي كله، والخطر محقق، فلا بد أن نوقظ قلوبنا بالقتال ولا بد أن نفتح أفعالها بالجهاد في سبيل الله.

ومناك فرق بين القلوب الحية المتفتحة المتأثرة، والقلوب الميتة المغلقة الجامدة التي تكفن موتتها بالهجر، وتواري جمودها بالاستهتار، ولا تتأثر ولا تتذكر لأنها خاوية من مقومات الحياة.

إن النفوس الفارغة لا تعرف الجد، وتلهو في أخطر المواقف، وتستعثر في مواطن القداسة.

(إن لي ذلك للذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) (الآية ٣٧ سورة ق).

كيف صبروا...؟! (١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فمن تحت شجرة سمرة في سفح جبل يطل على معسكر سلمان بدأت أنظر إلى الخيام التي تكاد تشتعل من الحر اللاهب، ولوح الهاجرة تحرق الوجوه، والأفواه لا تكاد تستطيع أن تفتح أشداقها لجفاف لعابها، ونحن في العاشر من رمضان، وعندها بدأت الأفكار تتثال علي، والاستئلة تتزاحم في مخيلتي، والسؤال الكبير الذي فرض نفسه:

كيف يصبر هؤلاء المجاهدون في هذه السنوات السبع العجاف؟ لقد فقدوا كل شيء في هذه الدنيا.

همم عالية . .

تركوا الأرض العزيزة التي عليها ديارا ونبثوا، فما وهنوا ولا استكانوا، فقدوا الأم التي أغدقت عليهم من حنانها حتى شبوا على أقدامهم، تحول البيت الذي يقطنون ميثما ففيه الأرامل والمشوهون والمعرج، والبيت لا يتعدى خيمة تضرب الريح في أرجائها وتقتلع أطنابها، وبعد هذا كله فمسيره الجهاد مستمرة، والنفسيات عالية، والهمم مرتفعة، ولم يذل هذه الهامات استمرار المحن وتوالي المصائب:

(وكأن من نهي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضلوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)

(الآية ١٤٦ آل عمران).

ومقابل هذا جنود الروس تحميم الأساطيل البرية والجوية، وطعامهم خاص، يعيشون في معسكرات مدججة بأحدث الأسلحة، وما ابتكره العقل البشري من أسلحة وأجهزة المراقبة والأضواء والأسلاك والآلات الحديثة الإلكترونية.

خواء الإلحاد:

ومع هذا كله يعيشون في فزع رهيب ورعب عجيب، فروسيا تضطر لتغيير قواتها داخل أفغانستان كل ستة أشهر إلى ستة.

سألت أحد الأسرى الروس واسمه عبدالحليم (كما سماه المجاهدون)، فقلت له: كيف تعيشون في داخل معسكراتكم؟ فأجاب: كنت ضمن حامية في مطار في شمال أفغانستان، ومع ذلك لا نضع رؤوسنا ليلة إلا ويكون الحديث الأخير الذي نتهامس به بيننا: الليلة يأتي كل محمد ويذبحنا، وأكثر ما يخشاه جنود الروس أن يذبحهم المجاهدون بالسكين.

قارنت في نفسي بين هذه النفسيات المهزومة في أعماقها، المضطربة في حياتها وأعصابها، وبين المجاهد الذي فقد كل شيء

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد الثامن - ١٥/يونيو/١٩٨٥م.

ومع ذلك فهيمته كالسيف عزما ومضاء.

عندها جاء الجواب: إنه الايمان بالله الذي غرس الاخلاق الإسلامية الرفيعة في نفوس هؤلاء، وعلى رأس قائمة هذه الاخلاق الصبر والشجاعة والعزة والكرامه، إن كل واحد منهم يمثل أسدا رابضا في عرينه لا يستباح حماه، ولا يقتحم بيته.

نماذج رفيعة:

إنهم يجمعون بين التواضع الجم، والشجاعة الخارقة، جلس أحدهم بين يدي بأدب كأنه تلميذ مهذب بين يدي أستاذه الكبير، فسألت من هذا؟ قالوا: هذا محمد سهراب قائد المعسكر، وقد كان لواء في الجيش الأفغاني قبل أن ينضم إلى المجاهدين، وأعطيت محمد نقيب أمير إحدى الولايات مبلغا بسيطا فقلت له: لستعن به على سد أفواء أبنائك الجائعين، وليس هذا المبلغ للمجاهدين، فقال: أخذه بشرطين: أولهما أن أخبر قائدي المسئول، والثاني أن أضعه في صندوق المجاهدين، لأنك تعلم حديث ابن اللتبية الذي قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: هذا لكم وهذا أهدي إلي، فقال: (أثلا قمعدت لي بيت أبيك وأملك فتتظر أبيهدي إليك أم لا؟)^(١).

وأعطيت صدر الدين مبلغا ليوصله إلى ولاية لغمان، فحمله، وعندما سلمه إلى القائد سأله من أين هذا؟ فقال: من أحد الإخوة المسلمين العرب، فرد عليه القائد: أخشى أن يكون من إحدى الجهات التي تحاول احتواء الجهاد كالفرب مثلاً، فأكد له بأنه من إخوانك المسلمين، قال القائد: لا أستلمه حتى أستخير وأستشير، وفي اليوم التالي أخذ القائد المبلغ ولكن نفسه لم تظمن حتى أرسل المبلغ إلى بيشارور ليستفسر ويظمن عن مصدر هذا المبلغ.

عفة وطهر . . .

هذه النفوس الرفيعة التي عضها الجوع بنايه، وتعيش مرارة فقر يهز المعالقة من الرجال، ومع هذا فالهمم عالية، والهام مرتفعة، قال لي أحد أبناء حماة: إن الاصاله عريقة في حماة، فرغم قتل الرجال وغيبه الرقيب والموجه عن النساء إلا أن المرأة لا زالت تحافظ على خمارها، فقلما تجد في شوارع حماة امرأة سافرة الوجه . . .

فقلت له: ما بالك بشعب بكامله تحدث في أرجائه مئات المذابيح، وفقد مليوناً وثلاثمائة ألف شهيد، ومع هذا لازالت المرأة الأفغانية تغدق قباعها بون الرجال رغم تسلق الجبال ووغول الأدغال، ولسان حالها يردد ما رددته الصحابية رضي الله عنها: (إن أرزاً ابني فلن أرزاً حياني)^(٢).

الأجل والرزق .

إن أثر العقيدة في أتباعها عجيب جداً، ولقد غرس القرآن هذه العقيدة في النفوس، وأول ما حرص القرآن على بنائه في النفوس عقيدة الأجل والرزق، وذلك لأن محور الحياة يدور حول هاتين القضيتين.

فأما الأجل فكثيراً ما يردد القرآن الكريم:

(فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) [الآية (٣٤) الاعراف - (٦١) النحل]، (وما كان للنفس أن توت إلا بإذن الله كتابها مؤجلاً . . .) (الآية ١٤٥ آل عمران)

لقد وردت هذه الآية في أثناء التعقيب على غزوة أحد وفي ثنايا القصة جاءت الآية، فالقرآن الكريم يربي النفوس من خلال الأحداث، ومن المعلوم أن غزوة أحد حفرت أثارها في أعماق النفوس، وبينما كانت الجروح تشخب دماء والقرح يهز القلوب، جاءت آية الأجل لتأخذ مكانها في الأفئدة الحزينة، وجرت مع الدم الذي لازال يغلي لهذا الحدث الجلل، أما الرزق فقد أقسم عليه رب العزة بذاته الكريمة:

(وفي السماء رزقكم وما ترعدون، ليرب السماء والأرض إنه حق مئلم أنكم تنطقون) [الآية ٢٣ الذاريات].

١ - شرح النووي / ج ١٢ / كتاب الامارة / ص - ٢٢٠

٢ - في أم خالد وقد حانت منقبه تسأل عن أمها الذي قتل فقبل لها: جنت تسألين عن أمك وأنت منقبه؟ فقالت فوثبها . . . والحديث عند أبي داود .

الصبر والشكر . . .

والنفوس تسير في هذه الحياة وهي مطمئنة لرزقها، راضية لقضائها، هادئة الأعصاب، مستقرة الضمير لأجلها وأقدارها، سياتي عندها أن تبتلى فتصبر أو ينعم عليها فتشكر، وفي الحديث الصحيح: (عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن).^(١)

لقد أصبحوا بفضل هذه التربية الربانية كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لو كان الصبر والشكر جوادين ما باليت أن أركب أحدهما)، بل لقد تعدوا هذه المرحلة إلى ما فوقها، إذ يصبح القدر النازل من السماء هو سرور النفوس ودوح الأرواح كما قال عمر بن عبدالعزيز: (أصبحت ومالي سرور إلا مواقع القضاء والقدر).

لم تعرف البشرية مبدأ ولا ديناً جعل الاستشهاد وبذل الروح أسماً آيات العبادة وقمة ستامها مثل الإسلام، ولم يعهد التاريخ عقيدة تجعل الشجاعة والكرم قمم السمو الأخلاقي، ونزوة الرفعة البشرية مثل هذا الدين.

معدن صقله الإسلام

إن هذا الدين يتعامل مع معادن فيصقلها ويسمر بها حتى لتكاد تتخيل أحياناً أنك تتعامل مع ملائكة يدبون على الأرض بصفتهم ورفعتهم: (الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)^(٢)، لقد صقل الإسلام معدن الشعب الأفغاني: فأصبح الوفاء لهم سجية، والشجاعة صبغة، والعزة لهم طبعاً، والحياء لهم خلقاً، والنخوة لهم أرومة، وأصبح الزهد ديدنهم، والرجولة عنوانهم، والغيرة سمتهم. لقد حمل الشعب الأفغاني الإسلام فنشره كذلك في أواسط آسيا وشرقها.

إننا نرى الإنسان في العالم الإسلامي - الذي لا يزيد الإسلام عن أن يكون قشرة خارجية لكثير منهم - سرعان ما يسقط لأول هزة وسحابة صيف عن قليل تقشع.

مقارنة

ونرى المرأة خاصة قليلة الاحتمال، عديمة الصبر - إلا من رحم الله -، فإذا غاب عنها زوجها ليلة أو بعضها أقامت الدنيا وما أقعدتها، بل لقد أصبح الصرصور يثير الذعر في البيت إذا رآته المرأة، فكيف إذا رأت أبو بريص فإنها لا تتمالك نفسها من الخوف فتصيح من أعماقها طالبة الفؤاد، ودعك عن الضفدع التي قد تحرم المرأة أن تفتح بابها خوفاً وهلعاً.

لا نستبعد أن تكون هذه المرأة داعية إلى الله - بزعمها -، وتتولى عملية التربية لأترباها - بظننا -، قارن هذه المرأة مع المرأة الأفغانية التي قلما تضع جنبها إلا على الصخور التي تكن الأفاعي تحتها. والغابات التي لا تقطنها إلا الوحوش الكاسرة والهوام السامة.

إن السكين العاد لا يكاد يفارقها وهي متربصة الساعة التي تنقض فيها على روسي يقتحم حرمة بيتها لتقتله.

إنها لم تر زوجها منذ انقلاب تراقي ١٩٧٨م، أو منذ الدخول الروسي ١٩٧٩م، مع ذلك فهي صابرة محتسبة، تغالب مرارة العيش، وتتصارع الحرمان والفقر والفاقة، وتقتات السفوب والالام، وكما قال الشاعر:

أمسكت ما أبقي الأسى من مهجتي	أما وما أبقت لي الأيام
كي أسأل الربيع الحزين وما به	إلا الركام ومن طواه كمام
ما للمنازل أجثيست شرفاتها	فوق الأحبة والدهان سخام
ما للمساجد أطفأت أنوارها	في شهر فرحتها وعم ظلام

١ - شرح النووي / ج ١٨ / كتاب الزهد / باب أحاديث متفرقة / ص - ١٢٥ .

٢ - فتح الباري / ج ٦ / كتاب المناقب برقم (٢٤٩٦) عن أبي هريرة وله زيادة .

صفات أصيلة:

إن الصفات الإسلامية هي التي أهلت هذا الشعب الإسلامي الكريم العريق في أصلاته أن يخوض هذه المعركة الطويلة المدى. وإن يعتبر هذا الصبر الذي لو صب على الجبال لذابت من أصولها، إن النفس البشرية لا تكاد تصدق ما يتحملة الإسلام فوق أرض أفغانستان، ولكنه الصبر الذي يلقى الله في القلوب يقتر البلاء الذي يتصيب عليها من السماء.

إن الصبر بحد ذاته كرامة كبرى تدل أن يد الرحمن هي التي ترمي هذا الجهاد، وأن عين الديان هي التي تحرس القتال المبارك.

هذه بعض أجوبة سؤالي الكبير.

(واللهن جاهدوا لئلا تنهينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) (الاية الأخيرة من سورة العنكبوت).

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (الاية الأخيرة من سورة عمران)

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

وتفوهم إنهم مسؤولون

إن الحمد لله، نحمده و نستعينه ونستغفره . . . وبعد:

إن لله - عز وجل - قوانين ونواميس تدير حسبها الحياة الاجتماعية والأجيال عبر تاريخ البشرية.

هذه القوانين لا تحيد الانسانية عنها ومهما حاولت مصادمتها فانها لا محالة فاشلة خاسرة، والانسان هو الذي يدفع الثمن لانه هو المتحطم في النهاية لانه يحاول أن يصطدم بهذه القوانين ظاناً أنه يستطيع أن يوقف عجلة الكون الدائرة بإذن الله ربها -ولله المثل الاعلى- كطفل صغير يحمل حجراً صغيراً بيده يريد أن يوقف فرقة متقدمة من الدبابات، لا بد أن تطوية عجلة إحدى الدبابات دون أي جهد.

ومن هذه القوانين: أن النفس البشرية لا تجد سعادتها وطمأنينتها، ولا يتوق الإنسان حلوة ولا يحس بهدوء أعصابه وقرّة عينه إلا في ظل المنهج الرباني، وتحت كنف النهج الإلهي، هذا القانون الذي تتضمنه الآية الكريمة: (لمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونعشره يوم القيامة أعمى) (طه: ١٢٤).

ولذا فإن كل المناهج البشرية التي وضعت لملء فراغ الانسان وحل عقده قد باع بالفشل الذريع، من رأسمالية إلى اشتراكية وشيوعية وقومية، ونظرة واحدة إلى العالم العربي والإسلامي الذي يعتبر مزرعة تطبيق المناهج الوضعية الجاهلية تجعلك مطمئناً لما نقول لما تراء من شقاء الإنسان، مع انهيارات هائلة في المجالات الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية، مع التخبط الشديد والخلط العجيب في محاولات الإنقاذ الياثسة للأوضاع بعيداً عن منهج الله.

ومن هذه القوانين: قانون الدفع (الصراع) بين الحق والباطل: هذا قانون لا يمكن أن يتخلف في حياة البشرية، فالدفع بين الخير والشر، والصراع بين الإيمان والكفر مستمر منذ أن غادرت قدما آدم عليه السلام الجنة ناداهما ربهما: (اهبطوا بعضكم لبعض عدو) [البقرة: (٢٦) - الاعراف: (٢٤)].

وجبهة الخير والحق يمثلها الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم، وجبهة الشر والباطل يمثلها الشيطان وأتباعه، أو كل جبهة أخرى غير جبهة أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ومن جبهة الباطل: اليهود والنصارى (أهل الكتاب)، والوثنيون والبوذيون والهندوس والبهائيون والقاديانيون والشيوعيون والمحدون والمشركون والمنافقون، هذه الجبهة لا يمكن أن تهدأ في الكيد للإسلام وأهله، أما المشركون فيقول الله عنهم: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (البقرة: ٢١٧)

أما أهل الكتاب فيقول الله عز وجل فيهم: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) (البقرة: ١٢٠)، ولئن كفوا عن القتال أو الكيد الظاهري برهة من الزمن فالكف خلاف القاعدة، ويعتبر شذوذاً في سير التاريخ الإسلامي. وما دام المؤمنون مؤمنين والكفار كافرين فلن يهدأ أوار الحرب، ولن تخبر نارها. (قل يا أهل الكتاب هل تنعمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون) (المائدة: ٥٩). فالنقمة والحقد أمر دائم، لأن السبب موجود وهو إيمان المؤمنين وفسق الكافرين وظلمهم.

ومحاكم التفتيش في إسبانيا التي شنها ألفونسو السادس الصليبي على المسلمين حتى اجتثهم وأباد نسلهم وأهلك حرثهم خير شاهد، والعروب الصليبية التي استمرت حوالي قرنين من الزمان يورث نارها وبذكي ليهيها بطرس الناسك والبابا من الشواهد كذلك.

وفلسطين من الشواهد الكبرى على حقد أهل الكتاب ونقمتهم على أصحاب هذا الدين، ولقد اتفقت الصليبية النولية واليهودية العالمية معاً على سلب هذا الجزء من أرض المسلمين والاستيلاء عليه، وهاجر أبناء فلسطين بعد أن تأمر عليهم الكافرون الشيوعيون (أنصار المستضعفين) وأهل الكتاب، وانتقلت روسيا وأمريكا والمسكرات على حربهم بجانب اليهود، ووقف المنافقون من صف العرب والمسلمين بجانب أعداء فلسطين - الأرض المباركة - وصمد الشعب الفلسطيني صموداً عجيلاً، ولم يستطع اليهود أن يحصلوا خلال نصف قرن (١٨٩٧ م حتى ١٥ أيار ١٩٤٧ حتى دخول الجيوش العربية) على أكثر من ثلاثة ملايين دونم، ولكن خلال عام واحد تقريباً أصبح اليهود يستولون على حوالي ٢٢ مليون دونم من مجمل ٢٦ مليون مساحة فلسطين كلها.

ولاحق الكفار الشعب الفلسطيني في كل مكان: سجنًا وتشريدًا وتمزيقًا وتقتيلاً. أوصدوا في وجهه الحدود دون مقاتلة اليهود، منعه من الإعداد، حرّموا من حقوقه الأساسية في الحياة - كالوظائف والتنقل -، حتى الورقة التي تشهد له بمواطن (جواز السفر) لم يمكنه من حملها، وحرّموا حقوقه، بل لقد حرّموا الكلام وبث الشكوى، وأما مجالس الشعب الاستشارية في العالم العربي فهي لا تزيد عن الوصف الذي أطلقه هاشم الرفاعي على مجلس الشعب أيام عبدالناصر:

ها هم كما تهوى تحركهم دمي لا يفتحون بغير ما تهوى فما
إننا لنعلم أنهم قد جمعوا ليصفقوا إن شئت أن تتكلم

أذكر في الخمسينات والستينات أن الدوريات اليهودية كانت تصل أحياناً قرب بيتنا - إذ أننا نساكن في قرية حدودية -، وذات يوم ذهب جارنا وبث شكواه إلى مركز الشرطة فالتقوه في السجن وبدأ التحقيق مع الإيذاء والإهانة، ولم يفلته من الورطة إلا ذكاء ضابط ملقب من ضباط التحقيق نصحه أن يقول للجنة التحقيق: لعلي كنت أحلم، فأقلنوه بعد أن نفى رؤية اليهود في البقعة!!!

لقد جرد الفلسطينيون من الأرض والهوية ومن أي حق إنساني، وحتى حق الكلام والشكوى. وطوروا فوق كل أرض وتحت كل سماء، وأصبح كل جزار يريد أن يستلم مسلخاً في العالم العربي يجرب سكينه في هذا الشعب ليثبت جدارته في إدارة المسلخ المعد له.

سكنوا لبنان، وعندما قامت عليهم كتائب المارون اضطروا أن يدافعوا عن أنفسهم، فشبت كتائب النصيرية بجانب الكتائب الصليبية لتكسر شوكة المسلمين الفلسطينيين، ولترجع كفة الصليبية اللبنانية بعد أن خضعت شوكتهم، ونكسوا على رؤوسهم، ولتمسح مخيم تل الزعتر من فوق الأرض، تابعوهم وفي كل عام مذابح ومجازر، دخل اليهود لبنان ليخرجوا الأيدي المسلحة القوية من أرضها، ثم يتعاون أهل الكتاب (الصليبية مع نجمة داود) لذبح أبناء صبرا وشاتيلا.

والآن وبمباركة النصيرية الحاكمة تلقى الشيعة في حركتها أمل الكفر والدروز الكتائب الصليبية وتحاصر مخيم صبرا وشاتيلا وتبدأ المذابح ووراءها الجرافات التي تدفن الجثث ويقتل الأحياء، وألت على نفسها إلا أن تسوي المخيمات بالأرض لا تريد أن تبقى أطلالاً خربة ولا منازل مهدمة حتى لا يقال في المستقبل هنا كان يسكن الفلسطينيون، ولئلا يقال:

يا دار ما فعلت بك الأيام ضامتك والأيام ليس تضام
عزم الزمان على الذين عهدتهم بك قاطنون والزمان عرام

وحتى لا يسمع:

قفا نيك من نكري هيبب ومنزل

أو يتقنى أحد قائلًا :

وكل دار وإن طالت سلامتها يوما ستدركها النكباء والحرب

لا تريد الدار ولا الأطلال، ولا الأطفال ولا الرجال.

والغريب العجيب: الصمت الرهيب المطبق حيال هذه المجازر الرهيبة، هناك مجازر المسلمين الفلسطينيين في لبنان، وهنا مجازر المسلمين الأفغان، في كل يوم تسمع مجزرة في كثر، وردك، لوكر (زرغن شهر) قصاب، ملي، وعيسى خيل (كننوز) وفي تخار مجازر تشبه مجازر الفلسطينيين ولا تحس من أحد ولا تسمع لهم ركز.

لهل يقف نولب أو نو بقية فيسال هذه القبور الصامته والأحداث الوحشية بأي ذنب قتلت؟

ان لم يسأل أحد في هذه الأرض فسيسمعون صوت الحق يوم القيامة يناديهم: (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يمهذون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم # وقفوهم إنهم مسئولون) (الصافات: ٢٢).

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

أين الصحفي المسلم؟؟ (١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

على أبواب بكتيا وأثناء عودتنا من معسكر (ليجا) على مشارف خوست كنت جالسا ذات مساء وبجانبني صاحبي ينتظر أذان المغرب ليفطر - إذ كان صائما يومه السادس من شوال، ولم يكن أمامه سوى هذا اليوم من شوال ليصرمه، إذ كنا في اليوم التاسع والعشرين منه - أقول: بينما كنا جالسين دخل شاب أشعث أغبر لم تعد تعرف لون وجهه ولا لون ثيابه من الغبار الذي يكسوه، والعرق الذي اختلط بالثرى الذي يكاد يغير ملامحه تماما. الشاب أشقر طويل أزرق العينين، تبدو سحته الغربية واضحة جلية.

فبادرنا بلغة الانجليزية: أيكم يعرف الانجليزية؟ فقلت له: ماذا تريد؟ فقال لي: هل جاءت حقيقتي من (ليجا)؟ قلت له: من أنت؟ قال: أنا (كرستيان روبين) قدمت من فرنسا صحفيا مبعوثا من وكالة الأنباء الفرنسية المسماة (سيفما)، ومكثت في داخل أفغانستان أربعة أشهر ونصف في وردك وغزني وخوست -بكتيا-.

قلت له: هل تؤمن بالله؟ قال: نعم، وازداد إيماني في داخل أفغانستان عندما رأيت الكلاشنكوف يقاتل طائرات الجيت والدبابات، ثم استمر الحديث بيننا، فقلت له: هل تظن أن روسيا ستنتصر؟ قال: لا بل ستهزم ولكن بعد فترة، فسألت عن السبب؟ فقال لي: لأن الشعب الأفغاني شعب متدين شجاع يقاتل لغاية، والروسي لا يدري لماذا يقاتل؟ بالإضافة إلى النفقات الباهظة والخسائر الفاحشة التي تتكبدها روسيا بلا عائد (٢,٥ بليون دولار سنويا)، هذا الرقم الذي ذكره الصحفي الفرنسي وإن كنت أعلم أن الرقم أعلى من هذا بكثير، فلقد سمعت من رجل شيوعي كبير في مخابرات كابل قد استسلم للمجاهدين: إن نفقات الجيش الروسي يوميا (٢٦ مليون دولار على الأقل)، وبإختصار لقد قال لي الصحفي الفرنسي الكاثوليكي: أن هذا الجهاد الذي في أفغانستان سينتصر لأن الله مع المجاهدين.

قلت له: كيف صبرت في أفغانستان على شظف العيش وقسوة الجو؟ قال لي: هي بسيطة، إن هي إلا الخبز والشاي. فطوري خبز وشاي، غداثي شاي وخبز وعشائني خبز وشاي، قال: لا حاجة للتفكير في اختيار الأصناف، ثم سألت هل تمتعت في رحلتك؟ فرد قائلا: إنها أكثر رحلة تمتعت بها في حياتي، فسألت عن السبب فقال: لقد أحببت شعب الأفغان لأنه شعب كريم، شجاع متدين يقابل الموت، فكم كنت أعجب عندما أرى القذائف من الطائرات كراجل من المطر وهم يمزحون ويهزلون كأن الأمر لا يعنيهم.

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد العاشر / أغسطس / ١٩٨٨م.

أقول ولقد رأيت بنفسني الحفر التي خلفتها غارات الطيران في معسكر ليجا الذي كان فيه هذا الصحفي، ورأيت الماء قد خرج من الأرض في إحدى الحفر.

ثم سألته بعد أن قال أثناء الحديث مازحا بلكنته الاعجمية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) هل تؤمن بهذه الكلمة؟ فقال: أؤمن بالشطر الأول أما محمد فإني أريد أن أدرس عنه فسألته عن مدى معرفته لجارودي وموريس بوكاي الطبيب الذي أسلم، فقال: أعرف جارودي، فنصحته الشباب أن يقابل جارودي بعد عودته، ثم وعدته أن أعطيه بعض الكتب الانجليزية عن الإسلام، وطال الحديث أثناء رحلتنا الطويلة من ميران شاه إلى بيشاور (من حدود بكتيا إلى بيشاور) ثم أخبرني أنه راجع إلى بيشاور ليرى برقية جات من فرنسا تخبره أن أمه على فراش الموت، وهو عازم على العودة إلى أفغانستان.

لقد تملكني العجب وأنا أرى صير هذا الصحفي الكاثوليكي على مشاق الحياة ولأوانها في أفغانستان، وذلك لأنه يشيع رغبة في نفسه؛ وهي نقل صورة حقيقية عن الجهاد وأهله داخل أفغانستان، ومن أجل تلبية هذه الرغبة تهون عليه كل المصاعب، مع أنه لا يرجو ثوابا ولا يخشى عقابا من رب العالمين، ولا يطمع في شهادة يدخل بها جنات عرضها السموات والأرض.

لقد رأيت آثار الجروح في بدنه إثر غارة جوية على معسكر (ليجا)، وقد أخبرني المجاهدون بذلك أثناء وجودي بينهم، وهي أن الصحفي الفرنسي قد أصيب، وهي كرامة من كرامات الجهاد إذ أنه الشخص الوحيد في المعسكر الذي أصيب لأنه ليس مسلما، واستفسرت عن عدد الصحفيين الغربيين في الداخل وليس في الداخل إلا صحفي كافر، فقال: الذين أعرفهم خمسة عشر، والذين لا أعرفهم كثيرون.

لقد كنت أقارن بين هذا الصحفي وبين الصحفيين المسلمين العرب وحتى الباكستانيين الذين يعيشون على حدود الجهاد وشظايا القذائف تصل قراهم أحيانا ومع ذلك فهم ينقلون ما يترجمونه عن النيوزويك واليوموند والتايم وكريستيان ميرر، ولا يطمع أحدهم أن يصل حدود أفغانستان هربا بالنفوس من الحياة (الجهاد):

ذل من يفبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام

ومصدق الله العظيم: (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحيبكم) (الآية ٢٤: الانفال).

وقد روى ابن كثير: معنى (لما يحيبكم . .) أي للحرب التي أعزكم الله تعالى بها بعد ذل، وفواكم بعد الضعف، ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم^(١)

فموتني في الوغي عيش لأنني رأيت العيش في إرب النفوس .

ورأيت الصحفيين (المسمين بأسماء المسلمين) يكتفون بما ينقلونه عن الصحف الغربية . . بل يعكسون ما في قلوبهم على صورة الجهاد الأفغاني إلا من رحم ريك وقليل ما هم، فينقلون صورة قاتمة مظلمة عن الجهاد وأهله، يعتمدون على الصور المشرقة والانتصارات الباهرة. . . فإذا دخل الروس قرية من القرى، أو قتلوا مجموعة من المدنيين انطلقت أقلامهم أسبوعا كاملا تصور انتصار الروس ومزمنة المجاهدين . . . وما اكتفوا بصمتهم المطبق عن النبا الذي زلزل العالم بأسره، وشد انتباه الدنيا وأهلها، فصدق الله فيهم: (قد يعلم الله المعوقين منكم والثقالين لاخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا أشعة عليكم) (الأحزاب: ١٨).

والمنافقون لا يأتون البأس إلا قليلا، وهؤلاء لا يأتون البأس لا قليلا ولا كثيرا، وهم أشعة والشج: أشد البخل، فهم بخلاء أشد البخل حتى بالكلمة الطيبة. . بل إن بعضهم يرجف ويخذل ويصور الجهاد الأفغاني مجموعة من قطاع الطرق يقبعون على حدود باكستان يتربصون سيارة ينهبونها ويقتسمونها، وأن أفغانستان خاضعة تماما لروسيا، مع أن كل من دخل أفغانستان يدرك الحقيقة: إن الروس يعيشون كالقفران الذعورة في داخل حصونهم المحاطة بأسوار الاسمنت وحقول من الألفام وسياج من الأسلاك الشائكة، ولا تستطيع عشرات الدبابات أن تسير في الشارع العام.

لقد كنت جالسا في هذه الرحلة على أطراف بكتيا، وإذا بطائرتين فوق رؤوسنا مشحونتين بالسلاح والصواريخ البارزة منها لا

١ - تفسير ابن كثير ٢/٢٩٧

ترتفعان أكثر من خمسة عشر متراً ثم حطتا بجانبنا، فهرع إليها الناس، وإذا بهما طائرتان روسيتان هاريتان ليستسلم أصحابهما للمسلمين . . . فهل تستيقظ ضمائر أصحاب الاقلام ام تبقى ساهرة في غيها وما أجمل قول الشاعر:

وظلم نومي القربي أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

المعركة بين الجت والحصان^(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره . . . وبعد:

من حدود باكستان حتى حدود الاتحاد السوفياتي، وعلى طول الطريق العام في أفغانستان من شمالها إلى جنوبها، تجد قوافل الحمير والبغال والخيول محملة بالأسلحة والذخائر، وبالصواريخ بأنوعها، لا تجد فوق الأرض من يستطيع مقابلتها في المعركة، وكل الذي تخشاه أن تفاجئها الطائرات ميج ٢١، ٢٣، ٢٧ أما الدبابات فلم يعد بمقدورها أن تسير على الطريق العام حتى بقوافل وفرق تصل إلى خمسمائة دبابة.

وأنت هذا في الطريق المؤدية من جاجي (حدود باكستان) إلى كابل، رأيت الخيول محملة بالصواريخ، والطريق أهلة لا يسير فيها إلا مجاهد. يمشي المجاهد من جاجي إلى كابل لا يخشى إلا الله، ومن الحدود إلى بدخشان (على حدود الاتحاد السوفيتي)، والبغل يعتبر دبابة المجاهد، وهو يشكل وسيلة نقل هامة لأسلحة المجاهد، وفي اختراق سلاسل الجبال وتحدي الشوج والتلال والأدغال.

وعلى طول الحدود في باكستان تجد أصحاب البغال ينتظرون المجاهد ليستأجر البغل، وصاحب البغل يأخذ عشرين روبية؛ أجرة الكيلو غرام الواحد من الحدود إلى شمال كابل، أما إلى هرات وإلى بادغيس ومزار شريف فقد تصل أجرة الكيلو غرام الواحد من ٤٠ - ٥٠ روبية، وإلى بدخشان ٤٢ روبية، والحصان والبغل يحمل في المسافات البعيدة ١٤٠ كغم، ولذا فاجرتة حوالي ثلاثة آلاف روبية، أي ما يعادل مائتي دولار أمريكي إلى قرب كابل، بينما تصل اجرتة إلى بدخشان حوالي أربعمائة دولار.

ولقد كنت أظن أن برد الخيل قد انتهى في الحروب، ولكنني وجدت بورها الكبير في أفغانستان مصداقا لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما روى عروة بن الجعد البارقني: (أخيل معقود في تواصبها الخبير - الأجر والمغنم - إلى يوم القيامة)^(٢)، وهذا الحديث دليل على أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة ويؤيده حديث أنس مرفوعا: (والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يظله جور جائر ولا عدل عادل)^(٣).

وكل أفغاني يفخر أن يكون لديه حصان، وتراهم في قواعدهم فمن كان عنده حصان يبطه أمام خيمته يعني بطعامه وشرابه، ويحافظ عليه حفاظه على نفسه، وهو يذكرنا العزة في جاهليتهم وإسلامهم من حيث اعتنائهم بالخيول، إذ كانوا يهنتون بميلاد الفرس، وكل ينطق وشعاره كلام خالد رضي الله عنه يوم اليرموك: (وددت أن الأشقر قد برىء وأن عدد الروم قد تضاعف).

كان في جاجي شاب يسمى (باري هوا) مسؤول عن تبليغ الأوامر للمراكز المحيطة، فكان يسابق السيارة على فرسه، وكم هو جميل أن ترى هؤلاء الفرسان يمتطون صهوة خيولهم يذكرونك بالسلف الصالح أيام اليرموك والقادسية ونهاوند.

وكراية السلاح (أجرة السلاح) تشكل عقبة كبرى أمام المجاهدين، وقد ينتظر المجاهد تسعة أشهر ينتظر أن يوفر الله له سلاحه ومؤناته، ثم تبرز عقبة أخرى هي عقبة أجرة سلاحه، وأكبر المشاكل هي ما يواجه القائد حين يعيش متقلبا على أحر من

^(١) - نشرت في مجلة الجهاد - العدد الحادي عشر ٣١ / أغسطس / ١٩٨٥ م.

^(٢) - فتح الباري / ٦ ج / باب ٤١ / بوقم (٢٨٥٢) شرح النووي / ج ١٣ / ص - ٢٧ بتلخيص عبارة - الأجر والمغنم.

^(٣) - الحديث سكت عنه أبو داود والمنذري وفي إسناده يزيد بن أبي شيبه وهو مجهول، وله شواهد.

انجم، إذ على جبهته التي تركها في الداخل قوات يخشى أن يفجأها الروس بجيش عرمرم وبهجوم سريع وليس عندهم ما يكفون به عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم، وليس عندهم إلا ما يسنون به رمقهم ويوارون بشرتهم من كساء، والقضية الأخرى: كيف يستطيع تدبير أجرة سلاح كتيبته.

جاني أحد القادة الكبار حول كابل فقال لي: نريد أن تدبر لنا أجرة ذخيرتنا وسلاحنا، فقلت له: نحن لا ندفع أجرة السلاح وإنما نساعد من أجل إنشاء المدارس في داخل أفغانستان، فقال لي: إذن سأبقى في بيشاور ولن يدخل السلاح إلى الداخل، وقد رأيت حالات كثيرة من القادة يبقون بتصويرهم على الحدود يتلهفون رؤية زائر قادم يشكون له حالتهم لعله يرق لهم ويحل مشكلتهم أو يساهم في حلها.

قال لي صاحبي متعجبا: إذن أين تذهب الأموال التي يدفعها المحسنون العرب؟ أين تنفق الزكاة التي تجمع بالملايين؟ فقلت له: هل يستطيع العرب أن يدفعوا ثمن الخبز الذي يكله المجاهدون؟ هلم إلي لأريك الحساب، إن كل مجاهد يحتاج ثلاثة أرغفة يوميا، ثمنها ثلاث روبيات، فهو يحتاج في الشهر: تسعين روبية؛ ثمن الخبز، فإذا كان عدد الذين يحملون السلاح داخل أفغانستان نصف مليون، فهذا يعني أنهم يحتاجون خمسة وأربعين مليون روبية شهريا، أي ما يعادل ثلاثة ملايين دولار.

فهل يدفع العرب هذا المبلغ؟ هل تريد مزيدا من الأمثلة التي توضح لك الصورة، لقد وصل جبهة بنجشير خلال ستة أشهر من عام ١٩٨٥ أربعين ألف روبية، وجبهة بنجشير تعد سبعة آلاف مجاهد متفرغ من خيرة المجاهدين، أي أن نصيب المجاهد شهريا روبية واحدة، ويصل جبهة هرات خلال ستة أشهر سنة ١٩٨٥ مائة ألف روبية وهم يعدون خمسة عشر ألف مجاهد، كذلك نصيب المجاهد روبية واحدة، ويصل جبهة كتر ١٦ ألف روبية شهريا وعندهم ١٧ ألف مجاهد، فنصيب كل واحد منهم أقل من روبية، وفوق هذا كله تجد أناسا متبرعين يتبع عورات الأفغان وينشر عيوبهم، فتجده يزورهم عدة أيام ليرجع إلى بلاده داعية لنشر مساوئهم، وينبه إلى بعض الأخطاء الفردية والعيوب الشخصية، مثل تعليق الرقسي والتمايم والتوسل، فتتقبض الصدور من الجهاد الأفغاني، وتمسك الأيدي عن البذل، حتى قال بعضهم: ليس في أفغانستان جهاد وإنما (قتال بين المشركين الأفغان والملحدون الروس).

وهؤلاء ينسون أن هؤلاء المجاهدين يواجهون أعظم قوة في المعمورة منذ سبع سنوات، ولم يبق بيت إلا تحول إلى مقيم وعائم، وهم صابرون محتسبون، يأتي أحدهم خبر استشهاد أبنائه فيردد بلكته الأممية: شكر لله، حمد لله، وينهى الناس عن البكاء حتى لا ينتقص أجر الشهيد، أي إيمان هذا! أليس هذا تعاملنا مع صفات الله الرقيب الحسيب الشهيد البصير؟.

ينسى هؤلاء المتحمسون الذين يطعنون الجهاد الطعنة النجلاء في الصميم أنه لو سقط الجهاد الأفغاني لعظم البلاء واشتد الخطر على مسلمي العالم إن هؤلاء يغفلون عن مقاصد الشريعة العامة، فليسمعوا قول الجامعين لمرامي النصوص وأهدافها الكلية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، ويقوم لآخلاقهم، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار، أو مع معسكر كثير الفجور فإنه لا بد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررا في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين، وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يمكن إقامة جميعها، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهه بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقم إلا على هذا الوجه) ويقول ابن تيمية في الفتاوى أيضا (اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: [اللهم أشكو اليك جلد الفاجر، وعجز الثقة]، فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها، فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة... قدم أنفعهما لتلك الولاية، وأقلهما ضررا فيها، فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوي الشجاع وإن كان فيه فجور - على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أمينا، كما سئل الإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو، أحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف مع أيهما يغزى؟ فقال: أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين وفجوره لنفسه، وأما الصالح الضعيف فصالحه لنفسه وضعفه على المسلمين، فيغزى مع

القوي الفاجر^(١)، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم - (وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)^(٢)، وروى: (بأقوام لا خلاق لهم)، فليت أنصاف المتعلمين يطلعون على نهج خيار الأمة قديماً وحديثاً، وليتهم يعرفون مدارك التنزيل، وليت شعري لو يطلعون على أسرار التأويل في نصوص الأحكام، وفي الصحيح: (أعظم الناس قرية اثنان: شاعر يهجو القبيلة بأسرها ورجل انتفى من أبيه)^(٣)، وفي الصحيح: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)^(٤).

مهادلة وبائية^(٥)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره . . . ويعد:

فلقد اقتضت إرادة الله وحكمته أن يكون الجزاء من جنس العمل، فقال عز وجل: (فاذكروني أذكركم) (البقرة: ١٥٢)

(ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) (الحشر: ١٩)

(نسوا الله فأنساهم) (التوبة: ٦٧)

(إن تنصروا الله يتصركم ويثبت أقدامكم) (محمد: ٧).

(وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) (البقرة: ٤٠).

وفي الأحاديث: (أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم)^(٦)، (إذا تقرب العبد إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني مشياً أتيتته هرولة) رواه الشيخان^(٧)، ومنها أيضاً (من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربة يوم القيامة) رواه الشيخان، (ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة) . (ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته) رواه الشيخان^(٨)، (ومن تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع عورته فضحه ولو في جوف بيته)^(٩)، (ومن يستعفف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله)^(١٠).

وقد قضى الله قضاء لا يرد، أنه بقدر اشتغالك بأمور الآخرة وتنفيذ شريعة الله والجهاد في سبيله بقدر ما ييسر الله أمر دنياك:

(ومن يثق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتركل على الله فهو حسبه)، (ومن يثق الله يجعل له من أمره يسراً) الآيات ٢-٢-٤ الطلاق.

يقول ابن سيرين عندما ركبته الدين وحبس به: (إنني أعرف الذنب الذي أصابني هذا، غيرت رجلاً منذ أربعين سنة فقلت له يا مفلس).

ويلمس المسلم هذه القاعدة واضحة في الجهاد، فيقدر ما تشتمل الظروف وتقل الدنيا وأسبابها المادية بين يدي المجاهد، يوسع الله عليه بعروض عظيم من جهة التأييد الإلهي والتصر المؤزر الخارج عن طاقة البشر وإمكانياتهم، ويعس المجاهد في أعماقه بسعادة

١ - الفتاوى ٢٨/٢٤٥.

٢ - الحديث عند البخاري فتح الباري / ج ٦ / باب ١٨٢ برقم (٢٠٦٢) من حديث عن أبي هريرة.

٣ - الحديث عند ابن ماجه عن عائشة وقد رواه بن أبي الدنيا في باب / ثم الغضب وهو في صحيح الجامع برقم (١٠٦٦)

٤ - الحديث متفق عليه عن أبي هريرة فتح الباري / ج ١١ / كتاب الرقاق / باب ٢٣ / برقم (٦٤٧٥) شرح النووي / ج ٢ / كتاب الإيمان / من - ١٨ بتقديم وتلخيص في عبارات

٥ - نشرت في مجلة الجهاد - العدد الثاني عشر ١٠ / صفر / ١٤٠٦ هـ - ١٥ / أكتوبر / ١٩٨٥ م.

٦ - الحديث عند مسلم عن أبي هريرة شرح النووي / ج ١٧ / كتاب الذكر / من - ٢

٧ - الحديث عند البخاري من أنس فتح الباري / ج ١٣ / باب ٥٠ / برقم (٢٥٣٦)

٨ - هذه قطع ثلاث من حديث متفق عليه فتح الباري / ج ٥ / كتاب المظالم برقم (٢٤٤٩) وهو عنده عن ابن عمر بلفظ (. . . كربة من كريات . . .) شرح النووي / ج ١٦ / كتاب البر والصلة / من - ١٢٥ وهو عنده عن سالم عن أبيه بلفظ (. . . فرج الله عنه بها . . .)

٩ - رواه أبو داود والترمذي وهو حسن ويحاله ثقات

١٠ - هو في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري فتح الباري / ج ٢ / باب ٥٠ / برقم (١٤٦٩) شرح النووي / ج ٧ / كتاب الزكاة من - ١٤٥ بلفظ (. . . ومن يصبر يصبره الله . . .) وهو في المختصر برقم (٥٥٥) ٨٤ - الآية (٢ - ٢) الطلاق

غامرة يجدها في حناياه من انتشاراح الصدر وراحة الضمير وقرة العين.

فإذا شبع الطعام وفقد الإدام يبدل الله المجاهد لذة بالخبز الجاف لا يجدها الذين يجلسون على الموائد الفاخرة التي تضم أصناف الطعام وأنواع الحلويات والفواكه.

وإذا بعد المجاهد عن الأهل أبدله الله عن الوحشة بفراقهم أنسا يحسه في قلبه، وسعادة غامرة تبتل لها جوانحه حتى لا يعود يذكر أن له أهلا وزوجة وخلانا، وأي أنس ومحبة هذه؟ أصبح المجاهد مع أخيه أسعد منه بزوجه وأولاده وأهله.

يقول لي أبو الحسن السوزي ونحن نشهد معركة مع المجاهدين: والله ما نسيت ابنتي ياسر يوما واحدا منذ أن استشهد إلا في هذا اليوم .

وهنا يجعل بنا أن نقول كلمات ابن تيمية (ماذا يصنع في أعدائي؟ إن جنتي ويستقاني في صدري لا تفارقني، إن سجنني خلوة، وإن نفيت سياحة وإن قتلي شهادة).

وكان يقول: لو أعطيت الذين سجنوني مسلمة هذه القلعة ذهبيا ما كافأتهم لما رأيت من الأنس والخير الذي أعطانيه الله.

إنك تعيش مع المجاهدين يوما أو أكثر فتتركهم وقلبك معلق بهم، وتعيش معهم شهرا على الخبز والشاي والمرق فما أن تغادرهم حتى يحزن قلبك إليهم وتهفو للعودة معهم.

قال لي أبو سياف (فتحي): هل يحق أن تترك أرض الجهاد ونذهب لحج الفريضة؟ فقلت: إن لم يؤثر الحج على سير المعركة فلا بأس، وأنا أعلم أنه لم يحج الفريضة، ولكن قلبه معلق بالجهاد، وهو يأبى أن يترك الجهاد ويذهب للطواف بالبيت العتيق.

إنها المعادلات الربانية، إنها التعويضات الإلهية، إنها موازين القسط بيد رب العالمين.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والنسائي ^(١) (من استغنى أغناه الله، ومن استعف أعفاه الله، ومن استكفى كفاه الله) .

وفي الصحيح عن الترمذي ^(٢) مرفوعا (من أَرْضَى النَّاسَ يَسْخَطِ اللَّهُ وَكُلَّهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ، وَمَنْ أَسْخَطَ النَّاسَ يَرْضَى اللَّهُ كَفَاهُ اللَّهُ مَوْتَهُ النَّاسِ).

وفي البخاري ^(٣) مرفوعا (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله).

وفي الصحيح عند أحمد وأبي داود ^(٤) (من أصابته غارة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن أنزلها بالله أو شك له بالغنى إما بموت أجل أو غنى عاجل).

والمعادلة الربانية التي لا تتخلف أنك بقدر اشتغالك للأخرة ييسر الله أمور دنياك، ويريحك في حياتك، وينزل السكينة على قلبك.

وفي الحديث الصحيح عن ابن ماجه ^(٥) (من كانت همه الآخرة جمع الله له شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وأغمة، ومن كانت همه الدنيا فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له).

ولقد رأينا هذا في الجهاد، رأينا عندما كان السلاح شحيحا، والنخيرة مفقودة، ومضادات الدبابات والطائرات معومة، كانت الغنائم كثيرة.

١ - وهو في الإحاديث الصحيحة برقم (٢٣١٤) وفي صحيح الجامع برقم (٥٩٠٢)

٢ - هذا النص مرآة الألباني إلى صحيح ابن حبان والعلية لأبي نعيم وهو عند الترمذي برقم (٢٤١٤) عن عائشة بلفظ (من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس) وهو في صحيح الجامع برقم (٦٠١٠) .

٣ - وهو عند أحمد في المسند وقد أخرجه ابن ماجه (٢-٢٤١١) بلفظ (من أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله) وهو في صحيح الجامع برقم (٥٨٥٦)

٤ - هذا النص رواه أبو داود برقم (١٦٤٥) عن ابن مسعود وهو عند أحمد برقم (٣٦٩٦) وقد رواه الترمذي برقم (٢٣٢٦) بلفظ قريب وهو في صحيح الجامع برقم (٦٠٤١)

٥ - عند ابن ماجه برقم (٤١٠٥) عن زيد ثابت بلفظ قريب وهو عند الترمذي برقم (٢٤٦٥) عن انس بلفظ قريب، وهو في صحيح الجامع برقم (٦٥١٦) وفي السلطة الصحيحة برقم (٩٤٩)

وهي الصحيح^(١) (عليكم بالجهاد فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم) .

وتجد مصداق هذا أحداثاً واقعية في دنيا الجهاد، وذلك لأن الجهاد هو العلامة الظاهرة للصدق والإخلاص، وإذا سمى الله عز وجل المجاهدين صادقين، فقال عز وجل: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) الآية ١٥ الحجرات .

وإذا كان العمل صادقاً فإن الله عز وجل يسهل على صاحبه أداءه مهما كان العمل ثقيلاً وشاقاً (والمطالب العالية - كما يقول ابن القيم - موقوف حصولها على همة عالية، ونية صحيحة، فمن فقدهما فقد تعذر عليه الوصول إليها، فإذا كانت الهمة عالية تعلقت به وحده دون غيره، وإذا كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصلة إليه، فالتنية تقود له الطريق، والهمة تقود له المطلوب)^(٢) .

وتعجب وأنت ترى حال المجاهد وقد فقد كل شيء في الدنيا، فقد سقط على طريق الجهاد أحبائه وأخوانه وأهله وجيرانه، وهو يعيش في شظف من العيش، وشدة من الحياة لا تكاد تصدق، ومع هذا فإنك تجدهم يمزحون ويهزلون والقذائف تنصيب فوق رؤوسهم!!..

قلت لصحفي فرنسي عايش الأفغان فترة في معاركهم: كيف تجد الشعب الأفغاني؟ قال: أحببته كثيراً، فسألته لماذا؟ فقال لأنه شعب متدين كريم يستقبل الموت بابتسامة.

والحق من ترك شيئاً لله عوضه الله عنه، وقال ابن سيرين سمعت شريحاً يظف بالله ما ترك عبد لله شيئاً فوجد فقده، أجل ما يعوض به المرء الأنس بالله ومحبه، وطمأنينة القلب به، وقوته ونشاطه وفرحه ورضاه عن ربه تعالى.

وقد جاء في الصحيح^(٣) قالت أم سلمة رضي الله عنها سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها إلا أجره الله في مصيبتى، وأخلف له خيراً منها)، فلما توفي أبو سلمة قلت كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي رواية: (فعندما قلتها قلت في نفسي ومن خير من أبي سلمة؟)

والشواهد أكثر من أن تعد وتحصى في أرض الجهاد، يقول لي عمر حنيف: جئت أتزوج في بيشاور منذ عشرة أيام، وتركت الجبهة، وسأرجع خلال أيام، لأن سعادتي هناك، لأننا والجهاد كالسمك والبحر!!

ويقول لي الشيخ تميم العدناني: لقد ودعت أهلي وزوجتي وأولادي عندما جئت للجهاد، ولكنني لم أبك، وبقيت في جبهة (شهراناً) أسبوعاً فودعت المجاهدين باكياً!

ويحدثني شاب عاد من بغان اسمه بلال: لقد مكثت سبعة عشر يوماً في لغمان فودعتي المجاهدون وهم يبكون!

والتأييدات الريانية والتكريمات الرحمانية واضحة جلية.

يقول سياف: كنا في تلك الأيام نرسل المجاهدين الخمسة بينادقهم الخمسة فيأتوننا بخمسمائة أو أكثر من الغنائم! وفي مزار شريف قبل شهرين هجم الروس بخمسمائة دبابة وحوالي أربعين طائرة على ستين مجاهداً، ووقف المجاهدون أمامهم ثمانية أيام، واستشهد من المجاهدين عشرون مجاهداً، وقتل من الروس خمسمائة، وحطمت لهم ست عشرة دبابة، فهل هذه طاقة البشر أم تأييد رباني وتعويض هؤلاء الصابرين، إنها المعادلة الريانية، وليتنا نستيقن.

وصدق ابن مسعود رضي الله عنه (من اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحمد أحداً على رزق الله، ولا تلم أحداً على ما لم يؤت الله، فإن رزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره، وإن الله بقسطه وحلمه وعدنه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط).

اللهم اجعلنا ممن يوقنون بالغيب، ويستيقنون لقدرك، ويفرحون لقضائك، اللهم أنزل السكينة على قلوبنا، واغفر لنا

١ - رواه الحاكم (٧٤ - ٧٦/٢) وأخرجه أحمد (٢١١/٥ - ٢١٦ - ٢٢٦) بنقل (عليكم بالجهاد في سبيل الله نبارك وتعالى . .) وهو في السنن الصحيحة برقم (١٩٤٩) .

٢ - القوائد / ١٦٢

٣ - شرح التلويح / ج ٦ / ص - ٢٢١ وهو في المختصر برقم (١٦٦)

ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا وأنصرنا على الكافرين.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

ويل لتجي من الخلف^(١)

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، أما بعد :

فلقد مضى الصيف بأحداثه الضخمة ، وفشلت روسيا أن تسد ثغراً واحداً من الثغور التي تفصل باكستان عن أفغانستان ، بعد أن ألقت بثقلها ، ولم تدع وسيلة من وسائل التدمير البشري إلا استعملتها .

ويبدو أن روسيا قد استنفدت وسائلها في إيقاف هذا السرطان الذي ياكل دماغها ، ويشل حياتها - الجهاد الأفغاني - وانهى مخزون الذخائر الذي تدّخره منذ الحرب العالمية الثانية، حتى أصبحت تستعمل القذائف التي كتب عليها إنتاج ١٩٨٥م، ولم يعد كبيراً على نفس المسؤولين الروس أن يعلنوا قبولهم للجلوس مع دولة من دول العالم الثالث - باكستان - لعلها تخلصها من ورطتها ، بعد أن كان هذا الأمر أثقل من الجبال على أنفسهم أن يتنازل الروس - كاتشرس طاغوت، وأطفي عملاق على الأرض - من عليائهم وكبريائهم فيجلسوا على مائدة المفاوضات مع دولة فقيرة ليست مسجلة في دفاترهم ، وليس لها أي وزن حتى على هامش حياتهم ، بل أخذ سفرائها في العواصم يتدسسون بل يتوسنون ليلتقوا على أفراد وبخفية عن أعين الناس مع بعض قادة الجهاد الذين يأنفون الجلوس مع هؤلاء إلا في وضع النهار، دون تنازل عن شرطهم الأساسي الانسحاب الكلي من أفغانستان قبل البدء بأي حديث آخر: ولكن مع هذا يجب ألا يغيب عن بالنا قضايا :

١- القضية الأولى: أنهم فقدوا كثيراً من قادتهم: إن أفغانستان فقدت عام ١٤٠٥ هـ زهرة أبنائها، وخيرة قادتها، وذلك لشراسة المعارك، ولهول القامات والاشتباكات، واستشهاد القائد يؤثر كثيراً في سير المعركة ووحدة الصفوف، وكلنا يعلم أثر إشاعة خبر قتل النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد في بليلة الصفوف، وخيرة الصحابة وهزيمتهم، وكما قال الله عز وجل في القرآن: [إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غمّاً بغمّ لئلا تهزؤوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون] (ال عمران: ١٥٢).

وكلنا يعلم كذلك أثر نيا قتل عبد الرحمن الغافقي قائد معركة بلاط الشهداء (بواتيه) في أواسط أوروبا في هزيمة المسلمين التي كانت قاصمة في تاريخ الفتح الإسلامي، والتي جمدت ارتفاع الخط البياني للفتح، وهضمت غصن المد الإسلامي النامي في أوروبا وإلى يومنا هذا، وحرمت أوروبا من الاستفادة من الحضارة الإسلامية لعدة قرون.

لقد اختلطت يد المتنون في هذا العام الأخير سنة ١٤٠٥ هـ مجموعة من خيرة قادة الجهاد وزهرة بنائه.

لقد استشهد ذبيح الله في بلخ، ونيازي في بروان، ومولوي شفيع الله في كابل، وغوث المين في هرات، ود. عبد الولي في لوكر، وعبد الواحد في بگرام، وأحمد جل وفتح الله في خوست/ بكتيا، وخياط في لوكر، وجل أغا في جاجي، ومن القادة الذين استشهدوا: خواجا عصمت الله، ومحمد شريف، وخالو عرب، وقاضي سيد ملا، ومعلم يانشاه جل، وأستاذ منور، وسيد باد شاه، وزرخان، وخواجه سفدر، وقاري عبد الصمد، ومولوي حبيب الرحمن وخير أفضل، ومولوي عبد الصبور، ورحيم الله، ومولوي طالع محمد، وعبد المتين، وجيلاني، هؤلاء كلهم قد استشهدوا في عام واحد تقريباً ١٤٠٥ هـ، بل معظمهم استشهد في آخر شهرين من أشهر الصيف لهذا العام، وهذا يؤثر تأثيراً عميقاً على الجهاد وبنيتة واتجاهه.

فهؤلاء مضى عليهم الآن قرابة سبع سنوات ونيف وهم يتقدمون الصفوف، ويلمون الشتات، ويجمعون المجاهدين، ولقد لمعت أسمائهم، واحتلوا مكانتهم في القلوب، وأثبتوا وجودهم على أرض الواقع بتوفيق الله وصوته خلال هذه الفترة، وليس من السهل تعويضهم، خاصة وأن هؤلاء قد نالوا قسطاً لا بأس به من التوجيه والتربية والتعليم، ويعز على الإنسان أن يجد لهم نظائر، ولما ترى

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد الثالث عشر - ١٩٨٥م.

لهم ولو بعد حين بدائل، قال لي أحد الإخوة: هل يرى الأفغان طبقات بديلة من القادة؟ فقلت له: رجل شبه مغمى عليه لشدة الضربات على رأسه، ولا يصحو من ضربة حتى تقع عليه غيرها، هل تطلب منه التخطيط البعيد؟ هل تريد منه أن ينقرد ليضع منهاجاً لأجيال وأمم؟ وقال لي آخر: حبذا لو فعل المجاهدون الأفغان كما فعلت الثورة الفلسطينية أن تقيم مصانع وموارد تدور على الثورة دخلاً فيما إذا انقطعت بها السبل وسدت الأبواب.

فقلت له: رجل جائع منذ أيام لم يجد للخبز طعماً، وجاءه رغيف، أفتطلب منه أن يقيم مخزناً كبيراً لحفظ البقي؟

فإذا كان أحمد شاه مسعود يطلب من المجاهدين عنده أن يعيش الواحد منهم على حبة من البطاطا كل يوم، ولا يستطيع أن يوفر ثمن الدقيق لثنتين وعشرين جبهة يصل تعداد مجاهديها إلى سبعة آلاف، فهل تطلب من هذا أن يقيم مورداً ثابتاً ودخلاً مستمراً لجبهته؟ أم تريد أن تقول كما قالت الملكة أنطوانيت زوجة لويس السادس عشر ملك فرنسا للشعب الهانج الذي خرج يحطم سجن الباستيل لشدة الجوع والظلم فتسال: ما بال هؤلاء ثائرين؟ فقليل لها أنهم لا يجدون الخبز، فقالت: لماذا لا يأكلون البسكوت!

القضية الثانية: أنهم يلقون العنت حتى من بعض المسلمين:

إن الجهاد الأفغاني الآن يتعرض لحملة تشكيك خطيرة جففت موارده، وقللت أصدقاؤه، وجعلت الأيدي تتقبض عن الدفع، ففي الوقت الذي يسدد فيه العدو ضرباته تثار الشبهات حول المجاهدين الأفغان من أعز أصدقائه الذين يظنون أنهم يخدمون الإسلام، ولا يعلمون أنهم يطعنون الجهاد الطعنة النجلاء في مقتلته، فهناك الجهود الدائبة المتواصلة لإثارة الفتن التي تنشأ من بعض ضيقي النظر من الشباب المتحمس الذين يرمون معظم الشعب بالشرك والكفر لأجل التعانم والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم، ويصرح البعض أن (القتال في أفغانستان بين المشركين الأفغان والمسلمين الروس)، ويرد بعض الأفغان أن هؤلاء الفتية يريدون هدم جهاينا وتمزيق وحدتنا.

وحبذا لو تريت هؤلاء الشباب -ولا نشك في صدق الكثيرين منهم- في إطلاق الفتاوى على عواهلها دون تقدير النتائج والآثار البعيدة لما يتفوهون به.

ليت هؤلاء الفتية تركوا الأفغانين بجراحاتهم وأحزانهم، فما من أفغاني تقريباً إلا وتحس أن وراء تجاعيد وجهه وكسوف جبينه وسهره قصصاً منظمرة في أعماقه تكفيك لعمل مرثاة طويلة.

لقد مرت عليه أحداث لو صبت على الجبال لزلزلتها، فإذا فتح لك بعض ما في قلبه ترى كأن أحشائه تنقطع حزناً ولهفاً، ويرزفر الزفرة تلو الأخرى حتى تظن أن ضلوعه تنقص وهو يخرج الكلمات، ففي أعماقه كمد تنقض له الجوانح، وتتفطر له المرائر، وفي أغواره هم يذيب لفائف القلوب، مما يجعلك تشرق بعبرتك، وتخلق بدمعتك وتشجي بغصتك، وتغص بريقك.

إن قصة من قصصهم ترمض جوانحك أسي، وتضرم أنفاسك حزناً، وتمزق أحشائك غماً، وتجعل منك إنساناً يتقلب على الجمر، ويتوسد القتاد، ويعالج برحاء الهموم.

فبدلاً من أن تسري عنه همومه وتذهب برحاء صدره تتسلى بتعداد مصائبه ونشر مثالبه، وقديماً قالوا: "ويل للشجي من الخلي" أي ويل للمهموم من الفارغ.

القضية الثالثة: إنهم محاصرون عالمياً:

يتعرض الجهاد الآن إلى مؤامرة عالمية لاحتوائه وقطف ثمراته، فهناك المكائد تقوم على قدم وساق، فالدول الغربية وعلى رأسها أمريكا تريد أن تقامر على الجهاد الأفغاني وتراهن عليه، وأمريكا منذ بداية الجهاد جذلة مسرورة لأن الجهاد يحطم عنوتها التقليدية روسيا، ويستنزف طاقتها، ويمتص قوتها، وفي نفس الوقت يدمر قوى الشعب المسلم المتعصب!! ولكنها غاصة بريقها بسبب قيادة الجهاد الذين تسميهم (بالتطرفين المتشددين)، وتود لو استطاعت أن تجد بديلاً للقيادة، دينهم إسلام أمريكي، مرتين متطورين ليس عندهم التزام ولا وجه بثبتين عليه.

القضية الرابعة: إنهم يعانون الهجرة والفقر:

إن الجهاد الأفغاني يعيش مشاكل تقاى بحملها الرواسي، على رأسها مشكلة الهجرة الاضطرارية نتيجة الهجمات الشرسة والمذابح الجماعية، والجهل نتيجة هجرة كثير من العلماء أو استشهادهم، والعوز الشديد للطعام واللباس، والفقر ثقل على النفس خاصة على شعب كالشعب الأفغاني الذي لا تثنين قناته، ولا تمصّب سلامته، ولا تفرّج صفاته، ولا يستباح ذماره {يحصيهم الجاهل الغنماء من التعفف، تعرفهم بسبحام لا يسألون الناس إلحافاً..} (البقرة: ٢٧٣).

فالجهاد الأفغاني الآن بحاجة إلى اليد الحانية التي تواسي جراحاته، والنفس الكريمة ذات الهمّة الشماء التي تجود حتى بارواحها فضلاً عن مالها، والداعية الصادق الذي ينذر نفسه لخدمة أمة ويثاء جيل وإنقاذ دين، فأين الدعاة الصادقون؟ وسبحانك اللهم ويحكك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

ولكن الروس لا يعلمون^(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وبعد:

فلقد فطر الله النفس البشرية بإرابطته، وصنعها بيده، واقتضت مشيئته سبحانه أن تسير النفس الإنسانية على خط ذي حافتين كالقاطرة فوق السكة الحديدية: (خط الروح ، وخط الجسد) ولا يمكن للنفس أن تستقيم في سيرها ولا تؤتي أكلها ولا تحقق غايتها إلا إذا صلح هذان الخطان المتوازيان اللذان يكوّنان النفس، وتعطيل أي خط من هذين الخطين إنما هو تعطيل للحياة الإنسانية وقلب لمركبتها وفقدان لهدف وجودها.

وقد حاولت الفلسفات الأرضية أن تشغل النفس الإنسانية عن أحد هذين الخطين على انفراد، ففشلت فشلاً ذريعاً، وتحطمت النفس على صخرة فطرتها التي صنعها الله كما يشاء، وكيف يشاء.

لقد حاولت النصرانية أن تعطل خط الجسد لينطلق خط الروح برهبانيتها، وأعلنت شعارها "عذب الجسد لتسمو الروح"، وحرمت الزواج على من أراد التبتل لعبادة الله {ورهبانية اهتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها}.

(الحديد: ٢٧)

وألقت بالآلاف المؤلفة من الشباب والشابات بين جدران الأديرة وفي زوايا الكنائس، وحاولت جاهدة أن تحيي صوت القيم والمثل العليا، وتستثير الأشرار العليا بعيداً عن حاجات الجسد، فاستطاعت قلة قليلة أن تنتصر على فطرتها بالكبت والضغط والحرمان والعزم، ولكن الكثرة الكاثرة من الرهبان في الأديرة لم يطبقوا أن يعيشوا طويلاً بعيداً عن فطرتهم، وتغلّبت شهوة الجسد في أوقات الضعف الإنساني فسقطوا في الرذيلة، وغرقوا في الفاحشة، وتحولت الكنائس إلى بؤرة عفنة للرذائل، ومبارة قدرة للفواحش.

مما أدى إلى ثورة أوروبا على الدين نفسه، واتخذ العلمانيون حياة الرهبان مبرراً للتمرد على الكنيسة والفرار من قبضتها الحديدية وقيد الجبار، ونشرت الثورة البلشفية قصص (راسبوتين) وتعني الكلب القذر بالروسية على الدنيا بأسرها، وهي قصص الكاردينال الكبير في روسيا الذي لم تتج منه واحدة من الأميرات اللواتي وقعن في قبضته من خلال كرسي الاعتراف وخلوات التوبة.

وأرادت أوروبا أن تسيّر النفس على خط الجسد وأهملت خط الروح، فأطلقت العنان لشهواتها، وسفرت بكل شيء روحي، واحتقرت جميع القيم، وأعلنت: (إننا نستطيع العيش على الأرض دون الحاجة إلى الله ولا إلى المبادئ ولا إلى رهبان الكنيسة، نحن نصنع قيمنا بأنفسنا بعيداً عن الله، نحن نصوغ حياتنا وقوانيننا كما نشاء دون حاجة إلى وحي، ولا ضرورة للتحذير الكنيسي ولا لتوصيات البابا).

وكان شعار أكبر ثورتين في أوروبا إعلافاً عاماً بالتمرد على الدين:

١- شعار الثورة الفرنسية (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس) يعني اقضوا على الملكيات والأديان في أوروبا.

٢- وشعار الثورة البلشفية (لا إله والحياة مادة) (الدين أفيرون الشعوب).

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد الرابع عشر، ٦ / ربيع الثاني / ١٤٠٦ هـ - ١٢ / ديسمبر / ١٩٨٥ م.

فماذا جنت أوروبا؟ لقد حصدت الشوك والشقاء وأثمرت الأمراض العصبية والعقلية والنفسية التي أصبحت سمة عامة للحضارة الأوروبية والأمريكية، لقد كان النتائج رهيباً دمر المجتمعات في أوروبا، ولعلك لست بحاجة أن أنقل إليك الإحصائيات المذهلة التي تدل على أن المجتمع الغربي الآن في حالة من المشاكل المعقدة التي يستعصي حلها على المصلحين من جهابذة البشر، ولا أظنه قد فاتك أخبار أمراض (الإيدز، الهيريس) التي أصبحت شبحاً مفرعاً يطارد الغرب في يقظته ومنامه.

إن حاجة الإنسان إلى الدين أشد من حاجته إلى الطعام والشراب، كما يقول ابن القيم في زاد المعاد ١/١٥: (ومن هنا نعلم اضطراب العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول.. فالضرورة إلى الرسل أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة القلب وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه طرفه عين فسد قلبه وصار كالحوت إذا غرق الماء ووضع في القفلة؟).

ويقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٩٣/٩) (فالرسالة ضرورة للعباد، لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والعبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة وهو من الأموات).

والشاهد على ما نقول: تجربة الثورة الشيوعية (البلشفية).

لقد حاولت روسيا أن تنتزع الدين من أعماق الشعوب الإسلامية، وحاولت أن تنشئ جيلاً متمرداً على الله، ملحداً كافراً بكل القيم، ولكن محاولتها كلها تحطمت على صخرة الفطرة الإنسانية، ورأينا مصداق هذا في أفغانستان. إن الجندي الذي جاء مع الجيش الروسي من المقاطعات الإسلامية تاجكستان وأوزبكستان عندما رأى المصاحف مع الشعب الأفغاني صار يدفع إليهم سلاحه ويأخذ المصحف بديلاً.

واليك القصة التالية التي دارت أحداثها قبل شهر في قندز، لقد جرت الأحداث في (دشت آب دان) أي (حوض الماء السهل) و(دشت آب دان) هذه إحدى أربع قواعد كبرى في أفغانستان.

وقاعدة دشت آب دان، فيها ثلاث فرق عسكرية للروس لا يدخلها شيوعي أفغاني، أقام بعض الجنود في الجيش الروسي من التاجك المسلمين علاقة مع المجاهدين الأفغان، وكان الروس اطلعوا على هذه العلاقة فأعدموا مسلماً برتبة لواء من التاجك، فظن التاجك أن ساعة الانتقام من الروس قد حانت، فاتفقوا على تجبير القاعدة بكيبتها وتبرع أحدهم أن يفجر مخازن المتفجرات بنفسه!!

فدخل شاب من التاجك وأشعل الفتيل في مخازن المتفجرات، وبدأت أصوات القذائف تدوي في كل مكان، وأصبحت الشظايا المتناثرة تصل إلى مسافات بعيدة، مما أدى إلى تدمير فرقتين بالكامل، وفرت الفرقة الثالثة، وسقط ٦٠ قتيلاً من الروس، وجرح أكثر من ألف، واحترقت القاعدة بكاملها، وتحولت القاعدة إلى أكوام من الرماد تخفي بينها قطع من الآليات المحترقة التي دمرت ووصل عددها إلى حوالي ثلاثمائة تقريباً. ودارت معركة بين التاجك وبين الروس، سقط حوالي ثمانين شهيداً من التاجك. فهل يتعظ الروس ويصدقون أن الدين فطرة الله؟ (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون).. (الروم: ٣٠) ، ولكن الروس لا يعلمون!!

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

اليوم أفغانستان وغداً عربستان^(١)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره... وبعد:

فلقد حدثنا التاريخ أنه على أثر دخول الشيوعية الحمراء بخارى وسمرقند وطشقند، وبعد أن هدمت عشرات الآلاف من المساجد وحولت إلى مكاتب للحزب الشيوعي ومخازن الحبوب، وبعد أن ماتت الآلاف المؤلفة بك الملايين جوعاً حتى أكلوا جثث الموتى من أبنائهم وإخوانهم الذين توفوا قبلهم، بعد هذا كله نشأت حركة مقاومة في طشقند وسمرقند وبخارى وتركستان الغربية تسمى حركة (الباسمشمي)، وكان من أبرز المجاهدين في هذه الحركة رجل من سمرقند يسمى (إبراهيم بك)، ودخل إبراهيم بك أفغانستان،

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد الخامس عشر ١٠ / جمادى الأولى / ١٤٠٦ هـ ١٩ / يناير / ١٩٨٦ م.

وبدأ يتنقل بين تخار وقندز، وأخيراً استقر إبراهيم بك في (عنبر كوه) جبل في مركز تخار، وكان حول إبراهيم ٤٠٠ فارس، وكم عانى الروس في معاركهم معهم، وكانوا يجيدون الفروسية فكانوا يختبئون تحت إبط الخيل، فكانت الخيل تنبر للجيش الروسي وكانت سائبة دون فوارس يمتطون صهوة هذه الخيل، حتى إذا اقتربت الخيل من الجيش الروسي دون أن يعيروها اهتمامهم إذ بهؤلاء الفرسان يبرزون فجأة فوق هذه الخيل كأن أحدهم مارد من الجن المؤمن افشقت الأرض وألقت هؤلاء وتخلت.

وكتب ستالين إلى أمان الله ملك أفغانستان بشأن هؤلاء الذين يستقرون في أفغانستان ويخترقون نهر جيحون (درياي أمر) ويعملون عملياتهم الجهادية ثم يعودون لمستقرهم، وهدد ستالين باجتياح أفغانستان، فخاف أمان الله وأراد تسليم إبراهيم وأصحابه، إلا أن القدر عاجل أمان الله بثورة شعبية عارمة على أثر إصراره إدخال السفور والفساد، وبعد أن أقنعه مصطفى كمال أتاتورك بإدخال الحضارة الغربية المادية (مفاسدها الأخلاقية والتحلل من ربة الإسلام)، فطاحت هذه الثورة الشعبية بأمان الله، وجاء بنادر شاه والد ظاهر شاه ونفذ ما طلبه ستالين، دعت الحكومة إبراهيم بك إلى حفلة طعام، فذهب إليها مع فرسانه وهو مطمئن، إلا أنه بقي اثنان من حرسه متاهبين، وعندما وصلوا مكان الحفلة وإذا بالحفلة ليست طعاماً وإنما هي مصيدة للقبض عليهم، ونجا إبراهيم، ولكن حكومة أفغانستان طلبت من إبراهيم أن يغادر البلد، وقال كلمته المشهورة التي أصبحت مثلاً، قال: اليوم بخارى وغداً أفغانستان.

وحدث ما قال إبراهيم، فدخلت الشيوعية أفغانستان بعد أربعين سنة، وعبرت دبابات تي ٥٤، تي ٥٥ نهر جيحون، وارتفع العلم الأحمر البلشفي فوق كابل/عبد الرحمن بن سمرة.

ونحن نقول: اليوم أفغانستان وغداً عريستان.

أما بالنسبة لإبراهيم فإنه عبر النهر بعد كلمته التاريخية، ودخل في معارك مع الروس، وجرح إبراهيم في إحدى المعارك، وأمسك به الروس ثم استشهد، فطاف به الروس في كل قرية ييشرون الناس الذين أقض إبراهيم مضاجعهم وأرق أجفانهم حتى تهدأ نفوسهم وترتاح أعصابهم وتطمئن قلوبهم، ومضى بعض أتباعه يواصلون طريقهم ويصرون على جهادهم منهم مخدم فضيل، ومخدم بويلار، واستمرت المقاومة الجهادية بواسطة الخمسينات ثم اختفت نهائياً.

اليوم روسيا في أفغانستان تشن حرباً لا تاكل إلا البشر، وهي لا تبقي ولا تنز، ودفع الشعب الأفغاني من التضحيات ما لم يدفعه شعب آخر، فقد قدم حوالي مليون ونصف مليون شهيد، ولا أظن بيتاً في أفغانستان خلا من يتيم أو أرمل أو معوق، فهذا طارت عينه، وذاك يده، وهذه طفلة قد حرق وجهها بالنابالم.

لقد وضع ابني الصغير يده في إبريق شاي ساخن فارتبك البيت كله، واضطرب اطمئنانه فترة نيفت عن الشهر والشهرين، فقلت لهم مذكراً تذكروا أفغانستان وأطفالها، تذكروا بيوتها المدمرة وأطفالها المشوهة، تذكروا أنات الثكالي، وزفرات الأيامي، وحسرات اليتامي، تذكروا هذا، وعندها تستحيون من أنفسكم أن تذكروا يد مقلنا الصغير هذا.

اليوم أفغانستان تواجه مصيرها وحدها بأياد عزلاء وصدر عارية، يمشون فوق الثلوج حفاة حتى سقطت أصابعهم، ويتسلقون الجبال عراة إلا من أسمال بالية وأخلاق فانية رقيقة تغطي عورتهم، وقد حدثني هذا الصباح شاب عائد من أرض المعركة في كوندز أن سبعة من المجاهدين قد ماتوا ومرض آخرون بسبب الثلوج والبرد والصقيع.

لقد صرخنا في كل مكان وناديننا بأعلى أصواتنا نحن نريد فقط ثمن الخبز للمجاهدين. ويعملية حسابية بسيطة كل مجاهد يحتاج ثلاثة أرغفة يومياً، ثمنها ثلاث روبيات باكستانية، فإذا كان هناك نصف مليون مسلح في داخل أفغانستان فهذا يعني أننا نحتاج مليوناً ونصف المليون من الروبيات ثمن الخبز يومياً، وهذا يعني أننا نحتاج في الشهر الواحد ٤٥ مليوناً من الروبيات ثمن الخبز (أي ما يعادل ثلاثة ملايين دولار شهرياً)، فهل تقم الشعوب المسلمة ثمن الخبز؟

لقد قلنا أن هناك ٢٣ منظمة صليبية تعمل في بيشاور، وليس فيها إلا منظمة رسمية عربية إسلامية واحدة وهي الهلال الأحمر السعودي، وثلاث منظمات شعبية أخرى (الهلال الأحمر الكويتي، والإغاثة الإسلامية الأفريقية، ولجنة الدعوة التابعة لجمعية الإصلاح).

طالما نادينا حتى بحت أصواتنا أن الأمريكان والسويديين والفرنسيين والبلجيكيين والألمان كلهم دخلوا أفغانستان باسم الطب والزراعة والتعليم، فهل دخل طبيب واحد محتسباً في جبهات أفغانستان؟ نعم لقد دخل طبيب عربي واحد، لقد قلنا: نريد مختصين في

جراحة العظام والجراحة العامة، فهل يصدق أحد أنه لم يصلنا حتى الآن طبيب ماهر واحد مختص في العظام والجراحة من كل بلاد العرب؟.

لقد بحث أصواتنا ونحن نقول: إن روسيا تأخذ كل سنة ٢٥ ألف طفل من أطفال أفغانستان لتربيتهم على الشيوعية وترجعهم جنوداً مخلصين للكرملين يقولون بأنفسهم دك معقل الإسلام ومطاردته في كل مكان .

لقد قلنا أن الكنائس العالية تتسابق في بيشاور على تعليم أبناء الأفغان، حتى أن ممثل الكنيسة الكاثوليكية يدير بنفسه ١٢٠ مدرسة في بيشاور، ويقول بنفسه توجبها، وهو منذ أشهر يأكل ويشرب وينام في مكتبه.

وقد صرحنا وقلنا وخطبنا وحاضرنا عن هرات وبادغيس التي أصيبت بالقحط بعد هدم سنودها التي تروي المزارع، وأن أهلها قد عضهم الفقر بنابه، وجاغت رسالة من القائد العام هناك -محمد إسماعيل- أنهم ياعوا البسة نسائهم من أجل شراء طعام المجاهدين.

وجاها أهل بادغيس وقالوا: إما أن تؤمنوا الخبر أو تضطر لترك البلاد والهجرة.

ونادى أحمد شاه مسعود مهيباً بالمجاهدين أن يكتفوا بحبة من البطاطا يومياً:

وأخيراً لقد حذرنا أصحاب الجزيرة العربية أنه إن سقط الجهاد الأفغاني (لا قدر الله) فإن بلوشستان مفتوحة، إذ أن الشيوعية ضاربة بجذورها العميقة في قبائل البكتي ومري، وأن زعماءهم: غوث بزنجو، وعطاء الله منجل، ورحيم هؤلاء ينادون بفتح الطريق أمام جيوش الروس لتصل المياه الدافئة، وأن رحيم آزاد الشاعر البلوشي قد أقام مهرجاناً في نقابة المحامين في كراتشي يوم ٨٥/٤/٢٨ في ذكرى انقلاب توافي الشيوعي في أفغانستان في ٧٨/٤/٢٧.

ونبهنا أن المسافة بين بلد عطاء الله منجل "توشكي" وبين جوارس الميناء الباكستاني على بحر العرب لا يزيد عن ٤٠٠ كم فلا تحمل الدبابات أكثر من ٧ ساعات.

ووضحنا أن منظمة الطلبة البلوشية (بي، اس، آر) في ١٩٨٤/١٢/٢٧ ذكرى الغزو الروسي قد رفعت الاعلام فرق جامعة بلوشستان وأثارت أعلام باكستان.

فليتنبه العرب والمسلمون وإلا: فإن اليوم أفغانستان وغداً عربستان كما قال إبراهيم بك: (اليوم بخارى وغداً أفغانستان).

وسبحانك اللهم ويحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك^(١).

القبائل والجهاد^(٢)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وبعد:

فإن كثيراً من الناس يتوجسون خيفة من مغبة اتصال روسيا بالقبائل التي تشكل حزاماً أمنياً لأفغانستان وعلى طمل خط ديراند الذي يبلغ حوالي ٢٢٥٠ كم من الناحية الشرقية الجنوبية لأفغانستان، وكثير من المتشائمين يرون أن هزم القبائل ستسد الطريق في المستقبل على المجاهدين، مما يؤدي إلى خنق الجهاد، والحد من حركة المجاهدين عبر حدود باكستان، ولكن هذا الضن بعيد الوقوع -والله أعلم- إن لم يكن ضرباً من الخيال، وذلك لأسباب على رأسها:

١- إن هذه القبائل هي من العرق البشتوني الذي ينتمي إليه حوالي ٦٠٪ من القبائل الأفغانية، ولقد وصل الأمر بدلود خان وعلى مدى فترة طويلة أن يقنع هذه القبائل أنها جزء لا يتجزأ عن أفغانستان، واستطاع من خلال أجهزة البث أن يشعرها بقوميتها وعصبيتها، ويفهمها أنها جزء من أفغانستان سلخه أعداء الأمة -وهم الإنجليز- وسلموه إلى باكستان ليمزقوا الأمة البشتونية، وإذا قامت مشكلة بين باكستان وأفغانستان وتنازمت وسميت هذه القضية بقضية (بشتونستان)، وكانت روسيا توجج هذه العصبية، مما أدى إلى إغلاق الحدود بين باكستان وأفغانستان سنة ١٩٦٢، ولم تفتح الحدود إلا بعد أن أقال الملك ظاهر شاه رئيس وزرائه -محمد داود-، وعاد داود بعد أن اعتلى رئاسة الجمهورية سنة ١٩٧٣ يطالب بهذه المنطقة، ويعن في كل مجال أن أرض البشتون لابد أن

١- حذف من هذا الموضوع (بوابة الجدد) وأثبت في عتاق الجور من هذا الجدد. ٢- نشرت في مجلة الجهاد - العدد السابع عشر ١ رجب / ١٤٠٦ هـ ١١ مارس / ١٩٨٦ م.

تتوحد وتصبح قطعة واحدة، وأن تخضع لسلطة واحدة، ولا زالت صور محمد داود حتى الآن معلقة في كثير من الحوانيت والشوارع العامة في هذه المنطقة.

وليس من السهل أن تبيع هذه القبائل أرحامها بثمرن العنز، بل إنه يستبعد أن تساوم على دماء بني عموميتها وأعراض نسايمهم بثمرن بخس دراهم معدودة، فإن لوشانج الدم وصلات القرابة أثراً كبيراً في الحياة القبلية التي قال عنها قديماً دريد بن الصمة:

وما أنا إلا من غزية إن غوت قويت وإن ترشد غزية أرشد

٢- الأصالة التي لا زالت القبائل تتمتع بها، فلم تفسد فطرتهم، ولم تهين عليهم كرامتهم، ولم تلن قناتهم، وطابعها العام الكرم والشجاعة والنخوة والمرومة، ولا زالت خامتها نظيفة، وأخلاقها سليمة، مع الحاجة إلى تهذيب وتوجيه.

لقد حاولت بريطانيا في بداية القرن العشرين أن تبسط سلطانها على هذه القبائل، فجاءت وعسكرت في منطقة ميدان وسط قبائل الأفريدي، وبقيت ستة أشهر، فقامت عليها القبائل وخاضت معها معارك عنيفة انتهت بالهزيمة الساحقة للنكراء لبريطانيا، ولاحتقتها القبائل حتى منطقة درا قرب بيشاور، وأغرقت الأرض بالمياه حتى تفوص سياراتها بالطين، مما دفع بالجنود الإنجليز أن يتركوا سياراتهم الغارقة في الوحل وينجوا بأنفسهم.

٣- لا زال الطابع العام لهذه القبائل هو التدين الفطري دون المعرفة الصحيحة لتعاليم هذا الدين، ولا يمكن لهذه القبائل أن تتفق مع روسيا التي تدرك إلحادها وأنها تحارب الأديان جميعاً.

٤- لقد شهدت بنفسني الحفاوة البالغة التي تستقبل بها هذه القبائل المجاهدين على امتداد الطريق من لاندكوتل حتى نجرهار/ ماري، إذ أن بيوت قرى القبائل تعتبر مضافات للمجاهدين، ولقما تمر ليلة دون أن يبيت في البيت الواحد مجموعة من المجاهدين، ولا يقدمون للمجاهدين إلا اللحم المشوي.

لقد بقنا ليلتين على الطريق إلى نجرهار أولاهما في قرية زير/منطقة بزار، وقد تقاسمنا أهل القرية وكنا نيفاً وماتني رجل، وبت مع قرابة خمسة وعشرين رجلاً في بيت واحد، فسألت القائد الذي يرافقني: أتعطون هذه القبائل شيئاً من المال أو الهدايا؟ قال: لا وإنما هذه سجيّتهم وعادتهم.

وفي الليلة الثانية دخلنا بيتاً للمنام فيه، نسألت عن هذه الدار، فقالوا للحاج مالفج هذا الرجل الذي جاء مستقبلاً على مسافة تبعد عن بيته ساعات، وهذه الجبال المحيطة ببيته مع غاباتها له، ولا يسمح لأحد أن يحل فيها أو أن يقطع خشبها سوى للمهاجرين والمجاهدين الأفغان، والحاج مالفج من زعماء عشيرة زخاخيل من قبائل الأفريدي، وهو يشارك في الجهاد إذا حصل هجوم من قبل الروس.

وقد شربنا الشاي في أحد البيوت فسألت: من صاحب البيت؟ فقالوا هذا الرجل مير سهند، وقد أوى خمسين عائلة مهاجرة، وهو يقول: سأقاتل روسيا ولم وحدي!!

وفي إباننا من نجرهار أقامت لنا عشيرة زخاخيل غداءً حافظاً دعت رجالاتها، وأجلست حكمتيار على كرسي وألبسته عمامة وضعها الشيخ سليمان والحاج مالفج بيديهما على رأس حكمتيار، وأطلقوا عليه لقب ملك أفريدي.

فأين الصلة بروسيا؟ بأيّن رجال القبائل الذين يعارضون الجهاد كما يحلو لإذاعة بريطانيا وغيرها أن تضخم الأحداث الصغيرة وتجعل منها قاعدة ثابتة لرجال القبائل؟ ويظن بعض الناس وهو يقرأ الصحف التي تشرف عليها العقول الغربية أو اليسارية أن القبائل تحمل أسلحتها وتسد الطريق على المجاهدين!

٥- تحيط بأفغانستان خمس قبائل كبرى أكبرها قبائل وزير، ومن زعمائها نياز علي خان، ويطلق عليه الناس أمير المجاهدين لكثرة تعاونه مع المجاهدين.

وهناك قبائل مسعود وقبائل سالارزاي وقبائل مهند وقبائل الأفريدي الممتدة في منطقة خيبر ويقع فيها مر خيبر الشهير وهي تقع بين بيشاور ونجرهار، وهي التي مررنا بها وزعيمها الحاج نادر خان، وقبائل الأفريدي ثمانية عشائر هي:

١- ملك زخاخيل: وزعيمها الحاج فضل الحق.

٢- ملك دين خيل: وزعيمها حضرة خان.

٣- قمر خيل: وزعيمها الحاج خان زادة.

٤- قمبر خيل: وزعيمها الحاج عبد الغفور.

٥- كوكي خيل: وزعيمها الحاج عبد الله ياز.

٦- سي باي: وزعيمها الحاج وارث خان.

٧- أكوخيل: وزعيمها الحاج أرباب خان.

٨- آدم خيل: وزعيمها الحاج عجب خان.

وهؤلاء جميعاً يعاونون الشيوعية عدا ولي خان كوكي خيل، ويتناقص على زعامة كوكي خيل ولي خان والحاج عبد الله ياز، ويطمع ولي خان كوكي خيل في زعامة عشائر الأفريدي بكاملها. وعندما تولى الحاج فابر خان زعامة الأفريدي نقم عليه هذا وحاول أن يظهر نفسه، فذهب إلى كابل وأحضر كمية من الأسلحة خاصة بندقية (إم ١٦) التي غنمها الشيوعيون في فيتنام من أمريكا ويقول أنه أحضر ٢-٦ آلاف بندقية، ففضب زعماء عشائر الأفريدي على ولي خان وعقدوا اجتماعاً لمجلس زعماء عشائر الأفريدي ويسمونه (أعلى حركة: أي المجلس الأعلى)، وتكلم الحاج مراد ابن أخ ولي خان كوكي خيل وبدأ يضر من الشيوعية ويقول: إن لم ننتبه فإن هؤلاء الكفار قادمون.

وبدأ يشرح عن المصائب التي تحدثها روسيا في أفغانستان، فقام معه ولي خان كوكي خيل ووضع يده على فمه، ولشدة الوجد والغم سقط مراد خان ميتاً في نفس المجلس!!

وعاتب زعماء العشائر ولي خان كوكي خيل على إقدامه على التعاون مع روسيا الملحدة الكافرة، فقال: أنا أردت أن أحفظ لكم حريتكم حتى لا تضع باكستان يدها علينا، فعارضه جميع الحاضرين معارضة شديدة، وأخيراً جمعوا الناس الذين استلموا السلاح واستأبوه في المسجد، وجمعوا السلاح الأمريكي الذي ورّعه ولي خان.

وأصبح حمل هذه البندقية معرة على كل من يحملها، وصار الناس يردّون كل من حمل هذه البندقية فقد باع زوجته وأخذها! ولذا وباختصار فليس من السهل على روسيا أن تشتري هذه القبائل ولا أن توجهها ضد أبناء عموماتهم مهما أنفقت من أموال، ومهما بذلت من جهود، وصدق الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفَتُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفَقُونَهَا ثُمَّ يَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَغْلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يَحْشَرُونَ} (الأنفال: ٣٦)

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الآن حمي الوطنيس^(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره. وبعد:

يروى الإمام مسلم في باب غزوة حنين عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم حنين، فلزمنا أنا وأبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذافي، فلما التقى المسلمون والكفار ولي المسلمون مديريين قطفقت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يركض بغلته قبل الكفار، قال عباس: وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أكفها إرادة أن لا تسرع، وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أي عباس، ناد أصحاب السرة -وهم أصحاب الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان-، فقال عباس -وكان رجلاً صَبْتاً- فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السرة قال فوالله لكان عطفهم

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد الثامن عشر، ١٥ / رمضان / ١٤١٠ هـ، ٢٣ / مايو / ١٩٨٩ م.

- أي وجوههم - حين سمعوا صوتي عصنة ابتر على أولادها، فثانوا: يا نبيك يا نبيك، فانه فافتتروا وانكفروا، والدعوة في الانتصار يقولون يا معشر الانتصار يا معشر الانتصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على بقلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : هذا حين حمي الوطيس - أي التنور أو الضرب في الحرب -، ثم أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حصيات فرمى وجوه الكفار ثم قال: انهزموا ورب محمد، قال فذهبت أنظر فإذا القتال على هبته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياتهم فما زلت أرى منهم قليلاً - أي قوتهم ضعيفة - وأمرهم مذبذباً.

وفي رواية لمسلم:

(ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل بها وجوههم فقال: شامت الوجوه - أي تبحت -، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً يهلك القبضة) (١).

وما أجمل هذه اللفظة البديعة التي لم تسمع من أحد قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - (الآن حمي الوطيس)، لقد اشتد الوغي وشممت الحرب عن ساق ودارت رحي الموت تطحن البشر وتبتلع الأناسي.

لقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه العبارة والناس قد انفضوا من حوله، وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، كما جاء في النظم الرباني الكريم، ولم يبق كنفه سوى أنقاذ من الرجال، وتلفت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد خلت الساحة من فرسان الميدان فلم ير بداً من الإعلان عن نفسه، فأخذ يرجز

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

لقد كان حبيب براح - أي كفته لثباته شد بالعبال - أشجع من أسود بيشة، فما كانت قتاته - صلى الله عليه وسلم - تلين لغامز ولا يستباح ذماره.

ومن تراه ينادي في هذه الساعة المعصية سوى الذين بابعود قبل ثلاثة أعوام وعلى مشارف الحرم في الحديبية أن لا يفروا؟ سوى أولئك الذين تبنوا الدار والإيمان يحبون من هاجر إليهم، سوى أولئك القادة الذين قالوا له منذ اللحظة الأولى ليلة العقبة: ربح البيع لا نقبل ولا نستعير وهي هذه القبضة من هذه الغزوة معجرتان نبويتان، أولهما أنه أخذ قبضة من تراب فملأت عيون القوم جميعاً، والثانية أنه قال: انهزموا ورب محمد، في الوقت الذي لم يكن حوله حوالي مائة رجل.

أذكر هذه القصة من السيرة الشريفة وأنا أرى الحرب الضروس التي تنور رجاها الآن في أفغانستان، وخاصة على الحدود الروس قد استماتوا ليسدوا منفذاً من منافذ المجاهدين على الحدود، لقد شهدت في الشهر الماضي آثار معركة ضارية استمرت حوالي اثنين وأربعين يوماً في (نازيان/شنوار/نجرهار)، وهل بإمكانك يا أخي أن تتخيل معركة على موقع واحد فيها روسيا بأساطيلها الجوية والبحرية، ولا تدع شيئاً من المييدات الإنسانية من قذائف أو صواريخ أو راجمات أو مدافع.

ودعك عن طائرات الميغ والسوخوي - المقاتلة - والهليكوبتر المصفحة التي لا يؤثر فيها الرصاص، ويقابل هذا كله مجاهدون قد يعوزهم الطعام، ولا يستغرب أن يرى فيهم الحفاة، أيديهم فارغة إلا من الرفق بالدعاء، ولا يملكون شيئاً سوى إيمانهم وثقتهم بالله، وينفض المجاهدون وقد قُتلت الذخيرة، واكفهر الجو، واشتدت الأزمة، ولم تبق سوى مجموعة قليلة محتسبة يردد لسان حالها:

صبور ولو لم تسبق في بقيسة شديد على الأعداء غضب لسانيا

(وما كان قولهم إلا أن قالوا: ربنا أغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) (ال عمران: ١٤٧)

وفتح الله على هذه الحفنة القليلة ونصرها نصراً مؤزراً.

وشهدت في الأسبوع الماضي معركة في جود/ بكتيا معركة استمرت قرابة شهر ابتدأت بعملية إنزال أربعمائة من رجال الكوماندوز أنزلتهم بطائرات الهليكوبتر، والحمد لله لم ينج واحد من هذه المجموعة إلا أصابه القتل أو الأسر، لقد رأيت الطيارين والضباط في أيديهم الأخلاص مصفدين، وكان عند الشيخ جلال الدين قرابة مائة وعشرين من هؤلاء الأسرى.

وهنا جن جنون الشيوعية، وبدأت الطائرات تقصف بقذائفها وحممها، فانهار الجبل على المجاهدين في كهوفهم، قذائف وزنها

(١) شرح النووي / ج ١٢ / ص ١١٥

خمسمائة أو ألف كغم، ولشدة تأثيرها تخرج النبع من الأرض، فيقل مفعول خرابها وإتلافها، وإذا صارت روسيا تنزلها بالمظلات حتى لا تتعمق في الأرض كثيراً.

لقد كان أبو الحسن أحد إخواننا في أحد هذه الكهوف إذ هب لنجدة إخوانه بتقديم الغذاء والمساعدة، فجاءت القذيفة وأهالت الجبل كثيباً مهيباً، وأغلق باب الكهف ثلاثة أرباع الساعة، وأصبح الذين في داخل الكهف يعدون الدقائق التي يودعون بها الحياة خنقاً، ثم جاءت رحمة الله وألقت الطائرات قذيفتها الأخيرة لتفتتح لهم كرة في جانب الكهف فيخرجون منها، وألقت الطائرة قذيفة بجانب القائد البطل العالم جلال الدين فيحمله هواؤه ثم يسقط على النيران الملتهبة حيث لم يستطع حراكاً، فهرع إليه ضابطان من مساعديه ويجراونه من السعير المتلظى فينتقذانه من موت محقق، فجاءت قذيفة أخرى لتقتل أحدهما وتجرح الآخر، وأما الشيخ جلال الدين فيحمل لتعالج حرقه التي أصابت رقبته وجانبه، ويرفض أن يبعد عن أرض المعركة، فتقام في بيته القريب بدير المعركة عن كتب، وأتاب أخاه الذي شاركه الطريق منذ الأيام الأولى للجهاد قبل عشر سنوات وهو مولوي أرسلان.

حدثني أبو داود قال: كنت على مضاد الطائرات ZK/1 فجاء صاروخ فحمل هواؤه من كان بجانبني وجرح الآخر، وطفقت أبحث عن حمله الصاروخ فلم أعثر له على أثر، وأخيراً وجدت فناديته فشخص ببصره وأسلم الروح.

وحدثني أبو عبيدة قال: لقد أثرت القذائف التي لا تتوقف بأصواتها المدوية على آذان وعقول بعض الإخوة، حتى إنني حملت جريحاً يهذي قد ارتج دماغه لكثرة الضرب، فسألني هل أنا حي أم ميت؟

ولقد صرح العسكريون الباكستانيون الذين يشهدون المعركة على الحدود أن القصف الذي صب على معسكر "جور" الصغير هذا لم تشهده القارة الهندية طيلة تاريخها، ولم يحصل في الحروب الهندية الباكستانية مثل هذا.

وأخيراً دخل الشيوعيون معسكر جور واستمروا فيه يومين، فهجم المجاهدون عليهم وأخلى الشيوعيون الموقع بعد خسائر ضخمة في الجانبين، فقد بلغ عدد الشهداء التابعين للشيخ جلال الدين قرابة المائة، ووصل عدد الجرحى حوالي ٢٢٠ جريحاً، وأما خسائر العدو فحدث عنها ولا حرج.

والآن أما أن للمسلمين أن يتقوا بجانب إخوانهم المجاهدين الذين أصابهم القرح؟ أما أن للشباب المسلم أن يقضي ولو إجازته الصيفية بجانب هؤلاء بواسي جراحهم ويمسح كلهم ويهددهم ويثبت قلوبهم سبحانه الله؟

إلى من يتلفت هؤلاء المجاهدون الأفغان ومن يتألمون وقد بلغت القلوب الحناجر وزلزلوا زلزالاً شديداً؟

من هم أصحاب الشجرة الذين يمكن أن يستخدمهم قادة الأفغان؟ أينما هم الحكام أم المحكومين؟ أيستصرخون النساء أم الرجال؟ أيدعون أصحاب الدعوات الإسلامية؟ أم عامة المسلمين؟ أم العلماء أم العامة؟

من الذي يلبي ندائهم مردداً:

وإني لعطاف إذا الخيل أدبرت سريع إلى الهيجا إلى من دعانيا

أين خولة وقد أسر ضرار؟ أين أبو طلحة بقوة الذي يعدل ألف رجل؟ أين العباس ينادي أصحاب البيعة؟ أين القعقاع وعاصم؟ أين سلمى تصيح وأمثياها! ولا مثلى للخيل بعده؟

من تراهم يتألمون: المثقفين أم الأميين؟ الأطباء أم المهندسين؟ العسكريين أم المدنيين؟ أصحاب العقائد الصحيحة أم الصوفيين؟ الحركيين أم التقليديين الباردين الجامدين؟

أصحاب الشعارات الصارخة أم أصحاب الفرق المظلمة؟

رب وامعتصمها تطلعت مله أفواه الصبايا اليتيم

لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نفوة المعتصم

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

الساثرون على الجمر^(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره. وبعد:

فلم أجد عنواناً يليق بمسيرة الجهاد الأفغاني المباركة مثل هذا العنوان، كنت أريد أن أبدله بعنوانين (القابضون على الجمر) (الصراع مع الموت) (الفارقون في الرمضاء) (المتقلبون على اللظى) (الزاحفون على الرضف) وكل هذه لا تستطيع أن تنقل الصورة الحقيقية للآلام التي يعانيها المجاهد الأفغاني، ولا تعكس حقيقة المشقة التي يتكبدونها أولئك الذين يعيشون فوق قمم الجبال وفي الترع الشوامق تحت قصف لا يكاد ينقطع من العذاب الواصب الذي تصبه قذائف الطائرات والصواريخ والمدفعية والألغام التي أصبحت شبحاً رهيباً يهدد أقدام النين يواصلون هذه المسيرة.

لقد مارست الشعائر والعبادات كلها فلم أجد أشق على النفس من الجهاد، ولذا فقد جعل الله عز وجل للجهاد أجزل ثواب وأعظم أجر.

ففي صحيح البخاري^(٢): [إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض].

وكذلك جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه أبوداود والترمذي وأحمد^(٣): {من قاتل لي سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة} والفواق مقدار ما بين الحلبتين.

والنصوص من الآيات والأحاديث في فضل الجهاد كثيرة يرجع إليها من شاء الاستزادة.

وقد أجمع العلماء على أن الجهاد أفضل من جوار المسجد الحرام وينص القرآن الكريم {أجعلتم مقياة الحاج وعصاة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يحسنون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين} (التوبة: ١٩) وفي الحديث الصحيح^(٤) {لأن أحرم ليلة في سبيل الله أحب إلي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود} .

ولم يجعل الشارع الحكيم هذا الأجر العظيم لهذه العبادة جزافاً، بل حكمة الشارع تقتضي أن يكون الثواب على قدر النصب، والأجر على قدر الجهد، إذا أخلصت النية وصدقت الطوية.

كنت ممن شهد معركة جاجي الأخيرة في رمضان ١٤٠٦هـ وكل من عاش ساعة تحت غارات الطائرات التي تنطر القنابل وراجمات الصواريخ BM41 التي تطلق بالضغط الواحدة ٤١ صاروخاً يتذكر عذاب أهل النار ويشخص بمخيلته قول الله عز وجل {لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن شهرهم ولا هم ينصرون، بل تأتيهم بغتة فتبهم فلا يستطيعون ردّها ولا هم ينظرون} (الأنبياء: ٢٩-٤٠)

ويتذكر قول الله عز وجل:

[ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت] (إبراهيم: ١١١).

كنت أرى الطائرات السوداء وكما قال نوي الاختصاص أن هذه الطائرات اسمها توريليف TU-28M, TU26, TU22. لم رجعت إلى الموسوعة العسكرية فوجدت أرقاماً خيالية لطاقتها، فمثلاً TU26 المدى القتالي لها بالوقود الداخلي ٢٤٠٠ كيلومتر، أي تستطيع أن تخرج من روسيا وتضرب أفغانستان وترجع، وسرعتها القصوى ٢٤٤٥ كم في الساعة، قوة الدفع ٢٢٠٠٠ كغم (٢٢) طناً، وزنها فارغة ٤٥ طناً، وزنها بالحمولة القصوى (١٠٥) طن، وأبعادها (الطول×العرض×الارتفاع) ١١×٤٠,٣٢×٣٤,٤٤ م.

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد التاسع عشر - ١٥ شوال ١٤٠٦هـ / ٢١ / حزيران / ١٩٨٦م.

(٢) فتح الباري / ج ٦ / باب ١ / برقم (٢٧٩٠) وموطأ من حديث عن أبي هريرة

(٣) رواه أحمد وأخرجه أبو داود برقم (٢٥١١) والترمذي برقم (١٦٥٧) - وهو في الجامع الصحيح برقم (١٢٩٢)

(٤) هو في السلسلة الصحيحة برقم (١٠٦٨)

أما TU/22 المدى بالوقود الداخلي = ٢٤٥٠ كم، وقوة الدفع ١٢٢٥٠ كغم (اثنا عشر ألفاً ومائتان وخمسون كغم)، الأوزان فارغة ٣٨,٦ طناً، وبالحمولة ٨٤ طناً، السرعة القصوى حمولة عادية على ارتفاعات عالية ١٤٨٠ كم في الساعة، الارتفاع العملي ١٨,٠٠٠ م الأبعاد ١٠,٦٧×٤٠,٥٣×٢٧,٧٠ م، التسليح، مدفع ٣٣ ملم وخليج داخلي بحمولة لا تقل عن ٩٠٧٠ كغم لقنابل حرة الإسقاط أو صاروخ بعيد المدى. التطوير، قاذفة قنابل أسرع من الصوت وأكبر وأثقل من الطائرة الأمريكية ب ٥٨ وت يو ٢٨.

كنت أرى الرصاص من مضادات الطائرات التي بين أيدي المجاهدين ينطلق عليها من كل مكان ولكن أنى للرصاص أن يؤثر في الطائرات المصفحة .

ودخلت معسكر جاجي أثناء المعركة، وكنت صائماً، وكانت الشمس تلم أنيالها لتغيب وراء الأفق، فتجمعنا قرابة ٦٠ شخصاً في أحد الكهوف، وأغارت الطائرات، وكان يكفي ليقول كل من في الغار قذيفة واحدة ذات وزن (١٠٠٠) كغم التي تخترق سبعة أمتار داخل الصخر، وأما في التراب فلقد رأيت بعيني رأسي النبع يخرج من جراء انفجارها، كان في جيبتي بضع تمرات بدأت أتحمسها، وأخرجتها بيدي أنتظر الأذان، وجاءت الأوامر بالتفرق، وبدأت الصواريخ تنهال علينا من كل مكان إثر مفادرتنا المفارة، وألقينا بأنفسنا على هذا السفح ننتظر القذيفة التي نودع بها الدنيا، ولم أستطع خلال ساعتين أن أكمل حبات التمر التي بيدي.

وفي هذه الظروف العصيبة والأجواء الحالكة ترى أسود الشرى فوق الذرى خلف رشاشاتهم يتابعون الطائرة بنيرانهم، وأغرب من هذا أنك ترى شاباً يحمل (أر بي جي ٧) الذي لم يستعمل ضد الطائرات في حرب قط سوى في الجهاد الأفغاني الخارق لكل القوانين العسكرية، المخالف لكل التقديرات البشرية والتصورات الإنسانية والمنطقية، تجد هذا الشاب يمتشق هذا المدفع ينتظر قرب الطائرة، وطائرة تخر عليه برشاشها وأخرى تعطره بوابل صواريخها وهو واقف شامخ الرأس عزيز النفس يتحرك بين فكي تنين الموت، وترى الطائرة تسقط قذيفتها فتقتل طاقم الرشاش، فيحمل هؤلاء الشهداء والجرحى ويحل محلهم على الفور الطاقم الذي يرقب الساعة التي بعدها هول ساعته.

إنهم بشر ليسوا كالبشر، وكما علق أحد ضباط الروس بعد معركة عنيفة قائلاً: هؤلاء ليسوا بشراً.

وكل واحد منهم يودع في كل ساعة شقيقاً أو قريباً أو صديقاً دون أن تلين له قناة أو يهتز له جنان.

كنا في طريقنا إلى المعركة، فلاقنا سيارة تقل بعض الشهداء، فنزل أحدهم لوجد شقيقه من بين الشهداء، فآلقى عليه نظرة الوداع الأخيرة وواصل مسيرته.

وكم يذهلك وأنت ترى أميرهم في قمة جبل يحمل البوق ليوجه عبارات الطمأنينة والسكينة للمجاهدين بين غارات الطائرات وبوي المدافع ونيران القذائف.

وبعد كل غارة تأتي لتسال طاقم ZK/1 عن حالهم فيرون بلغتهم البشتونية (خير خيريت).

وفوق هذا كله بينما هم مشغولون بهذا الجحيم المستمر تحط طائرات الهيلوكبتر وتفرغ على رؤوس الجبال المظلة عليهم مجموعات الكوماندوز القادمين من روسيا.

والمجاهدون في هذا الخضم المقلطم من أمواج الموت محتسبون صابرون، يحسنوهم الأمل أن يروا أفغانستان إسلامية مطهرة من رجس الكفر، ترفرف فوقها راية دولة الإسلام، وكثيراً ما يدعون: اللهم أقر عيني بتحرير أفغانستان وأمتني على الشهادة في بيت المقدس حول المسجد الأقصى، وهم إذ يحتملون ما يحتملون من البلاء تأمل من الله أن تصيبهم أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم- منها حديث الترمذي الصحيح^(١): (ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة).

وفي الصحيح^(٢): (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها

(١) عند الترمذي برقم (٢١٠٦) عن أبي هريرة

(٢) الحديث متفق عليه عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة فتح الباري / كتاب الخوض / باب ١ / برقم (٦٤١٩) واللفظ له شرح النووي / ج ١ / كتاب البر والصلة / ص - ١٢٠ بلفظ قريب

عن خطاياهم).

والنفس إذ تتحمل ما لا يطيقه إلا أفضاذ من البشر ترقب الأمل الكبير المنتظر من رؤية الإسلام، وكما قال الشاعر:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزار

لها بوجهك نور تستضيء به على الطريق وفي أعقابها حادي

إذا شكت من كلال السير أو عدا روح القدم فتحيأ عند ميعاد

فهل من كلمة خير تشجع بها هؤلاء؟ هل من كلمة راحة نواسي بها جراح هؤلاء الأسود؟ هل من فضول مال تعالج به جراحاتهم؟ هل من قلب خفي ينبض بحبهم ويتألم لأنهم؟ فإن لم يكن لدينا هذا فهل لنا أن نكف ألسنتنا عنهم؟

أقولوا طيبهم لا آيا لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

ولا فيصدق علينا قول الله عز وجل:

{قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون الهأس إلا قليلاً، أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً} (الأحزاب: ١٨-١٩).

إن الدين والمرورة والرجولة توجب علينا أن نستحي إذا فكرنا بانتقادهم، أو طالت ألسنتنا فنزيد جراحاتهم، ونغمد في أعماقهم نصلاً فوق التي تصيبهم من كل جانب.

ولو كان سهماً واحداً لا تقية ولكنه سهم وثان وثالث

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

أمريكا وتجارة الدماء^(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد:

فإن له سنناً وقوانين قد أنزلها في كتابه العزيز، ووضعت معالمها وتبينت أصولها في مواضع كثيرة من القرآن. على رأسها قانون العدا المستحكم بين الحق والباطل منذ بداية السيرة البشرية فوق هذه الأرض حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

{وقلنا امبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين} (البقرة: ٢٦).

ومنها المعركة المستمرة بين الكافرين والمؤمنين «ولا يزالن يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا...»

(البقرة: ٢١٧).

ومنها نعمة أهل الكتاب علينا بإيماننا وفسقتهم {قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون} (المائدة: ٥٩).

ومنها توالي أهل الكتاب بعضهم لبعض ضدنا {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين} (المائدة: ٥١).

ومنها استحالة رضا اليهود والنصارى عنا حتى نخلع ربة الإسلام من أعناقنا وندخل في دينهم: ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم (البقرة: ١٢٠).

يقول الطبري في تفسيرها: «لن ترضى عنك يا محمد اليهود ولا النصارى أبداً حتى تنسلخ عن دينك وتكون يهودياً أو نصرانياً،

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد العشرين - نوفمبر / ١٤٠٦ هـ - يناير / ١٩٨٦ م.

ندع طلب ما يرضيهم ويوافقهم وأقبل على طلب رضا الله فيما بعثك فيه من الحق^(١).

وعليه فإنه يستحيل اللقاء بين أهل الإيمان وأهل الكفر في منتصف الطريق مهما حاولنا أن تقدم أنفسنا بثياب الانفتاح والمرونة والبعد عن التوقع والانفلاق وضيق الأفق كما يحلو للبعض أن يصفوا الملتزمين والمتمسكين بمبادئ دينهم، نحن مع أهل الكتاب على مفرق طريق، فإذا سرنا معهم خطوة واحدة فقد أضعنا الطريق كله.

والآن لنترجع إلى موقف أمريكا

لقد انبسطت أسارير أمريكا وهي ترى انزلاق أقدام الدب الروسي فوق جبال الهندكوش كما غرقت أقدامها هي من قبل على شواطئ نهر الميكونغ في فيتنام.

وظنت أمريكا أن الفرصة قد حانت للتنفيس عن أحقادها في فيتنام، ولتخطيم أعدائها التقليديين معاً -الشيوعيين والمسلمين-، ولاستنزاف قوى الطرفين البشرية والاقتصادية والعسكرية.

وكانت أمريكا تظن أن بإمكانها أن تحتوي الجهاد الأفغاني أجلاً أو عاجلاً، وتلمع البديل الذي تقدمه للمسلمين إسلاماً ولكنه بالثوب الأمريكي والعقلية الغربية كما قدمت للعالم الإسلامي كثيراً من هذه النماذج.

وحاولت أمريكا أن تعجم عهد القادة الأفغان فرجدها صلبة المكسر غير لينة المعصر، وأوكلت إلى السادات أن يشتري القادة، وأنابته لتزيق الاتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان فقام بالوكالة الأمريكية بأمانة وإخلاص، ومزق -بقر من الله- الاتحاد.

وقد حاولت أمريكا أن تقيم الملك ظاهر شاه على أرجل من خشب، ولكنها لم تستطع أن تنفخ الروح في العظام الرميمة، وسقطت المحاولات الأمريكية في تقديم الملك ظاهر شاه أو رئيس وزرائه محمد يوسف في صورة أنيقة تغلب ألباب عقول الشعب الأفغاني أو تخدع به عقولهم.

ولقد كانت المناورات الأمريكية الروسية تدور حول البديل عن روسيا إثر انسحابها، ولم تستطع أن تتوصل إلى الشخصية العلمانية اللادينية التي تقدم للشعب الأفغاني بأثواب المسلمين.

وليكن واضحاً منذ بداية الطريق أن الطاغوت هو الطاغوت، سواء كان أمريكياً أو عربياً أو أفغانياً أو روسياً.

وليكن واضحاً منذ الخطوة الأولى أن الذين يشرعون بغير ما أنزل الله هم كفار وإن صلوا وصاموا وأقاموا الشعائر، وسيان في نظر المسلمين من حيث الكفر ظاهر شاه وحفيظ الله أمين وبابرك كارمل.

وليكن مستقراً في القلوب أن الشرع الذي يطبق فوق الشعب، والقانون الذي يحكم في الاعراض والدماء والأموال هو الذي يحدد هوية الحاكم من حيث الكفر والإيمان، فإن كان الشرع والتشريع بغير ما أنزل الله فهو الكفر الصريح، وإن كان التفاز يظهر الحاكم بثياب القديسين وبهالات الأبرار المخبتين.

ولنوقن منذ البداية أن الكفر ملة واحدة، وأن مثل الكفر تنازع بعضها على مصالح دنيوية، أما العدو المشترك في نظرها فهو الإسلام.

ويجب أن يكون واضحاً: أن الاستعانة بالكفار لا تجوز إلا بشروط:

١- أن يكون حكم الإسلام هو الظاهر، بحيث لا يستطيع الكافر الذي يعطي مساعدته أن يتقلب على المسلمين في النهاية.

٢- أن تكون الإعانة دون قيد ولا شرط.

٣- أن يكون المسلمون بحاجة إليها.

٤- أن تؤمن خيانة الكافر، وأن نشق أنه يساعدنا نكاية بالعدو المشترك.

١- مختصر الطبري (١٢/١).

جاء في المبسوط^(١) "قال أبو يوسف: سألت أبا حنيفة عن المسلمين يستعينون بأهل الشرك على أهل الحرب قال: لا بأس بذلك إذا كان حكم الإسلام هو الغالب الظاهر، لأن قتالهم بهذه الصفة لإعزاز دين الله، والاستمانة عليهم بأهل الشرك كالاستمانة بالكلاب".

ومنالك قضايا أولية وأساسية قد تغيب عن الأذهان:

١- أن الركون إلى الكفار والظالمين يعيق النصر بل يمنع نزوله: {ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دين الله من أولياء ثم لا تتصرون} (هود: ١١٣).

٢- إن هذا الجهاد لم يبدأ ضد الروس بل بدأ ضد الحكام الأفغان أنفسهم ابتداء من محمد داود ثم تراقي ثم حفيز الله وانهاء بكارمل.

٣- إن هذا الجهاد رفع لواءه الشباب المسلم مع العلماء لتكون كلمة الله هي العليا، ورفع راية الإسلام، وإقرار دين الله في الأرض، وإقامة نظام إسلامي في أفغانستان.

٤- لقد كانت الانتصارات في بداية هذا الجهاد بامرة، والكرامات كثيرة، بسبب إخلاص التوكل على الله، وصدق التوجه إليه، ولم يكن أحد من المسلمين ملتفتاً إليهم، فعندما اشتهرت القضية الأفغانية وجاءت المساعدات قلت الانتصارات وقلت الكرامات. يقول القادة المجاهدون: (في بداية الجهاد كان خمسة ينزلون فيغنمون (٥٠٠) بندقية، وعندما جاءت المساعدات قلت الغنائم والانتصارات).

٥- إن انحراف الجهاد عن غايته الأساسية يعني سقوطه وانتهائه، فإذا فقد المجاهدون الهدف الأسمى وهو (لتكون كلمة الله هي العليا) فقد تحول الجهاد إلى قتال قومي، ويصبح الخروج للجهاد حمية، ويفقد الجهاد قدسيته التي استحوز بها على قلوب المسلمين، واستقطب أفئدة الصادقين في الأرض كلها.

إن حياة الجهاد وروحه إنما استمدها من رايته الإسلامية التي رفعها، فإذا سقطت الراية فقد الجهاد روحه ومات، وأصبح القتال انفعالات وقتية كزوبعة سرعان ما تزول، أو كسحابة صيف عن قليل تقشع.

٦- إن الحل السياسي الذي تسعى إليه أمريكا مع روسيا باطل شرعاً ممنوع عقلاً، ولقد علمتنا التجارب كلها في فلسطين وغيرها أن الحل لا يكون إلا من خلال فروقات البنادق، وإن إحالة القضية إلى المجالس النولية والمحافل العالمية تعني إحالتها إلى سلة المهملات، والسير بها إلى موتها المحتوم.

والحل السياسي باطل شرعاً، جاء في فتح العلي المالك^(٢) "إذا أوقع الخليفة الصلح مع التتار والمسلمون لا يرون إلا الجهاد فمهادنته منقوضة، وفعله مردود، وحيثما تعين الجهاد في موضع لم يجز فيه الصلح، كما لو كان العدو غالباً على المسلمين، وكل ما تعين في فرض الجهاد مانع من الصلح لاستلزامه إبطال فرض العين الذي هو الجهاد المطلوب فيه الاستنقاذ، والصلح المذكور فيه ترك الجهاد المتعين، وترك الجهاد المتعين ممتنع وكل ممتنع غير لازم".

لقد حارلت أمريكا أن تسبر غور الجهاد وأبعاده الإسلامية، فأرسلت الرئيس الأمريكي نيكسون لزيارة مخيمات المهاجرين والحدود، وزار مخيم ناصر باغ، وتقدم نيكسون ليسلم على شيخ بلغ من العمر عتياً، وقد لحب الجنان واحدوب الظهر وإذا بالشيخ يقبض يده قاتلاً: (أنت مشرك نجس لا أسلم عليك)، وتقدم شيخ آخر طاعن في السن فقال لنيكسون: (لماذا أعطيتهم فلسطين لليهود ؟).

رأى نيكسون شعباً بكامله طفله وشيخه، البنت والمعجوز فيه، والأرملة والعراق والمجاهد والمهاجر فيه كلهم تحركهم كلمة (الله أكبر) وهم يرددون: الجهاد سييلنا.

رأى الطريق المؤدية إلى أفغانستان فيها قوافل المجاهدين كأسراب النمل، رغم دوي الطائرات وأزيز المدافع وانفجار الصواريخ ومدير الدبابات، فاهتز كيانه، وارتجفت أوصاله، فعاد مرتعد الفرائص منذراً قومه، والرائد لا يكذب أهله.

فعقد مؤتمراً صحفياً وسأله الصحفيون: ماذا أعددت للقضية الفلانية؟ فقال هذه سهلة، والقضية كذا؟ فقال: هذه ميسورة، وبعد

(١) المبسوط للسرخي (١٢٨/١٠) (٢) فتح العلي المالك (٢٨٩/١)

عدة أسئلة وهو يجيب بابتسامة إنها سهلة قال له الصحفيون: إذن ما هي المشكلة الأساسية؟ فقال: المشكلة الأساسية هي الإسلام، فقالوا له: إذن ما الحل؟ فقال: أن نأتي بأبناء المسلمين ثم نرسلهم إلى بلادنا كي نحققهم بثقافتنا ونعيدهم إلى بلادهم، ثم قال: يجب على روسيا وأمريكا أن تتحدا للحيلة نون قيام حكم إسلامي في أفغانستان.

ثم جاءت بعدها محاولة استدراج القادة الأفغان لمقابلة ريجان بحجة إلقاء خطاب في الأمم المتحدة في نيويورك، وحدد ريجان موعد مقابله مع حكمت يار رئيس الوفد والناطق الرسمي باسمه، ورفض حكمت يار ومندوب الاتحاد الإسلامي/ سياف أن يقابلا ريجان في الثلاثين من أكتوبر ١٩٨٥، وكذلك رفض زيارة الكونجرس الأمريكي بعد أن وجه إليه دعوة حارة، وقد اطلعت على بطاقة الدعوة وفيها "لأنكم شعب يؤمن بالله وضرب أروع الأمثلة للشعوب التي تريد استرداد حريتها نتشرف بدعوتكم".

وأسرهما ريجان في نفسه، وامتلأ غيظاً، إذ أنه كما قال سفير دولة إسلامية لحكمت يار أترفض مقابلة ريجان وهو يرفض مقابلة ستين رئيساً وملكاً؟

ثم حصل لقاء القمة بين ريجان وغورباتشوف في نوفمبر ١٩٨٥، وأخرج غورباتشوف من حقيبتة خارطة الدولة الإسلامية في أوج عزها وأرفع دهورها، ويُنَّ له أن معظم أراضي أوروبا كانت تخضع للمسلمين، وأن المسلمين قد دقوا أبواب أوروبا مرتين ووقفوا في شوارع النمسا، ثم حذر غورباتشوف ريجان وقال له: لقد بدأ المسلمون يتعلمون وينفضون الغبار عن أنفسهم، ويحاولون أن ينطلقوا، وإذا انطلقوا لن يقف في وجههم شيء وإن المستفيد الوحيد من اختلاف أمريكا وروسيا هو الإسلام، فلا بد من إنهاء مشاكلنا للوقوف في وجه العدو المشترك، وأطرق ريجان ملياً وأعجب بالفكرة.

وكان أحد المفكرين الأمريكيين قد كتب كتاباً يحذر فيه من الجهاد الأفغاني، ويتوقع له أن يهزم روسيا، ثم يقتحم روسيا نفسها، ثم يتوغل في أوروبا حتى يصل أعماقها، وعندها تضطر أمريكا لدخول الحرب بنفسها، ويحذر أمريكا من الانتظار، ويحثها على اتخاذ مبتها وإعداد عدتها لهذا الأمر الخطير، ثم قدم كتابه على التلفاز الأمريكي.

ثم زار مستشار الإدارة الأمريكية البابا في الفاتيكان وقال له: لا بد أن تثار حرب صليبية قبل أن تتم الصحوة الإسلامية وقبل أن يفتخر المسلمون مرة أخرى على قمم أوروبا.

وباختصار: إنهم جميعاً يقولون: لا بد من إعادة العلاقات الجبار الإسلامي إلى القمم قبل أن ينطلق، وقبل أن يمسك بقبضته الحديدية رقابنا ونؤذي الجزية له عن يد ونحن صاغرون.

ثم كانت المحاولة الأخيرة، واستخرج أخيراً وفد إلى أمريكا ليجلس مع ريجان لينقل التلفاز في كل العالم صورة اللقاء، وعاد أعداء هذا الجهاد يفركون أيديهم فرحاً، وصاروا يعزفون على تلك السيمفونية القديمة: إن الجهاد الأفغاني صراع بين أمريكا وروسيا، وإن الجهاد الأفغاني يحركه وتوجهه المخابرات الأمريكية C.I.A وتعمده بالمال والسلاح، وقد صدم الصادقون لهذا اللقاء، وصعقوا لهذا المنظر، واللعلم:

١- فإن هذه المقابلة يرفضها الأستاذ سياف أمير الاتحاد الإسلامي لأفغانستان، والأستاذ حكمت يار أمير الحزب الإسلامي، وقوتهما معاً تزيد عن نصف قوة المجاهدين مجتمعة، ووجود هذين القائدين -إن شاء الله- يحفظ للجهاد أصالته، ويحمي خطه من الانحراف، وقد صرح كل منهما بذلك للصحف.

٢- إن أمريكا غير مقبولة أبداً لدى جمهور المجاهدين الذين يحملون السلاح في خنادقهم، وقد تجد أكثر من ٩٠٪ ناقلين على أمريكا نقمتهم على روسيا.

٣- إن المجاهدين المخلصين يرفضون أن يتسلموا روبية واحدة من أمريكا، وهذا الذي صرح به حكمت يار في أمريكا لدى الصحفيين بأننا لم نثق أي مساعدة من أمريكا ولا من مخابراتها.

٤- هنالك خمسون مليون دولار خصصتها أمريكا للتعليم في داخل أفغانستان هذا العام، ورفض المجاهدين وعلى رأسهم سياف وحكمت يار أن يتسلموها بعد محاولات يائسة من المستشار الأمريكي عن التعليم في السفارة الأمريكية في باكستان، وقد يرجع هذا المبلغ في شهر أكتوبر إلى الخزينة الأمريكية مرة أخرى.

لقد رفضوا أن يفتح الأميركيان مدارس سواء في بيشاور أو أفغانستان، رغم أنه يوجد أكثر من مليون طالب أفغاني يتسكعون في الطرقات ليس لهم مدارس حتى في النيام.

إن ابن الأستاذ سيّاف نفسه عمره في الخامسة عشرة ولم يكمل الأول الابتدائي، أما عن التعليم في داخل أفغانستان فيحتاج مجلداً كاملاً لوصف ملساته ومصيبته.

٥- إن المناورات الحالية بين أمريكا وروسيا إن خدع بها المجاهدون فستؤدي إلى إلقاء المجاهدين للسلح من أيديهم، لتستقر روسيا أو حكومتها إلى ما شاء الله في أفغانستان، ريثما يأتي موعد للقنزة الأخرى على المياه الدافئة في بحر العرب عبر إقليم بلوشستان.

٦- لقد خدعت روسيا بخارى من قبل فهادنت المجاهدين (البسمشي) على أن تعطيهام استقلالهم وحريتهم، وبعد ستة أشهر عادت واحتلت بخارى بعد أن سقط السلاح وانتهى الجهاد، وانتهت بخارى إلى أجل لا يعلم مداه إلا الله.

بني أفغان فلتدعوا الأمانسي وألقوا عنكم الأحلام القوا

فمن خدع السياسة أن تغروا بالقباب الإمارة ومسي رقي

وختاماً نبتهل إلى الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

٧- أن أمريكا تريد أن تظهر بمظهر الوصي على الجهاد الأفغاني، وإنها أمه التي تحضنه، وظنره التي ترضعه، وإن الأمور بأيديها، وإن مقاليد الجهاد في قبضتها، فنعوذ بالله من ولاية الكافرين ومساندة الظالمين. قال تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخلوا البيوت والنفوسى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منكم فإن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين. ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمحكم محيطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين- يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم. إنا وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين اتخلوا الذين اتخلوا دينكم هزوا ولعنا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء وانقرا الله إن كنتم مؤمنين) {المائدة: ٥١-٥٧}.

فترجو الله أن ينصر الجهاد والمجاهدين، وأن يحفظ ثمرات الجهاد للأبرار، وأن يحرمها الطغاة والأشرار، وأن يحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

المفتي "جل الرحمن" (١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، وبعد:

فلا زال هذا الجهاد العظيم يحيي النفوس بما يقدم يومياً للساحة الإسلامية من أفذاذ، وما يسطر في واقع الناس من أساطير أبعد من الخيال، ولكنها واقع مكتوب بالدماء، مترج بالجماجم والأشلاء.

عرفت على طريق هذا الجهاد المبارك نماذج ليس لها ذلك البريق الإعلامي الجذاب، ولا ذوي الشهرة الخادع الذي غالباً ما يخلب ألباب الجماهير، ويضع الحقيقة تحت أبواب الإعلام والمزامير.

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد الواحد والمشرق - ذو الحجة / ١٤٠٦ هـ، أغسطس / ١٩٨٦ م.

فمن عرفته: أسد كونه (جل الرحمن أي زهرة الرحمن) شاب في السابعة عشرة من عمره، مشرق الوجه، لم يكتمل نبات الشعر في وجهه، بدأ الجهاد وهو في العاشرة من عمره، إذ أنه فجر دبابة بلغم وهو في العاشرة، وواصل جهاده في منطقته مع أقاربه، وأصبح الموت يفزع منه، كان يحمل نفسية رقيقة ولكنه في شجاعة الأسد، حياته الجهاد، ونعيمه الجلاء، لا يهدأ ولا يقر إلا إذا دوت المدافع وهدرت الدبابات ولعلعت الرشاشات.

قتل أكثر من مائة شيوعي، وذات مرة أسر أسيراً من الشيوعيين وأجبره أن يحمله بين كتفيه، ويعد أن أوصله إلى نصف الطريق نزل عنه وقتله، كان في أيامه الأخيرة يقوم بعملية كل يومين، وفي إحدى الهجمات الروسية حيث هجم الروس على معسكرهم (أسامة بن زيد) كان يضرب عليهم بالرشاش -الدشكا-، فقتل بشهادة قائد المعسكر حوالي خمسين منهم، حيث كانت دعاء الروس تغطي بقاعاً كثيرة من سفح الجبل الذي دارت فوقه رحى المعركة.

وفي اليوم الثاني من نيسان ١٩٨٦ دخل الروس معسكر أسامة بن زيد، ولم يكن جل الرحمن حاضراً، وهرع عندما سمع الخبر، وأخذ على عاتقه هو وأربعة آخرون من شباب المعسكر (أسد الله وجعفر ومستقيم ورابع) أن يطهروا المعسكر من الروس، وأخذ يتابعهم من موقع إلى موقع، وهم ينسحبون ويجرون وراهم ذيل الخزي والهزيمة، وفي اللحظات الأخيرة أصابت جل الرحمن رصاصة تلقت المنية إثرها فوراً، وبقي جل الرحمن بعد استشهاد على هيئة الرمي يصوب رشاشه نحو الروس، فظنه الروس حياً يطاردهم، فلم يجروا أن يقتربوا منه لأخذ رشاشه، وبعد انتهاء المعركة جاء أسد الله والمجاهدون ليروا جل الرحمن بابتسامته التي كانت تسبغ على وجهه إشراقة عجيبة، بقيت هذه الإشراقة والابتسامة بعد الشهادة ولكن مع الهيبة والصفاء.

كان يراه الراي يظنه نائماً، يتثنى بين أيديهم كالنائم...

مضى جل الرحمن إلى ربه وترك في قلوبنا أثراً عميقة وبصمات واضحة لا تنسى تذكرنا بأن القتال هو مصانع الرجال.

مفتي القدس يصرح : الشعب الأفغاني ينتحر لأنه يواجه روسيا.

أقارن بين جل الرحمن الذي استشهد وهو في عمر الورد وبين مفتي القدس (سعد الدين العلي) الذي يصرح في مقابلة صحفية إلى جريدة النور القاهرية في ٣ ديسمبر سنة ١٩٨٥ أن الشعب الأفغاني ينتحر لأنه يواجه روسيا، وأن أمريكا قد زجت بالشعب الأفغاني في هذه المعركة ليكون وقوداً لاموائها، ولتشفل به روسيا وتستنزف طاقاتها العسكرية والاقتصادية، ثم ينصح سماحة المفتي الشعب الأفغاني بأن يصالح روسيا، وليت مفتي القدس جاء بنفسه إلى حدود أفغانستان لأخذ بيده إن كان يستطيع المشي، أو أركبه على حصان على حسابي وأوصله إلى حدود روسيا في مسافة تصل إلى ألف كيلومتر لا يرى فيها جندياً روسياً واحداً، وليس للروس إلا الطائرات التي تحلق في السماء.

الفرع العالمي بسبب استمرار الجهاد :

ليت سماحة المفتي عرف التوكل الذي يعرفه غلمان الأفغان الذين لا يحفظون إلا الفاتحة، وليته رآهم وهم يشيرون إلى الطائرات المارة يرددون (افعلوا ما شئتم لن ندع لكم شبراً من أرضنا).

ليت سماحة المفتي سمع أحد الضباط الروس يعلق على معركة جاجي رمضان ١٤٠٦ هـ قائلاً: (لو أردنا أن نقاتل حلف الأطلسي ما استعملنا بخططاً ولا أعدنا عدداً غير هذه، ومع ذلك لم نستطع أن نحز نصرأ).

ليت سماحة المفتي كلف نفسه أن يزور حدود أفغانستان لأريه حطام مائتي دبابة وآلية في (تشمكني) في معركة رجب ١٤٠٦ هـ على مركز واحد صغير (تشمكني).

ليت سماحة المفتي قد اطلع على خسائر الروس في سنة ١٩٨٥ وعرف أن المجاهدين قد أسقطوا ٣٠٢ طائرة، ودمروا ١٣٢٨ دبابة، وحطموا ٣٠٢ سيارة وناقلة، وخربوا ٧٥ مدفعاً.

فإنما الطائرات فقد اعترفت بهذا الرقم النواثر السياسية وأجهزة المراقبة المهمة بهذا الجهاد، فقد سجلت دواثرها سقوط ٣٠٥ طائرات، أي أكثر من الرقم الذي ذكره المجاهدون.

لقد نسينا بعد الهزيمة الروحية والنفسية أمام ضفط الواقع الحاضر وبسبب الهجوم الاستشراقي الماكر (عقيدة التوكل على

الله). وغاب عنا طريقاً التعامل الحق مع الملك الحق سبحانه بصفاته وأسمائه، لقد بتنا وليس لصفات الله تعالى أثر في التعامل الحياتي في شوارع بلاد المسلمين ولا في أذهانهم ولا مشاعرهم، صرنا لا نصق أن الله عز وجل أقوى من روسيا وأمريكا، وإن كنا نتكلم أحياناً كلاماً لا يتجاوز لسان هذه الصفات.

ولو استيقنا حقيقة من أعماقنا أن الله أقوى من اليهود ما وصلنا إلى هذا الحضيض الأسنى في مستقع الذل.
ولو اعتقدنا فعلاً كما يقول الأفغان أن الله أقوى من روسيا فسيهزمها، لم تجثم حفنة من اليهود على قلب العالم الإسلامي أخذه بخناقه، مهددة استقراره وأمنه ودينه وحضارته.

ليت شعري لو أترك سماحة المفتي مقدار الفزع العالمي بسبب استمرار هذا الجهاد وإيقاظه مشاعر المسلمين حتى باتت أمريكا نفسها تفكر ليل نهار بالخروج الحسن من هذه الورطة التي أيقظت ألد أعدائها (المسلمون)، وأخذت تفكر جدياً في وضع كلام نيكسون موضع التنفيذ إذ قال لها نيكسون بأن تتفق مع روسيا للحيلولة دون قيام حكم إسلامي في أفغانستان.

الصلح مع الكفار باطل إذا تعيّن الجهاد :

وأتمنى لو رجع سماحة الشيخ إلى كتبه التي درس بها في الأزهر ليرى حكم الجهاد في فلسطين وأفغانستان، وسيرى الشيخ في كتب المذاهب الأربعة هذا النص الفقهي: (إذا وطئ الكفار شبراً من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم حتى تخرج المرأة دون إذن زوجها، والولد دون إذن والده، والمدين دون إذن دأته، والعبد دون إذن سيده)، وسيجد الشيخ في الكتب الفقهية كذلك أن الصلح مع الكفار باطل إذا تعيّن الجهاد، ولذلك فنحن ننصح للشيخ أن يستغفر ربه وأن يحث الشباب الفلسطيني حوله أن يرفعوا راية الجهاد ليظهروا القدس من الأوغاد، ومن أدناس الرجس والفساد، لأن الأمم التي تعيش في التي تحسن صناعة الموت.

وإن شاء الشيخ فعلى الطريق عنده في فلسطين نماذج رفيعة قدمت لهذا الدين وأستشهدت لرفع رايته وإعلاء مبادئه.
وقارنوا بين موقف الشيخ والآلاف المؤلفة من الشباب في أفغانستان، فقد أعاد الله بها العزة للأمة الإسلامية بكاملها، وعادت نماء الحياة تسري في عروقها من جديد، وعاد المسلم الحق يحس أنه أعز إنسان على وجه هذه الأرض بإسلامه، وأنه الأعلى بإيمانه.
ولا زالت صورة محمد شاه في مخيلتي، شاب بدأ الجهاد في الرابعة عشرة من عمره في مزار شريف، وقد نظر لاغتيال كبار الشيوعيين، فكان يلبس لباساً كآباء الشوارع (الجينز)، ويطلق سائفه وشعره كالخنافس، ويركب الدراجة النارية، ويلاحق أقطاب الشيوعيين في الشوارع العامة يقتلهم ثم يختفي، كان في قواعد المجاهدين مع إخوانه الثلاثة حتى ذهب أحدهم لزيارة أمه، ولبت يومين أو ثلاثة قالت له أمه (هذا مكان النساء وليس الرجال)، وبقي هذا ديدنه حتى قتل حوالي ١٥٠ شيوعياً، وأخيراً استشهد وهو في سن الثامنة عشرة من عمره.

وقابلت شاباً ثالثاً: فقالوا لي هذا الشاب أحضر سيارة محافظ هرات وسلمها لحكمتيار في بيشاور، فقلت له كيف صنعت هذا؟ قال : وجدت محافظ هرات ومستشاره الروسي على باب وزارة الداخلية في كابل، فقتلتها وركبت السيارة من كابل حتى وصلت بيشاور وسلمتها لحكمتيار!.

كل واحد من هؤلاء الشباب لسان حاله يردد :

مسلم يا صغاب لن تقهريني	صارمي قاطع وعزمي حديد
من دعائي في مقفلات البراري	يطلع الزهر والحب والسورود
وإذا صرت في الحياة غرباً	فأنا الدُر والجمان الفريد
إن أرضاً ما سرت فوق ثراها	حظها التيه والضياح الأكيد
وإذا زغرد الرصاص وغنى	يخسأ العزف والغنا والنشيد
ولديني أحيا وأبسل روحني	ولصباحه دعائي وقود

ولغير الإسلام عمري هشيم واخضرار الحياة يوم يسود

ولا أستطيع أن أتابع الذكريات وهي تتثال عليّ، ولا أن أعد التماذج وهي تتزاحم في مخيلتي، وكان آخرها شاب من "سرخاب" اسمه بابري يقف على الشارع العام (كابل/جاردن) في الثانية والعشرين من عمره دمر في التاسع عشر من تموز ١٩٨٦ أربع دبابات بقذائف (أر بي جي ٧) ثم استقبل الشهادة رافع الرأس.

وختاماً، فإن هذا الجهاد كلما شق طريقه في واقع الحياة لابد أن يكثر أعداؤه ويزداد نقاده.

ونحن ازاء هذا الجهاد نحب أن نسمع نكده سواء نقداً أو مدحاً، لأننا عندما نسمع الجهاد الأفغاني تتحرك أوتار القلوب وتنتشي شغاف الأفئدة.

ونكّل الحاقدين إلى الله، ونضرع إلى الله من وجل أن يجزل مثوبة المخلصين لهذا الجهاد الكريم.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

المرجفون .. والأمل المريض^(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره .. وبعد:

ففي الوقت الذي تكالبت على المسلمين الأحزاب في الجزيرة العربية يقودها أبوسفیان بعشرة آلاف من قريش وخطفان وبنو أسد وفزارة وأشجع وبنو مرة، يقجج أوار المعركة رقدس اليهود وأئمة الكفر حيي بن أخطب وسالم بن مشكمة وسالم بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع، في هذا الوقت الذي تقول عنه أم سلمة رضي الله عنها (شهدت معه -صلى الله عليه وسلم- مشاهد فيها قتال وخوف المرسيع وخيبر وكنا بالحديبية وفي الفتح وحين، لم يكن ذلك أععب للرسول -صلى الله عليه وسلم- ولا أخوف عندنا من المحتدق، وذلك أن المسلمين كانوا فيها مثل الحرجة، وأن قرظة لا تأمنها على اللراري، فالمدينة تحرس حتى الصباح تسمع فيها تكبير المسلمين حتى يصبحوا خوفاً، حتى ردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً).

في هذا الوقت العصيب جاء خبر نقض قرظة لعهدا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فبعث إليهم السعديين (١) معاذ (ابن عباد) وخوات بن جبير وعبد الله بن رواحة ليعرفوا هل هم على عهدهم أم قد نقضوه، فلما دتوا منهم فرجدوهم على أخيث ما يكون، وجاهرهم بالسب والعداوة، وثالوا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أنصرفوا عنهم وخشوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لحنأ يخبرونه أنهم قد نقضوا العهد وغدروا، فعظم ذلك على المسلمين، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عند ذلك: (الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين) (٢).

البشرى مع المحنة القاسية والأزمة الخائفة، إنه يريد أن يبقى الأمل العريض يحرك مسيرتهم ويوجه ركبهم ويحيي نفوسهم، إن الأمل يخفف كثيراً من آلام المعركة، ومن عناء المسيرة، ومن مرارة المعاناة.

إذا شكت من كلال السير أوعدا روح القوم فتحيا عند ميعاد

إنه -صلى الله عليه وسلم- يعلم أن اليأس قاتل للنفوس، مدمر للمجتمعات، يشل حركتها، ويجفف منابع الخير فيها، ولذا قد [إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون] (يوسف: ١١٤).

إن المحن وأهوال القتال وضراوة المعركة وشراسة اللقاء ضرورة ماسة، فقد علم الله أن هذه الخليقة البشرية لا تصاغ صياغة سليمة، ولا تنضج نضجاً صحيحاً، ولا تصح وتستقيم على منهج الله إلا بهذا النوع من التربية التي تحفر في القلوب، وتُنقش في الأعصاب، وأما القرآن والسنة فانهما يوجهان القلوب وهي منصهرة بنار الفتنة، ساخنة بحرارة الابتلاء، قابلة للطرق، مطاوعة

١- نشرت في مجلة الجهاد - العدد الثاني والعشرون - ٢٢ محرم / ١٤٠٧ هـ ، سبتمبر / ١٩٨٦ م.

٢- زاد المعاد (٢/٢٧٢)

لصبغة.

ولكن ومع نار المحنة لا بد من الأمل، ومع طول المسيرة لا بد من نسحة البشرية، تدفع الجموع الصادقة، وتوجه النفوس الغالصة.

لا بد من إلغاء اليأس من قاموس الدعوات، ولا بد من نقي الملل من معجم الحركات، ولا بد من مسح القنوط من كتب الجهاد ومن مخيلات المجاهدين.

ولذا لا بد من إشاعة البشرية وكنم عوامل الضعف عن جمهور الأمة، فقد أوصى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سعد بن معاذ أنه إذا نقضت قريظة عهداً فلا بد من كتمان الخبر، وإذا لم تنقضه فالأولى إشاعة الأمر بين المسلمين.
إن نشر الإشاعات المرجفة بين المجاهدين أثناء المعركة يفت في عضدهم، ويوهن عزائمهم، ويخلخل صفوفهم، ولذا نص الفقهاء على أنه لا يجوز اصطحاب مثبِّط ولا مرجف ولا مخذل ولا معوق^(١).

{لَوْ خَرَجُوا فَبِكُمْ مَا زَادَكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أَرْضَعُوا خَلَالَكُمْ يَغْفِرُكُمْ فِيكُمْ سَاعُونَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} (التوبة: ٤٧).

ولذا فقد أدت بعض الإشاعات في وسط المعركة إلى هزيمة المسلمين مثل إشاعة مقتل عبد الرحمن الغافقي قائد بلاط الشهداء (بواتيه) في فرنسا سنة ٧٣٢م، والتي مُزِم فيها المسلمون أمام جيوش شارل مارتل الذي حرم بسيفه أوروبا من نور الإسلام وهدى إلى يومنا هذا.

لقد مرّت بنا أيام في إبان حكم عبد الناصر اشتد فيها الظلام، وخلا الجو للشيطان يترع الأرض شرقاً وغرباً، وانزوى المسلمون المطاردون بالإعلام الناصري في زوايا النسيان، وأصبح المسلم غريباً غربة ما عانى الإسلام مثلاً، وفي هذا الوقت العصيب يخرج الأستاذ سيد قطب رحمه الله كتابه من أعماق السجون ومن وراء قضبانها (المستقبل لهذا الدين)، ولم تمض عشر سنوات حتى بدت الأزمة تنفجر، وبدأت البشائر تلوح في الأفق، وبدأ بصيص النور يقوى ويحيي الأمل في النفوس.

واليوم هنالك بعض الأفراد يشككون في هذا الجهاد المبارك، ويضعفون مساوئه، ويخفون حسناته، ينشرون السلبيات ويكتمون الإيجابيات، ويقولون إن فيه بدعاً وشركيات وفجوراً والتواءات، وليتهم نقلوا الصورة صادقين، بل ليتهم نصحوا بحكمة ولين، ليتهم يدركون أبعاد هذه الشائعات المفرضة، إنهم لا يعلمون أنهم يطعنون هذا الدين بطعن هذا الجهاد من حيث يظنون إنهم يخدمون هذا الدين.

إنهم لا يعلمون أن العالم كله الآن يرقب باهتمام بالغ وحرص شديد نتيجة هذا الجهاد، اللهم إلا المسلمون فإنهم عن الجهاد لغافلون.

يقول محمد أسد^(٢) (الأمريكي المسلم، صاحب كتاب "الإسلام على مفترق الطرق"): "إن العرب والمسلمين يلهون ويلعبون بأخطار قضية في الأرض، إنهم أغفلوا أهم قضية في الأرض، وجحدوا حقوق أفضل شعب فيها وهو الشعب الأفغاني، إنهم تركوه وتقاسوا أوصاله وقدرته القتالية ووفاءه لدينه ورجولته، إنهم أغفلوا دوره الذي ينتظره العالم بأجمعه".

فإلى الإخوة الذين ينشرون أخطاء هذا الجهاد، بصدق نقول: إن المسلم يعمل مهما كانت الظروف لأن عليه الأخذ بالأسباب، والقتال بيد رب العالمين.

إن المسلم مأمور أن ينفذ الأوامر الربانية، ويدع المقابر للعناية الإلهية، ولذا أمرنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الصحيح^(٣): {إِذَا كَانَتْ الْقِيَامَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَصِيلَةٌ فَلْيُفْرِسْهَا}.

إن التوكل على الله هو جماع الإيمان، وقد ضمن الله لمن توكل عليه القيام بأمره وكفايته مع فقال: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ

(١) تفسير القرطبي (٢/٢١٨).

(٢) من حديث الشيخ بكر خضير، نقله من محمد أسد.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند برقم (١٨٤ / ٣) بلفظ (إن قامت على أحدكم القيامة ...).

حسبه {الطلاق. ٣}.

{ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم} (الأنفال: ١٦) أي عزيز لا يذل من استجار به، ولا يضيع من لاذ بجانبه، حكيم: لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره، وكما قال ابن القيم في طريق الهجرتين ^(١) «فالتوكل مركب السائر الذي لا يتأتى له السير إلا به، ومتى نزل منه انقطع لوقته، وهو من لوازم الإيمان ومقتضياته».

ويقول أيضا «التوكل يجمع أصلين: علم القلب وعمله، فأما علمه: فيقينه بكفاية وكيله وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك، وأما عمله: فسكوته إلى وكيله وطمانينته إليه، وتقويضه وتسليمه أمره إليه، ورضاه بنصرته له فوق رضاه بتصرفه هو لنفسه» .

وأما المرجفون المغرضون، أو الجاهلون الصادقون فنقول: إن أحدهم يرى بيته بين حانة خمر ومرقص في بلاده ومع ذلك فلا غيره ولا نكير، ونقول لهم الحديث القدسي في البخاري.. {من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب..} ^(٢) فكيف بإيذاء أولياء الله!

ونقول لهم إن الأدب الشرعي أن نرد الأمر إلى المسؤولين {وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أئمة الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً} (النساء: ٨٣)

فإذاعة أخبار السوء عن الجهاد والمجاهدين ونشر سلبياتهم اتباع للشيطان.

ولا يقول أحد إن المسلمين لا خير فيهم، أو معظمهم مشركون هالكون.

ففي الصحيح {إذا قال العهد: هلك الناس فهو أهلكهم} روى مسلم ^(٣) عن أبي هريرة مرفوعاً.

وفي صحيح مسلم ^(٤) عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً: {هلك المتطعون، قالها ثلاثاً} .

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

عشرون عاماً على الشهادة^(٥)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ففي ليلة الخامس من ذي الحجة، وفي تلك الخيمة المتواضعة على ضفاف نهر سرخاب من ولاية لوكر، حيث الماء كاللجين، وعلى شاطئ الوادي بساتين التوت والمشمش تحيل المكان إلى قطعة ساحرة من الجمال الأخاذ، والروعة الباهرة التي تأخذ بالآل باب.

في هذه الليلة وبعد يوم حافل بقصف الطائرات الذي استمر من بعد صلاة الفجر حتى المساء جرى ذكر الأستاذ سيد قطب -رحمه الله تعالى- فتنهبت أنفنا في شهر أغسطس، الشهر الذي استشهد فيه، وأنه قد مضى عشرون عاماً على شهادته، فكان لابد من الكتابة عنه ولو شذرات وأسطراً وذلك رمزاً للوفاء وعنواناً للمودة والإخاء.

لقد بدأت أقارن بين تلك الأيام التي كان يكتب فيها سيد من وراء القضبان للجيل، حيث كتب الله لي أن أعيش تلك الأيام التي أرخى الليل فيها سدوله على المنطقة، وأدلهم ظلامها، وضاعت الأرض بما رحبت على الدعاة، وخلا الجو للشيطان الرجيم يذرع الأرض شرقاً وغرباً.

أذكر تلك الأيام - لا أعادها الله علينا- ولا أذكر أنني رأيت فيها فتاة واحدة من المتعلمات محجبة في بلدي، وعندما كنا نرى فتاة تلبس جوارب تحت لباس المدرسة الذي يكاد يصل ركبته تعجب بأخلاقتها ونتحدث بأدائها.

(١) - طريق الهجرتين لابن القيم ص - ٣٢٦

(٢) سبق تخريجه

(٣) في مختصر مسلم برقم (١٨٢٢)

(٤) في مختصر مسلم برقم (١٨٢٢)

٥- نشر في مجلة الجهاد - العدد الثالث والعشرون - ٣٣ صفر ١٤٠٧ هـ الموافق أكتوبر ١٩٨٦ م.

كان في جامعة القاهرة التي تعد فيها الفتيات حوالي خمسين ألفاً فتاة واحدة ملتزمة بالناس الشرعي وهي ابنة شقيقة سيد قطب -رحمه الله تعالى-.

أذكر أن مظاهرة خرجت في عام ١٩٦٧ قبل الاحتلال اليهودي بثلاثة أشهر في المدينة التي أنا منها -جنين/فلسطين- تعبر عن سخطها على اليهود، وتندد بالظالمين، وتهتف بحب عبد الناصر، فلم تجد تعبيراً صادقاً عن سخطها أوضح ولا أقوى من أن تسخر دار الدعوة الإسلامية وتمزق المصاحف والتفاسير وتلقيها في شوارع المدينة^(١) ولا زال منظر أوراق المصاحف يهز الأوصال بشكرها.

ولم يفسح الأجل للأستاذ سيد أن يرى الثمار المباركة التي أثمرها الله عز وجل من غراس قلعه المبارك .
لم ير الصحوة الإسلامية، ولا رجوع الجيل إلى الله، ولكنها الكلمة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.
وددت يوم سمعت الحكم عليه بالإعدام أن أفنديه بنفسه وأمي وأبي، وأذكر أنني كتبت برقية لعبد الناصر أقول فيها: (الدعوة لن تموت، والشهداء خالدون، والتاريخ لا يرحم).

كنت أظن أن شهادته ستحدث فراغاً في المنطقة، ولكن [الله يعلم وأنتم لا تعلمون]، ما كنت أظن أنه سيحصل هذا الذي الهائل بشهادته، وأن أفكاره ستعم المنطقة، بل العالم الإسلامي كله، فتحيها الأجيال.

مميزات سيد قطب :

لقد تميزت كتابات سيد قطب بمميزات كثيرة أفردتها من بين الكتابات المعاصرة، وجعلتها فذة مشرقة، وعلى رأس هذه المميزات التي ميزته وميزت كتاباته:

- نفاذ البصيرة وعمق النظر: وذلك راجع أولاً وقبل كل شيء إلى الإخلاص الذي تلمحه من خلال عباراته -كما نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً-، والإخلاص يورث الفراسة {اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله} ^(١).

وأما عمق النظر فهذا يدركه كل من قرأ (المستقبل لهذا الدين) الذي صدر في الوقت الذي خيم فيه الظلام على المنطقة، ولم تعد ترى فيها بصيصاً من نور في هذا الليل اليهيم، وكثيراً ما كان يردد: ستهب في المرحلة القادمة على المنطقة رياح من الإسلام الأمريكي؟! وقد كان!

ولقد رأيت هذه الملامح على تفكير أخيه الأستاذ محمد قطب -حفظه الله-، فكثيراً ما كان يحدث بأمور يتوقعها كنت أحسبها أيامها ضرباً من الخيال، أو إغراقاً في الأوهام، ثم رأيتها واضحة جلية في واقع الأرض .

- سعة الأفق، وهذا راجع إلى عاملين..

أولهما: الاطلاع على المخطط العالمي لضرب الإسلام.

ثانيهما: سعة ثقافته واطلاعه على الثقافة الإنسانية.

أما اطلاعه على المخطط العالمي لضرب الإسلام ممثلاً بالحركة الإسلامية، فلقد كان مبعوثاً لوزارة المعارف المصرية إلى أمريكا في الوقت الذي لم يكن يعرف فيه حقيقة الإسلام بعد، ولم يلتزم بعد بتعاليمه، فيقول عن نفسه وهو في طريقه إلى أمريكا: (كنت أحد ستة نفر من المنتسبين للإسلام في باخرة تشق عباب الأطلسي ميمعة شطر أمريكا)، وفي أمريكا جرت له حادثتان كانتا سببا لدخوله في الحركة الإسلامية (كما حدثني بذلك أحد أرحامه):

أولهما: كما يحدث هو: كنت في ١٣ شباط ١٩٤٩ مستقياً على أحد أسرة مستشفى في أمريكا، قرأت رقصاً صاخباً وموسيقى وأنواراً، ورأيت الابتسامات تملو الوجوه، والفرح يغمر المستشفى، فقلت: أي عيد هذا الذي تحتفلون به؟ قالوا: اليوم قتل عدو النصرانية في الشرق، اليوم قتل حسن البنا.

قال: فهزنتني هذه الكلمة من أعماقي.

(١)- أخرجه البخاري في التاريخ والترويض عن أبي سعيد الخدري وهو في صحيح الجامع الصغير برقم (١٢٧)

ثانيهما: إن السفارات العالمية كانت تتسابق على اصطحاب الشباب المسلم، وسيد كصحفي معروف كان أحد هؤلاء الذين تلدور حولهم العيون ليكون صيداً سهلاً وفريسة مستساغة لصائده، فدعاه مدير الاستخبارات في السفارة البريطانية في واشنطن إلى بيته.

قال سيد: فعندما دخلت بيته كم أذهلني مفاجأة أنني رأيت عنده كتاب (العدالة الاجتماعية)، ولم يكن قد وصل أمريكا إلا نسخة واحدة أرسلها لي أخي محمد، إذ أنه قد أشرف على طباعة الكتاب في غيابي، وبدأ الحديث عن الشرق ومصر وتوقعات المراقبين بأن الوريث للحكم الملكي القائم هو أحد اثنين: إما الشيوعيون وإما الإخوان المسلمون، والمرجح أنهم الإخوان، ثم بدأ يفتح لي ملفاً خاصاً بالإخوان فيه من التفاصيل والجزئيات مما يدق على أبناء مصر أنفسهم حتى المختصين، ثم قال: إذا وصلت جماعة الإخوان إلى الحكم فإنها ستحرم مصر من ثمار الحضارة الغربية، ثم قال أخيراً:

نحن نهيب بأمثالك من المثقفين أن يحولوا بين الإخوان وبين الوصول إلى الحكم، لأن وصولهم هو نهاية مصر المؤسفة الأليمة؟ قال سيد: وفي بيت مدير الاستخبارات البريطاني في واشنطن قررت أن أدخل جماعة الإخوان فور عودتي، لأنه لا يمكن لجماعة تكيد لها الدوائر العالمية هذا الكيد أو تخطط ضدها هذا التخطيط إلا أن تكون الجماعة على الحق.

لقد دخل سيد جماعة الإخوان، وقد عرف بنفسه الكيد الهائل ضد الإسلام والكراهية العميقة التي لا يمكن للغرب أن يخفيها. - وأما سعة ثقافته: فيقول عن نفسه ^(١) (إن الذي يكتب هذا الكلام إنسان عاش يقرأ أربعين سنة كاملة، كان عمله الأول فيها هو القراءة والاطلاع في معظم حقول المعرفة الإنسانية... ما هو من تخصصه وما هو من هواياته... ثم عاد إلى مصادر عقيدته وتصوره. فإذا هو يجد كل ما قرأه ضئيلاً ضئيلاً إلى جانب ذلك الرصيد الضخم -وما كان يمكن أن يكون إلا كذلك-، وما هو بنادم على ما قضى فيه أربعين سنة من عمره، فإنما عرف الجاهلية على حقيقتها.. وعلى انحرافها وضلالتها وقزامتها، وعلى جمعيتها وانتفاشها، وعلم غرورها وادعائها، وعلم علم اليقين أنه لا يمكن أن يجمع المسلم بين هذين المصدرين في التقى).

الجدية: لقد كان سيد جاداً في جاهليته وإسلامه، فلم يكن يهادن ولا يداهن، لقد كان واضحاً كالشمس في رابعة النهار مستقيماً كحد السيف، ومن هنا أخرج مجلة كان صاحب الامتياز فيها المياري، فخرج منها ثلاثة أعداد كلها صودرت ثم أغلقت، ولقد أرسل الملك من يفتاله ولكن الله نجاه من اليد الأليمة..

لقد كان دائماً يردد "أنا لا أستطيع أن أعيش بنصف قلب نصفه لله ونصفه للدنيا" ^(٢).

وكان يقول: إن إصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة لترفض أن تكتب حرفاً واحداً تقر به حكم طاغية، حدثت شقيقته حميدة إثر خروجها من السجن -أنا أسمع- قالت: جازني مدير السجن الحربي حمزة البسيوني يوم ٢٨ أغسطس ١٩٦٦ وأطلعني على قرار الإعدام الموقع من عبد الناصر بإعدام سيد قطب، ثم قال: إن إعدام الأستاذ سيد خسارة للعالم الإسلامي والعالم أجمع وأمامنا فرصة أخيرة لإنقاذ الأستاذ من حبل المشقة وهي أن يعتذر على التفار فيخفف عنه حكم الإعدام، ثم يخرج بعد ستة أشهر من السجن بعفو صحي، هيا فاذهبي إليه لعلنا ننقذه.

قالت حميدة: فتوجهت إليه لأبلغه الخبر، فقلت له: إنهم يقولون إن اعتذرت فسيغفون عنه.

فريت سيد على كتفي قائلاً: عن أي شيء اعتذر يا حميدة!! عن العمل مع الله؟ والله لو عملت مع أي جهة غير الله لاعتذرت، ولكنني لن أعتذر عن العمل مع الله.

ثم قال: اطمنني يا حميدة إن كان العمر قد انتهى فسينفذ حكم الإعدام، وإن لم يكن العمر قد انتهى فلن ينفذ حكم الإعدام، ولن يغني الاعتذار شيئاً في تقديم الأجل أو تأخيرها.

آية طسائنية!! وآية ثقة هذه التي يتمتع بها هذا القلب الكبير!! آية راحة وآية سكينة هذه التي يسكبها الله على الفقراء وعلى النفس المؤمنة!!

ومن علامة جديته: أنه استقال من وزارة المعارف في اللحظة التي قرر فيها دخول الحركة الإسلامية

(١) - مقال في تعريق شريد / ص ١٤٣ - (٢) - مقال عن الأستاذ

- الاحتياط والنور والهيبة أمام النصوص القرآنية، ويبدو هذا من خلال تفسيره لكتاب الله، فيقول -في خلال القرآن- عند آية [حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين] (البقرة: ٢٣٨)

”أشهد أنني وقفت أمام هذه الآية ستة أشهر لا أنتقل إلى ما بعدها، كيف جاءت آية الصلاة بين آيات الطلاق، وكنت أمل أن يفتح الله عليّ في هذه الفترة، ولكن لم يفتح الله عليّ، فإن فتح الله عليّ أحد من القراء فليتنفضل إليّ مشكوراً“ .
ويقول في مقدمة سورة الرعد^(١) (كثيراً ما أقف أمام النصوص القرآنية وقفة المتهيب أن أمسها بأسلوبى البشرى القاصر، المتخرج أن أشوبها بأسلوبى البشرى الفانى، ولكن ماذا أصنع ونحن في جبل لابد أن يقدم له القرآن مع الكثير من الإيضاح.. ومع هذا كله يصيبني رهبة ودرعشة كلما تصدّيت لترجمة عن هذا القرآن).

التركيز على العقيدة وشرح لا إله إلا الله :

لقد مال الأستاذ سيد قطب وقوف الجموع الهائلة من المسلمين واجمة إزاء تصفية الحركة الإسلامية جسدياً سنة ١٩٥٤، فلقد كانت هذه الجموع تسد الطرقات على أبواب دار الإخوان في (الحمية) تنتظر خطاب الأستاذ البنا مساء كل ثلاثاء وتنتظره حتى الثانية عشرة ليلاً وهي تكبر وتهتف، ما بالها الآن بكفاء عمياء صماء؟ بل إن قسماً ليس بالقليل من هؤلاء تبرع بإيذاء الإخوان في داخل السجون بالتجسس عليهم ونقل أخبارهم .

لقد وقف طويلاً أمام هذه الظاهرة، وأخيراً وضع إصبعه على موطن الداء وهو أن هذه الجموع لم تفهم (لا إله إلا الله) .
حدثني أحد الإخوة قال: إن مراسم الإعدام تقضي أن يكون أحد العلماء حاضراً لتنفيذ الإعدام ليلقن المحكوم عليه الشهادتين؛ فعندما كان سيد يمشي خطاه الأخيرة نحو حبل المشنقة اقترب منه الشيخ قائلاً (قل لا إله إلا الله)، فقال سيد -حتى أنت جئت تكمل المسرحية؟ نحن يا أخي نعدم بسبب (لا إله إلا الله)، وأنت تأكل الخبز بـ (لا إله إلا الله) .

وبعد هذا كله (بنو أسد تعزني على الإسلام) كلمة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قالها عندما جاء وفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكون سعداً، حتى قالوا: إنه لا يحسن الصلاة يروي البخاري^(٢) عن قيس قال سمعت سعداً رضي الله عنه يقول: إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله، وكنا نغزو مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى أن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ماله خلط، ثم أصبحت بنو أسد تعزني على الإسلام لقد خبت إذاً وضل عملي) .

وما أشبه اليوم بالبارحة، إن بعض الناس بدأوا يشككون في عقيدة سيد قطب، حتى إنه ترامى إلى مسامعي أن باحثاً يؤلف كتاباً سماه (تنقية الظلال من الضلال) ولقد بالغ بعض القوم حتى قالوا أن سيداً يقول ”بوحدة الوجود“، وكأنهم لم يقرأوا مئات المرات في الظلال التفريق بين الخالق والمخلوق.

والذين يتابعون تغير المجتمعات وطبيعة التفكير لدى الجيل المسلم يدركون أكثر من غيرهم البصمات الواضحة التي تركتها كتابة سيد قطب وقلمه المبارك في تفكيرهم.

والحق أنني ما تأثرت بكاتب كتب في الفكر الإسلامي أكثر مما تأثرت سيد قطب، وإني لأشعر بفضل الله العظيم عليّ إذ شرح صدرى وفتح قلبي لدراسة كتب سيد قطب، فقد وجهني سيد قطب فكراً، وابن تيمية عقيداً، وابن القيم روحياً، والنووي فقهياً، فهؤلاء أكثر أربعة أثروا في حياتي أثراً عميقاً.

ولقد كان لاستشهاد سيد قطب أثر في إيقاظ العالم الإسلامي أكثر من حياته، ففي السنة التي استشهد فيها طبع الظلال سبع طبعات، بينما لم تتم الطبعة الثانية أثناء حياته، ولقد صدق عندما قال: إن كلماتنا ستبقى عرائس من الشموع، حتى إذا متنا من أجلها انتفضت حية وعاشت بين الأحياء .

ولقد مضى سيد قطب إلى ربه رافع الرأس، ناصع الجبين، عالي الهامة، وترك التراث الضخم من الفكر الإسلامي الذي تحيا به الأجيال، بعد أن وضح معان غابت عن الأذهان طويلاً، وضح معاني ومصطلحات الطاغوت، الجاهلية، الحاكمة، العبودية، الاثوية، ووضع بوقفته المشرفة معاني البراء والولاء، والتوحيد، والتوكل على الله، والخشية منه، والالتجاء إليه.

(١) - تفسير الظلال (٢٣٠٨/٤) (٢) فتح الباري / ج ٧ / ص - ٨٣

والذين دخلوا أفغانستان يدركون الأثر العميق لأفكار سيد في الجهاد الإسلامي وفي الجيل كله فوق الأرض كلها، حتى أن بعضهم لا يطلب منك لباساً وإن كان عارياً، ولا طعاماً وإن كان جائعاً، ولا سلاحاً وإن كان أعزل، ولكنه يطلب منك كتب سيد قطب. ركم حزني أن أسمع أن هنالك قواعد جهادية في أفغانستان وعمليات حربية يطلق عليها اسم سيد قطب.

ومن جميل الموافقات العجيبة أن أستاذنا الكبير في الجهاد في فلسطين صلاح حسن كان بعد لعملية في فلسطين يسميها عملية (سيد قطب)، ولشدة ما كانت الدهشة أن صلاح حسن قد استشهد في ليلة ٢٩ أغسطس نفس الليلة التي أعدم فيها سيد قطب.

رحم الله سيد قطب.. وترجو الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

البسم الثاني^(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.. وبعد

فهناك في تلك الخيمة المتواضعة، وبين ظلال التوت بين أشجار المشمش ذات الأغصان الوارفة على ضفاف نهر سرخاب في الأيام العشر التي أقسم الله بها بقوله «والفجر والبال عشرة»، والتي قال عنها -صلى الله عليه وسلم- في رواية البخاري^(٢) «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام -يعني أيام العشر-، قالوا يا رسول الله: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء».

أقول: في هذه الأيام وفي اليوم الرابع من ذي الحجة بالذات.. وكان مساء جمعة، جلست أتحدث مع بعض الإخوة قائلًا: حدثني كثير من الإخوة العرب أن لديهم أمراضاً مرمونة شغيت في الجهاد، فهل وجدتم هذا حقاً في مسيرتكم المباركة؟ قالوا: نعم.

قال عبد المجيد: كان عندي ريو أتعبني في السنة الأخيرة، فعافاني الله منه في الجهاد.

قال سهم: كانت عيني مصابة وأعيتني الحيلة في مراجعة الأطباء، ولم تشب إلا في الجهاد.

وقال القعقاع: كان عندي روماتيزم وعافاني الله في الجهاد، ورغم برودة الجو التي يتوقع منها أن تزيد الروماتيزم.

وقال عبد الله الحزانري: عندي إمساك دائم ينعكس على رأسي وجعاً، ما كنت أطبق الدراسة بسببه، فعافاني الله في الجهاد. وقال أبو مصطفى: كان عندي حساسية شديدة فحقت كثيراً والحمد لله. وقال أبو الحسين: كثير من الهموم والوساوس والتوجعات تتجلى في ميدان الرباط والمعرفة.

وقال إبراهيم: كنت مصاباً بالرعاف الدائم الذي يتصيب منه الدم تصيباً، والآن اختفى أو يكاد، فالحمد لله حمد الشاكرين.

وقال أبو بوهان: لقد كان لدي مغص لم يهد الأطباء إلى كنهه وعلاجه، فعافاني الله في الجهاد.

وقال أبو اليسر: عندي انغلاق في صمام القلب، وكنت إذا صعدت بعض الدرج أشعر بالتعب، وأما الآن فلا أشعر بالتعب رغم أننا نتسلق شواطئ الجبال وقمم الرواسي.

وقد حدثني غيرهم، مثل أبي الحسن أن الام للركب كانت تبرج بي، وكانت تنتفخ وتمتلئ بالسوائل، إذ أن عندي مرض (Ortho Plastic-Strain) فمشيت إلى كابل ولم أصب بأي ألم، مع أنني قبل الجهاد كنت أحياناً أجلس في البيت أياماً لا أتحرك وقال لي باد شاء كل، كان عندي مرض سيلان البول فعافاني الله منه.

قلت ولكن أخطر مرض قد عافى الله منه النفوس وشفى منه القلوب هو مرض الوهن الذي أصاب الأمة الإسلامية (حب الدنيا وكراهية الموت)، فلقد أصاب التوهل جسد الأمة الإسلامية، فأصبح مخدراً يقطع شلواً شلواً دون أن نحس بالكم، وابتلعت الأراضي الإسلامية قطعة قطعة دون عيرة لدى المسلمين، ولم تسمع لهم ركزا.

١ - نشر في مجلة الجهاد - العدد الرابع والعشرون - ٢١ ربيع أول / ١٤٠٧ هـ الموافق نوفمبر ١٩٨٦ م.

٢ - الحديث الأور - من رواية أبي داود في كتاب الصيام وهو مروي عن ابن مسعود وكذلك الترمذي وقال عنه حسن صحيح غريب وأما رواية البخاري فهي في لفظ آخر والروايات جميعها عن ابن عباس.

إن انجهار قد أعاد الحياة إلى كثير من أوصال الأمة الإسلامية التي شئت وفقت الإحساس وأصابها أفتقد والخوات

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

لقد وصلت الهزيمة إلى أعماق الأمة الإسلامية وأرواحها وقنوبها حتى يشتت من كل شيء، وكما يقول الشهيد سيد قطب عند آية {أنفروا خفافاً وثقالاً} : إن النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع على ثقل اللحم والدم، وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان، وتغليب لعنصر الشوق المجنح في كيانه على عنصر القيد والضرورة، وتطلع إلى الخلود الممتد، وخلاص من الفناء المحدود.

إن الاستعلاء على ثقل الأرض وعلى ضعف النفس إثبات للوجود الإنساني الكريم فهو حياة بالمعنى العلوي للحياة، وإن التناقل إلى الأرض والاستسلام للخوف إعدام للوجود الإنساني الكريم، فهو فناء في ميزان الله، وفي حساب الروح المميزة للإنسان، ويمكنك القول: إنه الموت حقاً^(١).

وبجانب هذا هناك مرض خطير عالج الجهاد وتعاني منه البشرية جمعاء وهو مرض (القلق) الذي أصبح شعباً رهيباً يطارد الناس ويقض مضاجعهم ويؤرق أجفانهم.

ففي الحديث الصحيح الذي رواه الضبراني وأحمد: {عليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم}.

لقد أصبحت الأمراض العصبية والنفسية سمة بارزة في الحضارة المادية المعاصرة، وإن السويد لتخصص ٣٠٪ من ميزانيتها لمستشفيات الأمراض النفسية والعصبية والعقلية، وإن حوالي أربعة وخمسين مليوناً من سكان الولايات المتحدة الأمريكية مصابون بهذه الأمراض، ولا نجاة من هذه الأمراض ولا شفاء إلا بالعقيدة الحققة والجهاد.

إن الجهاد في سبيل الله ليخرج من حمأة الجنس ومن مستنقع الشهوات الهابطة أسوداً ضارية يصدق فيهم قول كعب بن زهير:

المكرمين السميري بأذرع كسوافل الهندي غير قصار^(٢)
والناظرين بأعين محمرة كالجمر غير كيلة الأبصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم للموت يوم تعانق وكرار

فحي على الجهاد لشفاء أمراض صدرك، وغسل أوضار روحك، وتضهير علل قلبك.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الشبح الرهيب^(٤)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وبعد:

فقد كان الركب المهيب يتهاذى ميمما شطر البيت العتيق يقود الركب الكريم سيد الخلق -صلى الله عليه وسلم- ومعه ألف وخمسمائة من الأسود الضواري، يلف أجسادهم البياض، وادعين وداعة حمام البيت، سيوفهم في أعقادها، تدوي أصواتهم بالتلبية في أرجاء الصحراء فتقطع صمتها الموحش .

قال الزمري : (وخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجوا معهم العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمر، وقد نزلوا بذئ طوى يعاهدون الله لا تدخلها أبداً، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم، قال : فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : يا أرواح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا الإسلام وأقرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بهتني الله به حتى يظهره أو تنفرد هذه السالفة، ثم قال من رجل يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التي هم بها؟).^(٥)

(١) تفسير الطلاول (٣/١٦٥) (٢) صحيح الجامع برقم (٣٩٤٢)

(٣) السميري الرمح، وسائله الفتاة اعظمها واتصروها كمربا، الهندي الرماح

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٣/١٩٧)

٤- نشر في مجلة الجهاد - العدد الخامس والعشرون - ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ - ديسمبر ١٩٨٦ م.

ما أجملها من كلمة تنطق بلسان حالنا وتعبر عن مشاعرنا ... فنقول - هذا الشباب المسلم في كل مكان الذي يتقلب على مرقدہ كأنما يتقلب شوك القتاد شوقا للقاء إخوانهم المجاهدين في أفغانستان، وتطنعا إلى أداء فريضة الجهاد، لقد أرق أجفانه، وأنض مضجعه أنات التكالى وأهات اليتامى وزفرات المكروبين .

نقول : ماذا على المسؤولين لوخلوا بين هؤلاء الشباب وبين الجهاد لنصرة إخوانهم الأفغان ؟ فإن استشهد هؤلاء الشباب كان للمسؤولين الذي أراونا وأرتاحوا من شروهم ؟؟ وإن رجعوا رجعوا درعا لبلادهم وحصنا لدينهم ومبادئهم .

هذا الشباب إن لم تؤرقه صور المشوهين، واجهته صور المكومين الذين يموتون على الطرقات لا يجنون من يضمد جراحهم أو يخفف آلامهم، كيف لا تكيّ العين على عيون الأطفال التي ندت من مؤقها ؟ وإن لم يذب قلوبهم مناظر القصف الجوي الذي أحرق الأسر يكاملها تظفر الكبد للأعراض التي تنتهك، وكيف لا يتمثلون بأبيات عبدالله المبارك :

كيف القرار وكيف يهدأ مسلم والمسلمات مع العدو المعتدي
القائلات إذا خشين فضيحة جهد المقالة ليتنا لم نولد

شباب صدورهم تغلي كالمرجل، لم يعد يلذ لها نوم ولا تنهأ بطعام :

غاب عن مقلتي لذيد المنام شغلها عنه بالدموع السجام

شباب في كامل طاقتهم، يعيشون الأحداث الجسام التي تف العالم الاسلامي، أحزانهم تاكل أجسادهم، أسود في عقلها تتفلت وتتلقت إلى مخرج، خوت جسومهم واصفرت وجوههم شوقا إلى اللقاء فوق أرض العزة والسماء، كل منهم لسان حاله يردد أبيات التنبي :

يقول لي الطبيب أكلت شيئا وداؤك في شرابك والطعام
وما في طبعه أني جوار أضرب جسمه طول الجمام
تعود أن يغبر في السرايا ويخرج من قتام في قتام

إن طاقة الشباب الضخمة تريد منصرفا ومنطلقا، أيديهم مقيدة، أرجلهم مصفدة، أنفاسهم محصية عليهم، الاقلام تتابعهم، أجهزة الرصد مسلطة عليهم، كالخيل تملك لجمها، يتفتون حولهم يريدون لأنفسهم منطلقا أن يسهموا في هذا القرض الرباني في صرة إخوانهم، فيجنون الحواجز الجغرافية وقيود التأشيرات وفراغ ذات اليد من ثمن التذكرة، يرون العين التي تحملق تكاد عزلتهم بأبصارها، ومع هذا كله فقد استطاعت بعض النماذج أن تتخطى هذه العقبات، وأن تحطم هذه الحواجز والعقاييل - وليت ولاية الأمر إذ تعدوا غضوا الطرف عن هؤلاء الشباب الذين جمعوا ثمن تذاكرهم خلال سنوات بالقرش والقرشين ...

هؤلاء الشباب : منعوا من التفكير في الجهاد في بلادهم، وأصابهم عديد من الأمراض من رطوبة السجون وفي ظلمات غياهبها، لو كشفت عن ظهورهم تنبئك آثار السياط عن مدى إنسانية جلاذيتهم .

مؤامرة تدور على الشباب ليعرض عن معانقة الحراب

كان من عادة الطواغيت أن يبحثوا عن متنفس لهذه الطاقات فلا يجدون لهؤلاء الشباب سوى الصوفية السلبية الانعزالية تمتص طاقاتهم، وتنفس عما يجول في صدورهم .

ونحن نقول : ياويح هؤلاء الطفافة !! ماذا عليهم لو خلوا بين الشباب والجهاد الأفغاني خير متنفس لمشاعر هؤلاء الشباب، يؤدون فريضة الجهاد، من كل دولة أثنى عشرة يزيدون أو ينقصون قليلا، نصفهم يستشهدون، ربعهم تقطع أرجلهم أو تشوه أجسامهم بالقذائف، وتستريح منهم أنظمتهم الحاكمة، ومع هذا كله : فحكوماتهم لا تدعمهم، أجهزة مراقبتها ناشطة، يفتشون جواز كل قادم لعل عليه تأشيرة باكستانية .

وتبدأ الأجهزة تتابع تفاصيل خطوات هذا الشاب منذ خروجه من أرض بلده إلى عودته، وسيكون من السعداء إن نجا من عذاب المستطير، وإن أفلت بنفسه من قبضتهم فلن يفلت جوازه ليحدثوا حركته أو ليجمدوا نشاطه

بدأت الضغوط على السفارات الباكستانية في الخارج لتعقيد معاملات التأشيرات، ولتصبح التأشيرة الباكستانية أصعب من تأشيرة إلى الدول البشورية وكانت من قبل تمنح التأشيرة في المطار لأي زائر ومن أي جنسية كان .

ثم بدأت الخطوط لكثير من الدول لاتقل اي راكب ذاهب إلى باكستان على متن طائراتها الا إذا كان يحمل التأشيرة الباكستانية .

كثير من الأطباء المختصين والفنيين وغيرهم ربوا من أبواب السفارات الباكستانية خائبين بعد أن كانوا يحملون بين جوانحهم آمالا عراضا في خدمة الشعب الأفغاني المسلم المجاهد، بينما لا يتكلف الغربي سوى بضع دقائق لأخذ التأشيرة !! ٩

ففي بيشاور وحدها (٣١) منظمة غربية نصرانية تزاوّل عملها بحرية وتحت التسجيل ست منظمات نصرانية أخرى، وفي بلوشستان (١٢) منظمة نصرانية، وليس في الساحة سوى أربع منظمات إسلامية مسجلة، ومع هذا لا تجد الراحة ولا التسهيلات التي تجدها المنظمات الغربية!! .

أقول : سبحان ربي، المسلم الذي جاء يؤدي فريضة الجهاد يمنع من أداء عبادته، وأما الغربي الذي ليس للدين حساب في معاملاته يجد كل ترحاب !!

أحرام على بلابله النوح حلال للطير من كل جنس

نعم : نحن لا نفعل الرعب العالمي والفرزع الدولي من استيقاظ روح الجهاد لدى الأمة المسلمة، ولقد بدأ الجهاد الأفغاني المسلم بوقف الأمة من سباتها، ولا يغيب عن أذهاننا الضغوط الدولية والمحلية التي تواجهها باكستان.

نعم : نحن ندرك كذلك الجهود الضخمة التي بذلتها الأجهزة العالمية والمؤسسات الغربية والأكاديميات من أجل تشويه عبادة الجهاد في أذهان الجيل، بل لمسح مفهوم الجهاد والقتال وتحويله إلى كلمات ميتة وعبارات جامدة باردة .

نعم نحن نعلم المخططات الرهيبة من أجل تحويل المسلم الذي تزلزل هيئته أوصال الكفر إلى غثاء كفتاء السيل، ومن أجل غرس اللون في أعماق ذراري المسلمين وهو حب الدنيا وكراهية الموت أو كراهية القتال كما جاء في رواية الإمام أحمد الصحيحه^(١).

نعم : نحن نعرف النحل والملل التي اخترعها الغرب من أجل محاربة عبادة الجهاد كالكاديانية والبهائية والبابية وما سبقها من الفرق الباطنية الكافرة كالإسماعيلية والنصيرية .

نعم : نحن نعي التصفية الجسدية لأولئك الذين زاولوا عبادة الجهاد بأنفسهم في فلسطين وسوريا وغيرها .

نعم ونفهم : كيف قتل الأستاذ البنا ١٢ شباط ١٩٤٩م بعد أن أرسل برقية إلى مؤتمر القمة المنعقد في عاليه بالسماح له بدخول فلسطين بمشرة آلاف مسلح، حيث كان الاغتيال في عيد ميلاد فاروق، وعلى يد مدير مخابرات القصر محمود عبد المجيد ؟!!

ونعلم : كيف أقدمت مصر على عقد معاهدة رودس مع إسرائيل بعد اغتيال البنا بيومين في ١٤ شباط ١٩٤٩م .

ونعلم : كيف قرر السفراء الثلاثة الأمريكي والبريطاني والفرنسي حل جماعة الإخوان في ٦ ديسمبر ١٩٤٨م عندما عازمت على دخول معركة فلسطين بثقلها، وألقت بالقرار إلى النقراشي رئيس وزراء مصر لتنفيذه .

وندرك كيف عومل المجاهدون في فلسطين من أبناء الحركات الإسلامية، وكيف اعتقلوا من أرض الجهاد إلى سجن العذاب وسوط الجلاد في مصر .

ونعلم : أن كل من حضر الجهاد في فلسطين وقتاة السريس كان جزاؤه في محكمة الثورة سنة ١٩٥٤م إما الإعدام - وهو الذي لقيه محمد فرغلي ويوسف طلعت وهنداوي دوير ويوسف الطيب ومحمود عبد اللطيف وعلى رأسهم وكيل الجماعة عبد القادر عودة -، وإما الأشغال الشاقة المؤبدة .

وندرى : ضخامة الأجهزة التي تتابع دقائق حركات الشباب الذين يفكرون في الجهاد سواء في مصر أو في غيرها، والمؤامرات التي تحاك ضد الشباب، وتكون التهمة الضخمة البارزة في محاكماتهم هي رغبتهم في الجهاد .

نحن نعرف : الكيد العالمي والمحلي ضد الجهاد (وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم وإن كان مكروهم لتزول منه الجهال)

(إبراهيم، ١٦).

ولكن الذين يكيون يغفلون سنفا وقوانين وهي :

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٧٨/٥) عن ثوبان رضي الله عنه . وهو عند أبي داود برقم (١٢٩٧).

- ١- إن القدره بيد الله: [والى الله ترجع الأمور]- (ال عمران: ١٠٩). «والله يرجع الأمر كله» - (هود: ١٢٢) .
- ٢- {ولا يحق المكر السيء إلا بأهله} قال رجل لابن عباس رضي الله عنه إنا لنجد في التوراة من حفر لأخيه حفرة وقع فيها، قال ابن عباس : وهو في القرآن، وتلا الآية السابقة .
- قال تعالى: {ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون} فانظر كيف كان عاقبة مكركم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين * فذلك ببرئهم خافية بما ظنوا أن في ذلك لآية لقوم يعلمون* وألهبنا الذين آمنوا وكانوا يتقون { (النمل: ٥٠-٥٢) .
- ٣- وينسون [إن الله يدافع عن الذين آمنوا] { (الحج: ٢٨) .
- ٤- وينفلتون [وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط] { (ال عمران: ١٢٠) .
- ٥- ولا يعلمون : «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فيسبغون عليها ثم تكون حبرة ثم يفلتون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون» - (الأنفال: ٣٦)
- ٦- وينسون: [يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون] { (التوبة: ٣٢-٣٣) .
- إن الجهاد هو الشيع الرهيب الذي يقض مضاجع أعداء الله، ولكنهم ينسون البشرى التي بشرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم- [ليهلن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يبقى بيت من مدبر ولا رير إلا ويدخله الله هذا الدين بهز عزيذ أو بذل ذليل، عزا بهز به دين الله، وذلا بذل به الكفر] ^(١) {والعاقبة للمتقين} .
- وسبعاك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

هزيمة أم خديجة!؟^(٢)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره .. اللهم لا سهل إلا ما جعلت سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، وبعد :

فقد أعلن نجيب الرئيس الشيوعي لأفغانستان وقف إطلاق النار ابتداء من الساعة الثانية عشرة ليلة ١٥ يناير سنة ١٩٨٧، وصرح بأنه سيطلق السجناء، وأعلن أنه يفتح ذراعيه ليحتضن من عد يده من المجاهدين، ورحب بمن أراد العودة من المهاجرين إلى أفغانستان، وأحضر خمسين صحفيا إلى كابل ليروا بأعينهم وقف إطلاق النار، ودخل مراسل إذاعة BBC (صوت بريطانيا) لأول مرة كابل بعد سبع سنوات (منذ الاحتلال الروسي) .

وأعلنت روسيا أنها لن تحمي نظام كابل فيما بعد، وأنها ستسحب على مراحل خلال سنة أو أكثر، ونزل العملاق الكبير لأول مرة من عليائه، وقبل أن يجلس مع مندوب باكستان بعد أن كان يأنف من الجلوس مع دولة من دول العالم الثالث المتخلف، وحضر وكيل الخارجية الروسية مع وكيل الخارجية الأمريكي ليتداولوا مع باكستان الأمر .

وكان رد المجاهدين الحاسم أن شددوا ضرباتهم بعد وقف إطلاق النار، ولقد رأيتني وأنا أقرب المجاهدين وهم يصوبون حممهم فوق مواقع الأعداء يوم الخامس عشر من يناير في خوست وما من مجيب، وزحف المجاهدون ليلا على (تدرس) أي القعة السوداء، وعندما اقتربوا من القعة خرج الشيوعيون يستغيثون ويناشعون المجاهدين بالله والإسلام أن يوقفوا جام الغضب المنصب فوق رؤوسهم، ويقولون للمجاهدين : لقد أوقفنا إطلاق النار فلم تطلقونا علينا؟ نحن مسلمون نصلي ونصوم، ويقسمون للمجاهدين على هذا .

وقد سير المجاهدون مجموعاتهم الكثيفة إلى كابل ليحيطوها كتلة ملتبة من النار أثناء وجود الصحفيين . وقد أقام قادة المجاهدين مؤتمراتهم للرد على الحلول السلمية، وقال سياف : إن رأيتوني وافقت على وقف إطلاق النار فلا تضيعوني .

وفي يوم السبت ١٧/١/١٩٨٧ أقام قادة المجاهدين السبعة مؤتمرا واحدا لشجب الحلول السلمية، وكان يوما مشهودا في

(١) حديث صحيح رواه أحمد (١-٢-١٠) والطبراني في الكبير (١-٢-١٠) والحاكم (١-٢-١٠) وهو في المسند الصحيح برقم (٣) الجزء الأول
 (٢) نشر في مجلة الجهاد - العدد السادس والعشرون - جمادى الأولى ١٤٠٧ هـ الموافق يناير ١٩٨٨ م

بيشاور كيوم الصبح الأكبر، ولعل بيشاور لم تشهد طيلة حقبها التاريخية مؤتمرا فيه من الأفواج البشرية التي يصل عددها على أقل تقدير سبعين ألفا من المجاهدين ما شهدته هذا اليوم، وكان يوما تاريخيا شرح الله صدور القادة السبعة على كلمة سواء برفض الحلول السلمية رفضا قاطعا، وأعلنوا جميعا وبصوت واحد ويرأي واحد رفض الحل السياسي الخادع، ويختلف المراقبون في تحليل موقف روسيا.

١- فمتهم المتقاتل : الذي يرى أن روسيا جادة في الخروج وتريد أن تحفظ ماء وجهها أمام شعوب المعسكر الاشتراكي بحيث تخرج وقد حققت شيئا من مطالبها، وعادت وفي يدها شيء تقبله امام المبهورين بالهالة الكبرى التي تحيط بروسيا، خاصة الدويلات الهزيلة التي تدور في فلكها، ويؤيد هذا الفريق من المراقبين رأيه بالأرقام قائلا : إن روسيا قد أنهكت خلال هذه الأعوام السبعة التي خاضت فيها حربا شرسة مع الأفغان . فالجيش الافغاني الشيوعي : كان يملك قبل دخول روسيا :

أ - قوة جوية : مكونة من مائتي طائرة من الطائرات القديمة (M18) وميج ١٧ موزعة على خمس مطارات عسكرية، بينما خسرت روسيا على أقل تقدير ومن خلال الأرقام التي لا تنكرها هي والتي سجلتها الأقمار الصناعية الأمريكية وأجهزة التنصت الباكستانية والأمريكية، ومن الطائرات الحديثة ميج ٢١، ٢٢ وسوخوي ٢٢ وM124 وغيرها ألف طائرة.

وأستهلك لديها ألف طائرة أخرى من خلال العمليات الحربية، إذ أن الطائرة بعد طيران ثلاثة آلاف ساعة تصبح شبه مستهلكة، وهذا يعني أن روسيا قد خسرت (ألفي طائرة) على مدى السنوات السبع، وحصيلة هذا أن روسيا خسرت عشرة أضعاف قوة سلاح الجو الافغاني الشيوعي . وتقول مصادر المجاهدين : لقد أسقطنا سنة ١٩٨٦ مائتين وثمانين طائرة .

ب- أما بالنسبة لقوة المدرعات : فقد كان الجيش الروسي يملك قبل دخول الروس ألفي دبابة من الدبابات الروسية القديمة . وخلال السنين السبع العجاف التي انزلت فيها أقدام الدب الروسي على سفوح الهنوكوش حطم المجاهدون على الأقل ثمانية آلاف دبابة وعربة ومدفعة دون ريب وباتفاق المراقبين، واستهلك من الدبابات نصف هذا العدد تقريبا . وبهذا تصبح الدبابات والمدرعات المفقودة لروسيا ما يوازي ستة أضعاف ما كانت تملك القوات المسلحة الشيوعية في أفغانستان .

ج - وبالنسبة للقوة البشرية : فقد كان عدد الجيش الافغاني قبل التدخل الروسي ٨٥ ألفا، وقد قتل وجرح من الجيش الافغاني مثل هذا العدد تقريبا حسب ما صرحت به مصادر المجاهدين والأقمار الصناعية وأجهزة التنصت الباكستانية والأمريكية .

وقتل وجرح حوالي ٥٠ ألف افغاني وروسي . من أجل هذا كله فإن روسيا جادة في خروجها، ولا مناص لها من أن تخرج وتنبولها بين أرجلها تجر أثواب الخزي والعار بإنه تعالى .

يقول حكمتيار : (لم يبق أمام روسيا سوى أحد أمرين: إما أن تدخل الهند وباكستان في حرب ضروس، وإما أن تخرج من أفغانستان).

ويؤكد هذا الفريق المتقاتل أن روسيا قطعا ستخرج، ولكنها تريد أن تحصل على ضمان بوجود حكومة غير معادية للاتحاد السوفيتي ولذا كثرت الاتصالات بالملك ظاهر شاه ورئيساء وزرائه محمد يوسف وصمد حامد وغيرهم من أعمدة الحكم الملكي الغابر .

٢- أما الفريق المتشائم : فهو على الطرف المقابل، إذ يقول : إن التاريخ الروسي حافل بتنقض المعاهدات واقتحام الفرص في ابتلاع الشعوب الفقيرة منذ لينين، يوم أن أمن الشعوب الإسلامية في طشقند والقرم وأذربيجان على دعاتها ودينها وأعيادها، ثم انقض عليها واقتربها ومسح دينها وحارب قرآنها بعد أن ساعدته في القضاء على القيصرية .

ويقول هذا الفريق : لم يسبق للجيش الاحمر أن دخل أرضا واشحج منها .

ويضيف هذا الفريق قائلا : عندما لاقوا من الأهوال ما لاقوا على يد المجاهدين في بخارى لجأوا إلى الخديعة فانسحبوا وتركوا أهالي بخارى يقيمون حكومة، ويعد أن ألقى الشعب المسلم سلاحه ولما يمض سوى ستة أشهر على عمر الحكومة البخارية الفضة

انتقضوا عليها وأبتلعوها فيما ابتلع من الأراضى الإسلامية والتي تشكل تسعة أعشار مساحة الاتحاد السوفيتي .

وعلى أية حال - والله أعلم بما تخبئه الاقدار- فنحن نتوقع ما يلي :

١- إن استمرار القتال هو الطريق الوحيد لدحض الروس ومحرمهم .. (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين

عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا) (النساء: ٨٤).

(ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون) (النساء: ١٠٤).

٢- إذا سقط السلاح من أيدي المجاهدين فمن الصعب أن يرفعوه مرة أخرى .

٣- لن يجد قادة الجهاد مناصا من أن يغادروا أرض باكستان ليكون القرار السياسي والعسكري بأيديهم وهدمهم لا ينافيهم

فيه أحد، ولن يستقلوا بقراراتهم السياسي ماداموا فوق أرض باكستان التي تخضع للضغوط النولية ولا تملك زمام أمرها في اللعبة الدولية.

٤- إذا أصرق قادة الجهاد على عقيدتهم (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة) (النساء: ٧٤).

فلا بد أن يواجهوا في المستقبل من المشاكل الحنوية والقيود في التأشيرات وأوراق السفر ومصادرة المساعدات ومنع وصول

الأنصار لهم ما لا يعلمه إلا الله .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

جهاد لا إرهاب^(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره وبعد :

فكلما ذكر اسم الجهاد انتفض الكفر فزعاً من هذه الكلمة، وكلما تكلم المسلمون عن الدفاع عن حقوقهم انبرت أجهزة الإعلام الغربية تشويه الإسلام، وتصف المسلمين بالوحشية وبالقسوة، ويرسمون للمسلم الصادق المجاهد صورة الجعظري الجواظ الغبي يركب على ناقة هوجاء تخبط خبط عشواء لا يلوي على شيء، لا يقابل إنساناً إلا واختلط سيفه ليقطع عنقه، لأن نفسه مولعة بحب الدماء، ولا يستطيع الراحة إلا على أكوام الجماجم والأشلاء !!!

وكما قال الاستاذ المؤيد في كتابه " الجهاد في الإسلام " ^(٢) : (ولقد جرت عادة الإفرنج أن يعبروا عن كلمة الجهاد بالحرب المقدسة HOLY WAR، ولقد فسروها تفسيراً منكراً، وتغننوا فيها وألبسوها ثوباً فضفاضاً من المعاني الموهمة الملفقة، وقد بلغ الأمر في ذلك أن أصبحت كلمة الجهاد عندهم عبارة عن شراسة الطبع والخلق والهمجية وسفك الدماء، وقد كان من لباقتهم أنه كلما سمع الناس الجهاد تعلت أمام أعينهم صورة المواقب من الهمج المحتشدة، معلقة سيوفها، متقدة صدورهم بنار التعصب والغضب، متطائرا من عيونها شرار الفتك، عالية أصواتها بهتاف (الله أكبر)، زاحفة إلى الأمام ولقد رسم الدهان هذه الصورة بلباقة فائقة، وتغننوا فيها بريشة المتفنن المبدع، وكان من دهانهم ولباقتهم في هذا الفن أن صبغوها من النجيع الأحمر، وكتبوا تحتها نقاط شائقة هذه الصورة مرآة لسلف هذه الأمة من شره لسفك الدماء وجشعة إلى الفتك بالأبرياء .

وان الإنسان لیتملكه العجب والحيرة إذ يرى أيدي الرسام نفسها ليست غارقة بالدهان الأحمر الذي يشوهون به صورة هذه الأمة، بل ملطخة بدماء الأبرياء، وما تركوا بقعة من بقاع الأرض إلا وظفوا وراعهم من المأسي ما لا يستطيع البيان نقله، وما يعجز القلم عن تصويره وتقريبه إلى الأذهان، لا شيء إلا لأنهم يبحثون عن أسواق تجارية لبضائعهم، أو يجوبون الأرض طلباً لوقود مصانعهم أو ذهب خزائنهم !! والويل كل الويل للبقعة الغنية، فإن أهلها سيشتبهون من المجازر ويرون من المصائب على أيدي هؤلاء - الذين يصفون المسلمين بالوحشية والحيوانية - ما لا يتصوره عقل بشري .

ومما يشدني له الجبين أن أبناء المسلمين قد صدقوا عن أنفسهم وعن آبائهم ما يرسمه هؤلاء المستشرقون عنهم، وما يكتبه هؤلاء

١- نشر في مجلة الجهاد - العدد السابع والعشرين - جمادى الثانية ١٤٠٧ هـ، الموافق فبراير ١٩٨٧م.

(٢) انظر الضلال / ج ٢/ ص ١٤٤ من مقدمة تفسير سورة الانفال (نقلا عن كتاب الجهاد للمؤيد).

الحاقون من تاريخهم، فأصبحوا يتوارون حياء من هذا التاريخ المنطخ بالدماء، والذي لا يدع المجرمين ولا الأبرياء !!

لعل ذراعي المسلمين سميت حروب المائة سنة وحرب السنوات السبع التي جرت في القرون الماضية بين فرنسا وبريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية، ولعل فاتهم أن يطلعوا على مذابح الكاثوليك للبروتستانت في داخل معابدهم، وقد فاتهم أيضا أن يطلعوا على المجازر التي جرت لليهود في أرجاء أوروبا، ولم تتج بقعة من بقاع أوروبا منها على أيدي النصارى - أبناء كتابهم الواحد -، وأما من التاريخ القريب فإن أمريكا زعيمة العالم المتحضر؟! أو (المتحضر) على الأصح ما قامت إلا على أشلاء شعب بكامله من سكان البلاد الأصليين الذين أبانوهم ولم يبق منهم سوى بضعة ملايين وضعوهم في أماكن للسياح كجثث الموتى في قاعة المرمياء، لايزالون يضيئون بيوتهم بالسرج في "أنديانا" وغيرها في وسط أمريكا الشمالية، وهم شعب الهنود الحمر سكان أمريكا الأصليين .

ولعل أبناء المسلمين ينسون منسي حربين عالميتين أثارها الغرب على مدى ربع قرن ذهب صحيتها قرابة خمسين مليونا من البشر ما بين قتل وجريح ومشوه ومعتوه، كانت حربا طاحنة خسروا على مطامع هزيلة وآمال صغيرة - جسم البغال وأحلام العصفير - .

ولعل أبناء المسلمين لا يدركون الحرب الثقافية المنظمة والغزو العالمي الفكري لهم لينفروهم من الجهاد، فيشيرون قضايا الرق والجزية وقتل الأسرى ليصوروا المسلمين مجموعة من اللصوص والقتلة وسفاكي الدماء، منطلقين في الأرض، سيوفهم مشرعة لإرواء نهمهم للدماء، وإشباع نزواتهم من النساء، وإسكات شعارهم للثراء .

ولعل أبناء الإسلام الذين لم يطلعوا على مصائب التاريخ الدامي للصليبيين في الغرب، ومواقفهم تجاه الإسلام والمسلمين يستحيون من تاريخهم المشرف الذي كان مثالا للرحمة الربانية المهداة إلى البشرية، وكيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - استطاع أن يفتح الجزيرة العربية بكاملها ويوحدها تحت راية التوحيد ولم يصل القتل من الكفار جميعا ثمانمائة شخص .

أما بالنسبة للصليبيين فلندع ابن الأثير يحدثنا عنهم عند دخولهم بيت المقدس في ١٥/٧/١٠٩٩م الموافق ٤٩٢ هـ فيقول : (وركب الناس السيف، ولبث الفرنج في البلدة أسبوعا كاملا يقتلون في المسلمين، واهتمى جماعة من المسلمين بمحراب داوود، واعتصموا به، وقاتلوا فيه ثلاثة أيام فبذل لهم الفرنج الأمان ووفوا لهم، ثم خرج المسلمون ليلا إلى عسقلان فأقاموا بها، وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفا ! منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم المجاورين للمسجد الأقصى) (١).

ويقول ريموند راجيل (مؤرخ صليبي) أنه عندما زار الحرم الشريف أثناء المذبحة الرهيبة التي ارتكبتها الصليبيون لم يستطع أن يشق طريقه وسط أشلاء المسلمين إلا في صعوبة بالغة (وإن دماء القتلى بلغت ركبتيه) ! ويقول غوستاف لويون (٢) : (وكان من أحب ضروب النهو إليهم قتل من يلاقون من الأطفال وتقطيعهم إربا إربا كما روت (أن كومنن بنت قيصر الروم) . وينقل غوستاف لويون عن الكامن ريموند راجيل خبر ذبح عشرة آلاف مسلم في مسجد عمر رضي الله عنه .

وحتى لا ننسى : فإن الحملة الشعواء التي شنتها المستشرقون على الجهاد أدت إلى نتائج سيئة وأثار سلبية في نفسيات ذراعي المسلمين المهزومين روحيا وعقليا أمام هذا الهجوم الاستشراقي الماكر، وتحت ضغط الواقع المرير الحاضر .

إن الغرب لا يخفي تخوفه من الجهاد، وفرقه وفرزه من القتال : تقول مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية (إن شيئا من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي، ولهذا الخوف أسباب منها: إن الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف، بل دائما في ازدياد واتساع، ثم أن الإسلام ليس ديناً قهصب، بل إن من أركانه الجهاد) .

وقال روبرت بين: (إن المسلمين قد غزوا الدنيا كلها من قبل وقد يفعلونها مرة ثانية)، ويقول ولفرد كانتول سميث: (إن أوروبا

(١) انظر الكامل لابن الأثير (٢٨٣/١٠)

(٢) حضارة العرب لغوستاف لويون ص ٢٨٤

لا تستطيع أن تنسى ذلك الفزع الذي ظلت تحس به مدة قرون والإسلام يجتاح الإمبراطورية الرومانية من الشرق والغرب والجنوب (١).

ويقول لورانس براون (الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته، أنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي) (٢).

لقد خطط الغرب لقتل روح الجهاد في نفس الأمة المسلمة، ورسم لذلك مناهج، ووضع برامج للاستيلاء على هذه الأمة الحية المجاهدة بعد اجتثاث العقيدة الإسلامية والعبادة الجهادية من أعماقها :

١- فالرحلات الاستكشافية كانت صليبية : يقول فاسكودي جاما عندما وصل إلى رأس الرجاء الصالح : (الآن طوقنا رقبة الإسلام، ولم يبق إلا جذب الحبل ليخترق فيموت) (٣).

٢- وكانت المدارس العقلية الحديثة التي حاولت أن تخضع النصوص الربانية للعقل، وأن تلوي أعناق النصوص الجهادية، وحاولت وهي تدافع عن شريعة الجهاد أمام الغرب أن تظهر الإسلام ديناً دفاعياً لا يمكن أن يقاتل إلا دفاعاً عن حدود جغرافية، وكان الإسلام تحلة قوم معين، ونزل ليكون دين الجزيرة العربية فقط، وتبعهم في هذا المنهج الأساتذة عبد الوهاب خلاف في (السياسة الشرعية)، ومحمد عزة دروزة في كتاب (الجهاد في سبيل الله)، وعلي علي منصور في كتابه (الشريعة الإسلامية والقانون الدولي)، ومحمد رأفت عثمان في كتابه (الحقوق والواجبات)، وأحمد محمد الحوفي في كتابه (سماحة الإسلام) (٤).

٣- حاولوا أن يبيعوا عقيدة الحب والبغض في الله، والولاء والبراء في الإسلام .

٤- الدعوة إلى القومية وتقديم النصراني العربي على المسلم الأفغاني والتركي والباكستاني .

٥- الدعوة إلى الإنسانية .

٦- الدعوة إلى تقارب الأديان وإذابة الفوارق بينها .

٧- الدعوة إلى السلام العالمي والتعايش السلمي .

٨- إنشاء فرق خسالة تدعو إلى مسح الجهاد في الإسلام كالكاديانية والبهائية والبابية، يقول ميرزا غلام أحمد القادياني (٥) : لقد ظللت منذ حداثة سني -وقد ناهزت اليوم الستين- أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الاخلاص لهذه الحكومة الإنجليزية، وأرى أن كتاباتي قد أثرت في قلوب المسلمين وأحدثت تحولاً في مئات الآلاف منهم، ويقول : (اليوم ألغى حكم الجهاد بالسيف، ولا جهاد بعد اليوم ! فمن يرفع بعد ذلك السلاح على الكفار ويسمي نفسه غازياً يكون مخالفاً لرسول الله الذي أعلن قبل ثلاثة عشر قرناً بإلغاء الجهاد في زمن المسيح الموعود، فثنا المسيح الموعود ولا جهاد بعد ظهوري الآن، فنحن نرفع علم الصلح وراية الأمان)، ويقول (اتركوا الآن فكرة الجهاد، ولأن القتال للدين قد حُرِّم !! وجاء الإمام والمسيح ونزل نور من السماء، فلا جهاد، بل الذي جهَّز في سبيل الله اثنتي عشر سوقة) .

وأما البهاء (إله البهائية) فيقول في تحريم الجهاد : (البشارة الأولى التي منحت من أم الكتاب في هذا الظهور الأعظم لجميع أهل العالم معو الجهاد من الكتاب) . (وحرّم عليكم حمل آلات الحرب) ! . ويقول عبد البهاء عن أبيه (محا آية السيف ونسخ حكم الجهاد) (٦) .

إن هذه الطائفة صناعة يهودية بدليل : بعد موت طاغوتهم الثالث - مرزا شوقي - اجتمع المجلس الأعلى للطائفة البهائية في إسرائيل وانتخب صهيونياً أمريكياً اسمه (ميسون) ليكون رئيساً روحياً لجميع أفراد الطائفة البهائية في العالم !!!
أما صلة البهائية بالانجليز فهي عريقة .. بل برعايتهم وتفكيرهم قاموا واستمروا .

(١) المستشرقون والإسلام لمحمد قطب . ص ٣٦-

(٢) التبشير والاستعمار لمصطفى الخالدي . ص ٢٨٤-

(٣) المستشرقون والإسلام لمحمد قطب . ص ٢٢-

(٤) أهمية الجهاد للكثير على الملياني . ص- ٥٠٤

(٥) تبليغ رسالة القادياني (١٠/٧)

(٦) أهمية الجهاد للملياني ص- (٥٠٤، ٥٠٩)

يقول عبد البهاء في لندن : (إن مغناطيس حبيكم هو الذي جذبني إلى هذه المملكة) ، (أصبحت الآراء الغربية أقرب إلى الله من آراء الشرقيين) (١).

نحن لا نستحي من ديننا ولا من أوامر ديننا، نقولها بصراحة دون تلعثم ولا مواربة ولا جمجمة ولا غمضة :

١- إن الجهاد فريضة ربانية في هذه الأمة لإتقاذ الأرض كلها من جور الطواغيت واستعباد الطغاة إلى عدل الإسلام ورحمة هذا الدين .

٢- إن بين الله دين للبشرية جمعاء، ونحن نريد نشره حتى يعم ربوع العالمين، وفي صحيح مسلم (٢) : (إن الله زوى لي الأرض شرقها وغربها، وإن ملك أمتي يصل إلى ما زوى لي منها)

وفي الكتاب العزيز: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (التوبة: ٣٢).

٣- إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد (٣) وغيره { بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الدال والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم} . ولكن السيف لأكابر مجرميها وسنة الكفر وأئمة الطغيان الذين يعبتون البشر لأنفسهم من دون الله، والذين يدعون لأنفسهم الأئوهية عملاً وإن لم يصرحوا بها قولاً .

أقول : إن السيف لإزالة الحواجز من الأنظمة الكافرة والعقبات الاقتصادية والاجتماعية التي تحول دون استمتاع الشعوب بدين الله، وتمنعهم من التنفيذ في ظلاله. وبعد إزالة هذه الحواجز من أمام الدعوة الإسلامية يعرض على الشعوب (ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) (البقرة: ٢٥٦).

٤- إن كلمة الجهاد في سبيل الله تعني عند الأئمة الأربعة إذا أطلقت القتال، قال القسطلاني : الجهاد هو : (قتال الكفار لتصرة الإسلام .. وإعلاء كلمة الله) .

وقال ابن حجر العسقلاني : (الجهاد هو بذل الجهد في قتال الكفار) (٤) .

ونحن لا نريد أن ننسخ حكم الجهاد بالسيف لنرضي الغرب، ولا نقبل أن نفسخ هذا الركن العظيم فنجعله كلمات تقال على المنابر، أو مقالات تنشر على صفحات الجرائد، يقول ابن رشد (٥) (وجهاد السيف قتال المشركين على الدين، فكل من أتعب نفسه في ذات الله فقد جاهد في سبيله، إلا أن الجهاد في سبيل الله إذا أطلق فلا يقع بإطلاقه إلا على مجاهدة الكفار بالسيف حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون). أسمعت أخي المسلم كلام ابن رشد ؟ فلا تتحمل بعدها ولا تتأول .

٥- إن عبارة (رجعنا من الجهاد الأصغر - القتال - إلى الجهاد الأكبر - جهاد النفس - التي تنتشر على الألسنة بأنها حديث فإن يحيى بن العلاء : قال ابن حجر عن هذا الراوي : رمي بوضع الحديث، وقال أحمد عنه : يحيى كذاب يضع الحديث .

وقال الدارقطني : متروك، فالحديث ضعيف جداً أو موضوع (٦).

قال ابن حجر العسقلاني : هو كلام إبراهيم بن عيلة.

٦- لم يبق أمام الأجيال التي يبنيها أعداؤها ويحاربون إسلامها إلا أن تردد قول المتنبي:

(١) حقيقة البائية والبهائية لمحسن عبد المجيد ص- (٣٣٧ - ٣٤٤)

(٢) شرح النووي / ١٨٣ / كتاب الفتن / ص- ١٢ وهو في المختصر برقم (٢٠٠٠)

(٣) رواه أحمد في المسند (٩٢/٢)

(٤) فتح الباري / ٣/ ص- ٢

(٥) مقدمة ابن رشد (٣٨٨/١)

(٦) ضعيف الجامع الصغير (١١٨/٤).

لئن عبرت جعلت الحرب والدة . والسهمري^(١) أبا والمشرقي أخا

ولم يبق لهم سوى طريق الأفغان المجاهدين

وأخواننا الأفغان أضحى مقبلهم^(٢) ظهور المذاكي أو بطون القشاعم

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

... أيام الشدائد (٣)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا .

يروى ابن هشام عن ابن إسحاق في السيرة قصة طريفة في فتح مكة، وخلاصتها أن رجلا من الكفار من بني بكر اسمه حمّاس بن قيس بن خالد كان دائم العناية بسلاحه، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه، قالت : والله ما يقوم لمحمد وأصحابه شيء، قال : إني لأرجو أن أخدمك بعضهم (أي أتيك بخادم من المسلمين)، ثم قال :

إن يقبلوا اليوم فما لي علة هذا سلاح كامل وآلة

ونو غرارين سريع السلة

وجاء يوم الفتح، والتفت مجموعة من صناديد قريش في الخدمة (مكان أسفل مكة) وكان من بينهم عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وسهل بن عمرو، وقابلهم خالد يقود المجنبة اليمنى لجيش الفتح الزاحف، فناوشهم خالد شيئا من قتال فاصابوا من المشركين اثني عشر رجلا، فانهزم المشركون وانهزم حماس بن قيس الذي كان يعد السلاح لقتال المسلمين حتى دخل بيته، فقال لامرأته : اغلقي علي بابي، فقالت : وأين ماكنت تقول، فقال :

إني لو شهدت يوم الخدمة إن فر صفوان وفر عكرمة

واستقبلتنا بالسيوف المسلة يقطعن كل ساعد وجمجمة

ضربا فلا يسمع إلا غمغمة لهم نهيت خلفنا ومهممة

لم تنطقني في اللوم أدنى كلمة^(٤)

وفي الأدب الشعبي طريفة من الطرائف أن رجلا كان ذا شغف بالغ بمسدسه وحزام رصاصه، فكان لا ينام إلا وهو متمنطق بمسدسه وما من يوم يمر إلا ويمسحه ويلبسه، فقالت له زوجته : ما هذا الوله البالغ بهذا المسدس ؟ قال لها (هذا المسدس لأيام التشدائد)، وذات ليلة وإذا بلص يفتح عليهم بيوتهم، وبدأ يجمع الأمثلة، فرفعت رأسها فرأت اللص، فهزمت زوجها بجانبها أخرج مسدسك يا أبا فلان، فأنجأها بهدوء العاقل (هذا المسدس لأيام الشدائد) ! وأخذ اللص ما جمع من متاع وخرج دون أن يحس من صاحب البيت همسا أو يسمع له ركزا، ومضت الأيام، وذات يوم كان الرجل مع زوجته قرب بستانهم بعيدا عن القرية، وانتلاق الأصيل ينعكس بشعاعه الذهبي عن صفحة مسدسه وعن نخيرته التي ترصع صدره كأنها الجمان، وأقبلت مجموعة من اللصوص ورأوا هذه الحوراء الجميلة معه، فاقبلوا عليه وأخذوا يدها، فنظرت إليه بحسرة ومرارة وقالت يا أبا فلان أما أن لهذا المسدس أن يخرج من غمده، فقال لها بصوت هادئ رزين متعقل هذا المسدس لأيام الشدائد، ومضى اللصوص بزوجه وبقي المسدس لأيام الشدائد!

هذا حال معظم المسلمين اليوم كما يقول المتنبي :

غيري بكثير هذا الناس ينخدع إن حدثوا شجعوا أو قابلوا جبنوا

أعداء الله يتقاضونهم من كل جانب كالخراف في الليلة الشاتية تمرقها الذئاب وتفترسها الكلاب ولا تسمع صوتا من أولي

الأكباب .

٢- (المقبل - المنام - المذاكي - الغيل: الفاشية القوية والقشاعم : التسير الكبيرة)

١- (السهمري - الرمح - والمشرقي - السيف)

٣ - نشر في مجلة الجهاد - العدد الثامن والعشرون - رجب ١٤٠٧ هـ - الموافق مارس ١٩٨٧ م. ٤ - الرحيق المختوم / ص - (١٧٣)

النواوين عامرة .. الألسنة منطلقة .. المنتديات زاهرة .. إن اتشدوا مزوا الأرض بالتهديد والوعيد، وزلزلوا المعمورة بالادعاء، وعندما تأتي أيام الشدائد تتلفت حولك فلا تجد أحدا !

الإحصائيات تقول أن المسلمين قد نيف تعدادهم على ألف مليون :

حفنة من اليهود أصبحوا غولا رهيبا يقض مضاجع المسلمين في كل مكان، ويهددون كل مسلم في أعماق إفريقيا حتى يضربوا مطار عنتيبي بعملية انتحامية في أوغندا، ويضربون مقر المنظمة في تونس، ويهددون بضرب المفاعل النووي في الباكستان، ويضربون المفاعل النووي في العراق، يشترقون كل أجواء الدول العربية ولا تطلق عليهم طلقة، ولا ترفع عليهم يد ولا ينبع عليهم كلب؟! أما الذب والتهويل، وأما البكاء والعيول فحدث عنه بالتفصيل ...

تبذل الحس وتجمد الدم .. ولم تعد تلك الفخيرة الإسلامية والحركة الإيمانية التي تحرك أمير المؤمنين من بغداد على رأس جيش
لحب استجابة لاستغاثة امرأة في عمورية ..

أخبار مخيمات الفلسطينيين في لبنان الرشيدية و برج البراجنة والبرج الشمالي وشاتيلا وصبرا وعين الحلوة تتقطع لها نياط القلوب .. وتتفتت لها الأكباد، وتتمزق لها النفوس، ويصل الحصار إلى درجة موت البشر بفقدان كل ما يقتاتون، ومع هذا كله لا تمتد لهم يد عربية بقطعة خبز أو بلقمة عيش، وتتقدم الدول الصليبية الغربية لهم بالإغاثة، ويستفتون العلماء بأكل لحوم أرحامهم من موتى، وتأثمهم الفتوى بالحواز والإباحة.

إنني لأظن أن أصحاب البصائر مشغولون بشراء الزهور من هولندا بأربعة ملايين دولار حتى يتوجوا بها ردهات الاستقبال في مؤتمراتهم، أو للتعاقد مع الفنادق الكبرى لتأمين وجبات الطعام التي تصل إلى ملايين الدولارات لإكرام ضيوفهم .

أين دباباتهم ؟! إنها مدخرة لأيام الشدائد، أين طائراتهم ؟ لعلها مشغولة برش الدهان الأخضر على الأرض التي تحط عليها طائرات ضيوفهم وأصدقائهم ..

وإذ أقبل الزمان تورى
وإذا زأغت العيون تراه

والآن دعنا نصيغ إلى أنس بن مالك وهو يحدث عن عمه أنس بن النضر، فيروي البخاري بإسناده عن أنس رضي الله عنهم أجمعين قال: " غاب عني أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أسمع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك بما صنع هؤلاء - يعني أصحابه

- وأبرأ إليك عما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال : يا سعد بن معاذ ، الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد ، قال سعد : فما استطعت بما ورسول الله ما صنع ، قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ومثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخيه بيناته ، قال أنس : كنا نرى - أو نظن - أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . . .) رواه البخاري (١) .

أرأيت ما قال أنس بن النضر؟ لم يزد عن أربع كلمات ليرين الله ما أصنع ، ولم يقل تجوع يا سمك . . ولا في البحر سنقذفهم . . ولم يتبجح قاتلا : ام كلثوم ستغني في تل أبيب ، لأن مقادير الرجال تبرز جليلة في ميادين النزال لا في منابر الأقوال . لقد قلنا لهم ميا إلى القتال في فلسطين سنة ٧٠/٦٩ ، فقالوا : لا نقاتل تحت راية جاهلية ، فقلنا لهم : ارفعوا أنتم راية (لا اله الا الله) وقاتلوا تحتها ، فقالوا : لم تكون القاعدة الصلبة بعد .

ثم قلنا لهم : تعالوا قاتلوا في أفغانستان أو انفعروا ، فاختلقت الإجابة علينا ، فقال بعضهم : تركتم فلسطين وذهبتكم إلى أفغانستان ، فقلنا : قاتلوا أنتم في فلسطين واتركونا نحن نقاتل في أفغانستان ، فربوا علينا : القتال الآن في فلسطين حسب جدا ، ولكن الآن نور الإعداد ، فقلنا لهم في أفغانستان الآن جهاد وإعداد ، فقالوا أفغانستان بعيدة ، والمسلم مطالب بجهاد العدو الأقرب (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) (التوبة: ١٢٢) .

فقلنا لهم : أرض المسلمين واحدة ، ونص ابن نجيم في البحر (٢) (امرأة سببت في المشرق وجب على أهل المغرب تخليصها) . وقال بعضهم : الذهاب إلى أفغانستان إخلاء لآماكن الدعاة في بلادهم ، وإعاقعة لسير التيار الإسلامي ، فقلنا لهم : الحركة الإسلامية في أفغانستان هي التي تقود الجهاد ، فانت تنتقل من حركة مكمة الأقواء تحت نير الاستعباد ، ومحسنة الأنفاس من قبل جلالة السلطان إلى أرض تمتلك فيها حريتك وحركتك ، تدب على أرض لا تخضع فيها إلا لرب العالمين ، وتشعر فيها بعزة وسعادة لو علمها الملوك وأبناء الملوك لقاتلوك عليها بالسيوف وتقودها الآن الحركة الإسلامية وجيشها شعب بكامله .

قالوا : لكن شعب أفغانستان شعب جاهل ولا تقوم النولة الإسلامية إلا على يد العرب . فقلنا لهم أنسيتم الأتراك الذين حكموا الأرض خمسة قرون ؟ وهل غفلتم عن التتار الذين دبوخوا روسيا وأسيا قرونا طويلة ؟ ولعلكم لا تتسبون السلاجقة والمماليك . وكل هؤلاء خرجوا من البقعة التي فيها أفغانستان وما حولها .

فعاذروا وربوا : بأن الشعب الأفغاني أفسده التعصب ، وتمكنت فيه بعض العادات التي تغلبت على العبادات ، فقلنا لهم : وأي شعب يخلو من العيوب ، وأي الرجال المهذب ؟ نعم إن الشعب الأفغاني كبقية الشعوب فيه الكثير من النقائص والعيوب ، ولكن الفرق بينه وبين شعوبنا أنه رفض أن يعطي الدنيا في بيته ويبيع ثمن حريته وعزته وكرامته ، ووقف أمام أضخم قوة في الأرض ثماني سنوات ، فهل وقفنا أمام اليهود ثمانية أيام ؟! فقالوا : إن الشعب الأفغاني لم يخض المعركة وإنما هي حرب بين العملاقين الكبيرين (فهي حرب الكواكب والنجوم) ! فقلنا لهم : إن أمريكا تقف معكم ، وروسيا تقف مع بعضكم ، فلماذا لم تقفوا كما وقفوا ، ولكن قولكم رجم بالغيب واتباع للظن بلا دليل ، ونحن الذين في الساحة نكاد نجزم أن أمريكا ليس لها دور لا في حرب ولا في سلاح ، وإنما هي مساعدات صحية وغذائية للمهاجرين ، ومع ذلك رفضها كثير من قادة الجهاد رغم حاجتهم الماسة لها .

ونحن نقول: لقد بنى الأفغان سدا من الجماجم تعداده مليون ونصف مليون جمجمة حتى الإسلام من طوفان الشيوعية العفن . ومن تتيئها الشرس .

وختاما نقول لكم : انخروا الطاقات لأيام الشدائد !!!! ونضيف :

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم — من اللوم أوسنوا المكان الذي سدوا

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

(١) فتح الباري / ج ٦ / ص ٣٩ . (٢) البحر الرائق / ج ٥ / كتاب السير / ص ٧٢ .

الإسلام بين العالمية والإقليمية (١)

إن الحمد لله، تحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا أما بعد
فلقد جاء هذا الدين لينقذ الإنسان - جنس الإنسان - في الأرض - كل الأرض - من حمة الطين إلى أفاق العقيدة المشرقة،
ومن تجمع الناس على الحظيرة والكلاء العون إلى تجمعهم على العقيدة والفكر والدين، فكانت نداءات القرآن {يا أيها الناس}، {يا أيها
الذين آمنوا}، {يا أيها الذين آمنوا الكتاب} النداءات موجهة لإنسانية الإنسان وفكره ولعقيدته، ولم يرد نص واحد في الكتاب العزيز
(يا أيها العربي)، (يا أيها الهاشميون)، (يا أهل الحجاز) .

وكانت النواة الأولى التي بدأت مسيرة هذا الدين على الأرض تضم صهييا الرومي، وملالا الحبشي، وحمزة العربي، ثم سنان
الفارسي، وقد فهم المسلمون الذين اعتنقوا هذا الدين وضحووا من أجله بالغالي والرخيص أنهم قد تطهروا من نتن القوم، ومن طلعة
الطين، وتدرجوا صعودا من السفح الهابط إلى القمة، ليستنشقوا أريج الأفاق العليا وعبق هذا الدين الفواح .

وقد علمهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كيف يحطرون قيود القبلية، وكيف يطلقون من حمة اللون والجنس، فقال
- صلى الله عليه وسلم - {ليبتغيهن أقوام يفتخرون بأبائهم الذين ماتوا، إنما هم في جهنم أو ليكرنن آمون على الله من الجعل الذي
يدهده الخرق بأنفه، إن الله أذهب عنكم عيبة (كبر) الجاهلية وخرها بالأباء، إنما هو مؤمن تني أو فاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم
وآدم خلق من تراب} حديث صحيح (٢).

وذابت الفوارق، واختفت العنجهية، وتوارت العصيبة وقتل أبو عبيدة أباه، وطلب عمر رضي الله عنهم أجمعين من الرسول
- صلى الله عليه وسلم - أن يسلم كل صحابي قريبه من أسرى بدر ليقبله، ومنع عبدالله بن عبدالله بن أبي أبيه أن يدخل المدينة المنورة
الا بإذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

جاء في سيرة ابن هشام (٣) (كان أبو عزيز شقيق مصعب بن عمير صاحب لواء المشركين في بدر، ثم أسر بيد المسلمين،
ويحدث أبو عزيز عن نفسه بعد أن أسره أبو اليسر من الأنصار، فقال أبو عزيز : مر بي أخي مصعب وأبر اليسر يأسرني، فقال
مصعب لأبي اليسر الأنصاري : شد يدك به فإن أمه - أي أم مصعب وأبي العزيز - ذات متاع - غنية - لعلها تقديه حنك، فقال
أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي، فقال له مصعب إنه أخي من نوك .

فسألت أمه عن أغلى ما فدي به قرشي، فقيل لها أربعة آلاف درهم، فبعثت بأربعة آلاف درهم ففدت به) .

وهكذا ارتفع القوم على مشاعرهم ونسوا أوصارهم ووشائج أرحامهم، وأصبحت وشيختهم الأولى والأساسية هذا الدين الذي
من أجله يعيشون، وبه يتحركون، وفي سبيله يقدمون أغلى ما يملكون من النفس والنفيس .

وامتد الإسلام في رقعة التي ينشر عليها مبادئه من الأندلس ووطنه غربا إلى إثنونيسيا شرقا، وكانت الدولة الأموية والعباسية
شعارها وديارها، لحمتها وسداها، الإسلام بقيمه وموازينه، ونسي الناس شعر دريد ابن الصمة :

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية ارشد

ولقد أقض هذا الدين مضاجع أعدائه خاصة أوروبا التي شنت حربا شعواء دينية صليبية امتدت قرنين كاملين (٤٨٨ - ٦٩٢)،
حيث تطهرت بلاد الشام منهم على يد الأشرف خليل ٦٩٢هـ، ولقد انبرى لهم هذا الدين وقدم نماذج من أبنائه الأسود، منهم (عماد
الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود زنكي، وصلاح الدين)، يقول ابن شداد في النوادر السلطانية إن صلاح الدين قال له يوما : (أما
أحكى لك شيئا، قلت : بلى، قال : في نفسي أنه متى يسر الله تعالى فتح بقية الساحل قسمت البلاد وأوصيت وودعت وركبت هذا
البحر إلى جزائرهم اتبعهم فيها حتى لا أبقى على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت، قلت : إنما هذه الأمنية جميلة ولكن المولى
يسير العساكر في البحر وهو سور الإسلام ومنعته، فلا ينبغي أن يخاطر بنفسه، فقال : أنا استفتيك . ما أشرف الميتات ؟ فقلت الموت
في سبيل الله، فقال : غاية ما في البال أن أموت أشرف الميتات (٤) . ثم جاء التار وخربوا بغداد سنة ٦٥٦هـ وانبرى لهم الظاهر

(٢) رواه الترمذي عن أبي هريرة وهو في صحيح الجامع برقم (٥٣٥٨)

(٤) شعر الجهاد في العروب الصليبية ص - ٤٧

١- نشر في مجلة الجهاد - العدد التاسع والعشرون - شباط ١٤٠٧ هـ - الموافق إبريل ١٩٨٧م.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٩٠٩)

بيروت وقطر وانتصروا عليهم في عين جالوت سنة ٦٥٨هـ. فحرقوا قطر من فوق حصانه ساحدا لله شاكرين له لنصر المؤزر . ثم جاءت الدولة الإسلامية العثمانية وحكمت ثلث المعمورة تقريبا بهذا السيف القويم وروابطه للتينة وشاحه الرشيد القوية .

وكانت أكبر حرية وحيث إلى أوروبا والعالم النصراني فتح لقسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ ١٤٥٣ م على يد محمد الفاتح الذي حول اسمها (إسلام بول - مدينة لإسلام)، ومسح الامبراطورية الرومانية الشرقية إلى الأبد. ولقد بقي مسم غير قليل من أوروبا يدفع الجزية صاغرا للدولة العثمانية .

وعندما هاجم نابليون مصر سنة ١٧٩٨ م واستخف بالأزهر، وضربه بالمدفعية. وأدخل حيله الأزهر فدم الأزهر، وحرك الشعب المسلم في مصر، وأخيرا قام سليمان الحلبي أحد تلاميذ الأزهر - وهو من حلب - وقتل كليبر حنيفة نابليون الفرنسي على مصر .

وعندها فكر الغرب بأنه لابد من جثثات الإسلام من أعماق هذه الشعوب الإسلامية، ومريقها بالدعوات الإقليمية والقومية . يقول " كامبل " لا يمكن لهذه الشعوب الإسلامية التي تغطي رقعة واسعة من المعمورة، وتتكلم في صلاتها بلغة واحدة، وتدين بدين واحد، وتتجه إلى قبله واحدة، ولها نفس التقاليد والأهداف أن تغلب ما لم تقسم .

فكان لابد من تمزيق الدولة الإسلامية العثمانية واستبدال القومية بالإسلام .

١- قدأت الدعوة إلى القومية العربية - التي خرجت من الجامعة الأمريكية على يد مجموعة من الشباب النصارى معظمهم من خريجي الجامعة في بيروت منهم - إبراهيم البرزجي ونصيف اليارجي وفارس عمر، نجيب عازوري وشاهين مكاريوس .

وكان أستاذهم اليس خبالين ثم انتقلت هذه الأسر النصرانية إلى مصر لتواصل مسيرة الإسلام وتمزيق الدولة العثمانية، وعملت دار الهلال وصاحبها النصراني جورجي زيدان عملا هائلا في هذه القضية .

٢ - جاء محمد علي باشا سنة ١٨٠٥ م إلى عرش مصر، وبدأ بالتغريب والعلمنة وترجمه القانون الفرنسي ليحل محل القانون الإسلامي. واحتضنت فرنسا محمد علي ووضعت له سليمان باشا (الفرنساوي) من أجل إنشاء جيش وأسطول بحري لمحمد علي لضرب الخلافة العثمانية والاستقلال عنها. وقد استعمل إبراهيم باشا ابن محمد علي حينه لصرب الحركة الوهابية خوفا من انتشارها في المنطقة .

٣- ضرب الخلافة الإسلامية في مقر دارها في إسطنبول، فاتفق كريتزون وزير خارجيه بريطانيا مع عصمت إينونو ممثل مصطفى كمال أتاتورك في معاهدة لوزان (من أكتوبر سنة ١٩٢٢ إلى فبراير سنة ١٩٢٣ م) على ضرب الخلافة، ومحاربة أية محاولة لإعادة الخلافة، ومحاربة الشعائر الإسلامية، واتحاد قانون غربي بدل الذي أقصر مصاحح أوروبا وأرق أجهانها ثلاثة عشر قرنا، وكان إسقاط الخلافة في ٣ مارس سنة ١٩٢٤ م

يقول أحدهم . (إن أوروبا كانت تفزع من الرجل المربص (تركيا) لأن وراءه ثلاثمائة مليون من المسلمين على استعداد للجهاد بلشوية من أصغره) (١) .

٤ - بعد أن هدم أتاتورك الخلافة أراد أن يعيد تأليه (الذئب الأبيض بوزكورت) الذي كان يعبد الأتراك القدماء، وكانوا يؤلهون (جنكيزخان)، وقض كل صلة بالإسلام والعرب .

٥ - بعد أن انتشرت الأفكار القومية على يد النصارى مثل ميشيل عفلق (مؤسس حزب البعث)، وأنطوان سعادة وجورج عبد المسيح (مؤسس الحزب القومي السوري) وجورج حبش وأستاذ قسطنطين زريق (حزب القوميين العرب)، صار العرب يقدمون العربي النصراني على المسلم التركي والباكستاني والأفغاني، ووقف العرب في الحرب الأولى ضد الأتراك مع الانجليز والفرنسيين الصليبيين .

٦ - ثم انتشر العرب خطوة أخرى وهي إحياء العصبية الإقليمية الفتنة قاحيا الفرعونية ورفع روكنر عشرة ملايين دولار للبحث عن الآثار الفرعونية .

وعادت أسماء الكفار التي يشتمر المسلم من ذكرها : مثل الأعرام (قبور الفراعنة) وزمسيس وزمسيس الثاني الفرعون الذي تربس في بلاطه سيدنا موسى عليه السلام)، أبي الهول، فأصبحت هذه الأسماء محبة إلى المسلمين ويسمون بها البقالات والصالونات

١ - رأينا المعاصر لمحمد توفيق - ١٩٧

والمؤسسات والشركات .

يقول طه حسين : (لو وقف الإسلام بيني وبين فرعونيتي لنبذته) .

وقال حافظ إبراهيم :

أنا مصري بناتي من بنى هرم الدهر الذي أعى الفنا

ويقول شوقي عن مصر :

وجه الكنانة ليس يفض ربكم أن تجعلوه كوجهه معبودا

٧- ومزق العالم الإسلامي شرا ممزقا، وتفرقوا شيئا فكل محطة فيها أمير المؤمنين ومنبر، وجرت الحيلة على المسلمين فأصبح أحدهم يتعصب لحدود مصنعة من قبل أعدائه، وصارت الأنهار والجبال تغير نظرة المسلم إلى أخيه : صار المسلم لا يحس بأية غيرة للعداوى اللاتية تنتهك أعراضهن على بعد أميال قليلة وذلك لأن الانجليز قالوا له في معاهدة (سايكس بيكو) إن قطعة الأرض هذه ليست من بلدك .

والحمد لله : لقد كانت الصحوة الإسلامية من بشائر الخير الكبيرة في العقدين الأخيرين ولكن رواسب الجاهلية وركام تقاليدنا ووشائجها تكون ثقلاً ضخماً على قلوب الشباب المسلم، لازال الشباب المسلم مرتبطاً بالحدود الجغرافية التي رسمها أعداؤه . لازال الشباب يشعر بالوحشة والغربة تجاه أخيه الذي يحمل نفس مبادئه ويعاني في أعماقه من الآلام، ويكابذ من الآشواق والآمال التي تداعب خياله نفس الذي يعانيه أخوه .

ولكن الإحساس لم يصل إلى نفس الحرارة والحرق التي يحس بها لمن يشاركه قطعة الأرض الصغيرة المسماة بالدولة، وإن كانت مدينة واحدة .

لازال وجهه لا يتعمر غضبا لله على ماء تسفك وأرواح تزهق من إخوانه المسلمين على مقربة منه، وذلك لأن لونه جواز سفره أخضر وجواز سفر أخيه أزرق .

يسافر الشباب إلى الغرب ليدرس، ومع ذلك لا يستطيع كثير منهم أن يحطم قيود الإقليمية التي تشده لأبناء إقليمه وإن كان لسانه ينطق بخلاف هذا، ودعواه العريضة أن يحمل الإسلام العالمي بفكرته وعقيدته .

تكابد الأقاليم الإسلامية حوله من الفقر والمرض والذلة واحتلال الكفار ما لا يعلمه إلا الله ثم الذي يعيشه، ومع هذا لا غيرة لديه ولا نكير ولا حمية .

وأكبر مثال هو أفغانستان

١- أنا أعرف بعض الدعاة زاروا باكستان عدة مرات ولأشهر أحيانا ومع هذا لم يخصصوا أسبوعا لدراسة قضية أفغانستان، أو لزيارة مخيم أو معسكر أو دار أيتام، بينما كارتر ونيكسون الرئيسان الأمريكيان زارا بنفسيهما أرض أفغانستان، لأن كارتر أو نيكسون له من الاهتمام بهذه القضية الإسلامية الضخمة لعله يقطف بعض ثمارها، أما المسلم الداعية فلا تثير له اهتماما، فأية حرقه وأية غيرة عند هذا المسلم ؟

٢- إن كثيرا من المتعبدین، وبعضهم أصحاب مناهج إسلامية لازال يلوم من يخف بنفسه إلى أرض الجهاد الأفغاني (القضية التي تهز العالم بأسره)، وبعضهم يرى أن المجيء إلى أفغانستان ليلبي نداء ربه من الخفة والتسرع والتهور والتعجل والعاطفية والحساس والطيب المنبتق من السذاجة، إن لم يقل نوع من البلاء والغباء يستحق الإشفاق والثناء .

ونحن ندعو الشباب المسلم أن يأتوا ليتتوقوا بأنفسهم حلالة الجهاد، وندعو الله أن يشرح صدورهم لحب الجهاد والاستشهاد .

وندعو الشباب المسلم أن يعيشوا بأنفسهم أياما من الريايط والجهاد ليرى ضخامة التجربة، وعنوية المعاناة الطويلة .

وندعو الشباب المسلم أن يدخلوا أتون المحنة لتصفو أرواحهم، وتصل نفوسهم بوقتقى قلوبهم .

ندعو الشباب المسلم أن يطرحوا عن أنفسهم الأمانى، وينزلوا من البروج العاجية، ويعيشوا مع المسلمين أتراحهم وأحزانهم ودموعهم وآلامهم، ويشاركوهم مسيرة الدماء والدموع.

ندعوهم لثلا تقوتهم الفرصة، ولثلا يسبقهم الركب، وقد يحسون يوما بالندم، ولات ساعة مندم.

{فستذكرون ما أقول لكم وأقرض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد}

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

ثلة الشرف والفخار^(١)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد :

فقد كانت الشمس تلم أذيالها لتختفي وراء جبال خوست وأنا فوق قمة جبل في "صدي" وإذا بشابين صغيرين مقبلين إليّ بابتسامة عريضة وجسد نحيل يذكرني بقول المتنبي :

كفى بجسمي نحولا أنثي وجل
لولا مخاطبتي إياك لم ترني

وإذا بي أمام أبي حفص وأبي أسيد، فضمتهما معا وعانقتهما. لقد طال الفراق، وتطلعات المدة وهما في أرض الشرف ومنازل الفخار.

أما أبو أسيد فوزنه ٤٨ كغم، فعمد عشرين شهرا متواصلة وهو في بلخ، وهذه هي المرة الثانية التي يقيم فيها في بلخ، ففي المرة الأولى مكث قرابة عام، وأما أبو حفص فقد غاب قرابة عام ووزنه ٤٥ كغم، ويحدثني كل منهما عن المعاناة المريرة التي قابلها أثناء العدة ثلاثة وثلاثين يوما والثلوج في معظم أجزاء الطريق تعيق مرور القوافل، والثلج يغطي صدر الرجل، وكم من الأصابع سقطت في هذا الجليد المتجمد، ولقد عجبت عندما أبلغاني أنهما رجعا وحدهما بون مصاحبة قافلة من المجاهدين.

وبلخ تقع على حدود روسيا قرب نهر جيحون، فيقطعون في هذه الرحلة قرابة ستمائة كيلومتر ونيف، وهم يواجهون في كل قرية مشكلة جديدة، خاصة وإن لون أبي أسيد كالفرنسيين، ولا يصدق الناس أنه من العرب أو المسلمين، وكم سبب له شكله من مشاكل أثناء اجتياز هذا الطريق الطويل الذي يخترق أفغانستان من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، إن قواعد الروس وكماثتهم التي يتربصون بها مرور المجاهدين لا تعد شيئا أمام بعض مشاكل القرى التي تفرض الضرائب والاتاوات الباهظة على المارين في هذا الطريق.

ولا ينقضي عجبي من شجاعة هؤلاء الشباب، وزاد في دهشتي عندما أعلمني أبو حفص أن أبا أسيد قد ذهب إلى بلخ وحده بون أي رفيق، وأمسكوه في الطريق، وقالوا له بآئك فرنسي وأنكر ذلك، ولا ينجيه غالبا إلا قراءة القرآن الكريم حتى يصدقوا أنه مسلم.

إن أهوال السفر والشدائد التي تحف بالطريق، والمخاطر التي تهدد القوافل لا يعلمها إلا الذين كابنوها وعاشوها، قلت لأبي أسيد : حدثنا عن رحلتكم وعن كيفية وصولكم، فقال : (إن وصولنا أول مرة كان أشبه بالخيال، وأقرب إلى الأساطير، فلقد أمضينا في الطريق ٤٦ يوما سقطت فيها أطافر عبدالله أنس جميعا،

وطلبت منهما أن يحدثوا الشباب عن آثار العرب في الجبهة وفي داخل أفغانستان فقالا:

إن كلمة العربي تعتبر شبه مقدسة عند قادة الأفغان الكبار، وكم من قضية كبرى لا يبتون بها إلا أن يرجعوا إلينا، وكم من مشكلة بين الفصائل ما حلها بإذن الله إلا وجود العرب، وإن المجاهدين الأفغان ليخجلون كثيرا أن يحصل بينهم خلاف في وجودنا، بالإضافة إلى استحيائهم -من أنفسهم- عندما يوسوس لهم الشيطان بالهجرة تحت ضغط الحاجة وثقل الجوع وحزن العوز فكم من أسرة ليس لها معيل إذ عائلها الوحيد منذ سنوات في أرض المعركة لا يستطيع أن يكسب للحصول على الرغيف لأسرته، ولا تطاوعه نفسه أن يقارن الجبهة وهو يرى العربي بجانيه قد هاجر من موطنه والدنيا مقبلة عليه بخضرائها من أجل أن ينال شرف الجهاد.

لقد سألت شابا اسمه حسن أين تعيش أسرتك؟ فقال : لا أعلم، فعمد خمس سنوات ونيف ضرب بيتنا وأنا في الجبهة، وهاجر والدائي مع اخواني ولا أعلم شيئا عنهم، ولم أتل عنهم طرف خبر.

قلت : إيه يا أبا أسيد، فقال : ان تعطش الشباب العربي للقتال يرفع الروح المعنوية لدى جبهة بكاملها، وشوقهم للنزال وتضلعهم للشهادة يجدد في نفوس هؤلاء المجاهدين.

ودعك عن العز التريوي الهام الذي يقوم به الشاب العربي، من تعليم القرآن والأذكار بعد الصلوات، وتعليمهم صيام الاثنين والخميس وقيام الليل وغير ذلك.

^(١) - نشر في مجلة الجهاد - العدد الثلاثين - ٣٠ رمضان ١٤٠٧ هـ الموافق مايو ١٩٨٧ م.

وفي هذا المنطقة يعتبر القاضي عبدالله القاضي العام والمفتي للمنطقة بكاملها وكان على وشك الهجرة، فلو هاجر لتفككت الجبهة وومنت، ويشاء الله أن يصل ثلاثة من الإخوة العرب إلى بلخ، ويلغي فكرة الهجرة من ذهنه، ثم يثبت وتصيح الحصة من أشد جيئات أفغانستان قوة، وقوام قوتها قرابة ستة عشر ألف مجاهد.

قلنا لأبي أسيد : ألا تحدثنا عن اخوانك العرب المجاهدين؟ فقال ممن أحدثك؟ أحدثك عن الدكتور صالح الذي سبي نفسه وطعامه وشرابه ويعيش للمجاهدين الأفغان ليل نهار، ومنذ أشهر وهو مصاب بالحصوة ولكنه لا يكل ولا يمل، راتبه للمجاهدين، وهل أحدثك عن صالح المربي؟ أم صالح المجاهد؟ أم صالح الطبيب؟ أم صالح الزاهد؟.

والطبيب صالح هو الطبيب العربي الوحيد الذي مكث داخل أفغانستان قرابة سنتين، كان أول ثمانية أشهر لا يتقاضى أي درهم من أية جهة أو مؤسسة، وبعدها تعهد له مكتب الخدمات بنفق راتب، لكنه ينفق راتبه لشراء علاج للمستشفى. لقد حل الدكتور صالح محل طاقم كامل من الفرنسيين مزودين بأجهزة طبية حديثة ووسائل علمية متقدمة من أجهزة الأشعة والتخدير وغير ذلك، وكان عددهم قرابة التسعة في مستشفى مزار شريف (عاصمة بلخ)، وبعد أن ظهر منهم محاولة الإفساد المستمرة بتوزيع حبوب منع الحمل وحبوب المخدرات مثل (HALUCIN) (MOGADON , LORTAZPAM , O URAL ...) التي تسبب الإدمان لدى المجاهدين، أفتى القاضي عبدالله بعدم جواز مخالطتهم أو الجلوس اليهم أو التردد عليهم، ويشاء الله أن يغادر الطاقم الفرنسي بكامله ويحل محلهم الدكتور صالح وحده ويعينه الله عز وجل ويقوم مقام هذا الطاقم، ويصبح ذكر الدكتور صالح على كل لسان في المنطقة، ورغم قلة الإمكانيات وقلة ذات اليد فإنه بعون الله -مع الاحتساب والاخلاص والتجرد كما نحسبه ولا نركي على الله أحداً- قد استطاع أن يشق طريقه ويثبت وجوده، ويقوم بعمليات كثيرة تحتاج إلى أجهزة متقدمة ومستشفيات مجهزة حديثة، فبدأ يجري عمليات إزالة الحصوة، وتقل العظام، أما جراحات الحرب فحدث عنها ولا حرج، ولقد تجاوز الدكتور صالح هذا، فقد أقام بكرة لفنر من المجاهدين يحملون الشهادة الإعدادية تقريباً، وخلال عام تقريباً أصبح هؤلاء يقومون ببعض العمليات الجراحية، وأصبح من حوله يتأسسون به في صيام الاثنين والخميس وفي التزام الأذكار وفي الحياة لهذا الجهاد الذي رفع الله به رأس الأمة الإسلامية بأسرها، واشتدت آلام الحصوة عليه، واضطر أن يحضر إلى باكستان لإجراء عملية جراحية وما يشدك إليه بساطته ووضوحه وتواضعه وأدبه وحيازه. وقضية أخرى أنه يطلب كتب التربية الإسلامية والثقافة والفكر الإسلامي ويصر عليها إصراره على بعض الأجهزة الطبية الضرورية للمستشفى، فهو يجمع بين علاج الروح والبدن : (الذين آمنوا وتطمئن لربهم يذكر الله ألا يذكر الله تطمئن القلوب)

(الرعد : ٢٨) .

ويحدث الدكتور صالح قصة تعبر عن حب المجاهدين للعرب فيقول : أسر شاب عربي اسمه (عبدالرحيم رشيد العرجا)، وعندما علم الأفغان فكانما خرت عليهم صاعقة من السماء، ويتحرك القائد (عبدالله) مع كتيبته على بعد خمسة أيام مشياً من (امرغ) إلى (خشد نهر) ويهاجم القلعة التي ظن أن فيها عبدالرحيم، وكان الكومندان (القائد) عبدالله جريحاً قبل هذه المعركة، فكان يقاتل بيد واحدة، ويبقى مجالداً مصابراً يتجرع آلام الجراح، ويواصل تقدمه حتى افتتح القلعة وأسّر مجموعة من الشيوعيين، ولكنه وللأسف لم يجد فيها عبدالرحيم -الفتى العربي- خاطب الحوراء كما كان يسمي نفسه.

ويحدثني عناية الله مجاهد أفغاني كان سجيناً مع عبدالرحيم في نفس الزنزانة في سجن بل شرخي في كابل قائلاً : لقد سألت المحكمة عبدالرحيم لماذا دخلت؟ فقال : بل أنا أسألكم لماذا دخلت روسيا أفغانستان؟ ثم استطردت المحكمة قائلة : هب أننا أطلقنا سراحك فماذا تصنع؟ فأجاب : سأحمل سلاحى وأقاتلكم، لأن الجهاد فرض عين، ويقول عناية الله : لقد وددت لو أفتديه بنفسى، وكان آخر عهدي به ربيع الثاني لهذا العام.

ورأيت شقيقاً عائداً من تخار- جه أب أي (بئر الماء)- وقد مكث هناك قرابة سنة ونصف، ويحدثني أنه دخل منطقة بخارى ثلاث مرات، وذات مرة وعلى حدود روسيا دخلت بلدة اسمها (شاه دره) فوجدت شيخاً كبيراً من بخارى، فقالوا له : إن هذا عربي جاء مجاهداً، وإذا بالشيخ يهرع إلى ويطوقني بذراعيه قائلاً : (أهلاً بك يا حفيد رسول الله، جئت إلى بلادي لتدافع عنها)، قال هذا والدموع تهطل من مقلتيه سبلاً، قال شقيق : فلم أتمالك نفسي ويكيت لهذا التقدير الكبير الذي يحظى به العربي لديهم. وقال : لقد وجدت بعض القبائل في ولاية بلخ تتكلم العربية بكاملها شبيهاً وشبابها وأطفالها ومنها (خوشل آباد).

وسألكم متعجبا مستوضحا : أحقا أن المجاهدين يقومون بعمليات عبر نهر جيحون في الأراضي الإسلامية المستعمرة من قبل روسيا؟ فقال : نعم، لقد وصل إنجنير بشير من باكستان ومعه خيول قد أعجف السفر أجسادها، وضوت أبدانها فأصبحت تظلم، فادخلها ليسمنها في داخل الأراضي الروسية، وبعد أشهر وإذا بهذه الخيول غير التي كانت، ويقول شفيق : ما أجمل عيد الفطر على نهر جيحون (أموداريا) حيث قضيناه في (سمتي) نصطاد الأسماك ونأكلها، ويحدثني أبو نر ملقيا الضوء على هذه القضية -حب الأفغان للعرب- قائلا : عندما علم الأفغان أنني سأغادرهم أخذت مجموعة منهم أمتعتي وترفقوا على قتل الجبال وقالوا : لن ندعك تغادرتنا

وأما عبدالحميد فقال : لقد رفضوا جميعا أن يودعوني عند الفراق حزنا ولوعة وطمعا في بقائي عندهم، قال هذا والدموع تفرق عينيه ربواصل الحديث عن دور الإخوة العرب في أفغانستان فنقول : وفي اليوم التالي الذي يصل فيه أبو حفص وأبو أسيد يصل طاهر من هرات وبادغيس بعد غياب خمسة عشر شهرا.

وطاهر (عبدالله) هذا يحتاج أن نقرر له صفحات واسعة لنقتطف قبسات من رحلته المباركة، تلمس وأنت تستمع إليه أنك مع إنسان غير عادي يتدفق حيوية ويتفجر حماسا، وتشعر من خلال وميض عينيه وتور جبينه عزيمة فولاذية ومضاء نقادا.

لقد دخل قرابة خمسمائة قرية في هرات وبادغيس، لقد طافها شبرا شبرا خاصة مديرية إنجيل، وبقي قرابة مائة يوم يعيش معدل ٦ - ٧ ساعات متواصلة يوميا يدخل عدة قرى في اليوم الواحد، وما بقي مجاهد في تلك المناطق إلا وقف على حاله، وتعرف على حاجته، وأوصل لكل واحد منهم نصيبه من المساعدات.

إنه يحدث عن عوزهم وفقدهم المدقع فيقول : سألت إحدى الجبهات عن أكلهم اللحم والفاكهة فأجابوا : منذ أسبوعين لم نضع في الشاي سكرًا. منذ أربعين يوما لم نر اللحم، ومنذ سبعة أشهر لم نر الفاكهة، وأما الخبز فانهم لا يعطون المجاهد رغيفا، بل يعطونه نصف رغيف فقط مع الشاي غير المحلى

قال طاهر : لقد نقل الجهاد عقيدة التوكل عندما من الأوراق الى القلوب وحولها من كلمات تقال إلى سلوك وأخلاق وأفعال، ويتبع قائلا : لقد كان الروس يتابعوني من قرية إلى قرية ويقصفون القرية التي أحل فيها، وجاءوا إلى قائد المليشيا في هرات وقالوا : نريد رأس طاهر بأي ثمن حيا كان أو ميتا، ولو دفعنا مليون روبية، كم مرة تعرضت فيها للموت؟ وكم فنحت المنية شدتها لتبتلعني ولكن قدرتي بنجيني : (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) الآية (١٤٥ آل عمران)

لقد حملني الصاروخ ذات مرة عن حصاني وطرح بي بعيدا عنه بعد أن رفعتني هواء الصاروخ عاليا، أما انفجار القذائف قربي وفوق رأسي في الهواء ثم يكتب الله لي الحياة فحدث عنه ولا حرج :

نفى النوم عن عينيه نفس أبية لها بين أطراف الأسنة مطلب
ومسن تكن العلياء همه نفسه فكل الذي يلقاه فيها محبب

سبحان الله، كم يصنع الإيمان من معجزات، وكم يربي من شجاعة، إنهم أسود في ثياب بشرى، وليوث في أبدان أناسي. فإذا علمت أن هؤلاء الشباب جميعا -عدا الدكتور صالح- لا تتجاوز ثقافتهم الثانوية العامة، وأعمارهم ما بين العشرين والخامسة والعشرين أدركت عندها الأثر العميق الذي ينتجه دعاة تربوا في أحضان الدعوة الإسلامية أو رجال عركتهم الحياة وعنتهم تجاربها، وأورثتهم حنكة ودراية وبعدا وعمقا، ولكن : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (الانعام : ١٢٤)، والله أعلم من يورثه ميراث النبوة ويضع على عاتقه تكليف حمل اللواء وتبليغ الرسالة :

والناس شخصان ذا يسعى به قدم من القنوط وذا يسعى به الأمل
هذا إلى الموت والاحداث ساقرة وذا إلى المجد والدنيا له خول

ويحدث طاهر عن حالة المهاجرين البيئية الاليمة في إيران حيث لا يصل التجار من أهل الخير، ولا يسمح للمؤسسات الخيرية أن تقوم، ويحدث حديثا تقشعر له الأبدان من حيث الجهل والفقر والمرض والعري، فالمهاجرون في باكستان يعتبرون في نعمة رغيدة

إذا ما قيسوا بإخوانهم في إيران، لأن ببشاور (أكبر مدينة فيها مهاجرون) تعج بالمنظمات الغريبة للإغاثة، وتزخر بالمؤسسات الإسلامية الخيرية، وقلما يمر يوم دون أن يزورها تاجر أو يمر بها وفد، بينما الديار بلاقع في إيران، فالطير سائحة والدار بارحة، وينبئ المسلمين إلى ضرورة الاعتناء بالتعليم وبمساعدة إخوانهم المهاجرين في إيران.

أقول : هؤلاء شباب مفاتيح الخير، وطوبى لمن جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، وختاماً فهذا غيض من فيض مما يقوم به الشباب العرب في داخل أفغانستان، هجروا أوطانهم، وأسهبوا ليلهم، وأتعبوا أقدامهم طمعا في رضا الله، وحبا في مزاولة الجهاد واقعا حيا، وأملا أن يقدموا شيئا من الواجب الثقيل الملقى على عاتق الأمة الإسلامية تجاه إخوانهم المجاهدين الأفغان، وقد جاء في الحديث الصحيح ^(١) : (في كل قرن من أمتي سابقون) فتتضرع إلى الله أن يكون هؤلاء من السابقين : (والسابقون السابقون أولئك المقربون # في جنات النعيم # ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) (الرائعة : ١٠ - ١٣)

فإن لم يدركوا منازل السابقين فنبتهل إلى الله ألا يحرمهم الأجر الجزيل : (ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) (التوبة : ١٢٠ - ١٢٦) . خلاصة الأمر أرجو الله أن يحمي هؤلاء من أعدائه، ومن أجهزة الأمن التي تترصدهم، وجماع القول : إن أمة فيها أمثال هؤلاء لن تموت.

أسود خضابهم دم الأسود (٢)

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد :

فإننا نواجه أحيانا في السير والمغازي قصصا من البطولات الفذة التي يحسبها القارئ -الذي لم يذق طعم الجهاد ولم يزاوله واقعا في عالم الحياة -أقول بظنها القارئ ضربا من تهويلات المؤرخين المشبهين بإشرافة هذه الفترة الفذة من التاريخ، وأحيانا يطوي كشحه (يميل جانبه) لا يريد أن يلقي باذن صاغية لهذه القصص التي يظنها القاصون ضربا من الأساطير نسجه خيال المؤلفين.

والحق الذي لا مرية فيه أن الذي يعيش حياة الجهاد ويرى ضروب البطولات الرائعة والتضحيات الرائدة التي يقدمها المجاهدون تصبح هذه القصص لديه من المسلمات والبدهييات التي لا تحتاج إلى إعادة ولا تكرار، ودون حاجة إلى إيراد البراهين والأدلة على صدقها.

تواجهك -مثلا- قصة قتل عبدالله بن أنيس خالد بن سفيان الهذلي في ٢٣ محرم سنة ٤هـ، فلما جاء عبدالله برأس خالد أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عصا وقال: هذه آية بيني وبينك يوم القيامة فلما حضرته الوفاة أمر أن تجعل معه العصا في أكفانه ^(٣).

وكذلك قصة حذيفة بن اليمان عندما أمره -صلى الله عليه وسلم- يوم الأحزاب أن يستطلع خبر المشركين فيدخل خيمة أبي سفيان، حتى قال : لو شئت أن أقتل أبا سفيان لقتلته ^(٤).

وكذلك قصة ضرار بن الأزد يوم أن أسره الروم حول دمشق، ثم يكر المسلمون مع أخته خولة ويخلصونه من الأسر. ومن قصص البطولات الرائعة قصة أبي رافع (سلام بن أبي الحقيق) أحد أثرياء اليهود وزعمائهم والتي يرويها البخاري ^(٥) على لسان قاتل أبي رافع الصحابي عبدالله بن عتيك عند وصولهم إلى حصن أبي رافع قرب غروب الشمس ذي القعدة أو ذي الحجة سنة ٥هـ، قال عبد الله بن عتيك لأصحابه : (اجلسوا مكانكم فإنني منطلق ومتلطف بالبواب لعلي أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم

(١) هو في صحيح الجامع برقم (٤١٤٣) وفي السلسلة الصحيحة برقم (٢٠٠١)

٢- نشر في مجلة الجهاد - العدد الحادي والثلاثون - شوال ١٤٠٧هـ الموافق حزيران ١٩٨٧م.

(٣) زاد الماد (١٠٨/٢) والسير النبوية لابن هشام (٦١٩/٢)

(٤) الرحيق المختوم (٢٥١) (٥) صحيح البخاري (٥٧٧/٢)

تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة وقد دخل الناس، فهتف به البواب يا عبدالله -يا هذا- إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب.

قال عبدالله بن عتيك : فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم علق الأقاليد على وتد (أي المفاتيح على وتد)، قال: فممت إلى الأقاليد فأخذتها، وفتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت علي من داخل قلت : إن القوم لو نثروا بي لم يخلصوا إلي حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدرى أين هو من البيت، قلت : أبا رافع، قال من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة اشختته ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أنني قتلت، فجعلت أفتح الأبواب بابا بابا، حتى انتهت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أنني قد انتهيت إلى الأرض فوثعت في ليلة مقمرة، فأنكسرت ساقي فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت : لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته؟ فلما صاح الديك صاح الناعي على السور فقال : أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت : النجاء فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فحدثته فقال : ابسط رجلك، فبسطت رجلي فمسحها فكانما لم أشتكها).

هذه بعض قصص البطولات التي لا تتضح جلية إلا لمن عايش الجهاد نفسا وواقعا في عالم الحياة، ومما لا شك فيه أن كثيرا من أحداث السيرة قد اتضحت في نفسي بعد أن واكبت مسيرة الجهاد الأفغاني، ويدون هذه المعاشاة لوقائع الجهاد ومسايرتها يوميا وأحداثا تعمل عملها في القلب والنفس والجسد تبقى أحداث الفتوحات الإسلامية الغازا ومعميات لا تستطيع النفس أن تدرك أعماقها، ولا أن تفسر أحداثها، ولا أن تفهم أبعادها، ولا تستطيع الأبصار أن ترى جوانبها المشرقة، ولا أن تستوعب الأفق السامق الذي وصل إليه شخصياتها وأبطالها. وتواجهك في مسيرة الجهاد الأفغاني المباركة قصص من البطولات تفسو لك روائع التضحيات التي بذلها سلفنا الصالح لبناء صرح هذا الدين الشامخ، ولا نستطيع في هذه العجالة أن نتبع هذه البطولات وإنما نضرب أمثلة منها.

قصة الشيخ عبدالوهاب في درواز

لقد أسس الشيخ عبدالوهاب جبهة درواز آخر نقطة في أفغانستان، غارسة في أعماق روسيا، وليس بينها وبين المستعمرات الإسلامية تحت أقدام الدب الروسي سوى نهر جيحون، وإذا ما دارت رحى الحرب بين الروس والمجاهدين انطلقت المدفعية الروسية من داخل الحدود عبر النهر ضد المجاهدين، وقد عمل في الروس مقتلة عظيمة، وقد اجتاز النهر ليفزو الروس ثلاث مرات.

هجم الروس على قريته (سبز) واستشهد أبوه سفر محمد وأخوه عبدالكريم وأمه في يوم واحد، وأسرت ابنته مريم وكان عمرها ثلاث سنوات وبقيت لدى الشيوعيين أسيرة مدة ستة أشهر، ثم أغار المجاهدون على المركز الشيوعي وخلصوا مريم، ثم أغار الشيوعيون مرة أخرى على قرية الشيخ وعلى بيته بالذات وأسروا في هذه المرة زوجته وبناته الثلاث، وألقوا بالأسيرات في داخل مطار خاهان المحروس بالديابات والصواريخ والأسلحة الثقيلة، وبعد الشيخ العدة لاقتحام المطار، واقتحم الموت، ودارت الرحى والموت الزوأم يرغرف بأجنحة الرعب فوق الفريقين هناك فوق الجبال الراسية.

رسا أصله الثرى وسما به إلى النجم فرع لايرام له أصل

والتلوج المتناثرة التي تكسو قممها، والمجاهدون بينها حتى لكان الموت يهابهم، والليل يخشاهم، فلا يستطيع الحركة ولا سغير ساعاته، ويزيد الموقف رهبة نزول الشيخ عبدالوهاب ساحات الوغى كما قال الطائي :

فقد بث عبدالله خوف انتقامه على الليل حتى ما تدب عقارب

إن الطير لتهاب أن تلتقط من فوقها الحب، ويخشى الجن أن يسير بها ليلا.

وكانت لا تطير الطير فيها ولا يسرى بها الجن سارى

وانجلت المعركة عن انتصار الشيخ عبدالوهاب، وخلص زوجته وبناته الثلاثة من الأسر، وأسروا نساء قادة الكفر من داخل المطار، وسار بالأسيرات، وفي الطريق قالت زوجته له : إن هؤلاء النساء الأسيرات كن قد أحسن إلي أثناء أسري عندهن، فلهن عندي بد (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)، فأنطلق سراحهن

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه حريصا عليها مستهما بها حبا

واليك قصة أخرى من هرات :

عبدالبصير من أوائل المجاهدين الذي جربتهم ساحات هرات، وذات مرة أسر وسجن سنة ونصف، ثم حكم عليه بالإعدام، ثم نقب السجن وخرج، وجمع السجناء من السجن ثم عاد إلى الجهاد، وأسرت الدولة مرة أخرى وحُكمت عليه بالإعدام على أن ينفذ الحكم خلال ثلاثة أيام، وكان معه غلام محبوب ينتظر منيته بتنفيذ حكم الإعدام الذي صدر عليه، وكان غلام محبوب مجروحاً جرحاً بليغاً، وكلاهما مقيد، واتفقا أن يكون الفرار من الحمام ذي السقف الخشبي، وبمحاولات شديدة باكتافهم ورفوسهم استطاعا أن يفتحا ثغرة في سقف الحمام وتحاملا على نفسيهما وصعدا السطح بأعجوبة، وألقيا بنفسيهما في البيت المجاور، وإذا به دائرة المخابرات (خاد)، وفرا بسرعة، وعندما علم أمرهما بدأت صفارات الإنذار وبداثر الدولة تهتز وتحرك كأنها كلاب الصيد، ونجاها الله من الموت، ولا زال عبدالبصير في أرض المعركة

أسد دم الأسد الهزبر خضابه موت فريص الموت منه ترعد

ولابد من القصة الثالثة :

والتي تطل علينا من سالانج / بنجشير، بطلها الحقيقي الذي تفوق قصصه مغامرات الأبطال الأسطوريين التي وضعت لتسلية الأطفال وملء خيالهم، إنها :

قصة محمد بانا :

أحد أركان الحرب عند أحمد شاه مسعود، يسميه الروس الجنرال لشدة ما لاقوا على يديه من حقوف، ولكثرة ما حطم لهم من أليات على أبواب سالانج قد تزيد على خمسمائة دبابة وآلية خلال السنوات السبع.

وقد ذكر ابن الأثير وابن كثير في المغازي أن جيش سعد عندما عبر دجلة وهر فائض مزبد وكان العدد قرابة ثلاثين ألفاً وراهم الفرس يسرون على الماء هرب الفرس وهم يصيحون : (جاءت العفاريت جاءت المجانين) ديوانا أمد، وهذا بانا يسميه أحمد شاه بانجنون لشدة شجاعته وجراته، ومن عادت أنه يركب في السيارات العامة على الطريق الرئيسي الذي يحتله الروس، ولهم نقاط كثيرة للتفتيش عليه، وبانا معروف لديهم.

وذات مرة -كما حدثني عبدالله أنس- وعلى إحدى نقاط التفتيش يطل أحد الروس برأسه داخل الاتوبيس، فيذهل إذ يرى بانا بين الركاب، فصاح قزعا بانا، ويسمع الروس حول السيارة بهذا الاسم فيسقط السلاح من أيدي البعض رهبة ووجلا، وسرعان ما دفع بانا الروسي بقبضة يده ثم قفز من السيارة، وفتح الروس الثمانية رشاشاتهم على بانا، واحترقت ثيابه، ولكنه لم يجرح بجرح واحد (لقد حدثني الأخ العربي أبو روضة : أن من عادة بانا أن يقرأ كل يوم في الصباح والمساء دعاء : باسم الله الذي لا يضره مع اسمه شيء) ويعتقد جازما كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من عبد يقول صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضره شيء) حديث صحيح^(١)

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى مسزومة ووجهك وضاح وثغرك باسم

ولا بد من ذكر أنباء محمود الغزنوي بقصة رابعة، وهذه القصة يقصها أبو داود رأي العين في غزني، المجاهدون هناك دبابتهم الدراجة الهوائية، يحمل أحدهم (بي، أم) راجمه الصواريخ ذات الصاروخ الواحد على ظهره ويحزمه، ثم يركب الدراجة ويضع قاعدة الراجة كذلك على ظهره، ثم يربطها ويركب الدراجة الهوائية، ويسير على هذا الحال ١٤ كم .

وليت اخواننا المسلمين في بقاع الأرض يغتنمون الفرصة ويستفيدون من درس الجهاد الأفغاني.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) عند أحمد بركم (١١٦) وابن ماجه بركم (٣٦٩) وأبي داود بركم (٥٠٨) وهو عند الترمذي بركم (٣٢٨٥) وقال حديث حسن صحيح وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي

ملحمة الإيمان الشرارة^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

فقد كان اليوم السادس والعشرون من رمضان هو بداية المعركة، رأى المجاهدون قواعد الكفار دكا شديدا، وكان يوما مشهودا، لا ترى السماء تعطّر إلا نارا وحديدا.

سحائب يمحرن الحديد عليهم فكل مكان بالحديد غسيل

وكان اليوم السابع والعشرون من رمضان يوما هادئا نسبيا، ثم أقبل اليوم الثامن والعشرون، وبدأت الدبابات والآليات تتحرك من القلعة (تشارني - علي خيل) نحو مراكز الكفار (بوسقات الشيوعيين)، وعادت الحرب تستعر ويشتد أوارها، وأصلبت هذه الآليات بوابل من القذائف من جميع الأنواع ومن شتى الأسلحة التي التهب، وكانت المشاعر ملتهبة، كل يحلم أن يكون شهيدا في هذه الواقعة، ونادى المتأدي : يا خيل الله اركبي.

قائد الركب يريد أن يوقع بالعدو ما استطاع من الخسائر :

همام إذا ما هم أمضى معومه بارعن وطء الموت فيه ثقيل

وتراء رغم أنه لا يكاد يكتحل بالنوم ولا يعرف للراحة طعما، ورغم انخفاض الضغط لديه إلا أنه لا يكل ولا يمل ولا يهدأ ولا يقر، الملح لا يفارق جيبه يلتهمه ثم يتبعه بجرج الماء يحاول أن يرقع ضغطه حتى يستطيع مواصلة المعركة ومواكبة المسيرة. والشباب من حوله يكادون يطيرون حماسا ويتفجرون حيوية.

ومضى اليوم الثامن والعشرون، وأرخى الليل سدوله، ولكن السلاح لم يسكت، والأصوات التي تكاد تصم الأذان تشق سكون الليل، والخيوط الحمراء من الرصاص المتتابع وقذائف الأسلحة الثقيلة تحيل الدياجي المظلمة في لحظات إلى نهار مضيء شمسو الصواريخ المنطلقة والقذائف الملتهبة. وكان اليوم التاسع والعشرون كسابقه لا تهدأ فيه آليات الكفار عن الحركة، ولا أسلحتهم عن الرد على أسلحة الإخوة المجاهدين الذين يصلون نهارهم بليلهم، وكأن كل واحد يريد أن يكفر عن السنين التي خلت وهو قاعد في بيته . .

انشق فجر الثلاثين من رمضان وقد بلغ الإعياء في النفوس مبلغه، وأخذ الجهد من كل نفس مأخذه، ويود كل واحد من الإخوة أن يضع جنبه فينوق طعم الراحة أو يكتحل بالنوم، وكان يوم فطار في المأسدة إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم^(٢). ومع الكلال والإعياء الشديد فإنهم يتوقعون أن ينزل العدو عليهم مجموعة كبيرة من الكوماندوز لتحتل المعسكر، صدرت الأوامر إلى الجميع بالتنظيم الشديد رغم الكرى الذي يداعب الأجفان، والتنبيه الأكيد رغم الإرهاق الذي استنفد القوى، والإنهاك الذي يجهد أولي العزم.

وكانت المفاجأة . . أسراب الطيران التي تدك المأسدة دكا، القذيفة تصل إلى طن كامل أحيانا والقنابل المنشارية التي تنفجر في الهواء وتفرش الأرض بالقنابل الملتهبة الصغيرة، وكانت هذه الطائرات تمهد لتقدم مجرعات من الكوماندوز - كلهم من الروس - التي أعدت إعدادا رفيعا، ودربت تدريباً عاليا يعتمد على اللياقة الجسمية، وخفة الحركة وسرعة المباغثة، وكل واحد يحمل سلاحا خفيفا وسكينا وقنابل بسيطة، وعلى ظهر كل واحد حقيبة إقامة واستطاع المجاهد أحمد شاه أن يبصر تقدم الكوماندوز فأخبر أبا عبيدة بالامر.

فاطلقت ثلاث طلقات من (الزيكويك)، وهذه إشارة إلى أن المعسكر قد دهم من قبل العدو، فاستنفر جميع الإخوة.

قال المجاهد أحمد شاه - أفغاني - الراصد : إن المتقدمين عددهم ما بين مائة وخمسين ومائتي مقاتل، وهم على شكل مجموعات، كل مجموعة مكونة من أحد عشر عنصرا، بينما عدد الإخوة العرب حوالي الأربعين، فظن الإخوة بأن العدو يخطط لدخول المعسكر من جناحه الأيمن (بدر)، وإذا بهم يدخلون المعسكر من جهة اليسار، ووصل الكوماندوز إلى تحت تلة القيادة، والإخوة فوق تلة القيادة، ولم يبق بينهم سوى مائة وخمسين مترا، وطلب الإخوة في غرفة القيادة نجدة وكان الأمير مع القائد العسكري في المقدمة فوق تلة القيادة، وأرسل الإخوة مجموعة من المجاهدين الأفغان، ولقد أحس العدو بوجود الإخوة من خلال مشي مجموعة النجدة، فانسحبوا إلى الخلف قليلا، ثم اتصلوا بمجموعة الهاون المساندة لمجموعة الكوماندوز، وكلها من الروس، وبدأ مدفع الهاون يصليهم بقذائف لا تتوقف، حتى كان أحدهم يسأل الآخر فلا يستطيع الأخ إجابته.

١- نشر في مجلة الجهاد - العدد الثاني والثلاثون - نوفمبر ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.

٢- شرح النووي / ج٧ / ص ٢٢٦ / وعند أبي داود برقم (٢٤٠٦) في (المصوم في السفر) وهو في مختصر مسلم برقم (٦٠١) .

ثلاثون دقيقة مع الموت :

مرت ثلاثون دقيقة والإخوة ينتظرون في كل لحظة شهادتهم، ولا تجد الالسة ترد سوى الشهادتين ولا إله إلا أنت سبحانك إنني كنت من الظالمين، قال عثمان : فوسوس لي الشيطان فقلت في نفسي هل أعصي الأمير وأتراجع لأجد ملجأ أم أطيعه وأنتظر الموت؟ ولكن لا مجال لعثمان ولا لأميته أن يلتقط أنفاسه فصلا عن أن يتراجع قليلا ليجد ملجأ يقيه شظايا القذائف التي تنزلت كالطرر، ورفع القائد العسكري رأسه ليرى ما يجري وإذا برصاصتين من الكلاكوف تمر من شعر لحيته.

طلب النجدة

وفي أثناء الدقائق الثلاثين بدأ الإخوة يستغيثون ويطلبون من غرفة الاتصالات النجدة من أية جبهة من جبهات المجاهدين، وصاحوا بالأخ الذي يحمل اللاسلكي بأن يتصل بالشيخ سياف أو المهندس حكمتيار بأن يوجهوا نيران مدافعهم الثقيلة نحو مصدر الهازن وأن يرسلوا النجدة، فأرسل الشيخ سياف أربعين مجاهدا وأرسل حكمتيار مثلهم.

نصف دقيقة فقط ردت إليهم فيها الحياة، لقد بلغت القلوب الحناجر، وكانت الأعصاب تحترق وهي تعيش بين الدنيا والآخرة، ولم يكن أحد يصدق أنه ناج من الهلاك، واغتتموها نصف دقيقة فقط من توقف الجعم الحديدية التي تنصب عليهم فهرعوا متحرفين لقتال، ودخلوا ملجأ (الغرفة المتقدمة)، وما أن وجدوا مس الأرض حتى غط بعضهم بالنوم لشدة الإعياء.

وتقدم الكوماندوز فوق التبة، فنادى المناادي ان امشيتوا قاذفات صواريخكم، فاقبلت مجموعة كبيرة من المجاهدين الأفغان والعرب، وبدأت تطلق على الأعداء، فأصابوا واحدا وتخرج مضرجا بدمه، وفر الباقون، وعاد الهاون ليصب نيران قذائفه على المجاهدين فسقط خمسة من الإخوة الأفغان شهداء.

الانسحاب من "تبة" القيادة إلى الغرفة المتقدمة :

وانسحب الإخوة من تبة القيادة التي احتلها الكوماندوز إلى التبة الثانية (الغرفة المتقدمة)، وعاد الهاون يصب نيرانه الرهيبة على الإخوة، وأقبل الدكتور صالح واختطف الأمير من بين فكي الموت الزؤام، وحجرا الرجا دائرتان تطحنان الأعصاب والنفوس والقلوب.

والأخ أحمد شاه -الأفغاني- يواصل اتصاله بالأمير بأن الكوماندوز ذوي الرجوه الحمر لا يزالون ينتشرون فوق التلال القريبة ويزدادون، وهنا وبعد سقوط الإخوة الخمسة شهداء ينظر أبو عبيدة إلى عثمان وكان بجانبه وقال : لتراجع قليلا.

انتقل أبو عبيدة مع عثمان من مكانهما قليلا من أجل دراسة الوضع الراهن وكيفية مواجهته، وبعد انتقالهما بخمس ثوان نزلت قذيفة هاون مكانهما فقتلت أربعة من المجاهدين الأفغان، عندها نظر عثمان إلى أبي عبيدة قائلا : "لن أقارئك أنت بركة"، وسار أبو عبيدة مع عثمان، وقرب المشغل يجلسان يتشاوران، وإذا بقذيفة هاون تخر بجانبهما، ولكن الله سلم فلم تنفجر القذيفة، فقال عثمان : ألم أقل لك أنك بركة؟

واضطرب أبو عبيدة أن يفارق عثمان لدقائق، فجاءت قذيفة ثالثة فانفجرت وعفر التراب وجه عثمان، وعندما عاد أبو عبيدة قال عثمان "لا تفارقني لأنك بركة".

وأبو عبيدة صاحب كرامات، وهو من حفظة القرآن، ومن قصصه أنه كان في منطقة (جور) أثناء الهجوم الكبير في العام الماضي، وبينما كان يستجعي إذ ألقت الطائرة فوقه قذيفتين كبيرتين، فتألم أن تأتيه الشهادة وهو على هذه الحالة، فأكرمه الله ولم تنفجر القذيفتان، ونزلتا بجانبه، ولو انفجرت إحداهما لتطاير جسده قطعا في الهواء.

اجتمع الأمير والقائد وعثمان ومنصور للتشاور والقصف لا يتوقف، والسماء تمطرهم بشتى أنواع القذائف والحجم، ولا يكادون يلتقطون أنفاسهم، والشيخ تميم مقترس بجانب غرفة القيادة، والصواريخ والقذائف من الطائرات والدبابات وراجمات الصواريخ ومدافع الهاون تتساقط كنفيه وهو يقرأ القرآن ينتظر الشهادة.

وكانوا مترددين في الانسحاب من المركز ولو كانوا متحرفين لقتال، وبينما هم كذلك وإذا بالطائرات تلقي قنبلة دخانية في وسط المعسكر ليكون هدفا واضحا لآليات العدو وأسلحته وقصفه، وازداد انهيار القذائف، وهنا قرر الأمير الانسحاب من الموقع مع ترك

تسعة من الاخوة العرب فقط، وهكذا بقي القائد العسكري مع تسعة من إخوانه العرب بالإضافة الى سرية من المجاهدين الأفغان بلغت ثمانين شخصا بقيادة منور شاه وسيد جلال الدين وفضل نبي. وبدأ الشيخ تميم يجهش بالبكاء، وكثير من الأعين تذرف دموعها، وأخذ الشيخ تميم يشد شعر لحيته، وخشي الاخوة أن يصيبه شيء أو مس من الجنون، وعاد الاخوة من المؤسسة (المركز الجديد) الى المركز الثاني (العرين)، ولكن النفوس كانت تتقلب على اللظى وامضى الاخوة ليلة ليلاء وهي ليلة عيد الفطر، ولعل البعض لم يكتحل بالنوم ألما وحزنا، وما أن انشق الفجر يوم العيد حتى عادت جموع الاخوة العرب الى المؤسسة.

العودة الى المؤسسة يوم العيد

لقد كان يوم عيد الفطر ١٤٠٧ هـ مشهودا لدى الاخوة المجاهدين العرب، وكل منهم متشوق لهذا اليوم منذ سنين :

(ولقد كنتم تقرن الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) (آل عمران : ١٤٣)

ودارت معركة رهيبية أبدى فيها هؤلاء الاخوة شجاعة نادرة وثباتا عجيبا وقد تحدثنا في العدد السابق من الجهاد عن الكوماندوز الروسي وكيف نزل الاخوة عليهم كالصاعقة، وفر الروس (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) (المذتر : ٥٠) وقد عملوا فيهم مقتلة عظيمة، وغنم الاخوة اسلحتهم، وقد سقط ثمانية من الاخوة العرب شهداء في هذا اليوم (علي وحسين ونور الحق ومنصور وأبو الفضل وعبدالله المصري وأبو خالد الجزائري وأبو الوليد السعودي 'محمد منير العتيبي'). وقد صد الاخوة العرب هذا اليوم هجومين من الكوماندوز الروسي ومحاولتين جريئتين لاقتحام المؤسسة، ولكن الله ثبت جنده المجاهدين (سنلقي في قلب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) (آل عمران : ١٥١).

واستمرت الايام القصف لا يتوقف فيها، وفي كل يوم يأتينا جرحى، والشهداء يزدادون، والدماء لا تجف، والسيارات لا تنقطع عن الحركة رغم قصف الطيران وراجمة الصواريخ ولا تكاد ترتاح في نوم، وطعامنا عند الشيخ (سياق) في هذه الايام المرق الذي فيه الدمن الافغاني الكثير، ولا يقدم عليه إلا من تعوده، وإلا فالإسهال ينتظره، وما رأيت الرز طيلة هذه الفترة إلا عندما اشترى بعض الاخوة لهم رزاً، كان أشد ما يواجه الاخوة الهاون الذي يقتحم على الاخوة خنادقهم، فكان قلبي معلقا مع هؤلاء الإخوة خاصة الذين يتسمنون ذروة جبل الرماة المعرض طيلة النهار للطيران والقذائف والصواريخ.

ولقد كان أمير جبل الرماة سيد محمد الافغاني من أنبل وألطف وأرفع ما رأيت من القادة خلقا وأدبا وعلمًا وسلوكًا، فهو أمير المجاهدين في (لوكر)، وقد كان مسجلا للماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود، وترك المايجستير وجاء طلبا للشهادة. وكان عند سيد محمد أحد قادات السرايا اسمه "نور اغا" شاب شجاع مجاهد قديم، وقد استشهد أثناء المعركة حوله ابن اخته وابن عمه ومع ذلك لم يفادر خندقه.

مرثيات وأسباب ومعطيات :

ومن خلال مراقبتي لمجريات المعركة رأيت أن العدو قد تكبد خسائر فاسحة في المعدات والأرواح، فما من يوم يمر إلا وتدمر مجموعة من الآليات، ويسقط بمعدل طائرة واحدة كل ثلاثة أيام.

وقد جاء موسى خان ذات يوم بتقرير يؤكد تدمير ١٢ دبابة و٤ ناقلات للجند وسيارتي إسعاف، وفي كل يوم تقريبا نسمع باللاسلكي نبأ تدمير دبابات وإحراق سيارات، أما القتلى فقد رأى أحد السائقين الأسرى ثلاث شاحنات كبيرة مليئة بجثث القتلى الروس ، وليس من الشيوعيين الأفغان ، ومن خلال مقارناتي لهذه المعركة مع المعارك الأخرى التي شهدتها في نجرهار ، ونازيان ، ومعركة جاجي في العام الماضي ومعركة خوست ونجور ، رأيت أن هذه المعركة أشد المعارك على العدو، وما لقي العدو مقاومة أبدا وإصرارا وعزما كما لقيه في هذه المعركة ، وكذلك ما رأينا الكافرين يصرون على استمرار المعركة كما شاهدناهم في هذه .

وهناك أسباب رئيسية كبرى للتحويل الذي جرى في هذه المعركة لصالح المجاهدين.

أول هذه الأسباب :

١ - لطف الله العظيم الذي كان يلف المنطقة كلها بعنايته ورحمته، ويحس الإخوة بهذا في حلهم وترحالهم، ليهم ونهارهم، وفي حركتهم وسكونهم، وقد تكرر كثيرا أن تسقط قذائف قرب الإخوة ولا تنفجر، وكذلك القذائف التي تنزل كالطرر وتنفجر ومع ذلك لا تؤذي الإخوة الذين حولها .

٢ - استبسال الإخوة العرب في داخل المعركة، وإقدامهم وتضحيتهم، مما شجن الهمم ورفع المعنويات .

٣- وجود أجهزة اللاسلكي مع الرصد المتقدم المتيقظ الذي كان يوجه كل قذيفة تخرج من خلال أسلحة المجاهدين .

٤ - وجود القيادة في وسط المعركة خاصة الشيخ سياف الذي لم يغادر أرض المعركة لحظة واحدة، وكان يوجه قادته من خلال جهاز اللاسلكي، ووجود القائد في خضم المعركة يعطي الجنود شحنة قوية ودفعة عظيمة، وكذلك وجود القائد الذي ألفت النفوس احترامه وطاعة أوامره في أيام الرخاء يقلل كثيرا من روتين الإجراءات في صرف الذخيرة وإخراج السلاح وبذل المال وتوفير الضرورات والحاجات من الأطعمة والألبسة والآليات المتحركة .

٥- مهارات المجاهدين في استعمال أسلحتهم خاصة الثقيلة منها، فقد كانت ضرباتهم مسددة وتقع في الأهداف .

{لَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} (الأنفال : ١٧).

٦ - جبهات السحر الخاصة بالدعاء للمجاهدين والتي كانت تردد {اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم} (١١).

٧ - اتحاد كلمة المجاهدين وجو التآلف والأخوة، فما كان الإخوة العرب يطلبون اجتماعهم إلا وسارعوا إلى الاجتماع، ولم يكن الإخوة العرب يطلبون من زعيم من زعماء التنظيمات شيئا إلا وسارعوا إلى الإجابة بروح طيبة ونفس منسرحة، خاصة (سياف وحكميتار ودباني) فتم يطلب من أحد الثلاثة شيء إلا ونفذه، وجزاهم الله عن المسلمين خيرا.

هذه هي الأسباب في نظري التي أدت إلى ميلان الكفة لصالح المجاهدين، وإلى ارتفاع الخسائر في الأرواح والمعدات لدى الكافرين.

لقد ترامى إلى سامعنا أن نجيبا أرسل وراء محافظ بكتيا وقائد قواتها وطلب منهما استمرار المعركة ومواصلة المحاولة، فاعتذرا بسبب التكاليف الباهظة والمعنويات المتردية لدى جنودهم، حتى فر إلى حاج خان بازك -أحد قادة المجاهدين- عشرون جنديا من بينهم مسئول الإشارة واللاسلكي.

فقال نجيب : "لا بد من المواصلة، وأنا أرسل لكم قوات جديدة"، وأرسل لهم قوات جديدة، لقد اشترك منذ بداية المعركة ثلاثة فرق بالإضافة إلى خمس كتائب روسية، منها كتبية واحدة من الكوماندوز، الفرقة الثامنة التابعة إلى كابل، الفرقة الرابعة عث التابعة إلى "غزني"، والفرقة الثانية عشرة التابعة إلى "جريدز" .

ويحدث سياف نقلا عن لسان أحد الضباط الذين استسلموا للمجاهدين أن القائد الروسي للحملة سألهم : لماذا تصيب قذائف المجاهدين منشآتنا ونحن لا نصيب قواعدهم؟ فاجابوا : إن الذين يسدون رمي المجاهدين ليس الأفغان بل هناك فنيون من بلاد العرب وأمريكا والصين يوجهون ضربات المجاهدين، والحق أن أبا عبد الرحمن قد أبلى بلاء عظيما وثبت ثباتا عجبيا.

استشهاد أبي حفص الفلسطيني (هشام هاني منصور) :

في عصر الجمعة وفي ساعة الاستجابة ٩ شوال الموافق ١٩٨٧/٦/٥ حاول الروس مع الشيوعيين الأفغان اقتحام المؤسسة (المركز الجديد) للمرة الخامسة، وكان الإخوة قد أعدوا كمينين، وكان أبو حفص ضمن أحدهما، وأقبل الشيوعيون يتقدمون مجموعات الروس حتى يقتل الشيوعيين الأفغان قبل الروس : (لثديتهم عذاب الحزني في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون) (فصلت : ١٦)

(١) الحديث متفق عليه. عن عبد الله بن أبي أوفى/ فتح الباري / ج ٦ / باب (١١٢) بروم (٢٩١٦)/ شرح الشريفي ج١٢/ كتاب الجهاد والسير / ص - ٤٧ بلفظ (. اهزمهم ووزلزلهم)

وأقبل عتل جواظ من الشيوعيين يفني ويشجع نفسه على الاقتحام، وسدد له أبو سالم اليهني عدة طلقات فأرداه قتيلا و إلى جهنم رئيس المصير، وإن اسوداد جثته، والنقن الذي تنقز منه الأبدان، لينبتك عن مصير هؤلاء وقد قيل إن هذا القتل هو : ولي جان قائد المليشيا الشيوعية في بكتيا، فعندما سقط هذا الكافر مجتذلا بدمه لأذ الباقون بالفرار فتصاى لهم الكمين بالرصاص فسقط ثلاثة ورأى أمير الكمين تبادل اطلاق النار مع الكمين الآخر التابع للمجاهدين، وظن أن بعض إخوانه قد جرحوا، فطلب من أبي حفص أن يسارع لإنتقاذ الجريح من إخوانه، فهرع أبو حفص، وعندما وصل وأبصر جثث القتلى انبطح على الأرض حتى يتفحص الأمر، وإذا بأحد الكفار المضرجين بالدماء لازالت فيه بقية روح، فوجه سلاحه نحو أبي حفص وأطلق عليه رصاصتين، فكانت الشهادة إن شاء الله والتي يبحث عنها وهو دون سن الحنث بكثير.

وقبل الشهادة بقليل كان أبو حفص قد أبصر روسيا وراء شجرة موليا ظهره نحو أبي حفص وأراد ذبحه بالسكين إلا أنه تذكر أنه استطلاع ولم يتلق أمراً بإحداث شيء، فذهب إلى أميره يستأننه في قتل هذا الروسي الأحمر، فأذن له، فرجع إلى المكان فوجده قد غادر وولى هاربا.

استمرار المعركة

المعركة مستمرة، ولهيبها يزداد اضطراما، ونشط الطيران، وأصبح يغير ليلا ونهارا، ولا تكاد راجمات الصواريخ تكف عن قذف حممها المستمرة فوق قواعد المجاهدين، أما الهاون (العنبر اللبود للمجاهدين) فإنه يواصل الليل بالنهار، ودعك عن الدبابات ومدافع الميدان (الهاوتزر ١٥٥ ملم)، لقد كانت قذائف العدو تسقط على مواقع المجاهدين فتعيد لها الدمار، وتتردد صداها سلاسل الجبال الشاهقة فكنت أسمع الصدى أحيانا فأقول للاخوة الجالسين كنفي : اني لأسمع هدير طيران، يقولون هذا هدير القذائف، كنت أوي إلى ملجأ صغير تحت صخرة شاهقة في السماء وعرضها حوالي خمسين مترا، فكنت أتصور كيف تسقط هذه الصخرة العظيمة فوق رؤوسنا إثر قذيفة طائرة معا يزن طنا كاملا، وما تحركت بين موقعين الا وظننت أنها نهائية، وأن قذيفة ستصيبني فأنال شهادتي.

كنت أجلس أحيانا في نفق على باب بعض الاخوة الافغان حراسا، فكنت لا أتحرك من مكاني إلا إذا رأيت الافغان هرعوا إلى داخل النفق، إنهم لا يرهبون الموت، وأصبح دوي الطائرات وهدير الدبابات وأزيز المدافع نغما مألوفاً لهم، إنهم، ولم يعد للحذر أي مكان في حياتهم، أضحت معينا لمن الآلام، وينبوعا من المصائب والأحزان، ولا أستطيع في هذه العجالة أن أنقل إليك ما أحمله في أعماقي عن صبر هذا الشعب العجيب، ولكني أسوق إليك قصة سائق أبي ياسر واسمه : الأسطة : أو (مستري).

قصة مستري

لقد اعتاد صاحبنا المستري أن ينقلنا بالسيارة من بيشاور إلى صدام، وذات يوم وإذا بأبي ياسر يقول لي : أتعرف قصة هذا الرجل؟ لقد قتلت أسرته كلها في يوم واحد، فسألت : من أين أنت؟ فقال : من بغمان، فسألت عن قصة هذا الرجل، فقال : كنت مجاهدا في بغمان، وكنت أعد نفسي لأعود من بغمان -أرض المعركة- إلى بيشاور لأراجع المسؤولين ببعض الأمور التي، ومن عادة بعض المجاهدين أن يقضوا الصيف والربيع في أرض الجهاد ويقضوا أشهر الشتاء في بيشاور من أجل الإقتراب من التجهيز، لأن بعض المناطق في الشتاء ترتفع فيها الثلوج مترا وزيادة ولا يمكن الحياة فيها، وفي ليلة عيد الأضحى يجتمع في بيشاور في بغمان زوجتي وأبناي الأربعة وأبنتاي وأخوات زوجتي الثلاثة وأخوها، وأغارت على طائرات وألقت قذائفها المدمرة، فدمرت أبنائي الأربعة وأبنتاي وأخوات زوجتي الثلاثة وأخوها، ولم أستطع أن أجمع من أجسامهم سوى قطع لحم متناثرة اختلطت بجساد هؤلاء، الاثني عشر شخصا إلا ما يقل عن عشرة كيلوغرامات من قطع اللحم، وفي ذلك اليوم قتلنا عشرة نفرا من أقربى، فكان مجموع ما قدمنا له عز وجل من الأضاحي وفي ليلة عيد الأضحى أربعة،

نكاد حين نتأججكم ضمائرنا يقضي علينا الأسي لولا تأسينا

وإذا كان حال النبي المرسل من ربه يعقوب عليه السلام : (وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف رآه من الخزن فهو

فماذا يكون حال مستري وأمثاله؟! لهم الله هؤلاء القوم، إن حياتهم أساطير من المناسي، وإن الحزن نفسه ليسلو عندما يرى مصابهم ويشاهد آلامهم.

رسائل إلى أمراء الأحزاب

خططنا رسالتين أحدهما إلى الاستاذ رباني (أمير الجمعية الإسلامية)، وكان قد زار الجبهة إبان احتدام المعركة، والأخرى للمهندس حكمتيار (أمير الحزب الإسلامي) والذي كان في الجبهة حتى اليوم الثلاثين من رمضان، ثم غادر معسكر الفتح لأعمال ضرورية في بيشاور.

وقد كان خلاصة ما في الرسالتين توضيح أبعاد المعركة، وضخامة التضحيات وشدة الأمر بالنسبة للمسلمين، وأنه لا بد من الالتقاء بالثقل الإسلامي في المعركة، ووجوب مضاعفة النخائر والأسلحة لمقاومة هذه القوة الضخمة المستبينة على اقتحام مواقع المسلمين مهما كانت التكاليف، وحمل الرسالتين إليهما شاب يمانى نشيط وهو سبيع الليل (أحمد الأحمدى) وكان قد أتى إلى المعركة واشترك مع مجموعة من الجمعية في الإطلاق على راجمات الصواريخ، وانطلق سبيع الليل بالرسالتين، وقد كان تلقى الرسالتين من الأخوين الأميرين بترحاب كبير واستبشار عظيم، أما الاستاذ رباني فقد أرسل رسالة إلى قائده العسكري بأن يفتح مخزن السلاح بلا حساب، ولا يرد طلباً مما طلبه المجاهدون، وأما المهندس حكمتيار فقد تحرك بنفسه إلى أرض المعركة.

وعاد سبيع الليل مسروراً أن بلغ وعاد بنتائج طيبة، وعندما وصل قال : غدا لا بد -من الصباح- أن نتحرك مع راجمة الصواريخ مع الجمعية، ثم أضاف : أنا ما جئت لأكل الرز، ثم وجد مجموعة ستنتقل بعد الفجر للترصد في خرشتل حيث العدو. قال له أبو عبدالله : هناك عملية جريئة للتعرض للكافرين.

قال سبيع الليل : أذهب من الصباح إلى الظهر للترصد وبعد الظهر أكون جاهزاً، وانطلقت مجموعة الترصد بعد صلاة الفجر، ولم يكن سبيع الليل نائماً في ذلك المكان، وكم حزن في نفسه أنه لم يدركها ولم ينطلق معها، وعندما ذهب إلى مجموعة الجمعية المرافقة لراجمة الصواريخ أخذ يعمل بنشاط، وينقل الصواريخ ويصفها بجانب الراجمة، وما هي إلا ساعات حتى كانت القذيفة التي سبقت بقدر لتصيبه في رأسه، فاغشي عليه ومضى إلى ربه بعد قليل، كان هذا يوم الاثنين ضحى في الثاني عشر من شوال سنة ١٤٠٧ هـ، الموافق لليوم الثامن من حزيران (يونيو) سنة ١٩٨٧ م.

وبعد، فهذا هو اليوم الثاني والعشرون من رمضان، ونحن اليوم في السابع عشر من شوال، وقد انسحبت القوة في هذا اليوم تجر أثواب الخزي وأذيال الخسران والندامة.

تساييرها النيران في كل مسلك به القوم صرعى والديار طلول

لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

(١) تعظيم القيود

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد :

فإننا عندما رفعنا راية الجهاد في سبيل الله فإنما نبتغي أرضاء الله، ونرمي إلى أن تكون كلمة الله هي العليا، ومن إعلاء كلمة الله التي شرع من أجلها الجهاد رفع الظلم عن الناس.

فتنحن إذ تحركنا في ميادين القتال في ساحة التزال الأفغانية فإنما نهدف إلى إمالة الظلم عن أنفسنا، ومسح الظلم عن إخواننا المسلمين الأفغان، إغذاراً إلى الله و (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا)

١- نشر في مجلة الجهاد - العدد الثالث والثلاثين - ذو الحجة ١٤٠٧ هـ الموافق أغسطس ١٩٨٧ م.

إزالة الظلم

إن أهم أغراض الجهاد في سبيل الله هو رفع الظلم عن الناس، بل ما تنزلت الشرائع كلها إلا لإقامة القسط في الأرض، ورفع الظلم عنهم، فقد قال جل شأنه : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) (الحديد : ٢٥)

والميزان هو العدل كما قال مجاهد وقتادة والسدي^(١) . يقول قتادة : (اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعادل لك، وأوف كما تحب أن يوفى لك، فإن العدل صلاح الناس).

وعندما أرسل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عبدالله بن رواحة لجمع خراج خيبر أهداء اليهود كمية من التمر الفاخر لعله يخفف عنهم، فقال عبدالله رضي الله عنه : لقد جئتكم من عند أحب الناس إليّ -صلى الله عليه وسلم-، وأنتم أبغض خلق الله إليّ، ولكن والله ما حبي له ويفضي لكم ليجهلني أن أبخسكم حقكم، فقال اليهود : يمثل هذا قامت السموات والأرض).

ولذا فليس عجباً أن ينزل رب العزة عشر آيات من السماء لتبرئة يهودي من سرقة اتهم بها وإثباتها عند رجل يصلي ويصوم من المدينة وهو طعمة بن أبيرق أو بشير بن أبيرق، والآيات التي خلدت هذه الحادثة في سورة النساء : (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً) (النساء : ١٠٥) .

وهذه القصة لا تعرف لها البشرية نظيراً ولم تعرف لها الأرض مثيلاً، وتشهد وحدها بأن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد، لا يمكن للبشر أن يكون لهم يد فيه، لأن البشر مهما ارتفعت تصوراتهم ومهما صفت أرواحهم، ومهما استقامت طبائعهم لا يمكن أن يرتفعوا بأنفسهم إلى هذا المستوى القذ الذي يرسم على الأفق خطاً لا يمكن أن ترتقي إليه البشرية، ولا يمكن أن تصعد إليه الإنسانية إلا في ظل هذا الدين، وإلا على هدي من هذا المنهج.

وبخلاصة القصة في سبب نزول هذه الآيات أن نفراً من الانصار -قتادة بن النعمان وعمه رفاعه- غزوا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في بعض غزواته، فسروقت الدرع لأحدهم (رفاعه)، فحامت الشبهة حول رجل من الانصار من أهل بيت يقال لهم (بنو أبيرق)، فأتى صاحب الدرع رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال : إن طعمة بن أبيرق سرق درعي، وفي رواية : إنه (بشير بن أبيرق)، فلما رأى السارق ذلك عمد إلى الدرع فאלقاه في بيت رجل يهودي اسمه زيد بن السمين، وقال لنفر من عشيرته : اني غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان، وستوجد عنده، فانطلقوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالوا : يا نبي الله إن صاحبنا يرى أن الذي سرق الدرع فلان، وقد أحضنا بذلك علماء، فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس وجادل عنه فإنه إن لم يعصمه الله بك يهلك، وبنا عرف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن الدرع وجدت في بيت اليهودي قام فبرأ ابن أبيرق وعذره على رؤوس الناس، وكان أهله قد قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- قبل ظهور الدرع في بيت اليهودي إن قتادة بن النعمان وعمه عمداً إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبوت.

قال قتادة : فأتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكلمته، فقال -صلى الله عليه وسلم- : عمدت إلى أهل بيت يذكر منهم إسلام وصلاح وترميهم بالسرقة على غير ثبوت ولا بينة، قال : فرجعت ولوددت أنني خرجت من بعض مالي ولم أكنم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في ذلك.

فاتاني عمي رفاعه فقال : يا ابن أخي ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال : الله المستعان، فلم تثبت أن نزلت .

(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق...)^(٢)

لقد نزلت هذه الآيات في أوقات الجماعة المسلمة وأدقها، حيث لم يدع اليهود سهماً مستوماً إلا صوبوه تجاه هذا الدين، ولم يدعوا خنجراً إلا حاولوا أن يطعنوا به القيادة الربانية التي تمثل هذا المنهج واقعاً وسلوكاً وأخلاقاً.

نزلت الآيات وقد نصب اليهود معاليهم (مصائبهم)، وأقاموا شباكهم، وفرقوا سهامهم تجاه الجماعة المسلمة يبتفونها الفتنة

(٢) تفسير القرطبي / ج ٥ / ص - ٢٧٥

(١) تفسير القرطبي / ج ١١ / ص - ١٥٤ سورة الرحمن عند قوله تعالى (ووضع الميزان)

يؤيدون تمزيقها ويريدون تشتيتها.

وقد كان اليهود العقل المفكر والرأس المدبر والأيادي الخبيثة التي تدير المنافقين من وراء ستار، حيث يكون الذين في قلوبهم مرض المخالب الخبيثة والقفازات النجسة التي يضرب بها اليهود.

وفي هذا الوقت تنزل هذه الآيات لتتصف يهوديا أنهم ظلما بسرقة، وتدين بها بيتا من بيوت الانصار الذين كانوا عيبة (محل نصيح) رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والذين قدموا الغالي والرخيص والنفس والنفيس من أجل نصرة هذا الدين وحماية نبته، نزلت لتثبت سرقة في بيت أنصاري فتعطي بهذا سيفا جديدا مسلولا يستعمله اليهود للتشهير بأنصار هذا الدين.

لقد كانت المصلحة في موازين البشر تقتضي أن لا تثار هذه القضية، وأن لا تنبش هذه المسألة، سيما في هذا الوقت، ومع هؤلاء الأقوام، وقد كانت الكياسة والسياسة تقتضي أن لا يفضح رجل من الجماعة المسلمة، ومن أجل من؟ لأجل يهودي يواصل كيد الليل بالنهار للإساءة لهذا الدين وأهله.

لقد كانت النباقة في عرف الناس توجب أن لا يفضح رجل من أبناء الجماعة المسلمة، وعلى ملا من أهل المدينة، لا يل على مر العصور وكر الدهور ينزل به قرآن يتلى أثناء الليل وأطراف النهار أن ظروف الجماعة المسلمة ومصلحتها في تلك الحقبة العصبية تستلزم في النظرة البشرية القصيرة أن يضرب صفحا عن مثل هذا الحادث، وأن لا يجعله حديث السامر وحذاء المسافرين.

ولكن المسألة لم تكن مجرد تبرئة بريء، اتهم -إن كانت تبرئة المتهم وإنصاف المظلوم شيئا ثقيلا في ميزان الرحمن- ولكن القضية أكبر من هذا بكثير.

إن القضية هي إقرار منهج رباني قائم على العدل، تطبقه الجماعة المسلمة على نفسها قبل أن تطبقه على غيرها، وتتصف المجموعة المؤمنة للحق من مالها وبمها قبل أن ينتصف الحق من غيرها، لا بد من إقرار منهج لا يتأرجح مع الهوى، ولا يتزعزع مع الشهوات، ولا يتأثر بالمصالح القريبة والانتساب والعصبية، يقول الاستاذ سيد قطب في الظلال^(١) (وينظر الانسان من هذه القعة السامقة على السفوح الهابطة في جميع الأمم على مدار الأزمان فيراها هنالك... هنالك في السفوح، ويرى بين تلك القعة السامقة والسفوح الهابطة صخورا متردية، هنالك من الدهاء والمراء والسياسة والكياسة والبراعة والمهارة ومصلحة السؤل والوطن ومصلحة الجماعة إلى آخر الأسماء والعنوانات، فإذا دقق الانسان فيها النظر رأى تحتها البود!!

وينظر الانسان مرة أخرى فيرى الأمة المسلمة -وحدها- صاعدة من السطح إلى القمة تتأثر على مدار التاريخ وهي تتطلع إلى القمة التي وجهها إليها المنهج الفريد. أما العفن الذي يسمونه (العدالة) في أمم الجاهلية الغابرة والحاضرة فلا يستحق أن نرفع عنه النطاء في مثل هذا الجو النظيف... الكريم).

إن رفع الظلم عن الناس هي مهمة الانبياء التي من أجلها تنزل الروح الأمين من السماء، وله نزلت الشرائع، وأوحى الله بالكتب. واستمرأ الظلم وقبول الهوان والاستقامة تحت نير العبودية قرين الكفر، وقديما قال الشافعي :

أنا إن عشت فليست أعدم قوتا ولئن مت فليست أعدم قبرا

ممتني همه الملوك ونفسي نفس حر ترى المذلة كفرا

وإن المستضعفين في الأرض الذين يعيشون تحت أقدام الجبابرة ليستحقون انخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة : (إن الذين ترفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وبئس ما مصيرا، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا) (النساء، ٩٧ - ٩٩).

فالذين لا يهاجرون من تحت نير الظالمين، ويرضون العيش بين قطعان السوائم، جزاؤهم جهنم يصلونها كلما خبت زادها رب العزة سعيرا، فإذا علمت سبب نزول هذه الآية فأبئك ستقف أمامها مشدوها حائرا، فقد روى البخاري بإسناده عن عكرمة أخبرني ابن عباس (أن أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثر سواد المشركين على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، يأتي السهم

(١) تفسير الظلال (٧٥٣/٢).

فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فانزل الله تعالى : (إن الذين توفاهم الملائكة ظاهري أنفسهم . . .) (النساء : ٩٧).

هذا شأن المؤمنين في مكة القابضين على دينهم كالقابض على الجعر، فما بالك بالذين يعيشون في بلادهم يتمتعون ويساكئون كما تاكل الأنعام، لا يشغلهم إلا لقمة الطعام، وقطعة الكساء، والعلاوة، والوظيفة، والدرجة، والراتب، وموئيل السيارة، ودعان العتارة.

والذين لا يتحركون لرفع الظلم وانصاف المظلومين هؤلاء تجار إلى الله عليهم دعوات المستضعفين : (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) (النساء : ٧٥)

فهم الظالمون لأنفسهم، لا يتحركون ولا يتحركون لإزالة الظلم عن المظلومين.

ولذا كانت أول آية نزلت لإباحة القتال تشير إلى العلة الحقيقية والسبب الرئيسي له وهو إزالة الظلم : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغرب حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) (الحج : ٣٩ ، ٤٠).

فهؤلاء ظلموا بأن طربوا من ديارهم إجحافا وافتئاتا (تعديا) على حقهم، وكان السبب الحقيقي لضربهم هو التوحيد الذي جعلوه في أعماقهم، وضحوا من أجله، وما أسأفوا إلى قومهم، ولا كان لهم ذنب إلا أنهم وحدوا الله، وهذا عند المشركين أكبر الذنوب، فانتروحيه في نظر أعداء الله جريمة يستحق صاحبها الطرد من مسقط رأسه ومرتع شبابه.

عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- من مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم، إن الله وإنه إليه راجعون، ليهلكن، قال ابن عباس فانزل الله عز وجل : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير)

قال أبو بكر رضي الله عنه عرفت أنه سيكون قتال^(١).

(وإن الله على نصرهم لقدير) أي قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال، ولكنه سبحانه يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته.

ونحن نقول :

١ - إن فريضة الجهاد من أهم الفرائض التي افترضها الله علينا من فوق السبع الطياق، وأوجب علينا أدائها كالصلاة والصوم والزكاة سواء بسواء.

٢ - إن مزاوله الفرائض الإسلامية وأدائها أمر إلهي وتكليف رباني لكل إنسان، إنه حق طبيعي وأمر منطقي لا يجادل فيه إلا مباحك أو مباحل.

٣ - لقد ظلمنا في كثير من البلدان الإسلامية، وحرمنا من أدنى الحقوق التي تتمتع بها الحيوانات، فالدجاجة إن اقتربت من أفراخها الناشئة تهجم عليك، والكلب يعضك إن وطئت ذنبه، أو اقتربت من البيت الذي يحرسه، ولا تستطيع قوة في الأرض أن تمنع أشراف الشاة أن تتحرك وهي تلفظ أنفاسها وتجوّد ببقية دماغها.

ونحن حرّمنا أن نمسك اليد التي تشهر علينا الحراب لذبنا، ومنعنا أن نرفع أصواتنا ونحن تلفظ أرواحنا، وقد وصل اللص إلى داخل حجرة النوم، فكبتنا وحرّمنا من إزعاجه وهو ينتهك أعراضنا ويسلب أموالنا ويسفك دماغنا.

٤ - وبعد أن سلمنا أوطاننا لأعدائنا، وحرّمونا أن ندافع عن مقدساتنا، وأن نحمي أعراضنا، وسقط المسجد الأقصى دون أن يستطع حوله -رياللعار والشار- عشرة من المسلمين دفاعا عنه.

بعد هذا كله حاولنا أن نجتمع من بقي في قلوبهم غيرة، أو ممن يحتل في نفسه بقية من رجولة أو شهامة، نحاول إزعاج

تفسير س. كبر ١٣ : ٢٢٤

النيود الذين دخلوا المسجد الاتصى امنين مضمطين، فأتوا علينا، وتكاثروا بقواتهم يحرقون بيتنا وبين أعمدات بيوتهم ورجلهم

وهذا ظلم ليس بعده ظلم وتعسف ليس بونه تعسف وتجبر لا نعلم بونه خسف.

٥ - وبعد أن أتوا علينا الجهاد، وحرّموا علينا قريضة الإعداد، وأصبح السلاح في العالم العربي جريمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام، ومن ألقى القبض عليه متلبسا بجريمة حمل السلاح شكلت له المحاكم العسكرية، وصعد بالأغلال والقيود، ووضع رهن التحقيق في غياهب الزنازين لا يرى شمسا ولا يراه النور، ولا يعلم عنه والد ولا ولد ولا صديق وفي ولا خل صفي.

وعندما أبينا أن نموت مستضعفين في الأرض تحت أقدام الطغاة، ونفضنا الدال عن عواقبنا، وخجلنا أن نرفع الشعارات البراقة والأمال العريضة ونحن في ذل العبيد، قررنا أن نهجر الأرض التي يحرم فيها الجهاد، ويعتبر جريمة موبقة رعاء، وكما قال أبو الطيب:

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة فلا تستعدن الحسام اليمانيا
ولا تستطيلن الرماح لغارة ولا تستجدين العتاق المذاكيا
فما ينفع الأسد الحياء من الطوى ولا تنقى حتى تكون ضواليا

وإذا كان رب العزة سمي التسيء زيادة في الكفر (والنسيء تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر) فماذا نسمي الذين يسمون الجهاد جريمة قانونية ويعلن عن عقوبات مرتكبيها في أجهزة الاعلام بون خشية ولا خجل ولا حياء ولا وجل؟!

أليس الحكم الشرعي لهؤلاء أشد بكثير وأعظم جرما من أولئك الذين كانوا يراعون قداسة الأشهر الحرم ويرعون عدتها فلا يحلون في العدد، ولكن العرب ولشدة حماسهم للحرب وعدم صبرهم عن القتال والنزال كانوا يؤخرون حرمة محرم إلى صفر، إذ كان يقف كل عام في موسم الحج رجل من كنانة يقال له القلمس أو آخر اسمه أبو ثمامة (جنادة بن عوض بن أمية) فيقول: ألا إن أبا ثمامة لا يجاب ولا يعاب، ثم يقول: إني أخرت حرمة محرم إلى صفر^(١).

إن تحريم الجهاد كفر يخرج من الملة، وإن معارفة أولياء الله ومطاردتهم في بلادهم، وإحصاء أنفاسهم، وعد نبضاتهم، وتكميم أفواههم عمل عظيم عند الله يؤدي إلى خراب البلاد وهلاك العباد.

أنتم تر إلى قول أبي بكر رضي الله عنه: (أخرجوا نبيهم -إنا لله وإنا إليه راجعون- ليهلكن)، وهذا شأن الذين يخرجون أولياء الله والدعاة في سبيله: (ومن عادى لي وليا فقد آذنته أو بارزته بالحرب) البخاري^(٢).

فماذا تحكم الشريعة الاسلامية على الذين يحرمون الجهاد، ويسمون الزنا فناء، والربا فائدة، والاسلام رجعية، والتمسك بدين الله تطرفا وانحرافا؟ اللهم ثبت، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

اللهم إني أعلم: إن الألى قد بغوا علينا، ونحن نأبى أن نعطي الدنيا في ديننا، وإن ترضى الفتنة والكفر الذي يحاولون فرضه علينا.

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

(١) تفسير ابن كثير (٢/٢٠٦)

(٢) فتح الباري / ج ١١ / كتاب النواصيح / بوقم (٦٥٠٢) وهو مراد عن أبي هريرة.

عزيمة وتصميم^(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره . . . وبعد :

إنه لم يكن يدور في خلدنا حينما فكرنا في الدخول إلى أفغانستان أن الحاجة ماسة للعرب كما اكتشفنا بعد دخولنا.

إن الذي كان يدور في أذهاننا من مقاصد الدخول ثلاثة أسباب رئيسة :

أولها : معرفة واقع الجهاد الأفغاني على حقيقته فوق أرض الواقع، ولترى فعلا مدى مطابقة الصورة المرتسمة في عقولنا للواقع الفعلي. فأحببنا أن ندخل مجموعة من الشباب العرب تنقل لنا صدقا وحقا واقع الجهاد الأفغاني، وحال المجاهدين، وصلتهم بربهم، ومعرفتهم بدينهم، والتزامهم بالنواقل، وصفاء عقائدهم من البدع، وحاجة كل جبهة للطعام واللباس والنواء.

ثانيا : تسليم المساعدات الضئيلة القليلة يدا بيد للمجاهدين الذين لم يغادروا خنادقهم منذ احتدام القتال أيام تراقي ١٩٧٨.

ثالثا : إرواء ظمأ الشباب المتعطشين للقتال والمتشوقين للشهادة.

وسرنا على بركة الله، وبدأت مجموعات الاخوة العرب تغد إلى داخل أفغانستان، ثم اكتشفنا بعد أمة (مدة) أن هناك أهدافا أكبر تنتظر الاخوة العرب قد لمسناها من خلال المعاشة مع الجهاد الأفغاني، والاختلاط بالمجاهدين أشهر وسنوات، أدركنا أن هناك قضايا أخطر يحلها دخول العرب، ومشاكل أكبر مفتاح حلها بإذن الله بيد الناطقين بالضاد المتحمسين للجهاد.

ومن هذه القضايا الرئيسية :

١ - نقل الجهاد من قتال قوم ضد روسيا إلى جهاد اسلامي عالمي، وأن الجهاد ينتقل إلى صراع شديد بين العقيدة الاسلامية والعقيدة الشيوعية، وعندها يصبح الكفاح بين الأمة المسلمة وبين الأمة الشيوعية وحلف (وارسو).

٢ - رفع معنويات المجاهدين الأفغان التي تأثرت بطول الطريق وكثرة التضحيات، إذ أن مرور ثماني سنوات مع استمرار القصف فوق رؤوسهم، وسقوط الأب والأخ والعم شهداء، وأصبحت البنات مشوهة الوجه، وقطعت أرجل الاولاد وندت أعين الأخوات، كل هذا مع العوز الشديد والفقر المدقع، بحيث لا يجد المجاهد لقمة غداء ولا قطعة كساء، كل هذا أثر على أعصاب المجاهدين وعلى معنوياتهم.

فكان لا بد من أياد حانية تسمح على جراحاتهم، وتسري على ألامهم، وتواسيهم في مأسيتهم، وتشاركهم أفراحهم، وتعيش مشاكلهم.

٣ - تعليم المجاهدين : وهذا دور يمكن أن يقوم به العرب، إذ أن أماكن الدعاة في هذا المجال شاغرة ولا يسدها غيرهم، فقد استشهد معظم الدعاة الأوائل الذين ابتدأوا مسيرة الجهاد، وسقط كثير من العلماء شهداء أو هاجروا، ونشأ جيل من المجاهدين لا يعرف عن دينه إلا القليل، لأن المدرسة قد هدمت، والمسجد قد قصف، وغاب الوالد، ولم يسمع عن الاسلام شيئا فتح الجيل عيبه فوجد أفغانستان غارقة في بركة من الدم، لا يسمع إلا أزيز الرصاص وروي المدافع وقصف الطائرات، ولا يرى إلا جثث الشهداء وأشلأ الأبرياء وأنهار الدماء . . . ولذا فليس عجيبي أن بعض الجبهات تنقل ميتها مسافة بعيدة للصلاة عليه لأنه ليس في الجبهة واحد يتقن صلاة الجنائزة.

إن حاجة الجهاد الآن إلى الرجال الدعاة الحكماء أشد من حاجته إلى السلاح وإلى الأطباء والمهندسين والعسكريين وغيرهم من أصحاب الاختصاصات. إن الجهاد الأفغاني بحاجة شديدة إلى المال، ولكن حاجته للرجال أشد.

٤ - إيقاف سيل الهجرة المتدفق : لقد أصبحت الهجرة خطرا كبيرا يهدد الجهاد الأفغاني، والهجرة أسباب على رأسها : الفقر والخوف على الأعراض، وتدني المعنويات، فوجود العربي في داخل الخندق مع المجاهد الأفغاني يجعل الأفغاني يستبعد فكرة الهجرة من ذهنه، لأن أقصى ما يمكن أن يحلم به الأفغاني العادي أن يعمل سائقا أو حارساً في إحدى المؤسسات في دولة من دول البترول فعندما يجد ابن صاحب المؤسسة أو الشركة أو مدير الدائرة مرابطا معه في داخل الخندق فإنه يستحي أن يغادر بلاده ويترك العربي يحميها.

١- نشر في مجلة الجهاد - العدد الرابع والثلاثون - ص ١٤٠٨ هـ ، الموافق سبتمبر ١٩٨٧ م.

وكم من القادة الكبار قد منعهم من الهجرة وجود شاب عربي غص الإهاب بجانبه.

٥ - تحريك القتال باستمرار ضد الروس : فإن العربي يأتي إلى أفغانستان متعطشا لدخول المعارك، ورؤية الهيب، ومشاهدة النيران، وسماع صليل السلاح، فعندما يدخل فإنه لا يصبر عن مكابدة أهوال المعركة، وولوج نيرانها، ولذا يبقى يلج على قائد الجبهة بوجوب القيام بعمليات، ويصر عليه ويراجعه، ولا يفتأ صباح مساء يبدئ ويعيد في قضية المعارك حتى يدخل الأفغان في معركة ولو اضطرارا، وهذا مهم جدا لبقاء الكفار في ارتباك واضطراب لا يتوقف، مما ينهك قواهم، ويضاعف نفقاتهم وجنودهم وخسائرهم.

ولذا فلو استطعنا أن نستدرج روسيا ونضطرها إلى زيادة قواتها في داخل أفغانستان إلى نصف مليون جندي - وهذا نفس الرقم الذي استعملته أمريكا في فيتنام - فهذا يعني أن نفقات روسيا يوميا في أفغانستان ستصل إلى مائتين وخمسين مليون دولار، وهذا يعني كذلك أن روسيا ستدفع في أفغانستان بكل جنودها الاحتياطيين المعدين لآسيا، وهذا الرقم لا يتحمله الاتحاد السوفياتي، وليس من المتوقع أن ترتكب روسيا هذا الخطأ، ولكننا يجب أن نخطط لعمليات عسكرية قاصصة تضطر لضاعفة قواتها وخسائرها، ولإضعاف إرادتها القتالية، وإقناع الولايات الإسلامية في بخارى وطشقند بضعف روسيا أمام حرب العصابات طويلة الأمد.

٦ - مشاركة الطاقات الإسلامية في المعركة، وصهر جميع هذه الطاقات في بوتقة الجهاد المبارك الإسلامي في أفغانستان، وعلى رأسها الطاقات العسكرية والهندسية والاعلامية والطبية.

٧ - تقليل الاختلافات بين الجبهات، والتنسيق بينها في العمل، ثم توحيدها في النهاية.

مخاوف اليهود

تركنا الأرض التي عشنا فيها، والمرايع التي درجنا عليها، وجئنا على بعد آلاف الأميال تلبية لنداء الله عزوجل، وأداء لشعيرة الجهاد، أتينا هنا إلى أفغانستان لنؤدي الفريضة التي ما استطعنا أن نؤديها في مكان آخر، فتابعنا سدة الكفر وأئمة الشرك والظلم الذين يديرون الأرض بإشارتهم، ويحركون كثيرا من أرجاء المعمورة بأناملهم، وصاروا يوغرون صدور الذين يدورون في فلكهم علينا، انتفض اليهود هلعاء وارتجفوا جزعا، وهم يرون تجمعاً جديدا للشباب المسلم العربي فوق أرض أفغانستان، وأخذ اليهود في أمريكا وفلسطين يحذرون من مغبة هذا التجمع، وصاروا يؤلبون علينا القاصي والداني، ويوغرون صدور الذين يمثلون مسرحية مطاردة المسلمين وختق الشباب الصادقين فوق أرض رواها خيرة الصحابة بدمائهم خاصة في المناطق المخيطة بفلسطين والمسجد الأقصى، وصار التشديد، ووضعت الحبال في أعناق الفتية النافرين في سبيل الله إيذاء للجهاد، وكل يوم يشدون عقدة ويضيقون الخناق.

صارت التأشيرة إلى باكستان أصعب من تأشيرة النول البترولية، وقد كانت من قبل تعطى التأشيرة لأي قادم إليها في المطار، وما عهد من قبل لأي امرئ وصل مطار باكستان ورد خائبا، بل هناك تأشيرة سياحية لأي قادم مهما كانت ملته، ومهما اختلفت جهته التي أقبل منها.

وعلى الطريق إلى أفغانستان أعطيت التعليمات بعدم السماح لأي عربي أن يمر عبر بعض النقاط البوليسية، وصار الشباب يمتطون صهوات الجبال ويمشون ليتخطوا نقطة بوليسية فيها ضابط شديد أو عتل جبار عنيد.

مصارحة مع اليهود وأذنانهم :

إن اليهود يؤلبون العالم اليوم علينا، وبعد معركة جاجي الأخيرة وانتصار الأفغان نصرا مؤزرا في صد القوة الروسية، وكان للنصر الذي من الله على المؤمنين أسباب على رأسها وجود تجمع عربي ضد خمس هجمات للكوماندوز الروسي، فبدأت إذاعة صوت بريطانيا (بي بي سي) تبث وتعيد بوجود تجمع عربي من المتطرفين دينيا، وقد كان لهم أثر في صد الروس.

والآن نحن نصارح اليهود وأذنانهم، والأمريكان وأشياعهم على أنه :

١ - لا يستطيع أحد في الأرض أن يتترع حب الجهاد من أعماقنا، ولا أن يمنعنا حقنا في أداء هذه الفريضة، ولن يستطيع أحد أن يجتث حب الله ورسوله والجهاد في سبيله من حنايانا.

٢ - إن وجودنا في أفغانستان الآن -والذي هو أداء لفريضة الجهاد وعبادة القتال- لا يعني أننا نسينا فلسطين.

فلسطين قلبنا النابض، وهي مقدّمة على أفغانستان في أذهاننا وقلوبنا وفي مشاعرنا وعقيدتنا، هي الأرض المباركة التي ذكرها رب العزة في كتابه الكريم أربع مرات، وهي مهبط الوحي وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، هي مسرى تبينا -صلى الله عليه وسلم-، ولئن حيل بيننا وبين الجهاد في فلسطين بسبب القيود وحراس الحدود، ولئن منعنا من مزاولة عبادة القتال في أرض المسجد الأقصى إلى أمة (مدة) معودة فهذا لا يعني أن أذهاننا قد انصرفت عن التفكير في فلسطين.

لن يهدأ لنا بال ولن يقر لنا قرار حتى نعود للجهاد في فلسطين.

إن أشباحنا في أفغانستان -وهذا فرض الله علينا-، ولكن أرواحنا تحوم فوق بيت المقدس، وإن أجسادنا في كابل -وهذا واجب علينا- ولكن أفئدتنا معلقة بالديار المباركة التي بنسها أحط خلق الله في دنيانا.

لقد ألبنا على أنفسنا أن لا نتراجع ولا نتزعزع عن هذا الطريق الرياني الواصل بين كابل والقدس، وبإذن الله نحن قادمون مهما بعدت الشقة وطال الزمن وامتدت الطريق.

نحن نصارع اليهود وأعوانهم : أن الطريق واحدة، وأن الجهاد ممتد، وأن الشباب عزم عزمه أن لا يلين ولا يخضع - بإذن رب العالمين- .

٣ - هذه الفئة المؤمنة صممت على المسيرة مهما اعترضها من أشواك، ومهما واجهها من عقابيل، وهذه الفئة وقد عاهدت ربها على اختيار هذا الطريق المغروش بالأشلاء، والمروي بالدماء، وهي تضرع إلى الله عز وجل أن يثبت قلوبها وأقدامها، وأن يفرج السكينة عليها.

التصميم على الموت

هذه الفئة المؤمنة المجاهدة وطنت نفسها على الموت، وهي تعلم شرعا وعقلا : أن القتل برصاصة غادر فوق أرض باكستان من يد عاقل أو من أنامل مشاقق حكمه كحكم الموت برصاصة من يد روسي على أرض كابل وعلى ذرى الهندوكوش، وهو نفس الحكم الشرعي للقتل برصاصة يهودي في فلسطين، ولا فرق بين رصاصة شيوعي في باكستان، ورصاصة شيوعي في أفغانستان، ورصاصة عميل لليهود أو للأمريكان، الكل قتل في سبيل الله، والكل شهادة، والكل رفعة وعجد وسؤدد في دنيا الناس، وإن شاء الله في الملا الأعلى ما دامت النية خالصة، والعزيمة متعقدة على بقاء راية الجهاد مرفوعة، وعلى مواصلة السير على هذا النهج الواضح والجادة المستقيمة، وفي الحديث الصحيح^(١) (من وضع رجله في الركاب فأصلا فرقصته دابته فمات، أو لدغته هامة فمات، أو مات بأي حتف مات فهو شهيد)، وفي رواية أبي داود (وإن له الجنة)، فمهما كانت الميتة بعد الهجرة في سبيل الله فهي شهادة.

وقد سرى رب العزة بين القتل والموت في سبيله فقال عز وجل : (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين. ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حلِيم) (الآيات ٥٨ - ٥٩ الحج)

وقد حضر فضالة بن عبيد في البحر مع جنازتين أحدهما أصيب بمنجنيق والآخر توفي، فجلس فضالة عند قبر المتوفى، فقبل له (تركت الشهيد فلم تجلس عنده)، فقال : (ما أبالي من أي حفرتهما بعثت)، ثم تلا الآية (والذين هاجروا...) (٢).

ولم نر كرامة أنصع ولا تشريفا أرفع من كرامة الأخ يحيى سنيور الذي قتل برصاصة غادر على يد شيوعي باكستاني على حدود أفغانستان، وقد بقي دم يحيى شهيد كاملين يعبق الشذى الطيب من الكتاب الذي ضمخه أثناء الشهادة.

وإذا قتلنا برصاص عملاء روسيا وأمريكا فنسنا بأفضل من -ذي النورين- ثالث الخلفاء الراشدين الذي استشهد في الشهر

١ - أخرجه أبو داود برقم (٢٩٩٩) من حديث أبي سائل الأشعري بلفظ : (من نضل في سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد أو وقصته فرسه أو بغيره أو لدغته هامة أو مات على نواث أو بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة)، وكذلك أخرجه الحاكم وهو في صحيح الجامع برقم (٦٤١٣)

٢ - رواه ابن المبارك في كتابه الجهاد / ص - ٩٢ برواه ابن كثير في التفسير (٣ - ٢٠١) برواه ابن أبي حاتم ورواه ابن جرير بخومه.

الحرام في البلد الحرام -مدينة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وهو يتلو القرآن الذي شرفه الله بجمعه. ولستنا أشرف من خزن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورايع الخلفاء الراشدين الذي كان مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- بمنزلة هارون من موسى، واغتالته يد عبدالرحمن بن ملجم الأثمة أثناء صلاته.

لقد اخترنا الموت طريقا للحياة : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون)

(الآية ١٦٩ آل عمران).

نفى الهم عني همة وعزيمة	وقلب على ما شئت منه مظاهر
وأسمر معا ينبث الخط ذابل	وأبيض مما تطيع الهند باتر
ونفس لها في كل أرض لبانة	وفي كل حي أسرة ومعاشر
وقلب يقر الحرب وهو محارب	وعزم يقيم الجسم وهو مسافر
إذا لم أجد في كل فج عشيرة	فإن الكرامة للكرام عشائر

٤ - لن يستطيع أحد أن يمنعنا من دفع الصائل على أعراضنا، ولن تحرمنا قوة من الذود عن دماقتنا، فدفع الصائل (الذي يتسلط بالقوة على النفوس والأعراض) حق مشروع لكل إنسان.

ودفع الصائل على العرض : فرض عين بإجماع الفقهاء، فقد أجمع الفقهاء على أن المرأة التي تخاف على عرضها يجب أن تدافع عن نفسها حتى تموت، ولا يجوز لها الاستسلام للأسر بحال من الأحوال، ووجوب دفع الصائل على النفس فرض عين عند جمهور الفقهاء.

وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية جواز قتل الصائل على مالك ولو كان يبغى ثلاثة دراهم إذا لم تستطع دفعه إلا بالقتل، ولو كان الصائل مسلما مصنيا صائما، فما بالك إذا كان روسيا أو يهوديا.

سنزاول حقنا الطبيعى، وسنؤذي فروضنا الرباني مهما كانت الظروف -إن شاء الله-

وكيف ينال المجد والجسم وادع وكيف يحاز الحمد والوفى وافر

ولذا فابننا أخذنا على أنفسنا أن نواصل تحريضنا للشباب العربي بالقنوم إلى أرض الجهاد، وأن لا نتوقف في مسيرتنا نحمل أقصى ما يمكن أن نحتمله من أعباء الجهاد الأفغانى. وأن نبذل قصارى جهدنا في محاولة إعادة العلماء إلى داخل المعركة بكفالة أسرهم، وكذلك حفظ ماء وجوه القادة الذين يرابطون في الميدان منذ عشر سنوات نخلفهم في أسرهم بخير.

فقررنا أن نكفل القائد والعالم الأفغانى بمائتي ريال شهريا (الف روبية)، ونهيب بالمؤسسات الاسلامية والدعوات الريانية والمراكز الاسلامية في الغرب أن تفرغ مجموعة من أبنائها مع كفالتهم ليعملوا في أرض المعركة، ويقوموا بدورهم الكبير المنتظر.

إن الدور كبير والهم قاصرة عن حمل التبعات وليس لها إلا تأييد رب العالمين الذي يقوى العزائم ويشد الهمم.

فيا أبناء العالم الاسلامى أفيقوا . . ويا شباب الحركات الإسلامية تنبهوا.

ويا أصحاب الدعوات الريانية استيقظوا، ويا موجهي المراكز الاسلامية اعملوا : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) الآية (١٠٥) التوبة.

(هذا بلاغ للناس لينذروا به وليعلموا أنها هو إله واحد وليذكر أولو الألباب) (الآية الأخيرة من سورة إبراهيم).

مسيرة شعب الإيلاء^(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ... أما بعد :

يكاد المؤرخون يجمعون على أن أكثر شعب في القرون الثلاثة الأخيرة -إن لم يكن أكثر شعب في البشرية- ضحى لصون كرامته وحفظ عزته وحماية شرفه هو الشعب الأفغاني المسلم.

ويقف المرء مذهولا أمام هذه الظاهرة الفريدة، وينظر باعتزاز وإجلال مع الإغضاء والحياء أمام هذا الشعب الصامد المسلم، ويحسب أن هذه هي المرة الوحيدة في تاريخ هذا الشعب، ولا يعلم الكثيرون أن هذه هي المرة السابعة التي يهب هذا الشعب فيها للذود عن حياضه، والدفاع عن دينه ومبادئه خلال قرنين من الزمان منذ بداية مسيرة أفغانستان الحديثة التي بدأت خطوها مع ظهور أحمد شاه بابا "دوراني".

إجماع :

ويجمع المراقبون أن الجهاد الأفغاني خارقة من خوارق العصر أذهلت المؤرخين أن يفسروها، وحارت عقول المراقبين في فهمها، وكما قال الصحفي الكندي عندما رأى انتصار المجاهدين على الروس : (إنها حقائق ولكني لا أستطيع تفسيرها).

والحق أن هذا الثبات العجيب الذي بونه ثبوت الشم الرواسي، وهذا الصمود الذي يشبه الأساطير، والذي يحسبه القارئ من بعيد ضرباً من الخيال، تدركه الأشواق وتقتصر بونه الأفعال. هذا الصبر والثبات محل إجماع من أولي الأحلام والنهي أنها فريدة العصر وخريدة الدهر.

وقد كنت أتحدث مع فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز عن الجهاد فقال : ما كنا نظن أن هذا الشعب يصمد أمام الروس سبعة أيام فضلا عن أن يصبر سبع سنوات.

بروز أحمد شاه دوراني ١٧٤٧ - ١٧٧٣ :

اغتيال نادر شاه سنة ١٧٤٧ فبرز أحد أبناء قبائل الأبدالي وهو أحمد شاه وأعلن نفسه وصيا على حفيد نادر شاه المسمى (شاه رخ) وبدأ أحمد شاه يقود الأفغان ويحرر المدن، فحرر قندهار بأربعة آلاف، وألقت القبائل ونصبته أميراً وسمى نفسه (درة دوريان أي درة الدر) ولذلك سمي الدوراني.

وانطلق أحمد شاه يوسع حدود مملكته، فانطلق نحو الغرب نحو خراسان، وأطاح ببقايا حكم الفرس القاجاري، ثم توسع نحو الشرق ووصل دلهي وأطاح بحكم المغول والهندوس، فأصبحت مملكته تمتد من نهر جيحون شمالاً إلى بحر العرب جنوباً، ومن كشمير ودلهي شرقاً إلى مشهد غرباً، وسماه الشعب الأفغاني بالآب (بابا).

الانتفاضات التاريخية السبع :

لقد كان القتال ضد الروس سابع الانتفاضات التاريخية العريقة التي هب فيها الشعب المسلم الأفغاني للجهاد، وكانت هذه المسيرات مرتبة زمنياً حسب التفصيل :

١ - الانتفاضة الأولى :

الجهاد ضد الهندوس: على أثر ضعف الامبراطورية المغولية برز رجل هندوسي اسمه (سي وجيه) وهو أحد كهنتهم الروحانيين. واتحد الهندوس مع السيخ تحت قيادة سي وجيه، ودخلوا دلهي، وأعملوا السفك والنهب في المسلمين، وأقاموا المجازر لهم.

استغاثة ولي الله :

وهنا كتب العالم الرباني (شاه ولي الله الدهلوي) إلى أحمد شاه دوراني أنك بإذن الله المرشح الوحيد لإنقاذ الهند من المجازر.

١- نشر في مجلة الجهاد - العدد الخامس والثلاثون - صفر ١٤٠٨ هـ الموافق نوفمبر ١٩٨٧ م.

وتخليص المسلمين من الإبادة.

وهب أحمد شاه دوراني كالثيث الهزبر لحماية المسلمين في الهند، واستنفر الناس، وجمع سبعين ألفاً من قندهار، وافتتح بيشاور. ثم توجه إلى لاهور ورضخت له، ثم انطلق إلى دلهي (دهلي) والتقى بالهندوس في (باني بات) ١٤ كم عن دلهي، وعند الكفار ثلاثمائة ألف، ودارت رحى معركة طاحنة وحرب ضروس أسفرت بعد ثلاثة أيام عن هزيمة الهندوس بعد أن خلفوا وراهم جثث مائة وعشرين ألفاً مجندين بدمائهم بضربات الأيدي المتوضئة.

أنتهم خوارق الأرض مسا تحمل إلا الحديد والأبطال
خافيات الألوان قد نسج الف قسح عليها براقعاً رجلاً

وسقط خمسة عشر ألف شهيد ضمخرا الثرى الطيب بدمائهم، وأضحى تيمور شاه ابن أحمد شاه بابا أمير لاهور.

٢ - الانتفاضة الثانية :

على يد دوست محمد ضد السيخ : قد ذكرنا فيما تقدم انتصار أحمد شاه على جيش المهرابا الهندي الانتصار الساحق سنة ١٧٦١، وبقي يحكم هذه الامبراطورية المترامية الأطراف حتى توفي سنة ١٧٧٣.

وتولى الحكم بعده ابنه تيمور شاه الذي حكم عشرين عاماً من ١٧٧٣ - ١٧٩٣، وقد نقل العاصمة إلى كابل فأصبحت العاصمة الصيفية، وصارت بيشاور العاصمة الشتوية.

وبعد وفاة تيمور شاه سنة ١٧٩٣ بدأت دولته المترامية الأطراف تتفتت بسبب الخلافات التي دبت بين أبنائه :

وتفرقوا شيعاً فكل محلة فيها أمير المؤمنين ومنبر

ولم تنته الخلافات إلا بعد أن أودت بمعظم الأمراء أبناء تيمور شاه، فسقطوا قتلى المعارك الداخلية، وانتهى حكم الأسرة الدورانية. وانتقل الحكم إلى عائلة جديدة هي : (البركزاي : محمد زاي).

وبدأ الأعداء من كل جانب يتناوشون دولة تيمور شاه الواسعة، فتقدم حاكم بخاري واحتل مدينة بلخ واحتل السيخ تحت قيادة (رانجي سنغ) مقاطعات الحدود وكشمير، وسقطت بيشاور بأيديهم سنة ١٨٢٤، واستقلت السند وبلوشستان من حكم أفغانستان.

وكان أبرز أبناء العائلة الجديدة المالكة (البركزاي دوست محمد) الذي لم يبق بيده سوى كابل وغزني وجلال آباد.

فعندما سقطت بيشاور بيد السيخ بدأ يفكر باسترجاعها، وأعلن النفير العام ضد السيخ، ورفع راية الجهاد، وتقدم حتى وصل بيشاور، ولكن (رانجي سنغ) زعيم السيخ استطاع أن ييث بنور الفتنة داخل صفوف الجيش الأفغاني المتقدم، ورجع الجيش دون أن يعمل شيئاً.

٣ - النفير العام الثالث سنة ١٨٣٦ :

عاد دوست محمد عن أبواب بيشاور خائياً، ولكنه بعد عام نظم جيشه وتحت ضغط الشعب الأفغاني الذي قام بسبب المذابح التي جرت للمسلمين في بيشاور، وسار الجيش الأفغاني تحت قيادة (وزير محمد أكبر خان) الابن الأكبر لدوست محمد، والتقى الجيشان في جمرود/ بيشاور، وكان قائد السيخ ابن (رانجي سنغ)، واستطاع (وزير محمد أكبر خان) أن يقتل قائد السيخ، ولاد السيخ بالفرار، وانتصر المسلمون.

٤ - الانتفاضة الرابعة :

الحرب ضد بريطانيا سنة ١٨٢٨-١٨٤٢ : كانت بريطانيا تخشى من اتصالات نابليون مع الكسندر الأول (قيصر روسيا) محاولة منهما لدخول الهند التي تحكمها بريطانيا عن طريق أفغانستان وإيران، ووصلت أول بعثة بريطانية إلى بيشاور سنة ١٨٠٩ بقيادة (الجنجستون) وعقد معاهدة دفاع مع (شاه شجاع) أحد أبناء تيمور شاه، ثم فقد شاه شجاع ملكه فلقاً إلى البريطانيين في الهند. وفي سنة ١٨٢٩ احتل الجيش البريطاني كابل وقندهار، وأوعز المعتمد البريطاني في الهند (أوكلاند) بإعادة شاه شجاع ملكاً على أفغانستان، وجاؤا به من الهند عن طريق كويتا، وتوجه ملكاً في مسجد أحمد شاه في قندهار، واحتلت بريطانيا غزني وكابل.

ونقلوا عاصمة شاه إلى كابل، وفر دوست محمد من كابل.

وأبى الشعب المسلم الأفغاني الاحتلال، ورفض أن يفرض عليه ملك من قبل الانجليز.

بئس الحياة إذا الطاغوت عبداً وجر أياماً صفراً مرانينا

وانتفض الشعب، وقاموا على ملكهم العميل وقتلوه في عملية جريئة في شوارع كابل والجنود يحملونه على أكتافهم، فقتله أحد المجاهدين واسمه شجاع بولة، وأعلن أختر خان الجهاد ضد بريطانيا وعاد دوست محمد مع ابنه (وزير محمد أكبر خان) يقاتلان ضد الانجليز مع الشعب المسلم، ووقعت معركة (بافانداراش) في ٢ تشرين الثاني سنة ١٨٤٠، وانتصر دوست محمد في اليوم الأول، ثم هزم في اليوم الثاني، فأسرته بريطانيا وأخذته إلى بلكته، وبقي ابنه أكبر خان يقاتل، وجرت مفاوضات بين أكبر خان وبين (ماكنتون) ممثل بريطانيا، فقطع أكبر خان رأس ماكنتون بالسيف أثناء المفاوضات.

وعلى أثر ذلك قررت بريطانيا الانسحاب في ١٨٤٢/١/٦ وكان عددهم أربعة آلاف بريطاني وهندي وسلك البريطانيون طريق وادي (جك دك) بين كابل وجلال آباد، وأعمل المجاهدون فيهم السيف، حتى إذا وصلوا (جن دوماك) كان قد بقي آخر جندي من الجيش وهو (الدكتور برايدون) الذي كان الناجي الوحيد ليخبر قومه مغبة الاصطدام بجنود الاسلام.

وكان القائد العسكري للجيش البريطاني (الفنجستون) الذي هزم نابليون في معركة واترلو سنة ١٨١٥، فأسرته أكبر خان وسجنه في غرفة في (جك دك)، ومات في السجن رهن القيود، وكذلك قتل من الانجليز (الكسندر بورتر).

وكان أبرز قادة الجهاد في هذه الحرب (وزير محمد أكبر خان) و (سرदार أحمد خان) و (مير مسجدي خان) و (نواب محمد زمان خان) و (نائب أمين الله لوكري) و (أختر خان).

٥ - النفير الخامس :

وكان هذا يمثل الفترة الثانية في الجهاد ضد الانجليز، فقد حاول الانجليز أن يرجعوا إلى كابل في صيف نفس العام سنة ١٨٤٢، إلا أن المعتمد في الهند (ايلينبورغ) أمر بسحب الجيش البريطاني، وأمر بإعادة (دوست محمد) ليكون ملك أفغانستان بعد أن أمّنوا عليه السياسة التي ينهج.

عاد دوست محمد سنة ١٨٤٣ إلى كابل، وامتد حكمه حتى سنة ١٨٦٢، وخلال هذه الفترة أعاد قندهار وهرات ويبلغ إلى قبضته وتحت سيطرته، وبعد عودة دوست محمد قتل ابنه (وزير أكبر خان) المجاهد بطريقة غامضة، ويشير كثير من المؤرخين بأصابع الاتهام إلى أبيه أنه قد قتله بالسم.

ثم جاء بعد دوست محمد ابنه (شير علي خان)، وحكم أفغانستان سنة ١٨٦٣ - ١٨٦٦، ثم أقصي عن الحكم، ثم عاد وحكم البلاد من سنة ١٨٦٩ - ١٨٧٩.

وكان سبب هذه الحرب مع الانجليز : أن بريطانيا هلمت وهي ترى روسيا تحتل طشقند وخوارزم وتصل إلى نهر جيحون، وأرسلت روسيا بعثة عسكرية برئاسة الجنرال ليتوف الذي وصل إلى كابل وعقد معاهدة مع شير علي.

وهنا أرسلت بريطانيا بعثة لتقابل شير علي فممنعت من دخول أفغانستان، وهنا اقتحم اللورد روبرتس أفغانستان ودخلها من الشرات الثلاثة الشهيرة في كانون الأول سنة ١٨٧٩، وأعلن العالم الرباني (مسك عالم : دين محمد) من غزني الجهاد ضد بريطانيا، وكان القادة العسكريون : محمد جان من وردك وكان في جبهة كابل، وجنرال محمد كريم خان ومير بجاخان في بگرام، وعصمت الله خان في لغمان وتجاب.

وعندما دخل الانجليز هرب شير علي خان إلى مزار شريف وطلب التجدة من روسيا فرفضت، وخلف وراءه ابنه يعقوب خان في كابل.

وقعت بريطانيا في ٢٦ مايو ١٨٧٩ معاهدة مع أفغانستان، وأرسلت بعثة دائمة إلى كابل تشرف على السياسة الخارجية في أفغانستان وفي ٣ سبتمبر سنة ١٨٧٩ أباد الشعب الأفغاني جميع أفراد البعثة في قلعة بالاحصار.

ولكن بريطانيا أرسلت قوات أخرى واحتلت كابل، وألقت القبض على يعقوب وأرسلته إلى الهند ومات فيها سنة ١٩٢٢.

وسكنت بريسافيا في كابل ١٨٧٩ - ١٨٨٠، ثم اضطرت للدخول في مفاوضات مع الأمير عبدالرحمن حفيد (دوست محمد)، ثم بدأت بالاستعداد للانسحاب، نجحت الأخبار أن أيوب خان (أخا يعقوب خان) قد أباد حامية بريطانية في (ميوند) بالقرب من قندهار، فأرسلت عشرة آلاف جندي إلى قندهار وهزموا أيوب خان .

وفي أيام عبدالرحمن خان ١٨٩٢ جاء (ديوراندي) البريطاني على رأس بعثة وخطط الحدود الشرقية والجنوبية التي تفصل أفغانستان عن الهند وسمى خط الحدود (بخط ديوراندي).

٦ - الانتفاضة السادسة :

على يد أمان الله خان ضد بريطانيا : إذ أن أمان الله خان بعد اعتلائه العرش سنة ١٩١٩ أرسل رسالة إلى المعتد البريطاني في الهند يخبره فيها استقلال أفغانستان داخليا وخارجيا، فتجاهلت بريطانيا الرسالة، وردت بضرورة استمرار الوضع بين بريطانيا وأفغانستان كما هو، فأعلن أمان الله النفير العام ضد بريطانيا، وسلم قيادة الجيش لنادر شاه، وقد كانت هناك ثلاث جبهات :

أ - جبهة قندهار : قائدها سردار عبدالقدوس.

ب - جبهة جلال آباد : قائدها جنرال صالح محمد خان.

وكان قائد المدفعية مع عبدالقيوم البغماني، واستطاعوا بعون الله هزيمة بريطانيا، ودخل نادر شاه مع عبدالقيوم الحدود البندية، واحتلوا مدينة تل، وخشيت بريطانيا أن يثير الأفغان الجهاد العام ضد بريطانيا، وبدأت ترتعد أن يقوم الشعب الهندي المسلم بانتفاضة إسلامية ضدها مع أخوانه الأفغان.

ومما أعلن تشرشل من لندن استقلال أفغانستان. وفي ٨ أغسطس ١٩١٩ وقعت اتفاقية راولبندي التي اعترف فيها الإنجليز باستقلال أفغانستان التام.

٧ - وكانت الانتفاضة السابعة :

أن أعلنت الحركة الإسلامية جهادها المسلح ضد داود سنة ١٩٢٥. وكان على رأس الحركة آنذاك (رباني وسيف و حكمتيار)، ثم كان الجهاد العام والنفير الكبير بعد الانقلاب الشيوعي السافر الذي جاء بترافي إلى الحكم في ٢٧ نيسان سنة ١٩٢٨، وقد أعلنه العلماء وانضموا وراء ركب الحركة الإسلامية الذي سبقهم إلى الميدان بثلاث سنوات.

٨ - وهناك الانتفاضات المباركة ضد الملوك الذين حاولوا سلخ أفغانستان عن دينها، وتمييع الولاء والبراء في عقيدتها، واجتثاث العقيدة الإسلامية تدريجيا من أعماق الشعب المسلم باسم حركات الإصلاح والتحرير والتقدم والتغيير والتتوير.

وقد حاول الملك حبيب الله خان (١٩٠١ - ١٩١٩) أن يمسح القيم ويروض الشعب بقبول الكفر تدريجيا، ولكن موجة السخط العام لدى الشعب أدت إلى تملعه، مما حدا بأحد المسلمين أن يردي الملك قتيلا بالرصاص في ٢٠ فبراير ١٩١٩. وبعد قتل حبيب الله تولى ابنه أمان الله حكم أفغانستان من ١٩١٩ - ١٩٢٩ ولم يكن له في قصة أبيه عبرة، ولم يتعظ بما جرى لأبيه، وكان رجلا علمانيا يريد أن يجر أفغانستان إلى مهاوي الردى وشعاب الهلاك باسم التطوير كذلك، وكان متعجلا يريد أن يقلبها دولة غربية دون مراعاة لدين أو تقاليد أو أوضاع اجتماعية وتاريخية، وأخذ الملك يسخر رجال الدين ويزدري بهم ويستخف بتمسكهم، ولا يعاب بهم، ويطلق النكات في مجالسه العامة عليهم، وهذا أثار حفيظة العلماء عليه، فلوغروا صدور القبائل، فثارت قبائل البشتون وتقدمت نحو كابل سنة ١٩٢٤، ولكنه استعمل الطيران ضدهم فلوغفهم، وفي سنة ١٩٢٨ قام الملك مع حاشيته برحلة طويلة زار فيها الهند ومصر وإيطاليا وفرنسا وألمانيا وإنجلترا وروسيا. وفي طريق عودته عرج على تركيا وإيران.

ورجع الملك متحمسا جدا لسلخ أفغانستان عن دينها، فكتب القرارات الملكية التي تقضي بوجوب ارتداء الزي الغربي (للنساء والرجال)، وعلقت المنشورات بهذا الأماكن العامة. وهنا أعلن العلماء كفر الملك ووجوب الجهاد ضده، فثارت قبيلة (شنواري) واحتلت جلال آباد واندلعت الثورة ضد الملك في ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٨. وما هدأت إلا بعد أن أطاحت بعرش أمان الله في ٤ يناير سنة ١٩٢٩.

والآن : مضى على الشرارة الأولى التي انطلقت ضد داود سنة ١٩٢٥، واستمرار المعركة إلى أيام تراقي حيث اندلع الجهاد في كل أفغانستان إلى يومنا هذا ثلاثة عشر عاما، والحمد لله فالمجاهدون منتصرون وصامدون.

فهل يكون الجهاد الأفغاني بداية التحول التاريخي للإسلام؟ أم هل يكون الجهاد الأفغاني بداية تحول تاريخ العالم أجمع؟

نحن نرجو من الله هذا، ونحسب أن ذلك كائن - والله أعلم -

(ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا) {الإسراء: ٥١}.

وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

مضائق الأبطال⁽³⁾

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، أما بعد : فإن للام دوراً كبيراً في بناء الجيل، ويقدر النجاح الذي تحققه في تربية الأم يكون النجاح الذي تحرزه في بناء الأمة وصناعة الأبطال. وكثيراً ما تجد وراء أحد العظماء امرأة عظيمة تركت بصمات نفسها الكبيرة بارزة في شخصيته من خلال اللبن الذي رضع، ومن خلال دفء الحضان الذي فيه رتع، وكثير من الرجال يصعب عليه أن يمسح من ذهنه تلك الصور المشرقة التي التقطها لأمه، فيقف وفي ذهنه تلك الصور الرائعة التي جرت في عروقه منذ حداثة سنه، فلا يملك إلا أن يتمثلها بإكبار، أو يتملأها بإجلال وافتخار، ثم تندفع الكلمات البسيطة الواضحة التي أودعها أمه كيانه فتشبع معالم في طريقه، ومنازة على جادته، ولا يستطيع إلا أن يتفيا الظلال الوارفة التي أقامت لها الأم على طريق العمر الطويل، تغذيها المشاعر الجميلة، وتتفاعل معها الأيام الخالدة في حياته، فتستجر هذه العوامل في كيانه، وتكون جزءاً لا ينفك عن شخصيته. ولا يستطيع أن ينسلخ منها إلا إذا انسلخ من إنسانيته، وتجرد من بشريته.

ولذا كان الحفاظ على هذا الرد ومقابلة هذا الجميل بالوفاء والبر فريضة من فرائض الإسلام مقرونة بكلمة التوحيد : {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا} (الأنعام ٢٣ الإسراء).

ويعتبر العقوق قريناً للكفر، ويحتل احترام الأم منزلة رفيعة في سلم الإسلام، وله ثقل كبير في ميزانه، وفي الصحيح^(٢) جاء رجل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: (يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم أي؟ قال: أمك، قال: ثم أي؟ قال: أمك، قال: ثم أي؟ قال: أمك، قال: ثم أي؟ قال: أمك).

قلت ذات مرة لإبراهيم الأخضر -إمام الحرم المكي- لماذا تحرم الناس من صوته الندي الذي يتجمع عليه المسلمون من كل مكان؟ وكيف تطلب العودة إلى المدينة وبعض الناس يقولون : لكننا نسمع القرآن ينزل من السماء غصاً طرياً ونحن وراء إبراهيم الأخضر؟

فقال : إن ذخري في الحياة جدتي ووالدتي، ولا بد من الوفاء بعهدهما، والقيام ببرهما، ولا يقوم أحد بهذا غيري، فقلت لماذا لا تأتي جدتك هنا؟ فقال : إنها ترفض أن تغادر المدينة خوفاً من أن تموت خارج المدينة، وأمنية الحياة الغالية عندها أن تدفن في البقيع، وفعلت ترك إبراهيم الحرم المكي وعاد ليقيم في مسجد صغير في المدينة ملتزماً الجنة عند قدمي أمه وجدته.

ولقد أوصى الإسلام بتربية البنث وتثديبها وتعليمها لتكون حرداً (ستراً) لأبيها من النار، وصدق الشاعر :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

وفي أفغانستان المسلمة نماذج رفيعة من الأمهات، سواء من داخل أفغانستان أو من العالم الإسلامي، نتعرف عليها من خلال الرسائل التي تردنا عبر بريد مجلة الجهاد، ومن خلال هذه النماذج فاطمة أم فيصل المكية.

فلقد كانت فاطمة أم الأولاد الستة تحلم أن ترى ابنها غيصلًا يحظى بفتاة أحلامه وتقترح بابنها قبل أن تخطفها يد الشون. إذ أنها تدلف إلى جدتها بخطى حثيثة بعد أن بلغت السبعين، واشترت لابنها الصغير -الراصد الجوي- أثاث العرس. ولم يبق من أبنائها غيره ممن لم يكمل نصف دينه الآخر.

١- نشر في مجلة الجهاد - العدد السادس والثلاثون - ربيع الأول ٨-١٤١٤هـ الموافق نوفمبر ١٩٩٧م.

[٢] السيد مفتي عبيد بن أبي هريرة، فتح الباري / ج ١ / كتاب الأدب / باب (٢) برقم (٥٩٧١)، شرح النووي / ج ١٦ / كتاب البر والصلة / ص ١٠٢.

كانت فاطمة تعيش مع ابنها فيصل في شقته الهادئة على شاطئ البحر الأحمر في جدة، وتنتظر اليوم الذي تختم فيه فرحها بأصغر أبنائها، ولقد كانت تفخر بابنها الذي طالما تباهت بروية صورته على شاشة التلفاز يقدم مسرحياته للجمهور.

ولكنها خلال الأشهر الأخيرة صارت تلمح على قسمات وجه ابنها تغيراً وسهوماً ووجوماً وصعماً، وغابت تلك الابتسامة المشرقة التي كانت لا تفارق شفثيه هناك شيء جديد جاد يعمل في أعماقه يشغله، وفي تلاحظ عليه شروداً، ولم تعد تلك الأحاديث التي كان يفتحها بها عن أمانيه وأحلامه، واختفت من أنظاره بهارج الحياة وزخارفها، واضطرت أن تقتحم عليه عزلة ووحشته متسائلة : ماذا عساه هناك يا حبيبي فأشغلك عنا وعن الحياة الودعة الآتية حولك؟

وهنا فاتحها بما يمكنه بين جوانحه، لقد قرأت كتاباً عن الجهاد الأفغاني اسمه : (آيات الرحمن في جهاد الأفغان) يتكلم عن قضية خطيرة كبيرة في حياة المسلمين وهي قضية الجهاد التي ليست مسطرة في سطور، بل حقائق متمثلة في دنيا الواقع، يخوضها شعب أعزل أمام العملاق الكبير -الاتحاد السوفياتي وحلف وارسو-.

وبدأت الأسئلة تتوالى على لسانها : وأين (أفغانستان) هذه من الأرض؟ فأجاب : إنها بلد مسلم يعيش فيه شعب رفض أن يعطي الدنيا في دينه، ويضع ضريبة عزته غالية باهظة، فهناك على سفوح الهندوكوش وعلى ضفاف الهامند وفي سهول هرات يسقط شهيد كل أربع دقائق، ويغادر شيخ أو امرأة منزله كل دقيقة.

يستعذبون منايهم كأنهم لا يخرجون من الدنيا إذا قتلوا

قالت : ولكن هذه البلاد جد بعيدة، فأجابها : أو لسانا المسلمين؟ أو ليست أرض الإسلام كالبقعة الواحدة؟

إذا استنجبوا لم يسألوا من دعاهم لآية أرض أو لأي مكان

وطفق فيصل يرتب نفسه ويعد للأمر عدته، ويتخذ له أميته، وفاض الغرام واحترق الكبد من الشوق رزاد الشجر، وإذا به ذات يوم يحضر سيارة كبيرة من السوق ويضع جميع أمتعته رياش العرس وفراش الزواج وأثاثه، ولم يبق في البيت كرسيّاً ولا أريكة، وانطلق إلى سوق الحراج وطلب من السمسار أن ينادي عليها بالبيع، وصاح الدلال فقال قاتل هي علي بثلاثة آلاف فلم يتروّد عن الإجابة بالقبول، وباعها بهذا الثمن البخس بعد أن دفع ثمنها سبعة عشر ألفاً.

لقد كان بيع الأثاث إعلاناً صارخاً عن العزم النواض والتصميم الحاسم على طلاق الدنيا ثلاثاً لا رجعة فيها.

وتعلقت أمه به، لا بد أن أرافقك مسيرة طريق العرق والدماء، ولا بد أن أسير فوق جادة الجهاد رغم الأشواك والعقبات والملازم والسفوف والنوى.

ويعجب فيصل : وهل هناك نور في هذا الدرب المضيئ؟ سيما وقد نيفت على السبعين، وثقل اللحم، وقد لعب الجنان واحبوب

الضهر

وتجيب الأم : نعم أستطيع أن أغسل ثياب المجاهدين وأن أطبخ طعامهم.

ومار النقاش يشغل قسماً من الوقت في مجيئها أو بقائها في بيتها، ووعدها فيصل أن يأتي لمعرفة النور الذي يمكنها القيام به في أرض الجهاد ثم يرجع إليها.

وجاء فيصل فترة ثم عاد ليرتب أموره نهائياً ويستقبل من وظيفته، ويخلص بنفسه إلى الله، وينسلخ من دنياه التي يعيش فيها نهائياً وتصر الوالدة على القدوم إلى أرض الجهاد، وقدمت فاطمة إلى بيشاور، وزارت الأرامل والأيتام، وحاول ابنها أن تعود إلى جدة، وبعد جهد جهيد توصلوا إلى قبول تحكيمي، فقالت له : لن أرجع حتى أسأل الشيخ عبد الله عزام.

وجاء فيصل بأمه لتطمئن إلى جواز رجوعها إلى جدة، وإلى الحكم الشرعي أن الله يعذرها بالعودة، فاقبعتها بجواز رجوعها، فغادرت وهي مطمئنة أنها من أصحاب الأعذار.

نظرت إلى هذه العجوز بإكبار وانبهار، ثم قلت في نفسي أنها مكية، ولعلها قرشية، فلا غرو في هذا، فقد قال -صلى الله عليه وسلم- : (خير نساء ركب الإبل نساء قریش، أحباء على ولد في صفره وأرعاء على زوج في ذات يده) متفق عليه (١).

(١) شرح النووي ج ١١ / ص ٨١ وهو عن أبي هريرة يلفظ :.. صالح نساء قریش..

إنها تريد أن تسير على نهج أم حرام بنت ملحان زوج عبادة بن الصامت حيث نام -صلى الله عليه وسلم- في بيت عبادة فاستيقظ وهو يضحك، فقالت أم حرام (ما يضحكك يا رسول الله؟ قال : ناس من أمتي عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله يركبون نهج هذا البحر ملوكاً على الأسرة، فقالت : (يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها فهلكت) رواه مسلم^(١).

تريد فاطمة أن تتسج على منوال أم سليط التي كانت تنقل قرب الماء يوم أحد/البخاري^(٢)، وتود أن تلحق بالربيع بنت معوذ رضي الله عنها التي قالت (كنا نغزو مع النبي -صلى الله عليه وسلم- فنسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقنلى إلى المدينة) البخاري^(٣).

نموذج فقط :

ليست القصة هي قصة فاطمة -أم فيصل- وحدها، ولكنها قصة الكثيرات اللواتي يتقلبن على اللظى شوقاً لرؤية الجهاد، وتحلم كل واحدة منهن بفتى أحلامها أن يكون ممن يمتشقون السلاح ويمتطون صهوات الجياد ويحيون في قمم الجبال.

الرسائل :

وكم من الرسائل ترد إلينا من فتيات جامعات أو معلمات ومن جميع الطبقات أنها تود أن تحظى بمحرم يحضرها إلى أرض البطولات، أما وقد ينست أن تجد من محارمها في النسب فلا عدمت أن تجد المحرم الأخير وهو الزوج. هذه أم سعيد الجزائرية :

يستأذنها ابنها في الجهاد فتقول له : أنت خريج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتعلم الشرع أكثر مني، فأي أمر شرعي فلا تستأذني فيه، أما بالنسبة للجهاد فقد قام الجهاد في الجزائر ولم يكن عندي أولاد، وكنت أتمنى أن يكون لي أولاد أقدمهم في هذا السبيل. والآن فقد رزقني الله أحد عشر ولداً فلا بد أن أقدم بعضهم في سبيل الله. وأرسلت سعيد وعبد الرحيم إلى الجهاد بعد أن دعت لهما حول الكعبة بالشهادة.

إنها ليست قصة ماطمة ولكنها قصة عشرات الآلاف من الفواطم اللواتي ولدن في هذا الدين الذي لن يعتم أن يقدم النماذج عبر الأجيال.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

هكذا علمني الجهاد^(٤)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :

فلم يعد خافياً على ذي بصيرة أن الجهاد الإسلامي في أفغانستان أصبح مدرسة فذة يتعلم فيها العالم الإسلامي أجمع . وقد شرفني الله أن أكون بين التلاميذ الذين ينهلون من معين هذا الجهاد، ويتربون على مبادئه، وأستطيع بعد ست سنوات متواصلة من هذا الشرف العظيم أن أسجل على عجل وبخطوط عريضة بارزة القواعد الكبرى التي خلصت إليها من أفغانستان وفلسطين، فأقول :

أولاً : إن عقيدة القدر لا يمكن أن تتجلى واضحة في النفس البشرية في ميدان أكثر منه في ساحة الجهاد، ولا يمكن أن تتمثل عقيدة التوكل على رب العالمين حية بمثل أرض القتال وميدان النزال، وخاصة في قضيتي الأجل والرزق اللتين تمثلان أعظم عمودين في الحياة البشرية، وقد سيطرت هذه العقيدة في صحف الكتاب العزيز بآيات محكمات (وما كان لنفس أن تقوم إلا بإذن الله كتاباً

(١) الحديث سنن علي بن أنس بن مالك فتح الباري /ج٨/ باب ٨، برقم (٢٨٠٠)، شرح النووي /ج ١٢/ من ٥٧.

(٢) فتح الباري /ج٨/ باب (٦٦) برقم (٢٨٨٦).

(٣) فتح الباري /ج٨/ باب (٦٨) برقم (٢٨٨٣).

(٤) نشر في مجلة الجهاد - العدد السابع والثلاثون - ربيع الثاني ١٤٠٨ هـ الموافق ديسمبر ١٩٨٧ م.

مُرجلاً (آل عمران : ١٤٤)، (وفي السماء رزقكم وما توعدون) (التأثيرات : ٢٢) .

والناس يوحّدون الله بهذه العقيدة (عقيدة الأجل والرزق). توحيد ربوبية (التوحيد العلمي)، ولكن النقلة البعيدة من توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية (التوحيد العملي)، فهذا الذي يتكفل الجهاد به بتحويل الكمات إلى توكل يتعشّل في مواقف فريدة يخاطر فيها على النفس والمال والحياة، وعندها يصبح المؤمن جبلاً راسياً تهتز الأرض كلها دون أن يميل أو يتأرجح .

وقد رأينا هذا من خلال النماذج التي تتسابق على الموت وتبكي حين تمنع من دخول المارك في أرض أفغانستان، ويعبر عنه صفى الله أفضلتي الذي مكث ثماني سنوات لا يدخل معركة إلا في الصفوف الأولى، فراجع المجاهدين في هذا فقال : ألم يقل الله عز وجل (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) (النحل ٩١)

وتوضحه كلمة سيد علاء الدين قائد في ميمّة / فارياب * (جئك ليست خراب نمشا) أي (لا يمكن النوم بنوم الجهاد).

يلذ لأنني سماع الصليل ويهيج نفسي مسيل الدما

وأما الرزق فإنك تعجب من توكل الأفغان بشأته، فقد قال لي سياف ذات مرة : (أجلس أحياناً لأنظم مساعدة الجبهات وتأمين طعامها فينحسر تفكيري وأقف حائراً أمام مفضلة لا أستطيع حلها، فأتركها لرب العالمين يديرها ويرتبها)، وعقيدة التوكل على الله التي بناها الجهاد الأفغاني تريد أمريكا أن تزعزعها في قلوب المسلمين، فتصور نفسها وصية على الجهاد .

العقدة الكبرى : إن أكبر عقدة في حياة الدعاة هي عقدة الخوف (الخوف على الرزق والأجل)، فإذا انحلت هذه العقدة انحلت العقد كلها، وفي هذه الأيام أصبحت عقدة المخابرات هي العقدة التي أحيات الدعوة والحركة إلى إشارات خفية وألغاز معممة سرية، وذلك لأن المخابرات يمثلون شعباً رهيباً يطارد الدعاة في سبائهم، ويقض عليهم مضاجعهم وذلك خوفاً على رزقهم أو أجلهم. والجهاد . تحرر من جميع العقد، والحمد لله لقد منّ الله علينا بالتحرر من هذه العقدة، فعندما يقولون لي : فلان من المخابرات فكأنما يقولون لي: أوبر تمام منح المعتصم، أي لم تعد تثير في اهتماماً ولا تحرك في أعماقنا أية مخاوف .

ثانياً : العزة : ومما علمني الجهاد أن المسلم أعز مخلوق في الأرض إذا كان مجاهداً، لأن أعز ما يملك المرء في الروح، وهو يخاطر بروحه ويعرضها كل يوم على خالقها ليتسلمها، فكيف يمكن لهذا الإنسان أن يخلي هامته أو يذل عتقه لإنسان، وصدق الله العظيم : (ولا تهنأ ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) آل عمران (١٣٩).

والعز في صهوات الخيل مركبه والمجد ينتج الاسراء والسهر

وقد علمني هذا الدرس ذلك الشيخ الأفغاني في مخيم ناصرباغ عندما تقدم نيكسون ليصافحه، فقال : لا أصافحه - وإن كان رئيساً لأمريكا - لأنه كافر .

وكذلك علمني إياه حكمت يار عندما رفض أن يقابل ريغان رغم أن ريغان هو الذي طلب مقابلته .

ثالثاً : حقارة الحياة وصغرها في نظر المجاهد كما جاء في الحديث الصحيح ^(١) (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً شربة ماء)، وهذا يتفق مع نفسية المجاهد وارتفاع اهتماماته وعلو مكانه وهو ذروة سنام الإسلام، فهو ينظر إلى الأرض ومن عليها فتنبو صغيرة ضئيلة في نظره .

يقول سياف لأحد أبناء الحكام : (والله إن مائة عرش مثل عرش أبيك لا أعدلها بلحظة من لحظات الجهاد) .

رابعاً : وتعلمت أن الحياة الحقيقية هي حياة الجهاد والمجاهد، ولذا فإنني أعتبر عمري الآن سبع سنوات وهي التي قضيتها في الجهاد، ست منها في أفغانستان وستة وبضعة أشهر في فلسطين، وهذا يتفق مع رأي بعض المفسرين في معنى الآية :

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحْيِيكم) (الأنفال : ٢٤) استجيبوا لما فيه حياتكم وهو الجهاد .

خامساً : وعلمني الجهاد أن الإسلام شجرة لا تعيش إلا على الدماء، فإذا جفت الدماء نوت عروق هذا الدين وذبلت

١ - عند الترمذي برقم (٢٣٢١) وابن ماجه برقم (٤١١٠) وهو عن سهل ابن سعد .

واضمحلت وضممرت.

سادسا : وخرجت من الجهاد بيقين : أن الجهاد ضروري جدا للحركة الاسلامية، وكذلك فالحركة الاسلامية ضرورية لإشعال زناد الجهاد وقيادته، والشعب ضروري للحركة الاسلامية حتى يستمر جهادنا بهذا الوقود وهو الشعب، فإذا لم تجاهد الحركة الاسلامية تاكلت واشتقلت ببعضها، ودبت بينها الفتن، وانتابها التشقق والتمزق، لأن الفراغ قاتل للنفس والمجتمع.

والحركة الاسلامية تمثل الصاعق (البادئ) الذي يفجر أطنان المتفجرات، فالشعب هو المتفجرات، والحركة الاسلامية هي الصاعق الذي يشعلها ويفجرها ولاستطيع حركة اسلامية مهما كانت أن تواصل حريا طويلة الأمد ضد دولة ولو كانت صغيرة، فضلا عن أن تقف سنوات أمام دولة كبرى، والحركة إذا عزلت عن الشعب فقد قصت على نفسها بالموت، كالغصن إذا قطع من شجرته مهما كان ناضجا كبيرا فإنه يذبل ويموت .

وكثرة الثقافة لحركة بون جهاد جد خطير على النفوس، لأنه يقسي القلوب ويورث الجدل .

سابعا : إن هذا الدين لا يفهم إلا من خلال الجهاد به لإقراره واقعا في الأرض، والذين يقضون حياتهم بين صفحات الكتب وأوراق الفقه لا يمكن أن يدركوا طبيعة هذا الدين إلا إذا جاهدوا لنصرته، فهذا الدين لا يفهم أسرار فقيه قاعد (وإنه لجهل فاضح بطبيعة هذا الدين أن يفهم أحد أنه يستطيع التفقه في هذا الدين وهو قاعد يتعامل مع الأوراق الباردة، ولا يستتبط الفقه من قوالب الجامدة، إن الفقه لا يستتبط إلا في مجرى الحياة الدافق، ومع الحركة بهذا الدين في عالم الواقع) سيد قطب^(١).

وهذا يتفق مع فهم الحسن البصري والطبري ورواية عن ابن عباس رضي الله عنهما للآية {قلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون} (التوبة: ١٢٢).

إن الفرقة التي تتفقه هي الفرقة النافرة للجهاد، ولذا كان المسلمون إذا أعضلت عليهم مسألة يقولون اعرضوها على أهل الثغور والحق أن الفرقان بين الحق والباطل لا يحصل إلا للمتقين {يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا} (الآية ٢٩ الأنفال).

يقول ابن تيمية^(٢): (الواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا دون الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم بالدين) أي لا يسأل عن الجهاد إلا العلماء المجاهدون .

إن الدينونة لهذا الدين هي التي أنشأت المجتمع المسلم، والمجتمع المسلم هو الذي أنشأ الفقه من خلال الحركة الواقعية بهذا الدين -

ثامناً : وعلمني الجهاد : أن الدولة الاسلامية لا يمكن أن تقام إلا من خلال جهاد شعبي طويل تتميز فيه أقدار الناس وتتحدد مقاماتهم، ولا يبخس الناس بعضهم مقادير بعض، ومن خلال هذه المسيرة تبرز القيادات الحقيقية من خلال الشجاعة والتضحية، ويكون الخليفة أحد هؤلاء المجاهدين، ولقد كان ميزان التفاضل بين الصحابة عدد الغزوات والسرايا التي شهدوها، ولذا لم يحتج أبو بكر عند إجماع الأمة على انتخابه خليفة إلى تزكية أحد أو إلى دعاية انتخابية .

وميزان التفاضل الآن بين الافغان هو عدد السنوات التي قضاها في المعركة ، فلا يستطيع أحد مهما كان جاحدا أن ينكر جهاد أحمد شاه مسعود، وجلال الدين حقاني، ومولوي أرسلان، وفريد، وإنجنير بشير أحمد، وإنجنير ضياء (هرات)، وقومندان أمير قنوز، ولالامالنج (قندهار)، وأرين بور / بدخشان .

تاسعا : وعلمني الجهاد : أن الدولة الاسلامية التي تقوم من خلال الجهاد لا يمكن القيام بانقلاب عسكري عليها، لأن الناس كلهم يحملون السلاح، ولأن مقادير القيادة فيها برزت من خلال أعمالهم وصبرهم وتضحياتهم .

ولأن الوصول للسلطة لم يكن في الظلام من خلال الدس والمؤامرة، وإنما جاء واضحا كالشمس في رابعة النهار، والقيادة هي

١ - ينصرف عن الضلال في تفسير سورة التوبة/ الجزء الثالث/ ص - ١١٣٥ خبئة الشروق.

٢ - الاختيارات (١٥٨/٤)

أصلب الناس عوداً، وأصفاهم عنصراً، وأصدقهم لهجة، وأبسطهم عيشاً، وهذه القيادة دفعت ثمنها غالياً لإقرار الدولة، فلا يمكن أن تنظر بها، والقيادة التي يفرزها الجهاد : قيادة جاءت من صفوف المجاهدين ، عاشت على الشظف والخشونة والتشف والزهد مع المجاهدين، وتستطيع مواصلة العيش على هذا النهج .

ويدرك الذي يدخل بيت سياف أو حكمت يار ويونس خالص ودياني أن زهد عمر بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم يمكن أن يعود وفي بيت أمير المؤمنين في القرن العشرين .

لقد اطلعت على مصروف حكمت يار وعائلته فوجدته أقل من أربعمئة ريال شهرياً .

عاشراً : وعلمني الجهاد : أن الجهاد أفضل وسيلة لتربية النفس البشرية، إذ أن الخطر يعري الفطرة لبارئها وأهوال الحرب تفتح القلب للاتصال بخالقه، وهنا وفي حرارة المحنة وحرارة التجربة تسخن النفس فتصبح مطاوعة لينة تستجيب للأوامر، كالحديد إذا سخن يصبح مطاوعاً، فالجهاد يصقل النفس ويخلص الروح من أوشابها، ويملا الجهاد الحس البشري بالرهبة والروعة، كما يملؤه بالحدز واليقظة، ويملا النفس البشرية بالتوجس والتوقع للموت في كل لحظة، ليخرجوا من الغفلة التي ينشئها الرخاء والنعمة، عرفت هذا في سلوك سazanور (ننجرهار) الذي يدفع ثمن الطعام من الغنمة قبل أكله، حتى الكفار يضرعون إلى الله أوقات الشدة، فقبل أسبوع تقريباً نزلت طائرتان روسيتان في منطقة شترال الباكستانية، فكان مما قاله الطيار الروسي : (إن أكثر ما يخيفنا صاروخ ستينجر، ولكننا نتعوذ منه بنصوص من كتابكم المقدس علمنا أياها الشيوعيون الأفغان) .

هادي عشر : وتعلمت أن الجهاد هو أكبر عامل لتوحيد الأمة الإسلامية ولم شتاتها وجمع شعبها، فلا توجد قضية في الأرض الآن تشد أعصاب الأمة وتستحوذ على اهتماماتها أكثر من الجهاد الأفغاني، وهذا ألاحظه من خلال الرسائل الكثيرة التي ترد إلى مجلة الجهاد من كل مكان في الأرض .

ثاني عشر : وتعلمت أن القيادة والمسؤولية لابد أن تسلم للمخلصين الصادقين، فهؤلاء هم صمام الأمان لصيانة أرواح الناس وأعراضهم وأموالهم .

ولقد رأى بعض قادة الأحزاب أن يمدوا القيادات التقليدية التي كانت أيام ظاهر شاه الذين يسمون في أفغانستان (أرباب ووكيل) ولكن هؤلاء لم يستطيعوا مواصلة السير على الطريق، وتراه بين العثية وضحاها ينضم مع أسلحته وقريته وجبهته إلى الدولة الشيوعية عند رؤية بارقي طمع أولح عرض من الدنيا القريبة .

ثالث عشر : وأدركت من الجهاد : أن التربية ضرورية ماسة قبل حمل السلاح، وإلا فإن الذين يحملون السلاح دون تربية يصبحون كالعصابات المسلحة تؤرق أجفان الناس وتهدد أمنهم وترزعهم ليل نهار، وأنت تترك هذا عند المقارنة بين قائدين في أفغانستان أحدهما تربي في الحركة الإسلامية والآخر لم يتلق التربية، فتجد الناس جد مرتاحين في منطقة الأولى، وأما الثاني فشكوى الناس لا تنقطع عنه .

رابع عشر : وتعلمت أن الصبر عمود الجهاد بل رأس هذا الدين، ولا جهاد بلا صبر، وبإمكانك أن تترك هذا من الذين أمضوا عشر سنوات في الجهاد مع الجوع والعري والمرض، وإنه ليذهلك وأنت تسمع (قصة فتح قلعة المار/ فارياب) التي تقع في سهل شاسع لا يمكن للمجاهدين التسلل إليها، فيحفر المجاهدون خندقاً عميقاً يسير فيه الراكب دون أن يرى، طوله عشرة كيلومترات، يستمر حفره ستة ونصف حتى يدخلوا القلعة من تحت الأرض ويفتحوها بإذن الله .

خامس عشر : علمني الجهاد أن الهالات الضخمة التي ترسم حول النول الكبرى كأمريكا وروسيا لا تساوي شيئاً أمام قوة رب العالمين وتأييده للمؤمنين ، ومن كان في شك مما أقول فليسال الروس عن ملهمهم ورعيتهم من المجاهدين الأفغان ، لقد بدد الجهاد الأفغاني أسطورة روسيا .

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

أصالة الشعب الأفغاني المسلم^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد :

فلا زال الشعب الأفغاني يحتفظ بأصالته وكرم محتده وطيب فطرته وسلامة نفسيته وصفاء خامته ونقاء طبيئته.

ومن نعم الله على أفغانستان أنها ما حنت هأمتها لمستعمر، ولا أذلت عنقها لغاز إلا لله الذي ساق جنده يحملون مشاعل نور الإسلام.

لقد نفى كير أفغانستان كل خبث غريب وطيء أرضها، ولفظت أرضها الطيبة كل نجس جاء يدنس تربتها. فلم يستطع الاسكندر ولا التتار -جنكيزخان- ولا الإنجليز أن يثبتوا فيها أقدامهم، لأن قمم جبالها تستعصي على الغزاة، وعلو نفوس أبنائها تستعلي على الطغاة، فحفظ الله على الشعب الأفغاني : بساطتهم، وحياتهم، وكرمهم، وعزتهم، وشجاعتهم، ومروءتهم. لأن أعداء الله -خاصة الإنجليز- حيثما حلوا مسحوا البساطة وغرسوا التعقيد، واجتثوا الحياء وزرعوا القحة والبذاعة، وسلبوا الإيثار وتركوا الأثرة، وحاربوا الشجاعة وربوا الجبن والخور، واقتلعوا الكرم وورثوا البخل والشح.

أما عن حياء الشعب الأفغاني : لقد سارت به الركبان، وتحدث به الشعراء، خاصة عن حياء المرأة.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عمر قال -صلى الله عليه وسلم- (الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رجع أحدهما رجع الآخر)^(٢).

وحيثما أثبت المستعمر قدمه فإنه يحيل المجتمع كله إلى مستنقع جنسي أسن يفرق فيه أبناء الجيل كله، جاء في البروتوكولات (نريد أن ننشئ جيلاً لا يستحي من كشف عورته)، وليس أدل على هذا من بانكوك التي تركها الأمريكان بؤرة الخطيئة في العالم.

وأعداء الله يدركون أكثر من غيرهم أن تدمير فطرة المرأة هي أقصر طريق لانحيار المجتمع كله، وقد قال قائلهم : (كأس وغانية أشد على أمة محمد من ألف مدفع)، ولذا فقد ركزوا على المرأة في البلدان الإسلامية، خاصة في :

تركيا : عاصمة الإسلام السياسية.

ومصر : عاصمة الإسلام العلمية.

وكانت الأنظمة الثورية هي القفاز الذي يضرب به أعداء الله والحربة التي يمزقون بها حجاب المرأة ويمسخون شخصيتها ويدمرون إنسانيتها.

ويعلن رئيس وزراء تركيا (تورجوت) سنة ١٩٨٦ أن أكبر نخل لميزانية الدولة إنما يأتينا من بيوت الدعارة -البغاء-!

ولقد تمرد الجيل بجنسيه -نكرهم وأنثامهم- على القيم والمبادئ، ومزقوا برقع الحياء، وانفلتوا من كل التقاليد المحافظة والآداب الاجتماعية، وانطلقوا لا يلبسون على شيء، فلا حرمة لأب ولا لأسرة ولا لدين ولا لمجتمع، -جاء في بروتوكولات حكماء صهيون (سننشر آراء فرويد الجنسية على مثل ضوء الشمس حتى لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، وتنتهز الأخلاق في كل مكان).

أما في أفغانستان :

فقد وجدت المرأة فيها قلعة شامخة وحصناً حصيناً يلقي إليه هذا الدين كلما اشتدت المحن وادلهمت الخطوب.

ولقد رأيت المرأة الأفغانية أثناء هجرتها تمسك ابنها بيد وتمسك بالآخرى نقابها الذي تخشى أن يسقط عن وجهها على طول طريق العرق والدم والمرارة والحرمان وهي تكابد حرارة الجو اللاهبة ولفح الهجير في حمارة القيظ.

ويرى الأفغان أنه من العيب أن يلقي الرجل عمامته ويكشف رأسه مهما كان الحر شديداً والريح سميماً، وكنت أعجب لهذا كذلك.

أما عن احترامهم للشعائر الإسلامية وأهلها فحدث عنه ولا حرج :

(٢) مسيح الجامع برقم (٣١٩٥).

١- نشر في مجلة الجهاد - العدد الثامن والثلاثون - جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ - يناير ١٩٨٨ م.

فنعناؤهم وحفظتهم يحتلون مكانة مرموقة في المجتمع وفي أعماق قلوب أبنائه، فالعالم والفارسي والحافظ : لا يمكن أن يلفظها الأفغاني إلا مصحوبة (بصاحب) أي المحترم، وابن العالم : اسمه مخدوم، فكل اسم تسمعه يبدأ بمخدوم فهذا يعني أنه ابن عالم، أي يجب على الشعب خدمته. وتجد الأفغان جميعاً مؤمنهم وفاسقهم وفاجرهم يجلب العالم ويحترمه.

يقول سياف : كنت سجيناً مع كبار المجرمين ومهربي المخدرات، فكانوا لا يصلون، ولكنهم يصطفون أمام مصلى السجن ينتظرون خروجنا حتى يصفوا لنا أحذيتنا إجلالاً واحتراماً، وعندما حكم على الشيخ سياف بالإعدام استعد أحد كبار المهربين أن يدفع عشرين مليوناً لمدير السجن لإخلاء سبيل سياف.

لقد سمعت الشيخ يونس خالص - أمير الحزب الإسلامي والناطق باسم الاتحاد الآن - يقول (إنني أحترم سيافاً لأنه أستاذي في الحديث) رغم أن الشيخ يونس ناهز السبعين وسياف لم يبلغ الأربعين.

أما عن القرآن وأهله :

فحامل القرآن له توقير عجيب وإجلال غريب واحترام كبير في نفوس الأفغان، فالأفغان يحملون أمتعتهم وأسلحتهم على الخيول والبغال، ولكنهم يرفضون أن يضعوا عليها المصاحف مهما كانت ثقيلة وناعية يحملها كواهلهم.

ولا يمكن للأفغاني أن يتقدم على حامل القرآن أو يسبقه في شيء أو يتصدر عليه في مجلس.

قال لي سعيد الجزائري : علمتهم القرآن وعلموني أدب القرآن، وحدثني قائلاً : كنت أعلم سرية من سرايا أحمد شاه مسعود فلي تخار القرآن، فكانوا يهابون أن يمزحوا أو يهزلوا أو يمدوا أقدامهم أو يعبثوا بثيابهم أو لحاهم في حضرتي.

ويقول : كانت أسرقتنا التي ننام عليها غنائم روسية مكونة من طابقين، فكان مهجمي في الطابق العلوي من السرير، وفي السفلي أحد المجاهدين الأفغان، وذات ليلة جلست في الطابق السفلي قرب المدفأة فأخذني النوم العميق، ولم أستيقظ إلا في منتصف الليل، وإذا بالأفغاني -صاحب المكان- واقف فوق رأسي، فسألت ما بالك؟ فأجاب : أريد النوم، فقلت له : هلا نمت في الطابق العلوي للسرير، فقال : معاذ الله أن أنام فوق القرآن الذي في صدرك!!

يقول الأخ الحبيب عبد الله أنس (القرآن مفتاح قلوب الأفغان).

البروة والكرم وخاصة إكرام الضيف :

والأفغاني ينطبق عليه وصف الشاعر :

تراه إذا ما جتته مفهلاً
كأنك تعطيه الذي أنت سائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه
لجاد بها فليتيق الله سائله

وأما عن البروة : فقد حدثني أحمد المبارك (مجاهد صومالي) قائلاً : قمنا بعملية في مركز بروان ثم تفرقنا عن بعضنا لغزارة النيران، فضلت الطريق ودخلت بستاناً وإذا به بستان شيعي، فعرفني أنني عربي، فأكرم وفادتي وأحسن لقائي، وأتى بسيارة مع حراسه وأوصلني إلى قاعدة المجاهدين، وعرض عليّ مبلغاً من المال إكراماً لي، رغم أن بإمكانه أن يسلم رأسي للروس مقابل ثمن بامض، ولكنها البروة وإكرام الضيف.

وصدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا) رواه الشيخان عن أبي هريرة^(١).

أما الترفع عن الدنيا :

فكفى الأفغان فخراً أن منهم ثلاثة ملايين ونصف المليون في باكستان تسحقهم الفاقة ويبيد العري والمرض والجوع خضراهم ومع هذا كله : يصعب على البوليس الباكستاني أن يسجل حادثة سرقة.

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة وهو في صحيح الجامع برقم (٦٦٧٢)

المصطلحات الإسلامية :

لقد فرض الجهاد الإسلامي الأفغاني على العالم أن يعيد إلى قاموس التعامل اليومي مصطلحات إسلامية كادت تندثر مع الزمن في طي النسيان، ففرضوا كلمة الجهاد، ورفضوا كلمة الثورة، ورفضوا كلمة لاجئين وقالوا نحن مهاجرون، وهم يتداولون كلمة منافقين ويطلقونها على عملاء الدولة، وانتشرت كلمات : غنائم ، غازي ، أمير، إمارة، بغاة، حدود .

الأصالة ضرورة لبناء المجتمع الإسلامي :

إن المبادئ لا ينصرها إلا النفوس الصادقة والفطر السليمة، وإن هذا الدين قد انتصر في كل مرة بشعب خامته طيبة وفطرته سليمة؛ فانتصر أول مرة بالعرب الأميين، وحكم الشعب التركي بإسلامه مع أميته ربع العالم وعلى مدى خمسة قرون متتالية.

ولقد رأيت أن أصالة الشعب الأفغاني بإباء رجاله وحصانة نسائه مع الحياء والعفة والوفاء وسلامة الجيلة والفطرة تكون لجموعها قاعدة صلبة يمكن أن يقام عليها هذا الدين ويشاد فوقها صرحه العظيم

إن الدين عند الشعب الأفغاني أصبح مع الزمن سليقة وليس تصنعاً، وطبعاً وليس تطبعاً ، ومعناً وليس طلاءً ، وخليقة وليس تمثيلاً.

إن هذا الدين لا ينتصر بجيل نخوته الشهوات، وأنهكته الملذات، وحطمت نفسيته وأذلت أجهزة المخابرات، وأتلفه الترف وأفسده السرف.

فهل ينتبه المسلمون إلى هذا الكنز العظيم بين أيديهم (الشعب الأفغاني وجهاده)؟ وهل يقف المسلمون بجانب هذا الشعب الكريم وينهلون معه من نفس المعين؟ هل يبادر المسلمون للحفاظ على هذه القاعدة الصلبة لعلها تكون بإذن الله المنطلق لهذا المارد الجبار ولهذا العملاق الكبير ليحرر الإنسان المعذب في الأرض؟ أم تفلت من بين أيديهم هذه الفرصة الذهبية كما أفلتت من أيديهم فرص كثيرة؟

إنه غيب دونه حجب مسدلة لا يعلمه إلا الله الذي علمنا أن الحياة والنصر مقامة على قوانين وسنن، وألزمنا الأخذ بالأسباب، وأوجب علينا الإعداد.

والحق أن الذروة التي خلق عليها الشعب الأفغاني بجهاده تتركها الأشواق وتتطاوّل إليها الأعناق. ولكن قصرت دون بلوغها سائر الأعراق.

وختاماً دعونا ننشد مع أبي الطيب لحنه العذب لهذا الشعب الكريم.

قعد الناس كلهم عن مساعيك وقامت بها القنا والنصول^(١)
ما الذي عنده تدار المنايا كالذي عنده تدار الشمول^(٢)
أنت طول الحياة للروس غاز فمتى الوعد أن يكون القبول^(٣)

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك واتوب إليك.

مدرسة الجهاد الإسلامية^(٤)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره.. أما بعد.

فقد كان يحلو للمؤرخين أن يطلقوا على أفغانستان (مدرسة الحرية) في آسيا، لأن أفغانستان وقفت في وجه جميع الغزاة الذين حاولوا أن يذلوا شعبها أو ينالوا من كرامته، ولقد كانت قمم الهنديوكوش هي العقبات الكبرى التي يتحطم على صخورها غزو الطغاة، وتذل عند نراها كبرياؤهم، وتهن عند منازلتها عزائمهم، فلقد فشل الاسكندر المقدوني في أن يستعبد شعبها أو أن يمس إباءهم، وأما جيتكينزخان فلقد واجه من صمود أبناء أفغانستان عنقا ما واجه نظيراً له في البلدان التي اجتاحتها أثناء غزوه المغولي.

(١) القنا : الرماح، النصول : السيوف، مساعيك : سقائك من المجد والشرف، (٢) المنايا : الموت، الشمول : الخمر أي لا يستوي الذي يشرب كأس المنية بالذي يحتمي كأس الخمر مثل الملك ظاهرشاه (٣) بدل الروم في هذا البيت كتبنا الروس، القبول : الرجوع.

١- نشر في مجلة الجهاد - العدد التاسع والثلاثين - جمادى الثانية ١٤٠٨ هـ - فبراير ١٩٨٨ م.

وأما الإنجليز فلا زالت أجيالهم تتناقل أخبار آبائهم الذين لقوا حتفهم في خرد كابل وفي جك ذلك خي تنجرهار- ولا زالت صورة مذبحه الجيش الإنجليزي في جلال اباد ١٨٤٢ بكامله- وكان عداده مع أتباعه حوالي ستة عشر ألفاً- أقول لازالت صورة تلك المذبحه شجراً رهيباً يفرعهم في منامهم ويقض مضاجعهم، وكذلك لازالت خيالات وذكريات المقابر الكبرى للجنود الإنجليز ذوي الوجوه الحمر سنة ١٨٨٠، وهزيمتهم أمام الجيش الأفغاني ١٩١٩ الذي يقوده نادر شاه حتى وصل إلى مدينة تل-الباكستانية- وكانت هندية آنذاك، إذ لم تكن باكستان قد ظهرت إلى حيز الوجود بعد.. لازالت هذه المقابر والهزائم معالم بارزة في تاريخ بريطانيا الحديث، ولا زالت العبر التي خلفتها هذه الهزائم الساحقة تشكل عقدة كبرى في العقلية الغربية وفي نفسية جيلها، مما حدا بهم ليطلقوا عبارتهم الثالثة (لقد أخضعتنا كل العالم لثقافتنا ولم يفك من النوبان فيها سوى التيس الجبلي في أفغانستان، والأعرابي في وسط الصحراء)^(١).

لقد سمعت الرئيس الباكستاني ضياء الحق ذات مرة يتحدث قائلاً للسفير الروسي : لقد وصلت روسيا القمر وعزت الفضاء ولكن يبدو أنها لم تدرس التاريخ، فسأله السفير الروسي وكيف؟ فقال : لو درست التاريخ لما غلظت هذه الغلظة الكبرى وهي دخولها إلى أفغانستان!

وعبر التاريخ كله كانت أفغانستان هي المحضن الدائن الذي ينشأ فيه القادة، والعش الهادي الذي تفرخ فيه البزاة والصقور التي تغزو المنطقة المحيطة بإيران والهند، فمحمود الغزنوي قد دخل الهند فاتحاً عدة مرات، وحطم صنم (ساموناتا)، وكذلك أحمد شاه بابا (أي الأب للشعب الأفغاني) الذي هزم الهندوس وعمل فيهم مذبحه عظيمة، وكانت دولة أفغانستان التي أنشأها أحمد شاه بابا تمتد من : مشهد في إيران غرباً إلى كشمير ودلهي شرقاً، ومن بخاري شمالاً إلى بحر العرب والمحيط الهندي جنوباً - وكانت بيشاور العاصمة الشتوية لأفغانستان وكابل هي العاصمة الصيفية- وقد لقي الهندوس والسيخ على يده وعلى يد أبنائه من الولايات والإذلال والصغار ما لم يروه على يد غيرهم.

الجهاد ضد الشيوعية :

وقد قضى الله -عز وجل- أن يتنجر هذا الجهاد المبارك على يد حفنة من الشباب المؤمن المجاهد مثل الأستاذ برهان الدين رباني، وسياف وحكمتيار، وفي طليعة العلماء المجاهدين : يونس خالص وجلال الدين حقاني ونصر الله منصور. لقد كنت في بداية هذا الجهاد أتمنى لو قبض الله النجاح للانقلابات الثلاثة التي رتبها حكمت يار مع قادة الجيش المسلمين في أفغانستان ضد نظام داود الطاغية، ولكن.. {وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، ليعق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون} (الآيات ١٨، ١٧ الانفال).

طول مدة الجهاد :

إن حكمة الله البالغة قضت أن تفشل محاولات الإطاحة بنظام داود العلماني، ليأتي الله بهذا الجهاد على يد هذا الشعب المجاهد الفذ، وشامت إرادة الله أن يستمر هذا الجهاد هذه السنين العشر التي دارت فيها رحى الحرب ثقيلة سريعة تطحن أعصاب هذا الشعب وتسحق أبنائه، ويدفع فيها الثمن باعظاً والتكاليف عالية والتضحيات جبارة، ليتحول الجهاد إلى مدرسة إيمانية وجامعة ربانية تتفتح على حرارتها براعم كامنة في أرجاء العالم الإسلامي، ولتغدو مدرسة الجهاد الإسلامي في أفغانستان نموذجاً فذاً وأسوة حسنة لمن شاء أن يقتفي الأثر أو يسلك الطريق أو يسير على الجادة. لقد حمل الشباب الأوائل -الذين فجروا هذا الجهاد- الآية الكريمة نبراساً على طول الطريق المروي {ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز} (الحج الآية ٤٠).

وكان الهادي على طول هذه المسيرة التي رواها الدماء ووقودها الأشلاء قوله سبحانه : {كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين}. (البقرة الآية ٢٤٩).

وكان الحادي الذي يغذي عزيمتها بالمضاء وشعلتها بالسناء والضياء (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)

(١) من محاضرة لكاظم الدقس.

وزاد الطريق : (يا أيها الذين آمنوا استمعوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) (البقرة الآية ١٥٣).

عقيدة التوكل على الله :

لقد بنى الجهاد الإسلامي في أفغانستان عبر السنين التسع الماضية عقيدة التوكل على الله في قلوب أبناء هذه الأمة المسلمة، وأعاد الثقة بالله سبحانه في أعماقهم، وما كان شيء من هذا كله يمكن أن يتم لولا أن الله ساق هذا الجهاد العظيم درساً عملياً ومدرسة تربوية وأحداثاً واقعية في عالم الحياة.

وعندما يشاهد الشاب هوان روسيا وإذلالها على يد هذا الشعب البطل القذ، ويعيش فوق أرض المعركة مستشعراً عظمة الله وقوته وجبروته وهيئته وأمامه أقزام صفار يحاربونه ويتعدون حدوده ويتهكرون حرمان أولياته، ويرى بألم عينيه وقائع لا تنفي تطالعه صباح مساء كيف ينتقم الله لأولياته ويغار على حرمانهم، لا يملك إلا أن يردد (لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، وقصر عهده، وأمر جنده، وهزم الأحزاب وحده).

وعندما يرى الشاب المسلم بألم عينه الرعب الذي يملك الجنود الروس، والهلع الذي ينغص عليهم حياتهم، والخوف الذي يحيل عيشتهم جميعاً لا يطاق، عندما يراهم سجناء قلاعهم، أسرى في حصونهم، وكل واحد منهم إنما يعيش في هذه القلاع الكثيفة المليئة بالذخائر والسرايب والمنعطقات ذات الهواء الراكد المكتوم، وكل واحد منهم يدرك أنه يسير في درب مستودة ويقف أمام جدران صلبة في نهاية كل درب.

عندما يسمع المؤمن جندياً روسيا راجعاً من أفغانستان بصرح على التلفاز الأمريكي قائلاً: (عندما نسمع صيحة الله أكبر نبول في ثيابنا) يدرك عظمة رب العالمين وهوان الكافرين وعزة المؤمنين.

أثر الجهاد الأفغاني في نفوس الشعوب المسلمة :

وعندما يقف الشاب العربي المسلم فوق نرى الهندوكوش ويرى هزيمة روسيا أمام جنود الله الحفاة العراة الجياح يدرك أن إسرائيل لا يمكن أن تحتمل سوى عدة ضربات تحت مطارق الإيمان وأمام سياط جند الرحمن. وأول ما يمر في ذهن الشاب العربي الذي يصطلي بنار المعركة على ضفاف الهلمند هو : محاولة نقل هذه الصورة المشرقة إلى رحاب الأقصى وفوق ربوع الأرض المباركة.

ذعر اليهود :

ولقد ذعر اليهود وهم يرون صفوة من أبناء الأمة المسلمة والعرب على الأخص يطلقون الدنيا، ويحطمون القيود التي تشدهم إلى الأرض، ويقطعون العبال التي توثقهم بها، ويطيرون مع أشواقهم المجنحة منتصرين على عناصر الضرورة والحاجة، ويتغلبون على ثقل اللحم والطين، نافرين مع أرواحهم المرفرفة فوق نرى الهندوكوش وعلى شواطئ جيحون.

موقف الإعلام اليهودي الذي يسيطر على الغرب :

ولقد عز على اليهود أن يروا ثمرات هذا الجهاد المبارك توكلاً على الله، وثقة بمظمتهم. وما أذهلهم أن يروا أن الشباب الذين أغرقوهم بالتurf وأشفلوهم بمتاع الدنيا الرخيص قد انطلقوا من المستنقع إلى هناك.. إلى ذروة سنام الإسلام، يسطرون بدمائهم الزكية أروع قصص البطولة وأسمى آيات التضحية، ويرسمون التاريخ الإسلامي من جديد بالدماء، ويعيدون أمجاد السلف بالجماع والأشلاء.

فانطلق الإعلام الغربي يشوه صورة الجهاد المشرقة الأخاذة، يصور أن الجهاد عبارة عن مجموعات من قطاع الطريق يعيشون على تناول الحشيش والخدرات، بل يزعمون أن هذا الجهاد المبارك إن هو إلا انتفاضات من القبائل التي تدافع عن مزارع الحشيش التي تصب عليهم ميازيب الذهب والجواهر.

من جهة أخرى فقد صوّروا الجهاد الذي يسقط من مجاهديه كل أربع دقائق شهيداً ويهاجر كل دقيقة مهاجر من القرى إلى الأديان والجبال. أقول : هذا يصور في نظر العالم من خلال الإعلام الغربي اليهودي أنه حرب النجوم والكواكب. وأنه صراع بين العملاقين الكبيرين، وما الشعب الأفغاني إلا العوية بيد أمريكا تقدمه وقوداً في معركة أهوائها ومصالحها وقرايين على مذابح شهواتها.

وأصبحت صواريخ ستنجر هي حديث السامر لكل من أراد أن يتسلى بالتحليلات السياسية الدولية، وأضحى الإنسان لا يطالع خبراً في الصحف الغربية عن الجهاد إلا وصاروخ ستنجر يحوز قصب السبق وينال القسط الوافر من الحديث. وما علم الناس أن أمريكا تأخذ ثمن كل صاروخ سبعين ألف دولار.

لقد عز على أمريكا أن ترى أن الجهاد الأفغاني أصبح يشغل ذهن كل شاب مسلم، وأصبح الجهاد الأفغاني رمز العزة في نظر كل شاب مسلم، وأصبح المثل الرائع الذي يحاول الشباب تقليده أولئك الأبطال الذين يهزون الأرض تحت أقدام روسيا، فأصبح القادة والأبطال مادة الأناشيد، وحديث الشعراء، وأحرف الأدباء، وعادت الأسر تنتظر صدور المجلات الجهادية بفارغ الصبر، وكم من شاب أرسل إلينا يقول : إننا نقرأها حرفاً حرفاً.

أصبحت أسماء يونس وحكمت يار وسياف ورياني وأحمد شاه مسعود وجلال الدين وصفي الله وغيرهم أناشيد عذبة وألحاناً جميلة تواكب مسيرة الجيل السائر إلى الله، وتسدد جادة الصحو الإسلامية الراجعة إلى الرحمن.

التكالب الغربي والشرقي على إيقاف الزحف :

ولذا ومنذ أن عاد نيكسون وكارتر من أرض المهجر والجهاد وأعلن نيكسون (أن المشكلة الكبرى هي الإسلام، ولا بد من أن نتفق مع روسيا لإيقاف الزحف الإسلامي)، منذ ذلك الوقت وأمريكا مع روسيا تبحثان عن مخرج من الورطة التي قد تؤدي بمصالحهم جميعاً فيما لو قدر الله للإسلام أن يقف شامخاً فوق أرض أفغانستان.

وليس عجباً أن يعقد المؤتمر بين ريغان وغورباتشوف في غرفة مغلقة وفي جلسة جد سرية لا يحضرها إلا المترجم الخاص لكل منهما، ثم يتفق الطرفان على إرجاع الملك ظاهر شاه (الرجل الميت الذي يرتدي ثياب الأحياء)، والذي غرس الشيوعية أصلاً في أرض الفزنوي، وذلك لتجميع العلمانيين تحت مظلته، ولتفادي قنوم الغول المفرع الذي تكالبت على تحطيمه مخططات ثلاثة قرون وهو الصرح الشامخ الذي يمثل الخلافة الرائدة.

ثمار المدرسة الدائنية :

وانك لتستشعر العظمة الإيمانية والعزة الإسلامية وأنت تسمع تصريحات قادة الجهاد. إذ يصرح يونس خالص ويقول : ما قابلت ريغان إلا لأعرض عليه الإسلام، وكذلك موقف حكمت يار وهو يرفض مقابلة ريغان.

وإن الأمل العريض لينبعث في أعماقنا أن هذا الدين سيتنصر إن شاء الله من خلال الشباب المتحفز للجهاد، المقبل على الله، وتلي الثمار الدائنية الجنية لهذه المدرسة الإيمانية هذه الثمار تراها من خلال حلي النساء التي تعبر عن سخاء النفوس ورخص الدنيا إزاء نصرة هذا الدين، وكم من رسالة لبنت جامعية تحيي موات النفوس، ترى الحصاد يطيب من خلال الجموع التي تطلق الدنيا، تاركة وظائفها، هاجرة نعيمها وجامعاتها وشركاتها، مصطحبة أزواجها إلى أرض الجهاد، يعبر بلسان هذه الجموع ذلك الشاب الذي يعيش في السعودية وهو يتحرق للمجيء إلى الجهاد فقلت له : ستخرج تأشيرة خروج وعودة؟ فقال : (سأخذ تأشيرة خروج بلا عودة) ثم فسرها قائلاً تأشيرة خروج من الدنيا..

ترى هذا الأمل : من خلال دعاء القنوت الذي تنوي به أركان المساجد في العالم الإسلامي تضرعاً إلى الله أن ينصر المجاهدين في خوست (أفغانستان) وفي فلسطين.

ترى هذا الأمل : من خلال الأشرطة الجهادية التي يتلقفها الشباب في كل مكان.

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

إن الحكم إلا لله *

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد..

يكاد يدرك كل من له طرف إلمام بهذا الدين أن الدين قاعدته الكبرى ومحوره الأصيل هو (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، والحكم بما أنزل الله جزء لا يتجزأ عن هذا الدين، فلمثلنا هذا الدين بقطعة نقود فإن وجهها الأول مكتوب عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، والوجه الثاني مسطر عليه: [إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم] (يوسف الآية ١٠)

و«إلا» في الآية الكريمة زدت بعد النفي «إن»، فإلا هنا للحصر والقصر، أي أن الحكم محصور ومقصود بين يدي الله، والحكم بما أنزل الله هو العبودية الحقة، وهو الدين القيم، وأن تحية الحكم الشرعي عن الحياة يعني تحية العبودية لله، وإنهاء الدين الصحيح، وإن أقيمت الشعائر وبنيت المنائر والمنابر. وكل كتب الأصول تفتح باب الحكم والحاكم : بأن الحاكم هو الله وحده، والرسول -صلى الله عليه وسلم- إنما يحكم بما أنزل الله إليه سواء كان وحياً متلواً (القرآن الكريم) أو وحياً غير متلو وهو (السنة الشريفة).

والخليفة في الشريعة الإسلامية : مفوض من قبل الأمة التي تختاره بتنفيذ الشريعة الإلهية، لا وضع شريعة من عنده تصطدم مع هذه الشريعة.

والعلماء وأهل الحل والعقد : هم مجتهدون بالنظر في النصوص الإلهية لمحاولة معرفة الحكم الرباني في المشاكل التي تواجه المسلمين في حياتهم اليومية.

والحكم من الله، (الحكم) وهو اسم من أسمائه وصفة من صفاته، فمن ادعى الحق بالتشريع بما يريد إنما يدعي الألوهية عملاً ويزاولها سلوكاً وإن كان لا ينطق بها لفظاً، وسواء كان هذا المدعي هو : طبقة من الشعب، أو الشعب كله، أو حزب أو منظمة عالمية أو محلية، أو هيئة، أو فرد فالنتيجة واحدة وهي : انتزاع حق الله في التشريع للناس، وهذا شرك يخرج أصحابه من دين الله.

(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (الشورى الآية ٢١).

(وإن الشياطين ليرحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطمعهم إنكم لمشركون) (الأنعام الآية ١٢١)

فطاعة التشريع البشري الوضعي (القوانين الوضعية) مع الرضا القلبي شرك يخرج صاحبه من الملة.

والحكم الإسلامي الذي يمثل شخص الخليفة لينفذ دين الله يقى شعباً رهيباً يقض مضاجع الغرب ويؤرق أجفانهم، وبقيت الإطاحة بهذا الصرح الشامخ شغل أوربا الشاغل ثلاثة قرون، وأعملوا فيه معاولهم حتى أجهزوا عليه في ١٩٢٤/٣/٣ على يد الطاغية (مصطفى كمال أتاتورك) بعد معاهدة لوزان التي امتدت من نوفمبر ١٩٢٢ إلى فبراير ١٩٢٣ بين عصمت إنيو نائب أتاتورك وبين كرزون وزير الخارجية البريطاني، واتفقوا على أربعة شروط :

١- أن يطاح بصرح الخلافة.

٢- سحق أية محاولة لإعادة الخلافة.

٣- محاربة الشعائر الإسلامية.

٤- اتخاذ قوانين غربية وضعية بدل الشريعة الإسلامية.

وبعد الإطاحة بالخلافة اتفق العالم كله على :

١- اجتثاث أي تجمع يدعو للحكم بالإسلام من الجنود.

٢- سحق طلائع البعث الإسلامي أينما وجدت.

٣- تميم عبادة الجهاد ومصطلحاتها، وشن حملة رهيبية على هذه العبادة باعتبارها وحشية همجية لا تصلح إلا لشرائع

الغاب.

٤- إغراق الجيل في مستنقع جنسي أسن يتحول المجتمع فيه إلى مجموعات من الحيوانات الشبيهة لا هم لها سوى إرواء لنزوات وإشباع الشهوات.

* - نشر في مجلة الجهاد - العدد الأربعين - رجب ١٤٠٨ هـ الموافق مارس ١٩٨٨ م.

هـ- تصفية الأجهزة من ذوي الالتزام الإسلامي المتميز، وخاصة أجهزة الأمن والجيش والإعلام والخارجية والجامعات.
وهنا نجد التفسير الواضح لعمليات القمع والإبادة والسحق لحركات البعث الإسلامي في بقاع الأرض الإسلامية كلها. ولم يبق لديك لغز محير في فهم أسرار الحرب الشعواء التي تشنها أجهزة الأمن والإعلام على كل من فكر بالجهاد أو خاض غماره.
وقضية تتحية دين الله عن الحياة وإحلال شرائع وضعية مكانها خطوة هائلة، وقد كانت قاصمة الظهر لدى الأمة المسلمة في مشارق الأرض ومغاربها، ولم تصب البشرية نكبة أعظم منها.

ولم تصب الأمة الإسلامية بهذه الداهية خلال حقباتها التاريخية بهذا الحادث الجلل والرزء العرام إلا يوم أن سقطت دار الخلافة -بغداد- بيد التتار سنة ٦٥٦هـ، ثم أراد هولاء تطبيق شريعة جنكيزخان (الياسا أو الياسق : السياسات الملكية) على الأمة الإسلامية، فوقف العلماء موقفًا واضحاً وإرادة حازمة حاسمة أمامها، فافقتوا بكفر من يحكم ومن يتحاكم إلى الياسق.

وقال ابن كثير^(١): (فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة فقد كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه، لا شك أن هذا يكفر بإجماع المسلمين).

وعندها وقفت الجماهير المسلمة كلها ضد التحاكم إلى الياسا، واضطر قازان التتاري أن يفتح نوعين من المحاكم، إحداهما : محكمة الياسا، والثانية محكمة القرآن والسنة.

والآن : والجهاد الأفغاني الإسلامي على أبواب قطف ثمرته، والروس يلمون أنيالهم لينسحبوا خزيًا نادمين بعد أن شهدت ذرى الجبال والسفوح والوهاد وشعاب الطرق مزامم ساحقة للجنود الحمر، وشمخت الهندوكوش بقممها تقاطع عنان السماء عزة وافتخاراً وشكراً لرب العزة الذي نصر عبده وأيد جنده وهزم الأحزاب وحده.

أقول : الآن جاء دور التكالب العالمي حتى لا ترى هذه البقاع راية (لا إله إلا الله) الحقنة ترغرف فوق أرض الدماء والشهداء، فبعد أن فشل الغربيون في زعزعة الثقة بالله التي بناها الجهاد المشرف العزيز في أعماقهم. ويئسوا من أن يزلزلوا عقيدة التوكل على الله التي رباها في قلوبهم كفاح مرير بين جند الإيمان وجيوش الشيطان، لقد استئنسوا من أن ينالوا من هذا الجهاد رغم الإعلام الذي يظهر قضية الجهاد على أنها صراع المطامع ومقايضات المصالح التي يتلاعب بها العملاقان من خلال حرب النجوم، والذي لا يني يردد صباح مساء ذكر صاروخ ستنجر الأمريكي، وإبراز المجاهدين بأنهم عبارة عن مجموعات من أبناء القبائل التي هبت للدفاع عن مزارع الحشيش وليس للدين في هذه الساحة ناقة ولا جمل، ولا يخجل التلغز الأمريكي عن عرض مجموعة من المجاهدين يتعاطون الحشيش ثم يهجمون على قواعد الروس.

شهادة التاريخ :

ولقد انتهت الحروب الأفغانية الإنجليزية الثلاث بمجيء رجل لم يرق نقطة واحدة من عرق جبينه في الجهاد.
فجهاد سنة ١٨٤٢ الذي أباد الجيش الإنجليزي بكامله بين كابل وجلال آباد انتهى بتتصيب أسير في يد الإنجليز في الهند اسمه (دوست محمد خان) على عرش كابل، واشتروطوا عليه قتل ابنه (وزير أكبر خان) المجاهد الذي قتل بيده داكنتون الضابط الإنجليزي أثناء المفاوضات.

وانتهى جهاد سنة ١٨٨٠ بإحضار أمير شريد لاجئي في بخارى وسلموه شعب أفغانستان، وركزوا عرشه على صدورهم وأنفاسهم.

وانتهى جهاد سنة ١٩١٩ باظهار (أمان الله خان) الذي صادق لينين وستالين ونادى بنبد الحجاب وإظهار السفور ومطاردة الشريعة ومحاصرة العلماء وكبت أنفاسهم وهر أول أفغاني تظهر امرأته سافرة كاسية عارية متبرجة.

والآن هنالك التكالب العالمي وإجماعه على أن لا تقوم دولة الإسلام بعد هذا الجهاد الإسلامي العريق.

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١١٨/١٣).

وهناك ألب قوى الكفر على حرمان قادة الجهاد من ثمار جهادهم، ومنعهم من حصاد جني دماء مليون ونصف مليون شهيد ورجبتهم أن هؤلاء القادة أصوليون.

ظاهر شاه :

وهناك الإجماع على إرجاع ظاهر شاه وذلك لتجميع العلمانيين تحت لوائه وكنتفيه، مع أن ظاهر شاه صحيحاً لا يستطيع أن يزاول حكماً ولا يدير بلدية فضلاً عن أن يدير مملكة.

وظاهر شاه هو الذي غرس الشيوعية في أفغانستان، وظاهر شاه هو الذي كان في مجلس شوراه ٣٦ شخصاً من الحزب الشيوعي، وظاهر شاه هو الذي أجاز لتراقي أن يخرج جريدة خلق ولبابرك كارمل أن يصدر جريدة (برشم).

وظاهر شاه هو الذي سَيَّر جيشاً يقوده خان محمد لمهاجمة قندهار لأن نساءها رفضن كشف النقاب، وسقط قرابة ألف شهيد في المعركة، وظاهر شاه هو الذي حمل خمار امرأة مسلعة ووضعته تحت قدمه وقال : انتهى عهد الظلام إلى الأبد.

وظاهر شاه هو الذي سن السنة السيئة في أفغانستان بأن تبدأ الحفلات الرسمية بأن يرقص الملك مع زوجة أقدم السفراء، ثم يرقص السفراء مع نساء بعضهم البعض، وظاهر شاه هو الذي نصب نفسه مشرعاً يحل الحرام ويحرم الحلال (وقد انعقد الإجماع على أن من أحل الحرام فقد كفر، ومن حرم الحلال فقد كفر، ويقول ابن تيمية : من أحل النظر فقد كفر بالإجماع، ومن حرم الخبز فقد كفر بالإجماع) ^(١).

فهل يفتي عالم من علماء الإسلام أن الذي يفعل هذا يبقى في حظيرة الإسلام لحظة؟ إن هذا وأمثاله قد خلعوا ريقة الإسلام من أعناقهم.

ثم بعد هذا الجهاد المشرف والمجد الأمل والعز الأصيل الذي قدم له من التضحيات ما ناعت به كواهل الشعب الأفغاني أقول : أبعد هذا نعود إلى النقطة التي بدأنا منها؟

أبعد أن جرت الدماء أنهاراً ودموع الأرمال واليتامى والتكالي جداول يحرم الشعب المسلم من التفيؤ في ظلال هذا الدين؟ كل هذا الجهاد الذي خلف وراءه قرابة مليون يتيم مع ثلاثمائة ألف أرملة وقرابة مليوني جريح ومقوق ومشوه، أبعد هذا نرجع إلى الطاغوت ظاهر شاه؟

وهل استشهد دعوهم وحبيب الرحمن ونصرت يار وعطيش من أجل إرجاع ظاهر شاه وأشباهه إلى الحكم. إن دموع أم البحري (سعد الرشود) وعبد الوهاب الغامدي وأبي عثمان وماهر شليك وسبع الليل وأبي حفص وأبي دجاجة والدلمي لم تجف بعد.

هل أقبل العرب على هذا الجهاد ليعيدوا تنصيب الملك المخلوع على جماجمهم وأشلانهم أم من أجل نصرة الإسلام وإقامة حكم الله في الأرض؟

لقد نص دستور الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان إن الهدف من هذا الاتحاد إقامة حكم الله في الأرض المنبثق من قوله تعالى : {إن الحكم إلا لله}.

وإن اشتراك أية جهة في حرمان الشعب الأفغاني المسلم من رؤية إسلامه متمثلاً في نظام الحياة جريمة تاريخية وخيانة كبرى له ولرسوله وللمؤمنين، ومعرفة ووصمة عار لن تمسح من جبين مرتكبيها على توالي الأيام وتعاقب الأزمان.

وختاماً نقول : إن الجهاد مستمر -إن شاء الله- حتى ترتفع راية لا إله إلا الله خفاقة في أفغانستان (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء -إن شاء الله- حتى ترتفع راية لا إله إلا الله خفاقة في أفغانستان (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) (الروم الآيتان ٤٥-٤٦).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

(١) مسار السبيل / باب حكم المرتد / ص ٤٠٥ بتصرف.

القاعدة الصلبة*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد..

فكل مبدأ من المبادئ لابد له من طبيعة تحمله، وتحمل وهي تشق طريقها إلى المجتمع تكاليف غالية وتضحيات باهظة، وما من عقيدة من العقائد أرضية كانت أو سماوية إلا واحتاجت إلى هذه الطبيعة التي تبذل في سبيل نصرة عقيدتها كل ما تملك، وتتحمل لأواء الطريق الصعب الطويل حتى تصل إلى إقرارها في واقع الحياة إذا كتب الله لها التمكين والظهور، وهذه الطبيعة تمثل القاعدة الصلبة للمجتمع المأمول.

وما لم تجد العقيدة -ولو كانت من عند رب العالمين- هذه الظلمية المضحية التي تبذل كل ما تملك من أجل إظهار عقيدتها فإن العقيدة ستولد ميتة وتؤاد قبل أن ترى النور والحياة.

وشعار حامل العقيدة من أبناء هذه الطبيعة لابد أن يكون : {قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين} (الأعراف: ١٩٥-١٩٦).

ما كنت أدرك أبعاد التركيز على طول فترة التربية المكثفة كما أدركها الآن واضحة جلية لا لبس فيها ولا غش، بعد أن خضت غمار الجهاد الأفغاني وللعام السابع والحمد لله، ولقد سبرت أعماق المسألة فوجدت التربية العقيدة الطويلة هي أساس المجتمع الإسلامي وعموده، وبدونها لا يمكن أن يقوم المجتمع الرباني، وإن قام فإنه سيكون هيكلاً هشاً سرعان ما ينهار لهبة ريح أو مرور عاصفة.

وخرجت بقاعدة أساسية لبناء المجتمع الإسلامي وهي :

إنه لا يمكن للمجتمع الإسلامي أن يقوم بدون حركة إسلامية تشب على نار المحنة، وينضج أفرادها على حرارة الابتلاء، وهذه الحركة تمثل الصاعق الذي يفجر طاقات الأمة، ويقوم جهاد طويل تمثل فيه الحركة الإسلامية دور القيادة والريادة والإمامة والإرشاد، ومن خلال الجهاد الطويل تتميز مقادير الناس وتبرز طاقاتهم وتتحدد مقاماتهم، وتتقدم قادتهم لتوجه المسيرة وتمسك بالزمام، وهؤلاء بعد طول المعاناة يمكن الله لهم في الأرض ويجعلهم ستاراً لقدره وأداة لنصرة دينه، وإن حمل السلاح قبل التربية الطويلة للعصبة النائمة يعتبر أمراً خطيراً، لأن حملة السلاح سيتحولون إلى عصابات تهدد أمن الناس وتقض عليهم مضاجعهم.

الخطوط الرئيسية لتربية العصبة المؤمنة والطليعة الرائدة :

- ١- لابد أن تشب في أتون المحن وأمواج البلاء.
- ٢- أن تكون القيادة المربية تشاركها مسيرة الابتلاء والعرق والدماء، فلا بد أن تكون القيادة هي المحضن الدافئ الذي تنمو تحت أجنحته هذه الأفراخ، ولا بد من طول مدة الحضنة والتربية.
- ٣- ولا بد لهذه الطليعة أن تترفع عن متاع الدنيا الرخيص، ويكون لها طابع مقفرد من حيث الزهد والتشفي.
- ٤- وكذلك يجب أن تكون معتنية باليقين الراسخ بالعقيدة مع الأمل العريض الذي يعلا جوانحها بانتصارها.
- ٥- ولا بد من الإصرار والعزيمة على مواصلة الصبر مهما طال الأمد.
- ٦- وزاد الطريق من أهم ضرورات المسيرة وهو النواقل والصبر والصلاة.
- ٧- الولاء والبراء.
- ٨- لابد أن تترك المخططات العالمية ضد الإسلام.

وهناك أسباب رئيسية لهذه التربية الطويلة :

- ١- لأن طول التضحية وفداحة التكاليف مع طول الزمن يؤدي إلى الملل واليأس، إلا إذا كانت هذه التربية العميقة هي صمام الأمن لهذه المسيرة.

* - نشر في مجلة الجهاد - العدد الحادي والأربعون ، شعبان ١٤٠٨ هـ الموافق إبريل ١٩٨٨ م.

٢- لأن الإغرامات والمساومات على الطريق مستمرة، ولكنها كلما اقتربت من النصر تزداد العروض ومحاولات الاحتواء، فلا بد أن تكون القيادة عناصر غير قابلة للنزول.

٣- لأن هذه القيادة إذا مكن الله لها في الأرض هي التي ستوضع بين أيديها الكون، وهي التي ستشرف على حماية أموال الشعب المسلم وأعراضه ودمائه. فما لم تكن أمينة فويل للأمة من قيادتها.

التربية النبوية للجيل الأول :

ولقد كانت العناصر الثمانية الأنفة الذكر بارزة من خلال التربية النبوية للجيل الأول، ولذا فعندما ارتدت الجزيرة بأسرها قامت القاعدة الصلبة وأرجعتها إلى الإسلام.

(١) أما عنصر المحنة الذي لا ينفك عن أية دعوة (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جامل من نها المرسلين)

(الأنعام- الآية: ٣٤)

وقوله عز وجل (ولا مبدل لكلمات الله) : أي أنها سنة ماضية من نواميس الله التي لا تتخلف في الحياة.

وقد سئل الشافعي رحمه الله : (أيها أفضل : يُعَكَّن للرجل أم يُبْتَلَى؟ قال : إن يمكن له حتى يبطل)^(١)

وحديث خباب بن الارت في البخاري وغيره : (أتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يتوسد بردة في ظلال الكعبة، فقلت يا رسول الله ألا تدعونا؟ ألا تستنصر لنا؟ فقعده وهو محمر وجهه فقال : كان الرجل قبلكم يخذل فيحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين ما يصد ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصد ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون)^(٢)

والمحنة تصقل الأرواح، وتصفي النفوس، وتطهر القلوب من أدرانها وأضارها، وهذا الذي بينه الحديث الصحيح : (إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوباء أو الحصى كمثل حديدة تدخل النار قبله ذهب خبيثها ويبقى طيبها)^(٣)

والمحنة كلما اشتدت كلما اقترب النصر (وأعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا)^(٤) وإن طول معاناة الشعب الأفغاني عبر الجهاد الطويل قد صقل عناصره، وأنضج جنوده، وزاد في صلابته قاداته.

وفي الصحيح^(٥) (أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة).

(٢) أما مشاركة القائد للجند في المسيرة ومعاناته كما يعانون فهذا يزيد في محبة القائد في قلوب الجند، ولذا ترى الرسول -صلى الله عليه وسلم- ينتقل مع أصحابه من دار الأرقم إلى حصار الشعب ثلاث سنوات بالجوع، إلى الطائف، ثم إلى المدينة المنورة، فبدر وأحد والخندق.. إلى أن مكن الله له وللعصبة المؤمنة في الأرض.

ولذا فإننا نجد أن المجاهدين الأفغان يفنون قائلهم الذي يعيش بينهم بالنفس والنفيس.

(٣) أما الزهد في الدنيا : فهو ناشئ عن وضع الدنيا في نصابها الحقيقي، وضالقتها بجانب الآخرة (ما الدنيا في الآخرة إلا كما يمشي أحدكم إلى الهم فأدخل إصبعه فيه فما خرج فيه فهو الدنيا) حديث صحيح^(٦)

(١) زاد المعاد / ج ٢ / ص - ٤٥.

(٢) رواه البخاري ١٢٦/٧ وهو عند الترمذي وأبي داود.

(٣) أخرجه الحاكم (١ - ٢٤٨) وقال عنه صحيح الإسناد والبيهقي (٢٥٦). وابن أبي الدنيا (٦٨ - ١). وابن عساکر (٩-١٢٧-٦). وهو في السلسلة الصحيحة برقم (١٧١١).

(٤) رواه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ (يا غلام إني أعلمك كلمات...) وليس فيه هذه الزيادة، وهي في مسند الإمام أحمد برقم (٦٨٠٤).

(٥) الترمذي (٢ - ٦١) وابن ماجه (٤٠-٢٣) والدارمي (٤ - ٣٢٠)، والطحاوي (٣ - ٦١) وابن حبان (٦٩٩) والحاكم (١ - ٤٠ - ٤١) وعند أحمد (١ - ١٧٢)، وهو في السلسلة الصحيحة برقم (١٤٣).

(٦) الحديث عن المستورد القهري. شرح النووي / ج ٧ / ص - ٩٢ بلفظ قريب.

(لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء)^(١)
 وحقارة الدنيا ينشأ عنها الزهد : (ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد بما في أيدي الناس يعبك الناس) صحيح^(٢) ، والزهدي في الدنيا ينشأ عنه الاستغناء عن الناس والعزة والاستعلاء .

ففي الصحيح^(٣) (واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغنائه عن الناس) .
 وقد كان - صلى الله عليه وسلم - يوصي كثيراً بالاستغناء عن الناس ، ففي الصحيح^(٤) (استغنوا عن الناس ولو بشوحيص السواك) أي لو أكلتم فئات السواك فلا تسألوا الناس . ولذا فقد أخذ - صلى الله عليه وسلم - العهد على بعض الصحابة أن لا يسألوا الناس شيئاً ، فكان أحدهم يسقط سوطه وهو على جواده فلا يطلب من الناس أن يتأولوه إياه^(٥) .

والزهد هو القاعدة الأساسية للجهاد ، والترف أعظم داهية تحل بالأمم وتفسد أبنائها وتتخر في كيانها ، والتخلف من الدنيا وقلة ذات اليد من العوائق الأساسية للجهاد ، ولذا فإننا نجد أن أتباع الأنبياء معظمهم من الفقراء .
 وما أذل أعناق الرجال مثل الكماليات والتوسع في الدنيا ، ولذا يبقى المرء خائفاً على راتبه ووظيفته وبعثته ، وكلما ازداد راتب الموظف ازداد تكالبه على الوظيفة وخوفه من أهل الدنيا .

ولذا رأينا أن الزهد كان طابعاً مقصوداً للنبي - صلى الله عليه وسلم - ولصحبه الكرام رضي الله عنهم ، رغم أن الدنيا بين أيديهم (ما شيع آل محمد من خير الشعر يومئذ) صحيح^(٦) .

(٤) زاد الطريق فهو : القرآن ، والذكر ، وقيام الليل ، وصدقة السر ، وصوم النافلة ، وصحبة الصالحين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد وهو قمة هذا الزاد وذروته .

ولابد من النوافل حتى تقوى أواصر الصلة بين العبد وربه ، والنوافل هي أساس التوفيق ، والفتور في العبادة علامة الخذلان .
 (وما يزال عهدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه...)^(٧) ، والنوافل زاد الجهاد وروحه وحياته .

(٥) الولاء والبراء : ومن أهم الأركان الأساسية في حياة الأمم وجود النماذج التي لا تباع ولا تشتري ، وقد فخر تغاندي الهنوسى وهو يقدم "نهرود" للشعب الهندي قاتلاً (أقدم لكم رجلاً لا يشتري) .

وكم من رجل باع وطنه ودينه وشعبه من أجل متاع رخيص : كما فعل مصطفى كمال أتاتورك الذي اتفق مع الإنجليز وسمح لهم بضرب الجيوش التركية الأربعة في فلسطين ، وأسقط الخلافة ، وحارب الإسلام من أجل كرسي أو رئاسة . وكم من الكماليين في أمتنا باعوها بقلعة غذاء أو كلمة ثناء أو كنس أو غانية . وانطماس مفهوم الولاء والبراء في أذهان الكثيرين أودى بهم ويمن معهم في جحيم الهاربة .

• ففي أفغانستان مثلاً : تجد بعض المسلمين قد التفتوا في بداية الجهاد حول الشخصيات البارزة الذين كانوا أيام الملك في مجلس الأمة ممن يسمون (أرياب ووكيل) ، وتجد هؤلاء في لحظة من لحظات الضعف يعلنون أن حكومة كابل مسلمة وينضمون بمن معهم للحكومة ويتركون الجهاد .

أهمية القاعدة الصلبة في الجهاد الأفغاني :

وقد أدركنا الآن أهمية هذه القاعدة التي تربت على الإسلام منذ نعوة أظفارها في الدعوة الإسلامية .

(١) رواه الترمذي في الزهد برقم (٢٢٢٠) .

(٢) رواه ابن ماجه في الزهد برقم (٤١٠٢) ، وأخرجه الطبراني والحاكم .

(٣) رواه الحاكم في المستدرک والبيهقي عن سهل بن سعد وهو في صحيح الجامع برقم (٧٣) .

(٤) رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان وهو في صحيح الجامع برقم (٩٤٨) ، وفي السلسلة الصحيحة برقم (١٤٥٠) .

(٥) إشارة إلى حديث طويل من عن ابن ماله ، شرح النووي / ج ٧ / كتاب الزكاة / ص ٢٢

(٦) الحديث في الصحيحين ، فتح الباري / ج ١١ / باب (١٧) برقم (٦٤٥٤) بلفظ قريب . شرح النووي / ج ١٢ / ص ١٠٦ . بلفظ (ما شيع آل محمد - صلى الله عليه وسلم - من خير الشعر يومئذ) .

(٧) الحديث عن أبي هريرة .

تلقفنا حولنا ونحن نرى تنكر العالم كله لهذا الجهاد، والمؤامرات العالمة التي تريد قطف ثماره وإطفاء أنواره، ونرى كذلك التكالب العالمي لتحجيم هذا الجهاد، ولتنحية قياداته الحقيقية عن مواصلة الأخذ بزمام هذا الشعب المسلم.

تلقفنا فما وجدنا إلا أبناء الدهوة وأبناء القاعدة الصلبة الذين وقفوا في وجه العالم كله قائمين : لا ، نحن هنا .

وعندما كثر أعداء الله عن أنيابهم وتراجع الأصدقاء عن مساندتهم، لو وقفوا موقف المتفرج، هنا نهض قادة الجهاد الأفذاذ سياف وحكمت يار ورياني وخالص وقالوا : خسينا الله ونعم الوكيل.

انتفض هؤلاء الأربعة يعيطون اللثام عن مؤامرة اللثام وقالوا : إن ربنا أقوى من كل قوى الأرض : {وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً} (فاطر - الآية ٤٤).

رأينا في كل تجارب الشعوب الإسلامية أن ثمرات الجهاد غالباً يقطعها صنائع الغرب ورياتب أمريكا والعمانيون في أفغانستان سابقاً وفي الجزائر وتونس ومصر.

والآن تحاول أمريكا أن تختلس ثمرات هذا الجهاد العظيم، وتحول دون تحكيم كتاب الله، وواجهت القاعدة الصلبة خفوطاً دولية، وإغراءات عالمية، ولكنهم أبوا أن يحنوا رؤوسهم للعاصفة، وقرروا مواصلة المسيرة المضنية على طريق العرق والدموع والدماء.

واجب العالم الإسلامي :

وأما أبناء العالم الإسلامي ففرض عليهم أن يقفوا الوقفة الصلبة بجانب هذه القاعدة الصلبة بالنال والتفوس {والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير} (الأنفال الآية ٧٣).

والقرار الأخير : مواصلة الجهاد مهما طال الطريق حتى آخر نفس يجري، وآخر عرق ينبض، أو نرى نولة الإسلام قائمة.

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

حنوي رمضان أم طبق فلسطين وأفغانستان؟ *

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. أما بعد :

فقد روى أبو هريرة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: {إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يفلق منها باب، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة} ^(١).

وفي الصحيحين: ^(٢) (من قام رمضان وصامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) .

فنحن في هذه الأيام نتقياً ظلال هذا الشهر الكريم الذي جعله الله -عز وجل- مطهرة السنة كلها من أوضار النفس وذنوبها وأدرانها وعيوبها، شهر يتسابق فيه المتسابقون على الخيرات، وهو كذلك شهر الجهاد، ترغرف مع ذكرياته أطياف بدر والفتح، وتتراحم في الذهن صور عين جالوت وغيرها التي وقعت في أيامه المباركة.

وبين الصيام والجهاد علائق وصلات، فرمضان شهر الصبر والجهاد، عبادة الصبر (يا أيها الذين آمنوا صبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران: ٢٠٠) .

* - نشر في مجلة الجهاد - العدد الثاني والأربعين - رمضان ١٤٠٨ هـ ، مايو ١٩٨٨ م.

١ - أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم ورجاله ثقات وله شاهد عند أحمد والنسائي يتقوى به.

٢ - الحديث ورد بعدة روايات في الصحيحين: فتح الباري / ج ١ / الباب الأول برقم (١٩٠١) (٢٠٠٩) (٢٠١٤) .

وخلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك، ودم الشهيد أطيب يوم القيامة من ريح المسك.
ورمضان شهر البذل، وفي الجهاد بذل الروح والدم والمال والنفس، ورمضان شهر الذكر والقرآن، وأرض الرباط والجهاد أرض
الذكر والقرآن، والصيام دليل الإخلاص والتجرد، والجهاد سبيل الصفاء والنقاء والصديق.

مآدب رمضان:

أقبل رمضان بمآدبه الفاخرة التي تتباهى بما يزخر فوقها من ألوان الطعام، وتتنافس بما تزدان به أطرافها من شتى ألوان
الحلوى التي لا تكاد اليد تتناول من كل طبق لقمة، ولا يستطيع الفم أن يتناول من كؤوسها -ولكثرتها- رشفة.
أقابل بين هذا وبين تلك الأسود الرابضة على تلال الجبال وذرى التلال قلب هذه الأمة النابض، وشريان حياتها، ولحنها العذب
الذي سارت به الركبان وهم يريدون:

حق الجهاد فليس عنه خيار رغلت مراجل ما لهن قرار
خيل المنايا أسرجت فتأهبي حطين إن رحك سوف تدار

هؤلاء درع الأمة الحصين، لا يجدون في سحورهم سوى الشاي المر والخبز الجاف، وكذلك الإفطار غالباً لا يختلف عن
السحور، ولا يكاد متسحر يأمل أن يفطر في غروب اليوم التالي لأنه يعيش بين فكي الموت.

ويد المنون رحي تدور كأنما سكرت بشلال الدماء فلا تعي

وهناك في فلسطين فوق النار وفي أرض بيتا تصطرع الصراغم مع الرشاش والرصاص في غزة والخليل.

أشباح جن تلك أم هي نعمة نزلت لسحق الغاصب المتعنع

هؤلاء وهؤلاء فوق نرى الهندوكوش وفي رحاب الأقصى، في فلسطين وأفغانستان يحركون أهم القضايا التي تستحوذ على
اهتمام المسلمين وتستقرعي انتباههم وتشد أنظارهم وتلتقط أنفاسهم، بفضل الله ومشيتته.

وهم بحاجة إلى رمضان المسلمين لتعد فيه البرامج التي تعدهم طيلة عامهم، إن أصحاب المآدب والموائد في هذا الشهر الكريم
بحاجة إلى:

- أن يفترضوا أنه نزل بساحتهم ضيف من مجاهدي كابل في رمضان فأعدوا له طبقاً من الرز وصحناً من الحلوى.

- وأن يتذكروا هذه الجموع الفقيرة من الأيتام التي يصعب على مخيلتي أن تنساها وهي تحمل الأواني -قرب أماكن القمامة -
تنتظر الناس أن يفرغوا بهذه الأواني بعض فتاتهم ويقايا طعامهم، وكلما أقبل إنسان ببقية طعامه انتقضوا عليه يرجونه والدموع تنمر
وجوههم أن يسقط فئات الخبز في صحنهم بدل إلقائها في القمامة.

- أن يخصصوا ما لا يقل عن نصف زكاة أموالهم لهؤلاء الجياع الذين يحمون الأمة الإسلامية بجماعهم، ويخطون تاريخها
بنجيهم، وقد أفتى بوجوب الزكاة إلى المجاهدين جمهرة علماء الأمة وصفوتها وعلى رأسهم فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز بأنها
أفضل القربات وأعظم الصدقات.

وقد سئلت أيجوز دفع الزكاة للمجاهدين الأفغان؟ فأجبت بأن الآية الكريمة تقول: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين
عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل) (التوبة: الآية ٦٠).

فكل من توفرت فيه صفة من هذه الفئات الثمانية استحق الزكاة، ونكاد نقول: إن كل مجاهد أفغاني فقير ومسكين وغارم
ومجاهد -في سبيل الله - وابن سبيل فخص من الصفات الثمانية تتوفر في المجاهد الأفغاني.

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية (لو ضاق المال عن إطعام الجياع والجهاد الذي يتضرر بتركه فقال: قدمنا الجهاد وإن مات
الجياع)^(١)، فالجوع في الأمة الإسلامية منتشر، ولكن الجهاد مع الجوع قليل فيجب الاهتمام به والتركيز عليه.

- أن تجمع صدقات الفطر ثم ترسل أموالاً ليشتري بها الرز أو الطحين للمجاهدين.

١ - الفتاوى الكبرى (٦٠٧/٤) -

- أن يتبرع المسلم بجزء من ماله زيادة عن الزكاة. قال القرطبي (اتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف المال إليها)^(١)

- أن يكفل أسرة شهيد ويجهز غازياً .

- الدعاء: وهذا أهمها في الوقت الذي تكالبت فيه قوى الأرض جميعاً على هذا الجهاد تريد أن تطفئ نوره وتخمده ناره، في هذا الوقت الذي وقف فيه المجاهدون وحدهم دون أهل الدنيا، وكثر العدو عن نابه، ونزع المدارون لثامهم، ووجم الأصحاب وجوم أهل القبور، وصمت الأحباب صمت الأموات.

إذلال الله لروسيا:

نعم لقد أذل الله روسيا وأعلنت انسحابها مهينة ذليلة، ولكنها اشترطت أن لا تمتد يد بالمساعدة إلى هؤلاء الأبطال. هنا وقد أغلقت أبواب الأرض أو كانت فابواب السماء مفتوحة تنتظر (من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)^(٢)، فلا بد من تخصيص المجاهدين في أفغانستان والصامدين في فلسطين بالدعاء وخاصة في أوقات الاستجابة:

- عند الإفطار.

- عند السحر حيث ينزل ربنا - عز وجل- إلى السماء الدنيا.

- في القنوت -سواء في قنوت الوتر أو قنوت الفجر- .

- أثناء الصيام في النهار.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك .

عيد الإسلام وعيد المسلمين *

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد مضت ليالي رمضان الجميلة، وتشنفت الأذان بسماع القرآن الندي الشجي من أفواه المقرئين، واستمتعت النفوس بتلك الساعات الثمينة التي يقضونها قاتمين يستعذبون بها حلوة القرآن غصاً طرياً، وبدأت منازل القمر تتراجع، ونوره يخفت ويخبو، وطلق هذا الضيف الكريم يلم أذياله ويحزم أمتعته ليودع وإلى رحلته السنوية. والكل يرنو إليه ودموع الفراق الحار تترقق بين موقبه وتتحدّر هائلة على سابلية.

وهناك في قمم الجبال وبين الرهاد والنجاد والأدغال رمضان آخر غير رمضان المسلمين اليوم. هناك لثبات (فئات) من الضراغم والسرايا من نوى العمام ممن يخطون تاريخ هذه الدين بالدماء، ويكتبون على صفحات القلوب أروع معاني التضحية والفخار يسطرونها بأحرف من نور، ويمسحون عن جبين هذه الأمة وصحات الخزي والعار التي تركتها عليها الخلف التي أضاعت الصلوات واتبعت الشهوات.

هذه ليالي رمضان يتمنون أن يلتقطوا فيها أنفاسهم، ويلبوا فيها إلى إمامهم يرتل في لياليه أعذب الألحان، ويردد هذا الكلام الرباني الخالد، ولكن هيهات هيهات، إن الأيام عصيبة، والساعات حاسمة، ولا بد أن يقضوا مضاجع عنو الله، وقد بدأ يودع أرض أفغانستان وداعاً غير وامق، لا بد أن يطاردوا فلوله ويشترى جمعه.

فلا ساعة للانتظار ولا وقت للدعة، أيام لها ما بعدها في تاريخ هذه الأمة المسلمة وفي مسيرة هذا الدين.

١ - تفسير القرطبي / ج ٦ / ص ٢٤٢

٢ - فتح الباري / ج ٢ / ص ٢٤٢ بعد الترمذي (٤٤٦) وابن ماجه (١٣٦٦) وأحمد (٢ - ٢٦٤) وأبو داود (١٣١٥) .

* - نشر في مجلة الجهاد - العدد الثالث والأربعين - شوال ١٤٠٨ هـ الموافق يونيو ١٩٨٨ م.

رجبة واحدة:

نعم إنهم يأتون كما حدثني أبو حمزة وهو يحث إثر عودته من قندهار بعد سلسلة من الانتصارات الباهرة قائلاً: كنا نأكل رجة واحدة في اليوم، ونشرب الطين المائي المنثني الذي نتسابق عليه مع الغنم حتى نبل صدانا ونروي ظمأنا.

كانوا ينتقلون من فتح إلى فتح، ومن مركز، إلى مركز كأنهم أشباح تنزلت من السماء.

لا أبعد الله عن عيني غطارفة إنسا إذا نزلوا جنا إذا ركبوا

ليوث غاب لكن لانيوب لهم إلا الأسنة والهندية القضب

وفي بعض المناطق لم يستطيعوا أن يوفرُوا الخبز فراحوا يبحثون عن النوم (ثمرة صغيرة برية) يسكنون آلام السفوب التي تأكل أعماقهم وتلتوي منها بطونهم.

آلام وآلام:

مسلمون تلتوي بطونهم تخمة لعصر الهضم، ولتلبد أنواع اللحوم والدهون في بطونهم، ومسلمون يصابون بالقرحة المعوية لأنهم لا يجدون الخبز ولا الرز، ولا زالت صورة الشفاء ماثلة في الخيلة تلك التي تصلبت وأسودت لكثرة أكل العشب وكأنها شفاء الغنم، وبدأ لون العشب الأخضر بارداً على وجوههم وعلى عروقهم.

وكانوا يأتون العشب طعاً بأن سواء لن يجدوا طعاماً

وهناك في الربوع المباركة هذي الانتفاضة الجهادية حيث أغلقت الحوانيت، وقطع المسلمون جميع الأواصر مع هذه الحياة، لا ترى في الشارع سوى الذين يهجمون على الموت أمام المدرعات والرشاشات لا يحملون سوى الحجارة.

أصلاح هذا من وراء الغيب جساء؟

ليميسد حطين الكرامة والبطولة والسفداء

أم من أرى قطز وبيبرس الكتيبة والسواء

في عين جالوت العزيمة والسرجلة والدماء

لا يا فتى الشعراء.. لا قطز هناك ولا صلاح

وما تراه اليوم لم يك بالسيوف ولا الرماح

لكنما ثارت محاريب المساجد في فلسطين الذبيحة

فرمت بأفلاذ الكبود الأخضر في القدس الجريحة

أبناء عشر بالأيادي اللدن مبروا يزأرون ويستأرون

يتمردون على الحديد وينفضون لظى القيود

وبالحجارة ينهضون.. وبالعصى يتقدمون

وتتوالى ملاحم البطولة هنا وهناك، واختفت معالم الترف والتميع، وتكاثفت الأيدي، والتقت القلوب، والكل يدفع حتى بقلذات

كبده بحملهم زجاجة المولوتوف ليرميها على سيارة مدججة بالسلاح ليحرقها ويلقى مصرعه أمامها.

والكل ينتظر الخبز وقد غابت عن الحياة كل وسائل الحياة.

ومضى رمضان، وبدأ الناس يستعدون للعيد: واكتظت صالات مكاتب الطيران، ولم تعد تسمع على سماعة الهاتف سوى الحجز

والتذاكر، وبدأت إجازة العيد، وحجزت كل أسرة لكامل أفرادها شقة جميلة على خفاف التاييمز، أو في لوزان، أو على شواطئ أونتاريو أو فلوريدا.

هناك حيث تبعد الأموال، وهنا حيث يخوض الأبطال غمار الأحوال بين الشهب المنقضة من فوقهم، ويمشون فوق أرض، الزلازل

والبراكين المتفجرة بين أيديهم وأرجلهم.

والمسلمون في عيد المسلمين:

مشغولون بفطير العيد ومجين التمر الذي يصنع منه حلوى الفطر، وفي عيد الاسلام: الأيدي مشغولة بمعجون

الجلكتيت والسيفور و T.N.T تصنع منها عبوات لتفخض على أعداء الله مناهم، وتدمر فوق رؤوسهم بنيانهم، أو تخسف الأرض من تحت أقدامهم.

وفي عيد المسلمين:

كل شاب أو شيخ يلهث وراء اللباس الأنيق الذي سيرتديه في الأيام الأولى من شوال، ولا بد أن يكون لون الياقة مناسباً للبدلة والعذاء والجوارب، بل لابد أن يتوافق مع لون السيارة، وفراش البيت لابد له من تجديد، إذ أن الأثاث القديم لم يعد متناسقاً مع لون الستائر والسجاد، ودهان العمارة الجديدة لا يتناسب مع هذا كله.

وفي عيد الإسلام الآن:

وعلى الحدود الباكستانية الأفغانية ترى الجموع المكتظة من جند الله - عز وجل - كل يرتب أمتعته ويبحث عن أصحاب الخيول والبغال والعرق يجدهم، عن أجرة الأمتعة والأثقال والنخائر التي جمعها في أرض القبائل ويشغل لبه ويحير فكره أجرة هذه البغال التي كادت تفوق تذاكر الطيران، فأجرة البغل قد تصل إلى ثلاثمائة دولار، وهذا مبلغ ضخم في حياة المجاهد، إذ يكاد خياله يقصر أن يدرك الطريق الذي يمكن أن يوفر به هذا المبلغ.

ثمن خبز الطريق:

وعلم الله أن ثمن الخبز في الطريق أصبح من المقبات الكؤود التي تعترض هذه المسيرة المباركة، وليس في المقاهي على طول الطريق الدامي الشاق المعلق بين السماء والأرض والممتد قرابة شهر ونصف سوى الخبز والشاي، ومع هذا فأين ثمن الشاي؟ طريق محفوف بالمخاطر، مفروش بالاشواك، وهو بين سرب خيران يبصره فيلاحق القافلة على طول الجادة اللاحية يتناولها بصواريخه التي تصل طناً كاملاً، وتزداد الأحوال في مسيرة الصحراء عبر هلمند وقندهار وأوردجان ونيمروز فلا شيب ولا جبل ولا شجر ولا حجر.

قافلة "مُوَحَّد":

ولقد كانت قافلة الشهيد "مُوَحَّد" (قائد بروان) شاهداً حياً يقرب إلى الأذهان أهوال يوم العشر الأكبر، إذ بقيت الطائرات تتابعه حتى لم يتج من قافلة عدادها مائتا جمل سوى واحداً. وهناك مئات الألوف من الأيتام ينتظرون حتى ليلة العيد ويومه من يمسح على رؤوسهم بدل أيدي آبائهم الشهداء الذين قضوا تحبهم وهم يصبغون مجد الأمة بالدماء. وهناك مئات الألوف من الأرامل تنتظر ليلة العيد صدقة الفطر، حيث حدثني أحد الإخوة أننا في العام الماضي كنا ندخل بحفئات الرز (صدقة الفطر) على الخيام فيكون فرحاً ليلة عيد الفطر. وهناك مئات الألوف من المجاهدين ينتظرون ليلة عيد الفطر الحذاء والكساء والغطاء والنواء وخاصة في هذا الوقت العصيب الذي تنكرت فيه الدنيا بأسرها لهذا الجهاد المبارك، وكشرت فيه عن أنيابها. وأجفل الصديق وبيان العدو. وهناك الآلاف المزلقة التي ترصد لليلة العيد هديتها الثمينة بأن تحيل الدنيا جحيماً فوق رؤوس الروس وتحت أقدام الشيوعيين. فهل تُحوّل أهوال عيد المسلمين لتصبّ في بوتقة عيد الإسلام؟ وهل توفر لعب الفنان لنصنع بها روائع الزمان التي تحدث بها الركبان... ألا ليت قومي يعلمون؟!

تروا شمع محمد بن مسلمة *

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد روى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: (بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رهطاً من الأنصار إلى أبي رافع ليقتلوه، فأنطلق رجل منهم قدخل حصنهم، قال: فدخلت مريد دواب لهم، قال: وأغلقتوا باب الحصن، ثم أنهم فقدوا حماراً لهم فخرجوا يطلبونه، فخرجت فيمن خرج أنهم أنني أطلبه معهم، فوجدوا الحمار قد دخلوا ودخلت وأغلقتوا باب الحصن ليلاً، فوضعوا المفاتيح في كوة حيث أراها، فلما ناموا أخذت المفاتيح ففتحت باب الحصن ثم دخلت عليه، فقلت: يا أبا رافع، فأجابني، فتعمدت الصوت فصرته فصاح، فخرجت ثم رجعت كأنني مفيت، فقلت يا أبا رافع -وشيرت صوتي- فقال: مالك لأملك الويل قلت: ما شأنك؟ قال: لا أدري من دخل علي فصرني، قال: فوضعت سيني على بطني ثم تحاملت عليه حتى قرع العظم، ثم خرجت وأنا دهش، فأتيت مسلماً لهم لأنزل فيه فوقعت فوثقت رجلي، فخرجت إلى أصحابي فقلت: ما أنا ببارح حتى أسمع الناعية، فما برحت حتى سمعت ناعياً أبي رافع تاجر أهل الحجاز، قال: فقلت وما بي قلبة مد حتى أتينا النبي -صلى الله عليه وسلم- فأخبرناه^(١)، وفي الرواية الأخرى أن الذي دخل عليه هو عبدالله بن عتيك، وكان أبو رافع يعادي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويؤلب عليه الناس.

قال ابن حجر في الفتح^(٢): وفيه جواز التجسس على المشركين وطلب غرتهم وجواز اغتيال نوي الأذية البالغة منهم.

مصرع كعب بن الأشرف:

روى الإمام مسلم في صحيحه^(٣) قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من لكعب بن الأشرف فإنه أذى الله ورسوله) فقال محمد بن مسلمة: يا رسول الله أحب أن أقتله، قال: نعم، قال: اتذن لي فلاقل -أي شيئاً عنك-، قال: قل، فأتاه، فقال له وذكر ما بينهما وقال: إن هذا الرجل قد أراد صدقة وقد عتانا -أتعبنا-، فلما سمعه قال: وأيضاً والله لثمته -لتأمنه-، قال: إنا قد اتبعناه الآن ونكره أن ندعه حتى تنظر إلى أي شئ يصير أمره، قال: وقد أردت أن تسلمني سلفاً، قال: فما ترهنتي؟ قال: ما تريد؟ قال: ترهنتي نساءكم، قال: أنت أجمل العرب أن ترهنتك نساء ما؟ قال: ترهنون أولادكم، قال: ينسب ابن أحدنا فيقال: رهن في وستين -كبلين- من قر، ولكن ترهنتك الأمة (يعني السلاح)، قال: فنعم، وواعده أن يأتيه بالخارث وأبي عيس بن جبر وعبد بن بشر، قال فجاءوا فدعوه ليلاً فنزل إليهم، قالت امرأته: إني لأسمع صوتاً كأنه صوت دم، قال: إنما هذا محمد بن مسلمة ورضيعه وأبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة ليلاً لأجاب، قال محمد: إني إذا جاء فسوف أمد يدي إلى رأسه، فإذا استمكنت منه فدونكم، قال: فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا: لجد منك ربح الطيب، قال: نعم تحتي ثلاثة هي أعطر نساء العرب، قال: فتأذن لي أن أشم منه، قال: نعم، فشم فتناول، ثم قال: أتأذن لي أن أعود؟ قال: فاستمكن من رأسه ثم قال: دونكم فاقتلوه.

هذان نصان واضحان قاطعان في دلالتهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أزال من طريق الدعوة رأسين من رؤوس الكفر بالقوة اغتياًلاً، وذلك لأن الصارم لا بد من استعماله لإماطة الرؤوس المدبرة والعقول المفكرة التي لا تكف عن نصب الأحابيل ووضع العراقيل أمام هذا الدين، وكعب بن الأشرف وأبو رافع من زعماء اليهود ومن أئمة الكفر لديهم، وإذا أضفت إليهما قوله عز وجل: (واقبلوا لهم كل مرصد) (التوبة: ٥)

قال أبو بكر بن العربي في أحكامه^(٤) (قال علماؤنا: هذا دليل على جواز اغتيالهم قبل الدعوة -قبل الإنذار-).

وقال عند أية: (... فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ...) (البقرة: ١٩٤)

قال علماؤنا: هذا دليل على أن لك أن تبيع دم من أباح دمك، وتحل مال من استحل مالك.

* - نشر في مجلة الجهاد - العدد الرابع والأربعون - في القعدة ١٤٠٨ هـ الموافق ١٩٨٨ م.

(١) فتح الباري (٦-١١٧).

(٢) فتح الباري / ج ٦ / باب (١٥٥) ص - ١٥٦.

(٣) الحديث في الصحيحين: فتح الباري / ج ٦ / باب (١٥٨) برقم (٣٠٣٩) شرح النووي / ج ١٢ ص ١١١، وفي المختبر برقم (١١٧٠).

(٤) أحكام القرآن لابن العربي (٢ - ١٠٢).

وقد أجمع العلماء: على جواز الدفاع المشروع ودفع الصائل على الأعراض والدماء والأموال.

فأما الدفاع عن العرض: فهو فرض (واجب) بإجماع العلماء، فمن أراد أن ينتهك العرض فلا بد من دفعه بالزجر ثم باليد ثم بالعصا، فإن لم يكن بد من استعمال السلاح فلا بد من استعماله، وقتل الصائل ولو كان قائماً صائماً.

وأما الدفاع عن النفس والمال: فهو واجب عند جمهور العلماء، وأما جوازه فقد انعقد الإجماع عليه ولو كان استعمال هذا الدفاع ضد خيار المسلمين المخبتين الخاشعين.

ونرجع إلى الحكم الشرعي لاغتيال رؤوس الكفر التي لا تكف لحظة عن التدبير ضد هذا الدين محاولة منهم لإطفاء نور الله بأفواههم، وهذا أمر تقتضيه الضرورة، إذا أن هذا الدين جاء لتخليص البشرية من نير العبودية، ولإنقاذهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ولا يمكن أن تخلص الطريق إلى الله من طواغيت يستعبدون الناس لأنفسهم من دون الله ويقفون أمام هذا النور المبين لتبقى الجماهير تتضور في دياجير الظلام، ليس لهم من هم سوى إرواء الشهوات وإشباع النزوات.

وكما قال زعيم -زعيم المبشرين المنصرين-: (لقد أنشأنا جيلاً معه الشهوات، ويعيش من أجل الشهوات، وفي سبيل الشهوات يوجد بأعلى ما يملك)

لا بد من إزالة العوائق التي تعترض سبيل هذا الدين القويم، ولا بد من تحطيم العقبات التي تحول دون وصول النور إلى الناس، وهؤلاء الطواغيت الذين يقول فيهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له)^(١).

وإزالة أئمة الكفر وقادة الفتن حق طبيعي، وحكم شرعي رباني، وضرورة منطقية عقلية. ولذلك فعندما قال أحد الجاسين في حضرة معاوية رضي الله عنه ويوجد محمد بن مسلمة -قاتل كعب بن الأشرف- والله ما قتل كعب إلا غرأ، فغضب محمد بن مسلمة وقال لمعاوية^(٢): أيقال هذا في مجلسك وتسكت؟ والله لا أجالسك... ولئن خلوت به لأقتله.

وقد اعتبر محمد بن مسلمة دم هذا المسلم هدراً لأن قوله يشي ويثم أن حكم اغتياله لكعب بن الأشرف إنما هو غدر لا يليق بطبيعة هذا الدين. وهذا أساس بمقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي سن هذه الشريعة وأمر بهذه السنة. وهذا يعني نسبة الغدر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو أمر لا يختلف عليه اثنان أنه خروج من الملة يوجب القتل ويهدر الدم.

ضابط:

ولا بد من العلم أن هذا الأمر -اغتيال أئمة الكفر- راجع إلى العلماء الذين يقودون مسيرة الجماهير المتجهة إلى الله وليس راجعاً لاجتهاد فردي. بل مصلحة الجماعة التي يقدرها القائد ويحددها العالم المسؤول ببيان حكم الشرع وتوضيح الحكمة من هذا الأمر.

سنة مهمة:

ولقد سبب إهمال هذا الحكم الشرعي -اغتيال قادة الكفر- من الظلم الكبير والشر المستطير للأمة الإسلامية التي عانت الويلات، ودفعت الضرائب الفاحشة من أعراضها ودمائها وأموالها ما لا يعلمه إلا الله.

وكان تطبيق هذه السنة النبوية والشرعة الإلهية -بين الحين والآخر- من قبل أفراد يغامرون بأرواحهم ويخاطرون بأنفسهم بأموالهم تخليصاً للأمة بكاملها من حياة السوائم إلى حياة الإنسان، وانتشالاً لها من مستنقع الضنن ووحل الجنس إلى قمة سامقة بضئبة يستروح فيها الناس نسمات الحرية والعزة.

فإن تفق الانام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

فلسطين الحبيبة قتل "كبير" فخلص الناس من جيش عرمرم من الفرنسيين

١: أخرجه الإمام أحمد (٢ - ١٦/٥٠) وأبو يعنى في مسنده / والطبراني في الكبير، وهو من صحيح الجامع رقم (٢٨٣٦).

٢: الصانم السلول لابن تيمية / ص - ٩٠، والذي لا المارة هو (ابن ياسين).

إن نفساً ترتضي الإسلام ديناً ثم ترضى بعده أن تستكيننا
أو ترى الإسلام في الأرض مهيناً ثم تهدي العيش، نفس لن تكون
في عداد المسلمين العظماء

وشاب متحمس خلص لبنان من خطرسة المارينز وجبروت ذوي الوجوه الحمراء.

أحياء هذه السنة:

ولقد جاء الشعب المسلم الأفغاني ليحيي هذه السنة بنماذج لسان حال أحدهم يقول:

وإني لمن قوم كائن نفوسهم بها أنف أن تسكن اللحم والعظماء

فقتل زعيم الماليشيا (شير آغا وتوران غلام رسول) وحاجي سلطان محمد في بغلان ودليلي من غزني، واختطاف السناتور عبد الرزاق من قندهار، واختطاف زرعون الضابطة الشريرة على باب كابل ومن مركزها وقتلها، وقتل محافظ هرات ومستشاره بباب وزارة الداخلية في كابل... كانت عملية مذهلة في الجرأة والإقدام والشجاعة والاقتحام.

قتل مولوي جل أحمد يشتون العميل:

في فارياب حيث التلج تكسو الأرض، ولا تكاد الأصابع تضغط على الزناد لشدة البرد، قال القائد علاء الدين: من لهذا الرجل الذي أتاه الله آياته (فانسلخ منها قاتمعه الشيطان فكان من الغاوين) يسخر دين الله لخدمة الشيوعية ومحاربة المجاهدين، وانطلق ثمانية من بينهم الحاج أحمد العراقي وتسوروا على الرجل جدار بيته بعد أن تخطوا أكثر من خمسين مركزاً للشيوعيين حتى وصلوا إلى بيته الواقع في وسط مركز فارياب -ميمنة-، عندما دخلوا ساحة داره طلبوا المولوي -العالم- فانتفضت زوجته تداقع عنه، وتقول: أنتم من الأشرار، فحاولوا أن يغيروا هويتهم ولكنها قالت: أنا أعرفكم من جماعة علاء الدين. وأقبلت على رشاش أحدهم وأخذت مخزن النخيرة، وشب أولاده وبناته من فراشهم مذعورين، وساد الهرج، وعلا الصراخ، ولم يجد المجاهدون بدأمن قتله في أسرع وقت، فقتلوا رأس الفتنة "يشتون" وانسحبوا، في الوقت الذي تحركت فيه الدبابات والطائرات للقبض على المجاهدين، وفتحت الرشاشات من كل مكان، وصوب أحد المجاهدين منفعه نحو دبابة وأحرقها ونجا المجاهدون وعادوا قبل الفجر، وعلاء الدين قائم يصلي ويتضرع لربه أن ينقذ المجاهدين.

خلاصة:

(١) لابد أن يقف المسلمون الموقف الذي تتطلبه عقيدة البراء والولاء، فلا يتزعزع ولا يتأرجح تجاه أعداء الله البارزين، وأقلها مقاطعة البضائع الروسية واليهودية والأمريكية، لأن الأمريكان أولياء اليهود وأنصارهم ومؤيديهم وداعمهم.
(٢) أن ترتب قوائم تسميها قوائم محمد بن مسلمة ندرج عليها سيرة الكفر وأئمة الشرك من الطواغيت الذين ينافسون الله في ألوهيته وديوبيته في الأرض.

ندرج عليها أولاً: كل يهودي يمد إسرائيل أو يتعاطف معها، وندرج عليها: أئمة الكفر وزيانية تعذيب البشرية من الروس والشيوعيين، وندرج عليها زعماء الأحزاب الملحدة والعلمانية التي تتبجح بإلحادها ومناوأتها للإسلام، وندرج عليها: كل من يعلن وقوفه بجانب اليهود من أي الأصقاع ومن سائر البقاع.

ألا من قسى يورد الهندي هامة كيما تزول شكوك الناس والنهم

فيا خيل الله أركبي: ويا جند الله أقبلا، ويا سيوف الله أبرقي، ويا سماء أوعدي ووردي:

أسد فرائسها الأسود يقودها أسد تصير له الأسود ثعالبها

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

عقيدة الولاء والبراء *

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن أنظمة العالم الإسلامي الآن أمام خيار صعب بعد إعلان حكومة المجاهدين وتوزيع الحقائق الوزارية إثر هذا الجهاد الإسلامي المشرف الذي ما شهد التاريخ الحديث له نظيراً، وبعد أن أنقذ هذا الجهاد الأمة المسلمة من هزتها، ورفعها من كبوتها، بعد أن دفع من الجماجم ما يستحق أن يبني فوقه صروح المجد، وبذل من الأشلاء والدماء ما يمكن لسفينة الإسلام أن تشرع فوقه بسلام، والآن وقد أعلنت الحكومة المجاهدة وتنتظر الاعتراف، فإن اعتراف بها فهذا واجب الأخوة الإيمانية وحق الوشيعة الإسلامية، وهذا أمر طبيعي ومنطقي في حق كل دولة تمتلك أرضاً وتحمل الشوكة وتحمي الثغور ولها كل المقومات لأية دولة أخرى.

وإن كانت الأخرى فليس بمستغرب على أنظمة تقوم قراراتها على الموازنة بين المصالح والمفاسد والمنافع والأضرار، وهذه كلها إنما تنطلق من نظرة مادية قريية، وتتنبثق من خلال موازين متأرجحة لا يعرف لها عيار ولا يستقر لها قرار.

وليست هذه هي المرة الأولى أن تغمض الأعين دون نظام إسلامي قائم، أو تهمل الأنظمة إعمالاً تاماً دولة قائمة على دين ومبينة على عقيدة، فهناك دولة قبرص الإسلامية التي تنتظر الاعتراف منذ عقد من الزمان.

وسواء اعترفت الأنظمة بحكومة المجاهدين أم لم تعترف فالمسلمون في كل مكان يبثونها شغاف قلوبهم، ويجري حبها مع نجيع عروقهم، وكما أن المجاهدين لم يرضوا احترام جهادهم على كل أنظمة الأرض، فإن دولتهم ستفرض احترامها -إن شاء الله- على كراسي المعمورة بأسرها. والحق أن الاعتراف بدولة المجاهدين الإسلامية موقف قد يكلف النظام المعترف بها تبرم كثير من الطواغيت الذين يملكون القنابل الذرية والأقمار الصناعية، بل نفور كل أعداء الله الذين يقول الله عز وجل عنهم: (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (البقرة: الآية ٢١٧)

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) (البقرة: الآية ١٢٠)

وأعداء الله لا يعرفون إلا مصالحهم، ويعبر عن سياستهم قول وزير الخارجية البريطانية رداً على الأستاذ سعد جمعه رحمه الله رئيس وزراء الأردن عن نكبة ٦٧ عندما قال له سعد: نحن أصحاب حق، فقال البريطاني: (السياسة ليس فيها حق ولا باطل، السياسة فيها مصالح ومناقم).

والاعتراف وغيره إنما ينبثق مما تكنه القلوب من عقيدة، وما تحمله الجوانح من مبادئ، وما تتطوي عليه الحنايا من قيم، والتصرفات والأفعال والشعائر إنما هي انعكاسات العقائد المستكنة في أعماق الضمائر.

وهذا القضية وغيرها من التصرفات التي تعبّر عما في النفوس من المبادئ والإيمانيات لا بد أن نردها إلى هذه العقيدة التي هي ملزوم لا إله إلا الله، إذ أن -لا إله إلا الله- تستلزم من لفظها النفي والتبرؤ -البراء- من كل طاغوت، والإثبات والولاء لله ولكتبه ولرسوله.

وعقيدة الولاء والبراء: هي أول مقتضيات لا إله إلا الله، ومن مستلزماتها التي لا تنفك عنها.

ولا إله إلا الله (كلمة التوحيد) إذا استقرت في القلوب وتفاعلت مع الضمائر لا بد أن تتحول إلى استقرار في النفوس، تفيض عليه السكينة والطمأنينة، وشهادة على اللسان يلهج بها في كل مكان، وأفعال على الجوارح وفق المنهاج الذي أنزله الواحد الأحد. ويستحيل على عبد أن تستقر في مسارب نفسه عقيدة التوحيد ويبقى ساكناً جامداً ميتاً لا حراك فيه.

لا بد أن تتحول هذه العقيدة إلى حرارة تجيش بها الصدور، وتفيض أفعالاً في عالم الظهور، وتنتج سلوكاً وأخلاقاً وأنظمة يمثل ماء السماء الظهور.

وهذه العقيدة... تثمر الحب لله ولأوليائه، والبغض لأعداء الله، وتنتج الوقوف بجانب أولياء الله، والبعد والهجر لأعداء الله.

وبغذه المواقف الإيمانية انعكاس طبيعي ومنطقي للحقائق الإيمانية التي تستقر في الأعماق، فكما أن القلب الحي النابض بالمم التنظيف ترى معه جسداً صحيحاً سليماً، فكذلك القلب المريض الذي يجعل أمراضاً خبيثة في طياته لابد أن تظهر آثارها حرارة

* نشر في مجلة الجهاد - العدد الخامس والأربعون - ذو الحجة ١٤٠٩ هـ أغسطس ١٩٨٨ م.

وبشراته وقروحه على أنجله.

ومن المستحيل أن تحب إنساناً ثم تكره سلوكه وتصرفاته وأخلاقه وحركاته، وتكره طريقة طعامه وشرابه، إن الذي يحب إنساناً؛ تراه يقلده في طريقة كلامه وسلوكه وحركاته، ويحب اتباعه في لباسه وطعامه وشرابه، والحب ينتج الطاعة والقبض يورث المعصية.

إن المحب لمن يحب مطيع، قال الحسن البصري: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلأهم بهذه الآية: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (آل عمران: ٣١)

يقول ابن تيمية: "إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله تقتضي أن لا يحب إلا الله، ولا يبغض إلا الله، ولا يوالي إلا الله، وأن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله، ويوالي المؤمنين في أي مكان حلوا، ويمعادي الكافر ولو كان أقرب قريب" (١١).

وقد روى الطبراني بإسناد حسن: (١٢) (أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله). بل ولاية الله لا تتال إلا بالحب له والبغض له.

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: (من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تتال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك). (وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً) (١٣).

إن محبة الله التي تستلزم محبة رسوله -صلى الله عليه وسلم- أشرف نماذج من التضحيات وأغذاً من البشر ما يحسبه الإنسان ضرباً من الخيال أو لوناً من الأساطير، إنها أبرزت أمثال: زيد بن الدثنة الذي يقول بين يدي قتله وأبو سفيان يقول له (أتحب أن محمداً مكانك؟) فقال: (والله لا أحب أن محمداً يشاك شوكه في قدمه وإنني جالس في أهلي)، فقال أبو سفيان (ما رأيت كحب أصحاب محمد محمداً) (١٤).

وأظهرت: المرأة التي من بني نضار التي قتل أبوها وأخوها وزوجها فسألت: (فما فعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟) قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أروني حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جلل (صغيرة) (١٥).

يقول الشيخ حمد بن عتيق: (ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم -الولاء والبراء- بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده) (١٦).

إن توحيد الله يقتضي أن تتخل في حربه وتناصر أوليائه، وتحب العيش معهم، وتدافع عن دارهم وحرمااتهم، وتجاهد في سبيل الله لحماية أعراض المسلمين وديارهم وأموالهم، وأن تكره الكافرين وتهجر دارهم وتمقت العيش بينهم، ففي الحديث (١٧): (من جامع المشرك وسكن معه فهو منكفر)، وصح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (من بنى بأرض المشركين فصنع نوروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة) (١٨)، قال ابن تيمية: وظاهر هذا، أنه جعله كافراً بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور. (١٩)

(١) الاحتجاج بالذرة لابن تيمية (٦٢)

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١٥٣٧)، وعند الطيالسي (٣٧٨)، وهو في السلطة الصحيحة برقم (١٧٢٨)

(٣) حلية الأولياء (٢١٢/١)

(٤) مختصر السيرة (١٥٤)

(٥) مختصر السيرة (١٤٩)

(٦) الولاء والبراء للقسطنطيني

(٧) أخرجه أبو داود برقم (٢٧٨٧) باللفظ - وسكن معه فإنه منكفر - وهو في صحيح الجامع برقم (٦١٨٦)

(٨) الولاء والبراء للقسطنطيني (٢٧٤)

(٩) اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٢٠٠)

وأهل عقيدة التوحيد ومقتضاها من الولاء والبراء يتجمعون على وشيعة الإيمان، ويلتقون على صلات العقيدة والدين يتجاوزون فيها المواقع الجغرافية والحدود الزمانية واللون والعرق والعشيرة والجنس والصنعة والحرفة، ولا يلتقون كما تلتقي الحيوانات على الحظيرة والكلأ والجنس، فحزبهم العقيدة: لا يجمعهم لون جواز سفر، ولا قطعة أرض محدودة بجبل أو نهر، ولا حزب دينه اللغة، ولا جماعة كل رابطتها أنهم سود أو بيض، أو رابطتهم أنهم فلاحون أو عمال أو كادحون، ولا صلاتهم أنهم رابطة محامين أو نجارين أو حدادين ولا أنهم شام أو يمن، وهكذا معا تجتمع عليه البهائم والسوائم، وذلك لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لهم: (دعوها فإنها متعنة) (١٠) (ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من لاثل على عصبية) (١١)

فلا يمكن أن يدخل المؤمن الذي فهم عقيدة التوحيد تحت راية تجمع قومي متين: كالقوميين العرب، وحزب البعث، والقوميين السوريين حتى ولو كان المخططون لهم من المتسلمين المظلمين، فكيف إذا كان قائد القوميين العرب: قسطنطين زريق، وجورج حبش النصرانيين، وقائد البعث ميشيل عفلق النصراني، وزكي الأرسوزي النصيري، وقائد القوميين السوريين أنطون سعادة وجورج عبد المسيح النصرانيان؟

راية جاهلية، وقيادة كافرة، ومحتاج إلحادي علماني، فائس لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينضوي تحت هذا اللواء؟ ولا يمكن لصاحب عقيدة الولاء والبراء النابعة من التوحيد أن يدخل الماسونية اليهودية أو يلوي إلى أوكارها وجحورها، ولا أن ينضم إلى المحافل الماسونية كالروتاري والليونز والبنّي برث التي ولتها اليهودية اللثيمة الحاقدة.

ولا يمكن لصاحب عقيدة الولاء والبراء أن يكون جاسوساً في المخابرات المركزية الأمريكية أو الروسية، أو أن يكون عيناً لجهة مشبوهة تحارب الإسلام ولا لطاغوت يكيد للحق وأمنه ويحارب أولياء الله ويوالي الشيطان في كل مكان. ولا يمكن لمؤمن موحد أن يوالي الحلفاء وبريطانيا ضد الخلافة العثمانية.

أما الدين الذي تنزل من لبن حكيم عليم فقد تجمع فيه المؤمنون على العقيدة على طول الزمن الممتد مع رسالات الأنبياء كلها صلوات الله وسلامه عليهم. وغاب فيها نتن القبيلة، واختفت نعمة الجنس، وتوارت لوثة اللون، واندثرت حمية القوم والأرض.

لقد تبرأ منها إبراهيم عليه السلام من أبيه، وانسلخ نوح عليه السلام من ابنه. وتمردت وقرفعت آسيا بثت مزاحم على زوجها أكبر طواغيت الأرض فرعون. وتبرأ نوح ولوط عليهما السلام من زوجتيهما.

وفي هذا الدين ظهر عبدالله بن عبدالله بن أبي الذي قال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- (إن أمرتني برأس أبي أتيتك به)، وفيه: محيصة بن مسعود الذي قتل كعب بن يهودا زعيم قريظة فقال له أخوه حويصة -كان كافراً-: (أقتلت كعب بن يهودا -حليفنا-؟ والله لرب شحم قد نبت في بطنك من ماله، إنك للثيم يا محيصة. فقال له محيصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك، فبات حويصة طيلة ليلته وهو يقول: والله إن هذا لدين، ثم أسلم) (١٢)

ومن هذا الدين سعد بن أبي وقاص الذي قال يوم أحد: (والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصني على قتل عتبة ابن أبي وقاص) (١٣).

والآن ماذا عن دولة المجاهدين؟

هل لرسول ما قاله البراء بن معرور ليلة العقبة وهو يبائع: (والذي بعثك بالحق لنمنعنك عما تمنع منه أئونا (نساءنا) فبايعنا يا رسول الله فتحن والله أبناء الحروب وأهل الخلقة (الصلاح) ورثناها كاهراً عن كاهر).

حتى يرد على المجاهدين والأفغان كما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل الدم الدم والهدم الهدم [الحرمة]، أنا منكم وأنتم

(١٠) مختصر صحيح مسلم للألباني برقم (١٨١١)

(١١) شرح النووي / ج ١٢ / ص ٣٣٨، وأبو داود برقم (٤١٣١) واللفظ له.

(١٢) سيرة ابن هشام (١٣/٣)

(١٣) سيرة ابن هشام (٣٩/٣)

منّي، أحارب من حاربتهم وأصائم من صائمهم) ^(١) أي نعتي نعمتكم وحرمتي حرمتكم
والتاريخ رافع قلته منقطع أنفاسه ويتنظر الجواب.

لغة البيض والسمر*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن لغة البيض والسمر (السيوف والرماح) يفهما كل البيض والسمر، لغة يحبها الله ورسوله، وأنزل الله لها آيات بينات
وأبرزها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أحاديث جليات، وذلك لأن نصرة الأنبياء وإعلاء القيم وإرساء قواعد العدل في الأرض
تعمد اعتماداً كبيراً على هذه اللغة. (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد له
بأس شديد ومنافع للناس ويعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب، إن الله قوي عزيز) الآية (٢٥) الحديد.

فالحديد وهو مادة البيض والسمر أنزله رب العزة وسميت باسمه سورة من كتاب الله العزيز، وذلك لأن نصرة الله ورسوله تتكرر
عليه اتكاءً مباشراً، وتعتمد عليه بعد التوكل على الله العزيز.

وقد فرض رب العزة في الذكر الحكيم الإعداد فقال: (وأعزوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) الآية (٦٠) الأنفال.
قال ابن عباس ^(٢): القوة هنا السلاح والقسى، وقال -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح (ألا إن القوة الرمي) مسلم
^(٣)، وقال السدي ^(٤): القوة السلاح ترهبون به عدو الله وعبودكم: قال ابن عباس رضي الله عنهما: (تغزون به عدو الله وعبودكم)، فقد
فرض رب العزة الإعداد من سلاح ومن خيل من أجل إهانة أعداء الله وإذلالهم، وقد لقي رجل الإمام مجاهد (المفسر) بمكة ومع
مجاهد جوالق، فقال مجاهد: هذا من القوة، وكان مجاهد يتجهز للفرز.

وقد كان الصحابة يتفنون بالقوة والإعداد، ويتسابقون في ميدان العزة والجهاد، وقد كان لعروة البارقي سبعون فرساً معدة
للجهاد، ويعتبر حديث (ألا إن القوة الرمي) من دلائل النبوة ومعجزاتها، فإن معظم الحروب الحديثة قائمة على الرماية من الرصاصة
إلى القذيفة إلى الصاروخ كلها رماية بينما كانت الحروب قديماً وفي عهد -صلى الله عليه وسلم- تعتمد بثقلها على السيوف والرماح
والخيل، وأما استعمال السهام فكان دون ذلك.

ولذا فإننا نرى للفارس والسيوف والرمح أسماء كثيرة وردت في أشعار العرب الجاهلية، ثم في أشعارهم بعد الإسلام، وكثيراً ما
كانوا يفخرون بالحسام والقنا والجياد ويتفنون بها، وأما ورود السهام في أشعارهم فنزير يسير وقليل نادر بالنسبة للسيوف
والرماح.

إني وربك لا أنفك منتظماً بصارم مثل لون الملح قطاع

والحق أننا عندما كنا نستعمل هذه اللغة كان يفهم علينا الأنام قاطبة، وكانت المهابة في قلوب أعدائنا منا، وكان النصر يأتينا
مسيرة شهر بالرحب، وكانت فرائص الأعداء ترتعد، وأرابهم ترتجف، وأوصالهم تهتز إزاء ذكر المسلمين الذين كان يصفهم أعداؤهم
رهبان في الليل فرسان في النهار، بل كانت نساء الكفار يخوفن أبناءهن في زمن الليل بأسماء المسلمين حتى يخلدوا إلى السكينة
والراحة والنوم. وقد بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن ظهور المذاكي وأقتاب العواتق ورجال الجياد هي موطن العزة ومنهل
الثواب ومعين الأجر.

(١) سيرة ابن هشام (٨٥/٢)

• شكر الله لأخيها محمد سعيد القسطنطي صاحب كتاب (الولاء والبراء) فقد الفت منه كثيراً.
نشر في مجلة الجهاد العدد السادس والأربعين - محرم ١٤٠٩ هـ الموافق أغسطس ١٩٨٨.

(٢) الفرطبي (٢٦-٨).

(٣) شرح النووي ج/١٢ ص ٦٤.

(٤) الطبري (١٠-٣٠).

ففي الحديث الصحيح ^(١) [من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فرعة طار إليها بمنفي الموت مهانته]، ويُنْصَحُ الله عليه وسلم- في الأحاديث الصحيحة: (أن السيف معاً الخطايا) ^(٢)، وأن (الجنة تحت ظلال السيوف) ^(٣)، وقد وضع رب العزة هذه القاعدة بجلاء لا غمّة فيه بناموس وقانون أودعه كتاب الخالد فقال عز من قائل: [ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض] الآية (٢٥١) البقرة.

فموتني في الوغى عيش لأنسي رأيت العيش في أرب النفوس

وبين أن انهيار الأمم وفساد سلبقتها ودمار حضارتها ومسح شخصيتها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك هذه اللغة ونسيانها. وأوضح أن (حب الدنيا وكراهية الموت) هو الموت الحقيقي للأمم وخاصة الأمة الإسلامية، وهو بداية النهاية لمجد المسلمين وسوددهم. وقد عبّر عن قاعدة العزة كعب بن مالك (رضي الله عنه) بقوله:

وقلنا لن يُفْرَجَ ما لقينسـا سوى ضرب القلائس والجهاد ^(٤)

حال الأمة المسلمة بعد ترك هذه اللغة :

وبعد أن تركت أمة القرآن النطق بهذه اللغة التي يفهمها الأحياء جميعاً عادت القهقري، ولم يعد يسمع صوتها، وخبا نورها، وخمدت نارها، وانطفأ ذكرها، لأن الناس لا يسمعون مثل صليل السيوف وضبح الخيل، وقمقعة السلاح وأزيز الرصاص وهدير الطائرات ودوي المتفجرات.

لغة أهل الهندوكوش :

وبقيت الأمة المسلمة رهينة القيود ترسف في الأغلال وتتلبط في الأوحال تحت مواطئ الأقدام والنعال، حتى رفع الشعب المسلم الأقداني عقيرته (صوته) قائلاً:

دع المداد ويبطر بالدم القاني وأسكت الفم وانطق بالفم الثاني

فم المدافع في وجه الطفاسة له من الفصاحة ما ييزري بسحبان

وبدأ العالم يفهم هذه اللغة بعد أن ارتوى السلاح من دماء الكافرين، واستيقظ الناس على هدير بحور الدماء التي سالت، وعنى زئير الليوث التي ثارت، ووقف العالم كله باحترام وإجلال أمام هذه التضحيات الباهظة، وأذل الله أوداع (جبناء) اللثام الذين استأنسوا في ساح الإسلام، وخمد البغاث بعد أن استنسر في ديار العز والمجد.

رد النعل من أعداء الله :

كل من واكب مسيرة الأحداث في كابل عبر هذا العقد الزمني يدرك كيف غيّرت هذه اللغة الأرض في داخل أفغانستان وروسيا وأرض الشيوعية خاصة وفي العالم عامة.

يقول سيّاف : لقد كان الحزب الشيوعي لا يستطيع تنفيذ الإعدام على أعواد المشائق وحيال الموت، بل كانوا يصفون المئات مفيدين، ثم تأتي الجرافات وتحفر أخاديد الخوف (الموت)، ثم تفتح الرشاشات أفواها على هؤلاء فيسقطون في خنادق المنية، وتعدّ الجرافات مرة أخرى لتدفنهم، ولقد دفن الكثير من المسلمين أحياء في داخل سجن "بول جرخي" الذي طوى في رماله ما يصل إلى (١٨٦ ألفاً) كما شهد بهذا أحد أعضاء المخابرات (خاد) الكبار.

وكم من الناس قد دفنوا أحياء بجريرة فتح المذراع على (إذاعة صوت بريطانيا)، ومن ذا الذي كان يجور أن يظهر في المسجد خمس سنوات متتالية؟ ومن من المسلمين في أفغانستان كانت تجور على الإشارة ولو بطرف لسان أو إشارة بنان؟ وأما الآن : فقد سمع الشيوعيون لغة الميدان بأنصع بيان وأفصح لسان بعد أن أذل الله ساداتهم وانسحبوا وذيولهم بين السبقين، حتى أعلن أحد الجنود الروس الراجعين من الميدان: (إننا عندما نسمع صرخة الله أكبر نبول على ثيابنا).

(٢) رواه أحمد وصححه ابن حبان.

١٩ شرح النووي / ج ١٣ / ص ٢٤

(٤) القلائس رؤوس الخيول.

(٣) فتح الباري / ج ٦ / باب (٢٢) برقم (٢٨١٨)

وأرسلت الحكومة الروسية وفداً سرىاً برجز المجاهدين أن يخفوا خسرياتهم عن الجنود المنتسحين، فحجاب المجاهدين نحن غير مرتبطين بجنييف بعقد ولا ميثاق. وليتك معي وأنت تبصر رسل الروس إلى المجاهدين يعرضون عليهم أن يقدموا لهم أكبر ضابط شيوعي أفغاني مقابل الكف عنهم، أو مقابل دفع مبلغ ضئيل لجنود الروس الذين يحتاجون إلى الدرهم الواحد لشراء عبة السجائر.

صدقك وهو كذوب :

وقد لخصت الإذاعة البريطانية قصة الشعب الأفغاني فكانت: حاولت بريطانيا أن تعرض سلطتها على الأفغان فدفعت الثمن غالياً، ولم تعتبر روسيا بما قدمت بريطانيا من تضحيات باهضة نتيجة غطتها، فسلكت نفس السبيل، وما هي جحافل المجاهدين تطارد قنول روسيا في أصاقي أفغانستان، وبعد هذا كله يريد الغرب أن يسير في هذا الطريق الشائك الوعر وميهات ميهات.

عجب شجاب :

ولا ينقضي عجبك ولا تستطيع أن تمسك نفسك قهقهة وأنت ترى رجالات الحكومة الشيوعية في كابل يحملون العصي ويسوقون الناس تسراً إلى المساجد في أوقات الصلاة.

مرسوم هام :

وهذا بعد أن أصدر رئيس الدولة الشيوعي -نجيب- مرسوماً يقضي بفصل أي موظف من وظيفته إذا تأخر ثلاثة أيام عن صلاة الجماعة. وتلمح من خلال خطاباته عبارات الاستخذاء والاستكانة والاستعطاف لقلوب الشعب الأفغاني وهو يقول: لا تقولوا لي (نجيب) أنا (نجيب الله).

وقد قرأت رسالة من نجيب إلى الشيخ جلال الدين حقاني يستعطف فيها الشيخ جلال الدين قائلاً له: أنا لست شيوعياً، وأنا مع سليمان لائق -وزير الحدود- اليتيمين المسلمين الوحيديين في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، ونحن ندين بالإسلام سراً ولا نستطيع مواجهة ضغط الشيوعية ونقلها علينا.

وماذا عن غناء الأعراس في العاصمة ؟ إن النساء في العاصمة يتغنين ببضولات المجاهدين وكأنهن ينشدن مع أبي الطيب لكل مجاهد قاتلات :

وصنّ الحسام ولا تُذَلِّه فائسُهُ يشكو يمينك والجماجم تشهدُ
جفّ النجيمُ عليه وهو مجردُ من غمده فكأنما هو مغمدُ
ريان لو قذف الذي أسقيتهُ لجرى من المهجات بحرُ مزيدُ

وأصبح لمعان أسنة المجاهدين، والأسل (الرماح) والقلانس، والمذاكي والعناق والجرد (الخيول) ، والمثقة السمر ومبيض البيض، وشجاعة الليوث، وإيمان الضراغة هو حديث السامر الجميل في كابل، ويحلو للمستمعات أن يرددن مع المنشدات شعر حسان للمجاهدين:

يسرون بالببيض الخفاف إليكم مرخاً كاسد في عرين مغرف^(١)
حتى أتوكم في بطون حصونكم فسقوكم حثفاً بببيض رُفف^(٢)

وأما النساء الشيوعيات وأزواج الضباط العملاء والمنافقين فكان على رؤوسهن الطير لا يتبسّن بينت شفة..

بيكين شجوا مسيلات كنحتهن الكوارح^(٣)

ولقد أصاب قلوبها مجلٌ له جلب قوارح^(٤)

في مكاتب الدولة:

والحديث لي داخل المكاتب الرسمية لا يكف ولا ينقطع عن انهيار الدولة، وعن الهزائم التي تُمنى بها جيوشها، والفساخر التي

(١) عرين مغرف : مكان الأسد ملثف الشجر.

(٢) ببيض رُفف : سيوف سرية القتل.

(٣) شجوا: حزنًا، مسيلات: لابسات ثياب الحزن.

(٤) مجل : جرح، قوارح: مرجمة.

تتكيدها يوماً بعد يوم، وإبداء النشوة والسرور والفرح والحبور بانتصارات المجاهدين، مع الشماعة بهؤلاء المرتدين الذين باعوا الأرض والعرض لروسيا.

الرسائل :

والرسائل تترى من قادة الشيوعيين يعرضون خدماتهم للمجاهدين، ويتوسلون لهم أن يضمنوا طريقاً لهم إلىهم وإليهم ورسم جادة قرارهم نحوهم.

الغيب المسدل :

والنتيجة يعلمها رب العالمين، ولكن بوارق النصر ويشائر الظفر تتير لنا معالم الطريق وكائنها تشير إلى أن النصر قريب، وأن دولة الإسلام عما قليل ستظهر للوجود -إن شاء الله- تقدم للبشرية قادة من المسلمين يصنعون قراراتهم بأيديهم، وتثبتق أركانهم من طيات كتابهم وهدى نبيهم -صلى الله عليه وسلم- ويعتمدون على الله ثم على البيض والسمر التي تحملها الزنود السمر في إقرار القرار، ولا يتلقون الأوامر من البيوت البيض أو الحمر.

فيا أمتي :

ملا سلكت سبيلهم، واستعملت لغتهم التي توقظ الوجدان وتصيح أسماع الزمان؟ إن تقتفي آثارهم هديت، وما هو شعب الأرض المباركة في فلسطين قد فهم هذه اللغة فأيقظت قعقة صوته وزمجرة ليوثه العالم أجمع، وإن شاء الله البقية على الطريق قادمون.

من الدعوة إلى الدولة*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد مضت ثلاثة عشر عاماً كاملة منذ أطلقت الحركة الإسلامية أول رصاصة في وجه نظام داود سنة ١٩٧٤ حتى الآن، ولقد جاءت روسيا بدาวد لتصفية الحركة الإسلامية فكتب الله أن تهزم روسيا ويسحق عملاؤها، وكانت نقلة واسعة خطتها الحركة الإسلامية عبر مسيرة المعاناة، تجرعت فيها الحركة من المرارة، وتكدت من الآلام، وتقلبت في أتون ملتهب من المنسي ما شابت له النواصي، وخلال هذه المحن نضجت نفوس الذين عاشوا الأحداث، والنضج النفسي والصفاء الروحي وإشراقة القلب تكون ثمرة طبيعية، ونتيجة منطقية يهديها الله -عز وجل- للصابرين، وهذه بركة الصبر: [إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين] الآية (٩٠) يوسف. وخلال هذه الطريق المريرة الوعرة التي تجثم الإخوة مشقة اجتيازها بلغت الحركة عمودياً -من حيث البناء الذاتي- شأواً بعيداً، وكذلك فإن الانتشار الأفقي بين الناس كان كبيراً جداً.

أما من حيث الارتقاء الروحي والريانية في الحياة فإنك تشعرها من خلال مواقف أفرادها وقادتها أمام الأعاصير العالمية الهوجاء التي تريد أن تعصف بهذه الحركة التي لا زالت ومنذ أول يوم تمسك بزمام التوجيه وعجلة القيادة، فقد وقف القادة مواقف سامقة أمام دهاقين السياسة العالمية وصانعي قرارات الأمم، هذه المواقف تعيد إلى أذهاننا سيرة السلف، وتحيي في أعماقنا قصص عبد الله بن حذافة السهمي أمام قيصر، وربيعة بن عامر في إيوان رستم يوم أن اقتحم بفرسه داخل الإيوان تطاً سنابك فرسه طنافس رستم والزبابي ويربطه بمنزلة من نمارقه.

وهذا الاستعلاء الإيماني الذي تمثل شامخاً في مواجهة سياسة الدنيا وعلى رأسهم "ريغان" لم يكن لينتج من فراغ أو يربى من خلال صفحات الكتب وخطب المنابر، لقد كان هذا الاستعلاء ثمرة مباركة للصبر الطويل عبر المعاناة المريرة الأليمة.

النقطة الواسعة :

لقد كان البين شامخاً بين تلك الأيام التي كان يرسم فيها المهندس حبيب الرحمن الشهيد (الأمين العام للحركة) الكلاشكوف -

* نشر في مجلة الجهاد - العدد السابع والأربعون - صفر ١٤٠٩ هـ سبتمبر ١٩٨٨ م.

على الأوراق ثم بشرحه في أعماق الغرف المظلمة للذين يرببهم على حب الجهاد وبين هذه الأيام التي يلعب فيها الأطفال بالقاذف الساروخى آر. بي. جي. الذي يحطم الدبابات، والحركة الإسلامية وهي تدلن قرارها بالمواجهة المسلحة في وجه داود، لم يكن يوسمها يومئذ أن تتعلم في خيالها مجرد تصور هذه القمة السامقة التي بلغت بالجهاد المبارك، فلم يكن لديها من بين أبنائها كلهم رجل يستطيع استعمال القاذف سوى "أحمد شاه مسعود"، والآن أصبح استعمال القاذف -هذا- من هوايات الغلمان الذين لم يبلغوا الحنث بعد.

القرار التاريخي :

لقد كان قرار مواجهة المسلحة لداود خارقاً لفكير الإنسان العادي، خاصة وأن القرار قد صدر من ثلاثين شاباً قد التفوا حول برهان الدين رباني^(١) وحكمت يار^(٢) في بيشاور بعد نجاة هؤلاء الشباب من قبضة داود الحديدية التي كانت ترتجف لذكرها أوصال أفغانستان وتحسب لها ألف حساب.

ولم يكن هذا القرار ليصدر لولا وجود حركة إسلامية اثبتت من خلالها هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم، وكانوا قد تلقوا قسطاً من التربية على أيدي أساتذتها ومشايخها ومربيها.

المورد العذب :

ولقد نضجت الحركة الإسلامية الأفغانية على محك الشدة حتى أصبحت مدرسة فذة قائمة بذاتها، ومنهلاً عذباً لا بد أن يورده كل الذين يحاولون إنشاء المجتمع المسلم من جديد، ولقد أعطت أعماقاً وأبعاداً لكثير من المعاني القرآنية والمصطلحات النبوية الكريمة في أذهان الجيل، ولا بد لأبناء الحركة الإسلامية العالمية أن يقفوا طويلاً أمام هذا المعين الثر الذي فجرته الدماء والأحداث فوق أرض أفغانستان فنهلوا منه. وذلك لأن الدعوة الإسلامية في أفغانستان أصبحت الآن فريدة وأعطت المصطلحات الحركية أعماقاً، وأبعاداً.

(١) فلقد كان معنى "الصبر" قبل هذا الجهاد المبارك المشرف ينصرف إلى احتساب سياط الجلادين وهي تلهب ظهور الدعاة، وما كنا نفهم من معاني الصبر في القرآن الكريم سوى الصبر على ظلم الضغاة وزبانيتهن وجلاديهن.

أما الآن :

فالصبر قد أخذ بعداً أكبر، ورقعة أوسع، فهو يعني: حبس النفس على الرباط في مواجهة أعداء الله، والصبر على الرباط في قمم الجبال وبين الغابات والأدغال وأشهر متطاولة تمتد إلى سنوات عمل شاق على النفوس، لأن النفوس تألف الحياة بين الأحبة وهو في الأرض التي درج الإنسان عليها وحبا بين رباها ونجادهما.

والنفس تستوحش من الغربة، غربة عن الأهل والجيران، واللغة واللهجات التي تربى عليها، فإذا أضيف إلى هذا كله الجو الرهيب الذي يسيطر غالباً على ثغور الرباط، وقلة الزاد، وجفاف العيش وشظف الحياة، ومجموع هذا كله يكون جواً قاتماً كثيباً ثقيلاً على النفس.

وهذا الجو لا يخفف ثقله ولا يجلو حزنه سوى التعويض الرباني للقلوب بما يسبغ الله عليها من فرح ومسرة وأنس وسكينة. (عليكم بالجهاد فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم) صحيح^(١). فالهم والغم : أمران ملازمان للرباط لا يفارقان إلا القلوب المرتبطة بالله الموصولة بحبله المائدة بجلاله.

(٢) ومن القضايا البارزة في الدعوة الإسلامية الأفغانية أنها منذ أن رأت النور وتكونت نواتها حتى الآن وهي تدفع التضحيات، ولم تقطف من ثمار عرقها، ولم تخرف (تحصن) من تقاج بذارها شيئاً.

ولذا فقد بقيت تستدر عطف الشعب كله، وتستحوذ على إعجابهم، وتقال احترامهم وإكبارهم، ولا زال اسم الدعوة أو الحركة أكبر عامل من عوامل التعديل وأهم مؤهل للثقة.

(١) أخرجه أحمد (٣٢٦-٥) وهو في المسئلة الصحيحة برقم (١٩٤١).

ولذا بقي مصعب بن عمير معلماً بارزاً في دنيا الصحابة، وبقيت ذكرياته تستجيش أعماق العواطف، وتستهل العيون بالعبرات، ولذا فعندما وضع طعام شهى أمام عبد الرحمن بن عوف استعبر (بكى) وقام وذكر مصعباً.

يقول خباب بن الارت رضي الله عنه **«هاجرنا مع رسول الله ﷺ نلتمس وجهه الله تعالى، فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئاً منهم مصعب بن عمير رضي الله عنه، ومنا من أبتعت (نضجت) له ثمرته فهو يهديها (يقطفها) [متفق عليه]»**^(١).

والآن : لقد استشهد أكثر من تسعين بالمائة من أبناء الحركة الإسلامية ولم يأخذوا من الدنيا شيئاً بعد.

(٢) إن عمر الحركة الإسلامية الأفغانية صغير جداً، ولم يتغلغلوا في مناصب الدولة، ولم يرتقوا في سلم وظائفها. وكانت أكبر وظيفة لديهم عمادة كلية الشريعة بيد غلام محمد نيازي -رحمه الله-، ولذا فلم يكن لديهم مناصب كبرى يمكن أن يساوروا بها على المبادئ نفسها اتباعاً لقاعدة: (اختيار أهون الشرين) (إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمها ضرراً بارتكاب أخفهما).

ولذا بقيت المبادئ واضحة ناصعة وما اعتراها لبس ولا غموض، ولم يعيش الدعاة حياة متناقضة بين مبادئ معلنة وبين مواقف عملية تلعبها عليهم مصلحة الدعوة محافظة على مكاسب بين أيدي الدعاة قد تتعرض للزلزلة فيما لو وقف الدعاة وقفة المباشرة والبراء عن النظام القائم.

ولم يعيش جمهور المسلمين حيرة قاتلة إزاء التناقض في حياة بعض الدعاة بين نهج مرسوم وواقع عملي يومي، وبقيت المبادئ المعلقة شرقاً لأن السلوك الذي يحياه الدعاة كان الصورة الصادقة والترجمة العملية للكلمات والشعارات والمبادئ.

(٤) إن الجهاد الإسلامي الذي خاضت غماره الدعوة الإسلامية وكانت رأس الحربة فيه وقذفت فيه بأفلاك أكبادها وضحت فيه بأفقر ما تملك من أبنائها أدى إلى إنضاج نفوس شبابها الباقين على قيد الحياة، وتصفية أرواحهم، وإلى صلاية عودهم، ولذا فإنك تجد فرقاً هاملاً بين نفسية هؤلاء الشباب الذين تتردد أسماؤهم على جميع الشفاه كسياف وحكمت يار ورياني وخالص، أقول: هنالك فرق كبير بين نفسية هؤلاء الدعاة عام ١٩٧٥ ونفسياتهم عام ١٩٨٨، بعد أن أمضوا مرحلة تساوي المرحلة المكية تماماً -ثلاثة عشر عاماً- في أتون القتال وبين حجري الرمح، وأصبحت كبرى المشاكل في أعينهم جد صغيرة.

إذا اعتاد الفتي خوض المنايا فأمين ما يمر به الوحول

(٥) إن الحركة التي عركت أبناء الحركة الإسلامية اضطرتهم أن يعيشوا مع جميع طبقات الشعب (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخبرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير) الآية (٢٢) فاطر، وذلك لأن الشعب كله اختلط سيوفه منافحاً عن عرضه ومكافحاً عن دينه وكل واحد يقول:

فالموت أعذر لي والصبر أجعل بي والبر أوسع والدنيا لمن غلبا

واضطرارهم للحياة مع جميع طبقات الناس من مغرط ومقصر ومخطئ ومتعثر وصادق وملتزم أعطاهم من التجربة والخبرة والحكمة من خلال المعاناة المبررة في رفع المستويات، ومحاولة إيجاد التناسق بين هذه المستويات المتباينة التي تعيش في قاعدة واحدة، وتواجه عدواً واحداً خلال عشر سنوات متواصلة في حياة واحدة تحت ظل سقف واحد تجمعهم مائدة واحدة ويتحركون حركة واحدة كأنهم جسد واحد.

بينما الدعوات الإسلامية في كثير من أقطار العالم الإسلامي تعيش في مجتمعات خاصة نظيفة لا تلتقي مع سائر طبقات الناس الإيمانية إلا في المحافل والفتوات والخطب والاجتماعات.

(٦) والمشاكل التي كانت تواجه القادة عبر هذه السنين أعطتهم مراساً للحكم، وهذه الممارسة للحكم والدراسة على القيادة السياسية والعسكرية لم تكن من خلال صفحات الكتب فسوق مقاعد الدراسة في كليات الإدارة، بل كانت خبرة عملية أورت نضجاً سياسياً وعمقاً في النظر فرضتها -بقدر الله- الأحداث الضخمة والعقبات الشاقة التي تواجههم على صعيد الواقع.

ولذا فلو أخذنا كمثال: أحمد شاه مسعود، أو المهندس بشير أو الشيخ جلال الدين.. كل واحد من هؤلاء مفروض عليه أن يجد

١- فتح الباري ٧/٢٦ (٢٦) برقم (٤٠٨٢).

حلاً لمشاكل الاجتماعية، ولتضياع الجفاف التي تعض المنطقة بذيها، وعيه أن يوجد حلاً لقضايا الجراح التي لا تكف عن التزايد، ومشاكل الأيتام والأرامل، ولابد أن يبحث عن وسيلة لإيجاد مخرج لمئات الألوف من الأولاد الذين لا يعرفون القراءة، فلا جرم أنه مضطراً لفتح بعض المدارس ولو في كهوف الجبال أو تحت الشجر.

فكل واحد منهم إنما هو حكومة قائمة بذاتها: فهو كرئيس الوزراء، وفي نفس الوقت فهو وزير الصحة والتربية والتعليم والدفاع والشؤون الاجتماعية والزراعة والإعلام والإرشاد.

وقد سألتني بعضهم: أو تظن أن الأفغان يستطيعون إقامة دولة إسلامية بأنفسهم؟

والجواب كما مر: أن القادة قد تفرسوا على الحكم خلال فترة الحياة بين فكي الموت، وإذا كان بعض العسكري قد وصلوا إلى الحكم من خلال البيان الأول في الدول العسكرية الثورية، دون أن يعرف عنه سابقة حكم، ولا صبغة إسلامية، ولا نشأة حركية، ولا ذكاء ملموساً، ولا خلقاً أسراً أخذاً، أفلا يستطيع هؤلاء القادة الحكم؟! وبعد هذه المسيرة الطويلة من تربية عميقة نظيفة في ظلال القرآن إلى فارس يمتطي صهوات العتاق المذاكي إلى قائد يفقد أبناءه الذين تربوا على يديه الواحد تلو الآخر يتجرع القصاص ويتلوى بالآلام ويدفن قلبه مع كل شهيد؟

تاموس وقانون إنشاء المجتمع المسلم :

إن القانون الإلهي لإنشاء دين الله في الأرض وإقامة المجتمع الإسلامي يكون في خطوات:

- ١- أولها قيام رجل يدعو إلى توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، ثم يتجمع الناس حوله.
 - ٢- تقوم الجاهلية في وجه هذا المصلح تدافع عن مصالحها بكل ما أوتيت من قوة، وتلقي بخيلها ورجلها، وتدفع بثقلها لإجهاض هذا العمل المبارك، وفي الطريق يسقط من يسقط، ويثبت الله من يثبت، يتحمل الإيذاء والاضطهاد والتشريد والسجن.
 - ٣- تقوم الدعوة الإسلامية بنور الصاعق الذي يفجر طاقات الشعب، ويقوم جهاد طويل تكون الدعوة فيه موجهاً وقائداً ومشعلاً للفتيل، ويقدم الشعب المسلم الوقود لهذه المعركة الطاحنة الطويلة.
 - ٤- وبعد الجهاد الطويل تفقد الحركة الإسلامية معظم أبنائها، ويبقى قسم منها يضمن الله بهم عن الموت، وهؤلاء هم الذين يضع الله بين أيديهم مقاييد الحكم بعد أن أصبحوا أمناء على الدماء والأعراض والأموال.
- هكذا قام هذا الدين أول مرة، وهكذا يقوم في كل مرة.
- ولا يجوز أبداً لأبناء الدعوة الإسلامية أن يزهدوا في الحكم بعد النصر، فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار: منهم الخليفة، ومنهم الوزراء، ومنهم مجلس الشورى، ومنهم القادة والقضاة، وأمراء الولايات وخزنة بيت المال.
- وإن شاء الله فنحن على أبواب دولة إسلامية قامت على رؤوس الرماح، وإزاء رؤيتها ننشد وحق لنا أن ننشد:
- حتى رجعتُ وأقلامي قوائِل لي الحكم للسيف ليس الحكم للقلم

الطريق إلى "طالقان" *

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

من قرية على مقربة من بنجشير أكتب إليكم، بعد رحلة شعرنا فيها بالبركة والراحة والتيسير الكبير بفضل الله العلي الكبير، وبصحبة الأستاذ رباني الذي كان نعم الصاحب والرفيق والأخ الشقيق.

وقد انطلقت القافلة يوم الخميس الماضي ١٩٨٨/٩/٨ من "شترال" بالسيارات، وبتنا في "جرم جشما"، وانطلقنا صباح الجمعة من "جرم جشما" إلى الحدود، واجتازنا الحدود، وقضينا يوم الجمعة في معسكر صغير، وكان يصاحبنا الأخ الحبيب أبو إبراهيم، ويوم السبت تسلقنا الجبل الأول الذي يعترض طريقنا واسمه ديوانا بابا (الجبل المجنون)، وقد مكثنا في تسلقه والنزول منه حوالي خمس

* نشر في مجلة الجهاد - العدد الثامن والأربعون - ربيع الأول ١٤١٠ هـ، أكتوبر ١٩٨٨ م

ساعات ونصف، ونزلنا عند رجل مضيايف لكل المجاهدين المارين، وداره تعتبر مضافة لكل مار بهذا الطريق، ومع هذا لا يطمع من المجاهدين بدرهم ولا دينار، ولا تكل أزواجه وأهله عن الطبخ والخبز وتقديم الطعام الذي لا يقل عن الخبز والشاي، فقلت له: يا حاج مزين (أنت مثل حاتم طائي) الذي كان يقول لفلان:

أوقد يا غلام فالليل ليل قر والريح يا غلام ريح صر

إن جلبت ضيفاً فانت حر

فقال لا أطمع من أحد بشيء إلا إذا كتب الله لنا الحج على أيديكم. وبقنا أسفل الجبل الثاني الذي يعترض القادم إلى الشمال اسمه "كافر كوتل"، وقد أطلق عليه الأستاذ رباني "مجاهد كوتل"، وهو يرتفع أكثر من أربعة آلاف متر فوق سطح البحر، وقد استغرق تسلقه (سبع ساعات ونصف)، ولا يستطيع أن يتسلقه حصان ولا بغل إلا إذا كان خالياً من راكبه، وفوق قمة الجبل جلسنا ووجه الأستاذ رباني كلمة للمجاهدين.

ثم بدأنا ننحدر من قمة الجبل إلى السفح، وقد استغرق نزولنا الجبل قرابة ثلاث ساعات، وهذا الجبل هو الفاصل بين نورستان وبخشان، وفي خضم الجبل توجد ثلاث طائرات منها طائرة لا تزال تحتفظ بجديتها وألاتها ولم يأكلها الصدا بعد، وفي غابة صغيرة رأينا المجاهدين الذين يرتدون الالبسة الخاصة (أردية الجيش وبأحذية ذات نوع واحد) وقفوا في انتظارنا واستقبالنا، وكانت هذه المجموعة المتقدمة عبارة عن سرية متقدمة لأمنيات الطريق وتأمين المبيت في هذا المكان، وبقنا في وسط هذه الغابة التي تسطح سبرات رياحها الوجوه، وتذرع نسماتها القارسة الأعصاب، وقد تناولنا طعام العشاء من لحوم الطباء (الفرلان)، وكانوا قد اصطنعوا لنا مجموعة من الفرلان، وفي الصباح غادرتنا وسرنا حتى زالت الشمس وشارفت الساعة الثانية ظهراً، وإذا بأخوين عربيين (أبي طه العراقي - شقيق ياسين وأبي أيوب - والثاني الأخ يونس المصري)، وكان لقاءً حاراً وعناقاً يعبر عن أخوة عميقة وأشواق دفينة لم يتمالك أبو طه نفسه حتى فاضت العبرات وسالت الدموع على الوجه سيلاً.

قال أبو طه: نحن عائدان إلى باكستان، ولكن قدومكم جعلنا نغير خطتنا، فلابد من مرافقتكم بضعة أيام حتى نقوم ببعض الخدمة، وكانا مستأجرين لفرس معها صاحبها، وفرس آخر لهما خاصة -ملكاً لهما-، فسرّحنا صاحب الفرس ودفعنا له الأجرة ثم عادا أدراجهما يرافقتنا هذه الرحلة، وأخبرنا أبو طه: إن الأمير على بعد ساعة، وكلمة الأمير إذا أطلقت في جهة الشمال فإنما تعني أحمد شاه مسعود.

وبعد قليل وإذا بمسعود وأرينبور ونجم الدين ينتظران على ثلة، وترجل الأستاذ رباني وترجلنا، وكان عناقاً حاراً بيننا وبين هؤلاء القادة الثلاثة، ووقفت وكأنني لأول مرة أرى الجهاد أمام سرية تعددها مائة مجاهد منظمة واقفة في طابورين عسكريين بأسلحتهم، نوي بزة عسكرية متشابهة بوقفة تنم عن العزة، وتحيي في أعماق النفس الاقتدار بهذا الدين الذي يضمنا، وبهذه القيم التي تجمعنا وتحت راية لا إله إلا الله التي تلفتنا.

سالت من الغاب الشبول غلابها لبن اللبابة وماج عرق الضيفم

لينم أبو الأشبال مله جفونسه ليس الشبول عن العرين بنوم

وتقدم قائد السرية وألقى التحية العسكرية للأستاذ رباني، وتكلم الأستاذ أرينبور كلمة حيا فيها القادمين، ثم تكلم الأستاذ رباني كلمة طويلة، وقدمني وتكلمت عن دور الجهاد الأفغاني في صناعة التاريخ الإسلامي من جديد، وكان لقاءً تاريخياً ودوى في التكبير وعلا فيه الهتاف، وأما أحمد شاه مسعود فلم يتكلم سوى أنه أشار إلى أرينبور بأن يتكلم، ثم ركبنا الجرد الأبابيل من العناق المذاكي، وانسابت بنا الخيول متوجهة إلى قاعدة (كران ومنجان)، وعلى الطريق كان أحمد شاه يتكلم مع رباني وعبد الله أنس بترجم لي ونحن نمططي سهوات الجياد.

خيول لا تضاع إذا أضيعت خيول الناس في السنة الجماد

ينازعن الأعنة مضيعات إذا نادى إلى الفرع المنادي

فقلت للشيخ رباني مازحاً، قل لمسعود أين ذهب لحكم (فما هو إلا الجلد والروح والعظم)، ثم قلت له بيت المتنبي:

كنى بجسمي تحولاً أنفي رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني

فابشسم وتكلم مشيراً لعبد الله أنس: لقد قلت له (لعبد الله أنس) إذا رجعت وحدك قلن نسمح لك بدخول "بنشير"، وعبد الله

أنس له مكنة مرموقة في قلب أحمد شاه وفي نفوس أتباعه، وكان عبد الله أنس إذا ظهر بين المجاهدين أشارت إليه الأصابع وبدأت الألسنة تردد اسمه، وهو شخصية إسلامية متوازنة توأفق واسع، يجد مدخله إلى قلوب مستمعيه، ويختلس أفئدة المحييين به، ويأخذ باباب الذين يصفون إلى كلامه، وطوبىنا ليلتنا في "كران ومنجان"، وفي الصباح خرجنا على الخيول، وبدأ أحمد شاه يشرح لنا عملية احتلال كران ومنجان.

فقال : لقد كان الفتح كرامة ريانة قبل كل شيء. ثم بدأ يرينا الجبال التي تسلقها المجاهدون، وتعجب كيف استطاع المجاهدون أن يتسلقوها وهي قائمة تناطح السحاب كأنها جدار أملس، وكما يشدك تصميم هؤلاء وعزيمتهم، وطاقتهم، قال مسعود: لقد تسلقوا هذه الجبال خمس ساعات متواصلة في التسلق وشدة البرد تجعد الأطراف، وبعضهم يحمل البوشكا على ظهره، وآخر مدفع (٧٥)، وثالث مدفع (٨٢)، ولولا أنني كنت أسمعها من فم مسعود لما كنت أصدق أن طاقة البشر تستطيع القيام بهذا العبء الثقيل. وتحمل هذا العناء وتطيق هذا البلاء، وقال مسعود: لقد كنت لا أستطيع أن أضغط على اللاسلكي لشدة البرد حتى أتكلم فيه، ونفذ الطعام، وطلب مسعود من أرينبور أية قطعة خبز أو حبة من الحلوى فلم يجد، ومع أن الحصون التي كان يقبع بها الأعداء جد منيعة لا يخترقها رصاص ولا قذائف، وهي ممتدة على طول خمسة كيلومترات إلا أن الله قذف في قلوبهم الرعب (سئلني في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وما أوهم النار وبئس مولى الظالمين) الآية (١٥١) العنبر.

واقترح المجاهدون على الكفار حصونهم، وكانت مقاومة شرسة، وانقضوا عليهم كالصواعق:

همام إذا ما فارق القمد سيفه وعائنته لم تدرا أيهما النصل

ولم تمض سوى ساعتان إلا ربعا حتى استسلمت جميع المراكز

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهماً بها صبا

فحب الجبان النفس أوردته النفس وحب الشجاع النفس أوردته الحربا

والحق أنك لا تدرك الصعوبات التي يواجهها هؤلاء الأبطال في عملياتهم وفتوحاتهم إلا رأيت تقف فوق أمثال هذه الأرض، وإنك لتدرك البون الشاسع في الاستعداد العسكري والطاقة والتنظيم عندما ترى هذه المنطقة (علاقة داري: كران ومنجان) تنهوى خلال أقل من ساعتين تحت ضربات المجاهدين، وتقارن بينها وبين قنعة (تشاواني) التي مكثت متمردة شامخة أمام جموع المجاهدين خمس سنوات، مع أنه لا مقارنة بين تحصينات تشاواني وبين كران ومنجان، وبذلك الأمر عندما تعلم أن الجبال التي تسلقوها كانت مغطاة بالثلوج، قال أرينبور: لقد أكرمنا الله بالضباب نزحفت تحته مع أن السماء كانت صافية.

وأما أرينبور فتعجب لتواضعه أحد الخدم، لا يجلس إلا في طرف المجلس، مع أنه فتح مدينة (كشم) قبل أيام فترك الجرحى وجاء لاستقبالنا، وقد كان فتح "كشم" آية من آيات الله، و"كشم" محصنة أكثر من "كران ومنجان"، وقد كان فيها عشرون مركزاً محصناً حول المدينة وفيها مطار محصن تحصيناً كبيراً، وكل خنادقه تحت الأرض، وقد كان قائد الشيوعيين (عبد الرزاق) يقول عن مركزه المحصن في مدخل المدينة، (إذا استطاع المجاهدون أن يقتحموا حصني هذا فلا شك أنهم يستطيعون فتح كابل)، والحمد لله (لقد أذل الله الكفار: فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقل في قلوبهم الرعب) الآية (٢) الحشر.

ولقد فتح الله "كشم" على يد أرينبور وولى عليها أحد أتباعه وجاء لمصاحبتنا ومرافقتنا.

شخصية أرينبور:

يعتبر هذا القائد أحد أبناء الحركة الإسلامية الأوائل في أفغانستان، ويعد الدعاة أستاذهم ومربيهم، بل يعتبر الآن مفكراً من مفكري الدعوة الإسلامية. ويعتبر الشخص الثاني بعد مسعود في المناطق الشمالية، ويميزه تواضع جم وأدب رفيع عدا ما يذكر عنه من الزهد والعبادة والنوافل.

دخول كشم: واحتل المجاهدون كشم وكانهم جيش منظم، وذلك لأن الإمارة واحدة في الفتح، ولم يشترك مع أرينبور سوى مجموعة (سرية) من الحزب الإسلامي يقودهم (علاء محمد) الرجل الذي يشار إلى طيبه بالبنان، ويثني على اعتداله واتزانه كل لسان.

فداء محمد وسرية البخاريين:

وسرية فداء محمد من أبناء بخارى الذين هاجر آباؤهم من بخارى قبل ستين سنة، وهم يعدون أنفسهم ويربون أرواحهم لاسترداد بخارى الذي يعتبرونه أهم فروض الأعيان. ومن بين أفراد السرية يلفت نظرك غلامان صغيران أحدهما فيض الله محمد (١١ سنة) ونور الله محمد (١٠ سنوات).

قال يونس المصري: قبل فتح كشم سألت نور الله: إلى أين ياتون؟ فقال: أنا ذاهب لأقطع شجرة الخلقين (الشيوعيين) من جذورها وأقطع بذرتهم.

وأما فيض الله الذي كان يخوض المعركة حافياً فكل ما يحلم به بعد الفتح أن يجد حذاء جديداً يلبسه كما قال أبو طه. وغلام ثالث اسمه خدايداد (عطاء الله) ١٦ عاماً فقد أطلق سبعين قذيفة (آر. بي. جي) على المركز الذي دخلوه مع أبي طه وكان أول المقتحمين على الشيوعيين حصونهم.

في قرية أبي:

وفي هذه القرية قرب بنجشير ضمتنا جلسة ممتعة مع الإخوة رباني ومسعود وأرينبور. وبدأ مسعود يتكلم عن معدن اللازورد الذي يستخرج من الجبال المحيطة، فإنه يستخرج من الجبال المحيطة ثلاثمائة وخمسون طناً سنوياً ومعدل ثمن الكيلو الواحد ٢٠ دولاراً، أي أن نخل اللازورد حوالي سبعة ملايين دولار سنوياً. أما الزمرد الأخضر: فهو من الجواهر الكريمة، وقد بيع قدر الأصبع منه في هذا العام بمليونين ونصف المليون من الدولارات.

إمكانيات أفغانستان:

قال رباني: إنها تزخر بالمعادن: البترول، والغاز في جوزجان، واليورانيوم في قندهار، والحديد في باميان وبامكان أفغانستان الاكتفاء الذاتي بالقمح والأرز والسكر.

قال أرينبور: إن أزممتنا هي أزمة الرجال من الدعاة الذين يحملون أعباء الحكم الإسلامي، فأجبت: إن في العالم الإسلامي طاقات كثيرة سواء من أبناء الدعوات أو من المسلمين الملتزمين، وبإمكانكم بعد أن تمسكوا بزمam الحكم وتمسكوا بعقود القيادة في أفغانستان أن تستعينوا بهذه الطاقات الضخمة شبه المعطلة في العالم العربي والأدغة المهاجرة في أمريكا وأوروبا.

إن الخطوة الأولى أن تطيحوا بالحكم في كابل، وعساه أن يكون قريباً، وبعد هذا فالأمر سهل - بإذن الله -.

وإن الذي أعانكم على خوض هذا المضمار المضطرب باللهيب خلال عشر سنوات وقد اجتزتم هذا الخضم المتلاطم من الصعاب والمشاكل والعقبات، هو سبحانه قادر على أن يعينكم في إرساء قواعد الحكم الإسلامي في ربوع أفغانستان (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الآية (٢١) يوسف.

قلت لمسعود: نريد أن نخوض معكم عملية افتتاح إحدى المدن أو المراكز الكبيرة. فرد أرينبور: إن حياتك ليست ملكاً لك ولا لأفغانستان، إنما هي للامة الإسلامية جميعاً، فأجبت: (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً) الآية (٦٤) آل عمران.

وردت:

أي يومي من الموت أهر يوم لا قدر أم يوم قدر

يوم لا قدر لا أرهبه ومن القدور لا ينجو الحذر

وأضفت قاتلاً: إن كثيراً من الدعاة كانت شهادتهم أفضل للدعوة وللإسلام من حياتهم:

ففي القتل لأجيال حياة وفي الأسرى فدى لهم وعق

والحرية الحمراء بساب بكل يد مضرجة يمدق

ثم ذكرت قصة استشهاد سيد قطب وكيف كانت دفعة قوية للدعوة الإسلامية في العالم، وهزة عنيفة أيقظت الكثيرين من

المسلمين من سيئاتهم، وكانت بداية للنسجوة الإسلامية التي أصبحت ضامرة في الربع الأخير من هذا القرن. وأضفت قاتلاً: إن تفسير في خلال القرآن لم يطبع في حياة سيد سوى مرة واحدة، ولكن في السنة الأولى بعد استشهاد طبع سبع طبعات.

فعقب أحمد شاه قاتلاً: إن كان لديك وقت ففي مخططنا سلسلة عمليات، ونحن ننتقل وإياك في السيارة، فقلت: إن شاء الله أمشي أو أكثر.

قال الشيخ رباني: نحن هنا جنود عندكم فلا نأمركم بشيء. فقلت: تعرض رغبتنا بالقتال ونحن نلتزم بالأوامر ونأمل من الله أن يبرز لنا الشهادة في سبيله.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

البطل بجثة شيوعي*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

يشهد الحزب الشيوعي الأفغاني حالة من الهزال والاحتضار، يعد فيها أيامه ليلفظ أنفاسه الأخيرة.

ولم أشهد في حياتي حالة من الذل والهوان والحقارة يحياها حزب حاكم مثلما يعيش الحزب الشيوعي الأفغاني في هذه الأيام بشقيه (برشم وخلق)، وبرشم هو الجناح الشيوعي الذي أسسه بابر كاركمل، وخلق هو الجناح الآخر الذي أسسه محمد نورترقي. ومن المعلوم أن الرئيس (نجيب) هو أحد أعضاء برشم.

وقد كتب الله لي ليلة أمس أن ألتقي بمجموعة من القادة حول كابل في مناطق "قره باغ" و"استالف" و"شكردره" في بيت يقع في خطم أحد الجبال التي كانت مسرحاً لأحداث صنعت التاريخ الإسلامي الحديث. وذلك في منطقة "بارنده" التي تقع في أحضانها قرية "جكدك" مسقط رأس أحمد شاه مسعود والقائد مسلم، وقرية "مالا صبا" وهما جد متجاورتين، وما بينهما من أكرام الحديد والآليات وعجلات المدرعات وجنازير الدبابات T55, T62 مما خلفته المعارك في سنتي ١٩٨٦ و١٩٨٧، وما لم يستطع الروس أن يسحبوه لتعذر ذلك عليهم تحت حمم المجاهدين المتساقطة عليهم من الجبال المتجاورة، والذين تقذف بهم التلال وقمم الجبال في ساعة الشدة، ما يحسبهم أعداء الله ضرباً من الجن قد انشقت عنهم القمم وألقت بهم السفوح، وفي لحظات خاطفة يجرون عملياتهم ثم يختفون في لمح البصر كأنما انشقت الأرض وابتلعتهم وكأن لم تكن الساحة قبل ساعة يبشر.

كأن لم يكن بين الجبال أو الغضى أنيس ولم يبرز بها أي ضيف

التقيت بهم وبدأوا يتحدثون بوقائع تحسبها ضرباً من المزاج أو نوعاً من المجاز لتقريب الصورة إلى ذهن السامع، وليست حقائق تجري أحداثاً يومية في الساحة الواسعة حول كابل التي طالما تفتت بالشيوعية وبوت أرجاها بشماراتها.

التقيت بالقادة محمد أنور والقاري محب الرحمن وأمير صوفي رسول من استالف وقره باغ، وسلطان محمد من بگرام، وجمعة خان من كوشي وأختر محمد قائد في شكردره فطلبت منهم أن يحدثوا عما جرى على أيديهم أو رأوه بأن أعينهم، وكان البيت مستلماً بالقادة والمجاهدين، وكان الأستاذ رباني وعبد الله أنس بين الحاضرين.

وقد ذكرتهم بالله أكثر من مرة وقلت لهم: نحن ننقل إلى العالم الإسلامي وأنتم مسؤولون عن كل كلمة بين يدي الله غداً، فافتتح الحديث أختر محمد باللغة الفارسية مع أنه يستطيع أن يتتبع بالعربية ويتكلم بها بصعوبة بالغة. وكان يتناوب الترجمة الشيخ رباني والأخ عبد الله أنس.

قال أختر محمد: كان الروس قبل عدة أعوام يقولون للشيوعيين الأفغان أفغانستان إما أن تحكمها أو يحكمها الباسماش (الأشرار) الذين يعيشون في الجبال - يعنون المجاهدين -، أما أنتم فلن تستطيعوا أن تثبتوا أقدامكم فيها.

وقد جاء الزمن بمصداق ما كان الروس يريدونه. فمض أن أعلن "غورييتشوف" عن موعد انسحاب الروس حتى الآن والروس الذين في أفغانستان لا تكاد الدنيا تسعهم فرحاً وغبطة وهم يعدون الأيام التي يقطعونها حتى يأتي موعد خروجهم، وهم يتصلون

* - نشر في مجلة الجهاد - العدد التاسع والاربعون - ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ ديسمبر ١٩٨٨ م.

بالمجاهدين قائلين لهم: نحن في هذه الأيام خسيوف عليكم فدعونا ودونكم بني جلدتكم .

بل أخذ الروس يتسللون بمرأى الشيوعيين الأفغان يقانون إلى الموت على أيدي المجاهدين، ويرون في هذا تنقيساً لأحقاد حبيسة وآلام عميقة وجراحات غائرة خلقتها في مسارب نفوسهم هذه المجازر التي شهدوها ، وكانت شتاً للامجاد الشيوعية التي كان يحلم بها أمثال تراقي وحفيظ الله أمين وكارمل ونجيب، ثم تبدت سراباً للناظر أو سحابة صيف عن قليل تقشع .

لقد شعر الروس أنهم خدعوا من قبل الحزب الشيوعي الأفغاني إذ صوّروا لهم أن أفغانستان طعم سنانغ وصيد ثمين فيما لو تخطت أقدام الجيش الأحمر نهر جيحون (أموداريا)، فانزلقت أقدام الدب الأحمر الذي تحطم على صخرة المقاومة الإسلامية التي تفجرت في أعماق هذا الشعب الأبوي المسلم .

حدثني أحمد شاه مسعود قال : لقد عرض على الروس سنة ١٩٨٢ هدنة مؤقتة لمدة ستة أشهر ، وجاء الدبلوماسي الروسي وجلس مع عدة ليال، وفي الليلة الثالثة وإذا بالكلام بنساب على لسانه بنفس فيه عن آلام حبيسة في صدره فقال :

(أنت لا تعلم الحالة النفسية التي نعيشها ، لقد أدخلنا "بريجنيف" الأحق هذه الأزمة الخائقة والدوامة العنيفة التي لا نعلم لها حلاً . إننا نشعر كأننا مقيدون بالأغلال ونبحث عن طريقة فك هذه القيود) ، ثم قال مسعود: (وهممت أن أسجل هذا الكلام في ليلة لأجفة ولكنني رأيت أن علو النفس تأنى عليّ استعمال هذه الأساليب الخسيسة وترفض هذه الوسائل الدنيئة)، وكان مير داد المسؤول الشيوعي البنجشير في الجلسة فأنشأ إليه الروسي قائلاً : إن هؤلاء - باتمي الوطن - يتحملون كل النتائج، والآن أن الأوان أن ينفسوا عما في صدورهم من آلام وأحقاد تجاه هذه الطغمة الشيوعية التي باعت بلادها واستقدمتهم ليكونوا ضحية على مذابح أهواء نجيب وكارمل، وقدموا من الضحايا حسب اعتراف الناطق الرسمي ما يقارب خمسين ألفاً بين جريح وقتيل، ودعك عن الطائرات المحطمة التي بلغت حسب إحصائيات الدوائر الرسمية الأمريكية والباكستانية من خلال أجهزة التنصت والأقمار الصناعية في التقرير الأخير في شهر أغسطس سنة ١٩٨٨م ألفين وثمانين طائرة، ومثلها تقريباً من الطائرات المستهلكة، وسبعة عشر ألف دبابة ومدعة وإحدى وعشرين ألف ناقلة ، ولا تسأل عن الأموال التي أنفقت وذهبت أدراج الرياح .

يحدث أختر محمد ويؤمن القادة على صحة كلامه فيقول : لقد وصلت التسعيرة الأخيرة للحزب الشيوعي الأفغاني عند الروس في الأيام الأخيرة كالتالي :

(١) القادة الكبار الذين يشكلون جهاز المخابرات (خاد) ثلاثة آلاف روبية أفغانية (خمس عشرة دولاراً).

(٢) القادة الصغار : ألفا روبية أفغانية (عشرة دولارات) .

(٣) الجنود الشيوعيون : خمسمائة إلى ألف روبية (دولاران ونصف إلى خمسة دولارات).

فإذا كان ثمن البغل في أفغانستان يساوي خمسين ألف روبية أفغانية، فهذا يعني أن (البغل بمائة شيوعي) .

قال أختر محمد : ففي الأيام الأخيرة كانت (بوسته : مركز) للشيوعيين الأفغان اسمها بوسته (حسين)، وكانت تؤذي المجاهدين كثيراً، فذهب المجاهدون إلى الروس لشراء المركز الأفغاني، فطلب الروس ثمانين ألف روبية (أربعمائة دولار) فلم يتفقوا. وفي اليوم التالي ذهبت مجموعة أخرى من المجاهدين وقدمت للقائد الروسي (مسجلاً وثلاثة أحزمة وسط) فتقدم الروس بالدبابة ودكوا المركز بمدافعهم ، ثم تقدم المجاهدون وقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا وغنموا ١٢ "كلاشنكوف" و"بوشكا" (سلاحاً ثقيلًا) ولاسلكي وعاد المجاهدون يحملون الغنائم والروس يهتفون : زنده باد مجاهدون (يعيش المجاهدون) .

وحدث لال محمد قائلاً : في قرية (توتم دارة / غوريند) باع الروس للمجاهدين شاحنة قادمة للحكومة الأفغانية مليئة بالملابس والفحم الحجري بصندوقين من العنب .

حدث "سيد ظفر" قائد "سالانج" فقال: قال لنا الروس : دعونا وحالنا وشأنكم مع بني قومكم من الشيوعيين ، خذوا من السيارات من الطريق العام ما تشاءون .

وحدث أختر محمد قائلاً : لقد اشتريت أكثر من عشرين مرة أنا والمجاهدون مراكز شيوعية بمسجل، ويتقدم الروس يدعون

البوطة بالدبابة فيدكون المركز ونحن نركب معهم، ثم نتقدم وتأخذ الفئانم والروس يهتفون لنا: (يعيش المجاهدون).
وكم من مركز للشيوعيين باعه الروس بثلاث دجاجات أو شاة !!

بيع الطريق العام :

وحدث أختر محمد والقادة يؤمنون أن الروس يضمنون الطريق العام (يبيعون ما يمر فيه من السيارات لمدة يوم أو ساعات)
للمجاهدين، وقد اشترى عبد الناصر من الحزب الإسلامي الطريق الوطني (الأوتوستراد العام) بمائة ألف روبية لمدة ساعتين وأخذ
عشرين سيارة .

ويشتري نوريذ وعبد القيوم الطريق العام يومياً - من الروس - بخمسين ألفاً أو ستين ألف روبية (مائتان وخمسون دولاراً).
فيأخذ السيارة بما فيها فإن كانت السيارة للحكومة أخذها وما فيها وإن كانت خاصة وفيها صاحبها أخذ ما فيها وأعطى السائق
ورقة أنه أخذت حمولتها، فيأتي السائق بالورقة التي أمضاها قائد المجاهدين فتعطيه الدولة الشيوعية أجرة سيارته .

قال أختر محمد : وقد اشتركت مع بعض المجاهدين في شراء الطريق العام ذات يوم، ولكن وللأسف كانت السيارة التي
أخذناها محملة بالإسمنت فحزنا لذلك .

موقف الحكومة الشيوعية :

وقد أصبح موقف الحكومة (نجيب) والحزب الشيوعي جد هزيل، فصارت تتظاهر بالإسلام، وفتحت باب التجارة الخارجية
لتجار على مصراعيه، فأضحت كابل سوقاً دولية للبضاعة العالمية، فنجد في أسواقها البضاعة الغربية والشرقية على السواء،
ففيها الصناعات اليابانية والبريطانية والكورية والصينية والروسية، وقلماً تتفقد سلعة إلا وتجدها في أسواقها مع أنها بولة اشتراكية
تقف دون التوسع الاستهلاكي، وتحول دون التجارة الخارجية إلا في أضيق الأطر، وما ذلك إلا لتخفف على الناس من آلام المعاناة
وتنسبهم الواقع الأليم الذي يحيونه.

وقد ذكرنا من قبل أن نجيباً - رئيس الجمهورية أصدر مرسوماً يقضي بفصل أي موظف يتغيب ثلاثة أيام عن صلاة
الجماعة.

السيطرة على مر سالانج :

واستولى المجاهدون على مر سالانج، وأمسكوا بالزمام، وحطموا في شهر مارس أربعمئة سيارة من بينها عشرون دبابة،
ونقضت المواد الغذائية عن كابل، وأصبحت كابل تثن تحت وطأة الجوع وتقص المواد الغذائية ، فصارت الشاحنات الروسية تفرغ
حمولتها في بولخمري / بفلان وتتصل بالحكومة الشيوعية في كابل حتى تستلم هذه البضائع، ولكن وزارة التموين في كابل تقول :
أنا لا أستطيع أن أرسلها إلى كابل، وتعتذر روسيا عن إيصالها إلى العاصمة، وعندما يعلم المجاهدون بتفريغ الحمولة في بولخمري
ينصلون بوزارة التموين في كابل : لئن أفرغت الشاحنات في بولخمري لن تصلكم شاحنة، فتزد عليهم الوزارة : (نحن نلتزم بما ترون،
اسمحوا لبعضها بالمرور وخذوا بعضها)، هكذا كان يحدث الكومندان عبد البصير قائد من سالانج ونحن نصفي إليهم
مندهشين متعجبين . وهذا الوضع جعل الناس في كابل يصرخون في وجه الحكومة (إماً أن تؤمنوا لنا العيش وإما أن تسلموا البلد
لغيركم).

حصار السنين بالنسبة للشيوعية :

وهكذا عاد الحزب الشيوعي يجني حصاد السنين، فلا رضي عنه سيده الحاكم في الكرملين [كمثل الشيطان إذ قال للإنسان
أكثر فلما كفر قال أنه برئ منك إني أخاف الله رب العالمين] الآية (١٦) الحشر، ولا رضي عنه الجيش الذي يعتبر أن الشيوعية هي
الدمار وسفك الدماء وانتهاك الأعراض وتدمير المساجد .

وحيثما سرح الفلاح الأفغاني العادي نظره يجد أن المنسي التي تفرح المجتمع بأسره ليس لها إلا سبب واحد وهو الشيوعية
(برشم وخلق).

فقد كان الأفغاني قبل سني حكم الشيوعية إذا تراسى إلى مسامعه كلمة كفر ينصرف ذهنه إلى اليهود والنصارى والمجوس والهندوس . وما كان يدور بخلده أن الشباب الذين كانوا يملأون جنبات كابل دويماً وصراخاً أثناء المظاهرات ممن يعتقدون الفكر الشيوعي هؤلاء من الكفار، وأما الآن فإذا أطلقت كلمة الكفر فلا ينصرف ذهنه إلا إلى برشم وخلق .

إن الأفغاني يتلفت حوله ليتفقد والده فيتذكر أن تراقي الشيوعي هو الذي دفنه حياً، وأما أمه فقد دفنت تحت ركام البيت أيام حفيظ الله أمين . وأما إخوانه فقد استشهدوا أيام كارمل . وهذه ابنته التي شوهت بالنابالم، وهذا ابنه الذي شل بشظية من الشظايا . كل هذا يغرس في أعماقه احقاداً على الشيوعية الكافرة لا يتفلسفها إلا الانتقام، ولذا فإذا من الله على أفغانستان بالحكم الإسلامي ووقف الحاكم الإسلامي في كابل ليقول اذهبوا فأنتم الطلقاء . فإن هذا لن يؤمن الشيوعيين على دمايتهم، ولن يحفظ لهم أرواحهم ، لأن كل أفغاني موتور على هؤلاء يريد أن ينفس عن مأساه بالانتقام من قاتل أبيه . ولذا وكما أظن: لن يبقى شيوعي واحد حياً في داخل أفغانستان .

وكما قال الشيخ يونس خالص (نحن الأفغان إن أخذنا بثأرنا بعد مئة سنة نكون قد استعجلنا) .

الحقيقة المرة :

والشيوعيون يدركون هذه الحقيقة أنه لم يعد لهم بقاء في داخل أفغانستان، وأصبحت الحياة شبه مستحيلة بالنسبة لهم خاصة وحكمهم يلفظ أنفاسه محتضراً على فراش الموت .

ولذا فقد أصدر مجلس الوزراء الشيوعي أخيراً قراراً يسمح لكل مواطن أن يأخذ جواز سفر يمنحه حرية التنقل والخروج، وتتوالى الأنباء عن طوابير الشيوعيين المصحفة بأية دائرة للجوازات كل يريد أن يفر بروحه من هذا البلد الذي أغرقه بالدماء وفرشه بالأشلاء . وأخذ الشيوعيون يصفون أملاكهم ويحاولون أن يحصلوا على مبلغ من العملة الصعبة يؤمن لهم بقية حياتهم في دولة من دول أوروبا الشرقية .

محاولة يائسة :

وتقدم مجلس الوزراء بطلب إلى السيدة الحاكمة روسيا أن تتدخل في سحب قواتها من أفغانستان، ويلتمسون بكل وسيلة ذليلة لها أن تحفظ لهم بقية حكمهم المهترئ المترنح .

وقدم الطلب إلى وزير الخارجية السوفييتي "شيفرنادزه" فيرفض أن يتسلم الورقة بيده .

وهكذا وقف الشيوعيون يتجرعون غصص حصاد عقد ونصف من الزمن ، فيقفون أمام روسيا ناكسي رؤوسهم خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي . والسادة الروس الذين في أفغانستان يطلقون عليهم (وطن فروش : بائعي الوطن)، ومن جهة أخرى أمام شعب يتلمظ غيظاً وغضباً ينتظر الساعة التي ينقض فيها عليهم ليبيد خضراهم ويهلك حرثهم ويحجثهم من الجذور .

والحق أن الشيوعيين الأفغان فشلوا في بيع أفغانستان للروس فباعهم الروس للمجاهدين.

ولم أر الآية الكريمة: { لنذيقهم عذاب الحزني في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أحرزى وهم لا ينصرون } الآية (١٦) فصلت. متمثلة في مجموعة أكثر منها في الحزب الشيوعي الأفغاني في هذه الأيام .

وما أجمل ما يقوله أبو الطيب فيهم :

ذلّ من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام

وصدق الله العظيم : { ... ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار } الآية (٢) الحشر.

مسيرة متدني جفن الردي *

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فنحن الآن على أبواب عام عاشر منذ الدخول الروسي إلى أرض أبي حنيفة، أما الانقلاب الشيوعي فقد مضى عليه عشر حجج ونيف، وقد كتب الله لي أن أواكب هذه المسيرة المريرة على طول هذا الطريق الدامي نيفاً وسبع سنين ذلت في دربها ما لم أذق قط في حياتي، ذلت الحلاوة في مرارتها، واستعذبت العناء في عذابها، وكنت أحس بأن ثقل الأحداث التي تلقي بكلكها على عاتقي تصفي النفس من غواشيتها، وتنضج الروح على حرارة محنتها:

عذابه فيك عذب ويعده فيك قرب

أتيت الجهاد الأفغاني ولم يخط الشيب في عارضتي، ولمهل ما رأيت فقد اشتعل الرأس شيباً، لقد عايشته الجهاد الأفغاني في هذه الفترة يوماً يوماً بأعصابي وقلبي ومشاعري وأحاسيسي، وصرت أردد مع أبي الطيب:

لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي شيئاً تيمسه عيسى ولا جيد

وقد درنا مع الدهر فرأيت من رفع ومن وضع، وكنا نتقلب بين أعطاف نعيم النصر أحياناً، ونتجرع غصص الهزيمة أخرى، صاحبنا فيها المجاهدين من القادة إلى الجند، حتى أصبحت أرواحنا واحدة مفرقة في جسيم كثيرة، والشعب الأفغاني بطبيعته قريب إلى القلب، تهواه الأفتدة، لأنه يحمل في طيات جبلته سجايا قلماً توفرت في شعب آخر، ولم تفسد فطرته سيول المدنية الغربية التي تجرف كل ما يواجهها من قيم، وتتسل ما تلاقيه من مبادئ ومثل.

عرفنا في الشعب نخوته وإيمانه، وعزته وصفائه، وكرمه وحيائه، وغيته ووفائه، رغم أن البعض كان يعتب علينا أحياناً، وبعد أخرى، ولكن محبة هذا الشعب هي السعة البارزة في شفاف القلب طيلة هذا العقد. تجاوزت فيها من سفاسف الأخلاق، لأنني منشغل بالقضية بضخامتها وأهميتها وعلو شأنها في العالم المعاصر (إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها) ^(١).

وكنت إبان هذه الفترة أزداد إعجاباً بهذا الشعب، لأنه رغم الأرزاء الفواحش، والاضاحي التي تقدم لهذا الدين، والذبايح على سفوح الهضاب والصفائح، فإن الإصرار العنيد لا يفارق همته، والعز المجيد لا يفادر لته، ويواصل المسيرة مع القرح، وحدائه طول الطريق المرير {ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين}. الآية (١٣٩) آل عمران

ونشيده في هذه المسيرة المضنية:

أطرح المجد عن كتفي وأطلبه وأترك الغيث في غمدي وأنتجع ^(٢)
والمشرفية لازالت مشرفة فواء كل كريم أو هي الوجع ^(٣)

شعب طحنته المصائب، وصبت عليه النوائب، عاش بين فكي الكماشة، وهصرت تضارة حياته رحي الحرب، في تجاعيد جبينه تقرأ ملاحم الآلام العميقة، وفي قسعات وجهه تلوح التاريخ المعاصر كوثيقة.

لقد كانت المسيرة سفينة أشرعت فوق أبحر الدماء، ومركباً تقاذفته أمواج البلاء، وطريقاً أندأه الدموع والعرق، وزاده الغصص والعناء، ولكن:

هي نفرة كالتني من طابة حطمت هام الطفاة وروي بعدها الظفر
تدافعت وحداها المجد واتزرت بالببيض تسبقها الخطية السمر ^(٤)

وكنت طيلة المسيرة المريرة أرى بعين البصيرة وكئن يد الله تدبر المعركة، وبقيت أحس من أعماقي أن نفرة الله وراء هذا الشعب المسحوق ظلماً.

* - نشر في مجلة الجهاد - العدد الخمسون - جمادي الأولى ١٤٠٩ هـ، يناير ١٩٨٩ م.

(١) وراء الحاكم في المستدرك، وهو في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٧٨) وفي صحيح الجامع برقم (١٨٨٥).

(٢) أنتجع: أطلب الكلا أي كيف أتلى المجد الذي يحفظه لي الجهاد ثم أبحث عنه، وأترك الروع الذي يحفظه لي السيف ثم أبحث عنه.

(٣) المشرفية: السيف.

(٤) الببيض: السيف، الخطية السمر: الزمخ.

القوارع الربانية على روسيا :

أقبلت بخيلها وخيلاتها، وصلفها وكبرياتها، وجبروتها وانتفاخ علياتها، ثم رأيتها باندحارها وصغارها وذلها وهوانها، بعد أن أعادت ضربات المجاهدين فوق هامها الوعي إلى رأسها، ورأيت العد التنازلي للعسكرية السوفياتية بعد أن مزقت شر ممزق في أرض البطولة والفداء.

شاركت المجاهدين بفرحتهم بهلاك "برجنيف"، ثم باندثار "اندرويوف" ثم بطمس "شيرنوكوف"، ثم بذل "غورباتشوف"، ورأيت يد الله وهي تنتقم بقوارع السماء من جنود البلاء وصانعي الشقاء للأبرياء.

رأيت انفجار المفاعل النووي في شيرنوبل الذي أفسدت آثاره كثيراً، ونقصت على أهل أوروبا عيشهم. ورأيت الزلزال الأخير في "أرمينيا" الذي لم تشهد له روسيا نظيراً في كل حقباتها التاريخية، وكان الدمار الذي خلفه والغراب الذي أنتجه مئات الأضعاف من انفجار شيرنوبل، هلك خاتمة ألف، ومات ثلثا سكان العاصمة (لينين كن)، وحمل الزلزال المساكن ثلاثة أقدام وألقاها إلى الجبل فارتطمت به ثم عادت لتخسف بها الأرض، وتشرذ نصف مليون من أرمينيا، وافتتحت روسيا حسابات لجمع التبرعات في كل مكان، وجاءت طائرتان للإغاثة فتحطمتا. وهكذا سخط الله يتسبب، ولعنته تنزل عليهم لأنهم وقفوا أمام ولاية أذربيجان الإسلامية.

رأيت تاجكستان وتركستان الغربية تهتز لأن الحياة قد دبت فيها، والروح سرت في أوصالها بسبب اضطراب روسيا لفتح الجسور مع صنيعتها في كابل، وتسربت الكتب الإسلامية والمصاحف لتقرأها ثراري المسلمين فيرتبطون بدينهم وتاريخهم، ويدخل المجاهدون ويجرون العمليات العسكرية على مشارف بخارى، وتبدأ المظاهرات، ويقتل المئات من تاجكستان، وتضطر تاجكستان أن تبدأ بالأذان باللغة العربية بعد أن غاب هذا الصوت أكثر من نصف قرن، وبدأت الإذاعة تقرأ القرآن وذلك تسكيناً لشعب تاجكستان وإرضاء لمشاعرهم.

الصنم الذي هوى :

رأيت ورقة الشيوعية تحترق في أفغانستان نهائياً بعد أن مرغت في الأوحال وديست بأقدام الأبطال الذين يحلو لي أن أنشد لكل واحد منهم:

تلقاء يقطر سيفه وسنانه وبينان راحته ندى ونجيباً^(٥)

ورأيت الدمار الذي حلّ بالحزب الشيوعي، والتمزق الذي أصابه، والبأس الشديد الذي ألقاه الله بين أفرادهِ يصفي بعضهم بعضاً، ورأيتهم يستجدون رحمة المجاهدين ويستعطفون قاداتهم، رسائل بآبرك ونجيب تتوالى تترى إلى المجاهدين يقولون إليهم أن يجلسوا معهم، وأن يطرحوا أمامهم مشاكلهم، وجند الله يستعملون بإيمانهم، ويأتقون أن ينزلوا مع هؤلاء الأنكاس الانجاس، ورأيت الروس يبيعون الشيوعيين الأفغان كالكلاب التي يقتلها صاحبها إذا كلت أنيابها عن النهش أو عجزت عن الحراسة.

العزة والشموخ :

ورأيت كيف لفتت بطولة الأفغان وعزتهم أنظار العالم إليهم حتى أصبحت قضيتهم أكبر حدث يشغل العالم ومؤسساته. وعاشت الأحداث وراكبت المسيرة ورأيت عزة السلف وشموخهم ممثلة في أبنائهم، فرأيت كيف رفض حكمت بار مقابلة "ريغان"، وكيف واجه سياف بعزة المسلم واستعلائه أرمافكوس - وكيل الخارجية الأمريكية - والصفعات التي وجهها إليه، ورأيت بونس خالص كيف رفض مقابلة كورديز، ورأيت ريانى وهو يرد على روسيا بعزة وإباء في داخل أروقة الأمم المتحدة. وسمعنا رده وهو رافع الرأس ناصع الجبين على غورباتشوف، والنشيد العذب على لسان كل واحد منهم:

وإني لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف أن تسكن اللحم والعظم

(٥) البيان الأصيح، الراحة، الكف، ندى، كرم، نجيب، دم

المكائد والمصائد :

ولست بيدي مؤامرات انعام على هذا الدين، وهم يرتعون رعباً إذ يرون دين الله قادماً بخطى حثيثة نحو الحياة ليأخذ بيده انقاد. ولتسلس له الناس انقياد، وأيت الكيد تجاه الاسلام، وأبصرت أعداء الله بعضون أصابع التدم إذ لم يفتقروا هذا المولود المبارك قبل أن يولد، وكيف تركوا هذه الشجرة تضرب بجنورها وتستوي قائمة على أصولها دون أن يجتثوها.

سمعنا "نيكسون" يقول على شاشة التلفاز (ان العدو الحقيقي هو الاسلام ولا بد لأمريكا أن تتناسى خلافاتها مع روسيا حتى تواجه الاسلام)؛ وكتب شخترمان-اليهودي الأمريكي: (What We have done? We have Awakened the Giant) ماذا صنعنا ؟ لقد أيقظنا العملاق.

ثم كانت مؤامرة جنيف لإيقاف الجهاد، فاشتعلت ناره بعدها وزاد ضرامه ليرى البشر أن المقادير بيد الواحد القهار وليس للبشر من الأمر شيء، ثم قتل ضياء الحق محاولة من الغرب أن يطفئ نور هذا الحق (يريدون ليطفئوا نور الله بأنفواهم والله متم نوره ولو كره الكافرون) الآية (٨) العنبر.

والآن نحن على أبواب كابل:

وأمل من الله أن يكون هذا العام هو عام الفتح، إذ أن كل المدن في أفغانستان محاطة إحاطة السوار بالمعصم من قبل المجاهدين، وهي تتروح لتسقط بقيادتها الشيوعية تحت أقدام الآية الكماة الغرب:

لا أبعد الله عن عيني غطارفة جناً إذا ركبوا إنسا إذا نزلوا

ونحن نرى بفضل الله الأمل فوق رؤوس البيسض^(٦) والأسل^(٧).

روسيا والعد التنازلي :

وأخيراً وبعد أن يشنت روسيا أن تعسم القضية عسكرياً فقد طلبت بنفسها أن تقابل المجاهدين وجهاً لوجه في الطائف وعلى قدم المساواة مع المجاهدين، ومبدأ المفاوضات لا غبار عليه من جهة الأصل لا شرعاً ولا مصلحة -ولكن بشروطه الشرعية التي نص عليها الفقهاء والتي لا يتسع لها هذا المقال-.

والآن هذه أفغانستان :

أبطالها لكثرة ما عانوا كأنهم ظلال ، يتأوها لما أصابه من الدمار كأنه أطلال

أنضاء طلّت دمعهم أطلالهم فتخالهم بين الرسوم رسوم^(٨)

كم من الأرجل سقطت بسبب الثلوج لأنها لا تجد الحذاء؟ وكم من ثاكل فقدت وحيدها لا تجد رغباً يسكت جوعتها؟ كم من بيت تهدم فوق أهله فلم يبق منهم سوى طفلة صغيرة لا تعرف لها أهلاً؟ كم من شاب أو قائد طالما زلزل الأرض تحت أقدام روسيا ومع هذا فعندما جرح لم يجد أجرة توصله إلى مكان علاجه؟ لقد مر عليّ المجاهد شاه سليمان وقد اسقط خمس طائرات في يوم واحد لا يجد العلاج

فتلك ربوعهم بالدافق الموكر تغتسل

وتلك جماجم الأطفال تسحق وهي تبتهل

وكل قنيفة يشدو على أنغامها الأمل

ورأس الشعب مرتفع وموج البذل متصل

ومع هذا فلم تن لهم قناة ولم تنهم لهم شكيمة: [وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين] الآية (١٤٦) آل عمران.

(٦) البيض : السيوف (٧) الأسل : دحس الرماح

(٨) أنضاء : مذبذبين ، طلّت : أريت ، أطلالهم : آثار بين بيوتهم ، أي أن هؤلاء القوم قد روت دمعهم هذه الزروع لكنهم أشباح بين هذه الآثار.

وفزع الناس إثر سماعهم هذا العرض لأنهم خشوا أن يعود سلطان إلى ظلمه ويطشه خاصة وقد رحب الناس بالفتح المبين. وقابل سلطان محمد خان السيد أحمد، فذكره السيد بالمؤامرات التي حاكها مع إخوانه خلال السنوات الثلاث من شينو إلى زبدة ثم تورد، فأخرج له سلطان رسالة من بعض علماء الهند المحترفين يحذرونهم من السيد وصحبه، ويفرونهم بالإيقاع به بمجرده الوصول إليهم لأنه خارج عن الإسلام وعميل للإنجليز. فدهش السيد وهو يرى هذا النوع من المحترفين الذين يكتلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، وأظهر سلطان ندمه وتوبته، وجدد بيعته وعاهد أن يكون مخلصاً وفياً للسيد وخاضعاً لأحكام الشرع.

تولية سلطان محمد خان علي بيشاور :

ولى السيد سلطان محمد خان أميراً علي بيشاور، وعين مظهر علي العظيم الأبادي قاضياً فيها، وعين المحتسبين والجبابة في القرى والمدن، وبدأ شرع الله يسود المنطقة كلها، وأزيلت المظالم، وأعلن السيد رجوب تخفيف المهود لأن غلاها أدى إلى شر مستطير وفساد كبير.

تعطيل القانون القبلي (الأفغاني) وسيادة شرع الله: وعندما ساد شرع الله تعطلت مصالح الزعماء والرؤساء والمنتفعين من العلماء، وقد عبر عن هذه النفسيات عناية الله خان السواتي الذي أرسل رسالة إلى محمد اسماعيل قائلاً: (إنكم لا تحيدون عن الكتاب والسنة قيد شعرة، وإن الكتاب والسنة والعلماء في جانبكم، ولكن هذه الأحكام يشق علينا العمل بها، وسنظل متمسكين بتقاليدنا الأفغانية، فإن آيتم علينا حاربناكم، فإن كان الظفر لكم غارناها إلى بلد من بلاد الكفار).

المؤامرة الرهيبة (الوهابية):

وعاد سلطان محمد خان مع بعض القوم يتآمرون، واتفقوا مع الانجليز والشيخ وزعماء القبائل فأجمعوا أمرهم أن يشيعوا بين القبائل أن السيد قد جاء بدين جديد هو (الوهابية) الخارجة عن الإسلام، وأرسلوا أموالهم ووزعت على بعض العلماء الموالين للكفار وعلى رؤوس القوم، وتواعدوا فيما بينهم يوماً للقيام على القضاة والمحتسبين وعمال السيد الإمام وقتلهم جميعاً، وجاء اليوم الموعود، وانطلق القوم لا يلبون على شيء ولا يراعون في مؤمن إلا ولا ذمة، وبدأوا يصابون كالظباء المودعة، فعملوا فيهم مجزرة عظيمة، فقتل علي العظيم أبادي في بيشاور، ورمضان شاه رئيس القضاة، وقد قتل قسم منهم أثناء الصلاة، وهكذا أبادوا صفوة المهاجرين انجاهدين بهذه الخيانة النكراء التي قلما شهد لها التاريخ مثيلاً بالخسة والندالة.

الهجرة الأخيرة :

وقع النبا كالصاعقة على قلب السيد، وقرر الهجرة من بنجار خاصة وقد علم أن فتح خان (زعيم منطقة بنجار) متآمر مع المجرمين، وقرر أن يغادر، وبكى الكثيرون على قراره، وحاولوا أن يشوا عزمه عن القرار، ولكنه مضى وعم شطر كشمير ليجاهد الانجليز منها، وعلى الطريق استقر الجيش في (بلاكوت) الحصينة حيث وصلها في رجب ١٢٤٦.

وفي بلاكوت طوي سفر القافلة المباركة : إذ هجم الشيخ بجيش كبير عليهم، ودأى بعض أتباع الإمام الانسحاب إلى الجبال بعيداً عن جيش الشيخ حتى يعد العدة ويعود للانتفاض، ولكنه أبى وقال (إما النصر على الشيخ ودخول لاهور أو الجنة)، وبدأ السيد بالدعاء الطويل وقذائف الشيخ تتصيب عليه وهو في المسجد، ويسمع بين الحين والآخر هاتفاً يناديه ويتسائل أدعاني أحد منكم فيجيبه المجاهدون بالنفي، ثم انقض مع أصحابه كالسهم الخاطف، والصواعق المرسل، وحمي الوطيس، وانتقلت المعركة إلى استعمال السلاح الأبيض والاشتباك، حتى كان المجاهدون يلحقون بالشيخ ويجرونهم بأرجلهم، وفجأة قتل محمد إسماعيل، وأبيد القوم، واختفت جثة السيد أحمد عرفان فلم تعرف، وكان هذا آخر فصول المشاهد العظيمة التي كانت الدنيا كلها تتبّع أحداثها بلهفة ولوعة وهي تنتظر انتصار الإسلام على الشيخ والانجليز، وإعلاء راية الإسلام وشريعته في وسط آسيا كلها، وقد كانت المفاجعة في ٢٤ ذي القعدة ١٢٤٦ الموافق ٦ مايو سنة ١٨٣١، واستشهد في الواقعة ثلاثمائة من صفوة أهل الأرض، ثم أسدل الستار.

مواصلة الجهاد :

واصل أتباع السيد أحمد عرفان الجهاد ضد الانجليز، واضطروا أن يرسلوا عشرين بعثة عداها ستون ألفاً لمقاومة

وفي السنة التالية استدعاه (خادي خان) فجاء بعشرة آلاف ليفسل عار الهزيمة الأولى، وتوجه إلى بنجتار (مقر الجيش الإسلامي)، وعندما علم السيد أمر المسلمين أن يبنوا جداراً في مدخل بنجتار الوحيد، لبس السيد لأمته وخرج بسلحه وصف الجند الذين بلغوا ثمانية آلاف، وتقدم الشيخ إسماعيل فقرأ آيات بيعة الرضوان من سورة الفتح، ويايعوا السيد على إحدى الحسينين (النصر أو الشهادة) ودعا السيد دعاءً طويلاً مخبئاً ثرفت منه العيون ووجلت فيه القلوب.

وتقدم فينتورة ورأى هذا الجيش الإسلامي فالتقى في قلبه الرعب وانسحب ثانية.

النصر المبين:

ولقد كان لهزيمة فينتورة نوى هائل على طول البلاد، وتحدث به الناس بين حاضري وباد، وأقبلت القبائل تباعب السيد وتعاهد على نبذ الشرائع القبلية الجاهلية وعلى التزام الحكم الشرعي إلا "خادي خان" فقد ركب طيش رأسه وأمر على عناده وأبى.

فأرسل إليه السيد محمد إسماعيل على رأس كتيبة عداها خمسمائة مقاتل، وقبل القتال ذكره بالله وبالتزام الشرع الإسلامي، فرد خادي خان (نحن لنا شرع ولكم شرع).

وبعد انقطاع الأمل استقر الرأي على اقتحام قلعة خادي خان المسماة بـ (هند)، فاقترحموها وقتلوا خادي خان ورجلاً آخر وخضعت القرية الحصينة لحكم السيد.

وهنا انتفض يار محمد خان وقام على رأس جيش لجب من بيشاور مع سرب من الأفيال ووصل إلى (هريات) يريد أن يقصي السيد عن (هند)، وأرسل رجاله يعيشون في الأرض فساداً، وأطلق المدافع ليقتذف الرعب في قلوب الأهالي، وهنا أرسل السيد رساله يحضونه النصيح ويذكرونه بالله، فاستقبلهم باستعلاء وعنجهية وإباء.

معركة زبدة:

وهنا اضطر السيد أن يرسل الشيخ إسماعيل على رأس كتيبة عداها ثمانمائة، فاقبل المجاهدون على الموت، وعلا التكبير ونوى الزئير. وتقدموا إلى كتيبة مدافع العدو واستولوا عليها واستعملوها ضد يار محمد خان، وهرب الشتات وجموع المرتزقة الذين جمعهم يار محمد وجرح ومات على الطريق، وكان نصراً عظيماً مؤزداً.

معركة تور:

بعد مقتل يار محمد خان أمير بيشاور في زبده أقبل أخوه سلطان محمد خان يقود جيشاً عرمرماً يعد ثمانية آلاف فارس وأربعة آلاف راجل للأخذ بثأر أخيه وإراحة المنطقة من الخطر الإسلامي الجديد، فعندما علم السيد بهذا أرسل إليه الرسل وذكره بالله ثم بالإسلام أن لايزج بالناس في حرب يفرح بها أعداء الله من الإنجليز والسيخ، وذكره بالبيعة التي في عنقه، ولكنه قابل النصيح بالاستخفاف، وأرسل إليه السيد مرات وعندما علم إصراره على الحرب خرج السيد يقود كتائب الإيمان المكونة من (خمسة آلاف فارس وثلاثة آلاف راجل)، ودعا طويلاً، وكان هذا دأبه قبل كل معركة، وأنشد المجاهدون نشيد الجهاد الذي نظمته (خرم علي)، وتسابقوا إلى الموت، وأبدى السيد بسالة فائقة، وهزم العدو، ودارت الدائرة عليه، وقتل منهم عدد كبير ونصر الله جنده.

فتح بيشاور:

وهنا أن الأوان لفتح بيشاور بعد أن صنع أمراؤها ما صنعوا، فتوجه السيد بجيش قوامه سبعة آلاف من المجاهدين. ومروا على مردان وبقي فيها يومين، ثم توجه إلى بيشاور، وهنا أرسل سلطان محمد خان رساله يعلن توبته وندمه، فأبى السيد إلا دخول بيشاور حتى لايشيع سلطان أن السيد قد انخذل خوفاً ورعباً، وألقى السيد تعليماته ووجه نصائحه ومواعظه إلى الجيش بوجوب التزام آداب القتال، وعدم القلول، وصيانة حرمة المسلمين وأموالهم وأعراضهم، ودخل الجيش، وهرب سلطان محمد خان وبقي الجيش جائعاً يومين حتى ذهب (بهرام خان) وأستدان من الصرافين مالاً واشترى للجيش طعاماً.

وهنا عاد سلطان محمد خان وأرسل يعرض التوبة على السيد، وتجديد البيعة، ونزع يده من كل ثأر على الحكم الإسلامي،

في نوشهريه:

وألقى عصا التسيار في نوشهريه، وأقام معسكره الإسلامي، ووجه رسالته إلى رنجيت سنغ ملك السيخ في لاهور، فاعتبر هذه الرسالة تطاولاً على سيادته من شيخ من شيوخ المسلمين الذين يعيشون تحت حكمه كالسوانم، إذ أن الرسالة تعرض عليه الإسلام أو الجزية أو السيف، فاستهان بالرسالة وأرسل إلى قائده (بده سنغ) أن يأخذ حذره.

معركة اكورة ختك في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٢٤٢ هـ : وبیت السيد أحمد (بده سنغ) فنهجم عليه ليلاً، وعمل في جيشه قتلاً ونهباً، وقتل منهم سبعمائة، واستشهد من المجاهدين بضعة وسبعون رجلاً، وكان نصراً مؤزراً ميبناً.

البيعة :

وبعد النصر المؤزر الذي أنزله الله على السيد في اكورة أقبل الناس وبايعوا السيد، وقرئت خطبة الجمعة باسمه، ورأى أمراء بيشاور الإخوة الثلاثة (يار محمد خان، سلطان محمد خان، وبير محمد خان) أن هذا أمر قد توجه وإن له ما بعده، فاقبلوا على السيد وبايعوه، غير مخلصين.

معركة شيدو (بلدة قرب نوشهريه):

كان جيش السيد قد وصل ثمانين ألفاً، ولكنه من أخلط الناس وأوشابها، إذ كثر الغثاء على النواة المخلصة التي كانت تكون القاعدة الصلبة ممن تربى على يد السيد وذاق في الله وعلى طريق الهجرة ما أنضح نفوسهم، وجاء أمراء بيشاور بجيشهم البالغ عشرين ألفاً وانضموا إليه، وكان أمراء بيشاور على صلة وثيقة بالسيخ في لاهور، فدفعهم الحسد إلى دس السم في طعام السيد، ثم دخلوا المعركة وقدم يار محمد خان قبلاً أعرج إلى السيد، ورأى أن يشترك السيد في المعركة والسم يأخذ من جسده كل مأخذ بين إغماء واستيقاظ، ودخل السيد المعركة، وطمع إخوة بيشاور أن يسقط السيد أسيراً بيد السيخ، ولكن الفيال كان رجلاً صالحاً فانسحب بالسيد من المعركة، وانسحب يار محمد خان من المعركة بعد أن لاحت تبشير النصر للمسلمين، ثم انخزل الأخلط من ورائه، وكانت معركة لها ما بعدها لو صدق إخوة بيشاور، ولغيرت التاريخ في المنطقة، ولكنها الأطماع والأهواء كم أضاعت من شعوب وكم هزمت من أمم.

في بنجتار:

أدرك السيد أن الجيش إذا كثر غثاؤه وطفأ زبده فإنه يصبح مصدر شر ومنبع فساد، فلا بد من التربية والبناء، وقد علمته معركة "شيدو" الكثير الكثير من هذا، واغتنمها السيد فرصة إذ عرض عليه فتح خان زعيم قبيلة (خدرخيل) أن ينزل في ضيافته في قرية "بنجتار" على أطراف "سوات"، فجاء السيد مع ألف من أتباعه واستقروا فيها، وعملوا على هؤلاء بالتربية على قدم وساق (بالقيام والصيام وكثرة الذكر وطول القيام) مع التدريبات الشاقة، وأقام مصنعاً للخبرة والقنابل في قرية (قاسم خيل) مع مزاوله الفروسية وسباق الخيل.

البيعة في ١٥ شعبان ١٢٤٤:

وبعد سنة من الدعوة والبناء في "سوات" ومنطقتها وعاصمتها (خبر) فاتح السيد زعيم القبيلة فتح خان بأنه لابد أن يتنازل عن القانون القبلي وأن يبايع السيد على الحكم الإسلامي، وفي جمع غفير من المنطقة بايع فتح خان وبايع الناس، وأقام السيد نظام الحسبة والقضاء الشرعي وجباية الزكاة، وعم العدل وأمن الناس وتوارى الفساد.

في مواجهة القائد الفرنسي فينتورة: كان فينتورة قائداً لرنجيت سنغ، فكان قائداً للجيش الخامس الذي كان يفوق الجيوش الحديثة تدريباً وتنظيماً واستعداداً، وبعد بيعة السيد استدعى خادي خان أحد زعماء القبائل الذين حضروا البيعة فينتورة لعله يسحق السيد أو يزيله من المنطقة، وعسكر فينتورة وطلب الاتاوات التي كان يأخذها من زعماء القبائل، فرفضوا قائمين نحن بايعنا السيد، وأرسل السيد كتيبة عداها ثلاثمائة، واصطفت في مواجهة فينتورة، فالتقى الله في قلبه الرعب، وكثر الله المؤمنين في نظره، وانسحب من المنطقة.

نفس المكان والزمان بايع السيد أتباعه على الجهاد، وبعد الحج توجه إلى المدينة المنورة وكان محط أنظار العلماء ومرجعهم، وتجمع عليه كثير من عوام الناس وخاصتهم، ثم عاد إلى مكة في رمضان وكانت له حجة ثانية، ثم قفل راجعاً إلى بلده فوصلها في رمضان سنة ١٢٢٩ (١٨٢٤م).

التسريح إلى الجهاد .

ومكث في بلده سنة وعشرة شهور ليس له عمل سوى الحث على الجهاد والهجرة، فكان يشعر أن الحمل ثقیل والأمانة كبيرة [أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب] الآية (٢١٤) البقرة.

فقد كان يرى بريطانيا تلقي بكلها على صدر الشعب الهندي، وتمتص خيراته، وتسومه سوء العذاب، فليس لهذه الحالة حل إلا بالهجرة والجهاد وبذل المهج والأرواح: [فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين على الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً] الآية (٨٤) النساء.

هدف السيد:

كان أحمد عرفان يرمي إلى تحرير القارة الهندية بأسرها وإقامة حكم إسلامي فيها، وقد صمم أن يبدأ معركته مع السيخ الذين يقيمون في البنجاب تحت قيادة (رنجيت سنغ) في لاهور، وقد اختار المنطقة التي تقطنها القبائل الأفغانية ذات الشكينة الصلبة والمراس الشديد، عدا عن أن كثيراً من أبنائها قد دخلوا جيشه وبايعوه، فكان يطمع أن يؤدي الشعب الأفغاني دوره في القتال، أما البنجاب فصورها إقبال في بيت واحد قائلاً: (لقد مات الإسلام في هذه المنطقة لأن السيخ قد انتزعوا من المسلمين السيف والمصحف)

الهجرة:

غادر السيد أحمد وطنه في جمادى الآخرة سنة ١٢٤١ هـ متوجهاً إلى المنطقة الشمالية القريبة من الهند (بيشاو والحدود)، فاجتاز صحراء بلوشستان المقفرة، وتكبد من عناء العطش ولفح الصحراء ما تكبد، ووصل قندهار، ثم اجتاز أفغانستان إلى بيشاو وكانت آنذاك جزءاً من أفغانستان، ولا يمر ببلدة إلا ويبيع منظر جيشه الأمل في القلوب اليائسة، هذا مع التحريض على القتال وبث روح الحمية الإسلامية واستثارة الغيرة الدينية في نفوس الناس، فكان الجيش يزداد كلما مر بقوم فيندفع البعض لمبايعته ومتابعته. لقد كانت هجرة شاقة سبباً وأن اتباع السيد من غلبة القوم من دلهي والهند ومن نوي البيوتات الرفيعة في الثراء بالإضافة إلى العلم والأدب.

فقطعوا صحراء (ماروار) بين الهند والسند التي تمتد على طول ٤١٨ كم، وبعد الرحلة المضنية استقبلهم أهل السند استقبالاً حافلاً، ثم دخلوا صحراء بلوشستان بشعبها الجاف الخشن الطباع، عدا عن انحصار الدين عن الحياة، ودك عن اللصوص الموزعين على طول الصحراء وعرضها، ثم دخلوا ممر (بولان) الشهير الذي يعتبر المدخل الوحيد بين الهند وأفغانستان وطوله ٥٥ كم، وأخيراً وصلوا مدينة شال (كويته) ثم قندهار فغزني فكابول.

ولقد استقبل في المدن الأفغانية الثلاث بحفاوة بالغة وتكريم كبير، إذ كان الأمراء يخرجون لاحتضانه والاحتفاء به، وكانت كابول في القمة من الفرحه البالغة والحفاوة الرائعة، فاستقبله سلطان محمد خان مع إخوانه الثلاثة، ونزل في قصر الوزير الكبير فتح خان، وقد كان بين أمراء أفغانستان نزاع وخلاف أطمع فيهم الانجليز والسيخ، فمكث السيد شهراً ونصفاً في كابول يحاول أن يصلح بين الإخوة.

وقد كان السيد معجباً بهذا العرق الأصيل (الشعب الأفغاني) ويرى أن فيه من الأصالة وطيب المعدن والمروءة والفروسية ما يسكنه أن يقيم دولة إسلامية تمتد من الهند إلى أسوار القسطنطينية لو اتحدوا، فحاول جاهداً الإصلاح بينهم، ولكنه فشل وواصل مسيرته إلى بيشاو وأقام فيها ثلاثاً، ثم وصل إلى نوشهرو في ١٢ جمادى الأولى سنة ١٢٤٢ هـ.

في جيش أحمد خان:

كان حبّ الجهاد يأخذ بمجامع نفس بطلنا، ويحس في أعماقه أن الأمة قد طال عليها الأمد، وغطت طويلاً في منامها، فلا بد من إيقاظها، وسقطت بين يرائش أعدائها، فحق إنقاذها، فكان لابد من أن يأخذ الأمر أهيته، وبعد للشأن عدته، فعاد إلى شيخه عبد العزيز في دلهي سنة ١٢٢٦ هـ، فلفت نظره إلى الانخراط في جيش أمير خان الذي كان يقوم بجهود طيبة في مواجهة الزحف الانجليزي، وأمير خان نو أصل أفغاني نو مروعة وهمة عالية، وانضم حوله مجموعة من الفرسان الاسود، ومكث سيد أحمد في جيش أمير خان ست سنوات مربياً وداعية وجندياً وليثاً مصوراً، فارتفع مستوى الجيش التربوي والروحي، فكان يعد ويستعد ويعطي، ولقد كانت أخلاقه ورفعه معلماً عملياً، فكانت أخلاقه مدرسة فذة ومنازة سامقة.

العودة إلى دلهي:

وقعت ظروف قاهرة اضطرت أميرخان أن يهادن الإنجليز ووقع في قبضة الانجليز، فقبل الإمارة تحت نفوذهم، فامتزت نفس السيد أحمد حزناً وتركه وعاد إلى دلهي، واستقبل استقبالاً رائعاً لدى وصوله.

بيعة الصاحبين : وهنا تقدم إليه اثنان من أسرة شاء ولي الله الدهلوي وبياعاه وهما الشيخ عبد الحي بن هبة الله البرهانوي والشيخ محمد اسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي، وقد أصبحا أخص خاصته، وكونا جناحين طار بهما إلى الدعوة والجهاد، فاما الأول فقد برع في الخطابة والدعوة، وأما الثاني فقد نبغ في أمور الحرب وفنون القتال، وهذان الشخصان من عمالقة حركة الإصلاح الديني في الهند وأفغانستان، ثم أقبل عليه خلق كثير يبائعونه ويمشون في ركابه ويشاركونه مسيرته ويعيشون معه ألام أمة تعتصر قلوبهم حزناً، وأمالها التي ترفرف بأشواقها المجنحة في صدورهم وأعماق قلوبهم.

بث الروح:

وانطلق الصاحبان يرافقان شيخهما في الدعوة الإصلاحية الجهادية، وبدأت الدماء تجري من جديد في العروق الجافة في الهند، والنبض يقوى فيضخ الدماء إلى الأطراف الميتة، فطفقوا بجوبون القرى والمدن ويتبعهم الآلاف المؤلفة يقبلون على بيعة السيد أحمد عرفان، وقد كانوا بأخلاقهم وسمتهم ودلهم روحاً جديداً تتفخ في القلوب الميتة، فمن دلهي إلى بهلت ولوهاري وسهارةفورد ورامفور وبريلي وشاه آباد، فتبعه جمهرة من العلماء وساروا في ركابه ومضوا على طريقه.

ثم عاد إلى بلده (راني بريلي)، ثم رجع إلى لكنو وأقام على تل الشيخ بير محمد اللكنوي على شاطئ نهر كومتي، فبأيعه آلاف من الرجال.

تخطيط العادات:

وفي بلده تزوج بأيم، وهو أول نكاح بأيم في السادة والأشراف الذين كانوا يأتفون من زواج الأيم.

الحج:

وقد قام بعض المتعلمين وأصدروا فتوى بأن الحج فيه مخاطر، لأن ركوب البحر يعتره المخاوف، ولذا فالناس لا يستطيعون السبيل، فقام السيد ورد عليهم وأراد أن يهز فتواهم ويزلزل مكانتهم بحل عملي، فأعلن عن عزمه على الحج، ونابى المنادي بالناس من أفراد الحج فطعماه وركابه على حساب السيد، فغادر بلده في شوال سنة ١٢٢٦ مع أربعمائة معن عزم على الحج معه، وكلما مروا بمدينة أو بلدة نالوا بالناس لأداء هذه الفريضة ويوجب إحيائها، وكلما مروا ببلدة أقبلت الجموع تبأيعه، فأنقذت حوانيت الخمر ومراكز اللهو وبرد الفساد والبغاء، وصارت العادات الذميمة تتمسح تدريجياً ببركة دعائه وإخلاصه، حتى وصل ككته عاصمة الحكم البريطاني، ومكث فيها ثلاثة أشهر، ثم غادرها إلى جدة يرافقه سبعمائة وخمسة وخمسون شخصاً، ووصلوا جدة في شعبان سنة ١٢٢٧ (مايو ١٨٢٢) وأقام في مكة رمضان إلى الحج، وبأيعه جمع من العلماء وعلى رأسهم إمام الحرم ومفتي مكة.

بيعة على الجهاد:

وفي أيام الحج وفي العقبة - حيث كانت بيعة الأنصار (بيعة العقبة) على نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم - أقول في

وجدير بالذكر أن الصحف وأجهزة الإعلام الغربية أخبرت في تاريخ ٨٩/٤/١١ عن حدوث تمرد ومظاهرات في "جورجيا" تطالب بالانفصال عن الاتحاد السوفياتي، و"جورجيا" هي مسقط رأس "شيفارنادزه" وزير خارجية الاتحاد السوفياتي ، وقد سقط في هذه المظاهرات (١٦) قتيلاً و (١٦٠) جريحاً باعتراف روسيا، فإذا كانت هذه حال ولاية "جورجيا" -النصرانية الأصل - فما بالك بحال الولايات الإسلامية التي تعيش غلياناً شديداً كآذربيجان وطاجكستان.. وهذا يعني أن الاتحاد السوفياتي يعيش حركة تمزق داخلية قد تكون مسمار نمشه في المستقبل:

والليالي من الزمان حبالى صامتات يلدن كل عجيب

ما أشبه الليلة بالبارحة*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، ويعد:

فوق هذه الأرض التي نعيش عليها الآن دارت رحى أحداث هذه الملحمة المشرقة المحزنة، وعلى أنجاد هذه البقعة برزت خراغم وتآلفت ضياغم، وشهدت وهاد هذه المنطقة مأساة أسيفة أليمة نكبت بها الأمة الإسلامية التي كادت تتنفس الصعداء والعيش في ظلال هذا الدين لولا قدر الله ثم الخيانة التي ولغ فيها كلاب الطمع وعبيد الدنيا، ونحن الآن نلاحظ أن رياح تلك المأساة عادت تهب من جديد، وأن الكير الذي كانوا يديرونه فيملأون الجو دخاناً يعمي الأبصار عابوا يحركونه من جديد وإن النغم الذي عزفوا عليه فسكوت بلحنة العقول الطائشة التي أجهضت أعظم حركة إصلاح جهادية في القرن الثالث عشر الهجري، ووأدوا دولة إسلامية ناشئة عابوا يعزفون عليه، فما أحرانا أن ندرس فصول هذه المأساة لتكون لنا عبرة: [لقد كان لي قصصهم عبرة لأولي الألباب] الآية(١١١) يوسف.

تمهيد:

فمن أعماق الظلام المطبق فوق القارة الهندية حيث المسلمون يعيشون كقطعان الغنم في ليلة شاتية تتناوشها الذئاب، وتجتثم شركة الهند الشرقية الانجليزية بتقلها على صدر الهند، وأما الأجزاء التي يحكمها الراجاوات والإقطاعيون والنواب فكلهم يقانون بخطامهم من قبل الانجليز حيث تساق الأمة على مذبح شهوات بريطانيا، وباختصار فإن الانجليز قد أمسكوا بأيديهم لجام السيخ والمرهيتين والحكام المستسلمين، وكل خبرات الهند تصب في جيب السيدة الام بريطانيا العظمى، ولقد بلغ الانحلال الخلقي بالمسلمين أن بعض نساءهم كن يبعن كالسلع في بيوت تجار الرقيق الأبيض في أوروبا، في هذا الجو المدلهم المكفر وفي سنة ١٢٠١هـ (١٧٨٦) ولد البطل المنقذ والجواد الملهم، وبرز الحسام الصارم (سيد أحمد عرفان الشهيد) في بيت علم وأدب ودين، فأبأه الصيد يشار إليهم بالبنان علماً وخلقاً وزهداً ورفعة في بلدة (رائي بريلي).

أخلاق:

وقد كان متبناً منذ نعومة أظفاره بالفرنسية وامتطاء سهوة الجياد والرياضة والسباحة، ولوعاً بخدمة الأمة التي جعل انتقادها نصب عينيه، وكان متعبداً متبتلاً ذاكرةً مسبحاً، فقد قسم وقته بين خدمة الناس والعبادة والتسبيح والرياضة.

فقد والده في الثالثة عشرة من عمره، فخرج إلى "لكنو" (٧٢) كم عن مسقط رأسه في طلب الرزق في رحاب العلم والتربية، ترك أحمد عرفان "لكنو" وتوجه إلى دلهي ماشياً، وكم كابد من وعثاء السفر ومرارة المسير وغصص الرحلة إذ قطعها وحيداً، وواجه من الجوع والعطش والألم الشيء الكثير حتى تورمت قدماء، ووصل الشيخ عبد العزيز ابن الإمام ولي الله الدهلوي، فعندما قدم نفسه إليه وعرفه فرح به كثيراً وأحله بيت أخيه عبد القادر، وبدأ يتقن الأدب قبل العلم، وجد فيهما، وأخذ نفسه بالعبادات والأذكار مع العلم، وترك الشيخ عبد العزيز وأخوه بصماتهم على نفسية سيد أحمد عرفان وفي وقت قصير أجازاه الشيخ عبد العزيز ثم عاد إلى وطنه (رائي بريلي) وأقام عامين في وطنه ثم تزوج.

* نشر في مجلة الجهاد - العدد السادس والخمسون / ذو القعدة ١٤٠٩هـ الموافق يونيو ١٩٨٩م.

متحمسون للشيوعية ولنجيب أكثر من أمهم (روسيا) التي تركتهم نهبة لطماعين وصيِّداً رخيصاً سهلاً للقانصين، وركبتهم بأقدامها خاسنين خاسرين، وهم مع هذا كله يتربصون بالإسلام وأبنائه: [إن تمسككم حسنة تسوهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها] الآية (١٦٠) آل عمران.

وهم يعيدون ويبدئون أن القتال في أفغانستان حرب أهلية، فكيف يجوز لمسلم أن يدفع دمهماً لتأجيج نار الفتنة الأهلية وسفك دماء المسلمين الأفغان، وكيف يزج مسلم بنفسه ويماله في هذه المتاعمة (القاتل والمقتول فيها بالشار)!!! وكيف يعد المجاهدون أنفسهم مسلمين وهم يشنون حرباً شعواء ويشعلونها ناراً ضراماً على نجيب الذي يصلي ويصوم، فالإنسان قد يكون ضالاً ويقتوب ويهتدي، ألم يسمعوا الحديث الشريف لأسامة بن زيد: (أقحلتني بعد أن قال لا إله إلا الله؟ ماذا تصنع بلا إله إلا الله؟ هل شققت عن قلبه؟) ١١، (١).

وهكذا تواجهك الأسئلة الكثيرة التي يلبس بها اليساريون (أصحاب الشُعَال) على الأمة الإسلامية التي تفاعلت مع الجهاد الأفغاني المبارك وتعدده من أخطر القضايا الإسلامية وأهمها شأنًا.

يسألونني في الإمارات (أبو ظبي) أوجوز قتال نجيب وهو يصلي؟ فقلت صدق الله العظيم: (وإذا لقوكم قالوا آمناً وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيط قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور) الآية (١١٩) آل عمران. ولا ينبغي عن بال المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدر دماء بضعة عشر شخصاً يوم فتح مكة قاتلاً (أقتلوههم ولو وجدتموهم معلقين بأستار الكعبة)^(٢) وقد قُتل عبد الله بن خطل وهو معلق بأستار الكعبة.

أما الحرب الأهلية:

فإن كانت المعارك بين جند الله وبين الشيوعيين في أفغانستان حرباً أهلية فهذا يعني أن قتال الرسول صلى الله عليه وسلم لقومه حرباً أهلية، فقد قاتل ﷺ يوم بدر أهله وعشيرته، وقد عاتبه ربه بعد قبول الفدية من أسرى بدر السبعين وعدم قتلهم قاتلاً سبحانه: [أما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم] الأيات (٦٧-٦٨) الأنفال، والإثخان هو كثرة القتل.

فقد كان العتاب لعدم قتل الأسرى لأنه لا بد من الإثخان في بداية أمر دولة الإسلام ونشأتها في أية بقعة وعبر أي زمان. وقد نزل القرآن مؤيداً لرأي عمر رضي الله عنه في الأسرى إذ قال (يا رسول الله أرى أن تمكني من فلان -قريب لعمر- فأضرب عنقه وتمكُن علياً من عقيل بن أبي طالب فيضرب عنقه، وتمكُن حمزة من فلان -أخيه- فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا موادة للمشركين هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم).

وبعد نزول الآية: [لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم] الآية (٦٨) الأنفال.

قال ﷺ (لو نزلت نار من السماء لأحرقتنا إلا عمر)، وفي رواية: (لو نزل عذاب من السماء لم ينج منه إلا سعد بن معاذ لقوله: يا نبي الله: كان الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال)^(٣).

والإعلام اليساري رغم إصابة الشيوعية بقاصمة الظهر، ورغم أن حوالي عشرين تصريحاً لكبار الشيوعيين في العالم تؤذن بتراجعهم عن الشيوعية واعترافهم (أن الطريق لإنقاذ الاتحاد السوفياتي والشيوعية من الإفلاس هو العودة إلى الرأسمالية)، ومع هذا فلا زالوا يتبجح صفيق وجعجة فارغة تسمعها ولكن لا ترى طحناً، أقول: إنهم يحاولون أن يصدوا عن سبيل الله، وأن يطفئوا نور الله بقوامهم، وأن يغطوا الشمس بغريال.

وعبثاً يحاولون أن يصدوا القلوب عن قضيتها، وأن ينفروا الصانقين عن آمال عراض امتزجت بأرواحها، وأمان كيار تعيشها بأحاسيسها، إنهم يعبثون ولن يوقفوا القدر الذي تحقق في هزيمة الشيوعية العالمية، وما هو إلا نعيق يوم ونعيب غريان.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ / ص ٢٧١.

(٢) السيرة النبوية ج ١ / ص ٥١. (٧)

(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٨٨٤).

والكل مشهود بكليته إلى جلال آباد أعصابه متوترة، ونفسه متحفزة، وقلوبهم تود لو تطير من بين جوانحهم لترقب سير المعركة وتتأججها في جلال آباد، ويتسألون: ما بال الفتح قد تأخر؟

الاعتذار عن المجاهدين :

ونحن إذ نؤرخ لهذه المرحلة نعتذر عن المجاهدين بأمور:

(١) إن المجاهدين حديثو عهد بفتح المدن، إذ أن مسيرة الجهاد المباركة التي مضى عليها بضعة عشر عاماً كانت كلها دفاعية، أو حرب عصابات يريض فيها أسد الله في خنادقهم، حتى إذا مرت قافلة انقضوا عليها كالصواعق المرسلة تدمر كل شيء بأمر ربها، تبيد خضراعهم، وتلحي (تزيل اللحاء) شجرتهم، وأما الآن فقد انتقل الجهاد من الدفاع إلى الهجوم، ومن فتح مراكز صغيرة إلى فتح مدن كبيرة.

(٢) إن جلال آباد منبت الشيوعيين، فمردة الكفرة معظمهم من هذه المنطقة، وهم يناقحون بدافع الحفاظ على الحياة، مع كراهية عميقة لهذا الدين، قد استقرت في قلوبهم من خلال التربية الحاقدة على كل القيم الربانية.

(٣) إن الذين لهم أدنى معرفة بالحروب الشاملة يدركون أنه ليس بمستغرب طول حصار المدن. فقد حاصر نابليون عكا ١٧٩٩ في أيام أحمد الجزار ثم ارتد ناكساً على عقبيه.

وهناك كثير من جيش هتلر في الحرب العالمية الثانية على أبواب (قوس كورسك)، وقد حاول أن يفتحه بشمان وثلاثين فرقة إلا أن صمود مدينة ستالين جراد ومدن هذا القوس قد أدى إلى هزيمة هتلر، وقد كان (جنرال تلج) أهم عامل بعد الصمود.

والقوات الإسرائيلية في هجومها على منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت الغربية ببلبنان في ١٩٨٢/٦/٤ رغم تفوقها في العدد والعدة و أن الهجوم كان برا وبحرا وجوا ، إلا أنها عجزت عن اقتحام المنطقة إلا بعد حوالي (٨٠) يوما من القتال المريع والخسائر الباهظة، في حين كانت قد حددت لذلك مدة لا تتجاوز الأسبوع الواحد.

أقول: إن حصار المدن وفتحها ليس بالأمر الهين ولا يتم يومض البصر الذي أدى إلى الانتصار الروسي.

ونحن نستطيع أن نقول في حصار جلال آباد: لقد نجح المجاهدون في التكثيف (العمليات الجزئية)، ولم ينجحوا في الاستراتيجية (الحرب الشاملة). حتى الآن.

(٤) لقد فتح المجاهدون خلال الشهرين الماضيين أكثر من مائة مركز حول جلال آباد، وغنموا غنائم كثيرة كانت تصل أكوامها طولا إلى عدة كيلو مترات، وفتحوا ثمر خيل وكامة، وأغلقوا الطريق بين جلال آباد وكابل، وعطلوا المطار، وتأمل من الله أن يعجل في فتحها إنه سميع قريب.

(٥) أما نجيب وحكومته المنهارة فهم يعيشون حالة من اليأس القاتلة والتردي المزرية البئيسة، فلا يدع ماراً بالشرق إلا ويستجد به ليتوسط لدى المجاهدين، وقد جازي أحد القادة مرسلاً إلي من رسول نجيب لأقابل رسول نجيب فرفضت وردته إلى أمراء الجهاد، وقد تذرع نجيب بكل الوسائل متوسلاً إلى المجاهدين أن يوقفوا ضرباتهم المتصيبة فوق رأسه، ومن المضحكات المبكيات أن نجيب قد أعلن وقف إطلاق النار بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك وكأنه يملك أن يوقف النار أو يحركها.

موقف أصحاب الشمال (اليسار) العربي:

والصحف التي يمسك بزمامها أصحاب الشمال الذين يتدسسون من خلال أوكارهم الهدامة لتدمير حصوننا من داخلها في العالم الإسلامي، أقول: إن هذه الصحف والدوريات تلعب دورها في تحطيم نفسيات الجيل العائد إلى الله، ولا تتي صباح مساء أن تدس سمومها لغرس اليأس في قلوب المسلمين من خلال التلاعب بالألفاظ ومعسول الكلام.

في زخرف القول ترويح لباطل

والحق قد يعتره بعض تأويل

تقول هذا جني النحل تمده

وإن تعب قلت ذا قبي الزناير

والشيوعية وأصحاب الشمال في العالم الإسلامي يكادون يتفجرون غضباً وغيظاً على هزيمتهم الكبرى في أفغانستان، وهم

إن وجوم انعالم الإسلامي إزاء دولة المجاهدين التي ولت في أنجان الردى وفي أغماد السيوف، وصمت القبور الذي يلف دول العالم الغربي حيال دولة الشرف وحكومة المجد ليضع علامة استفهام كبيرة حول هذا الموقف. وكأنه يصرخ بشدة في أذانهم: أوستطيع نظام أن يخرج من إرادة البيت الأبيض أو الأحمر؟ أو يتمرد على إشارات برمنجهام؟ وكان دولة المجاهدين تقول: من يعلق الجرس؟

لن نطفنوا نور الله*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد استحر القتل بالمجاهدين المحاصرين لجلال آباد، وروسيا تنفع بكل ما بين يديها من وسائل الفتك والإبادة، وانتقلت من استعمال الـ Mig27، إلى طائرات جديدة يعتقد أنها Back Fire، الروسية الجديدة والتي يظن أنها تقلع من روسيا مباشرة من ترمذ (قرب نهر جيحون في الولايات الإسلامية المحتلة من الاستعمار السوفياتي) لقصف جلال آباد، وكثر الشهداء حتى صرنا لا نتابع الكتابة عنهم، وسقط من الشهداء العرب حتى الآن قرابة الثلاثين في الأسبوعين المنصرمين، فهذا أكثر شهر يسقط فيه على طريق هذا الدين من أبناء عدنان أو من نسل قحطان في أفغانستان.

والشيوعيون قد انتفضوا بكليتهم يدافعون عن كيانتهم الهش الذي بدأ ينهار ركناً بعد ركن، وصيحات النظام لا تتوقف مستغنية الأمم المتحدة والضمير العالمي، وهم يتعلقون بقشة كفريق يتقاذفه الموج العاتي والأعاصير الهوجاء وهو يرى مصرعه أمام ناظره، وحفنه قرب قرنيه ناشباً أظفاره يريد أن يستل الروح القبيثة من الجسد الخبيث.

وإذا المنية أنشبت أظفارها أليت كل تمية لا تنفع

وفي هذه المعركة أبدى المجاهدون بسالة لا نظير لها وهم يقتحمون الموقع ثلث المواقع، والألغام تحت الأرض تتربص بهم ريب المنون، والسماء لا تكاد تكف عن وابلها، والموت يجمع نفسه لينقض لا يوفى مؤمناً ولا كافراً، والشباب العرب قد ضربوا مثلاً رائعاً في الإقدام على المنايا خاصة في اقتحام المطار، وكان المنية بينهم منشار يأكل في الذهاب والإياب، وكان لسان كل واحد منهم يردد مع عترة:

ومدجج كره الكماة نزال	لا مومن هرباً ولا مستسلم ^(١)
جانت له كفي بما جل طعنسة	بمتقف صدق الكموب مقسوم ^(٢)
فشككت بالرمح الأصم ثيابه	ليس الكريم على القتا بمعرم ^(٣)
فتركته جزر السباع ينشسه	يقضمن حسن بنانه والمعصم ^(٤)

والجميع مصمم على الموت، أما الكفار فإنهم يدفعون عن أنفسهم بكل ما استطاعوا متشبثين بالحياة: (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون).

الآية (٩٦) البقرة.

التساؤلات :

والناس الذين يرقبون المعركة وأبصارهم ترتو إلى أرض المعركة، وقلوبهم متلهفة يريدون أن تسقط (جلال آباد) بطرفة عين أو لحظة بصر لشدة تعلقهم بهذا الجهاد، يريدون أن تقوم دولة الإسلام في أفغانستان بين عشية وضحاها، وتمسح الشيوعية من أرض أفغانستان لتقوم مقامها المنارة المفقودة (الخلافة) التي طوحت بصرحها معاول الشرق والغرب على يد النشب الأخير في ٣ مارس سنة

* - نشر في مجلة الجهاد - العددان (الرابع والخمسين والخامس والستون) - رمضان/شوال ١٤٠٩هـ الموافق أبريل/مايو ١٩٨٩م.

(١) مدجج: كامل السلاح، الكماة: الأبطال.

(٢) متقف: رمح، صدق الكموب: صلب.

(٣) الأصم: الصلب. ليس الكريم على القتا بمعرم: أي إن الرماح مرملة بالكروم لحرصهم على الإقدام.

(٤) جزر: جمع جزرة وهي الشاة التي أضحت للذبح، ينشسه: يتناوله، المعصم: موضع السوار.

العروض على المجاهدين :

وقد تعرضت في الافتتاحية السابقة للعروض التي طرحت دولياً ومن قبل روسيا والتي تنازلت فيها درجة ثلث درجة. وكان أول هذه الطروح : العرض الذي جاء بحمله معروف الدواليبي من روسيا بعقد مؤتمر دولي تشترك فيه (روسيا وأمريكا والمجاهدون والمؤتمر الإسلامي والأمم المتحدة)، ويعرض فيه حكومة مشتركة يرأسها نجيب ويشترك فيها قادة الجهاد كوزاء مع الحكومة الشيوعية. وكان الرفض، ثم الحكومة الانتلافية التي لا يرأسها نجيب، وجاء الرد بالرفض كذلك، ثم الحكومة المحايدة وقد طرحها أرمافكوست وكيل الخارجية الأمريكية فقال يونس خالص (والله لو التقت السماء على الأرض ما رضينا بحكومة محايدة). وكانت آخر محاولة : الحكومة ذات القاعدة العريضة Broad Based يكون مجلس شورى من المجاهدين ٥٠٪ ومن المهاجرين في باكستان وإيران ٢٠٪ ومن المهاجرين في العالم ١٠٪ ومن المسلمين في كابل ١٠٪.

في مدينة الحجاج:

والتقى مجلس الشورى في مدينة الحجاج، وجاء وزراء ظاهر شاه السابقون من بين أعضائه مع بعض الأفغان المستغربين وقد ارتنوا الأزياء الفزبية الضيقة ورائحة الدخان المنبعثة من أفواههم تركم أنوف الحاضرين، مع ما ألفوه من تنعم وترهل، وما اعتادوه من خلق اللحى والشوارب كأبناء الغرب الضائعين. واجتمعوا مع المجاهدين الذين أنضجتهم المحنة، وصاغتهم الأحداث الضخمة، وصقلتهم نيران المعارك التي اكتبوا بضرامها عبر السنين، جاسوا بشعورهم الشعثاء الطويلة تبنو عليهم الخشونة والبذاءة (الزهد والتقشف)، وكلما نظر إليهم المستغربون تفكروا في أنفسهم : أو يمكن أن نعيش مع هؤلاء تحت سقف واحد؟ وكانت نظرات المجاهدين الشجرة تكاد تزلق هؤلاء المتنعمين، فيسلم عليهم القائد المجاهد وكأنه أسد خرج من بيشة (غابة الأسود)، وقد كسا وجهه طبقة سوداء من آثار المعارك وسيرات الشوج القارصة، فيبادره المجاهد سائلاً من أين الأخ؟ فيجيب من قندهار أو من هرات أو برون أو بدخشان؟ فيفاجئه بسؤال مفعم مفعم: وأين كنت خلال هذه السنوات العشر؟ فيطرق بنظره حياء وتعلو وجهه حمرة الخجل ولا يحير جواباً.

ووقف عبد الستار سيرت -أحد وزراء ظاهر شاه- ليشرح للحاضرين عن خطة سياسية معقولة للحل وكأنه يريد أن يجرهم إلى قبول الأمر الواقع الذي لا محيد عنه وهو قبول ظاهر شاه.

وإذا بالمسؤول عن إدارة المؤتمر يصيح (مردء باد) ظاهر شاه (الموت لظاهر شاه)، وإذا بمجلس الشورى كله يدوي بالموت لظاهر شاه، ويهت عبد الستار وكأنما سكب عليه ذنوب (دلو) من ماء بارد، وغادر المستغربون والمنتفعون وتجان الدماء قاعة مدينة الحجاج غير مأسوف عليهم.

ووصل المجاهدون إلى حل : (محمد نبي رئيس للدولة وأحمد شاه رئيس للوزراء)، وزلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت صنوبر الحاقدين على هذا الدين أثقالها ومكنونات قلوبها، فقال أحد كبار الناصحين : (إن أمريكا والصين وإيران... لا ترضى عن هذه الحكومة). قال سياف : نحن شكلنا هذه الحكومة لأفغانستان وليس لأمريكا.

وقال حكمت يار : لن يفرض أحد علينا حكومة، وسنحارب الحكومة التي ترتضيها أمريكا كما حاربنا روسيا. وألقى العالم بثقله وكلله وفرط العقد ومزق الكلمة.

وتقدم جلال الدين حقاني : مع سبعين من مجلس الشورى يطالبون من القادة السبعة الحل أو يتركوا إليهم تقديم حل، ووافق السبعة، وانتحى جلال الدين مع أربعة عشر من مجلس الشورى في بيت منزلي بعيد عن الأنظار، وخرج بالحل الذي أقرز (مجددي) رئيساً للدولة وسيافاً رئيساً للوزراء.

وعلقت أجهزة الإعلام : لقد كان أحمد شاه أصولياً فجاء سياف أشد أصولية منه.

التحدي الكبير:

وقامت الدولة وهي تنتظر اعتراف الأصدقاء وتضع نول العالم الإسلامي أمام امتحان عسير وإزاء تحدٍ كبير، وكأنها تسألهم: أين أخوة الإسلام؟ بل أين الشعارات واللافتات؟ بل أنى ذهبت الوعود والتصريحات؟

وبدلاً من أن يرجع المهاجرون إلى بلادهم زادت هجرتهم من الداخل نحو باكستان بسبب اضطرام المعارك واشتدادها.
وجدت روسيا أن حكومة نجيب ضعيفة لا تستطيع أن تحافظ على أية منطقة تنسحب منها.

موقف ضياء الحق:

وعندما أصر جونيغو على تنفيذ المعاهدة فكر ضياء ملياً ثم أقدم على إقالة حكومة رئيس وزرائه وقد كان آنذاك في الصين فاتصل به وقال له: عد إلى بيتك فقد قررت طردك من الحكومة. وحلّ مجلس الشورى، وأمسك ضياء بقبضته العسكرية البلد من جديد معلناً:

١- وقوفه بجانب المجاهدين والمهاجرين الأفغان حتى يعودوا إلى بلادهم معززين مكرمين.

٢- أنه سيطبق الشريعة الإسلامية وإن كلفه هذا نفسه وأهله وعرشه.

قال أسلم ختك (وزير الداخلية لضياء الحق) : ستقتلك أمريكا والغرب، فأجاب ضياء الحق (إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض).

التراجع الروسي :

وعندما رأت روسيا أن الحكومة الشيوعية هشة أمام ضربات المجاهدين، وأنها تفقد الموقع تلو الموقع إثر الانسحاب وتوالت ضربات المجاهدين وتنازلت الانتصارات بفضل الله وحوله، خشيت روسيا أن تسقط كابل قبل أن يتم انسحابها، فرجعت وأرسلت قواتها مرة أخرى إلى قندمار وغيرها، وصارت توجه طائراتها للإغارة على الحدود الباكستانية وضرب القرى الباكستانية الحدودية، ورفعت باكستان عقيرتها بالشكوى على روسيا التي تعتدي على الأمن. وقامت الدول الكبرى وأمريكا على رأسها تلوم روسيا وتندد بموقفها بسبب إخلالها بالتزامها وتعهداتها. فقالت روسيا : إن المجاهدين لم يلتزموا بالبنود.

نرد المجاهدون : نحن لا نعترف بالمعاهدة أصلاً وليوف الذين التزموا لروسيا بوقف إطلاق النار بما التزموا به.

انتصارات المجاهدين:

ولقد حقق المجاهدون من الانتصارات خلال سنة ١٩٨٨ بعد جنيف أضعاف ما أحرزوه عبر سنوات ماضية.

زيارات كوردوفيز:

وقد حاول كوردوفيز مرتين أن يقابل المجاهدين بعد توقيع معاهدة جنيف فرفض يونس خالص (كان آنذاك رئيساً للاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان) مقابلته في المرة الأولى، وفي المرة الثانية رفض كذلك، فلجأ كوردوفيز إلى ضياء، فاتصل ضياء بالشيخ يونس خالص قائلاً له: إما أن تأتي لمقابلة كوردوفيز وإما أن نأتيك إلى بيشاور. وكان لضياء الحق مكانة في نفوس المجاهدين، فأتى الشيخ يونس وقابل كوردوفيز وقال له : لقد أتيت احتراماً لكلمة ضياء الحق وليس من أجلك، وأنصحك باعتناق الإسلام، واضطر كوردوفيز أن يتصل بالمهاجرين دون إذن القادة، وصرح بتصريحات غير مسؤولة بأن المهاجرين يرحبون بظاهر شاه.
وهنا كذب المجاهدون كوردوفيز وشكوه إلى الأمين العام للأمم المتحدة فلوقفت مهمته.

موقف يونس خالص :

والحق أن هذا القائد الذي نيف على السبعين وقف مواقف لا يقفها إلا أقدام الرجال، وحمل بموقفه الصلب المشرف الجهاد الأفغاني من الامتزاز في تلك الآونة العصيبة التي تداعت فيها الأمم من كل جانب لاقتسام مغانم هذا الجهاد.

وقد حاولت كثير من الدول استدراجه لحضور جنيف حتى تؤخذ صورته مع الوفد الأفغاني، ليستلمها الإعلام الدولي ويلوح بها للعالم أن المجاهدين قد رضوا عن حضور جنيف ومعاهدتها. وعندما رأى الضغوط تتوالى عليه من كل جانب قدم استقالته عن رئاسة الاتحاد.

وعندها بين ضياء الحق للحاكم أن روسيا مهزومة في أعماق أفغانستان وأنها منسحبة لا محالة إذ أنها لا تملك الاستمرار بعد أن أثخنت جراحاً، ومن خلال الإحصائيات الضخمة التي بين يدي ضياء الحق عن خسائر روسيا سواء في القوات الجوية أو البرية أو البشرية، فقد كانت الخسائر التي جمعتها أجهزة التنصت الباكستانية والأقمار الصناعية الأمريكية حتى بداية ١٩٨٨ تقول: إن الطائرات الساقطة والمدمرة قد وصلت إلى حوالي ألفين وثمانين طائرة ودعك من التي استهلكت لكثرة الاستعمال والتي لا تقل عن مثل هذا العدد، وعدد الدبابات قد وصل إلى سبعة عشر ألف دبابة، وأما الآليات والناقلات فقد وصلت إلى إحدى وعشرين ألفاً، وأما القتل فحدث عنهم ولا حرج.

فغفر الحاكم فمه مشبوهاً مبهوراً وهو يسمع هذه الحقائق، ولم يملك إزاحتها رداً، ولم ينبس ببنت شفة، وقفل راجعاً إلى المؤتمر ليحدث بما سمع بعد أن اتصل بالمؤتمرين وأخبرهم بالأمرات التي اتخذوها في القرارات إذ أن لديه حقائق ومعلومات.

ضياء مع قادة الجهاد:

ورغم هذا كله فقد استمرت الضغوط على ضياء لقبول توقيع المعاهدة من الأصدقاء والأعداء، وتلفت حوله فلم يجد صديقاً ولا عدواً، وعندما جمع قادة الجهاد وعرض عليهم حاله: أنه قد عيل صبره واستنفذ كل السهام التي في كنانته في رد هذه المعاهدة، وأنه لا يستطيع إلا أن يوقعها، وطلب من إخوانه قادة الجهاد أن يعثروه في التوقيع.

فقال له سياف: ولكنك في قرارة نفسك غير مقتنع بما أنت مقدم عليه، والأولى لك أن تعتذر عن استضافتنا في باكستان خير من أن يسجل التاريخ أنك قمت بتوقيع معاهدة بيع أفغانستان وجهادها المشرف في سوق النخاسة الدولية، فأطرق ضياء برأسه ولم يجر جواباً.

يقول ابن ضياء الحق: لقد عاد والذي في تلك الليلة وأسعد الحزن جفنه وأقضى لذع الضمير جانبه ولم يكتحل بالنوم، وقدمنا له الطعام فغافه، وبقي يومه مطرقاً حزيناً وقد كسي وجهه بغلالة من الوجوم والهمم. وسأله أهله عن سر هذا الشرود الذهني والقلق النفسي، فأنصحه لزوجته وأولاده: هذه هي المرة الوحيدة التي أخذل فيها إخواني المجاهدين مضطراً.

توقيع المعاهدة

ورقع ضياء المعاهدة بعد أن أضاف استدراكين على المعاهدة وهما:

١- لا أضمن وقف إطلاق النار.

٢- لا أكفل الضغط على المهاجرين ليعودوا إلى أفغانستان.

موقف "جونيجو" و "نوراني":

ولكن رئيس وزراء ضياء وزير خارجيته كانا قد وعدا من الدوائر الدولية لكل منهما بميدالية السلام الدولية، فكان كل منهما مستعياً في تنفيذ معاهدة جنيف حتى يأخذ قطعة ذهبية مكتوباً عليها جائزة نوبل -اليهودية- للسلام، فكان جونيجو متفانياً حتى يبيع أفغانستان وشعبها وجهادها مقابل هذه القطعة الذهبية. [اشترى بآيات الله ثلثاً قليلاً لصدوا عن سهيله إنهم ساء ما كانوا يعملون، لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون] (الآيتان ٩، ١٠) التوبة [البل: القرابة].

• وكم جرت بين نوراني وبين قادة الجهاد من مشادات عنيفة ومساجلات حادة ومن مجادلات ساخنة، وأما جونيجو فقد هدد ضياء الحق بأنه سيقدم تقريراً للعالم - أمريكا وروسيا والأمم المتحدة - أن الرئيس غير ملتزم بتنفيذ المعاهدة، وغير جاد في احترام بنودها، وأخذ يرسل رجاله إلى المهاجرين ليرغمهم على الرجوع إلى أفغانستان بالضرب والتهديد.

الانسحاب الروسي:

وبدأت روسيا تنسحب من المناطق الحدودية منتظرة رجوع المهاجرين مكانها، وكلما انسحبت من منطقة -بكتيا- تندهار، بكتيا واللوجر وكونر- انقضت عليها ليوث الله واحتلتها.

من يخلق الجرح؟*

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد :

فلقد قلب هذا الجهاد بقضل الله ومشيتته الموازين الدولية، وعطل المعادلات السياسية العالمية، واستطاع المجاهدون -بنعمة من الله- أن يكذبوا كل التنبؤات السياسية والتوقعات العالمية، ولقد كانت النعمة الكبرى التي من الله بها على المجاهدين في إحباط المؤامرات الدولية السياسية لا تقل عن الآلاء العظمى التي أنعم الله بها عليهم في الميادين العسكرية من انتصارات ساحقة وكرامات باهرة.

ولقد نقلت كثيراً من الكرامات الربانية التي تنزلت على المجاهدين ولا زالت إبان احتدام القتال عبر السنين العشر الخوالي، مما كان له الأثر البالغ في استنفاس المجاهدين أثناء مسيرتهم واطعتانهم على استقامة جادتهم. ولقد رأيت أن هذه الكرامات أعطت دفعات قوية لجحافل المجاهدين التي تدك قلاع الكفر وتزلزل الأرض تحت أقدام أحزابه، وكما أثارت هذه الكرامات والخوارق من ضجات لدى الخولاف ممن لا يعرفون سنن الله في الحياة ولم يطلعوا على أصول هذا الدين وتاريخ السلف الكرام، وكانت التساؤلات تنتهي لدى المتشكك إثر وصوله أرض المعركة لأنه ينتقل من السماع إلى الرؤية. ولكن الكرامات في ميادين السياسة قد لا تكون بارزة لدى الكثيرين، بخلاف الكرامات في ميادين القتال، لأن الكرامات في القتال تتعلق بطرفين متقابلين يواجه أحدهما الآخر جهاراً نهائياً في معركة بارزة واضحة لا خفاء فيها ولا مداورة.

أما الكرامة في الميدان السياسي فهي تخفى على الكثيرين لدقتها، ولأنها تتعلق بأطراف كثيرة غير بارزة، وتشمل أصابع خفية تدبر الأحداث من وراء الكواليس أو من خلف الستائر ومن خلال دمي تحرك بمسرحيات ألقن إخراجها وصنع أبطالها وبرعوا في أداء دورهم.

الكرامات السياسية التي تلت معاهدة جنيف :

كانت معاهدة جنيف تتلخص في خنق المجاهدين وقطع شرايين إمدادهم، بإيقاف المساعدات وإغلاق الحدود الأفغانية الباكستانية، ثم انسحاب الروس من المناطق الشرقية والجنوبية، وإعادة المهاجرين إلى المناطق التي ينسحب منها الروس، وإبقاء الحكومة الشيوعية في كابل مع الاعتراف الدولي بشرعيتها، ووقف إطلاق النار، والمصالحة الوطنية.

وأكثر القرارات التي تستحق الضحك والاستهزاء بل السخرية والرياء بعقلية الغربيين والسياسيين: العفو العام عن قادة الجهاد باعتبارهم مجرمي حرب، ولكن هذا القرار الأخير ألغى من المعاهدة فيما بعد.

وسميت معاهدة جنيف في الإعلام العالمي (بالانفراج الدولي) لأنها عالجت كثيراً من القضايا، وريطت إنهاء حرب الخليج بين إيران والعراق، وحل قضية فلسطين، وإيقاف الجهاد في أفغانستان بخيط واحد، ولذا تهالكت كثير من الدول الصغرى على قبولها، وتداعت من كل حذب وصوب للضغط على ضياء الحق لقبول المؤامرة، وذلك لإخماد نار الحرب المضطربة التي ينست الأطراف المزجوجة فيها أن تجد لنفسها مخرجاً من أتونها بعد أن أتت هذه الحروب على الأخضر واليابس.

وعقد المؤتمر الإسلامي في عمان، وأوقدت دول العالم الإسلامي أحد الحكام ليتولى عملية اقناع ضياء الحق بقبول المعاهدة التي تمثل المخرج الوحيد والفرصة الإذميمة لخروج الدول العربية من ورطة الاصطلاء بنار حرب الخليج التي هزّت اقتصاد العالم كله، وهذه نعمة تتفضل بها الدول الكبرى لإيقاف اليهود عند حدود ثابتة من خلال ضمانات دولية تحول دون ابتلاع إسرائيل لمناطق جديدة، وحتى لا تطيح بكيانات ولا تهدم أنظمة ولا تتل عروشاً.

وجاء الحاكم المبعوث وقضى ثلاث ساعات وهو يحاول إقناع الجنرال الراحل الذي رسم بمرقفه معالم بارزة للرجولة الإسلامية يحفظها التاريخ الصادق بين صفحاته للأجيال، فإن تنكر التاريخ ونسي فإن رب العزة لا يضل ولا ينسى.

ولم يكن لدى الحاكم صورة واضحة عن الجهاد في أفغانستان، فقد كان يظنها طلقات تتبادل عبر الحدود الباكستانية الأفغانية كذلك التي تتطلق عبر الحدود اللبنانية الفلسطينية.

* - نشر في مجلة الجهاد - العدد الثالث والخمسون، شعبان ١٤٠٩هـ الموافق فبراير/مارس ١٩٨٩م.

لبساً مستريب، وأدركت أن الرعب العالمي والفرع الدولي من الإسلام وأبنائه لا يعدله شيء في قلوب الكفار وأعوانهم وأنسابهم.
وخرجت بيقين جازم لا يتزعزع بخطورة تولي قياد الأمم من أناس لم يتمرسوا بهذا الدين من خلال معاناة طويلة وبذل وجهد
ناصب وتضحيات باهظة، ورأيت كيف تُحمى الأمم وتنقذ الشعوب بفرد قد من أبنائها، وكيف يمكن للأمة كلها أن تباع بجلسة على
مائدة خضراء أو بكأس راح في ليلة حمراء أو بابتسامة من ثغر فاتنة شقراء.

وأيقنت أنه لا نجاة للأمم إلا بأن تسلم قيادها وتسلس مقادها لشباب مسلم قد شبوا على نار الأسى، واكتهلوا في أتون
الحمارك، ونضجوا على حرارة المعاناة وعلى هدي الكتاب ونور السنة من خلال المواجهة اليومية بهذا الدين مع أعدائه، فمن خلال
التكاليف التي يقدمها المسلم لهذا الدين يصلب عوده وتتضح نفسيته.

وتأكدت أن الأفق الذي يصل إليه المرء في هذا الدين يوازي التضحيات التي يقدمها، وأن مستوى المسلم ونضجه يسير جنباً
إلى جنب مع التكاليف التي يبذلها وأن هذا القرآن لا يفتح أسرارَه لنفسيه قاعد، وهذا الدين لا يسير أغواره ولا يدرك معانيه حفظة
المتون والحواشي ممن لا يتحركون به ولا يعيشون لنصرته.

وخرجت بيقين جازم وعلم حاسم أن الجهاد بالنفس ضرورة حياتية للمسلم حتى يتحرر من الخوف، ويمتق حجاب الوهم
والرعب الذي يغتصب به الطواغيت حقوق الأمم، ويبتزون أموالها، وينتهكون حرمانها، ويدوسون مقدساتها ومثلها.

وأدركت سرَّ رعب الطواغيت من الحركات الإسلامية الخالصة، ولعلهم من أبنائها الصادقين، وذلك لأنهم يتحدون على الدنيا
التي يملكها الطفافة، ويدوسون المتاع الرخيص الذي بين أيدي الجبابرة، والذي من خلاله يجمعون القطيع ويسوقونه إلى مذابح
شهواتهم قرايين رخيصة، إنها عناصر فريدة لا تباع في سوق النخاسة، ولا تنوب في حوامض الجاهلية، فتحافظ على أصالتها
ونقاها ومثلها وعبادتها في أي جو عاشت ومع أي قوى التفت.

لقد وجدت أن العلماء المخلصين وأبناء الدعوة الصادقين هم صمام الأمان لدماء الناس وأعراضهم ومبادئهم وأموالهم.
وأيقنت أكثر من أي زمن مضى سر اتفاق الفقهاء البارزين على عدم انعقاد البيعة للفاسق، واشتراط العلم والتقوى لمن يلي
أمر المسلمين أو يتصرف في شؤونهم.

ولقد رأيت الأيدي التي تريد أن تعيث بقداسة هذا الجهاد وتود أن تختلس ثماره أو تفتصب بركانه جهاراً نهاراً، رأيت الدنيا
بأسرها تقف بخيلها ورجلها وميلها وهيلمانها وثقلها تريد أن تحول بين الصادقين وبين الوصول إلى سدة الحكم.
فوجدوا حفنة من العلماء الصادقين، ومن أبناء الدعوة المخلصين يقفون كالشم الرواسي يناقحون عن عزة هذا الجهاد وشرف
هذا الشعب الأبى الكريم، ولا يتزعزعون قيد أنملة عن هدفهم الكبير وهو إقامة دين الله في الأرض.

لقد وقفت هذه الحفنة الصادقة التي يمثل رأس حربتها التي أغمدت في فؤاد الكفر مجموعة لا تصل عدد أصابع اليدين وعلى
رأسهم سياف وحكت يار ويونس خالص وحقاشي ومحمد ياسر وأرسلان وغيرهم، أقول: وقفت هذه الحفنة أمام الدنيا بأسرها
وأرغمتها أن تخضع لرأيها بعد أن امتدت أيادي الأشرار إلى أعماق خزانة الأسرار.

لقد أن لنا أن نسطر بماء الذعب كلمة حكمتيار عندما قال: سناحارب الحكومة التي تفرضها أمريكا كما حاربت روسيا.
وللحق والتاريخ أن نسجل موقف محمد ياسر وهو يطرد أكابر القوم الذين حاولوا أن يشتركوا في جلسة تقرير المصير، وكم
راعن الكفار على تمزيق شمل المجاهدين، وكم رفعوا عقيرتهم باختلاف كلمة الأبطال، ولكن الله خيب فال الأعداء والتقى المجاهدون
على كلمة سواء، وأخرس الله أفواه الحاقدين وأحجر كل نابح، وقامت نولة الجهاد فوق رؤس البيض والسمر، وأن لنا أن نشهد لهذه
النولة:

حسم الإلف ما اشتبهه الأعادي	وأذاعته ألسن الحساد
فيه أيديكم على الظفر الحسق	وأيدي قوم على الأكباد
هذه نولة المكارم والرافسة	والمجد والندى والأيسادي

بمعاذاتها تجمع بإجماع العالم أن نظام نجيب باق، وأن المهاجرين سيرجعون، مغفلة تماماً المجاهدين، ولكن الانتصارات التي تفوزت من السماء في هذا العام أضعاف ما حققه المجاهدون في سنوات عديدة.

وهنا أرسلت روسيا رسولها (أحد كبار رجالات العالم العربي المحسوبين على الدعوة) يحصل في حقيقته طرحاً على المجاهدين كشرط لانسحاب روسيا أن يرجع قادة الجهاد ليكونوا وزراء في حكومة نجيب، فرفض الطلب من قبل القادة وكنهم يقولون:

ولن أصلحكم ما دام لي فرس واشتد قبضاً على الصمصام إيهامي

ثم تنازل الروس إلى طلب حكومة مشتركة يشترك فيها المجاهدون والشيوعيين فكان الرفض بالحسام لا بالكلام. ثم نزل الدب درجة أخرى فطلب حكومة محايدة، فأجاب المجاهدون لن يحكم أفغانستان الأمريكان السمر (يعنون الأفغان الذين تربوا في الصالات الأمريكية ورتبت أوراقهم وراء الكواليس من خلال المحافظ الماسونية أو الدولية).

ولقد وقف الشيخ يونس خالص موقفاً مشرفاً واجه به "أرماكوست" وكيل الخارجية الأمريكية - قائلًا: والله لو التقت السماء على الأرض ما قبلنا بحكومة محايدة، وأما سياف فقد كانت ضريحته أشد في المواجهة لأرماكوست حين قال: (نحن نعلم أنكم -الأمريكان- أخبث أمة على الأرض، وأنتم مصاصو دماء، لقد قمتم بإبادة شعب بكامله واحتلال أرضه والنزول مكانه وهم الهنود الحمر، ونحن نعلم أنكم ترهبون انتصار الإسلام وقيام دولته ولذا وقفتم إزاءنا هذا الموقف) وإذا بأرماكوست يحمر وجهه ويريد فبدأ يهذي قائلًا: نحن نحب قيام دولة إسلامية.

ولم يئأس الروس مع الغرب في المحاولات. فطلب "فورنتسوف" وكيل الخارجية الروسية وسفيرها في كابل في مؤتمر الطائف دخول مجموعة من وزراء نجيب المعتدلين (ثلاثة أو أربعة) في حكومة المجاهدين حفظاً لماء وجه روسيا ريثما يتم الانسحاب، ثم أورد "فورنتسوف" قائلًا: وبإمكان المجاهدين طردهم بعد خروجنا، فرفض المجاهدون، وأعلنوا في مؤتمر صحفي: إننا لن نجلس مع الروس بعد اليوم على مائدة المفاوضات، وكانت صفة سياسية شديدة في وجه روسيا الذي مرغ بالأرحال وديس بتعال الأبطال في ميدان النزال.

أي عزة هذه التي امتطى صهوة جوادها هؤلاء الصيد^(١) المرازية الحجاج^(٢)؟ أي قمة تربح عليها هؤلاء الفطارة المهتدة الصفائح^(٣)؟ أي مجد قد ناله هؤلاء الشم البطارقة السامح؟ إنها عزة المجاهد في سبيل الله.

والعز في سهوات الخيل مركبه والمجد ينتجه الإسراء والسهر

وكان الطلب الأخير من وزير الخارجية الروسية "شيفارنادزه" أن يشترك بعض الشيوعيين في مجلس شورى المجاهدين الذي انعقد في إسلام آباد.

مؤتمر الشورى:

في مدينة الحجاج (إسلام آباد) المنعقد بين العاشر إلى الرابع والعشرين من فبراير ١٩٨٩: ولقد اجتمع مجلس الشورى الذي يبلغ عدده أربعمائة وأربعين نفرًا في إسلام آباد لإقرار حكومة المجاهدين بواقع ستين شخصاً لكل منظمة، وعشرين آخرين من المنظمات الصغيرة.

ولقد قدر لي أن أعيش هذين الأسبوعين على كثر من مجلس الشورى أتابع ساعاته كأي شخص يتحرق على مصالح المسلمين ويحيا من أجل قضاياهم.

المؤامرة العالمية:

ولقد كنت قد أيقنت من خلال الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة العداوة الأبدية بين هذا الدين وأعدائه، وقد خرجت من خلال التاريخ الإسلامي بمصادقية واقعية تطبيقية للقوانين الربانية والنواميس الإلهية في العداوة الذي يناصبه أهل الكتاب والمشركون لهذا الدين وأهله، إذ أنه لا لقاء في منتصف الطريق، ولا هدنة ما دام في جسد الكفر عرق ينبض أو نفس يجري. ولكن في هذه المرة أتركت حول المؤامرة عياناً، ورأيت شخصيات وأبطالها يتحركون ذهاباً وإياباً مما لا يدع مجالاً لشك ولا

(١) الصيد والشم: الأعراس. (٢) المرازية والحجاج والفطارة والبطارقة: السادة. (٣) الصفائح: السيوف العريضة.

وما رأيت المجاهدين على الموائد الدولية إلا كالأيتام على مآذب اللثام، كل هذا قبل عام، وانقلبت بعد جنيف كل الموازين، وتصيب الانتصارات بعد أن أحكمت القوى الدولية الخناق، وانبرى "جونيجو" (رئيس وزراء باكستان السابق) يتحمل كبر تنفيذ المؤامرة الدولية بعد أن وقع على شرعية نظام كابل، وانطلق الملا من البسار الباكستاني يقيم التفجيرات في الأماكن المأهولة بالسكان لتزهق أرواح الكثيرين من المدنيين حتى يعطوا الحكومة مبرراً قوياً وورقة ضاغطة للتعجيل بطرد المجاهدين والمهاجرين وإغلاق الحدود دون عبورهم، حتى استطاعوا أخيراً أن يعبثوا بمخزن كبير للذخيرة في إسلام آباد ويفجروا الصواريخ التي بقيت تنطلق على مدينتي إسلام آباد وراولپندي تروغ السكان وتقتل المارة وتدمر البنيان.

محاولات لانقاذ الموقف العسكري الروسي :

وقد حاول قادة "الكرملين" أن ينقذوا الموقف العسكري بدفع الهند للهجوم على باكستان عبر أعوام الجهاد المبارك، فكانت الكرامات الريانية تنقذ الموقف بعد اشتداده وتأزمه.

- وقد كان أولى هذه الكرامات يوم أن قامت "أنديرا غاندي" تريد إثارة الحرب الشعواء على الباكستان، وبدأت تتجول على المقاطعات الهندية تثير الهمم وتشعل الحساس في نفوس الهند، وفي اليوم السابع من هذه الحملة قتلت "أنديرا غاندي" على يد أحد حراسها السيخ، وانقلبت المعركة داخلية بين السيخ والهندوس تاكل الكيان الهندي وتمزق وحدته.

- وجاء "راجيف غاندي" وأراد مواصلة الطريق، وقدمت له روسيا الترسانة الحديثة من الأسلحة من الطائرات والدبابات التي وصلت الآلاف، وبدأت القوات الهندية تحتشد على الحدود الباكستانية منتظرة إشارة البدء، فيسوق الله صحفياً غريباً يقابل العالم المخفي يشرف على المفاعل النووي الباكستاني فيسأله عن المفاعل، فأجابه: لقد صنعنا مئات القنابل الذرية.

وفي نفس الوقت : أصدر المجاهدون الألفان بياناً يهددون الهند ويحذرونها بأنهم لن يقفوا مكتولي الأيدي إذا حاولت الهند أن تعيث بالنار، وكأنهم ينشدون:

مفرشي صهوة الحصان ولكن	قميصي مسروبة من حديد
عش عزيزاً أومت وأنت كريم	بين طعن القنا وخفق البنود
مسرورس الرماح أذهب للفيظ	وأشفي نفل صدر الحقود

وفجأة وإذا بالزئير ينقلب إلى نهيق حمير، وإذا بقمقعة السلاح تنقلب إلى عواء ونباح.

- وانتقلت المحاولات إلى إيران، وحاولوا أن يعقدوا معهم معاهدة صداقة وحسن جوار ليشددوا الخناق على المجاهدين، وكانت المحاولة أن تنجح لولا الله ثم انزلاق روسيا ببيع صواريخ بعيدة المدى إلى العراق ضربت بها طهران وقم، فكانت روسيا (كالتّي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً) الآية (٩٢) النحل.

- وحاول العالم أن ينقذ مؤامرة جنيف من خلال باكستان فأبى عليهم "ضياء الحق"، فسلطوا رئيس وزرائه الذي هدد بتقديم تقرير إلى أمريكا وروسيا يفصح لهم فيه عن موقف ضياء الحق المتشدد تجاه المؤامرة، وفكر ضياء -كما ذكر لي أحد مستشاريه- قائلاً (أنا لا أستطيع أن أعيش بقية عمري ذليلاً)، فركل حكومة جونيجو بقدمه، وقال مستشاره لي بأن ضياء قبل قتله بأشهر قال: (إن أمريكا قد وقعت أوراق قتلي)، ولعل هذا هو السبب الذي من أجله كان ضياء يصطحب السفير الأمريكي معه في ترحاله ليكون رادعاً لأمريكا عن تنفيذ مؤامرتها.

وقُتل ضياء ومضى إلى ربه رافع الرأس بعد تلك الوقفة المشرفة التي وقفها كالطود الشامخ بجانب هذا الجهاد المبارك، فترجو الله أن يغفر له تنويه بهذا الموقف المجيد.

ولكن القتل كان متأخراً بعد أن تجاوز الجهاد عنق الزجاجة وتعدى مرحلة الخطر وأفلت من قبضة القوى الدولية كلها.

العد التنازلي :

كان أول التنازلات إيقاف إطلاق النار من جانب الروس في الخامس عشر من يناير سنة ١٩٨٧، فقوبل بتصاعد هجمات المجاهدين على الكفار. ثم كان طلب المصالحة الوطنية التي قوبلت بسخرية واستخفاف من قبل ليوت الغاب الخفاف. ثم كانت جنيف

أترى هذه النول ستقف مكتوفة الأيدي، وفيها الآلاف من ضياء الحق، وجمع شعبها على أن الإسلام هو دين الحياة عقيدة وعبادة ونظام حياة.

وستثير هذه القوى الغربية والشرقية -على السواء- النول المكتنفة للدولة الإسلامية الوليدة، وقد بدأت إيران تتحرك تطالب بنسبة الربع إلى الثلث في مجلس الوزراء الشيعة، وقد نسيت نفسها أنها حرمت أي سني أن تطلأ أقدامه مجلس الوزراء الإيراني. ولكن إيران تعرف من هم الأفغان؟ وقد بقيت المنطقة الشرقية منها تحكم ولفترات طويلة من قبل الأفغان. وأما الهند فهي ترتجف لمجرد رؤية عمائم الأفغان، وقد صرح غاندي (إن قيام دولة إسلامية متطرفة خطر على أمن المنطقة كلها) والهند أكثر من غيرها ترهب الأفغان الذين كانوا إذا انتفضوا لا يقف لغضبهم شيء حتى يدخلوا دلهي. وحسبك من قادتهم الذين أذلوا الهنوس محمود الغزنوي -الذي حطم صنم ساموناتا- وأحمد شاه بابا. وأما باكستان فلا أظنها في وقت الحصاد تضيق ثمار المواقف المشرفة التي امتدت قرابة عقد من الزمن بجانب المجاهدين.

وختاماً نقول:

إن اطمئناننا إلى رحمة الله بعباده، وحبه لتصوره شريعته، وقوانينه التي لا تتخلف تجعل سرائرنا مرتاحة وصدورنا منشحة لنقد الله الجاري وثاموسه الماضي في خلقه فهو يقول لنا: (وما كيد الكافرين إلا في ضلال) الآية (٢٥) غافر (وما كيد فرعون إلا في تباه) الآية (٢٧) غافر (ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين). الآية (١٨) الأنفال (وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض أنه كان عليهما قديراً). الآية (٤١) فاطر. (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الآية (٢١) يوسف.

جاء الحق وزهق الباطل *

حمداً لله يا رب، نصرت عبدك، وأعززت جندك، وهزمت الأحزاب وحذك، سبحانه لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، ما أدينا حق شكرك، وما عبدناك حق عبادتك، فآلهمنا اللهم في النعماء شكراً ، وأنزل السكينة على قلوبنا في البأساء صبراً.

وهكذا هُزم أعداء الله، ونكست راياتهم، ومزقت كتابهم، وتفرق شملهم، وهنت أستار الهيبة التي تمثل نسيج العنكبوت حول الأصنام الكبرى والطواغيت العظمى، وبحرت روسيا من أعماق أفغانستان بعد معركة استمرت عشر حجج، لقد كابت كثيراً طيلة المدة السابقة وهي تحاول أن تكتم أهاتها وتستعلي على جراحاتها، وتخفي آلامها وزفرائها، ولكن الصبر البشري له حدود، ومخالفة الفطرة أمر سريع الزوال يصطدم مع صخرتها ويتحطم على قوانينها ونواميسها، ولقد كان الغزو الروسي لأفغانستان (أخسر صفقة من أبي غبشان) الخزاعي الذي باع قصياً مفاتيح الكعبة بزق خمر.

البشر والقدر :

إن البشر لا يملكون إزاء القدر رداً، وليس لهم به حول ولا قوة، فقد قدر لي أن أتصفح جولات "كردوفايز" المكوكية بين واشنطن وموسكو وإسلام آباد وجنيف، ابتداءً من يونية ١٩٨٢ حتى كانت آخر الجولات التي وصلت اثنتي عشرة جولة في الرابع عشر من إبريل ١٩٨٨. فوجدت أن المحادثات كلها والاتفاقيات الأربع التي كانت موضوع معاهدة جنيف قد أغفلت ذكر المجاهدين تماماً وكأنهم غرباء عن القضية، بل لقد أشارت إحدى المعاهدات إليهم بوصف المرتزقة المتسللين عبر حدود باكستان إلى أفغانستان، وحق لي أن أردد قول الشاعر:

ويُقضى الأمر حين تغيب تيمٌ ولا يستشهدون وهم حُضور

* - نشر في مجلة الجهاد - العدد الثاني والخمسون ، رجب ١٤٠٩ الموافق ليناير/مارس ١٩٨٩م.

منها العقوبات الخارجية وتواكبها المتاعب والمصاعب الداخلية، وإن نستطيع في هذه العجالة أن نتعرض للمشاكل الداخلية، وسنكتفي بذكر العقوبات الخارجية: وعلى رأس هذه العقابيل:

- الرعب العالمي من حكومة المجاهدين الأصوليين المتطرفين كما يحلو لأجهزة الإعلام أن تطلق عليهم.

- واليهود أكثر أعداء الله هلعاً من نتائج هذا الجهاد الذي سيفرض قيادات إسلامية أصيلة -إن شاء الله-، وأجتزئ هنا ببعض شذرات مما قلت على ألسنتهم من حقد وما سال على ألسنة أقلامهم من غيظ على الاتجاه الإسلامي.

فقد كتبت "الجيردزلم بوست" بتاريخ ٧٨/٩/٢٥ مقالا لحاييم هيرتسك (السفير اليهودي السابق في الأمم المتحدة) تحت عنوان (حتى لا نخسر الأصدقاء ونشد على عضد الأعداء)، قال فيه: (إن جهوداً كثيرة بذلت لكبت نشاط الحركات الإسلامية، ولكن الأحداث الأخيرة في المنطقة الإسلامية وعودة الاتجاه الإسلامي يمارس نشاطه على نطاق واسع في مصر وأفغانستان وسوريا وتركيا وإيران وغيرها قد أظهرت أن جميع الأساليب التي اتبعت لكبت نشاط الحركات الإسلامية كانت فاشلة على المدى البعيد رغم ما حققت من نجاح لفترات قصيرة).

وكتبت "يديعوت احرنوت" الجريدة اليهودية في ٧٨/٣/١٨ (هناك حقيقة هامة وهي جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، وهي أننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طول ثلاثين عاماً، ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة إلى الأبد، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش.

وستجد إسرائيل نفسها في وضع حرج إذا نجح المتعصبون أولئك الذين يعتقدون أن أحدهم يدخل الجنة إذا قتل يهودياً أو إذا قتله يهودي).

وكتبت "الصنداي تلغراف" البريطانية في ٧٨/١٢/١٧ مقالاً بقلم "بيرغرين نورستون" قال فيه (إن الغربيين يقومون في خطأ كبير حين يظنون أن الخطر الذي يتهدد مصالحهم في الشرق الأوسط هو خطر الشيوعيين، لأن الخطر الحقيقي الوحيد الذي يتهدد مصالح الغربيين وأصدقائهم في المنطقة هو خطر المسلمين المتطرفين).

ونقلت القبس الكويتية عن وكالات الأنباء العالمية خطاباً لموشي ديان - وزير دفاع إسرائيل الهالك - في ٧٩/١/٢٦ قال فيه:

(إن على دول الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة أن تعطي اهتماماً أكبر لإسرائيل باعتبارها خط الدفاع عن الحضارة الغربية في وجه أعاصير الثورة الإسلامية التي بدأت من إيران، والتي من الممكن أن تهب بشكل مفاجئ وسريع ومذهل في أية منطقة أخرى في العالم العربي وربما في تركيا وأفغانستان أيضاً).

ويقول "بريجينسكي" -مستشار البيت الأبيض- (إن الإدارة الأمريكية تشعر بقلق بالغ إزاء تزايد نشاط الحركات الإسلامية المنتشرة في العالم الإسلامي، لأن أمريكا حريصة على عدم السماح للإسلام أن يلعب دوراً مؤثراً في السياسة الدولية)، جريدة الرأي الأردنية ٧٩/١/٢١ نقلًا عن واشنطن بوست.

ولا ننسى أن الإدارة الأمريكية أوفدت رئيسين سابقين وهما نيكسون وكارتر لدراسة أوضاع الجهاد الأفغاني، فعاد نيكسون وفي مؤتمر صحفي على شاشة التلفاز قال (إن أكبر عقبة تواجهنا هي الإسلام، ويجب أن تتناسى أمريكا خلافاتها مع روسيا لتقف في وجه الزحف الإسلامي).

ولا نستطيع الاستطراد في هذه الشواهد، فمعاهدة جنيف بترتيب اليهودي الأمريكي الروسي الأصل "أرنولد هامر" وذلك لإيقاف الجهاد الأفغاني، وقد وقت بداية الانسحاب بذكرى قيام دولة إسرائيل في الخامس عشر من أيار، وقد قُدم تقرير قبلها إلى مجلس الأمن القومي الأمريكي يقول: (إن استمرار الجهاد الأفغاني يخطر على مصالح أمريكا).

إن دولة المجاهدين القادمة -والله أعلم- ستواجه الدنيا بأسرها بخططها وأحاديثها ومكائدها وحقدتها، ولن يسمح هؤلاء الأعداء للدولة الفتية أن تنوق طعم الراحة، أو تنعم بلحظة استقرار ما استطاعوا، فإذا كانت أمريكا ودول الكفر قد أطبقوا على تصفية الرئيس الراحل ضياء الحق - رحمه الله - لأنه اجتهد في محاولة إخراج القنبلة الذرية (التي يسميها الغرب القنبلة الإسلامية)، ولوقفت الصاعدة الشامخة بجانب الجهاد الأفغاني، ولأنه أعلن جاداً قبل مقتله بأشهر أنه سيطبق الشريعة الإسلامية.

ونقد عانى غوربتشوف وجهازه الحاكم الآن في إيجاد تبرير معقول للانسحاب، ومقبول لدى الأمهات اللواتي تكنن أبناءهن في ملند وهرات، والنساء اللواتي تأيمن بقتل بعولتهن في بلخ وطالقان، والأفلام الوثائقية التي وصلت تصور لك مدى الحرج الشديد الذي يواجهه غورباتشوف بالانسحاب، ولدينا فيلم يصور النساء اللواتي يندبن حزناً ويذرفن الدموع حسرة على أرحامهن الذين غيبنهم الثرى في ذرى الهندوكوش. وأما الحكم الشيوعي في كابل فقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وكأن الشاعر يعنيهم بقوله:

يسأل أهل القلاع عن ملك قد مسخته نعمة شارد
تستوحش الأرض أن تقربه فكلمها أنه له جاحد^(٤)

والدب الروسي منسحب لا محالة - بإذن الله-، ولا يمكنه الاستمرار أبداً في داخل أفغانستان.

والحكم الشيوعي الأفغاني لن يلقى السلاح لأنه يدرك تماماً المصير الذي ينتظره بعد الهزيمة، ويتوقع كثير من المراقبين أن المعارك التي تنتظرها أفغانستان في الأشهر القليلة القادمة ستكون شرسة ضارية، وذلك لأن الحكم الشيوعي سيضرب ضربات اليأس من الحياة، ولذا فإن طعناته ستكون مرجعة، وصفعة الجبان عادة مؤلمة، والقط عندما يحس بالخطر فإنه يصبح أسداً لأنه يتشبث بالحياة بكل وسيلة.

وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جباناً

وبعد أن يشك الروس من تأمين انسحابهم ومن تأمين عملائهم فإنهم اشتدوا شراسة، ولكن على الأطفال والنساء، ولقد جاعني رسالة من كندز تنبئنا أن الروس قاموا بمعجزة هناك في مديرية إمام صاحب ذبحوا فيه بالسكين النساء والأطفال، وقتلوا ما يقارب أربعين إلى الخمسين من المعجزة والقواعد.

وكذلك فقد قصف الروس القرى المحيطة بعمر سالنج حتى بلغت الضحايا ألف قتيل من العزل المدنيين، وهذه القرى لم تكن قد قصفت من قبل، وقد كان القصف غاية في الوحشية والعنف، والدب الروسي معروف بعنجهيته وصلفه وخبثه

عليه من اللؤم سروراة ليس يرق استعطف

الذخائر المقدسة :

إن روسيا تصبب ألف حساب لترسانة الأسلحة والذخائر التي كومتها في مخازن الدولة الشيوعية، وهي في المقابل ستدفع الدولة الشيوعية الأفغانية إلى محرقة لا يدرك هولها حتى تضمن انتهاء هذه الذخائر المخزنة التي بين أيديها وبين أيدي المجاهدين، وحتى تبقى دولة المجاهدين القادمة وكنها منطقة معزولة السلاح.

أما المجاهدون: فهم ينتظرون ساعة الانقضاض ليجهزوا على الحكم الشيوعي الهش، والحق أن هذا الشعب قد حمل من أصيل السمات ما جعله فريداً بين الأمم، وأكثر ما يهز هذا الشعب إعجاباً والشجاعة والوفاء.

ولذا خاب الذين حاولوا قياده من خلال الجيوب، وأسلس المقاد للذين خاطبوه بالمحبة من أمساق القلوب.

فلا تستكرن له ابتساماً إذا فبق المكر دماً وضاقاً^(٥)
فقد ضمنت له المهج العوالي وحمل معه الخيل العتاقا^(٦)
ملاقيه نواصيها النايبا معودة فوارسها العناقا

عقبات الطريق :

ويكاد المراقبون يجمعون كما قال كارلوتشي - وزير الدفاع الأمريكي - على ثلاث قضايا:

١- الانسحاب الروسي.

٢- سقوط الحكم الشيوعي.

٣- وصول المجاهدين إلى الحكم.

ولكن ماذا بعد؟ فهناك العقبات الجمة التي تنتظر دولة المجاهدين القادمة:

(٤) الأنا . المثل . المتب تحت الصل التعليل . (٥) فبق : استلا . المكر : حمل الكر والفرزال . (٦) المهج : الأرواح . العوالي : الرماح . العتاق : الجيعة.

كلمة من الأعماق إلى كل مسلم :

إنه من العار على أمة أن يكون بعض بنيتها يخطون تاريخها بالدماء ومع هذا فلا تقدم لهم الأمة ثمن الضحادات التي توقف نزيهم. ومن الإثم على أهل ملة أن يكون إخوان العقيدة فيهم درعاً لدينهم وداراً لثمتهم وشعاراً لعزتهم ومع هذا فإن أبناء ملتهم لا يقدمون لهم ثمن الطعام، ولا يتكفلون لهم بالكساء ولا بلقعة الغذاء.

فماذا على المسلمين ؟ .

ماذا على المسلمين لو دفع كل واحد منهم لإعادة دين الله في الأرض مقدار مصروف ابنته الصغيرة؟ وماذا على المسلم لو اعتبر الجهاد الأفغاني كمولود جديد حلّ على أسرته؟ ماذا على المسلمين لو أخروا تغيير نوع السيارة !!؟ أو تجديد غرفة النوم؟ أو طاقم صالة الضيوف؟ وهل يصوم المسلمون عن المرطبات ويدفعون ثمنها لبناء حصون المجد وقلع الكرمات ؟ ونحن نهيب بإخواننا المسلمين أن لا يتركونا على أبواب كابل وينكسروا، وأن لا يخذلونا ويدعونا فرادى نواجه المعارك المصيرية واللقاءات الحاسمة.

إنها أيام حاسمة في دورات الزمن، وصفحات مشرقة في جبين التاريخ، فاصفوا أيها المسلمون إلى النداء الرباني الجليل
(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) الآية (٢٠٠) آل عمران .

والله غالب على أمره *

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد.

نعلى أبواب كابل تصطف الجياد وقد أحكم الفرسان لجمها والمقاد، والطيران لا يهدأ في ليل ولا في نهار، وقلوب القوم مذعورة من الأبرار.

قيام بأبواب القباب خيولهم — وأشباحهم في قلب أعدائهم تجري

وقد أشام كل ليث مهنده، يرى في بذل دمه مجده وسؤدده، والحق قد اتخذ أهبت وعدته، وعيون الضراغة ترمي شزراً وتقدح شرراً، وتلمظ غيضاً ترقب الساعة التي تفتقر قفرتها لتقصم ظهر الكفر بضربتها، ولسان القوم ينشد لحنه العذب الذي تحيا على أنغامه الأمم، وتصفق من خلاله النماذج والقمم

ولن أصالحكم مادام لي فرس — واشتد قبضاً على السيلان^(١) / بهامي

إنها لحظات حرجة يلتقط فيها التاريخ أنفاسه، ويمسك بقلمه منتظراً ماذا يسطر في هذه المرحلة الدقيقة الحرجة من تاريخ الأمة الإسلامية بل تاريخ العالم أجمع.

وعجلة التاريخ تقف على مفترق طريق، إما أن تطوي الكفر وتمضي على بركة الله لترفع راية الإسلام من جديد، وتحيا طارف^(٢) مجده والتليد^(٣)، وإن كانت الأخرى لا قدر الله فحسبنا الله ونعم الوكيل وهو العليم الحكيم، ينظر إلى القلوب والنفوس ويهبها ويعطيها حسب ما يصلحها ويصلح مجتمعا.

ونحن الآن نذم بأعظم خارقة حصلت خلال القرون الثلاثة الأخيرة تقريباً وهي انتصار شعب مسلم أمي فقير على أشمرس وأفنتك طاغوت في الأرض.

فهي معركة بين (أشرف شعب وأشمرس دب)، ورأس مال هذا الشعب توكله على الله، وأما عزته التي تناطح السحاب فهي فريدة الزمان، وأما إباؤه وأنفته فتلك لا يكبحها عنان، وغوربتشوف وأركان جيشه والجنرالات في أرض كابل الملتهبة يصرحون: أن دخول أفغانستان كان خطيئة - كما صرح غوربتشوف-، وأن الهزة الاقتصادية التي يتعرض لها الاتحاد السوفياتي كانت بسبب القتال في أفغانستان، ويصرح أحد الجنرالات الروس في كابل: أننا خسرنا بدخولنا كابل ولم نحقق السلام الذي كنا نحلم به وننشده.

* - نشر في مجلة الجهاد - العدد الحادي الخمسين - جمادى الثانية ١٤٠٩ هـ ، يناير/فبراير ١٩٨٩ م.

(١) السيلان - قبض السيف (٢) الطارف : الجديد . (٣) التليد : القديم.

المجاهدين وقد اعترف الدكتور هنتر بأن تكتلات الجيش الإنجليزي في البنجاب قد خلت بعض الأيام لانشغالها لمحاربة المجاهدين، وأخيراً أثاروا القبائل باسم (الوهابية) وقضت عليهم، وما انتهى نشاط المجاهدين إلا بعد قرن كامل سنة ١٢٢٠هـ حيث توفي آخر أمير لجماعة المجاهدين عبدالله بن ولاية علي الصادقوري .

ونسلم اليوم عن حركة وليدة ناشئة في بلوشستان تنادي بالجهاد على خط أحمد عرفان الشهيد. وقد كتب دهنتر عن قضية السيد أحمد عرفان كتابين هما: THE GREAT WAHABI CASE _ INDIAN MODEL MANS.

ما أشبه اليوم بالبارحة:

واليوم في الجهاد الأفغاني تستعمل بريطانيا نفس السلاح المسموم. فتثير الفوضى وتحرك الدماء على القادة الصادقين والعرب القادمين المهاجرين لنصرة الجهاد بهذه الشائعة (الوهابية). وتصبح الوهابية نغماً لازماً تعزف عليه الصحف الغربية وإذاعة كابل والصوفية المخرفة وصوت أمريكا وإيران الحرة لعلها تفرق بين العرب والأفغان، وتعيد تحجيم القضية مرة أخرى إلى قتال قوم (الأفغان) ضد الروس، بعد أن أصبح الجهاد في أفغانستان جهاداً عالمياً إسلامياً يقض مضاجع أعداء الله في الدنيا كلها، ولكن قادة الجهاد والعلماء الصادقين وقفوا وقفة مشرفة أمام هذه المؤامرة الجديدة، حتى عبر عنها الشيخ يونس خالص قائلًا (إن حب العرب جزء من ديننا).

{يريدون أن يظنوا نور الله بأنفوسهم وبأى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون} الآية (٣٢) التوبة.

حضارة الإرث الثالث*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

قال لي صاحبي معاتباً : أنتم قدمتم القضية الأفغانية في إطار أوسع من حجمها، وبصورة أنصع من واقعها، وبضخامة أكبر من أحداثها، وهذه مسؤولية أمام الله. (ما يلفت من قول إلا لديه رقيب عتيد) الآية (١٨) سورة ق

وقال لي أخراً لقد بدأت صورة العملاق الأفغاني تقزم، وإشراقة الصفحة الجهادية تبهت، وبدأ الجهاد يفقد تلك الجاذبية التي أغرت الجماهير الإسلامية بمقابضه، وجذبت العشاق من كل حذب وصوب فارتمت على عتبته.

وقال لي ثالث : إنك ما تفتأ تذكر أن الشعب الأفغاني شعب فريد في أصالته، عريق في أرومته، غز في استعداداته وفطوته، مع أننا رأينا جاهلاً فيه كثير من السقطات والبهفوات والانحرافات.

فأجبتهم : رويدكم، لا ترموني شرراً، ولا تزلقوني بأبصاركم ضجراً، ولا ترمقوني من أمري عسراً، فما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين.

أما عن تقديم الجهاد الأفغاني في ثوب فضفاض فهذا أمر غير صحيح، إذ لم يكن في حساب أحد أن الجهاد سيحقق الأمان من العذاب واقعاً ملموساً بمسيرة الآلام والعذاب. فلقد حول الجهاد الأساطير إلى أحداث ووقائع، ولقد كانت الإحصائيات التي قدمتها الأنصار الصناعية الأمريكية وأجهزة التنصت الباكستانية أن ما دار في أعماق أفغانستان شيء يشبه الخيال، لا يمكن وجوده إلا في عالم المثال، تدركه الأشواق وتقتصر بونه الأفعال.

فلقد كانت التقارير تثبت أنه قد سقط وحطم للسوفييت حتى بداية سنة ١٩٨٨ حوالي ألفين وثمانين طائرة، وعسكرياً مثلاً يكون قد استهلك لكثرة الاستعمال، ودمر حوالي ١٧ ألف دبابة ومصفحة و ٢١ ألف آلية.

وهذه أرقام لم يشهد لها التاريخ نظيراً بعد الحرب العاشية الثانية، بل أستطيع أن أقرر قائلًا:

واقعها أكبر من إعلامها:

ما رأيت قضية واقعها الفعلي أكبر من إعلامها مثل قضية أفغانستان، وأما عن الشعب الأفغاني

* نشر في مجلة الجهاد - العدد السابع والخمسون - ذو الحجة ١٤٠٩هـ الموافق يونيو ١٩٨٨م.

فهذه شهادة التاريخ القاطنة: بأنه فريد في شدة مراسه وصلابة شكيمته وقوة بأسه، ودعك عن صبره وأنفته، وعزته وشيئته وسلامة فطرته، وإبائه وحيائه. وإذا حمل الشعب الأفغاني عقيدة فإنه يبذل لها النهج والأرواح، فقد اعتنق البوذية أولاً وكان وراء نشرها في وسط آسيا وشرقها، ثم اعتنق الإسلام فحمل على رؤوس الأسل وصفاح البيض، وعم الإسلام المنطقة، ولم يذعن أهل أفغانستان - التي تشكل جزءاً من أرض خراسان - للإسلام بسهولة، بل بعد جهد جهيد، يقول ياقوت الحموي: (وإذا اندلعت نار الحرب في خراسان أحرقت الأخضر واليابس، وأتت على المدنية وال عمران لشدة بأس أهلها وقوة شكيمتهم ودفاعهم عن أمصارهم والتصدي لخصمهم)^(١).

قال صاحبي: ولكنك لم تذكر عيوب الشعب الأفغاني، فأجبت قائلاً نحن نتكلم في قضية معينة وهي الحرب والشجاعة والصبر والبطولة، وهي التي فقنتها معظم الأمة الإسلامية.

أتريدوني وأنا أتكلم عن بطولة عنتره الفرسان أن أقول عنه ولكن له رائحة كريهة تخرج من عرقه أثناء المعركة وهو جاهل أمي حتى تكون الصورة صادقة والنقل أميناً، وأقول من كان منكم بلا خطيئة فليرجعها، فمن كان شعبه خالياً من العيوب فليذكر عيوب الأفغان.

وأما إكرامهم لضيئهم فحسبك ما رواه أبو الجنيد عن أهل فارياب قائلاً: لقد بقينا طيلة شهر رمضان سنة ١٤٠٩ هـ كمرب ناكل الرز - بدون لحم - سحوراً وفطوراً، ثم اكتشفت أن القائد قد ألقى أوامره الحاسمة للطباخ أن يشتري لنا الرز ديناً من الأسواق بينما الجبهة تقطر وتتسعر الشاي والخبز فقط.

أما عن صورة المارد الذي تقزم فهذا شأن الإعلام اليهودي الغربي الأمريكي، إذ أنهم نقلوا بعض الصور الحقّة أثناء القتال بين الأفغان والروس، وقد كان الأمريكان جد خائفين من استمرار الاحتلال الروسي لأفغانستان، وكانوا يخشون على أبار البترول في الخليج العربي وعلى المياه الدافئة، فكان يهمهم أن لا تستقر قدم الدب الروسي أيضاً قرب بحور الذهب الأسود، ويهدد مصالحهم في باكستان والدول الصديقة، أما الآن وقد هزمت روسيا وولت على أعقابها مدبرة ذليلة حسيرة. وأصبح المجاهدون قاب قوسين أو أدنى من الانتفاض على عرش نجيب والإجهاز على الشيوعية، انتفضت الدنيا حشية أن يصل المجاهدون الحكم، ولذا أُنقبت الأوامر إلى الإعلام أن يبحث عن كل نقیصة فيلصقتها بالمجاهدين، ويبرز غوربتشوف بأنه بطل السلام، فبدأت الأوتار الموترّة والحملات المسعورة تعزف على قضايا (الحرب الأهلية) (القتال بين المسلمين) (الوهابية وهدم المذهب الحنفي)، وبدأت الضفادع اليسارية من أهل الشمال والبيغاوات التي تتبع وراء كثير من الصحف العربية ترد ما يبدئ فيه اليهود ويميدون، وتحذّر من دفع المساعدات للمجاهدين لأنها - بزعمهم - تزيد في سفك دماء المسلمين، في حين أن كف الأيدي عن البذل في قضايا مثل أفغانستان إنما يعني عدم دفع الشر عن الأطفال الأطهار وعدم حقن دماء الشيوخ الأبرار.

المؤامرة الكبيرة:

فغفر صاحبي قاه قائلاً إذن فالمؤامرة عالمية؟ فأجبت قائلاً: نعم، ألا تسمع اللحن النشاز في مسيرة الشرف والفخار والذي ينادي بعودة ظاهر شاه، فقد نقل إلي أن الجنرال أكرم قد عاد من عند ظاهر شاه قبل أيام فسئل عن الملك فقال: لقد عرض عليه الأمين العام للأمم المتحدة أن يرجع إلى أفغانستان فأجاب الملك أن أرجع حتى يطلبني القادة السبعة وعلى رأسهم حكمت يار وسياف، وإذا يكون حين يلج الجمل في سم الخياط.

مقتل ضياء الحق:

فقال صاحبي وهو يتابعني ولعل قتل الرئيس ضياء الحق كان جزءاً من المؤامرة. فقلت: إن قتل ضياء الحق كان الركن الركين في هذه المؤامرة، فقد قتل ضياء لأنه وقف وقفه الشرف والإباء بجانب ليوث الله، فكان الغرب والشرق يخشون أن يصل المجاهدون إلى الحكم ويحفظوا لهذا القائد الفذ يده البيضاء ويقيموا اتحاداً قنرالياً أو كونفدرالياً مع باكستان، فتلقي الطاقة البشرية الإسلامية في أفغانستان مع القوة الذرية في باكستان وعندها تصبح مصدراً للربح يهز أوصال الكفر في العالم أجمع، عدا أن ضياء الحق قد أسدل ستاراً حديدياً من الصنعت المطبق حول قضية المفاعل النووي الذي حُمت لوجوده أجهزة الأمن الهندية واليهودية (الموساد)،

(١) خراسان لمحمود شاکر / ص ١٢.

والتي أوكلت لأجهزة الرصد الأمريكية بالبحث عنه فبات بالفشل.

عدا أن ضياء الحق كان يقف صخرة شماء أمام المخطط الأمريكي الذي ينوي ضم الهند إلى المعسكر الغربي، وكان للهند شرط واحد: أن تكون شرطي المنطقة، فيأبى الراحل الفذ أن يعطي الدنية في دينه للهند. ودعك عن الوقفة المشرقة التي ودع بها الدنيا يوم أن أطاح بالحكومة المدنية وألى على نفسه ليحكم بالإسلام وإن كلفه ذلك نفسه وعرشه.

ولذا فإن المراقبين يكانون يجمعون أن أمريكا هي التي عبثت بطايرته، وذلك لأن المادة الكيماوية التي استعملت في حادثة اغتياله لا تصنع إلا في بولة متقدمة.

واستدارت عجلة الجهاد :

أما اليوم فقد استدارت عجلة هذا الجهاد كيوم بدأ، وعاد يواجه الصعوبات التي قابلها في تلك الأيام الأولى من ضيق ذات اليد وتنكر الصديق قبل العدو، وبدأ التضييق على الحدود، وجاء قرار منع إخراج الأغذية خارج باكستان كالثاني ليعول دون وصول الرغبة إلى يد ليوث الغاب، فإذا وضعت في حسابك السنين التي حلت على أفغانستان خاصة شمالها وغربها تحمل معها القحط والفاقة حتى تضاعف ثمن الطحين لهذا العام خمسة أضعاف، وزحفت الآفات مع الجراد لتأتي على ما بقي من حياة، وأضافت القذائف بحراتها على هذا الجو الكئيب الحزين عمقاً لمأساة الرغبة. ولقد جاعني 'نعمة الله' أحد تلاميذ معهد الانتصار من بدخشان يقسم لي أن جبهتي في 'شهر بزرگ' تعرض السلاح للبيع حتى تشتري الطحين للمجاهدين، ولكن أنى لهم بالمشتريين؟

ودعك عن إيقاف الدعم المفاجئ الذي واجهه المجاهدون من الدول الصديقة وهم على أبواب كابل حتى لا تحسم المعركة عسكرياً.

الحائط المسدود :

قال صاحبي: ولكن ألا ترى أن الجهاد الأفغاني قد وصل إلى حائط مسدود ومأزق ضيق، ووقف أمام عقبة يصعب عليه اجتيازها بعد عجزه عن فتح جلال آباد مع مرور هذا الوقت الطويل؟

فقلت له: رويدك قليلاً ولترجع إلى الوراء قليلاً لتدرك حقيقة جلال آباد، فلقد كانت الحكومة تسيطر على مساحة ٢٠×٧٠ كم (١٠٠ ٢ كم) تقريباً قبل ثلاثة أشهر في منطقة نجرهار (جلال آباد)، فلم يبق في يدها إلا (٤×٧ كم)، هذا بالنسبة لجلال آباد التي تقع تحت رحمة نيران المجاهدين التي يكفونها عن الأمان.

أما بالنسبة لأفغانستان : فالمجاهدون يسيطرون تقريباً على معظم الطرق الرئيسية مثل شارع كابل غزني، قندهار هرات، كابل جلال آباد، جلال آباد ملورخم، جلال آباد أسعد آباد، كابل لوكر، لوكر جارديز.

ودعنا نقلب معك صفحات التاريخ :

حصار الطائف :

ألم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبواب الطائف بعد أن حاصروهم بضعاً وعشرين ليلة بعد أن نالت النبال من أصحابه صلى الله عليه وسلم، ودماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنجنيق حتى كان يوم الشدخة عند جدار الطائف، ودخل نفر من أصحابه صلى الله عليه وسلم تحت دبابه (آلة تصنع من خشب وتغذى بالجلود يدخل فيها رجال ليصلوا إلى السور لينقبوه)، فأرسلت عليهم ثقيف سكند الحديد المحماة بالنار فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالاً فأمر صلى الله عليه وسلم بقطع أعقاب ثقيف^(١).

فتح العراق :

ألم تعلم يا أخي أن المدة التي مضت بين القادسية التي كانت في محرم سنة ١٤هـ وبين نهاوند سنة ٢١هـ (أقدم مدن العراق) سبع سنوات. وكان المسلمون خلالها بين كر وفر وهزيمة ونصر.

(١) السيرة النبوية لابن هشام / ج ٤، ص ١٢٦

أما علمت أن الصحابة والتابعين قد وقفوا أمام حصون تستر (مدينة الهرمزان) سنتين كما يروي ابن كثير، وأنهم قد خاضوا مع الكفر فيها ثمانين معركة، وزحفوا ثمانين زحفاً، وما دخلوها إلا بعد أن خرج إليهم رجل من أشراف القوم اسمه "سمينة" ودلهم على الطريق، وأدخلهم بأمان حتى قتلوا الحرس واقتحموا الحصن بعد أن دعا لهم البراء دعوته المستجابة (اللهم اهزمهم واستشهدني)، وقد استشهد خيار الصحابة فيها كالبراء ومجزأة بن ثور.

وفي نهاوند (فتح الفتوح) يرسل النعمان بن مقرن طليعة أمام الجيش، ولهول الموقف يرجع الجميع حتى عمرو بن معد يكرب، وينفذ رجل واحد وهو طليعة الأسدي (المتقين القاتل)، فلما طال الحصار جمع النعمان أهل الرأي يستشيرهم، فقال عمرو بن معد يكرب يحرض المسلمون (ناهدهم وكاثرهم ولا تخفهم، فردوا عليه جميعاً: إنما تناطح بنا الجدران والجدران أعوان لهم علينا)^(٣).

فقه الأوراق وفقه الحركة:

والذين يزارلون فقه الأوراق اليوم وهم ينقلون عن الصحابة طول مدة القصر يظنون أنهم كانوا مستقرين مطمئنين، ولا يعلمون وهم ينقلون عن الصحابة أنهم كانوا في معارك لا تتوقف، أو جو من الرعب والرهب في حصار أعداء الله وشيخ الموت يتراعى أمام نواظرهم صباح مساء.

فقد روى نافع عن ابن عمر (أقام ابن عمر بأذربيجان ستة أشهر يصلي ركعتين، وقد حال الثلج بينه وبين الدخول) وقال أنس: (أقام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم برام هرمن سبعة أشهر يقصرون الصلاة)، وقال الحسن (أقامت مع عبد الرحمن بن سمرة بكابل سنتين يقصرون الصلاة ولا يجمع)، فقد كان الجميع يعيشون المعركة في خضم متلاطم من القبائل، والأعداء يتحفزون للانتفاض عليهم والبطش بهم.

قال صاحبني: إذن لم يفت الوقت، فأجبت بلى: بل إن الجهاد في تقدم، وما من يوم يمر إلا والجهاد يحقق نصراً مهما كان ضئيلاً، والمجاهدون الآن يدمرون الحزام الأممي الثاني لكابل، ويوصلون الليل بالنهار لمعركة كابل المقبلة خلال الأشهر القليلة المقبلة بإذن الله، فتراهم مشغولين بحفر الخنادق وتخزين المُن ونقل الأسلحة [وليحرصن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز] الآية (٤٠) الحج. وبشترنا حكمت يار بالأمس عن فتح مديرية كبرى من مديريات كابل وهي (ميربجاكوت) مع غنيمة ١٦ دابة.

أريد حياته ويريد قتلي:

ولو علم الغرب والشرق والأمريكان بالذات ما سيحققه انتصار هذا الجهاد من خير لهم، ومن إنقاذ لإنسانيتهم، وحل لأزماتهم، لبذلوا له الغالي والرخيص والنفس والنفيس، إنهم يريدون الرحمة المهداة، والسكينة والطمأنينة المنشودة والتي فقدوها نهائياً في مجتمعاتهم، إنهم يقتلون الإنسانية بحضارتهم، وانتصار الجهاد وتسلم المجاهدين للزمام يعني تقديم السعادة للإنسان، إن حاجة البشرية اليوم إلى الإسلام أشد من حاجتها إلى الطعام والشراب.

إن حضارة الإسلام هي الوحيدة التي تصلح لإرث الأرض وإنقاذها، إن نداء الفطرة يصرخ: أريد حضارة (الإرث الثالث) كما يسميها جارودي، إن الفطرة تريد الخلاص، وصدق الله العظيم: (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمضي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) الآية (١٢٢) الأنعام.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

(٣) البداية والنهاية ١٢٩/٧.

الطريق إلى كابل*

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فعلى طول الطريق من بيشاور إلى غند الفتح (جاجي) كان الحديث الذي يدور بيني وبين حكمتيار وملك ويحتل الأهمية البالغة في وقتنا هو حديث الجهاد، وفي قمة الأهمية البالغة معركة كابل التي أصبحت الشغل الشاغل للمجاهدين قادة وجنوداً، كيف لا وهي فيصل المعركة التي قُسم لها الغالي والرخيص والنفس والنفيس، وعلى حسم المعركة في كابل تتوقف نتائج عظيمة لهذا الجهاد الذي اشرأبت له الأعناق، وهفت له القلوب، فأصبح لها موردها ومثابتها، وسامرها وأنيسها وسلوتها، فما بذلت النفوس، ولا أريقَت الدماء، ولا كانت هذه التضحيات إلا لتحقيق هذه الأمنية وذلك بفتح كابل والتي يترتب عليها إسقاط النظام الشيوعي ومن ثم إقامة دين الله في أفغانستان، وبناء المجتمع الإسلامي.

مركز "الفتح":

وصلنا مركز "الفتح" الذي أخذ حبه على حكمتيار كل مأخذ، إذ كانت له في غاباته زكريات عزيزة إبان المعارك التي احتدمت خلال الأعوام المنصرمة، وقد كان حكمتيار أثناءها يتخذ قمة من القمم الشامخة التي تقاطح عنان السماء مستقراً يريض فيه خلف رشاش مضاد للطائرات، وقد صاحبه في بعض المواقع الساخنة في هذه الأصقاع وكانت يومئذ في الحرب الضروس فئات كثر المتنبئ يعنيتها قائلاً:

في غلما أخطرأ أرواحهم ورضوا بما لقين رضا الأساد في الأجم^(١)
قد بلغسوا بقناهم فوق طاقته وليس يبلغ ما فيهم من الهم^(٢)

ولشدة ولعه بحب "الفتح" فقد أوصى حكمتيار: (إذا مت في بيشاور أو في باكستان فادفوني في الفتح، وإذا استشهدت في أفغانستان فادفوني حيث مصرعي).

لقاءنا مع الإخوة العرب:

وقد كان اللقاء في الفتح مع مجموعة من الإخوة العرب في الثاني من ذي الحجة سنة ١٤٠٩ هـ يقودهم أبو الحسن ومعه ثلة من الصفوة قد أعدوا أنفسهم ليلقوا بها في أتون معركة كابل، وفي خضم أحداثها، وبدأ أبو الحسن يتكلم عن رحلته قبل أيام إلى خرد كابل حيث زار مع بعض إخوانه مناطق الحوزة الثالثة من كابل (سرروي وبيجرامي وتشار أسياب)، وأخرج أبو الحسن خارطة كابل، وكان قد طبع حوالي ثلاثمائة خارطة لأماكن شتى لكابل وما حولها، ودار الحوار حول حوزات كابل وأهدافها الرئيسية، فقال حكمتيار: لابد من إغلاق الطريق الرئيسي الواصل بين سالتنج وكابل، طريق (حيرتان - سالتنج - كابل)، هذا هو الهدف الأول الذي يجب أن نضعه نصب أعيننا.

وأما الهدف الثاني فلا بد من ضرب المراكز الحساسة مثل مطار كابل (خوجا رواش)، وبيجرام، ودار الأمان.

ثم قال حكمتيار: إن مديريات كابل يمكن ترتيبها حسب أهميتها في المعركة القادمة كالتالي:

(١) الحوزة الأولى الشمالية : ذات الأهمية القصوى وتضم أربع مديريات: قره باغ، مير بنشاكوت، دي سبب، شكربره.

وهذه يوكل إليها مهام ضرب الطريق الرئيسي (حيرتان - سالتنج - كابل) ومطار بجرام ومطار خوجا رواش (مطار كابل).

(٢) الحوزة الثانية (حوزة غرب) وتضم بغمان وجاردي، ويوكل إليها ضرب دار الأمان.

(٣) الحوزة الثالثة : (جنوب شرق) وتضم : سرروي وبيجرامي وتشار أسياب ويوكل إليها مهمة أساسية وهي: ضرب مطار

كابل، ومهام أخرى: كإغلاق طريق كابل / جلال آباد، وطريق كابل / جارديز وضرب بول تشرخي.

وقد أجمع القوم على أن مقتل الحكومة في الحوزة الشمالية التي تستطيع أن تخنق كابل بقطع طريق الإمداد الرئيسي عنها.

القيادة الموحدة أو مجالس الشورى:

وأكثر ما كان يشغل أذهان الإخوة العرب ويتردد على ألسنتهم هو العمل الدائب لإظهار قيادة موحدة للمعركة، وهذا الأمر هو

* نشر في مجلة الجهاد - العدد الثامن والخمسون - معرم ١٤١٠ هـ الموافق أغسطس ١٩٨٩ م.

الذي استحوذ على اهتمام الإخوة في جولاتهم حول كابل والتي بدأت منذ بضعة أشهر، وهما قضيتان لا بد من الوصول فيهما إلى حل:

(١) الاجتماع على قيادة موحدة.

(٢) الاجتماع على خطة مشتركة بين المجاهدين.

وهناك قضايا أخرى كانت الترتيبات والاتصالات الدائبة تعمل عليها منذ عدة أشهر، وعلى رأسها التنسيق مع القادة الأمراء بشأن المواد الغذائية وتوفيرها للمعركة، وقد كانت التقديرات الأولية أن معركة الصيف تحتاج ستة آلاف طن من المواد الغذائية، وتوفير الغذاء ونقله إلى الخطوط الأمامية كان يشغلنا ويجهد علينا أفكارنا.

ولعل الله قد اطلع على قلوب بعضنا، فعلم صدق النيات وإخلاص الطويات فالآن لنا بعض قلوب الصالحين والحسنين، فبدلوا بسخاء، وقد تجمع بعض المال الذي اشترينا به المواد الغذائية.

وفي المساء وعند هذه القضية بالذات قمت بالتجول مع أبي الحسن بين المخازن التي نصبت سرادقها لتوضع فيها الأغذية (الأرز والطحين والعدس واللوبياء والسمن)، وكانت السيارات الشاحنة الضخمة واقفة أمام هذه الخيام وقد شُحنت هذه الناقلات بالأغذية.

وكانت القافلة الأولى تضم ستاً وعشرين ناقلة كبيرة بدأت مسيرتها بعد طلوع الشمس، وأخذت صيحات التكبير من الإخوة العرب تتعالى وتتردد أصدانها بين السقوح والأودية، وارتفعت الأكف إلى السماء ضارعة إلى الله أن يحفظ هذه الشاحنات وأن يوصلها على خير.

تبرع سخّي :

ولقد ذكر لنا أبو الحسن أن هذه المواد الغذائية قد تبرع بها أحد المحسنين، فصرعت إلى الله عز وجل أن يحفظه في دينه وماله وأهله، وأن يجد بركة هذا التبرع السخي في دنياه وأخراه وذريته وصحته، ولقد ورد في الحديث الصحيح أن بغياً من بني إسرائيل سقت كلباً فغفر الله لها. فكيف بمن يتكفل عشرات الألوف من المجاهدين بالطعام في معركة فاصلة مثل هذه يتوقف عليها كثير من النتائج في المنطقة بل ربما في العالم أجمع .

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي	المجد للسيف ليس المجد للقلم
اسمعتني وبوائني ما أشرت به	فإنما نحن للأسياف كالخدم
من اقتضى بسوى الهندي حاجته	أجاب كل سؤال عن هل ولم

حديث التاريخ :

ولقد حشني التاريخ قائلاً: إن بين طيات صحفي مصداقية كلامك، فمن وسط أسيا خرج المغول وحكموا أرجاء كبيرة من المعمورة، واعتنق أحد أبناء جنكيزخان هذا الدين (وهو بركة خان)، وقامت الدول المغولية الإسلامية التي حكمت تركستان وأصقاعاً كبيرة من الأراضي التي تزرع تحت الاستعمار السوفياتي. ولقد برز من هذه الأرض (وسط أسيا) تيمورلوك الأعرج الذي أنشأ الدولة التتارية والتي بسطت سلطانها على مساحات واسعة من الأرض، واعتنقت الإسلام، وأخذت مكانتها خليفة للدولة المغولية.

وبزغ من هذه الأرض الأتراك العثمانيون الذين امتد رواق سلطانهم قرابة خمسة قرون على العالم العربي وعلى أرجاء شاسعة في أوروبا يحكمونها باسم الإسلام، وتعلن إنعائها لهم بدفع الجزية لخلفاء بني عثمان.

فلا تستغربن أن يكون للأفغان دور ينتظرهم في إنقاذ قطاع كبير من البشر باسم الإسلام ويحد الحسام.

قال أبو الحسن المدني: إن أول ما لفت نظري إلى أهمية القضية الأفغانية أستاذ في الدراسات الشرقية في جامعة أمريكية أخذت عنده مادة في التاريخ لمدة أربعة أشهر، وقف فيه الأستاذ شهرين كاملين مع القضية الأفغانية وصورها المنتظر في التاريخ الحديث.

وواصل أبو الحسن حديثه عن متطلبات المعركة فقال: لا بد من تنشيط حفر الخنادق، وقد سهل الله لنا بأن اشترينا مائة حفارة

على حساب أحد المحسنيين، وقد دربنا مجموعة كبيرة من الأفغان على هذه الحفارات بحيث يستلمونها ويحفرون بها ويقومون بإصلاحها إذا اعتراها عطل أو خراب.

وواصل الحديث : إن من ضرورات المعركة تأمين الخدمات الصحية : فرق الإسعاف، ومستشفيات الإخلاء (التخلية)، ثم المستشفيات المركزية.

وقد قطع الإخوة العرب شوطاً كبيراً في هذه الميادين.

لغة الواثق المطمئن :

وأثناء الحديث قال أبو الحسن: لقد دار النقاش بيننا وبين القادة في الميدان عن الشتاء المقبل، وأخذنا عهداً على البعض ألا يترك مكانه إذا تساقط الثلج، فقاطعه حكمتيار قاتلاً: لا تعدثوهم عن الشتاء، فإننا نرجو - بإذن الله - أن تحسم المعركة في هذا الصيف لصالح المجاهدين، وأملني بالله عظيم أن يطيح بعرش نجيب قبل حلول الشتاء.

وأنا أعلم : أن حكمتيار متفائل دائماً، وقد جاءت الأيام تصدق كثيراً من أماله ، فكثيراً ما كان يدور النقاش بيني وبينه حول انسحاب الروس وقبل سنوات كان يقول لي: ليس أمام الروس أي طريق سوى الانسحاب أو أن يقتحم الجيش الهندي الباكستان، والجيش الهندي دون اقتحامه (خطر القتاد)، فلم يبق أمام الروس سوى الهزيمة والخروج، وصدقت الأيام ظنه.

وقد بدأ حكمتيار بالمعركة مع إخوانه سنة ١٩٧٥ ضد نظام داود، وقد كانت كل المؤشرات تقطع بأن فال حكمتيار لا محالة خائب، وأن معركته خاسرة، وما عمّله إلا انتحار للحركة الإسلامية.

ثم مرت الأيام وصدقت ظن حكمتيار، واتضح للأذهان بما لا يدع مجالاً للشك أن لولا الله ثم قرار خوض المعركة ضد داود لأصبحت أفغانستان مع الأيام قطعة من روسيا كبخارى وطشقند. ولكن رأيت حكمتيار قد تعجل في تحديد فترة سقوط جلال آباد وقندهار.

أما بالنسبة لكابل: فلقد أخذ حكمتيار يسرد علي تفاصيل المعركة وذلك بيني وبينه، مما جعلني أطمئن أنه لا يعيش في أوهام، ولا يتحرك في فراغ، ولا ينعم في عالم الأحلام، وإنما ينطلق من قاعدة صلبة، وضمن يديه أرقام وأسماء ووقائع تجعله واثقاً بفضل الله أن نهاية الشيوعية في أفغانستان قريبة، ولكن علق الأمر على قدر الله أولاً ثم على توفر الذخائر بشكل كافٍ.

أما بالنسبة لي: فقد بت جد حذر من التسرع بتحديد مواعيد لسقوط المدن أو نهاية الطاغوت في كابل بعد أن تعجلنا كثيراً في إعلان سقوط جلال آباد التي كانت في نظرنا لا تتعدى الأسابيع القليلة، ثم ظهر لنا فيما بعد أننا لم نكن محيطين بالصعوبات البالغة والعقبات الشائكة التي تكتنف فتح المدن.

القدر لا يخضع للبشر:

وهناك أسباب يخبئها الله لعباده الصادقين ينزلها الله أثناء الشدة وإبان الأزمات، فقد تستسلم فرقة من الجيش الكافر بالاتصال السري فتنتهي وجود الحكم.

التفسير الرباني : وإني لأحس من أعماقي رحمة الله وفضله في تسخير العرب لخدمة هذا الجهاد، وبورهم في إنكاء روح الحماس لدى المجاهدين الأفغان الذين طحتهم الأحداث، ومصررت عجلة الوغى أعصابهم وأنفسهم وقلوبهم، حتى بات لسان حال الكثيرين يقول:

تمرست بالآفات حتى تركتها تقول أمات الموت أم زعر الذعر

ويقول :

جرحت مجروحاً لم يبق فيه مكان للسيوف أو السهام

وعطاء العرب من أنفسهم وأرواحهم أضخم بكثير من بذلهم من جيوبهم، ودلك عن الروح المعنوية العالية التي يقبل بها العربي وهو يتدفق حيوية ويتفجر حماساً مما يرفع معنويات المجاهدين.

ولا تنس الالتزام الخلقي الذي يعتبر سمة بارزة للمجاهدين العرب، عدا المعرفة العميقة للكثير منهم بالسنة والقيام وصيام

النافلة وأداب الطعام والشراب والتزام أنكار الصباح والمساء، وتلاوة القرآن، وأداب السفر، وأدعية القتال، مما ينتقل إلى الأفغان بالامتداء والتأسي لا بالكلام والتعليم.

هذا عدا المؤسسات التي أشرف العرب على إنشائها داخل أفغانستان للمجاهدين، أو في باكستان للمهاجرين وفي شتى المجالات التعليمية والطبية والاجتماعية وحتى العسكرية.

أمر يتفرد بها العرب :

وهناك مشاكل استعصى حلها على الأفغان، أو أعجم عليهم الامتداء إلى إلزائها، فكان الفرج على يد العرب: كالاخلافات الداخلية، وإغلاق الطرق من قبل بعض الجبهات على الأخرى، والتنسيق بين قادة الميدان، أو التقريب بين وجهات نظر الأمراء.

أعداء الله يدركون الخطر:

ولقد أدرك أعداء الله البارزون وأعدائهم المستترون بأسماء المسلمين ضخامة الدور الذي يقوم به العرب الآن في المعركة، والروح التي تسري في الجهاد والمجاهدين كسريان النور في الظلام بسبب وجود هؤلاء المهاجرين الأنصار العرب، مما جعل الأعداء ينتفضون بكثرتهم يشنون حملاتهم المسمومة على الوجود العربي، ويشعلون الفتنة ضدهم باسم الوهابية، والتشكيك بالغايات السامية التي طُلّق من أجلها المجاهدون العرب الدنيا وهجروا النعيم، حتى جازت الحيلة على بعض الجبهة، وأخذوا يوغرون صدور المسؤولين في باكستان على الوجود الإسلامي بين المجاهدين الأفغان، ويؤذونهم أذاً للتضييق على حركتهم، ومنع إعطائهم الاعتراف القانوني ببعض مؤسساتهم.

ولكن جذور المحبة العميقة التي نمت مع الأيام بين الأفغان والعرب من خلال تسابق العرب على الموت، والتزام خنادق القتال، والإلقاء بالنفوس في أتون المعارك المضطربة جعل الأفغان وهم أهل رجولة وإباء وشجع وفراصة يتركون أن هؤلاء العرب ما جاعوا لغرض قريب أو متاع زائل أو سفساف من الأمر، وإنما جاعوا لقضية كبرى هي: الشهادة والجنة وإحياء دين الله من جديد، وإقامة المجتمع الإسلامي فوق مضاب خراسان وبلخ وطالقان (وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل نوه).

وبعدك من الاحترام العميق الذي يكنه الأفغان بدافع من دينهم للعرب الذين يعتبرونهم أحفاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قال يونس خالص لنا: (إننا نعتبر حب العرب جزءاً من ديننا).

ولكن لابد أن يكون معلوماً لدى الجميع أن العرب لا يفعلون شيئاً بدون الأفغان ولا يستطيعون (فهم كالمالح للطعام). استدراك مهم: وفي ختام الجلسة الطويلة قال حكمتيار: ولكن علينا أن لا ننسى أننا نواجه مشكلة المديتين الذين يقطنون المدن، فلا بد من إنقاذهم، وعلينا أن نوفر لهم الخيام والمأوى في المناطق المحررة المحيطة بالمدينة .

القدر والبشر :

وختاماً لا يغيب عن البال أن قدر الله جاره، وأنه لا راد لمشيئته، ولا معقب لحكمه، إليه يرجع الأمر كله، بيده ملكوت كل شيء، والبشر لا يملكون إزاء القدر شيئاً، إنما يجب علينا الأخذ بالأسباب والنتائج بيد رب الأرباب.

فالمجاهدون يعنون، وهم على طريق كابل سائرون، وأعداء الله متيقظون متحفزون ..

[وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون].

[ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين] .

رجال وأحداث *

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

فهيكذا وعلى طول الطريق من "سنجت برة" إلى "تشاري كار" حتى مصنع النسيج في "جلبهار" كائنك تسير في بستان واحد، الظلال الوارفة، والثمار الدانية، والأوراق اليانعة، قطعة أرض واحدة على مد البصر تمشي عدة ساعات وكائنك لم تخرج من الروض النضير الذي ابتدأت منه المسير، الشارع العام الموصل بين كابل و"تشاري كار" يمر عنه المار في رابعة النهار فما تجد من العدو أحداً ولا تسمع له ركزاً، ومدينة "تشاري كار" هي (مركز بروان)، ونمشي على هذا الشارع وعلى بعد نصف (كم) أو أقل من مركز بروان، بل إن المواقع العسكرية للمجاهدين لا تبعد أكثر من مائتي متر، وخنادق المجاهدين لا تبعد خمسين متراً عن الشارع استعداداً لقافلة مارة أو دبابات تؤمن الطريق للمواد الغذائية القادمة من روسيا إلى دولة كابل.

شمالي :

ويطلق أهل أفغانستان على هذا السهل الممتد من "شكردرا" إلى "جلبهار" اسم (شمالي)، ولعل الاسم قد أخذ لأن السهل يقع شمال كابل، وهو قطعة أرض واحدة على مد البصر، وكائنها مسطح أخضر، لأن الأشجار المثمرة من المشمش والتوت والبرقوق والكشمري والدراق والجوز والأعناب والرمان وغيرها من الثمرات التي تشتهيها الأنفس وتلذ الأعين تغطي سطح هذا السهل المجيب. وينتظم هذا السهل الريان ولايتي (كابيسا وبيروان) تخترقه الأنهار ذات الماء الذي يشبه اللجين -الفضة-، وتتدفق هذه الأنهار في الصيف حتى تصبح بأمواجها المتلاطمة البيضاء مع الجداول التي تتفرع منها أو تصب فيها فتشكل لك مناظر ساهرة أخاذة، تأخذ بمجامع القلوب والألباب.

وفي هذا السهل مطار "بجرام" الذي يحيط به المجاهدون من كل جانب على بعد لا يتجاوز مائة متر.

وجبل السراج الذي لا يختلف عن سابقه (مطار بجرام) من حيث الأهمية، وفيه قوة للدولة في مكان يسمى (قلعة سرخ) أو (قوای سرخ) أي القلعة الحمراء - والتي تؤمن الطريق أثناء مرور قافلة ضخمة أو شاحنات زخيرة - على مقربة من ممرسالنج الجنوبي أخطر مضيق على القوافل الروسية المارة - وعلى طول ٢ كم، ثم تسير من ممر سالنج الجنوبي حتى تصل قعره باغ" ومير بتشك كوت" ثم "شكردرا" (وادي السكر) وهذه الثلاثة الأخيرة ساقطة في يد المجاهدين وهي من مديريات ولاية كابل، أما "شكردرا" فقد اخترق المجاهدون فيها الحزام الأمني (كربند) الثالث، والذي يحيط بكابل لتأمينها والمكون من الجيش، وكذلك انقض المجاهدون على الحزام الأمني الثاني - حزام الخاد (المخابرات)، ولم يبق سوى الحزام الأول المحيط بكابل وهو حزام الشرطة.

هذه المراكز والتي تعتبر شريان الحياة للدولة لا تحتاج إلا لتنسيق الجهود بين المجاهدين، ثم إنزال ضربات سريعة متلاحقة متتالية عليها لتهوي في يد المجاهدين، وبالتالي تؤدي إلى الإطاحة بالنظام الشيوعي الذي يرأسه نجيب في كابل. وهذه المراكز "تشاري كار"، مطار "بجرام"، "جبل السراج"، "قلعة سرخ" بالإضافة إلى الطريق العام الموصل من "حيرتان" إلى كابل والذي يمثل شريان القلب بالنسبة للنظام، والذي يعتبر إغلاقه المقتل للدولة. وهذا الطريق لو نسقت التنظيمات الجهادية فيما بينها لاستطاعت ويجهود متواضعة أن تحكم إغلاقه.

أمان وليست أحلاماً، آمال وليست أوهاماً:

كان حكمتيار على طول الطريق من "بيشاور" حتى وصلنا "تشاري كار" يحثني أن أمامنا هدفين رئيسيين الآن :

١- إغلاق الطريق العام (حيرتان - كابل أو روسيا- كابل).

٢- ضرب مطار بجرام.

فكنت أقول له: أوتظن أن الحزب الإسلامي وحده قادر على القيام بهذين الهدفين وتحقيق هاتين الأمنيتين؟ فيقول لي: أظن أننا

قادرون بإذن الله -كحزب إسلامي وهو التنظيم الذي يرأسه حكمتيار- على تحقيق هذين الأمرين.

* نشر في مجلة الجهاد - العدد التاسع والخمسون - صفر ١٤١٠هـ الموافق سبتمبر ١٩٨٩م.

نكنت أقول له: لعلك بحاجة إلى ألا تغض طرفك عن التنظيم القوي الآخر الذي يشاؤك هاتين القضيتين وهو الجمعية الإسلامية.

ولقد كنت حريصاً وأنا بجانب المهندس حكمتيار أن أقر في قلبه أن ليس بإمكان الحزب وحده أن يضطلع بمسؤولية فتح الثغور المهمة التي ذكرها آنفاً، وليس بمقدوره أن يحمل على كاهله إغلاق الطريق وفتح مطار بگرام.

وبناءً عليه فكنت أريد أن أقرب إلى ذهنه الحكم الشرعي بالنسبة للقائه مع أحمد شاه مسعود (القائد العام لتنظيم شوراي نظار الذي يتضمن عشر ولايات شمال كابل والذي يشكل جزءاً مهماً من الجمعية الإسلامية التي يرأسها الأستاذ برهان الدين رباني). لقد كنت أقول لحكمت يار ونحن على مشارف بروان: إن لقاءك مع مسعود الآن فرض شرعي ولئن عدت إلى بيشاور دون اللقاء به فانت أثم. فقال لي: أثم؟ قلت: نعم أثم شرعاً لأنك تفوت فرصة تقرب الإطاحة بالنظام الشيوعي أو تثل عرشه وتزلزل كيانه. ووافق حكمتيار ورحب باللقاء.

موقف حكومة كابل المتهاقت :

ورسلنا بروان وكلنا آمال أن يلتقي حكمتيار بأحمد شاه مسعود وينسقا من أجل اجتثاث الحكم الشيوعي المتهاوي من جنوده، ولك أن تتصور ضعف الدولة من خلال لقاء نجيب مع مجموعة من المزارعين، لقد سمعت نجيباً من خلال المذياع يتكلم مع مجموعة من المزارعين الذين جاؤا يتنعمون من إغلاق طريق بروان - كابل والتي تشكل للفلاحين عصب الحياة، لأنهم يريدون أن يوصلوا ثمارهم التي طابت وحان قطافها إلى كابل، لأن هذا هو موسمهم السنوي كي يبيعوا جني بساتينهم من سائر الثمار في أسواق كابل، ومن أثمان هذه الثمار يعيشون بقية سنتهم.

قال نجيب : أنا لم أغلق الطريق، قولوا للمجاهدين أن يفتحوا الطريق لكم ولنا. وكنت أسمع لغته الرقيقة التي يتوغل بها لدى هؤلاء المزارعين أن يكونوا واسطة لدى المجاهدين، فكان يردد أسماء القادة (سياف صاحب سياف المحترم - المهندس قلب الدين... الخ). ولقد جأنا الأخ الدكتور حمزة أسد الموافق ٨٩/٨/١٩م برسالة موجهة من نجيب إلى حاج شير علم - قائد الاتحاد في مديرية بغمان - ليوقف القصف على كابل، وكانت هذه الرسالة إحدى رسائل ثلاثة وصلت إلى الحاج شير علم في هذا الشهر من نجيب.

كان هذا قبل ثلاث ليال في "رخا" (مركز بنشير)، فأقول في نفسي ليت صحف (الوطن) و(الأنباء) و(السياسة) تسمع لغة نجيب فتستعملها مع المجاهدين، لأن لغة أهل الشمال البترولي (اليسار المتورم بالديزل) أشد فظاظاً وأكثر غلظة على الجهاد والمجاهدين من نجيب نفسه، لأنه يتكلم بمنطق الضعيف المهزوم، وأما أهل الشمال البترولي فإنهم يشعرون بقوة لأن بطونهم منفوخة بالكاز والمنازوت. وكان نجيب يشكو إلى المزارعين وجود العرب في "شكردرا" و"كوهستان" و"جلال آباد" و"ميدان"، ويعيد مرة بعد مرة حول وجود العرب قائلاً: أي مبرر لوجود هؤلاء بعد خروج الروس؟ فالقضية خلاف داخلي بين الأفغان أنفسهم، وبإمكانهم أن يحلوا قضيتهم فيما بينهم، ثم يضيف نجيب لقد أعطي هؤلاء العرب فرصة نشر الوهابية في مساجد المناطق التي يحلون فيها.

أرأيت ضعف حكومة كابل الشيوعية؟ فماذا على المجاهدين سرى التنسيق والتعاون، بعد التوكل على الله تعالى؟

قذيفة حمقاء تبده آمال العقلاء :

في هذه الأيام التي كنا نتنوق فيها معسول الأمانتي ونتطلع غيباً إلى تحقيق الآمال، وقفت أنا وحكمتيار تحت ظلال الأشجار الوارفة وعبد الله أسد لفرسه إلى الشمال ليبلغ القائد (أحمد شاه مسعود) بقومنا حتى يأتي إلى بنشير لفرتب اللقاء السار مع حكمتيار.

قال لي حكمتيار: لقد أذاعت الـ (B.B.C.) نبأ كمين أعده سيد جمال آغا وليد لقادة مسعود أثناء عودتهم من اجتماع (شوراي نظار)، ولقد قالت الإذاعة: إنه قد قتل ثلاثون منهم أربعة كبار وذكر أن (قاضي إسلام الدين ود حسين) من بين القتلى. وقد نظرت إلى وجه حكمتيار وقد امتنع بالسواد تائراً للحادث المروع الأليم الذي اقترف، وكتب حكمتيار استنكاراً شديداً لهذا

الحادث المزلزل، وأرسله إلى مكتبه في بيشاور ليقوم بتبليغه إلى الإذاعات والصحف.

كنت قد اتفقت مع حكمتيار أن لا يغادر بروان ولو امتد الأمر طويلاً حتى يتم اللقاء، ولدى تلقيه للنبا الفاجع قرر مغادرة أفغانستان ونصحته شخصياً أن يغادر لأن الخرق قد اتسع على الراقع وقد يطول بنا الأمر. ثم قال لي حكمتيار: نحن مستعدون أن نقدم سيد جمال للمحكمة الشرعية تحكم فيه حسب الشريعة الإسلامية، وقلت له: لا بد لي الآن أن أقابل مسعوداً.

نحو بنشير:

وعندها أزمعت السير إلى مسعود وأخذت معي أبا الحارث وأبا هاجر وعبد الله أنس وتوجهنا إلى مقر الجمعية في "جلبهار"، فاستقبلنا (بسم الله) مساعد (عظيمي) مسؤول ولايتي كابيسا وبروان لدى الجمعية، وأعد لنا سيارة وخرج معنا نحو بنشير، وفي "رخا" غريت الشمس فقررنا أن نطوي ليلتنا هذه في بيت (بسم الله)، وفي اليوم التالي توجهنا إلى "بازارك" المقر الرسمي لمسعود، وجدنا الدكتور عبد الرحمن نائبه.

لقد رأيت د.عبد الرحمن يغلي كالمرجل، ويكاد يتفجر ألماً من الحادث المروع، وبدأ يعدد أسماء القادة الذين استشهدوا (ملا ريدو، سر معلم طارق، د.حسين، قاضي إسلام الدين، مولوي عزة الله).

قادة أعرف وزنهم ومكانتهم من أقوامهم، ودورهم في تحرير مناطقهم، وقد التقيت بهم جميعاً، وبعضهم لي به صلة متينة خاصة سر معلم طارق الذي يعرف له رفعة مقامه وعلو كعبه في منطقته، عدا دوره الكبير في الإصلاح إذ كان يعتبر حجر الزاوية في إصلاح ذات البين كلما ادلهمت الخطوب وتكاثرت الفواجع.

خلاصة الحادث:

قال الدكتور عبد الرحمن: لقد أعد الأمير -مسعود- دورتين للقادة، دورة في بنشير لقادة شمالي (بروان وكابيسا) لمدة أسبوع لشرح لهم الخطة المقبلة لمواجهة الدولة وتحديد المراكز التي يجب ضربها، ثم افتتح دورة أخرى في فرخار بولاية تخار ثم حدد بدء العمليات الجماعية على الدولة في يوم الجمعة ١٨ ذو الحجة سنة ١٤٠٩ هـ الموافق ٢١ يوليو ١٩٨٩ م، وأثناء عودة القادة من الدورة في السادس من ذي الحجة ١٤٠٩ هـ وفي "تنكي" (مضيق فرخار) وقع هذا الحادث الأليم المفزع، فتعطل البرنامج وتأخر التنفيذ.

لازال في الأمر متسع:

وإن شاء الله تكون النفوس كبيرة على مستوى الأحداث الكبار، ولقد تجرع المجاهدون ألماً أشد وتحملوا طعنات أعمق من هذا الحادث وتجاوزوه، والحق أن المصائب التي صبت على رؤوسهم من الصعب على النفوس العادية أن تحتملها، وكأن أحدهم يردد قائلاً:

سبحان خالق نفسي كيف لنتها فيما النفوس تراه غاية الألم
الدهر يعجب من حملي نوائبه وصبر جسمي على أحداثه العظم

من وادي خاواك:

وإنني لأكتب مقالتي هذا من وادي "خاواك" وقد حجزنا تساقط الثلج ونزول المطر عن مواصلة رحلتنا، وإنني إذ أرى نهر خاواك الهادر مسرعاً ليصب في نهر بنشير أمامي، وحولي مجموعة من المجاهدين، وأمامي كانون القار ونحن في تموز ٢٥ (يوليو)، وأعجب كيف يعيش هؤلاء المجاهدون في الشتاء، وكيف صبروا عبر هذه السنين العجاف الرهبة وليس في الوادي إنس ولا وحش، ولعل الجان يهرب إذا رأى هؤلاء المجاهدين.

الأجهزة الغربية والإعلام المعادي:

ولقد كانت هذه الحادثة الأليمة مادة دسمة ووتراً حساساً عزف عليه الإعلام الغربي، وخنجراً مسموماً يطعنون به وحدة المجاهدين، ويشككون في إمكانية قدرتهم على الإطاحة بالنظام الشيوعي، وضعف طاقتهم عن الوصول إلى الحكم في كابل فضلاً عن قدرتهم على تأسيس حكم إسلامي قائم على قواعد متينة.

مقابلتي مع مسعود:

وأخيراً وصلت إلى (مسعود) في ورسج/ فرخار فوجدته يكذب بقضي أسرى ويمتصراً ثماً. وصلت إليه بعد أسبوع كامل من تسلق جبال تكسو قممها الثلج، وقد تساقطت الثلوج غليظاً في الطريق فأوثقنا يدينا في خضم أحد الجبال حتى تكشفت السحب ثم واصلنا السير.

بدأت الكلام مع مسعود عن الموقف الدولي والإسلامي والمحلي تجاه الجهاز الإسلامي في أفغانستان، وأن المعنويات في العالم الإسلامي لابد من رفعها بعمليات عسكرية ضخمة سريعة، وأنه لا بد من أن ننسى جراحاتنا العميقة إزاء هذا الطاغوت الذي يجثم على صدور المسلمين في أرض كابل، فقال: أقسم بالله أنني ما رضيت لحظة واحدة عن الخلافات بين الحزب والجمعية، وسيسألني الله يوم القيامة عن هذا فلجيبه أنني ما أعطيت يوماً من الأيام ذخيرة للجمعية وقلت للقائد أن يستعملها ضد الحزب.

ثم قال: وأنا حريص كل الحرص على الصلح مع الحزب الإسلامي، والله يعلم هذا وأقول لك جملة واحدة: لست مؤيداً لهذا الخلاف خوفاً من الله ورهباً من الحساب، ثم حياءً من الناس.

وانتني استحيي من الله ثم من الناس أن أقول: عندي كذا ألف مسلح ونجيب حي متربع على الكرسي. وإن خطيتي لهذا العام قطع طريق (سائنج - كابل) وافتتاح بعض المدن، وأعدك بإذن الله أن أشعلها بعد قليل من "حيرتان" على نهر جيحون حتى كابل.

وقال لي: أعدك - بإذن الله - أن لا تتخطى المشكلة مكانها وموقعها، وإن تتعدى المشكلة سيد جمال.

وأنا حريص أن ألتقي مع حكمتيار في أي مكان في أفغانستان، وقد وكلت بهذا منذ العام الماضي ولا زلت على موقعي، فتفاهم مع حكمتيار على ما تريد وأنا أقبل بما تصلون إليه.

ومما اتفقا عليه أنه لا يجوز شرعاً ولا عقلاً أن يقتل قائد في تخار فيقتل مقابله قائد من "جلبهار".

الراحة النفسية:

ودغم الطعنة النجلاء التي وجهت إلى صميم الفؤاد وفي هذه المرحلة العصبية إلا أنني حدثت مرتاح النفس هادئ البال مطمئن الضمير من داخل أفغانستان، فالوضع أفضل بكثير من بيشاور ومن الصورة الشوهاء التي ارتسمت في أذهان الناس في هذه الآونة عن الجهاد والاستعدادات لمواجهة نجيب كبيرة.

عقبات الطريق:

والعقبات في طريق هذا الدين والمشاكل التي تنشأ داخل الصف المسلم من بعض أذعيائه أو من أعدائه كثيرة ولا تزيد المشاكل النفوس إلا صفاء وجلاء ونقاء.

حادثة بئر الرجيع وبئر معونة:

وإن حادثة بئر الرجيع في صفر سنة ٤ هـ بغدر (عضل) و(القارة) بعشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما في رواية البخاري - على رأسهم عاصم بن أبي الألقح وزيد بن الدثنة وخبيب بن عدي.

ثم حادثة بئر معونة في صفر سنة ٤ هـ التي غدرت فيها (رغل وذكوان وعصية) بسبعين من خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعاة القراء، كل هذه الحوادث لم تفت في عضد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تؤمن من عزيمته، بل استمر في مضاهة وسنائه وعزمه وتصميمه ومضيه على طريق هذا الدين اللاحب. «ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جألك من نبي المرسلين» الآية (٢٤) الانعام.

بشائر على طريق العودة إلى باكستان:

قبل أربعة أيام وقرب مديرية (زيباك) المسيطرة على طريق طوب خانة جاءتنا بشائر النصر بفتح نجم الدين لها - أحد قادة مسعود - مع غنائم كثيرة، وانتقل لفتح مديرية (اشكاشم)، وترجع الله أن يفرح قلوب المسلمين بفتح مدن أخرى على الطريق - إن شاء الله -.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

مسيرة شعب *

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، وبعد

لقد غطت حادثة تخار وما تبعها على أخبار الانتصارات الجهادية، وقد اتخذ بعض القوم من هذه الأحداث مادة دسمة ومعيناً ثراً لقلمه وكلامه للتشديد بأنذابه الذين يحسدوهم أو يتنافسهم في هذا الميدان، ولقد تابعت الحدث بنفسي فوجدت أن كثيراً من المؤتمرات الصحفية والتصريحات الإعلامية التي عقدتها اللجان السياسية أو الإعلامية في الأحزاب شابهها كثير من التهويل، واعتراها التضخيم والتفخيم، وغطت على بعض المواقف المشرقة سحب الإظلام والتعتيم. فقد بلغت مسامي - في بعض الأحداث - تصريحات بقتل المئات، والحقيقة أنه لم يقع عشر ما قيل من الخسائر ولا نصف العشر، وقيل قتل ثلاثون قائداً في حين ذكر أنه لم يقتل سوى خمسة من القادة وستة من المجاهدين، وهكذا.. فقلت للأطراف أنتم تخربون بيوتكم بأيديكم، وتهدمون بمعاولكم جهادكم. وخلاصة ما أريد أن أقوله: إن الأحداث في واقعها أقل بكثير من الصورة المشوهة التي ضخها الإعلام أو رسمتها أيدي اللجان.

ولقد أثرت هذه التصريحات على نفوس المسلمين في العالم أجمع، مما أدى إلى انقباض صدورهم وقبض أيديهم عن البذل وحسبك في هذا الباب مثال واحد أن أحد المحسنين سأل عن المواد الغذائية التي تلزم معركة كابل في هذا الصيف فقيل له ستة آلاف طن يقدر ثمنها بمليون دولار تقريباً، فتبرع بها وبدأت القوافل التي تحمل المواد الغذائية تتوارد إلى الجبهات حول كابل، ولدى تلقي هذا المحسن لخبر "تخار" دفع ثمن المواد التموينية التي اشترى بأربعمئة ألف دولار واعتذر عن الإيفاء ببقية المبلغ.

أملنا بالنسبة لكابل :

وكان معنا الكبير أن نخزن المواد الغذائية في الجبهات التي تحيط بكابل استعداداً للشتاء الذي تنقطع أثناءه الطرق وتسد المنافذ على المجاهدين، وشغل المجاهدين الشاغل في هذا الصيف الاستماتة للوصول إلى ضواحي كابل حتى يتسنى لهم مواصلة المعركة في أحيائها الخارجية أثناء الشتاء تمهيداً للربيع القادم - إن شاء الله -، والمجاهدون الآن يصلون كابل بوابل نيرانهم، فكل المواقع العسكرية في مدى قذائفهم حتى المطار، ولقد استقبل الوفد الروسي الذي يصاحب وزير الخارجية في كابل وفي فندق الانتركونتيننتال بحمم صواريخ المجاهدين التي أصابت الوفد إصابة مباشرة، ولثلاثة أيام متتالية أخصيت الأهداف العسكرية والحيوية والحساسة في كابل إصابات مباشرة، مما جعل نجيباً يخرج وعلى شاشة التلفاز بصمغ (هل يجوز أيها الناس استقبال الضيوف بهذه الطريقة؟).

ولقد كانت الإصابات المباشرة للمواقع دافعاً لتفكير نظام كابل أن هذا التشديد والتصويب لا يمكن إلا أن يكون من ضباط مختصين بهذا الفن، فجأز مشتكياً إلى الأمم المتحدة أن الضباط الباكستانيين هم الذين يوجهون هذه القذائف (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون).

حل الألغاز:

ويذهل بعض الناس من المسلمين كيف تحصل أمثال هذه الأحداث بين المجاهدين في سبيل الله؟ وكيف يجري مسلم أن يسفك دم أخيه المجاهد وأمامه الطاغوت الكبير نجيب يتربص به ويأخونه النواثر.

ويزول العجب إذا رجعت إلى (البداية والنهاية لابن كثير) أو إلى تاريخ الطبري وتتبع الفتن التي ابتدأت بالفتنة الكبرى التي أودت بذي النورين عثمان رضي الله عنه في الشهر الحرام في المدينة النبوية الحرام وما تبعها من معركة الجمل بين علي رضي الله عنه من جهة وبين عائشة وطلحة والزبير من جهة أخرى وهؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم من العشرة المبشرين بالجنة، وكذلك معركة صفين بين علي ومعاوية، وإنهاء الإشكال الذي يدور في مخيلتك حول هذه الأحداث لابد لك أن ترجع إلى كتاب (العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي) لترى كيف كان كل واحد من الصحابة مقتولاً، وأن علياً التقى بالزبير وطلحة وانصرفا من المعركة قبل أن يحدث اشتباك، ولكن المفسدين هم الذين أشعلوا المعركة ليلاً فظن كل من الفريقين أن الطرف الآخر قد نكث عهده..

ومنا وجب الأخذ بالتوجيه الرباني: «إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوا إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم

* - خبر في سنة الجهاد - العدد الستين - ربيع الأول ١٤١٠ هـ - أكتوبر ١٩٨٩ م.

لعلهم الذين يستنبطونه منهم ونولا فضل الله عليكم ورحمته لا يمتنع الشيطان إلا قليلاً (النساء: ٨٣).
ولذا فالأخبار التي تشوه الجهاد الأفغاني وشخصياته لابد أن يرجع الأمر فيها إلى المظنمين ممن يعيشون أرض المعركة ويدركون أبعاد الأحداث.

مفاتيح حل الطلاسم والمعميات في الخلافات عند الشعب الأفغاني:

وإنني أرى أن وقع الأحداث على قلوب الذين يواكبون مسيرة الجهاد في داخل أفغانستان أخف بكثير من وقعها على قلوب الذين يسمعون من بعيد، وذلك لأن الذين يعيشون مع هذا الجهاد يعلمون أبعاد كل مشكلة وجنودها التاريخية، ولعلك لو تتبعنا بعض المشاكل وجدت بعد عناء كبير في البحث أن السبب قد يكون ماعزاً أو بقرة، وستجد في مشكلة أخرى أن الدافع لسفك الدم هو ثأر قديم انتقاماً لوالده الذي قتل بيد هذه القبيلة قبل أربعين سنة أو أكثر... وستجد مشكلة ثالثة سببها الخلاف بين أبناء عمومة على زواج فتاة، وتجد مشكلة رابعة وراها قاطع طريق وقف في وجه الروس وأبدى بطولية فائقة في تحطيم دباباتها واغتنام ذخائرها وناقلاتها، وبعد خروج الروس عاد قاطع الطريق مع عصابة من الأشرار حوله يقطعون الطريق على المسلمين المجاهدين.

وتجد كثيراً من المشاكل وراها مخابرات الدولة وعملائها الذين يبيعون الدنيا والآخرة بريال واحد، وهكذا نواليك، فلا تعجب يا صاح من قضايا وحوادث تجري فوق أرض معظم أهلها تقريباً مسلحون، ولعلك ستشده (تستغرب) إذا علمت أن رواتب الماشيا الحكومية في كران ومانجان ريال واحد شهرياً!

ولجلاء الشك وتوضيح الصورة لا بد لك أن تعلم أن الشعب الأفغاني بطبيعته وأغلبيته شعب صلب المراس، قوي الشكيمة، حاد الطبع، يرفض الذل ويأبى الخنوع، وهو إلى جانب إبنائه ورجلته وصلابته وكرمه ووفائه وصفاء فطرته وحيائه يجمع معها صفات أخرى كحب الثأر والانتقام والأنفة والفخر والتعصب إلى ما يعتقد حقاً، وهذه الصفات جعلته يتعصب لمذهبه الحنفي، ولعل هذا من العوامل التي حمت من الفكر الشيوعي، فلقد وقف التعصب المذهبي حاجزاً كبيراً أمام المد الشيوعي الإيراني، ولذا فقد عجزت المؤسسات الغربية أن تدخل أفكارها مع أموالها! فقد صرح مسؤول الإغاثة في الأمم المتحدة: بأن الشعب الأفغاني هو الشعب الذي أعيانا أن نتعامل معه، وعجزت المؤسسات التعليمية أن تفرض عليه آراء لا يقبلها، بل هو الذي فرض عليها ما تعمله.

فذلكة تاريخية:

فتح أفغانستان وطبيعة الشعب الأفغاني هذه عاش منها الصحابة رضوان الله عليهم كثيراً حتى أدخلوا الإسلام إليه، فلم يتقبل الأفغان الإسلام بسهولة، بل بقي الصحابة والتابعون وتابعو التابعين (القرن الثالثة الخيرة) يخوضون معهم المعارك تلو المعارك وهم بين كفر وفر، ينتصرون ويهزمون، ويتقدمون ثم يتقهقرون، والأفغان يابون أن يقبلوا هذا الدين الجديد عليهم، وصعب عليهم أن يتركوا المجوسية التي وجدوا عليها آباءهم فهم على آثارهم يهرعون.

وأقدم إليك بعض النقاط التاريخية كنموذج لهذه الطبيعة فاقول:

أقام عمر في العراق إمارتين: إمارة البصرة وكانت تتولى مغازي فارس وخراسان (شمال أفغانستان وبلاد تركمانستان الآن في روسيا وشرق إيران)، وإمارة الكوفة وكانت تتولى مغازي الري (قرب طهران) وأذربيجان.

وسار عبد الرحمن بن سمرة إلى كابل في أيام عمر رضي الله عنه بعد نهاوند (فتح الفتوح سنة ٢١هـ)، وبقي الصحابة والتابعون على أهبة الاستعداد خائفين أن يتخطفهم أهالي البلاد، ولذا ظلوا يقصرون صلاتهم.
قال الحسن البصري (أقامت مع عبد الرحمن بن سمرة بكابل ستين يقصر ولا يجمع).

وسار الأحنف بن قيس وافتتح هرات عنوة، وسار نحو مرو شاه جيهان عن طريق نهر هرات فافتتحها، ثم سار نحو مرو الروذ (شمال أفغانستان) مع وادي مورغاب ليلحق كسرى يزجرد حيث فر إليها، ووصلت الإمدادات من الكوفة إلى الأحنف بن قيس، وسار المد نحو بلخ حيث انتقل يزجرد إليها، واستطاع أهل الكوفة دخول بلخ، وفر يزجرد إلى ما وراء نهر جيحون (بخارى وسمرقند)، ثم استعان يزجرد بملوك التار في بلاد ما وراء النهر، فرجع إلى بلخ واستعادها، وفر المسلمون الذين فيها إلى

مرور الروز حيث يقيم الأحنف بن قيس فليحقهم إلا أنه لم يستطع دخولها، فقفل القطار راجعين إلى بلخ، بينما سار يزجرجرد إلى مرو شاء جيهان" (عاصمة تركمانستان الآن في جنوب روسيا) فحاصرها وبها حارثة بن النعمان عاملاً عليها من قبل الأحنف، فاستخرج يزجرجرد منها كنوزه وانطلق نحو بلخ حيث ينتظره بها ملوك القطار.

ثم نقضت مرو الروز عهداً وصالت على المسلمين في أوائل عهد عثمان رضي الله عنه، فعاد الأحنف وفتحها، وأرسل الأحنف الأقرع بن حابس إلى جوزجان ففتحها بعد قتال شديد استشهد فيها خلق كثيرون ومات عدد كبير (انظر خراسان وتركستان للاستاذ محمود شاكر).

أجيال القمم السامقة :

وراني وقد عرفت طبيعة الشعب الأفغاني ووعورة مسالك نفسياته، وصعوبة تسلق قمم جباله، لاقف مشدوهاً بإجلال أمام الأجيال الأولى التي فتحت هذه البلاد وثبتت ثبات الرواسي التي تشكل غالبية ساحة أفغانستان. إن مراجعة الأجيال الأولى لأهل أفغانستان كانت جد شاقة، خاصة وأن القوم لا يدعون فرصة ينقضون فيها على الغزاة الجدد إلا واغتمعوا، ومن طالع حياة التابعي (صلة بن أشيم) وغزواته حول كابل، والأسود والسباع التي كانت تغتفر الفاتحين ليدرك أعماق ما أقول.

ونكثت أفغانستان عهداً في زمن معاوية رضي الله عنه فسير إليها سعيد بن عثمان بن عفان ومعه مالك بن الربيع الذي استشهد على أبواب مرو، وقال قصيدته البائية التي تعتبر من أروع ما قيل في شعر الرثاء في الأدب العربي ومنها:

لعمري لئن غالت خراسان هامتني	لقد كنت عن بابي خراسان نانيا
تفقدت من نيكبي علي فلم أجـد	سوى السيف والرمح الرديني باكيا
وطوراً تراني في رحي مستديرة	تخرق أطراف الرماح ثيابي سـا
صريع على أيدي الرجال بقفرة	يسرون لحدي حيث هم قضائيـا

وفي زمن عبد الملك بن مروان نقض أهل كابل عهدهم فسير إليهم عبد الرحمن بن محمد سنة ٨١ هـ . وهكذا دواليك، فالحرب دائرة ورحاها تطحن البشر، وما استقر الأمر للإسلام في أفغانستان وخراسان وبلاد الصفد (سمرقند) والشاش (طشقند) إلا حوالي سنة ٩٤ هـ.

شعب يحمل السلاح:

وعندما يمتشق الشعب سلاحه ويهب في وجه أعدائه لابد لك أن تتوقع كذلك أن يستعمل هذا السلاح من قبل بعض الفساق والفجار في وجه النساء والصغار لتنفيذ مآربهم وإرواء شهواتهم وإبتزاز الأموال من الضعفاء. أما أن نعيش في أحلام وردية وأبراج عاجية، ونخلق في أمان عسلية، فنتمنى وجود شعب ملائكي نزع من صدورهم الفل والحسد والتنافس والهوى وحب الدنيا والرئاسة وشهوة السلطة والمال، ونتمنى انسحاب هذه الصفات على كل فرد في المجتمع، فهذا أمر لن يكون في الأرض في يوم من الأيام، (ولو أمكن وقوعه لوجدناه في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يحصل هذا).

تجربتي في فلسطين:

ولقد عشنا فترة من الجهاد واكبنا فيها مسيرة الثورة الفلسطينية، ولقد كنت أرى معظم المجتمع في الأردن غير آمن على عرض ولا مال ولا دم من بعض فصائل الثورة.

ولقد كانت تجاور معسكر التدريب - الذي يضم أبناء الحركة الإسلامية - قاعدة للجبهة الديمقراطية -نايف حواتمة- فكنا نخشى أن يأخذونا على حين غرة غدرأ أكثر من اليهود، فكانت حراستنا من جهتهم مشددة جداً، وقد كانوا يعلقون صور لينين -غارس دولة الإلحاد في الأرض- على أبواب الصالحين فلا ينبسرون ببنت شفة.

تجربة الحركة الإسلامية:

ولقد اعتنى الأستاذ البنا بتكوين جهاز عسكري لمواجهة اليهود وأعداء الحركة، واغتيل سيد فايز أحد أعضاء الجهاز السري

المرموقين، وأشارت أصابع الاتهام إلى بعض أفرادهم، ثم استندت رئاسة الجهاز أخيراً إلى عبد الرحمن السندي الذي بلغ به الغرور حداً أن يغضب على موقف اتخذه الأستاذ الهضيبي المرشد العام. فانطلق السندي وحاصر المركز العام مدفوعاً من عبد الناصر ليعتقل الهضيبي، فإذا جرى هذا في إطار جهاز صغير لجماعة إسلامية تعنى كثيراً بالتربية الروحية والبناء النفسي، وتجهد في توثيق الصلة كثيراً بين الفرد وخالفه، فما بالك بشعب أُمِّي قبلي يحمل كله السلاح كآفغانستان؟

ومكلف الأيام ضد طباعها كمكلف الأبحار شعله نار

ولقد جرت مشاكل في الجهاز السري للإخوان مما اضطر الهضيبي لحل الجهاز.

المبشرات :

مما لا ريب فيه أن معنويات المسلمين تجاه الجهاد الأفغاني قد اهتزت وتأثرت لأسباب كثيرة على رأسها جمود الفتح في جلال آباد، ومرر سنة ١٩٨٩م دون فتح مدن كبيرة، وبروز بعض الخلافات في الداخل والخارج، وتعثّر الأمل في فتح قندهار، ومع هذا كله فالأمل بالله عظيم. والكفة راجحة لصالح المجاهدين لأسباب :

١- إن المجاهدين قد قدموا هذا العام تضحيات باهظة، ودفعوا خسائر ضخمة لمحاولة فتح جلال آباد وقندهار، مما اكسبهم مראساً وخبرة ودربة ودراسة في فتح المدن، وقد اقتنعوا من أعماقهم أن الفتح لا بد له من جبهة موحدة وقيادة واحدة بعد انتقالهم من الدفاع الاستراتيجي إلى الهجوم الاستراتيجي.

٢- إن الدولة قد فقدت هذا العام معظم طرقها البرية، وشلت أغلبية مطاراتها، فقد استطاع المجاهدون أن يفلقوا ممر سالتج منذ منتصف شهر أغسطس، ولا تستطيع الطائرات أن تطير على مدرج مطار قندهار، إذ أن خنادق المجاهدين لا تبعد أكثر من مائتي متر عن المطار، ويفلق مطار بجرام وكابل بين الحين والآخر والمطاران في متناول قصف المجاهدين.

٣- إن الدولة قد فقدت عمقها الاستراتيجي فانزوت داخل كابل وفي بعض أرجاء المدن الكبرى، وإن أي مكان في الدولة إنما هو في متناول قذائف المجاهدين وتحت نيرانهم.

٤- معنويات المجاهدين لا زالت مرتفعة، بينما تدرك من خلال النبرة التي يتكلم بها نجيب الضعف والانهيار الذي تعانيه الدولة، بالإضافة إلى الانشقاقات المتوالية والتمزقات الداخلية للصراعات التي يعاني منها الحزب الشيوعي الحاكم بين شقيه (برشم وخلق).

٥- الطمأنينة النفسية التي يعود بها الرجل الراعي الذي ينخل أفغانستان وهو يرى الإعداد الدائب والاستعداد المتواصل للمعارك الفاصلة القادمة، ونحن نتوقع بإذن الله انتصارات طيبة لصالح المجاهدين في الشهرين القادمين قبل سقوط الشج.

٦- إن الشغل الشاغل للقادة الكبار الذين يقودون هذا الجهاد هو التفكير بالإطاحة بهذا النظام المشاوي واجتثاثه من الجذور.

٧- إن راية الجهاد لا زالت واضحة ناصعة، إسلامية، وكذلك فالقادة في غالبيتهم ناضجون مؤمنون على دين الله، وهدفهم من الجهاد أن تكون كلمة الله هي العليا وإقامة المجتمع الإسلامي وتطبيق شريعة الله في الحياة.

ونحن نهيب بالمسلمين أن يسألوا أهل القضية وأبناء مسيرة المعاناة والآلام، فإننا كشهود حاضرين ولهذه المسيرة مواكبين لا زلنا مطمئنين واثقين -بإذن الله- أن النصر للمجاهدين «والمعاقبة للمتقين»، «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لم يح المحسنين» (الآية ١٦ المنكوت).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

حسبنا الله ونعم الوكيل *

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

فمنذ أن شعر الاتحاد السوفياتي أنه لا قبل له بمواجهة جند الله فوق أرض أفغانستان، ومنذ أن أحست أمريكا والغرب من ورائها أن روسيا مهزومة لا محالة، إذ لا مجال لها بمناطحة جبال أفغانستان ومنازلة أبطالها، أقول منذ أن أيقنت الدول الغربية أن أبار البترول العربية لم تعد في خطر بعد أن وقف السد المنيع من جماجم الشهداء الأفغان دون تخطي الدب الأحمر لحدود قندهار، وقد كان من قبل منشوقاً لإرواء غليله من أبار النفط التي يتطلع إليها من بعيد وهو يرى الطريق من خلال منطقة بلوشستان الباكستانية ممهدة له، كيف لا؟ وقد بذل جهوداً مضنية حتى استطاع أن يضع بيوضه في مستنقعات قبائل البكتي والمري ومنجل في بلوشستان ففرخت الأفراخ ونمت عبر السنين، مما جعلها تطالب جهاراً نهاراً وبالعناوين البارزة في الصحف الباكستانية بضرورة فتح الطريق أمام الجراد الروسي الذي يتكل الأخضر واليابس حتى يصل الخليج العربي والمياه الدافئة على بحر العرب.

أقول : بعد أن اطمأن الغرب تحت زعامة العم سام أن مصالحه في أواسط آسيا وغربها لم تعد مهددة بدأ يبحث عن البديل لهذا الدب الذي أثخن بالجراح.

وبدأ لحن البطولة الأفغانية الذي عزف عليه الغرب سنين عدداً يخفت تدريجياً ويحل محله لحن جديد وهو إبراز بطل (البيروسترويك) بأنه رجل سنة ١٩٨٩، إذ تعرضه "التايم" الأمريكية على غلافها مشيدة ببطل السلام -غوربتشوف-، وأما وتر التدمير والإبادة والتشويه والمعوقين الذي استعملته أمريكا قميصاً رابحاً تتاجر به في المحافل الدولية لتحطيم سمعة روسيا فقد اختفى هذا الوتر، واتجه الإعلام الغربي إلى إبراز حاكم الكرملين بصورة مشرقة بعد أن عطرت اليد الغارقة بنجيع الأطفال ودماء النساء بالعطر الذي يعبق شذاه في الأنوف.

دور الإعلام في طمس جهاد الأعلام:

أما الجهاد الأفغاني فقد أضحى في عرف اليهودية العالمية حرباً أهلية وصراعات قبلية، هذه الصحف التي تدوخ البشرية بأجهزة إعلامها وصحفها النورية التي تصدر بالملايين لغسل أدمغة البشرية، وليست يد اليهودية العالمية بخافية على كل ذي عينين وهي تصب الفكر الذي تريده في أذهان الناس .

البروتوكولات :

جاء في البروتوكول الثاني عشر :

- ١- سنمتطي صهوة الصحافة ونكبح جماحها.
- ٢- يجب أن لا يكون لأعدائنا وسائل صحفية يعبرون فيها عن آرائهم.
- ٣- لن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر علينا.
- ٤- ستكون لنا جرائد (صحف) شتى تؤيد الطوائف المختلفة من أرستقراطية وجمهورية وثرية بل وفوضوية أيضاً.
- ٥- يجب أن نكون قادرين على إثارة عقل الشعب عندما نريد وتهديته عندما نريد.
- ٦- يجب أن نشجع نوي السوابق الخلقية (المفاسد الخلقية) على تولي المهام الصحفية الكبرى وخاصة في الصحف المعارضة لنا، فإذا تبين لنا ظهور آية علامة للعصيان من أي منهم سارعنا فوراً إلى الإعلان عن مخازيه الخلقية التي تستر عليها، وبذلك نقضي عليه ونجعله عبرة لغيره. والعلاقة بين الصحافة وكالات الأنباء كالعلاقة بين البندقية والنخيرة، فالبندقية لا تفيد إذا لم تتوافر لها النخيرة.

وفي البروتوكولات (لايد لنا من السيطرة على وكالات الأنباء التي تتركز فيها الأخبار من كل أنحاء العالم، وحينئذ سنضمن أن لا يُنشر من الأخبار إلا ما نختاره نحن ونوافق عليه).

* - نشر في مجلة الجهاد - العدد الحادي والعشرون - ربيع الثاني ١٤١٠ هـ ، نوفمبر ١٩٨٩ م.

اليهود يمسكون زمام الإعلام الغربي :

فمثلاً وكالة " رويتر " أسسها يهودي اسمه "جوليوس رويتر"، وكذلك وكالة " اسوشيتدبرس " يسيطر عليها اليهود . وكذلك وكالة "نيونايتدبرس" إنترناشيونال أسسها يهود وهم "سكرايبس وهوارد وهيرست" سنة ١٩٠٩ وكانت وكالتين ثم اتحدتا سنة ١٩٥٨، ووكالة (أنباء هافاس) الفرنسية أنشأها "هافاس" اليهودي.

أما الصحف : فـ"التايمز" البريطانية يملكها اليهودي "ميرودخ"، ويمتلك كذلك مجلة "الشمس Sun" و"أنباء العالم News City Magazine of the world".

وتوزع (١٥) صحيفة بريطانية يومياً حوالي ٢٢ مليون نسخة ومنها " الديلي اكسبريس Daily Express " و" الديلي ميل Daily Mail " و"لاوبزرفر Observer"، و"الفاريان Gaurdian".

أما في أمريكا : فهناك (١٧٥٩) صحيفة يومية يتلقفها (٦١) مليون أمريكي نصفها لليهود، ولهم عليها السيطرة الكاملة، والنصف الثاني سيطرتهم عليه أقل.

ومن القسم الأول : "نيويورك تايمز"، "الواشنطن بوست" توزع (٦٢٠ ألف) نسخة يومياً و"الديلي نيوز"، و"النيويورك بوست" وتوزع (٧٤٠ ألف) نسخة يومياً.

ومجلة "نيوزويك" الأسبوعية وتوزع ثلاثة ملايين نسخة و"التايمز" وتوزع (٤.٥ مليون) نسخة أسبوعياً.

وكذلك شبكات التلفزيون الأمريكي الثلاث كلها يسيطر عليها اليهود N.B.S CBS ABC.

ومن أراد الاستقصاء في هذا الأمر فعليه بكتاب (النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية لقواد الرفاعي / الكويت). وقد استطردت في هذه القضية لأبين دور الإعلام الغربي الآن في غسل أدمغة البشر وفي تشويه هذا الجهاد.

المحور الذي تدور حوله أجهزة الإعلام:

ويركز الإعلام الآن على تشويه هذا الجهاد من خلال قضيتين أساسيتين :

١- أولاً : طمس الصورة المشرفة لهذا الجهاد وإبراز الثغرات وجوانب الضعف فيه، وذلك لمحور آثاره في أعماق الأمة الإسلامية، وتحطيم عقيدة التوكل على الله التي بناها الجهاد الأفغاني عبر السنين من خلال التضحيات والبطولات .

٢- ثانيهما : قطع الصلة بين هذا الجهاد وبين قلوب الأمة المسلمة وتحجيمه من جهاد إسلامي عالمي إلى قتال قومي منحصر بين قومين الأفغان والروس، وكذلك التركيز على قضية الحرب الأهلية في داخل أفغانستان ليحرموا الجهاد عن أنصاره ومن المساعدات التي ترد إليه من المحسنين، مما أوصل بعض الأثرياء المخلصين لهذا الجهاد أن يصلوا إلى حد القائم والتحرج من البذل لهذا الجهاد، حتى لا يشاركوا في سفك دماء المسلمين.

ولقد تغيرت النظرة لهذا الجهاد من كونه فرض عين بالمال والنفس يجب على المسلمين إزائه البذل والتضحية بالنفس والنفيس، فانقلبت الصورة تماماً في أذهان الطيبين ممن واكبوا هذا الجهاد. فبعد أن كان البذل والتحريض عليه قريضة، صار خيار المسلمين يتخرجون من التفوه بكلمة خير تجاهه والتأثم من حض الناس على البذل له.

نظرة الناس إلى الجهاد الآن :

ولقد التقيت بطبقات مختلفة من الشعوب الإسلامية خاصة العرب في رحلتي الأخيرة، فوجدت الناس كأن على رؤوسهم الطمد : قال لي خطيب مسجد مشهور في جدة : أصبحنا الآن نستحي أن نتكلم فوق المنابر بكلمة عن الجهاد الأفغاني وأنا أعلم أن هذا الشاب لا زال ممن يعتبرون أنفسهم أحد أبناء هذا الجهاد ممن يناقحون عنه بلسانهم ويحضون الناس على بذل حشاشة نفوسهم وقلوبهم له.

والتقيت بعالم يشار إليه بالبنان ويرجع إليه جماهير الناس في فتاواهم فقال لي أنا الآن مشوش عن الجهاد الأفغاني، ولذا فأبني متوقف، فشرحت له حال الجهاد وقلت له : إن الأمل بالله ثم بهذا الجهاد كبير، وحال المجاهدين -إن شاء الله- على خير، وهم يقفون على أبواب كابل، وكابل تعيش في عزلة عن أفغانستان سواء من الطرق البرية أو الجوية، فمطارها (خوجارواش) يُضرب أثناء

الليل وأطراف النهار، وطريقها إلى روسيا (سالنج) مغلق، وطريق كابل قندهار وكابل اللوكز وكابل غزني وكابل هرات وكابل جلال آباد كلها مغلقة أو شبه مغلقة. ودعك عن الضربات المتوالية ضد نظام كابل في أنحاء أفغانستان وما من يوم يمر تقريباً إلا ويحقق المجاهدون انتصاراً مهماً كان ضئيلاً.

فقال لي فضيلة الشيخ : شرح الله صدرك كما شرحت صدري. ثم ذكرت الشيخ بموقف العلماء الذي لا يجوز المحيد عنه تجاه هذا الجهاد وهو ألا يتركوا المجاهدين على أبواب كابل جاثمين عراة.

وهناك رجل من نوع ثالث : يمسك على لحيته الطويلة ثم يقول أثناء تدريسه : إن انتصر الأفغان فاحلقوا لحيتي. وبعد الدرس يأخذه أحد العقلاء الحضور جانباً ثم يقول له: الأولى بك كرجل عسكري متقاعد أن تفيد المجاهدين بخبرتك الطويلة بدل التشهير بهم في المساجد، ولا ينقضي منك العجب إذا علمت أن الشيخ إنما يقول ذلك حسبة لله وهو يحسب أنه يحسن صنعاً.

الإعلام العربي:

والصحف العربية بحجمها الصغير وعددها الضئيل لا تملك أن تتورد على تيار سدة الإعلام العارم، وليس لها إزاء هذا الخضم المتلاطم من الصحف اليهودية أن تسبح فيه ضد التيار، أو تجدف لتخلص إلى شاطئ الاستقرار، فالعرب ينقلون عن الصحف الكبرى ووكالاتها التي يدوي نكرها في الأرض، فيقف الناس مشدوهين أمام هذه الصحف وتجاه وكالات الأنباء، ولا يسعهم إلا أن يرددوا ما يسمعون خاشعين واجمين قائلين : أمين .

قلت لأحد الصحفيين المسلمين : إن جريدة (Sunday times) كتبت عن العرب: أن ثمانية عشر ألف أرملة في مخيم ناصر باع^١ قد أصبحن محلاً لمطامع أصحاب الشهوات من العرب الذين يأتون ليتزوجوهن أياً ما ثم يتركوهن ، وإذا بالصحفي المسلم يأتيني بالجريدة ويقول: إنها نقلت عن امرأة أفغانية، وكأنه يأتيني بدليل قطعي الثبوت والدلالة. أوليس بإمكان الجريدة أن تذكر اسم امرأة أفغانية أو تأتي بامرأة وتدفع لها مبلغاً مقابل هذه التصريحات.

الانبهار والذويان :

والصحف العربية مبهورة بالأسلوب العلمي !! الذي تتبعه الصحف الغربية ووكالات أنبائها، ولذا فهي تحاول أن تتسج على منوالها وتقتفي مراسم خطواتها وآثارها. فتجد أحدهم : يعجب بسبق صحفي مهما كانت نتيجته على الجهاد، ومهما كان ثقل وقعه على قلوبهم ومسامعهم ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر أو ذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟) ^(١).

ولابد أن تعلم : أن الغرب والإعلام الغربي يمكن أن يتبع الأسلوب العلمي والمنهج العقلي التجريبي في كل شيء، إلا ما كان بالنسبة للإسلام، فإنهم بدافع الحق الدفين وبما يكونون من عداوة لهذا الدين فإنهم يتعامون عن الحقائق الناصعة والقضايا القاطعة ويطمسونها ويشوهونها: «ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير» الآية (١٠٩) البقرة.

لقد حُرّف اليهود التوراة والإنجيل تبعاً لأموالهم، وتحقيقاً لمصالحهم، أي أنهم غيروا كلام ربهم وكتبوا على ربهم، فكيف لا يكذبون على المسلمين وعلى الإسلام في صحفهم ونشرياتهم؟

«فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون» الآية (٧٩) البقرة.

الإسلام أخطر من الشيوعية في نظرهم :

لقد فرح الغرب بادئ ذي بدء وهو يرى الدب الروسي يشن بالجراح، ويمرغ بأوحال نهر كابل وهرات والهمند وبنجشير، أما

(١) رواء مسم بأحمد وهو في صحيح الجامع برقم (٥٠٦٣)

وقد خرج الروس فقد عانوا يقارمون بين الفريقين المتصارعين -المجاهدين والشيوعيين- فأروا أن الشيوعية أقرب إليهم.

وقد كتبت صحيفة (Chicago Sun Times) في ٧٩/٢/٢٢ في مقالها الافتتاحي تحت عنوان (لا تفاهم مع الإسلام إلا بلغة الحديد والنار) فقالت (إن الشيوعية أفصل من الإسلام لأنها في الأصل فكرة غربية يمكن الانتقاء والتفاهم معها، أما الإسلام فلا التفاهم ولا تفاهم معه إلا بلغة الحديد والنار).

وقد صرح نيكسون على التلفاز الأمريكي قائلاً لقد أن الأوان أن تتنافس أمريكا خلافتها مع روسيا لتتفاهم معاً في وجه الزحف الإسلامي).

إن دور الإعلام الغربي الآن تجاه الجهاد :

- ١- تحطيم الأمل الكبير الذي بناء انجهد الأفغاني عبر السنين في قلوب الجيل المسلم.
 - ٢- اجتثاث عقيدة التوكل على الله من أعماق الأمة الإسلامية التي غرسها الجهاد من خلال المواقف والرجال.
 - ٣- تشويه قادة الجهاد وحرقت شخصياتهم في أنظار الأمة المسلمة لئلا يبقوا رموزاً تقلد، وأمثلة حية تحتذى، وقنوات فذة تسيير بذكرها الركبان، وتشغل حديث السامر في كل حي. وإلا فكيف تفسر الهجوم المستمر على القادة الملتزمين من أبناء هذا الجهاد ممن يسمونهم بالاصوليين؟ وكيف تستوعب الحملة الشعواء على (حكمت يار) لأن لديه (مصنعاً للهرويين) يهرب صناعته إلى الغرب لتخدير جيوشه والفك بشعوبه !!
 - ٤- اقناع الشعوب الإسلامية أن الحرب في أفغانستان حرب أهلية بين المسلمين، ودعمه إنما يعني زيادة سفك دماء المسلمين المحرمة.
 - ٥- إثبات فشل هذا الجهاد وضعفه أمام الحكومة الشيوعية، وأن لا مخرج من الأزمة إلا بمؤتمر دولي يتقاسم المغنم وينتهب الثمار.
 - ٦- التركيز على الخلافات الأفغانية المتأصلة والتي يستحيل حلها من خلال قادة الجهاد وهم يعينون ويبدئون ويؤكثون على : أن (رياني ومسعود) من التاجك الذين لا يمكن للبشتون طاعتهم، ولذا فإن (مسعود) ينزع إلى دولة فارسية في شمال أفغانستان !!! وأن بقية القادة من البشتون الذين لا يمكن للفرس من التاجك؛ وكذلك الأجناس الأخرى التي تعيش في الشمال خاصة الأوزبك والتركمان أن يذعنوا لها بحال، سيما وقد جربوا مرارة الظلم الذي عانوا منه خلال كل الحقب التاريخية السابقة، والتي ليس لأفغانستان فيها حاكم سوى العرق الباتاني، وأما الشمال الفارسي التركي فهو محروم من المجد والسلطان والمال جميعاً.
- ويثيرون قضايا التوزيع الجغرافي ومشكلة الهزارة (الذين يضمون كل الشيعة تقريباً) وقضايا المذهبية!!
- وهكذا دواليك، وليس لنا إزاء هذا كله إلا أن نقول كما أمرنا ربنا «الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فأنقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء وأبجوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم»
- الآيتان (١٧٣-١٧٤) آل عمران

أحشأً وسوء كيلة *

الحمد لله وحده. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

حول مائدة مستطيلة في مقر لجنة الدعوة بالكويت اجتمعت ثلة من الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء والمجلات المحلية الكويتية تصب على الأسئلة، وتوجه إلى الشبهات التي جمعت حول الجهاد الأفغاني، من حرب أهلية تسفك فيها دماء المسلمين، واشتباكات بين صفوف المجاهدين أنفسهم، وتصعد كبير يعتري أسوار حكومتهم. وتجمد الوضع الجهادي حول المدن. وكان من بين الحاضرين: مراسل وكالة الأنباء الكويتية، والإذاعة، والمجتمع، والبلاغ، والوطن، والسياسة، والأنباء... وغيرها.

فأجبتهم بوضوح :

١- إن الإعلام الغربي الذي تنزعه أمريكا وتحركه أيدي يهود يريد أن يشوه صورة الجهاد الأفغاني، ويلوث سمعته، ويحرق

* نشرت في مجلة الجهاد العدد (٦٢) جمادي الأولى ١٤١٠ هـ - ديسمبر ١٩٨٩. وهي آخر افتتاحية كتبها الشيخ رحمه الله.

قادته لأغراض ثلاثة :

- مسح آثاره من نفوس المسلمين في الأرض حتى لا يعود نموذجاً يحتذى وأسوة تقتدى

- عزل الجهاد الأفغاني عن العالم وتحجيمه وإعادة قصة محلية قومية بعد أن أفلت من أيديهم وأصبح قضية إسلامية عالمية

- إقامة الحاجز النفسي بين الجهاد وبين قلوب المسلمين حتى تكف أيديهم عن البذل تمهيداً لخلق الجهاد، وحتى لا يقيموا

النكير فيما إذا حاول الغرب والشرق ابتلاع هذا الجهاد من خلال المؤتمرات الدولية.

٢- لقد قدمت لهم أرقاماً تثبت أن الروس لم ينسحبوا بل هزموا شر هزيمة رأوها في تاريخ الثورة البلشفية، فقد لقنهم المجاهدون الأفغان دروساً أنسبتهم المروءة التي تجرعوها بهزائمهم أمام الشيخ شامل، وغطت على الضعف والخسائر التي تكبدوها أمامه في قفقاسيا والتي علق عليها الجنرال بافلوف قائلاً: (لقد خسروا في حربنا مع الشيخ شامل من الأرواح والمعدات ما يكفينا لاحتلال الأقطار ما بين مصر واليابان)، فلبت شعري ماذا يعلق جنرالات الروس على خسائرتهم في أفغانستان، وقد بينت في محاضرة ألقيتها في جامعة الكويت كذلك أن الروس قد خسروا حتى بداية سنة ١٩٨٨م في شعاب أفغانستان وهادها وذراها ونجودها وبالأرقام التي أحصتها الأعمار الصناعية الأمريكية وأجهزة التنصت الباكستانية ما يلي: ٢٠٨٠ (ألفين وثمانين طائرة ساقطة أو مدمرة فوق أراضي المطارات) ومثل هذا العدد استهلك بالاستعمال. و ١٧ ألف دبابة ومدعة، و ٢١ ألف آلية، وخمسين ألفاً من الروس ما بين قتل وجريح، ومائة ألف قتيل من الجيش الأفغاني، ومائة ألف من الأسرى والمستسلمين والهاربين، ودعك عن النفقات التي كانت تبلغ ٤٥ مليون دولار يومياً تدفعها روسيا في أفغانستان.

فلم يكن أمام روسيا من حل سوى التقهقر والهزيمة التي لم يذق الجيش الأحمر لمرارتها نظيراً.

الأدلة القاطعة بين الاحتمالات والتوقعات وبين النتائج الدامغات:

ففي سنة ١٩٨١ نشرت "المجلة العامة للقانون الدولي العام" خبراً مفاده أن خبراء حلف الأطلسي وهم الخبراء بقوة خصومهم في حلف وارسو توقعوا أن يتمكن السوفييت من السيطرة على الوضع في أفغانستان - وبالتالي من القضاء على حركة الجهاد في أفغانستان- في زمن يتراوح بين ثلاثة إلى ستة أشهر، وبطبيعة الحال، لم يدرك في ظل هؤلاء الخبراء - ومعهم المراقبين والمحللون الاستراتيجيون - أن حركة الجهاد في أفغانستان سوف تتمكن من الصمود في وجه الاحتلال العسكري السوفيتي العاتي، بل وإرغامه -بالضغط العسكري أساساً- على جر أذيال هزيمة مخزية لم تعرفها الدولة السوفيتية منذ قيامها حتى الآن.

ولذا فالهزيمة التي تكبدها الاتحاد السوفياتي لم تكن متوقعة من قبل أمريكا والغرب، وإلا فإنه لا يمكن أبداً للغرب أن يدع هذه الفرص مفتوحة أمام الجهاد الأفغاني.

محاولة يائسة:

ولقد حاولت أمريكا في آخر الشوط أن تنقذ الدب الروسي من أن يسقط تحت أقدام المجاهدين، ولكنها فشلت، إذ أن مقتل ضياء الحق جاء متأخراً جداً بعد أن تجاوز الجهاد الأفغاني مرحلة الخطر وعبر المنحنى الحرج.

المقارنات:

ولقد ذكرت في الكويت أنه من الظلم الكبير للجهاد الأفغاني أن تقارنه بالقتال في فيتنام أو غيرها مما يسمى بحركات التحرر الوطني.

ولكي تتضح أهمية حركة الجهاد في أفغانستان، سواء في تصور المتعاطفين معها أو بالنسبة لخصومها، من المفيد إجراء مقارنات سريعة بينها وبين بعض حركات التحرر المعروفة، من حيث الحجم، أو دور الدعم الخارجي العسكري والسياسي والإعلامي. فاللافت للانتباه أولاً أن الحرب في أفغانستان هي الأطول -زمنياً- من جميع الحروب الكبرى التي شهدتها القرن العشرون، فهي أطول من الحربين العالميتين الأولى والثانية، وأطول من حربي كوريا وفيتنام، وأطول من الحرب العراقية الإيرانية..

وبالنسبة لفيتنام مثلاً، وهي الأشهر، تمتع الشعب الفيتنامي بالدعم العسكري والسياسي والإعلامي من الكتلة الاشتراكية جنباء (الصين - الاتحاد السوفيتي - أوروبا الشرقية)، وكذلك الدعم السياسي والإعلامي لدول العالم الثالث، بل حتى من طرف

أوروبا الغربية، ولعل العامل الحاسم في انتصار الشعب الفيتنامي - إلى جانب مقاومته المسلحة - هو انتقال الهائل للرأي العام الأمريكي المعارض للحرب.. وقد كانت أغلب إذاعات العالم تقضي يومياً أخبار المارك، حتى أن بعض المنيعين في تفرقتا العربية كان الناس يطلقون عليهم (فيتنام) لكثرة الأخبار التي يذيعونها عن التفاصيل اليومية للحرب الفيتنامية الأمريكية، وبك عن المسافات الهائلة التي تقطعها الناقلات الأمريكية لتزويد جيشها بالعتاد والغذاء والكساء، على النقيض تماماً من الاتحاد السوفياتي الذي لا يفصله عن أفغانستان سوى نهر جيحون (أموداريا).

وبالنسبة لكوبا، التي أريد لها -في وقت ما- أن تكون نموذجاً ثورياً رومانسياً للكثير من حركات التحرر الوطنية، لم تعد ثورتها مقاومة مسلحة محدودة لديكتاتورية محلية في جزيرة صغيرة، ولا يمكن أبداً مقارنتها بما حدث في أفغانستان التي يقاوم شعبها احتلالاً عسكرياً أجنبياً من طرف دولة عظمى.

ويمكن الاسترسال في عقد مقارنات من هذا النوع، مع 'نيكاراغوا' مثلاً، أو مع بعض حركات التحرر الوطنية الإفريقية.. إلا أن المهم في هذا المقام، هو التشديد على أن الحرب في أفغانستان إنما تدور بين قوة عظمى وبلد ضعيف ومتخلف لم يحظ بعشر معشار ما حظيت به الحركات السالفة الذكر من الدعم، ناهيك عن التضحيات الهائلة التي قدمها شعب أفغانستان المجاهد والتي لا يوجد لها مثيل.

الإعلام الغربي :

ولقد نعت كثيراً على موقف الصحف الغربية التي تحمل لواء تحطيم الجهاد الأفغاني وتشويهه في أذهان المحبين والمتعاطفين في العالم الإسلامي فقلت: ليت شعري لو وقفت صحفتا الغربية بجانب الشعب الأفغاني كما وقفت بجانب الشعب الفيتنامي، فموقفها ضد الشعب المظلوم غير مقبول شرعياً ولا إنسانياً ولا أدبياً.

فمن أحب أن ينتصر نجيب الشيعي (رئيس جهاز الاستخبارات لدولة تراقي وحفيظ الله أمين وكارمل والتي استدعت القوات الروسية فخلقت وراها من المشوهين والمعوقين والأرامل والأيتام ما خلفت)، أقول من أحب من ذراري المسلمين انتصار نجيب على المجاهدين فهو أحد اثنين : إما جاهل فيعذر بجهله حتى يعلم، وإما عالم جاحد لعق الأخوة الإيمانية فهذا كافر خارج عن الملة، إذ لا يمكن لإنسان يحب هزيمة الشعب الأفغاني المسلم أمام الشيوعية أن يكون في دين الله وإن صام وصلى: «ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين» الآية (٥١) المائدة.

أما من الناحية الإنسانية:

فإنه لا يمكن لإنسان في قلبه ذرة خير إلا ويكاد يذوب حزناً بسبب المنسي التي خلفتها هذه الحرب المدمرة التي شنتها روسيا على هذا الشعب الأبى الصابر المثابر.

فلقد تحولت البيوت إلى مياتم ومآتم، فقلما تجد بيتاً من بيوتهم (والذي لا يعدو عن خيمة بائسة مزقتها الأعاصير) إلا وملئت هذه الخيمة بمجموعة من الأيتام والأرامل والمشوهين والمعوقين.

فلا يقل الأيتام بقعدادهم عن نصف مليون يتيم، ويناهز عدد الأرامل ثلاثمائة ألف، وعدد المعوقين والمشوهين يقارب المائتي ألف، وبك عن الأيتام والأطفال الذين لم يبق من أرحامهم أحد، إذ أن غارات الطيران لم تدع أحداً من أهل البيت حياً سوى طفل صغير تناثر دماغ أمه في حجره كما حدث في بقرمان حيث أغارت الطائرات على نساء القرية وأطفالها الذين جمعوا في المسجد فسحقهم جميعاً سوى طفلة صغيرة في حضن أمها تناثر دماغ أمها في حجرها فجئت الطفلة لهول المنظر.

أبناء لا يعرفهم أحد ولا يعرفون لهم قريباً :

وكم من القرى قد دمرت بكاملها ولم يبق منها سوى أطفال وزعوا على من يرببهم من قرى مجاورة.

ففي بيت حكمتيار رأيت غلاماً في العاشرة فأشار إليه المهندس حكمتيار قائلاً: لم يبق من أهله أحد فجئنا به إلى بيتنا نربيه.

أمي عربي :

وفي مستشفى النساء / الهلال الكويتي أدخلت إحدى بناتي المستشفى، وبينما كنت واقفاً مع زوجتي أسأله عن حالة البنت

وإذا بطفل في السابعة مشوه اليدين والرجلين، فاستدعته زوجتي قائلة كيف حالك يا عبد الحي؟ فأجاب بلغة عربية ضعيفة الحمد لله، ثم قالت لي: هذا الطفل يعيش منذ ثلاث سنوات في المستشفى، تجرى له عمليات تجميل حتى أصبح بهذه الحالة، فقد حصلت الفارة وأمه تخبز، فقتلت أمه ووقع عبد الحي في التتود، ودمر البيت بكامله على من فيه، وجاء الناس وأتقنوا عبد الحي بعد أن احترق، والآن يجد بعض العناية من زوجتي، ولذا فإنه يقول لها : أمي عربي.

ولو عرف عبد الحي لغة البيان لأشدد مع العشماوي:

فإلى متى تدمي الجراح قلوبنا	والى متى تنقى تتفرج الأكباد
نصحو على عزف الرصاص كأننا	زوع وغارات العدو حصان
ونبيت يجلدنا الشتاء بسوطه	جلداً فما يفضى العين رقاب
وتفرخ الأمراض في أجسادنا	أواه مما تحمل الأجساد

تزوجته ليكون معي محرماً:

وكم من النساء عقمن لكثرة المصائب وتوقفن عن الانجاب بعد الهجرة، وكم من القرى حطت فيها الطائرات وانتقت مجموعة من العواتق من خدورهن، ثم خلقت فرق القرية ونزعت جميع ملابسهن ثم انتهكت أعراضهن وألقيت أجسادهن العارية فوق القرية. وإن نسيت فلا أنس يوم أن أرسلت زوجتي لخطبة فتاة أفغانية لشاب عربي، فردت أختها الكبرى على أهلي بلسان عربي مبين قائلة : أو تظنين أنه بقي لدينا ميل لجنس أو لنديا؟ فوالله ما تزوجت إلا ليكون زوجي محرماً لي في الذهاب والإياب، ولقد مضى علينا ثلاثة أهلة (شهران) دون أن أرى منه أو يرى مني.

الليل مكتتب وقريتنا يضاجعها الخراب	ونساء قريتنا على الطرقات يسدن الحجاب
بخشين يا أبتي على أعراضهن من النجاب	ويكاؤهن يسهن يشيع في أفاق قريتنا اكتئاب

كيف لا ترق القلوب لثل هذه الأحداث، وأنى للفطرة مهما كانت قاسية جاسية أن لا تنوب حزناً؟

أوبعد هذا كله تطالعنا الصحف العربية مهللة فرحة بمشكلة في فرخار، أو بتجمد الوضع على أبواب جلال آباد؟ أو بتراجع المجاهدين عن (ثمر خيل) واحتلال الشيوعيين لها !

الكفة راجحة لصالح المجاهدين :

ثم واجهت الصحفيين بالقول: إن المجاهدين لا زالوا منتصرين، والكفة راجحة لصالحهم، رغم الامدادات التي تتصبب كوابل المطر على حكومة كابل، فقد وصلها منذ خروج الروس في ١٥ فبراير سنة ١٩٨٩م حتى أوائل سبتمبر ١٩٨٩م طناً من الذخائر، ويمقابل هذا تجد الشح الهالع الذي أصاب أيدي أصدقاء الجهاد. ولعلك تأخذ صورة عن انقطاع المساعدات عن المجاهدين بالمقارنة بين ما قدم لهم في شهر مارس ١٩٨٨ أبان حياة الرئيس الراحل ضياء الحق وما قدم لهم في شهر مارس ١٩٨٩ بعد رحيله، فقد تسلم المجاهدون في شهر مارس سنة ١٩٨٨م (ألفين وأربعمائة طن) من الذخائر، بينما لم تتعد هذه الكمية في مارس سنة ١٩٨٩م المائة طن قط .

خسائر الشيوعيين بعد الهزيمة الروسية:

وقد سجلت الإحصائيات أرقام الخسائر التي تكبدها نظام المرتدين (الشيوعيين) المتداعي، فقد خسرت حكومة نجيب منذ خروج الروس حتى أوائل سبتمبر ١٩٨٩م أي في سبعة أشهر: ٢٥ ألف جندي ، ومائتين وخمس عشرة طائرة، ومائتين وستين دبابة، و ٢١٥٩ سيارة، و ١٤٨٥ مدفعاً ثقيلًا.

ودعك عن الصراعات العنيفة التي يعاني منها حزب المرتدين الحاكم بين أجنحته (برشم وخلق)، وعن محاولات الانقلابات المتراصة والتي اختتمتها المحاولة التي سجن على أثرها قائد الجيش وقتل نائبه وسجن ستمائة ضابط متهم بها.

في أسبوع واحد فقط:

ولو نظرت إلى الانتصارات الساحقة التي ظفر بها المجاهدون في الشهر الأخير من أكتوبر ١٩٨٩م لأدركت قوة وضع

المجاهدين وتآلق نجمهم، فقد قام المجاهدون بفتح (سور كني: الحي الأحمر) من ضواحي غزني مسقط مؤسس الحزب الشيوعي -خلق- وأول زعيم شيوعي لأفغانستان محمد نور تراقي، وأغلق معمر سالتج الشمالي والجنوبي بالتعاون بين الحزب (صوفي باينده محمد) الذي يحكم قبضته على سالتج الشمالي وبين الجمعية (أحمد شاه مسعود) الذي يقبض على سالتج الجنوبي، ولا زال المعمر منلقاً حتى كتابة هذا المقال.

وفتح المجاهدون قاعدتين في (بغمان) الضاحية الكبرى التي تسيطر على كابل (بجك - تبة)، وأسروا مجموعة من رجال الدولة، ودك عن الضربات الموجعة التي تلقتها كابل وأغلق على أثرها مطارها.

عمليات الشيخ تميم العدناني:

وقد ضرب المجاهدون كابل بتسعين صاروخاً سموا عملياتهم باسم (الشهيد تميم العدناني) وقد أجمع المراقبون أنه أعنف وأضخم مجرم صاروخي تعرضت له كابل منذ خروج الروس. وقد أصابوا إصابات مباشرة القصر الجمهوري، وزارة الدفاع، محطة الرادار، قواعد صواريخ سكود (ه. ه.طن) وصواريخ موشاك، وفندق الوفود (انتر كونيكتال)، والفرقة ٤ (قرغة)، والفرقة ٨ (باغ داود)، والمدنية السكنية للضباط الشيوعيين.

وليت شعري أي طمس للحقائق وتشويه للجهاد هذا الذي يزاوله الإعلام!!

وسألني أحدهم: لم القتال وقد خرج الروس؟ فأجبت خرج الملحدون وجاء المرتنون.

وقال آخر: لماذا لم تعترف الدول الإسلامية بحكومة المجاهدين؟

فقلت لهم: لأنها لم تلق إشارة ضوئية من أمريكا وروسيا، وبإمكانك أن تقطع بهذا من خلال الاعترافات التي بلغت مائة دولة بالدولة الفلسطينية التي ليس لها شبر أرض تقف عليه، بينما يحكم المجاهدون ٩٠٪ من أرضهم ولا زالت سيوفهم تقطر دماً من أعلى ذروة النصر والمجد ولم يعترف بهم سوى أربع دول.

بعضهم أولياء بعض:

(والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا يفعلوه تكن فتنة في الأرض فساد كبير). الآية ١٧٣ الانفال

فإذا كانت الكنيسة جمعت من أمريكا ودول أوروبا الغربية لهذا العام فقط: ١٥٩ بليون دولار، وأنشأت لنشر النصرانية ١٩٠٠ إذاعة، ووزعت ١٢١ مليون إنجيل، كل هذا لعام واحد فقط سنة ١٩٨٩.

وجاء كارتر بنفسه ليشرف على إغاثة النصارى في الحبشة وإمداد 'جون قرنق' لحرب المسلمين في السودان.

ووقف العالم كله بإعلامه ضد الجهاد. فماذا فعل المسلمون تجاه الجهاد الأفغاني؟

وماذا نقول لذراري المسلمين التي قبضت أيديها عن البذل، وأشرعت ألسنتها على الجهاد الأفغاني سوى ما قاله المثال العربي (أحشفا وسوء كيلة)؟^(١)

ونحذر هؤلاء الذين يمزقون أعراض المجاهدين ويتنكبون حرمتهم بقوله صلى الله عليه وسلم: يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تقتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته.

وانتهى المؤثر:

والحق أنني رأيتهم جميعاً - إلا أشقاهم - قد تفاعلوا مع الكلام، واغرورقت عيون البعض بالدموع، وكبر البعض مستبشرين، والحمد لله رب العالمين.

(١) الحشف الردي وهو مثال يقال لمن يجمع من إثم بين الناس مثل البخل وغية المحسب، أو القود وإيذاء المجاهدين

ملاحظات مهمة

تعقيباً على افتتاحية العدد ٤٩ (البغل بمائة شيوعي) (١)

لقد كان الدافع لهذا الموضوع عدة عوامل:

١- تنبيه الأحزاب الشيوعية في العالم التي تعبد السيدة الأم -روسيا- أن نهايتها كنهاية الحزب الشيوعي الأفغاني، إذ أن روسيا تعاملهم كالكلاب، تطعم الواحد منها مادام قادراً على الحراسة وعلى العض بنابه والنهش بمخلبه حتى إذا صارت مخالبه كهاماً، ونابه قضاماً قتلته واستبدلته بغيره، وهذا تاريخ القادة في أفغانستان خير شاهد، فالشيوعية هي التي قتلت نور محمد تراقي (مؤسس الحزب الشيوعي خلق) والشيوعية وروسيا بالذات هي التي قتلت (حفيظ الله أمين) الحاكم الشيوعي الذي خلف تراقي، وروسيا هي التي سجنّت (ببرك كارمل مؤسس الحزب الشيوعي پرچم)، ولا يدري مصيره، والآن تركت نجيباً تحت رحمة صوارم المجاهدين تتناوشه وتجهز عليه، (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب).

٢- أن روسيا قد وصلت إلى حالة اليأس ولم يعد بمقدور الجنود الروسي أن يقاتلوا بعد أن تحطموا نفسياً ومعنوياً، ولو أرادت روسيا أن تواصل القتال فعليها أن تضع في قلب كل روسي أسداً، ولذا فعالهم الآن مع المجاهدين كما يقول المثل السائر (سلمني لك عبادة)، فهم يريدون أن ينجو بأرواحهم قبل أن تزمق ولذا فهم يقولون للمجاهدين (أتركونا وحالنا وبوتكم بني جلدتكم)، أن الجيش الروسي المنهزم لا يستطيع أن يقف على أقدامه بعد الضربات القاصمة التي تلقاها والخسائر الفادحة التي تكبدها على أيدي المجاهدين.

٣- أن ما يجري الآن من حالات البيع والشراء للشيوعيين الأفغان على أيدي الروس إنما تجري على أيدي صفار القادة أو المجاهدين العاديين وفي حالات قربية، أما القادة الكبار من المجاهدين فإنهم يأنفون أن يفعلوا هذا ويترفعون عنه ويرون أن السيف هي الفصيل الحق بينهم وبين أعدائهم، ولذا فعندما سألت صوفي رسول، ومحمد أنور، وشفق وهم من القادة المعروفين الذين جلست معهم غي بنجشير أفعلتم هذا البيع بأنفسكم قالوا: (إنما يفعله عندنا من لا خلاق له).

٤- أن الانتصار الباهر الذي من الله به على المجاهدين إنما جاء نتيجة لحمامات الدم التي غسلت بها ربوع أفغانستان وثمره طيبة لمسيرة العرق والمرارة والغصص، وبعد هذا كله تنزلت الكرامات وتفضل الله بالنصر.



هذا الكتاب

سجل أحداث ثوب ستين عدداً من أعصابنا وأرواحنا وعصارة قلوبنا كان المداد مدداً.

وقائع كالخيال وقصص حقيقية كأنها في عالم المثال، تدركها الأشواق وتقتصر بونها الأفعال، ما سمعناها ولكن عشناها وما قرأناها، ولكن بالمرارة عاينناها وبالنفوس المعصرة ألماً خضناها، فكانت عذبة رغم عذاباتنا، وكانت برداً على القلوب مع حرارتها، وخفت على النفوس رغم شدة وقعها.

امتزجت أحزانها بأفراحها، فولدت الآمال الكبار، واختلطت دماؤها بعرق مسيرتها فأنتجت أطيب الشار.

كتبتها افتتاحيات لمجلة الجهاد بعد أن فتحت كلماتها أعماق قلبي، وأمل أن يتقبلها ربي فهو نعم الوكيل وحسبي، وهذا غاية أمنيته وأسمى مطلبه.

وأبتهل إلى الله أن ينفعنا وأن ينفع بنا إنه سميع قريب.

الزلف

عبدالله عزام

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٠ جمادى الأولى ١٤١٠ هـ - ديسمبر ١٩٨٩م / يناير ١٩٨٩م ص ٢٠.

حتى لا نضيع فلسطين إلى الأبد
(من القلب إلى القلب)

خماس

على قدر جـاءت فهزت مضاجع النائمين
ونفحات هبتت فأحييت قلوب الغافلين
وأحداث دمدت قدوت أصدائها في ربوع العالمين
وأثوار بـرقت أضاعت لها أرجاء فلسطين
درة الفـروق رضى في الله عنه
اهتزت في يـد عماد الدين سيفاً
وانبعثت بيمين نـور الـدين ترساً
وأومضت بـيـارق نصـرها
فظللت صلاح الدين في فيها
ونهل بـيـرس وقطـر من صفاء وردها
وتبعت خطى القسـام معـالم أقدام السابقين
ومن نفس المشكاة اقتبس البنـاء وفرغلي وأحمد ياسين
ونحن على مواصلة المسيرة وسلوك الجادة صممنا وأقسمنا اليمين
فيا قوم:

(استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين)

الشهيد / عبد الله عزام

يا جيل الدموع (١)

سلام عليكم، كيف برزتم من بين المحن؟ وكيف ظهرت من بين المآسي؟ كيف انبثقت الآلام من الآمال؟ وكيف صبغت الأزهار في رمال الجاهلية؟ وكيف خرجت الرجال من أعماق الأرحال؟ إنها قدرة الله الكبير المتعال.

سلام عليكم.. هكذا بعد أربعين سنة تفجرت المآسي فأنخرجت أسوداً، وهكذا من بعد مسيرة أربعين سنة من الدموع والعرق والدم! انتفضتم ضراغم لا يقف في وجوهكم قوة ولا سلطان، ولا سلاح ولا هيلمان.. بعد أربعين سنة من السبر على لظى الكرب، تمخضت المحن فعبّر هذا الشعب المظلوم عن جراح القلوب، بعد أن جفأ القريب والبعيد، حتى كاد يودع البشر جميعاً يأساً من يد معين، ولسان حال القوم يقول:

رمانى القوم بالأرزاء حتى

فؤادي في غشاء من نبال

فصرت إذا أصابقتني سهام

تكسرت النصال على النصال

فهان وما أبالي بالأرزاء

لأنني ما انتفعت بأن أبالي

ما نسيناك يا فلسطين وإن كنا فوق ذرى الهندكوش! فجراحنا المتفجرة هنا إنما تبعث دماً في ساح الأقصى.

وأجسامنا التي تدب على حوض الهلعد! إنما تبعث أرواحها ترفرف فوق أرضك المباركة، وقلوبنا التي أحرقتها الأشواق حسرة ألا نكون بينكم، وأكبادنا التي أضرمها الجوى واللوعة تود لو تطير إليكم فتشارك في هذا الجهاد المبارك.

هكذا يا أبناء الإسلام في مهبط الوحي ومثوى الأنبياء، بدأ الجهاد في أفغانستان بالحجارة والعصي، وثأيد بقوة الله ونصره حتى أصبح المجاهدون يحملون أحدث الأسلحة من أيدي أعدائهم.

أبناء أمتنا الإسلامية:

أين أنتم؟ أما أن لكم أن تنتفضوا فتسيروا على خطى هؤلاء:

والعز في سهوات الخيل مركبه والمجد ينتجه الإسسراء والسهر

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (ال عمران: ١٤٢).

سيروا على بركة الله، والشعوب التي تعتصم بربها، وتنفذ مقابل نصرة دينها شلالات الدماء وجبال الأشلاء: هي التي تصل أخيراً وتثال ما تصبى إليه بإذن رب الأرض والسماء.. عليكم بالذكر، والتوكل على ربكم، والاعتصام بكتاب ربكم وبسنة نبيكم، وانتلاف قلوبكم، والإخلاص إلى بارئكم.

(والله معكم ولن يتركم أعمالكم) (محمد: ٢٥).

سيروا أيها الأبطال، ونحن من وراءكم، وبإذن الله سنحطم القيود، ونتخطى الحدود، لنشارك في تطهير فلسطين من اليهود.

يا أبناء أمة الإسلام:

شاركوا في فلسطين جهادها، وإن عجزتم فهيأ إلى ساح النزال في أفغانستان إغذاراً إلى الله، وأداء لفريضة الجهاد اللازمة في أعناقكم.

أنا ههنا فوق المكبر (٢)

كَبَلْتُم يَدَيَّ وَلَكِنِّي أَكْبَرُ مِنْ فَوْقِ جَبَلِ الْمَكْبَرِ، قِيدْتُمْ رَجُلِي وَلَكِنِّي لَنْ أَخْضَعَ وَإِنْ أَلَيْنَ، وَإِنْ أَذَلْ وَإِنْ أَسْتَكِينَ، طَارِدْتُمُونِي فِي كُلِّ مَكَانٍ طَمَعاً أَنْ تَحِيلُونِي إِلَى جَنَّةِ هَامِدَةَ، وَلَكِنِّكُمْ لَنْ تَسْتَطِيعُوا -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- أَنْ تَقْتُلُوا تَخَوْتِي، أَوْ تَسْلُبُوا مَوْعِي، أَوْ تَسْحَقُوا رَجُولَتِي، سَلَبْتُمْ أَرْضِي وَلَكِنْ لَنْ تَسْلُبُوا إِيْمَانِي، وَلَنْ تَنَالُوا مِنْ عَقِيدَتِي الَّتِي تَجْلَجِلُ فِي عُرْوَتِي، وَتَزُولُ أَرْكَانُكُمْ وَكِيَانُكُمْ، إِنْ دَاءَ

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٠ مارس ١٩٨٨م. (٢) مجلة الجهاد العدد ٤١ أبريل ١٩٨٨م الموافق شعبان ١٤٠٨هـ. المكبر الجبل الذي يطل على بيت المقدس وهو الجبل الذي دخل من عنده الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ومكبر.

الإسلام في مسارب نفسي يردد:

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)

(آل عمران: ١٤٦)

زدعتم أرضي بنواد ليلية، وملاه جنسية، وصلات للرقيق الأبيض، تطمعون أن يفرق أبنائي في مستنقع الجنس، همهم إرداء النزوات وإشباع الشهوات.

ولكن الحمد لله شب لكم من هذه المستنقعات جيل أسود وبيوت غاب، يرددون قول حبيبهم ﷺ: [والذي نفسي بيده لو ددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل ثم أحيأ ثم أقتل].

ماذا تصنعون بي، أنا هنا فوق المكبر صابر لن أركع ولن ألين، ولن أذل ولن أستكين، لم يبق شيء من الدنيا أحرص عليه أو أخاف فقده.

خيمتي تمزقت، أسرتي تشتتت، بلدتي تدمرت، أبنائي أحدهم سياط جلادكم تركت في ظهره علة دائمة وأعدتموه في وجهي.

والآخر: لا أعلم أين أشلاؤه؛ تناثرت في الأغوار من جراء قذائفكم.

والثالث: غاب تحت ركاب تل الزعتر.

والرابع: أرسلته إلى أفغانستان، فاتبعتموه بكلابكم وعبونكم؛ خشية أن تتحرك غيرة الرجال في أعماقه.

وطفلي أحمد شريتم نخب النصر بقحف رأسه نشوة في صبرا، ترقصون طرباً على أشلائه، اشتركتم مع أمل الباطنية

والمارونية الصليبية وأحقاد النصيرية.

عدتي التوكل على الله والاعتصام بحبله، واستمطار رحمته، واستتزال نصره.

قتلتكم كل مسلم جاء لنصرتي، وقطعتم كل يد امتدت لمساعدتي.

قتلتكم حسن البقا في (١٢ فبراير ١٩٤٩م)، وعقدتم عرس (رودس) في دار مائمه بعد يومين.

وعلقتم على الأعواد محمد فرغلي ويوسف طلعت بجريمة الجهاد فوق أراضي (فلسطين).

ولكنني ها هنا أكبر من فوق المكبر قاتلاً:

فأنا اليوم مارد برفض الظلم ويهوى الردى ويأبى الدنية

ينبت الثائر الصلب وتدوي مدافع الحرية

رغم أنف الطفافة تحيا فلسطين وعاش الرشاش والبندقية

هل نحن صادقون^(١)؟

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

فقد مضى أبو جهاد إلى ربه، بعد عملية انتحارية قام بها اليهود؛ تعتبر من العمليات الجريئة الفذة في سلسلة تصفيات أعداء

صهيون.

والحق أن أبا جهاد من الرجال القلائل الذين عاشوا للقضية، وكرسوا حياتهم كلها لها، وسواء قاتل أبو جهاد لاستعادة تربة

فلسطين، أم لمسح غبار الكفر عنها، أم لاستنقاذ مقدساتها، فالكل متفق على أنه أثر الفعال على المثال، ورضي أن يختفي عن شاشة

المسرح السياسي، ليعمل بجد من خلال الرصاص ولعلة السلاح وصليل السيف، اللغة التي يفهم أبناء يهود أنها تقصم ظهورهم،

وأنهم لا يستطيعون أن يواجهوا رجالاتها في الميدان فلا بد من تصفيتهم جسدياً وغيلة وغدراً.

لقد فهم أبو جهاد -رحمه الله- اللغة التي يخاطب بها أعداءه، وترك التعثيل والظهور بدور الأبطال لغيره، لقد كان مقتنعاً أن

أبطال المسرح. (كمراب بقبعة بحسبه الظمان ماء) (النور: ٣٩).

^(١) مجلة الجهاد العدد ٤٦ رمضان ١٤٠٨هـ الموافق ١٩٨٨م

وأن الأبطال الحقيقيين هم الذين يخطون بدمانهم تاريخ أممهم، ويبنون بأجسادهم أمجاد عزتها الشامخة، ويشيدون بجماعهم حصونها المنيعه.

ونحن قد نختلف مع أبي جهاد في قضايا، إلا أننا نقول إقراراً للحق: إنه عمل بصمت، فترك بصماته على القضية الفلسطينية واضحة عميقة. وقد كان أبو جهاد -رحمه الله- أحد الوجوه الإسلامية البارزة في المنظمة الفلسطينية. ولذا ترك الدنيا لأهلها واستتم العمليات العسكرية في أعماق فلسطين.

ومن هنا؛ فاليهود يعرفون الرجال الذين يديرون رحى القتال، فكان لا بد من الاغتيال. وتركوا الأطفال الذين يلعبون على الحبال.

ومن جهة أخرى:

فإسرائيل دولة فكرة؛ ولاؤها لمن عاش مع فكرتها، وعداؤها لمن خالف مسيرتها، فهم أعداء النازية، فكان اختطاف إيمان بعد عقدين من انتهاء الحرب الثانية، وأطاحوا بالسلطان عبد الحميد لأنه عارض دولتهم، وطوحوا بعرش عيدي أمين عندما أعلن عداهم. وأحرقوا الحاج أحمد (أوبللو) مع أسرته بكاملها -رئيس وزراء نيجيريا- عندما رفض الخضوع لهم. واغتالوا قبل شهرين التميمي والبحيصي: أبرز وجهين إسلاميين من الشباب داخل فتح بعد أن أقضوا مضاجعهم.

والآن:

أين موقف الشعوب من عقيدة البراء والولاء التي تعتبر من صميم الإيمان؟ هل المسلمون مستعدون أن يعادوا أعداء الله؟
(لقد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله) (المتحة:٤).
هل المسلمون والعرب والفلسطينيون خاصة قادرون أن يعلنوا بالكلام عداهم لليهود وعملاتهم؟ أم لا زالت طائرات العال تحل شبيبة الصداقة العربية الإسرائيلية من القاهرة إلى تل أبيب؟
هل سارت مسيرة -ولو كانت صامتة صمت القبور- في عواصم الدول المحيطة بإسرائيل احتجاجاً أو تأييداً؟ هل الفلسطينيون بالذات مستعدون أن يعتبروا اليهودي حيثما كان محارباً لا بد من اغتياله؟ أين محمد بن مسلمة وعبد الله بن أنيس والقعقاع؟
هل العرب مستعدون أن يقطعوا البضائع الأمريكية التي تؤخذ من دماننا وتحول إلى رصاص يصوب إلى صدور أبناء فلسطين؟
هل نحن جاثون في رفض السيارات الأمريكية والفصالات والثلاجات والأكواب؟ هل نحن صادقون؟

أحلام أم يقظة (١)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:
فقد تجرلت في هذه الفترة التي واكبت الانتفاضة الجهادية المباركة، فترامى إلى مسامعي قصص هزنتني من أعماقي، وما كنت أظن أن هذه الأحداث ستجري وبهذه السرعة الهائلة وبهذا التحول المجيب.
في قريتي التي كان فيها مسقط رأسي -السيطة الحارثية- يقوم الشباب بأعمال بطولية رائعة، حيث تحلّل سيارات اليهود أن تقتحم البلدة، ولكنها تهوي في الحفر المغطاة بالعشب الأخضر والتي أعدها الشباب، وينزل أبناء القردة جنودهم بالمظلات ليحاصروا القرية التي مضى عليها شهران ونيف في داخل الطرق الرهيب الذي يمنع الحركة، ومع هذا ومع احتلال اليهود لمدرستها الثانوية وانخاضها كقاعدة عسكرية؛ إلا أن أبناء المدرسة ذاتها يأتون بعجلات السيارات ويصبون عليها البترول ويضعون داخلها زجاجة (ملتوف)، ثم يقفون في أعلى الشارع القريب من المدرسة ثم يخرجونها فتصل إليهم وتتناثر عليهم، ويأتي طالب ويرسل عليهم قذيفته انطاطية (العجلة)، ثم يهرب وينخل أحد البيوت المجاورة، ويتبعه الجندي الإسرائيلي، ويقتحم البيت على ريته، ويطالب بالشاب، ولكن المرأة كانت قد انتزعت الجاكيت عنه وأخفته بين أولادها، ودارت مشادة عنيفة بين الجندي والمرأة، وأخيراً استأق أحد أبنائها بدل

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٣ شوال ١٤٠٨ هـ الموافق يونيو ١٩٨٨ م

الشباب الذي لم يستطع تمييزه، وهكذا نواليك... قصص عجيبة من الإيثار والتضحية.

وبجانب السيلة الحارثية اليامون، وهي أشد في ضرباتها، وأعجب في تضحياتها من السيلة، والحصار حولها منذ سبعين يوماً؛ بينما كانت اليامون مستنقعةً عفا للجواسيس، وبؤرة مركزة لعيون اليهود.

وحدث عن (قباطية) التي أمسكت بأكبر الجواسيس وعلقت مشنوقاً على عمود الكهرباء.

وإن شئت فقل (متر السيف، وأحليل، والعروب)، ولا تنس (غزة) هاشم أتون الجهاد المستعر، ومحور الشعب المسلم المتحرك.

لقد أيقن أبناء الإسلام في فلسطين أن طريق الحياة هو اختيار الموت فانطلقوا وهم يهتفون:

لنا فرس لم تنجب الخيل مثله لتحنأ به الدنيا بسمونه الردي

على ظهره القاني أقعنا سروجنا وطرنا إلى الرحمن في إثر أحمد

تحية إكبار وإجلال لكم أيها العمالقة الكبار.

لك أيها الصبي البطل منا كل إعجاب ومحبة وتقدير..

هذا الصبي المعجزة

خريج مدرسة المحارب الزكية

قد أعلن الحرب العتية

وهتافه قد زلزل الأفاق في كلم قوية

يا أيها الجند البغاة

أقسمت يا محراب يا قمسي الشريف

لن تنحني منا الجباه

أقسمت أن أسقيكمو كأس الحتوف

بلا مدافع أو قتابل أو سيوف

ولن تناموا.. لن تناموا.. ما دام في كفي حجر

أصوليون ومعتدلون^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فإن الله عز وجل يصف رعب اليهود من المسلمين قاتلاً: (.. لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله...) (الحشر: ١٢).

والحق أن الذعر العالمي والرعب الدولي من الإسلام؛ لا يمكن أن يزول أبداً ما دام فوق الأرض إيمان ويقابله كفر.

(... ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (البقرة: ٢١٧)

وما دام المسلمون مسلمين؛ فالرهبة قائمة، أما إذا تحولت الأجيال إلى الغثائية، وجاءت أجيال الأهواء والشهوات، والرهبة من السلاح والمخات، فإن الرهبة تزول، لأن الرهبة انعكاس الإيمان (ولنزعن الله من قلب أعدائكم المهابة منكم).

وقد تفنن الإعلام اليهودي في محاربة الإسلام والتفجير منه، فقالوا: الإسلام المتطرف الأصولي، والإسلام المعتدل، ويعنون بالأصوليين الذين يلتزمون بالشعائر والأخلاق الإسلامية، وبالولاء والعداء في الله..

ويعنون بالمعتدلين الذين يتهاونون ببعض الشعائر والأخلاق الإسلامية، ويميعون عقيدة الولاء والبراء. ويسمّون الأصوليين بالمتطرفين والإرهابيين.

وقد كانوا يوصون أن لا يتساهل في محاربة الإسلام المتطرف الأصولي، ولا بأس من التساهل والتغاضي عن الإسلام المعتدل.

أما الآن: وبعد أن ظهرت خيول الله وأسود الإسلام في أكثر من ساحة على البقعة الإسلامية؛ في أفغانستان وفلسطين والفلبين.

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٤ نو القعدة ١٤٠٨ هـ الموافق يوليو ١٩٨٨ م

فانتوصية العائية أن لا مجال لغض الطرف، ولا السكوت ولا التهاون، لا مع الإسلام الأصولي ولا مع المعتدل، وذلك لأن الإسلام المعتدل يولد الأصولي والمتطرف.

سنتكم بوضوح بنون جمجمة ولا لعنة...

نحن إرهابيون لأعداء الله، ولكننا أدلة للمؤمنين.

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عذر الله وعدوكم) (الأنفال: ٦٠).

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم). (المائدة: ٥٤).

فيا أبناء فلسطين: لا تلتفتوا إلى النباح الذي يعلو بين الفينة والأخرى، وحققوا في أنفسكم شروط محبة الله لكم.

١- الحب في الله والبغض في الله، وموالاة المؤمنين وعداء الكافرين.

٢- القتال في سبيل الله.

٣- عدم الالتفات إلى لوم اللانمين وعتاب المستعيبين.

سيروا على بركة الله وقولوا:

إن كان الإعداد إرهاباً فنحن إرهابيون.

وإن كان الدفاع عن الأعراض تطرفاً فنحن متطرفون.

وإن كان الجهاد ضد الأعداء أصولية فنحن أصوليون.

ونوصيكم بالذكر الكثير، وتلاوة القرآن، وقيام الليل، وصيام النافلة، والولاء والبراء في الله.

(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة أن الله مع الصابرين) (البقرة: ١٥٣)

رسالة الإخلاص^(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فالأحداث الساخنة تثير أشجان الذكريات من هناك في فلسطين.

في الأفوار وقرب مشروع روتبيرغ كانت تمر دورية يومية مكونة من كاسحة ألغام ودبابة وعربة مصفحة، ويجمع ستة من الإخوة من قواعد الحركة الإسلامية التي تستغل بلافتة (فتح) أن يتعرضوا لها، ورصد الإخوة الدورية لعدة أيام؛ ثم دخلوا إلى الضفة الغربية للنهر، وحفروا خنادقهم، وكل واحد منهم يدرك من أعماقه أن خندقه سيكون قبره الذي يلفظ فيه أنفاسه الأخيرة.

وحدد يوم الرابع من حزيران سنة (١٩٧٠م) موعداً لتنفيذ العملية، وبشاء الله أن تتأخر العملية لليوم الخامس من حزيران ذكرى هزيمة العرب قبل ثلاثة أعوام، وصمة العار التي لطفت جبين الأمة، ولم يشهد لها التاريخ نظيراً، وبشاء الله أن يتفق دايان (وزير الدفاع الإسرائيلي) مع صحفي كندي ومصور غربي، ليريهما أن الضجة الإعلامية حول العمل الفدائي لا تتعدى زويدة في فنجان، أو صيحة في واد، بل سحابة صيف عن قليل تقشع.

حمل الإخوة ألبستهم الجميلة المعطرة في داخل أكياس بلاستيكية؛ حتى لا تتلطح بأوحال نهر الأردن أثناء خوضه واجتيازه، ولبسوا ألبستهم العسكرية حتى يجتازوا بها النهر، وبعد أن وصلوا خنادقهم خلعوا الألبسة بما علق عليها من غبار وأوحال، ولبسوا الملابس المعطرة التي سيستقبلون بها الحور العين.

كانوا في ثلاثة خنادق؛ كل خندق يضم أسدين، أحدهما يحمل (آر.بي.جي) والآخر يحمل كلاشنكوف حامياً له.

ومرت الدورية... وتنقض الليوث فجأة... وتطايروا أفئدة الكفار ملعاً.. واختفت ألسنة اللهب في سماء العجاجة.. ولا يرى إلا

بريق الأسنة، ويصور (بشار) المنتظر:

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٥ نر الحجة ١٤٠٨هـ الموافق أغسطس ١٩٨٨م

كان مشار النقم فرق رؤوسنا رأسيا فننا ليل تهاوى كواكب

وأصبحت أليتان وأفلتت الثالثة، وفتحت رشاشاتها على الإخوة واستشهد ثلاثة على الفور، إذ أن المسافة لا تزيد عن مائة وخمسين متراً، ومضى أبو معاذ الحموي وبلال المقدسي وثالث أنسانيه الشيطان أن أذكره. ووقف أبو إسماعيل -إبراهيم- وقد أحرق به الموت، وجاءه الكوماندوز من كل مكان، فأيقن بفوت النجاة، فطلق مسحاً بالسوق والأعتاق، وتجاه الله -عز وجل-.

وأما إبراهيم الثاني -ابن بله- فأراد أن يودع الحياة بالنظر في القرآن، فوقع بصره لأول نظرة على آية: (سلام على إبراهيم) (الصفات: ١٠٩)، فنزلت على قلبه برداً وسلاماً، ووقف الكوماندوز فوق رأسه فأغشى الله بصره ولم يره، وتجا إبراهيم.

وهرع الإعلام المركزي لفتح ليقوم بتحقيق صحفي مع الفئة الناجية، ووصل إلينا -إلى المغارة التي نقيم فيها- بعد أن سمع من إذاعة العدو ضخامة العملية وخسائرها. وأبى الإخوة التصوير، ورفضوا أن يتحدثوا. وحاولوا معهم فأتوا قائلين: لا نحبط أعمالنا ونبطل ثواب جهادنا بظهورنا.

ووقف رجال الإعلام من فتح مذهولين لا يجرون جواباً وهم يرون فئة تعمل بصمت ثم تختفي.

فإذا أقبل الزمان تـرارى وإذا زاغت العيون تـسـراه

ويقارنونهم بالكثيرين الذين يملأون الدنيا ضجيجاً (تسمع جعجعة ولا ترى ملحناً).

وهكذا الذين يصنعون التاريخ ويبنون الأمم من نماذج هذه الأمة، إنهم لا يرينون أن يقال لاحدهم: (قالت لبقال عنك جريء ثم يلقى في النار). إنهم يعلمون أن الله لا يقبل عملاً إلا إذا كان خالصاً صواباً.

رسالة الزهد والتقص

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فلقد رأيت أن أخضر داء يودي بحياة الأمم؛ هو داء الترف، الذي يقتل النخوة، ويقضي على الرجولة، ويخمد الفيرة، ويكبت المروعة، وقد وضع رب العزة هذا قائلاً:

(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترقيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) (الإسراء: ١٦)

أقول هذا: وأنا أستعيد في ذهني شريط الذكريات في فترة الإعداد للجهاد في فلسطين، فقد كان مدربنا أبو أسامة يصر على التقشف والشظف، وعلى خشونة العيش طيلة فترة التدريب، عشناها أربعة أشهر في معسكر التدريب -في العلوك- وكان الشاي من المحظورات، لا أذكر أنني شبعت طيلة هذه الأشهر إلا مرة واحدة.

كان نصيب كل واحد منا في كل وجبة نصف رغيف من الخبز الشامي الرقيق، ونصطف بعد طابور الصباح العنيف؛ فيقوم الأخ أبو إسماعيل ليناولنا نصف الرغيف، ويجلس قرب (تنكة) الزيتون الأخضر، ثم يعد لكل واحد منا عشر حبات من الزيتون، وكان دقيقاً جداً لا تكاد تقلت من بين يديه حبة واحدة زيادة.

كان معنا في ذلك الوقت الشهيد محمد صالح عمر الوزير السوداني المعروف بأبي معاذ -رحمه الله- الذي استشهد فيما بعد في جزيرة أباد، والسودانيون مولعون بالشاي ولا يأكلون الزيتون الأخضر، لقد التمس أبو معاذ مع إخوانه السودانيين التماساً حاراً من المدرب أن يقدم لنا كأس شاي مع وجبة الفطور، ولكنه أبى بإصرار شديد.

كان الخبز يؤتى به من عمان، ثم يجفف في الشمس، ويحفظ في الأكياس، ونبقى مدة شهر تقريباً ناكل من هذا الخبز، وكنا نستعمل كعوب البنادق لنكسر الخبز، والماء لنبله به ليلين بعض الشيء قبل أن نبتلعه. وقد تكسرت أسنان بعض الإخوة لجلالة الخبز وجفافه

كان معسكرنا بين أشجار البلوط، فكنا نتحين درساً عملياً للرماية أو التدريب بين هذه الأشجار؛ لعنا نجد بعض ثماره اليابسة التي ناكلها نسد بها رمقنا، أو نسكت به تنوي بطوننا من المخمصة.

(*) مجلة الجهاد العدد 19 محرم 1408 هـ الموافق أغسطس 1988 م

كانت مرحلة قاسية. ولكنها ربت النفوس على مواجهة الصعاب. واحتماز أشق الأحوال. فلم تعد النفس بعدد تعاف صغارا، ولا تأبه بشظف ولا بشدة.

إن في النفس طاقة مخزنة من الاحتمال لا يدركها الإنسان إلا إذا اضطر إليها، ولا يلجأ إليها مختاراً ولكن رغم أنه.

والنفس كالطفل إن تهملته شب على حب الرضاع وإن تطفطه ينقطم

ولقد رأيت أن التقشف والزهد طابع مميز للتربية النبوية الكريمة لنفسه ﷺ، ولأمله من حوله، ثم لأصحابه، وبقي هذا النمط من العيش قمة شامخة فريدة لمن أراد أن يتسلق صاعداً إلى ذروة سنام الإسلام - الجهاد -، فمن عائشة رضي الله عنها قالت: [ما شيع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض] (١).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: [لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه] (٢).

وخطب عتبة بن غزوان قائلاً: [لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداثنا، فالتقطت بردة - شملة مخططة - فشققتها بيني وبين سعد بن مالك - بن أبي وقاص - فأتزرت بنصفها وأتزرد سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً] (٣).

هذه التربية أبرزت نماذج فتحت الدنيا ولم تغير. ولولا تقشف الشعب الأفغاني ما استطاع أن يقف هذه السفين الطوال يصارع الموت والجوع والعري والمرض والموتيرة، ويتصدى لأقوى قوى الأرض، أما الذين يعكرو صفوهم غياب الشاي عن المائدة، أو البيبسي كولا بين المشروبات، أو لا يستطيع أن يكلل إلا والفواكه واللحوم والأرز والتوابل والحلويات تزين موائده، فلا بد لهم أن يبحثوا عن طريق النجد وسبيل العزة والجنة، إنه غير هذا الطريق:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وعظم في عين الصغير صغيرها ويصغر في عين العظيم العظام

رسالة الورع (٤)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

سئل الحسن البصري: أي أمر يهلك الدين؟ فأجاب: الطمع، وسئل أي شيء يحفظه؟ قال: الورع، وفي الحديث الذي رواه أحمد: [صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالهزل والأمل].

ومن ملف الذكريات في فلسطين: كانت نماذج رائعة تجسد الورع في الحياة اليومية بسلوك وأخلاق. وقد كانت المجموعة الأولى - التي كنت بينها - مدرسة تربية فريدة تقتبس الأخلاق القرآنية، فأحدهم يملك الصدق والوضوح، وآخر تقتبس منه الصبر والصمت، وثالث تتأسى به ورعاً وزهداً، ورابع تحتذي خطاه بالحب والإيثار.. وهكذا.

ومما كان يلفت نظري، ولا زال يشد ذهني، ويشير الأشجان في أعماقي، الورع الذي يعتبر طابعاً عاماً للمجموعة.

كنا نرابط في كهف اتخذناه قاعدة سميناهما بيت المقدس في (مرور) من أعمال (إربد)، وكان الكهف في وسط جنة من الأعناب، نضج العنب وأينعت ثماره، فلم ننق ثماره وكنت أميراً للقاعدة، وما أذكر أنه رفع إلي حادثة واحدة في قطف عنقود واحد من العنب من قبل أخ من الإخوة، وذات يوم وإذا بسلتين من العنب داخل القاعدة، فسألتهما عن مصدرهما، فقالوا: جاء صاحب البستان وخرف بعض بستانه وأهدى لنا هذه، وقال صاحب البستان: لم أبع في سنتي حياتي مثل ما جنيت في هذا العام بسبيكم.

وفي قاعدة (غزة) في (الرفيد) من أعمال (إربد) كذلك كان مقرنا بين بساتين العنب، وقد كنا حراساً على أموال الناس ويساتينهم وأعراضهم ودمائهم. ومن هنا استحوذنا على اهتمام الناس وانتزعنا إعجابهم من أعماق قلوبهم.

١- متفق عليه. ٢- رواه مسلم، والذائق: التمر الزوي.

٣- مسلم.

٤- مجلة الجهاد العدد ٤٧ صفر ١٤٠٩ هـ الموافق أكتوبر ١٩٨٨م

الرصد والمراقبة:

وكانت مجموعاتنا تنزل للمراقبة في غور الأردن؛ تتابع الدوريات اليهودية المتحركة، وترصد أعدادها ومواعيدها. غور الأردن مشهور بالبرتقال، فكنا نفىء عدة أيام تحت ظلال الحمضيات، وكان الجوع أحياناً يأخذ منا كل مأخذ، والبساتين قد هجرها أصحابها لكثرة غارات الطيران، فإذا اشتت نفس أحد الإخوة حبة برتقال جاء يستفتي: أو يجوز لنا أن نأكل البرتقال الساقط تحت الشجر؛ والذي سيدركه العفن والعطب خلال أيام؟ فأجيبهم بالإيجاب، ومع هذا بقي بعض الإخوة كما أذكر متورعاً عن أكله.

هذه صفحة، وصفحة مقابلة من أولئك الثوريين واليساريين الذين كانوا يأتون إلى صاحب الحائط^(١) فيقولون له: أتدفع لنا عشرة دنانير أو ندخل بستانك ونطلق بعض الطلقات من بندقية على نورية بعيدة؟ وهذا يستدعي خروج مجموعة من الطائرات الإسرائيلية تدمر كل شيء من المكان الذي خرجت منه الطلقات، وهذا يعني أن يصبح البستان كالصريم^(٢) خاوياً على عروشه، فيضطر صاحب البستان أن يعطيهم ما يطلبونه، يؤذيها ساخطاً منتظراً قارعة من السماء أو بأيدي البشر تخلصه من هؤلاء الذين أصبحوا مصيبة -في نظره- حلت على قلوب الناس.

والأخلاق الإسلامية كونت لنا رصيذاً ضخماً في حياة الشعب الذي يكتنفنا ونعيش في أحضانه، وجدناه أيام الاصطدام العنيف المذهل الذي حصل بين الجيش الأردني والفدائيين، فوجدنا جمهور المسلمين لنا حصناً حصيناً ودرعاً مكيناً، فوقفوا سداً منيعاً نون أن يمس أحداً بسوء أو يهان بكلمة. فيا أبناء فلسطين وسائر المسلمين: الإسلام الإسلام.. الأخلاق الأخلاق:

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

رسالة الأخوة والمحبة^(٣)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن شريط الذكريات إذ يلف نورتاً لمدة عقدين من الزمان قد خلت لتنتقلنا إلى أرض فلسطين أيام أن كنا نعيش نعد أنفسنا للمعركة، ونهيه قلوبنا للقاء الله.

كنا مجموعة قليلة نعيش بين الغابات، ويحس أحداً بسعادة غامرة، وكانت هذه السعادة انعكاساً للعلاقات الأخوية التي كانت تحكم تصرفاتنا، مستضيئة بضوء الشرع، وعلى هدي من الكتاب والسنة.

وما أحسست بالسعادة في فترة من سني حياتي أكثر منها في تلك الفترة. كانت قلوبنا إذ ذاك تكاد تشق الصدور وتطير فرحاً ترفرف في عالم [الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف].

وكانت هذه السعادة كما أشعر في أعماقي هدية ربانية لقلوبنا يوم أن استوحشت من عالم الناس. واعتزلت دنياهم فأنس الله أنفسنا بمعرفته، وأراح قلوبنا بالالتجاء إليه.

أبدلنا بأبائنا أباءً، وبإخواننا إخوة، وبأمهاتنا قضية تحيا من أجلها ونعيش لتحقيقها، محاولة منا لإقامة شرع الله في الأرض، ونصرة دينه، وإعلاء مبادئه.

كنا نعيش كأننا أسرة واحدة وثيقة الروابط، شديدة العلائق. وكان أحداً إذا غاب عن القاعدة لعذر من الأعذار نستوحش كثيراً لفقده، بينما الغياب لا يطول أكثر من يومين.

أما إذا غاب الأخ المسؤول فكان البئر قد تغيب، ونحس في أعماقنا بغربة فنكر إزامها أرواحنا، وتضيق لها صدورنا.

ما كنا نطبق أن نسمع عن بعضنا إلا خيراً، فضلاً عن أن نتكلم بأية كلمة إلا بخير.

أذكر أنني كنت واقفاً ذات مرة مع مجموعة من الإخوة، فسمعت من أحدهم كلمة لا تتفق بمقام الأمير، وكانت هذه أول مرة أسمع فيها كلمة تخدش هيبة الأمير في قلبي - فاهتز كياني واستنكرت ما سمعت.

كانت أنفسنا بعد هذه الفترة التي تشبه الأحلام سعادة وانشراحاً وغبطة، والقلب يردد بالنسبة لهذه الفترة الذهبية.

أهميم بها حباً وعشقاً وولفة
هميام شجيرات الحدائق بالظير

٢- مجلة الجهاد العدد ١٩ من ١٤ ربيع الثاني ١٤١٩ هـ الموافق ديسمبر ١٩٩٨ م.

٣- (كالرماد الأسود).

٤- (البستان).

وببركة هذه المودة والرحمة حفظ الله الإخوة كثيراً من كيد الكاشين، فيوم أن توجهت الدنيا في وجه الفدائين في فلسطين، وورد أن الكفر الجورقبت بالغيوم، واحتد النزاع بينهم وبين الجيش الأردني، قلما نجا ممن حمل السلاح أحد إلا الإخوة الذين يعملون معنا في القواعد، فلم يسهم سوء، وانقلبوا بنعمة من الله وفضل، وهذا من فضل الله العظيم، وبركة هذا الحب أحبنا أهل القرى الذين احتكوا بنا، فوقفوا في وجه الدبابات الأردنية قائلين: (هؤلاء أبناؤنا، علمونا ديننا، وحفظوا أعراضنا، وإبناؤهم إبناؤنا).

وتفرقنا بعد أن ضرب الجيش قرة المقاومة فوق ساحة الأردن، ولم يبق في طيات القلوب حب أعمق، ولا مودة أقوى من تلك التي بذرت بنورها ونبتت جذورها تحت ظلال السيوف، وصار مرور طيف أحدهم في خيالنا يؤرقنا، ولسان حالنا يقول:

بنتم وبننا فمسا ابتلت جوانحنا شوقنا إليكم ولا جفت مساقينا

نكاد حين تنساجيكم ضائرتنا يقضي علينا الأسر لولا تأسينا

ونرجو الله عز وجل أن ينادينا فيمن ينادي يوم الحشر الأكبر: [أين المنحاضون بجلالي، اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي] وأن نكون على منابر من نور ممن يغبطهم الأنبياء والشهداء على منزلتهم من الله يوم القيامة.

وإن أخبار التكافل الإجتماعي الذي نسمع بأصدائه في انتفاضة الجهاد المباركة في فلسطين هذه الأيام: ما هي -إن شاء الله- إلا انعكاساً للمحبة والأخوة التي استقرت في الأعناق في رحاب الاتصالي المبارك فوق الأرض المباركة.

أتواصوا به (١)؟

الحدد له وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فلقد عودتنا التجارب أن نرى التكالب العالمي على كل قضية إسلامية تقترب من النصر، أو على كل داعية أصبح شامة في جبين الدهر، فحيثما برزت شخصية إسلامية عملت عليها المعاول لتحطيمها، وأنى ظهرت حركة إسلامية عمل الكفر على كل المحاور لسحقها، وتحجيمها، وكل من له أدنى براية بالتاريخ يلحج هذا الناموس الذي نص عليه رب العزة في كتابه الكريم:

(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (البقرة: ٢١٧)

(قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون) (البقرة: ٥٩).

في هذا القرن شهد الناس إجماع عالم الكفر على إسقاط السلطان عبد الحميد سنة (١٩٠٩م)، ثم تقويض الدولة العثمانية ونمزيقها على أثر هزيمتها في الحرب الأولى حسب اتفاقية سايكس بيكو، ثم إسقاط الخلافة العثمانية سنة (١٩٢٤م) بمعاهدة لوزان، ثم التمهيد لقيام دولة إسرائيل بضرب الحركة الإسلامية (الإخوان المسلمون) في ديسمبر سنة (١٩٤٨م)، ثم قتل حسن البنا في (١٢) فبراير سنة (١٩٤٩م)، ثم عقد معاهدة رودس للاعتراف باليهود ككيان ودولة بعد مقتل البنا بيومين (١٤) فبراير سنة (١٩٤٩م).

وبعدها بشهر في مارس (١٩٤٩م) أقام السفير الأمريكي ستيقن ميد انقلاب حسني الزعيم للاعتراف بإسرائيل. عندما قامت حركة الجهاد المسلح في قناة السويس سنة (١٩٥١م)، وخشيت أمريكا وبريطانيا أن يسقط العرش الملكي ويرث الإخوان المسلمون، أسرع السفير الأمريكي جيفرسون كافري للاتصال بعبد الناصر سنة (١٩٥٢م) وشلة الضباط الأحرار؟؟ وأخذ عليهم عهداً بضرب الإخوان، وإنهار الأزهر، وحفظ أمن إسرائيل، وأحكموا الخطة، وأطاحوا بالملك، وجاءوا بعبد الناصر سنة (١٩٥٢م)، وضرب الإخوان المسلمون في أواخر (١٩٥٤م) وفي (١٩٥٥م) لتتقدم إسرائيل سنة (١٩٥٦م)، وفي سنة (١٩٦٦م) ضريت الحركة الإسلامية (الإخوان) في مصر، وأعدم سيد قطب، وتقدمت إسرائيل بعدها بتسعة أشهر، وهزمت ثلاث دول عربية، واحتلت أرضها سنة (١٩٦٧م) واستمرت المؤامرة على حركة الجهاد في مصر وإلى يومنا هذا، كلما تجمعت مجموعة من شباب الإسلام وتفتحت براعمهم انقضت عليها سلطة الدولة ومصرتهم.

وفي تركيا أقام حزب السلامة الإسلامي -بزعامة نجم الدين أربكان- مظاهراته التاريخية (٧) سبتمبر سنة (١٩٨٠م)، وأحرق العلم الإسرائيلي، وطالبوا بتحكيم الإسلام، وبعدها بأسبوع قام انقلاب كنعان إيفرين لضرب التيار الإسلامي، والمحافظة على الخط الأثاثوري العلماني.

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٠ من ١٧ جمادى الأولى ١٤١٠ هـ الموافق ديسمبر ١٩٨٨ يناير ١٨٨٩م

وعندما أعلن النميري عن تحكيمه لشرعية الإسلام -رأى ظاهراً- حوصراً اقتصادياً، وجاءه برش واشترط عليه ضرب الحركة الإسلامية، والتراجع عن تطبيق الشريعة، ففعل ثم أسقطه.

(كمثل الشيطان إذ قال للإسمان اكفر للما كفر قال إني بريء منك) (الحشر: ١٦).

وهكذا نواليك: أحمد داوودلو -رئيس وزراء نيجيريا الشمالية- عندما أسلم على يديه مئات الألوف، رفض أن يكون لليهود موطئ قدم عنده، قتلوه وأحرقوا بيته على أسرته، وعندما وقف الملك فيصل في وجه أمريكا -في أواخر أيامه- وأصر على إرجاع القدس -تشر على ابن أخيه -رأوا أن ضياء الحق واقف كالطود الشامخ بجانب الجهاد الأفغاني، وخشيت أمريكا أن يصل قادة الجهاد لإقامة حكم إسلامي، أحرقوا طائرته، وضحوا بسفيرهم الذي يرافقه، وأغدقوا الأموال الطائلة على الانتخابات في باكستان، وجاء مورفي مبعوث أمريكا للشرق، ومكث أسبوعين فيها حتى ركز الأوضاع الجديدة ثم عاد.

وأخيراً في فلسطين: في نفس الأسبوع الذي أعلنت فيه حركة (حماس) أنها جناح من أجنحة الإخوان المسلمين اتفقت دول العالم مع منظمة التحرير، وأعلنت دولة فلسطينية، واعترف العالم بها لسحب البساط من تحت أرجل حماس..

(أتواصوا به بل هم قوم طاغون) (الذاريات: ٥٢)

تخففوا يا أبناء فلسطين^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ففي أثناء انعقاد مؤتمر رابطة الشباب المسلم العربي الحادي عشر المنعقد في ديسمبر (١٩٨٨م) في (آوكلاهوما) أقام الاتحاد الإسلامي لفلسطين مهرجاناً بمناسبة مرور عام على الانتفاضة الإسلامية في فلسطين.

وانتدبت للقي كلمة أثناء الحفل الزاخر، حيث اكتظت الصالة الكبرى بالشباب الذي أقبل ليرى ويسمع، وكان الناس على رؤوسهم الطير، ورأيت الشباب الذي يحترق أسى ويضطرم حماساً ممسكاً أنفاسه وهو يستمع إلى الشيخ محمد صيام خطيباً، وإلى الشيخ أحمد القطان وهو يشتف الأسماع بقصيدة كلماتها كأنها السياط اللاذعة، أو شواظ من نار ملتهبة.

وتكلمت كلمتي، ووضعت أبناء فلسطين أمام مسؤوليتهم التاريخية، إذ لم يعد في النفوس متزعز، ونفدت سهام الكفانة، وقد أن لكم أن تأخذوا الأمر أميته، وتعدوا للمصير عدته، ولا بد لأبناء فلسطين أن يجعلوا قضية تحرير المسجد الأقصى نصب أعينهم، وأن يحولوا العواطف والمشاعر إلى سلوك وأخلاق وأحداث يراها كل ناظر.

وقلت لهم: إن الأحداث تتوالى، والزمن ليس في صالحكم، وأعدائكم يربقون ليعرقلوا لكم كل حركة، وهم يعدون خططهم، ويرتبون أوراقهم لإخماد أنفاسكم.

الشعار الجديد: ليس من متاع جديد سنة (١٩٨٩م).

وطرحت شعاراً لم كانوا به يأخذون، ولجماح شهواتهم يكبحون، فكان لهم الذي يريدون، وهو أن يوضع صنوق في كل بيت يكتب عليه صنوق الجهاد، وليأخذ على نفسه عهداً أن لا يجدد هذا العام سنة (١٩٨٩م) فراشاً ولا رياشاً، ولا لباساً ولا سيارة ولا أرائك ولا نمارق، وكلما فكر في شيء من هذا ونعم عليه، حسب ثمنه ووضعه في صنوق الجهاد لفلسطين، والحق أن الشهوات قد أذلت الرقاب، والكماليات أفسدت نفسيات العباد.

وطلبت منهم أن يقسم كل منهم شهره إلى أربعة أسابيع، يأخذ لنفسه بنظام الجندية في بعض الأطعمة، ويفترضها حمية من الطبيب.

ليمتنع في الأسبوع الأول مع أسرته عن المربطات وشمها لصنوق الجهاد، وفي الأسبوع الثاني لتكن الحمية عن الفواكه، وفي الثالث: ليمتنع نفسه عن اللحوم، وفي الرابع لهم أن يعيشوا كما هم الآن يحيون.

فإذا دفع أشعان هذه التوفيرات في صنوق الجهاد! فسيبذ نفسه أمام مدخر طيب يدفع الله به الجهاد، ويرفع الله بـ صاحبه

١/ مجلة الجهاد العدد ٤٧ ٥٦ جمادي الثانية ١٤١٠ هـ الموافق يناير-فبراير ١٩٨٩م

درجات: (وما أنفقتهم من شيء فهدى بخلفه) (سبا: ٣٩٠)

وفي مهرجان النساء:

فجر محمد صيام قتابل شعره، ثم تكلمت والقطان، وقال القطان: من تبرعت بشيء من حليها فلها مني دعوة بأن يبارك الله حياتها وأسرتها ويدخلها الجنة؟؟ وحملت سلة صغيرة ومثلها بيد أحمد القطان.

وبدأت الحلي تنهال على هاتين السلتيين وفي أقل من نصف ساعة وإذا بالحلي تملأ السلتيين بما يزن (٢-٣) كغم ذهباً.

ولقد ترك الأخ مصطفى رجب السعودي أثراً عميقاً في نفسي، إذ كان ينقلني إلى المطار بسيارته من (التجتن) إلى المطار، وإذا به يخرج طبة مليئة بالحلي وقال: هذه هدية زوجتي إلى المجاهدين. وكان زوجته لم تدع لها خاتماً ولا سواراً ولا قرطاً ولا عقداً، واستعد أحد الإخوة لشراؤها، فسألت الأخ مصطفى بالتليفون كم ثمن هذه الزينة كلها؟ فأجاب: أنها عشرة آلاف دولار، وهذا مبلغ ضخم بالنسبة لامرأة زوجها كان طالباً ثم عمل ليحفظ ماء وجهه عن تكلف الناس أو سؤالهم.

إنها النفوس التي تخلصت من الشح، وتظهرت من البخل.

(ومن يرق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (الحشر: ٩).

وكتبت لي إحدى الأخوات: أدع الله أن يبارك لي في ديني ودنياي وأخرتي، فلقد بعث جميع ما أملك من حلي وتبرعت بها للمجاهدين، وقد كان ثمنها خمسة وأربعين ألف ريال سعودي.

(ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فتسكن من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تنولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) (محمد: ٢٨).

وقلت أخيراً:

ليحمل القاعد المجاهد، وليجهز التاجر النافر، واتسموا أنفسكم قسمين: قسماً خفيفاً للنفير، وقسماً ثقيلاً للتجهيز والتدبير، وستجبنون أنفسكم بعد حين أنكم على جادة العودة سائرين، وفي الطريق الحق سالكين. (ولتعلمن نبأه بعد حين) (ص: ٨٨).

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

من كابل إلى القدس (١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فقد كنت صبيحة هذا اليوم - (الخميس ٢٢/٢) - على الفطور مع الشيخ سياف والصواف والزنداني؛ تنعم بأخبار انتصارات الجهاد الأفغاني المبارك التي من الله بها فوق ما كان يتصور الخيال، ويمر في الخواطر، وما لا يمكن أن يتصور مجرداً في عالم المثال. ولكنها إرادة الله فوق كل شيء، ومشيتته التي لا ترد، وقدره الذي لا تواجهه قوة.

(وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً) (فاطر: ٤٤).

وعرضت لقطة أثناء الحديث من قبل ضيف قادم من الإمارات فقال: لقد رسمت جريدة (الاتحاد) كاريكاتيراً يصور انتصار المجاهدين الأفغان، ويبدو في الصورة مجاهد أفغاني يحمل سلاحه، ويقابله رجل من فلسطين الثورة يرتب أوراقه السياسية ليراجع بها المنظمات الدولية، ويتسائل الثوري مستغنياً: كيف خرج الروس دون أن يكون مع هذا المجاهد أوراق سياسية؟!

قال سياف: لقد حاولت أن أتخفف من أعباء الحكم لعل الله ييسر لي أن أؤدي دوراً في فلسطين ضد أعداء الله اليهود، فرد الشيخ الصواف عليه قائلًا: بل انغماسك في حكم أفغانستان طريق إلى فلسطين. فقلت لسياف: لقد لمست أن غالبية الشعب الأفغاني يرتبط بحب عميق ورياط وثيق بفلسطين والقدس. فرد سياف قائلًا: إن كنت أنسى فلا أنسى في حرب (١٩٦٧م) يوم خرجت كابل عن بكرة أبيها تبكي، وأهلها يطالبون بفتح الطريق إلى القدس، ولقد رأيت الناس حتى الشيوعيين يبكون! وتوجهنا نحو وزارة الخارجية الأفغانية فأغلقت دوتنا الأبواب، ثم توجهنا نحو السفارة المصرية فلوصدت في وجوهنا المنافذ، ووقفت فوق سيارة في ساحة السفارة

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٣ ١٧ رجب ١٤٠٩ هـ الموافق فبراير-سارس ١٩٨٩م

وبدأت أخطب وأهتف بالجماهير، ثم صعد شيوخ معروف وبدأ حديثه للناس بالآية القرآنية:

(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على فجارة تتدرككم من عذاب أليم) (الص: ١٠)

فلم يخرج إلى الناس أحد سوى خادم يعمل في السفارة المصرية.

وكم سمعت قادة الجهاد -خاصة سياقاً- يرددون قضية فلسطين، وأما سياف فيعتبرها قضية الإسلام الأولى في العالم، ولكنه يضيف: دعنا بهذه الداهية فشفلتنا عن أنفسنا، ونرجو الله أن يعيننا على دحر هذا العدو ثم أداء واجبنا المقدس تجاه البيت المقدس. أما حكمتيار: فقد جرى حوار بيني وبينه عن الوجهة التي أعزم عليها بعد كابل، فقلت له: لقد كان جل همنا وغاية أملنا أن نتصروا، حتى إذا وصلتم كابل ودعناكم، ولعل الله يفتح لنا ثغرة في فلسطين نواصل فيها الجهاد ويزقنا الله فيها الاستشهاد.

فرد حكمتيار: لا، بل نشترك معاً في بناء أفغانستان المسلمة بدولتها الإسلامية ثم نمضي معاً إلى فلسطين.

وكثيراً ما أقول في نفسي: لقد حق لليهود أن يحسبوا ألف حساب لهؤلاء الشباب من أبناء الدعوة الإسلامية، الذين يقودون مسيرة هذا الجهاد المبارك، ويقدرون اليهود وهم يبدون الفرع الشديد والرعب الأكيد من أخبار الانتصارات الأفغانية، وكلما اقترب هؤلاء من منصة الحكم كلما أطلقت الحملات الإعلامية الشعواء من خلال الصحف اليهودية العالمية الغربية والأمريكية بالذات -على الجهاد وقادته الملتزمين الذين يطلقون عليهم تلك الكلمة التي تفرعهم (الاصوليين).

إن فرائص أعداء الله عامة واليهود خاصة لترتد ملعاً؛ كلما رأوا هذا الجهاد يقترب من النصر النهائي، خاصة وهم يرون هذا الشعب الذي لم تن له قناة، ولم يهن له عزم، رغم الأرزاء القوادح والنوامي الكوابح التي أمطرت عليه.

(لما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) (ال عمران: ١٤٦).

وكثيراً ما يتردد على ألسنتهم دعاء خاشع مخبئ: (اللهم حرر على أيدينا كابل ولا تحتنا إلا في بيت المقدس).

ولقد هزنتني تلك القصة الموحية التي سمعتها من الشيخ برهان الدين ريباني فماً لأذن؛ وهو يحدثني قصة امرأة دخلت بيتهم، وأصرت على مقابلته، وقطعت له اجتماعه، فعندما جاءها ريباني وإذا بها تخرج علبه من حقيبتها قد أودعتها حليها وزينتها وناولتهاريباني قائلة: (هذه حليي جئت بها حتى تجهز غازياً إلى فلسطين).

ولقد ذهمل (نيكسون) وهو يرى رجلاً طاعناً في السن في مخيم (ناصر باغ) يتقدم إليه قائلاً: (لماذا بعتم فلسطين لليهود؟).

هذا شعب أفغانستان المسلم:

تعود ألا تقضم الحب خيلسه إذا الهام لم ترفع جنوب العلائق

ولا ترد الفسدران إلا وماقها من الدم كالريحان تحت الشقائق

وهذه أفغانستان شعب الشم والإباء، فهل يقابله شعب فلسطين بالإحسان والوفاء؟

خمس دقائق للقضية أم للطاقيّة (١)؟

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

في التسعين من العمر، وقد لحب الجنان، واحتودب الظهر، لا تفارقه العصا التي يتوكأ عليها، لا أهم بالخروج إلى المعسكر أو الجبهة إلا ويبادرنني قائلاً: أين يا بني؟ فأنكر له وجهتي، فإن كان الجواب الخروج إلى معسكر التربية والتدريب بسألني: وكيف النور في بورة المياه؟ فإن اطعان إلى النور في الليل حمل عصاء ورافقني.

دربناه على الكلاشنكوف والرشاش الخفيف، ثم قلت له: تعطيك الكلاشنكوف ليكون سلاحك الفردي، فقال: لا بل أريد البندقية الإنجليزية (لي أنفيلد) التي جاهدت فيها مع تركيا ضد بريطانيا في الحرب العالمية الأولى، فيبتسم سياف قائلاً: هذه هدية مني إليك. وكنت أحياناً أدعه في معسكر التدريب متوجهاً إلى الجبهة، فأتلح في محياه آثار الحسرة وسحابة الحزن، ودعني ذات مرة وعيناه تذرفان ثم قال: لقد فانتنا الشهادة أيام أن كنا شباباً؛ وكنا إذ ذاك نستطيع أن ندخل المعارك، وتجده أحياناً يحلم بالشهادة

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٣ ص ٥٦ شبان ١٤٠٩ هـ الموافق مارس-أبريل ١٩٨٩م

قائلاً: أود أن أرافقك إلى الجبهة لعل رصاصة يسوقها الله نزال بها الشهادة والجنة. فرددت أبيات الشاعر:
عمري بروحي لا بعدد سنين فلأسخرن غداً من التسعين
عمري إلى التسعين يجري مسرعاً والروح ثابتة على العشرين

عهوده على القادة:

أما في بيشاور: فكما سمعت بزيارة أحد القادة ألح علي أن يرافقتي لزيارته، ثم يأخذ بيد القائد ويأخذ عليه العهد أن يجاهد لتحرير الأقصى ويقول: الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. لقد أخذ هذا العهد على سيف، وعلى حكمتيار، وعلى يونس خالص. وما من مرة يقابل فيها الشيخ سيف إلا ويقول له: العهد، الأقصى، فيؤكد له سيف إصراره على العهد وبقائه عليه.
وكنت ذات مرة مع مجموعة من الإخوة في زيارة الشيخ جلال الدين حقاني، وكانوا صيوفاً من العالم العربي، فقال أبو الحسن المدني: أين الوالد ليأخذ العهد على الشيخ جلال الدين؟ فأجبت أنا وكيله بأخذ العهد، فقبضت بيد الشيخ حقاني وأخذت عليه العهد. وعندما عدت إلى البيت بشرت والدي بأننا أضفنا إلى العهود عهداً جديداً من شيخ جليل مجاهد.

الأفكار والتمثيلات:

إن التربة الخصبة تثبت نباتاتها بإذن ربها ناضجة شهية:

والذي خبث لا يخرج إلا نكداً (الأعراف: ٥٨).

وإن أرض الجهاد لتصلق الروح، وتصفى القلب، وتقلب كثيراً من الموازين، فتجدنا في أرض النزال وميدان الأبطال حديثنا الذي يسيطر على نفوسنا ويأخذ بمجامع قلوبنا: الشهداء، الجرحى، الانتصارات، الجبهات، الأيتام، القوافل، الإمداد والإعداد، السرايا والكتائب، القادة، مزامير الروس، ماذا عن قندهار؟ وكيف حصار جلال آباد؟ وما حاجة القوم في بغمان أو شکردرا.
وهذا الجو الساخن الجاد يسوق الإنسان للكلام عن آلامه وآماله طوعاً وكرهاً، ولذا لم يكن مستغرباً من أبي أن تكون هذه المشاعر هي التي تشده، وهذه الأفكار هي التي تسيطر على نفسه وتستحوذ على اهتمامه. أما في المجتمعات الراكدة فلا تجد الحديث يرتفع عن البطون والفروج، هل الأصل التعدد في الزوجات أم الأفراد؟ سعر الدينار والدولار.

قلت لصاحبي وهو من الدعاة الذين نحبهم ونحترمهم: اسمع مني أخص لك قضية الجهاد؟ فاعتذر لي بانشغاله، فقلت له: خمس دقائق؟ فاشترط علي ألا أزيد عن خمس دقائق ثم قال: على رسلك حتى أبحث عن طاقتي التي ألبسها تحت (غطرتي)، ومكث قرابة خمس دقائق يبحث عن طاquité، فقلت له: خمس دقائق لأعظم قضية وخمس دقائق للطاقيّة؟!

وكل يرى طرق الشجاعة والندى ولكن طبع النفس للنفس قائد

وما أجمل كلام ابن القيم: (الأرواح في الأشباح كالأطياف في الأبراج، وليس ما أعد للاستفراخ كمن هيء للسباق، ومن أراد من العمال أن يعرف قدره عند السلطان فليُنظر ماذا يوليه من العمل، وبأي شغل يشغله، فكن من أبناء الآخرة ولا تكن من أبناء الدنيا، فإن الولد يتبع الأم).

حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد (الحلقة الأولى) (١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:-

لما رأيت قضية تاجر بها الفجار، وظلم بها أصحابها الحقيقيين مثل فلسطين.

فكل التغييرات التي جرت في الأوضاع السياسية كانت ورفقتها الراجعة ولافتتها الراجعة (فلسطين وإرجاعها).

فقد ادعى العسكر الذين حكموا أجزاء مختلفة من المناطق العربية: أن الأنظمة التي كانت تسود المنطقة العربية إبان معارك سنة (١٩٤٨م-١٩٤٩م) كانت آنذاك عميلة الاستعمار، تآمر بأمره، وترتهن بإشارته، فجاءت هذه الأنظمة العسكرية (ذات الأحذية

(١) مجلة الجهاد العددان (٥٤-٥٥) رمضان-شوال ١٤١٠هـ إبريل-مايو ١٩٨٩م ص ٩.

الثقيلة!!!) لتعبد الحق إلى نصابه، وترد المظلومين إلى ديارهم المفتصة، وظل شعار العودة الذي يرفعه العسكر أفيوناً يخطر الجماهير المسحوقة في المنطقة؛ والتي أعياما أن تجد حلاً سوى الأمانى المعسولة التي يوجههم بها من يتربعون على الصنوبر دون الكراسي. واستيقظ العالم الإسلامي صبيحة الخامس من حزيران (١٩٦٧م) على الهزيمة التي ما سطر التاريخ لها مثيلاً في تاريخ المعارك العسكرية، وتبدى من خلال الانتصار الكبير في الميدان أن الأمانى كانت سراياً خلباً، وأن الأحلام كانت أوهاماً ما جاوزت أخيلة المفكرين ولا أدمغة المخدوعين، وجاء التجار الثوريون الجدد ولكن باسم الثورة والثوار، وباسم الأرض والتحرير، وفي هذه المرة رفعت مبادئ جديدة وشعارات فريدة، وتسلسل اليسار تحت ضجيج الإعلام وهم يركبون مركب الإنقاذ فوق الجماجم والدماء، وخدع الناس مرة أخرى باليساريين، متناسين قوله عز وجل: (ومن يهن الله فما له من مكرم) (الحج: ١٨)

(إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) (ال عمران: ١٦٠)

وقول الحسن البصري: (إنهم وإن طقطقت بهم البغال ومعلجت بهم البراذين فإن ذل المعصية لا يفارق رقابهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه).

ففي سنة (١٩٣٩م) أنشأ الشيوعيون عصبة التحرير الوطني، سكرتيرها اليهودي (بنفسكي) وناثبه توفيق طويي، وكانت مطالب هذه العصبة: جلاء بريطانيا، ثم تشكيل حكومة مشتركة بين اليهود والعرب، وفي حرب (١٩٤٨م) تحول أعضاء عصبة التحرير الوطني إلى قادة عصابات مسلحة، يذبحون الشعب الفلسطيني، فانسحب بعض الشباب المفرد به، في حين وقف الشيوعيون المتحمسون يدافعون عن اليهود، وفي مقدمة هؤلاء إبراهيم بكر -نقيب المحامين في الأردن فيما بعد-، وفؤاد نصار زعيم الحزب الشيوعي الأردني، وبعد نكبة سنة (١٩٤٨م) صار الحزب الشيوعي الفلسطيني اليهودي يشرف على بقية فلسطين غير المحتلة، وكان في رئاسة الحزب إميل توما وتوفيق طويي وإميل حبيبي، وهذان الأخيران كانا عضوين في الكنيست لفترة طويلة.

وكانت الصلة بين الشيوعيين في قسمي فلسطين المحتلة والضفة الغربية عن طريق (ضابط إسرائيلي وسكرتير صحفي من الشيوعيين يعملان في لجنة الهدنة).

يقول الأستاذ سعد جمعة في كتابه (المؤامرة ومعركة المصير) (ص ١٤١-١٤٤): (إن كثيراً من المنشورات الشيوعية العربية كانت تاتبنا عبر الحدود من إسرائيل، وإن كثيراً من قادة الحزب الشيوعي الأردني قذفوا علينا من إسرائيل؛ بعد أن تتلمذوا على أيدي دماثة الحزب الصهيوني المضللين).

ولقد كشف رفيق رضا (عضو قيادة الحزب الشيوعي اللبناني السوري) -الذي انشق على خالد بكداش وكان مساعداً له- عن المؤامرة فيقول: (كانت قيادة الحزب الشيوعي بمثل حماس ابن غوريون على بعث الدولة اليهودية في فلسطين، فأسرائيل في نظرها واحة من واحات الديمقراطية في الشرق الأدنى).

ولقد وقف الشيوعيون العرب يدافعون عن اليهود المظلومين.

ففي العراق قال الشيوعيون: (إن الشعب العراقي يرفض بآباء أن يحارب الشعب الإسرائيلي الشقي).

وقال فهد سكرتير الحزب: (مرحباً بإنشاء دولتين عربية ويهودية في فلسطين، وأشترط لها الاشتراكية والتحالف ضد الرجعية الدينية العربية).

وكتبت المنظمة الشيوعية المصرية في (١٥) مايو (آيار) (١٩٤٨م) تحت عنوان (غزت الجيوش العربية فلسطين): وهذه الحرب حرب رجعية تخدم البرجوازية العربية بكبت البروليتاريا الصاعدة -اليهود- الثورية في فلسطين، ولنا عودة لنرى ما خلف اليسار على رأس فلسطين من الدمار.

حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد (الحلقة الثانية) (١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن أعداء الله وهم يخططون لإبعاد هذا الدين عن ساحة الحياة، واجتثاثه من أعماق القلوب؛ ليدركوا أكثر من غيرهم أن

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٦، نوفمبر ١٤١٠ هـ، يونيو ١٩٨٩ م

النفس البشرية لا تستطيع أن تعيش في فراغ، ولا أن تحيا بدون أيديولوجية تشغلها في واقع الحياة. واليهود وهم يكيون لهذا الدين وأهله قد علموا أن الساحة في الشرق بالذات لا يمكن أن تشغل إلا بالمبادئ، فلا بد من إحلال قيم جديدة مهما كانت في المنطقة ليلهو بها الناس.

ولذا فهم الذين كانوا وراء طرح المبادئ القومية على تركيا لإنهائها، وعلى العرب لسلبهم عن دينهم، وعندما أفلست النظريات القومية وأصبحت باهتة قدموا النظريات الاقتصادية الشيوعية والاشتراكية، ثم النظريات الاجتماعية كالعلمانية.. وهكذا نواليك.

لقد استشار عبد الناصر الأمريكان حول الشعار الذي يرفعه، فكان هناك طرحان:

الشعار الإسلامي: وهذا يضمن بقعة أوسع لإشباع غروره، والشعار القومي، فأجاب الأمريكان: إن رفع الشعار الإسلامي كلافنة يجمع الناس تحتها يوجب عليك أن تنشئ بعض المؤسسات الإسلامية في البلد، وتحت هذه اللافتات لا بد أن تنمو نوعيات متعصبة متحمسة كالأخوان المسلمين، ومؤلاء سينسفون كل مخططاتك، ويسحقون كل أمالك، فعليك بالشعار القومي، واليهود وهم يخططون لإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين- فكروا كثيرا في هذا الدين الذي يعتبر الشهيد في درجة عالية في الجنة مع النبيين والصديقين، وإذا فقد نشرت صحيفة يدعوت أحراروت الإسرائيلية في (١٨/٣/١٩٧٨م) قالت فيه: (إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامة في جزء من استراتيجيتنا في حربنا مع العرب، هذه الحقيقة هي أننا قد نجحنا بجهودنا إلى الأبد، ولهذا يجب أن لا نفعل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل، وبأي أسلوب، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش لإخماد أي بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا، وستجد إسرائيل نفسها في وضع حرج إذا نجح المتعصبون، أولئك الذين يعتقدون أن أحدهم يدخل الجنة إذا قتل يهودياً أو إذا قتله يهودي.

ولذا فقد اتصلوا منذ وقت مبكر بالشباب الفلسطيني لإشغاله بعقيدة جديدة تشيخ عقيدة الإسلام في ذهنه وتحل محلها، فجاء المنظرون الشيوعيون منذ سنة (١٩٢٠م) لبناء الحزب الشيوعي الفلسطيني، وذلك لتجر إلى حباتها ولتوقع في شباكه أولئك العمي الذين يبرزون في المجتمع، وذلك لينفوسوا عن الأهم بالنضال الكلامي ضد الإمبريالية والاستعمار، ولتخدر مشاعرهم: أنهم إنما يكافحون من أجل وطنهم، وتشغلهم في قضايا بعيدة كل البعد عن واقع حياتهم، هذا إذا افترضنا أنهم صادقون في وطنيتهم، مع أن الكثيرين يدركون أبعاد المؤامرة، ولكن بعد فوات الأوان، وبعد أن أصبح كل مصالحه مرتبطة بالحزب الشيوعي الذي يحقق له إشباع شهواته، وإرواء نهم نزواته، ويضمن له من خلال أجهزة الإعلام اليهودية أن يكون شخصية مرموقة يشار إليها بالبنان، وتؤس مجالس البلدية كتوفيق زياد، والولوج في مجلس الكنيست كتوفيق طوبي وتوفيق زياد، أو تضمن أن يرتفع في مجاله وتخصصه بأن تحرك أصابع الأخطبوط التي تمتص الحياة من شرايين الأمة المسلمة، فتظهره الشاعر المرموق، والكاتب الموهوب، كما فعلت بأنونيس -النصيري الذي اعتنق الفكر القومي السوري-، والبياتي ومحمود درويش وسميح قاسم ومظفر النواب الذين اعتنقوا الفكر الشيوعي باسم الحداثة في الأدب والشعر المرسل وغير ذلك.

واليهود يدركون أن الإسلام هو عدوهم، وكذلك الغرب والأمريكان، ولذا فهم الذين دفعوا عبد الناصر أن يأخذ الأسلحة الشرقية، وأن ينادي بالاشتراكية، وأن يأخذ قروض السد العالي من روسيا، مع أنهم تكفلوا له بأضعاف هذه، وذلك لأن الدول الغربية مكروهة لدى الشعوب العربية، فلا بد من صناعة الأبطال تحت ضجيج الإعلام الوطني الذي يضر بالمصالح الغربية، ولذا فاليهود يصرحون عن مخاوفهم من الصحوة الإسلامية، ولا يخفون فزعهم من تحول الشباب في المنطقة المحتلة من القومية والشيوعية إلى الإسلام.

أما عن القومية:

نفي (٢) شباط (١٩٧٩م) أجرت جريدة (هاآرتس) مقابلة مع مسؤول يهودي كبير قال فيه: (إن الذي يثير قلقنا هو أن مواقف العرب داخل إسرائيل بدأت تتحول من مواقف مبنية على قواعد قومية، إلى مواقف مستندة إلى قواعد دينية، وإن الشباب العربي بدأوا يتحولون عن زعاماتهم التقليدية إلى الزعامة الدينية، التي يمثلها علماء الدين، وهم في غالبيتهم من الشباب الذين لا يستبعد أن يكون لهم ارتباطات بحركات إسلامية متعصبة).

أما عن الشيوعية فقد جاء في ملحق (هاآرتس) اليهودية (١٣/٧/١٩٧٩م) حديث طويل عن اليقظة الإسلامية في قرى المثلث

العربي في فلسطين المحتلة سنة (١٩٤٨م) جاء فيه: (طوال الثلاثين عاماً المنصرمة، كانت الأقلية العربية في إسرائيل تمارس نشاطاً سياسياً متحفظاً، غالباً ما كان تحت مظلة الحزب الشيوعي الإسرائيلي، أما الآن فإن الأقلية العربية بدأت تتجه اتجاهاً مختلفاً نحو جنورها وأصولها الدينية، ولقد أصبحت ظاهرة تزايد اليةة الإسلامية في صفوف الأقلية العربية موضع اهتمام السلطات الرسمية التي تنظر -برية وخوف- إليها، ومن هم الذين يقفون وراءها؟ فيقول: إنه لاحظ الكثير من رجال الدين الذين لهم نشاط مرموق، غالباً ما يكونون من أعضاء الحركة الإسلامية، التي يصفها الكاتب اليهودي بقوله: إنها حركة دينية متعصبة، أنشئت في مصر عام (١٩٢٩م)، وانتشرت في أنحاء العالم العربي، ولقد أكد ابن غوريون هذا فقال: نحن لا يهمنا القوميات ولا الثوريات ولا الاشتراكيات في المنطقة، وإنما يهمنا الإسلام، هذا العملاق الذي نام طويلاً وبدأ يتلمل في المنطقة.

حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد (الحلقة الثالثة) (١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد استيقظ العالم العربي صباح الخامس من حزيران على هزيمة لم تعهد البشرية لها نظيراً، ولم يسطر التاريخ العسكري اندحاراً أغرب من هذا، تددت الأحلام التي رسمها القادة الثوريون في أذهان المتحمسين من أبناء فلسطين ممن كانوا لا يزنون بالموازن الإسلامية، ولا يقيسون بالمقاييس الريانية. لقد كانت هزة عميقة أيقظت الراهمين، وفتحت أعينهم على أولئك السادرين في طغيانهم، وأدركت الشعوب أن هؤلاء الطغاة قد زالوا طيلة عقد ونصف عملية التخدير لمشاعر الجماهير، ووصل الناس إلى حافة اليأس، ولسان الجمهور يهمس:

ونرى الموت راحة إن تعالت في حمانا زعانف وقروء
حين تغدو الشعوب قطعان ضأن ويكـون العشب الحبيب الوحيد
ريـسار الإسلام أضحت مزاداً كل شار بمسا يشاء يزيد

وكانت فتح هي الفتة الوحيدة التي رفعت شعار القتال لتخليص الأقصى من اليهود، ولقد كانت فتح قد بدأت سنة ١٩٦٥ بداية رائعة، بنماذج من الرجال عندهم المروءة والنخوة، وتحملوا الكثير وهم يصارعون الأنظمة صراع الحياة أو البوار، ويخوضون معركة الوجود أو الاندثار. ولم تستطع الدول العربية آنذاك أن تفتح فمها في وجه الذين يريدون أن يواصلوا الطل العسكري، إذ أنها كانت متردية في هوة من الدمار الاقتصادي والعسكري والسياسي، وتوارت خجلاً من أن تقابل الجماهير المتحمسة التي تود لو مزقتهم إرباً إرباً.

وبدأت فتح تستنفر طاقات الأمة، وتستنهض همم المسلمين، وتحرك مشاعرهم، وللأسف العميق: لم يتقدم إليها سوى الذين ضاقت بهم سبل العيش: لقد تقدم إليهم: الشباب الهارب من التجنيد الإجباري الأردني، أو الراسبون في امتحان الإعدادية العامة، أو الذين يجدون في حمل السلاح وليس المبرقع متنفساً لأحاسيسهم، ومرتعاً لأحلامهم بون تربية إسلامية ولا خفية إيمانية. أما المفكرين والأساتذة والسياسيين والموظفون والتجار: فتحول بون وصولهم إلى جمل السلاح الأمني العذبة، والأحلام المسولة التي تنقل أرجلهم بالقيود بون النفير لمواجهة أبناء الخنازير والقروء، وهكذا ملا الشباب الغض والفارغون والمغامرون كرادر فتح، بون أن يكون للقيم والمبادئ أثر في حياتهم، أو يكون للإسلام أي وزن في توجيه حياتهم وقاتلهم.

وتسلل اليسار (أهل الشمال) من الأحزاب الشيوعية والقومية والبعثية ودخلوا القضية من جانبيها اليسور السهل، واستمعوا الأبراق، وغابت الأصوات الصادقة تحت ضجيج أبراق أهل الشمال ممن كانوا يفرعون من ذكر الإسلام، (وإذا ذكر الله وحده اشعأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) (الزمر: ٢٥).

كانت أحب الأسماء إلى مسامعهم: كاسترو، جيفارا، هوشي منه، ماوتسي تونغ، وأبغض ما يمكن أن يطرق مسامعهم: قال الله، وقال رسول الله ﷺ، وإنهال التجار من أهل اليسار مدفوعين من الأنظمة المهزومة لإسناد هذا الغثاء، وفجأة برز جورج حبش -تميز فلسطين زريق المبشر في الجامعة الأمريكية-، وشكل جبهة سماها: الجبهة الشعبية. وضاف على السطح بعده تايف حوامة وشكل الجبهة الديمقراطية.

(١) مجلة الدفاع العدد ٩٧ من ٩١ نوالحة ١١٠٩ هـ يونيو ١٩٨٩م.

الشعارات والمزایدات:

وطرحت الشعارات الثورية تنطخ جدران عمان بالدهان الأحمر وبالخط العريض: (كل السلطة للمقاومة)، (عمان هانوي العرب)، (طريقنا إلى فلسطين إسقاط الحكم الرجعي في عمان)، واستدرجت فتح راضية أو كارثة إلى معركة الشعارات واللافئات. كانت لدينا تجربة مريّة مع هؤلاء، إذ أننا -أبناء الحركة الإسلامية- كنا نعيش تحت لافتة فتح، وكانت تضمّننا أحياناً معسكرات تجمع إعداداً لمعركة، أو استماعاً لمحاضرة زائر، فكان أحدها يقف إذا حان وقت الصلاة يؤذن، فيصطف أهل الشمال (اليسار) من الديمقراطية يرددون:

إن تسلل علي فهذي قيمتي أنا ساركسي لينيني أممي

لقد كانت بجنبنا في قرية الرفيد في شمال الأردن قاعدة للجبهة الديمقراطية، كان سراً لليل فيها سب الإله أو الدين أو الرسول مَحَنَةً، وهكذا كثر الغناء، وزاد البلاء، وتوارى الصالحون، وبرز الحاققون على هذا الدين، وخفت نداء الصادقين، وبع صوت المخلصين، وأضحت مشاعر الإسلام غريبة في هذا الجور الكئيب، وأصبحت العزلة نداء الأعناق الحبيب، وتبدلت الأرض غير الأرض:

فلا الأذان أذان فسي منائره إذا تعالى ولا الأذان أذان

حتى لا نضيع فلسطين إلى الأبد (الحلقة الرابعة)^(١)

بدأت سنة (١٩٧٠م) والجو جد متوتر بين فصائل المقاومة وبين الحكومة الأردنية؛ كل يعد للآخر، ويترىص به الدوائر. فالمقاومة من جهة تناولت على الحكومة الأردنية من حيث التصريحات وانتهاك حرمة الأنظمة والاستهتار بالسلطة، كان نايف حواتمة النصراني يذهب إلى بيروت ليعقد مؤتمرات صحفية يعلن فيها: (إن طريقنا إلى فلسطين هو إسقاط الحكم الرجعي في عمان). ومن جهة أخرى فإن اليهود قد شدّوا قبضتهم على الحدود، وزدعوا بالأسلاك الشائكة المكهربة وحقول الألغام في كثير من المناطق، وقلت العمليات التي تجري داخل فلسطين، وتركزت معظم العمليات على إطلاق رصاص طائش تنصب فيه الأسلحة الثقيلة شرقي النهر وينهمر الرصاص كالطرر، وفي اليوم التالي ينزل البيان بعملية (هوشي منه)، ويضعون من الأرقام الخيالية التي تحلو لهم من خسائر العدو المادية والبشرية، ومن جهة أخرى فالحكومة الأردنية تتخذ ترتيباتها لليوم الذي ستجهز فيه على المقاومة، وتثار لكرامتها التي أهدرت ومرغت بالأرواح، فأحالت بعض قادة الجيش الكبار إلى المعاش، وأرحت إليهم أن يدخلوا المنظمات؛ ليكونوا لها العين الصادقة واليد الباطشة إذا حان الحين.

ودارت الدوائر، وقد بلغ الاستهتار قمته بقيام الأمة ومثلها ودينها في (٤) نيسان (١٩٧٠م) الذكرى السنوية لميلاد لينين (غارس دولة الإلحاد في الأرض) -النيويل الذهبي-، وأجمعت المنظمات كلها على الاحتفال بهذه المناسبة التي سعدت بها البشرية، وأنقذ بها العمال في الأرض!!

وشكلت لترتيب الاحتفال بهذه الذكرى لجنة يرأسها وزير الأوقاف الأردني؛ الذي أفتى بعض العلماء بتكفيره بسبب هذه المويقة التي لا نظير لها من الاعتزاز بالكفر وطواغيته. وقررت اللجنة أن يستمر الاحتفال أسبوعاً كاملاً، وحدد مبنى أمانة العاصمة مركزاً للاحتفالات بهذه الذكرى المجيدة؛ وحشد لهذا الاحتفال الطاقات والأموال والأجهزة، وطبعت مئات الألوف من صور (لينين) حتى لا تترك ناصية شارع ولا مفرق طريق ولا باب حانوت إلا وتلطخ بهذه الصور، والشعب الطيب الأردني والفلسطيني ينوب حسرة من أعماقه لهذه الممارسات التي تنتهك حرمة الأمة وقيمها.

وتم الاحتفال والطيبون يجتهدون الأهم، والحكومة تريد للشعب أن يستيقظ على هذه الأفعال التي ما رأتها ساحة الأردن الحزينة، وتجهم الجور، وكفهرت السماء، وأصبحت الدنيا أضيق في نظر الطيبين من كفة الحابل، وصار الصادقون يعمرون على القبور فيحسدون أهلها، أنهم غابوا تحت التراب قبل أن يروا هذه المصائب.

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٨ ص ٥١ معرم ١٤١٠هـ أغسطس ١٩٨٩م.

سهم أصاب المقاتل:

وفكرت الحكومة الأردنية في موارد المقاومة البشرية بغية تجفيفها، وقد وصل مستشاروها إلى نتيجة: أن التجنيد الإجباري الذي يفر منه الشباب إلى المنظمات؛ وامتحان الإعدادية العامة الذي يحول دون مواصلة الراسبين لدراساتهم الثانوية وحرمانهم من الإيواء تحت ظلال المدارس؛ هي السبب الرئيسي الذي يضطر الشباب إلى أن يلجأ باب المظاهرات، إذ أن بقية الأبواب قد أوصدت في وجهه، وبقرار واحد صدر عن مجلس الوزراء من شقين جفف أكبر رافدين للثورة.

١- إلغاء قانون التجنيد الإجباري.

٢- إلغاء امتحان الشهادة الإعدادية.

وفعلًا فقد كان سهماً أصاب الثورة في مقتلها، وخلال أيام خلت قواعد الثورة من مفعلة ثمراتها.

مقتل الثورة:

والحق أن مقتل الثورة إنما هو الخواء الروحي الذي تعاني منه المنظمة، والفراغ العقائدي أحوالها إلى قالب فارغ نخره السوس تحطمه أية هزة، وتطيح به أية عاصفة.

لم تكن هنالك أيديولوجية تجمع الثورة والثوار، ولم تكن الطلائع قاعدة صلبة يحيي أعماقها إيمان بالله، واحتماء بركته الركين، والتباز بحصنه الحصين المتمثل بهذا الدين، لقد كان كل شاب يختار لنفسه اسماً حركياً خوفاً من أجهزة الأمن، ولقد اختار سائق السيارة التي توصل إلينا المؤونة اسم أبي جهل، وأما أسماء (جيفارا، وهوشي منه، وماو) فحدث عن كثرتها ولا حرج. لقد كان أحسن الشباب حالاً من يقاتل من أجل تراب فلسطين وأهلها، وإلا فالكثرة الكاثرة تعيش اضطراباً عقدياً، وعاء فكرياً والتباساً هدياً لا نظير له.

ملاحم المرحلة:

لقد كانت كل المؤشرات توحى أن ساعة الصفر تقترب يوماً بعد يوم، وقد أحسست الأردن أن أمريكا مرتاحة لفكرة الوطن البديل، وهي ترتب لهذا بحيث يتخلى الملك عن الحكم لينسلمها الثوار، ولتكن الأردن هي الوطن البديل للفلسطينيين كما صدع بهذا (بيغن) واليهود، وهم يرون أنه لا بد للفلسطينيين أن يقبلوا بالأردن كوطن بديل.

واليهود بهذا متفضلون على أهل فلسطين، لأنهم يتنازلون لهم عن الضفة الشرقية من (فلسطين المحتلة).

وأصبح الجيش الأردني يحس يوماً بعد يوم أن كرامته تهدر على يد رجال الثورة، فأصبح رجاله نهبة للمغامرين اليساريين من الثوار، وازدادت عمليات الاختطاف من جنوده الذين قد يتعرضون للتشويه وقطع الأنف أو الأذن أحياناً، وكانت هذه العمليات تطبع في قيادة الجيش كبيان ويوزع على كل وحدات الجيش، فأصبح الجيش ينتظر اليوم الذي يثار فيه لشرفه العسكري من هؤلاء الثوار، وأصبحوا يطالبون الحكومة بالانتقام من الفدائيين، وصاروا ينتظرون الضوء الأخضر حتى ينقضوا على الفدائيين ويجهزوا عليهم.

طباعة المصحف:

وطبع الجيش مصحفاً ووزعه على أعضائه، ومهدوا للاصطدام بتوجيه معنوي مركز، حتى استقر في أذهان الجيش أن الفدائيين كلهم كفار شيعيون بلشفيون، لا يؤمنون بدين ولا يعرفون حرمة.

مبادرة روجرز وعبد الناصر:

وفي أغسطس (آب ١٩٧٠م) قيل عبد الناصر المبادرة الأمريكية للسلام، فانتفض الشعب الفلسطيني في وجهه، وقالوا المضاعرات في عمان ودمشق وبيروت، وهي أول مرة يقف الفلسطينيون فيها غاضبين كالليوث بزأرون في وجه عبد الناصر. حقد عبد الناصر عليهم، وأغلق إذاعة صوت العاصفة، وطرد الجرحى من مستشفيات مصر، وأن الألوان لتتفق الأردن ومصر على اجتثاث الوجود الفدائي من جذوره.

حتى لا تضع فلسطين إلى الأبد الحلقة الخامسة^(١)

نحن الآن في أغسطس سنة (١٩٧٠م)، كل المؤشرات تشير إلى أنه لم يبق في القوس منزع، وقد بلغ السيل الزبى، وجازت الحزام الطيبن^(٢) لدى الحكومة الأردنية تجاه المنظمات الفدائية، والمنظمات الفدائية لم يبق في نفسها شيء إلا أسفرت عنه... السيارات في عمان تمر محملة بالأسلحة الثقيلة، اللباس المبرقع الذي يرثيه أبناء المنظمات لا يكاد يغيب عن عيني الناظر منتشرين في شوارع العاصمة والمدن، لم يعد للحكومة سيطرة على الأمن، كل يعلق الكلاشنكوف في كتفه لا يحسب حساب أحد.

روجرز الأمريكي يزور القاهرة يعرض على عبد الناصر مبادرة السلام، لأول مرة يقف عبد الناصر ويعلن أنه يقبل الصلح مع إسرائيل، الشعب الفلسطيني يبهت وهو يرى الرجل الذي تعلقت عليه الآمال بضعة عشر عاماً وفجأة يلقيه في مستنقع اليأس محطماً، ولم يبق على لسان الشعب الفلسطيني سوى كلمات يتمتمها (حتى أنت يا بروتس)!!

خرجت المنظمات في عمان لتعبر عن صدمتها برجل الشرق، والأمل العريض الذي تبدد فجأة، فأخذوا حماراً ووضعوا عليه صورة الرئيس عبد الناصر وساروا به في عمان، فكانت صفعاً شديدة لعبد الناصر، وكأن لسان الشعب الفلسطيني يردد:

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً
و حسب المنايا أن يكن أمانياً
تمنيتهما لما تمنيت أن أرى
صديقاً فأعيا أو عدواً مداجياً

كان لا بد لعبد الناصر أن ينتقم لكرامته التي مرغت بالتراب، وكبرياء غروره المنفوخة التي نكثت فبانت ورماً خبيثاً، فكان لابد أن يلتقي مع (النظام الأردني) لتوجيه ضربة قاصمة سريعة لكل هذه المنظمات، والتقى المسؤولين، ورسمت الخطوط الرئيسية لإنهاء الوجود الفلسطيني المسلح فوق أرض الأردن.

بسرعة خاطفة تغير الجو، وادلهم الأفق، وزمجر الغيظ، وتكاثفت السحب في جو العاصمة الأردنية.

وتقابل الصفان، والتقى الزحفان، ولم يبق إلا عود الثقاب الذي يشمل المنطقة ناراً، وانتظر الطرفان قشة تقسم ظهر البعير، وجاءت المناسبة، لقد اختطف الفدائيون ثلاث طائرات من سماء أوروبا، وجمعوها في يوم أو يومين في مطار الأزرق، وهددوا الحكومة الأردنية بتفجيرها بمن فيها إذا لم تستجب الحكومة الأردنية لمطالبهم.

وهنا يشير بعض المراقبين إلى أن هنالك أصابع خفية لعبت لعبتها لتجهز على العمل الفدائي من خلال بعض العناصر اليسارية المشبوهة، وإلا فأتى للفدائيين هذه القوة السحرية التي تسيطر فيها على سماء أوروبا فتختطف ثلاث طائرات في يوم واحد، ولا يعلم السر إلا الله علام الغيوب.

ولم تستجب الحكومة الأردنية للمطالب خلال مدة الإنذار المعطى، وفجأة وإذا بالطائرات تدمر بمن فيها، مما أثار الاشتعزاز لدى كثير من العقلاء، وهنا تغيرت الحكومة المدنية... وجيء بحكومة عسكرية... واستلم قائد الجيش منصب الحاكم العسكري العام، وترأس الحكومة العسكرية رجل فلسطيني لتأتي مذبحة الشعب على يد رجل من أبناء جنسه، وأعلنت أحكام الطوارئ... ومنع التجول... وبدأت المذابح بين الجيش والفدائيين....

وجنحت الأصوات تجار وتستجد لتوقف حمامات الدم في كل مكان، وتداعى الزعماء العرب إلى مؤتمر قمة في القاهرة يرأسه الذي رتب المجزرة وهو متنسك بمسوح الضأن، ويكي دعوى التماسيح، وقرر المؤتمر إرسال وفد يرأسه النميري رئيس السودان وقتها- إلى عمان لإيقاف المجزرة، وعبثاً حاول النميري في عمان أن يفعل شيئاً، وعاد كما جاء أيساً من الإصلاح، وعقد مؤتمراً في القاهرة هاجم فيه النظام الأردني، فجاء المسؤولون الأردنيون وحضروا المؤتمر، ومن خلال المباحثات والمكاشفات والمعاتبات تبين لدى المؤتمر أن عبد الناصر ضالع في المؤامرة!!

وبهت الرجل إذ ظهرت حقيقته، وفجع الملك فيصل وغادر المؤتمر، ومات عبد الناصر في نفس اليوم.
وتوقفت المجازر، وانتهى الفصل الأول من المسرحية الدامية، وأسدل الستار قليلاً حتى يبتدىء الفصل الثاني.

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٩ صفر ١٤١٠هـ سبتمبر ١٩٨٩م.

(٢) - (الطبي: حكمة الضرع).

حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد (الحلقة السادسة) (١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ففي (١٥) مارس سنة (١٩٧٩م) في عهد محمد نور تراقي -مؤسس الحزب الشيوعي (خلق) في أفغانستان- اتفق بعض الشباب من أبناء الحركة الإسلامية وبعض العلماء مع بعض الضباط الكبار في مدينة هرات، هبوا هبة رجل واحد، وطهروا مؤسسات الدولة من الشيوعيين، وتسلموا إدارة بواشر الدولة.

وفزعت أجهزة نظام الحكم في كابل، واتصلوا بسيدتهم روسيا ينبئونها النبا المزعج، فارتعدت أوصال الشعب المنتفخ بما امتصه من دماء المسلمين، فارتعدت روسيا وأرغت وأزبدت، وقذفت بدباباتها ومصفحاتها، ورفعت أعلامها البيضاء كي تخدع المسلمين معلنة استسلامها، حتى إذا تقدم الشعب لاستلامها فتحت وأبل رصاصها على الجموع، وأخذت تحصد الجماهير المحتشدة، ودارت معركة بين الدبابات التي تصب جام غضبها قذائف فتحيل الأرض ناراً، والطائرات التي تاكل حممها الأخضر واليابس؟؟ وتكدست جثث الشهداء في شوارع هرات، حتى أصبحت المدرعات تقري^(٢) عجلاتها خليط اللحوم والدماء والعظام، تتعثر بحركتها بين ركام الأجساد.

وأسفرت الأيام الثلاثة ذات المعارك الشرسة بين الشعب الأعزل والجنود الحمر عن مقتل (٢٤) ألفاً من الشعب المسلم، وكانت تاريخاً يدرخ الناس به يوم (٢٤) حوت سنة (١٣٥٨هـ ش).

ولقد كانت قصة هرات حافزاً قوياً وميضاً منيراً لجادة الشعب الأفغاني الذي هب بأغلبيته وفي معظم أصقاع وطنه يواجه قوى حلف وارسو، مما دفع (كارلوتشي) -وزير الدفاع الأميركي لريغان- أن يجيب على سؤال من وزراء حلف الأطلسي حول سياسة غورباتشوف فقال: (لقد أجبر الشعب الأفغاني غورباتشوف أن يغير سياسته تجاه العالم أجمع).

الأحداث في بيت المقدس:

والآن تطالعنا الأحداث بين الفينة والأخرى عن شباب بدأوا يراجعون أبناء القردة وأحفاد الخنازير بأسلحة ينتزعونها من أيدي جنودهم عنوة، فقد نقل قبل فترة أن شاباً قتل أربعة من اليهود وجرح عشرة بسكين كانت في جيبه وفي رحاب المسجد الأقصى.

وفي نابلس:

توافينا الأنباء عن حدوث اشتباك مسلح في شوارع أكبر مدينة فلسطينية بين ستة من المثلثين (المقنعين) -وغالباً ما تطلق هذه الكلمة على الشباب المسلمين الذين ينتمون إلى حماس- وبين دورية مسلحة من اليهود، ولم تفصح الأخبار عن تفاصيل الخسائر التي لحقت بشعب اليهود الحاقدة.

وفي بلدة بورين-نابلس:

نقل القادمون من الأرض المباركة قصة بطولية عن شاب اسمه (حمدان النجار) كان يسيم (يرعى) ماشيته قرب مستعمرة يهودية، فتعرض له أحد الجنود اليهود وزجره وهدده إن عاد إلى هذا المكان أن يؤديه، وعاد اليهودي في اليوم التالي ليجد الشاب مصراً على موقفه وكفنه يريد:

لأستشهدن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

فتصارع معه وأخذ الشاب حجراً ضخماً ورضخ به رأس اليهودي، ثم أخذ سلاح اليهودي، فأبصر يهودياً آخر فأرداه قتيلاً، ثم كمن حمدان وراء جدار فمرت سيارة تقل دورية يهودية، فأطلق عليها النار فقتل ضابطاً وجندياً، فقفز جندي من السيارة ودارت بين وبين حمدان معركة جرح فيها اليهودي واستشهد فيها حمدان. وقد جن جنون اليهود لهذه الحادثة فأتوا إلى بيت حمدان ونسفوه.

أما أن لليوث فلسطين أن تقتني آثار ضراغم هرات؟ ونساعل مثلهين: ألم يأن لأبناء الأرض المباركة أن يستبدلوا السلاح بالعصا والقنبلة بالحجر؟

إنني لأدرك الأهوال التي تنتظر الصفوة إن غيرت أسلوبها، وأعلنت عن استعدادها للموت في مواجهة أعدائها، ولكن:

٢- (تظم).

١- مجلة الجهاد العدد ٦٠ ربيع الأول ١٤١٠هـ أكتوبر ١٩٨٩م ص ٥١.

إذا لم يكن إلا الأسفة مركباً فما حيلة المضطرب إلا ركوبها
فطوبى للبادئين بالخير: [خير الناس رجل أخذ بعنان لفرسه يظهر على متنه كلما سمع هبعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت
مقانه].

والنصر يجيء بالدماء وبالعتاء وبالصفاح والفوز فوز الخاضعين جسومهم بدم الجراح
وسبحانك اللهم ويعمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

حتى لا تضع فلسطين إلى الأبد (الحلقة السابعة) (١)

المنظمة (من عجلون إلى لبنان)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

لم تكن الضربة التي وجهت للعمل الفدائي في الأردن في أيلول سنة ١٩٧٠م كافية لإنهائه تماماً أو لإخماد أنفاسه كلياً في
عمان، وتحولت عمان من أيلول سنة ١٩٧٠ إلى نهاية سنة ١٩٧١م إلى مسرح للأحداث التي لم تهدأ طيلة تلك الفترة. وقد عشت تلك
السنة في عمان ولطالما روع بوي المدافع الرشاشة وأزيز الرصاص وانفجار القنابل الواثق (النساء) والأطفال بعد التهزيع الأول من
الليل، ولقد سمعت أحد علماء علم النفس التربوي يقول:

(ستظهر آثار هذه الأحداث في الأطفال أمراضاً نفسية وعصبية بعد لأي من الوقت) وما أجمل بيت شوقي في هذه المناسبة:

سلي من راح غيدك بعد ومن آبين فزاده والضجر فزق؟

وبعد وساطات كثيفة من جهات عربية توصلت المنظمة مع الأردن إلى وقف إطلاق النار واشترطت الأردن خروج الفدائيين من
المدن إلى غابات عجلون وجرش وقيل الفدائيون، وهناك شهدت المنظمة آخر مشهد من الجزيرة حيث اشتبكت مع الجيش المدجج
بالسلاح المحمي بالنبايات والطائرات، وتفرق الفدائيون أيدي سباء، فهرب قسم منهم إلى فلسطين المحتلة (الضفة الغربية) وأعلنوا
استسلامهم لليهود، وهرب قسم آخر إلى سوريا -حيث النصيرية الرعناء والباطنية الحاكمة على المسلمين وعلى أهل فلسطين-
فضاقت سوريا بهم ذرعاً وقيل لهم: مالكم لا تخرجون إلى ساحة مفتوحة وحدود مشرعة المصاريع على اليهود هناك في لبنان تجدون
الامن والأمان.

وتجمع الفلسطينيون في لبنان...

ولكن لبنان قطعة عزيزة غالية على أمريكا والغرب ويدخرونها لتكون رداً لليهود في فلسطين وجناحاً آخر لنيلتها، فلا بد أن
يكون للغرب خنجر مسموم ذو حدين في الشرق لتمزيق وحدة المسلمين وتشثيت كلمتهم: الحد الأول هو دولة إسرائيل اليهودية والحد
الثاني دولة لبنان النصرانية المارونية.

واليهود لهم أحلام قديمة في لبنان:

يقول ابن غوريون في مذكراته سنة ١٩٢٧ (إن لبنان هو الحليف الطبيعي لأرض إسرائيل اليهودية فإن شعب لبنان المسيحي
يواجه مصيراً مشابهاً لمصير الشعب اليهودي في هذا البلد!! مع فارق واحد هو أنه ليس بإمكان مسيحيي لبنان التزايد بواسطة
الهجرة الآتية من الخارج.. سيقوم جوار لبنان للدولة اليهودية حليفاً مخلصاً من اليوم الذي ستتأسس فيه وليس من المستبعد أن تتاح
لنا الفرصة الأولى للتوسع -عبر الحدود الشمالية- في منطقة جنوب لبنان المتاخمة للدولة اليهودية وذلك بالاتفاق الكامل مع جيراننا
لأنهم بحاجة إلينا).

وجاء في مذكراته في ٢١ مايو ١٩٤٧:

(إن نقطة الضعف في التآلف العربي هي لبنان، وإن السيطرة الإسلامية في هذه الدولة مصنعة ويمكن الإطاحة بها بسهولة

(١) مجلة الجهاد العدد (٦١) من ١٧ ربيع الثاني ١٤١٠هـ -نوفمبر ١٩٨٩م

يرجب إنشاء دولة مسيحية هناك تكون حدودها الجنوبية على نهر الليطاني وسوف توقع معاهدة تحالف مع هذه الدولة.

وهكذا سوف نتمكن من القضاء على شرق الأردن بعد أن نحطم الفرقة العربية ونقصف عمان بالقنابل. وبعد ذلك ستسقط سوريا وإذا تجرأت مصر بعد ذلك على شن حرب ضدنا سنقصف بورسعيد والاسكندرية والقاهرة، وهكذا سنتمكن من إنهاء الحرب ومن الانتقام من مصر عن أجدادنا الآشوريين والكلدانيين^(١).

وسنلتقي في الحلقة القادمة مع فصل آخر من مسرحية الملحمة الفلسطينية بين أشجار الأرض إن شاء الله.

حتى لا نضيع فلسطين إلى الأبد (الحلقة الثامنة)^(٢)

وصل الفلسطينيون لبنان وبدأت المخيمات الفلسطينية في لبنان تتنفس الصعداء إذ جاءتهم قوة من إخوانهم ترفع من شأنهم وتعزز وجودهم ولكن القرى اللبنانية كلها ترمي هذا الضيف الجديد شزراً^١ فاللارونيون يرون أنهم خطر على سلطتهم المطلقة التي استاثروا بها منذ جثمت فرنسا بثقلها فوق أرض لبنان حتى طاربوا المسلمين في كل مراكز القوى ولم يعد للمسلمين أي وزن في شتى الدوائر. ٢- واليهود يرون فيهم خطراً جديداً بإمكانه أن يتخذ من الحدود منطلقاً لمواصلة القتال ضدهم لتعود مرة أخرى تلك السيفونية التي أخرست في الأردن والتي كانت تعزف على أنغامها من خلال العليات التي تتم عبر نهر الأردن. ٣- والدروز والشيعية يرونهم قوة سنية ذات بأس وشوكة جاءت تدعم أهل السنة من أبناء فلسطين المشردين هذه القوة مدججة بالسلاح وهي في أي وقت تنشب بحلولهم وتأخذ بخناقهم. ٤- والنصيرية السورية ترى فيهم داهية جديدة تضاف إلى الرزايا التي يعاني منها الحكم النصيري كثيراً.

وهناك الصحف التي تجد متنفساً في بيروت تأخذ على عاتقها كشف خبايا النصيرية ونشر فضائحها وتبين حقائقها. هذا بالإضافة إلى الحل السلمي الذي ترتب له أمريكا واسرائيل والذي يدع إليه حكام المنطقة دعاً ويأبى عليهم ذلك الشعب الفلسطيني الذي يكون لحة واحدة ممتدة متصلة من جبال القلمون مارة بدمشق ثم انتهاء بالأردن، هؤلاء يرفضون بأبى الصلح مع اسرائيل والتنازل عن أي جزء من الأرض، وزيادة على ذلك، الخصومة المستحكمة بين جناحي البعث النصيري والعفلي إذ أن عفلق وهو يقبع في مدينة هارون الرشيد يكون بعض التنظيمات في لبنان لتكون مصدر قلق وأزعاج للنصيريين الذي طردوه من دمشق فله منظمة فدائية فلسطينية بالإضافة إلى الحزب اللبناني الذي يتزعمه عبدالمجيد الرافعي. ودعك من حدود لبنان المفتوحة التي تعتبر محضناً دافئاً ومستقراً أمناً للشباب المسلم الذين يعارضون الحكم في دمشق ويحاولون أن يهزوا الأرض تحت كراسي حكمه حتى إذا ضاقت عليهم أرض الشام فروا ليجدوا مستراحاً تحت ظلال الأرض، ولذا كان على النصيرية أن تعيد حساباتها بالنسبة للقوة الجديدة التي حطت في أرض الإمام الأوزاعي -لبنان-

وقد كتبت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بياناً في ١٩٧١/٩/٦ قالت فيه (إن حرب الإبادة ضد المقاومة هي الشرط الوحيد الذي يمكن أن يقبل به العدو لتنفيذ مشاريع الولايات المتحدة الأمريكية أو مشاريع التسوية).

إن أكبر عامل يزعج النصيرية السورية هذه الصحف التي تصدر يومياً بمئات الآلاف تنشر على العالم ما يدور وراء الكواليس وبين الدماليز المظلمة من خبايا ونوايا ضد الشعب المسلم.

ففي ١٩٧٤/٩/١٠ نشرت صحيفة الثورة السورية حديثاً للرئيس السوري مع فزیه البزري وزير الاقتصاد اللبناني جاء فيه: (في لبنان مؤامرات رفض مواجهة ضد سوريا التي أبلعت رئيس الحكومة اللبنانية ذلك أكثر من مرة. وأجهزة الدولة السورية تعرف أنه يوجد في لبنان أوكار لمثل هذه المحاولات الفاشلة والصحف اللبنانية تنشر يومياً أكثر من قصة وخبر مخفلق وملفق وهذا لا يجوز ويجب وضع حد له).

الترتيبات بين الكتائب والنصيرية:

كان نيار الجميل زعيماً لحزب الكتائب فبدأ يرفع عقيرته -صوته- في مجلس النواب اللبناني يندد فيها بالمشاكل التي تثيرها

(٢) مجلة الجهاد العدد (٦٢) جمادي الأولى ١٤١٠هـ - سبتمبر ١٩٨٩م ص ٢٢.

(١) انصراح العربي الاسرائيلي لعمد التوازي ص ٢١١

منظمة التحرير في لبنان وفي ٢٢/٥/٧٥ طالب بنقل مخيم تل الزعتر من بيروت الشرقية.

وأعزت سوريا لمعاملتها في لبنان -زهير محسن / رئيس قسم الصناعة السورية في لبنان، وعاصم قانصوه زعيم حزب البعث في لبنان- أن يوثقوا علاقاتهم مع الكتائب وبدأ "بيار جميل" يصرح أن عاصم قانصوه صديق قديم تتعاون معه دائماً لتقريب وجهات النظر بين حزبينا. وفي ٧/١٢/٧٥ قبل دخول القوات السورية إلى لبنان بشهر واحد زار الجميل سوريا استجابة لدعوة من الرئيس السوري واستقبل هناك استقبالا حافلا بونه استقبال رؤساء الدول، وفي نهاية الزيارة صدر بيان جاء فيه (يوجه حزب تحية الشكر والإكبار لسيادة الرئيس السوري ومن جهة أخرى يحز في نفس الحزب أن يرى عملاء السوء وزيانية الفتنة -المنظمة الفلسطينية- يصرون على إبقاء البلاد في دوامة الفوضى والضياع والاقتتال وقد عمدوا إلى افتعال حوادث إجرامية جديدة أدت إلى ردات فعل عشوائية غير مسؤولة) وهكذا فالجوكه مهيا لبدا المجزرة الفلسطينية الجديدة.

* ملاحظة: كل أقوال الصحف أخذتها من كتاب الصراع العربي الإسرائيلي / محمد النواوي.

قضية فلسطين والحل الإسلامي^(١)

(إنهم لهم المنصورون، وإن جندنا لهم الغالبون) (المصافات ١٧٢-١٧٣).

أيها الأخوة:

إن قضية فلسطين قضية إسلامية سواء من الناحية التاريخية أو من ناحية السكان والدفاع والحماية.

فالإسلام هو الذي افتتح فلسطين وعربها، وجند الله هم الذين ضسخوا تربتها بنجيعهم الطاهر، فلهم فوق كل رابية شهيد، وعلى كل بقعة علم، وهذه أضرحتهم على مشارف الغور شاهدة أن الله عز وجل هو صاحب الفضل والمنة في تخليص هذه البلاد من ظلم الروم وخشية الصليب.

ولقد خرجت هذه الأرض مرتين من يد المسلمين، وتقدم الإسلام لينقذها، المرة الأولى يوم أن غزاها الصليبيون، وكتبوا أن سيقان خيولهم تخط في دماء المسلمين والكفار في القدس، وقتلوا سبعين ألفاً في غداة واحدة، وكان المنقذ رجلاً كردياً هو صلاح الدين الذي كان يقول: (إني لأستحي أن أبسم والقدس في يد الصليبيين).

والمرة الثانية في غزو التتار، ووقفوا على مشارف الشام، فتقدم الظاهر بيبرس والمظفر قطز -من المماليك المسلمين-، وخر قطز من فوق جواده ساجداً لله شكراً.

وهذه هي المرة الثالثة، وإن ينقذها إلا الإسلام بإذن الله، فلقد حافظ الإسلام على فلسطين بضعة عشر قرناً، وحافظت تركيا المسلمة على الأقصى خمسة قرون ولم تستطع القومية العربية حمايته نصف قرن.

إن من تصفح القرآن يجد أن الله عز وجل أفرد صفحات كثيرة وهو يتبع تاريخ اليهود، ونقضهم العهود، وقتلهم الأنبياء بغير حق، ووَصَفَ خبايا نفوسهم، ومسار طواياهم وسجاياهم التي لا تتغير وهم يقاتلون رسالات النور والهدى، ولعل هذا -والله أعلم- حتى يحذر الأمم وعلى رأسها خير أمة أخرجت للناس من مكائد هؤلاء.

فاليهود بتوراتهم المحرفة الحاقدة وتلمودهم يرون أن البشر قد خلقهم الله لخدمتهم، وقد قال عنهم القرآن بلسانهم: (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه، قل فلم يعذبكم بذنوبكم).

ومن نظر في التوراة يجدها تتضح بالحقد على البشرية، وتطفح بالصاقي أبشع الجرائم بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، -فلوط عليه الصلاة والسلام زنا بابنتيه، وداوود بن يعقوب اعتدى على زوجة أبيه، وداود اعتدى على زوجة أحد أصحابه، وأمنون بن داود زنى بأخته بامار، ومن قرأ صور الدعارة في شعر تشيد الإنشاد يعلم أن تزار قباني لا يقدر على مثل هذا الوصف الفاضح للجنس، فالتوراة كتبت أثناء السبي الأول بختنصر (٥٧٦م)، والتلمود كتب أثناء الثاني (تيطس سنة ٧م)، ويسمونها اليهود (المشنا والجمارا) أي الشريعة وشرحها.

وما أراء فرويد في الجنس إلا اثباتاً تورانية وروياً تلمودية، فاليهود يرون أن الأرض كلها لهم، وكل ملك إنما هو غاصب لملك

١- هذا الموضوع كتبه الشهيد رحمه الله -أثناء وجوده في الأرض- أي قبل سنة (١٩٨٠م). وقد وجدناه بين أوراقه في بيته الكائن في الأرض

صهيون، وهم يحكموا العالم من أورشليم كما يريدون من فوق عرش الهيكل الذي يجلس عليه ملك من نسل داود، ولذا فهم خططوا لضرب العالم على ثلاثة محاور:

١- ضرب فرنسا الكاثوليكية.

٢- ضرب روسيا الأرثوذكسية.

٣- ضرب تركيا الإسلامية.

أولاً: ضرب فرنسا الكاثوليكية بإقامة الثورة الفرنسية سنة (١٧٨٩م) حيث تحولت فرنسا بعد ذلك إلى مزرعة يهودية، وماخور للدعارة يعج بالجنس وبالأراء التي تدمر كيان الإنسان، كالمذاهب الوضعية والوجودية والمادية.

ثانياً: ضرب روسيا الأرثوذكسية للانتقام من الشعب الروسي الذي يحتقر اليهود، وللثأر لمذابح اليهود في روسيا خاصة بعد اغتيال القيصر اسكندر الثاني سنة (١٨٨١م)، ففي (٦) نوفمبر (١٨٨٤م) لأول مرة في تاريخ الصهيونية اجتمع ممثلوا اليهود في (كانوتش)، تعاهدوا فيها على سحق القومية الروسية، وتفتت فيما بعد على يد (بروتشتين أي تروتسكي) سنة (١٩١٧م) حيث قامت الثورة البلشفية التي أصدرت في الأسبوع الأول قراراً (يعترف لليهود بوطن قومي في فلسطين) وكان هذا في شهر أكتوبر سنة (١٩١٧م)، وفي شهر نوفمبر (١٩١٧م) صدر وعد بلفور، أي بعد قرار الشيوعيين بأقل من شهر.

جاء في بيان الشرق الأعظم سنة (١٩٠٤م) ص(٢٢٧): (الماركسية واللاقومية هما وليدتا الماسونية، لأن مؤسسها ماركس من ماسون درجة (٣١)، ومن أعضاء المحفل الإنجليزي، وإنهما كانا من الذين أدارت الماسونية السرية وبفضلها صدر البيان الشيوعي). (الماسونية التي هيأت الجور للثورة الفرنسية سنة (١٧٨٩م)، عليها أن تهى للثورة الماركسية، وعلى الماسونيين أن يعملوا بالاشتراك مع العمال لأنهم القوة التدميرية، ولم يعد خافياً على أحد أن الثورة الشيوعية يهودية من ألفها إلى يائها).

فالقائد لينين جاء معه (٢٢٤) ثائراً من مجرمي نيويورك وألمانيا، منهم (١٧٠) يهودياً، وكان المكتب السياسي الأول للثورة الشيوعية مكوناً من سبعة أشخاص هم:

١- لينين: أحد أبويه يهودي وزوجته كروب يهودية.

٢- ستالين: زوجته يهودية.

٣- كامنيف: يهودية.

٤- زيتوتيف: يهودي.

٥- سوكولنكوف: يهودي.

٦- تروكسلي يهودي.

٧- بينوف: روسي ليس يهودياً.

وفي أول حكومة بعد الثورة كان عدد الوزراء اليهود (١٧) يهودياً من (٢٢) وزيراً، وعدد كبار الموظفين (٥٣٢) موظفاً يهودياً. ثالثاً: ضرب تركيا الإسلامية، وكلنا يعلم كيف تحرك العالم بأيدي اليهود لإسقاط السلطان عبد الحميد من الوجود سنة (١٩٠٩م)، وبسقوط السلطان سقطت فلسطين، وغاب الإسلام الفعلي عن اليهود، وفتحت الطريق أمام اليهود إلى أرض الميعاد كما يدعون، هذا بعد أن عرض على السلطان (١٥٠) مليوناً من الدنانير الذهبية، وبناء أسطول، وإقامة جامعة عثمانية، والدفاع عن الحكومة العثمانية في أوروبا، فقال: (إن فلسطين أخذها المسلمون بالدم، وإن تنتزع منهم مرة أخرى إلا بالدم).

إن القضية بالنسبة لليهود قضية عقيدة ودين، ومسألة حياة أو موت، ولذا كان هذا التخطيط الطويل في أوروبا حتى ينفذوا منها إلى الشرق حيث (يقيموا دولتهم من القرات إلى النيل)، ولذا فلا يمكن مساومتهم عليها، ولا يمكن أن يتنازلوا عن أرض الميعاد، ولا عن أرض التوراة (سيناء)، وقد يتنازلون مؤقتاً عن سيناء ريثما يتم استصلاحها وإحيائها بمياه النيل بأنابيب تحت قناة السويس الذي رسم لعبد الناصر ويتابعه خلفه من بعده.

ولذا فمن السذاجة والبلامة أن يطلب من اليهود أن يتنازلوا عن الضفة الغربية التي يعتبرونها أرضاً محررة كما قال بينن.

إن القضية دينية قبل كل شيء لدى اليهود، ولذا سموا دولتهم (إسرائيل) باسم نبي من الأنبياء، وهو يعقوب عليه الصلاة

والسلام، مع أنه ثابت تاريخياً أن (٩/١٠) اليهود الآن في العالم هم من يهود الخزر، وهم قوم وثنيون كانوا يعيشون حول بحر الخزر. وقامت لهم دولة في القرن التاسع الميلادي، واعتنقوا اليهودية لأنهم كانوا على احتكاك مع روسيا النصرانية والدولة الإسلامية، ومن هنا فقد أسقط اليهود كلمة خزر من معظم المعالم الأوروبية، وسموا بحر الخزر ببحر قزوين، حتى لا تذكر العالم بأصل اليهود فينكشف زيف ادعائهم واقتراأنهم أنهم أثباته.

هذا النسب التاريخي لليهود العالم بينما نجد أثباتهم ممن تسلموا أسمى المراتب في العالم العربي يريد أن يثبت أصالة اليهود، ويرجع كل حضارة وتقدم للبشرية إليهم، فهذا طه حسين ينفي صلة العرب بـسبيثا إسماعيل وإبراهيم عندما قال: (للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل إلا أن هذا لا يكفي لإثبات وجود الاسمين، فضلاً عن أن تلك القصة التي تقول برحلة إبراهيم وإسماعيل إلى مكة، وما القصة إلا حيلة لإثبات صلة العرب باليهود).

وليس عجيباً من طه حسين تمييز (دوركاييم) أستاذ الاجتماع اليهودي الذي كان يشرف على رسالته (ابن خلدون)، ولذا فإن طه حسين لم يتكلم كلمة واحدة ضد اليهود رغم أنه عاش القضية الفلسطينية من بدايتها، وليس بمستغرب هذا من طه حسين الذي يرجع رقة القرآن المدني إلى تأثير اليهود على رسول الله ﷺ، والذي كان يعتبر جهاد الجزائريين بربرية ووحشية تقف أمام مدنية أوروبا.

ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة القضية تاريخياً، وإثبات حقنا من خلال مدة سكن اليهود أو نسبهم، فهذا يضيع حقنا، ولقد هائني ما سمعته على لسان أحد الزعماء العرب، وهو يريد نفي شرعية الوجود الإسرائيلي في فلسطين بدليل أن العبرانيين ما سكنوا فلسطين إلا سبعين سنة أيام داود وسليمان.

فنحن نعتقد أننا أولى بموسى ويعقوب وإبراهيم منهم بنص الكتاب والسنة، قاله عز وجل يقول:

(ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين، إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) (آل عمران: ٦٧-٦٨)

ويقول الله عز وجل: (أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا يهوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله). (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون) (البقرة: ١٣٣).

وقال ﷺ عندما سئل عن حياض اليهود لعاشوراء، فقالوا هذا اليوم الذي نجى فيه موسى، فقال: (نحن أولى بموسى منهم، وأمر المسلمين بصيامه).

فاليهود ليس لهم صلة بالأنبياء بعد أن شوهوا صورتهم، وحرقوا كتابهم، وبدلوا دينهم بالشرك، وأنكروا اليوم الآخر في كتابهم. وعلى هذا فالقضية لا تبحث إلا على أساس الإسلام.

فالإسلام حررها أول مرة، والإسلام يحررها في كل مرة يراد بصدق إنقاذها وتخليصها.

واليهود يعرفون: أن الإسلام هو الخطر في المنطقة، فابن خوريون يقول: (نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا الثوريات ولا الديمقراطية والملكيات في المنطقة، إنما نخشى الإسلام، هذا المارد الذي تام طويلاً وبدأ يتعمل في المنطقة).

ويقول شمعون بيريز: (إنه لا يمكن أن يحدث سلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهراً سيفه، وسيمضي وقت غير قليل حتى يغمد الإسلام سيفه ويعود إلى موقفه الإنساني الذي وقفه اليهودية والنصرانية).

وكتبت روث كاريك سنة (١٩٤٨م) في الصنداي ميرور تحذر أمريكا من الإخوان المسلمين: والآن قد أصبح الإخوان المسلمون ينانون بالاستعداد للمعركة الفاصلة التي توجه ضد التدخل المادي للولايات المتحدة في شئون الشرق الأوسط، وأصبحوا يطلبون من كل مسلم ألا يتعاون مع هيئة الأمم المتحدة.

فقد حان الوقت للشعب الأمريكي أن يعرف أي حركة هذه... إن اليهود الآن في فلسطين هم أعنف خصوم الإخوان المسلمين، ولذلك كان اليهود هم الهدف الأسمى لعنوان الإخوان المسلمين.. وطالبوا بانسحاب العرب من هيئة الأمم المتحدة، وإذا كان اليهود يطالبون الآن بإرسال قوة دولية فإنهم يطلبونها لتواجه رجال الإخوان المسلمين وجهاً لوجه، وبذلك يدرك العالم كله الخطر الحقيقي الذي تمثله هذه الحركة، وإذا لم يدرك العالم هذه الحقيقة فإن أوروبا ستشهد ما شهدته في العقد الماضي من القرن الحالي، إذ

واجهتها حركة فاشية نازية، فقد تواجها في العقد الحالي إمبراطورية إسلامية فاشية تمتد من شمالي أفريقيا إلى الباكستان، ومن تركيا إلى المحيط الهندي^(١).

وعلى هذا الأساس كان اليهود يعتبرون الإخوان المسلمين مجرمي حرب لا يعاملون معاملة الأسرى.

وقد قدم جونسون -مبعوث إيزنهاور- سنة (١٩٥٤م) مشروع ملء الفراغ في الشرق الأوسط، وحل المشكلة اليهودية- العربية، وأنهى تقريره بقوله: (ولكنه لن يتم سلام في المنطقة ما دامت دعوة الإخوان المسلمين قائمة، هذه الجماعة التي تعد مليوناً من البشر داخل مصر وخارجها).

ولذا ففي كل مرة يريد اليهود أن يقفوا قفزة جديدة، تضغط واشنطن وموسكو أو لندن بإشارة من اليهود على مخالفيها في العالم العربي لتضرب الحركة الإسلامية.

ففي سنة (١٩٤٨م) قامت دولة إسرائيل بينما كان النقراشي مشغولاً بمطاردة الإخوان ومصادرة أموالهم وإغلاق دورهم، وفي سنة (١٩٤٩م) وقع العرب معاهدة رودس مع اليهود، وأضافوا لهم أرضاً جديدة بعد مقتل حسن البنا باثني عشر يوماً.

وفي سنة (١٩٥٦م) تقدم اليهود بينما كان الشباب من الإخوان المسلمين يرسفون في أغلال، مختفين وراء القضايا في سجون عبد الناصر، حيث يقول لهم (حمزة البسيوني) وهم يناشدونه الله أن يخفف السياط عن ظهورهم (لو جاء الله لوضعت في الزنازة)، وكان خيارهم قد سبقهم إلى الله شهداء.

وفي سنة (١٩٦٧م) ولما يمض تسعة أشهر على إعدام الشهيد سيد قطب وأصحابه، وأعلن الطاغوت المصري انهم اعتقلوا (١٧) ألفاً في يوم واحد. تقدم الجيش الإسرائيلي ليقف على ضفاف القناة.

لقد هال اليهود بطولات الإخوان وتضحياتهم، وهذا الذي اعترف به ضابط يهودي لأحد ضباط الإخوان -معروف الحضري- وكان قد وقع في الأسر، وأثناء تبادل الأسرى يسأله معروف: لماذا تهاجمون العسكرية كلها سوى عسكري كذا (أحد عسكريات الإخوان)؟ فقال: (إننا جئنا هنا لنعيش ونحيا، وهؤلاء جاؤوا للموت، ولذا فهم لا يهزمون، ومهاجمتهم تكلفنا خسائر كثيرة).

مع أن الإخوان حيل بينهم وبين الإلقاء بتقلهم في المعركة، لقد جن جنون أوروبا وعمالقتها وهم يسمعون البرقية التي أرسلها الإمام الشهيد حسن البنا سنة (١٩٤٨م) إلى زعماء الدول العربية المجتمعين في عالية يقول: (أنه يريد أن يدخل فلسطين بعشرة آلاف مسلح).

فوقف النقراشي والإنجليز في وجه الإخوان يصونهم بكل وسيلة، ولذا فمعظم الإخوان دخلوا فلسطين متسللين عبر سيناء، أو بعد قطع مسافات طويلة، أو مع الكتائب التي نظمتها الجامعة العربية مثل كتيبة أحمد عبد العزيز، والكتيبة الثانية بقيادة عبد الجواد طيالة، ومعظم أفراد الكتائب الثلاث من الإخوان، ولقد منعت الحكومة السعودية الإخوان من قضاء إجازاتهم عند أهلهم في مصر فلم يضرهم هذا.

ولقد كان الشباب الجامعي المسلم يتحرق وهو يسمع أخبار حصار الجيش المصري في الفالوجة، وفي الحال تطوعت مجموعة ومئات طائفة وطارت إلى مطار عمان لتتلقى إشارة من عمان التي يقود جيشها جلوب الإنجليز بالعودة، ولم يئأس الشباب، وقطعوا سيناء طمعاً في الشهادة وحباً بلقاء محمد ^ص وصحبه.

لقد قدم الإخوان أروع الأمثلة في تضحياتهم، ولقد قدموا صبيحة ذاك اليوم أواسط شهر مايو سنة (١٩٤٨م) (٧٠) شهيداً إلى الملا الأعلى مع (٥٠) جريحاً في معركة كفار ديروم.

ولقد صاح عمر عبد الرؤوف عندما أصابته رصاصة في صدره (أترون ما أرى؟ هذه هي الجنة! إنني أراها وأشم رائحتها).

وفي (١٩) أكتوبر سنة (١٩٤٨م) هاجم اليهود تبة اليمن واحتلوها من الجيش المصري، وصمم الإخوان احتلالها، واحتلوها، فأمرت قيادة الجيش المصري بتسميتها بتبة (الإخوان المسلمين)، وفي هذا الوقت أعلن النقراشي قراراً بحل الجماعة، وجن جنون الإخوان، فجاءت الرسالة من المرشد البنا: (أيها الإخوان، لا يهمكم ما يجري في مصر، فإن مهمتكم هي مقاتلة اليهود، وما دام في فلسطين يهودي واحد فإن مهمتكم لم تنته).

^(١) - تنال الغدابين كامل الشريف (ص ١٨).

ولقد علم البنا أن الحكماء العرب لا يريدون القتال، وكان يتصل بقواده في فلسطين يقول (ما فيش فايده، دول مش عزيزين يحاربوا)، وبدأ يستعد للتعبة العامة والجهاد المقدس: إلا أنهم عاجلوه بحل الجماعة في (٧) ديسمبر (١٩٤٨م)، وقبول الهدنة ولذا فني زيارة أحمد عبد العزيز لمصر فاتحه بالقضية وخيانة الحكومات العربية وأوصاه بالمحافظة على دماء الإخوان ورجع أحمد عبد العزيز إلى فلسطين بعد أن أمن أن الإخوان هم القوة الحقيقية الصادقة، وبدأ يعدح الإخوان، ففس إليه فاروق من يفتاله وهو داخل إلى المعسكر.

ثم اغتيل البنا بعد هذا بشهر ونصف تقريباً، واعتقل الإخوان المجاهدون من أرض معسكراتهم في فلسطين وأعيدوا في دبابات فاروق ليلقوا وراء القضبان من المعسكر إلى المعتقل.

ولقد شهد لهم العدو والصديق، ومن ذلك قائد الجيش المصري الموارى الذي قال: (كان الإخوان يتزعون الغام اليهود وينسفونهم بها في النقب)، وقال فؤاد صادق -القائد الذي خلف الموارى-: (كان الإخوان المسلمون جنوداً أبطالاً أدوا واجبهم كأحسن ما يكون). وأقبلت سنة (١٩٦٧م) تطوي لمي ليايلها هزيمة الخامس من حزيران، وبدأت المقاومة الفلسطينية، وقدمت الدعوة جهداً متواضعاً بسيطاً، إذ أن جراحها لا زالت، ولا زال ضياغمها رهينة السجون أثبت أن تشل بقيد الإمام، وإعلام عبد الناصر يطاردهم في كل مكان، ويفصلهم عن الشعوب، ويشوه صورتهم. واضطرت الدعوة أن تستعير اسم إحدى المنظمات حتى تنطفي على عملها، ومع ذلك فقد كاد عبدالناصر يجن إذ ترمى إلى مسامعه أن بعض شباب المنظمات يصلون، فأرسل مستفسراً إن كان الإخوان المسلمون قد حملوا السلاح، ونفى قادة المنظمة ذلك، وأعاد الاستفسار بست برقيات، وأرسل رجال المخابرات يتتبعون حركة الإخوان وجهاز الشباب المسلم.

وقدم الإخوان في هذه المرة قافلة من الشهداء، تودعها القلوب والعيون قبل أن يوارىها التراب، وقد استطاع الإخوان أن ينتزعوا إعجاب الجيش الأردني ومساعدته، رغم الاحتكاك الشديد بين المنظمات والحكومة، إلا أن قادة الجيش المسؤولين عن خط الغور كانوا يأخذون على عاتقهم تغطية انسحاب الإخوان بقذائف الدخان، بل إن بعضهم يخاطر بنفسه لينزل تحت لهيب القنابل وأزيز اندفاع ليحمل جريحاً من الإخوان أو ينقذ بطلاً من أبطالهم.

ووقف الناس بجانب الإخوان وهم يرون عزة نفوسهم وأنفة أفرادهم، فبساتين البرتقال التي يخيم الإخوان بجانبها، أو حدائق العنب التي تحوي المغارات التي تضم جنودهم كلها محروسة، وأنا أعرف الكثيرين عاشوا فترة طويلة داخلها ولم يعرفوا لها طعماً.

فإذا أقبل الزمان توارى وإذا زاعت العيون تراه
لو لغير الإله ذات جباه لانحنت عند راحتيه الجباه

وإن كنت أنسى فلا أنسى صورة أبي مصعب وقد غمر الدمع وجهه وهو يقول: إن طاعة الأمير فرض، ولكن لن أطيعه في هذه المرة التي يريد فيها أن يحرمني من الجنة ويمنعني من النزول في عملية.

وكذلك صورة الإخوة الذين لبسوا أجمل ملابسهم وتعطروا قبل أن يدخلوا المعركة استعداداً لاستقبال الحور العين، وقد رأى أحدهم نفسه في آخر ليلة يتزوج في الجنة.

وجاءت فتنة أيلول السوداء بين الجيش والفدائيين، واعتزل الإخوة الفتنة، كما وقفوا (٤٨) ساعة، فما سلموا من الجيش والفدائيين، وكادت الثورة تعدم بعض الإخوان لأنهم لم يصوبوا رصاصهم إلى صدر الجيش، والحق أن كثيراً من أهالي القرى وقفوا بجانب إخواننا يرجون الجيش أن لا يؤذيهم، لقد كان الإعلام الثوري يأخذ صور بطولاتهم ليحيك فيها أجمل القصص، ولكن للأسف يقدمها باسم النضال الثوري والكفاح ضد الإمبريالية والطبقية.

ولا زالت الحركة الإسلامية تتصدر تحريك الجماهير للوقوف في وجه الطواغيت واستنقاذ حقوقها من بين براثن البغاث الذي استنصر، وما تني الحركة صباح مساء تهز الجموع المستضعفة لتوقظها من سباتها العميق الذي تغط فيه حتى لا تباع بيع السوائم تساق إلى مذبح الشهوات على أقدام الصهيونية والصليبية وأبنائها في الداخل والخارج.

ولا زالت الحركة الإسلامية تحذر الحكام من مغبة الحل السلمي وتستكره على المنابر وفي الصحف، رغم أن الأنواء كلها مكمة، والأيدي كلها مكبلية، والناس قد استناموا تحت بغدغة الشهوات، وضاعوا بين رقصات الأنغام واهتزاز السيقان وبريق الذهب والهلج على الحياة.

والناس أحد فريقين بالنسبة للصلح أو التوسع:

١- فريق يرى أن اليهود سيصلحون، وإن يقطعوا نهر الأردن، معتمدين أن مذبحه اليهود ستكون في فلسطين، ومستندين إلى الحديث الصحيح: [لثقاتلن اليهود أنتم شرقي النهر وهم غربيه، حتى يقول الشجر والحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله]، والرواية الأخرى التي رواها البزار بإسناد رجاله ثقات [أنتم شرقي الأردن وهم غربيه]، ويقول راوي الحديث: وما كنا نعرف أين الأردن من الأرض يومئذ.

وهذا يعني أن دمشق كذلك لا تسقط بأيدي اليهود، ولهم دليل من حديث أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في الملحمة الكبرى: [إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالخرطة أي جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام] (١).

وحديث عن أبي الدرداء مرفوعاً: [بينما أنا قائم، رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي، فظننت أنه مذهب به، فاتبعته بصري فعمد به إلى الشام ألا وإن الإيمان حين تقع الفتنة بالشام] (٢).

وإذا تم عقد الصلح مع اليهود فإن اليهود سيستقدمون رؤوس الأموال العالمية من يهود أمريكا وأوروبا لتشتغل في العالم العربي، وعندها سيكون العرب خدماً لدى اليهود، تصب أموالهم ويثروا في جيوب اليهود، وذلك بعد أن يطمئن الأمريكان والأوروبيون إلى الأمن على أموالهم، وهذه تكون فترة بسيطة (لمدة قد تكون عشر سنوات كما يقول دايان) حتى يتم احتلال جميع النقب وسيناء، وسيستقدم اليهود المهاجرين بالملايين، وستبقى الهدنة هذه على دخن كما جاء في سنن أبي داود (١٣٦/٤).

ومعنى على دخن: صلح متطور على حقد.

٢- والفريق الآخر يرى أن اليهود يحطمون بالتوسع، ويتحفزون لقفزة جديدة، ويدل على هذا قول دايان سنة (١٩٦٧م): (من أورشليم إلى يثرب)، وقول جولدا مئير وهي تقف في العتبة: (إني لأتنسم نسامات أجدادي من خير)، وقول جمع من جنود اليهود وهم في المسجد الأقصى: (يا لثارات خير)، وقد طلبوا من الملك عبد العزيز (١٩٤٥م) عن طريق الرئيس الأمريكي روزفلت السماح بإقامة مستعمرات حول خير فرفض الملك.

ويستند هذا الفريق إلى حديث ابن عمر مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: (ويوشك المسلمون أن يحاصروا إلى المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم سلاح) (٣).

وهذا لا يصطدم مع الأحاديث التي سبقت بقتال اليهود: [أنتم شرقي الأردن وهم غربيه] فالمعركة الفاصلة والضرية القاصمة لليهود والله أعلم حيث ينحسرون في آخر الأمر في فلسطين بعد كر وفر وانتصار وهزيمة.

يقول دايان في (٦٩/٦/٢٥): (سنتعدى هذه الحدود إلى الأردن، ويمكن أن نتوصل إلى أواسط سوريا ولبنان) واليهود يرون الضفة الشرقية من الأردن هي الضفة الشرقية من الجزء المقتصب من إسرائيل، خاصة وهم يعتقدون أن أراضي جلعاد (البلقاء) ومذاب (الكرك) هي من تراثهم المفقود، ولهم أناشيد وتراتيل في هذه الأشياء.

والآن ما الحل:

١- أمو تحريك الأجيال الناعمة المخدرة.

٢- أم بالحرب الفدائية.

٣- أم المقاطعة الاقتصادية.

٤- أم بالعمل الإسلامي لإقامة دين الله في الأرض، ثم الانطلاق من فوق أرض صلبة.

أما تحريك الأجيال وجمهرة الناس فهو صعب جداً إن لم يكن مستحيل في الوقت الحاضر، بعد أن أوصلوها بإعلامهم ومناهجهم إلى حالة اليأس القتال، والناس كما وصفهم البيروتوكول التاسع: (لقد خدعنا الجيل الناشئ من غير اليهود وجعلنا، ناسداً متعقنا بما علمناه من مبادئ ونظريات معروف لدينا زيفها التام، ولكننا نحن أنفسنا الملقنون لها).

١- رواه أحمد والحاكم وقال صحيح الإسناد. رواه الذهبي ووافقه الخفري أنظر مختصر أبي داود (١٦٥/٦). وأخرجه أبو داود في كتاب الملحمة في سنته. وقال ابن دحيب ليس من حديث الشاميين شيء. صحيح من حديث صدقة بن خالد عن النبي ﷺ (معقل المسلمين أيام الملحمة دمشق) كما في تخريج السنة (١٦٥/٦). أنظر جمع الفوائد لشمس الدين محمد سليمان (٥٩٧/٢).

٢- رواه الترمذي ورجاله رجال الصحيح والحاكم وقال صحيح على شرطهما. أنظر مجمع الزوائد (٢٨٩/٧). ٣- رواه أبو داود حديث (١٢٥) جزء (١٣٨/٤).

وكما وصفهم زويمر كبير المبشرين: (لقد سيطرنا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر على المناهج أنشأنا جيلاً كما يريد الاستعمار، لا صلة له بالله، ولا صلة له بالأخلاق التي تقوم عليها الأمم، لقد أنشأنا جيلاً همه الكسل والشهوات، فإن تعلم فللشهوات، وإن جمع المال فللشهوات، وإن تسلم المناصب ففي سبيل الشهوات) إذن فهذا الجيل الذي يصفه الله بقوله:

(نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) (مريم)

لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعا:

(نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) (الحشر: ١٩)

فجيل الهزيمة والشهوات لا يحرك جماهيرياً، إنما يُستنقذ فرداً فرداً من تحت الركام، ويربى على التضحية والجهاد.

أما الحرب الفدائية:

فكانت عملية ناجحة لتدمير قوة اليهود لو تعاون الحكام مع شعوبهم، ولكن ماذا يمكن أن ترجو ممن تربوا في أحضان الغرب يدينون لهم بالولاء، ولا يملك أحدهم من أمره شيئاً؟ ماذا عسى أن ترجو ممن جعل مستشاريه من أعداء أمته يخططون له ليل نهار، أو ممن ارتس في أحضان أعداء أمته سواء في مواخير كوهين (ضابط المخابرات الإسرائيلي صاحب القصة المعروفة مع البعث)، أو ارتبط نهائياً بأبناء جيفركافري (السفير الأمريكي الذي كان في مصر) ومايلز كريلاند (رجل المخابرات الأمريكي وصاحب كتاب لعبة الأمم)، أو ممن أمسكتهم الماسونية بخناقهم تدمر بلادهم وتسحق القيم لدى شعوبهم وتمهد لقدم دايان وبيغن؟!

لا يمكن أن ينجح العمل الفدائي الآن وحرب إخوانهم من أبناء جلدتهم في ظهورهم ورصاص اليهود في صدورهم وعمليات السحق تبيد خضراهم.

لقد دخلت الحركة الإسلامية المعركة سنة (١٩٤٨م) وكان بالإمكان -لو قدر الله- وسمح لها بالإلقاء بثقلها أن تقود الجماهير في معركة شعبية ثم تهزم اليهود وتحطم الخفافيش في الظلام، ولكن حيل بينها وبين أداء واجبها على الوجه الأكمل، وكانت النهاية أن سيقوا إلى السجون والمشانق.

ودخلت الحركة الإسلامية في معركة القناة (١٩٥١-١٩٥٤م)، وقدمت زمرة شبابها شهداء، وجنى ثمارها عبد الناصر، وعلق أبطالها على الأعواد، وكانت الحرب الفدائية بعد (١٩٦٧م)، فكانت النتيجة ما عرفه العام والخاص: ملاحقة فوق كل أرض، وإبادة على كل بقعة، وحرمان من حقوق الحياة، وزج في أعماق السجون.

أما المقاطعة الاقتصادية:

ولا ترجى ممن فرطوا بأكثر من هذا، فلا يمكن إرغام المسؤولين الآن الذي يصرحون بأن إسرائيل حقيقة واقعة أن يقاطعوها، كيف يمكن إرغام الماسونيين الذين سمو أنفسهم (FREEMASONS) بناء الهيكل أن يحرموا أهم اليهودية العالمية من حق الحياة. والآن فتحت القناة وخليج العقبة أمام التجارة الإسرائيلية لتغزو آسيا وإفريقيا وأوروبا.

٤- وختاماً لم يبق إلا الحل الإسلامي، ونعني به: بناء القاعدة الصلبة باستخلاص الناس من الجاهلية، وتربيتها على التوحيد الذي يبني العزة والإنفة ويربى حب الشهادة ويغرس التفاني والتضحية في الأعماق.

هذه القاعدة الصلبة من الشباب المسلم الذي ينطلق أولاً من عقال الشهوات، ويصير بأبعاد المعركة، ويهب لاستنقاذ حق الله عز وجل المسلوب من قبل المسؤولين، حق الله عز وجل في حكم عباده، والتشريع لخلق، فتتحرر من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الحكام إلى عدل الإسلام. وبعد أن تعيد الحاكمية لله عز وجل وحده، وتتجه إلى شريعته وحدها، وترفع راية (لا إله إلا الله) وحدها.

شعارها في رحلتها الطويلة المفروشة بالنماء والأشلاء، المفروشة بالجماجم والشهداء، حديث رسول الله ﷺ الذي رواه عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً:

(ألا إن رعى الإسلام دائرة قدوروا مع الكتاب حيث دار، ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب، ألا أنه سيكون غيبكم أمراء بقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم، إن عصيتهم قتلوكم، وإن أطعتمهم أضلوكم. قالوا يا رسول الله: كيف

نصنع؟ قال: كما صنع أصحاب عيسى بن مريم، نشرروا بالناشير، وحملوا على الخشب، موت في طاعة الله خير من حياة في معصيته^(١).

فلا بد أن يستقر في أعماق الشباب أنه لا بد من العمل الجماعي الإسلامي حتى تتويى القاعدة الصلبة التي ترفع راية التوحيد على أرض صلبة تكون منطلقاً لتحرير البشرية كلها (من أراد بهجوة الجنة قليلزم الجماعة)^(٢).

فانطلق أيها الأخ للعمل لدين الله، وضع يدك بيد أخيك المزمع، وليكن أنيسك القرآن، اقرأ كل يوم جزءاً، وسلوكك حديث رسول الله ﷺ، وجنيسك الصالحون، واستعن بالقيام والذكر والصيام، وكف لسانك وجوارحك، وتذكر حديث رسول الله ﷺ: (إلا لا يمنعن رجلاً هية الناس أن يقول بحق إذا علمه أو شاهده، فإنه لا يقرب من أجل ولا يباعد من رزق)^(٣).

ولا تنس قول ابن مسعود رضي الله عنه: (اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحمد أحداً على رزق الله، ولا تلوم أحداً على ما لم يؤتك الله، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره، فإن الله بقسطه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط)^(٤).

وتذكر أن الله لا بد ناصر دينه:

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم رباهي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (التوبة: ٣٢-٣٣).

(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدراً) (الطلاق: ٢).

(قفروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين) (الذاريات: ٥).

اتجه إلى الله، واجعل عملك خالصاً لوجهه الكريم، واحذر الغرور وحب الظهور فإنه يقسم الظهور، لتكون نيتك صادقة. وتذكر قول الحسن البصري: إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير في أمر دينه، المداوم على عبادة ربه^(٥). ونوصي الشباب المسلم أخيراً بما يلي:

- ١- قراءة جزء من القرآن يومياً.
 - ٢- قراءة تفسير الجلالين أولاً، ثم مختصر ابن كثير.
 - ٣- المطالعة في رياض الصالحين يومياً، ثم مختصر صحيح مسلم، ثم البخاري أو التلويح والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان.
 - ٣- اقتناء كتاب فقهي مثال فقه السنة أو المذهب للشيرازي أو مزار السبيل.
 - ٤ - قراءة تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون
 - ٥- قراءة الكتب التالية لسيد قطب: أولاً: هذا الدين، والمستقبل لهذا الدين والإسلام ومشكلات الحضارة ثم المعالم، ولا تنس (الضلال).
 - ٦- قراءة الكتب التالية لمحمد قطب: الإنسانية بين المادية والإسلام، التطور والثبات في حياة البشرية، جاهلية القرن العشرين.
 - ٧- قراءة: الحجاب للموودي، ونظرية الإسلام وهدية للموودي.
 - ٨- قراءة: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية للنوري.
 - ٩- قراءة: كتاب (الإسلام) لسعيد حوى.
- وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

٢- رياه أحمد في مسنده، وصححه العلامة أحمد شاكر كما في (الرسالة) للشافعي عارضة الأحرفي، ١/١٠٠.

١- جامع بيان العلم وفضله (١/٢٠٤).

١- حية الأولياء، أبي نعيم (١٦٥/٤).

٣- حديث صحيح في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٦٨).

٥- أحلاق العفاء ص (٨٢).

كلمات
من خط النار الأول

المقدمة *

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :
فما كنت أظن أن ارتباط الأمة بقضية مصيرية بهذا الشكل الذي رأيناه في قضية أفغانستان التي أجمعت الأمة الإسلامية على اعتبارها قضيتها الحية التي اشتدت إليها نفوسها، وتهفو إليها قلوبها، وترنو إليها أبصارها، حتى أصبحت الحوادث التي تدور رحاها حول كابل وجلال آباد محط أنظار العالم أجمع، وحديث الركبان، وقصص السامر في أنحاء العالم الإسلامي .
أوراق عابية منشورة غير مصقولة ولا مزخرفة ولا ملونة ، وما كنت أعلم أنها ستحظى باهتمام العالم الإسلامي بهذا الشغف العجيب، بحيث يواجهك أبناء الصحوة الإسلامية في الجزيرة وغيرها يسألونك عن آخر التطورات وكأنهم يقفون في مواجهة العدو، وينقلون الأخبار ساخنة من أرض المعركة.

كثير من الناس يفاجئونك بأنهم يقومون بتصوير خمسين نسخة أو مائة نسخة من لبيب المعركة ويوزعونها، ولقد استحوذت هذه الأوراق على اهتمام الكثيرين لما تحويه من أخبار ساخنة كانت عصارة الآم وأمال ودماء وأشلاء وأحزان وتضحيات (سهر) ، لقد كانت الدماء التي أريقَت أضعافاً مضاعفة من هذه الكلمات التي كتبت، وما رأيت قضية إسلامية جهادية واقعا الحقيقى أضخم من إعلامها مثل قضية أفغانستان، ومهما كتب بها من مقالات أو نشر من مجلات أو وزع من دوريات فإنها لا تقي عشر معشار الأحداث الهائلة التي تجري فوق هذه الأرض .

والحق أن الشعب الأفغانى لا تزيدني الأيام به إلا إعجابا، ويحلولي أن أنشد له:

أحبك يا شمس الزمان وبدره وإن لامني فيك السها والفراق
وذاك لأن الفضل عندك باهر وليس لأن العيش عندك بارد

لأنه لمن الصعب على الكلمات أن تتقل ثقل المعاناة، وتصور مرار المسيرة، وهول المأساة، وحقيقة الانطباعات التي تتركها الوقائع في أعماق القلوب، وإنه لبون شاسع بين ما يكتبه الإنسان عن هذه الأحداث وبين ما يتجرعه في أعماقه من آلام، وما يواجهه في مسيرته من أهوال .

وبي مما رمك به الليالي جراحات لها في القلب عمق
فمعدرة البراعة والقوافي جلال الرزء عن وصف يدق

وجماع الأمر في القضية أني كتبت هذه الكلمات بعدما عشناها في واقع الأمر آمالا عراضا نحلم بتحقيقها ، وألما شدادا تكبدناها، وغصصا مريرة تجرعناها قبل أن تخرج كلمات تصور واقعنا في الأسبوع الذي كتبت فيه الكلمة .

وقد كانت هذه الكلمات تكتب بعد مطاردات وملاحقات شديدة من قبل أبي عادل لي، فأحيانا يأتيني وأنا بجوار سرير الوالدة رحمها الله في المستشفى يلح علي أن العدد متوقف على كلمتك ، وأخرى وأنا في الجبهة، وثالثة يلاحقني بالتفون والفاكس أثناء سفري، فتصل الكلمة مساء الخميس، والعدد لابد أن يخرج صباح الجمعة، وهكذا دواليك، إلا أنها كانت في خلاصتها معبرة أصدق تعبير عن مشاعر النفس وأحاسيسها، وواقع المعركة وأبعادها، وترسم الكيد العالمى، والمواجهة الرائعة المشرفة الصادقة من أبطال المسيرة الذين يخطون تاريخ الإسلام بالدماء، ويبنون صرح مجده بالجماحم والأشلاء.

ونحن رضىنا أم أبينا فقد أصبحنا جزءاً من هذه المسيرة، وكلمات من هذه الانشودة الجميلة العزيزة ، ولحنا في هذه السيمفونية الحزينة الساخنة .

ونرجو الله عز وجل أن يرزقنا صدق النية، وإخلاص النوية، واستقامة المسيرة والنهج.

هذه الكلمات كانت محاولة لنقل انطباعات النفس ونحن نؤرخ لهذا الحدث الجلل الذي هز الدنيا بأسرها، وشعر كل مسلم في الأرض من جرائه أنه قد ولد من جديد، فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فعنا ومن الشيطان

{ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً} (١)

كتب قرب جلال آباد في السابع عشر من رمضان ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٢ أبريل ١٩٨٩ .

د . عبدالله عزام

* (كلمات ساخنة من خط النار) هذه الجملة كانت عنواناً لهذه المقدمة (١) الكهف (١٠)

خير الأعمال أدمها وإن قل^(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وبعد:

لم يبق إلا وقت قليل حتى نرى بيارق النصر خفاقة فوق كل ربوع أفغانستان - إن شاء الله-، ولقد حقق الجهاد الأفغاني بفضل الله في الأشهر الثلاثة الأخيرة ما لم يكن يدور بخلدنا، كنا نظن أن الجهاد سيخفق بعد معاهدة جنيف، فإذا به ينطلق ويزداد لهيباً واضطراماً، لقد تضاعفت الانتصارات، وخارت عزائم الكفار، ووقع الانقسام الشديد بين الشيوعية الروسية والشيوعية الأفغانية، حتى صار الروس يعيرون الشيوعيين الأفغان بأنهم بأنمو الوطن (وطن فروش)، وكما رأوهم أخذوا يلمزونهم بالإشارات المعبرة والضحكة المجلجلة والسخرية اللاذعة.

وقد باع الروس الضابط الشيوعي الأفغاني بما يعادل ستين ريالاً، والجندي بما يعادل عشرين ريالاً، والآن ونحن - إن شاء الله - على أبواب النصر النهائي، ونرجو الله أن يكون عام (١٤٠٩هـ) هو عام الفتح بعد سقوط بدخشان وطالقان وتخار وكندز وباميان.

ولذا فإننا تنبه المسلمين أن الجهاد في هذا العام يحتاج إلى دعم كبير، ومساعدات ضخمة ومؤسسات كثيرة، وتكاليف باهظة، ولذا فإننا نهيي بالمسلمين أن ييسطوا أيديهم بالبذل

{مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم} البقرة < ٢٦١ >، فالدرهم في الجهاد بسبعمائة درهم، فهنيئاً لمن وفقه الله لفعل الخير وألهمه البذل وحجب إليه النفقة {ومن يرق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} الحشر < ٩ >

والنفقة على الجهاد مقدمة على إطعام الجياع ولو ماتوا كما أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية.
فأقبلوا على الله، وافعلوا الخير، وطهروا أنفسكم، وأعينوا في قيام حكم إسلامي في أفغانستان.

أنفروا عتدهم^(٢)

فقد مضت سنة الله أن يمحى الكافرين وأن لا يصلح عمل المفسدين، وأن يجعل الزبد جفاء، وأن يقر الحق في الأرض {ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون} الأنفال < ٨ >

والشيوعية وقد انتفشيت في عقد من الزمن، وانتفخت وتورمت كالأورام السرطانية، ثم بدأ الحق ينهش جوانحها، ويحطم أركانها، ويمضغ قلبها حتى استعالت في هذا العقد شبها خاوياً، وهيكلها هشاً سرعان ما تنهار نهائياً لضربة أو صفعه [ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً] (الإسراء: ٥١)

والآن وقف الشيوعيون في كابل في حالة بئيسة حزينة لا يحسدون عليها، ساداتهم الروس يتسلون بالسخرية بهم، ويتفكهنون باحتقارهم وبيعهم، فرجالهم الكبار الذين يعملون في الخاد «مخابرات الدولة» وصل ثمنهم النهائي خمسة عشر دولاراً، والضباط ثمنهم عشرة دولارات، والجنود خمسة دولارات.

هكذا أصبح ثمن البغل يساوي ثمن مائة شيوعي يبيعهم ساداتهم الروس بثمن بخس دراهم معدودة، والرقيق الأبيض والأسود أغلى منهم بكثير، بل الحمار تستبدله بستين شيوعياً، ليجمع ساداتهم بعض العملة الصعبة قبل أن يغادروا أفغانستان.

والآن بدأت مراكز الولايات والمديريات تسقط تبعاً فسي أيدي المجاهدين، فقد سقطت طالقان «مركز تخار» دون أن يسقط فيها سوى شهيد واحد، وسقطت جرم /بدخشان/ دون أن تطلق فيها طلقة واحدة، وذلك بمجرد سماع تحرك نجم الدين قائد المجاهدين لاستقبال رباني، وتحرك مسعود من بتجشير، فظن الشيوعيون أنهم أحيط بهم فهربوا ولوا على أعقابهم مدبرين، فجنّت نجم الدين لأهله بفتح جرم، فوجدته حزينا لأن الروس قد نجوا بأرواحهم وسلموا بأسلحتهم، وسقطت بهارك في هذا الأسبوع،

١- لهيب المعركة العدد ١٧ التاريخ ١٤٠٩/٢/٦هـ الموافق ١٩٨٨/٩/١٧م

٢- لهيب المعركة العدد ٢٣ التاريخ ١٤٠٩/٢/١٩هـ الموافق ١٩٨٨/١٠/٢٩م

نرجو الله أن تسقط فيض آباد/ مركز بدخشان، واليوم سقط مركز كابييسا، وقندهار تحتضر لتلفظ أنفاسها، والانتصارات متوالية، وعزائم جند الله تحتد وتشتد، والروس منهارون، والشيوعيون يرتجفون هلعاً، ويبحثون عن محيص أو ملجأ وأنى لهم هذا، فبدأوا يخرجون جوازات السفر ليكونوا أول المغادرين للأرض التي فشلوا أن يبيعوها للروس [كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزيد فلهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال] . الرعد (١٧)

ولا بديل للشيوعية سوى المجاهدين الذين يحملون دين الله بين جوانحهم لينقلوه واقعا مطبقا فوق أرضهم (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) الروم (٤-٥).

فعلى المسلمين أن يركزوا جهدهم وجهادهم ، وأموالهم وأعصابهم، وأن يصبوا طاقاتهم في هذه الأشهر القليلة ليشاركوا في قيام دولة قامت بالبيض والأسل (١)

أعلى الممالك ما بينى على الأسل والطعن عند محبيهن كالعسل

لن تغلبوا القدر (٢)

نقد دخل الروس أفغانستان يحاربون الله ورسوله بصلفهم وكبرياتهم وغورهم وغطرستهم [وهلنرا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب]. العنكب (٢)

واستمرت روسيا تدفع بجندها، وتقذف بأساطيلها الجوية والبرية، ونقد مخزون الذخائر المقدس في مستودعاتها، حتى صارت تستعمل قذائف مصنوعة في نفس العام، وما ادخرت من وسعها شيئا، وما وفرت من أسلحتها نوعا ، فقد استعملت كل الأسلحة التي تملكها عدا الأسلحة الذرية، ومع ذلك عادت تجني المزارعة، وتحصد الذل، وتتجرع غصص الهزيمة والهوان.

لقد كانت الحرب في أفغانستان عالمية من جهة، تدور رحاها فوق رأس شعب مسلم واحد، وتتلقى أهوالها قطعة أرض واحدة -أفغانستان -، ولك أن تتصور معي المصائب التي صبت فوق أفغانستان وشعبها المسلم من مثال واحد :أنه مرت على بنجشير أيام تغير عليها الطائرات ستمائة غارة في اليوم الواحد، وقد يصل تعداد الطائرات في كل غارة ثلاثين طائرة، كل طائرة تحمل ثمانين قذائف، وزن كل قذيفة نصف طن، فإذا أخذنا معدل الطائرات التي تغير في الغارة الواحدة فلن يقل عن عشر طائرات، فهذا يعني أن ستة آلاف طائرة تغير في يوم واحد، وبالتالي يكون معدل ما يلقي على بنجشير من المتفجرات يوميا أربعة وعشرين ألف طن، وهذا رقم هائل يأخذ رأسك الدور وأنت تريد أن تتلقى الحقيقة وتتصور الواقع .

والآن : ويعد أن بدأ الروس بالانسحاب شعروا أن دولة نجيب الشيوعية لا تستطيع أن تقف على قدميها حتى يتسهم انسحابها، فهي تطلق التصريحات السياسية إرهابا للمجاهدين، وإعطاء الدفع للانتخابات الباكستانية التي تعتبر بعض الجهات حصانها الرابع فيها، والتي يعقد الغرب وروسيا والهند على فوزها آمالا عراضا وأمانا كثيرة.

فروسيا تدلي بتصريح تلو التصريح أننا أدخلنا صواريخ (SCUD B SS1) وطائرات ميغ ٢٧، و (BACK FIRE BOMBARDING)، ولكن هذه كلها لن تصنع شيئا، ولن تستعسك روسيا نفسها ، وإن تستطيع - إن شاء الله- أن تواصل في أفغانستان إلا إذا ركبت لكل جندي أرجلا من حديد، وأدخلت في كل قلب واحد أسدا لترتفع معنوياته المتحطمة .

إنهم لا يعلمون أنهم يواجهون القدر، ويحاربون الله، والله - سبحانه - لا يقهر، ومشيتته لا ترد، وإرادته لا تهزم

(وما كان الله ليهجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا) (فاخر ٤٤)

كناطح صخرة يوما ليومنها فلم يضرها وأومى قرنه الوعل

لقد كدست روسيا ذخائر للحكومة الشيوعية تكفيها خمس سنوات، وهذه كلها - بإذن الله - غنائم المجاهدين التي ساقها رب

١- نفس المراجع.

٢- سبب المعركة العدد ٢٤ التاريخ ٣ ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ الموافق ١٩/١١/١٩٨٨م

{ يريدون أن يظنوا نور الله بأنوارهم وبأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون } انتروي٢٢٦

شرقات الموت للرجل المريض (١)

فقد أعلن الروس وقف انسحابهم من كابل وذلك ليعطوا بعض الجهات دفعا في الانتخابات الباكستانية، وكانت مناورة ومزايدة على الانتخابات الأمريكية، لأن بوش الذي يمثل خط ريفان وحزبه يمكن أن يتأثر بهذا، وكذلك فإن التصريح محاولة لوضع الأوكسجين في أنف الحكومة الشيوعية التي تحتضر وتلفظ أنفاسها الأخيرة على فراش الموت، ونفخا في رماد الهشيم الشيوعي الذي اشتعل بسرعة ثم انطفأ وتحول نارا هامة .

ومقابل هذا قام أحمد شاه مسعود (أشهر قادة أفغانستان على الإطلاق والذي تعرف روسيا ضرباته القاصمة في بشغور وبنجشير وسالنج ونهرين وكلفغان وكران ومنجان...) وأعلن مسعود: إغلاق ممر سالنج المنفذ الوحيد على الطريق الرئيسي بين روسيا وكابل، وأمر بفتح المعركة على روسيا من بلغ قرب نهر جيحون (أمو داريا) على الحدود الروسية إلى كابل، ومن المعلوم أن سالنج الجنوبي بيد أحمد شاه (بيد محمد ظفر وعبد البصير من قاداته).

وما أجمل أن يحس القرار السياسي بالقوة العسكرية التي تنقل الكلمات إلى معارك ووقائع وأحداث، يعلن الأستاذ رباني في أمريكا رده على الروس عندما صدر قرارهم بوقف الانسحاب فيقول رباني: (أوقفوا الانسحاب، فنحن نختقم بإغلاق ممر سالنج)، وإذا بمسعود يستجيب لإعلان رباني فيقوم بإغلاق الممر .

ليث بنجشير غير خاف بلاؤه	ترده في أرضه به وسمائه
رقى حتى قيل نفعه روض	كلت وشي زهره أنسائه
وسطا فالصام أحمر لا	يقمن بالليل والنهار لقسائه
فأناهم تحت العقاب حسام	ليس يخزيه في الهياج مضائه
عاش فيهم فهارب وأسير	وتتسيل تتأثر أشلاؤه

وفي المقابل ضرب المجاهدون ضربات موفقة في منطقة نجرهار فسقط ممر خيبر بأيديهم (بوابة خيبر أو طورخم)، واحتل المجاهدون غني خيل ولاند خيبر، ومن الله عليهم بغنائم ضخمة يصل طول أكوام الغنائم بضعة كيلو مترات.

وكان افتتاح حصن لاند خيبر من الكرامات الكبرى، إذ أنه حصن يقع تحت الأرض بين مجموعة من الجبال تحيط به، وعلى رأس كل منها مركز للشيوعيين لحراسته، وسقوطه يدل على الروح المعنوية التي تردت كثيرا لدى الشيوعيين، فلم يبق في الكنانة سهم، ولم يبق في القوس منزع .

وللأسف الشديد أن صحيفة منظمة التحرير الفلسطينية باللغة العربية وجدت في قواعد الشيوعيين - ويعني هذا أن بعض اليساريين من الفلسطينيين في داخل القواعد - وهذا مما يندى له الجبين حياء، وتطرق له الهامة خجلا، وبدأت كابل تنن تحت وطأة ارتفاع اسعار المواد الغذائية، فقد وصل ثمن كيلو الطحين دولارا (٤ ريالات) أي مائتي روبية أفغانية، وفقدت الحاجات والضروريات من أسواق كابل، وارتفعت صيحات الشكاوي في كل مكان في العاصمة الأفغانية .

وهنا حاولت حكومة كابل أن تستجمع بقية قواتها لعلها تفتح منفذاً لكابل بعد أن اختنقت، ودفعت بقواتها نحو لاند خيبر وغني خيل، واستطاعت أن تصل إلى بوابة خيبر الشهيرة (طورخم)، ولكن المجاهدين عانوا من الحصار حول جلال آباد ليحاصروا القوة المتقدمة، وأصبحت القوة محصورة بين الحدود الباكستانية والمجاهدين، وليس لها إلا أن تلقي بنفسها بين أيدي المجاهدين مستسلمة يائسة، أو تدفع إلى الأمام وتستسلم لباكستان . وإذا فقد استسلموا للحكومة الباكستانية .

لا يمكن نفخ الروح والحياة في أطراف الرجل المريض (حكومة كابل) .

لقد وصلت روسيا والشيوعية إلى يقين حاسم جازم أن الحل العسكري مع المجاهدين أصبح مستحيلا ، وأن الشيوعية في

١- لهيب المعركة العدد ٢٦ لتاريخ ١٠ ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ الموافق ١١/١١/١٩٨٨م

أفغانستان تهوي الآن إلى جحيم الذل في الدنيا (ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون) (نملك ١٦).

ولذا فإنهم يحاولون محاولات يائسة أن يجنوا منفذاً من خلال الحلول السياسية، فطرحوا في هذه الأيام قضية المفاوضات المباشرة من أجل تبادل الأسرى، والأسرى الروس لا يستحقون أن تتقدم روسيا بهذه المفاوضات، لأن عددهم لا يزيد عن المائتين، وإنما هي محاولة لحفظ ماء الوجه - إن بقي ماء - بإجراء مفاوضات كاملة شاملة حول آثار الحرب لعلها تخرج بشيء.

{حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين }- يونس (٩٠).

الحكم للحكام (١)

يقول الله عز وجل:

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون...) التوبة (١١١)

فالبيعة تمت بين رب العزة وبين هذا الإنسان الفاني ، وعقد العقد والمبيع هو النفس والمال، والمشتري هو الواحد القهار، والبائع هو المؤمن الصادق البار، وبإلها من كرامة ورفعة أن يتفضل العلي الكبير فيعقد عقداً مع هذا الإنسان الصغير، والثمن هو الجنة، والتفسير العملي الواقعي لتنفيذ هذه الصفقة هو القتل والقتال، إذ لم بدع الله عز وجل للبشر أن يفسروا عملية البيع والشراء بأنها أنواع العبادات وحسب الأتواق والأهواء، بل فسرهما رب العزة بالنص الفصل المحكم فقال عز شأنه:

(يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) التوبة (١١١)

ولأمر ما أراد الله عز وجل لم ترد كلمة يجاهدون في سبيل الله ، بل كلمة القتل والقتال، وردت ثلاث مرات في مقطع واحد من الآية، والمقطع مكون من ست كلمات كريمات :

(يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) التوبة (١١١)

فإذا علمنا أن -في سبيل الله- شبه جملة فهذا يعني أن الجملة الفعلية كلها قتل وقتال.

وذلك لما يعلم الله سبحانه -والله أعلم- من أهمية القتال في الحياة البشرية، وإذا خاطب رسول الله ﷺ بقوله: فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً النساء (٨١).

وحسب الله العظيم: إذ أن شوكة الكافرين لا تخضع، وجموعهم لا تفل، وجحافلهم لا تشتت إلا بالقتال .

ومن كان في شك من هذا فليتنظر مصداق هذه الآية في قضيتين تشغلان المحافل الدولية : قضية الجهاد الأفغاني ، والقضية الفلسطينية .

فالمجاهدون الأفغان يتعاملون مع القوى الدولية جمعاء بمنطق القوة ومن عل . لأن الصوارم لازالت بأيديهم تقطر من دماء الكفار .

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وهم يقفون على أرض صلبة، ولازال العوالي التي تحملها السواعد لها في كل قمة شاهد، ولذا فهم يرفضون كل العروض الدولية والأطروحات العالمية لحل مشكلتهم، والغرب في تنازل مستمر، وقد أقلت الزمام من أيدي القوى الكبرى، لأن اللجام لم يسلم إلى اللثام في يوم من الأيام، لأن شمس الحق أمام أعين المجاهدين ساطعة ، ومعالم الطريق واضحة، فالحق منذ كان أبلج، والباطل أبداً لجلج ، والروس بعد أن أعياهم المخرج لجأوا إلى المفاوضات المباشرة مع المجاهدين بحجة قضية الأسرى ، ولسان حال الدنيا كلها يردد لهم بإكبار وإعجاب مع أبي هلاله :

لنا اسمع أن نقبل في يدك السيف يا بطل

ونمسح عن حذائك ما عليها يطرح السفلى

هذه صفحة مشرقة في جبين الزمن في هذا العصر الهابط، ويقابلها العماء الذي تتخبط في دياجير ظلمته منظمة التحرير

١- نهي المعركة العدد ٢٧ التاريخ ١٢ ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ الموافق ١٩/٢٦/١٩٨٨م

الانفصالية التي كرس عزمها عن مواصلة الضيق، وشملت به اليأس، وما تركت باباً لتكفار إلا طرقته، ولا منفذاً إلى التوسل والرجاء إلا سلكته، فتراها تدفع عشرات الملايين من الدولارات لتأييد الحزب الاشتراكي اليوناني في انتخاباته، وتنفق الملايين من أجل عقد مؤتمر في أثينا اسمه (سفينة السلام)، وتبحر السفينة بعد إنفاق الملايين، ويدمرها اليهود في قبرص، وتقوم لجنة إعلامية كبرى وتساعد حزب العمل اليهودي ضد حزب الليكود، ويدفع لطاغوت النصرانية مئات الملايين ليستمر في غطرسته وسفكه لدماء المسلمين، وكل هذا من زكاة أموال المسلمين وصدقاتهم، وتسالكهم عن هذا فيجيئون: كسب الضمير العالمي.

وأخيراً ارتموا على أقدام أعداء الله أجمعين، وأعلنوها صريحة مدوية اعترافاً بإسرائيل وبيع فلسطين لهم، وذلك مقابل اعتراف بجنين أجهض وسقط ميتاً على غير أرضه، وظن كثير من الناس أن قطعة القماش البيضاء التي اشترت ليكنف بها السقط الميت هي وشاح الفرحة ولافتة التهنة، وما أجمل قول أبي الطيب:

إذا كانت الدولات قسماً فإنها لمن ورد الموت الزؤام تدول
لمن مرن الدنيا على النفس ساعة وللبيض في هام الكماة صليل

قانون ثابت (١)

فلقد كتب الله للشعب الأفغاني المسلم أن يدخل أتون هذا الصراع المحتدم، والذي خرج منه الشعب الأفغاني صافياً صفاً المسجد (٢)، ونقاء العقيان (٣)، وكان لابد من طول هذه المحنة حتى يثمر هذا النقاء، وحتى تتغير نفسيات القوم، وتصغر في أعينهم الدنيا، وتنتج جيلاً لا يعرف الخوف ولا يخشى الموت.

ولقد رأيت أن هذه سنة من سنن الله في الحياة البشرية، وناموساً من نواميسه في واقع الإنسانية، أن التغيير لا يمكن أن يتم إلا من خلال المحن، وأن الذين غيروا واقع أرضهم كانوا قد مروا بتجربة عنيفة، ومحك شديد من البلاء، تخرج منه النفس وقد خلعت من شوائبها، ونقت من غواشيتها.

ناموس إقامة المجتمع الإسلامي

وقانون تغيير المجتمعات نحو الإسلام يمر بمراحل:

١- المرحلة الأولى: الدعوة إلى الله - عز وجل -، يعلن بها مدوية رجل باع نفسه لله، فيلتف حولها عصابة تكون رأس الحربة التي تواجه الجاهلية حولها، والداعية الذي يقود الزمرة الأولى من الصفوة لابد أن يبدأ بجمع الناس وتربيتهم على عقيدة التوحيد (توحيد الربوبية والالوهية والأسماء والصفات) -

٢- المرحلة الثانية: (مرحلة الحرب الباردة) اشتعال المعركة بين الفئة الرائدة وبين قومهم من حولهم، تسلك فيها الجاهلية كل وسيلة مهما كانت رخيصة، وتسري في كل جادة مهما كانت معوجة، ولا تدع أسلوباً للتثديد والتنفير إلا واستعملته، الدس والكذب والافتراء والتشويه والاختلاق، ويبقى الداعية نظيف المسلك، صادق اللهجة، عفاً للسان، ناصح الجبهة، ثابت الجنان، ويعلم أن طريقه هو الحق، وأن العقابة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين [كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال { الرعد ١٧ }].

وعبر هذه المرحلة تفتح غياهب السجون لزج الدعاة في أعماقها، والتشريد، والاعتداء على الأعراض وانتهاكها.

وعندها لذ طعم الموت لشاربه أن المنية عند الذل تنديد (٤)

وتخرج الدعوة من هذه المرحلة وقد اشدت ساعدها، وصلب عودها، وصفا معدنها، وتساقط رعيدها.

وتتركز الحرب الباردة في هذه الفترة على شخصية القائد لتحطيمه وتشويهه، واختلاق التهم التي يمكن أن تشغله عن الخط الذي يسير عليه، والهدف الذي نذر نفسه له، وتوجه اللكمات الوحشية في نهاية المطاف لتصفيته جسدياً مع الطليعة التي تلتف حوله، والصفوة التي تنتظم كتفيه ممن يشكلون الصف الأول من أبناء الدعوة.

١- نهب المعركة العدد ٢٨ التاريخ ٢٤ / ربيع الثاني ١٤٠٩ هـ الموافق ١٢/٣ / ١٩٨٨ م

٢- المسجد. ٣- العقيان الذهب. ٤- تنديد صلل السكر

وفي نهاية هذه المرحلة: يبلغ الجهد مداه، وتتجمد الدعوة لكثرة المصائب التي تنهال على هامتها، وعوامل السحق التي تنصب فوق كواهلها .

وفي هذه الفترة الأخيرة من هذه المرحلة في مكة نزلت سورة يوسف عليه السلام كالمحبة للصحابه بين الأخشبين (أبي قبيس والأحمر) أن النصر يأتي بعد طول المحن وشدة الابتلاء ، وفي خاتمة السورة جاءت الأيتان الكريمتان {حتى إذا استمئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين } لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون} يوسف ١٠٩-١١٠.

والأيتان توضحان أن هذه هي سنة جارية في الدعوات، وناموس ماضٍ، ولقد جاء الفرج بعد نزول هذه السورة، وساق الله الانصار الذين بايعوا البيعة الأولى والثانية في العقبة..

٢- المرحلة الثالثة (مرحلة الجهاد) مرحلة الحرب الساخنة والمعركة الطاحنة : وتبدأ الدعوة الإسلامية لتشعل الفتيل، وتكون الدعوة فيها كصاعق يفجر طاقات الأمة تدريجيا .

يلتف الناس في هذه المرحلة تدريجيا كما حققت الدعوة نصرا ، وفي نهاية هذه المرحلة يزداد الإسلام شدة، ويرفع المسلمون أعناقهم عزة ، والشعب يكتنفهم ويشاركهم معركتهم، لأن الناس بطبيعتهم يرقبون المعركة ويقفون مع الواقف، والناس يمتنون الضعيف ، ويكرهون الاستخذاء، ويتيهون إعجابا بالقوي والجريء، وهذه الفطرة البشرية.

وأنت ترى مصداق هذا في عدد المسلمين بعد الحديبية، ازداد كثيرا فكانوا ألفاً وأربعمائة في الحديبية سنة (٦هـ)، وعشرة آلاف في فتح مكة سنة (٨هـ)، وثلاثين ألفا في غزوة تبوك سنة (٩هـ)، وفي حجة الوداع سنة (١٠هـ) مائة وأربعة وعشرين ألفا .

٤- مرحلة النصر النهائي: ودخول الناس في هذا الدين زرافات ووحدانا [إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا] ، الفتح ١-٢.

فالناس يدخلون في هذا الدين أفواجا بعد نصر الله والفتح، وهذه المراحل مرت بها الدعوة في أفغانستان، ونحن الآن على أبواب النصر النهائي ، ونرجو الله أن لا يخيب فائقنا، وأن يصدق ظننا إنه سميع قريب .

أليس الصبح بقريب؟! (١)

وأخيرا تنازل الاتحاد السوفياتي من علياء أبلهته ، ومن انتفاخ سلطانه ، ولكن تحت ضربات المجاهدين التي أعادت الوعي إلى رأسه ، وردته في هذه القضية إلى صوابه ورشده ، وجلس فرنتسوف مع الأستاذ رباني ، وطلب غورباتشوف وقف إطلاق النار ابتداء من العام الجديد سنة (١٩٨٩)، وأن يحتفظ المجاهدون بما تحت أيديهم من أراضي وكذلك حكومة كابل ، والحق أن هذه النقلة البعيدة ما كانت لتحصل لولا التفوق العسكري الذي أحرزه المجاهدون في الميدان ، ولقد كان للانتصارات الباهرة والفتوحات العجيبة التي من الله بها على المجاهدين بعد معاهدة جنيف أكبر الأثر في تغير موقف الاتحاد السوفيتي، وكما قال عنتره:

وسيفي كان في الهيجا طبيبا يدأوي رأس من يشكو الصداعا

لقد عرض الأمين العام للأمم المتحدة على الأستاذ رباني اللقاء بالروس سرا فرفض إلا أن يكون الموقف معلنا، وكان الاقتراح أن يكون اللقاء في فينا فرفض إلا في بلد إسلامي، واشترط الأستاذ رباني (رئيس الاتحاد الإسلامي لجاهدي أفغانستان في هذه السورة):

١- أن يكون اللقاء معلنا .

٢- أن يتم البحث حول انتقال السلطة من الروس إلى المجاهدين، وعن تأمين الانسحاب للقوات الروسية دون أن تدمر على الطريق أثناء تراجعها .

١- تهيب المعركة العدد ٢٩ التاريخ ١/ جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ الموافق ١٢/١٢/١٩٨٨م

٢- أن لا يمس البحث أمور الحزب الشيوعي الأفغاني وشكل الحكومة القادمة .

وسقط في أيدي نجيب وحكومته حال تراخي أخبار هذا الاجتماع إلى مسامعه ، ويعقد اجتماعا عاجلا لبقايا المنتفعين من الحكم الشيوعي من وزرارة وحاشيته ويطائته ، واستطاع أن يجمع على شفقيه بعض كلمات وألقاها بين الحاضرين، والقوم جميعا ينظرون إليه تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ، قال نجيب: (لقد جاءت ساعة الموت التي كنت أتوقعها، وإن كأس السم الزعاف الذي أعده الروس منذ زمن جاء وقت تجرعه ، لقد تجاوزنا الروس وأخذوا يتباحثون مع المجاهدين) ونجيب نفسه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، ولو كان الأمر بيده لغادر البلاد منذ زمن، ولكن حرسه الخاص من الروس الذين يحصون عليه أنفاسه ويعدون عليه نبضاته .

ومصيره - والله أعلم - لن يعدو مصير أسلافه ممن قتلوا أو سحبوا بيد ساداتهم، ولا يعنينا كثيرا مصير نجيب ولا مصير رفقاء طريق الخيبة والضياع الذين غرهم فيها سراب خلب خادع ، أما الشيوعية فقد حكم عليها بالموت، واقتلعت من جذورها من أرض أفغانستان، لأنها نبتة غريبة شاذة لا يمكنها أن تعيش إلا إذا أردنا أن يعيش الموز في بلاد الأسكيمو ، وما كان يمكن أن يصل حال الشيوعية ولا الروس إلى هذا الوضع في أفغانستان

قوم إذا مطرت موتا سيرتهم حسبها سحبا جاءت على بلد

ولا بديل للشيوعية سوى الإسلام، ولا وارث لحكم الشيوعية الطارئ على أفغانستان سوى حكم المجاهدين إن شاء الله ، والناس متخوفون من بعض المشاكل في داخل أتون المعركة بين الأحرار والإخوة ، وهلعون لنتائج الانتخابات الباكستانية، ويخشون من المؤامرات النولية .

وتحن - إن شاء الله - لقد تعدى الجهاد الأفغاني نقطة الخطر ، وأقلت الزمام من أيدي القوى العالمية ، وإن يكون بعيدا - والله أعلم - ذلك اليوم الذي تصبح فيه كابل مهوى الأفئدة، ومحط الرحال لشباب الصحرة الإسلامية الذين يقضون إجازاتهم الصيفية في ربوع الإسلام، ويتفنون ظلال حدائق بفسان، ويسمعون نوى التكبير وهالات الفرح على الوجوه في كل مكان :

{ { ويسألونك متى هو قل عسى أن يكون قريبا } } ، الاسراء: ٥٦ ،

خمدت نارهم ونقد كيرهم^(١)

خطب غورياتشوف في الأمم المتحدة وطالب:

١- بوقف إطلاق النار ابتداء من (١/١/١٩٨٩م) .

٢- احتفاظ المجاهدين وحكومة نجيب كل بما لديه من أرض.

٣- تكوين حكومة ذات قاعدة عريضة.

٤- إرسال قوة من الأمم المتحدة في فترة قريبة إلى كابل.

٥- وقف إمداد السلاح للطرفين - المجاهدين ونجيب.

٦- عقد مؤتمر دولي لتحييد أفغانستان وجعلها منطقة منزوعة السلاح .

٧- مساهمة روسيا في معالجة جرحى الحرب .

٨- إعادة تعمير أفغانستان .

والمقصود من الخطاب كله :

١- حفظ ماء وجه روسيا بأنها انسحبت حسب مؤتمر دولي.

٢- محاولة مستميتة لإبقاء أفغانستان منزوعة السلاح حتى تبقى مسرحا لعملاء روسيا، ولقمة سائفة تحت رحمتها ورحمة

جيراتها من الدول .

١ - لبيب المعركة العدد ٣٠ / التاريخ ٨ / جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ الموافق ١٢/١٢/١٩٨٨م

٣- تأمين انسحاب الروس دون أن تحطم قواتهم أو تهلك جنودهم .

٤- ضمان نظام غير معاد للروس أو موال له .

٥- المحافظة على حكومة نجيب حتى لا تسقط قبل الانسحاب.

ولكن: (في فمي ماء وهل ينطق من في فيه ماء) ، ليس في يد روسيا أية ورقة ضاغطة على المجاهدين -أبدا- سوى التأخر أو التلكن في الانسحاب من أفغانستان، أما أن تذكر ضرام المعركة مرة أخرى فهذا أمر شبه المستحيل (بعد أن خمدت النار وغاب الكبر وثلث يد الحداد)، وكل ناب كلبها عن العض، وقلمت مخالفه، وخسرت في المقامرة والرهان كل براذنها^(١).
ليس أمام روسيا سوى الانسحاب إلا إذا قامت ببقية جنودها في أفغانستان وغامرت بحياتهم، وأما حكومة نجيب فهي لا تملك أي مقوم من مقومات الحياة، ولذا فقد نقل نجيب أسرته إلى مزار شريف -كما يشاع -.

رد المجاهدين:

وعقد زعماء المجاهدين مؤتمرات صحفية للرد على خطاب غورباتشوف، فشجب الخطاب حكمتيار والمجدي وخالص وسياف ورياني، وأعلن الجميع من موقف العزة والاستعلاء الإيماني قالوا: روسيا المعتدية وهي التي يجب أن تلقي السلاح، وأصروا بأنفة وإباء: إن الجهاد مستمر حتى خروج آخر جندي روسي من أفغانستان، وسقوط حكومة كابل، وإقامة الحكم الإسلامي فيها .
وما لهم لا يعلنون هذا وهم يقفون على أرض صلبة ؟ ويطلون على الدنيا من المرتقى السامي والقمة الشامخة ، وما لهم لا ينشدون .

قالوا لنن شع العطاء فنحن للدين الأضاحي
وعلى الطريق شدا الرجال بالسن البذل الفصاح
والنصر يجنى بالدماء وبالعراج وبالصفاح

إنهم منتصرون:

كابل تن تحت ضرباتهم، جلال آباد تترنح على أقدامهم، طريق طورخم (مخخيبر - كابل) بيد المجاهدين، طريق سالنج في قبضة الكماة الأباة، قندهار المدينة قطعة من النار، جارديز أحكم الخناق حول عنقها، ووضعت الحبله حول رقبتها، ولم يبق إلا شدها، وهكذا دواليك، فكل الطرق في أفغانستان تقريبا بيد المجاهدين، لقمة الخبز التي يأكلها نجيب وعملاؤه لا بد أن تمر بإذن المجاهدين، غزني متهاقطة تقريبا بيد المجاهدين، ولم يبق سوى تأمين الاهلي (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطأروهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) «الفتح ٢٥».

ولذا فكل الأوراق الضاغطة بأيديهم: النصر العسكري، تسعون بالمائة من الأرض تحت قبضتهم، التأييد الإسلامي والعالمي معهم، القدرة على سحق جزء كبير من قوات الروس المنسحبة، التأييد الشعبي داخل أفغانستان بجانبهم، إمساك الزمام وإحكام المقاد العسكري والسياسي بأيديهم، تمردهم على كل قوى الأرض الباغية، القدرة على صناعة القرار داخل المسجد وليس في أروقة الهيئات الدولية .

إنهم يوتلون:

(فلا تهنأ وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعدون والله معكم ولن يتركم أعمالكم) «محمد: ٢٥»

١ - الغيول غير العربية

كل نفس وموؤ وليتها (١)

فالذي يتغمس في خضم المعركة ويحيا مشاكل الجهاد يدرك أكثر من غيره أن الجهاد قمة سنام الإسلام، ولا يمكن للنفس البشرية أن تفهم الإسلام إلا بقدر المعاناة التي تقدمها في طريق هذا الدين، إذ يكون فهمها لدين الله غالباً موازياً للتضحيات التي تبذلها، وكما ابتلي الإنسان على جادة هذا الدين فإن فهمه لهذا النور يزداد عمقا، ورويته للحقائق الإيمانية تزداد وضوحا وإشراقا. ولذا جاءت الآية:

[فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون] «التوبة ١٢٢»

ولذا فإنك تلمس الفارق الهائل بين شخصية الإنسان قبل ولوجه طريق الماراة والمعاناة، وشخصيته بعد أن يمر في آتون النحر ومرارة المعاناة، وتجد هذا البون الشاسع بين نفسية سيدنا يوسف عليه السلام في بداية السجن:

[وقال للذي هن أنه تاج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين] «يوسف ٤٢»

وبين نفسيته في آخر فترة محنة السجن عندما جاءه رسول الملك:

[فلما جاء الرسول قال أرجع إلى ربك فأسأله ما بال النسرة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي يكيدهن عليم] «يوسف ٥٥»

ففي البداية طلب من أحد السجناء أن يذكر قصته أمام الملك، وفي نهاية المطاف يرد رسول الملك حتى تبرا ساحتها وتبدو أمام الملك طهارته.

إنه بون هائل، ومسافة شاسعة بين هذه الأيام وبين أوائل أيام السجن، وقد أنضجت نفسه غصص المسيرة، وطول البلاء، وشدة المعاناة، وتجرع مرارة الظلم الكبير الذي أصابه على يد الطغمة الحاكمة.

وفي أفغانستان الآن: هنالك قادة انغمسوا في المشاكل التي شابت لها نواصبيهم، ولا يمكنهم التهرب من الميدان، فاضطلعوا بحمل هذه الأعباء الضخمة التي لا بد لهم من مواجهتها، وطحننت هذه المصائب أعصابهم ولحومهم، وأذابت شحومهم، وأبقت عظامهم، ومع الأيام صار أحدهم يردد:

رماني القوم بالأرزاء حنسى فزادي في غشاء من نبال
قصرت إذا أصابني سهام تكسرت النصال على النصال
فهان وما أبالي بالرزايا لأنني ما انتفعت بأن أبالي

وكان أشد بئنا الدمر على القلب تلك التي تحلق الدين بفساد ذات البين:

وظلم نري القريب أشد مضاضة على المرء من وقع العمام الهند

وهذا من أعظم المحن التي تزلزل النفس البشرية، وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما سمع

[قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم] «الأنعام ٦٥»

فقال أعوذ بوجهك، [أو من تحت أرجلكم] «الأنعام ٦٥»، فقال أعوذ بوجهك، [أو يلبسكم شيئا ويلبث بعضكم بأس بعض]

«الأنعام ٦٥» قال: هاتان أهون.

وقد أفتى إمام الحرمين الجويني في الذي يترك ميدان الجهاد خوفا من الفتن: أنه يرتكب أكبر من الكبائر.

ولقد واجهت بعض النفوس الصافية مشاكل فلم تنطق لها اصطباراً، وتركت أرض النزال، والبعض الآخر واجه الواقع بحجمه وأحداثه وواقعته وإنسانيته وأخطائه وهفواته، فما كان منه إلا أن ردد بلسان الحال:

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأنهون ما يمسربه الريحول

ومضت السفينة بين العواصف الهوج، وثبت الریان، واقترب شاطئ الأمان، وأشرق الوجه بقرب النصر وموعد النزول وفرحة

القبوم^(١).

١ - حذف من هنا موضح (الحق بالقائلة) لأنه سبق ذكره في كتاب الحق بالقائلة من المجلد الأول من الموسوعة.

محاولات يائسة (١)

فقد اجتمع فورنتسوف وكيل وزارة الخارجية السوفياتية مع المجاهدين في الطائف وفي إسلام آباد، وكان جلّ همه أن يبيع صلابة القيادة القادمة لحكم أفغانستان، بحيث تنتقل من الأصوليين إلى المعتدلين، وكذلك حاول فورنتسوف أن يزوج ببعض الوزراء الشيوعيين في الحكومة التي ترثهم فوق سدة الحكم في أفغانستان .

وتجد الإصرار العالمي على تشكيل حكومة ذات قاعدة عريضة، أملا منهم أن يفلت الزعام من النفر الذين ترتجف لرويتهم أوصل العالم ، هؤلاء النفر الذين يمثلون في نظر العالم كله شيئا رهيبا يقض على أعداء الله مضاجعهم، ويؤذي عليهم أجفانهم .

وقوف بلبواب القباب خيولهم واشباحهم في قلب أعدائهم تجري

إنه الخوف من الإسلام ، الرعب من القيادة الإسلامية ، الذعر الشديد من عودة الخلافة الإسلامية التي عملت عليها معاوالم ثلاثة قرون حتى أطاحت بهذا الصرح الشامخ.

ولقد ينس فورنتسوف أن يستمر في مناطق الجبال السماء التي لا تتزعزع عن موقفها، أو ينقل الرواسي الشامخات من أماكنها، فغادر إسلام آباد ساخطا على كل شيء، يائسا من أن يحقق أي طرف من أحلامه، فصرح أثناء المغادرة : (لا حل لقضية أفغانستان إلا بدخول الوزراء الشيوعيين، وإلا فإننا مضطرون لمواصلة دعمنا للحكومة الشيوعية حتى تبقى قائمة على أقدامها) .

ولقد أدرك العالم كله وروسيا بالذات أنها لا قبل لها بمواصلة المعركة العسكرية في ميدان القتال، ولذا لابد من محاولة اختلاس ما استطاعوا من الغنائم التي فقدوها في ميدان المعركة من وراء الكواليس التي يكون التحرك فيها في الظلام بعد أن يعمى على الصادقين كثيرا من الحقائق في هذا الجو الدامس الداجي .

والمسلمون لا يستطيعون الحركة إلا في جو كالمحجة البيضاء ليله كنهاره، ولذا فتجدهم منتصرين في الميدان العسكري، حتى إذا أحييت القضية إلى موائد المفاوضات ضاع الحق الذي وصل إلى المسلمين على بحور الدماء وفوق ثلال الجماجم والأشلاء .

فلا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم

فالمسلمون منتصرون في الميدان العسكري، منهزمون في الميدان السياسي الغامض ، وذلك لأن المسلم لا يتحرك إلا بوضوح ، ويكره الغموض، ونفسه لا تطيق الالتواء والتدليس والدس والمكر والخديعة ، فالإسلام علم المسلم أن المواثيق والعهود مع الكفار واجبة التنفيذ، والتزامها ومراعاتها فريضة شرعية، وفي البخاري (لكل غادر لواء يوم القيامة)، وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي:

(كان بين معاوية وبين الروم عهد، وكان يسير نحو بلادهم، حتى إذا انقضى العهد غزاهم، فجاء رجل على فرس أو برذون وهو يقول: الله أكبر، وفاء لا غدرا لنظروا فإذا عمرو بن عبسة، فأرسل إليه معاوية فسأل، فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقده ولا يعطها حتى ينتضي أمدها أو ينبد إليهم على سواء، فرجع معاوية) .

وفي صحيح مسلم أن حذيفة بن اليمان وأباه كانا متوجهين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فألقت قريش القبض عليهما وسألتهما، فقالت إنكما ذاهبان إلى محمد لحربنا، فأنكرا، فقالت قريش نفلتكما على ألا تقاتلنا مع محمد، فقبلا، وكان ذلك أثناء التوجه إلى بدر، فذكر حذيفة وأبوه الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (نفي بعهدهم وتستعين الله عليهم) .

أما الدول الكبرى فمعاهداتها مع الدول الصغرى تعني أنها لن تنفذ لهم شيئا، ولن تعطيتهم قطميرا، ومثاله لورنس (في أعمدة الحكمة السبعة)، وقد كان يطلق عليه ملك الصحراء العربية في الحرب الأولى، ويقود الثورة العربية ضد الأتراك، فيقول (لو كنت ناصحا مخلصا للعرب لقلت لهم: إن عهودنا لكم ستكون حبرا على ورق ولن تنفذ منها شيئا)، ويقول (إنني جد فقير أنه في المعارك الثلاثين التي خضتها لم يرق فيها الدم الإنجليزي، لأن دم إنجليزي واحد أحب إليّ من جميع الشعوب التي حكمناها) .

ولذا فقد قرر المجاهدين قطع المفاوضات مع الروس، واستمرار المعركة حتى يسلم الإسلام، فالسيف أصدق أنباء من الكتب، لا مجال لبقاء الحزب الشيوعي فوق أرض أفغانستان، ولا يمكن لأي منهم أن يجلس مع هؤلاء المسلمين في حكومة المجاهدين . ولهذا

١- السبب: المعركة العدد ٣٤ التاريخ ٨ جمادى الثانية ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٠١٨ م

ما ظننتم أن يخرجوا^(١)

فقد بدأ الروس ينسحبون من كابل، بل بدأوا يخلون القواعد الكبرى، مثل قاعدة شندند الرابضة بين هرات وفرج، والتي كانت تعتبر أكبر قاعدة متقدمة نحو الخليج العربي، إذ كانت تضم بين جنباتها صواريخ بعيدة المدى، وكانت تحوي طائرات تحتاج ربع ساعة فقط حتى تحط في الخليج، ولقد كانت الأوصاف التي تردنا من مصادر المجاهدين ترهب الأوصاف وهي تطلع على تصميم هذه القاعدة، وتري أن الجزيرة العربية بكاملها تحت رحمة الأساطيل البرية والجوية والصواريخ البعيدة المدى.

وبدأ الانسحاب كذلك من القاعدة الثانية في أفغانستان (كلكي) والتي حصل فيها تفجير في هذا العام، فجر في يوم واحد (٧٥٠) طناً من المتفجرات، وقتل قرابة ألف من الروس، وقد كانت هذه القاعدة (في بغلان) تؤمن الذخائر للولايات الشمالية، بل تضم مصنعا للأسلحة الثقيلة وذخائرها، وهي تسيطر على الطريق العام (الأوتستراد) الواصل بين روسيا وكابل.

بل بدأوا ينسحبون من واخان التي توصل أفغانستان بالصين، وتشكل حاجزا بين باكستان والاتحاد السوفيتي، وكانت روسيا قد اشترتها من بابر ككارمل بمعاهدة لقطع صلة أفغانستان بالصين، لتكون روسيا ذات حدود مع الصين.

وعندما سئل مسعود : هل ينسحب الروس من واخان؟ قال : لقد انسحبوا، وإن لم ينسحبوا سنقاتلهم حتى نرغم أنوفهم على

الانسحاب .

ويذهل المرء وهو يرى نعمة الله، ويبصر التفسير العملي الواقعي لقوله تعالى:

{ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار} العنبر ٢.

لقد كان هذا الأمر قبل سنتين أبعد من الخيال، فأصبح حقيقة بأمر الواحد المتعال .

ويشamel المرء: كيف تنسحب روسيا من القواعد ولها فيها مصالح حيوية ومنافع ضرورية؟ وأما الجواب فعند خالد بن الوليد رضي الله عنه :

بحد يمانى إذا ما جذبته تذل له كل العداة وتخضع

إنه الجهاد الذي يذل به الله أقواما ويرفع آخرين، وصدق الله العظيم:

{فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرر المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد

تنكيلا} النساء ٨٤ .

إن بأس الكفار لا يكف إلا بالسيف والقتال، ولقد صدق السلاح المجاهدين، وصدق المجاهدون السلاح :

كئن الظبا مما لزم أكفهم مخالبيهم أو من فيهم جوارح

ولقد كانت معجزة القرون الثلاثة انتصار شعب مسلم رغم فقره وأميته على قوة كبرى طالما ارتعدت لذكرها الفرائص، واهتزت تحت أرجلها الأرض.

ولكن المجاهدين واصلوا طريق الجهاد وكأنتهم يخاطبون الروس قائلين :

وإن أوصالحكم ما دام لي فرس واشتد قبضا على الصمصام إبهامي

لم يكن أمام الروس أي طريق سوى الانسحاب وإلا فالإبادة تنتظرهم، كما كانت عاقبة الإنجليز من قبله، لقد عبر وزير الدفاع

١ - لهيب المعركة العدد ٣٥ التاريخ ١٤/ جمادى الثانية ١٤٠٩ هـ الموافق ١٩٨٨/١/٢١م

الأمريكي كارلوتشي عن هذا في نقاش له مع وزراء دفاع حلف الأطلسي (الناتو) وهم يقولون له: يبدو أن غورباتشوف قد غير سياسته تجاه الغرب، فقال كارلوتشي: (أهكذا تظنون؟ إن غورباتشوف لم يغير سياسته ولكن المجاهدين الأفغان أجبروه على تغيير سياسته تجاه العالم كله).

تصفية نجيب وحكومته :

وانسحاب الروس الذي نأمل أن يتم خلال شهر لا يعني انتهاء المعركة ، بل يأتي دور الحرب العوان مع الحكومة الشيوعية العملية، وستشهد أراضي كابل وجلال آباد وبغلان ومزار شريف معارك ضروسا خلال الأشهر القليلة القادمة، معارك حياة أو موت بالنسبة للشيوعيين، وذلك لاجتثاث الشيوعية وإلى الأبد -إن شاء الله - من أرض أفغانستان الإسلامية .

فيا أنصار الجهاد وأحبابه، ويا أيها المسلمون في كل مكان: لا تتركوا المجاهدين على أبواب كابل، ولا تخذلوهم في آخر خطوات الدرب المرير..

(المسلم آخر المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) متفق عليه .

هدية العروس :

فيا أيها الأحبة المسلمون في كل مكان: هبوا (افرضوا) أن الجهاد الأفغاني عرسا وجاءت حفلة الزفاف وهو النصر فأرسلوا هدية العرس، واحسبوا أن النولة الإسلامية التي ستقوم إن شاء الله مولودا جديدا فقدموا هدية المولود، وهذا أقل القليل، ولكن الواجب ثقل فأتين المستجيبون؟

على أبواب كابل^(١)

فالآن تصطف الجياد في أرجاء كابل تحيط بها إحاطة السوار بالمعصم، وفرسانها يأخذون بأزمقتها من بغمان إلى شكريدا واستالف وبغرام:

قيام بأبواب القباب خيولهم وأشباحهم في قلب أعدائهم تعدو

وهؤلاء الفرسان وتحتم خيولهم :

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تملك اللجما

رفوق هذه الخيول ليوث قد انتضلت البيض، وشرعست الأسنة، يتلمظون غيظا ينتظرون الانقضاض.

يتطهرون يروونه نسكا لهم بدماء من علقوا من الكفار

والشيوعيون تركهم سادتهم تحت رحمة المجاهدين، وقد عجزوا أن يوفر لهم حماية، ولطالما بحثوا عن مخرج لعمالهم، وعرضوا على المجاهدين في لقائهم معهم في الطائف وإسلام آباد- والذي توفر لهم بعد لهاث طويل وراء المجاهدين -، أقول : عرضوا أن يدخل المجاهدون ثلاثة من وزراء نجيب، وترغيباً للمجاهدين أن يقبلوهم قال الروس : اقبلوهم ولو لشهرين ثم أخرجوهم بعد خروجنا، ولكن المجاهدين فاجأوهم بصفعة شديدة قاتلين بالإجماع على لسان رئيس الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان -صبغة الله المجدي- لن نلتقي مع الروس أبدا .

وأتين يولى الشيوعيون؟ وأتى لهم بالفرار ولات حين مناص؟ وأين يمكنهم اللجوء؟ إن سيوف المجاهدين لم ترتو منهم، والمجاهدون ينتظرون الساعة التي يشفون بها غليلهم من مصاصي الدماء عملاء روسيا .
نفر إذا غابت غمود سيوفهم عنها فأنجال العباد حضير

١- نجيب المعركة المسد : (٣٦) التاريخ ٢٩ / جمادى الثانية / ١٤٠٩ هـ - الموافق ١٩٨٩/١/٢٨ م.

وَبَطَّالٌ أَنْهَسَتْ بِمَاءِ أَحْمَرٍ نَسِي تَسْرَتِيهِ جَدِجِدٌ وَبَحْرٌ

وتجمع المصادر السياسية الدولية الآن على ثلاث قضايا - كما صرح بهذا وزير الدفاع الأمريكي كارلوتشي - قاتلا :

١- لاشك أن الاتحاد السوفياتي جاد في الانسحاب وسيفادر أفغانستان لا محالة .

٢- لاشك أن حكومة كابل آيلة إلى السقوط بعد انسحاب الاتحاد السوفياتي .

٣- لاشك أن المجاهدين قادمون إلى الحكم .

ثم يعقب قاتلا: ولكن كيف يكون الوضع في أفغانستان بعد أن يحكم المجاهدون؟ وما هي قدراتهم على استقرار الوضع؟ هذا ما يرقبه الجميع .

إنها حقائق كبرى لا يستطيع أحد أن ينكرها لأنها قائمة مجسدة لا تخفى على كل ذي عينين، ولكن الزهان حول إمكانية المجاهدين أن يقيموا دولة، ويثبتوا أركانها، ونحن نعلم الكيد العالمي، والفيظ الدولي على الإسلام وأهله خاصة على انتطرفين أو الأصوليين...!!! لقد حارلوا كثيرا أن يحولوا بين المجاهدين وبين الوصول إلى سدة الحكم، ولكنهم باؤوا بكل محاولاتهم بالفشل الذريع وانخزي الشنيع .

ونحن لا ننكر أن هنالك مكائد تنتظر المجاهدين وتنتظر الدولة الإسلامية القادمة .

ونحن نعلم أن هنالك مشاكل داخلية تنتظرهم والتي سيثيرها أعداء الله .

ولكننا نقول : إن كانت النيات صادقة، والنفوس مخلصه، فسينصرهم الله عز وجل كما نصرهم في هذا الجهاد المشرف ، وهذا الدين دينه، وهذه الشريعة شريعته، وهذا الشعب الأصيل خلقه:

{إن الله بالناس لرؤوف رحيم} «الحج:٦٥»

فعلينا الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل أن يحفظ المجاهدين وينصرهم، وعلينا أن لا نغادر ثغورنا، وأن لا نتخلى عن واجبنا وهو دعم المجاهدين، وأن لا ندعهم على أبواب كابل جانعين .

وعلينا أن نتوقع الكثير من المشاكل لهم، وأن لا نستغرب ما يحصل، ولكن:

إذا اعتاد القتى خوض المنايا فأمون مما يمر به الوحول

{والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون} «يوسف:٢١»

أليس الله بكاف عبده ؟! (١)

فروسيا الآن أخذه بالانسحاب تجر ذبول الهزيمة والخذلان، والانسحاب كله عن طريق الناقلات الجوية الضخمة، ويبدو أنها جادة في تنظيف أرض أفغانستان من أرجاس خلفها ممن ضجت الأرض والسماء من جرائعهم وركسهم، وما كان لشيء من هذا أن يتم لولا عناية الله ووعده لعباده بالنصر والتأييد، وقد كان هذا حلما يداعب الخيال، وما كان المسلمون يظنون أنه سيكون في يوم من الأيام شاخصا في عالم الواقع، وأحداثا في دنيا الناس، إنه هو الله الواحد القهار: {فعال لما يريد}

وَأَمْسَرَ لِلَّهِ رَبِّهِمْ مَا خَابَ إِلَّا لِأَنَّهُ جَاهِدَ
وَمَتَّقِ وَالسَّهَامَ مَرْسَلَةً يَعِصُ (٢) مِنْ حَابِصِ (٣) إِلَى صَارِدِ (٤)

وتصدق كلمة ابن المعتز في روسيا {تذل الأشياء للتقدير حتى يصير الهلاك في التدبير}، وأما المجاهدون فاستنتهم مشرعة، ونفوسهم بالعز مترعة، رغم العواصف الهوج التي تكتنفهم، والمكائد الخبيثة التي تحيط بهم، ويمشون على جراحاتهم من بعد ما أصابهم القرح {فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين} «ال عمران:١٤٦».

١ - لهيب للمركة العدد ٢٧ التاريخ ٢٨ / جمادى الآخرة ١٤٠٩ هـ الموافق ١٩٨٩/٢/٤ م .

٢ - يعص: يهرب ٣ - حابص: سهم ضعيف ٤ - صارِد: سهم قوى: أي أنه يهرب من سهم ضعيف إلى ثالث.

ضربات الروس أم ضربات العروس:

ولكن روسيا تشعر بأن قواتها داخل كابل محصورة، ولا بد لها أن تسحب ألياتها الثقيلة، ولكن أتى لها ذلك وقد سدت عليهم المنافذ، وضاعت بهم السبل، وصدر النظام الحاكم ضيق حرج كأنما يصعد في السماء .

ولذا فقد بدأوا يقصفون القرى الآمنة في هذا الأسبوع قصفا وحشيا، ويخيطون خبط عشواء يحاولون أن يفرغوا بعض ما في صيدهم من حقد، وما في نفوسهم من مقت.

ولذا بدأوا يقصفون المناطق المدنية بصواريخ سكود التي يصل وزنها خمسة أطنان ونصف، والتي تدمر مساحة قطرها كيلومتراً كاملاً، وقتلت المئات من سالنج وبنجشير في خنج وأشابة وشتل.

ثم إنهم يريدون أن يفتحوا ممر سالنج، وأن يشكوا ضغطاً ثقيلاً على بعض القادة للقاء بهم، ولقد جاني منسوب أحمد شاه مسعود، فقال: إن أحمد شاه قد رفض استلام رسالة أرسلها له وزير الدفاع السوفيتي (ديميتري ياسوف)، وكان رباني قد صرح لي أن الروس ناقمون على أحمد شاه مسعود: لأنه رفض اللقاء مع وكيل الخارجية السوفياتية فورتنسوف، وقد تحركت ثلاث كتائب روسية تحاول فتح الممر .

الأحاييل السياسية: وقد لجأت روسيا الآن إلى محاولات الضغوط السياسية المكثفة، فنائبها الأول لرئيس الوزراء (يوري ماسليوكوف) الآن في كابل، وكذلك وزير الدفاع، وسينور وزير خارجيتها (شيفرنادزه) إسلام آباد غدا بعد أن أقلت الزمام العسكري من أيديهم، وبدأت السفارات تغادر كابل التي تقف على فوهة بركان، والرعب يملك كل سكانها من أهوال تنتظرها، ومصير غامض يكتنفها، والجوع يزداد، والصيحات تتعالى، والمجاهدون على أبوابها .

وكل المحاولات العالمية الآن تحاول أن تحول بين المجاهدين الصادقين -الاصوليين- وبين سدة الحكم، والأيام المقبلة والأشهر القليلة القادمة تخبى بين الخوافي وتحت القوادم أنباء لا يعلمها إلا الله .

أما المعركة فمضطربة -والله أعلم- بتأجج لم تشهد لها المنطقة مثيلاً، وأما الشيوعيون فهم مقبلون -بإذن الله- على أيام لم يروا مثل حلتكتها نظيراً، ولا لسوادها الداجي شبيهاً، وأما الغرب والشرق وأعداء الإسلام حول أفغانستان فلن يسلموا للإسلام المجاهد الفاصع أن يعتلي قمة المجد مادام في كنانتهم سهم، ومادام في أيديهم حيلة .

إن اليهود يرتجفون من الجهاد الأفغاني الفقير، فكيف بأتمة الجهاد إذا أمسكوا بالسلطان وصار لهم الجاه والحكم؟ وقد صرح بهذا دايان قبل عشر سنوات .

إن الأمريكان يحذرون منذ عشر سنوات من وصول هؤلاء القادة الذين يوجهون محور القيادة في الجهاد، فأتى لهم الآن أن يسكتوا؟

إن السعار الذي يجرى في عروق الغربيين ضد الإسلام قد بلغ الآن مداه ، ووصل منتهاه ، ولكننا نقول:

(أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضل الله فما له من هاد) [الزمر:٣٦].

ويل للمطففين^(١)

وهكذا خرج جروموف قائد القوات السوفياتية في أفغانستان وودعها وداع غير وامق (فما بكث عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) [البخاق:٢٩].

خرج بعد أن ضجت الأرض والسماء من بغيهم، وعقد مؤتمراً صحفياً في ترمذ (مدينة الإمام الترمذي)، وهي أول مدينة بعد النهر من المستعمرات الإسلامية التي تزح تحت وطأة استعمار التتين الروسي منذ بداية هذا القرن .

نقد كان أية من آيات الله الكبرى في هذا الزمان الذي تردى فيه المسلمون في الحضيض أن تكون هذه الصفة العظيمة لهذا الصاغوت الأكبر -الاتحاد السوفيتي-.

^(١) - جيب المعركة العدد ٢٨ / التاريخ ١٢ / رجب / ١٤٠٩هـ - الموافق ١٨ / فبراير / ١٩٨٩م.

خرج جروموف وخرجت معظم القوات الروسية التي دخلت بصلفها وكبرياتها تحاد الله ورسوله، وكأئها لشدة غرورها تقول:

واقف تحت أخصمي قدر نفسي واقف تحت أخصمي الأنام

وصدق الله العظيم:

{سئل في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأمرهم النار ونسئ الظالمين} آل عمران ١٥١.

وعلى يد هذا الشعب الكريم العميق الاعتزاز بربه، الذي استساع بذل كل ما يملك منافحة عن دينه، وصيانة لعقبته، ويحلون لنا

أن نشهد له :

وربما حملة في الوغى ردت	له الذيل السمر سودا ^(١)
وهول كشف وتصل قصفت	ورمى تركت مبادا مبيدا ^(٢)
بهجر سيوفك أعمادها منى	الطللى أن تكون الغم سودا ^(٣)
قتلت نفوس العدا بالحديد	حتسى قتلت بهن الحديد ^(٤)
كأنك بالفقر تبغي الفناء وبالموت	في الحرب تبغي الخلود ^(٥)

الاستسلام؛ ومجرد أن خرج جروموف بدأت الانهيارات بالجملة في أركان الكيان الهش المتداعي، إذ أن بنيان الحكم الشيوعي أقيم على شفا جرف هار، فبدأ منذ فترة يتساقط، وقد كان الروس للحكم الشيوعي بمثابة فسطاط الخيمة، فسقطت الخيمة، ولكن لا بد من تمزيق الخيمة الساقطة على الأرض، ومنذ عام تقريبا سرى الشلل في كيان الشيوعيين، وأخذوا يرسلون عائلاتهم إلى الخارج، حتى أن عائلة حسن شرق رئيس الوزراء هربت إلى الهند، وصارت السفارة تلو السفارة تغادر كابل .

ونصح دبلوماسي بريطاني وهو يفادر كابل نجيباً أن يخرج مع آخر طائفة روسية، وقد كان ناصحاً أميناً له إلا إذا قدر الله له أن يقع في قبضة المجاهدين ليحاكموه مع زبائنه على شاشة التلفاز أمام الشعب المسلم الذي أعمل فيه قتلا وتشريدا وانتهاكا وسلها منذ عقد ونصف، متجاهلاً أقل القيم الإنسانية، متجافياً أبسط المبادئ البشرية.

وقام الجند على قادتهم الشيوعيين في سألنج وذبحوهم عن بكرة أبيهم وانضموا إلى المجاهدين، وفي مير بجاكوت انسحب الروس وتركوا خنادقهم ودباباتهم وعدتهم وعقائدهم للشيوعيين، فاستولى المجاهدون عليها قبل أن يستطيع الشيوعيون دخولها.

وكل يوم يستسمع جديداً، وكل هذا خستيل بجانب حال كابل

فدع عنك نهبا صبيح في حجراته ومات حديثا ما حديث الرواحل

المزاورة السياسية:

أما روسيا فقد حاولت أن تسرق ما استطاعت من ثمار الجهاد المبارك، فزرعت الأرض شرقا وغربا وجنوبا حول أفغانستان، ولكنها كانت تتفخ في رماذ وتصيح في واد، فعادت صفر اليدين بخفي حنين.

وفجأة في جزيرة الغنائم المحمولة فوق تلال الأشلاء المحفوفة ببحور متلاطمة من السماء برزت إيران بثمانية أحزاب شيعية تريد أن تنقسم الغنائم، ومدت يدها إلى المناقيد الدانية العالية مطالبة بثلاث مجلس الوزراء والشورى، مدعية أن الشيعة ثلث أفغانستان، فرد عليهم رد جميل بأن إحصائيات الأمم المتحدة تقول بأن شيعة أفغانستان ٨٪، ونحن نلتزم بالنهج الذي سلكتموه من قبل، لأنكم خريتم المثل الذي يحتذى في هذا المضمار، فيقدر ما أعطيتكم لأهل السنة عندكم من وزارات ومناصب ستكون نسبة الشيعة في حكومة الجهاد المسلمة القادمة، علما بأن نسبة السنة في إيران إلى النصف كما أخبرني بعض المطلعين على تقارير إحصائية من قبل المسلمين .

١ - الذيل: الرواحل : جمع ذابله أي رددت هجمات العدا بالضرب، وأرجعت رماحه السمر سودا، بما جف عليها من دم.

٢ - هول رهبة، فصل : سيف، كم من رعب كشفتكم من سيف وكم من رمح حطمت.

٣ - تنسعا فلا تراها في العرب.

٤ - قتلت أعداءك بالحديد وقتلت الحديد بأعدائك.

٥ - مثل يضرب لمن يبحث عن أمور صغيرة وأمامه أمر عظيم .

فإذا علم أنه لم يدخل الوزارة ولا وكالاتها ولا الشورى ولا رئاسة المؤسسات الكبرى في جمهورية إيران الإسلامية رجل واحد من أهل السنة ، فهل نقول لهم إلا ما قال ربنا عز وجل :

(ويل للمطفلين الذين إذا كثرالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنهم يخسرون)

وكما قال عز شنته:

(أأأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) «البقرة ١٨».

ثم قيل لهم أخيراً :

لقد صعدنا أمام الروس عشر سنوات عجاف أنقت العظم وأنصت اللحم ، ولم تعط الدنيا في ديننا :

فما نزل الإيساء بنا وما احتفى بنا الفشل

ورأس الشعب مرتفع وموج البذل متصل

ونحن لا نحب أن تضع إيران نفسها عدوة لهذا الجهاد، وإن أبت فإننا لم نضع السلاح بعد، وستواصل عشر سنوات أخرى، وإن سمح لأحد أن يمس عزة هذا الجهاد المبارك.

لا بد للمخاض من آلام^(١)

فإن النفوس مشبودة، والعيون متسمرة، والكلمات جفت على شفاهها، والقلوب زاد نبضها ووجيها، والأجساد تكاد تمنع لهاثها المتقطع لتحسن الاستماع، وأطرقت الأعناق لتحسن الإصغاء، لأنها تنتظر خبر الميلاد.

والناس كلهم كمن له زوج في عنقوان مخاضها، وما حملت زوجه إلا بعد أن بلغت سن الإياس. ولم يبق إلا ساعة أو دقائق على الوضع، واشتد الطلق، وفرائض الحامل كلها تنتفض تريد أن تلقي الجنين وتتخلص من ألامها التي تكاد تزرق روحها، وزوجها يراقب الوضع، واضعاً يده على قلبه، يكاد يتوقف عن النبض خوفاً على روح زوجه أن تفلت، وخشية على المولود الذي طال انتظاره لرؤيته، وتقدمت به السن، ولم ير قبله، ولا يأمل أن يرى شيئاً بعده، إنه يؤمل أن يكون المولود ذكراً.. هكذا كل مسلم في الأرض الآن ممن يحس بأذى حرقة لهذا الدين، أو يعتج في أعماقه شيء من الآلام على حال المسلمين، أو يراود قلبه أمل من آمال أبناء هذا الدين، إنهم يتابعون الجرائد والتلفاز والمذياع بيقظة دقيقة، ويسألون عن أخبار اجتماع المجاهدين في إسلام آباد، إنهم يلاحقوننا بالتلفون وبالفاكس ويقولون: إننا لا نبكي الدموع فقط انتظارا لرؤية المجتمع الإسلامي، بل إننا نبكي الدماء!

والمسلمون معنورون، إن قلوبهم مشخنة بالجراح، ولأزالت كلهم تنزف دماء، والمصائب التي حلت بهم، والدواهي التي آلت بهم أصبحت لا تطيقها نفوسهم، وكئن لسان حالهم يردد مع أبي الطيب:

تمرست بالآفات حتى تركتها تقول أمات الموت أم نصر النعر؟!

وبعضهم ينشد البيت الآخر :

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي شيئاً تميمه عين ولا جيد

المسلمون يبكون، وحق لهم أن يبكوا، فالشواهد الشاحصة في أذهانهم الآن ثورة الجزائر وتحرير سوريا، والجهاد في ليبيا وفي تونس والسودان وما آلت إليه من نتائج، يدفع المسلمون الضرائب الفادحة من التضحيات، ويقطف الثمار العلمانية والملاحدون واللا دينيون.

إن المسلمين يتابعون التحركات العالمية، والأصابع الخفية التي تريد أن تعبت بأقدس قضية يخوضها المسلمون في هذا العصر، إنهم يرون إيران وقد كشرت عن أنيابها، وشعرت عن سواعدها بعد أن تفرغت من حرب العراق لتعكر صفو المجاهدين وتقاسمهم الغنائم، إن وزراعا وسفراعا لا تتوقف حركاتهم المكوكية بين طهران وإسلام آباد، وأحياناً يلوحون بالوعيد والتهديد.

١ - لهيب المعركة العدد ٣٩ التاريخ ١٢/رجب/١٤٠٩ هـ الموافق ١٨ فبراير ١٩٨٩م

وأخرى بالإغراء والإضرار والتحميد .

واستطاعوا أن يستميلوا بعض القادة ليعقدوا معهم صفقة سرية، ولا ندري الثمن المدفوع أو الموعد ، وانبرى هذا المسؤول الذي شذ بالاتصال، وانفرد بالاتفاق بعكر صفو الائتلاف، ويقاطع اجتماعات الإخوة على مسمع ومرأى من مئات الصحفيين الذين يحفون بمدينة الحجاج حيث الاجتماع التاريخي الذي ينتظر نتائجه العالم أجمع .

ولكنني من هنا أطمئن المسلمين في كل أنحاء الأرض بما يختلج في صدري ووقر في نفسي :

١- إن حكومة نجيب أيلة إلى السقوط خلال شهرين أو ثلاثة، وأرجو الله أن لا يخيب ظني وظن جمهرة المجاهدين أن عيد الأضحى لهذا العام في كابل .

٢- إن الوارث الوحيد للحكم القائم هو الإسلام والمسلمون فقط .

٣- إن الجهاد الأفغاني يتفرد من بين كل التجارب السابقة في هذا العصر في بلدان المسلمين أن قادة الجهاد الأفغاني الحقيقيين إما من أبناء الحركة الإسلامية أو من العلماء . وكل واحد منهم يطالب بالحكم الإسلامي سواء الموصوفون بالتطرف والاصولية، أو المنعوتون بالاعتدال والمرونة . بينما لم يكن قائد واحد في جبهة التحرير الجزائرية يرفع عقيرته ويعلي صوته بوجوب تحكيم الإسلام . ولذا لم نر كلمة واحدة حتى في اسم دولة الجزائر تبين أنها تمت إلى عروبة أو إسلام : الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .

٤- إنني أطمئن المسلمين وأبشرمهم بإذن الله أن الجهاد الأفغاني لن تقف آثاره عند هزيمة الروس وباجتثاث الشيوعية من جذورها من أرض أفغانستان، بل مستعدها - إن شاء الله -، وإن قلبي ليحدثني أن أفغانستان ستكون بداية خط التحول التاريخي للعالم أجمع، إنه غيب لا يعلمه إلا الواحد القهار ، ولكنه غالب ظني، وأرجو الله أن لا يخيب ظني ، وأن يصدق ظلي .

٥- ولكن هنالك مشاكل وعقبات تعترض قيام الدولة الإسلامية القادمة، وتكتنف ميلادها ، سواء من الداخل أو من الخارج ، وهذا ناموس إلهي وقانون سماوي، ولكن { والعاقبة للمتقين } { ولا عدوان الا على الظالمين } وختاماً نردد كلمة الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله :

لا بد للمجتمع الإسلامي من ميلاد ، ولا بد للميلاد من مخاض، ولا بد للمخاض من آلام .

فإنها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب^(١)

حمداً لك يارب، أنعمت فأجزلت، وأنعمت وأفضلت ، صدقت وععدك، ونصرت عبيدك، وهزمت الأحزاب وحده، لا إله إلا أنت، مرغت كرامة الطاغوت الأكبر على يد جندك بالأحوال فولى منهزماً يحدث للأجيال عن جيشه :

وإذا صبح فيه بالمرجل فهتكت على عجل استاره وستائره
صريع تقاضاه السيوف حشاشة يجود بها والموت حمر أظافره

ولقد عبّر جروموف (قائد القوات الروسية) بلسان كل جندي مدحور من أرض النزال (هذا هو اليوم الذي كنا ننتظره منذ سنوات) وما ذاك إلا لكثرة الويلات والنكبات التي ألمت به في أرض الثبات والرباط .

ولقد أحدثت هزيمة الروس هزة عنيفة للأرض كلها، وتفجر السرور وطفح الجبود على وجه كل من في قلبه ذرة خير، أو يحس بأدنى حرقة تجاه هذا الدين وأهله .

ومقابل هذا ترى أولئك الذين ينظر إليهم نظرة رثاء لولا أنها نظرة استخفاف وازدراء لتلك البيئات التي لازالت تردد الحملة المسعورة للشعواء على هذا الدين، وتتم عن أعماق الحقد الدفين الذي يعكس الرعب العالمي والهلج النولي من انتصار الإسلام من خلال أسنة المجاهدين .

١- لبيب الحركة العدد ٤٠ التاريخ ١٩ / رجب / ١٤٠٩ هـ - الموافق ٢٥ / فبراير / ١٩٨٩ م.

ونحن نعلم من وراء هذه الحملة الإعلامية، ونذكر الأيدي التي تحرك هذه الدماء، إنهم اليهود أصحاب بيوت الأموال الذين يديرين رحى الحرب على هذا الدين، ويصويرون سهامهم نحو أبنائه المسلمين .

إن الحق اليهودي الذي تجمع في صدور هذه نساخنة الموترة، والذي نفس عنه اليهود بالانتقام من بني الإنسان في أرجاء الأرض من خلال معارك الهدم التي أعملت في كل المواطن وعلى الجبهات الأخلاقية والدينية والإنسانية .

فلقد رتب حكماء صهيون لتحطيم النصرانية، وصرخوا قائلين في البروتوكول الرابع (سننزع فكرة الله من أفهام المسيحيين ونضع بدلها أرقاماً مادية)، فأشعلوا نار الفتنة بين الكاثوليكية والبروتستانتية، وتبنوا كلفن الأب الروحي للبروتستانت، وحطموا عرش البابوية، ودعوا قيام الثورة الفرنسية سنة (١٧٨٩م)، وجعلوا شعارها كلمات ميرابو (سنشق آخر ملك بأعواء آخر قسيس).

وتبنوا الثورة البلشفية سنة (١٩١٧م) من خلال لينين اليهودي، وأطلق شعاره الذي سحق به الإيمان بالله: (لا إله والحياة مادة) .

وأشرف اليهود برعاية الحاخام (ناحوم حايم) في استانبول على تحطيم الصرح الشامخ والمنازة السامقة (الخلافة) على يد أتاتورك سنة (١٩٢٤م)، وانتقل ناحوم ليوجه الثورة المصرية سنة (١٩٥٢م) في القاهرة، فماذا عساك قائل إذا علمت أن عباس العقاد بقي محروماً من جائزة الدولة حتى إذا زار ناحوم حايم تفضل عليه عبدالناصر في اليوم التالي بالجائزة؟!

واليوم: وبعد أن أعز الله المسلمين في أفغانستان بعد هذا النصر المبين الذي يعتبر معجزة العصر، وخارقة من خوارق الدهر التي تكرم الله بها على الأفغان، انطلقت أجهزة البث تراهن على تمزيق شمل المجاهدين، وعلى اشتعال ضرام المعركة القادمة بينهم، وتسلمت الأضواء على (اجتماع مدينة الحجاج حيث شوى الجهاد)، وتركز على الخلاف، وتبرز صورة الجهاد المشرف المنتصر الذي أصبح غرة في جبين الدهر بصورة التمزق والشقات التي يعيشها البلد الصابر - لبنان - بفئاته المتناحرة، وتعيد إذكاء حرب داحس والغبراء، وأيام بعث، فترسم صورة حكمتيار مصافحاً رباني وتعلق تحتها (اليوم أصدقاء وغدا أعداء والقتال ينتظرهم)، وتعيد مرة أخرى لعبة اليمين واليسار التي مزقت بها العالم العربي وفترت شمله في هذا القرن، ولكن اللعبة الجديدة تحت اسم جديد وبشعار برأق: «لعبة الأصوليين والمعتدلين» .

أنا أعذر الإعلام اليهودي الذي يلهب بسياطه ظنير العالم الغربي، لأن اليهود يدركون أكثر من غيرهم قوة هذا الدين وحيويته وقدرته على تجميع الطاقات وتوجيهها نحو الخير، وللإطاحة بأصنام الفساد، وتجفيف مستنقعات الرذيلة التي لا يعيش اليهود إلا فيها، ولا يفرخون إلا في أمثالها، بعد أن أغرقوا الأجيال في أوحال الجنس، وأشغلوهم بسعار الشهوات وحماة النزوات.

وأعذر اليهود مرة أخرى لأنهم يحسون أكثر من غيرهم بخطر الإسلام على مصالحهم، وأثره إذا استوى قائماً على دولتهم وعلى أذرع أخطبوطهم الذي بطوق البشرية ويمتص دماءها ويزدرد خيراتها .

وأعذر اليهود ثالثة: لأنهم أكثر الناس إدراكاً لعنر قيام دولة إسلامية قامت على رؤوس البيض والأسل.

أما المسلمون الطيبون في مشارق الأرض ومغاربها فالنفس معهم وهم يضعون الأيدي على القلوب، وكلهم أذان صاغية حول المذيع، أو كلهم عيون مسمرة على شاشة التلفاز، يتابعون بلهف عجيب أنباء ولادة الدولة الإسلامية من خلال اجتماع شوى الجهاد في مدينة الحجاج في (إسلام آباد) .

إن المسلمين يعيشون مرارة الذل وحياة الضعف من خلال غياب الإسلام ودولته، يرون أن أبناء جنسهم هم الذين يواجهون لهم اللكمات الوحشية والضربات الساخنة بسبب التزامهم بدينهم :

(وما نقصروا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) «البروج» ٨،

لا يرون دولة في الأرض كلها تتبنى مصالحهم، وتؤوي مشردهم، وتشجع تقيهم، وتقرب صالحهم، وتنطق باسمهم، وتدافع عن حقوقهم .

وقد حق للمسلمين أن يعدوا الأنفاس، وأن يبكيوا دماً لا دمعا كما يقول الشباب المسلم المتغرب في أمريكا وكندا وهم يستندين كلمة المجاهدين وقديم دولتهم بعد هذا النصر العزيز المشرف الذي من به الواحد القهار سبحانه .

لكنني لا أعذر اليساريين والعلمانيين والشيوعيين ممن يتولون توجيه الإعلام ، والذين يظهرون شماتتهم بتأخير اتفاق المجاهدين في إسلام آباد، لقد كان لهزيمة الطاغوت الأكبر سيدهم - الاتحاد السوفيتي - أكبر عبرة وأعظم درس وموعظة:

{ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد } - ق ٣٧ ،

لقد كانت فرصة كبيرة للذين يريدون أن يرجعوا بعد أن رأوا روسيا تترك الحكومة الشيوعية الرهيبة طعماً سائفاً وصيداً سهلاً لأسنة المجاهدين وحراهم، فإن لم يتعظوا فليستعوا وليربلوا على أنفسهم، لقد كان الأولى بكل شيوعي في الأرض أن يتوارى خجلاً وينطلي وجهه استحياء مما جرى على أرض البطولات في أفغانستان .

لقد كان انتصار المجاهدين باباً واسعاً لعودة الشيوعيين لهذا الدين، وفرصة سانحة ليخلق كل شيوعي ربة الشيوعية من عتقه، ولينسلخ من ثوب الاشتراكية البالي، وأسعاه الفترة التي أكل الدهر عليها وشرب، ولكن صدق الله العظيم :

{ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور } - الحج ٤٦ .

وأطمئن المسلمين في مشارق الأرض ومغاريها -ياذن الله وأمره- أن الجهاد سينتصر، وأن دولة الإسلام ستقوم ، وأن المارد الجبار سينطلق، وأن المستقبل لهذا الدين {والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون} - يوسف ٢١ .

مرحيات الذئاب أم قضية كتاب^(١)

في مطعم في إسلام آباد وعلى مقربة من اجتماع مجلس شورى الجهاد الذي ينتظر منه كل مسلم نتيجة الميلاد، بعد هذا النصر المؤمل والمجد الرفيع الذي ورثته الأسنة فوق سماء أفغانستان المسلحة .

أقول: في هذا المطعم أرى أفواجا تتداعى، وأمواجا من الجماهير الهائجة تتهادى، فتسائل الشيخ عبد المجيد الزنداني وكان بجانبه: ما بال القوم يهتفون؟ وما شأنهم يهدرون ويرعدون ويؤذنون؟ وانتظرنا الخبر، وتمخض الجبل فولد فأراً، وإذا بهذه الجموع المحتشدة على أبواب السفارة الأمريكية وتشعل أعلامها قامت بهذه المظاهرات ضد رجل في لندن اسمه سليمان رشدي يصدر كتاباً اسمه (أشعار الشيطان) يهاجم فيه القرآن .

واتصلت بالأخ الحبيب أحمد زكي رئيس اتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا أبشره بالانتصارات الرائعة التي سطرها الدماء المتدفقة:

سطر الأسفار من دم مع ودم يا أخانا إنها لحسن الخلود
سوف تبقى في فؤاد الشيخ نورا وستذكي النار في قلب الوليد

ويشرته بالانهيارات المتوالية في جبهات رياتب روسيا في داخل أفغانستان، وكيف أن ستة عشر ألفاً من أعداء الله قد استسلموا في رستاق للمجاهدين مع غنائم لم يشهد تاريخ حرب العصابات لها نظيراً أبداً .

سنة عشر ألف كلا شنكرف وخمسة عشر دبابة ومائة وعشرين سيارة صالحة والمدافع والرشاشات والذخائر التي يصعب حصرها ويضنيك إحصاؤها وعدها هذا كله في منيرية رستاق في تخار، وطلبت منه أن يقيم المسلمون في أمريكا احتفالات تعبر عن فرحتهم بهذا النصر المبين، وابتهالات تعبر عن شكرهم لرب العالمين، وإذا به يقول لي: الناس مشغولون بكتاب سليمان رشدي والثورة عليه .

واعترضت إيران على الكتاب، وأهدرت دم الكاتب وعرضت ثلاثة ملايين دولار لمن قتله، وأحدث هذا التصريح رد فعل لدى دول السوق الأوروبية والغربية، وأعلنت مقاطعتها لإيران .

وهكذا تغطي أحداث الكتاب على أضخم نصر للمسلمين في هذا القرن بل في القرون الثلاثة الأخيرة، ليت شعري أي يوم مر على هذه الأمة في هذه القرون أعز عليها من يوم انتحار روسيا من أفغانستان؟ أي فرحة تغمر الجوانح أعظم من فرحة المسلم الذي يرى بعين البصيرة كيف سارت الأحداث، وكيف كانت النتائج تبهر حس كل مسلم صادق في قلبه ذرة حرقه على هذا الدين .

١ - لبيب المركة العدد ٤١ التاريخ ٢٦ / رجب / ١٤٠٩ هـ - الموافق: ٤ / مارس / ١٩٨٩ م.

أليس الأولى بكل مسلم في الأرض أن ينتشد للمجاهدين وقد أشعن الدب الروسي جراحها بأسلحته وطحنه ب ذخيرته ؟

فَتَكَتْ بِهِ فِي الْقَطْرِ سَمَرٌ رَمَاحِيهٖ بِأَكْفِ أَسَدٍ دُوخَتْ أَسَدُ الشَّرَى ^(١)

أصمم صموئيل والدماء سلافقة أنترام سكرامال من تلك الطلاب^(٣)

لكن السنة القواضب أظهرت ما أضمرت حناها من سر الحشا (٣)

كم من الكتب تصدر شهريا في أوروبا وأمريكا تطعن في الإسلام، وتحارب الله ورسوله، وتغمز جانب سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم؟ ما هذه الضجة الكبرى؟

كنت أحسب أن المسلمين يخرجون إلى الشوارع يهزون أناشيد النصر، ويهتفون بذكر ليث العرين التي تصورت هذا الدين، لقد حق لكل مسلم أن يضع على مفرقه أكاليل الفار، وأن ينثر في كل مكان الأزهار، إظهاراً للفرحة والشكر للواحد القهار .

كنت أتوقع من كل جمعية إسلامية في الأرض كلها أن تقيم أسبوعاً من الاحتفالات تسميه أسبوع النصر العظيم، وترسل وفداً لتقديم التهنئة لقادة الجهاد .

كنت أود أن يقيم كل قطر إسلامي مؤتمرا لعلماء الإسلام يحيون فيه هذا الشعب الكريم بهذا النصر العظيم وبالجهد المبارك ، وهذا أولى من أي مؤتمر آخر يقيمه العلماء سواء كان للفقه أو المساجد أو الدعوة .

كنت أمل: أن يقدم كل موظف مسلم في الأرض كلها ١٠ ٪ من راتبه لشهر رجب هدية للنحلة الإسلامية الأفغانية، وإسهاما في تقويض الحكم في كابل، وإعمارا لأفغانستان، أما أن يغطي كتاب على أحداث مزت الأرض كلها فهذا مما يحزن أولي الأكباب أفلنها مسرحية من الأعباء الإعلام اليهودي الذي يدوخ البشرية ويدعها في عالم التية دعاً، ويزوجها في دوامة الضياع زجا .

{إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد} [٤٧،

(٤) التقدم في العمر

وهكذا كتب الله لنا أن نعيش معركة الإسلام مع أعدائه ، وأن نرى الأيدي التي كانت تحرك يد الكير الذي يوقج النار ويوجه الأشرار في معركتهم مع الأبرار، وكلما اقترب النصر انزاح الستار شيئاً فشيئاً، وبانت المخالب الحادة والأنياب المكشورة التي تعزق كبد الأمة المسلمة، وتوجه سهامها إلى نحرها، وتغرز خنجرها المسموم في قلبها .

انتصر الجهاد وهزم أكبر طاغوت في الأرض مدحورا أمام جند الله ، وعادت روسيا إلى جحورها تحدث للأجيال من خلال جراحها العبر التي جنتها، والأشواك التي حصدها، ورأى العالم كله هذا النصر المبين الذي تفضل به رب العالمين، وقيل للمجاهدين هل أنتم مجتمعون حتى تختاروا من خلال قاعدتكم العريضة الممتدة بمجلس الشورى الذي ينيف عدده على الأربعمئة والخمسين نفرا قيادة ليوثكم ووزارة لبلدكم ؟

واتفق المجاهدون بعد أيام على اختيار محمد نبي رئيساً للدولة، وأحمد شاه رئيساً لوزرائها، وإذا بالأرض تزلزل زلزالها، وأخرجت الصور مكنونات صدورها، وتقاسمت: لن يكون للأصوليين منبر عليه يخطبون، ولا أوض صلبة عليها يقفون. وأفصح القوم عما يجول في أعماقهم، وذهل المجاهدون إذ يرون الدنيا بأسرها تائبى عليهم دينهم، وترفض منهم التزامهم ووضوح مواقفهم تجاه عقيدتهم، وتسأل المجاهدون: أمن مخرج لدى القوم الساخطين؟ أم من سبيل لطمأنينة العالمين؟

فأجاب بعض الناصحين ممن لم يتنوقوا طعم المجد بعد مرارة الجهد ، ولم يستعذبوا حلوة العزة من خلال الأثمان الباهظة بالدماء والأشلاء ، فقال قائلهم : لن ترضى أمريكا ولا إيران ولا الصين ، ولن يعترف بكم أحد ما لم يروا حكومة قوية شأن برأس دولتها قائد من السبعة ، ويقود وزاراتها قائدا آخر ، فاجابهم سياف : (هذه الدولة لأفغانستان وليست للأمريكان)، وانبرى لهم أصولي آخر يشكل شوكة في حلق الحاقدين وأجابهم حكمتيار قائلا: المسألة بسيطة: هذا محمد نبي رئيس الدولة، وذا سياف ترشحة رئيسا للوزراء، وكنه الصاعقة حلت عليهم من السماء، إذ كانوا بغصون برؤية أحمد شاه المهندس الذي تخرج من أمريكا، وكان استاذًا

٦- الشريعة، القواعد

٦- العهد النورس

٣- بحث: الأيمان.

١- اجتمعت اللجنة العدد ١٢ التاريخ ١ / شباط / ١٤١٠ هـ - الموافق ١١ / ٢ / ١٩٨٩ هـ.

في جامعة الملك فيصل، وإذا بالاقتراح يضع سكيناً حاداً في أعناقهم ، فبدل شوكة أحمد شاه جاء مسمار سيّاف الأزهرى الأصولي المتعصب، وبدل أن تكون لحية أحمد شاه دون القبضة جاءت لحية سيّاف التي تتأطع الصدر.

والأمريكان يعرفون أكثر من غيرهم «سيّافاً»، وقد عجموا عوده فما جنوا إلا وبالا وما خرجوا من مجلس معه في كل مرة إلا وقلوبهم تقطر سماً زعافاً، وأفواههم تزد وتترعد، وفرائصهم تهتز وترتجف غيظاً وحقدًا.

وعملت الأيدي بالخفاء والعلانية، وألقى العالم بثقله وككله حتى أنشغل الاتفاق، وفرق الكلمة، ومزّق الشمل، وأغلق القادة السبعة أبوابهم يحاولون أن يلموا شعوبهم ويخرجوا على كلمة سواء، وإذا بالباب يقرع، وأطل ليت من علماء أفغانستان تعرفه خوست وبكتيا وبكتيا منذ بضعة عشر عاماً، ونظر القادة إلى الشيخ جلال الدين حقاني مستفسرين من جرأة الشيخ الذي يقتحم عليهم خلوتهم، فأجاب الشيخ: جنتكم ممثلاً لمجلس الشورى الذي ينتظر كلمتكم الموحدة التي يرقبها العالم كله ، فإن وصلتكم إلى حل فعلى الرأس واليدين، وإلا فدعونا نصل إلى حل ترضونه ويرضاه الجميع .

وكانت فرصة ساقها الله من السماء ينتهزها سيّاف ليقف قائلاً: أعلن أنني لا أستطيع الوصول إلى حل، وأسلمكم الأمانة، وواقع الحكم أنني أَرْضَى بأي حل ترونه، وتبعه حكمتيار مؤيداً لما قال، وتتابع السبعة وكتبوا لجلال الدين صكاً موقعاً بأسماء السبعة.

وحمل جلال الدين مع إخوانه السبعين الذين اختارهم مجلس الشورى بالسند الموثوق المهور بإمضاء القادة السبعة، ثم أشار على مجلس الشورى أن يختار كل حزب اثنين من بين أعضاءة ليشكل الأربعة عشر عضواً الذين يختارون لجنة تبحث الحل .

وانتخى جلال الدين بلجنة الأربعة عشر في مكان بعيداً عن الأنظار، وأخلى المكان من التليفونات، وأغلق باب البيت، وبعد هنيهة قرع أحد كبار القوم الناصحين من الأصدقاء الباب المرصود يستأذنهم في مشاركتهم النصيح وتبادل الرأي، فهرع إليه محمد ياسر أحد الأصوليين المتشددين !!! ورده عن الباب معتذراً .

وبعد ثلاثة أيام خرجت اللجنة بالرأي المجمع عليه بأنه لابد من الانتخابات، بحيث يتسلم الفائز الأول من القادة السبعة رئاسة الدولة، ويحظى الفائز الثاني برئاسة الوزراء، وهكذا دواليك، وكانت اللجنة قد أعدت خلال الأيام الثلاثة أوراق الانتخابات عليها صورة القادة السبعة، والاختيار يكون بتسليم المنتخب ورقة عليها ختمان مقابل صورتي الشخصين المختارين .

وأغلقت أبواب القاعة، وأعلن القرار، وطلب جلال الدين إلى القادة السبعة البدء بالانتخابات، ثم تتابع القوم بحيث يضع المنتخب ورقته ويفادر القاعة، وأفرزت الأصوات، وخرجت النتائج التي اختارها رب العالمين، فقد حظي المجدي برئاسة الدولة بعد أن نال ١٧٤ صوتاً وفاز سيّاف برئاسة الوزراء بعانة وثلاثة وسبعين صوتاً، وكانت الخارجية من نصيب حكمتيار، والداخلية من سهم يونس خالص، والتعمير حقبة ريباني .

ولقد كان فوز المجدي حلاً لكثير من المشاكل التي تنتظر الدولة، مما سيثيرها في وجهها أعداء الله، فانتهت مشكلة الأصوليين والمعتدلين، وانتهت معضلة الشمال والجنوب، لأن مجدي من الشمال وسيّاف من الجنوب، وانتهت بقية النزعات الجنسية بين التاجك الذين ينسب إليهم مجدي والبشتون الذين يمت إليهم سيّاف، وانتهت مشكلة وهابي وحركي، وعلماء ومولويين إذ ينسب سيّاف إلى الأول والمجدي مع الفئة الثانية.

وعلقت الصحف وأجهزة الإعلام على هذه النتيجة بأن قد ذهب أحمد شاه الأصولي وظهر سيّاف الأصولي المتشدد .

التحدي الكبير :

وجاءت دولة المجاهدين ذات القاعدة العريضة والتي يتربع على رأسها رجل معتدل كما تصفه الصحف الغربية، ونالت ثقة مجلس الشورى، وهي تنتظر الإعتراف ؛ أنها تستحث خطى الدول العربية للإعتراف، وتسجن جيش أخوة الإسلام في أعماق المسلمين ، وتمتحن صدق الذين يعلنون الشعارات، ولا يفتأون يصرحون صباح مساء بأنهم حماة المستضعفين ، وعون المظلومين، ومنقذو المسحوقين :

وما أكثر الإخوان حين تعدم ولكنهم في النائبات قليل

فإذا كانت الدولة الفلسطينية التي ولدت معلقة في الهواء وأرجلها في الفضاء دون أن يكون لها أرض تقف عليها، وهي مكتوفة

الأيدي من أن تستعمل أسننتها، أو تمتشق أسلحتها، قد نالت اعتراف خمسين دولة خلال أسبوع، ووصلت الاعترافات الآن إلى المائة تقريباً . فما سر صمت القبور الذي يطبق على العالم أجمع إزاء دولة قامت على بحور الدماء، وعزة أصحابها تتأطح عنان السماء وتطاول الجوزاء؟ أم ينتظرون الإشارات السرية من البيت الأبيض أو من برمنجهام أو البيت الأحمر .

إذا كان الخوف من عودة الإسلام إلى الأرض هو الذي يحمل كل أعداء الله على أن يهجموا عن الاعتراف بدولة المجاهدين، فما عذر الذين دفعوا لافتات الإسلام زيلنون أخوة الإيمان ؟ وكيف نصف الذين يخذلون المسلمين في ساعاتهم العصيبة وفي أزماتهم الرهيبة؟ أولا بحق للمجاهدين أن ينشدوا قائلين :

وحيد من الخلق في كل بلدة إذا عظم المطلوب قلّ المساعد

أو يقولوا :

إنني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

[والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض فساد كبير] الأتفال ٧٢.

في الصباح يحمد القوم المرى^(١)

فقد اشتد أوار المعركة وزاد ضرامها، والمجاهدون حول جلال آباد وكابل يتحفزون لإقتحامها، وأعداء الله في زعر مفرع ، قنوبهم تكاد تطير هلعاً من صدورهم، والمدفعية لا تكاد تتوقف، والرصاص يشق ظلام الليل بأنسة الذهب، فيعزق السكون ويبدد الدجى، والألغام عند المجاهدين الأول لا تميز بين ولي ولا غيره . والأقدام تتطاير في الهواء، وقد غصت المستشفيات بالجرحى فلا تكاد تجد مكاناً إلا لجريح لازالت كلومه تقطر دماً .

ما لك يا جلال آباد؟ أما ارتوت ربوعك بدماء الأطهار؟ عطشى تشربين النجيع شرب الهيم أما ترتوين؟ غصت نجودك بالأشلاء ، حفت وهادك بالبلاء، والجحافل من بنيك الصادقين يتسابقون على الموت :

يستعذبون منايهم كأنهم لا يخرجون من الدنيا إذا قتلوا

سيارات الإسعاف لا تكف عن الهدير ، وأصواقها لا تتوقف عن النذير والصفير ، لم يبق في اليد سيارة إلا وقد شغلت ، ومع هذا كله فليوث الله تضارده أعداءه في الجبال ، ويبقى الشيوعي نفسه بين النساء والأطفال لعله ينجو من الموت الزفام الذي ينتظره، يهربون تاركين وراءهم كل متاعهم، حتى طعامهم ما يستطيعون أن يأكلوه وقد نضج فيدخل جند الله ليحبوه وكأنه أعد لهم ساخناً ناضجاً، عجباً لإقدام هؤلاء القوم، أما يخشون موتاً ولا رصاصاً ؟! أما يحذرون مدافع ولا ألغاماً ؟! لقد عظم البلاء بحيث لا يطيق القلم له نقلاً، ولكن القوم ما لانوا وما استكانوا وما ذلوا :

{وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضلوا وما استكانوا والله يحب الصابرين }

وآل عمران ١٤٦

أقل بلاء بالرزايا من القنا

أعز بني الدنيا وليث إذا انبرى

مقيم من الهيجاء في كل منزل

وأقدم بين الجحفلين من النبيل

فإنك نصل والشسددائد للنصل

كأنك من كل الصوارم في أهل

قال صاحبي: إن هنالك زمرة طيبة من الأساتذة في الجامعة الفلانية معا يسرّ القلب ويبهج النفس ، فقلت له : كيف بك إذا رأيت الجامعة كلها للإسلام يقودها خيار الناس؟ والمحكمة لهذا الدين يتولى زمامها صفوة المجتمع ، والوزارة تضم أتقى الناس وأوعاهم وأزهدهم وأشجعهم، وترى البلد بكاملها خيارها حكامها ، والفاسق فيها كالبعير المعبود، أو الشاة الجرباء ينفر منه الناس ويشتمون لرؤيته، ويتمنون لذكر اسمه.

ولذا فإن التضحيات مهما جت ، والتكاليف مهما غلت ، بأن ارتوت الأرض دماء، وأطبقت بغات الدهر وزيابها على القلوب

١- نهيب المعركة العدد ٤٣ التاريخ ١١ / شعبان / ١٤٠٩ هـ - الموافق ١٨ / مارس / ١٩٨٩ م.

والبيوت ، فإن هذا كله لا يمكن أن يقاس بالتناج الطيبة والشار الناضجة التي تقطفها الأجيال من بعدنا بأن تحكم شرع الله ، وتنفيذ في ظلاله ، فتختفي في المجتمع الرذيلة ، ويتوارى الفساد ، وتلقي الأرض ببركاتها ، وتصيب السماء خيراتها ، وينعم الأبناء بالحياة في في هذا الدين وفي ظلال قرآنه .

كيف بك إذا رأيت العلماء قادة ، والصالحين سادة ، والزاهدين يشار إليهم بالبنان من قبل أبناء الأمة إكراماً وإجلالاً واحتراماً؟ وكيف بك إذا رأيت حامل القرآن مقدماً في المجتمع على خريج أوروبا وأمريكا ممن يحملون أعلى الشهادات وأرفع الأوسمة العلمية؟ لعلك معي يا صاحبي : أن المجتمع الطاهر ، والسعادة الغامرة التي تلب جوانحه ، والقيادة الربانية وما تبعها من بركات وخيرات تعم البلاد والعباد ، والجيل النظيف النفسي الذي يستنقذ من بين برائث الفساد ومن مستنقع الرذيلة ومن وحل الجنس . وهذا مع الأمن الذي يلف المجتمع كله برداء الطهارة والعفاف ، وكل فرد فيه أمن على دينه ونفسه ودمه وعرضه وماله . أقول : لعلك معي أن كل هذه التضحيات لا يمكن أن تقاس ، وهذه المصائب لا يمكن أن تذكر بجانب هذا الخير العميم الذي تنتظره الأجيال القادمة .

إذا كان اليساريون في فلسطين يقولون :

أنا يا أخي أمنت بالشعب المضيق والمكبل وحملت رشاشي لتحمل بعدنا الأجيال المنجل

أي تحمل الأجيال المنجل والشاكوش شعار الشيوعية ، أليس الأولى بنا أن نقول :

أنا يا أخي أمنت بالله العزيز الناصر ، وحملت مدفعي لتحمل بعدنا الأجيال مصحفاً؟

لقد أن لنا أن نستنشق رياح الأسحار لتفريق القلوب السادرة ، ومن استطال الطريق ضعف مشيه .

وما أنت بالمشاق إن قلت بيننا طوال الليالي أو بعيد المفاوز

أما كان لنا بالسابقين أسوة ، وبآلامهم سلوة .

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العراقب جانباً

وإذا نزل أب (الصيف والحرارة) القلب حل أذار (الربيع والحلاوة) في العين ، ومن لاحت له سعادة الآخرة هانت عليه لأواء طريق الدنيا . ومن تذكر نعيم الجنة استعذب على جادتها بأساء ضررتها ، ومن بدت له معالم دار الوصال نسي ما يتكبد في ميدان القتال ، فيا أقدام الصبر لحملتي بقي القليل . وفي الصباح يحمد القوم السرى .

شعر الشهداء (١)

فلقد اشتد القتال وحزب الأمر ، وغص المكر بالرجال ونسابق القوم عشاق الحور إلى الميدان ، فإذا أشرت لهم بالمنع تعذرت العبرات كالجمان ، وكأن أحدهم عاشق ولهان ، أو واجم هيمان ، إن نفسه قد تعلقت بأخيه الذي سبقه ولسان حاله يردد :

وكنا كندمانتي جذامة برهة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأنني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

كبيرهم وصغيرهم ، ثقلهم وخفيفهم ، الكل مقبل على المعركة ، نحاول أن نردهم عن الموت وكائننا نحاول أن نرد ليوثا عن فريستها ، وعبثاً نحاول ، ولولا الخوف من عصيان الأمر لأنكبوا على الردى انكباب الأكلة على قصعتها ، وأسامة بن لادن يشدها إلى الوراء كائننا يسحب الخيل العطاش بلجمها يمتعها من الماء ، وقف الشيخ تميم العدناني على السلك الشائك لمطار جلال آباد ، ودار الحوار بين قائد الأسد وبين الشيخ تميم ، القائد خالد أعرج فقد رجليه في إحدى المعارك ، وبقي القوم برجل واحدة ، يتكلم مع الشيخ تميم على استحياء إغضاء ومهابة وكرامة ومحبة ، يرجوه أن لا يتقدم ، مبرراً قوله بمصلحة المسلمين والإسلام ، قائلاً : يا شيخ تميم وزنك مائة وأربعون كيلو قراناً ، فإذا جرحته فإنك ستعطل ثمانية عن المعركة ، وتعرضهم للموت من أجل نقلك ، ويطلق الشيخ تميم منبهة والدم يكاد يتدفق غلياناً ، وقلبه يكاد يطير هيجاناً ، ثم يضبط أعصابه ويسكت على مضض

١ - لبيب المعركة العدد ٤٤ التاريخ ١٨ / شعبان / ١٤٠٨ هـ - الموافق : ٢٥ / مارس / ١٩٨٩ م.

بصير بأخذ الحمد من كل موضع ولو خبثاته بين أنيابها الأسد

ضرب لهام الضاربي الهام في الوغى خفيف إذا ما أثقل الفرس اللبد

والشيخ تميم مسعر حرب، إذا شهد الوغى لا يمالك نفسه، خاصة وهو يرى جند الله يتساقط الواحد منهم تلو الآخر، الرشاش مفتوح عليهم . الطيران لا يكل من الحركة، ولا يفتر عن القصف، ولا يحجزه إلا الله ثم الغيوم التي ساقها الله في الأسبوع الأخير حماية للمجاهدين من (ميغ ٢٧) التي تلقي قذيفتها على بعد ٢٥٠ كم بإصابة دقيقة، لأنها توجه قذيفتها على أشعة الليزر، ولكن من الذي يرد المجاهدين عن حقيقة الموت، خاصة العرب الذين يردد لسان حالهم :

أي يومي من الموت أفر يوم لا قدر أم يسوم قدر

يوم لا قدر لا أهرب — ومن المقدر لا ينجو الحذر

والشيخ تميم يرى هذه المناظر، شبابا يتطايرون إلى الموت ، تعلقت أرواحهم بالملأ الأعلى، ويود لو يقطع لحمه ليخف كما خفوا ، وينفر كما نفروا ، ويقفز كما قفزوا .

تقدم أبو حسام (رضوان إبراهيم المرعي) وهو يحمل كامرته - الفيديو -، ويوصي الشيخ تميمًا: إن استشهدت فلا ترجعوا أهلي إلى سوريا، لأنني أحب أن يثبت أبنائي في جو نظيف وأرض طيبة، وكأنه يودع الشيخ تميمًا، ثم تأتي الطلقة التي تؤدي بحياة أبي حسام شهيدا - إن شاء الله -، ويتدفق الدم الموار، ويعبق المسك في الأنوف، ويعطر عرقه (رائحته) الضيعة الجو، ويحمل أبو حسام إلى مستشفى الغوزان، ويدخل غرفة في المستشفى ليحدث المدير العام للمستشفى -د. عبد اللطيف- بأن غرفة الاستقبال كلما نتحت انتشر الريح الطيب في الأرجاء .

ثم يقتحم الفوج ثو الفوج، وكأن الهاتف الداخلي الذي يحرك أشواق هؤلاء يقول:

ردي حياض الردى يا نفس وأتركي هياض ورد الردى للشاة والنعيم

إن لم أسطع على الأرمساج سائرة فلا دعيت ابن أم المجد والكرم

ويدخل المجاهدين القسم الشرقي من المطار، ويقتربون تدريجيا من هؤلاء الشيوعيين الذين يتشبثون بالحياة ولو بقشة

(ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يهر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يهر والله بصير بما يعملون) والقرة ٩٦.

السماء تمطر المجاهدين بوابل من القذائف والرصاص، وهدير الطيران يكاد يصك بأذان الناس ، والأرض بالغامها أعدى أعداء المجاهدين، إذ قلما تنجو قدم ممن يمر بها من القطع والتطير في الهواء، والمهاون يشظاياء يطارد المجاهدين وهو دلال المنايا يخوض غمارها فشرى وباعا .

ولكن كيف يجد الخوف إلى قلوبهم سبيلا وقد طارت أفئدتهم فرحا بقاء الحور، وكل واحد منهم يدخل ظانا أنه لن يحور (يرجع) إلى أهله .

ويدخل أبو الدرداء (إسماعيل عبدالله المطوع)، وأبو بدر الحربي (خالد معلا الأحمد الحربي) ويقتصمون مع جمع غفير من المجاهدين الأفغان مع نفر من العرب المطار، ويدمرون ست دبابات فيه، وتأتي القذيفة بينهما وتنتزع أرواحهما لاحقين بالسابقين ممن مضوا على الطريق -

وتأتي الكرامة التي لا يملك ردها جاحد ولا مصدق، إذ أن دم (خالد معلا الحربي) الذي تدفق على قطيفته يعبق مسكا وينفع طيبا، وحي به إلى بيت ضيافة المهاجرين والأنصار، وسجي وماتة أو يزيدون ينعمون قرب النافذة بما يفيح من دمه الطيب، وما ينتشر في الأفق من عطر، وأقترب أبو إبراهيم منه وأخذ الدم الذي ينزف من رأسه ثم عاد إلى البيت، وقرب يده من أنف أم إبراهيم، فغمرت ناعما بما تنسمت ونعمت به من طيب ، وحتى كتابة هذه الكلمات واليوم الرابع من استشهاد لزال القضيعة في غرقتي ويجواري وأنا كتب هذه الافتتاحيات، وكلما فتح الغرفة أولادي أو زوجتي تعجبوا من جو الغرفة المعطر بدم الشهداء .

إنها دماء يحبها أهل الأرض والسماء، وتخط التاريخ الإسلامي الذي بدأ يتيه على الدنيا بهذه النماذج الرفيعة التي أقات بسس البناء، وتوجته بالمجد والعزة والبهاء والسماء، ولكن لم تشغلها أمواج البلاء ولا نشوة النصر عن الحمد لله والشاء.

وهكذا فضرائب المجد غالية، ومهر النور كبير ، وانفود الذي تحتجج مركة الإسلام من عدم صير ١٧ - ١٨ من سنة ١٩٨٨ غالية، ألا إن سلعة الله الجنة ولكن هذا هو الطريق.

يوم الأقصى (١)

قبل بضعة عشر عاما اجتمع اليساريون في الأرض المحتلة واتفقوا أن يكون اليوم الثلاثون من مارس (آذار) يوما للأرض، وأطلقها توفيق زياد / بلدية الناصرة، وانطلق الملا أبناء الثورة الفلسطينية يحتفلون بهذا اليوم في كل مكان، وسموه (يوم الأرض)، ولكن الشباب المسلم سموه (يوم الأقصى) .

ومما يشرح الصدر أن يستغل أبناء فلسطين كل مناسبة لتذكير الأجيال بمأساتهم ، وتربيتهم على العزم والتصميم على الانتقام لشرفهم وأعراضهم، والثار لقيمهم، والانتصار لمبادئهم ، ومما يجب أن يذكر إحقاقا للحق أن الثورة الفلسطينية قد بدأت بداية لا نظير لها من حيث التضحية والبذل والصبر والاحتمال، ولقد كان أحدهم يحمل تحت ثيابه لفما يمشي به مئات الكيلو مترات من الهامة في دمشق حتى يصل الى الضفة الغربية، ثم يقطعها حتى يصل إلى المنطقة المحتلة سنة ٤٨، ينام في النهار ويمشي طول الليل لعله يظفر بأحد أبناء صهيون أو بسيارة من سياراتهم فيفجرها ، كانت جهودا رائعة ومحاولات رائدة يقف الإنسان مبهورا بصبر الطلائع وإصرار الرواد ..

فما ينفع الأسد الحياء من الطريق ولا تنقى حتى تكون ضواري

ولكن الذي يفتت القلب حزنا، ويمزق الكبد أسى أن يرى اليسار يتسلق على ظهر الجنود الصادقين، ويمسك بكتف يديه أبواق الإعلام في فتح ذات البداية الرائعة، ثم في الثورة كلها يوجه أبناء فلسطين، ويكتب بالدماء الزكية تاريخا مزورا يربط فيه أبناء القضية بلينين وستالين وجيفارا ومار وكاسترو ، ولقد استطاع اليسار أن يرفع في إعلامه كل من يكن حقدا عميقا لهذا الدين، أو يحمل تحت جوارحه ضغينة ومقتا للمبادئ الإيمانية والقيم الربانية.

وما شهد التاريخ الحديث تزويرا أعظم من تزوير هؤلاء الذين يسكنون بأجهزة التوجيه في المنطقة، إذ أنه اغتصب جهارا نهارا أبناء فلسطين المباركة، وأجيال المسجد الأقصى المهج جادة هذا الدين، واجتالهم بعيدا عن منهجه القويم، مع أن الذين يسترخصون الأرواح على الأرض المباركة شباب على فطرتهم، خرجوا غيرة على الأعراض، ودفعوا عن الأوطان ، وفي مآثمهم بنيت أمجاد لينين، ودمائهم خط تاريخ ماركس ويوميات جيفارا، وما رأينا في خضم المعركة وعلى أرض الأبطال ذلك اليسار المزعوم، فثروا كالغفائش بعيدا عن النور يعركون القضية من خلف ستار، وتحت ضجيج المهرجان الذي يحتفل بذكريات الأبطال تغيب الأصوات الصادقة، وتختفي الصور الناصعة المشرقة، ويعلو نعيق اليوم ونعيب الغريان .

ولقد برز فوق جماجم شهداء أبناء فلسطين شخصيات ما عملت معظم حياتها إلا لصيانة النبتة الغربية اليهودية من الأعاصير الإسلامية، ولصاية الجسم الغريب الذي زرع في جسد الأمة الإسلامية من التاكل والنوبان ، وقال فؤاد نصار زعيم الحزب الشيوعي الأردني: (إن اليهود شعب كباقي الشعوب له حق الحياة، وأنا أعترف باليهود كدولة لأن الشمس لا تغطي بغربال) .

وبرز توفيق زياد وسميح القاسم ومحمود درويش الذين يتصنر قسم منهم مجلس الكنيست اليهودي وأعضاء وأركان محترمين . هؤلاء مع غيرهم من اليساريين

فكل الجرائد والصحف اليسارية على الإطلاق كانت تمثل محامي الدفاع عن اليهود الشرفاء؟؟؟ وإنما تقاوم الصهاينة المستعمرين !!! وتوفيق زياد صاحب فكرة يوم الأرض هو الذي كان يجمع التبرعات من أمريكا بالعلم الإسرائيلي سنة ١٩٧٨م، ومحمود درويش وسميح القاسم هما اللذان كانا يحملان العلم الإسرائيلي في مؤتمر صوفيا البلوي ، ومحمود درويش هو الذي قال: (أنا من قرية عزلاء منسية وكل رجالها في الحقل والعمل يحبون الشيوعية) .

وهم الذين وضعوا نشيد فتح والثورة الذي يريده كل أطفال فلسطين وأبنائها (أنا يا أخي أمنت بالشعب المضيق والمكبل وحملت رشاشي لتحمل بعدي الأجيال منجل)

ولذا كان القتال في فلسطين من أجل المنجل والشاكوش شعار الماركسية والشيوعية.

لقد كان دفع هؤلاء إلى مقدمة الصفوف الفلسطينية، وإبرازهم على قمة هذا القتال كارثة وقاصمة ، ما نكبت الثورة بعثها،

١ - لبيب المعركة العدد ٤٥ التاريخ ٢٥ / شعبان / ١٤٠٩ هـ - الموافق ١ / أبريل / ١٩٨٩ م.
ملاحظة: كتب هذه الإقتتاحية في قطر وأرسلها بالفاكس حيث كان الشيخ في رحلة مع الشيخ تميم للتعريض على الجهاد.

وما أخصيت فلسطين بمعصية أشد منها .

لقد افترقت الثورة نفسها فوجدت أنها تعيش بلا محتوى، وتحيا بلا عقيدة، وتسير بلا استراتيجية، وإذا فقد أطاحت بهذا الكيان الهش ضربات سريعة من معاول الأنظمة المجاورة لإسرائيل . ووجدت الثورة نفسها تعيش انفصاما قاتلا بين قيادة تحيا على الشعارات، وبقوات العناوين والكلمات . وبين قواعد ما استطاعوا أن يخرجوها عن دينها فتتكر له، ولا هي تعرف دينها فتعمل له، فبقي لديها الولاء العاطفي الغامض لهذا الدين الذي لم يستطيعوا أن يجتثوه من أعماق القلوب، ولا أن يسلخوه من ثياب الفطرة ولا من بنية الصبغة .

ولذا فعندما تشتد الأزمة وتكثر الكروب عن أنيابها تجد القاعدة تتخلى عن قيادتها وتتصل من مسؤوليتها .

الدرس النموذجي:

لقد كان الأولى بالثورة الفلسطينية أن تدرك أن أبناء فلسطين لا يحركهم إلا الاسلام، ولا يجمعهم إلا هذا الدين ، وكان الأجدر لها أن تتجهج هذا الدين ملة وشريعة وسياسة وعقيدة ونهج حياة . كما فعل المجاهدون في أفغانستان الذين تكالبت عليهم الدنيا للتنازل عن هذا الشعار المرموق، واحتفى بهم الناصحون أن يخفوا ويواروا هذا الإعلان: (بأن الجهاد في أفغانستان لإقامة دولة إسلامية فيها)، ولكنهم أبوا وأصروا فانتصروا ووصلوا .

لقد كانت الأيام كفيفة أن تعلم من أراد أن يتعلم، ولقد كان في الأخطاء القاتلة التي ارتكبتها الثورة والخسائر والضربات التي تلقتها نتيجة لهذه المسيرة المهلكة عبرة لكل من أراد أن يعتبر، وموعظة لمن أراد أن يذكر أو يتبصر .

ولكن يبدو أن الطوفان لا يدع فرصة للإنقاذ أو الاعتاض:

[لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب] يوسف ١١١ .

الحرب الأهلية^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، ويعد:

في بيتي حيث تمت أودع مجموعة من الشباب القادمين لزيارة أرض العزة والفخار، انتحى بي أحد الشباب جانباً وأسر في أذني: أتني ذهبت إلى أحد العلماء أعرض عليه جمع الأموال للجهاد المبارك فأمسك بيدي وهمس في أذني قائلاً: أنصت أن لا تجمع الأموال لأفغانستان، وبلغ نصيحتي من يليك من أقربائك ومعارفك المتفانين لخدمة هذا الجهاد أن يتوقفوا عن جمع الأموال، لأن روسيا ناكسة على أديارها، وتحول الجهاد الآن إلى حرب أهلية، فلا تكن ممن يزيون نار الفتنة ضراماً، ويسكبون البترول على نار مشتعلة، ولنلا نشترك في سفك دماء المسلمين.

قال الشاب: فأنقبض صدري، وضأقت الدنيا في عيني، ثم خرجت والدوار يأخذ برأسي، ثم وجدت بعد ذلك أن هذه المقالة نغمة تعزف عليها الصحف والإعلام في كثير من أجزاء العالم العربي، وخاصة الصحف التي يدير محورها اليسار، ويقصد اليساريون من إطلاق هذه الشائعة إلى أمر:

١ - أن تكف أيدي المحسنين عن البذل وتمنع النفس من المشاركة في هذا الجهاد المبارك حتى لحظة الانتصار النهائي.

٢ - إقامة الحواجز النفسية بين الأمة وبين جهادها المتمثل في المعارك الضارية التي تنور رحاها حول جلال أباد وكابل وقندهار وسالنج.

٣ - الدفع بكثير من نوى النفوس الضيبة الذين لم يطلعوا على حقيقة الأمر ولم يتابعوا مسيرة هذا الجهاد بخطواته إلى اليأس أو الاستيئاس من كل جهاد صادق إذ أن أول سؤال يقفز إلى مخيلة كل واحد ممن لبس عليه ومن شارك من ذي قبل في البذل والعطاء هو: إذا كان جهاد أفغانستان قد انتهى بعد هذه الصفحات المشرقة في جبين الزمن، ومن بعد هذه التضحيات الوضيفة الفذة في تاريخ الإسلام قد انتهى إلى حرب أهلية، وأن يسفك المسلمون دماء بعضهم البعض، فعلى الدنيا السلام، وبطن الأرض خير

١ - لهيب المعركة العدد ٤٦ التاريخ ٣ رمضان ١٤٠٩ هـ - الموافق ١٨/٨/١٩٨٩م

للمسلمين من ظاهرها .

٤ - زرع اليأس في قلوب الكثيرين من أي عمل خير، وبخاصة الجهاد وبفهمهم إلى عزلة قاتلة يعيش فيها الإنسان الطيب فردية انطوائية مذهبنة، واجتثاث الأمل من قلوب الناس من أي عمل جماعي خير وذلك كما حصل للرهبان في العصور الوسطى عندما عم الفساد، وأسست أوروبا وغرق الناس في مستنقع جنسي عفن، وأصبح المجتمع جحيماً لا يطاق، تآذت الشهوات وتحركت النزوات، وحصل لدى الكثيرين في أوروبا، رد فعل عنيف هجروا فيه الحياة، وعزفوا عن الزواج، وانطوا على أنفسهم في أديرة معزولة عن الحياة منقطعة عن الدنيا، مبتورة عن رسالتها في إصلاح الناس ومحاولة انقاذهم.

٥ - اشتغال الأمة عن قضاياها الكبرى وأحداثها المصيرية، وصرف نظرها عن مشاركة المسلمين في أفراحهم وأتراحهم، وتمزيق الروابط الروحية بين أفراد هذه الأمة التي تمثل البنيان الواحد:

(مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)

(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً).

٦ - زعزعة عقيدة البراء والولاء لدى المسلمين، وتقطيع أواصر المحبة، وفك عرى الإيمان، ففي الصحيح:

(أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله)

وفي الصحيح:

(حققت محبتي للمتحابين فيّ، وحققت محبتي للمتواصلين فيّ، وحققت محبتي للمتناصحين فيّ، وحققت محبتي للمتزاورين فيّ، وحققت محبتي للمتباذلين فيّ، المتحابون على منابر من نور يفيضهم بمكانهم النجوى والصديقون والشهداء).

وهذا لا بد أن تنبه المسلمين إلى قضيتين كبيرتين:

أولاهما: أن هذا الجهاد قد قام منذ اليوم الأول بين الأفغان أنفسهم، لأن الجهاد قد بدأ منذ الخطوة الأولى واضح الرؤية، ناصع الهدف، بارز الغرض وهو: إقامة دين الله في الأرض، وإنشاء مجتمع إسلامي، لقد كان جهاداً بين إسلام وكفر، بين إيمان والحاد، وبين حركة إسلامية وحركة شيوعية.

بدأ بين أبناء الدعوة الإسلامية والعلماء من جهة (حكمتيار ورياني ونصر الله منصور) وبين داود العلماني الذي أتى محمولا على الكف الشيوعية الحمراء من أجل تصفية التيار الإسلامي في أفغانستان من جهة أخرى، ثم استمر الجهاد مع الشباب المسلم والعلماء الذين يقودون الشعب المسلم من جهة وبين تراقي مؤسس الحزب الشيوعي من جهة أخرى، واستمر القتال من إبريل سنة (١٩٧٨م) إلى سبتمبر سنة (١٩٧٩م).

واصل الشعب المسلم قتاله ضد حفيظ الله أمين الشيوعي من سبتمبر (١٩٧٩م) إلى ديسمبر (١٩٧٩م)، ثم تدخلت روسيا في ٢٧ ديسمبر سنة (١٩٧٩م) بأساطيلها الجوية والبرية حاملة معها بايرك كارمل، وقتلت حفيظ الله أمين بعد أن قتلت الشيوعية من قبل رفيقيه تراقي وداود.

واستمرت المعركة بضرامها ما خف لها أوار، ولم يعرف المسلمون راحة ولا استقراراً حتى ١٥ فبراير (١٩٨٩م)، حيث هربت روسيا ممزقة ذليلة، اندحرت شر اندحار، وعادت المعركة سيرتها الأولى بين المجاهدين وبين الشيوعيين الأفغان.

٢ - إذا كان القتال بين المجاهدين وبين حكومة نجيب الشيوعية حرباً أهلية إذن فالقتال بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين قومه في بدر وأحد والخندق وفي فتح مكة كلها حرب أهلية، لأن أهل مكة هم أهل وعشيرته وبنو عمه وأقاربه، ولم تكن روابط النسب وأواصر اللون والجنس في أي دين من الأديان هي الدافع للقتال أو الكف عنه.

إن العقيدة هي الرابطة الوحيدة بين أبناء هذا الدين، وهي الدافع الوحيد للتضحية من أجل إقرارها في واقع الأرض (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له).

وعندما استشار النبي صلى الله عليه وسلم في أسرى بدر قال أبوبكر:

(يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإنني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه قرة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضداً).

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ترى يا بن الخطاب؟ قال: قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر، وإنني أرى أن تمكنني من فلان -قريب عمر- فأضرب عنقه، وتمكن عليا من عقيل بن أبي طالب فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هودة للمشركين وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر، ثم جاء عمر وهما يبكيان، فقال يا رسول الله أخبرني ما يبكيك أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاء بكاء لم أجد بكاءً، وبكيت لبكائكما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء، فقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة -شجرة قريبة-

وأنزل الله تعالى:

(ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) (الأنفال: ٦٧-٦٨)

ومعنى الإثخان: الإكثار من القتل.

لقد كان العتاب وعرض العذاب بسبب قبول فداء الأسرى وعدم قتلهم، فهل ينتبه المسلمون ويعلمون أن الإثخان في الاقارب من الشيوعيين فرض على المجاهدين؟

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

صناعة التاريخ (١)

وتاريخ الأمم إنما يجري بقدر من الله على أيدي أقدان يسطرون بدمائهم ويشيدون بمواقفهم وصلابتهم أمجاد الأمم وحصون عزتها وقد بدت صناعة التاريخ الإسلامي جليلة في أفغانستان، فبدأت معاقل الإسلام الحديث ترتفع، ولكن بالجماع لا بالحجارة والصوب.

وكان المجاهدون الأفغان جزء من قدر الله لهذه الأمة التي بدأت تنهض من كبوتها، وتستيقظ من سكرتها وترتفع من مستنقع وهبتها وارتكاسها.

والأمم تحرص على كتابة تاريخ أقدانها لتربية مستقبل أجيالها، وبناء الناشئة من أبنائها على القيم التي ضحى من أجل غرسها أبطالها وقممها.

وأفضل طريقة لتربية الأجيال هي: تدريسها تاريخ أمجادها من خلال سير مصليها وقادتها وأبطالها، فنحن نقاسي برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ونسير على هديهم، ونقتبس من النور الذي جاء به، ونقتفي أثرهم (أولئك الذين هدى الله لهداهم اقتداً).

وكما كانت الأمثلة شاخصة حية، وأحداثها ساخنة جديدة، فإن واقعها في القلوب يكون أعمق، وأثرها في النفوس وتوجيهها أشد وأقيم وذلك لأن الشواهد الحاضرة بواقع ومحركات القلوب، أن تشابه وتباري، لأن نداء الأعماق من القلوب ينادي بقوة هذا شاب مثكم يعيش كما تعيشون، ولفقه البيئة التي لفتكم، وأظله الجو الذي يظلكم، فما باله قد سبقكم؟

أوليس بإمكانكم أن تسلكوا كما سلك، وتسيروا كما سار؟

الخيار الصعب :

وكثيراً ما نواجه ونحن نفتح وصايا كثير من الشهداء بمشكلة أنهم يخرجون علينا أن لا نكتب عنهم كلمة، فقد كتب سعد الرشود: لا أسمع لمجلة الجهاد ولا البيان المخصوص أن تكتب عن كلمة، وأبو بجانة (عادل فارس): أوصي أن لا يكتب عن شيء.

١- ليب المراجعة العدد ١٧ التاريخ ١٠ رمضان ١٤٠٩ هـ - الموافق ١٥ / يولي / ١٩٨٩ م.

وأبو مسلم الصنعاني: من كتب عني شيئاً فأننا حجيجة يوم القيامة. وسألت نفسي كثيراً: وهل يحق لهم أن يمنعوا الناس أن يتكلموا عنهم بخير ، إن هؤلاء أصبحوا جزءاً هاماً وشريطاً حياً من تاريخ هذه الأمة، فليس لأحد أن يقص شريط التاريخ المشرف بحجة أن صورته وردت فيه أو ذكره مرّ خلاله، أن دعاء هؤلاء الشهداء قد روت شجرة هذا الدين، وسطروا بأحرف من نور تاريخ هذه الأمة . فكم ستحرم أجيال لو أخفى التاريخ النماذج المشرقة، والقمم السامقة من أبناء هذه الأمة ابتداءً بأبي بكر والخلفاء الأربعة والصحاب الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، والأبطال الأفاضل أمثال سعد ومصعب وحمرزة والقعقاع وعاصم والمقداد والنعمان وعكرمة وخالد وأبي عبيدة ، وكم ستخسر الأمة من رصيدها الثري الذي يكون المعين العذب الذي تنهل منه الأجيال عبر العصور، لم تعد سير هؤلاء الصادقين ملكاً خاصاً يورث من قبل ورثته، أو مالا يوصى به إلى جهة خيرية ويصرفه كما يشاء، لقد خرجت سيرهم وقصصهم من ملكهم الخاص إلى رصيد أمة تحيا بذكرى أفاضلها، وتعيش أجيال مقتنية الجادة القويمة التي قضى عليها أسلافها وانعتها، لقد أوصى كل واحد بأن لا يكتب عنه بعداً عن الرياء، واختقافاً عن مواطن الضوء إلى السى الظل، وذلك حرصاً منهم على تمحيص النية، وتقرير الإخلاص، فمضوا بإخلاصهم وصدقهم وثوابهم، وكم يحز في نفسي أنى لم أكتب عن سعد الرشود، ذاك كنت إذا جلست إليه أشعر أنني أمام قمة شامخة، وعلاق ضخم مع أنه في ثقافته لا يتعدى الثانوية العامة .

والآن واجهنا أبو مسلم الصنعاني بوصيته التي تعني تمزيق صفحة وضاعة من تاريخ الأمة الإسلامية الحديث، وقطع جزء من الشريط الحي الذي يخصه البهاء وينيره السناء وتكون له المهابة إطاراً جميلاً فريداً .

إن الكلام عن الشهداء فرض من رب العالمين، لأنه جزء من التحريض على القتال الذي افترضه الله على كل مسلم: (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرّض المؤمنين).

ولو علم الشهيد كم سيسوق الله له من الخير، ويوصله إلى قبره من الثواب بذكر قصته لأمسك عن الوصية، فكم من القلوب الميئة أحبتها قصص الشهداء، وكم من الشباب قد وفدوا إلى الجهاد لقراءة قصة شهيد ، وكم من تائه رد إلى الله وكم من فاسق أب بها

ففي القتل لأجيال حياة وفي الأسرى فدى لهم وعق

إن هؤلاء الإخوة ينسون أنه (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) كم نفع الله بوصية الشهيد عبدالرهاب صالح الردة الغامدي ؟

فعندما سمعت بوصية أبي مسلم (عبدالله النهدي) قلت سأكتب عنه، وعندما تلتقي بين يدي الله سأقول له: (يارب إن عبدالله النهدي يريد أن يحرم الناس الخير بعدم الكتابة عنه، ويريد أن يمنع الأمر بالمعروف والتعريض على القتال بمنعه لنا أن نكتب عنه)، ولذا فأني سأكتب عنه وعن كل شهيد ولو أوصى بعدم الكتابة عنه، لأنه جزء من التاريخ، وإذا كان الله قد أباح لنا تبديل وصية الميت في ماله الخاص عند خوف الميل والظلم فما بالك بسيرته الصالحة التي هي حق للأمة المسلمة كلها؟ (فمن خاف من موصل جنفاً أو اثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) «البقرة ١٨٢» أي لا يلحقه إثم التبديل، لأنه تبديل مصلحة، والتبديل الذي فيه إثم هو تبديل الهوية/انظر القرطبي (٢/٢٧٠).

الحمد اليهودي الصليبي^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإننا نواجه كمجاهدين عرب في هذه الأيام حملة إعلامية شرسة تشنها علينا أجهزة الإعلام الغربية وتبولى كبرها BBC وصوت أمريكا وصوت إيران الحرة ومونتى كارلو، قلقد اشتدت الحملات الصليبية التي يحركها بطرس الناسك على المجاهدين العرب في داخل أفغانستان.

فلقد نشر مركز المعلومات الأمريكي في بيشاور تقريراً نقلاً عن الواشنطن بوست الأمريكية اليهودية تحت عنوان (نشاط الأصوليين العرب في حرب أفغانستان) يقولون فيه: (يلعب الأصوليون العرب من الشرق الأوسط دوراً مؤثراً ومعادياً للغرب بدرجة

١ - لبيب الحركة العدد ٤٨ التاريخ ١٧ رمضان ١٤٠٩ هـ - الموافق: ٢٢ / إبريل / ١٩٨٩ م.

كبيرة، وذلك عن طريق جهود تقوم بها العصابات القذائية الأفغانية من أجل بناء مستقبل سياسي في أفغانستان، ولقد أبدى كثير من الأفغان وبعض الدبلوماسيين الغربيين اهتماما في الأسابيع الأخيرة بما يقوم به العرب من استخدام للأموال والمتطوعين والرموز والشعارات الإسلامية من أجل إشعال ثورة أصولية اجتماعية وسياسية في أفغانستان).

ويقول دبلوماسي غربي في إسلام آباد (إن حجمهم أكبر مما نتوقع، ومعظم أعمالهم هي ضد الغربيين)، ونشرت القوائم الأمريكية مقالاً عن مستشفى الفوزان الذي تديره لجنة الدعوة، وجاغتني رسالة من الأخ عبدالله أنس عند القائد أحمدشاه مسعود يقول فيها : لقد تعرضت لك محطة الـ BBC بالإسم وأنا سمعتها بالفارسية تقول : هو بروفيسور جاء قبل ست سنوات إلى أفغانستان، من قيادات الإخوان المسلمين المتطرفة، وجمع الشباب المتطرف من جميع العالم الإسلامي وقد ادعوا أنهم جاءوا للشهادة في سبيل الله، ولكن ليس الأمر كذلك، جاؤا لنشر الوهابية عن طريق القادة الأصوليين الثلاثة (سياف وحكمتيار ورياني) بالفارسية.

وقال لي الدكتور أبو ذر : لقد سمعت تعليقا من محطة صوت أمريكا بالفارسية عنك بالاسم نقلا عن واشنطن بوست تقول فيه: إنه جاء لنشر الوهابية ويوزع كتابه آيات الرحمن في جهاد الأفغان .

وقد نشرت جريدة المسلم الباكستانية (ذات الإتجاه الشيعي الشيوعي) مقالا حاقدا ينضح بالسم والكذب تقول فيه : لقد جاء العرب للاغتصاب والنهب والسلب ١٠٠ الخ ، ثم تشير حفيظة النظام الباكستاني علينا فتقول: (وقال مسؤول باكستاني في إسلام آباد إذا استمر العرب في النهب والقتل والاغتصاب حتى بعد سقوط جلال آباد فستكون هذه نهاية جهادهم).

وفي جريدة الهيرالد تريبيون الأمريكية مقال كذلك وتعرض لي بالاسم: أنه بروفيسور فلسطيني يجمع حوله الشباب المتطرف . ويحدثني الثقة قائلا لقد حدثني أنه سمع بأذنه السفراء الغربيين في إسلام آباد يتحدثون قائلين: إن هذه هي الأداة الجديدة للإجهاد على الحركة الإسلامية في أفغانستان وهي استعمال سلاح الوهابية (THIS IS THE NEW INSTRUMENT...) .

وسبب الحملة الشعواء المسعورة التي يدير كير نارها الحقد الصليبي اليهودي الأعمى ضد هذا الدين الآن هو الفرع العالمي من قيام حكم إسلامي في أفغانستان، إذ أن كل الأساليب الغربية الأمريكية لسرقة ثمار الجهاد وفي زحزحة هذا الجهاد عن مساره القويم كلها والحمد لله قد باءت بالفشل، فقد فشلت العروض المطروحة: عودة ظاهر شاه، ثم الحكومة الائتلافية، ثم الحكومة المحايدة، ثم الحكومة ذات القاعدة العريضة، وكلها عادت عليهم بالويل والخسار، وهم الآن يرون ليوث الله شاخصة على أبواب جلال آباد وقندهار وكابل، ويرون حكومة نجيب تترنح للسقوط، والحكومة الجهادية القادمة على رأسها الأصوليون المتطرفون (سياف وحكمتيار ورياني وخالص) .

وسقط رهانهم الذي كانوا يقامرون به أن العرب ستحول حريا أهلية بين المجاهدين، وأنها ستاكل الأخضر واليابس، قرأوا أن الجهاد حول المدن يتم من خلال قيادة موحدة وتنسيق تام .

وهم يرون حكومة نجيب ستسحق عما قريب -إن شاء الله- تحت أقدام ليوث الغاب التي تتلمظ غيظا على أعداء الله كيما تفرسها وتمزق أوصالها، والشعب الأفغاني يواصل زحفه تحسنت رايات الطفر، وكأن لسان المراقبين تنشد لهم:

تحمي السيوف على أعدائه معه كأنهم سن بنوه أو عشائره

إذا انتصاهما لحرب لم تدع جسدا إلا وباطنه للمين ظاهره

إن الغرب لازال يطمع أن يصل إلى الأفغان ولو عن طريق الإعمار، وفي يد صدر الدين أغا خان بليونان (ألفا مليون دولار : للمرحلة الأولى والثانية) لإعمار أفغانستان .

وهم يجنون العرب حجر عثرة أمامهم حيثما حلوا وأينما نزلوا أو ساورا، ومن السهل إشعال قلوب الغرب غيظا وحقدًا، فالأطباء الغربيون منبئون رغم الوسائل الحديثة والأموال التي بين أيديهم، فالعيون الزرقاء مع الشعر الأشقر يثير اشمئزاز الأفغاني من الأعماق ، وهم يرون العرب يتدافعون على الموت كأنهم في حفلة عرس :

يستعذبون منايهم كأنهم لا يخرجون من الدنيا إذا قتلوا

ويرون رواي الهندوكوش وكوه بابا وسليمان قد توجت بقبور المجاهدين العرب من جميع الجنسيات، ويرون أن جلال آباد قد

ضمت بين حفاياها وشهدت أنجادها وهماها حوالي أربعين شهيدا عربيا في شهر واحد .
ويرون أن العرب يقفون مع المجاهدين الأفغان في خندق واحد يشرعون هأمانهم وأعناقهم للرصااص متسابقين على الجنة والحدود، ويرون العرب يقومون بعملية ضخمة كبيرة وهي إصلاح ذات البين بين فصائل الجهاد مما لا يقوم به غيرهم .
ويرون الدكتور صالح الليبي يحل في بلغ فيطرد القائد محمد علم بعثة طبية فرنسية كاملة مكونة من تسعة أشخاص، ويستغني عن المستشفى والأنوار التي أخذوها عند طردهم ، ويرون عبدالله أنس يوقف نار فتنة عمياء في اشكمش كاد يشعل فتيلها شاب أحرق مدفوع من أيادي قذرة، ولو اشتعلت النار لاكلت الأخضر واليابس بعد أن قدح الزناد واشعل الفتيل فأطفأها الله بعبد الله أنس وإخوانه .
ويرون العربي قد ترك ثراعه ووظيفته وشركته في السعودية أو في الخليج أو الأردن . . . وجاء يعيش على الخبز الجاف والشاي في نرى الجبال، ويرون أسامة بن لادن قد ترك مشروعه في توسيع الحرم المدني لإخوانه وعطاؤه (ثمانية آلاف مليون ريال سعودي) وألقى بنفسه في أتون المعركة .

فماذا يقولون عن العرب وهم ركن حماية ثمار جهاد يثيرون به حفيظة الأفغان؟
يقولون الوهابية التي جاءت لتهدم المذهب الحنفي وعلاماتها حركة الإصبيع ورفع اليدين كثيرا عند الصلاة .
إنهم يرفعون عقيرتهم قائلين للأفغان : انتبهوا انتبهوا من خطر الاستعمار الوهابي الجديد الذي سيهدم مذهبكم الحنفي الذي ضحيتكم من أجله، وأسلمتم الدماء أبحرا في أفغانستان . ولكن (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)
أما نحن فمأضون إن شاء الله على هدى كتاب ربنا وسنة نبينا والمذهب الحنفي احترامنا على رؤوسنا وفي قلوبنا حبا، ونحن نعتبر أن أبا حنيفة هو الإمام الأعظم، ونردد كلمة الشافعي:
(الناس في الفقه كلهم عيال على أبي حنيفة)

ونقول للصليبيين :

(قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور)

ولن تستطيعوا أن تحركوا قلوب المجاهدين ضدنا لأن القلوب بيد صانع القلوب وعلام الغيوب، ونزداد إيمانا بقول ربنا سبحانه:

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) .

دور بريطانيا في محاربة الإسلام^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

إن المتتبع لتاريخ بريطانيا في القرنين الأخيرين يرى بجلاء لا غش فيه ، ووضوح لا غموض يلابسه أن الإنجليز قد أنروا دوراً كبيراً في تدمير الإسلام وتحطيم المسلمين في كل مكان ، فهم حيثما حلوا وأينما ساروا يدركون أن أمامهم شبحا رهيبا وغولا مفرعا لابد من التخلص منه والإجهاز عليه - وهو الإسلام - .

فقد كان لبريطانيا القدح المعلى في رسم سياسة إسقاط الصرح الشامخ الذي تجمع حوله المسلمون بضعة عشر قرنا ، فالجنرال ألنبي هو الذي اتصل بمصطفى كمال أتاتورك ومناه بحكم تركيا فيما لو فسح له المجال لضرب الجيوش التركية في فلسطين، وفعلاً تقدمت خيالة الإنجليز وطعنات مؤخرة الجيوش التركية الأربعة، وسقط في أسرها (قرابة مائة ألف أسير)، ودخل ألنبي القدس في (١٧ / ١١ / ١٩١٧) وقال : (الآن انتهت الحروب الصليبية) .

وكرزون (وزير خارجية بريطانيا) هو الذي عقد معاهدة لوزان مع عصمت أنينو مندوب أتاتورك والتي استمرت ثلاثة أشهر

^(١) الموقعة العدد ٤٩ التاريخ ٢٤ / رمضان ١٤٠٩ هـ - الموافق ٢٩ / أبريل / ١٩٨٩ م

(من أكتوبر سنة ١٩٢٢ - فبراير ١٩٢٣) واشتراط فيها مندوب أتاتورك الشروط الأربعة :

١- إسقاط الخلافة.

٢- محاربة أية محاولة لاستعادة الخلافة.

٣- محاربة الشعائر الإسلامية .

٤- اتخاذ قانون أودوي بدل الشريعة الإسلامية.

وبريطانيا هي التي زرعت اليهود في فلسطين، ورعت جنين السفاح اليهودي حتى تم نوره وولد فوق أرض فلسطين، وهي التي أهدت الأراضي للوكالة اليهودية، ومد هريبرت صموئيل المندوب السامي البريطاني اليهودي في فلسطين أجنحته ليخفي التسلل اليهودي والهجرة إلى فلسطين .

وبريطانيا هي التي دمرت قلب البلاد العربية النابض (مصر)، ودنلوب/ المستشار التعليمي البريطاني في مصر هو الذي رسم الخطة المتكاملة لتغريب مصر وإنهاء نور الأزهر، وهي التي أبرزت الزعائف والروبيصات التي أعملت معاولها في تدمير مصر والعالم العربي مثل : سعد زغلول وطه حسين ولطفي الخولي وقاسم أمين ومحمود المويلحي ...

وبريطانيا هي التي أسقطت الحكم الإسلامي الذي بقي يحكم الهند حتى سنة (١٧٥٧م)، ثم عملت على إفساد المسلمين في القارة الهندية، وسحقت النفسية الإسلامية، وريت جيلا علمانيا لا هو إسلامي ولا هو نصراني، وجعلت مدرسة أحمد خان الفكرية رائدة للجيل من خلال جامعة عليكرة .

وقال مستشارهم التعليمي في الهند (نريد أن ننشئ جيلا هندي البشرة غربي العقل والتفكير)، وبريطانيا هي التي خدعت الشريف حسين وزجت به في أتون الحرب الأولى، وأشهر حسامه في وجه تركيا مقابل وعودها له أن يكون ملك العرب، ثم أخذته ونفته إلى قبرص، ومزقت أملاك الدولة الإسلامية التركية في معاهدة سايكس بيكو .

وبريطانيا هي التي جاءت بالحكم البعثي إلى العراق سنة (١٩٦٨) عن طريق العبيدي وميشيل عفلق ، وبريطانيا هي التي نشرت زراعة الحشيش والأفيون في أواسط آسيا (حدود أفغانستان وباكستان والصين)، وأقامت شركة الهند الشرقية حربا على الصين عندما رفض إمبراطورها زراعة الأفيون في بلاده وتدمير شعبه بيده .

وبريطانيا هي التي جاءت بالشيعيين إلى عدن واليمن الجنوبي قبل خروجها .

والآن (تشكل المخابرات البريطانية العقل المفكر والمستشار لكل معسكر الكفر الغربي والشرقي)، فبريطانيا هي عقل هذا المعسكر وعضلاته أمريكا، ولذا فإن أمريكا ترجع إليها في الأمور التي تختص في محاربة الحركات الإسلامية، وتحجيم الصحوة الإسلامية وإخفاتها صوت انتفاضة الجهاد في بيت المقدس، وذلك لأن بريطانيا قد خبرت الشعوب الإسلامية من خلال حكمها لها، وهي التي تعرف الثغرات التي يمكن أن تدخل منها لضرب الإسلام في الصميم ولطعته في الأعماق .

وفي أفغانستان: حاولت بريطانيا من خلال ثلاث حروب سنة (١٨٤٢ ، ١٨٨٠ ، ١٩١٩) أن تضع لها موطئ قدم فيها، فتكبدت خسائر ضخمة لن تتسامها ، ففي سنة (١٨٤٢) فقدت جيشا بكامله عداة ستة عشر ألفا، ولم ينج منه سوى ٥٠٠ برايدون ، وفي الثانية سنة (١٨٨٠) فقدت جيشا عداة أربعة آلاف في خرد كابل، وفي الثالثة (١٩١٩) هزمت ودخل الأفغان شمال غرب الهند بطارئون قلول الجيش الإنجليزي المنهزم، مما اضطر تشرشل أن يعلن استقلال أفغانستان من لندن .

دور إذاعة BBC

والآن تعتبر BBC هي ببسي الشعب الأفغاني، فهي تبث يوميا أربع ساعات ونصف بالبوشتو، وأربع ساعات ونصف بالفارسي، وهي تحاول أن تبث سمومها من خلال نشراتها وتعليقاتها ، وتجد الأفغاني واضعا سماعة المذياع على أذنه واللقمة في فمه ، وتستعمل الآن سلاح الوهابية محاولة منها للتفريق بين المجاهدين العرب وبين إخوانهم المجاهدين الأفغان ، وكذلك الغرض من مكانة قادة الجهاد الحقيقيين مثل سياف وحكمتيار ودياني وخالص، وتود التفريق بين هؤلاء وبين الشعب الأفغاني باتهام الثلاثة الأوائل بتهمة الوهابية .

العرب من الإسلام

وبريطانيا ترى الجهاد الأفغاني يقترب من النصر، وبدأ يقيم دعائم الحكم الإسلامي، وحكومة نجيب قلاب قوسين أو أدنى من السقوط، ولذا فقد خرجت الـ BBC عن طورها، ورفعت عقيرتها، وأصبح كذبها صراحاً وافترافاً واضحاً .
فقد أذاعت يوم الإثنين (١٩ رمضان ١٤٠٤ هـ) أن معركة جلال آباد يخطط لها (المخابرات الأمريكية C.I.A. والاستخبارات الباكستانية I.S.I).

ثم أردفت لقد قتل من العرب في جلال آباد (٩٤) شخصاً و(٢٦٠) (مائتان وستون من الجيش الباكستاني)، وهذا محض افتراء، إذ أنه لم يقتل حتى الآن جندي واحد من الجيش الباكستاني .
وتقول BBC محذرة من سقوط جلال آباد : (إن سقوط جلال آباد سيكون خلال يومين)، وذلك لاستثارة همم أهل الكفر في كل مكان، واستنهاض الشيوعيين في روسيا لعلهم يقدمون شيئاً لانتقاد الحكم المتهاوي .
وأنا - إذ أكتب هذا المقال - على بعد (٣ كم) فقط من جلال آباد أشهد أن الـ BBC كاذبة (والله يشهد إنهم لكاذبون) .

حرمة الاستماع إلى إذاعة الكفر وغيرها:

وإذا كان الله عز وجل قد نهى عن الاستماع إلى المشبطين والمرجفين ولو كانوا مسلمين، فكيف بالاستماع إلى المخذلين والمرجفين من الكافرين؟! إن الاستماع إلى هذه الإذاعات حرام على الأميين وأشباههم الذين تخدعهم الدعاية وتؤثر بهم .
ومصدق الله العظيم :

(إِنْ لَّمْ يَسْكَمْ حِسَّةٌ تَسْؤُهُمْ وَإِنْ تُصْبِحُ سَيْئَةً يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنْ أَلَّهَ بِمَا يَحْمِلُونَ
محفوظ - آل عمران ١٢٠هـ)

مغامرات فرين دايزو^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

فقد شهدت الساحة المحيطة بجلال آباد معارك عنيفة وانتصارات رائعة في العشر الأواخر من رمضان ، وحقق الإخوة المجاهدون (أفغان وعرب) انتصارات كبيرة، وفتح الله عليهم فتوحاً عظيمة في هذه الأيام المباركة والليالي الفاضلة ،
وخرج العدو عن طورهم وقد صوابه، وأخذ يضرب ضربات جنونية ، فالطيران لا تعرف له الهدوء ولا الاستقرار لا في ليل ولا نهار ، طائرات ٢٧ MGC (سرعتها ثلاثة أمثال سرعة الصوت)، مع أن صاروخ ستنجر سرعته لا تصل إلى ضعف سرعة الصوت ، وطائرات اليوشن الناقلة الكاشفة القاصفة التي تصل حمولتها (٩) أطنان ، إلقاء قنابل الغازات السامة نراها تلقي علينا ، الغازات الصفراء وغاز القردل ، صواريخ سكود تطلق بغير حساب ، ثلاثة منها أطلقت ووقعت دفعة واحدة على مقربة من مقرنا ، ويطلق صواريخ (اسكود) ويقع على بعد مائة وخمسين متراً من سيارة تقل بعض الإخوة ، وكان أبهر محجن المكسي في مؤخرة سيارة البكس ٤X٤ ، ويحمله هواء الصواريخ ويلقيه بعيداً عن السيارة وينجيه الله - عز وجل - .

محمد قاسم الكردي يقود سيارتنا ويحمل معه أحد القادة الأفغان مع مجموعته، ويضلون الطريق ليلاً، ولا يجدون أنفسهم إلا بباب الفرقة (٨١) التي تحمي جلال آباد، ثم يتراجعون بسرعة ، وفي الصباح يعودون ويضلون الطريق مرة أخرى، وإذا بهم ييسن مراكز الشيوعيين، وفتح العدو عليهم رشاشاته، وظن محمد قاسم أن بعض إخوانه العرب يطلق عليه مازحاً، وأنهم الرصاص فأنرك أنه في قبضة العدو، وبسرعة خاطفة يرجع بسيارته إلى الدراء والرصاص يتصبب عليه، وهو بين نارين، نار الرصاص ونار الرجوع الذي يتوقع منه التدهور بسيارته في حفرة أو هاوية، ويصل بالسيارة إلى حفرة تغطي معظم السيارة، ويتركها ويجري بين المراكز

١ - لبيب المركة العدد ٥٠ التاريخ ١/١٤٠٩ هـ الموافق: ١٩٨٩/٥/٦ م - يلاحظ القارئ هنا أن هذه الاستلحاحية كتبت في ١٠ جوان أي أول أيام عيد الفطر السعيد حيث كنا نصارع الزمن حتى لا تنسج على المسلمين من التاريخ شيئاً لذا فقد كانت أيام العطلة الرسمية عندها عمل باستمرار.

المختلطة - مراكز المجاهدين من جهة ومراكز الشيوعيين من جهة - ويتوقع الموت من رصاص المؤمنين ورصاص الكافرين .
ويعز على محمد قاسم أن يترك السيارة غنيمة للكافرين، ويرجع أدراجة إلى السيارة لتأمينها في مكان مطمئن نفسه عليها،
وبمجرد أن يقترب من السيارة تفتح عليه الرشاشات، وأما لسان حال محمد قاسم فهو يردد:

دع المداد وسطر بالدم القاني وأسكت الفم واخطب بالفم الثاني
فم المدافع في صد العداة له من البلاغة مسا يذوي بسحبان

وتفتح السيارة وساقها وأرجعها ووضعها في حفرة تغطيها عن رصاص العدو، وعاد ومشى بين المراكز، واتصل بجهاز اللاسلكي بأسماء، فرد عليه وطلب منه أن يصف له مكانه، ومشى في الطريق المزودة بالآلغام يتوقع الموت من كل جهة، وبدأ يتلفت ليرى إخوانه العرب، وإذا برصاص المجاهدين ينهمر عليه يظنون أنه جنود الكفر، وصاح ولم يسمعه أحد، وأخيرا اضطر أن يقف ويرفع يديه ويرفع عقيرته بالصياح لتتوقف رصاص المجاهدين .

وأخيرا وصل مركز أسامة الأوزيكي، وتشاوروا فيما يمكن عمله لإنقاذ السيارة، وتحرك يوسف طلعت (عبد الأول) وأبو قتيبة ومحمد قاسم نحو السيارة ، وقبل وصولهم السيارة انهمر الرصاص عليهم، فاخبتوا وتقدموا إلى السيارة، وبدأوا يمهّدون طريق السيارة بالمعاول التي أخذوها معهم ، وبعد التشاور قام عبد الأول ليسير بنفسه، فإذا انتبه العدو توقفت السيارة، لمسار عبد الأول ولم يفتح عليه الرصاص، فشغل أبو قتيبة السيارة واتصل بالجهاز براجمة المجاهدين أن تشغل العدو حتى يمر من أمام مراكزهم، وانطلق الصاروخ الأول، واختبأت الفران في جحورها، وانطلقت السيارة تنهب الأرض، ووصل الإخوة بسلام .

أبو فاروق الجدائي: وهذا أبو الفاروق ينام في خندقه ويجانبه أخ حارس، فما راعه إلا وألقى الكويرا تلعب على صدر أبي الفاروق، فأسقط في يده لأنه لم يكن بإمكانه أن يطلق النار عليها، فأسلعه لصيره بين يدي هذا التين، فنجاه الله ومضت الأقوى .

عوض العرادة: وتطور المعركة في الثاني والعشرين من رمضان، ويفتح الله فتحا عظيما على المجاهدين الذين يقدمهم خالد الأعرج (التابع للشيخ يونس خالص) والقائد سارنود التابع (للشيخ سياف)، وبدأ أعداء الله يفرون أمام المجاهدين، وكان أبو طارق (عوض بن علي بن مبخوت العرادة) يقود سرية الأسلحة الثقيلة، ولدى رؤية هذه المناظر طارت نفسه شوقا لمطاربتهم وهو يرى الدبابات فارة مدبرة (كأنها حمر مستنفرة قوت من قسورة)، ويستأذن المرة تلو المرة في الانقضاض على أعداء الله، بعد إلحاح شديد يائذن له أبو عبدالله، وينطلق عوض كالسهم، ويمتشق قاذفه الصاروخي ويتبع الدبابات التي لا تدرى على شيء، ويقدر من الله بتسطل جنزير إحدى الدبابات المولية، وتوقف وراءها مصفحة، ولم يجد طاقم الدبابة بدا من النفاذ عن نفسه، ودار فوهة مدفعه نحو أسد (عوض)، ويطلق القذيفة التي تناثرت شظاياها، فطارت إحداها إلى لبته (نحره) وأردت بحياته، وما لنا لا نودعه مع إخوانه بنشيد نردد فيه :

ديننا خنجر يمزق وجبه الليل	إن قام للظلام وجبه سود
همة تفرع الزمان وعزم	لا ارتضاء وخيبة وركسود
هاتف والصعاب تحدد فيه	وهو في ساح الزمان وحيسود
مسلم يا صعب لسنن تقهرينسي	صارمي قاطع وعزمي أكيد
من دعائي في مقفرات البراري	يطلع الزهر والحيا والورود

وحمل البطل السجى في السيارة وحوله إخوانه الذين كانوا يشاركونه هذه الرحلة المصيرية (أبو علي المثنى ، وأبو عيسى ، وأبو معيص ، وأبو عبدالله المأربي)، ويؤكدون لي وأنا أسألهم المرة تلو الأخرى: أو قد شممتم له رائحة طيبه؟ وهم يقولون : شهادة؟ فأقول لهم شهادة تقفون بها بين يدي الله - عز وجل -! فيعوبون ويصرون أنهم كانوا يشمون رائحة نفاذة كالمسك يعبق شذاها بالأنوف. ويضوع عرفه في الجو تهب بين الحين والآخر .

وهكذا تستمر رحى الإسلام في دورتها تختطف من بيننا خيارنا بأمر الله وقدره، ويبقى العزيز مستمرا يخط تاريخ الأمة الإسلامية الحديث .

وبالأمس (٢٦ رمضان ١٤٠٩هـ) كانت المعركة حامية الوطيس مضطربة الأوار بعد أن أحرز المجاهدون نصرا جديدا واستولوا

على مركز، وجمعت الدولة قوتها وألقت بثقلها، وحاولوا أن يستعيدوه، ولكن نون ذلك خوط القتاد، وردوا على أعقابهم خاسرين، ولا زالت الطائرات تحوم فوق مركزنا حتى كتابة هذه الكلمات، وتلقي بقنابلها المنثارية (المنقرضية) التي تنفجر في الجو وتحترق على مائتين وخمسين قنبلة تتساقط عليك، لا ينجيك إلا الله ثم مغارة أو خندق مستوف، وما سوى ذلك فلا نجاة ولا مناص، وعلى مقربة من أحد الإخوة تلقى الطائرات بقذيفتين وينجيه الله منها، فيطلق قائلا: كاذ قلمي من هول المنظر يتوقف عن النبض، كل هذا وكأن الإخوة في عرس، بعضهم يضطك، وآخر يبتسم، وثالث يصور المناظر بنكات، ورابع قائم يصلي، وخامس حامل مصحفه يثلو وهو يسابق ساعات الأيام الأخيرة لهذا الضيف الكريم الذي بدأ يلم أذياله ليردنا .

وفوق هذا كله تقوم الطائرات ليلا أو نهارا بنثر الألغام الفردية (كالغراش أو الجرانة حجما ولونا) حتى تذهب بأقدام المجاهدين أثناء تنقلهم، وكلما أغارت الطائرات أو تساقطت الحمم أو تفجرت الصواريخ أو نزلت الصواريخ المنطلقة من راجماتها نردد قوله - عز وجل -

{ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد } (ال عمران: ١٢).

ومع هذا كله ورغم هذه الانتصارات التي وصلت في يومين قرابة (٧ - ١٠) كم في العمق، وتكشفت لهم مدينة جلال آباد، ورغم أن المجاهدين يقفون على أبواب الفرقة (٨١) وقد هاجموا قبل عدة ليال، ورغم أننا نطل على جلال آباد وطريق كابل (سرخ رود) شبه معطل، ومع هذا كله فقد قام أحد المراكز بمصد هجوم سرية من المجاهدين عليه، فيطير نجيب فرحا ويأمر بترقية جميع العسكريين في جلال آباد، ويصرح غوريا تشوف أن المعركة لا تحسم عسكريا .

وصورت الصحافة المسعورة أن معركة جلال آباد كانت استراجا من الدولة خاصة جرائد الوطن والسياسة والخليج المتحمسة لنجيب - الذي يعد أيامه الأخيرة - أكثر من نجيب نفسه ..

{أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يترعون ولا هم يذكرون} (التوبة: ١٢٦).

ولكنة ما نقتت ضفادع العرب الحمراء أن معركة جلال آباد استدراج صدق بعض الطيبين هذه المقالة وخففوا من قواتهم وضغطهم على جلال آباد، إلا أن المعركة مستمرة، والانتصارات متوالية، وتبدت عورات الكافرين، وتكشفت جوانب المدينة، والقضية أيام وأسابيع وستسقط بإذن الله جلال آباد ومن بعدها قندهار وكابل، ونحن نرى هذا قريبا بإذن الله ..

{وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليهما قديرا} (فاطر: ٤٤).

التربية الجهادية : هذه بعض قصص خلال يومين جرت لبعض الإخوة الذين معنا في المركز، فما بالك لو تتبعنا القصص الكثيرة التي تشبه الخيال يوميا على أرض الواقع؟

وهنا يقتز في أذني اقتراح على المربين من رجالات الإعلام الذين يربون أطفالنا على قصص جرين دايزر الخيالية، حبذا لو انتبه الكتاب والأدباء ممن ينسجون المسرحيات الخيالية إلى هذه القصص الجهادية، وماذا عليهم لو قدموها على شكل مسلسلات قصصية واقعية جهادية تبني نفسية الطفل بناء واقعي يربطه بدينه، ويعمق صلته بأمنته الإسلامية، وينشأ معها الطفل والفلام نشأة جهادية لحمتها الرجولة وسداها العزة والمجد، حتى يصدق على الشاب المسلم قول الشاعر :

لو كان في الألف منا واحد فدعوا من فارس ظنهم إياه يعنونا

المومياء (١)

فلما زالت البعثة المحنطة في روما تسترعي أنظار العالم كحل بديل للحل الإسلامي في أفغانستان ، ولقد بقيت هذه المومياء محط الآمال بالنسبة لكل أعداء الإسلام، ليحاولوا بين المسلمين الملتزمين وبين الوصول إلى سدة الحكم، لنلا يعود القرآن مرة أخرى لتوجيه الشعوب وبناء الأمم وتربية الأجيال .

ولقد حاول الغرب والشرق خلال السنوات الماضية أن يلعبوا بهذه الورقة ويلوحوا بها لأولئك اللاهثين وراء خروج روسيا وإيقاف الحرب، فصرح آنذاك الشيخ سياف وكان رئيسا للاتحاد الإسلامي لتحرير أفغانستان (ترحب بالملك ظاهر شاه بشرط أن تقتله في

١ - لبيب المعركة العدد ٨ / التاريخ ٨ / شوال / ١٤١٠ هـ - الموافق: ١٣ / أيار / ١٩٨٩م

المطار)، وكان حكشيار يهدد باستمرار محذرا الملك من القوم، ويحذر أنه سيقتل الملك فيما لو وصل إلى باكستان، وكانت آخر هذه التهديدات في مجلس الشورى الذي اجتمع في مدينة الحجاج في إسلام آباد، والذي أسفر عن انتخاب حكومة المجاهدين العالية، فقال حكمت يار: (كل من نطق باسم ظاهر شاه قلن أصوب الرصاص إلا إلى زعيم حزبه وليس إلى صدره هو) .

وكانت آخر المحاولات في شهر رمضان المنصرم حيث ذهب بعض تجار الجهاد إلى الملك ظاهر شاه، وعملوا اتصالات كبيرة نشطة مع بعض الأنظمة العربية، حيث زار وفد من تجار الدماء عاصمتين عريبتين، وتوسلوا بحكامها ليزجوا بأنفسهم في هذه المؤامرة التي يباع فيها الدين والدماء والأعراض على الموائد الخضراء في الليالي الحمراء .

وتتلخص المؤامرة بأن يحاط مطار قندهار بمجموعة من المتتبعين بالجهاد ممن كانوا منذ أول يوم ثقل على صدور المخلصين رغصة في خلق الصادقين:

[إن تمسكم حسنة تمزهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصيروا تنقلوا لا يضركم كبدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط]

آل عمران ١٢٠-١٢١ .

(وإن منكم من ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا، ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم لأفوز فوزا عظيما} النساء ٧٢-٧٣ .

هذه المجموعة المرتزة التي أوكل إليها الإحاطة بالمطار تطلق نيرانها في الهواء، ثم يستسلم لها المطار، وبعدها يأتي نور محافظ قندهار ليستسلم لمجموعة المرتزة التي استطاعت أن تقتحم المطار وتلك الأسوار، بينما عجزت عمالقة الرجال أن تفتحه .

ثم تأتي عائرة ظاهر شاه، وتنزل في مطار قندهار، وتتيسل المجموعة التي جمعها الرغيف ويفرقها السوط لتحتفي بقدوم المومياء (الجثة المحنطة)، وتحملها مبتهجة فرحة، وتتقدم نحو كابل، وعندما علم الصادقون بهذه الخطة توجهوا نحو مطار قندهار ليحيطوا كيد هؤلاء المفرضين التجار، ويحروهم بعيدا عن المطار، ولسوء طالع هؤلاء القوم التجار أنهم اختاروا قندهار البلد المعروف بعذائه الشديد للملك ظاهر شاه، ولأزالت ذكريات اجتياح جيش الملك بقيادة (خان محمد) شاخصة في أذهانهم، يوم أن اقتحمت دبابات الملك سنة (١٩٥٩م) قندهار من أجل نزع حجاب النساء، ولأزالت صورة النساء اللواتي تدفن في الشوارع يحملن المصاحف فوق رؤوسهن في مواجهة المؤامرة الملكية، ولأزالت جراح تلك الحادثة تعمل في جوانبهم كرها وحقدا على الطاغية الذي حكم أفغانستان أربعين عاما متواصلة من سنة (١٩٣٣م إلى ١٩٧٣م)، وتحول مع السنين ويفعل الخمرة والنساء إلى مومياء محنطة وجثة شاحبة جامدة لا حياة فيها ولا حركة، ولأزالت جثث ألف وسبعمئة شهيد من قندهار حاضرة في أذهانهم وقد قضوا نحبتهم وهم يواجهون جيش الملك الزاحف لنزع الحجاب.

ولكن أحلام العودة لاتزال تراود مخيلة الملك المخلوع، ولأزال يعيش أوهام اليقظة، ويطمح أن يدور الزمان نوره ويعيد سيرة والده (نادر خان) الذي حملته الأيادي البريطانية من سفارة أفغانستان في فرنسا بعد أن مهدت له بحملة إعلامية ضخمة بأنه قائد جوي وبطل عسكري مظفر، وأخذوا يعيدون ويبدئون ويعزفون على نغمة الحرب الأفغانية سنة (١٩١٩م) (بين أفغانستان وبين بريطانيا)، والتي أدت إلى هزيمة بريطانيا النكراء، وأثمرت استقلال أفغانستان.

وقد كان النجم المتألق في هذا الجهاد المشرف هو بطلنا الذي تزفه بريطانيا حاكما لأفغانستان سنة (١٩٢٨م) .

لقد هال بريطانيا أن يستلم دفة الحكم حبيب الله (ابن السقا) الرجل البسيط الذي يحمل أنفة الأفغان وإباةهم، وعزتهم ورجولتهم، وصفاعهم وأصالتهم، وفطرتهم وحياتهم، وصدقهم وعمق اتصالهم بهذا الدين، بالإضافة إلى الفتوة والغروسية التي تكن معلما بارزا من شخصية حبيب الله (ابن السقا) .

وقنشت بريطانيا في جعبتها، فوجدت أحد أبناء الأسرة المالكة (نادر خان) والذي ربه على عينها وشب تحت رعايتها، واتصلت بريطانيا بالقبايل، ومهدت السبيل الجديد بعد أن شنت حملة مسعورة على ابن السقا، وصورته في أذهان العامة قاطع طريق من كبار اللصوص وسفاكي الدماء .

ووصل نادر خان (والد ظاهر شاه)، إلى برانجانر، وتلقفته قبائل مسعود ووزير بعد أن نشرت بريطانيا الذهب بين يديه، وحمته القبائل ووصلت به كابل، وخرج حبيب الله من كابل مع مجموعة من فرسانه، وكان حبيب الله يردد باستمرار: (إن يقر لي قرار حتى أحطم بريطانيا واحتل موسكو)، وكان لسان حاله يردد:

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه
ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلبا بين جنبي ما له
مدى ينتهي بسبي في ممراد أحد
يرى جسمه يكسى شغوقا (١) تربه (٢)
فيختار أن يكسى بروعا تهره

وأرسل إليه نادر شاه الأمان مع العلماء، إذ وقع على مصحف، وهذا أعظم ما يمكن أن يقدمه الإنسان في أفغانستان، وعاد حبيب الله إلى كابل، فالتقى نادر شاه القبض عليه وأودعه غياهب السجون، وقرر إعدام حبيب الله، فقال له (دعني حيا وسأخرج من أفغانستان أجاهد في سبيل الله حتى ألقى ربي) ولكن نادر شاه خان العهد الذي أشهد عليه الله وكتابه وعلماء أفغانستان وأعدمه .
ومضى حبيب الله إلى ربه، وباء نادر خان بإثمه وحمل نعه، وبشر القاتل بالقتل وبشر الزاني بالفقر، فساق الله له من يقتله في حفل عام وبين ملاء وفي زينته، وجاء ابنه ظاهر شاه وواصل طريق أبيه.

أما بريطانيا فلا زالت أعطياتها التي تفدقها على زعماء القبائل جارية، إذ أن الميزانية التي كانت ترصدها لزعماء القبائل وقد وصلت في أواخر عهد ظاهر شاه إلى اثني عشر مليون جنيه استرليني ، و ذلك لأنها تعدها ليوم كريمة وسداد ثغر ، وتدخرها لمثل هذه الأيام حتى تحركها لاحتضان ظاهر شاه وحمله على الاكتاف للسير به نحو كابل، ولكن الأرض غير الأرض، والأهل غير الأهل .
أما الخيام فإنها كخيامهم وأرى نساء الحي غير نسائهم

إن طبيعة الشعب الأفغاني قد صقلتها المعارك، وصاغت الأحداث، ونفسيته قد شفت مع التضحيات الباهظة والضرائب الفادحة التي قدمها من أجل الوصول إلى حكم الإسلام في أفغانستان .

وإن رصاص المجاهدين ينتظر ظاهر شاه فيما لو سولت له نفسه بالعودة إلى أفغانستان، ولا زالت الـ BBC والصحف الغربية وعلى رأسها البريطانية والأميركية تمهد لأمثال ظاهر شاه، وخرجت عن طورها وأصبحت تكذب الكذب الصراح الذي لا يحتمل، ولا يصدقه العقل، وتطلق افتراءاتها، حتى ادعت الصحف الأمريكية أنه قتل في جلال آباد من المجاهدين ثمانية آلاف، بينما لم يصل عدد الشهداء أربعمائة على أكثر الإحصائيات، وعندما صرح نجيب قبل يومين أننا على استعداد للانسحاب من جلال آباد إذا فسخ لنا المجاهدون المجال وفتحوا لنا الطريق سقط في أيدي المرجفين، وإذا بهم يطلقون كذبة أعظم وأضخم فيقولون إن نجيبا يعد العدة لاستعادة ممر خيبر (تورخم) من جديد، بينما لا تستطيع ببابة الآن أن تخرج من حدود جلال آباد وضواحيها .

ولقد تكشفت المدينة وجوانبها للمجاهدين، وأخذت جلال آباد تعد أنفاسها وتحصي أيامها للسقوط في أيدي المجاهدين . فلم يبق حارس للمدينة سوى الفرقة (٨١) التي أصبحت تحت رحمة قذائف المجاهدين وفي مدى نيرانهم الرشاشة .
إنها بريطانيا الحية الرقطاء التي لازالت تتلمظ غيظا على الإسلام، وتحرك العالم الغربي، وتستثير حفيظته، وتتعاون مع كل شياطين الأرض للحيلولة بين الإسلام وبين الوصول إلى الحكم .

((يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم وبأى الله إلا أن نعم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)) (التوبة: ٣٢-٣٣).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك .

المعادلات الصعبة (١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
لقد علمنا ربنا من خلال كتابه ومن خلال سنة نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يتولى عباده الصالحين :

{إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين} «الاعراف: ١٦٦»

وهو يدافع عن عباده:

{إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور} «الحج: ٣٨»

ورسم لنا سبحانه قاتونا يطمئنتنا في رد كيد الكافرين:

{وما كيد الكافرين إلا في ضلال} «غافر: ٥٠»

وتولى سبحانه إحباط مخططاتهم ورد مكائدهم:

{إن الله لا يصلح عمل المفسدين} «يونس: ٨١»

{ولا يحرق المكر السيء إلا بأهله} «فاطر: ٤٢»

ويؤنسنا سبحانه بمعيته لعباده المتقين والمحسنين:

{إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} «النحل: ١٢٨»

ولقد عشنا سبحانه من خلال رؤيتنا لأحداث المعركة في أفغانستان أن يحبط مؤمرات أعدائه، ويتولى بنفسه سبحانه رد كيدهم في نحورهم.

وأعداء الله وعلى رأسهم الأمريكان في هذه القضية الإسلامية الكبرى واقفون أمام معادلات صعبة، فهم أمام شعب مسلم يواجه عدوا تقليديا وأمريكا وهو الاتحاد السوفيتي، فهم يريدون أن يمرغوا كرامة الاتحاد السوفيتي في الأوحال، ولكنهم في نفس الوقت يفزعون من انتصار المسلمين ووصولهم إلى الحكم، لأن هذه طامة كبرى أعظم بكثير من بقاء الاتحاد السوفيتي في أفغانستان. وهم منذ سنوات كذلك أمام معادلة صعبة أخرى وهي: إنهم يدركون أن قادة الجهاد الحقيقيين هم أبناء الدعوة الإسلامية أو الصادقون المخلصون الذين لا يباعون في أسواق النخاسة الدولية، ولا يشتررون في جلسات الموائد الخضراء والليالي الحمراء، ولسان كل واحد كآته يقول:

غريب من الخلان في كل بلدة إذا عظم المقصود قل المساعد

فهم لا يريدون أن يكون هؤلاء في مقدمة الصفوف، ويودون أن يكون حشائهم هم القادة والسادة، ولكنهم في المقابل يدركون أن ثقل المعركة وإدارة دفتها بأيدي هؤلاء الصادقين الذين يرون الجهاد فريضة لازمة في أعناقهم، وإذا لم يذلون النفس والنفيس لمواجهة أعداء الله وطرد العدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا.

فكلما فكروا في اغتيالهم خافوا على الجهاد أن يتوقف أو يتزعزع، وعندها يضرب الروس بجنودهم في أعماق أرض أفغانستان على مقربة من الخليج والبترول العربي وباكستان.

أما الآن وقد خرج الروس فلا بأس من اغتيال الأصوليين المتطرفين من أبناء الحركة الإسلامية والعلماء المخلصين وفي مقدمة هؤلاء حكمتيار وسياف.

يقول لي الأستاذ ريان: لقد جاعني أحد الطبيين الباكستانيين وقال لي: لقد دفع لي ستون مليون روبية لاغتيالك، فخذ حذرك من أعدائك.

وتتلخص المؤامرة التي يدير رهاها أعداء الله وما أكثرهم

يديرواها ألف كسرى وقبصر وألف مدير للمدير مدير

١ - لهيب المعركة العدد ٢ - التاريخ ١٥ شوال ١٤٠٩ هـ - الموافق: ٢٠ أيار ١٩٨٩ م

نقول خلاصة المؤامرة :

- ١ - قتل القادة الأصوليين والمتزمتين.
 - ٢ - إمداد المعتدلين بكميات هائلة من السلاح والمال.
 - ٣ - الضغط على الحكومة الباكستانية لتقبض يدها وتقلل تأييدها للأصوليين!!
 - ٤ - الإيقاع بين الحكومة الباكستانية وقادة الجهاد.
 - ٥ - العزف على نغمة الوهابية لضرب الاتجاه الإسلامي الصحيح، وإيقاع الفجوة بين الشعب الأفغاني وبين هؤلاء الصادقين، وكذلك إيفار صدر الشعب الأفغاني الطيب الأمي على العرب الذين أقبلوا على الشهادة وتسابقوا على الموت، فأحدثوا دويًا هائلًا في أعماق أفغانستان.
 - ٦ - تحريك الجيش الهندي ليلقي بثقله في المعركة، وليحول دون سقوط نجيب، وبضغط من روسيا.
 - ٧ - محاولة إرجاع ظاهر شاه كحل مقبول لدى بعض المنتفعين.
 - ٨ - تدريب أعداد كبيرة ممن يتبعون بعض المعتدلين تحت إشراف الأميركيين وإمدادهم بأحدث الأسلحة.
 - ٩ - الاتصال المباشر بقادة الجهاد «الميدانيين» في أفغانستان دون الرجوع إلى أمراء الأحزاب وإمدادهم مباشرة.
 - ١٠ - فتح الطريق أمام صدر الدين أفاخان الذي يحمل ملياري دولار لتقوم المؤسسات التبشيرية بتنفيذ مشاريعها.
- أما عن قتل القادة الأصوليين: فقد أخذت المخابرات البريطانية على عاتقها تنفيذ عمليات الاغتيالات، وقد تستعين ببعض الدوائر الغربية.
- أما عن تقليل المساعدات المالية: فقد كانت الحكومة الباكستانية تمد الأحزاب الجهادية ببعض المال ليعينهم على نقل معداتهم ومؤنهم إلى داخل أفغانستان، وفجأة وإذا بالحكومة الباكستانية تقلل المساعدات إلى الثلث، وأضحت الأحزاب الجهادية أمام معضلة نقل مهماتها إلى الداخل.
- وقد فاتحتني الأستاذ رباني بهذا قائلًا: نحن نقف أمام مشكلة صعبة بشأن المهمات التي نريد نقلها إلى الداخل، وهي تكلف ملايين الروبيات، فقلت له: ماذا عن الحكومة الباكستانية؟ فقال: لقد خففت المساعدات المالية البسيطة إلى الثلث، فجاء بذهني المثال العربي: (أحشفا و سوء كيلة؟) ثم قلت له: لقد كانت لجنة الإغاثة تتكفل بهذا الترحيل من قبل، وقد قدمت مشكورة خلال السنوات الماضية من خلال مكتب الخدمات كاجرة للترحيل ثلاثمائة مليون روبية باكستانية تقريباً، أي حوالي ١٥ مليون دولار ، فأجاب الأستاذ رباني: لم تستلم منذ ستة أشهر تقريباً درهماً واحداً من لجنة الإغاثة، ولقد أكد المهندس حكمتيار هذا الكلام.
- والحق أنها معضلة محيرة وفي هذه الظروف الصعبة التي تحسم فيها المعركة، والمجاهدون يقفون على أبواب كابل، والحكم الشيوعي يؤذن بالسقوط والانهار، وترجو الله أن يكون قريباً.
- وقال الشيخ رباني: هنالك مشكلة أخرى وهي مشكلة إطعام المجاهدين خاصة في المناطق التي أصابها القحط وعلى رأسها الولايات الشمالية والغربية من بدخشان إلى بادغيس وهرات.
- أما عن محاولة الإيقاع بين الصادقين وبين الحكومة الباكستانية: فقد حدثني المهندس حكمتيار قائلًا:
- طلب مني السفير الأمريكي قبل أيام أن أقابله في إسلام آباد فاعتذرت لضيق الوقت، ف جاء السفير بنفسه إلى بيشار وطلب مقابلتي، فأرسلت له أحد أعضاء الحزب، وإذا به يقول: إن هناك إشاعات أنكم تقومون بتدريب الاتحاد الإسلامي الجمهوري المنافس لحكومة بي نظير بوتو! فأمرىكا تريد الإيقاع بين حكمتيار وبين الحكومة الباكستانية.
- أما العزف على نغمة الوهابية: فهو الشغل الشاغل لأجهزة البث الغربية المرئية والمسموعة والمقرومة وعلى رأسها (BBC)، وقد أطلنا الكلام في افتتاحيات سابقة حول هذا الموضوع، حتى صار بعض المستغربين من الأفغان يطالبون صراحة بوجوب طرد العرب، وقد قام بعض المنتفعين أو المغفلين بإصدار الفتاوى بهذا، ولكن الصادقين من العلماء والقادة وقفوا بصراحة بالغة ليوقفوا هذا النغم النشاز، حتى قال الشيخ يونس خالص (إن حب العرب جزء من ديننا).

يقول لي الأخ عبدالسلام: كنت عائداً من قندهار فإذا بشخص أفغاني حليق اللحية يلبس نظاراته، فسألتني من أين أنت؟ فقلت: أنا عربي، وأين كنت؟ فقلت في قندهار، وماذا تصنع هناك؟ فقلت: أساعد المجاهدين وأكفل الأيتام، فقال: لماذا لا ترجع إلى بلادك تجاهد فيها؟ فأجبت: من أين أنت؟ فقال: من قندهار، وأين تعيش؟ فقال: في ألمانيا، ومنذ متى؟ فقال: منذ ثماني سنوات، فقلت له: أنا أحمل الجنسية الأمريكية وأنا مهندس، وكان دخلي السنوي خمسة وعشرين ألف دولار، فتركت ذلك كله وجئت لخدمة المجاهدين في أفغانستان لأنها قضية إسلامية، وأما أنت فقد تركت أمك وأهلك وينحون من قبل الروس وهربت تعيش في ألمانيا مع دنياك، فأني الفريقين أحق بأفغانستان؟! فبهت الذي ظلم نفسه.

وفي كابل وعلى لافتات عريضة مكتوبة: حكمتيار زعيم الوهابية.

أما الجيش الهندي فليس بمستغرب عليه، لأنه منذ قرن تقريباً والدول الغربية تحركه ليزيح على مذابح شهواتها، فيوم أن انسحبت ألمانيا من مالطة تقدمت بريطانيا، ومن عادة الجيوش المتسحبة أن تزرع الألغام، وأما الجيوش التي تحل مكانها فإن من عاداتها أن تشتري قطعاً من الحمير أو الأغنام فتسوقها أمام الجيش لتفجر بها الألغام، وبدلاً من أن تشتري قطعاً من الحمير فقد ساءت أمامها فيلقاً هندياً وتفجرت به الألغام، وفي اليوم التالي كتبت الجرائد الإنجليزية: (دخلنا مالطة، خسائرتنا لا شيء.. هلك الفيلق (الفرقة) الهندي بكامله).

أما عن إرجاع ظاهر شاه: فلما زالت الوفود تتردد بين روما وعمان وبغداد وموسكو، ويقوم بهذا أناس ممن تربوا على بلاط ظاهرشاه، ولعل هذه الأنظمة تسهم بنورها وتدلي بدلوها لإرجاع المومياة المحنطة في روما إلى كابل، والمجيب أن ظاهر شاه متحمس للعودة مع أن الموت ينتظره.

هذه أحلام الكفار التي سييدها ضوء النهار

[رما كيد الكافرين إلا في ضلال] «غافر».

رمع هذه المؤمرات كلها فإننا ناثقون بفضل الله ويقرب نصره وتأييده، ومطمئنون بإذن الله إلى قرب قيام دولة إسلامية في أفغانستان بعد سقوط كابل - إن شاء الله -

[ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً] «الإسراء».

تجربة ثقيلة (١)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. ويعد:

في (كجا) مركز مديرية خوقيانني أشار إلي الشيخ عبدالمجيد كدي خيل بالتوقف قليلاً ليريني المسجد الجامع الذي كان يخطب فيه حتى أيام تراقي، فاقبلت عليه مع المهندس حكمتيار وحرسه، ودخلنا مسجداً واسعاً رحباً يحيط به ساحة واسعة معدة لجلوس المصلين. ولا زالت ساعة المسجد معلماً شاخصاً تثير الأشجان في أعماق الزائرين، وكان لسان الشيخ يقول:

ذكر الصبا ومرايح الأيام جلبت حمامي قبل وقت حمامي

هنا كانت الآلاف المؤلفة تؤم هذا الجامع الطهور تنهل من العلم، وتستقصر عن حكم هذا الدين في شؤون حياتها، وفي مقابل المسجد بقيت آرام وأطلال لبيت واسع كان سكناً للشيخ الذي كان لدى المنطقة حديث سامرها وحداً ركبائها، مناطق جميلة رغم أنها صوحت من سكانها، فالدار سائحة والطير بارحة ومنازلها كئن لم تغن بالأمس.

وعلى الطريق يرافقك نهرٌ سرخ رود (النهر الأحمر) *، وقد اشتبكت حوله البساتين بأشجار الجوز والتوت والمشمش التي تضخمت على مر السنين مصطافاً ومتريعا، كنا نستروح ظلالها بعد عناء السفر فنقول: إذا كانت الدنيا هكذا فكيف بالظل الظليل في الجنة؟! وكنا نغتنمها دقائق قد تصل الساعة والساعات، نتقياً ظلالها ونأكل ثمارها، حيث يتسابق الأهالي إلى تقديم التوت والاسكي دنيا كما يسميه الأفغان (لوكات)، وتضع رجلينك في الماء البارد النعير، وتجدد وضوئك. وتستلقي على ظهرك، وكان الشيخ عبدالمجيد

١- لبيب، شركة العدد ٥٢ التاريخ ٢٢ / شوال / ١٤٠٩ هـ - الموافق ٢٧ / فبراير / ١٩٨٩ م

تسبقنا إلى الإستلقاء على ظهوره، ويضع رجلا على رجل كي يجد طعم الراحة بعد وعاء السفر.

وفي هذه الأجواء تتوارد الخواطر وتتزاحم الأسئلة، كيف أطاق هؤلاء القوم أن يهجروا هذه المواطن والبساتين التي تجري من تحتها الأنهار ويعيشوا في خيمة ما كانوا بالفيها إلا بشق الأنفس بعد التردد الطويل على أبواب الأهله ومكاتب الإغاثة الإسلامية كيما يحصلوا عليها؟! لقد كانت هجرة شاقة خاصة على أصحاب الهياث والمرويات -معظمهم ذو مروة-، ولقد كانت نقلة واسعة أن يدعوا هذه الأماكن والأجواء الرومانسية ويعيشوا في حر بيشاورد، بحيث يموت في اليوم الواحد من أطفالهم أحيانا مائة لشدة الهمج الملهب والحر المتقد.

فقلت للشيخ: أما كان بإمكان هؤلاء الأمالي أن يصمتوا عن الدولة الشيوعية لتقابلهم بغض الطرف عنهم وتركهم في مخادعهم الوادعة وبساتينهم الرائعة؟

فقال حكمتيار: لو سكت هؤلاء عن النولة لما مسهم أذى وما نالهم سوء، ولكننا محل رعاية النولة، بل غاية ما تسعى إليه الدولة هو هذا، ولكن أنى لهم أن يصمتوا وأبناؤهم يمتشقون الأسلحة ليطوخوا بها عروش الملحدين، وكأن لسان حالهم يتشد:

لا افتخار إلا لمن لا يضام	مدرك أو محارب لا ينام
ليس عزا ما مرض المرء فيه	ليس هما ما عاق عنه الظلام ^(١)
واحتمال الأذى ورؤية جانيه	غذاء تصوي به الأجسام
من يهن يسهل الهوان عليه	مالجرح بميت إسلام

هجرة العقيدة:

لذا فهي هجرة جديدة في التاريخ الحديث: هجرة الوطن والديار والمزابع والحدائق والبساتين فراراً بالعقيدة وحفاظا على الدين، لقد ترك خمسة ملايين نسمة أفغانستان، ونصبوا خيامهم في باكستان، وربعهم تقريباً في إيران، وذلك لتحيا عقيدتهم:

{فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض، قال الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأردوا في سبيلي وقتلوا وقتلوا لا كفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب} (آل عمران: ١٩٥).

ولذا فإنهم يصرون على اسم الهجرة، ويعتبرونه وساما ربانيا ما كان لهم أن يدعوهم وقد أهداهم إياه رب العالمين ، إنهم يرفضون اسم اللجوء، لأن اللاجئين إنما يلتجئ إلى مكان (REFUGEES اسم اللاجئين) يؤويه من الحر والقر والفقر، وإن اللاجئين ليهرب خوف القتل وخشية السجن، وأما هؤلاء فالحكومة منذ سنتين أو أكثر تعلن عن ترحيبها بعودتهم إلى مواطنهم أمنين مطمئنين، وتعيد وتبدئ صباح مساء في إعلامها كي تسترجعهم للعودة، ولكن الهجرة مستمرة من الداخل إلى الخارج، والمعركة مضطربة، والكفار في إربار، ولا تجد من المجاهدين إلا العزم والإصرار.

إنها تذكرنا بهجرة الحبشة الأولى والثانية، هجرة المدينة المنورة التي بقيت معلما بارزا لاتباع هذا الدين وإلى يوم الدين، وهم كذلك يصرون على اسم الجهاد والمجاهدين، ويرفضون اسم الثورة والثوار، وقد فرضوا استعمال هذا الاسم على كل الدنيا، إذ كل الدوريات وأجهزة البث العالمية تسميهم مجاهدين عدا الصحف اليسارية في الكويت والخليج !!!!!

جولة واسعة:

وقد كتب الله لي مرافقة الأخ المهندس حكمتيار أسبوعاً بكامله وهو يتجول في أرجاء تنجرهار (منطقة جلال آباد)، يستحث الخطى، ويتفقد الجبهات، ويشعل الحماس، ويشد العزائم في النفوس، ويأخذ العهود والمواثيق على الناس، وكان يأخذ العهد على أربع قضايا:

١ - استمرار الجهاد لإقامة حكم إسلامي في أفغانستان:

١ - معنى البيت: أن العزم الذي يقصر الإنسان في تنفيذه ليس عزماً وأى هم والصد من أن تنفيذه فليس مأمراً.

٢ - الوقوف في وجه التحديات العالمية والمؤامرات النولية.

٣ - رفض الأدعياء الذين تحاول الأيادي الخفية دفعهم إلى السطح .

وكان الناس مندفعين بحماس عجيب على البيعة وإعطاء العهد والميثاق.

ولكن ماذا عن فتح جلال آباد؟ وكأن لسان حالك يقول ما بالك تطوف حول الحمى وتثور بي بعيدا عن القضية التي تورتني؟
فماذا تقول عن فتح جلال آباد؟

فأقول وبالله التوفيق: إن كثيرا من الناس لا يعلمون أن منطقة جلال آباد في مساحتها تقرب من مساحة فلسطين، فجلال آباد ثلاث عشرة مديرية ويضع نواحي: (سرخ رود، كجا، هصارك، به سود، رودات، ده بالا، باسول، كامه، خيوه، جوشته، نازيان، أجين، غني خيل، نوربابا، بتي كوت كبريار، لال بود).

وقد فتح خلال الأشهر الأربعة الأخيرة مراكز كل هذه المديرية عدا مركزي أجين ونور بابا فقد فتحت من قبل.

ولم يبق أمام المجاهدين سوى مركز سرخ رود (سلطان بور) الذي يعتبر ضاحية من ضواحي جلال آباد، وفي مديرية سرخ رود ناحية (علاقة داري) تسمى (به سود)، وتعتبر هذه الناحية جزءا من مدينة جلال آباد، وقد فتح منها أربعة مراكز: كاريز كبير، خوش كمبت، اده، سمر خيل، وتعتبر سرخ رود البوابة الغربية لجلال آباد، وبه سود البوابة الشمالية.

إن الناس وهم يتكلمون عن فتح جلال آباد لا يدركون أن المجاهدين قد فتحوا من منطقة جلال آباد خلال شهر واحد أكثر من مساحة الضفة الغربية من فلسطين.

ولا يعلم كثير من المسلمين أن المجاهدين الآن رغم ضيق ذات اليد، وشح النخائر، وكثرة الجراح، ونقص الطعام، وشراسة (BACK FIRE) الوسائل التي يستعملها العدو من طائرات، واليوشن، وصاروخ سكود، وأن إعداد الصاروخ الواحد للإطلاق يحتاج ساعة كاملة.

أقول رغم هذه كله: فهم على أمل عظيم أن يفتح الله عليهم قريبا جلال آباد، لقد كان حكمتيار وهو يعد للمعركة ويعقد الجلسات مع قادته مستشيرا مقررا موجها ليمر عليه أحيانا الليلة بكاملها لا ينام فيها سوى دقائق معدودة، وكنت أدعو الله له، وقد شكى لي في بداية الرحلة من آلام يعاني منها في ظهره وجنبه، ثم قال لي في نهاية الرحلة بعد أن قطعنا ما يقارب مائة كيلومتر على الأقدام أو يزيد أنها بركة الجهاد، ما كنت أظن أنني أستطيع أن أمشي نصف ساعة على قدمي، وهذه المسافة معظمها على الأقدام، مع أن الآلام أحيانا كانت تقض عليه مضجعه فلا يهجع سوى دقائق معدودات، ثم قال أخيرا: لقد ذهب معظم الآلام التي كانت تعترضني إرهابا.

وكنت إبان هذه الرحلة مشفقا كثيرا عليه، وكان أول سؤال أبادره به غالبا صبيحة اليوم: هل نمت هذه الليلة؟ وكنت أدعو له بعد أن رقيته.

ولقد كانت الخيول ترافقنا الرحلة على طول الطريق، ومع هذا كله فإن نفسه الكبيرة تأبى عليه أن يركب وأن أمشي، فكنت أفطن أحيانا إلى هذا، فأركب رغم عدم حاجتي للركوب، رحمة به لعله يرفق بنفسه فيركب بعد أن بلغ به الإرهاق مبلغه.

وفي غني آباد: (وفي اليوم الأخير / الخميس ٢٠ شوال) قلت له: أتعود في بداية المعركة قريبا؟ فقال: إن كنت في بيشار ساعد، ولكن يهمني كثيرا أمر قندهار، فالمؤامرة كبيرة، وشبح ظاهرشاه لازال ورقة يتاجر بها التجار، ويلوح بها الفجار، ويخشى مغبة عاقبتها الأبرار:

(فعمى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفُسهم نادمين) (المائدة: ٤٢).

عونك اللهم فإن الحمل ثَقِيل، والأمانة غالية، والمؤامرة كبيرة، والزاد قليل، والكاهل قليل، وحسبنا الله.

حرب الأفيون^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فمنذ أن اخترمت ضياء الحق المثية وأعداؤه يريسون نبش تاريخه لتحويل الصحف البيضاء في هذه الفترة الوضيئة من الزمن إلى صحف مسودة تقشعر لذكرها الأبدان، وتقرز لسماعها الأذان.

فمن الأيادي البيضاء التي قدمها ضياء الحق للجهاد الأفغاني الذي يعتبر شامة في جبين الدهر فتح الحدود الباكستانية على مصراعيها، بينما جند الله يحملون ما تستطيع دوابهم أن تقله، ويمضون في الطريق المشرق المرير الذي أدى إلى أصابة الشيوعية في مقتلها، وأدت إلى صدعة عنيفة في تفكير قادة الكرملين، فعادوا يقلعون الشيوعية من جنورها.

والآن بدأ الغرب الذي يعيل إلى إغلاق الحدود الباكستانية الأفغانية يعزف على نغمة جديدة: أن إبقاء ضياء الحق للحدود مفتوحة قد فتح الباب لتهرب المخدرات وتسريبها وانتشارها، وغدا يفتح المؤتمر الإسلامي العالي الثاني لمكافحة المخدرات في إسلام آباد ويستمر ثلاثة أيام.

والعالم كله الآن واقف أمام معضلة استعصت، فلا يجدون لحلها سبيلا، ولا من مغبة أوضارها وأضرارها مخرجا. والعالم الغربي بالذات الذي تقوده أمريكا يرتجف هلعا من النتائج الوخيمة التي يعانون منها بسبب تسرب المخدرات وتهريبها إلى بلادهم، والجيوش الغربية الآن وعلى رأسها الجيش الأمريكي أصبح مهددا بهذا الخطر الرهيب الذي ينتشر فيه انتشار النار في الهشيم.

وقد أصبح أعداء ضياء الحق السياسيين يرددون النغمة التي تعزف عليها الدوريات وأجهزة الإعلام الغربية، وكلها تجمع على الإنحاء باللانحة على ضياء الحق الذي فتح الحدود الباكستانية على مصراعيها أمام المجاهدين الأفغان، مما أدى إلى تسرب المخدرات عبر إيران وتركيا إلى أوروبا وأمريكا، ولقد تجاوزت الأجهزة الغربية كل حدود المعقول والإنسانية معبرة عن أحقادها الدفينة على الإسلام وأهله، مفسرة الجهاد الإسلامي المشرف أنه قتال القبائل للنفاق عن مزارع الأفيون.

فهذا مستوى هابط من الرجل غرقت فيه أجهزة البث الغربية والشرقية، والأجيال الغربية الآن إنما تجني ما غرست أيدي آبائها، وتحصد محاصيل ما زرعه أجدادها يوم أن شنت بريطانيا حربين طاحنتين من أجل الأفيون ونشره في الصين، إشباعا لنهمهم للمال، وإرواء لطمعهم للذهب.

الحرب الأولى سنة (١٨٢٩ - ١٨٤٢) والحرب الثانية سنة (١٨٥٦ - ١٨٥٧)، فعاقبهم الله عز وجل بالانتقام من أبائهم جزاء ما كسبت أيدي آبائهم.

وبريطانيا حتى الآن تريد أن تحافظ على النظام القبلي الذي بلغت ميزانيته في نهاية حكم ظاهر شاه (١٢) مليون جنية استرليني ... تدفعها بريطانيا لتبقي وراء هذه القبائل بأيديها تحركها متى شامت ليوم كريمة وسداد ثغر.

إفrazات الأنظمة الجاهلية:

ومادام النظام القبلي قائما يحكمه القانون الجاهلي القبلي فزعيم القبيلة ينفرد بالمجد والمال، وبقية الناس معرومون منها جميعا، ولذا فإنك تجد زعماء قبائل الأفريدي يأبون على الحكومة الباكستانية أن تعبد الطرق في المنطقة، أو أن تدخل الكهرباء أو المدارس، حتى لا تحكم الحكومة قبضتها على المنطقة من خلال سياراتها ودباباتها ورقابتها، فيحرم الشعب من العلم والنور والحياة حتى تبقى جيوب شيخ القبيلة متنفخة بما يصب فيها من أموال الأفيون والحشيش، فهذه بعض إفrazات الأنظمة الجاهلية، ولا يمكن أن يطلب من الجيفة القدرة أن تكف عن إطلاق الروائح الكريهة التي تتركم الأنوف لأنها ضريبة لازمة لوجودها.

وقضية المخدرات ترتبط بالدين والقيم، فإذا تأصل الدين في أعماق النفوس فإنها تنتهي طليعيًا تماما، كما حل الإسلام مشكلة الخمر في مجتمع يعتبر الخمر جزءًا لا يتجزأ عن حياة الإنسان، فبعد أن رعى الإسلام العقيدة، وندرج في منع الخمر وتعريمه نزلت الآيات القرآنية:

١- لبيب المعركة السد ٤٤ التاريخ ٢٩ / شوال / ١٤٠٩ هـ - الموافق ٣ / يونيو ١٩٨٩ م

(يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متبهنون) (المائدة ٩٠-٩١).

شركة الهند الشرقية البريطانية (قاتلة الشعوب):

أما ما اقترفته أيادي بريطانيا على يد شركة الهند الشرقية البريطانية ثم على يدي جيشها مباشرة في نشر المخدرات في الشرق وخاصة في الصين فتتلخص قصتها بما يلي:

لم تكن الصين تعرف الأفيون إلا بعد أن تسلل التجار البرتغاليون والهولنديون ونزلوا في مدينة كانتون في جنوبي الصين في القرن السابع عشر -، فأخذت هذه السلعة تظهر في البلاد بالتدرج، وفي نطاق محدود جداً، إلى أن دخل رجال من بريطانيا الميدان، وأخذوا ينقلون الأفيون كسلعة تجارية من الهند إلى الصين بمقادير متزايدة عاماً بعد عام.

ويلاحظ أن الهند كانت أكثر الدول إنتاجاً للأفيون، وكان حكام الهند سواء على عهد شركة الهند الشرقية البريطانية أو على عهد تبعيتها المباشرة للحكومة البريطانية (وزارة الهند) حريصين على التوسع في إنتاج الأفيون، وعلى إيجاد أسواق ضخمة لاستهلاكه، ورأت بريطانيا أن الصين بلاد مترامية الأطراف، كثيفة السكان، تعد خير سوق للتجار فيه، وقد اضطرت حكومة بكين إلى إصدار أول مرسوم سنة (١٧٣٩) يمنع الاتجار في الأفيون واستهلاكه، وتوالت المراسيم في هذا الصدد دون أن تعبأ بها شركة الهند الشرقية البريطانية التي اشتركت في هذه التجارة بعد أن كانت مقصورة على أفراد وجماعات من التجار، وتظاهرت أنها لا تقر هذه التجارة، ولكنها ما لبثت أن كشفت عن وجهها القبيح، فزادت من مساحة الأراضي الهندية لزراعة الأفيون، ومضت في تصدير معظم محصول الأفيون إلى الصين في سفن مجهزة بالمدافع، حتى إذا اقتربت من شواطئ الصين انطلقت منها زوارق سريعة تحمل صناديق الأفيون في حماية رجال مسلحين، ولما اعترضت حكومة بكين لدى بريطانيا على إصرارها في تصدير هذه السلعة شنت بريطانيا حرباً على الصين (١٨٣٩) من أجل حرية الاتجار بالأفيون، واستطاعت هذه الحرب التي تسمى حرب الأفيون الأولى إلى عام (١٨٤٩)، وكانت عبارة عن مذابح ارتكبتها القوات البريطانية مدججة بأحدث الأسلحة وأفتكها، وتساقط الصينيين قتلى، وانتهت هذه الحرب بهزيمة ساحقة للجيش الصيني الذي لم يكن لديه أسلحة ذات خطر، وأبرمت معاهدة «نانكين»، وتقرر بمقتضاها أن تستولي بريطانيا على جزيرة هونغ كونج، وهي ذات موقع استراتيجي هام، وأن تدفع حكومة الصين غرامة حربية ضخمة لبريطانيا، وتعويضات مالية للتجار الذين أصيبوا في تجارة الأفيون بسبب العمليات الحربية ... كما تضمنت المعاهدة نصاً يقرر تهريب الأفيون، ومخروج عن القانون، وهو نفاق بريطاني تجاه الشعوب الشرقية غير المسيحية، لأنه على الرغم من إدراج هذا النص في المعاهدة مضت الحكومة البريطانية تضغط على حكومة الصين كي توافق السلطات الصينية أن استيراد الأفيون عملاً تجارياً مشروعاً، وكتب في هذا الصدد اللورد بالمرستون إلى المندوب البريطاني في الصين يطلب منه السعي بعقد اتفاقية مع الصين تسمح بدخول الأفيون إلى البلاد كسلعة تجارية، وأن تفرض حكومة بكين رسوماً جمركية عالية على الأفيون المستورد حتى تزداد حصيلة الرسوم الجمركية، وبالتالي تتضاعف موارد الحكومة، ولكن رفض إمبراطور الصين هذا الاقتراح بشقيه قائلاً: (قد أكون عاجزاً عن منع هذه السموم أن تدخل بلادتي على كره مني، لأن بعض الناس تدفعهم شهواتهم وحبهم للعمال الحرام إلى عصيان أمري، ولكن ليس في العالم قوة تستطيع أن تغريني على أن أستعد للدولة إيراداً من تسمم شعبي ونشر الرذيلة).

وأصرت الحكومة البريطانية على موقفها، وأعدت مستعمرة هونغ كونج لإيواء التجار والمهربين، وحصناً قوياً، وأعدت فيها مستودعات لتخزين صناديق الأفيون، ريثما تنقلها زوارق التهريب، وهي زوارق مسلحة تمنحها السلطات البريطانية في هونغ كونج ترخيصاً رسمياً لمزاولة التهريب في حماية العلم البريطاني.

وافتملت بريطانيا حادثاً لإشعال حرب ثانية ابتغاء إكراء حكومة الصين على إباحة تجارة الأفيون، وهذه هي حرب الأفيون الثانية سنة (١٨٥٦ - ١٨٥٧)، وأغارت القوات البريطانية على بلاد الصين، وأمطرت سكانها بالقنابل، ودمرت المدن والقرى، ولم يكن في مقدور الجيش الصيني أن يقاوم القوات البريطانية، وأسفرت هذه الحرب عن هزيمة الصين، وكان من أهم نتائجها اتساع مستعمرة هونغ كونج، بحيث لم تعد مقصورة على الجزيرة المواجهة للساحل، بل على قسم كبير من الإقليم الساحلي المجاور، وبذلك أصبحت المستعمرة البريطانية متصلة اتصالاً مباشراً ببلاد الصين، لا تحول بينهما مياه البحر الضيق كما كانت الحال من قبل.

واضطرت حكومة بكين في عام (١٨٥٨) إلى إصدار أمر ببيع أفيون الأفيون وفرض ضريبة على المستورد منه. وعلق على إشعال بريطانيا حربي الأفيون كاتب إنجليزي بقوله (ليس في التاريخ التجاري الإنجليزي صفحة تلصق ببلادنا عارا أشنع مما ألحقته بنا وبتجارنا وساستنا قصة الاتجار في الأفيون مع الصين إذا سردناها ببساطة تامة من غير تهويل). فقد شنت إنجلترا أكثر من حرب واحدة على الشعب الصيني الأعزل وذلك من أجل الفوائد التي يجنيها المتجرون في هذه السموم ، وقد استولت إنجلترا عنوة على أرض صينية اغتصبها اغتصابا لكي تجعل منها مرفأ يعتصم به المهربون الذين لم يلبثوا أن اتسعت تجارتهم. وتزايد نشاطهم رغم أنف السلطات الصينية، وحسب أي رجل إنجليزي أن يطالع هذه القصة لكي يدرك السبب في أن الأجانب يحكمون على هذه البلاد بأنها مع ادعائها التمسك بالمبادئ السامية لا تسمح للاعتبارات الإنسانية أن تحول بينها وبين مطامعها.

والآن: النول الغربية تجني حصاد ما اقترفت يدا بريطانيا، وقد طلبت من ضياء الحق أن يحاول الحد من تسرب الأفيون، ولكن الأمر لا يمكن علاجه بالضوابط الأمنية، ولا بشحن الثغور بالحراسات والدوريات.

إنما علاج ذلك كله:

بفرس العقيدة الإسلامية في أعناق قلوب أبناء منطقة القبائل، وإقرار الإيمان في مسارب نفوسهم، وهذا لا يتم إلا بالتربية والتوجيه المصون بالقوة والسيف، فإذا كانت الدولة إسلامية، واشتغلت في بناء النفوس، وعن تمرد على المبادئ فالسلطان حاضِر يزع الله بأمره ما لا يزع بالقرآن.

الإسلام هو الحل:

والدولة الإسلامية الحقّة هي العلاج وأمريكا التي تواجه عدوا شرسا يهدد وجودها وهو الأفيون، وتبحث عن مصادره فتري أن الحدود الباكستانية الأفغانية والهندية من أكبر المصادر التي تصدر هذا الداء الوبيل والسرطان الوبىء إلى البشرية، فتحاول جاهدة أن تمنعه بكل الوسائل.

وفي نفس الوقت تسعى بخيلها ورجلها، وتواصل مكر ليلها بنهارها لتحول دون وصول الجادين الملتزمين بدينهم إلى منصة الحكم، وهي تشن عليهم حربا لا هوادة فيها، وتسميهم: الأصوليين، الوهابيين، وتنتقي كل لفظ يمكن أن يحول بينهم وبين قلوب الناس المصادقين الطيبين من الأميين، وتستثير عليهم الجبهة والغوغاء والدعواء، ويتولى كبر هذه المؤامرة إذاعة بريطانيا بي بي سي. وإن يقيم الإسلام في أفغانستان إلا هؤلاء الشباب الصادقون، والإسلام هو الحل الوحيد لأزمة المخدرات التي تعاني منها البشرية.

مع حكمتيار حول جلال آباد:

وقد كنت في جولة في شهر شوال الحالي مع حكمتيار، فمررنا على مزرعة من مزارع الأفيون، ووقفنا هنيهة مع صاحب المزرعة، فطلبت من حكمتيار أن يسأله عن الدافع لزراعته، فرد الفلاح ببساطة نحن نبيعه للكفار.

فقلت لحكمتيار أن يقول له: إن هذا حرام، وأنت تطعم أولادك من مال حرام (وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به)، فأطرق الرجل حياء ولم يحر جوابا، قلت لحكمتيار: إن مشكلة المخدرات والقبائل غدا سيتعبدكم القضاء عليها، فقال: الأمر يسير مع هؤلاء القوم (القبائل)، سنشجعهم على زراعة الطيبات وترك الخبائث.

عقد ضروري:

أما بالنسبة لأمريكا والقرب فسنبزّم معهم عقدا يتعهدون فيه أن يكفوا عن محاربة أخلاقنا وتدمير أجيالنا بتصدير الصور العارية والأفلام الجنسية والنوريات الماجنة والأدب الرخيص وقصص الفراش، مما أدى إلى تهديم كيان الأخلاق في العالم الإسلامي. ومقابل ذلك نتعهد لهم أن لا يصدر لهم هؤلاء أي شيء من المخدرات أو الحشيش وغيرها.

الجهاد قضى على الكثير منها:

ولقد رأيت هذه المزارع في المناطق التي يسيطر عليها المجاهدون وقد خربت ومجرها أهلها، وكفوا أيديهم عن بيع الدمار والأضرار إلى العالم.

ونحن كأصحاب دين وقد خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم معلما واضحا في هذا الباب بتحريم الضرر والإضرار بأي إنسان (لا ضرر ولا ضرار).

ونرى كما بين لنا هذا الدين أن ما حرم أكله حرم بيعه، وفي الحديث الصحيح عند أحمد وغيره:

(لعن الله اليهود، إن الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا ثمنها وإن الله إذا حرم على قوم أكل شيء حرم عليهم ثمنه).

فلا حل لقضية المخدرات إلا بتروسيخ عقيدة الحلال والحرام في المجتمع، وحمايتها بهيئة الدولة الإسلامية وسلطانها التي تعلم أن من أهم واجباتها تنفيذ ما جاء به صلى الله عليه وسلم:

(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث....) (الأعراف: ١٥٧).

فقد جاء هذا الدين لإحلال الطيبات وتحريم الخبائث، فلا حماية للبشرية ولا مناص لها إلا بالرجوع إلى هذا الدين، والسماح لدولته أن تأخذ مكانها الحقيقي حتى تنقذ الأرض التي تنفيا ظلاله وتستسلم لأحكامه.

لا نكول عن الطريق^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، . . . وبعد:

فقد طال الانتظار على أبواب جلال آباد، وعيون المسلمين في الأرض كلها مسعرة نحوها، وقتلويهم لاهتة، وهم يسكون بأنفاسهم ينتظرون الفتح، وعيل صبر النظارة، خاصة وأن أجهزة الإعلام العالمية تركز على هذه القضية تريد أن تغرس في قلوب الناس أن المجاهدين قد أعياهم عدوهم، ووقف صامدا أمام زحفهم، وليس أمام المجاهدين سوى القبول بمؤتمر عالمي يحل القضية سلميا، ويرضى المجاهدون فيه ببعض الفئات الذي يتساقط من موائد اللثام الذين يمثلون الخصم والحكم في وقت واحد.

وأصبحت المؤتمرات الصحفية تعقد للسياسيين من قادة وحكام الدول الصديقة للمجاهدين بصرحون فيها:

بأن العالم كله يفخر بالأفغان كعرق صلب صمد أمام الجحافل الروسية، وكبدها الخسائر الفادحة، وضربها الضربة القاصمة، مما جعلها تعيد تفكيرها من جديد بالعقيدة التي قام عليها هذا الكيان الضخم الذي أصبح في هذا القرن يمثل أحد التنتينين الضخمين اللذين يبتلعان كل خيرات البشرية، ويمسحان كل ما يقف في وجهيهما من مبادئ، ويكتسحان ما يتراعى أمامهما من قيم ومثل، ويضيف الأصدقاء قائلين: أما وقد اندحر الروس، والقتال بين أبناء الشعب الواحد، ومن الصعب أن يذعن أحد الطرفين للآخر، فلا بد من عقد مؤتمر دولي يفصل في القضية، وهذا الذي تنادي به أمريكا وروسيا ومعظم الدول في العالم.

ومن أجل إحكام الخطة لا بد أن يشدد الخناق على المجاهدين، فتوضع نقاط الأمم المتحدة لمراقبة المنافذ الحدودية الباكستانية إلى أفغانستان، ثم تخرج قرارا بمنع تصدير المواد الغذائية خارج باكستان، وتنقبض الأيدي عن العطاء والبذل للمجاهدين، بينما تتدفق الأموال والأسلحة من روسيا إلى النظام العميل، وقد ذكر المراقبون أن حوالي ثمانمائة دبابة حديثة وصلت (كلكي) في بغلان من الترسانة الروسية.

وفي الوقت نفسه يقوم بعض أدعياء الجهاد ويجوون العالم ليحكموا مؤامرة إعادة ظاهري شاه عن طريق قندهار، مما اضطر المجاهدين أن يعلنوا أن أي مجاهد يلقي عليه القبض متلبسا بجريمة الدخول إلى قندهار للاتصال بالدولة فإنه يحكم عاما، والمجاهدين

١ - لمييب المعركة العدد ٥٥ التاريخ ٧ / نوالقعدة ١٤٠٩ هـ - الموافق ١٠ / ٧ / ١٩٨٩ م.

كتبت هذه الافتتاحية في بيت الشيخ من بعد ظهر يوم الخميس ٨ / ٧ / ١٩٨٩ م الواقع في أرياب رود.

إزاء هذه المؤامرات يتلفتون فلا يجدون أحداً فيقولون:

ولو كان سهما واحداً لالتقيته ولكنهم سبهم وثنان وثالث

ونحن إزاء هذه المؤامرة العالمية على الجهاد، وإجابة على علامات الاستفهام الكبيرة التي ترسم في أذهان قراء الجهاد الأفغاني وعشاقه وأنصاره وأحبابه نضع الحقائق التالية:

١ - لقد تعجلنا مع قادة الجهاد بالإدلاء بالتصريحات المتتالية عن ضرب مواعيد قريبة لسقوط الدولة، فقد صرحنا والقادة كذلك أن سقوط جلال آباد سيكون خلال شهر أو نونه، أو سقوط كابل سيكون بين رمضان وعيد الأضحى، وتبين لنا أننا كنا جد متعجلين في إعطاء النتائج، ولم تكن محيطين بالأمور من كافة أتحائها، ولم يكن هذا حدسنا فحسب، بل كان ظن النواثر العالمية كذلك، إذ أن كارلوتشي (وزير الدفاع الأمريكي السابق) قد صرح إثر خروج الدفعة الأخيرة من الجيش الروسي بأن الحكم الحالي -حكم نجيب- ساقط لا محالة، وأنه قد يكون في غضون ثلاثة أشهر، وأن المجاهدين قادمون للحكم لا محالة.

والحق أن سقوط المدن يصعب الحدس عليه، فقد تضع له في ذهنك مدة زمنية تستغرق عاماً، فتسقط المدينة خلال شهر باستسلام حامية أو فرقة في المدينة للمجاهدين، وقد يخلف الظن فتزيد المدة عن عام.

والمتابع للتاريخ الإسلامي والفتوحات يدرك هذه القضية بوضوح، ففي فتح العراق مثلاً: حصلت معركة الجسر (في شعبان سنة ١٣ هـ)، وقد كان يقودها أبو عبيد الثقفي، وهزم بها المسلمون، وتحطم الجسر، وانكشف ظهر المسلمين للفرس، واستحضر القتل بهم، ففرق من غرق، وقتل من قتل.

ثم حصلت معركة البويب في رمضان (سنة ١٤ هـ)، وقد انتصر فيها المسلمون، ثم التقى الفرس وأجمعوا أمرهم على قتال المسلمين، وحشد كسرى يزجرجد ملك الفرس جيشاً لجبا قوامه مائة وعشرون ألفاً، وولى عليه رستم، وأبطأ رستم بالخروج من المدائن إلى القادسية مدة أربعة أشهر عسى أن يضجر سعد بن أبي وقاص ومن معه من المسلمين.

وجرت القادسية في (١٦ / محرم / ١٤ هـ)، وكان النصر فيها حليف المسلمين، وقتل فيها من الفرس عشرون ألفاً، واستشهد ألف وخمسمائة شهيد.

ثم كان فتح المدائن في صفر (سنة ١٦ هـ)، والمعارك لا تتوقف بين المسلمين والفرس، فكان ما بين فتح القادسية والمدائن سنتان، وعجب عمر رضي الله عنه من هذه الحرب السجال بين الفرس والمسلمين، فترى النصر يربو للمسلمين فيدين لهم أهل البلد، ثم ينتقض الأهلالي العهد ويطردون المسلمين، وهكذا دواليك، واستعجم الأمر على عمر رضي الله عنه، وأشكل عليه الحل، وهو يخشى على المسلمين الدوائر، فعندما وصل الأحنف بن قيس يسوق الهرمزان قائد الفرس إلى عمر -رضي الله عنهم أجمعين- سأله عمر -إذ كان عمر يخشى أن المسلمين يلحقون حيفاً بأهل الزمة مما يجعلهم ينتفضون العهد- فقال عمر: لعل المسلمين يقضون بأذى ويأمور لها ما ينتفضون بكم؟ فأجاب الأحنف: ما نعلم إلا وقاء وحسن ملكة، قال: فكيف هذا؟ فقال له الأحنف: يا أمير المؤمنين أخبرك أنك نهيتنا عن الإنسياح في البلاد، وأمرتنا بالاعتصام على ما في أيدينا، وإن ملك فارس حي بين أظهرهم، وإنتهم لا يزالون يساجلوننا مادام ملكهم فيهم، ولم يجتمع ملكان يتفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه، وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا بانبعاشهم، وإن ملكهم هو الذي يبعثهم، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا فلنسح في بلادهم حتى نزله عن فارس ونخرجه عن مملكته ومن أمته، فهناك يتقطع رجاء أهل فارس، فقال عمر: صدقتني والله وشرحت لي الأمر حقه.

وعليه فمادام نجيب على سدة حكمه، وكابل قائمة بتصيب عليها الأسلحة والأموال من روسيا كانه الوابل المنهمر حتى قال المراقبون: إن نفقات روسيا الآن على أفغانستان قد تزيد على نفقاتها أثناء وجود قواتها، فما دامت العاصمة كابل لم تسقط بعد بيد المجاهدين فإن القوافل التي تخرج تباعاً لإمداد جند الكفر في جلال آباد وقندهار وبغلان ستبقى مستمرة، مما يجعل سقوط المدن صعباً ويحتاج فترة أطول.

٢ - القضية الثانية: نحن بإذن الله نرى أن الحكم الشيوعي أيل إلى السقوط، وإنما القضية لا تعدو أن تكون زمنية، وقد يطول الزمن أو يقصر حسب تقدير الله وعلمه.

٣ - الأمر الثالث: أن معنويات الشيوعيين متحطمة، بينما تجد معنويات المجاهدين مرتفعة رغم القرح الذي أصابهم:

(الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرع للذين احسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) (ال عمران: ١٧٢)

٤ - ما من يوم يمر في أفغانستان إلا ويحقق المجاهدون انتصارا وتقدما مهما كان جزئيا.

٥ - إن المدن كلها في أفغانستان في حصار شديد، والمجاهدون يحيطون بها إحاطة السوار بالمعصم، والإمداد معظمه جوي بالطائرات، والحياة خانقة في المدن الأفغانية، وارتفاع الأسعار في ازدياد مستمر، والروية الأفغانية في هبوط دائم، ولغة نجيب في مخاطبة المجاهدين والشعب الأفغاني في ذل وضعف واستكانة.

ولكننا نهيب بالمسلمين أخيرا أن لا ينكلوا عنا، وأن لا يعيل صبرهم فيكفروا أيديهم عن أنبل، فالنصر قادم بإذن الله: (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

وأما نحن وهو لسان حال كثير من القادة فإننا نردد ما قاله أبو بكر يوم الردة لعمر بن الخطاب وهو يقول له يا خليفة رسول الله تألف الناس وارتفق بهم، فاجابه أبو بكر: (رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك: أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام؟ إنه قد انقطع الرحي، وتم الدين، أرينقص الدين وأنا حي؟! والله لو خذاني الناس جميعا لجاهدتهم بنفسي، والله لو منعوني عناقا (سحلة) وفي رواية عقالا (رباط الدابة) لقاتلتهم على منعه).

لاستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما اتقادت الآمال إلا لصابر

وما لنا لا نقول:

وان أصالحكم مادام لسي فرس واشتد قبضا على الصمصام إيهامي

((فإنما هي إحدى الحسينين: النصر أو الشهادة))، فلا نكوص عن الطريق، ولا تراجع عن الغاية، ولا محيد عن إقامة الدولة الإسلامية في أفغانستان بإذن الله.

بين جلال آباء وتُستَر^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فالعالم كله في زهول يبحثون عن مخرج من الأزمة الكبرى، إنها معضلة مذهلة تكاد تفقد الكفر صوابه، وكئن لسان حالهم يخاطب نفوسهم (يداك أوكتا وفوك نفخ)، جند الله قد أعدوا أنفسهم ونصبوا سرادقهم، وأخذوا مواقعهم من خنادقهم، وهم جانون يوصلون جهد الليل بكد النهار، لا يشغلهم إلا توفير الطعام، وتخزين الذخيرة، وجمع الدواء، والمحافظة على طرق الإمداد إلى كابل وجلال آباد وقندهار.

وأما أعداء الله فقد أشغلتهم الدواهي، وحيرتهم الحساب التي يتوقعونها من وصول ليث الله إلى الحكم.

فماذا عساهم يفعلون؟ أو بأي صارم يضربون؟ وفي أي جادة يسلكون؟ أو تؤول عليهم الدول المحدقة بهم؟ أم نصرم المودة بينهم وبين الدولة المضيفة لهم؟ أو تقطع حبال المودة بينهم وبين من يتعاطف معهم من العالم الإسلامي؟

قال قائلهم: سلطوا أجهزة البث على صوتهم فاخنقوه، وعلى طريقهم الواضح فشرهوه، وعلى ذيلهم الطاهر فلطخوه.

ومن قائل يقول: لا بل ابحثوا عن الملك الغابر فلمعوه، وعن المومياء المحنطة فانشروها بثوب الأحياء، واتفق كبار القوم وأئمة الكفر على حكومة علمانية.

فأمريكا وروسيا قد بيتوا أمرهم وأجمعوا كيدهم أن يرجعوا ظاهرشاه أو رجلا من حاشيته ممن تخموا من أكل الفتات على موائده، ويشموا لكثرة ما عبوا من سوره وكؤوسه، مثل محمد يوسف وعبد الحكيم طيبي.

ولقد اتفق الجميع على ظاهر شاه، ولكن الخلاف بين التثنين الأكبرين حول شكل الدولة:

١ - فأمريكا تريد دولة محايدة ليس فيها من الأصوليين ولا من المجاهدين ولا من الشيوعيين، إنما يشغلها رياث الغرب من

١ - لهيب المركة العدد ٦٤ التاريخ ١٤ ذو القعدة ١٤٠٩ هـ - الموافق: ١٧ / ٦ / ١٩٨٩ م

عاشوا تحت الأكناف، وتربوا وراء الكواليس على عين أمريكا وتحت سمعها وبصرها، وكانت آخر تقليعة سمعناها بالأمس أننا نريد دولة {تكثر قراط: أي دولة الفنين والمختصين}} أي دولة الأطباء والمهندسين والاقتصاديين والسياسيين الذين نالوا شهاداتهم من هارفارد وكولومبيا ونورث كارولاينا وسلوث كاليفورنيا ... ممن تتلمذوا على يد كيسنجر وصفروني وبيريانتي وغيرهم والموساد ببرامجهم ومؤتمراتهم ليكونوا CIA ممن تدعمهم يده الأمنية الضاربة وعيية نصحتها (مستشارها وخزانة أسرارها) إذا ادلهمت الخطوب واشتدت الكرب، ويقول الأمريكيان وصنائعهم: نحن لا نريدها دولة دائمة مستقرة، إنما نريدها دولة انتقالية تشرف على الانتخابات، وتستلم الحكم من نجيب لتسلمها آليا وأتوماتيكيا إلى المجاهدين، ولعمر الحق إن هذا إلا اختلاق.

ب - وأما روسيا فهي نصب مساعداتها وذخائرها بالجسور الجوية التي لا تكاد تنقطع، وهي نريدها دولة ائتلافية: تشترك فيها جميع الأطراف وعلى رأسها حكم نجيب القائم وحزبه الشيوعي.

وأمريكا إنما ترفض بقاء نجيب لأنها تعلم علم اليقين أن هذا يحيل الهزيمة الروسية وانحسار قواتها إلى أمر صوري، ويبقي أفغانستان لعبة في يد روسيا تقيم فيها قواعدها، ويعود مطار شندند برهيته التي تخيم على سماء المنطقة البترولية العربية، إذ لا يبعد شندند عن الخليج أكثر من ١٥ دقيقة بالطائرة، ودعك عن قندهار التي تلتصق بإقليم بلوشستان الذي يقع الخليج العربي والبحر العربي على حافته.

كل هذا والصحف التي تدور في فلك الإعلام الغربي والشرقي جاهدة في تصوير الجهاد الأفغاني أنه حرب أهلية، وأنها سفك دماء المسلمين بعضهم لبعض، وكل من يقدم درهما في هذا الطريق فإنما يساهم في إراقة دماء المسلمين وانتهاك أعراضهم.

وأما المجاهدون: فهم في طريقهم سائرون، وهم عن لغو الترب معرضون، وعن لغو الشرق صفحا مضربون، إنهم منشغلون بممركتهم التي لا تتوقف، وبحصارهم المضروب حول كابل وجلال آباد وقندهار، أحكم الخناق على قندهار، فجأر السكان إلى حكمتيار؟ ما بالكم تقتلوننا جوعا بطوقكم؟ أما أن لهذا الليل أن ينجلي؟ فيشير عليهم بالخروج بعد أن تعهد بتوفير الطحين والخيام لهم.

محافظ لغمان يستعمل المجاهدين أسبوعين للاستسلام، والطريق ما بين كابل وجلال آباد أحكمت إغلاقا -تقريبا-، فحاولت قافلة أن تشق طريقها لإطعام البائسين والأشقياء من المحرومين في الدنيا والآخرة، فلقى من فيها مصرعهم حرقا قبل نار يوم القيامة. والمجاهدون مطمئنون أن الله سيفتح عليهم جلال آباد وكابل، وأن دولة الكفر ستتهار مهما اشتد القتال وطال الحصار.

إن الطمأنينة التي تفرحهم، والسكينة التي تفرق جوانحهم عجيبة، حتى في أشد الساعات العصيبة، وأخرج الأوقات الرهيبة، لنا في السابقين عبرة وكان لسان حالهم يقول:

إن وقفنا أمام أسوار جلال آباد شهرين فقد وقف آباؤنا من الصحب الكرام على أبواب حصن بابلين بمصر ستة أشهر وتحت قيادة عمرو بن العاص.

وإن تأخر فتح قندهار عدة أشهر فقد حاصر السلف من الصحابة والتابعين تستر (مدينة الهرمزان) ستة ونصف إلى سنتين كما يروي ابن كثير، وما سقطت إلا بعد أن لجأ المسلمون إلى الله ثم إلى البراء بن مالك -رضي الله عنهم أجمعين- قائلين يا براء: أنت الذي قال فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره) فأقسم على ربك ليهزمهم لنا، فقال: اللهم اهزمهم لنا واستشهدني، فهزموا وقتل البراء شهيدا^(١).

وقد خاض المسلمون ثمانين معركة وزحفوا لتستر، ثمانين زحفا كانوا بين كر وفر، وكانهم يقولون: ولو طال الزمن لأشهر أو لعام أو أكثر بين الهزيمة الروسية وبين سقوط حكم عميلهم نجيب، فلقد كانت القادسية في (١٤ محرم ١٤هـ)، وكان فتح الفتوح (معركة نهاوند) سنة (٢١ هـ)، فهي سبع سنوات متواصلة من القتال الدائب حتى سقطت معظم أصقاع العراق وبقاعها.

١- (ابتداء والنهاية ٧/٩٦).

التوكل على الله ومواصلة الطريق:

إن المجاهدين بإذن الله ماضون على طريقهم، لا يثقلون إلى الكيد العالمي، وإنها لتذكرنا بالصفحات المشرقة التي فتح بها الشرق -العراق وإيران وخراسان- أول مرة.

فلقد كتب عمر إلى سعد رضي الله عنهم: (لا يكره لك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتوك به، واستعن بالله وتوكل عليه)، فرد عليه سعد (ليس شيء أهم عندي ولا أكثر ذكرا مني لما أحببت أن أكون عليه من الاستعانة والتوكل)^(١)

وعندما أرسل سعد وفدا إلى رستم منهم النعمان بن مقرن والمغيرة بن شعبة وقرات بن حيان فقال لهم رستم: (ما أقدمكم؟ فقالوا: جئنا لموعود الله إيانا أخذ بلائكم وسبي نساكم وأبنائكم وأخذ أموالكم، فنحن على يقين من ذلك)^(٢)، ونحن بإذن الله على يقين من وعد الله لعباده المجاهدين بالفتح والتمكين: (ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا).

المسلمون قادمون^(٣)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ففي الوقت الذي تنهار فيه حضارة الغرب تدريجيا، ويعلن فيه فلاسفتها وصناعها أن هذه الحضارة بقدر ما قدمت للبشرية من إمكانيات مادية تشبه الخيال فإنها أفلست في عالم القيم، وفشلت فشلا نريعا أن تقدم السعادة للإنسان.

أقول في هذا الوقت وعلى قدر من الله جاءت الصحة الإسلامية، وبدأ الجهاد الإسلامي الذي لا يمكن لأي مجتمع إسلامي أن يقوم إلا على أثره، ونتيجة طبيعية وثمره منطقية له.

لقد أعلن (برتراند رسل) قبل ثلاثة عقود تقريبا قائلا: (انتهى دور الرجل الأبيض)، ولقد أعلن الرئيس نيكسون في أول خطاب رسمي له بعد انتخابه رئيسا للولايات المتحدة قائلا: (إننا نجد أنفسنا أثرياء في البضائع، ولكن ممزقين في الروح، ونصل بدقة راثعة إلى القمر، وأما على الأرض فتتخبط في متاهات ومتاعب كثيرة).

ويقول العالم الإسباني فيلا سبازا: [إن جميع اكتشافات الغرب العجيبة ليست جديدة بكلفة دمة واحدة، ولا تقديم ابتسامة واحدة، وليس أجدر من أمم الشرق المتحفة بالثقافة العربية الإسلامية بوضع حد نهائي لتدهور الغرب المشؤم الذي يجر الإنسانية إلى هوة الوحش والتسلط المادي].

وما أجمل ما قاله الأستاذ عمر بهاء الدين الأميري فيها:

حضارة الطين تستوفي نهايتها	في الشرق والغرب من قانونها الوبق
عاشت وعشنا بها القرنين في كبد	حرب الفناء وسلم الهم والأرق
نضيق في تيه ما تعلية من نظم	من صنع مؤلفك للنور مخلق
تطوي مراحلها النكداء في قلق	وقد تخدره بالخمر والشبق

فالرأسمالية قد سقطت في جحيم الشهوات، وفي مستنقع النزوات، حتى أصبحت بأموالها تقتل نفسها، وهرب الإنسان من نفسه إلى الخمر، فلم ينسه همومه، ثم إلى المخدرات التي تاكل جسده بعد روحه، وأصبحت شبعا رهيبا يسيطر على الغرب والشرق، ثم إلى التمرد على المجتمع، والجريمة التي لا طائل من ورائها سوى أنها ردود فعل داخلية يريد أن ينفس فيها الشقي عن قلق، وليس بعد هذا كله سوى الانتحار.

ففي إحصائية نشرت في الولايات المتحدة جاء فيها ما تقشعر له الأبدان لهول الكارثة، لأنها تصور الدرك الهابط الذي سقط فيه الإنسان:

(جريمة واحد تتم كل ٢٤ دقيقة، ويجري في كل عشر ثوان اقتحام منزل وسرقة، ومع ذلك يوجد السلاح المعروض للبيع الحر مسدس لكل أربعة أمريكيين، وتباع قطعة سلاح في كل ١٣ ثانية، أما الاختطاف والإجهاض والانتحار والإدمان والتمرد والشنود الجنسي فحدث عن موج البحر ولا حرج) الإسلام وأزمة الحضارة للأميري ٢٩.

وأما الإنسان وراء السور الحديدي الأحمر فحدث عن شقائه وضنكه وحيرته واضطرابه ولا حرج، عدا عن الضغط النفسي

١- البداية والنهاية لابن كثير ١٢/٧.

٢- البداية والنهاية ١٢/١.

٣- لبيب المعركة العدد (٥٧) التاريخ ٢١/ ذو القعدة / ١٤٠٩ هـ - الموافق: ٢٤/ يونيو/ ١٩٨٩ م.

الذي يعيشه الأدمي تحت سيطر الحكم الإرهابي، ونفسية الإنسان المسحوقة بين المطرقة والسندان في الجحيم البوليسي الرهيب الذي تزاوله طبقات قطاع الطرق على سعادة الإنسان باسم الحزب الشيوعي وكوالبره، حتى تجد أساتذة الجامعات بإمكانك أن تشترهم بينطال جينز أمريكي، أو صندوق لسان غربي.

طريق الخلاص:

وليس أمام الإنسان المنكود من طريق الخلاص سوى الرجوع إلى الله، ولا يمكن للإنسان الغربي أن يرجع إلى الله بهذه السهولة، فهو كمن يسبح ضد تيار نهر متدفق بمأواج متلاطمة لا يمكن مقاومتها.

ودجوع البشرية إلى الله له طريق واحد: أن تقوم جماعة إسلامية تدعو إلى الدين الخالص، فتقوم الجاهلية في وجهها تشن عليها كل وسائل التشويه، وتسلك حيالها بكل السحق والإبادة، ثم تعلن الجماعة الإسلامية الجهاد، وتشعل فتيله، وينضم الشعب إلى الحركة الإسلامية تدريجياً، ويكون الشعب وقود هذه المعركة الطويلة، ويدخر الله بعض أبناء الحركة الإسلامية أحياء لقطف ثمار الجهاد وحصد زرعه.

وعندها يستلم أبناء الحركة الحكم، ويقيمون المجتمع المسلم، ويطبقون بين الله فرق أرضه، فإذا رأى الناس المجتمع المسلم يفتنون إلى دين الله ويدخلون في دين الله أفواجا.

التجربة المضخمة:

والآن قام الجهاد الأفغاني، وسار في نفس الخطوات السالفة الذكر، وقرب قطف الثمار، والآن المجاهدون حول كابل قد بدأوا يدمرون الحزام الأمني الثاني، وقد أخبرنا حكمتيار قبل يومين أن المجاهدين قد افتتحوا مديرية كبرى من مديريات كابل وهي (مير بجاكوت)، ومنتظر هذا الصيف معارك ساخنة شرسة حول كابل، وأحكم المجاهدون الحصار حول قندهار وجلال آباد.

وهنا قام الغرب والشرق وتقاسموا فيما بينهم أن لا يصل المجاهدون الحكم، فكانت هذه الإجراءات الصارمة التي تراها في الساحة يوما بعد يوم، من وضع نقاط الهدنة على الحدود، ومنع تصدير المواد الغذائية من باكستان (أي منع وصول الطعام إلى المجاهدين)، وقبض البد الصديقة من مد المجاهدين بالضروريات، والمؤامرات العنانية لإرجاع ظاهر شاء، والحكومة العريضة والمحايدة، وإثارة فتنة الوهابية، ومعارية العرب المجاهدين على قدم وساق لتحجيم قضية الجهاد وردّها من معركة جهاد إسلامي عالمي إلى قتال إقليم اسمه أفغانستان، والحرب الأهلية، والحملات الإعلامية الشرسة التي يشنها الغرب على المجاهدين الصادقين، وطمس معالم الحقيقة، وإظهار الجهاد بصورة باهتة، وتقديم المجاهدين بصورة العاجز أن يواجه الحكم الشيوعي الذي أثبت جدارته، وهكذا وبالكاد وكانت آخر صيحة (حكومة التكنوقراط) التي تريدها أمريكا من صنائعها الذين تربوا فيما وراء الكواليس.

انہا امریکا :

التي تبحث عن حل لآزماتها النفسية ومشاكلها الاجتماعية المعقدة، وعن براء تاجع لأبوابها وأمراضها، وهذا العلاج موجود في صيدلية واحدة وهي الصيدلية الإسلامية التي قرب فتحها -إن شاء الله- في أفغانستان، ولكننا نجدهم يحاولون أن يبتروا كل يد تمتد إليهم بالإحسان، ويكسروا كل زجاجة فيها علاجهم، أريد حياتهم وأريد قتلهم، إنهم يتخبطون كالذي يتخبطه الشيطان من المس، إنهم يحاولون أن يوقفوا النواميس الإلهية، ويصالحوا القوانين الإلهية، فهذا الدين قائم -بإذن الله- أجلا أو عاجلا، ونأمل أن تكون أفغانستان هي (بوابة التاريخ الإسلامي الحديث)، وهذا أمل المسلمين في أرجاء العالم أجمع، وكأن لسان حال كل مسلم يردد منشدا:

بنسبي الأفغان شدو العزم لا تلقوا السلاح
مقرر سينبت ريشه من رمسه شجر الرماح
ليل بهيم مدلهم بيد ان الديك صسسح
الصبح موعنكم بكم ستعود تزدهر البطاح
ويهزكم ويهز كل الكون حي على الفلاح

فالمسلمون قادمون بإذن الله .

دعم الجهاد إنقاذ للبشرية^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. أما بعد:

فكل مراقب لمسيرة البشرية اليوم وتياراتها يدرك أن هذه البشرية جامحة نحو الهلاك، ميممة شطر الدمار الذي ينتظرها، ما لم يتداركها الله برحمته.

وعقلاء القوم من أبناء الحضارة الغربية ممن لم يجرهم التيار، ولم تطرحهم أعاصيرها في مهاوي الردى ومستنقعات اليأس والشقاء لاحظوا منذ بداية هذا القرن أن شجرة الحضارة الغربية بشقيها الرأسمالي الليبرالي (الفردى الحر)، وفرعها الاشتراكي الجماعي الشيوعي أخذ بالاضمحلال، وفي طريقه إلى الزوال.

ولا يمكن لحضارة تتعاضى عن فطرة الإنسان، وتتجاهل صبغته وتركيبه النفسي والروحي والجسدي، لا يمكنها أن تعيش طويلاً، لأنها تصطدم مع قوانين الله التي أودعها الفطرة البشرية، وهذه القوانين غالبة، ستحطم عليها كل الأنظمة التي لا تقوم على مراعاتها أو تجاهلها.

[فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون]

(الروم: ٣٠) .

إن قوانين الله التي أقام عليها النفس البشرية تتوافق مع القوانين التي خلق بها الوجود، وهي تتناسق جميعاً مع القوانين التي أودعها الله كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم في هذا الدين .

فطرة الإنسان وناموس الكون، ودين الله كلها من عند الله، وخرجت من مشكاة واحدة، وهي جميعاً متوافقة متناسقة تسير في خط واحد .

فإذا استقام الإنسان على هذا الدين فقد استقام مع قانون جسده وروحه، وتوافق مع قانون الكون والحياة.

فإذا انحرف الإنسان لشهوته عن هذا الدين، وتكذب الجادة القويمة بنزواته، فإنه يصطدم لا محالة بقوانين فطرته وخلقه وصبغته، وهنا يقوم الصراع بين فطرة قائمة على قانون الله، وبين نفس يقودها الهوى من خطام شهواتها، ويسيرها بلجام نزواتها، وتكون نتيجة الصراع قطعاً تحطم النفس على صخرة قوانين الفطرة التي لا تهزم ولا تتحطم، فتتسبب الأمراض النفسية والعقلية والعصبية، ويتبعها الجنون، ويتخلل مسيرة الشقاء الهرب إلى الكحول والمخدرات، وقد تنتهي المسرحية بالانتحار.

وقد تحطمت الحضارة الأوربية بشقيها بسبب تجاهلها لفطرة الله التي أودعها هذا الإنسان، وذبلت شجرتها بفرعها بسبب تجاوزها لصبغة الله في هذا الإنسان وفي هذا القرآن.

وقد كتب الفلاسفة الغربيون والشرقيون رواياتهم وكتبهم حول تحطم الحضارة، وعن محاولة إنقاذ سريعة للبشرية ببديل يشفي العليل.

فمن أوائل الذين كتبوا: شبنجلر الألماني حينما كتب كتابه (تدمير الغرب)، والروسي هلكتسلي (جسود في طريق الانهيار)، كابوت وقد كتب (الأمكن المسمومة)، وميشيل روناك وله رواية (الغزو المجهول)، وكتب بوذنس رواية (أوروبا بعد المطر)، من أشهر الكتب التي غاصت في أعماق المأساة كتاب ألكسيس كاريل (الإنسان ذلك المجهول).

وكتب جارودي الفيلسوف الفرنسي الشيوعي الذي رجع إلى الله كتباً كثيرة منها (حوار بين الحضارات).

يقول كاريل: (إلى أولئك الذين يجدون من أنفسهم شجاعة كافية ليدركوا ليس فقط ضرورة إحداث تغييرات عقلية وسياسية واجتماعية، بل أيضاً ضرورة قلب الحضارة الصناعية وظهور فكرة أخرى للتقدم البشري)، فجاء جارودي واتقاً مخلصاً ينادي بإيمان: إنها الإسلام.

يصف الأستاذ سيد قطب حالة البشرية المتردية اليوم في كتابه (خصائص التصور الإسلامي) ص ٨٩ فيقول: (والعاقل الواعي الذي يأخذ النوار الذي يُلخِذ البشرية اليوم حين ينظر إلى هذه البشرية المنكودة، يراها تتخبط في تصوراتها وأنظمتها

١ - لبيب المرعة العدد ٨٨ التاريخ ٢٨ / نوالقعدة ١٤٠٩ هـ - المواقف ١ / ٧ / ١٩٨٩ م

وأوضاعها وتقاليدها وعاداتها وحركاتها تخبط شتيعا، يراها تخلع ثيابها وتلقيها كأنهوس، وتشتج في حركاتها، وتنبه كمسوس.
يراهما تغير أزياءها في الفكر والاعتقاد، كما تغير أزياءها في الملابس وفق بيوت الأزياء!

يراهما تصرخ من الألم، وتجري كالمطاردة، وتضحك كالمجنون، وتعربد كالسكير، وتبحث عن لا شيء! وتجري وراء أخيلة! وتذف بأثمن ما تملك، وتحتضن أقدر ما تمسك به يداها من أحجار وأضار، لعنة! لعنة كالتى تتحدث عنها الأساطير، إنها تقتل الإنسان وتحوله إلى آلة لتضاعف الإنتاج، إنها تقضي على مقوماته الإنسانية، وعلى أحاسيسه بالخلق والجمال والمعاني السامية لتحقيق الربح بعدد قليل من المراهين وتجار الشهوات ومنتجي الأفلام السينمائية وبور الأزياء، وتتنظر إلى وجوه الناس ونظراتهم، وأزيائهم وحركاتهم، وأفكارهم وآرائهم ودعواتهم، فيخيل إليك أنهم هاربون مطاردون لا يلون على شيء، ولا يثبتون من شيء، وهم هاربون فعلا، هاربون من نفوسهم القلقة الحائرة، التي لا تستقر على شيء ثابت، ولا تدور حول محور ثابت.. وحول هذه البشرية المنكودة زمرة من المنتفعين بهذه الحيرة الطاغية، وهذا الشرود للقاتل.. زمرة من المراهين، ومنتجي السينما، وصانعي الادعاء والصحفيين والكتاب... يهتفون لها بالمزيد من التخبط والصراع والدوار، كلما تعبت وكثت خطاها وحنث إلى المدار المنضبط والمحور الثابت وحاولت أن تعود.

زمرة تهتف لها: التطور.. الانطلاق.. التجديد بلا ضوابط ولا حدود... إنها الجريمة.. الجريمة المنكرة في حق البشرية كلها.. وفي حق هذا الجيل المنكود.

مستشفيات الإنقاذ وفرق الإخلاء :

ولذا لابد للبشرية من إنقاذ سريع، ولا بد من توفير سيارات إسعاف، وفرق للتخية لتخليص الجرحى وتقديم النواء العاجل لهذه البشرية المحزنة المنكودة.

طبيعة أوروبا :

وأمریکا وهي أشد أبناء أوروبا تمردا وعنجهية وإيمانا باستعمال العضلات هي وأما أوروبا وريثة الحضارة الرومانية، والحضارة الرومانية قائمة على القوة، ولذا كانت مشاهد مصارعة الثيران الإسبانية، وصراع الأسرى مع الأسود التي تجوع ثم نعت عليهم من أحب المناظر إلى الجماهير التي كانت ألوفها المؤلفة تهيج متتشية بالتصفيق الحاد كلما انتزع الأسد شلوا من أشلاء الأسير، أو حطم جمجمته، أو يقر بطنه ببرائته واندلقت أفتابه.

ولذا فأحب الأفلام إلى الأمريكان هي أفلام رعاة البقر (COWBOY)، وأفلام المغامرات البوليسية، ولذا فالضعيف ساقط في أنظار الغرب ولا وجود له، بل لا يستحق الحياة.

إن قانون الحياة عندهم (تنازع البقاء وبقاء الأصلح) (وصراع الأقوياء مع الضعفاء).

من يقدم الدواء :

ونحن المسلمون هم الجهة الوحيدة التي تملك نواء أمراض الغرب، ونحن أهل هذا الدين فقط الذين يمكننا أن نقدم سيارات الإسعاف لإخلاء جرحى الحضارة الغربية المتساقطين على شوارعها، والذين تضمهم مستشفياتها النفسية والعقلية والعصبية، ولكن الغرب لا يأخذ النواء من الضعيف، بل لابد له من القوي الذي يحترمه فيتناول العلاج الذي فوقه راحته.

الأفغان نالوا احترام الغرب :

قال وزراء دفاع حلف الأطلسي لكارلوتشي وزير الدفاع الأمريكي السابق (يبدو أن غورباتشوف قد غير سياسته تجاه الغرب! فقال كارلوتشي: لقد أجبر الأفغان غورباتشوف أن يغير سياسته تجاه العالم).

ولد أقبال أرماكوست وكيل الخارجية الأمريكية على برهان الدين رباني، فوقف رباني ليسلم عليه، فقال أرماكوست: (يا سيدي لا تقم! أنت يقام لك ولا تقوم). ولذا فإن الأفغان الآن هم أقدر الناس على تقديم هذا العلاج للغرب.

وزن الجهاد الأفغاني:

ولذا فإن وزن الجهاد الأفغاني ثقيل في ميزان الغرب، بل في ميزان العقلاء في العالم أجمع. ومن هنا نحن ننظر للجهاد الأفغاني كعملية إنقاذ ليس للأراضي الأفغانية فحسب، ولا الأمة الإسلامية فقط، بل محاولة جريئة لإنقاذ البشرية جمعاء. أما الغرب فهم ينظرون إلى الجهاد نظرة خوف ورعب، لأنهم يدركون أن له ما بعده. ولذا فالدراسات على الجهاد قائمة على قدم وساق.

نظرتي إلى الصحف اليسارية (أهل الشمال):

ولذا فإنني أنظر نظرة رثاء وحزن للكوييتين الذين يكتبون في صحف الوطن والسياسة والأبناء. وهم يحاولون أن يجهضوا أضخم نصر حققه المسلمون في هذا القرن، وينفتقون محاولين أن يبتروا اليد القوية التي تحمل اللواء لهم أولاً، وللأمة المسلمة كلها، وللإنسانية المعذبة الشقية فوق المعمورة.

أنظر إليهم وهم يلعبون لعب الأطفال، ويلتفون لتغ الأطفال، أنظر إليهم من عل وإلى اهتماماتهم الصغيرة الهزيلة، وأعجب، ما بال هؤلاء الناس يعيشون في المستقبل الآسن، والدرك الهايب، وفي الظلام البهيم، ويتركون في هذا المرتع الزكي والمرتقى العلي الوضيء؟! وقديما قيل:

قد تتكر العين ضوء الشمس من رمد وينكسر الفم طعم الماء من سقم
وما أجمل قول أبي الطيب في أمثال هؤلاء:
وقد يلتبس المجنون حاسده إذا اختلطن وبعض العقل عقال
وإني لأحمد الله أن جعلني ممن ينظر إلى هؤلاء باستخفاف واستعلاء، ولا يحلوا لي إلا أن أردد لهم:
ذل من يغبى الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام
ثم أقول لهم:
وه بني قلت هذا الصبح ليل أيعسى العالمون عن الضياء

دعم الجهاد الأفغاني هو إنقاذ للبشرية:

ولذا ويعد أن حقق الجهاد الأفغاني ما حقق، وليوثه تريض على أبواب كابل لتربص الانقضاء على فراشها
لا يدرك المجد إلا سيد فطن لما يشق على السادات فعال
القائد الأسد غزتها برائته مثلها من عداة وهي أشبال
القاتل السيف في جسم القتل به والسيوف كما للناس آجال
ولذا فإن الذين يدعمون الجهاد الأفغاني إنما هم أفراد من فرق الإسعاف لإنقاذ البشرية.

عقوبة المشبطين:

أما المشوشون والمرجعون والمبطلون والمعوقون عن الجهاد الأفغاني فحسبهم قول الله فيهم:
[الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم] (التوبة: ٧٩)
[ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعد، لو خرجوا فيكم ما زادكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يغرونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين] (التوبة: ٤٦-٤٧).
فكفى المشبطين قول الله:

{سخر الله منهم، ولهم عذاب أليم}. {كره الله انبعاثهم} {اقعدوا مع القاعد}
وسماهم ظالمين وأصحاب فتنة وضيعة، والتي تدل على السقوط والدناءة.
ونحن نكل هؤلاء إلى الله الذي سينزل عليهم قوارعه في الدنيا والآخرة كما وعدنا في كتابه.

لا تفكروا بالشتاء^(١)

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فمن غرفة لاصقة بسفح الجبل الأبيض (سفيدكو) بالفارسية > أو سبين غر < بالبشتو > والذي يتصل بين ولايتي بكتيا وتنجرهار ، من هذه الغرفة التي تبدو وكأنها عش الصقور البازية، أكتب هذا المقال، ومن داخل معسكر الفتح الذي له في أعماق النفس ذكريات عزيزة، فالتفكس ذاتها تعرضت للمخاطر كثيرا في هذا السفح وفي القمم المجاورة لها في جاجي التي تعد عاصمة دولة المجاهدين في أفغانستان ، ولقد شهدت بنفسي معارك شرسة بجانب (حكمت يار) و(سياف) مع القوى الروسية التي طالما استعانت لتضع لها موطئ قدم في هذا المكان، طمعا منها أن تغلق هذا الطريق الذي يعد من أكبر منافذ أفغانستان بلا منازع، ولكنها كانت تعود في كل مرة خائبة ، ولأهمية الأحداث الضخمة التي دارت رحاها في هذا المعسكر وفي المعسكرات التي حوله، ولأنها حفرت بسفونة وطنها، ولما لها من أخايد في أعماق نفوسهم، فقد قال لي حكمتيار:

{لقد أوصيت أبناء الحزب الإسلامي إن وافقتي المنية في باكستان أن يجعلوا جـسـدي (قبري) في الفتح، وإن استشهدت في أفغانستان أن يجعلوا رمسي (قبري) حيث مصرعي}.

وأما سياف فليشده حبه لهذه المنطقة فقد اتخذها مقرا لدولته ومركزا لوزارته.

وعندما حطت بنا السيارة أمام هذه الغرفة قال لي حكمتيار : هنا مقر وزير خارجية دولة المجاهدين ، ولا زالت التلويح تغطي المنطقة المحيطة بها، إذ أن الثلج قلما ينوب من فوق هذه الذرى التي تأخذ روعتها وجعالتها ومنظرها الأخاذ من اللون الأبيض الذي يلف العمامة البيضاء لقمم هذا الجبل الشامخ .

وهذه القمم تشدنا بنكرياتها العزيزة إلى شهداء المؤسسة، إلى أبي الذهب، وهشام منصور، وعبد المنان (سيد الكشنة)، وحمدي البنا ، وأحمد الزهراني ، ومنصور المصري المدرب

ثم انقضت تلك السفن وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

ونمتا ليلتنا التي لا يختلف زمهريرها عن أي مكان بارد آخر في ديسمبر أو يناير ، وأنها ليلة تابغية كانت شديدة على جسدي، حتى إذا أذن الفجر كنت أبحث عن إبريق ماء دافئ، بحث الهيم العطاش إلى ما يبيل صداها أو يروي ظمأها ، وصلينا الفجر وراء عبدالله أنس، وما تمنيت قصر الصلاة واختصار تلاوتها يمثل هذه المواقف، ثم وضعت رأسي على النعومة (الوسادة) لعلي أجد بعض الراحة.

وفي صباح اليوم التالي الأربعاء في الثاني من ذي الحجة سنة (١٤٠٩هـ) حضر حكمتيار مع أبي الحسن المدني ومحمد صديقي ومجموعة من الإخوة العرب، ودار الحديث حول فتح كابل والإعدادات التي تتخذ من أجل معركتها ، ورأيت حكمتيار متفانلا جدا بالنسبة للفتح، وأنه إن شاء الله سيتم خلال هذا الصيف ، إذ أن أبا الحسن كان يتكلم وتحيط به ثلة من الإخوة العرب المسؤولين في كابل ، ويعرض بين يدي المهندس الإعدادات التي تم إجراؤها وتنفيذها من أجل معركة كابل القادمة.

قال أبو الحسن: وقد أخذنا على المجاهدين حول كابل عهدا ألا ينسحبوا هذا العام بسبب الثلج، لئلا يدعوا خطوط النار التي وصلوها على تلال الأشلاء وبحور الدماء .

فقال المهندس حكمتيار مقاطعا : لا تفكروا في الشتاء، ولا تفتاحوهم الآن إلا بمعركة الصيف، لأن الأمل بالله - عز وجل - كبير أن يكون الفتح خلال هذا الصيف .

الموازن المنظورة:

إن القوى المنظورة لدى المراقب تبدي له أن حسم المعركة في هذا الصيف قد يكون أمرا جللا، ومعضلة عويصة بونها عقبات كدراء لا تطيقها طاقات المجاهدين ، ولا تقدر على اجتيازها، خاصة وقد شح العطاء، وقبضت الأيدي، وانطلق الملا من المرجفين في

١ - لبيب المعركة العدد ٥٩ التاريخ ٥ ذوالحجة ١٤٠٩هـ - الموافق: ٢٢/يناير/١٩٨٩م.

ملحظة: أرسلت هذه الانتاحية من داخل أفغانستان حيث كان الشيخ في رحله تاريخية مع حكمتيار.

الخليج يعمدون ويبدئون أن المجاهدين قد وصلوا إلى حائط مسدود، وأصبح جسم المعركة عسكريا بعيد المنال، والمجاهدون إن كانوا يحطمون أنهم سيطيحون بحكم نجيب فهم كساع إلى أسد الشرى يستبيحها . بالإضافة إلى أن كثرة العزف على لحن (الحرب الأهلية) في أفغانستان، وأنها دماء المسلمين تراق بقتال شديد من أجل المصالح الذاتية والأهواء الشخصية والمطامع الفردية التي تزج نارها التنافس على كرسي الحكم، والخصومات التي يضرم نارها الألعاب السائل لاستلام سدة السلطان وصولجان الملك، وليس للإسلام في هذه الحرب الآن ناقة ولا جمل !!!

ولقد استطاعت أجهزة البث والتوجيه في الخليج (القبس ، السياسة ، الوطن و...) أن تشكك الناس بهذا الجهاد الصادق، ويبراعته وبأصالته وبإسلاميته، حتى كاد الناس ينسون أن هذا الجهاد قام منذ اليوم الأول في أيام داود سنة (١٩٧٥م) لتكون كلمة الله هي العليا، وإقامة دين الله في الأرض عندما أطلق حكمتيار رصاصته الأولى وصوبها نحو عرش داود، ولم يكن في الساحة روس أبدا . بل كان القتال بين الأفغان المسلمين والأفغان الكافرين الملحدين من الشيوعيين والعلمانيين واللايينيين .

قوة الله:

والذين ينظرون بالمنظور المادي البحت معززون، ولكنهم ينسون أن هذا الجهاد قام منذ اليوم الأول مخالفا للقوانين المادية البحتة التي تغفل قوة الله التي تنزل النصر وترفع القسط وتخففه، وينسون دعاء القنوت اليومي الذي يرددونه في الصلاة :

(إنه لا يعز من عاديت ولا يذل من واليت)، ويففلون عن الدعاء المخبت الذي يتلونه في سورة آل عمران :

« قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب »

آل عمران ٢٦-٢٧.

التكالب العالمي:

إن الذين واكبوا مسيرة هذا الجهاد من بدايتها لا يهولهم أمر التكالب العالمي الذي أجمع كيده وحزم أمره أن يحول بين المجاهدين وبين قطف ثمار جهادهم . وأصبحت الأمور تضيق عليهم يوما بعد يوم ، فقد أصبح أقرب الناس إلى هذا الجهاد يبدون أحيانا تجهمهم بالمجاهدين، ويعرضون أحيانا ويلوون أخرى، ويضيقون الخناق، وقد أعبروا الاعتذار مسبقا إذا حان العتاب .

إن قادة الجهاد يركون أكثر من غيرهم أن يسر الله يسوقه في أشد الساعات العصيبة { [إن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا] }، والقاعدة الأصولية تقول : [إن المعرفة إذا كدرت فهي الأولى، وأما النكرة فإذا تكررت فهي غير الأولى . ولذا فقد ورد في الأثر (لن يفلح عسر يسرين) ، وفي الصحيح (واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا) .

وقد عودهم الله سبحانه على أنه : كلما ازدادت الأزمات شدة كلما فتح لهم الله رحمته من أوسع أبوابها، وإن آياته في نصر المجاهدين وإنقاذهم لدليل قاطع أن البشر لا يملكون إزاء قدرة الله شيئا، وإن الكرامات الباهرة في الميادين السياسية لتفسير عملي لقوله تعالى:

{وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليهما قديرا}، (فاطر: ٤٤)

ولذا فإننا نرى المجاهدين وخاصة قادتهم المسمين بالأصوليين لم يطأطأوا رأسا رغم اشتداد العواصف، وأمام الأعاصير الهوجاء في السياسة العالمية التي تريد أن تلحي عودهم وتبيد خضراهم .

آية باهرة تدعم المقال بواقع الحال:

وأثناء كتابة هذا المقال دخل علينا المهندس حكمتيار في أصيل هذا اليوم ومعه شاب أفغاني اسمه عبد العزيز بن عبد الرحيم، وقدم لنا هذا الشاب قائلا: قصة هذا الشاب عجيبة، فقد كان يعمل في الجيش الأفغاني في الكتيبة (٦٦٦) التابعة للفرقة (٢٤) في خوست . وقد فكر هذا الشاب أن يسلم كتيبته للمجاهدين، فاتفق مع شاب آخر من القبائل العربية في كندز اسمه علي مراد، واتصلوا بالمجاهدين، وأخبرهم باستعدادهم على تسليمهم الكتيبة بأسرها ، وشك المجاهدون في الأمر، وبعد مداولات كثيرة بين المجاهدين

قبلوا بالخطوة، وفي ليلة عيد الفطر قاد هذان الشابان المجاهدين إلى مهاجع الجند والضباط، واقتحموا عليهم مخادعهم، وقتلوا (٣٨) شخصاً معظمهم من الضباط، وقد استعمل المجاهدون المسدسات ذات الكراتم للأصوات، وأسروا (١٢٠) شخصاً و(١٧) ضابطاً، وغنموا (٤٧٧) كلاشنكوفاً و (١٤) جرينوفاً ثقيلاً، وأحرقوا ثلاث دبابات ومخزناً للذخيرة، وغنموا راجمة للصواريخ، كل هذا دون أن تراق قطرة دم واحدة من المجاهدين .

قال حكمتيار : وأنا أريد أن أقدم له جائزة مقدارها خمسون ألف افغاني (ستمائة ريال)، فقلت له : لتكن مضاعفة .

للقصة نظائر قد تتكرر:

والذي حدث في خوست يمكن أن يتكرر في جلال آباد وقندهار وكابل ، وقد تستسلم فرقة من الدبابات، أو يتصل بالمجاهدين قائد سرب من الطائرات ويقوم بنفسه بذلك قصر نجيب ودار الأمان - وزارة الدفاع -، أو قد يتكون المطار نفسه في كابل أو بگرام، وهذه أمور متكررة يومياً وإن كانت على نطاق ضيق، وبأعداد محدودة.

وفي المساء أصبر أبو الحسن المدني على أن أتوجه معه إلى بيروجيا حيث يستعد حوالي خمسين عربياً للارتحال نحو كابل، ونفوسهم تهفو للشهادة وتتوق للقاء ربها في ميدان العزة والمجد والكرامة، وفي الطريق ما بين الفتح وبيروجيا كانت السيارات التي ملاها أبو الحسن المدني وإخوانه بالمواد الغذائية، إذ كانت عشرون شاحنة زاحرة بالأرز والطحين والسكر والنوييا والشاي متأهبة للانطلاق في فجر اليوم التالي نحو كابل .

تاجر صادق تبرع بها:

قال أبو الحسن هذه المواد الغذائية يأتيها تاجر من الجزيرة، وما أحب أن يذكر اسمه ، ولقد كان تبرعه سخياً، إذ أن هنالك مئات الشاحنات تنتظر دورها لتشحن بالمواد الغذائية، ولتحظى برؤية أسد كابل .

ومطلب أبو الحسن أن ندعو لهذا الرجل، فدعونا له أن يخلقه الله خيراً في دينه وماله وأهله، وأن يسبل عليه جلابيب ستره فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض .

وهكذا تسير القافلة وتقرب يوماً بعد يوم من كابل، والكل مثلهف أن يتلو في يوم من الأيام:

{كم تركوا من جنات وعمون، وزروع ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك وأررثناها قوماً آخرين } { الدخان ٢٥-٢٩.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

أمطرت السماء صواريخ^(١)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد .

فقد وصلنا مركز المجاهدين في ميدان الساعة السادسة صباحاً عند طلوع الشمس صباح الأحد، بعد أن قضينا طيلة الليل على الطريق بين جك - وميدان ، والطريق خطيرة، لأن بعض مراكز العدو جد قريبة من الطريق ، ولقد تراسى إلى مسامع العدو أن المهندس حكمتيار في المنطقة، ولذا كانت قذائف الإنارة التي تشبه القنابيل المعلقة في الفضاء تطلق معظم الليل، وكان اسم مركز المجاهدين عند المؤمنين (جبهة مشعل الحق) ، ولقد كان لقائده أمان الله وعزة الله صولات وجولات مع الروس عبر السنوات الماضية، والحق أن مكان المركز يدل على جدية الأمر وأنه موقع قتالي محصن قريب من قمة جبل من الجبال لمواجهة غارات الطائرات والقصف المدفعي الذي يعتبر وجبات ضرورية يومية :

أيدرك المجد إلا سيّد فطن لما يشق على السادات فعال
القائد الأسد عنقها براشقه^(٢) بمعشها من عداه وهي أشبال

١ - لهيب المعركة العدد ٦١ التاريخ ١٩ نوالسبة ١٤٠٩ هـ - الموالق: ٢٦ / يوليوز / ١٩٨٩ م.

كتب الشيخ هذه الانتحابة داخل أفغانستان برفقة المهندس حكمتيار حيث واصلنا مع الإخوة القادمين إلى بشاور.

٢ - البرائن الخالب.

لقد كانت المسافة بين مدينة ميدان وبين غند المؤمنين قريبة جدا ، وأما المسافة بين الغند وبين مراكز العدو فلا تتعدى نصف المسافة ، ومسؤول الإخوة العرب في المنطقة يسمى أبا الدرداء اليماني، شاب بسيط قد قضى ستة عشر شهرا في ميدان، ولذا فنجدته رغم بساطته محبوبا محترما لدى المجاهدين الأفغان .

والشعب الأفغاني إنما يحبون الشجاع الذي يشاركهم مسيرة الدم والعرق في خنادق القتال، (ويخطئ الذين يظنون أن الشعب الأفغاني يقاد من خلال البطون والجيوب ، إنه شعب شهم عزيز لا تأسره إلا مودة القلوب)، ولذا فقد أقبل بعض الناس بحزم من البرسيم يظنون هذا الشعب كثيره من الشعوب، وحاولوا أن يفرضوا عليه آراء بعيدة عن تفكيره وحياته فنبذها ونبذهم .

إن أعداء الله حاولوا أن يستغلوا فقر الهجرة وعوز اليد لهذا الشعب، وعرضوا عليهم إغراءات الدنيا فركلوها باقداهم، إذ لو كانت زينة الحياة وزخرفها تعدل في ميزانهم شيئا لظلوا في بساطتهم ودورهم التي تشبه في جمالها الأحلام رغم بساطتها ، إن دورهم تلجج يتابع الشعر لدى الشعراء، والأدب لدى الكتاب والأدباء ، إنها غرف تجري من خلالها الأنهار، والثمار دائية على النوافذ، ولا تحتاج رية البيت سوى أن تزج الستار وتقطف الثمار، ثم هجروا هذه الحياة الشاعرية الحاملة، وهاجروا بدينهم. تعيش الأسرة والأسرتان في خيمة ما وصلت إلى أيدي هؤلاء الأعداء الكرام إلا بشق الأنفس، وبعد تردد عدة أشهر على أبواب المنظمات الإغاثية، وبين سد ورد ودفع وتجهم حصلوا على الخيمة .

هجرة من أجل العقيدة :

فهي أول مرة في هذا القرن يغادر خمسة ملايين مسلم بيوتهم ومعظمهم مطمئنون غير خائفين، وادعين إلا أنهم رفضوا أن يعيشوا في ظلال الكفر، مع أن النظام الشيوعي يقدم لهم الإغراءات للبقاء، ويصرون على ترك ديارهم التي جمعها في مرارتها وشدة وطئها على النفس مع القتل في كتابه:

((رلو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم)) (النساء: ٦٦).

ونرجو الله عز وجل أن يتقبل هجرتهم، وأن يأجرهم على المعاناة الأليمة التي تجرعوها على هذا الطريق المرير الدامي .

ففي الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم وابن حبان عن فضالة بن عبيد قال صلى الله عليه وسلم:

(أنا زعيم^(١) لمن آمن بي وأسلم ببيت في أرض الجنة،^(٢) وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى الجنة ، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في أرض الجنة وبيت في وسط الجنة وبيت في أعلى غرف الجنة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطالبا ولا من الشر مهريا^(٣)، يموت حيث شاء أن يموت^(٤)).

وجاء أبو الدرداء وأبو الحسن مع مجموعة من الإخوة العرب وعندهم برنامج كبير:

١ - في الإصلاح بين المجاهدين .

٢- توفير النخائر والقذائف للمجاهدين بشرائها من داخل أفغانستان، وذلك لأن المليشيا والضباط الشيوعيين يبيعونها.

٣- التنسيق بين المجاهدين من أجل اقتحام المدن وافتتاحها وعلى رأسها كابل، وقام أبو الحسن من عندنا، وإذا بالمجاهدين التابعين لموسى أحد قادة الحركة وهذا بينه وبين القائد حكمتيار خلافت إلا أن أبو الحسن أقنعه بضرورة تناسي الخلافات ولقاء حكمتيار ، وإذا بالمجاهدين التابعين لموسى مصطفىين على جانبي الطريق يحيون حكمتيار، فعجبنا من هذا الاستقبال الحافل، وسبحان الله كم يقدم الإخوة العرب لهذا الشعب من خدمات، وتدعو الله أن يوفقهم وأن يحقق الخير على أيديهم ، ونرجع لنرى كيف قضينا يومنا في المراكز، لقد حمت الحكومة في ميدان وكأنها ملبورغ يبحث عن علاج، وما هدأت الاتصالات في كابل. فأرسلت حوالي خمسين صاروخا من نوع (أوريفان)، وبإمكانك أن تتصور ضخامته إذا علمت أن مداه ثمانون كم .

وبدأت القذائف تصب على المركز، وأخذت الطائرات تحوم ، كانت الطائرات تريد أن تحدد هدفها، وألقت قذائفها ، وأما مدغية D C٣ . فما كانت لتكف عن القصف قبل صلاة الفجر حيث استيقظت على وقع قذائفها التي كنت أحس أن الجبل يهتز عندنا .

١ - زعيم. كقيل وضامن .

٢ - أرض الجنة. أمتاها .

٣ - لم يدع للخير مطالبا ولا من الشر مهريا. أي فعل كل وجهه الخير وترك كل وجهه الشر .

تفجر القنينة، وأما وقع قذائف الطائرات فحدث عنه ولا حرج، إذ أنك تحس أن الجبل يمد لدى انفجارها، وقد قسم له أحد المجاهدين الغداء، فقال حكمتيار : هذا المجاهد جرحته ابنته بشظايا في ثلاثة أماكن، وكذلك جرحته ابنة أخيه، فسأت ومتى حصل ذلك؟ فقالوا هذا اليوم، فمعبت لصبر هذا الشعب وكأنه يقول :

سبحان خالق نفسي كيف لنتها
فيما النفوس تراه غاية الألم
الدمر يعجب من حملي نوائبه^(١)
وصبر جسمي على أحداث الحطم^(٢)

قال لي أبو الشهيد اليماني : لا يمكن للشعب اليماني أن يصبر كما صبر الأفغان، مع أنه أقرب الشعوب طبعاً ومناقب وسمات إلى هذا الشعب، فقلت له : لا بل لا يمكن لأي شعب أن يصبر عشر ما صبروا ، تصور نفسك أنك منذ تسع سنوات وأنت تعيش تحت صخور من صخور هذا الجبل ، لا تستطيع إلا على نوي الطائرات، ولا تأكل وجباتك إلا على أنغام القذائف وأزيز الرصاص، ولا تنام إلا على عزف المدافع وقعقة السلاح . فكيف إذا جمعت مع هذا الجوع يعضك بنابه، والألم وقد دفنت تحت ركام البيت الذي سقط عليها ، والابن وقد تشوه وجهه بالحروق، والبنات التي طارت قدمها، والابن الذي ندت عينه، والأخت التي جئت لكثرة ما توالى فوق رأسها من مصائب، وما تصيب على جسدها الناحل من النوائب؟

قال مرزوق الجزائري : إن بعض الإخوة الذين يودون الرجوع إلى بلادهم ليقولون إن القاعدة الصلبة في أفغانستان غير موجودة، وأن عقيدة البراء والولاء غير واضحة لدى قادة الجهاد الأفغاني ، لأنهم يتلقون المساعدات من بعض الدول، ويذهب حكمتيار بنفسه يطلب من الطواغيت الاعتراف بحكومة المجاهدين .

فقلت لحكمتيار أجب ، فقال : نعم نحن لا نعلم البراء والولاء، ومن أجل هذا تحاربنا أمريكا وروسيا والغرب ، ولأننا لا نعلم البراء والولاء، لم يعترف أحد بحكومة المجاهدين إلا من رحم الله ، ولهذا رفضت أن أقابل ريفان مع أن السفير الباكستاني مكث إحدى عشرة ساعة وهو يحاول إقناعي فرفضت، رغم أن ضياء الحق -رحمه الله- كان ينتظرني مع ريفان، ثم قال حكمتيار: فهذه المقالة التي كان بعض الإخوة يتكثرون عليها لمحاولة تعطيل الجهاد في بداية المسيرة، ثم لحقوا بنا بعد أن سار الركب وبارك الله في مسيرته، أما أنا فرددت قائلاً : أما بالنسبة للقاعدة الصلبة فهذه كذلك كلمات يجترها الإخوة الذين كانوا يعترضون مسيرة الجهاد في فلسطين عام (١٩٦٩م)، وظلوا في الخليج يربون القاعدة وتركانهم في أحلامهم يفتنون ، وفي أبراجهم العاجية ينفثون ، ويناقشون ويجادلون .

وأما البراء والولاء فليت شعري لو فهم الإخوة التطبيق العملي لهذه العقيدة، وكانهم يجهلون أو يتناسون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل أصحابه إلى الحبشة معللاً ذلك أن فيها ملكاً نصرانياً لا يظلم الناس عنده، وقد ثبت في الحديث الحسن أن النجاشي قد خرج عليه رجل آخر يقاتله فقام المسلمون يدعون للنجاشي بالنصر، وأرسلوا الزبير ليرى نتيجة المعركة، فرجع يلوح بثوبه مؤذناً بانتصار النجاشي، وقد جاء في الرواية أن الزبير قاتل مع النجاشي .

ولعل هؤلاء الشباب الذين لا يشك في إخلاص الكثيرين منهم يجهلون أن كثيراً من الصحابة قد دخلوا في جوار الكفار في مكة، فدخل عثمان بن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة، وأبو بكر في جوار ابن الدغنة، ودخل الرسول صلى الله عليه وسلم في جوار المطعم بن عدي لدى عودته من الطائف إلى مكة .

وأوى في الطائف إلى بستان لشبية وعتبة ابن ربيعة هاربا من السفهاء والغلمان الذين يتابعونه بالحجارة ، وكذلك فإنهم يجهلون أن قبيلة خزاعة كانت عيبة (خزانة) نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمهم وكافرهم .

أما بالنسبة لأخذ المساعدات فقد اتفق الفقهاء الأربعة على جواز أخذ المساعدة عند الضرورة من الكفار، على أن لا يكون هناك شروط، وقد سئل أحمد بن حنبل عن رجل جائع امتنع عن أكل ميتة حتى مات، فقال أحمد : إنه مات أئماً .

هناك قضايا لم يساوم عليها الأفغان خاصة الأصوليون (الملتزمون بالكتاب والسنة)، وهي: اللافتة يجب أن تكون إسلامية ، الراية يجب أن تكون واضحة ، الهدف واضح لا تقاصر عنه ، وهو لتكون كلمة الله هي العليا ، الحكومة يجب أن تكون إسلامية ليست ائتلافية ولا محايدة وإن يدخلها الشيوعي .

ورفضوا قبول المساعدات من أمريكا، وقالوا : نحن نقبل مساعدات من باكستان والسعودية والشعوب الإسلامية، أما أمريكا فلا.

أما بالنسبة للشباب فنقول لهم : إنما دواء العي السؤال: {فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون} (النحل: ٤٢).
إنما الأمر كما قال سيدنا علي - رضي الله عنه - : (قصم ظهري رجالن : عالم فاجر وعابد جاهل)، فكثير من هؤلاء الشباب عابد جاهل .

وإنما أفسد الدين أنصاف المتعلمين، فلا هم جهلة حتى يسألوا، ولا هم علماء حتى يفقهوا ويدركوا، ولذا لا يسأل عن القضايا الإسلامية من لم يسير غورها، ومن لم يخض غمارها، ومن لم يدرك أسرارها، ولا يسأل القاعدون الذين لا يدركون طبيعة هذا الدين، لأنهم لا يتحركون من أجل إقراره في الأرض، ولا يضحون لنصرتهم في الحياة .

وليت شعري كيف ينصر دين الله شاب لا يستطيع أن يواصل مع المجاهدين عاما ؟! فآين الصلابة التي تجري في عروقه حتى تنقلها إلى الآخرين ؟! وآين هو من القاعدة الصلبة حتى يبني بنفسه القاعدة الصلبة ؟!

ثم قلت لحكمتياري : توضأ لنصلي العصر، وبعد الصلاة انطلقت بنا السيارات من ميدان جليز بين الدعاء والتكبير .

وسبحاتك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

أفغانستان بين الخوف والرجاء^(١)

الحمد لله وحده، والصلوة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

لا بد وأن يكون للإسلام قوة جاهزة مستعدة، حتى إذا حصل خلل أو خداع تحرك الجيش ليعيد الإثخان مرة أخرى ليخضد شوكة الكفار أينما كانوا، لينسف زعامتهم، وليحطم كبرياتهم ، وليمرغ كرامتهم بالتراب .

ومن هنا جاء انسحاب الروس من أرض أفغانستان يجرون أذيال الخيبة بين سيقانهم، تاركين وراءهم ذبول الخزي والخذلان والخسارة والهوان ، من أي بقعة ينسحبون ؟ إنهم ينسحبون من قواعد كان المسلمون يظنونها لا تزول، من (شنند) القاعدة التي تنطلق منها الطائرات النفاثة التي تجوب الأفاق، والتي بإمكانها أن تصل إلى الخليج بخمس عشرة دقيقة، والصواريخ التي يمكن أن تطلق منها لتضرب الكويت والرياض وصنعاء في اليمن، والدبابات التي لا يفصلها عن الخليج إلا مسيرة يوم واحد .

كما انسحب الروس أيضا من كلجي القاعدة التي تمتد شمال أفغانستان بالذخيرة ، وتضم بين حناياها مصنعا للأسلحة الثقيلة، والتي تسيطر على الطريق العام الواصل بين روسيا وكابل .

كما جاء انسحاب الروس من (واخان) ذلك الأصبع الذي يجمع أفغانستان بالصين، فأراد الروس أن يقطعوا صلة أفغانستان بالصين، فاشتروا هذا الأصبع من بابرak كارمل بمعامدة تولية ، وزرعوها بالصواريخ العابرة للقارات:

{ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الابصار} .(الحشر ٢).

وبعد انسحاب الروس من أرض أفغانستان بات الخوف والهلع يسيطر على بعض الناس من مكر الروس التاريخي وخداعهم من أن يرجعوا مرة أخرى إلى أفغانستان بلعبة يحكمون بها قبضتهم الحديدية بعد أن يشغلوا المجاهدين بقتل داخلية أو بحسب أهلية .

وأنا أطمئنكم بأنه لن يرجع الروس مرة أخرى إلى أفغانستان إلا إذا أحبوا أن يبادوا عن بكرة أبيهم ، لأن الروس منذ ثمانين سنوات ونيف وهم يشعرون أنها غلظة تاريخية استدرجهم إليها الشيوعيين المحليين الأفغان، وبدأوا يؤنون ضرائبها باهضة عالية.

١ - تهيب المعركة العدد ٦٢ التاريخ ٢٦ نوالحجة ١٤١٩ هـ - الموافق ٢٩ / ٧ / ١٩٩٨ .

خرأ أسفر الشيخ إلى أفغانستان فلم يتمكن من إرسال الافتاحية لصعوبة التوصلات حيث اخذنا هذه الافتاحية من الشرطة السمنية

وخسائرهما فادحة، يتحطم أساطيلهم الجوية والبحرية، ويدفن فلذات أكبادهم على حوض الهند وني وادي بنجشير وعلى ضفاف هاري رود .

نعم، لا يمكن للروس أن يرجعوا إلى أرض أفغانستان، يمكنهم أن يشتغلوا من بعيد عن طريق قصف الطيران ، ويمكنهم أن يحاولوا إثارة الفتن ، هذا لن يكف الروس عنه، وسيحاولون كثيرا أن لا يقبض الزمام أناس من أهل الإيمان والإسلام، ممن سيكون لنباهم ووجودهم نبأ ولو بعد حين .

لذلك نجدهم يحاولون مع أمريكا منذ أربع سنوات، ومع الغرب قاطبة أن ينتزعوا البساط من تحت الأرجل المجاهدة القوية، وأن يأخذوا محور القيادة من أولئك المتطرفين المتشددين الأصوليين ، ولكنهم يريدون والله يفعل ما يريد .

إن الله تعالى يريد للفئة المؤمنة أن تتسلم الأمانة لتكون أمانة على الأمانة، حتى لا تضيع منها بعد أن يسلمها إياها، ويضع تاج الملك على مفرقيها ، يريد أن يمكن لبيته في الأرض، وأن تنفيا البشرية ظلال دينه ، وتستريح من لبح الهاجرة، ومن صحراء التيه الذي طالما ضلت فيه كثيرا، ودفعت الضرائب عالية من أعصابها ومن نفسها ومن قلبها وأجسادها وقيمها وأعراضها ، والناس كذلك متخوفون من أن أفغانستان ستعرض كما تعرضت إليه السودان من حصار اقتصادي عالمي فيما لو أحكمت الفئة المؤمنة قبضتها على الحكم وبدأت تطبق دين الله كما أنزل .

وأنا أطمئنهم بإذن الله أن أفغانستان لا يهمها الحصار الاقتصادي ، فقد عاشت طيلة حقباتها التاريخية معزولة عن العالم، تستطيع أن تقوم بذاتها، وعندها قمحها وأرزها وسكرها، كل ذلك من أرضها، ولا حاجة لها بعد ذلك في العالم كله .

وإذا كانت أفغانستان قد استطاعت أن تعيش معزولة قائمة على ساقها فيما مضى فهي في هذه الأيام أجدر وأحرى أن تقف تواجه العالم كله، خاصة إذا كانت الحرب اقتصادية فقط.

إنها تواجه العالم كله بخيله ورجله، وبأساطيله البرية والجوية، وبحصاره السياسي والاقتصادي والعسكري، ومع ذلك ما وهنت وما لانت لها قناة:

((لما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين))، (آل عمران ١٤٦)

وأفغانستان حسب تقرير الأمم المتحدة الذي قدمه عبدالمجيد وزير التخطيط السابق للملك المخلوع ظاهر شاه تكفي أرضها لإعاشة خمسة وسبعين مليوناً من البشر .

إن أفغانستان ثرية بمعادنها ويخزون ذخائرها من البترول والغاز والذهب على شواطئ نهر جيحون ، وفي وادي بنجشير وبخشان، واليورانيوم في قندهار، والحديد في باميان .

إنها تستطيع أن تعيش دولة من أغنى الدول فيما لو استغلت زراعتها وصناعتها، واستخرج مكنوز ذخائرها من باطن أرضها . وبعض الناس يخافون على أفغانستان من الدول المحيطة بها، وأنا أطمئنهم، فهيبة أفغانستان ليست طارئة في قلوب الدول المجاورة لها ، إن رعب الأفغان في قلوب الدول المجاورة تاريخي قد امتدت جنوده في أعماق قلوب المجاورين، فإذا كان أحمد شاه بابا سنة (١٧٤٧م) قد استطاع بقبائل قندهار التي جمعها بصيحة في ليل أو نهار أن يخترق بلوشستان ويصل إلى بحر العرب، ويجتاز ببشار والبنجاب ولاهور ويصل إلى دلهي، وحطم الهندوس على أبواب دلهي، فكيف تستطيع الهند الآن أن تحتك بأفغانستان المجاهدة التي يقودها ليوث الله ؟! وإذا أردت أن يقيم على الهندي قلوب له من بعيد بعمامة أفغاني ، فقد يستفيق بعدها أولا يستفيق، وأما إيران فلن تستطيع أبدا أن تحتك بأفغانستان، لأنها تعلم من هي أفغانستان التي بقيت ولردج كبير من الزمن تحكم المنطقة الشرقية من إيران - منطقة خراسان - هذه كانت تابعة لفترة ليست بسيطة تحكم من قبل أفغانستان .

إن أفغانستان ليس لها بحار على جوانبها، فهي ليس من السهل أن تستسلم لقوة آتية من الخارج ، ولا تستطيع قوة أن تخترقها سوى روسيا التي جنت ما جنت من حصاد الأيام شوكا وضياعا وحسرة وندامة .

فروسيا لن ترجع إلى أفغانستان إلا إذا فقد الروس عقولهم مرة أخرى ، وأظن أن السيف الأفغاني أعاد الصواب إلى رؤوسهم.

فالأمل بالله عظيم، ومهما كان هذا الغبار الذي يعلو سماء أفغانستان، وإذا كان العجاج يغطي أرض أفغانستان فهذه طبيعة من طبائع المعركة، ونتيجة من نتائجها، هذا شيء منطقي وطبيعي عبر التاريخ بين الإخوة الذي يسيرون خاصة على طريق القتال، لأن القتال ثقيل، وكثير من الناس تضعف نفوسهم، وتهون عزائمهم، وتشتري خسائرهم إذا سقطوا على جوانب الطريق، وهؤلاء بنو الجلدة وأبناء البشرة يكونون غصة في حلق إخوانهم الذين يشاركونهم المسيرة، وكانوا معهم قبل قليل ينادون بندااء واحد، ويهتفون بهتاف واحد، ويرفعون راية واحدة.

إن أفغانستان ستمعيش بإذن الله تعالى بدينها وقيمها بقياداتها التي عرفت بطهارتها منذ نعومة أظفارها، إن هؤلاء القادة والجند الذين رفع الله بهم رأس كل مسلم في الأرض كلها، وأعز الله عز وجل بهم دينه، ورفق رايته وشريعته هم الذين سيمسكون بالزمام، وهم الذين سيكونون الأمانة التي سلمهم الله إيادها، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .
وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

من جاري كار إلى جلبهار^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

فإن الذين يكتون بالنار لم يعودوا يعاونون بحرهما، وإن الذين يعيشون الهموم المتكالية عليهم لم تعد تؤرق عليهم أجفانهم وتخز مضاجعهم كأولئك الذين يرقبون من بعيد، وإن الذين جراحاتهم لازالت تنزف دما لم يعودوا يفكرون كثيرا بأن تزداد هذه الجراح فتقل أو تكثر، وكانتهم يقولون: (أنا الفريق فما خوفي من البلل).

وكما قال الله عز وجل:

(فَأَثَابَهُمْ غَمًا بِغَمٍ لَكَيْلًا فَحَزَنُوا عَلَى مَا فَاتَهُمْ وَلَا مَا أَصَابَهُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) آل عمران ١٥٢ .

أي فجزاكم غما على غم، وذلك كما تقول العرب : نزلت ببني فلان ونزلت على بني فلان ، ومعنى الباء هنا على ، قال ابن عباس : الغم الأول بسبب الهزيمة، وحين قيل قتل محمد صلى الله عليه وسلم، والثاني حين علاهم المشركون فوق الجبل ، وعن عبد الرحمن بن عوف الغم الأول بسبب الهزيمة، والثاني حين قيل قتل محمد صلى الله عليه وسلم ، كان ذلك عندهم أشد وأعظم من الهزيمة ، وقال محمد بن إسحق (فَأَثَابَهُمْ غَمًا بِغَمٍ) أي كريبا بعد كرب (لَكَيْلًا فَحَزَنُوا عَلَى مَا فَاتَهُمْ) أي على ما فاتكم من الغنيمة والظفر بعدوكم (وَلَا مَا أَصَابَكُمْ) من الجراح والقتل ، أي أن المصيبة الثانية كانت ثوابا وعطاء لإزالة أثر الأولى .

توالي المصائب:

إن المصائب ينسي بعضها بعضا، فسماع المسلمين قتل الرسول الله صلى الله عليه وسلم أنساهم مصيبة الهزيمة وفوات الغنيمة بعد النصر ، لأن النفس البشرية تصبح منيعة محصنة لكثرة الآلام التي تغزوها وتتعود على مقاومتها (وداوني بالتي كانت في الداء) .

فالجسد حينما يصاب بمرض تقوم المعركة بين جراثيم المرض وبين كريات الدم البيضاء، وتستمر المعركة، ويشتد وطيسها بالحمى، وينتصر الجسد في كل معركة يدخلها مع الجراثيم النازية ، وأما الخسائر التي تسقط في المعركة من كريات الدم البيضاء والجراثيم فيلغظها الجسم على شكل دمل فينبذها خارجه ، ويخرج الجسم معافى سليما، وقد تحمل من المعركة مناعة ضد الجراثيم فيما إذا غزته مرة أخرى .

وعليه فإن الجسم يتعورث مناعة ضد الجراثيم بسبب الأمراض ، كذلك النفس البشرية كلما حلت بها مصيبة أو نزلت عليها نازلة فإنها تتركها وقد ازدادت صلابتها ومناعتها ضد الأحداث والنواب .

رمانى القوم بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نسج
قصرت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصال على النصال
فهان وما أبالي بالرزاء بسا لأنني ما انتفعت بأن أبسالي

١- الجيب المعركة العدد ٦٢ التاريخ ٤ محرم ١٤٠٩ هـ الموافق ٥ أغسطس ١٩٨٩ م. كتبت هذه الافتتاحية من داخل أفغانستان حيث أرسلها الشيخ لنا مع الإخوة القادمين إلى مشهد.

والشعب الأفغاني لا تسلم عن الرزايا والبلايا التي انصببت على عاتقه وتوالت على كاهله، فإن تسأل الأطفال تنبث أعصابها المضطربة وعقولها الشاردة عن القذائف التي تنزلت فوق بيوت أبائهم، وعن أمهاتهم النواتى انتشرت أدمغتهن أمام نواظرهم وهم في حجورهن وبين أحضانهن .

وإن تسلم الأشجار تنبثك أغصانها المجردة عن أوراقها التي تساقطت حزنا على أهل الديار الذين غابوا تحت الركام .

وإن ناجيت مساجدها أجابتك أعمدتها البالية وأطلالها الشاخصة عن الأئمة الذين دفنوا وهم أحياء تحت ردمها .

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة حتى المنابر ترثي وهي عيدان

وإن وقفت على الجدران المتهاوية الخابية، والحدائق التي جفت كأن لم تغن بالأمس، وشوهت بعد أن كانت بالأمس ناضرة غناء، وأقفر من أهلها بعد أن كانت من قبل عامرة بالأحياء .

وإن سألت الحيطان - البساتين - ما سر جفاف أشجارها، وضمور أغصانها، وذبول أوراقها، تخبرك كيف غاضت السواقي -الجدول -، وغابت الأيادي التي كانت تقمدها وتوليها عنايتها .

ومع هذا كله فقد واصل الشعب سيره مع الجراحات النازفة، والعبرات الذارفة، والأجسام الضارية، والبيوت المتهاوية، والبطون الخاوية، والأقدام الحافية، ونصره الله بالصبر : (وأعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب) . (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) .

كان الشعب يقول :

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري وأصبر حتى يحكم الله في أمري
وأصبر حتى يعلم الصبر أنني صبري صبور على شيء أمر من الصبر

الحراب الخفية والأسنة المسمومة :

ومع اقتراب المجاهدين من كابل، وتوالي الانتصارات في كل مكان، يتلفت أعداء الله -خاصة الروس والشيوعيين - فيرون أن أولى الجبهات التي يجب أن تعمل عليها هي الجبهات الداخلية لدى المجاهدين، فيخصصون الأموال الطائلة والميزانيات الضخمة لإشاعة الفرقة بين المجاهدين، ويث الفوضى خلال الإخوة الصادقين، واستعملوا مجموعات كبيرة من طلقاء الفتخ (الذين شملهم العفو العام لأن المجاهدين أصدروا العفو العام عن كل من يأتيهم تائباً)، فصار كبار رجال المليشيا من عملاء الدولة يلقون أسلحتهم، ويطلقون لحاهم ويحملون مسابحهم، ويأتون تائبين هابدين خاشعين متيبين، ويتخللون صفوف المجاهدين ييثون الفتن وينشرون الأراجيف، ويروجون الإشاعات التي تطبخ في أجهزة الدولة، وتسلم لهم جاهزة لإشاعتها، ويقترب بعضهم إلى كبار القوم ناصحين بشباب الناسكين، يؤلبون ويبلبلون، وكلما سكنت القلوب أو تقاربت النفوس فرقوا ونشطوا وتحركوا .

خبر شاس بن قيس :

وهنا يحضرني في الذهن المجتمع الأول الذي رعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وألف الله به بين قلوب بني العمومة (الأوس والخزرج) بعد حروب طاحنة كان يستغلها اليهود ويبقون سادة الموقف . فعندما أخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، ووجد الله على يديه المدينة، أكل الغيظ بقلوب اليهود، فقاموا يثيرونه عصبية جاهلية .

فقد روى ابن إسحق عن زيد بن أسلم رضي الله عنه قال : (مر شاس بن قيس وكان يهودياً شديداً الطعن على المسلمين على نفر من الأوس والخزرج بعد أن نزع الإسلام ما بينهم من أحقاد وصفائن، ففاظه ما رأى من الفتهم وصلاح ذات بينهم، فجلس إليهم، وأخذ يجادلهم شيئاً فشيئاً إلى أحداث الماضي المشحون بالعدواة والخصومة، وأخذ ينشدهم بعض ما قيل في حروبهم من الشعر، فحرك وجدانهم، وهاج من عصبيتهم، ومازال بهم حتى تناوبوا فيما بينهم : السلاح السلاح، وكاد يقع الصدام، فبلغ رسول الله عليه وسلم، فخرج إليهم مخاطباً : (أبدو عرى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟) بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به . . . واستنقذكم من الكفر وألف بين قلوبكم، فعرف القوم عندئذ أنه نزع من الشيطان وكيد من عدوهم، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين، قد أطلق الله عنهم كيد عدوهم، وفي هذه الحادثة نزل

الوحي:

(قل يا أهل الكتاب لم تصلون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون، يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) العنبران ٩٩-١٠١ .

وشاس بن قيس حاجها جاهلية تطير لذكرها العلوم الرواجيف
يلقب بين الأوس والخزرج القرى وقد وشجت فيه العروق العواطف
يذكرهم يوم البعث وما جنت رفاق الحوافي والرياح الروافع

الأمل المرتقب:

وفي الوقت الذي كنا نغذ فيه السير ونحث الخطى نحو بروان، وبعد أن دخلنا بروان وفي مركزها (جاري كار)، حيث ارتفع الأمل بقرب سقوط الدولة، إذ كنا في خنادق تبعد مائتي متر فقط عن مركز الولاية التي سقطت فرقها بيد المجاهدين ، وكنا نهفو أن يلتقي العملاقان (حكمتيار وأحمد شاه مسعود)، لعل شجرة الخلاف تجث من جنورها، ونقطع دابر الفتنة من أصولها .

وبعد أن سطرنا بنود الطرح الذي طرحه المهندس حكمتيار كاقتراعات لإزالة خلافات بين الإخوة، والتي عملت الدولة بعملاتها طويلاً حتى أصلتها، وبدت أنها مستحيلة الحل في نظر بعض الناظرين ، في هذا الوقت الذي كنا نطمح أنه أنسب وقت لافتتاح مطار بجرام وسد الطريق الوحيد الذي يمثل شريان الحياة لكابل والحكومة العميلة (خط حيرتان - سالنج - كابل)، في هذا الوقت وقع في روعنا أنه يوم الصفاء والمودة بين أوس أفغانستان وخزرجها قد قرب، وأن أوان قطف ثمار الجهاد جنبة دائية، قد آن لتكطف بيد سعدية ومهاجريه من نسل الصديق والفاروق وذوي النورين وحيدرة الفرسان .

في هذا الوقت الذي كنا نفكر فيه بأقصر طريق للإرسال وراء مسعود للقدوم للسلام على أخيه القائد حكمتيار ، وكنت أفكر أيهما أنجح وأقصر: هل أذهب بنفسي، أم أتصل باللاسلكي، أم نرسل عبدالله أنس بطروح قدوم مسعود لطرح المشاكل التي طغت على سطح بحر الدماء المزيد ، وإزالة الغطاء الذي عكر صفو البحر الرائق، وللغوص لإخراج كنز الدقائق؟!

في هذا الوقت وإذا بخبر يتنزل على قلوبنا كالصاعقة .

النبا المزلزل:

بعد الغداء تحت أشجار التوت و المشمش في قرية قرب قرية رياط من مركز بروان انتحيت جانباً بحكمتيار نتشاور في أفضل الطرق الممهدة للقاء والمواطنة لإزالة الخلاف، وإذا به يخبرني: أذاعت BBC أن آغا وليد قد عمل كميناً لقادة مسعود أثناء عودتهم من مجلس شوري نزار وقتل حوالي ثلاثين شخصاً ومنهم أربعة كبار .

فما تلقيت خبراً منذ سنوات أثقل على قلبي وأفجع لنفسي من هذا النبا ، وإنها بداية قد تاكل نارها الأخضر واليابس .

وهنا صممت أن أرد النهر بنفسي، وأشرب الماء بحفاتي ، فاستأذنت من حكمتيار أن أتوكه وأيم شطر الشمال لعلني أقف بنفسي على حقيقة هذا الحادث المروع، ونحاول ما استطعنا أن نوقف نذر الشر المستطير ، وأن نطفئ ما قضاه الله ويسره على أيدينا من لهب النار الكبير الذي يبدو منه شرر النذير، وما أنا أعد حقائبي وأجهز نفسي للسير نحو مسعود وقادة الشمال من الحزب والجمعية .

وقد كتبت هذا المقال من مصنع النسيج في جلبهار قبل التوجه إلى الشمال، ويخامر رأسي الظنون من وراء الحادثة ؟!

أهي الدولة التي بدت تترنح لتهدوي تحت مطارق المجاهدين ؟

أم هي فعلة أحق لا يدري النتائج ولا يقدر العواقب على كل المسلمين ؟

أم هي تنفيس أحقاد عن صدر ضيق يثار فيه لضغن عميق دفين ؟

ولا أدري أنحن على أبواب أعاصير تعصف بالآمال التي ترقبها الأجيال أم تكون بداية لقاء بين الإخوة يتجاوزوا فيها الأهم

ليُنجوا بنجيب النجال ؟

إن هذا غيب يعلمه (عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) - (الرعد:٩)-.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

حرب الشائعات^(١)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

فيقول رب العزة :

{ إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرّض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا } . (النساء ٨٣ - ٨٤)

يرشدنا رب العزة سبحانه وتعالى من خلال هذه الآيات البينات إلى الآداب الإسلامية تجاه الشائعات في المعركة وأثناء احتدامها، فهناك جهة وحيدة تستقى منها المعلومات، وتتلقى منها الأوامر هي أولو الأمر .

و الناس في الساحات الجهادية قسمان : قسم عرف هذا الأدب فأخذ به فلا يردد كل ما سمعه ، بل يحصيه تمحيصا و يرجعه إلى أصحابه ، و بعد ذلك إن سئل أجاب ، و إن لم يسأل فرحم الله امرأاً قال فغنم ، أو سكت فسلم ، ومن صمت نجا . أما القسم الثاني : فهم الذين لم يتلقوا تلك التربية، و لم يع الثقافة الجهادية، فتراهم يرددون كل ما سمعوا :

جرب البهتان فيه وانطلى الزور عليه

يا له من بغياء عقله في أنفيه

وقد يكون الفريقان صادقين، و لكن منهم بصدقه يطعن الدين طعنة نجلاء ، ومنهم من بصدقه يتفع المسلمين وينقذهم من البلاء..

من هم أولو الأمر؟

يقول الحسن و قتادة وابن أبي ليلى: أهل العلم و الفقه، و قال السدي: هم الأمراء. قال الجصاص: لا بأس بأن يكون الفريقان مقصودين، فأهل العلم من ولاة الأمر، و الأمراء من ولاة الأمر... و ذلك لأن العلماء مأمورون بأن يبينوا الحلال والحرام للناس، والناس مأمورون وجوبا بأن يتبعوهم ، فهم أولو الأمر حقا .

وفي حال المعركة ترى أعصاب الناس و نفوسهم و قلوبهم كلها مشدودة لاستعمال القوة، وكلها مصوبة معلقة بالنصر الذي يطمعون، ومن أجله دماهم يهرقون و أموالهم يدفعون، والأعصاب البشرية لا تتحمل سو هي مشدودة- الضربات المتتالية أو الساخنة أو الثقيلة، ومن هنا يحرص الأعداء أثناء المعركة على نشر أسوأ الأخبار بين أفراد الجيش المقابل فيتفرق، فعندما صاح ابن قميئة في أحد أني قتلت محمدا ، فقد الصحابة عن القتال، و قالوا ماذا نفعل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا مر بهم أحد الفقهاء الذين نور الله بصائرهم بعلمه فقال لهم : ما بالكم ؟ قالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : قوموا فموتوا على ما مات عليه ، فلا شأن لكم بالحياة بعده .

و الأعصاب أثناء المعركة لا تتحمل الأخبار السيئة ، فيوم أن أشيع أن عبد الرحمن الغافقي قتل في معركة بلاط الشهداء على نهر براتيه و هزم المسلمون و هم على بعد مائة كيلومتر تقريبا من باريس ، وتفرقوا، و لحقهم سيف شارل مارتل، و كان ذلك هو سبب وقوف المد الإسلامي و عدم تقدمه نحو أوروبا ، فبقيت معظم أوروبا تنط في دياجير الظلام .

أرجوفة واحدة أثناء المعركة حرمت العالم كله من دين الله الذي نزل به رب العالمين ليكون رحمة للناس أجمعين ، لذا ترى أن رب

١- لهيب المعركة العدد ٦٤ التاريخ ١١ سمر ١٤٢٠ هـ - الموافق ١٢ أغسطس ١٩٨٩م.

نظراً لسفر الشيخ إلى أفغانستان فلم يتمكن من إرسال الافتتاحية لسموعة المواصلات حيث أخذنا هذه الافتتاحية من الشرطة الشيخ السعوية.

ولكنه وهو صانع هذه النفس البشرية و يعلم أنها يهيمها القوة و تحب في مواطن النزال الكثرة يكثرهم ربهم بالملائكة ، بل يقب رب ويزة الحقائق في ذهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذهن الصحابة حتى لا تهتز مشاعرهم، وحتى لا ترتجف أوصالهم (إذا كهم الله في مملكه قليلا و لو أراكم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور، وإذا برىكمهم إذ لتقينم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليتضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الامور). (الأنفال ٤٢-٤١).

رب العزة غير الحقائق في ذهن أشجع الناس وفي بصره وفي رؤياه ، ورؤيا الأنبياء حق، ولكن المعركة تقتضي أن يقلل الجمع، وأن يقلل الأعداء، حتى ترتفع الهمم، وتشهد العزائم، وتتقضى الضراغم، ويتمضي وهي مطمئنة لقدر الله متوكلة عليه ، ولكن الأسباب المادية لها أثرها في نفس المؤمن خاصة إبان المعركة وأثناء احتدامها .

قال لي بعض الإخوة : لماذا لا تنقل الصورة كما هي في داخل أفغاسنتان ، نحن نجعل الناس من خلال كتاباتنا وخطاباتنا وأشرطتنا المسموعة والمرئية يعيشون في جو رومانسي غربي ، وعندما يصطدمون بالحقائق أنت تتحمل النتيجة ، وهذا في الدين لا يجوز ، فقلت لهم لنراجع بين الله كيف تنقل المعارك في كتاب الله، وكيف كانت تنقل سير الأبطال والصحابة والتابعين في كتب المناقب والسير والمغازي وغيرها .

ويوم أن علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريظة قد نكثت عهدها دعا غطفان وقال لهم إن رأيتم أن ترجعوا ونعطيك ثلث ثمار المدينة؟ فوافقوا. ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ وسعد بن عباد، وأمرهما أن يذهبا إلى بني قريظة، وكان بين الأوس -قوم سعد بن معاذ- وبين بني قريظة ولاء وحلف في الجاهلية، صداقات ومودات، فذهب إليهم السعدان، فوجدا أن القوم قد أصروا على النقض والنكث، أوصاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما إن نكثوا فلا تشيعوا ذلك بين المسلمين، وإن لم ينكثوا فاشيعوا ذلك، وعندما علم السعدان أن قريظة قد نكثت عهدها رجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا عضل والقارة، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعضل والقارة تشير إلى غمر قبيلتي عضل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أن قتلوا كتاب الوحي، فعندما وصلوا إلى ماء الرجيع لهزئوا قالوا: لا حاجة لنا بالقراءة والقرآن، جئنا بكم لنبيكم لقريش، فدارت معركة، وقتل ثلاثة وأسر ثلاثة، وكانوا ستة يوم الرجيع، فقالوا: عضل والقارة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله أكبر، فشمر الناس أن هناك خبرا سارا ويشري مفرحة قد وصلت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الجو خائق ، ادلهم الظلام ، الكروب أخذت بخناق المسلمين:

(إذ جازوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) (الاحزاب ١٠-١١)

في هذا الجو يجد المرجفون حديدتهم الثمين، ووسيلتهم لتثبيط عزائم المؤمنين .

النفوس لا تحتل كلمة سيئة ، ولا يشاع في هذا الجو إلا كل خير، وإلا فالهزيمة للمسلمين، وقد تكون مخلصين ولكننا نطوي الخنجر المسموم في أعماق هذا الدين ونحن لا نعلم ، ونتصرف بإخلاص ويقين .

ويوم أن جاءت رسالة عمر رضي الله عنه في غير توقيتها بعزل خالد وهو يستعد لمعركة اليرموك الفاصلة التي وقف بعدها هرقل يلوح بيديه لسوريا قائلا (وداعا يا سوريا وداعا لا لقاء بعده) ، يوم أن جاءت تلك الرسالة بعزل خالد وتولي أبا عبيدة ، طواها خالد ووضعها في جيبه حتى لا يفت في عضد المسلمين، وبعد أن خاض المعركة بغير ولاية خاضها وهو معزول حتى لا يطمع هذا الدين في أعماقه، وبعد أن نصر الله جنده وأعز دينه وهزم الكفر وولت جموع الروم هاربة تلقي بنفسها في نهر اليرموك أخرج الرسالة من جيبه وقراها على جموع المسلمين، وولى أبا عبيدة أمانة المؤمنين .

ماذا كان سيحصل في التاريخ لو سلم خالد رسالته أبي عبيدة قبل اليرموك ، والنفوس تعرف من هو خالد البطل الذي لم يهزم في جاهلية ولا في إسلام ، ويوم أن طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لافتتاح مدينة بيت المقدس وليتسلم مفاتيحها من صفريونيوس برأى أعمال خالد بن الوليد قال : رحم الله أبا بكر لقد كان أعلم مني بالرجال .

نماذا نقلنا وماذا غيرنا من صورة الجهاد الافغاني؟ وكيف خدعنا المسلمين؟ ألم يقفوا أمام دولة من أكبر دول الأرض زينة حلف وارسو؟

ألم يكسروا ظهر روسيا الأمبرطورية السوفيتية؟! ألم يصرخ قائد الجيش الروسي إثر انسحابه قبل أشهر [هذا اليوم الذي تنتظره منذ سنين]؟! أروني بالله عليكم أي جيش في بلاد المسلمين قد حقق ما حققه الشعب الأفغاني! أروني شعباً قد أذاق المسح حلاوة الأمل، واستعذبت بسببه و رأت بوارق النصر! أروني شعباً من الشعوب بالله عليكم قد رفع رؤوس المسلمين في الأرض! يقسم الجهاد ظهر الشيوعية؟! ألم يضرب الضربات المتتالية في رأس جورباتشوف حتى غير عقيدته تجاه المجتمع كله؟! ألم يد غريباتشوف بنفسه يقطع الشيوعية من جذورها؟! غريباتشوف يعلن أنني سأسحب مليوني جندي من أوروبا الشرقية، فيقول زعماء روزاء دفاع الأطلسي لكارلوتشي وزير الدفاع الأمريكي أن غريباتشوف قد غير سياسته تجاه الغرب، قال: لا، لقد أجبره الأفغان أن يغير سياسته تجاه العالم أجمع.

أنتم لا تدركون الآثار البعيدة التي أوقعها الله في الأرض بسبب هذا الجهاد المبارك .

أي إحياء للأمم بسبب الدماء التي تسيل فوق سطوح الهشكوش ، أي إرواء للأمل بسبب الجثث و الأشلاء التي تتناثر على الطريق في هريزود و في سرخ رود ؟! أي حياة أودعها الله في أعماق النفوس بسبب هؤلاء الأسود الذين أعادوا للإسلام صفحاته البيضاء الأولى التي غابت منذ قرون ؟! أي دماء جرت في العروق بسبب هؤلاء الذين أعز الله بهم دينه و رفع رايته ، وأعز شريعته ، وأنحيا أمة الإسلام ؟! وأنتم في الميدان عليكم أن تردوا ما ردد أبو بكر ، وإن لم تردوا سأردد: والله لو خذلني الناس جميعاً ، لنصرت الأفغان و بقيت على هذا الطريق ، والله لقد قتلها قبل سنوات ونقولها لله عندما رأيت أن خطي الجهاد قد توقفت قليلاً عن التقدم سنة (١٩٨٤م - ١٩٨٥م)، قلت لن يسقط هذا الجهاد وأنا حي ما دمت أستطيع أن أتنفس ، سأثير الدنيا كلها، وسأستنفر العالم، وسأستجد بالعرب والعجم، وسأششر ما أنشر حتى يقف الناس بجانب هذا الجهاد المبارك لمواصلة الطريق واستمرار المسيرة، فالذين يريدون من هذا الدين أن يخوض معركة ضد الظالمين وضد أعدائه المتربصين الذين يصوبون سهامهم من كل حذب وصوب، ويريدون شعباً ذا صفات (لا يعصون الله ما أمروهم ويفعلون ما يؤمرون) (التحريم ٦).

فليبحثوا لهم عن شعب يعيش في السماء، أما في الأرض فقد أثبت ذلك (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) (يوسف ١٠٣).

من عبر الأيام^(١)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

فلقد تأخر فتح جلال آباد، بل اضطّر المجاهدون أن يتراجعوا عن سمر خيل، اللهم فنعلم، ولقد وقف المجاهدون على أسوار قندهار دون تقدم ولا تأخر ولا انتصار ، اللهم نعم ، حدثت مأساة قرخار وقتل فيها زمرة من القادة الكبار، هذا صحيح لا جدال فيه ، ولم تستطع ليوت الله من أبناء أفغانستان أن يغلّقوا طريق كابل - حيرتان ، فهذا مما لاشك فيه ، ومع هذا كله : فالطمأنينة النفسية لا تفارق قلبي ، والسكينة تنفّسانني، والراحة تلف كياني أن النصر - إن شاء الله - قادم ، فالتكاليف باهظة، والأيام دول، والحرب سجال، والأمر بيد الكبير المتعال:

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين)

ال عمران ١٤٦.

المنهج الحق:

من نعمة الله العظمى على البشر إرسال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، ووظيفة الرسل تجسيد المنهج الرباني، وتحويله من جمل وعبارات إلى سلوك وأخلاق وحركات، وإن من الأمور التي يطلع عليها المسلم من خلال تصفحه لسير الصّحب الكرام والتابعين لهم بإحسان فيراها أحياناً غير متناسقة مع الإشراف التي تلف معظم الصورة، ولا تتناسب مع إطارها، ويود لو أن هذه الصفحة أو الصفحات القائمة في هذا السفر المشرق لم تكن ، ويعتني المرء من أعماقه لو توارت هذه النقاط من هذه الصورة الرائعة الوضيئة ،

١ - لبيب المرّة العدد ٦٥ التاريخ ١٨ محرم ١٤١٠ هـ - الموافق: ١٩ أغسطس ١٩٨٩م.

ولكن الله - عز وجل - وهو العليم بطبيعة البشر، ويعلم أن النفس البشرية يعترها نقص ، ويصيبها فتور، ويعتري مسيرتها هفوات، ويرى في جادته الكبوات، وهذا كله حتى لا يئس البشر إذا وقعوا في نفس الهفوات، وإذا اعتري مسيرتهم نفس الكبوات .

منهج رباني بجهد بشري:

إن الله - عز وجل - يقيم منهجه في الأرض من خلال الجهود البشرية والنفوس الإنسانية، ولذا وهو سبحانه يريد أن يبقي طريق الإيمان عامرا بالسالكين الذين يتدفقون حيوية ورفعمون أملا:

(والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله و لم يصروا على ما فعلوا و هم يعلمون) آل عمران : ١٣٥ .

إن رب العزة لا يريد أن يقص طريق الإسلام باليائسين والمثولين، كلما رأى بعض الخلل في مسيرة الجماعة أو كبوة من قبل بعض قادتها ، ولذا جاء الحديث الصحيح : (أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم) وفي رواية أبي داود: (فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليحشر و يده بيد الرحمن) .

ومن هنا كان في التاريخ الإسلامي يوم صفين ، و يوم الجمل، و قتل في هذه الأيام خيرة الصحابة اثنان من العشرة المبشرين بالجنة و من البدرين طلحة و الزبير ، و قتل عمار ، و ترى في سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم يوم الرجيع و بئر معونة، فلم يفت في عضد الرسول صلى الله عليه و سلم قتل خيرة أصحابه ، ولم يهن صلى الله عليه و سلم بقتل سبعين من أصحابه يوم معونة في عشية واحدة .

و هذا كله لغرضين بارزين - و الله أعلم :-

١- حتى لا تئس الإمارة إذا فقدت قادتها في أرزاء فادحة و كوارث كبيرة .

٢- حتى لا تئس الأجيال إذا وقعت أمام نواظرها مثل هذ الهفوات.

لكن النفوس تبقى متطلعة للقمة السامقة التي احتلها هؤلاء الصحابة الكرام، و تحاول بكل جهودها أن تمضي سعدا نحوها .

طريق الدعوة و البناء:

لا بد أن يعلم السالكون على طريق هذا الدين أن هذ الجادة مروية بالدماء، و محفوفة بالأشلاء، و مفروشة بالأشواك و العقبات.

ولا بد أن نواجه - قيادة و جنودا - عقبات و صعوبات ومشاكل من داخل الصف ومن خارجه، فتنا من الأعداء يكيد الحاقدين، و من الأصدقاء بإخلاص البسطاء، وليس لها علاج إلا الصبر و الصلاة:

(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر و الصلاة إن الله مع الصابرين) البقرة(١٥٣).

و لذا فإن واقعة أخذ تركت عبرها ودروسها في أعماق نفوس الصحابة أكثر من بدر، و بقيت جراحها معالم واضحة طيلة الطريق، و أضحت محنتها منحة و نقيتها نعمة ، و بقي أحد الذي قال عنه صلى الله عليه و سلم (هذا أحد يحبنا و نحبه) يمثل قمة شامخة في جادة التربية الإسلامية ، و ما أحرانا و نحن نسمع بالأنباء الجارحة أن ندرس قضية يوم الرجيع و يوم معونة في صفر سنة ٤ من الهجرة .

بعث الرجيع:

في شهر صفر من السنة الرابعة من الهجرة قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم قوم من عضل و قارة ، و ذكروا أن فيهم إسلاما، و سألوا أن يبعث معهم من يعلمهم الدين ، و يقرئهم القرآن ، فبعث معهم ستة نفر في قول ابن اسحاق - و في رواية البخاري أنهم كانوا عشرة -، وأمر عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي في قول ابن اسحاق، و عند البخاري أنه عاصم بن ثابت جد عاصم بن عمر بن الخطاب ، فذهبوا معهم ، فلما كانوا بالرجيع - و هو ماء لهذيل بناحية الحجاز بين رابغ و جدة - استصرخوا عليهم

حيا من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فتبعوهم بقرب مئة رام ، و اقتفوا آثارهم حتى لحقوهم ، فاحاطوا بهم - وكانوا قد لجأوا إلى فندق - وقالوا : لكم العهد و الميثاق . إن بذلتم إلينا أن لا تقتل منكم رجلا ، فأما عاصم فأبى من النزول و قاتلهم في أصحابه ، فقتل منهم سبعة بالنبل ، و بقي خبيب و زيد بن الدثنة و رجل آخر فأعطوهم العهد و الميثاق مرة أخرى فنزلوا إليهم ، و لكنهم غسروا بهم و ربطوهم بأوتار سيهم ، فقال الرجل الثالث : هذا أول الغدر ، و أبى أن يصحبهم ، فجروه و عالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه ، وانطلقوا بخبيب و زيد .

فباعوهم بمكة ، و كانا قد قتلوا من رؤسهم يوم بدر ، و أما خبيب فمكث عندهم مسجوناً ، ثم أجمعوا على قتله قال : دعوني حتى أركع ركعتين ، فتركوه فصلاهما ، فلما سلم قال : والله لولا أن تقولوا إن ما بي جزع لذت ، ثم قال اللهم أحصهم عددا ، و اقتلهم بددا ، و لا تبق منهم أحدا ، ثم قال :

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشا يبارك على أوصال شلو ممسزع

فقال له أبوسفيان : أيسرك أن محمدا عنقنا نضرب عنقه وأنت في أهك؟ فقال لا والله ما يسرنى أني في أهلي وأن محمدا في مكانه الذي هو فيه نصيبه شوكة تؤذيه .

ثم صلبوه ووكلوا به من يحرس جثته ، فجاء عمرو بن أمية الضمري فاحتمله بخدعة ليلا ، فذهب به فدفنه ، و كان الذي تولى قتل خبيب هو عقبة بن الحارث ، و كان خبيب قد قتل أباه حارثا يوم بدر ، وفي الصحيح أن خبيبا أول من سن الركعتين عند القتل ، وأنه رئي وهو أسير ياكل قطفا من العنب ، وما بعكه تمره .

وأما زيد ابن الدثنة فابقاعه صفوان بن أمية فقتله بأبيه ، وبعث قريش إلى عاصم ليرجعوا بشيء من جسده يعرفونه - وكان عاصم قد قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر - ، فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر - الزنابير - ، فحمته من رسلهم ، فلم يقدروا منه على شيء ، و كان عاصم أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا ، و كان عمر لما بلغه خبره يقول : يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما يحفظه في حياته .

مأساة بشر معونة:

وفي نفس الشهر الذي وقعت فيه مأساة الرجيع وقعت مأساة أخرى أشد وأفظع من الأولى ، وهي التي تعرف بوقعة بشر معونة ، وملخصها أن أبا براء عامر بن مالك المدعو بعلاعب الأسنة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم ولم يبعده ، فقال: يا رسول الله لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجوت أن يجيبوهم ، فقال: إني أخاف عليهم أهل نجد ، فقال أبو البراء أنا جار لهم ، فبعث معه أربعين رجلا في قول ابن إسحاق ، وفي الصحيح أنهم كانوا سبعين رجلا ، والذي في الصحيح هو الصحيح - ، وأمر عليهم المنذر بن عمرو بن ساعدة الملقب بالمعتق ليعت ، وكانوا من خيار المسلمين وفضلانهم وساداتهم وقرائهم ، فساوروا يحتطبون في النهار يشترون به الطعام لأهل الصفة ، ويتدارسون القرآن ، ويصلون بالليل ، حتى نزلوا بئر معونة ، وهي أرض بين بني عامر ومرة بني سليم ، فنزلوا هنالك ، ثم بعثوا حرام بن ملحان أخا أم سليم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلم يتظر فيه ، وأمر رجلا فطعنه بالحربة من خلفه ، فلما أنفذها فيه ورأى الدم قال حرام : الله أكبر فزت ورب الكعبة .

ثم استنفر عدو الله لفوره بني عامر أي لقتال الباقيين ، فلم يجيبوه لأجل جوار أبي براء ، فاستنفر بني سليم فأجابته عصية ورغل وذكوان ، فجاءوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد بن النجار فإنه ارتث من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الخندق .

وكان عمرو بن أمية الضمري والمنذر بن عقبة بن عامر في سرح المسلمين ، فرأيا الطير تحوم على موضع الوقعة ، فنزل المنذر فقاتل المشركين حتى قتل مع أصحابه ، وأسر عمرو بن أمية الضمري ، فلما أخبر أنه من مضر جز عامر ناصيته وأعتقه عن رقبة كانت على أمه .

ورجع عمرو بن أمية الضمري إلى النبي صلى الله عليه وسلم حاملا معه أنباء المصاب القادح ، مصرع سبعين من أفاضل

المسلمين فذكر نكبتهم الكبيرة بنكية أحد، إلا أن هؤلاء ذهبوا في قتال واضح، وأولئك ذهبوا في غدر شائن . الرحيق المختوم ٢٢٢٢
وسيرة ابن هشام ١٧٨/٣ - ١٩٣. ارتق : لم يمت مباشرة من الجرح

والآن ماذا عن فرخار وأفغانستان ؟

لقد وجدت أن القادة الكبار جادون في حل المشاكل التي تعترض المسيرة، ورأيت أن حكمتيار ومسعود كلا منهما يبحث عن أفضل الوسائل لتجاوز المشاكل التي يحدثها المنتقمون والمرجفون، والذين لا يمكن أن تخلو منهم منطقة أو منظمة أبدا ، قال رباني: لقد بقيت خمسة أيام متوردا عن إعلان أنباء الكارثة لأنني أعلم أن هذا يسيء إلى الجهاد .

لقد اتفقت مع حكمتيار أن يلتقي بمسعود فوافق، فحال الحادث الجلل دون اللقاء، والتقيت بمسعود فتخبرته بأن حكمتيار موافق على لقاءك، ففرح بهذا ورحب أيما ترحيب رغم المصائب الأليم، وقال لي : أنا مستعد أن ألتقي بحكمتيار في أي مكان في أفغانستان .

لقد حدثني حكمتيار أنه عازم أن يفلق طريق كابل- سالنج، فوجدت نفس الأفكار تراود ذهن أحمد شاه مسعود وقد رتب لها أيما ترتيب .

وقال حكمتيار بأنه ينوي أن يضرب مطار بغرام، فوجدت مسعود قد أعد العدة لفتح بعض المدن .

لقد رأيت أن القضية الكبرى التي تسيطر على أعصابهم وتشغل أذهانهم هي الإطاحة بالحكومة الشيوعية في كابل، وكل منهم يحاول أن يسلك الطريق العملية الواقعية للوصول إلى هذا الهدف ، وما أجعل كلمة رباني : (إنني لأعلم أن الإسائة إلى حكمتيار إسائة إلينا وإلى الجهاد) .

والتنسيق ممكن، والامل بالله كبير، واللقاء مقبل - إن شاء الله -، والشيوعية - والله أعلم - لا يمكنها البقاء، إن هذا عبث ضد طبائع الأشياء ، وبهذا الدين تنتصر، وعلى هدي نوره نسير .

بيننا ثورة على كل حيف	ويوجه الزحف الشديد صمود
ديننا خنجر يمزق وجه الليل	إن قسام للظلام وجـود
همة تفرع الزمان وعزم	لا ارتخاء وخيبة وركـود

بشائر:

ونحن نتوقع فتوحات طيبة خلال الشهرين القادمين، وقد فتحت مديرية زيباق، وأمنت طريق طوب خانة، وبدأت كابل تعيد تحت أقدام الطواغيت، وخرجت الجماهير تهتف بسقوط نجيب - هذا اليوم في شوارع كابل -، وأضربت بعض أحيائها عن الطعام، وأول القيث قطر ثم ينهمر .

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

الحديث بالمقدمات

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، ويعد :

إن من أعظم الأمور وطأة على النفس الاستمرار على طريق الحق في العمل لإقامة دين الله في الأرض ، وعلى العامل للإسلام - إن كان صادقا جادا في مواصلة الطريق- أن يوطن نفسه على احتمال الأذى الذي يواجهه من داخل سفة أكثر مما يواجهه من مواطن أعدائه، والفتن الداخلية أشد وقعا على الأفئدة من الفتن التي يثيرها أعداء الله :

وظلم نوي القريب أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

والمسيرة النبوية أكبر شاهد أنه لا يمكن لصف أن يخلو من المفرضين والمنتقمين والمتريصين بقيادة المسيرة النواثر ، وأولا خلا صف من جموع المرجفين لخلا منه صف سيد المرسلين أكمل الناس خلقا وأرفعهم أدبا وأطهرهم سيرة .

فمنذ أن بدأت شجرة الإسلام الغضة ترسل بأغصانها في الفضاء، أو تضرب جنورها في الأرض، واجهت أعاصير شريد اجتاثها، وزابع تود اقتلاعها، خاصة من أولئك الطامعين في ملك المدينة قبل أن تطيب المدينة بساكنها عليه الصلاة والسلام .
وكما حقق رسول الله صلى الله عليه وسلم خطوة نصر على الطريق كلما شرق هؤلاء الحاسدون بالنصر، وغصوا بالتقدم والقوة التي يخطر بها القائد العظيم صلى الله عليه وسلم ، ففي أحد انخزال عبدالله بن أبي بثن الجيش قائلا (لو تعلم قتالا لا تبعناكم) ، وفي غزوة المريسيع (بني المصطلق) قال : (أما والله يا معشر الخزرج ما أعدنا وجليب قريش إلا كما قال الأولون: سمن كلبك ياكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) .

وفي يوم بني النضير في صفر سنة ٤ هـ وعندما عد رسول الله صلى الله عليه وسلم عدته ليعاقبهم على غدرتهم بعد أن حارلوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ووضع يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (يا محمد اعدل في موالي، ستمائة دارع وحاسر لا أدعك تحصدهم في غداة واحدة) ، ونزل فيه:

(ألم تر إلى الذين ناقثوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً وإن قوتلتهم لننصرتكم والله بشهد إنهم لكاذبون) الحشر(١١).

ويوم الخندق سنة (٥ هـ) كانوا يقولون محمد يعدنا بملك كسرى وقبصر وأحدنا لا يستطيع أن يقضي حاجته .
وحتى تبوك سنة (٩ هـ) أعدوا قبلها مسجد الضرار لهدمه على النبي صلى الله عليه وسلم، وكانوا يلعبون الخطوعين من المؤمنين في الصدقات أثناء الإعداد للغزوة، وبعضهم كالجد بن قيس يقول يا محمد: (الذن لي ولا تفتني فأني أخشى على نفسي من بنات بني الأصفر- الروم -) وفي طريق العودة أعدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كميناً في عقبة أحد الجبال ليلقوا بناقته في الوادي لتحطيمها، وأخبره الوحي بهذا .

والآن مع أفغانستان:

أقول باختصار وعلى شكل نقاط :

- ١- ما رأيت قضية إسلامية في هذا القرن أنجح ولا أعظم ولا أريح للمسلمين من هذه القضية.
- ٢- وما علمت قضية إسلامية في هذا العصر واقعها أعظم وأضخم بكثير من إعلامها مثل هذه القضية .
- ٣- ما عهدت حركة إسلامية في قطر من الأقطار الإسلامية استطاعت أن تحقق جزءاً مما حققت الحركة الإسلامية الأفغانية، إذ أن الحركة الإسلامية الأفغانية هي الوحيدة التي استطاعت بفضل الله ونعمته أن تخوض معركة ضد قوة كبرى وتنتصر عليها .
ولذا فإنني أرى أن الحركة الإسلامية في أفغانستان هي أنفع حركة إسلامية، لأنها خاضت أعمق وأكبر تجربة جهادية مع أطول مدة زمنية، وامتداد زمن المعركة لبضعة عشر عاماً أعطى الحركة نضجاً في التفكير، وعمقا في الرؤية، وصفاء في النفس، وشفافية في الروح، خاصة في المواضيع الكبرى للعقيدة: الصبر والتوكل على الله، خاصة في المحورين الكبيرين محور الرزق ومحور الأجل .

- ٤- ما أنجبت الحركة الإسلامية قيادات عسكرية في قطر من الأقطار أكثر ولا أنضج منه في أفغانستان ، وما قدمت شهداء من فلذات أكبادها أكثر من أفغانستان .

٥- إن العمل العسكري والتعامل مع ميدان الواقع ومطبقات الشعب يختلف كثيراً عن الدراسة في الكتب، والاستمتاع النفسي والروحي بقصص السابقين، فيخلق الإنسان في جو نظيف وأمان عذبة، ويظن أن قصص هؤلاء خالية من الهفوات الشخصية والكبوات الإنسانية، حتى إذا رأى الكبوات من الأحياء يشس منهم ومجرهم وشن حملة عليهم .

وليس من رأى كمن سمع ، وليس من عانى وذاق مرارة التجربة كمن ينظر من بعيد ، وليس من خاض غمار المعارك واصطلى بلهبها كمن يقرأ صحيفة وهو متكئ على أريكة أو مستلق على سرير . (ولا ينبك مثل خبير) ولقد عشت المرحلة النظرية العذبة بين صفحات الكتب ، وعشت مرحلة المعاناة المبررة والمسيرة التي تضيء جوانبها الدماء والعرق والالام والآمال .

- ٦- لم يمر في التاريخ الإسلامي المعاصر قضية واضحة المعالم في إسلاميتها ورايتها، وقادتها أنقى ولا أصفى من القضية

الجهادية في أفغانستان .

ومن أراد قضية إسلامية بدون شوائب في الطريق، ولا معكرات ولا كبوات، فليبحث عنها في السماء، لأنها لا يمكن أن تكون في الأرض .

٧- إن التسلي الإعلامي والتشفي الصليبي للصدور الحاقدة على هذا الدين بدأ يستمتع بنشر أخبار الخلافات بين المجاهدين، وصاروا يعيدون ويبدئون عن قتال المجاهدين بين بعضهم، واتخذوا من حادثة فرخار معينا ثرا ومادة دسمة لمداد أقلامهم وعناوين صحفهم . وقد نسجت كثير من الصحف العربية على منوال الصحف الغربية، وسلكت نهجها بالتشكيك بالمجاهدين وبصدق نياتهم، وأخذ الناس يستريبون بالجهاد ويظنون حريا أهلية يسفك المسلمون دماء بعضهم البعض .

٨- إنني كشاهد في هذه القضية الإسلامية وقد مضى علي في خدمتها ثماني حجج (سنوات)، ولا تزيدني الأيام إلا ثقة بكبار رجالاتها وبأهدافها، ولم تزيدني المعارك إلا طمأنينة على مسيرتها ونتائجها ، وإنني لأرى أن النصر بإذن الله قادم قريبا أم بعيد ، وإنني لأرى -إن شاء الله- أن هؤلاء القادة الذين يوجهون دفة الجهاد ويمسكون بزمامه أمنا على دين الناس وأموالهم وأعراضهم، وإن الدولة الإسلامية قادمة بإذن الله بعد النصر، ولابد من وقت لتربية الناس على الإسلام من خلال أجهزة الإعلام .

٩- إن تشويه القادة المعروفين أو الطعن فيهم إنما يعني طعن الجهاد نفسه، وتحطيم آمال المسلمين، وإلقائهم في مهاوي اليأس، وإنني لأظن أن من يحاول تشويه هؤلاء الرموز البارزة على طريق هذا الجهاد أثم يرتكب محرمات كثيرة بالفقيرة التي تؤدي إلى إعاقة المسيرة وتأخير النصر، والتقليل من فعالية المسلمين و بذلهم وإسهامهم بالنفوس والأموال في هذه المعركة الجهادية المشرفة . وإن عملية إظهار عيوب القادة والأمراء بقصد أو بدون قصد إنما هو صد عن سبيل الله، ومنع للخير أن يصل إلى أرض المعركة ، وصرف لقلوب المسلمين وأيديهم عن التوجه إليها .

ولا يزيد هذا العمل المسلمين إلا حزنا وجراحا فوق جراحاتهم، ويصبح لسان حال المسلمين يردد قول المتنبي :

رمانى القوم بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال
فنهان وما أبالي بالرزاء لأنني ما انتفعت بأن أبالي

١٠- إن قتل أي قائد أو أمير من قادة الجهاد إنما يعني إخلاء ثغر من ثغور الإسلام من ليث من ليثه شهد له الأعداء والأصدقاء بالصولات والجولات، وكم أذل الله على يديه من الكفار، وكم حمى به من الديار، وكم حفظ الله به من الأعراض وحقق من الدماء .

فماذا لو سقط الجهاد الأفغاني ؟ أليس من الممكن أن تذهب الجزيرة العربية نفسها وتفرق بالطوفان الأحمر ؟

فليتق الله أولئك الذين يتبرعون بنقل الخلافات، ونشر السلبيات، وإشاعة الأخبار المحزنة للمسلمين من صحفي أو كاتب أو غيره: {إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون} (النور:١٩).

ولقد حدث من المعارك التي تسر القلب وتشرح الصدر خلال هذا الشهر الكثير، وعلى الطريق أخبار مفرحة وأنباء سارة وعمليات ضخمة -إن شاء الله-، ونرجو الله أن يتم بالنصر والتسديد والتمكين والتأييد .

وما أجمل أن ننهي مقالنا بكلمات من إمام الحرمين الجويني وكأنها ترد على أولئك الذين يعيبون على القادة بعض أخطائهم .

فضل المجاهدين:

ويتكلم إمام الحرمين الجويني عن فضل الذين يداقعون عن الحرمات فيقول : فمن استمسك بالحق ولم يمل به مهوى الهوى عن الصديق تبين على البدار والسبق أن خزائن العالمين وذخائر الأمم الماضين وكنوز المنقرضين لو قولت بوطئة من الكفار لأطراف ديار الإسلام لكانت مستحقة مستنزرة ، فكيف لو تملكوا البلاد ، وقتلوا العباد ، وقرعوا الحصون والأسداد، وعزقوا عن نوات الخير حجب الرشاد، ومال إليهم من لا خلق له من حثالة الناس بالارتداد، وتحلل الحرائر العلوج وهتك حجالهن، وانقطعت الجماعات والأذان، وشهرت النواقيس والصليبان، وتفاقت (زادت) بداعي الاجترأ والاقتضاح، وصارت خطة الإسلام بحرا (ضافحا) بالكفر الصراح ؟؟

فألقوا في أقوام بذلوا في الذب عن دين الله حشاشات الأرواح، وركبوا نهايات الفرر (المخاطر)، متجردين له تعالى في الكفاح، وواصلوا النساء بالصباح، والغدوة بالروح، وركبوا إلى الموت أجنحة الرياح، متشوقين إلى منهل المنيا على هزة وارتياح، حتى وافوا بحرا من جمع الكفار لا ينزفه إيمان الانتزاع، فركنوا للموت، وتناوبوا أن لا يراح (مغادرة)، وألما بهم إلالم انقذ انتاح، وما وهنوا وما استكانوا وإن عضهم السلاح، وفشا فيهم انجراح، حتى أهب الله رياح النصر من مهابها، ورد شعائر الحق إلى نصابها، وقبض من ألقافه بدائع أسبابها .

أينثقل هؤلاء على أهل الإسلام بنز من الحطام وهم اقوام والنظام!!؟

رد على أصحاب البروج العاجية:

يرد الجويني على الذين يظنون العمل الإسلامي صفوا من الاكدار فيقول: لو فرضنا خلو الزمان عن تشكون من الأقوام، وتعري الخواص والعوام عن مسيطر بطاش قوام، أهذا أقرب إلى السداد والانتظام؟ أم قيامهم على الثوار والطفام مع امتداد الأيدي إلى نذر مما جمعوه من الشبهات والحرام، مع استمساكهم من الدين الحق بأقوى عصام، ووقوفهم في وجوه الكفار كأنهم أسود أجام؟

فإنوجه رؤية أنعم الله في ماثرها، والابتهاال إليه في عوائل الطرق ومضارها، ومن طلب زمانا صافيا عن الاقتداء والاكدار فقد حاول ما يند عن الإمكان والأقدار .

(ومكلف الأيام ضد طباعها) متطلب في الماء جنوة نار (الغياشي للجويني) من ٣٥٠ - ٣٥١

وتحن نقول أخيرا:

أقتلوا عليهم لا أبأ لأبيكم من اللوم أرسوا المكان الذي سدوا
وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

صبر جميل^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

وصلتني بالأمس رسالة من أحد الإخوة في جدة يقول فيها : إن عدم تعرضكم لذكر حادثة فرخار يجعلنا نشك في نشرتكم -اللهيب- بأنكم لا تنقلون الحقائق كلها .

ويبدو العتاب الشديد من خلال الخطاب الملقب الذي وصلنا من هذا الأخ، فرداً على هذا نقول:

{صبر جميل والله المستعان على ما تصفون}. (يوسف ١٨)

ثم نفتح صفحة قلوبنا لإخوتنا الذين يشاركوننا مسيرة الآلام والآمال من وراء البحار، فنقول كما قال السلف :

(ما أنت بمحدث قوما حنيئا لا تبغفهم عقولهم إلا كان فتنة لهم)، وتردد مقالتهم:

(حدثوا الناس بما يعقلون، أتريدون أن يكذب الله ورسوله!!).

ونقرر قبل أن نبدأ بتصفح المسيرة وتتبع خطوات السلف :

إن الإعلان عن حادثة فرخار والإفصاح عن تفاصيلها كان خطأ كبيرا ظن فاعلوه أنهم يترجمون النص الكريم عمليا:

{لا يهيب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم}. (النساء ١٤٨)

ولكن الأعداء والحساد استغلوا الحادثة استغلالا بشعا لتشويه الجهاد وتحطيم بعض الشخصيات الجهادية في جادته .

لقد كانت حادثة فرخار مادة سعة ومدادا رتقا (شائبا) غزيرا لأقلام الذين يتربصون بهذا الجهاد النواثر، ويقعون له كل

١ - لهيب المعركة العدد ٦٧ التاريخ ٢ صفر ١٤١٠ هـ - الموافق: ٢ سبتمبر ١٩٨٩ م.

مرصد ، يتتبعون خطواته ، ويعدون هفواته ، ويحصون كبواته ، ولا أظن أحدا ممن نقلوا هذا الخبر الفاجع أدرك أبعاده ولا سبر أغواره ، فكل من قرأ الحادث أو نقله أو تسلى به في المجالس إنما رأى أعراض حادثه ولكنه لم يدرك حقيقتها .

ولعلي من أوائل الواصلين الى فرخار ممن قدموا من خارج المنطقة ، ولقد مكثت شهرا كاملا في رحلة (تقصي الاخبار وتحقيقتها) ، ولم يشف صدري بحث أيام متواصلة من الاتصال بشهود العيان ممن أسروا في الحدث الجلل ، أو من العلماء والوجهاء الذين وفدوا ليكونوا شفعاء للأسرى قبل قتلهم ، ومع هذا كله فلم أشف غليلي ، ولم أستطع سبر أغوار الحدث وتتبع جذوره ، وعدت دون أن أستطيع أن أقول قولا فصلا لا لبس فيه ولا تلثم ، فكيف بالذين قرأوه في صحيفة أو طالعوه في مجلة !!

إن كثيراً من الأحداث التي تجري أحيانا في مسيرة الجهاد لها جذورها العميقة البعيدة كل البعد عن الاستراتيجيات العسكرية والتنظيمات الجهادية .

لابد أن يعلم الناس :

أن هذا الجهاد جهاد شعب ، وكل شعب له طبقاته المختلفة ، فمنهم من يباري ماء المزن طهارة وصفاء ، ويزاحم الكرام البررة منزلة عند رب العالمين ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ، ومنهم المقصر (وأخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) ، ومنهم ظالم نفسه ، وقوم قست قلوبهم ، وأخرون مردوا على النفاق ، وقوم غرقوا في ذنوبهم واشتد عودهم فلم يعد ينفع معهم نصيح ولا موعظة ، وأناس كانوا قبل أن يدخل الروس لصوصا وقطاع طرق .

وقام الانقلاب الشيوعي برئاسة تراقي سنة (١٩٧٨م) ، ثم دخل الروس في ديسمبر سنة (١٩٧٩م) ، وامتشق كل أفغاني حسامه ، واختلطت كل طبقة سيفها ، ووقفوا في وجه الروس بعد أن ظن بعض المخلصين أن أفغانستان انتهت إلى الأبد ، وضمت أفغانستان إلى روسيا كبقية الولايات الإسلامية مثل بخارى وسمرقند وطشكند والقرم وسيبيريا .

حدثني محمد ياسر قائلا : كنت مع مجموعة من المجاهدين في بدخشان عند دخول الروس ، فبكى بعضهم حتى أغمي عليه ، نقلت لهم مقالة أنس بن النضر لبعض الصحابة الذين ألقوا بأيديهم فقال ما يجلسكم؟ فقالوا : قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : فما تصنعون بالحياة بعده ؟ فقوموا فموتوا على ما مات عليه ... ثم استقبل فقاتل حتى قتل ووجد به بضع وسبعون ضربة ولم تعرفه إلا أخته .

وبدا الجميع يواجهون الروس سواء كانوا قطاع الطرق أو من خيار القوم ، فهب أستاذ المدرسة مع تلاميذه وأنطلق يواجه الروس ، وقام الشيخ مع مريديه يقاتل ، وطفق عمدة القرى ووجهاء الدساكر والمديريات يخوضون المعركة ، والتف حول كل شخص بارز غنته وجماعته ، وأبدوا بطولات رائعة وشجاعة فائقة ، وكان البعض يردد

(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) - (النساء ٧٥) .

والآخرون يرددون :

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي المجد للسيف ليس المجد للعلم

من اقتضى بسوى الهندي حاجته أجاب كل سؤال عن مل يلم

ولدى الانقلاب الشيوعي الذي يرأسه تراقي هب الشعب بأغلييته يقاتل لإعلاء كلمة الله ، والبعض حمية لقومه ، أو دفاعا عن أفغانستان الحبيبة ، ولم يكن بارزا في الساحة آنذاك سوى قائدين : حكمتيار ورياني .

فرياني شكل الجمعية الإسلامية ، وحكمتيار نظم الحزب الإسلامي ، فعنما قام الناس بالجهاد قام حكمتيار بعد البعض بالسلاح فانضموا إلى الحزب الإسلامي ، ورياني أمد البعض الآخر فانضموا تحت لواء الجمعية الإسلامية .

ثم جاءت التنظيمات الأخرى تباعا .

أما الراية المرفوعة فوق رأس الجميع فهي الراية الإسلامية .

أما الهدف المسطر في دساتيرهم فهو : إقامة حكم الله في الأرض ، وبناء المجتمع الإسلامي ، وأما الذين يمتشقون السلاح :

فكهم مسلمون.

وتكن الغناء موجود، والزبد متوافر، وفي المسيرة مجموعات كثيرة تتفاوت في صفاتها ونهيمها وصدتها وإخلاصها . ومعظم أميون، مع صفاء النظرة، ونبل المحتد (الأصل)، وكريم الخصال من غيرة رائفة وعزة رباب ودرجة وحياء ، ويضرح وصفاء وكرم ورفاء، مع هذه الخصال : حدة الضباخ ، وسرعة الغضب ، وحب الثأر والانتقام .

وانجاهدون من عروق مختلفة وأجناس متنوعة، فالبشتون يشكون أغليبيتهم بما يصل إلى ٦٠٪ تقريبا، ثم التاجك (الفرس)، ثم الأوزبك والهزارة والتركمان والنورستان .

وتجد في كل تنظيم من كل هذه العروق والأقوام، فتجد من قادة الجمعية البارزين في الشمال (أرينبور و مسعود من التاجيك، وعارف خان من البشتون، وعبدالحق حقجو من الهزارة (السنة)، وقاضي إسلام الدين من الأوزبك) .

وكذلك تجد في الحزب الإسلامي هذه التركيبة وتلك التشكيلة، فذابت الفوارق الجنسية تحت الراية الإسلامية المرفوعة، وهدمت الحواجز القبلية، وانطوت الحدود الجغرافية، وذلك لأن قادة المسيرة الكبار تربوا على الفكر الإسلامي، ورفعوا لواءه، واتخذوه قاعدة واستراتيجية .

ولكن لابد أن تضع نصب عينيك أنه ما من تنظيم إلا وفيه من الأبرار والأشرار والخيار والأغرار . ولا تقص أن كثيرا من المجاهدين لم تحظ نفوسهم بقسط من الصقل والتثقيب والتطهير والتنظيف .

ولا تنس أن قاطع الطريق قد أبدى بطولة فائقة في تدمير الدبابات الروسية، وحرر قريته، وبقي قائدا أو أميرا لقريته. وقد بهر الناس بشجاعته، وتغنوا ببسالته، لأنهم يريدون أن يتخلصوا من الدب الروسي ، وخرج الدب الروسي ذليلا مهينا مثخنا بجراحه، وبقي قاطع الطريق قائدا لقريته .

وقاطع الطريق هذا سواء التفت حول الجمعية أو أرى تحت لواء الحزب فقد بقي قاطع طريق له خلال السوء وصفات الشر، وزادته الحروب شراسة وحدة، وزاده السلاح الذي بين يديه غرورا وصلفا وكبرا .

وقاطع الطريق هذا له مطامعه وطموحاته ، وعنده حاجاته وضروراته، فلا بد من نفقة على نفسه وحرسه وجنده . وهذا لا يتأتى له إلا من خلال (الزكاة) التي يجمعها من سكان قريته، فإن لم تكف نصب كوخا على الطريق المجاور يأخذ ضريبة على الناقلات المارة، ويقطع حصته من البضائع المحمولة والخضروات والفواكه المنقولة .

وقاطع الطريق هذا ما لم يجد قائدا أكبر منه في تنظيمه يأخذ على يده ويقيد تصرفاته فإنه يصبح وبالا وأذى على قريته نفسها وعلى القرى المجاورة، فيغير عليها ليضمها إلى قريته حتى تزداد المشور ويؤمن النفقة، وفي الإغارة قد تقتل بعض النساء أو الأطفال، فيقوم التنظيم الآخر المعتدى عليه فيرفع عقيرته ويجأ بالشكوى قائلا: لقد اعتدى علينا التنظيم الأول وقتل منا ونهب قريتنا، وتحمل تبعه العمل للجمعية أو الحزب أو أي تنظيم مشترك.

والأحزاب براء من هذه الممارسات الإجرامية غالبا، وأمراء التنظيمات في بيشاور من هذه المفاصد بعيدون كل البعد، بل يتجرعون الفصص ويتقلبون على مثل شوك الغضا هما وسهردا وحزنا وقلقا.

وأكبر إجراء يمكن أن يعمله الزعماء في بيشاور أن يقطعوا السلاح عن مشترك في الفتن ، ولكن النخائر تملأ السوق لمن أراد أن يشتري أو يتسوق، وهذه النخائر سواء كانت من القنائم أو من الشيوعيين وعملاء الدولة أو من التجار الذين يتمسحون بالجهاد ويتاجرون بالدماء والأعراض فهي متوافرة موجودة .

والسؤال الكبير:

كيف يرضى أمراء الأحزاب في بيشاور بأمثال هؤلاء في تنظيماتهم ؟ أليس من الواجب عليهم أن يعزلوهم ويولوا أصلح منهم، ويظهروا الأرض من شرهم ؟ ولكن الأمر ليس بهذه السهولة ، إن قرار العزل الذي يسطر على ورقة من بيشاور والمتضمن تعيين قائد جديد للقرية لا يتم تنفيذه ولا إقراره بهذه السهولة ، هنا تبرز مشكلة القوم الذين يقطنون القرية، فليس من السهل على نفوسهم أن يقبلوا قائدا من غيرهم ، وقد يكون القائد الجديد من قومهم، ولكنه لم يبرز في المعركة عبر السنوات العشر الماضية ، وإن ساء الأمر

وتيسر من جهة القوم وأسبقيّة الجهاد فهناك مشكلة القائد القديم الذي يرفض قرار العزل غالباً، ويتناصب التنظيم نفسه والقائد الجديد العداء، وبدلاً أن نكون بمفرد واحد أصبحنا الآن أمام مشكلة أكبر وهي تنظيمان متواجهان يحمل كل منهما السلاح في وجه الآخر ، ولذا يضطر كثير من الأمراء في بيشاور أن يأخذوا بقاعدة أهون الشرين، وقاعدة (الأمير الظالم لا يقام في وجهه إذا أدى تغييره إلى فتنة أكبر)، وعندها لسان حالهم يردد : (حنانيك بعض الشر أهون من بعض) . وتجد أحياناً بعض المجاهدين يحمل في طياته حقداً على قاتل أبيه قبل ثلاثين سنة، فيشفي غليله ويثأر لأبيه ويحمل حزيه جريرة عمله .

كيف الخلاص: ويتساءل كثير من المخلصين: وإن سدد هؤلاء المفسدين يهلكون الحرث والنسل؟ فكيف يقوم على هؤلاء مجتمع مسلم آمن على بعائه وأعراضه وأمواله؟! وكيف يمكن أن نطبق شرع الله في المستقبل على الشعب كله .

فنتقول وبالله التوفيق:

نحن الآن في مرحلة انتقالية وليست دائمة، والقادة الكبار رايتهم إسلامية، وتربيتهم في محاضن الدعوة الإسلامية ، والهدف الكبير هو إقامة دين الله، ولا حل إلا بالإطاحة بالحكم الشيوعي، ونقول : لا يمكن أن تطهر الأرض من هؤلاء المفسدين الآن ، لابد من الانتظار ريثما تقوم حكومة مركزية قوية في كابل فتأخذ بالزمام، وتستلم مقاليد الأمور، وتعيد تنظيم البلاد على ضوء الكتاب وعلى هدي السنة المشرفة، ويعود الأمن إلى نصابه، وتستقر الأمور تدريجياً، ومع البناء والتربية والتوجيه والصبر، ومن خلال الأجهزة المتاحة بالثقل والمذايع والجامعة والمدرسة والحراب والمنبر والصحيفة والمجلة يتم البناء التدريجي، والتطهير التدريجي، ولا بد من مراعاة عامل الزمن والصبر على المحن وانتظار الفرج : (سيجعل الله بعد عسر يسرا) .

بشائر :

ونبشّر المسلمين بفتوحات كبيرة في خوست (دراكي وغيرها)، وإغلاق مطار قندهار و بگرام، وسد طريق سالانك، ونحن نتوقع بإذن الله فتوحات كبيرة في شهري صفر وربيع الأول قبل نزول الثلج، فصبر جميل .
وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

صيف ماخن

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

فلقد بدأت الأرض تهتز تحت أقدام الشيوعية في معظم المناطق في أفغانستان، وبدأت قندهار تزلزل زلزالها ، وأما فراه وهرات ففجرت براكينها وأخرجت أثقالها، وأما كابل فهي تنتظر أياماً ساخنة في شهري سبتمبر وأكتوبر، لأن المجاهدين يتواعدون ليصبوا جام غضبهم على كابل قبل سقوط الثلج، وشل الحركة فوق جبال بغمان وشكرد .

والذين يعرفون قندهار وفراه يدركون أكثر من غيرهم مدى المعاناة التي يتكبدنها المجاهدون، والفصص التي يتجرعونها، إنهم يتحركون في مفازة مهلكة مكشوفة لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً، إذ أن منطقة جنوب غرب بولاياتها الثماني تقع ضمن بيداء قاحلة قلما تجد فيها جبلاً أو صخرة، وكم شهدت هذه الصحراء من مشاهد حمراء قضى فيها المجاهدون نحبهم، أو أفضوا إلى ربهم بسبب غارات الطائرات على القوافل المارة، أو انتظار كمائن الدبابات لمجموعة سارية.

وتشدنا الذكريات بأشجانها، وتسوقنا الخواطر سوقاً فتنكاً جراحنا، إذ أن هذه الصحراء قد ضمت في رمالها أجساد الكثيرين من الشهداء، واحتضنت في طياتها جسدي أول شهيدين في مكتب الخدمات: أبي حمزة (ماهر جودة أبو شلبك الفلسطيني) وأبي عثمان (عبدالله رجب الفيكاوي الكويتي).

أما الكويت فقد عفت بعد أبي عثمان فلم تقدم شهيداً، ثم سبقتها معظم البلدان العربية بعدد رجالها وعدد شهدائها ، فهناك

في صحراء هلمند مضى ذاك الليثان إلى ربهما بعد معركة مشرفة قال الأفغان معلقين (ما رأينا أشجع من هذين العربيين) ' إذ مجرد أن اصطدم المجاهدون بالكمين أنزل أبو حمزة النوشكا ونصبه، وبدأ يعطرمهم بوابل رصاص هذا الرشاش، فتارة يوجهه إلى الدبابات المحيطة، وأخرى يصويه نحو السماء يواجه طائرات الهليكوبتر، ثم قضيا ومضيا إلى ربهما وكان لسان الحال يرد

ولما تراجعت عند هلمند منيتسي
فطابت بها نفسي وحانت وفاتي
صريع على أيدي الرجال بقفرة
يسوون لحدي حيث حم قضائيا
وقد كنت عطافا إذا الخيل أحجمت
سريعا إلى الهيجا إلى من دعانيا
خذاني فجراني بيردي إليكما
فقد كنت قبل اليوم صعبا قياديا
وخطا بأطراف الأسنة مضجعي
وردا على عيني فضل ردائي

ونعود إلى الجهاد في قندهار وفراء وهرات ، فالمجاهدون يواجهون مطارات كبيرة في هذه البيد ، وهذه المطارات مدججة بأنواع السلاح والصواريخ ، مصونة بسور من الدبابات وحقول الأفيام ، زاخرة بأنواع الطائرات في مكانها تحت الأرض، وحسبك علما أن مطار شندند / فراء) كانت تعده روسيا وتجهزه لضرب الخليج العربي، لأن بترونها بدأ يشع عن حاجتها ابتداء من أواسط هذا العقد التاسع من هذا القرن ، ثم أذل الله روسيا وخرجت مهينة صاغرة، وبقيت المطارات بتحسيناتها، وبقي شندند بمنشآت وقواعده في صحراء هرات وفراء وتحت الشمس اللافتة والبرد اللاذع القارس .

أما مطار قندهار فالمجاهدون حفروا خنادق الموت على بعد مائة متر فقط منه استعدادا لاقتحام حومة الوغى وساحة المنايا، وهم يستعملون لخوض غمارها وتجرع كؤوسها ، وقد قدمت الوثائق بالصور للمجاهدين - كما أخبرني أكبر قادة قندهار القائد عبدالله- تثبت أن ٨٠٪ من أرض المطار قد دمرت، ومن الصعب الآن على الطائرات أن تحوم فوق أرض المطار أو تدرج على مدرجاته إلا في حالات قليلة يفاخر فيها ربان الطائرات بالهبوط أو الصعود وهو يتوقع أن يتحول مع طائراته إلى حطام خلال دقائق، ولعل الأيام القادمة تخبئ لنا مفاجآت تشرح صدور المسلمين وتريح قلوبهم .

أما مطار شندند فقد شن عليه المجاهدون هجوما دمروا فيه برج المراقبة، وفجروا المخزن الرئيسي للذخائر التي بقيت تشتعل لعدة ساعات تمتد السنة اللهب تطاول عنان السماء، ودمروا طائرة جت، وتعطل نزول الطائرات وصعودها .

وأرسلت الدولة قرة من تورغندي على حدود روسيا، وهذه القوة قافلة من الدبابات والشاحنات لإنقاذ قندهار، وقد نصب لها المجاهدون كمائن على طول الطريق، ولدى أول اصطدام بلؤل كمين في (شورواك) في هلمند دمر المجاهدون من القافلة (١٨) دبابة و(٨) شاحنات، ولقدت مائتي جندي من قوتها، أما الجرحى فحدث عن كثرتهم ولا حرج .

أما الشمال (من كابل إلى جيحون) فتتوقع منه الكثير، وقد بدأ بإغلاق معمر سالنج منذ أواسط شهر أغسطس الماضي، فانقطع الشريان البري الوحيد الذي يمد النظام بالحياة، فإذا وضعت نصب عينيك أن مطار كابل تحت رحمة قذائف المجاهدون وأغلق في الأسبوع الماضي، وقد يعطل المجاهدون بإذن الله حركة الطائرات فيه .

وأن مطار بجرام لا يبعد عنه المجاهدون أكثر من مائتي متر وعندما يجد الجد يقع في قبضة المجاهدين، وقد بلغنا أنه عطل في الأسبوع الماضي، عندئذ تدرك المازق الحرج الذي وقعت فيه حكومة نجيب .

وبعدك عن التمزقات الداخلية والصراعات الحزبية التي تعيش أزماتها حكومة الشيوعيين فتجعل استمرار بقائها أمراً في غاية الصعوبة .

لكن إسقاط النظام الشيوعي في كابل إبان هذا الصيف الحالي يبقى بعيدا إلا أن يتعمد الله على المجاهدين بكرامات خارجة عن حساباتنا، فيزلزل النظام من داخله، أو يهتز بسبب انقطاع الإمدادات عنه، فهذا غيب مستور وقدر مقدور لا يعلمه الإنسان.

نماذج قاتقة ويطولات خارقة:

والحق أن مسيرة المجاهدين لازالت تطالعنا في كل يوم ببطولات يحسبها الإنسان مغامرات (ارسين لوبين)، أو أفلام ورقية

ففي هرات الجبل يعرف الحاج زاده ببطولته الرائعة، إذ أن الأخ عبدالله طاهر يؤكد ويصر أن هذا الرجل قد دمر وحده بالآلغام والقاذفات الصاروخية خمسين دبابة . ويصعب على الحاج زاده أن يطأطي رأسه أثناء المعركة أو يتوقف، رغم وإبل الرصاص الذي يتصعب عليه .

وكان حول هذا الرجل ثلاثة من الإخوة العرب، منهم محمد عمر ومحمد فاروق وأحمد التركي ، وكأنتهم من نبعه تهلوا، أو من حديه نسلوا، فأما الدكتور محمد فاروق فقد كان يسابق الحاج زاده في المعركة، وأحياناً يمتشق رشاشه ويتربع على الشارع في هرات- منطقة شفاخانه حيوانات (مركز الطب البيطري)- ويوقف الحركة بالجريفوف التعرضي ، بل كان يواجه الطائرات بهذا الرشاش، أما محمد عمر فكان في بداية قنومه هرات يسأل عن المسافة بين المجاهدين وبين الروس الذين يقعون في مركزهم على الجبل الأسود (كوه سياه)، فيرد المجاهدون ساعة ونصف، ويقول ليس بيننا وبين الجنة سوى ساعة ونصف .

وذات يوم حمل قنبلتين وهجم على دبابة في داخل مركز للشيوعيين بعد غروب الشمس مباشرة، فزحف حتى وصل الدبابة، وكان سائقها يستمع شريط أغان، وما كان يتصور أن بشرا يجرؤ على الوصول إليه ، فالتقى محمد عمر القنبلة الأولى فلم تصب السائق، فنزل السائق بسرعة داخل الدبابة، وصعد محمد عمر فوق برج الدبابة وداس بقدمه سائق الدبابة، ثم رمى القنبلة الثانية على المركز، وأدار محمد عمر بنظره فلم يجد سلاحاً، فآخذ الشريط (الكاسيت) وهمّ على المركز الثاني قابضاً بيده الكاسيت موجهها الجنود الشيوعيين أن بيده قنبلة، فرأى ثلاثة من الشيوعيين فأمرهم بالاستسلام وإلقاء أنفسهم على الأرض وإلقاء السلاح، وتقدم وأخذ السلاح وقتل الثلاثة، وعاد إلى مركز المجاهدين، وفي اليوم الثاني جاء أحد الجنود المرتبطين سرا وقال: لقد هجم علينا مائة يلبسون البياض بالأمس وضربونا ووصلوا الدبابة وصعدوا عليها .

أما أحمد التركي :

فقد هجم على مركز وحده، ودارت بينه وبينهم معركة، واستشهد أحمد بعد أن أُردي عدداً منهم قتلاً، ولشدة غيظ الشيوعيين مزقوا جسده وأخذوه إلى المستشفى العسكري في هرات .

وجلس انجنير ضياء واجما حزيناً بين جموع المجاهدين تكتفه بعد أن تلقى نبأ استشهاد أحمد، فتفترت شفتا هذا القائد ضياء عن كلمات جارحة قائلا : (إن من العار علينا أن نؤخذ جثة ضيفنا بيد عدونا! فأياكم يأتيني بجثته ؟) فتبرع اثنان لمهمة تنفيذها أقرب إلى الخيال، واستقلا سيارة وتوجها إلى المستشفى العسكري، وبحثا عن جثة أحمد حتى عثرا عليها ووضعها في السيارة وعادا بها، وعندما وصلت جثة أحمد كبر المجاهدون مذهولين مبهورين للمفاجأة العجيبة .

هؤلاء الذين يصدق فيهم قول المصطفى صلى الله عليه وسلم (خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هبة أو قرعة طار إليها يمتفي الموت مظانه)

يستعذبون منايهم كأنهم لا يخرجون من الدنيا إذا قتلوا

فعلى طريق هذه الصفوة اللهم اقبضنا، ومعهم في الفردوس احشرنا، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، وثبت أقدامنا على سبيلك إنك نعم المولى ونعم النصير .

أفغانستان بين الرزايا والعطايا (١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد

فما رأيت قضية أبدا استحوذت على اهتمام العالم أكثر من قضية أفغانستان، وما قرأت عن قضية تكالبت عليها المكائد العالمية أكثر من أمر الجهاد الأفغاني، اللهم إلا المؤامرات العالمية التي جرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والرابع الأول من القرن العشرين لإسقاط الخلافة الإسلامية في إسلام بول (القسطنطينية سنة ١٩٢٤)، وكذلك الكيد الغربي والشرقي الذي أثمر قيام دولة اليهود في فلسطين سنة (١٩٤٨م) .

وعدا عن قضيتي الخلافة وفلسطين ما شهدت ولا علمت في التاريخ الحديث أمرا كان له ثقله في الموازين الدولية أعظم من الجهاد الأفغاني، وذلك بسبب بسيط وهو : أن الجهاد الأفغاني محاولة لإعادة الخلافة الإسلامية، الأمر الذي أفض مضاجع الغرب قرونا حتى أجهزوا عليه على يد الذئب الأغبر أتاتورك .

وأنتي كأحد الشهود الذين عايشوا الجهاد الإسلامي في أفغانستان، واهتصر هذا الجهاد زهرة شبابي، واعتصر نفسي وأعصابي، رأيت صعوبة العمل لهذا الدين، والمشقة الضخمة التي تنتظر العازمين على إعادته إلى واقع الحياة . إن الكلام عن الإسلام أمر سهل مريح فوق المنابر ومن خلال صفحات الجرائد أو الدوريات، أما العمل للإسلام بجد من خلال تجمع إسلامي جهادي فهذا أمر لا تحتمله إلا النفوس الكبيرة، ولا تثبت على صراطه إلا القمم الفذة الفريدة .

لقد صليت بالشباب في معسكر صدى بالأمس فجرا وقرأت:

{وَكَايْنِ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ لَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَرْجَاءَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَأَتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } (آل عمران: ١٤٦)

فخفقتني العبرة، وذرفت عيناوي وأنا أتذكر أولئك الصفوة من الشباب الذين مضوا إلى ربهم بعد أن نالوا شهادتهم، وفازوا برضوان ربهم إن تقبل الله منهم قتلهم في سبيله وميتتهم ابتغاء مرضاته .

وتمتزج هذه الغبطة لأولئك الذين سبقونا على الطريق إلى الله بالخوف الكبير والرغبة التي يحس بها القلب من أعماقه أن يحرم الإنسان هذه الخاتمة، ويعود ليعمل في خضم الحياة العادية، وغمار العيش النشوي، ويموت فوق مكتب من المكاتب، أو بين رفوف الكتب، أو بجلطة قلبية في شارع إحدى المدن العربية، وتفوته فرصة العمر التي ساقها الله له في أفغانستان وهو يطمع أن يدخل الجنة وقد وصل على أعتابها، وعاشها بروحه، أو قاربها وهو في ظل السيوف بأبوابها .

والحق أن الثبات على طريق الجهاد أمر شاق على النفوس، ولذا جعل الله ثواب الجهاد أعظم ثواب ، وبدأ الجهاد قمة سنام الإسلام لصعوبته ومشقته . ليس من السهل على النفوس أن لا تهتز وهي تواجه مشاكل أضخم من الجبال، وصعوبات تزلزل الأوصال .

فالعقبات التي تنشأ في طريق السالكين على الطريق لإقامة دين الله في الأرض جد كثيرة، واجتياز هذه العقبات أمر بونه خرط القتاد، خاصة المشاكل الداخلية التي تعترض المسيرة إلى الله، ولا يمكن أن تنفك عنها ، ولو خلت مسيرة من هذه المشاكل والفتن الداخلية لخلا منها ذلك الموكب الفريد الذي يقوده سيد البشرية وأكمل الخلق صلى الله عليه وسلم .

والمشاكل التي تواجه الجهاد الأفغاني الآن تتولى كبر مؤامراته الخارجية أمريكا وروسيا . والمشاكل الداخلية يزوج نارها وينفخ بكيرها (طلقاء الفتح) الذين اتخذوا من الأمان الذي أعطاه المجاهدون للشيوعيين والمليشيا جنة حتى ينفثوا مكائدهم، وجعلوه ستارا لنصب أحابيلهم للمجاهدين المخلصين .

ولقد لاحظنا في الفترة الأخيرة أن القتل قد استحوذ بالقادة الصادقين الذين عاهدوا الله أن لا يدعوا نجيبا ولا حكومته يهتأوا

١- لبيب المرعاة العدد ٦٩ التاريخ ١٦ صفر ١٤١٠هـ - الموافق ١٦ سبتمبر ١٩٨٩م.

انشار تقول : (إن في أعصابي أحزانت لا يعصب إلا خائف الشوب علام العيوب)

وتكلمت مع حكمتيار ودياني بشأن قضايا ومشاكل فوجدت حال القوم يقول:

(ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعل عنا واغفر لنا وارحمنا أنت

مولانا فانصرنا على التوم الكافرين) البقرة ٢٨٦

أما المشاكل الخارجية التي توجب نازها وتدير رحاها أمريكا التي تزعم أنها نصيرة الجهاد وحليقة المجاهدين، وهي تحاول أن تقطع كل يد تمتد بالعون الصادق لهذا الجهاد، وتدأب جامدة لتشد يد الخناق على الجهاد، وتجفيف الموارد التي تصب في نهري الدافق، وتكسر الأيدي التي تحمل لواء الخافق، وتتحي عن طريقه كل مجاهد صادق.

ومع هذا كله فالكفة راجحة لصالح المجاهدين .

البشائر:

وقبل اختتام هذه الافتتاحية جاعتنا البشائر السارة عن معارك وانتصارات كبيرة في معر سالنج ومطار بجرام وقلمي سرخ، (جبل سراج : القوة الكبرى التي تحافظ على معر سالنج وبيروان وكابيسا) غنم فيها المجاهدون (١١) دبابة ودمروا أكثر من ضعفها، وعطلوا مطار بجرام، وغنموا راجمتين للصواريخ BM21 ، ودعك عن الانتصارات الكبرى في خوست، وتعطيل مطار شندند، وفتح مديرية شندند، وشمل حركة مطار قندهار

(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون). (يوسف ٢١)

بشما جزيتم المضياء (١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :

فلقد كثرت المسهام التي استهدفت صورة المجاهدين في الأشهر الأخيرة، ولقد أخذت أجهزة الإعلام تعيد وتبدى تشويه صورة القادة، وتحرق أوراقهم، وتحطم شخصياتهم، وتجهز على ما تبقى من أمل في أعماق المسلمين بهم .

ولقد طفت الصحف العربية في الفترة الأخيرة تنسج على منوال الصحف الغربية، وتقتفي أثرها حنو القذة بالقذة ، وتسهل من مواردها، وتعزف ألحانها على أوتار الأجهزة الغربية .

والهدف الوحيد الذي تداعت عليه سكاكين الجزائريين هو: القادة المخلصون في الجهاد الإسلامي المشرف .

ولقد اتخذت وسائل الإعلام الغربية من بعض الأخطاء في ساحة الجهاد مبررات لهذه الحملة الشعراء ، ومتكأ لانطلاقتها التي تستهدف أن تقطع أواصر الصلة بين هذا الجهاد وبين القلوب التي أحلتها سويدائها ، وجرت محبته في أعماق جوانحها، وسرت ضرورة نصرته في عروق الأمة مع دمايتها.

ونحن نعلم الدوافع الحقيقية وراء هذه الحملات الإعلامية المسعورة ، نعلم أن الغرب يرتجف من الجهاد الأفغاني الآن كما ترتعد أرواح الأطفال من الفيلان والجن .

لقد رحب الغرب يادى ذي بدء بالجهاد الأفغاني ليدحضوا به الدب الروسي، ويحطموا كبرياءه، ويستنزفوا دماؤه، ويدمروا اقتصاده على سفوح جبال الهندكوش- دون أن يراق الدم الغربي الأزرق النبيل !! في هذه المعركة-، فنتائج المعركة لصالحهم على أي الجهتين مالت كفتها، أو انكفأت موازينها .

فسواء تحطم الشعب الأفغاني الأصل بقطرته، المعتر بإسلامه، العريق بأرومته، المتمرس بمعاركه، الشديد بعريكته وشكيمته، أو تدمرت روسيا العنوة التقليدية للغرب ، فالمعركة في صالح الغرب.

ولقد أفلتت نتائج الجهاد الأفغاني من جميع المعادلات السياسية الدولية، واختلفت كل التقديرات البشرية والحسابات الإنسانية.

١ - نبي المعركة العدد ٧٠ التاريخ ٢٢ صفر ١٤١٠ هـ - الموافق: ٢٢ سبتمبر ١٩٨٩ م.

يعيش ولا ينعموا باستقرار، ومعظم عمليات القتل جاءت غيلة على يد أناس اندسوا في داخل الجبهة تائبين مخبتين ريثما يطمئن القائد إليهم، وبعد أن ينفثوا مؤامرة القتل يعوون من حيث بدأوا على أدراجهم إلى كابل -

وهناك ظامرة أخرى أن طلقاء الفتح هؤلاء قد أخذوا طريقهم إلى النفوس الضعيفة للقادة الصغار الذين بدأوا يرخون قبضتهم ويرتفوا حملاتهم على الدولة بسبب الأموال الكثيرة التي تنصيب عليهم من الدولة ، ووصل الأمر بالبعض أن يقطع عرق الحياء بين عينيه ويرفع عقيرته بوجوب المصالحة الوطنية مع نجيب وحل القضية سلميا ، وإن كانت نسبة هؤلاء لازالت غير مؤثرة كثيرا على مسيرة الجهاد، والحمد لله إن هذه الفتنة لازالت لم تأخذ طريقها إلى قلوب القادة الكبار ذوي الثقل المعروف.

هناك مشكلة ثالثة أن دولة نجيب المهترئة قد بدأت تثير المشاكل العرقية والقضايا المذهبية ، فبدأ نجيب يعد لواء من الشيعة (الهرارة) في داخل كابل وضواحيها، فسلح الشيعة في بغمان، وبدأت كذلك إيران تدس بأصابعها، وعقدت معاهدة مع روسيا صرح بعدها أحد كبارها (لا مانع لدى إيران من بقاء حكومة نجيب إذا كان هذا هو اختيار الشعب الأفغاني).

وهناك مشكلة الشيعة الإسماعيلية - سيد كيان - في نوشي بغلان الذي يشكل شوكة في حلق المجاهدين بعد أن أصبح قوة مدججة بالسلاح، محمية بالديابات، واحتضنته الدولة بأن عينت ابنه محافظا لولاية بغلان، وقدمت له مائتين وخمسين دبابه -

موقف قادة الجهاد :

وأما لسان حال أمراء الجهاد فهو:

(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) العمران(١٧٣) -

وكانهم يقولون :

ولو كان سهما واحداً لاتبته ولكن سبهم وثلاث وثلاث

المخلصون من أنصار الجهاد :

ويسمع الصادقون من المسلمين في أرجاء العالم الإسلامي بعقبة عويصة تعترض سبل هذا الجهاد الدافق، فيتداعون من شتى الأصقاع مشفقين على هذا الجهاد، متألين لقادته، يريدون أن يلقوا بدلانهم في القضية، ويصبوا ثقلهم لإزالة هذه العقبة ، وإني لأكبر في الكثيرين غيرتهم وتحرقهم على هذا الجهاد، وتعطيهم لمصالحهم وتجارتهم في بلادهم، فتراهم يعتصرون ألما وينوبون حسرة وهم يعرضون حلول القضايا أمام القادة الكبار (الأمراء)، فلا يجدون منهم تجاوبا يعدل الغيرة التي توجب النار والحزن في نفوسهم ، وإنك لتكاد تسمع صوت أعماقهم يتهم هؤلاء الأمراء بالتواني والتهاون في حل المشاكل، ولا يجدون لهذا تفسيراً سوى اتهام القادة بالهوى وحب السيطرة والنزعة الجامحة للحكم والملك .

والأمراء يستحيون أن يقولوا لهم : ليس من السهل عليكم أن تقوموا بسبر أعماق القضية، ولئن استطعتم أن تغوصوا إلى أغوارها فستقفون أمامها حائرين كما وقفنا ، ولقد كنت أرى القوم الصادقين الوافدين للوقوف بجانب إخوانهم لمشاركتهم آلامهم وأمالهم ولو لفترة قصيرة ، أراهم وهم يضربون أخماسا بأسداس، ويحدثون ويسمرون يفكرون، فيبتلون إلى حل ينتظرون انبلاج الفجر حتى يعرضوه على القادة، فيطرق القادة برؤوسهم لا ينيسون ببنت شفة، ويشدد الزائر بالموعة والنصيحة للقادة، ويتلون أمامهم آيات الأخوة والمحبة والتعاون والتعاضد، وأحاديث التكاتف والاتحاد وغير ذلك .

وأما أنا فأحس بسر الوجوم المطبق والصمت الغامض الذي يلف نفس القائد أمامهم، ولو أجيبتهم لما قلت لهم سوى أبيات أبي

فراس :

أتعذرون فإن العذل يوجعه

قد قيل حقا ولكن ليس يسمعه

فاستعملوا الرفق في تأنيبه بدلا

من عنفه فهو مضنى القلب موجه

راجعت سيافا في مشكلة بشأن جبهة من جيبهاته، فأدار بعينه متفرسا في وجهي ثم صفت، فقرأت في نظراته لغة أبلغ من

فما كان ينور بخلد الغرب وهو يتהלل فرحا بهذه المعركة في بداية أمرها أن هذه الانتصارات ستتنزل على الجهاد الأفغاني بهذا الشكل الخيالي ، وما كانوا يحسبون أن الجهاد سيتطور إلى حد تقلت نتائجه من أيديهم، ويتمرد قادته على أوامرهم .

كنت ذات مرة مع مجموعات من المجاهدين قرب الحدود، وعلى مقربة من مخزن من مخازن الذخيرة للمجاهدين، وهم قد جمعوا تضجعا من البغال والخيول والحصير لتقل بقايا الذخيرة المتبقية في المخزن من العام المنصرم، وكان هذا قبل شهر ونصف تقريبا من هذا اليوم ٢١/صفر /١٤١٠ هـ الموافق ١٩٨٩/٩/٢١ .

وقد كنت ذات صباح في إحدى الخيام، فجاءني أحد الإخوة المرافقين لي ، وقال : لقد وصل مجموعة من كبار ضباط هذه الدولة برفقة القنصل أو السفير الأمريكي، ودار بينهم وبين المجاهدين حوار، ونقل لي الأخ الحوار :

قال القنصل : هل أنتم بحاجة إلى شيء ؟ فقالوا : نحن بحاجة إلى الله وليسنا بحاجة إلى أحد

قال القنصل : هل أنتم قائلون على مواصلة الجهاد إذا نفذت ذخائركم ؟

قال المجاهدون : نعم لقد بدأنا بالعصي والحجارة أولا، ونحن مستعدون أن نرجع إلى تلك الحالة التي بدأنا منها ، فذهل القنصل وهو يسمع هذا الكلام، وعاد الولد أدراجه .

لقد كان الغرب يظن أن بإمكانه أن يطوع هذا الجهاد بالإشارة بينانه، ويحتوي قادة الجهاد مع الأيام والممارسات والمحاولات، ولكن خاب فآله وخسر ظنه .

وما كان الغرب يحسب أن الجهاد الأفغاني سيضطر غورباتشوف في يوم من الأيام لإعادة الحسابات في النظرية الشيوعية ذاتها ، وأن الهزائم المريعة التي مني بها الجيش الأحمر في هرات وقندهار وسالنج وبنجشير وكابل قد أصاب رأس سيد الكرملين بالدوار إزاء هذه الأرقام الحقيقية التي تواجهه يوميا من خسائر الجيش الأحمر ، إن الاتحاد السوفياتي قد عاش خلال سبعة عقود منصرمة وراء سراب خادع، وجرى يطلب الري من المفازة (سراب صحراء) متأهم به حقد ماركس على الأغنياء .

ولقد دفعه هذا أن ينطلق محاولا أن ينقذ مركب الاتحاد السوفياتي من الفرق المحقق بعد أن دمرت أمواج الحياة الواحة، وخلخلت صلابة الفطرة دسره .

في اجتماع ضم كارلوتشي (وزير الدفاع الأمريكي) السابق مع وزراء دفاع الناتو (حلف الأطلسي) يقول الوزراء لكارلوتشي : يبدو أن غورباتشوف قد غير سياسته تجاه الغرب لأنه قرر سحب مليونين من جنوده من أوروبا الشرقية ، فرد كارلوتشي : لقد أجبر الأفغان غورباتشوف أن يغير سياسته تجاه العالم أجمع .

لقد هزم الجيش الروسي من أفغانستان، وانتهت أسطورة الجيش الأحمر الذي لا يهزم دون أن يحمل ورقة واحدة في جيبه من المجاهدين الأفغان تحفظ له بقية من ماء وجهه، بعد أن استعانت في الحصول على هذه الورقة ليلوح بها للعالم أنه خرج بمعاهدة وميثاق .

لقد أصبحت القبة الأفغانية والعمامة القندهارية مفخرة للعالم أجمع ، ولقد زرت أمريكا أكثر من مرة بدعوة من الشباب المسلم في أمريكا وأنا ألبس هذه القبة، فكنت أرى وجوه القوم تتهلل فرحا لرؤيتها، إذ أن هذه القبة هي التي شفت صدور الشعوب الغربية من الدب الروسي المتوحش .

وبعد الهزيمة الروسية في أرض أبي حنيفة النعمان انقلبت نظرة الغرب تجاه الجهاد الأفغاني، كانوا يريدون من الجهاد أن يمرغ كرامة روسيا في الأحوال فحصل لهم ما أرادوا .

وكانوا يريدون من الجهاد قميصا يلوحون به في المحافل الدولية والمنتديات العالمية لتحطيم روسيا معنويا وسياسيا ليفقد انتصاره في العالم، فكان لهم ما أحبوا .

وكانوا يخشون من الدب الروسي المتعطش لأبار البترول في الخليج أن يرد أبارده، فتبدد خوفهم، وزال شبح الرعب من الزحف الروسي الذي كان يعد قاعدة شندند كرأس حرية لانطلاقه، ولكن الجهاد الأفغاني أوقف الزحف، وقلم أظافر الدب وحطم مخالبه .

أما الآن فقد قلب الغرب ظهر المجن لهذا الجهاد، لأن المعادلات قد تغيرت، إذ أن المعركة التي تدور رحاها حول كابل وكبرى

المدن الأفغانية تستهدف الإطاحة بالنظام الشيوعي واجتثاثه من الجذور وإنشاء مجتمع إسلامي مكانه، وهذا الأمر الذي لا يظنون مجرد مروره على الأذهان، أو رؤيته كاضغاث أحلام في المنام، وهم يرونها حقيقة تقترب يوما بعد يوم للظهور في واقع الحياة .

لقد كانت التفسيرات في أواسط آسيا من قبل الغرب تضع أمام نواظرها هدفا لا يغب وهو: عرقلة قيام مجتمع إسلامي في أفغانستان، وتأخير حسم المعركة عسكريا ريثما يرتب الغرب أوراقه من جديد، ويبحث عن البديل لهذا النظام الشيوعي المتداعي .

• إن قتل ضياء الحق - رحمه الله -، والتقارب الروسي الإيراني، وتوثيق الصلات بين الهند وباكستان، والتقارب الإيراني التركي الباكستاني الصيني الهندي، وإنهاء الحرب العراقية الإيرانية، وتغيير مراكز القوى لدى الدولة الحليفة للجهاد، والطروح الغربية لمؤتمر غربي عالمي يحل مشكلة أفغانستان، والتلويح بورقة ظاهرشاه، والدولة ذات القاعدة العريضة في أفغانستان، وحكومة التكنوقراط، والدولة الائتلافية، ومزامرة (معاهدة) جنيف، والعزف على نفخة السلام في أفغانستان، والحرب الأهلية، واستعمال لحن الوهابية باستمرار، واستعمال جمود الوضع في جلال آباد كدليل قطعي على أن المعركة لا تحسم عسكريا بين المجاهدين والشيرعيين، والضجة الإعلامية الكبرى عالميا بعد حادثة (تخار) التي ما تعدت عن كونها جريمة ارتكبت من أحقق بحق خمسة من القادة رسته من المجاهدين.

كل هذه الأنغام التي عزف عليها الإعلام الغربي، ورقص على هذه الألحان الإعلام العربي، كل هذه تحولت إلى ألغام موقوتة نسفت كثيرا من أوامر الصلة الإسلامية العميقة بين الشعوب الإسلامية وبين هذا الجهاد، والتي أقيمت جسورها بجماجم مليون وثلاثمائة ألف شهيد .

• لقد كان الأولى بالأمة الإسلامية أن تضع أحداث أفغانستان العزيزة شعاراً لعزتها، ورمزا لصورها، ووساما لحريتها . لقد كان الأحرى بأبناء الإسلام في كل أنحاء المعمورة أن يكتبوا معارك أفغانستان بدماء الذهب - وقليل عليها أن تكتب بدماء الذهب - . لأن المعارك أديرت بدماء القلوب، وسطرت التاريخ الإسلامي بدماء سويدائها .

لقد كان الأجدر بكل مسلم في الأرض أن يضع نصب عينيه قادة الجهاد كنماذج للإصرار، وكؤسسة للفخار، وأمثلة حية على أن هذا الدين لن يموت، وأنه قادر أن يخرج النماذج الرفيعة في كل مكان وزمان .

قالوا لي سائلين عن رأيي في قادة الجهاد في الداخل والخارج، فقلت لهم: من أنا حتى أحكم على هؤلاء؟! ولكني ألخص لكم إحساسي من الأعماق في كلمات: إنني لأشعر بالشرف العظيم عندما يسمح لي أمثال هؤلاء أن أجلس معهم وأناقش قضاياهم ومشاكلهم. لأنهم صنعوا التاريخ، وأقاموا صروح المجد، وعمقوا عقيدة التوكل على الله في أعماق كل مسلم، وشعر كل مسلم بواجب القضية بالعزة وبالتفسير العملي لقوله تعالى:

(ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) (المنافقون: ٨)

لقد جسد الأفغان لنا في كثير من المواقف تاريخ السلف ورفعتهم، وعزتهم وشموخهم، وهوان الدنيا على المؤمن، واستصغار الأموال، وإن كانت كالجبال .

لقد علمونا الكثير الكثير [لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب]، { ولكن أكثر الناس لا يعلمون }، (يوسف: ١١١)

لقد كان لسان حالهم أبلغ من لسان مقالهم وهم يرددون مع أبي الطيب:

وأورد نفسي والمهند في يدي موارد لا يصدرون من لا يجالد
وحيد من الخلاء في كل بلدة إذا عظم المقصود قل المساعد

فيا أبناء الإسلام:

أقلوا عليهم لا أبأ لأبيكم من اللوم أو سدا المكان الذي سدوا

فيا أحفاد خالد وصلاح الدين: لا تتركونا على أبواب كابل وحدنا وتنكصوا على أعقابكم.

يا جيل الصحوة الإسلامية: لا يخدعنكم الإعلام اليهودي العالمي عن قضية الإسلام الرابعة في أفغانستان.

يا حملة هذا الدين ويا دعاة الإسلام: أنزلوا الناس منازلهم، واعرفوا لقادة المجاهدين أقدارهم، ولا تنتظروا إنهم من عل لأن

بين أيديكم بعض الدريهمات، ولأنكم جمعتكم من حظامها وإعاعاتها شيئاً في جيوبكم وبيوتكم، لأنتم بونهم بكثير، فلا تقبلوا الموازين والمعايير.

أيها المسلمون:

لا تنحروا العضباء بعد أن نجاكم الله عليها فبنسما جزيتموها ، ولعلكم بحاجة أن نسوق لكم قضية العضباء - ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم - حتى تكون لنا عبرة في هذه الآونة.

روى مسلم عن عمران بن الحصين قال: (أسرت امرأة من الانصار وأصيبت - أخذت - العضباء فكانت المرأة في الوثاق ، وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم، فانفلقت ذات ليلة من الوثاق فأثت الإبل، فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه، حتى تنتهي إلى العضباء فلم ترغ، وهي ناقة منوقة -مدللة-، وفي رواية مدرية، فقعدت في عجزها ثم زجرتها، فانطلقت، ونذروا(علموا) بها فأعجزتهم. قال: ونذرت لله إن نجاها الله عليها لتتحرنها، فلما قدمت المدينة رآها الناس فقالوا: العضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: إنها نذرت لله إن نجاها الله عليها لتتحرنها ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا ذلك، فقال: [سبحان الله! بنسما جزتها، نذرت إن نجاها الله عليها لتتحرنها، لا ولاء لثغر في معصية، ولا وفاء فيما لا يملك العبد].

يا أبناء الأمة الإسلامية:

واصلوا مسيرتكم مع هذا الجهاد، فلقد حان القطاف، وقرب المرفأ، وبان الشاطئ، ولم يبق إلا القليل حتى نلقي عصا الترحال، وننعم بالشار، ونتفيا الظلال.

لكن حمزة لا يواكي له^(١)

من خارج أفغانستان وباكستان أكتب افتتاحية الھيب ، والكلمات التي تخرج من القلب لا يمكنها أن تطاول في سخونتها وحرارة جعلها تك الجمل التي تخرج من أرض الھيب لافتتاح لھيب المعركة.

شتان شتان بين طعم الحياة هناك في أرض الجنة تحت ظلال السيوف، وبين طعم الحياة في عيش رغيد رتيب هاديء وأدع تحت ظلال المكيفات .

شتان شتان بين تجارب القلب للقرآن الكريم، والتفاعل مع معانيه، والعيش مع مدلولاته وإيحاءاته هناك حيث تتجرد النفس من غواشيبها، وتخلص لبارئها، وتتعرى الفطرة لخالقها فوق أرض النار والفخار، وبين القلب الذي أشغله مشاغل الدنيا وألهته حتى عن الأذكار بعد الصلاة.

شتان شتان بين استعذاب الصلاة وتذوق حلاوتها والثلوج تغطي القمم والآكام، وبين الصلاة الروتينية في أضخم المساجد ولو كان في المسجد الحرام ، وصدق الله العظيم:

(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يسترون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين ، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون)

التوبة ١٩-٢٠.

إنه من الصعب على النفس التي تنوقت حلالة الجهاد، واستعذبت المعاناة على طريقه، وسعدت بتجرع الغصص على جادته أن تستريح إلا بين أنغام الرصاص وعزف المدافع وبوي الطائرات.

وإنه لمن الصعب على القلب البشري أن يفتح إلا مع سخونة الأحداث، وغليان الدم في العروق، فتتحرك في القلب الحياة

١- لھيب المعركة - العدد ٢١ - التاريخ ١ ربيع الأول ١٤٢٠هـ - الموافق ٢٠ سبتمبر ١٩٩٩م

والحركة بعد الجمود والركود والهمود.

إن النفس البشرية مع الأحوال تطاوع (كالحديد المطاوع) فتكون عندها قابلة للطرق، مستعدة لتلقي الأوامر الربانية والتوجيهات النبوية.

لقد أيقنت أنه من الصعب على الإنسان أن يفهم دين الله وأن تحل لديه كثير من الألغاز التي تعجم عليه في إدراك هذا الدين إلا من خلال الحركة لإقرار هذا الدين ونصرته ، وإعلانه وعزته .

الجهاد مفتاح الأسرار:

إن من أكبر النعم الربانية على الإنسان أن يحبب إليه الجهاد ويزينه في قلبه مع الإيمان، لأن الجهاد هو مفتاح أسرار النفس الإنسانية ، ومفتاح الخزائن الربانية ، فالمعارك لإعلاء كلمة الله تفتح مغلق النفس الإنسانية، وتفتح المعجم من الخزائن الربانية، لتسكب طمأنينتها وسكينتها وحكمتها ورشدتها وزكاتها على القلب والنفس، وصدق الله العظيم:

{ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحيبكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه محشرون }

(الأنفال ٢٤).

والحياة المقصودة بالنداء في النظم الكريم هو الجهاد كما ذهب إليه ابن القيم رحمه الله وغيره .

الجهاد للمجاهدين كالماء للسماك:

ريصت أرنبور واجماً وكأنه في عالم آخر عن حوله، ثم يواجه الحاضرين قائلاً: كيف لنا أن نعيش بلا جهاد، ثم يتابع قائلاً: نحن الآن طيلة نهارنا وليلتنا نبحث عن تأمين الطعام أو الذخيرة، أو نلوي إلى صخرة نكتب رداً على طلب ، ونفكر في علاج الجرح، أو مواساة أهل القتل، فكيف غداً إذا انتصرنا وصمدت المدافع وهدأت المعارك؟ فكيف لنا أن نعيش بدونها؟

أما أنا فكثيراً ما أدعو الله أن لا يحرمننا من الجهاد، لأن الإنسان يخشى أن يحرمه الله نعمة الجهاد بفقلته أو قلة إخلاصه، أو ذنوبه، والجهاد منزلة عظيمة لا يهبها إلا لمن يستحقها من أحبائه وأوليائه، ولا أكاد أطيق أن يمر في مخيلتي أنني أعود في يوم من الأيام إلى الحياة الرتيبة الناعمة الهادئة من الفطور إلى الغداء إلى العشاء إلى المنام .

إنني أحس بالضيق الشديد عندما أدع الجبهة أو المعسكرات وأعود إلى بيشاور - رغم أن فيها أهلي وأمرأه الجهاد -، ويزداد صدري حرماً كلما بعدت الشقة وطال العهد عن أرض الرباط والنزال ، وكلما زرت بلداً أمسك بي الإخوة الأحبة يودون أن أطيل زيارتهم، فأقول لهم: إن نفسي لا تطيق فراق أرض الجنة وعشاق الحور .

الناس تجاه الجهاد:

والناس هنا يلفون مع عجلة الحياة وتوخيهم بدوامتها، وكلما أراد أحدهم أن يمسك بنفسه لئلا تدوخه بحركتها تدافعت أمواجه وجرفته مع تيارها، (وحال بينهما الموج فكان من المفرقين). والناس تجاه الجهاد فئات، وينظرون إليه بمختلف النظرات: فمنهم الذين يرون أن الجهاد الإسلامي غاشب تماماً عن الساحة الأفغانية، وإنما الصراع لحماية (حقول الأفيون) وتأمين تجارة الحشيش التي تكثر في مناطق الحدود القبلية، وقد جهد التلفزيون البريطاني لإخراج فيلم يظهر فيه أحد (تجار الأعراض والدماء) وهو يدخل الحشيش، ثم يهجم بعدها على مركز للشيرعيين في قندهار.

وفئة أخرى:

ترى أن الجهاد قد انتهى بخروج الروس من أفغانستان، والصراع لا يعدو أن يكون مطامع على كراسي، وقتالا على مصالح شخصية وأهواء حزبية، ولو كان يحفظ سورة (المؤمنون) لئلا: { فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون }.

وطبقة ثالثة: ترى أن الجهاد الآن عبارة عن حرب أهلية يسفك فيها المسلمون دماء بعضهم بعضاً، والأولى ببقية المسلمين أن لا يلوثوا أيديهم بهذه الدماء، وأن يترفعوا عن هذه الفحشاء.

وطبقة رابعة: ترى أن الجهاد قد وصل إلى حائط مسدود، ولا يمكن للسلاح أن يحسم المعركة، لأن الفريقين من الأفغان مسلمهم وكافرهم أشداء صابرون على البلاء، فلا بد من اللقاء حتى يحسم النزاع، وتحل القضية بالمؤتمرات الدولية.

وطبقة خامسة: وهي قريبة من الرابعة ترحب من بعيد بعودة ظاهرشاه، ويقولون: لتكن على الأقل خطوة على طريق البناء وإعادة المجتمع الأفغاني المتناسك، ريثما يلتقط الشعب أنفاسه، ويعدّها يحاول الصادقون أن يبعثوا ظاهرشاه ويطبّقوا دين الله .

وطبقة سادسة: من أنصار هذا الجهاد ولكنهم مستحيون أن يرفعوا رؤوسهم أو يجهروا بأصواتهم ليسمعوا الناس، لأن مطارق الإعلام فوق رؤوسهم تتابع الجهاد تشويهاً ومسخاً، ولقاداته وأبطاله حرقاً .

قال لي بعض أنصار الجهاد (جزاكم الله خيراً أن وضعت الصورة في أذهانتنا وشرحت صدورتنا، فالآن تستطيع أن تتكلم بون جمجمة ولا تلثم).

الحقيقة تختلف تماماً عما في أذهان هذه الطبقات جميعاً: (الحقيقة أن ظاهرشاه يستحيل أن يعود إلى أفغانستان ويحكم فيها، لأن ٨٠٪ من المجاهدين تقريباً يتواعدون بياته(قتله) فيما لو وصل) .

ولقد أطلقها الشيخ سياف منذ ثماني سنوات -كانت ورقة ظاهرشاه مطروحة على بساط انبحث آنذاك- ، فقال سياف: (نرحب بظاهرشاه لننقله في المطار).

لقد قتل د. مجروح بمجرد أن أخرج احصائية تشير أن كثيراً من الأفغان يرحبون بظاهرشاه، وقتل الحاج عبد اللطيف أحد القادة في قندهار قبل شهر من هذا التاريخ بمجرد أن أعلن تأييده لعودة الملك المخلوع، إن ظاهرشاه مقتول بإذن الله قبل أن يصل الحدود، فكيف إذا دخل أفغانستان؟! وأنى لظاهرشاه أن يحكم بلا جيش ولا شعب؟

إن نجيباً يعيش أزمة خانقة في الحكم من خلال الحصار الذي فرضه المجاهدون حول العاصمة كابل وعزلوها برأ وجواً، مع أن حوله ثمانين ألفاً من الشيوعيين، وأربعين ألفاً من المجندين .

ومع هذا كله فالصراعات بين أجنحة الحزب الحاكم - خلق وبرشم - لا تتوقف عن الدمعة والنباح .

وحول نجيب جهاز الاستخبارات الذي ربّاه على يده وصنعه على عينه، فكيف يحكم ظاهرشاه بلا جيش ولا أمن ولا حزب؟! أما حقول الأفيون والحشيش: فلقد أنهى الجهاد كثيراً منها ، ولا يمكن في بعض المناطق أن يدخل المجاهدون، فكل من يثبت عليه أنه باع دخاناً في دكانه فإنه يعرض نفسه لعقوبة سجن خمسة عشر يوماً .

وبيع الدخان في مديريات كثيرة ممنوع فضلاً من أن يستعمله المجاهدون، أما تدخين الحشيش فهو عملية غريبة كل الغرابة عن حس الواقع الجهادي، أما أن المجاهدين قد يشسوا من فتح المدن ومن حسم المعركة عسكرياً فاسأل نجيباً عن حال عاصمته وعن طرقها البرية والجوية فإن لديه النبا اليقين .

أما عن الحرب الأهلية والتمزقات الداخلية : فلعلك أيها القارئ الحبيب تعلم أن الشعب الأفغاني عشرون مليوناً، وأن أكثر من مليون يحملون السلاح، فهل تنتظر أن تجد هؤلاء يمتشقون السلاح بأيديهم شعباً ملائكياً؟

[لا يعصرون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون] (التحریم ٦).

ولكن الحقائق معماة عن أذهان معظم الناس بسبب تسليط الأضواء على هذه المخالفات والأحداث، وينحون باللائمة على الأحزاب الجهادية، وقادة الأحزاب يعتصر الأسى قلوبهم ويفتت الحزن أكبادهم بسبب هذه الأحداث التي لا تمت إلى التضييعات بصلة، وقد تجد مسببها بعد انبحث أهواء طامع في سرقة بقرة أو الثار من قاتل أبيه .

أمانى الطيبين وأحاديثهم: وتستمع إلى صفوة الناس في المجتمعات الراكدة فتراها لا تتعدى قصصاً عن دعاة بلادهم، أو شيوخ في مناطقهم أو مشاكل الاقتصاد في أقطارهم، وتجد بعضهم يعيد ويبدىء حول قصة لخطيب مسجد أمام قتات يعمل في

أجهزة الأمن ، أو كلمة شديدة قانها وقت التحقيق، أو فصل موضح من وصيفته، وتسمح عن أخيار اضطرر اسخذه فيه فوجد اساس يطيرون فرحا بوضع لقم أمام سيارة كل شهر مرة، فقلت في نفسي: (نكن حمزة لا بواكي له) .

إن جميع الأحداث الساخنة في الأرض لا تعد عشر معشار ما يجري في يوم واحد فوق أرض كابل وقندهار .

وليت المسلمون يتخلصون من رواسب القومية فيعدلون في وزن كل قضية، ويرتبون الأولويات للعمل لدين الله ونصرته، متجاوزين الحدود الجغرافية والحواجز الإقليمية والنزعات العرقية.

إن العرب يلعبون بأقدس قضية، وما أجمل كلمة المستشرق الهندي (نيبولد فايس): إن العرب يلعبون بقضية أفغانستان المقدسة، ولراعتوا جيداً بهذا الشعب العريق لفتحوا به العالم .

وهذا هو الحق: إن كثيراً من الناس ينظرون إلى المجاهدين الأفغان بل إلى قادتهم من عل، وتراهم وأنت تطلب منهم مساعدة الأفغان يمزقون لحومهم وينتقدون مسيرتهم، فأقول لهم:

أقولوا عليهم لا أبأ لأبيكم من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

وأعجب للالتزام كيف يتطاولون ويترفعون عن العماقة، وأما حاجة المجاهدين للطعام واللباس والأحذية وأجرة النقل (الكراية) فحدث عنها ولا حرج، وهذا أمر لا يفض من مكانتهم، ولا يقلل من قدرهم، وهي حال المجاهدين من صفوة البشرية وضوان الله عليهم، وهي حال صانعي التاريخ عبر القرون البشرية.

فعن فضالة بن عبيد: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى بالناس يخر رجالاً من قانتهم في الصلاة من الخاصة -الجرع- وهم أصحاب الصفة، حتى يقول الأعراب هؤلاء مجانين، فإذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف إليهم فقال: لو تعلمون ما لكم عند الله تعالى لأحببت أن تزدادوا قاعة -قترأ- وحاجة) رواء الترمذي وقال حديث صحيح.

وعن عتبة بن غزوان : لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى فرحت -جرحت - أشداقنا فالتقطت بردة فشققتها ببني وبين سعد بن مالك فاتزرت -اتخذتها كالإزار- بنصفها واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار، وإني أعوذ بالله أن أكون في نفسي عظيماً وعند الله صغيراً) رواء مسلم .

اللعبة الدولية^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

فما كان أحد يتصور أن هذا الجهاد المبارك سيؤتي هذه الثمار الزكية في الأرض كلها، وما دار بخلد أحد أنه سيهز المعمورة كلها، ويعيد ضخ الدماء في عروقها التي جفت ، ولذا كانت نتائجه باهرة للأمة الإسلامية، ومذهلة للغرب الذي فرح بأدىء ذي بدء بتمريغ النب الروسي في أحوال كابل ومهرات وهلمند وجيخون .

ولكن الغرب وهو يفص الآن إذ يرى تجمع الأمة الإسلامية بأسرها حول هذا الجهاد، وإعجابها بإشراقته وأثاره ما كان ليدع هذه الأمة تنعم بهذه التجربة الرائدة الضخمة، ولا أن يتخذها أسوة في حياته، ولذا فقد وضع نصب عينيه الآن أمرين:

١- تحطيم آثار هذا الجهاد في نفس الأمة الإسلامية بالتشكيك ببواعثه ، وتشويه صورته، وتحطيم الشخصيات التي برزت من خلاله ، حتى لا يبقى في أذهان الجيل أمثلة حية تقتفى، وتماذج رائعة تقلد وتحتذى .

لا بد الآن: من حرق الشخصيات التي برزت من خلال قوهرات المدافع وألسنة النيران .

وبعض المخلصين يساهمون في عملية حرق هذه الشخصيات بسذاجة عجيبة، مع الغيرة التي يريدون بها تصحيح المسيرة أو

الصورة -كما يظنون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا-.

١ - لبيب المركة انسد ٧٢ التاريخ ٨ ربيع الأول ١٤١٠ هـ - الموافق ٧ أكتوبر ١٩٨٩م.

إن أمريكا وأوروبا تدرك أن إحساس المسلمين في أنحاء المعمورة أن بإمكان أي شعب أن يقف أمام الوحوش الضارية التي تسمى بالدول الكبرى، فلن يقف الشعب الأفغاني الآن أمام روسيا، وكسر حاجز الرهبة من أشد الوحوش الأرضية ضراوة، فإنه من المتوقع من أي شعب مسلم أن يقف نفس الوقفة أمام أمريكا أو الغرب، وهذا مثال حي آخر وهو جهاد الشعب الفلسطيني أمام اليهود وفي داخل الأرض المحتلة بعد صمت مطبق دام أربعين عاماً.

٢- عزل الجهاد الأفغاني في هذه المرحلة عن قلوب الأمة الإسلامية وتحجيبه وإعادته إلى داخل حدود أفغانستان ليؤول قضية قوم أشداء وهم الأفغان قاتلوا عدواً لهم دخل بلادهم وهو الروس قتالاً قروياً لا صلة له بالجهاد الإسلامي وعالمية.

وهذا يتم من خلال التضيق الشديد عليه، وقطع أواصر الصلة بين هذا الجهاد، وبين محبيه حتى تكف أيديهم عن البذل، ونفوسهم عن العطاء والتفاعل معه.

وعزل هذا الجهاد عن الأمة الإسلامية حتى لا تتألم إذا ضرب، ولا تحزن إذا ابتلع من خلال المؤتمرات الدولية والمؤامرات العالمية.

ولذا فالإعلام العالمي الآن لا يبحث إلا عن كشف سموات هذا الجهاد، وتبيين عيوبه، وتضخيم ثغراته، وإخفاء سماته وميزاته، وللأسف أن الإعلام العربي حلقة من حلقات التآمر العالمية، لأن وكالات الأنباء الكبرى والصحف العظمى التي لها نوي هائل في ساحة الأرض بيد أعداء الإسلام، وأما المسلمون الذين يعملون في الصحف والإعلام العربي فهم لا يملكون إلا أن يرتدوا ما يقوله سدة الإعلام وكهنة الأنبياء أبناء يهود ممن نذروا أنفسهم لتعطيم القيم البشرية في الأرض كلها.

ومن هنا: وأنت تذرع الأرض في رحلتك يتابعك الناس بأسئلة عن الخلافات والمذابح!!!! وتخار، وخروج حكمتياري من الحكومة، بدلاً أن يسألوا عن الانتصارات.

وأحياناً تنزل الاهتمامات عن هذا المستوى إلى درك هابط، فيسألك عن منشور وزع، أو شريط سجل يمس فيه بعض الشخصيات ويتناول قصة عائلية أو غير ذلك.

وإن كنت أظن -من أعماقي- أن كثيراً من المتسائلين مشفقون على أمر هذا الجهاد، يتحرقون عليه ويودون أن لا يسمعو كلمة واحدة تمس رجاله أو تؤذي أبطاله، بل يود الكثير لو يفتنون أبطال الجهاد ورموزه بأنفسهم، ويحبون أن تبقى هذه القيم الشاهدين أن يمسها شيء من العناء أو البلاء أو الوباء.

موقفنا تجاه التشكيك:

إن الذي نفكر به ليل نهار كيف نزيل الحكم الشيوعي من كابل ونجته من جنوده، أما بالنسبة لهذه الأمور التي تمس مسيرتنا، وتشوه حركتنا، وتحاول أن تنال من هذا الجهاد أو من أشخاصنا فهذه جميعها يتولى الرد عنها رب العالمين إن كنا صادقين.

[إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور] (الحج ٢٨).

[قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون * إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين] (الاعراف ١٩٥-١٩٦).

[فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم] (هود ٥٥-٥٦).

القواعد التي ننطلق منها ونحن نتعامل مع الجهاد الإسلامي في أفغانستان:

نحن نؤمن أن الله عز وجل بين من خلال قوانينه التي أودعها كتابه أنه يتولى عباده الصالحين، ويحارب أعدائهم، ويكيد لهم: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) البخاري.

ولذا فالقضية الأساسية التي تشغلنا هي: إخلاص النية مع صالح العمل (لأن الله عز وجل كما قال الفضيل بن عياض لا يقبل عملاً إلا إذا كان خالصاً صواباً)، فإذا كنا صادقين فهو يقولنا وهو نعم المولى ونعم النصير، وإن كنا غير ذلك -ونعوذ بالله من الفتن والرياء- فهو يكلنا إلى أنفسنا وإلى أعدائنا.

ولذا فإننا إن صدقنا فنحن نتعامل مع أولياء الله وأعدائه من خلال قوانينه، وننتقل من خلال نوااميسه التي لا تتخلف وعلى رأس هذه القوانين :

- ١- (قَامَا الزَيْدُ فَيُلْجَبُ جُنَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكِّثُ فِي الْأَرْضِ).
- ٢- (إِنَّ اللَّهَ يَنْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا).
- ٣- (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ)، قيل لابن عباس رضي الله عنهما إنا لنجد في التوراة من حفر حفرة لأخيه وقع فيها، قال وهي في القرآن (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ).
- ٤- (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) - كافيه -.
- ٥- (إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلَحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ).
- ٦- (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقْ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ).

كلمة إلى أنصار الجهاد :

ولذا نهيب بإخواننا أحبة الجهاد وأنصاره أن لا يلقوا أنفأ صاغية للمرجفين والمخذلين والمثبطين، وأن يتحققوا مما تنشره الصحف، وأن لا يقبضوا أيديهم عن البذل .
فالجهاد بخير، ورموزه لا زالت على الطريق، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.

في السيرة العبرة^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فلقد عاد الجهاد الأفغاني يواجه نفس الصعوبات التي كان يواجهها في بدايته، من ضيق ذات اليد، والمجاعة التي تهدد الولايات الشمالية والغربية من بدخشان حتى هرات، بعد أن قل المطر، وأجذبت الأرض، وزحف الجراد وأكل الأخضر واليابس، وأضعى أمراء الجهاد يواجهون أياماً عجافاً، فلا يجدون بين أيديهم شيئاً يدفعون به قاداتهم الذين يتكبرون على أبوابهم زرافات وروحانات، كل يعرض مشاكله وقضاياها في جيبته بعد أن ينس من حلها بنفسه، فترك خندق القتال وجاء إلى أميره لعله يجد لديه حلاً أو مشاركة في حل .

فما من يوم أجلس فيه في مكتبي إلا ويراجعني كبار القادة وصغارهم يقولون : لقد حل الشتاء ولا بد من أن نواجه الزمهرير بشيء من الإعداد، لابد من توفير الطعام حتى لا نضطر إلى ترك مواقعنا على خطوط النار الساخنة، ولا جرم أن القضية جد ملحة، ونخشى أن يفاجئنا الثلج بالسقوط فيغلق الطرق ويشل الحركة وتتقطع الاتصالات.

وفي كل مرة ينزل فيها الثلج نون تغيير حاجات ليوث الله الذين يريضون بين فكي الموت، هذه الحاجات التي تتضمن الأساسيات التي لا يمكن لحياة أن تستمر بروتها: الطعام، الغطاء، الحذاء والكساء، والخيام، ولو على ذرى الجبال بين الجليد القارص إن لم تتوفر الكهوف الدافئة الآمنة.

أقول: في كل مرة لا تتوفر هذه الضروريات الحياتية فإن المجاهدين يضطرون لا محالة لترك مراتبهم والانسحاب إلى الخطوط الخلفية التي يجدون فيها مأناً وطعاماً وأماناً، مما يترتب عليه تقدم النولة واحتلال مراكز المجاهدين، وهذا يعني أن المجاهدين بحاجة

١ - لبيب الحركة العدد ٧٣ التاريخ ١٥ ربيع الأول ١٤١٠ هـ - المواقف: ١٤ أكتوبر ١٩٨٩ م.

بعد ستة أشهر (بعد نوبان الثلج) أن يخوضوا معارك جديدة يقدمون فيها فذات أكبادهم من إخوانهم شهداء لعلهم يسترجعون مراكزهم التي تركوها مضطرين لفقدان لقمة الغذاء وقطعة الكساء في السنة الماضية، ولذا فقد أهبطا بالمسلمين أن يبذلوا ما تجود به أنفسهم لتوفير الغذاء والكساء للمجاهدين الذين يحاصرون المدن ويقفون على أبوابها، وبدلاً من أن يقف المسلمون بثقلهم وراء المجاهدين ويحاربهم بالمال والنفس فإنهم عادوا يتتبعون عثراتهم، ويحصون زلاتهم، ويتلقفون أخبارهم من أقلام أعدائهم وأفواه الدائهم.

لقد ذكرنا للمسلمين أننا قلقون جداً على كابل خاصة، إذ أننا نود أن لو استطعنا أن تدفع بالمجاهدين ليقفوا قبل نزول الثلج في ضواحي كابل حتى يستطيعوا أن يواصلوا عملياتهم العسكرية أثناء الشتاء في شوارع كابل بأسلوب قتال المدن وحرب الشوارع.

فكان لابد أن يتخذ الأمر أهيتة، وبعد للشتاء عدته، وأول جواب يواجهك به المحسنون: لماذا خرج حكمتيار من الحكومة؟! وهل القتال لازال مستمرا بين ريباني وحكمتيار؟! وماذا عن حادثة تخار؟!

لقد توالت على المجاهدين المصائب من كل جانب:

ولو كان سهماً واحداً لانتقيته ولكنه سهم وثلاث وثلاث

الإعلام العالمي يشن حملة شعواء، يريد حرق هذا الجهاد، وتحطيم القيادات التي برزت من خلاله، ومسح آثاره من أذهان الأمة المسلمة وقلوبها، والتركيز على أنه حرب أهلية وقاتل داخلي لا يجوز لمسلم أن يساهم فيه أو يدعم أهله.

وقد أقبلت هذه الكروب، واشتدت الخطوب على الجهاد في وقت واحد، فمن جهة أمسك الاصدقاء أيديهم عن البذل -

وحصل الفراغ الكبير:

في المناطق المحررة، إذ جلس المجاهدون في أماكنهم بعد المعاناة الشديدة التي بذلوها، والجهود المضنية التي قدموها لتحرير ولاياتهم، فوجدوا أنفسهم الآن نون عمل يملا حياتهم ويرومهم، بيوتهم ليس فيها طعام، هزمت الشيوعية وتركت مكاتبها فارغة، ومدارسها ومؤسساتها ومصانعها ومستشفياتها خاوية على عروشها.

واستلم المجاهدون هذه المراكز، ولكن أنى لهم براتب الطبيب ودواء المستشفى، ورواتب المدرسين؟! ومن أين لهم المواد الخام التي يشغلون بها المصنع؟! إنهم لا يستطيعون أن يدبروا رواتب العمال الذين يحافظون على صيانة المصنع فقط نون تشغيله أو حراسة المستشفى -

وأمر الجهاد لا يملكون أي حل لهذه المشاكل، فهم في هم تدبير جيبهاتهم الساخنة التي لو تفقد مواطىء أقدامها فيما لو افتقدت لقمة طعامها أو نفدت ذخائرها -

وذخائهم قسم منها من أيدي أعدائهم، وقسم آخر من أيدي أحبائهم مساعدات، وقد أصبح أحباؤهم المجاورون يقطرون عليهم بالقطارة.

(قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنكم خشية الإتفاق وكان الإنسان لتورا) الإسراء: ١٠.

ففي شهر مارس سنة (١٩٨٨م) حيث كان العملاق البطل على قيد الحياة ويمسك بزمام الأمور قدمت باكستان إلى المجاهدين ألفين وأربعمائة طن من الذخائر مساعدات للمجاهدين، بينما لم يقدم للمجاهدين في شهر مارس من سنة (١٩٨٩) سوى مائة طن . وفي شهر حزيران (يونيو) سنة (١٩٨٨) قدم للمجاهدين سبعة آلاف وتسعة وثلاثون طناً، بينما كانت المساعدات في حزيران سنة (١٩٨٩) أربعمائة وستة وتسعين طناً .

بينما الروس يصيبون المساعدات صباً من خلال الناقلات الجوية، فقد سجلت الدوائر المختصة عدد رحلات الناقلات الجوية بين روسيا وكابل خلال شهرين فقط (من يناير مي/ مارس سنة ١٩٨٩) أربعة آلاف رحلة، ودعك عن الأموال الضخمة التي تنهال على

حكومة كابل بمعدل سبعة ملايين دولار يومياً.

ففي الوقت الذي لا يجد قادة الجهاد أجرة الخيول التي تنقل أغنياتهم أو ذخائرهم المتبقية من العام المنصرم حتى قال لي د. نجيب وزير الإعلام في دولة المجاهدين : إن الجمعية مدينة بمائة وعشرين مليون روبية أجرة ترحيل (أي ٦ مليون دولار). وهذا مبلغ ضخم لا قبل لهم بسداده.

وإني لأعلم أن مسؤولي الترحيل قد فروا في الفترة الأخيرة من وجه أصحاب البغال والخيول الهائجين عليهم، لأن قسم الترحيل لا يستطيع أن يوفي الأجراء حقوقهم، فالحملة الإعلامية المسعورة من الغرب على الجهاد ، ويقابله الشح في العطاء من الأصدقاء والحسنين، أضف إليه الفراغ في الولايات المحررة التي لا يملكون لها شيئاً، عدا عن المساعدات التي تتدفق على كابل من روسيا من الذخائر وخاصة من الأسلحة الثقيلة، حتى أطلقت كابل على المجاهدين في جلال آباد وحدها (١٩٧) (أربعمائة وسبعة وتسعين) صاروخاً من نوع سكود الذي يزن الواحد (٥٠٠) طن والذي يدمر دائرة قطرها كيلومتراً.

وأما الأموال التي تنهال على كابل فإن النظام الشيوعي يشتري بها ضمانات القادة الذين لا يجدون قوت يومهم لأنفسهم ولجنودهم المجاهدين حولهم، يشترونهم لا ليقاتلوا بجانبهم، بل لتخفيف الضربات أو لإيقاف القتال ضدهم.

والحق أن تخفيف الضربات على الدولة يعني إعطائها فرصة لالتقاط أنفاسها ريثما تعد نفسها فتضرب ضربتها بآلياتها الأرضية وقاصفاتها الجوية.

وإن تخفيف الضربات على كابل له آثاره البعيدة المعنوية، ونتائجها السياسية العميقة، إذ أن الهدوء إذا عم كابل فإن هذا يعكس صورة عن وضع الاستقرار والأمن الذي تعيشه الدولة لدى النواثر السياسية والسفارات الأجنبية والصحافة العالمية التي ترقب العاصمة عادة، وتنقل إلى العالم ما تشاهده وتراه، ودعك عن الفتن الداخلية الناشئة عن الفراغ، أو يشعل فتيلها عملاء الدولة وطلقاء الفتح، أو يفجرها بعض الحمقى والمغفلين.

وأمام هذا كله يقف بعض القادة معجبين ممن كل بهم المسير أو همت عزائمهم كأنهم يريدون:

عجبت لمن له قد وحده	وينبؤ نبوة القضم الكهام
ومن يجد السبيل إلى المعالي	ولا يذر المطي بلا سنسام
ولم أر في عيوب الناس شيئاً	كنقص القادرين على التعام

القانون الرباني:

ريسيو لي - والله أعلم- أنه كلما اشتدت الأزمة يقرب الفرج (اشتدي أزمة تنفرجي)، إذ أن أشد ساعات الليل حلكة ما قارب الفجر، وأثقل أيام الدعوة الخائفة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم هي الأيام التي سبقت بيعة العقبة الأولى والثانية، إذ أنه في العام العاشر للبعثة توفي أبو طالب، وقبضت خديجة، واشتدت الأحزان على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى سمي العام عام الحزن، وكانت رحلة الطائف التي ما شهد صلى الله عليه وسلم صيداً ولا رداً أعنف منها. (واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً) حديث صحيح رواه الترمذي.

قال ابن اسحق: ثم إن خديجة بنت خويلد وأبنا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلك خديجة، وكانت له وزير صدق على الإسلام، يشكو إليها، وبهلك معه أبي طالب، وكان له عضداً وحزناً في أمره، ومنعة وناصرأ على قومه وذلك قبل مهاجرته بثلاث سنين، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب، حتى اعترضه سفيه من سقهاء قريش فنثر على رأسه تراباً ، فدخل بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل منه التراب وهي تبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها:

[لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أهلك] قال: (ويقول بين ذلك ما نالت قريش مني شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب).

ولذا كانت السنوات الثلاث الأخيرة من المرحلة المكية من أخرج الفترات وأشقها، وبلغت الحرب المعلنة على الدعوة أقسامها

وأقصاها.

ولذا كانت السور التي تنزلت في هذه المرحلة بالترتيب: الفرقان ثم الإسراء ثم يونس ثم هود ثم يوسف، وكلها تتضمن التسرية. عن نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم المقعة بالالام، المعتصرة بالأحزان، وكان سورة يوسف عدا عن تسريتها عن النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتها له فإنها تسمى من بعيد إلى اقتراب الفرج كما فرج الله عن يوسف عليه السلام، ولذا اختتمت بآيات: (حتى إذا استبشس الرسل وهنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين * لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يلترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء. وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)

يوسف عليه السلام ١١٠-١١١.

فهذا هو القانون الرباني: عند اشتداد الأزمة واستيثاق الدعاء يتنزل النصر وينجي الله المؤمنين، ويهلك المجرمين، وتكون عبرة للمؤمنين^(١).

فرائض منسية^(٢)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد بدأت الحلقات تضيق على القادة المخلصين للجهاد وبدأت السهام تتناوشهم من كل جانب، وصارت الأقواء تلوك لعومهم من كل صوب، والقارغون يتسلون بتعداد أخطائهم، وشددت الأجهزة العالمية حملتها عليهم، فطفت لا تلوي على شيء، تحرق أقداد الجهاد، وتشوه نماذجهم، وتلوث منهجهم، وتقلب حقائقهم، وكشرت بعض الدول المحيطة عن أنيابها، وضربت بعض الدول الصديقة صفحاً عنهم، وتلفت الميدان ليجد أعز أبنائه قد اصطفاهم الواحد تلو الآخر، ومعظمهم مضى إلى ربه غيلة وغدراً على يد طلقاء الفتح من الشيوعيين الذين أعلنوا توبتهم، وحملوا مسابحهم، وأطلقوا لحاهم بعد أن نالهم العفر العام الذي أصدره المجاهدون عن الشيوعيين والعملاء الذين يعلنون توبتهم قبل أن يقدر عليهم .

فلقد زارني قبل أيام مخدوم عطية الله أحد القادة المشهورين بخوض المعارك في ميمنة فارياب، وقال لي: بعد أن انتصرنا في (كروان باشي)، وصارت الطريق إلى مركز فارياب (ميمنة) أمامنا مفتوحة، وأدركت الدولة أن المركز ساقط بأيدينا لا محالة، أرسلت أوامرها إلى المحافظ أن يستعد لنقل المركز إلى دولة آباد . ولقد بدأت الدولة ترتب أمرها للرحيل بعد أن رأت تصميم علاء الدين ومخدوم عطية على اقتحام حصونهم عليهم ، فالتقت الدولة بأخير شباكها لعلها تنقذ به الموقف، فأرسلت بسبعة ملايين ونصف مليون روبية أفغانية (عشرين ألف دولار) حتى تقتل خيرة قادة علاء الدين الميدانيين الذين تعزز بسيرتهم الأرض، وتزدهي بذكرهم السماء، وتفتخر بهم الجبال والأرجاء، وتشرف بهم السهول والأحياء، وكان أحدهم البدر بن عمّار الذي قتل الأسد بسوطه، وتغنى به أبو الطيب مازحاً:

أمعمر^(٣) الليث الهزير بسوطه لمن ادخرت الصارم السلولا

متخضب بدم الفوارس لايس^(٤) في غيله من ليدته غيلا^(٥)

هؤلاء القادة أمر غلاء وصيغة الله وهبة الله، فتناول أحد مرضى النفوس المبلغ وهو صوفي عبد الصمد، وأغرى بعض الحراس الذي يحفون بهؤلاء، وفي ليلة واحدة قتلوا هؤلاء القادة الثلاثة، ومن قبلهم قتل بنفس الطريقة (يارمحمد) الذي كانت القذائف تتابعه خطوة خطوة، والطائرات توجه ضرباتها بناء على توجيه اللاسلكي الذي يحمله أحد العملاء حول (يار محمد)، وهكذا استشهد هؤلاء الثيوت الثلاثة في ليلة حالكة الخلام، وتقدم حفيظ الله أرياب واستلم المنطقة، وانسحب علاء الدين إلى رؤوس الجبال، ثم هجم المنافقون والعملاء تحت قيادة حفيظ الله أرياب على أمير المنطقة سيد محمد يوسف واحتلوا المنطقة، وهكذا وفجأة دارت العجلة دورتها لتجد

١- حذف من ما مروع (لم أصب بمثل قط) وأثبت في عشاق العود من هذا الجند.

٢- لبيب المعركة العدد ٧٤ التاريخ ٢٩ ربيع الأول ١٤٠١هـ - المواق: ٢٨ أكتوبر ١٩٨٩م.

٣- أمعمر يا من عرفت الأسد بالتراب بعد قتله بمصاك (سوخك) لمن أقيت مصارك (سبك)؟

٤- هذا الأسد نفسه طمخ دماء الفرس حتى أصبحت ليدته (شعره على كتفه) بسبب الدماء كأنها غابات، فأصبح كل الأسد لايس غابات من الشعر في داخل غابته.
٥- الغيل الغابة الكثيفة.

(ميمنة) نفسها مستقرة، وسكنت مدافع المجاهدين التي اقتضت مضاجعها فترة طويلة من الزمان لا تهدأ فيها ، ونامت ميمنة لأول مرة ملء جفونها ، وغفت بعد أن وارى التراب ليوث الغاب وهم على طريق الصفوة الذين وصفهم سعد في رسالته إلى عمر رضي الله عنه بعد نصر القادسية قائلاً: (. . . وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القاري وفلان وفلان ورجال من المسلمين لا يعلمهم إلا الله، فإنه بهم عالم ، كانوا يدوون بالقرآن إذا جنّ عليهم الليل كسوي النحل، وهم أساد في النهار لا تشبههم الأسود، ولم يفضل من مضى منهم من بقي إلا بفضل الشهادة إذا لم تكتب لهم) البداية والنهاية لابن كثير ٤/٤٧ .

وهكذا يتقد الشيوعيون في فارياب مركز ولايتهم (ميمنة) بعشرين ألف دولار، وميمنة كان لها تاريخها الذي شرف بأسماء الصحابة والتابعين ممن فتحوها وقطنوها، وكم من قائد قد مضى غيلة وغدراً لقاء ثمن بخس ولقمة نجسة ينسها منافق في جوفه ناراً.

لقد حدثني بعض الإخوة أن الميشيا في (كران ومنجان / مديرية في بدخشان) كانوا يتقاضون راتباً من دولة كابل مائة روبية أفغانية شهرياً أي (ريال واحد في الشهر) -

هؤلاء الميشيا لو كان بين أيدي المجاهدين مال لاشتروهم بثمن أرخص ومال أبخس -

هي نفس الطريق:

إن المجاهدين الآن يسيرون على نفس الجادة التي سار عليها السلف الصالح الذين فتحوا هذه البلاد من حيث المعاناة والضيق والمحن والزلازل والبلابل (الأحزان) .

فإذا أضفت إلى الكرب التي تصب عليهم صيباً ، والمصائب التي تنتزل عليهم كالطر ، ما يواجهونه من معاناة في توفير لقمة الطعام تدرك أن ألام الطريق واحدة .

في فارياب نفسها:

ويحدثني أبو الجنيد مسؤول الإخوة العرب الأيب من فارياب قائلاً: لقد فاتحت مخدوم عطية الله في مبلغ من المال بين يدي: أنوزعه على المحتاجين في المنطقة أم تدفعه إلى الجبهة؟ فأجابني بحياء: سأضطر الآن أن أفاتحك بسر استكتمت عليه الطباخ، فلقد أوصيته في رمضان أن يشتري للعرب الرز ديناً حتى يطبخ لهم يوماً الرز، بينما كانت الجبهة كلها محرومة منه، ثم عقب أبو الجنيد قائلاً: لقد كان يستدين، وسيسد أصعب الحوائت من ثمن السلاح الذي يبيعه (من الغنيمة)، ولا فأتى له بسداد الدين؟!

الشرح على الأبواب:

ونحن الآن على أبواب الشتاء الذي سيدهمنا بثلوجه، فنقل الحركة، وتبطل السير، وتقلق المنافذ ، فأعان الله الجبهات التي ستواجه هذه الثلوج ، وأما الدولة قرييها هو الشتاء بثلوجه وجليده ، وغالباً ما تواجه الدولة في الشتاء خاصة حول عاصمتها جبهات للمجاهدين يعوزها الطعام، ويتقصصها الخشب الذي يستعمله المجاهدون للتدفئة، ودعك عن الضيق الشديد الذي يواجهه المجاهدون من حيث النخائر والمعدات .

مقابلة (التجار:

ويقابلك التجار وأنت تذكر ضيق ذات يد المجاهدين بقولهم: (لازتم تتسولون؟! لقد انتهى الجهاد وخرجت روسيا). وقد يواجهك البعض ممن يعيش مقسول الدماغ بإعلام الغرب وصحفه ووكالات أنبائه قائلاً: (أنا لست مستعداً أن أشارك في الإثم بأن أزيد الحرب الأهلية ضرماً بأن أقدم الوقود لنار مستعرة تحرق المسلمين) .

وهكذا يصبح القتال ضد الشيوعية الأفغانية حرباً أهلية يائس بعض المسلمين من البذل لها، ويخرجون من مساعدتها . وما ذاك إلا لأن بعض الصحف العربية ما تتي تطالع القراء بحوادث الخلافات والقتال بين الأحزاب لأنها بوق للغرب أو للشرق .

حكم الجهاد بالمال:

يقول ابن تيمية في الاختيارات العلمية / الفتاوى الكبرى ١٨٢/٤: (ولذلك قلت لو ضاق المال عن إطعام الجياع والجهاد الذي يتضرر بتركه قدمنا الجهاد وإن مات الجياع).

وجاء في حاشية الدسوقي على الشرح الكبير في فقه المالكية في كتاب الزكاة ١١١/٢: (وأما إذا ترك تخليص النفس متى قتلت فإنه يضمن الدية في ماله إن ترك التخليص عمداً، وعلى عاقلة إن كان مثلولاً، ولا يقتل به، ولو ترك التخليص عمداً، هذا مذهب المدونة، وحكى عياض عن مالك أنه يقتل به، قال الأبى في شرح مسلم ما زال الشيوخ ينكرون حكايته عن مالك ويقولون أنه خلاف المدونة).

ويقول ابن تيمية (الفتاوى الكبرى ١٨٤/٤) : (فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه). ويقول عند قوله تعالى:

{انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون} (التوبة ٤١).

(فيجب على المومنين النفقة في سبيل الله، وعلى هذا فيجب على النساء الجهاد في أموالهن إن كان فيها فضل (زيادة عن الحاجة)، وكذلك في أموال الصغار، ولا خلاف في هذا إذا هجم العدو، فإن دفع ضررهم عن الدين والنفس والحرمة واجب إجماعاً).

قال القرطبي في تفسيره (٢٤٢/٢) : [اتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف المال إليها ، وقال مالك : يجب على الناس لهداء أسراهم وإن استغرق ذلك جميع أموالهم ، وهذا إجماع أيضاً].

وبناء على ما تقدم:

يجب الجهاد بالمال الآن وجوياً عينياً (فرض عين) على كل قادر حتى تسد حاجة الجهاد.

فإذا علم المسلمون أن المجاهدين بحاجة إلى أحمية فلم يقوموا بكفاية المجاهدين فكلماً قطعت رجل مجاهد بسبب الثلج وجب عليهم دفع دية الرجل لأنهم تسببوا عمداً أو متوليين بذلك، وإذا علم المسلمون أن المجاهدين بحاجة إلى أكياس نوم ثم مات قسم منهم بسبب الثلج والبرد فعلى المسلمين بناء على رأي المالكية دفع ديته، وإذا علم المسلمون أن المجاهدين بحاجة إلى ذخيرة أو إلى حفر خنادق أو ملاجئ في الجبال ولم يؤمنوا لهم الحفارات فإن المسلمين يدفعون دية كل مجاهد يقتل بسبب التقصير في هذه التواحي.

وإذا كان الإمام مالك والحنفية يوجبون فداء الأسير أو الأسيرة من الكفار ولو استغرق الفداء جميع أموال المسلمين، فكيف بافتداء شعب بكامله معرض للوقوع في أسر الشيوعية وفي مستنقع الكفر؟

وماذا يحكم الإمام مالك والحنفية في شعب فلسطين الواقع بأسره في أسر اليهود منذ أربعة عقود؟ فليترك الله الأغنياء في أموالهم، وعليهم أن يبادروا إلى دفع ما فرضه الله عليهم لسد حاجات الجهاد والمجاهدين، وليعلموا أن كل ما ينفقون فهو مخلوف عليهم معرض من قبل رازقهم سبحانه..

(وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين). (سبا ٣١).

هدية إلى الأغنياء:

وإني أقدم للمومنين هدية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بشرى، ففي الحديث الحسن (أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولئن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتبها له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام) (١).

١ - رواه الطبراني عن ابن عمر -

طريق المآسي:

وانا لنرى أن الطريق إلى الأمجاد واحدة ، ولا يبنى الأمم إلا الجماعم والأجساد:

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) العنبران ١٤٢.

ولقد حدثتنا السير أن الذين حجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع أكثر من مائة ألف (ما بين ١٢٤ - ١٣٠ ألفا من الصحابة)، بينما لم يصل عدد الذين ماتوا في المدينة ثلاثمائة صحابي . وأما الآخرون فيجمعهم الله من بطون السباع وحواصل الطير وأعماق الأنهار . . .

طاعون عمواس:

ولقد حدثنا ابن كثير في البداية والنهاية ٩٥/٤: (نقلا عن الواقدي أن عدد الذين توفاهم الله في طاعون عمواس سنة (١٨هـ) من الصحابة والتابعين يتراوح بين (٢٥-٣٠ ألفاً)، وفي نفس العام سنة (١٨هـ) حدثت المجاعة وسمي العام بعام الرمادة، وألزم عمر نفسه أن لا يأكل سمناً ولا سميناً حتى يكشف ما بالناس، فكان في زمن الخصب يبيث له الخبز باللبن والسمن ، ثم عام الرمادة يبيث له بالزيت والخل، وكان لا يشبع مع ذلك، فاسود لون عمر وتغير جسمه، حتى كاد يخشى عليه من الضعف، واستمر هذا الحال في الناس تسعة أشهر)-

دعاء للمجاهدين:

وختاماً نحن ندعو للمجاهدين بالدعاء الذي دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للصحابة الجياع، فمن عبدالله بن حوالة الأزدي قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لنغنم على أقدامنا، فرجعنا فلم نغنم شيئا، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال: (اللهم لا تكلمهم إليّ فأضعف عنهم، ولا تكلمهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ، ولا تكلمهم إلى الناس فيستأثروا عليهم)

سكت عنه أبو داود والمنذري وحسنه الحافظ .

وكذلك نردد دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم الذي دعاه لأهل بدر: (اللهم إنهم حقا فاحصلهم ، اللهم إنهم عراة فأكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم) أخرجه أبو داود عن عبدالله بن عمرو .

صنائع المعروف تقي مصارع السوء^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد جاوز عقرب الساعة الثانية ظهراً، وبدأت مع أبي عبدالله في الفندق ألم أغراضي، وحولي زمرة من الرجال جاؤا لوداعي، وليس لهم من حاجة سوى الاستمتاع بالحديث إليّ، والقيام بخدمتي في آخر ساعة أغادر فيها الكويت، وإذا بجرس الهاتف يرن: فأجبت من أنت؟ فقال أخ مسلم يريد أن يسدي إليك نصيحة قبل مغادرتك، وذلك تعقيباً على محاضرتك بالأمس، فقد كنت أحد شهودها في جمعية الإصلاح الإجتماعي، فلم يكن لي أن أردّه رغم ضيق الوقت، والانشغال الشديد، فأجبتة تفضل ولكن لا تتأخر .

ودخل رجل حليق اللحية، قصير القامة، يبدو أنه في العقد الخامس من عمره، يدلّف إلى الخمسين، فجمع بعض كلمات على لسانه ينقصها النحو وحسن الربط وقوة السبك، فقال: أنا الذي اتصلت بك، فسألتك عن اسمه فأبى عليّ ذكره، ثم قال: سمعتك تقول: المجاهدون بحاجة إلى غذاء وكساء، ثم أخرج من جيبه رزمة نقود قائلا: هذه ثلاثة آلاف دينار كويتي: ألف للطعام، وأخرى للكساء، وثالثة للجهاد .

ثم قال : لقد سمعتك تقول: لقد أحببت هذا الجهاد الأفغاني بملء نفسي، ولعله يشير إلى بيتين من الشعر تغنيت بهما معبراً عن أحاسيسي:

١- لهيب المعركة العدد ٧٦ - ٦ ربيع الآخر ١٤١٠هـ الموافق ١٩٨٩/١١/٤م.

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي
تجد الملامة في هواك لذيسة
متأخر عنك ولا متقدم
حبا بذكرك فليعلمني اللوم

ثم قال: إن المحبة يجب أن تكون خالصة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، أما الناس والجهاد الأفغاني وغيره فإنه يتغير ويتحول، فقلت: صدقت.

ثم عدت ألح عليه في ذكر اسمه فأبى، ثم قال لي: هناك كتاب مطبوع اسمه (الدليل إلى القرآن الكريم) وهو كتيب صغير يشير إلى مواضيع في القرآن الكريم بطبعة أنيقة فاخرة، ثم قال: (عندي كرتونه منه إن شئتم أن تأخذوها، ثم أخرج من جيبه عشرين ديناراً كويتياً وقال: هذه أجرتها).

الإخلاص في الإنفاق:

وقد تركت في هذه القصة أثراً كبيراً، إذ لا زال الخير في هذه الأمة كثيراً، والحق أن الجهاد قد كشف لنا عن طاقات خيرة، وكنوز مدخرة لازالت الساحة الإسلامية تزخر بها، والجهاد خير كشف، فقد كشف عن الطاقات في الشعوب، وعن مكونات الخير في أعماقها، ونحن نزن بميزان الجهاد، فهو أصدق ميزان، وأروع مؤشر على مدى تيار الخير الذي يسري في أوساط الأمة المسلمة. ولقد كان لسان الميزان يعيل مؤشراً على مصداقية الحديث الشريف (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها) وفي رواية إلى الحرمين .

وهذا شهد الله أننا وجدناه الحق المبين في حياة المسلمين وواقعهم، فلازالت الجزيرة العربية -بما فيها اليمن والحجاز ونجد والخليج - تنعم بكثير من النعم الإلهية التي أودعها الله في قلوب كثير من السكان في هذه البقعة قياساً إلى غيرها من الأقطار .

قصص هزتني من أعماقي

وتطالعني يوماً من خلال زياراتي لأرض الجزيرة مع أنني لا أزورها إلا مضطراً لحرصي الشديد أن أبقى على مرتبة من لهيب النار المضطربة فوق أرض العزة والفخار بين السنة النار وزلازل الدمار في أفغانستان . وإني لأحس بالاختناق الشديد كلما ازداد بعدي عن القوم الذين يطاولون عنان السماء عزة وإباء، ويبارون ماء المزن نقاء وصفاء - في أفغانستان -.

أم عبد اللطيف:

وقصة أم عبد اللطيف إحدى القصص التي هزتني، وما أكثر هذه القصص، إذ خطبت الجمعة مكان الشيخ أحمد القطان فوق منبر الدفاع عن المسجد الأقصى، وأهبت بالناس أن يتبرعوا لهذا الجهاد، ونهت بالدور المشرف الذي قامت به (لجنة الدعوة) في الميدان الصحي، وإذا بامرأة ترسل إليّ بعد الخطبة برسالة مغلقة سطرت على غلافها مع رجاء الدعاء إلى أم عبد اللطيف، ففتحتها فوجدت فيها (٢٠٥٧) ديناراً كويتياً، فعجبت لامرأة ترسل بعد الخطبة مباشرة هذا المبلغ مع إغفال اسمها ، وقد بدا لي أن هذه المرأة قد دفعت بحصيلة مدخرات العمر دفعة واحدة للجهاد، ففرجو الله - عز وجل - أن يسبل عليها جلابيب ستره في الدنيا والآخرة، وأسأله تعالى لها : الحفظ والبركة في الدين والدنيا والأهل والمال والولد .

الشعب الفلسطيني:

ومما اعتصر قلبي ألماً حالة الشعب الفلسطيني، فقد انطبع في نفسي وأنا أراه في مهجره في الكويت خاصة وفي الجزيرة عامة، إذ أنه يشكل أغلبية سكانية في الكويت تقريباً انطباعاً عميقاً يحمل الألم والأمل، وينطوي على الحزن والعزة معاً .

إذ رغم نكبات الدهر التي واجهته ولازالت تطارده حيثما حل وأينما سار ، ورغم الكنود الشديد الذي يواجهه من القريب والبعيد، ودك عن الفصص التي يتجرعها في مسيرته، والآلام التي تعتمل بين جوانحه وفي طياته إلا أنه: مصمم على المسيرة نحو الأقصى، يمشي على جراحه، ويخطو على الجمر، فالأسرة الفلسطينية لا تكاد تستطيع أن تلم شتاتها فوق أي أرض ولا تحت ظلال أي نظام، ولا تضيقها بقعة، والسهام تتناوشه من كل مكان ، والحراب تعمل في جسده فتعمق جراحه، وتتوالى الأيام لقرش على جراحه المشح.

كلما أنبت الزمان قناة ركب الدهر في القناة سناتنا

ومع الجهد الكبير الذي يحاول به الفلسطينيون أن يجمع الفتات الذي عنيه العائلة تقتات، ورغم العناء الشديد الذي يبذله ليوفر به المبلغ الذي يدفعه آخر الشهر أجرة للشقة (النفص) الذي كتب له الحياة فيه، وهو يزيد - غالباً - عن نصف راتبه، والاقساط الشهرية التي سيدفعها للمدارس الخاصة والتي وصلت في بعض المناطق إلى (١٥٠٠) ألف وخمسمائة دولار سنوياً على كل ابن من أبنائه، بعد أن ضاقت بهم المدارس الرسمية، فنبتهم في الشوارع ترشيداً للاستهلاك، وتوفيراً على الميزانيات، ولا تنس الإقامة التي يفقدها البالغون من أبنائه الواحد تلو الآخر، إلا أن هذا الشعب لازال رافع الرأس، عالي الهامة، مشمخر الأنف، لا يذل عنقه للأعاصير، ولا يريق ماء وجهه أمام الخلق، ورغم هذا كله:

فما ذلّ الإباء بهم وما احتفى بهم قشيل
ورأس الشعب مرتفع وموج البذل متصل

ولسان حال الصالحين ردد :

(وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون) إبراهيم: ١٢٠.

أبناء فلسطين يتبرعون لأفغانستان :

ومع هذه الآلام التي يتكبدها على هذا الطريق الشاق نحو فلسطين إلا أنه يتفجر حماساً للأرض المباركة، وتراه يعتمر نفسه اعتصاراً وهو يدفع مبلغاً آخر الشهر لحماس، أو للجنة مناصرة فلسطين، أو لطبع كتاب أو شرائه يتضمن القضية، وترى أبناء فلسطين منتشرين في كل ساحة في ردهات الفنادق، وداخل المكاتب، ولجان الإغاثة، كل واحد فيهم يتأبط تحت ذراعه مجموعة من الملصقات والصور وإحصائيات عن الانتفاضة الجهادية التي تزلزل الأرض المباركة تحت أقدام اليهود، وتراهم يطبعون قصص الشهداء، ويتناقلون روائع الأمثلة من أحاديث الإيثار والتكافل الذي يلف الضفة الغربية وقطاع غزة .

البذل لأفغانستان :

ومع هذه المأساة التي تشيخ لها الفواصي إلا أن هذا كله لم ينسهم قضية أفغانستان، فترى بعضهم مقبلاً عليك يجمع للجهاد في أفغانستان كقضية إسلامية أصبحت بعد بحر الدماء وتلال الأشلاء معجزة القرون الثلاثة الأخيرة، يقبل ابن فلسطين نحو أفغانستان بماله أو بنفسه ولسان حاله يردد:

أخي المسلم يا من أنت لم تسعدني بالرؤيا وبين عسروتنا تجري دماء أخوة علياً
تحفزني لفتح الشر إن ناديتني حياً فاطوي الأرض غضباناً أقاتل بونك البغيا

إخوة الإيمان:

وهذه هي حقيقة المحبة وسمة الأخوة الحققة دون مطامع، ولا أرحام تجمع، ولا أموال تدفع، ففي الحديث الذي رواه الترمذي وقال حسن صحيح من حديث معاذ رضي الله عنه يقول:

(قال الله عز وجل: المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يخطمهم التهيون والشهداء).

كيف لا يبذل المسلم ماله لفلسطين ولأفغانستان وأبو سعيد الخدري يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

(من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له)، قال أبو سعيد

فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصنافاً من المال حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل) [رواه مسلم ١٧٢٨]

وفي الحديث: (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر

الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه).

مختصر مسلم ١٨٨٨

مصارع السوء:

وفي طريق عودتي وفي مطار البحرين يجلس بين يدي في مسجد المطار شاب خليجي يكاد ينوب في ثيابه خجلاً، وتمتم بكلمات يتلعثم بها من خلال الحياء الذي جعل محياء يقطر عرقاً، وقص قصة يتفطر لها القلب أسى، ويتفتت الكبد حزناً، فقال لي: والدي في الحادية والستين من عمره، مات في بانكوك بالأسس ميتة السوء، وأنا متوجه لإحضار جثمانه من مستشفى الرذيلة، فماذا علي أن أفعل له؟ وسألني عن النفس والتكفين والصلاة... ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فأقول: لو كان الرجل الهالك من أهل المعروف لما مات ميتة السوء هذه، ونعوذ بالله من سوء الخاتمة، وأسألك اللهم العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

ففي الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم عن أنس قال صلى الله عليه وسلم:

(صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة)

صحيح الجامع ٣٦٨٩

فهل يتنبه أصحاب الثراء والغنى إلى حاجات المجاهدين في أفغانستان وفلسطين وغيرهما من بلاد المسلمين؟

أنفقوا تنعموا ولا تمسكوا فتحرموا :

ففي الحديث الحسن الذي رواه الطبراني عن ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم:

(إن لله تعالى عبداً يختصهم بالتمتع لمنافع العباد، ويقرهم فيها ما بذلوا، فإن منعهما نزعها منهم فحرمها إلى غيرهم)

٢١٦٠ صحيح الجامع .

اللهم أحيينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرونا في زمرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

يا أقدام الصبر احملي^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فلفترة غير قصيرة بقي ممر سالتج مغلقاً، كما دك المجاهدون أسوار الحي الأحمر (سور كلي) في غزني مسقط رأس مؤسس الحزب الشيوعي الأفغاني - محمد نور تراكزي -، كما افتتح المجاهدون (ثبة بجك) في بغمان، وتعتبر آخر حصون العدو في بغمان التي تشكل أكبر ضاحية تسيطر بجبالها السماء على كابل، وتقصف يوميا مؤسساتها الحية، ومراكزها العسكرية، ابتداء من دار الأمان -وزارة الدفاع- وانتهاء بقرغه (الفرقة العسكرية)، مارة بالسفارة الروسية والقصر الجمهوري ومكروزيان (المدينة السكنية للروس وكبار الشيوعيين)، ولم تكن الغنائم قليلة، ولا خسائر العدو ضئيلة، بل كانت المعدات والآليات التي فقدتها العدو كثيرة، ناهيك عن القتلى والأسرى الذين بلغوا الآلاف .

وإغلاق ممر سالتج عندما يسمعه الناس يمر على أذهانهم كحدث عابر، ولا يستطيع أحد وهو بعيد عن أرض الجهاد أن يدرك المعاناة الضخمة، والمشقة الهائلة التي يتحملها المجاهدون لإغلاقه، إذ أن إغلاقه يعني أن يقف مئة من المجاهدين أو مئات على الأكثر، كل يحمل مدفعه الصاروخي (آر. بي. جي ٧)، وعلى بعد لا يزيد عن مائتي متر على جانبي الشارع العام الواصل بين روسيا وكابل (حيرتان - كابل) ينتظرون قدوم القافلة التي وصلت في الأسبوع الأخير ألفاً وخمسمائة ناقلة وآلية.

وتقدم الدبابات رهن بكفالة الطيران، والصواريخ كفيلة أن تبديد كل ما في المنطقة من أحياء، تهلك الحرث والنسل، وتحول المنطقة إلى ركام من الرماد مغطاة بالسواد، كأنها تلبس ثياب الحزن على سكانها الغابرين الذين تواروا تحت الركام .

١ - لهيب المعركة العدد ١٢ / ٢٧ ربيع الآخر ١٤١٠ هـ - المراتب: ١١/١١/١٩٨٩م

تقوم الطائرات أولا بتطهير المنطقة بالقصف المدمر، وبالقذائف التي قد تخرج نبع الماء من أعماق الأرض - وقد رأيت ذلك بنفسي - ، وتستمر الغارات المتواصلة أياما متتالية، حتى تفر الأحياء من المنطقة، ولبت شعري لو شهدت معركة من المعارك لترى بأنم عينيك نواح الكلاب ويكاء الخيول وهي تواجه هذه الأهوال المروعة والأحداث المزلزلة .

ثم تطلب النولة من سكان القرى التي تحف بالشارع من الجهتين أن يغادروا رساتيقهم (قراهم) وأحياءهم، ثم تنهال صواريخ موشاق (طولها ٩.٤م) بحيث ينزل ثمانون صاروخا دفعة واحدة - أحيانا - . وصواريخ سكود (طولها ١١م ووزنها ٥رطن) ويدمر منطقة قطرها كيلومترا، وبعد هذا كله يبقى بعض المجاهدين رابضين في خنادقهم :

وإذا نظرت إلى الجبال رأيتها	فوق السهول عواسلا وقواضيا
وإذا نظرت إلى السهول رأيتها	تحت الجبال فوارسا وجوانبا
فكانما كي النهار بها دجى	ليل وأطلعت الرماح كواكبا
أسد فرانسها الأسود يقودها	أسد تصير له الأسود ثعالبا

تعاون الحزب والجمعية:

((صوفي قائد محمد) يقود الحزب، و(مسعود) يقود الجمعية) والحمد لله لقد تعاون في إغلاق ممر سالنج الحزب الذي يحكم قبضته على سالنج الشمالي، والجمعية (مسعود) الذي يمسك بقبضته الحديدية سالنج الجنوبي، وقد وصلنا خبر في الليلة الماضية مفاده أن ممر سالنج لازال مغلقا ، وقد تلقت القافلة الروسية في خنجان (سالنج الشمالي) ضربات شديدة دمر فيها مجموعة من الدبابات، وغنم المجاهدون مجموعة كبيرة من الغنائم .

حملة التشكيك :

وبعد هذا كله يكاد الناس يصدقون الإعلام الغربي أن الجهاد في خطر، وأنه انتهى، وأن النولة الشيوعية من القوة بمكان بحيث لا يستطيع إسقاطها من خلال القتال بين فريقين من قوم واحد، ولشدة التركيز الإعلامي على سلبيات المجاهدين كاد الذين يتعاملون مع الجهاد ويخدمونه يشكون في أنفسهم ويصدقون أجهزة الغرب ووكالاته وأصراؤه .

الصددمات النفسية:

وقد أثرت هذه الأصواء المسلطة على سلبيات المجاهدين ، وزعزعت هذه الحملة الشعراء من ثقة بعض الناس بهذا الجهاد المبارك، وأوهنت من عزائمهم، خاصة بعض أنصار الجهاد الذين أكرمهم الله بالقرب منه، فصاروا يسر بعضهم لبعض أن الجهاد من الصعب أن ينتصر ، واتخذ البعض من بعض المشاكل التي لا يمكن لأي مجتمع مهما كان نظيفا مستقيما ملتزما أن يخلو منها، أقول : اتخذ من بعض المشاكل مبررا لانسحابه من الميدان .

الواجب الشرعي:

(١) والواجب الشرعي بالنسبة للمسلم أنه كلما ازدادت المشاكل كلما تضاعفت الجهود للتغلب عليها، وقهر الصعوبات، وتجاوز العقبات التي تعترض مسيرة الدعوة والجهاد

(أم حبيب أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (ال عمران ١٤٢)

(أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يعطى الإنسان على قدر دينه، فإن وجد في دينه صلاية زيد له في البلاء)

حديث صحيح .

وقد جاء رجل إلى العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس فقال له : جئت بك بحاجة صغيرة، فقال : اطلب لها رجلا صغيرا (تاريخ بغداد ١٢/١٢٥) .

(٢) أكثر الناس حساساً يوم القيامة الذين فرطوا في هذا الجهاد بعد أن عرفوه وذاقوا حلاوته، ولقد كان السلف يقولون : (ويل للذي لا يعلم مرة يويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات).

(٣) لقد خاطب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله:

(نقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرص المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنجيلاً).

وقد فهم الصحابة الآية على ظاهرها ، فمن أبي إسحاق قلت للبراء بن عازب رضي الله عنه:

(الرجل يحمل على المشركين أيلقي يده إلى العهلكة؟ قال: لا ، لأن الله بعث رسوله صلى الله عليه وسلم فقال:

(نقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) (النساء: ٨٤)

إلما ذاك في النفقة) . رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي/ الفتح الرباني ٨/١٤.

وقد قال ابن العربي في أحكام القرآن ٩٥٤/٢) وقد تكون حالة يجب فيها نفير الكل إذا تعين الجهاد على الأعيان بغلبة العدو على قطر من الأقطار، أو لحولته بالعقر، فيجب على كافة الخلق الجهاد، فإن قصروا عصوا ، فإذا كان النفير عاماً لغلبة العدو أو استيلائه على الأسارى كان النفير عاماً ووجب الخروج . . . ثم قال : فكيف يصنع الواحد إذا قعد الجميع؟ يعتمد إلى أسير واحد فيفديه، ويغزو بنفسه إن قدر، وإلا جهز غازياً .

وفي الحديث الحسن الذي رواه أبو داود وأحمد:

(عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه فعلم ما عليه فرجع حتى أهرق دمه، فيقول الله عز وجل لئلا نكته أنظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشققة بما عندي حتى أهرق دمه) .

(٤) لنفرض جدلاً أن الجهاد في أفغانستان فرض كفاية، فإنه يصبح فرض عين على من وصلها، لأن فرض الكفاية ينتقل فرض عين إذا التقى الصفان وتزاحف الجيشان .

(٥) إذا كانت المشاكل تؤدي إلى ترك الجهاد فلن يقوم للناس دين ولا دنيا قال الحسن بن زياد : كلمة سمعتها من الفضيل بن عياض: (لا تستوحش طرق الهدى لقلّة أهلها - السالكين - ، ولا تغتر بكثرة الهالكين) .

وقد استعمل عمر بن عبد العزيز ميمون بن مهران على الجزيرة وعلى قضائنها وعلى خراجها، فعكث حيناً ثم كتب إلى عمر يستعفيه عن ذلك، وقال معتزلاً: كلفتني ما لا أطيق، أقضي بين الناس وأنا شيخ كبير رقيق ، فكتب إليه عمر: (اجب من الخراج الطيب ، واقض بما استبان لك، فإذا التبس عليك أمر فارقه إلي ، فإن الناس لو كان إذا كبر عليهم أمر تركوه ما قام لهم دين ولا دنيا) (البداية والنهاية ٣١٧/٩).

(٦) من أراد أن يحرم أفغانستان من نفقة ماله أو المشاركة بالجهاد بالنفس طمعاً منه أن يجد مكاناً آخر أفضل للعمل الإسلامي فليبحث له عن مكان في السماء وليس في الأرض، لأنه ليس في الأرض مكان الآن أفضل للعمل لدين الله من أفغانستان، ولا يمكن أن ينتج أي جهاد في الدنيا - فيما نحسب والله أعلم - ثماراً أطيب ولا أشهى من ثمار أفغانستان، ولا يمكن لأي جهاد يبدأ في أية بقعة من المعمورة أن ينتهي إلى نهاية أفضل مما انتهى إليه الجهاد الأفغاني، وكذلك لا يمكن - والله أعلم - لأي جهاد أن تواتيه ظروف سانحة وفرص مناسبة أفضل من تلك التي ساقها الله لهذا الجهاد المبارك .

(٧) أن أفضل مكان لنصرة دين الله في الأرض الآن هو أفغانستان، وأقرب جهاد من هدفه هو جهاد أفغانستان - والله أعلم -، ولا يجوز ترك المرعى الخصب الذي تسميم فيه أنعامك إلى مرعى مجذب ليس فيه عشب لها، ونحن مأمورون أن نأخذ بالأسباب، ومحاسبون عليها ، وترك الفرص إثم يحاسب المفرط في اغتنامها (فاستبقوا الخيرات) .

٨- إن أفضل الشعوب التي تصلح لنصرة هذا الدين وإشادة صرح مجده هو الشعب الأفغاني، لصلابة عوده، وشدة مراسه، وصفاء فطرته، وقوة شكيته، وقوة احتماله وصبره .

وإذا كان البعض يرى أن بعض الهفوات والبدع تنتشر في الشعب الأفغاني، فهذا لا يجيز لنا أن نتركه في الميدان وحده .
ولنسمع فتوى ابن تيمية في وجوب الغزو مع البير والفاجر ومع الأمراء الفجرة: يقول ابن تيمية رحمه الله : (ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ويقوّم لا خلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم. لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار، أو مع عسكر كثير الفجور فإنه لابد من أحد أمرين : إما ترك الغزو معهم، فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررا في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأتجربين، وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يمكن إقامة جميعها ، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها، بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه.

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم:

(الحمل معقود في نواصبها الحمر إلى يوم القيامة: الأجر والمغرم) فهذا الحديث الصحيح يدل على معنى ما رواه أبو داود في سنته من قوله صلى الله عليه وسلم:

(الغزو ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل).

وما استفاض عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة). إلى غير ذلك من النصوص التي اتفق أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع الأمراء أبرارهم وفجارهم، بخلاف الرافضة والخوارج الخارجين عن السنة والجماعة.

هذا مع إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه: (سيلي أمراء ظلمة خونة فجرة، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم فليس مني وليست منه، ولا يرد عليّ الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد عليّ الحوض)، فإذا أحاط المرء علما بما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الجهاد الذي يقوم به الأمراء إلى يوم القيامة، وبما نهى عنه من إعانة الظلمة على ظلمهم علم أن الطريقة الوسطى التي هي دين الإسلام المحض جهاد من يستحق الجهاد كهؤلاء القوم المسؤولين عنهم مع كل أمير وطائفة هي أولى بالإسلام منهم، إذا لم يكن جهادهم كذلك، واجتناب إعانة الطائفة التي يغزو معها على شيء من معاصي الله، بل يطيعهم في طاعة الله، ولا يطيعهم في معصية الله، إذ لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق) ج ٢٨/٥٠٦ - ٥٠٨ مجموع الفتاوى.

فاللهم ثبت قلوبنا على دينك، ويا أقدام الصبر احملني فقد قرب الوصول .

عمليات الشيخ تميم العدناني (رحمه الله)^(١)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد: نزل خبر وفاة الشيخ تميم العدناني على قلوب المجاهدين الذين يعرفونه نزول الصاعقة، فحزنتوا عليه حزنا شديدا، واهتزت نفوس الصائقين ألما لفراقه، ولقد حدث ياسر النجل الأكبر للشيخ تميم قال : زرت قبر الوالد ذات يوم قبيل الغروب فوجدت الشيخ سياف جالسا وحده بجانب القبر يذرف الدموع.

وعلم المجاهدون في بغمان بالخبر، وهذه ضاحية مظلة بشموخها وعليانها على كابل، وتصليها بين الحين والآخر شواظا من نارها، وتحب أن توفر على أحياء الشيوعيين وقودهم في بعض الأيام والليالي فتشعل المنطقة نارا .

ووفاء للشيخ تميم كان لابد من إجراء عمليات مؤثرة، وتوجيه ضربات موجعة لأذناب روسيا - نجيب وعصابته -، ولقد تولى شير علم / الاتحاد قيادة هذه العمليات، إذ أن بينه وبين الشيخ تميم علاقات وثيقة، وشائج محبة متينة ، فجاء المجاهدون بمجموعة من الصواريخ وكتبوا عليها بأقلام (الفلومستر) بالخط العريض: {هدية من الشيخ تميم إلى كلب الروس نجيب}.

بدء العمليات : كتبت هذه العبارات على الصواريخ، ثم أعطى المجاهدون أوامر حازمة أن لا يغادروا خنادقهم وملاجئهم، لأن من عادة الحكومة أن ترد على مكان الإطلاق بكل صاروخ مائة، إذ أنهم يطلقون صواريخ (الموشاك ٢م) بغير حساب، وقد تزيد

١ - لهيب المركة العدد ٧٨ التاريخ ٢٠ ربيع الآخر ١٤١٠ هـ - الموافق: ١٨ نوفمبر ١٩٨٩ م.

الدفعة الواحدة عن المائة ، وأطلق المجاهدون الصواريخ الأربعة الأولى .

الدكتور حمزة: ورغم الأوامر المشددة الحازمة فأتى للدكتور حمزة يتمالك نفسه ويحبسها دون أن ترى آثار عمليات الشيخ تميم . قال د. حمزة: فقلت في نفسي (الشيخ تميم لقي أحبابه فنفسي أصحابه هنا، ولعله معلق يقنديل من قناديل العرش)، لأن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأتي إلى قناديل معلقة تحت العرش.

ودعا د. حمزة ربه أن تكون هذه العملية مبيدة -مهلكة- للعدو ، إنها عملية الشيخ تميم، وما استطاع أن يحبس نفسه في عيادته في أورغندي / بغمان، فانتطلق خارجا من غرفته يحذوه الشوق ليرى مواقع إصابات المجاهدين، قال حمزة لهذا بسماء كابل قد اكتست بغمام أسود، وكذلك منطقة الأعداء في بغمان، يالله! لقد كانت الإصابات مدمرة، والنتائج باهرة، إذ أن هذا الدخان الأسود لم يكن ليخرج إلا بحرائق كثيرة وخسائر كبيرة.

وأخذ د. حمزة كمره الفيديو وأخذ يلتقط الصور التي تتلج صدور المؤمنين وتغيظ أعداء الله الكافرين .

الرد:

وردت الحكومة بصواريخها المنزلقة، ومرّ الموشاك مدعما ياز أمام أعين المجاهدين، وجاوزهم بأزيزه، وأصاب مواقع الأعداء في المنطقة:

{يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين}. (الحشر ٢).

مواقع العدو التي قصفت : لقد كانت ضربات موجعة أن لها نجيب ولم يستطع أن يكبت غيظه وآلامه، فكان يتفحص عن أحقاده وأحزانه بالبحث المباشر عبر شاشة التلفاز .

مواقع الضربات: لقد ضرب المجاهدون :

١- قرغة - الفرقة الرابعة.

٢- باغ داود - الفرقة الثامنة.

٣- القصر الجمهوري ، وحيّ الوزارات الواقعة في منطقة أرك.

٤- حي الضباط.

٥- محطة الرادار وقاعدة الدفاع الجوي المدججة بصواريخ سام .

٦- فندق الانتركونتيننتال حيث تقيم الوفود الدبلوماسية وضيوف الدولة.

٧- معهد البولتكنيك - كلية الهندسة - وقد أنشأته روسيا وفيه الشيوعيون ولغته روسية ، وقد أصيب كادر الأساتذة وقسم غير قليل منهم من الشيوعيين ومن خريجي روسيا والدراسة فيه باللغة الروسية ، وقد نزل الصاروخ على الأساتذة أثناء اجتماعهم .

٨- دار الأمان: وهي مجموعة بنايات ضخمة متوزعة في منطقة واسعة فيها رادارات وزارة الدفاع - قصر الأمان - ومحطة صواريخ سكود، وتبة تاج بيك التي تشكل إدارة الاستخبارات - خاد - .

٩- شهرناو - الحي الجديد سكن كبار الموظفين الذين يدينون بالولاء للدولة .

١٠- مراكز الباجاك : وهي عبارة عن خمسة من القواعد العسكرية المتناثرة فوق جبل اسمه باجاك، ولو احتل المجاهدون هذه القواعد فإنهم يصلون إلى حدود كابل، وتصبح بغمان آمنة، وتشل حركة الدولة، وتصبح الفرقة الثامنة في قرغة والفرقة الرابعة في باغ داود تحت رحمة نيران أسلحتهم المتوسطة، ويمكن للدوشكا والزيكورك أن تفعل بأعداء الله الأفاعيل، وقد أعدت الدولة مجموعات انتحارية من الشيوعيين لحماية هذه القواعد انتقتهم من بلخ وجوزجان وقارياب - من الشمال -، ودربتهم تدريبات خاصة، وعبأهم تعبئة حاقة على الإسلام والمجاهدين، ويسمون (الجوزجانيين)، واسمهم عند الدولة (جولام جمع - أي جامع البساط أو صاحب البساط)، أي أن مهمتهم سحب البساط من تحت أقدام المجاهدين، ولذا فهم يعدون للاقتحام السريع ولا يستسلمون أبدا حتى الموت .

ولدى اشتداد القصف على هذا المراكز هاجت نفوس المجاهدين، واقتحموا هذه القواعد، واحتلوا ثلاثة منها، ودمروا (٣) دبابات، وأسروا مجموعة من الشيوعيين، وقتلوا قائد المعسكر ونائبه، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الجنود قد هلكت .
وقد كان اقتحام هذه المواقع الحصينة واحتلال ثلاثة منها صفة شديدة للنزلة، إذ أنها كانت تتباهي بحصانتها وقوتها، وإذا بالمجاهدين يصلون عليهم ويعملون فيهم قتلا وأسرا .

في قصر نجيب:

ولقد تلقى قصر نجيب عبر هذا الصيف ضربات شديدة أقضت مضاجعه وأرقت أجفانه ، إذ أن نجيبا كان ولازال يحلم بالمصالحة الوطنية، ولذا فهو يجمع ذوي الشأن من العلماء الذين استسلموا للدولة، ورضوا بالدنية في دينهم، وكبار السن من أهل الجاه في أقوامهم، عدا عن زعماء القبائل الخاضعة للمناطق التي تسيطر عليها الدولة ، أقول يجمعهم ويشكو إليهم المجاهدين الذين يرفضون حل الأزمة الخائقة التي تقتل الشيوعية تدريجيا .

وذاث مرة جمع العلماء برئاسة كلكاني من مير بجاكوت مع مجموعة من الصحفيين، وأعد رجال التشريفات والمستشارون للأمر عدته، ووصل المستشار الخاص لنجيب ردهة القصر قبل دخول نجيب بخمس دقائق، فجاءه صاروخ الموت، وتناثرت أشلائه مع أشلاء بعض القوم في ساحة القصر، ودخل نجيب ورأى هذا المنظر المفزع حيث الدماء والأشلاء، فذهل ودخل وجلس مع كلاب الطمع وفراش النار واجما ساميا يكاد يتفجر أسى وغما ، والصمت المطبق يحيل المكان كله إلى كهف مظلم موحش وقبور مفرقة .

ثم انفجر بنفس عن آلامه، شكا لهم ضعف قوته وقلة حيلته وهرائه على الناس، وقال لهم انظروا! نحن نريد الصلح معهم ويقابلوننا بالقتل .

لماذا لا يحرر العرب الأقصى؟:

ثم خرج نجيب على التلفاز وبدأ يبيث همومه للشعب الأفغاني قائلا: نحن نعلم أنه في كل سنجر (خندق) أبو فلان وأبو فلان، هؤلاء العرب قد عجبنا من نخوتهم وغيرتهم وإقدامهم إذ أقبلوا ليعينونا على طرد الروس ! أما الآن وقد خرج الروس فعماذا يصنع العرب في بلادنا ؟! يدمرونها ويقتلون الأبرياء والأطفال والشيوخ والنساء؟! (لماذا لا يحارب هؤلاء العرب في فلسطين حتى يحرروا المسجد الأقصى ونصلي فيه ركعتين)؟!

وختم حديثه قائلا: إنني أهاب بالقادة الأفغان وأناشد فيهم غيرتهم الأفغانية وحميتهم القومية حتى يهبوا هبة رجل واحد فيسحقوا هؤلاء العرب ويظهروا بلادنا منهم .

من شكر درا:

هذه الصفحات المؤلمة والكلمات الموجهة للدولة من منطقة واحدة بغمان، ومن قائد أو قائدين (الحاج شير علم ونائبه د. عبدالله) و(بلال نيرام / نجاني ملي)، أما من شكر درا فلك أن تحدث عن بطولة قادتها ولا حرج، وخاصة (أمر أنور / جمعية ، وملا تاج محمد / اتحاد) وكذلك (أمر ناصر/الحزب)، وقد دمروا في يوم واحد خمس طائرات فوق أرض مطار كابل .

إغلاق مطار كابل:

ونتيجة للحمم الملتببة التي صبها المجاهدون على مطار كابل في عمليات الشيخ تميم أعلن إغلاق مطار كابل، وارتدت بعض الطائرات الهتية على أعقابها بعد تلقي الإشارات اللاسلكية بعدم استعداد المطار لنزول الطائرات .

كلمة لابد منها : بعد هذا كله قل لي بريك كيف يمكن لنظام تعيش عاصمته في هذا الرعب الرهيب أن يستمر ؟! وأي ظلم للجهاد والمجاهدين أن تتركهم على هذا الوضع - منتصرين -، ولكن يفترسهم الجوع والبرد، وتقطع أناملهم الثلوج، وتمزق أحشائهم الفاقة؟!!

فليترك الله المسلمون في هذا الجهاد، وليحذروا من غضب الله بسبب نكرانهم للجميل الذي أسداه هذا الجهاد للأمة المسلمة في أنحاء الأرض .

انتهى الطعام فرجعنا إلى بيشاور:

لقد رجعت أعداد غير قليلة من ليوث الله عن أبواب كابل، وعندما تسألهم عن سر عودتهم إلى بيشاور يجيبونك (نزل الثلج وليس عندنا غذاء " ضعام " ولا كساء ولا غذاء) .

فهل تنتقد أمة صانعي أمجادها وحماة طارفها وتليدها بدراهم معدودة ؟!

وختاماً : رحم الله الشيخ تميم فلقد كان يقض مضاجع الكفر حياً، ولازال يزلزل الأرض بهم بعد أن أقضى إلى ربه . وندعو الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.

الأسود الجائفة^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :

فكثيراً ما تستوقفني قصص بعض الصحابة والتابعين بشجاعتهم الخارقة، فتشدهني هذه القمم الفذة التي سطرت بمدائنها تاريخ الإسلام أول مرة، وأقامت صرح أمجاده في الأرض، فالزبير وحسن بابلين، والبراء بن مالك ويوم الحديقة في اليمامة، والقعقاع والقادسية، وهكذا بواليك ، ولقد أعجم تفسير الفتوحات المذهلة على المستشرقين، وأذهلهم فتح نصف المعمورة خلال نصف قرن.

ولقد حل الجهاد الأفغاني كثيراً من الالغاز المعماة في السيرة والتاريخ الإسلامي في آنظار الجيل الذي عاش هذا الجهاد أو راكب أخباره ، فلقد رأيت أن للشجاعة أسباباً وقوداً:

١- ولقد رأيت أن الشجاعة في المعركة عمادها القلب، فإذا امتلأ القلب بالإيمان فإن الخوف من الموت يقل ، بل أحياناً تجد البعض يقبل على الموت بشوق عجيب كما وصفهم أبو تمام :

يستعذبون منابهم كأنهم لا يخرجون من الدنيا إذا قتلوا

فالشجاعة وقودها الإيمان:

{هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليهما حكيماً}

(الفتح ٤)

٢- ومما يزيد وقود الشجاعة النماذج الحية على الطريق، فإذا رأى من أقرانه من يسلك طريق الإباء والفخار، ويلقي بنفسه في ضرام النار، فإن هذا من أكبر الدوافع له على التضحية والبذل حتى يتألق نجمه كما تألق نجم أئداده، ويبزغ بدره كما فعل أشياعه من قبل.

٣- ومن وقود الشجاعة الحماسة ، ومن أكبر دوافع الحماس الغيرة التي تشكل رؤية النماذج رافداً كبيراً من روافدها، وكذلك التحريض وله ألوان كثيرة: أهمها الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الكريمة، وما أعدده الله عز وجل من جزيل الثواب للعجائذ والشهيد كما ورد في الأحاديث الصحيحة: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها) ، في الصحيحين: (لأن أرباط ليلة في سبيل الله أحب إليّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود) صحيح روي مرفوعاً وموقوفاً عن أبي هريرة. (قيام ساعة في الصنف للقتال خير من قيام ستين سنة)^(٢) .

وأما الأشعار فلقد كان لشعر حسان أثر عظيم في إذكاء روح الحماسة في نفوس الصعب الكرام: (اهج قریشاً فإنه أشد

١ - لعب المعركة العدد ٢٩ التاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٤١٠ هـ - الموافق ٢٥ نوفمبر ١٩٨٩ م. وهذه الإنتاحية تكون لبيب المعرك قد دعت قائد المسيرة وأخير المجاهدين العرب إلى شراء الأخير . نسأل الله أن يجمعنا معه في الفردوس الأعلى وقد وفق الشيخ هذه الإنتاحية ليلة استشهاده في المقر الرئيس للمكتب وذلك بعد أن التقى مع الشيخ نورالله عباد (مساعد الأستاذ برمان الدين رباني) في نفس المكتب تلك الليلة

٢- صحيح الجامع ٤٢٠٥

عليهم من رشق النبل (متفق عليه عن البراء..

وأما شعر المتنبي الذي خلد به سيف الدولة من خلال المعارك التي خاضها معه من سنة ٣٣٧ - ٣٤٥ هـ ، فقد حفظ الله به حدود الدولة الإسلامية الشمالية (الثغور) مع الروم .
ولازال المجاهدون عبر التاريخ يتفنون في المعارك بأشعار حسان وكعب بن مالك وحتى بشعر عنثرة ومالك بن الربيع وعمر بن كلثوم ... الخ .

ولقد أراد سيف الدولة ذات مرة أن يرجع وهو يرى جموع الروم المتلاطمة كأمواج البحر، فانبرى المتنبي وقال له بيتا من الشعر، وإذا بسيف الدولة يأمر الجيش باقتحام المعركة وركوب أموال الحرب، وانتصر .
٤- وأهم ما يكسر حاجز الخوف لدى الإنسان بعد الإيمان خوض غمار الحروب ، فهذا العامل ينتزع الرمية يوما بعد يوم من النفس البشرية، ويجتث الفزع من أعماق القلب ، ولقد عشنا هذه القضية في أفغانستان، وأضحى الخوف من ولوج المعارك يقل تدريجيا، حتى أصبح اقتحام الأهوال من أسعد الأمور لقلوبنا ، وأضحى العزف على الرصاص من أحب الأشياء إلى أسماعتنا، وصرفنا نردد :

يلذ لأزني صليل السلاح ويبهج نفسي مسيل الدما

فكيف اصطباري لكيد الحقود وكيف احتمالي لفيل الأذى

ولقد رأينا بعض المجاهدين الأفغان يستحيون من الانبطاح أو التخفي أو طأطأة الرووس حينما تنفتح عليهم الحمم كوابل متدفق من السماء .

الاقتداء بالتضاح:

ولقد رأينا كثيراً من أعلام الأئمة وأفذاذ هذه الأمة يتأثرون بموقف من المواقف ولو كان من كافر فيدفعهم للبذل والتضحية .

أبو نعيم الحداد:

كان أحمد بن حنبل كثيراً ما يقول رحم الله أبا نعيم الحداد، فسأله ابنه من هذا يا أبت أبو نعيم الذي تلهج بذكره ؟ فقال : أبو نعيم أحد الطرارين (النشالين الذين يشقون الجيوب)، عندما اقتادني جند الخليفة في السجن في المحنة - محنة خلق القرآن - سمعت هاتفا من ورائي: يا أحمد يا أحمد.. أنا أبو نعيم الحداد، مكتوب في ديوان أمير المؤمنين أنني جلدت ثمانية عشر ألف سوط وصبرت من أجل الدنيا، فاصبر أنت من أجل الآخرة ، قال أحمد : فصبرت، حتى إذا وصل عدد السياط ثمانية عشر جاء أمر الخليفة بإيقاف الجلد .

افتتاح مركز المراقبة في شكردرا:

وبطولات شكردرا الآن تعيد إلى أذهاننا قصص حمزة والمقداد وقتيبة وطارق ، وتعتبر مديرية شكردرا من أشد المديريات حروباً مع العاصمة كابل ، فهي تعد بحق لا مراء فيه أنها الثانية بعد مديرية بغمان في هزّ كابل وإذاقة سدنيتها وحكامها سوء العذاب، وهي مع بغمان تجرع الشيوعيين - طبقة المرتدين - كؤوس الهوان وغصص المرارة والذل عبر السنين التي فاقت في عداها عدد إخوة يوسف عليه السلام.

وشكردرا أقرب منطقة بالنسبة لكابل، ولقد أصلت بشظاياها هذا العام معظم القواعد العسكرية في العاصمة، أما مطار كابل فحدث عن ضربه وتدمير بعض أجزائه ولا حرج ، ولقد دمر القائد (أنور) في يوم واحد ست طائرات فوق مدرج المطار .

ولقد استطاع المجاهدون أن يكسروا الحزام الأمني الثالث لكابل، واخترقوا كذلك الحزام الأمني الثاني، ولم يبق سوى الحزام الأمني الأول، وأصبح المجاهدون في بعض النقاط على بعد ١٥ (كيلومتر ونصف) من طرف كابل .

والحق أن قادة شكردرا يعتبرون نماذج رفيعة في الشجاعة والإقدام، وعلى رأسهم القائد الشهيد - وسيل - وقد استشهد في هذا الصيف ، وتاج محمد / الاتحاد ، وناصر / الحزب الإسلامي ، وأنور / الجمعية .

تاج محمد:

أما تاج محمد فيشهد له الإخوة العرب بالبسالة الفائقة، وأكتفى بضرب مثال مما شاهده الإخوة العرب ، فلقد علم الشيوعيون أن بعض العرب قد حلّوا خيولنا على (تاج محمد)، فبدأ القصف الذي تدوي أصداؤه في الأرجاء ، فما كان من تاج محمد إلا أن أخذ البوق وصاح بالشيوعيين قائلا: إما تسكتوا مدافعكم بسبب وجود الضيوف وإلا سأصليكم نارا، وإذا بالرصاص يخرس فجأة .

أسد دم الأسد الهزير خضاب موت فريص الموت منه ترعد

أما أمر أنور :

فانه يقود المعارك بنفسه، وأحيانا يقتحم الأهوال كما حصل في فتح لواء الصواريخ الذي غنم منه المجاهدون مفاتم كثيرة، وكانت آخر عمليات أنور فتح مركز المراقبة في شكردرا ، وقد سبب هذا المركز للمجاهدين متاعب جمة، إذ كان يحصي عليهم أنفاسهم، ويعد عليهم خطواتهم وتحركاتهم،

وفي منتصف الليل اختار أنور ثمانية من المجاهدين، وسار بهم صاعدا إلى قمة الجبل ، وقبل أن يصلوا ذروة الجبل واجههم المركز الأول، وكانت عقارب الساعة تشير إلى الرابعة صباحا، فرأوا بندقية الحارس تطل برأسها من مشكاة - نافذة صغيرة - لخندق الحراسة كأنها شجاع أقرع (أنقى) له زبيبتان، فتقدم مجاهد وسحب بندقية الحارس، فخرج الحارس من خندقه يقول من ذا الذي يمزح بسلاحي ؟ فواجهه المجاهدون، ثم ساقوه ليدلهم على مهاجع الجنود تحت رهبة السلاح، وأسروا الجنود بعد أن جردوهم من أسلحتهم، ثم ساروا إلى المركز الأعلى الذي يقبع في ذروة الطود الشامخ، فقام المركز، فقفذوه بقذيفة مدفع ٨٢ فاشتعل نارا، فاستسلم كلاب الشيوعية.

الاتصالات بين القيادة وبين مركز المراقبة:

واتصلت القيادة بالمراقبة إنا لنرى نارا مشتعلة عندهم، فاجاب جندي اللاسلكي - وتحت رهبة السلاح - وكما قال له المجاهدون: ليس لدينا شيء، والنار خطأ بسيط حصل فاشتعلت بعض الأغراض في المركز .

ثم عادت القيادة فاتصلت ، وكان الرد الأمر بسيط ونحن بصدد إطفاء النار وحصرها، ولم تظمن القيادة للإجابة، فقام القائد الشيوعي للمنطقة بنفسه وأخذ معه ثلاثة من الضباط وتوجهوا نحو الجبل، حتى إذا انتهت طريق السيارة ترجلوا على أرجلهم وأخذوا يشقون طريقهم صاعدين إلى القمة، وفجأة وإذا بأسد الله تزار وتطلب من الضباط أن يلحقوا السلاح، قاوم القائد العام فقتلوه، ثم استسلم الضباط الثلاثة الآخرون .

طائرة الهليكوبتر:

وبقيت القيادة لا تعلم بحقيقة النبأ، وعصيرة ذلك اليوم أرسلوا طائرة تموين إلى قمة الجبل، وأخذت الطائرة تحط للهبوط في المراقبة، ولكن أحد المجاهدين تعجل وأطلق عليها النار، فعلم الكفار لمن عقبى الدار ففرت الطائرة .

—

وختاماً فما لنا لا نتشد لهؤلاء قائلين :

وصن الحسام ولا تذله فإنه يشكر يمينك والجماجم تشهد
جف النجيم عليه وهو مجرد من غمده فكأنما هو مغمد
ريان لو قذف الذي أسقيته لجري من المهجات بحر مزيد
ما شاركته منية في مهجة إلا وشفرتها على يدها يد

وختاماً:

فقد رأيت من خلال الدراسات في تاريخنا الإسلامي ومن خلال مشاهداتي واعتراكي في مععان هذا الخضم في أفغانستان أن النصر يتوقف على فئة بأسلة تكون في الكتيبة، هذه الفئة الشجاعة هي التي تغير موازين المعركة، وترجع كفتها لصالح المجاهدين،

هؤلاء الذين يقولون منهم: بئس العبيد:

سأطلب حقي بالقنا^(١) ومشايخ كأنهم من كثر ما التثموا مرد^(٢)
تقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا قليل إذا دعوا كثيرا إذا شتموا

إنهم حفاة جياع:

هذه النماذج التي سطرت عزة المسلمين على جبين الزمن علم الله أنهم كثيرا ما يقفون بأبوابنا يعرضهم الغذاء والكساء والحذاء،
فاني إثم وأي عار على أمة لا تشبع أبطالها.

تموت الأسد في القابات جوعا ولحم الضأن تاكله الكلاب
وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

يا علماء الأمة من يسد مكان الشهيد؟^(٣)

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن
يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، وبعد:

فإن كل من مر بالساحة الأفغانية يدرك حاجتها إلى الرجال، وهل من ضرورة أشد من ضرورة الرجال؟ وهل من حاجة أشد
من الحاجة إلى أولئك الذين يحملون الأثقال ويقوم على أكتافهم الأمجاد؟ ولكن بدون نوي أو ضجيج، وبدون أن تشعر بوجودهم أو
تلقت أنظارك نحوهم، هؤلاء هم الذين تقوم الأمم على كواهلهم، لا يضجرون من ثقل الحمل، ولكنهم يدعون الله دائما شدة المنكبين،
وكما اشتدت الحاجة إلى هذا نفر تتذكر الأقوال الماثورة في الرجال... ففي محكم التنزيل:

{من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه}. (الأحزاب ٢٣)

وتتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: {تجدون الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة}.

وقوله صلى الله عليه وسلم وهو يتحدث عن الجهاد ثم يشير بيده الكريمة: {وأين المجاهدون في سبيل...}.

وتتذكر قول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وهو يقول للصحابه حوله تمنوا، فتمنى بعضهم المال حتى ينفقه، وتمنى بعضهم
التوفيق في العبادة والاعتبار وغير ذلك، فقالوا تمن يا أمير المؤمنين، فقال: «أتمنى أن يكون لي ملء هذا البيت مثل أبي عبيدة».

إنني أدرك الآن هذا المعنى وأنا أرى التخلي عن حمل المسؤولية، ونأي الناس عن اقتسام الأعباء والتكاليف، أتلقت حوالي فلا
أرى أحدا من أولئك الذين يمثلون المناير ويتصدرون الصحف ويملأون الدنيا نوبا وضجيجا وهم يتكلمون عن الإسلام.

من بين الذين افتقدتهم الساحة الأفغانية رجل جاء بصمت ومضى بصمت، رجل خاض ميادين القتال في فلسطين (١٩٤٨)،
واصطفى بنار المعركة في قناة السويس ضد الإنجليز، ثم لقي على يد الطغمة الفاشية في أيام عبد الناصر ما لقي، ولكنه بقي كالجبل
الأسم لا يتزعزع، ثم كان قتله على يد طاغية من زبانية العذاب الذين رباهم عبد الناصر.

ذاك الرجل هو كمال الدين السناني، إنسان ليس من أصحاب الأقلام ولا من أرباب المناير، رجل صنعت الأحداث بإذن
خالقه، ونضج على نار المحنة من خلف قضبان السجون، وكان قد حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة من (١٩٥٤)، وكانت الأخت
أمينة قطب قد رفضت الخطاب الذين تقدموا لها من الدول العربية، ثم اختارت أن تعقد عقد زواجها على كمال السناني، رغم أنها
تعلم أنه محكوم بالأشغال الشاقة المؤبدة، وانتظرت عشر سنوات متواصلة، ولطالما خيرها قائلا أن الأولى أن تطلق وأن تتزوجي
غيري، وهي تقول له: هذه بعض مشاركتي لكم توضيحات الطريق واللام المسيرة، وانتظرت أطول فترة خطوبة في التاريخ الحديث،
انتظرت عشر سنوات حتى من الله على كمال بالإفراج من السجن بقدر الله عز وجل.

١ - القنا: الرماح ٢ - من كثر ما التثموا مرد: يدخلون المعركة مشتمين ليطعنهم الناظر بدون لحي.

٣ - هذا المقال كتبه الشهيد عبد الله حزام عن الشهيد كمال السناني، ونشر في مجلة البنيان المرموس.

لازلت أذكر تلك الأيام العصيبة التي مرت على بيت الأستاذ محمد قطب سنة (١٩٧٣)، فقد كان يريد مغادرة مصر، وأخته حميدة تزوجت أو على أبواب الزواج، وليس في البيت أحد من المحارم غير الأستاذ محمد، وأمنية تعيش ظروفًا نفسية تفتت الأكباد وتذيب لفائف القلوب، وسافرت مع أخيها محمد إلى السعودية، وعلى جبل عرفات ترتفع الدعوى من القلب الواله الذي يحترق، فيخرج كمال السنانييري ولعله في نفس اليوم (يوم عرفة).

وعندما تراسى إلى مسامع كمال أن في أواسط آسيا جهادا عاوده الحنين إلى أيام فلسطين، ويرج به الشوق إلى مداعة الأسنة، فشد رحاله إلى أفغانستان، والتقيت به في جدة وهو ذاهب إليها، فتحدثت معه وكنا على صلة وثيقة من أيام مصر، فقال لي: ليست هذه الأرض بدار قرار لك، احزم أمتعتك وأقبل إلى أفغانستان، فبدأت أمي نفسي للحاق به، وجاء إلى بيشاور، ومكث أربعين يوما يعمل ليل نهار لجمع كلمة المجاهدين ولم شعثهم، واستطاع أن ينتزع توقيعات الأربعة من قادة الجهاد (سياف وحكمتيار ورياني ويونس خالص)، في الوقت الذي كانت الدوائر الغربية الأمريكية تسعى حثيثا لتطبيع قيادات بديلة، جاء بيشاور يلبس اللباس الأفغاني، ولم يخلع هذا اللباس حتى غادر بيشاور، وفي طريق عودته إلى مصر التقيت به في المسمى معتمرا، فأخبرني أنه عائد إلى مصر ليرتب أموره ويعود بعد أن ارتبط قلبه ببيشاور وبالجهاد، ولكن يد المنون كانت بانتظاره لتقطع هذه الشجرة الطيبة، ولعل سبب قتله أنه كان يفسد على طواغيت مصر مخططاتهم الأمريكية التي تود شراء الجهاد الأفغاني وتحتويه لحساب أمريكا، فأنجزوا عليه في غيايب السجون على يد زبانية العذاب الجهنمية.

لقد كان يحدثنا عن أثر الإسلام في النفس البشرية، وكيف أن الإخوان في السجون رغم مرور عشر سنوات عليهم في الستينات يقضون يومهم بالحبور، ويلهمهم بالسرور، راضين بقدر الله، وكيف كان كمال يشرف على التضامن الاجتماعي الإسلامي فيما بينهم، بحيث تتداول حبة الشكولاته سبعة نفوس، كل يقدم أخاه بها ويؤثره على نفسه، لا يتكلمون إلا سواء، ولا ينفقون إلا سواء، حتى كنس الشاي لا يمكن أن يزيد واحد كأس شاي عن الآخر، وكيف أن كبار الشيوعيين من أساتذة الجامعات الذين ألقى عليهم القبض بتهمة المؤامرة بالقيام بانقلاب ضد عبدالناصر، يقول هؤلاء الذين كانوا يمسون بزمام دفة الحكم كان الواحد منهم إذا جاءت دجاجة في زيارة من زوجته يضعها داخل ثيابه ثم يأتي إلى غير الإخوان يختفي بزواية ليأكل الدجاجة بعيدا عن أنظار الشيوعيين حتى لا يشاركوه حفصة أو لقمة منها.

ومضى كمال إلى الله عز وجل، وحزن المجاهدون الأفغان عليه أيما حزن، وأقاموا تابينًا له في بيشاور حضره آلاف، وانتظرنا أربع سنوات حتى الآن ونحن نترقب البديل يقوم بدور كمال، ولكن مكانه لازال شاغرا، وبديله لازال غائبا، ولذا حق لنا أن نتذكر كمال «وفي الليلة الظلماء يفقد البدر»، لقد كان كمال ذا شكيمة وباع، وذو عزيمة حادة وصريمة محكمة، وهمة شماء، ومقدام على العظام، يروض الصعاب، ويركب ظهور العواقر، حاسر عن ساقه، ومشمر عن ساعده، ونحسبه كذلك ولا نؤكّي على الله أحدا..

فأين الرجال الذين يسدون مسده ويقومون مقامه؟!

إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

التجربة العملية

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.. وبعد:

يقول الله عز وجل:

{ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز } (الحديد: ٢٥)

إن دعوة الله تبدأ بعرض الحجج والأدلة الدامغة التي فطر الله الناس على التجاوب معها، لابد أن يعرض على القلب آيات الله البينة، ومن يتفاعل معها بعد أن ينفض عن نفسه ركام التقاليد وأثقال الموروثات.

وبعد فترة من تبليغ هذا الدين للناس لا بد من استعمال الحديد الذي قرنه الله بالكتاب، فالكتاب والحديد مقترنان، والكتاب

للبيان ، والحديد لحماية الكتاب بالطعن والسنان.

والنفس البشرية التي تتلقى عقيدة وتتعلماها، وتستقبل مبدأ وتتفاعل معه، لابد أن تتحرك لتبليغ هذه العقيدة للناس، وهنا لابد أن يقف المجتمع الجاهلي حولها معثلا بأرباب السلطان والأموال والشهوات .. لابد أن يقف هذا المجتمع في وجه الدعوة الجديدة، وتتفرض الجاهلية تدافع عن كيانه بسلطانها وخيلها ورجلها.

فهنا يقوم الكتاب بوظيفة البيان لدحض العقيدة الجاهلية، ثم يقوم الحديد بتوجيه السنان ضد القوة التي تسلطها الجاهلية على أصحاب العقيدة الجديدة.

ونظام الدفع والتدافع الرياني يقوم عليه صلاح البشرية، ويدون الدفع تفسد الأرض:

[ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين] (البقرة: ٢٥٣).

ونظام الدفع الرياني تحمى به الشعائر:

[ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز] (الحج: ١٠)

فالدعوة الإسلامية بالكتاب وحده دون استعمال الحديد تبقى نبهة للناهيين، وقصعة للاكئين، والدعوة الإسلامية بالحديد وحده تتحول إلى عصاة مسلحة لحزب سياسي بضرب بعضهم رقاب بعض، ويسفكون الدماء، ويشيعون الرعب لدى الضعفاء.

الدعوة الإسلامية في أفغانستان:

ونحن أيها الإخوة نتكلم لكم عن تجربة في الدعوة الإسلامية في أفغانستان.

لقد بدأ العمل في جامعة كابل بعد أن أعلن الملك ظاهر شاه الثورة الثقافية في أفغانستان، والثورة الثقافية تعني: الثورة على القيم والمبادئ التي تعارف وعاش عليها هذا المجتمع المسلم، ولقد حمل الملك حجاب امرأة في مؤتمر عام وداس عليه وقال: (انتهي عهد الظلام إلى الأبد).

وعندما أصر أهل قندهار على نقاب المرأة المسلمة سِير إليهم الملك جيشا أدار رحى معركة حامية الوطيس سقط على أثرها حوالي الألف من أهل قندهار العتيدة.

واستمر الملك في ثورته الثقافية ضد الإسلام، وسلم رئاسة الوزراء لابن عمه وزوج أخته محمد داود الرجل العسكري لضرب التيار الإسلامي، ولينهز القيم الإسلامية ويزلزلها في أفغانستان.

وقرب داود كبار الشيوعيين في البلد، وتربوا في بيته الخاص، فقد تربى تراقي، وحفيظ الله أمين، ويا برك كارمل على فئات موائد دواء، وأبرزهم في المجتمع، وكانت تصدر لهم صحف مثل خلق (الشعب) التي كان يصدرها تراقي باسم الجناح الشيوعي الآخر، ويرز حفيظ الله وكارمل كاعضاء في مجلس الشورى.

واستمر التضيق على المشاعر الإسلامية، وأضحت أنفاس المسلمين تعد، وحركاتهم ترصد، وحصل فراغ كبير في هذا التضيق، فتمت الشيوعية تسد هذا الفراغ، ودخلت روسيا لرعاية الحزب الشيوعي من خلال مشاريعها الإنمائية والمستشارين، وأنفقت حوالي (٢ بليون) مليار روبل في داخل أفغانستان.

ورزاء هذا كله وردا عليه نشأت الحركة الإسلامية في جامعة كابل كحركة طلابية (جوانان مسلمان * الشباب المسلم) .

ومصاحب هذه النشأة في نفوس الشباب المشتعلة حماسا للإسلام، وغيظا على صنيع الملك احتكاكه بالحركة الشيوعية وبالنظام الذي يدعمه ولو من وراء ستار، فكانت هذه الحركة الإسلامية محل احترام الجميع، لأنها نشأت منذ اليوم الأول في محنة قاسية، تكاد لها المكائد، وتنصب لها الأحابيل والمصائد، فكانت عواطف الناس ومشاعرهم مع هؤلاء الشباب الذين يمثلون دين هذه الأمة وعزتها، وتنظر إليهم الأمة بأنهم المعين الذي سيروي أفغانستان التي بدأت شجرتها تنوي وعروقها تضعحل بعد أن بدأ الملك يجفف منابع الري لهذه النوحة الباسقة.

ثم نما التيار الإسلامي في داخل الجامعة، وفاق التنظيم الشيوعي، وانتصر عليهم في احتلال مقاعد اتحاد الطلبة سنة (١٩٧٣). مما أدى إلى تدخل السفير الروسي ليحرك دواود ليطيح بأبن عمه الملك ظاهر شاه ويستولي على الحكم .

كان داود جسراً ضحماً عبرت عليه الشيوعية وروسيا إلى داخل أفغانستان، وبمجرد وصول داود إلى الحكم قرر التيار الإسلامي المقاومة المسلحة لحكمه.

وبقيت الحركة الإسلامية تقاوم، ويجهد المقل مع فراغ ذات اليد وقلة العدة والعدد حتى قتل مير أكبر خيبر فيلسوف الحزب الشيوعي، وكان قتله القشة التي قصعت ظهر البعير -داود- وثبتت عرشه في ٢٧ / أبريل / سنة ١٩٧٨م

وجاءت الشيوعية الحمراء، واستلمت تراقي رئاسة الجمهورية، وهب كثير من أبناء الشعب المسلم لمقاومة الشيوعية التي أفتى العلماء بأنها كفر يواح يجب إزالته واقتلعه من جذوره.

ثم قتل تراقي على يد رئيس وزرائه حفيظ الله، وأصبح حفيظ الله رئيساً للجمهورية، ثم دخلت روسيا وقتلت حفيظ الله في ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩، وجاءت بكارمل، ثم أطاحت روسيا بكارمل وجاءت بنجيب البقر الذي يمثل الآن قفازاً تضرب به روسيا الشعب الأفغاني، ويذبحون على يديه الأطفال والشيوخ والنساء.

وبعد دخول روسيا انفجر بركان الجهاد الإسلامي في كل أفغانستان، واستمر هذا البركان يقذف بحممه ويلقي بكتله النارية إلى يومنا هذا على رأس روسيا وحلف وارسو.

دروس وعبر من خلال الدعوة الإسلامية الأفغانية:

١- أن الذين يستعملون الاتجاهات القومية والتجمعات الشيوعية والعلمانية لضرب الحركة الإسلامية هؤلاء يستفيدون مؤقتاً في التضيق على الدعوة الإسلامية، ولكنهم لا يعلمون أنهم يضعون في جيوبهم أقاعي، وفي بيوتهم ذئاباً سرعان ما تنقض هي بدورها عليهم لتفترسهم، وكما قال الأولون: (سمن كلبك ياكلك)، ولذلك فإن تراقي هو الذي قتل داود.

٢- إن الدعوات التي تنشأ في خضم المحن وفي أتون الابتلاء هي التي تكسب ثقة الشعوب الإسلامية، وتنال ثقتها واحترامها، وتكسب حبها وولاءها، ولذلك بقي أبناء الحركة الإسلامية محط الأنظار بالنسبة للشعب الأفغاني، وميزان التعديل الذي لا يخل ولا يتأرجح الآن في أفغانستان هو (سابقة القائد أو المجاهد في الحركة الإسلامية)، فسابقته هي تعديله وثبوته.

٣- إن التوكل على الله مع الإخلاص والصدق هو سر النجاح والفلاح والفوز بالنسبة للدعوات في الدنيا، ولأفرادها في الآخرة.

لقد كان كثير من الناس يعتبرون مقاومة داود ضرباً من الانتحار، لأنهم قرروا المقاومة المسلحة لهذا الطاغية وعددهم أقل من ثلاثين شاباً.

ولقد كانت الأصوات ترتفع من هنا وهناك من بعض المتعقلين تنادي بالتفاهم مع داود والرضا ببعض الوظائف الصغيرة في الحكومة مقابل الصمت المطبق عن التيار الشيوعي الذي بدأ ينتشر كالنار في الهشيم إثر استلام داود، ولكن كم كنا نخسر لو رضينا بهذا الرأي؟

كانت الخسارة: المنهاج كله، وفقد الطريق كله، وتضييع الشعب كله، وما كان هذا الجهاد المبارك يبرز إلى الوجود:

[ويريد الله أن يحق الحق بكلماته] (الأنفال: ٧).

ولذا فعندما هب الشعب أيام تراقي ينافح عن دينه ويكافح عن عقيدته لم يجد راية مرفوعة سوى راية أبناء الحركة الإسلامية، فانضوى تحتها وأوى إلى لوائها.

٤- إن نور أبناء الدعوة الإسلامية هو نور ريادي قيادي، فهم يشكلون طلائع بعث لإحياء الأمة، ويمثلون الباديء (الصاعق) المحرض الذي يفجر طاقات الأمة الإسلامية، ويخرج ينابيع الخير والبر من أعماقها.

والدعوة الإسلامية التي لا تستطيع أن تكسب ولاء الشعب، ولا تحظى بمحبته تولد ميتة، وتعيش منغلقة على نفسها، تاكل بعضها بعضاً، وتتاكل إلى أن تموت.

والحركة الإسلامية التي تظن نفسها أنها تستطيع مواصلة حرب طويلة الأمد مع الطواغيت، وبمعزل عن الشعب وعن طاقاته هذه الحركة -إن كانت تظن هذا- فإنها تعيش في أوهام وتسبب في أحلام.

إن الحركة الإسلامية وحدها لا تستطيع الوقوف طويلاً أمام الطواغيت، لأن أعداد أفرادها منحصر منحصر، فكيف يمكن لدعوة أو حركة أن تقف أمام قوة كبرى أو دول عظمى أو أحلاف دولية ضخمة؟!

إن وقود الحروب المستمرة من الشعب، ولا يمكن لحركة إسلامية أن تكفي كوقود لرحلة حرب طويلة الأمد ممتدة المسافة.

٥ - إن التربية الإسلامية ضرورة ماسة قبل حمل السلاح، إذ أن حمل السلاح يحتاج إلى قلوب صادقة تراقب ربها، وتختلجها، ويحتاج إلى سواعد متوضعة حتى تحكم أصابعها على الزناد فلا تطلقها إلا في صدور أعداء الله.

وإن امتشاق السلاح قبل فترة كافية من التربية يحيل الجهاد إلى عصابات مسلحة تقطع الطريق على السابلة، وتشيع الرعب في قلوب المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، ويتحول الأمر في النهاية إلى قطاع طرق يبتزون الأموال وينتهكون الأعراض ويسفكون الدماء.

والرقابة له -عز وجل- مع خشيته وخوفه من أشد الضرورات التي يجب أن تصاحب السلاح.

ومن هنا: فإننا نجد مرتاحين من الجبهات التي يقودها شباب من أبناء الحركة الإسلامية الذين نالوا قسماً وافراً من التربية، أو يتأمر عليها عالم رباني يخشى الله ويتقيه، فالناس آمنون مرتاحون يبذلون له مهجهم، ويقدمون حشاشاً قلوبهم له فداء.

أما إذا كان القائد غير مربى على الإسلام فإننا نعاني كثيراً من شكوى الشعب عليه.

٦ - إن التربية الإسلامية ضرورة ماسة كذلك لاستمرار مسيرة الدعوة الإسلامية، ومواصلة جهادها وكفاحها ضد أعداء الله.

والشباب الذين يشبون على نار المحنة، وينضجون على حرارة الابتلاء هؤلاء -ياذن الله- هم الذين يثبتون إلى نهاية الشوط حتى ينالوا إحدى الحسنين: إما الشهادة على هذا الطريق، أو إقامة المجتمع الإسلامي الذي يستظل بظلال القرآن.

ومقابل هذا: وجدنا أن الذين لم يتلقوا قسماً كبيراً من التربية سقطوا على الطريق بعد أن كل متنتهم، وأعيانهم المسير، وأضنائهم ثقل التضعيات، وغص في حلقهم مرارة التجربة، بل نواجه أكثر من القادة العاديين الذين قاموا بحمية ضد روسيا في بداية الأمر، ودمروا لروسيا مئات الدبابات، وفجأة يأتي بأحد المسمين بالعلماء الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً يفتيهم أن هذه الدولة مسلمة، وتبني المساجد، وترى رجالها على التلفاز يصلون، ويقررون واحد ينضم مع جبهته وقرينه إلى الدولة.

٧ - ومن خلال مسيرتنا الإسلامية في أفغانستان وجدنا: أن الأسماء اللامعة الضخمة، والهالات الكبيرة التي ترسم للنول الكبرى والعظمى لا تساوي شيئاً أمام قوة الله وجبروته، وجدنا من خلال توكلنا على الله: أن القوة العظمى هي قوة الله -عز وجل- هذه القوة التي لا تقهر ولا تغلب:

[وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً] (فاطر: ٤٤).

والله أيها الإخوة: إن روسيا التي يطلق عليها العالم العملاق الكبير لتبوء أمام المجاهدين هزيمة ضعيفة حسيرة كليله، وما أحقرها وما أصغر شأنها في نظر المجاهدين الصادقين.

وما يكاد يمر شهر إلا ويتلقى قائد مغفور لا يذكر اسمه من رئاسة الدولة الشيوعية ترجوه أن يخفف الضربات على قوافل الدولة المارة، أو تطلب هدنة ولو لفترة قليلة.

٨ - وعلمتنا تجربة الدعوة في أفغانستان أن الذي يحترم مبدأه ويضحى من أجله يفرض احترامه على الناس جميعاً كافرهم ومسلمهم، لأن الناس يحترمون الصادقين مع شعاراتهم، والذين يغنون كلماتهم بدمائهم.

٩ - وأثناء هذه الرحلة المضنية على طريق هذا الدين تعلمنا أن كثرة الثقافة الإسلامية، ووفرة المعلومات الشرعية، دون أن يصاحبها حركة عملية، وتنفيذ متواصل، وبذل وتضحية بالعرق والدم خطر كبير على الدعوة، خطأ كبير يرتكبه أصحاب الدعوات يقتلون به أنفسهم كالماء الكثير الذي يعطى للنبته الصغيرة فيخنقها ويفرقها.

وأن الغيرة الإسلامية تكبت أولاً، ثم تنوي، ثم تضج، ثم تموت، فإذا انهار هذا السد في أعماق النفس انهارت وراعه جميع

الحواجز، ويتحول الإنسان بعدها إلى جثة هامة باردة جامدة، لا حرارة في كلماته، ولا صدق في نبراته، ولا حيوية في عروقه، لا يعرف إلا الجدل في الحقائق، وفلسفة الأمور حسب أحلامه التي يعيش بها، لا ينجو من نقده عامل لهذا الدين، ولا يخلص من لسانه متعرك في سبيل الله، يعيش في شرنقته متقوقعا على نفسه، من خلال البرج العاجي الذي يسبح فيه مع أوهامه.

١٠ - وقد استندت الحركة الإسلامية بعون الله من خلال هذا الواقع الذي عايشته أن النتائج لا تترتب حتما على الأسباب، بل الذي خلق الأسباب هو الذي خلق النتائج، والله أمرنا بأن نعد ما استطعنا من قوة، فبدأت الحركة الإسلامية جهادها والحمد لله بالمسندسات الصغيرة، بل خرج الشعب المسلم بالعصي والحجارة أمام الدبابات الشيوعية، وهذا مبلغ فهمهم أن أقصى ما نستطيعه هو الحجارة والعصي.

لقد هجم د. محمد عمر بمسدسين وقنبلتين على مركز كبير في بدخشان ونصرهم الله، وأخذ بأيديهم، والآن والحمد لله أسلحة ضد الدبابات والطائرات، وأبشركم أيها الإخوة أنهم مفتصرون.

لقد سقط لروسيا في الأشهر الأربعة الأخيرة (مائتا طائرة) بمعدل طائرتين يوميا.

إن روسيا تخسر يوميا حوالي أربعين مليون دولار، يسقط لها بمعدل طائرتين، ويدمر لها يوميا ٥-١٠ أليات، ويقتل ويؤسر ويستسلم ويهرب من الجيش الشيوعي ٣٠-٥٠.

لقد ضرب لروسيا حتى الآن من الطائرات من بين ساقط ومستهلك ألفان وثلاثمائة طائرة، و ١٢ ألف دبابة وآلية، وقتل لروسيا حوالي خمسين ألفاً من الروس، ومائة ألف من الميليشيا والشيوعيين والمجندين، وهرب إلى المجاهدين مائة ألف تقريبا، ولكن مقابل هذا يسقط كل (٤) دقائق شهيد، ويهاجر كل دقيقة شخص من بيته إلى الجبال أو الأدغال أو الدول المجاورة لأفغانستان.

أيها الإخوة:

هذه تجربة الحركة الإسلامية تضعها بين أيديكم لعلمكم تنتفعون بها (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى)، وثقلت أنظاركم أخيراً:

إن المجاهدين بحاجة إلى دعاة صادقين، وأطباء ماهرين، وأصحاب كفاءات وخبرات وتجار غيورين.

مقابلة مجلة الموقف مع الشهيد عبدالله عزام^(١)

الموقف: تعلمون أن موسم الشتاء قد اقترب، فهل هناك من استعدادات اتخذت من قبل المجاهدين للتغلب على صعوباته؟

الشيخ: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحقيقة أن اقتراب نزول الثلج يشغل بالنا، لأننا قلقون جدا حتى توفر الطعام والكساء والأحذية للمجاهدين قبل نزول الثلج، فلا بد أن يخزنوا ما يكفيهم للشتاء القادم، وخصوصا المواد الغذائية، وأكثر ما يقلقنا أمره هو معركة كابل، لأننا حريصون كل الحرص أن يصل المجاهدون إلى ضواحي كابل قبل نزول الثلج، حتى يتسنى لهم مواصلة جهادهم كحرب عصابات داخل المدن أثناء الشتاء القادم، وإن لم نستطع توفير الطعام وحفر الخنادق لهم خلال هذه الفترة (فعلى الأقل توفير الطعام وأكياس النوم)، هاتان القضيتان لا بد منهما بالإضافة إلى الأحذية.

ولذلك نحن أهينا ونهيب بالمسلمين أن يوفرُوا للمجاهدين من الأموال ما يكفي لسد حاجتهم من المواد الغذائية.

الموقف: أستاذنا الكريم، العالم الإسلامي قلق على مصير هذا الجهاد، فهلا تفضلتم بتوضيح الوضع الحالي للجهاد والمجاهدين؟

الشيخ: أما عن مصير الجهاد فأننا أبشر المسلمين في العالم الإسلامي بأن وضع الجهاد الآن على خير، وأن الكفة راجحة لصالح المجاهدين، فكابل محاصرة ومحاطة بالمجاهدين إحاطة السوار بالمعصم، والمجاهدون بضربون أي هدف يريدونه داخل كابل في أي ساعة يريدونها، وكابل مقطوعة من الناحية البرية، فطريق الشريان الوتين الذي يمدّها بالحياة مقطوع، وبممر طريق (حبرتان - كابل) وروسيا - كابل فهو مقطوع الآن.

١ - مجلة الموقف العدد ٦٦-٦٧ السنة العاشرة - جمادي الأولى - ١٤١٠ هـ.

ومنذ أواسط شهر أغسطس الماضي (١٩٨٩م) حاولت روسيا أن تدخل بعض القوافل البرية إلى كابل، ولكن تحطم منها أعداد كثيرة، وكابل تحاول إدخال بعض القوافل إلى المدن المحاصرة، ولكنها تحطمت أيضاً.
إن طريق (هرات - كابل)، (قندهار - كابل)، و (جلال آباد - كابل)، و (جريكار - كابل)، و (روسيا - كابل)، و (بغلان - كابل) كلها مغلقة، وأيضاً فهي مقطوعة عن العالم من الناحية البرية.

أما الطرق الجوية فكذاك هي معاقة بوضعها مشلول، ومطار كابل يضرب يوميا إذا أراد المجاهدون ذلك، وكذلك سائر المطارات.

من هنا تبين لنا أن العاصمة تقريبا شبه مغلقة أو متقطعة ومعزلة، أما الرحلات الجوية فقد أدخلت روسيا منذ بداية هذا العام وخلال شهرين حوالي أربعة آلاف رحلة جوية، وصبت المساعدات على نظام كابل صبا، بينما المجاهدون فقد شح العطاء لديهم.

ومن جهة قندهار فإن المجاهدين على بعد كيلومتر واحد من المطار.

وفي مزار شريف فقد احتل المجاهدون في الآونة الأخيرة حوالي خمس وعشرين قرية، واحتلوا المركز المشرف على مثلث (حيرتان - مزار شريف - بغلان)، وفي كل مكان فإن المجاهدين يحققون انتصارا جديدا، وفتح الله على أيديهم مناطق واسعة في هذا العام كما في جلال آباد وقندهار وكابل وهرات وفي المناطق الأخرى.

الموقف: تعلمون أن الإعلام الغربي قد شوه صورة الجهاد في أفغانستان في أذهان الأمة، فما هي السبل التي يمكن من خلالها إرجاع تلك النظرة الناصعة لجهاد أفغانستان المبارك؟

الشيخ: والله يا أخي إن إعلامنا قاصر جدا بالنسبة للإعلام العالمي، إذ أننا ليس عنينا إلا مجلات محدودة، مثل مجلة (الجهاد) الشهرية، و (البنيان) الشهرية (والمجاهدون) التي من المفروض أن تصدر شهريا، ومجلة (الموقف) كذلك، ولدينا أيضاً نشرتان اسبوعيتان نشرتا "كهيب المعركة" ونشرة الثبات، لهذه المجلات والنشرات لا يمكن أن تقابل الإمكانات البشرية والمالية لدى الإعلام الغربي، وله أجهزة وأدمغة تفكر وتخطط، وسياسات ودول تدعّمه.

نحن لا نملك إلا أن نكون مقام [الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل] {آل عمران ١٧٣}.

إن اليهود هم الذين يتحكمون بالإعلام العالمي، وأما موقف الصحف العربية إزاء ذلك فهي لا تملك إلا أن تقول آمين، ونحن نأمل من الصحف العربية على الأقل ألا تردد ما يريده الإعلام الغربي.. هذا الذي نملكه، ونقول للصحف العربية أن تتكرم بنقل المقالات بعد أن تأخذها من المصادر الموثوقة، والتي هي في تماس تام مع الجهاد.. مثل مجلة البنيان المرصوص والجهاد والموقف، وكذلك من الناس المتواجدين في أرض الجهاد.

ولقد وجدت وللأسف أن هناك صحفاً عربية قد نهالت لمساعدة نجيب وتشويه حقيقة الجهاد الأفغاني المبارك، ولا يفوتنا أن نذكر بأن هناك بعض الصحف العربية تكتب عن الجهاد وتقف معه، وتنقل الحقيقة عن الجهاد.

الموقف: نسمع ونرى أن الإعلام الغربي يلج ويصر على إمكانية رجوع ظاهر شاه ليتسلم السلطة، فإلى أي حد ممكن أن يتحقق هذا الحلم؟

الشيخ: هذا الأمر في نظري شبه خيال، وإنما هي ورقة تلعب بها أمريكا بأعصاب الناس الطيبين، وتريد أن تلوح بها لبعض ضعاف الناس حتى يقللوا بالأمر الواقع وبالخلول الأمريكية.

أنا لا أدري كيف يحكم ظاهر شاه وكيف يخل؟ قد تحمله طائرة وتدخله، لكن نجيب يرفض أن يتنازل، ونفرض أن روسيا وأمريكا ضغطتا عليه واستلم مكانه ظاهر شاه، فأتى لظاهر شاه أن يحكم؟ وإذا كان نجيب لا يستطيع الآن أن يتماسك واقفا على قدميه، وعنده جهاز المخابرات الذي رباه بنفسه، فهو الذي صنع جهاز المخابرات الذي يحكم البلد الآن، فكيف يمكن لظاهر شاه أن يحكم بدون شعب وبدون جيش وبدون جهاز استخبارات؟ وكيف يمكن له أن يبقى حاكماً في كابل و ٨٠-٩٠٪ من المجاهدين يعارضون دخوله، بل يتواعدونه، ويهدونه بالقتل؟ وبعض الناس يقولون أن رجال القبائل مع ظاهر شاه، فمن هم رجال القبائل؟

إنهم هم المجاهدون، لأن الجهاد قد قدم قيادات جديدة وزعامات، وأصبح زعماء القبائل هم حكمتيار ورباني وسيف وخالص

وغيرهم، أما زعماء القبائل التقليديين فليس بأيديهم مال، وليس بأيديهم سلاح، فالسلاح والقوة والأرض كلها بأيدي قادة الجهاد، فكيف يمكن أن يحكم على أرض ليست بيده، وجندها ليسوا بيده، وشعبها ليس بيده؟! هذا مستحيل!

الموقف: نرجو توضيح موقف كل من أمريكا وباكستان وإيران حول الجهاد والمجاهدين؟

الشيخ: أمريكا فرحت كثيرا عندما دخل الروس أفغانستان، لأنها أرادت أن تنفس عن أحقادها، وهي تعرف من هو الشعب الأفغاني، وكانت قد فرحت باديء ذي بدء أن يثخن الدب الروسي بالجراح وتهان كرامته، ومع ذلك فأمريكا وخلال السنوات الأربع الأولى لم تقدم أي شيء، بل ولا دولة قدمت ووقف بجانب الجهاد خلال السنوات الأولى إلا دولة باكستان التي وقفت وقفة صادقة ومشرفة وعظيمة سيعفظها لها التاريخ بين جنباته صفحات مشرقة، وكان ضياء الحق واقفا بجانب الجهاد الأفغاني وقفة مسلم يعتبر موقفه واجبا، وبعد أربع سنوات من صعود المجاهدين أمام الزحف الروسي وجد الغرب صعود المجاهدين من جهة، وانهايار معنويات الجيش الأحمر من جهة ثانية، وقد تكبد الروس الخسائر الفادحة بالأرواح والمعدات، عندها قال الغرب وقال الشرق نقف بجانب الجهاد الأفغاني، ولا ننسى أن نذكر بأن السعودية حكومتها وشعبها وقفت مع الجهاد الأفغاني منذ سنة (١٩٨٢م)، وهي الحكومة الوحيدة من الدول العربية مع الحكومة الباكستانية من الدول الإسلامية، هاتان الحكومتان اللتان وقفتا بجانب هذا الجهاد بالأموال والدعم.

أما الشعوب فقد قدمت، فالشعب الكويتي على الرأس والعين، وكذلك الشعب الإماراتي، والشعب اليمني الذي قدم كثيرا بالانفس والاموال ... فأقول إن موقف أمريكا قد تغير بعد أن خرجت روسيا، لأن أمريكا كانت خائفة على آبار البترول، خائفة من الدب الروسي العطشان على آبار البترول، وقد كانت تظن أن الجهاد الأفغاني لا يمكن أن يقف أمام روسيا.

وروسيا كانت قد وضعت مخططها في (١٩٨٠م) للجهاز على أفغانستان ثم الوصول إلى الخليج سنة (١٩٨١م)، وأعدت لهذا الغرض مطار (شندند) إذ يبعد حوالي ١٥ دقيقة عن الخليج.. وكان كل شيء جاهزا، ولكن الله رد كيدهم في نحورهم، وخاب فتلهم، وفشلوا في مقاومة الجهاد الأفغاني.

فعندما تلاحقت انتصارات المجاهدين كانت أمريكا تريد أن تنفذ الدب الروسي حتى لا يسقط تحت ركبان المسلمين، ولكن ما استطاعت، ولذلك خططت لمؤامرة (جنيف) عن طريق اليهودي (آدمر همر)، ثم شاء الله أن يتأخر قتل ضياء الحق الذي كان يسند الجهاد.. فانتصر الجهاد، ولم يعد بإمكان روسيا أن تواصل أبداً، لأنها كانت تدفع في كل يوم ٤٥ مليون دولار، ودمر لروسيا ٢٧٠٠ طائرة، وحوالي ١٩٠٠٠ دبابة ومدعة و ٢٥٠٠٠ سيارة وناقلة، وقتل من الجيش الأفغاني حوالي ١٠٠ ألف، وأسر ١٠٠ ألف آخر، وتدهورت المعنويات، وانحطت همم الجيش الروسي، بعد هذه المرحلة تريد أمريكا أن تزيل آثار موقفها وتحججه، ولكن بعد أن تحركت مشاعر الأمة الإسلامية وتيقظت من سباتها، وبعد أن أعيدت الثقة في نفس الأمة، ولزمت الأمة عقيدة التوكل على الله في كل مكان، ولذلك نجد أن الإعلام الأمريكي يرمي إلى قضيتين وهما:

١ - إزالة آثار الجهاد في نفس الأمة المسلمة، وتشويه قاداته، وتشويه صورة هذا الجهاد، وتحويله إلى النقطة الثانية، وهي تحجيم الجهاد الأفغاني، وتحويله إلى قتال قومي ضد قوم آخر، وقتال أهلي بين أفغان وأفغان، وأن الدماء التي تسيل هي دماء المسلمين، والصراع الآن هو صراع على المناصب، وصراع أهواء بين قادة الجهاد الأفغاني، وكل ذلك ظلماً وعدواناً.

أما بالنسبة لباكستان فقد قبضت يدها منذ قتل ضياء الحق، ففي العام الماضي مثلاً عندما كان ضياء الحق يحكم قدمت باكستان حوالي ٢٤٠٠ طن من الذخائر للمجاهدين، بينما في هذا العام قدمت باكستان (١٠٠) طن فقط، والمساعدات الباكستانية في طريقها إلى الانتهاء.. بينما المساعدات الروسية لكابل مستمرة ومتدفقة..

فالحقيقة أن موقف باكستان تغير، وأصبحوا يعزفون على النغمة السياسية لنداء الحار السلمي الذي يتمثل بالمؤتمر الدولي أو الدولة ذات القواعد العريضة.. وكل هذا مرفوض من قبل المجاهدين.

أما إيران فلا نرى أنها قدمت شيئا لا سابقا ولا لاحقا.. ولحد الآن لم تقدم شيئا.. ولكنهم قدموا أسلحة لبعض المنظمات الشيعية التي تعيش في وكابهم، كما أن إيران فيها أكثر من مليون ونصف مليون مهاجر أفغاني يعيشون حياة صعبة... وإن الحكومة لا تسمح للمؤسسات الإسلامية لمساعدة المهاجرين، ولا الأجنبية، فإيران لا تطعمهم ولا ترعاهم. ولا تسمح لمن يطعمهم ويرعاهم، وكما ورد في الحديث (دخلت امرأة النار في هرة حبستها، فلا هي أضعتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض).

الموقف: نرجع إلى ساحة أفغانستان ونقول: إن بعض الأطراف في الساحة تثير بأن القائد حكمتيار هو السبب الرئيسي في أحداث فرخار وغيرها من العواث داخل أفغانستان، فما تعليقكم؟

الشيخ: حكمتيار بريء من القضية، ورأيت حريصاً على وحدة الصف، ورأيت في المقابل كذلك مسعود بريء من القضية، وحريص على الصف والصلح واللقاء مع حكمتيار، نسأل الله أن يجمع بين المجاهدين بالخير، وأن يكونوا يداً واحدة على أعدائهم.

الموقف: نعود الآن إلى دور العرب، فما هو الدور الذي يمكن أن يقوم به العرب في هذه المرحلة؟ وكيف تجدون الموقف المحلي والعالمي تجاه تراجدهم في الساحة؟

الشيخ: نسأل الله أن يثبتهم في داخل أفغانستان، وقد جاء دورهم الآن، ومن أهم الأدوار التي لا بد أن يقوم بها العرب هو حل الخلافات والمشاكل بين الإخوة الأفغان أنفسهم، ورفع معنوياتهم، وتعليمهم، وإيقاف سيل الهجرة، وصب جهودكم في بوتقة الجهاد، فالعربي هو الذي يحرك المعركة رضي أم أبى، وكل هذا يسرع في الإجهاد على الحكومة الشيوعية.

وجود العرب يعرقل سير المخططات الاستعمارية، ووجودهم كفيل بهزيمة الصليبيين في داخل أفغانستان، بمشاريعهم وأموالهم وكوادرمهم.. وجود العرب يمنع من تحجيم القضية الأفغانية وتحويلها إلى قضية قومية، ويعطي للقضية الأفغانية صفتها الإسلامية العالمية، وهذا الذي لا يرضاه الغرب، ونجد أن الأعداء يحاولون جهد إمكانهم أن يفرقوا العرب ويشتتوا تأثيرهم على الساحة.. فأحياناً تسرق سياراتهم، وأحياناً يمنعون من دخول أفغانستان، وأحياناً يحاولون اغتيالهم، كل ذلك من قبل أعداء هذا الدين الحاقدين على الإنسانية.

الموقف: وجدنا في الفترة الأخيرة قلة المساعدات للمجاهدين، فهل من كلمة توجهها للإخوة المحسنين الذين ساهموا في نصرة هذا الجهاد؟

الشيخ: نحن نهيب بالمحسنين أن لا يدعوا إخوانهم على أبواب كابل حفاة عراة جانعين، فكما وقفوا هذه السنوات التسع الماضية فليقفوا، وإن شاء الله النصر قريباً، فما بقي إلا القليل من هذه المسيرة المشرفة، والحمد لله فإن معنويات المجاهدين عالية جداً، وإن معنويات أعدائهم منهارة، ونطلب من العالم أن يسمعوا الحقائق من الذين يعيشون الساحة في أفغانستان، ولا يسمعوا ويرددوا ما تردده الصحف المعادية لهذا الجهاد.

الموقف: بعض الإخوة العرب تعرضوا لانتقاد فضيلتكم في الفترة الأخيرة، ومن اعتراضاتهم عدم اهتمامكم بأمر العقيدة؟

الشيخ: أقول سامح الله الجميع، وغفر لي وإخوتي الذين تكلموا في شأني، أما العقيدة السلفية فهي عقيدة أهل السنة، ورأيت تربيت على هذه العقيدة، ولازمت عليها من فضل الله، وأرجوه سبحانه أن يثبتني ويميتني عليها، وإن الذي يعادي عقيدة السلف الصالح يعادي هذا الدين، بل هو ليس بمسلم، وهدفنا هو نصرة هذه العقيدة -بإذن الله-، وما قيام هذا الجهاد المبارك إلا لإعلاء كلمة الله وتوحيده ونصرة دينه، وإقامة شريعته على ربوع أفغانستان، وإن شيوخ السلفية كأمثال الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ بن عثيمين والشيخ الألباني وغيرهم أحب إلينا من أبنائنا وأبنائنا، ولكننا نبينا أن تتحول المعركة من دفاع عن هذا الدين وعن الأمة بأسرها إلى التصدي لبعض الأخطاء التي تعارسها كل الشعوب الإسلامية فضلاً عن شعب أفغانستان، فإننا لا نقاتل لأجل أن ينتصر الشوك وأهله، بل نقاتل لأجل أن ينتصر أهل الحق وهم كثير في أفغانستان بفضل الله، أتمنى أن تحل خلافات المسلمين بالتناصح بينهم، وعدم كشف عورات بعضهم البعض:

(فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في بيته).

ولابد من التجرد لله، والتحرز من نزغ الشيطان، فإن الله سبحانه يقول:

(وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً). (الاسراء: ٥٣)

والتشهير بالمسلمين لا ينفع إلا أعدائهم، وأدعو الله أن يغفر لي وإخواني، ويجمع شملنا ويوحد صفنا، ورحم الله امرأً أهدي إلي عيريه، وختاماً، جزى الله الإخوة المسؤولين في مجلة (الموقف) إذ أتاحوا لي هذه الفرصة للقاء بهم، ونبتهل إلى الله أن تواصل الموقف مسيرتها، وأن تقف على أقدامها، وأن ينفع الله بها الإسلام والمسلمين.

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

مقابلة جريدة عكاظ مع الشهيد عبدالله عزام

الشهيد الدكتور عبدالله عزام نذر نفسه للجهاد، وللدفاع عن الجهاد، عاش وسط المجاهدين الأفغان، يحارب معهم، ويشد أزرهم، ويعلمهم أحكام العقيدة الإسلامية، ويصقلهم للمهمة العظمى التي شرفوا بها، وهي كسر شوكة الشيوعية، وتمريغ أنف الإلحاد في التراب.

أعطى الكثير للجهاذ والمجاهدين، ولم يأل جهداً في الدفاع عن عقيدتهم في كل المحافل والأوساط..

وفي آخر زيارة له للمملكة لأداء العمرة كان له (عكاظ) هذا الحوار الساخن معه، إذ رد خلاله على كل ما تشيعه وسائل الإعلام الغربية عن الجهاد، ودحض كل الأكاذيب التي رددتها، وبدأ غضاباً من أجل هذا الجهاد الذي شبهه بالوصول إلى القمة، وشبه الصمود فيه الثبات عليها، ونعى على المشككين في الجهاد أنهم يحاولون النيل من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.. وأوضح كل الحقيقة حول ما حدث في (تخار)، مشيراً إلى أنها مجرد حادثة عادية نفخ فيها الإعلام الغربي لتشوية صورة الجهاد.

* * * *

شتان بين القول والعمل:

عكاظ: في بداية حديثه انبرى الشهيد للرد على المشككين في الجهاد والمجاهدين قائلاً:

الشيخ: ميدان العمل يختلف عن ميدان القول.. وميدان العمل الجهادي أصعب العبادات على الإطلاق، والصبر على الجهاد أمر لا تحتمله إلا أفضاء النفوس.. والوصول إلى أرض الجهاد أمر قد يكون سهلاً، كما أن الصعود إلى القمة أمر صعب، الثبات على القمة من أشق الأمور على النفوس، فكيف إذا طالت المسيرة، وشح الزاد، وقل الانتصار، وثقل الحمل، وتكاثرت الذنوب، وفوق السهام تتناوش هذا الذي وقف فريداً وحيداً يقول:

وحيد من الخلان في كل بلدة إذا عظم المقصود قل المساعد

والحقيقة أنه من السهل على الإنسان أن ينتقد وهو جالس من بعيد، ولا يتعرض ولا يخطيء، أما الذي في الميدان فهو الذي يتعرض ويخطيء، لأنه هو الذي يتحرك.. وشتان شتان بين أن تعيش في البروج العاجية والأحلام تريد أن تطبق الإسلام في المدينة الفاضلة التي يتخليلها (الفارابي)، وابن رشد، السير فوق الجمر على أرض الواقع، تواجه المجتمع كله بنقائصه وعيوبه، تحاول أن تسد وترشد وأنت في خضم المعركة، لذلك لا يستطيع أحد أن يفهم مشاكل المجاهدين إلا من عاش بينهم، ومن السهل على أي صحفي أن ينتقد ويردد ما تتناقله وكالات الأنباء الغربية من أخبار عن المجاهدين..

مذبذبة في (تخار)، وحادثة في (فرخار) و... الخ، ولكن من الصعب على أي صحفي في العالم، بل لا يوجد الصحفي الذي يفهم ويعرف حقائق وخبايا الوضع الصحيح لدى المجاهدين الأفغان.

لا مكان لـ (روسو) في الإسلام

عكاظ: وعن مناداة الصحافة بضرورة المصارحة لمواجهة الحقائق ليعيش الجهاد في جو إيجابي بعيد عن التضليل، وإخفاء المعلومات. قال الدكتور عبدالله عزام:

بعض الناس بحجة نقل الحقيقة الصادقة ذكر السيئة والحسنة عن الجهاد، ويفتنون الناس الذين لا يعلمون ما هو الجهاد، وما من أمرٍ يحدث الناس حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لهم (أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟)، وهؤلاء الذين يأخذون بنظرية جان جاك روسو الموضوح في نشر المعلومة عن النفس وعن الأمل وعن الأم والأب.. وانظر لنفسك وأنت تعيش في وسط أسرة مكونة من عدة أفراد، وقد يرتكب أخوك بعض الميقات، بل وقد يترك الصلاة، ولكن ما رأيك باسم الصراحة والموضوح من أجل الإسلام تقف يوماً في المسجد تذكر للناس عن أخيك هذا.. وأنت تعرف عيوب وأخطاء أمك وأبيك، ولكنك تتجرعها داخل نفسك، وتصمت عنها، فمدا نستوفي أكيقتنا على الناس وإذا كلنا الناس نتقص.. فإذا لا نستخدم نفس القاعدة ونطبقها على أشرف قضية في الأرض

تعلقت بها أمة بأكملها؟! أتخشى أن تقضح أسيرة صغيرة ولا تخشى من ربك أنك تحطم آمال أمة بكاملها تعلقت بهذا الجهاد.
إن الإسلام لا يقبل أنماط الاعترافات التي كان يطبقها (جان جاك روسو) بحجة الصراحة.. هذا ليس في الإسلام.. الإسلام يقول:

(وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا). (النساء: ٨٣)

عيب كبير أن ننتقد الجهاد:

عكاظ: أحمد شاه مسعود أنشأ حكومة داخل حكومة.. هذا ما يقال، ونتجه الكثيرون إلى القول بأنه يعمل لحساب فرنسا، ما صحة هذا الكلام..؟

الشيخ: عيب علي أن أقيم أحمد شاه مسعود.. من أنا حتى أقيمه..؟ والله إني لأشعر بالشرف عندما يسمح لي مسعود أن أجلس بجانبه ليناقشني في أمور الجهاد، شخص زلزل الله على يديه الكفر، واهتزت من ضرباته الشيوعية كلها، وتطلبون مني تقييمه.. والله إني لأعتبر مسعود أعظم من نابليون، لأن مسعود هزم القائد الذي هزم نابليون وهو ((زاخاروف)) الروسي.. والله يا أخي عيب كبير أن نتقد الجهاد الأفغاني بهذه الصورة.. وعيب كبير أن نتهم رجلاً كمسعود بأنه عميل لفرنسا وأنه.. وأنه..!

أقلوا عليهم لا أبسا لأبيكم من اللوم أرسدوا المكان الذي سبوا

لقد رجعت من عند أحمد شاه مسعود قبل أربعين يوماً تقريباً، والله إنه ليسكن في غرفة بأحد الجبال مع عشرة من رجاله ووسط الثلج.. حياة لا يعلمها إلا الله.. والله حياة لا يصبر عليها إلا أفاض الرجال.. طعامهم دين.. وأجرة نقل طحينهم ونخاثرهم دين.. والله لقد قال لي مسعود بعد أن عاتبني بأدب قاتلاً: لعلك تظنني غنياً- لأنني لم أخذ له بيدي مساعدات-. وأضاف قاتلاً: هل تصدق يا أخي أن علي مائتي مليون روبية أفغانية ثمن طعام ديناً ((مليون دولار))، لإطعام هؤلاء الرجال، ومع ذلك:

ورأس الشعب مرتفع ومرج البذل متصل

فما ذل إلا باء بهم وما احتقى بهم نسل

والله يا أخي لا يعرف قدر الرجال إلا الرجال، والذي يزدد أماكنتهم يدرك من هؤلاء..

عكاظ: أول مدرسة لحرب العصابات، في الوقت الذي أجاد فيه أحمد شاه مسعود تنظيم وحداته العسكرية، وأنشأ ما سميت بمدرسة العصابات الإسلامية كأول ظاهرة عسكرية في العالم الإسلامي؟

الشيخ: نعم، أول مدرسة جهادية في حرب العصابات الإسلامية أنشأها هذا الشاب أحمد شاه مسعود.. وقد درس الكتب العسكرية كلها الخاصة بحرب العصابات، تجارب الفيتناميين، وهوشي منه، وكاسترو، وجيفارا، كلها درسها لأنها علوم (قد خلت من قبلكم سائر فسيروا..)، ثم بدأ ما يوافق أفغانستان بأسلوب منظم جداً.. والذين مع مسعود واسمهم ((باننا)) و ((كدا)) أميون لا يعرفون القراءة والكتابة، ولكن الروس يطلقون عليهم (جنرال باننا)، و(جنرال كدا) لأنهم ذاقوا على أيديهم الهزائم المريرة، وقد سألني عبدالله أنس مساعد مسعود إن كنا نستطيع توفير ألف روبية شهرياً (٢٠٠ ريال) كراتب (باننا) لأنه فقير لا يملك شيئاً، هذا هو الجنرال ((باننا)) أكبر القادة لدى مسعود.

أما عن قولك بأن أحمد شاه مسعود قد أوقف عملياته القتالية فأتساءل كيف؟ كيف وقد رأيت في سبتمبر الماضي أكثر من ألف آلية وديابة في وادي بنجشير وقد دمرت تماماً، مع العلم أن هذا الوادي قد مشطته روسيا مرتين قبل انسحابها من أفغانستان..! كيف وقوات مسعود تتولى السيطرة على أعلى منطقة يمر (سالانج) الشهير، وهو الطريق الرئيسي المؤدي إلى كابول، وتواجه يومياً آلاف الأطنان من القذائف والمتفجرات جواً وبراً من قبل القوات الشيوعية لاستعادة السيطرة على هذا الممر الاستراتيجي، ومنذ فترة استطاع مسعود ورجاله أن يغلقوا ممر (سالانج) بعمليات عسكرية ضخمة، ولكن أين الإعلام الذي ينصف الحقائق عن هذا الجهاد..؟ والله يا أخي إن مخالطة الأحياء حياة.. وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل نوره.

« تخار » حلقة من مخطط:

عكاظ: وعن حادثة تخار التي صنع منها الإعلام العالمي قضية عظمى لتشويه صورة الجهاد الأفغاني قال الدكتور عزام مريضاً الحقائق:

الآن يجب أن تعلموا أن المؤامرة العالمية هدفها شيء واحد، وهو عزل الجهاد الأفغاني عن الأمة الإسلامية لتبتله بصمت، وللعلم يا أخي فالحملات الإعلامية المعهومة التي بدأ يركز عليها الإعلام الغربي لتحطيم صورة هذا الجهاد بدأت تزداد في الفترة الأخيرة، ولن تكون حادثة «تخار» هي الأخيرة في هذا المسلسل، فقد نشرت الصندي تايمز منذ فترة مقالا عن وجود ثمانين ألف أرملة أفغانية في مخيم «ناصر باغ» أصبحن صيدا سهلا للشباب العربي ليقضوا شهواتهم منهن، لماذا يشاع كل ذلك عن الجهاد والمجاهدين؟!

ألا نفكر بعقولنا في هذا الخبث الذي يهدف لتقطيع الأواصر بين الإخوة؟! وإذاعة ال(بي بي سي) تبث يوميا تسع ساعات للأفغان بلغتي البشتو والفارسية، تثير النزعات بين القبائل، وتتهم المجاهدين بأنهم يسعون لحرب أهلية في بلادهم مع إخوانهم الأفغان الشيوعيين.. أية أخوة هذه التي تدعيها ال(بي بي سي)؟..!

هذا يا أخي غيظ من فيض عن المؤامرات العالمية الإعلامية ضد الجهاد والمجاهدين، علموا أن الحل العسكري ليس بأيديهم وأن الحل السياسي الماكر لا ينطلي على المجاهدين.. فبدأوا في نشر الفتن بطريقتهم المعروفة (فرق تسد)، والدنيا كلها اليوم تشتغل ضد الجهاد الأفغاني لتشويه صورته..!!

هذه حقيقة (تخار):

وأضاف الشيخ قائلا:

أما عن قضية تخار فتفاصيلها أمانة للتاريخ أروينا لكم بصدق كما حصلت، وكنت أول المطلعين عليها كالتالي:

منطقة -أربع قرى- يحكمها (سيد جمال وشقيقه)، وهؤلاء الإثنان إخوة، ولكن سيد ميرزا وهو الأخ الأكبر وهو القائد العسكري لهذه المنطقة، وهو رجل معروف بشراسته وتهوره، وهو شبه أمي، وكان لدى أحمد شاه مسعود دورة لقادة الولايات الأربع الشمالية: (بخشان-تخار-قندز-بغلان) من أجل أن يحدد لهم المعركة بعد عيد الأضحى المنصرم، وحددها في ١٨ ذي الحجة، وشرح لهم الخرائط والبوصلة، وبعد انتهاء الدورة عاد هؤلاء القادة معهم بعض المجاهدين كل إلى منطقته، وكان طريق كل هؤلاء يمر من نقطة التفتيش التي يسيطر عليها (سيد ميرزا)، وعند مرورهم بهذه النقطة طلب منهم النزول للتفتيش، وقال لهم: تعالوا معنا إلى المسجد، ويقوا هناك حتى جاء الليل، ففرقوا القادة عن المجاهدين في تصرف أهوج ليس له مبرر، وفي اليوم الثاني جاء مائة من العلماء لأمير المنطقة سيد جمال ونصحوه بعدم المساس بهؤلاء القادة، فوعدهم خيرا، ولكن في نفس اليوم نفذ حكم الإعدام في خمسة من هؤلاء القادة، وهذا العمل لا يقدم عليه رجل عاقل حتى ولو لم يكن عنده دين، ولكن سيد ميرزا معروف أنه مجرم، وفي نفس الوقت أحرق، لأن منطقته جزيرة في بحر مسعود.. فهو في منطقة «سد بورقان»، وتحيط به مناطق «طالقان» و«شكش» و«نماكا ووقار» وكلها تتبع لأحمد شاه مسعود، ويعجده أن علم العلماء بتصرفه هذا أصدروا فتوى بأنه قاطع طريق ويجب قتله، فقال مسعود: «سنحاصره ولن نقاتله، لأننا لو قاتلناه سنقتل الكثير»، وأعلن مسعود أنه لا يريد سوى القيص على سيد جمال وأخيه سيد ميرزا، فحاصروهم حتى لم يعد معهم سوى ثلاثة أشخاص منهم نور آغا وإثنان آخران هربوا من «سدبورقان» واختبأوا في داخل «طالقان»، فحاصروهم ثانية، وطلبوا منهم التسليم، ولكنهم رفضوا التسليم إلى أن جاء أحمد شاه مسعود وكان في (ورسج) إحدى ضواحي (فرخار) واستلمهم، وقال سنقدمهم للمحكمة الشرعية، وكنت أول المطلعين على هذه القضية، لأنني كنت بنفس المنطقة مع حكمتيار جالسين تحت شجرة نرتب عقد اجتماع بينه وبين أحمد شاه مسعود للتوفيق في بعض القضايا بينهم، فلما سمع حكمتيار بالخبر اسود وجهه وغضب، وقال لي: نحن مستعدون لتقديم سيد جمال وأخيه للمحكمة الشرعية، وهؤلاء الإثنان تابعان لحزب حكمتيار، وفي هذه الأثناء كلمت أحمد شاه مسعود وطلبت منه ترك سيدجمال الآن وتوجيه مجموعه لفتح إحدى المدن، فقال لي: لا أستطيع، فالمطالبون كثيرون، وهؤلاء القتل ليسوا من أهلي، والقضية تشعبت، وأصدر فيها أربعون علما رأيهم، وفي آخر الحكم قالوا إن طاعة مسعود ساقطة إذا لم يقتلهم، فكان حصارهم وتقديمهم للمحاكمة هو الحل، وإلى الآن لم يتم إصدار الحكم في القضية، وأنا أحد أعضاء اللجنة التي

شككت لدراسة هذه المشكلة

. إلى هنا توقفت مشكلة نخار التي قالت عنها إذاعة الـ بي بي سي وصوت أمريكا وغيرها أنها كانت مذبحة سقط خلالها أكثر من ثلاثمائة شخص، والله ما سقط ثلاثمائة ولا ثلاثون ولا نصف الثلاثين، بل هم خمسة أشخاص فقط. هذا كل ما في الموضوع عن قضية نخار التي ظل الإعلام الغربي (٧٨) يوماً يضخم فيها ويضيف عليها الكثير من الأكاذيب.

عكاظ: الوضع العسكري حول المدن المحاصرة وبالأذات العاصمة كابول لم يتغير منذ فترة طويلة، كيف ترون الأمور هناك؟
الشيخ: الوضع العسكري جيد والحمد لله، والحكومة محاصرة داخل العاصمة، واستطاع المجاهدون أن يكسروا حزامين أمنيين حول المدينة، نولة طريقها البري مسدود، طريق سالانغ مغلق، طريق قندهار هيرات مغلق، طريق كابول قندهار مغلق، طريق كابل جلال آباد شبه مغلق، طريق شريكار كابل مغلق، طريق بگرام كابل مغلق، نولة هكذا كيف تعيش...؟
وأيضاً معظم مطاراتها مشلولة، مطار كابول ومطار بگرام ومطار شنند ومطار قندهار، هم أناس يعيشون على الجمر الآن وأيامهم معدودة، وقد كنت داخل بنجشير قريباً، وكان التلفزيون ينقل مقابلة المزارعين لـ (نجيب) وهم يشكون له إغلاق الطرق إلى كابل ورغبتهم في بيع ثمارهم التي يعيشون عليها، فقال لهم: (أنا لم أغلق الطريق بل هؤلاء المجاهدون، ولا أدري لماذا يعمل البروفيسور سياف هذا بنا ويكم! ولماذا يصير المهندس حكمتيار ويوافق عليها، مع أن الروس خرجوا وأصبحت قضيتنا عاتية نحلها بيننا).

الغذاء هو المهم:

عكاظ: دخل موسم الشتاء، وكلنا يعلم صعوبة التحرك في الشتاء القارس الذي تشتهر به أفغانستان، ما هي خطة المجاهدين للمحافظة على المكاسب الحالية في ضوء انخفاض معدل الدعم بصورة شاملة؟
الشيخ: خطتنا حالياً هي توفير الغذاء للمناطق الساخنة حول المدن المحاصرة، وتخزينها طيلة فصل الشتاء للمحافظة على المراكز التي سيطرنا عليها، لأننا نخشى في حالة عدم توفر هذا الغذاء أن ينسحب المجاهدون إلى الخلف حتى ينتهي فصل الشتاء، فتبدأ عملية استعادة المواقع التي انسحبوا منها من جديد، ونحن نأمل الآن أن نسدد مبلغ مليون دولار لشراء طعام لتدخره للمواقع والخصائض الرئيسية حول كابول التي يسيطر عليها المجاهدون حالياً، وقد تبرع أحد التجار العرب بمبلغ (٤٠٠) ألف ريال، ولكنه أوقف الدعم بعد سماعة لحادثة نخار، كذلك نحن بحاجة لمبلغ مائتي ألف دولار لنقوم بنقل الذخائر وتموين المواقع الأمامية بها لفصل الشتاء حول كابول ولو بالدين، والله خزائن السموات والأرض سبحانه بيده مقاليد السموات والأرض وهو صاحب هذا الجهاد، وهو يسر ويسر وإلى يديه يرجع الأمر كله.

عكاظ: لا يزال نجيب يلعب بكل الأوراق لكسب اللعبة، إلى أي مدى نجح في ذلك؟

الشيخ: نجيب الآن قام بإدخال لواء كامل من الشيعة في جيشه الذي يدافع عن العاصمة كابول، وهدف خطته هذه واضح وهو استمالة الأحزاب الشيعية الثمانية في إيران، ونجيب مستعد لاتباع كل الطرق للمحافظة على بقائه مدة أطول، ولكن إلى أمة معنودة إن شاء الله.

إلى كل مسلم في الأرض^(١)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أيها الإخوة الأحبة:

لقد كان بودي أن أكون بين ظهرانيكم لأبلغكم رسالتي هذه فما لأنن، ولكن أما وقد عجزت الأجساد أن تلتقي فلا أقل من أن نيتكم أشجاننا، ونبلغكم أشواقنا لتشاركونا همومنا التي تاكل حياتنا وأعصابنا.

أيها الإخوة :

أوصيكم بتوثيق الصلة بالله، وإجلاله وخشيته في السر والعلن، وأوصيكم بكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى، وأوصيكم بكثرة الدعاء، إذ لا يرد البلاء والقضاء إلا الدعاء، وبالقُرآن الكريم تلاوة وحفظاً وتدبراً وفهماً، وأوصيكم بالأخوة

١- نُشر في مجلة الجهاد بتاريخ ١ رجب ١٤٠٥ هـ الموافق ٢٢ مارس ١٩٨٥م العدد الرابع.

الصادقة، والمحبة العميقة لكل مسلم، تبذلونها فتأسرون بها القلوب، وتلتقي عليكم النفوس، وأوصيكم بالسنتكم، فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، وعليكم بالصحبة الطيبة، لأن المرء يحشر مع من أحب، وأوصيكم بأن تبيتوا النية على الجهاد، فمن لم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق.

أيها الإخوة:

لقد أكرمني الله عز وجل أن أنور الجبهة .. جبهة (جاجي) التي تعرضت لهجوم الروس .. فأنحيت أن أكتب في صفحة أعمالي وفي طي كتابي ليالي من الرباط "ورباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل" ، وأرجو الله أن يتقبلها ونجدها في سجل أعمالنا يوم تبلى السرائر، والحمد لله لقد مني الروس بهزيمة كاسحة في هذه المعركة، فقدت سبعمئة قتيل ، بينما لم يفقد المسلمون سوى سبعة شهداء، والحمد لله لقد حاولت روسيا أن تسمد بضعا وعشرين طريقا موصلة من باكستان إلى أفغانستان كطرق للمجاهدين، ولكنها لم تحظ بنجاح واحد في سد طريق واحد .

أيها الإخوة :

إن المعركة شديدة، وتحاول روسيا أن تحسم هذه المعركة وتنتهيها، وهي تراهن على إنهاؤها منذ ثلاث سنوات، وما من مرة تضاعف قوتها فيها إلا وتكبدت خسائر أضعاف ما كانت في أعوام سابقة .

أيها الإخوة :

لا تظنوا أننا قد نسينا فلسطين ، فأرجاع فلسطين جزء من ديننا يجري في عروقتنا ويسرى في كياننا، ولا ذكرنا الله إن لم نذكر فلسطين، ولكني أعلم علم اليقين أن العمل في أفغانستان إحياء لروح الجهاد في نفوسنا، وتجديد للعهد والبيعة مع ربنا على مواصلة الطريق، وإن جلت التضحيات، وعظمت الخسائر، وبهضت التكاليف.

ولكن إذا كنا قد حرمنا من الجهاد في فلسطين بسبب الحدود ، وفرض القيود، وسجن الأسود بالأصفاد والأغلال، فلا يعني هذا أننا تركنا الجهاد، ولا نسينا البلاد.. إذ لا بد من الإعداد في أي بقعة من أرض المسلمين ، وأبشركم أن قضية فلسطين تعيش مع أرواح المجاهدين الأفغان، ولا تذكر فلسطين إلا وترى العبرات تنهمر على الوجوه المشرقة التي تردد بالسنة صادقة إن شاء الله (اللهم ارزقنا النصر في أفغانستان والشهادة فوق الأرض المباركة حول مسرى نبينا صلى الله عليه وسلم) .

أيها الإخوة :

إن المعركة تحتاج إلى مشاعر المسلمين تشارك، وجيوشهم تساهم، وطاقاتهم تبذل، وأيديهم تعمل .. تحتاج إلى عقول مفكرة، وأياد فنية عبقرية باذلة، وأرجل طالما انتصبت بالقيام لخالقها في جوف الليل، ومساعدة هؤلاء المجاهدين الصادقين إن شاء الله لا تضيق لا في الدنيا ولا في ميزان الله يوم القيامة .

أما في الدنيا، فهو إحياء لقضية المسلمين الأولى .. قضية فلسطين، وتجميع لطاقات المجاهدين فوق أرض المعمورة على قضايانا الإسلامية التي أصبحت نهبا مقسما بين الأسياد والعبيد، إذ المعركة التي يدور رحاها ضد الإسلام شديدة وتشترك فيها معظم أيادي الكفار .

يدبر رحاها ألف كسرى وقيصر وألف مدير للمدير مدير

لك الله يا أقصى تقنعت بأكيما وحولك عجل السامري يخور

وأما في ميزان الله يوم القيامة ، فوزن الجهاد ثقيل، وفي الصحيح (قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة).

وإن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما . النساء (١)

أيها الإخوة :

إن أرض الإسلام واحدة، وأمتكم أمة واحدة .. فاقبلوا على الله بخدمة دينه وحماية أرضه ورفع رايته، وابدلوا الخير بغيره ، إن الجهاد الأفغاني عل مغرق طريق وهو يعاني من قلة الإمكانيات، وندرة الطاقات ، ولقد نادينا طويلا نستنهض هم المسلمين .. نستحث خطاهم على القدوم .. فلم يستجب لنا إلا أفراد قليلون .

لم يعد هنالك عذر بعد أن فتح باب الجهاد، وأفتى أهل العلم بفريضة الجهاد فرض عين، وعلى رأسهم أصحاب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ حسن أيوب والشيخ سعيد حوى والشيخ عبدالله علوان والشيخ محمد نجيب المطيع والشيخ عمر أحمد سيف و..... الخ

أيها الإخوة :

إن الباب لازال مفتوحا، والفرصة لازالت سانحة لإقامة دين الله فوق بقعة أرض إسلامية اسمها (أفغانستان)، فإن سقط الجهاد الأفغاني لا سمح الله فالعالم الإسلامي كله مسؤول عن هذا السقوط، وعن تضييع هذه الفرصة الذهبية التي لم يمر نظير لها في القرون الأخيرة .

لقد أضعنا الفرصة في فلسطين، وما هي الفرصة تكاد تضيع في أفغانستان إن لم نتداركها بإذن ربنا .
إن المسؤولية التاريخية عظيمة، والفترة جد عصيبة، والزمن لا ينتظر، وعجلة الزمان دائرة، والوقت ليس في صالحنا ، ولا بجانبنا .

أقبلوا ولا ...

آلا هل بلغت .. اللهم فاشهد

أخوكم/ د. عبدالله عزام

بيشارد - ١٤٠٥/٦/١٧

الموافق : ٨ مارس ١٩٨٥

الرسالة الأولى^(١)

الأخ الحبيب أبا الجنيد البغدادي وإخوانه أجمعين حفظهم الله ورعاهم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

أبتهل إلى الله - عز وجل - أن يكلأكم بعين رعايته، وأن يحفظكم بعنايته ، وأن يسوق إليكم الخير ويرضيكم به ، وأن يحجب إليكم الإيمان ويزينه في قلوبكم، ويكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان، وأن يجعلكم من الراشدين .

إخوتي الأحبة:

إن مهمتكم هي الوقوف بجانب هذا الجهاد حتى يقضي الله أمره بالنصر - إن شاء الله - أو يرزقكم الله الشهادة ، إذ أن الجهاد فريضة العمر ، وإذا نصرنا الله في أفغانستان فإن جبهتنا - إن شاء الله - ستكون في فلسطين أو القليلين حيث يفتح الله علينا ، إذ أن فرض العين قائم في رقاب المسلمين حتى تحرد آخر بقعة كانت إسلامية في يوم من الأيام، وتعود إلى رحاب الإسلام، وترتف على راية لا إله إلا الله من جديد، وهذه مهمة عظيمة لا يحملها إلا الأفاضل من الرجال، لأنها أمانة كبيرة ميدانها الحياة كلها، ورحابها المعمورة بأسرها ، والمكلفون بها هم كل من خطبوا (يا أيها الذين آمنوا) .

إن ثواب الجهاد عظيم، ومقام صاحبه رفيع، إذ أن: (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها)، (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم قوما سواه من المنازل يتقام ليلها ونهارها) .

أما القتال فتوابه أعظم (قيام ساعة في الصّف خير من قيام ستين سنة) ، ومن مات مرابطا لم يختتم على عمله، ونمي له عمله إلى يوم القيامة ، ومن مات مرابطا أو مهاجرا فهو شهيد، وأن له الجنة (من وضع رجله في الركاب فأصلا فرقصته - ألقته - دابته أو لدغته هامة قصات، أو مات بأي حثف مات فهو شهيد وأن له الجنة) .

١ - نشرت في لهيب المعركة عدد (٢) ١ جلد، الأول عام ١٤٠٩ هـ - الموافق: ١٩٨٨/١٢/١٠م

- إلى أسير المجاهدين العرب في فارياب.

{وَمَنْ شَتَمَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَتَّعَ غَفْرَةً مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} آل عمران: ١٥٧.

ولكن المسيرة مريرة، والدرب شائك، والطريق مقروش بالأشلاء، مروى بالدماء، لا يصبر عليه إلا الصابرون،

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْهَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} (البقرة: ٢١٤).

والصبر على هذا الدرب المرير، وتجرع الفصص عبر هذا المأزق الكئود يحتاج إلى توكل على الله، ومجاهدة للنفس، وتقوية الصلة بالعلي الحكيم، من خلال النوافل، وقيام الليل، وصوم الإثنين والخميس، وكثرة الذكر، وتلاوة القرآن، وحفظ اللسان، ومراقبة الله - عز وجل - في السر والعلن، وحب المؤمنين، وتبديد التية على مواصلة الجهاد وطلب الاستشهاد، والتعاون مع المؤمنين على البر والتقوى، وموالة أولياء الله، ومعاداة أعدائه، والاطلاع على الكتب الشرعية، والوقوف عند الأوامر الربانية. والذنب سبب الهزائم:

{إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} (آل عمران: ١٥٥).

أيها الإخوة المجاهدون، أيها الأحبة الأفغان، أيها الأحبة العرب، لقد شرفكم الله بحمل رسالته يسوم أن تخلص الناس، وانتدبكم الله لحماية دينه بعد أن نكص الناس على أعقابهم، ويؤاكم ذروة سنام الإسلام بعد أن غرق الناس في مستنقع أسن يبحثون عن لقمة الخبز، ومتاع قليل، ونزوة الجنس، وسعار الشهوة، فكونوا حيث تحبون أن يراكم الله.

قد أهلك لأمر لو فطنت لسه فارياً بنفسك أن ترعى مع الهمل

وهذه المهمة تحتاج إلى عزيمة عالية، وهمة عالية لا تعرف الكلل، ونفوس لا يشمت لها الملل:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

يا أيها الإخوة الأحبة:

لم يبق على السفينة حتى ترسي شراعها على شاطئ الأمان في أفغانستان إلا غلوة -رمية سهم-، وقد لم نهار الجهاد في أفغانستان أذباله ليودعها إلى صقيع آخر إن شاء الله، فالتصر قريب:

{وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} (الروم: ٤-٥).

وحق الآن لنا ولجميع المسلمين أجمعين أن ينشدوا مع الشعب المجاهد الأفغاني:

سلوا عن سنيرتي فرسي وسيفي	ورمحي والهملة الدقاق
يكون لهم إذا غضبوا حساماً	والهيجاء حين تقوم ساقاً
فلا تستكرن له ابتساماً	إذا فحق المكرّ دماً وضاقاً
فقد ضمنت له المهج العوالي	وحمل همة الخيل العتاقاً
وإن نغم الصريخ إلى مكسان	نصن له مؤلة دقاقاً
فكان الطعن بينهما جواباً	وكان اللبث بينهما فواقاً
تبيت رماحه فوق الهوادي	وقد ضرب العجاج لسه رواقاً

أيها الإخوة:

ركزوا على القرآن مع الأفغان، وخبركم من تعلم القرآن وعلمه، وكونوا خير إخوة لهم، واعلموا أنكم جنود لقادتهم، فلا تنازعوا الأمر أهله، ورحم الله امرأ عرف حده فوقف عنده ولتكونوا (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين).

وعليكم بحب بعضكم وطاعة أميركم العربي، ثم أميركم الأفغاني الذي هو أمير أميركم العربي، وليكن أميركم العربي -أبو الجنيذ- صلة الوصل بينكم وبين قادة الأفغان، وإياكم والاجتهادات الفردية، فإن أكبر المصائب (هوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب كل

ذي رأي برأيه) . ونستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم عملكم .

أخوكم/عبد الله عزام

الرسالة الثانية^(١)

إلى أمير سرية حمزة بن عبد المطلب في فارياب على حدود روسيا .

أخي الحبيب أبا الجنيد.. إخواننا الأحبة في سرية حمزة بن عبد المطلب حفظهم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، وأصلي وأسلم على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم سيد المجاهدين وقائد الفر الميامين، الذي بعث بين يد الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، والذي جعل الله رزقه تحت ظل رحمته، والذي نصر بالرب مسيرة شهر، ورضي الله عن أصحابه البررة. الأظهر الذين يتردد ذكرهم مع ذكره ما بقي الليل والنهار، والذين بذلوا الغالي والرخيص، والنفس والنفيس لنصرة دينه وإعلاء شريعته، والذين قال فيهم صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) .

ولقد مضوا بالأجر والنصر . وكل من جاء بعدهم من التابعين بإحسان وإلى يوم الدين فمثل أجورهم يصل ذلك الرهط الكريم الذين نصرنا هذا الدين، وأنشؤوا واقعا عمليا في دنيا الناس، وترجموا القرآن والسنة سلوكا وأخلاقا، ونظاما وأدبا . فكان الواحد منهم كأنه مصحف يمشي على الأرض، يراهم الناس فيرون القرآن متمثلا بشخص من لحم ودم.

أيها الإخوة:

اعلموا أنكم طلائع أمة إسلامية عدادها ألف مليون مسلم، ورواد جيل قد أطبق الظلام عليه طويلا، وفرضت عليه القيود، وغلت أطرافه بالأصفاد، فأنتم وأمثالكم ممن يجددون للناس دينهم ، ويحيون الأمل في قلوبهم، ويجرون الدماء في عروقهم بعد أن جفت، وتبعثون الأمة من موات بعد أن استينس الصالحون، واستوحش المخلصون، وقل النصير لهذا الدين، وخلا مدرج السالكين إلى درب رب العالمين إلا بقية ممن أنجى الله بعد أن اتبع الذين ظلموا ما اتفوا فيه وكانوا مجرمين .

فحسبوا ليلتكم عظيمة، وتبعتمكم ثقيلة، وأمانتكم غالية:

قد أمكوك لأمر لم فطنت له فارياب بنفسك أن ترعى مع الهمل

ولذا لا بد أن تتركوا الطريق الذي فيه تسلكون ، والجادة التي على صراطها تدرجون، والعبء الذي بحمله تضطلعون. لقد بدأت بأمر تخلت عنه الأمم.. وسرتم في طريق تساقط على جوانبه القمم، ووقفكم الله لعمل لا يدانيه أي عمل من أعمال البر أو الخير، إنه ذروة سنام الإسلام، إنه الحصن الحصين الذي يأتي إليه هذا الدين، والركن الركين الذي يبرز إليه الإسلام [لقد أرسلنا رسلا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز] (الحديد: ٢٥)

فرب العزة أنزل الحديد من أجل نصرته ونصرة رسله، فلا بد من الحديد والبأس الشديد لإعلاء كلمة الله وإقرار التوحيد في الأرض، ولقد جعل الله الجنة تحت ظلال السيوف، فالزموا هذا الطريق، فهو طريق الفردوس الذي سلكه النبيون والصديقون والشهداء والصالحون:

{وكان من نهي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين} آل عمران ١٤٦-١٤٨.

بشبه

١ - نشرت في لبيب المعركة العدد ٢٥ بتاريخ ١١ جمادى الثانية ١٤٠٩ هـ - الموافق: ١٩٨٩/١/٢١ م.

لقد ارتقيتم مرتقى صعبا، وسلكتم طريقا شاقا مضنيا، وإذا فعندما جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبأيه على الهجرة فقال صلى الله عليه وسلم: (ويهلك إن أمر الهجرة شديدا) متفق عليه.

نعم إن أمر الهجرة شديد وشاق، إنه انسلاخ من الحياة بمتاعها وزخرفها، وتحطيم لأغلال الأرض وقيود الدنيا التي تشد المسلم إلى الأرض، وانطلاق من أوهام الضرورة، وارتفاع من حضيض المستقم الذي يفرق فيه كثير من الأنام .

أخي أبا الجنيد:

لقد استمعت إلى الشريط الذي أرسلتموه لنا، وكنت أصغي إليه أنا والشيخ عبد المجيد الزنداني والشيخ مصطفى مشهور، وكانت عينا الزنداني تترفان وهو يستمع إلى أحوالكم وإنجازاتكم . وسننسخ منه نسخا نرسلها إلى المسلمين لعلهم يحسون بما يعانیه أبناء ملتهم ، وما يكابده إخوان دينهم وشريعتهم . ستحاول أن ندبر لكم طبييا على الأقل، ونرسل إليكم الأنوات الطبية .

إخوتي الأحبة:

لقد ضرب الله مثلا بالشعب الأفغاني المسلم الذي أثر أن يسحق بين عجالات الدبابات، وتحت حجم الطائرات التي وصلت في الفترة الأخيرة طنين للقنبلة الواحدة، ولقد أثروا أن يدفنوا في حفر الصواريخ بكرامتهم من أن يعيشوا أمواتا وهم أحياء، ولقد بلغ وزن صاروخ سكود الذي يستعمله الشيوعيون خمسة أطنان ونصف، ويدمر دائرة قطرها كيلو مترا، ويحطم الزجاج في دائرة قطرها خمس كيلومترات و:

لا تحسبن المجد زقا وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

لقد ضرب الشعب الأفغاني المثال الحي لكل شعب أراد أن يحطم القيود، أو ينفض غبار الذل عن رأسه مهما كانت القوى والأسلحة التي تدمره و:

إذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

ومن أراد أن يسلك هذا الطريق فلا بد أن يعلم ضخامة التكاليف وفداحة الخسائر وأهوال هذه المسيرة . ولا تستطيع النفس البشرية بطاقتها المحدودة، وإنسانيتها الفانية أن تواصل السير على هذا الطريق إلا بتوفيق الله وتسديده ، وإمداد العظيم وإرشاده .

{واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون} (الحجرات:٧).

واستعذاب العذاب، وتذوق الحلاوة في مرارة المعاناة إنما هو توفيق من الله، ويدون تأييد الله لا يستطيع المرء مواصلة الطريق ولا تحمل تكاليفه .

✓ لقد أصبح الجهاد بحرا والمجاهدون هم سمكه، فلا حياة للسماك بدون ماء البحر، وكثير من المجاهدين الآن حائرون ماذا هم صانعون بعد النصر، ولا يمكن تصور حياة بدون جهاد

وكنت أصغي إلى شريطكم وتود روعي لو انفلتت من بين جنبي لترافق مسيرتكم، وتحوم فوق الربوع التي فيها تجاهدون، علم الله أن نفسي ما عادت تطيق أن تعيش في بيشاور، ولولا التكاليف التي لا يقوم بها غيري ما أطق أن أبقى هنا ، لقد تعلق روعي بالجبهات وبالسلاح وبالنزال وبالقناتل، وأما أنتم وأمثالكم فهنيئا لكم، ويحلو لي أن أردد لكم :

فدت نفسي وما ملكت يعني فوارس صدقت ليهم ظنوني
فوارس لا يهابسون المنايا إذا دارت رحى الحرب الزبون

بها الإخوة:

إذا أردتم مواصلة هذه المسيرة المريدة فعليكم بالإخلاص، وقيام الليل، وتلاوة القرآن، وصحبة الأخيار، وصوم الإثني.

والخميس، وطاعة الأمير، وحسن الخلق مع إخوانهم، وإصالة في أسيرة أسيريه وحياء المسكين، ولا بد من ربه في الجهاد، الذي رواه أحمد وأبو داود (الفرد غزوان، فأما من غزا أبعفاء وجه الله تعالى، وأطاع الإمام، وأنفق الكرم، وبأسر الشريك، واجتنب الفساد في الأرض فإن ثمره وثبه أجر كله، وأما من غزا فخرا ورياء وسعة، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض، فإنه لن يرجع بالكف).

أيها الإخوة:

اعلموا أنكم تجاهدون مع شعب كريم أصيل، فاحفظوا له مقامه، وارعوا حق الله فيه، وقد أبى أن يحني هامته أو يذل لأعدائهم الأرض، فكونوا لهم خير إخوة، واعلموا أنكم أهل هجرة وأهل نصرة، فأنتم مهاجرون وأنصار، ولكنهم أهل السابقة، وهم الذين فتحوا للعالم الإسلامي الطريق إلى هذه العبادة العظيمة (عبادة القتال وفريضة الجهاد)، فاحفظوا لهم هذه اليد لديكم ولدى العالم الإسلامي أجمع، فهم كمن بنى مسجدا لقوم حتى يقيموا فيه جمعتهم وجماعتهم، فمن الإسائة بمكان أن يأتي الناس المسجد ليقتابوا بانيه وينهشوا لحمه ويلمزه ويتبعوا عوراته ويتسقطوا هوائه، ورحم الله امرأ عرف حده فوقف عنده، فهم أهل البلاد أصلا، ونحن نزلنا ضيوفا عليهم، وللضيف أداب أن لا ينازع الأمر أهله، وأن لا يعكر عليهم صفوهم .

فأميركم دائما هو أمير الجبهة التي بها تتولون .

ولا تقيسوا هممكم ونشاطكم بنشاطهم، فهم بدأو قبلكم بسنوات عشر، فإذا أمضيتم عشر سنوات في الجهاد فعندها يمكنكم المقارنة بين عزيمتهم وعزيمتكم، وشوقكم إلى الشهادة والقتال وحماسهم .

أيها الإخوة :

أكثرنا من شكر الله على إنعامه عليكم بأن أرسلكم إلى أرض الجهاد، حيث يتصيب الأجر عليكم، أجرا إن أخلصت النية واستقام العمل، ولا يمرن على خواطركم لحظة أن لكم فضلا، فالفضل منه وإليه، ورحم الله شيخ الإسلام حيث كان يقول : (ليس مني شيء، وليس لي شيء، وليس في شيء).

(فلم تعلموهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) الانفال ١٧.

أخي الحبيب أبا الجنيد:

أوصيك بإخوانك خيرا، فارق بهم، ولا تعرضهم إلى المهالك، كونوا في معارككم مع الأتقان، ولا تكونوا جميعا في الصف الأول، وعندها فمن كتب الله له الشهادة فهنيئا له برزق الله والجنة .

ورالله إن المحروم من وصل إلى أبواب الجنة ثم عاد من أبوابها، أو طرد ومنع من دخولها، فهنيئا لمن رزقه الله الشهادة، وزوجه اثنتين وسبعين حورية، وشفعه الله بسبعين من أهل بيته، إنها ثواب فماذا يفلسها سوى الشهادة؟!

أبا الجنيد وإخوانه:

لا تنسو أنكم عرب مسلمون قدمتم لنصرة إخوانكم المجاهدين وإصلاح ذات بينهم، فإياكم أن تكونوا طرفا في أية قضية، بل كونوا مفاتيح للخير مغاليق للشر، وفي الحديث الحسن الذي رواه ابن ماجه: (إن من الناس تاسا مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس تاسا مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعله الله مفاتيح الخير في يديه، وويل لمن جعله الله مفاتيح الشر على يديه).

وذكروا الإخوة المجاهدين بأخوة الإسلام التي تجمع بينهم، والتي تحرم عليهم دماءهم وأموالهم وأعراضهم، فلا تحل غيبتهم، ولا يجوز أن يتم أحد على أحد، ولا يسخر منه، ولا يظن به إلا خيرا، وفي الحديث الصحيح: (قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا) رواه النسائي

وفي الحديث الصحيح الآخر الذي رواه الترمذي والنسائي:

(يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته رأسه بيده، وأوداجه تشعب دما، فيقول يا رب سل هذا فيم تقتلني؟ حتى يذنيه من العرش).

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي:

(لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله -عز وجل- في النار).

وحذروهم من الغلول، ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري:

(كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة، فمات، فقال صلى الله عليه وسلم هو في النار، فذهبوا ينظرون إليه فوجدوا عبادة قد غلها).

وفي الصحيحين (بينما مدغم -غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم- إذا سهم غائر (لا يدري من رماه) فقتله، فقال الناس هنيئا له الجنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (كلاء، والذي نفسي بيده إن الشملة^(١) التي أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المغائم تشعل عليه نارا).

فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (شراك^(٢) من نار أو شراكان من نار).

وأعلمهم: أن أكل الطعام من الغنائم ليس غلولا، ففي البخاري (كنا نصيب في مغازينا العسل والحطب فنأكله ولا ترفعناه) وهذا محل اتفاق الفقهاء الأربعة على جواز الأكل من طعام الغنائم قبل القسمة، ولا يشترط استئذان الأمير في أكل الطعام من الغنائم، ويجوز ركوب النواب ولبس الثياب واستعمال السلاح من الغنائم دون إذن -عند الحاجة- ثم يرجعوها.

قتل الشيوعي:

وأخبرهم أن قتل الشيوعي الأسير وإن تاب جائز، وهذا راجع إلى الإمام، لأن الشيوعي زنديق ويجوز قتله تاب أم لم يتب .
وأمر الأسير راجع إلى الأمير: إن شاء أطلقه، وإن شاء فاداه أو بادل به بغيره من الأسرى .

وأما قتل الجاسوس الشيوعي:

فجائز باتفاق الأئمة الأربعة، أما قتل الجاسوس المسلم فيرجع أمره إلى الأمير، فإن كانت المصلحة في قتله يقتل اعتمادا على رأي الإمام مالك وابن القيم، وإن كانت المصلحة في تركه فيترك حسب رأي الأئمة الثلاثة .

هديه صلى الله عليه وسلم في تقسيم الغنائم:

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أظفر بعونه أمر مناديا فجمع الغنائم كلها، فبدأ بالأسلاب (من قتل قتيلا له عليه بهنة تله سلبه) فاعطاها لأهلها، ثم أخرج خمس الباقي فوضعه حيث أراه الله، ثم يرضخ من الباقي لمن لا سهم له من النساء والصبيان والعبيد، ثم قسم الباقي بالسوية بين الجيش، والرضخ: إعطاء قسم للأولاد الصغار دون مقدار السهم.
وكان ينقل من صلب الغنيمة بحسب ما يراه من المصلحة (والنقل تخصيص بعض المجاهدين بزيادة عن سهمه بسبب بلائه في الحرب أو عمله عملا جليلا).

أخي أبا الجنييد:

سلامي إلى روحكم الطاهرة، وإلى إخوانكم جميعا، وأمل أن لا تنسوننا من الدعاء بالاسم، وأوصوا المجاهدين أن يدعوا لي

(٢) الفراك - رباط الحذاء .

(١) الشملة - الإزار

باسمي، وسلامي إلى كل القادة عندكم، ابتداء من مولوي محمد يوسف، وعبد الكريم، وانجنير نسيم، وعلاء الدين، وجميع الإخوة المجاهدين عندكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ونستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم عملكم .

أخوكم / عبد الله عزام

١٤٠٩/٦/٨ هـ - ١٤٠٩/١/١٥ هـ

الرسالة التي وجهها الدكتور عبد الله عزام

إلى الأخ / أحمد شاه مسعود (أسد الشمال) بعد عودته من شمال أفغانستان

الأخ / الحبيب أحمد شاه مسعود حفظه الله ورعاه....

أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، وأصلي وأسلم على نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين وتابعيه

بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

أيها الأخ العزيز: لقد من الله عليك بتوفيق لم يحظ غيرك به إلا القليل، ولقد كان التأييد الرباني والتسديد الصمداني الذي واکب مسيرتك وحالف جادتك طيلة السنوات الماضية التي قاربت عقدا ونصف أكبر دافع لك أن تشكر نعماء وأن تذكر آلامه، (وليس منك وليس لك شيء) إنما هو من الله وإلى الله:

(ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبدوه وتوكلوا عليه وما ربك بغافل عما تعملون) سورة: ١٢٣

(قل من يبدد مملوكات كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل فأنى تسحرون)

المؤمنون: ٨٦-٨٩.

(إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) يس: ٨٢.

أخي الحبيب:

إن لله سنتا وقوانين تجري على خلقه أودعها الله - عز وجل - في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذه القوانين لا

تتغير ولا تتبدل، ومن هذه القوانين:

(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) محمد: ٧.

ومن هذه القوانين كذلك:

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) الانفال: ٦٠.

فالإعداد يؤدي إلى رهبة العدو، وقد أخذت من هذه القوانين بطرف، فأعطاك الله ثمار هذا الاتباع .

لقد أعددت فرهبك أعداؤك، وهذا فضل من الله ونعمة، ومن هذه القوانين:

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) الانفال: ٤٦.

فلا بد من الانتباه إلى هذا القانون، خاصة ونحن على أبواب كابل ننتظر النصر أن يقتزل من عند رب العالمين، فحاول ما

استطعت أن تنسق مع إخوانك، وأن تلتقي معهم على قاعدة مشتركة، وإياكم من الاختلاف الذي يؤدي إلى ضياع ثمار جهادكم،

وذهاب قوتكم، وتشتت شألكم وجمعكم : وإياك إياك من الانفراد بحل القضية، أو الاستئثار بفتح كابل، أو التفرّد بالفنائم، فهذا يورث

العداوة، ويجعل البلد كلها على فوهة بركان، وإن إخوانك يرون أنك قد غيبتهم حقهم، وبغيت عليهم، وإنما يكثر الخلاف على الفنائم

(١) من أكبر قادة الجمعية الإسلامية على الإطلاق (الشيخ رباني).

بعد النصر، (والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا).

وإنما يكثر التحاسد والتباغض والتنافس عندما يكثر المال، ويفيض الخير، وتسيل الغنائم، وإذا كان أهل بدر قد اختلفوا على الغنائم فما بالك بقومك الذين لم يحفظوا بقسط والحر من التريبة ولم يجنوا اليد الحانية الراعية المعلقة لهم؟! قال عبادة ابن الصامت رضي الله عنه (نزلت فينا أصحاب بدر حين اختلفنا وساعت أخلاقنا، فنزع الله الأنفال من أيدينا وجعلها لرسول الله ﷺ فقسمها على بواء - يعني السواء -) (١).

أخي العزيز :

لقد كان للزيارة التي قمنا بها إليك أطياف الأثر وأعماق في قلوبنا ولقد تركت في أغوار نفوسنا ارتياحا كبيرا، وفي صدورنا انشراحا عظيما.

ولقد وقفنا على آثار جهادكم المبارك في بنجشير خاصة، فأدركنا الجهد الكبير والعناء العظيم الذي كابدتموه في مواجهة الروس، وما كان إذلال روسيا وهزيمتها إلا بفضل الله العظيم ثم بأمثال هذه الجهود الضخمة التي بذلت منكم ومن إخوانكم المجاهدين في أنحاء أفغانستان كلها .
فما اقتربتم من النصر إلا على بحور الدماء، وما ارتفعتم إلى قمة المجد إلا على تلال الأشلاء وجبال الجثث والجماجم والشهداء .

ولا يبغي المالك كالأضحايا ولا يدني الحقوق ولا يحق
ففي القتلى لأجيال حيياة وفي الأسرى ندى لهم وعشق
والحرية الحمراء باب بكل يد مضرحة يسبق

أخي الحبيب:

وكان من أعماق ما رأيت أثرا في نفسي تلك الفتنة الطيبة التي جمعتها حولك، والصفوة الفاضلة التي أوكلت إليها كثيرا من أعمالك مثل أرينبور وسارنوال محمود، ووكيل بسم الله، وسيد يحيى ومسلم وقبلهم بانا وجادا، وده عبدالله وده عبد الرحمن، وأمير مجاهد وسرمعلم طارق وإكرام الدين، والكثيرين ممن رأيت حولك وتعلق القلب بهم، ولا يتسع المجال لسرد أسمائهم كل واحد باسمه، ولا أنسى شاه محمد والي طالقان، وتاج الدين حارسك .

أخانا العزيز :

نوصيك أيها الأخ الحبيب بتقوى الله، وتلاوة القرآن، وحب الصالحين، وحفظ اللسان، والصبر على إخوانك، ودع أذاهم، ونوصيك بحسن الظن بالمسلمين، وبالإخلاص لله في كل حركة وكلمة وضربة وتقدم، ونوصيك بقيام الليل، وصيام الإثنين والخميس، وكثرة الذكر، ولا تنس أيها الأخ العزيز الهدف الذي قمتم من أجله منذ اليوم الأول، ولقد ذكرت لي وأشهدت الله على قولك (أنكم ما تمتم إلا لله - عز وجل - ومن أجل نصرته الإسلام، ورفع راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وذكرت أننا ما قمنا حتى لتحرير أفغانستان، ما قمنا إلا لله ولدينه، ثم ذكرت أننا لو قمنا لغير الله ما استطعنا أن نبذل هذه التضحيات ولا أن نحتمل هذه الخسائر)، فليبق الهدف - الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا - نصب عينيك، وإياك إياك أن تتجاوز الهدف أو تتنازل عنه وأنت ترى بعض المتسابقين على الدنيا:

(فأصبر إن وعد الله حق ولا يستخفئك إلا الذين لا يؤمنون) .

ولا يعملنك ارتكاب الآخرين لمخالفات شرعية أو لتجاوزهم لأوامر ربانية أن تفعل كما فعلوا، ولا يحدثن هذا عندك رد فعل فتقابل السيئة بالسيئة وتتنازل عن مبادئك، فإن الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن، ولكن وخنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا إن تجتنبوا إساءتهم.

إنني لأعلم صعوبة الموقف في داخل أفغانستان وفي مثل هذه الظروف، والكل يحمل السلاح بيده، ولكنك قد صبرت عشر

(١) براء الاسام احمد وهو صحيح.

سنوات فليكن فوقها عشرة أشهر .

إن هذا الجهاد الإسلامي قد قام منذ اليوم الأول لإقامة دولة إسلامية، وهذا هو الصواب الشرعي الذي يجب أن تنصب له جهود المسلمين عامة وجهود الجهاد الأفغاني خاصة، لأن الله - عز وجل - يقول:

(وَأَن أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَأْتِزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَعَلِمَ أَنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) المائدة: ٤٩.

يقول عز من قائل:

(فَلَا وَبِكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحْكَمَوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلَمُوا تَسْلِيمًا) النساء: ٦٥

ولقد أجمع الصحابة على وجوب تنصيب الخليفة أو رئيس الدولة الإسلامية، حتى أنهم قدموه على دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واعلم أيها الأخ الحبيب:

أنه لا بد للناس من حاكم يحفظ الثغور، وينفذ الحدود، ويرتب السرايا والجنود، ويقسم المغانم والفيء، ويحفظ أموال الناس وديارهم وأعراضهم حسب الشريعة الإسلامية، وإقامة العدل، لأن إنزال الكتب وإرسال الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ما كان إلا لإقامة القسط.

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) الحديد: ٢٥.

بل ما خلقت السموات والأرض إلا بالحق وإقامة الحق، ولقد قال شيخ الإسلام: (إن دولة الكفر العادلة تعمر وتبقى أكثر من الدولة الإسلامية الظالمة) .

ولقد حذر الله - عز وجل - من البغي والظلم، وإن انفراد أي قائد بمحاولة إقامة دولة إسلامية فانه ولو فرض جدلا أنه نجح في إقامتها فإن هذا افتراء على الآخرين وتعدياً عليهم. فهناك قادة كثيرون بذلوا الغالي والرخيص والنفس والنفيس من أجل حماية المستضعفين في الأرض في أفغانستان.

(وما لكم لا تتفكرون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيراً) النساء: ٧٥

وكذلك هنالك العلماء وأبناء الحركة الإسلامية الذين صبوا جهودهم ودفعوا كل ما يملكون من أجل رؤية دين الله منتصرا في أفغانستان.

واعلم أيها الأخ الحبيب:

أن أقصر الطرق للوصول إلى إقامة دين الله في الأرض هو التنسيق بين الإخوة المجاهدين لدخول كابل، وتأمين أعراض الناس وأموالهم وديارهم وعدم ترويعهم.

فحاول ما استطعت، وبذل غاية جهدك في الوصول إلى حل مشترك بين القادة الذين يؤمل فيهم الخير، وملكون من وسائل القوة ما يستطيعون أن يسهموا به في إسقاط الحكم الكافر الشيوعي وإقامة الشرع الإسلامي مكانه .

ونحن ننصح أخانا الحبيب أحمد شاء أن يطلع أمير الدولة فيما لو التقى أهل الحل والعقد على رجل منهم ونصيره رئيسا للدولة الإسلامية، ونحن نحب لكم أن تضربوا المثال الرائع الحي في تجسيد أخلاق المجاهد الحق الذي قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، والذي لا يقدم أهواءه على الشرع الحنيف، وضع نصب عينيك تلك الكلمة الخالدة التي سطرت في جبين الزمن والتي أطلقها سيف الله المسلول خالد: (أنا لا أقاتل من أجل عمر)، وإذا فشل العلماء والعقلاء والمجاهدون أن يصلوا إلى اختيار ثقة من بينهم

ليكون أميراً للمؤمنين وحارساً أميناً للشرع الحكيم فعندها يأتي دور القادة أمثالك أن يتعاونوا وينسقوا من أجل الإطاحة بنظام كابل ثم إقامة شرع الله في أفغانستان.

وإذا بذل القادة المخلصون جهودهم للتعاون والتنسيق فيما بينهم، ثم فشلوا بعد ذلك، وفشل القادة بعدها في إسقاط الحكم الشيوعي، فهذا لابد من الانتظار فترة معقولة، ثم استفتاء العلماء في أمر الإقدام على إسقاط الحكم الشيوعي، وإقامة دين الله في الأرض، الذي ترنو إليه عيون المسلمين في المعمورة، وتهفو إليه قلوبهم، وتتطلع إليه نفوسهم .

أيها الأخ الحبيب:

عليك أن تصبر إخوانك المجاهدين من حولك ومن تليق عليهم من مغبة الولوغ في دماء المسلمين وتلوّث الذمة بنجيتهم .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي والنسائي: (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم) .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: (من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا) .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود وابن حبان والحاكم وصححه ووافقه الذهبي:

(كل ذنب عصى الله أن يغفره إلا من مات مشركاً أو نزل مؤمناً متعمداً) .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري:

(لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً) ، وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي (لو أن أهل السماء

والأرض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله - عز وجل - في النار) .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود:

(من قتل مؤمناً فاعتبط بقتله لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً) .

ومعنى لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً لا يقبل الله منه فريضة ولا نافلة .

وحذر إخوانك من الغلول، ففي صحيح البخاري عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: (كان على ثقل رسول الله صلى

الله عليه وسلم رجل يقال له كركره فمات، فقال صلى الله عليه وسلم لى: هو في النار، فلهيوا ينظرون فوجدوا عبادة قد غلبها) .

وفي صحيح البخاري:

(أن «مداعماً» - غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم - قتل وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الناس هنيئاً له

الجنة، فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريكم: أن الشملة التي غلبها يوم خيبر لتشتعل عليه ناراً) .

وأعلمهم: أن الأكل من طعام الغنيمة ليس غلواً، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا نصيب في مغازينا العسل والعنب

فناكله ولا نرفعه) ^(١)

أخي الكريم :

إن قلوب العالم كله متعلقة بكم، وكل عيون المسلمين في الأرض ترنو إليكم، ونفوسهم تهفو اليكم، ولقد أمسك التاريخ قلعه

والتقط أنفاسه وينتظر ماذا يسجل بعد هذه المآثر التي أشرقت بها صفحاته، والتضحيات الجليلة التي توجت وتابعت ثيابه (قديمه)،

وإن عجلة التاريخ الآن تقف على مفترق طريق تنتظر أين تدفعها أيديكم، لقد كان الجهاد الأفغاني نداء القرون، وصوت الملايين المعبر

عن الاملهم، والناطق بأهاتهم، والمجسد لآمالهم، والمواسي لأحزانهم.

ادفعوا عجلة التاريخ نحو الحق والإسلام، وواصلوا زحف جنود الله لرفع راية الإيمان، ولعل الله يقيم في أفغانستان شريعت،

ريمضي رايته بعد هذا النصر المبين الذي من به رب العالمين عليكم، (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز

(١) رواه البخاري.

الرحيم) وتوصيك بمواصلة تربية جندك وتدريبهم ورفع مستواهم الإيماني والعسكري والثقافي، ونستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم عملكم .

أخوكم / عبدالله عزام

الأربعاء في الثاني عشر من جمادي الآخر سنة ١٤٠٩ هـ
الموافق للخامس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٨٩ م

رسالة إلى أنصار الجهاد الأفغاني

أخي الحبيب :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبتهل إلى الله أن يجعل ما تعمله لصالح الجهاد الأفغاني في ميزانك يوم القيامة، وأن يرزقنا وإياك الإخلاص والاستقامة ، وأن يحبب إلينا الإيمان ويزينه في قلوبنا، وأن يكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وأن يجعلنا من الراشدين .
ولقد صبح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (الدال على الخير كفاعله)، فهنيئاً لمن جعله الله مفتاحاً للخير ومغلاقاً للشر، وتيسر امرئ نكس على وجهه ومشى القهقري وصار مفتاحاً للشر .

أيها الأخ الحبيب :

إنه عار على أمة أن يكون بعض بنيها يكتبون تاريخها بالدم ومع ذلك لا تقدم لهم الأمة قيمة الضمادات التي توقف نزيفهم، من الإثم على أهل ملة أن يكون إخوانهم درعا لدينهم ودفئاً لملتهم وشعاراً لعزتهم ومع هذا فإن أبناء ملتهم لا يقدمون لهم ثمن الطعام، ولا يوفون لهم بقطعة الكساء التي تستر عورتهم وتقيهم شر القر والحر، ويلقمة الغذاء التي تملأ بطونهم، وتعينهم على القيام على أقدامهم .

ولقد مر عليّ شاة سليمان من بنجشير شاب في نضارة الشباب وفورة في الحماس وقد أسقط خمس طائرات في يوم واحد وبالروايات الصحيحة وأصيب في الجهاد، ومع هذا مرّ يطلب ثمن النواء وأجرة الطريق إلى الطبيب فلا يجد يداً حانية تدفع، ولا صينا صادقة تدمع إلا من رحم الله وقليل ما هم .

فكم من الأرجل قد قطعت لأنها لا تجد الحذاء الذي يقيها غصة الثلج ؟

كم من المجاهدين يبارون ماء المزن طهارة وصفاء تجمدوا فوق الجبال لأنهم لا يجدون غطاء يحميهم من الثلوج التي تأتي النوبان في ذرى الجبال معظم العام ؟

وكم من أيم قتل زوجها، وثاكل فقدت وحيدها باتت طارية لا تجد من يتفقدتها ليؤنس وحشتها ويسد جوعتها؟

ماذا على المسلمين لو دفع كل واحد منهم لإعادة بناء دين الله في الأرض من جديد قدر مصروف أبنته الصغيرة في الابتدائية؟

ماذا على المسلم لو حسب الجهاد الأفغاني كطفل من أطفاله، وكأحد أبنائه، وحسب له نفقة كفرد من عائلته ؟

ماذا على المسلمين لو أخرجوا عاماً واحداً تغيير نوع السيارة التي يركبونها ؟ أو تجديد غرف النوم أو طاقم صالة الضيوف التي بها يستقبلون ضيوفهم، وقد يلجها والج في الأسبوع مرة بل في الشهر مرة أحياناً ؟

ماذا على المسلم لو اكتفى بثياب السنة الماضية وجعل ثمن البرزة الجديدة ليكتسي بها يوم القيامة ثياب منسدة واستبرق ؟

هلا اكتفى المسلم بحدائين في السنة أو بثوبين في العام وجعل البقية في الميزان الذي لا يخس شعيرة ولا تظلم فيه نفس شيئاً؟

تموت الأسد في الميدان جوعاً ولحم الضأن تاكله الكلاب

أيها الأخ الحبيب :

إن أئوف المسلمين الذين تهتمهم قضايا العالم الإسلامي تتأطع السحاب عزة، وتيارى الجوزاء شموخا وتبها وفخرا بأخبار قوم دفعوا الغالي والرخيص والنفس والنفيس في سبيل الله، محافظة على دينهم، وصيانة لأعراضهم، وحماية لمجدهم .

لا أبعد الله عن عيني غطارفة جئا إذا ركبوا إنسا إذا نزلوا

إن الناس يسمعون كل يوم على شاشة التلفاز أو من خلال أجهزة البث المتطورة والمسموعة والمقروعة ما يشج الصدر ويريح القلب، ولكن أيمد أحدهم يده إلى جيبه ليخرج مصروف يوم في الأسبوع يساهم فيه لتأسيس قواعد المجتمع الإسلامي؟! إن الصحف لتكتب يوميا عن تنازل اللب الروسي من كبريائه وشموخه المتورم، ونزوله على رغبة المجاهدين بعد أن جثا على ركبتيه، وانهزم ذليلا كليلا حسيرا ، ونصر الله عبده وهزم الأحزاب وحده .

أبى الله للشم الأنوف كأنهم واربم يجلوها بكابل صقيل

ولكنهم ينتشون فرحا ويكاثون يطيرون نشوة، أيسألون أنفسهم كم من الأعين الباكية من خشية الله في أعماق الخنادق ندت من أمانها ؟

كم من الأرجل المتوضئة طارت مع شظايا الألغام وهي تقتحم جحور الكفار؟

كم من الأيتام خلفوا على أثر كل اقتحام ؟

فإنني قد طربت وطار شوقي طراد الخيل عارضة الرماح

أيها الأخ الحبيب :

إن حاجات المجاهدين قد تضاعفت باشتداد المعركة واضطرار لهبيها ، وعلم الله أننا صرنا نستحي أن نقابل كثيرا من المجاهدين وهم يطلبون البطانيات التي تقيهم من شر البرد ، وصرنا نتوارى خجلا من طلبات المجاهدين التي تراها ضرورية ملحة ولا نستطيع أن نلبي بعضها مع أنهم حول المدن يريضون كأسد الشرى وقد خرجت تطلب فرائسها بعد أن عضها الجوع بنابة .

كأن الطلباء معا لزمنا أكفهم مخالبيهم أو من فيهم جوارح

كفالة الأيتام :

لقد أعار المسلمون بعض الاهتمام لكفالة الأيتام، وهذا عمل جليل ذو ثواب جزيل (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأعار بأصبعه) في الصحيحين. ولكن المسلمين قد أعطوا كشحا وضربوا صفحا عن المجاهدين الذين يصنعون تاريخ هذه الأمة من جديد، وكأن الشاعر يتألق بذكرهم ويتغنى بمدحهم:

ويعطى القنا الخطي في الحرب حقه ويربى بحد السيف عرض المناكب

فلماذا شل كف البذل؟:

أعلى أبواب النصر غلت الأيدي، وكفت أكف الندى، وقدر العطاء وقل السخاء؟ وطبيعة النفس خلاف ما جرى، فالنفس إذا ترى بوارق الأمل، وتلمع رؤس البيض والأسل فإنها تزيد في العطاء أملا بمردود الثمر والجناء، وطمعا في الحصاد الطيب وعطر الشتاء .

ألم يعد الله عز وجل أن يثيب على الدرهم في سبيل الله بسبعمئة درهم:

(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء . والله

واسع عليم) (البقرة: ٢٦٦)

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من احتبس فرسا في سبيل الله إيماناً وتصديقاً بوعده فإن شعبه وريده وروثه في ميزانه يوم القيامة)، (وإن فرصه ليست بطوله^(١)) وتكتب له الحسنات .

أخي ناصر الجهاد وحبيب الجلال وناصر المجاهدين - ياذن الله - اصبر قليلاً فالنصر صبر ساعة ، لا تدعنا على أبواب كابل وتنكص عنا ، فقد تفوتك مشاركة المؤمنين فرحة النصر لعين الله .

أخي الكريم :

ألم تعلم أن الطريق الموصل من روسيا إلى كابل من حيرتان على نهر جيحون في ولاية بلخ حتى خير خانة - الجزء الشمالي من كابل - بيد المجاهدين ، وأنه لا تدخل شاحنة قمع إلى كابل إلا بإذن المجاهدين، وعندما أثت كابل تحت وطأة الجوع وثقل الفاقة حتى نفع صراخ الناس في كابل سمع المجاهدون للشاحنات التي تحمل الغذاء لون السلاح أن تمر من سالنج ولكن تحت أعلام الأمم المتحدة، ونكست روسيا أعلامها، وأشرعت أعلام الأمم المتحدة لتدخل بعض الغذاء . ألم تعلم يا أخي بضربات قندهار وفتوح طالقان ، ورحوف بدخشان ، وأسود بنجشير ، وليوث كابل وبغمان ؟

أخي الحبيب :

لا نخذلنا في نهاية الطريق:

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) آل عمران: ٢٠٠.

أخوكم/الدكتور عبد الله عزام

رسالة إلى أمير المجاهدين العرب في شكرة (كابل)^(٢)

أخي الحبيب أبا على المالكي وإخواني الأحبة ممن يشاركونه مسيرة الجهاد في شکردرا (كابل) السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

أرجو الله أن يتقبل جهادكم ورباطكم وهجرتكم وإعدادكم ، وأدعو الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم الاخلاص والاستقامة وأن يلهمنا السداد والرشاد، وأن يوفقنا لخير الدين والدنيا والآخرة إنه سميع قريب مجيب .

أخي الحبيب :

ما كنت أعلم أنكم رغم صغر سنكم وقلة تجاربكم وندرة تنقلكم أنكم ستحققون هذا الخير الكبير، وتصبرون هذا الصبر الطويل، ولولا توفيق الله وتأييده ما كنتم تستطيعون الصبر على هذا الشعب مع اختلاف العادات واللغة والبيئة وتباين المسافة والزمن:

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم) (النور: ٢١).

(ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون [الحجرات: ٧.

إن نعمة الرباط فضل عظيم يمن الله به على من يشاء من عباده ، كيف لا واليوم بألف يوم ، وخبر من صيام شهر وقيامه ، ومن مات مرابطاً لم يختم على عمله، وأمن الفتان، وأعماله تضاعف ، وأجر الهجرة عظيم: (من وضع رجله في الركاب فأصلا فرقسته دابته أو لدغته هامة لمات ، أو مات بأي حلف مات فهو شهيد وإن له الجنة)^(٣).

واعلم أن القدرة على الاختلاط بالناس والصبر على أذاهم منة كبرى يتفضل الله بها على من اصطفاهم من عباده لحمل دعوتهم وتشريدته: (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المومن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)^(٤).

وكذلك اعلم على أن الذي استطاع أن يعيش مع أحزاب مختلفة دون أن يتحيز أو يتعصب فهذه نعمة كبرى من الله عز وجل،

١- نشرت في لبيب المعركة عدد (٥٤) بتاريخ ٢٩ شوال ١٤١٠ هـ - الموافق ٢ يونيو ١٩٨٩ م.

٢ - يستن بطوله . يلعب بحبله . ٣ - (حديث صحيح) ٤ - (حديث صحيح)

فإذا ساق الله على يديه الإصلاح بينهم، وساق الله على يديه إصلاح ذات البين فهو خير من الصلاة والزكاة ، لأن (فساد ذات البين هي الخالقة، لا أقول تخلق الشر ولكن تخلق الدين) .

والحق أن الجميع مسرور منكم لما يرى من سهولة تحرك العربي في شكر درا، مع حبهم له وتقديرهم الكبير لجهوده . ولقد وفقكم الله في مكان ليس فيه خلاف، وألقى عليكم الصبر فأحبكم الناس واحتفوا بكم .

إخواني الأخية :

إن الله ليفجر بالإخلاص طاقات النفس البشرية ، ويعطيها دفعة قوية إلى الإمام، ويحبب القلوب بالمخلص، ويفتح له آفاقا، ويدفع عنه في الضراء

{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا} مريم ٩٦ أي محبة في قلوب الناس.

{إن الله يذاقع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور} الحج ٢٨

فعليكم بالإخلاص والصدق، وإياكم والرياء، ولا تحرصوا على مدح الناس وثنائهم، خذوا بالأسباب واتركوا البقية لله عز وجل، وعليكم بذكر الله (لا يزال لسانك رطبا بذكر الله)، وإذا اشتدت الكرب ففتشوا في أنفسكم عن العيوب لأنها تتاج الذنوب (واستعينوا بالصبر والصلاة) ، واحفظوا السننكم ، وأحبوا إخوانكم، وعليكم بالإيثار، أثروهم على أنفسكم بالراحة والطعام والمنام . وأحبوا لله وأبغضوا لله، وأعطوا لله وأمنعوا لله . بذلك تنال ولاية الله، ولا تنال ولاية الله، إلا بذلك .

وإذا كثرت المشاكل فأصلحوا أنفسكم، وتصدقوا، واذكروا الله، والجاؤا إلى الصلاة، واستعينوا بالذكر والإخلاص .

أخي الحبيب :

إعلم أننا أرسلنا إلى الولاية شبابا نظنهم على خلق ودين وسلمناهم الإمارة، فسلمنا إمارة ولاية كابل للأخ أبي الحسن المدني وهو أمير الولايات الشمالية . وأما الأخ عبد الله أنس فهو أمير بروان ، وأما الأخ أبو هاجر فهو أمير كابيسا ، ولذا فأنتم مرتبطون بالأخ أبي الحسن المدني ، وهو نعم الأخ والمعين والمصاحب والمسؤول ، نوصيكم بطاعته وإعانتته على جهوده،

{وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان} المائدة: ٧

{وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين} الانفال: ٤٦.

وكن رفيقا بإخوانك، ولا تزجوا بهم في المخاطر، وليكن العرب نوي عدد قليل بين جمع غفير من الأفغان أثناء الهجوم والمعارك، لأنكم ملخ الطعام، فالأفغان هم الطعام وأنتم ملخه .

عليكم بجلوسات القرآن الصباحية، اقرأوا كل يوم جزءا، وبصيام الإثنين والخميس ، واقرأ لهم من رياض الصالحين ومن حياة الصحابة بعد الصلوات ، ولو لعشر دقائق ، وناموا مبكرين ، واعتنوا بأسلحتكم، وارتفعوا كفاعتكم العسكرية بالتدريب والقتال .

أما بالنسبة للمجاهدين الأفغان فقد عرفتموهم قوم نور بأس وشكيمة ، وصلابة وعزة، ومروءة وحياة، وغيرة وكرم ، فاستنبوا من هذه الصفات، وهذبوا أنفسهم بالعلم الشرعي والقرآن الكريم والأخلاق الإسلامية (الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا) .

ولقد تكاثرت الدنيا عليهم الآن يريدون الحيلولة بين المجاهدين الصادقين وبين الوصول إلى تحكيم شرع الله في الحياة (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

وأعداء الله من كل جانب يفكرون ويخططون ليل نهار يبحثون عن السبل التي يمكنهم بها أن يقطعوا أواصر هذا الجهاد بالعالم الإسلامي ، فيثيرون في هذه الفترة فتنة الوهابية ليوغروا صدور الأميين من هذا الشعب، ويثيرون حفيظتهم على العرب المهاجرين المرابطين الذين تركوا الدنيا بما فيها وأقبلوا على الله طمعا بالجنة، وحبا بالشواب إرضاء لله وابتغاء رضوانه .

والعالم الغربي الآن يعزف على آخر نغمة سولت بها إليهم شياطينهم وهي (المرتزقة العرب) .

فانتبهوا إلى المزالق التي في طريقكم، وإياكم والمصائد التي تنصب لكم لتقعوا في شباكمهم وتسقطوا في حبالهم ، وبصروا

الشعب الأفغاني بمواطني الخطر ويأبىء المؤامرة العالمية ، إنهم يريدون أن يعيدوا معنى الجهاد الإسلامي العالمي الذي انبث من أفغانستان إلى قوم مسلمين من أهل الجبال بين جيحون وبين نهر كابل ، إنهم يريدون إعادة الجهاد الإسلامي العالمي في أفغانستان إلى قتال أفغان ضد أفغان فقط ويسمونها حرباً أهلية .

واعلموا أن المعركة الكبرى ستكون في البقاع التي أنتم فيها، فمعركة إسقاط النظام نهائياً هي معركة كابل ، وأنتم ستكونون جزءاً مهماً من المعركة، ولعل الأخ نور الدين قد وصل إليكم من جهتنا، فنأمل أن تستفيدوا منه خيراً كثيراً وعلماً غزيراً وشجاعة وإقداماً، فترجو الله أن يرزقه الإخلاص وأن يتفجع به الناس .

لستم بحاجة إلى توصية لإظهار الاحترام العميق للمذهب الحنفي الذي يتبعه الأفغان، فهذه وصيتنا لكم منذ الخطوات الأولى في الطريق، وهذا جزء من ديننا، وأنا أعلم أنكم من أتباع المذهب المالكي، لكن لا بد في هذه المرحلة وأنتم تعيشون بين الأفغان أن تصلوا حسب المذهب الحنفي، وهذه فتاوى شيخ الإسلام والإمام أحمد ومالك والشيخ الألباني بوجوب ترك هيئات الصلاة المخالفة للمذهب الحنفي إذا كان الإمام حنفياً .

يقول شيخ الإسلام (مدار الشريعة على أن الواجب تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما، ورفع أعظم المفستتين باحتمال أدناهما هو المشروع)^(١).

وهذه قاعدة عامة يقرها الإمام ابن تيمية، وهو يفصلها بعد ذلك ويضرب لها أمثلة عملية كبيرة تجدها في ثانياً مجموع الفتاوى، ونقتطف بعضها ليزداد الأمر وضوحاً وبياناً.

ففي إجابة على سؤال حول صلاة الإمام يقوم يستحبون الجهر بالبسملة وهو لا يرى الجهر بها، أو لا يقتنون في الصلاة ومذهب القنوت، وغير ذلك من المسائل أن المسلك الرشيد تركه لما يراه صحيحاً تأليفاً لقلوبهم ... فيقول الإمام ابن تيمية (وقد استحَب أحمد أيضاً لمن صلى يقوم لا يقتنون في الوتر وأرادوا من الإمام أن لا يقتن لتأليفهم فقد استحَب ترك الأفضل لتأليفهم ...)، ثم قال عن الجهر بالبسملة: (ويستحب أيضاً الجهر بها إذا كان المأمومون يختارون الجهر لتأليفهم ... وهذا كله يرجع إلى أصل جامع وهو أن المفضل قد يصير فاضلاً لمصلحة راجحة)^(٢).

وفي موضع آخر يتكلم عن بعض هيئات الصلاة ومستحباتها إذا اقتضت مصلحة التأليف تركها فقَالَ : (ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات، لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا، كما ترك النبي صلى الله عليه وسلم تغيير بناء - أي الكعبة - لما في إبقائه من تأليف القلوب، وكما أنكر ابن مسعود على عثمان إتمام الصلاة في السفر ثم صلى خلفه متعماً وقال الخلاف شر)^(٣).

وقال في موضوع آخر (إنهم متفقون على أن من جهر بالبسملة صحت صلاته، ومن خافت صحت صلاته، وعلى أن من قنت في الفجر صحت صلاته ومن لم يقنت صحت صلاته، وتنازعوا فيما إذا ترك الإمام ما يعتقد المأموم وجوبه، مثل أن يترك قراءة البسملة والمأموم يعتقد وجوبها، أو يمس ذكره ولا يتوضأ والمأموم يرى وجوب الوضوء من ذلك، أو يحتجم ولا يتوضأ والمأموم يرى الوضوء من الحجامه ، والصحيح المقطوع به أن صلاة المأموم صحيحة خلف إمامه وإن كان مخطئاً في نفس الأمر، لما ثبت في الصحيح (يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطأوا فلكم وعليهم)، وكذلك إذا اقتدى المأموم بمن في الفجر معه سواء قنت قبل الركوع، أو الوتر قنت قبل الركوع أو بعد، وإن كان لا يقنت لم يقنت معه ، ولو كان الإمام يرى استحباب شيء والمأمومون لا يستحبونه فتركه لأجل الاتفاق والاتلاف كان قد أحسن)^(٤).

وقال في موضوع آخر (ومثل هذه المسائل هي من مسائل الاجتهاد، والأقوى أن متابعة الإمام أولى من التخلف لفعل مستحب)^(٥).

وقال عن السنة قبل الجمعة - مع أنها لم ترد في السنة - ولكن (إن كان الرجل مع قوم يصلونها ، فإن كان مطاعاً ورأى أن في صلاتها تأليفاً لقلوبهم إلى ما هو أنفع للخصام والشر لعدم التمكن من بيان الحق لهم وقبلهم له ونحو ذلك فهذا أيضاً حسن،

١- مجموع الفتاوى ٢٨/٢٨١ . ٢- مجموع الفتاوى ٢٢/٢٤٤ . ٣- ١- ٢- من مجموع الفتاوى ١٠٧/٢٢ .
٤- مجموع الفتاوى ٢٢/٢٦٧ . ٥- مجموع الفتاوى ٢٢/٤٤٢ .

فالعمل الواحد يكون فعله مستحباً تارة، وتركه تارة، باعتبار ما يترجح مصلحة فعله وتركه بحسب الأدلة الشرعية، والمسلم قد يترك المستحب إذا كان في فعله فساد راجع على مصلحته، ولذلك استحب الأئمة وأحمد أن يدع الإمام ما هو عنده أفضل إذا كان فيه تكليف المأمومين^(١).

ويقول الشاطبي في الموافقات: (إن ترك السنة واجب إذا أدى فعلها إلى تضييع واجب، لأن الواجب مقدم على السنة المنسوبة قطعاً).

وقد أفتى الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله بأن ترك المستحبات والهيئات المستنونة لتحقيق واجب الائتلاف أمر مشروع . بل أن المحدث الشيخ ناصر الدين الألباني حفظه الله يتعدى في الفتوى درجة استحباب ترك السنن خلف الإمام الذي لا يرى سنيتها ولا يفعلها ويوجب على المأموم وجوباً لا يسعه تركه أن يدع ما لم يفعله الإمام من الهيئات المستنونة، ودليله في ذلك حديث البخاري ومسلم [إنما جعل الإمام ليؤتم به]، فيرى أن اتباع الإمام عامة أوجب من فعل في مخالفته وإن كان مسنوناً وهذه الفتوى ثابتة عنه ومسجلة فلا يتطرق الشك إليها .

فبأي حديث بعد فتاوي الأولين والآخرين تأخرون ؟

أما بالنسبة للأمور الصحية فقد أرسلنا الدكتور حمزة وأقام ثلاث عشرة نقطة في منطقة كابل، ولعلكم قابليتموه وحظيتم ببعض الخدمات الصحية في المنطقة.

أما بالنسبة للأسرى الشيوعيين الذين ينطقون بالشهادتين بعد أسرهم فالأمر راجع إلى الأمير والمحكمة الشرعية عندهم، إما القتل أو الأسر والسجن أو الفدية، والمصلحة الشرعية هي التي تحدد الأرجح، والحكم يدور مع المصلحة الشرعية حيث دارت، ولقد بحثت هذا الأمر في كتابي في الجهاد آداب وأحكام والأمر مفصل هناك، وأما النطق بالشهادتين بالنسبة للأفغان فليس حاقناً لدمائهم دائماً ، إذ أنهم ليسوا كفاراً أصلاً بل يعاملون معاملة المرتدين أو الزنادقة.

أما بالنسبة لغنيمة السلاح فلا تجب توزيعها على المجاهدين إذا كان السلاح يباع في الأسواق ويسقط في أيدي الشيوعيين، وأرى والله أعلم هذا الأمر ينطبق كذلك على غنائم الدبابات والمدافع والراجحات إذا أضر بيع السلاح بالجهاد أن يبقى السلاح الثقيل والخفيف للجبهة، وتسترضى أنفس الغانمين بمال، فإن لم يكن لدى الأمير مال فلا بأس أن يسجل قيمته ديناً على نفسه حتى إذا فتح الله على المسلمين كابل وقامت الدولة سددهم هذه الديون ، وقد استرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفوس المجاهدين يوم حنين وأعاد السبي من النساء والأطفال والأولاد إلى هوازن ، مع أنها حقهم وأصبحت ملكاً لهم بعد الفتح.

وهذه الحالة من الضرورة، والضرورات تقدر بقدرها، وأرى أن يؤخذ في هذه الحالة برأي المازدي والمالكي والقرطبي والشافعي وغيرهم من الفقهاء الذين يعتبرون أن أمر الغنائم المنقولة وغير المنقولة راجع إلى الإمام يتصرف بها حسب المصلحة الشرعية.

وفي هذا قياس الغنائم المنقولة على الأراضي واسترشاد بفعل عمر رضي الله عنه في سواد العراق - والله أعلم - .

وختاماً اجعلوا شعاركم:

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) العنبران: (٢٠٠).

وأسوتكم:

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا واتصرتنا على القوم الكافرين، فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) (ال عمران: ١٤٦-١٤٨)

وفقكم الله وسدد خطاكم ونصرنا وإياكم، ونسأل الله لنا ولكم حياة السعداء وخاتمة الشهداء والحشر مع النبي صلى الله عليه وسلم، ونرجو الله أن يرفع راية الإسلام في أفغانستان وفي كل مكان، وأن يحكم دولة القرآن، وأن يجعلنا من جنود القرآن ، إن سميع مجيب .

أخوكم

الدكتور/ عبدالله عزام

بيشاور في ٢٧/شوال/١٤٠٩ هـ الموافق ١٨/٦/٢٠٨٩ م

١- من مجموع الفتاوى ٢٤ / ١٩٤ - ١٩٥ .

إلى فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري^(١)

شيخنا الكبير أبا بكر الجزائري

حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فلا يخفى عليكم النصر العظيم الذي من الله به على المجاهدين في أفغانستان، والضرية القاصمة التي وجهها الله على يد المسلمين الأفغان للشيوعية الدولية التي باتت حائرة كيف تتخلص من القواعد الوهمية، والأبراج العاجية التي عاشت فيها الشيوعية عبر العقود الماضية.

وخرج الروس، وانتقل المجاهدون من دور الدفاع إلى دور الهجوم الاستراتيجي واحتلال المدن ، واحتلال المدن أمر في غاية الضخامة والصعوبة، ويحتاج إلى تنظيم دقيق وإمكانات كبيرة وقيادة موحدة .

وبعد خروج الروس توقف الصديق قبل العدو عن الامداد والتأييد، وأصبح الإعلام العالمي يركز على بطولة الاتحاد السوفيتي وجرأته باتخاذ قرار السلام والانسحاب، وأن الجهاد الأفغاني قد تحول إلى حرب أهلية ، فإذا كان الإعلام الغربي في الفترة السابقة يركز على هزيمة روسيا في أعماق أفغانستان، ويبرز بطولة المجاهدين الذين وقفوا كالعائلة أمام الدب الروسي، فإن السياسة الآن قد تغيرت .

إن السياسة العالمية الآن وأجهزة الرصد الدولية تدرك أن وصول قادة الجهاد إلى الحكم سابقة فريدة لم تحصل في الأرض بعد أن طرح أعداء الإسلام بالصرح الشامخ في إستانبول (الخلافة) ٣/مارس/١٩٢٤م على يد النّيب - عو الله ورسوله - أتاتورك، وهذا الأمر وهو محاولة إعادة الخلافة أو الدولة الإسلامية قضية في نظر الغرب والشرق دونها خطر القتاد وشلالات الدماء، مما لا يمكن لأعداء الله أن يهادنوا فيه مادام عرق ينبض أو نفس يجري ، وهذه قضية مجمع عليها بوليا وهي عم السّماح للإسلام أن يعود مرة أخرى لمزاولة نشاطه في الحياة وكما أنزله الله ((عقيدة وشرعية ونظام حياة)) .

إنهم يسمحون للإسلام المجد في قوالب من الشعائر التعبدية دون أن تمتد يده إلى شؤون الحياة بالتسيير، أو نظام الحكم بالتغيير ثم التنفيذ على هدي من الوحي الإلهي ، ولذا فالمؤامرة العالمية الآن : محاولة خنق الجهاد الأفغاني وإعادته مرة أخرى إلى قمقه القبلي والإقليمي، بعد أن تحول إلى جهاد إسلامي، ولذا فالمؤامرة على خنقه وقطع الشرايين التي تمدّه بالحياة من قبل العالم الإسلامي، أصبحت شغل الكفار الشاغل، يتجهجون بها كل سبيل، ويسلكون بها كل وسيلة، فكلّما الحرب الأهلية الأفغانية وتعمير أفغانستان ، وقضية الوهابية والفرقة ذات القاعدة العريضة ، والمؤتمر الدولي لحل القضية الأفغانية، كلّها شعارات براقّة، وعناوين بارزة لهذه المؤامرة الخبيثة التي تنسج خيوطها أيادي كل العالم المعادي للإسلام .

أخي الحبيب : أعود إلى قضية فتح المدن : إنها قضية ضخمة شائكة تحتاج إلى أن تتكاتف لها إمكانات المسلمين وطاقاتهم، تحتاج إلى خطط محكمة من قادة كبار لفتح المدن، تحتاج إلى تموين يكفي للأعداد الضخمة من المجاهدين الذين يحاصرون المدينة وأفضلها الوجبات الجاهزة المحفوظة كالهريس، تحتاج إلى أسلحة وذخائر كثيرة معدة قبل البدء بالمعركة ، تحتاج إلى مستشفيات ونقط إسعاف ميدانية، تحتاج إلى علماء ودعاة يثبتون الناس ويثبون في قلوب المجاهدين الحماس وتذكيرهم بالثواب والجنة تحتاج إلى كميات كبيرة من الأدوية معدة للحصار الطويل، تحتاج إلى سيارات إسعاف وسيارات نقل ، تحتاج إلى مبالغ نقدية كافية لنقل المؤن والذخائر ، تحتاج إلى عدد كاف من الخيول واليغال والحمير لتنقلات المجاهدين في ميدان المعركة الراسعة.

أيها الأخ الحبيب : الآن حمي الوطيس، وجاء دور الدعاة والتجار والمحسنين والفنيين من العسكريين والأطباء والمدرسين، فهل يكون لكم وللصفوة من تلاميذكم في هذه المرحلة الدقيقة الحساسة والحاسمة في تاريخ هذه الأمة ؟.. إن الأمر عظيم ، والخطب جلل ، والوقت ثمين ، والفرصة سانحة ، والظروف مواتية مهيبة ، فلا تفقدوها فتعضوا أصابع الندم .

١- نشرت فيليب المعركة ضد (٥٦) بتاريخ ١٤/نور القعدة عام ١٤٠٩هـ الموافق ١٧/٦/١٩٨٩م.

الساحة في انتظاركم وانتظار أمثالكم ، فهل تدلون بدلوكم وتسهمون بجهدكم أم يفوتكم القطر والأجر ؟
[[وما لكم لا تقا تلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية
الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً]] ، [[قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم
وأموال اقترلتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتمسكوا حتى يأتي الله
بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين]] التوبة ٢٤.

وختاماً نريد أن نطمئن قلوبكم فنقول لكم :

- ١- ما من يوم يمر على أفغانستان إلا ويحقق المجاهدون نصراً جديداً وتقدماً ملموساً - مهما كان جزئياً - .
- ٢- إن معنويات الشيوعيين متحطمة ويعيشون في ذعر عجيب وخوف رهيب، بينما معنويات المجاهدين تناطح السحاب،
ونفوسهم تباري الأسود عزة وإباء ورجولة وشعماً .
- ٣- إن الحكم الشيوعي آيل الى السقوط بإذن الله، والقضية لا تعدو أن تكون قضية زمن قد يطول أو يقصر بقدر الله وعلمه .
- ٤- لقد فتح المجاهدون خلال هذا العام (الأشهر الخمسة الماضية) ما لم يفتحوه خلال خمسة أعوام، ولم يبق سوى مراكز
الولايات المحاطة بالمجاهدين إحاطة السوار بالمعصم.
- وأما كابل العاصمة فهي محاصرة حصاراً شديداً، وتنتظر أياماً شديدة قد يحكم فيها المجاهدون الفخائق فيمنعون وصول
رغيف الخبز إلى كابل الذي تنتظره شهراً بشهر من موسكو.
- ونأمل من الله عز وجل أن يكون عام ١٤١٠ هـ هو عام الفتح والتأييد والتمكين (وهمئذ يلرح المؤمنون بنصر الله ينصر من
بشأه وهو العزيز الرحيم)، وعندما يقبل الجيل على دين الله فيطمئنون (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله
أفراجاً فسيح محمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) .
- أسأل الله العظيم أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يمكن للمؤمنين في الأرض،
ونسأله عز وعلا حياة السعداء، وخاتمة الشهداء، والحشر مع النبي - صلى الله عليه وسلم -، ونلع الله بكم وبقلوبكم المسلمين،
وجعلكم مفتاحاً لكل خير ومغلاقاً لكل شر .
- أوصيكم بتقوى الله، وتلاوة القرآن، والذكر، وحفظ اللسان، وقيام الليل، وصيام الإثنين والخميس، وحب الصالحين، وتبئيت النية
على الجهاد وحب الاستشهاد، وتحريض المؤمنين على القتال :
- (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحررض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد
تنكيلاً) . النساء : ٨٤

ونستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم عملكم . . .

أخوكم الصغير/ عبد الله عزام

الجمعة ٥ / ذي القعدة / ١٤٠٩ هـ

الموافق: ٩ - ٦ - ١٩٨٩ م

من أمير المجاهدين العرب الشيخ عبدالله فزام إلى قافلة الشمال

إلى الأخ الحبيب أبي الشهيد وإخوانه د. صالح رد. أبي الدرداء حفظهم الله أجمعين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقد غارناكم وقيت قلوبنا عندكم ، وكم حز في نفسي أننا لم نستطيع أن نحمل د. صالح معنا في السيارة حتى يبقى معنا حتى آخر لحظة. ولقد أودعناكم قلوبنا وعدنا أشباحا، وأما الأرواح فتركناها تعلق فوق سماء طالقان، وتطوّف بينجشير وورسج وفرخار، ونرجو الله أن يفتح عليكم بقية المدن، وأن يجعل سقوط كابل جد قريب .

أخي أبا الشهيد وإخوانه:

نوصيكم بتقوى الله، وتلاوة القرآن، وحفظ اللسان، وحب المسلمين، والصبر والثبات على هذا الطريق الذي اختاره الله رحمة للعالمين ولحماية هذا الدين ، وهو الذي تكون الجنة تحت ظلاله: (والجنة تحت ظلل السيول)^(١) .

والجهاد أعظم العبادات أجرا، وأكثرها نفرا، وهو قمة سنام الإسلام، واليوم عندكم بالكف يوم فيما سواء من المنازل: (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواء من المنازل يقام ليها وصام نهارها)^(٢) .

(قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة)^(٣) .

إن مهمتكم هي الإصلاح في داخل أفغانستان، فكونوا معتدلين في حكمكم، فلا تعيلوا مع جهة فتفقنوا مهمتكم، إن إصلاح ذات البين خير عند الله من الصلاة والصيام، لأنه كما جاء في الحديث الصحيح (لأنفساء ذات البين هي الخالقة لا أقول تخلق الشر، ولكن تخلق الدين).

ونوصيكم بصيام الإثنين والخميس، وقيام الليل، وكثرة الذكر، والمطالعة في الكتب الإسلامية.

أخي الحبيب (أبا الشهيد): أقول بصفتي رئيسا للهيئة التأسيسية لمشروع التحدي ما يلي:

١- يوقف التوسع في مستشفى سد بوركا لأنه في منطقة قروية، ويبقى أبو الدرداء يزاول عمله.

٢- يبدأ الدكتور صالح بإنشاء مستشفى في طالقان .

٣- هناك ثمانية ملايين مع القاري سعيد نأمل أن تأخذوها وتستعملوها في مستشفى طالقان الجديد .

٤- تستصلكم أدوية وأدوية جديدة وتستعمل الأنوار- إن شاء الله- في مستشفى طالقان.

إخواني الأحبة: يزاول الأخ أبو الشهيد عمله كأمر للإخوة العرب في تخار وبيدخشان وكندز وبقلان ريشا يرجع الأخ عبدالله أنس قريبا ويستلم الإمارة في الشمال، ويكون أبو الشهيد مساعدا له ويبقى أميرا في المناطق المذكورة.

وتكون الأموال بيد الأخ أبي الشهيد يتفق منها على المستشفى في طالقان، وسيسلم الأخ أبو أكرم (زكي) الفلسطيني مبلغ (٣٦٠) ألفا باكستاني (كدالر) لأبي الشهيد تستعمل في الجهاد (أي مبلغ ثلاثة ملايين وستمئة ألف أفغاني) .

هناك مجموعة من الإخوة الناصحين يصلون إلى داخل أفغانستان قريبا.

أخي أبا الشهيد:

إن الشيخ عبدالمجيد الزنداني يرى أن يرجع أخوك بسرعة إلى أملاكك، وكذلك جاءنا رجاء من الإخوة في اليمن أن يرجع أخوك، فنأمل أن ترسل أخاك بسرعة.

أما أنت فتبقى حتى يأتي أخ ناصح يستلم مكانك، ولعل الأشهر القادمة تكون حاسمة.

١- رواء الترمذي.

٢- صححه الحاكم رواقه الترمذي.

٣- حبيد صحيح .

ونأمل أن تكلف أخوين من الإخوة عندهم أن يقوموا بعمل استثمارات الأيتام من بنشير مع الصور (وأهم شيء هو صور للأيتام)، وإذا لم يكن لديكم كمرّة فترجو شراء كامرة من الأموال التي معكم وتصوير الأيتام، وباسم مكتب الخدمات نحن بخير هنا، وإن كانت نتائج الانتخابات الباكستانية غير مرضية، وإن لم يكن عندهم استثمارات تكتب المعلومات وترسلونها هنا .
وفقكم الله ورعاكم وسدد خطاكم .

سلامي إلى كل الإخوة حولكم ، د. صالح ، أبا الرداء ، أبا ذر آل اليمان أهل الإيمان والبركة .

أخوكم: عبد الله عزام

رسالة من عبد الله عزام إلى القائد فريد^(١)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو الله أن يتقبل منكم وجهادكم، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يرزقك الإخلاص والاستقامة ، والصبر والتقوى، لأنها خير عدة (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً) ، فإله - عز وجل - يحميكم من عنوكم، ويحفظكم بالصبر والتقوى ، وبالصبر والتقوى تنزل عليكم الملائكة بالنصر ..

(بلى إن تصبروا وتتقوا وبأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) . آل عمران: ١٢٥

قال كثير من المفسرين: هذه الخمسة آلاف من الملائكة عدة لكل عسكر صبر واحتساب إلى يوم القيامة .

أخي فريد:

إن صورتك مشرقة في أذهانتنا، ونحن نعلم أنك من أبناء الحركة الأوائل، والمسلمون يعرفون - يعتمدون - على الله أولاً ثم عليكم في المنطقة ، لأنهم يعلمون أنكم أكثر الناس تابعاً وقوة في منطقتكم ، ولقد كتب الله لكم الفتح في عاصمة كاييسا - محمود رافي - فزانت فرحة المسلمين بكم .

أيها الأخ الحبيب:

أنتم الآن على أبواب النصر النهائي ، ويعقب النصر الفنائم، والفنائم سبب من أسباب الاختلاف، حتى أن أهل بدر صفوة هذه الأمة المسلمة قد اختلفوا على الفنائم ، وهنا يمتحن الله ورع الناس وإخلاصهم ، والرسول صلى الله عليه وسلم عندما قسم غنائم حنين أعطى كثيراً منها لطلقاء مكة وحرم منها الأنصار، مع أن الأنصار هم الذين كسبوا النصر وغيروا مجرى المعركة، فكانت هزيمة المسلمين أولاً، ثم من الله عليهم بالنصر على أيدي الأنصار، فحرم الأنصار من الغنائم وأعطاهم لطلقاء الفتح الذين كانوا سبب الهزيمة أولاً، فوجد - عتب - الأنصار، فجمعهم وقال لهم :

(يا معشر الأنصار، ما قاله بلغتنى عنكم وجدة وجدتها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضللاً فهذاكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله ولله ولرسوله المن والفضل؟ قال: أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتنا أتيتنا مكلباً فصدقتنا، ومغلولاً فنصرناك، وطريداً فأويناك، وعائلاً فأسيناك، أوجدتم على يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها لو ما لبسناكم ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعون برسول الله إلى رجالكم؟ قالوا: نعم يا رسول الله عليه وسلم ما يتقلبون به، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً ووادياً وسلكت الأنصار شعباً ووادياً لسكلت شعب الأنصار ووادياً، الأنصار شعار والناس دثار، اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار، قال قبلي القوم حتى اخضلت لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله صلى الله عليه وسلم قصاً وحظاً، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا)^(٢)

٢- حديث صحيح رواه أحمد عن ابن إسحق.

١- من اكبر قادة الحزب الاسلامي (حكمتيار).

أخي فريد:

فها أنت ترى الانتصار الذين نصرُوا هذا الدين قد حرموا من الغنائم وأخذها الذين لم يجاهدوا كثيرا لهذا الدين، فانتبه يا أخي الكريم فهذا العام عام الانتصارات، وهو عام الغنائم، وعند الغنائم يكثر الاختلاف، وأنت مسلم عاقل ومن أبناء الحركة الأوائل، فحاول أن تحقن دماء المسلمين ما استطعت، وإذا كان الخلاف على متاع ودنيا فاترك لأهلها واكسب الأجر والذخر في الدنيا والآخرة.

أخي الكريم:

هنيئا لكم الجهاد والفتوح، ونرجو الله أن يجعله في ميزانكم يوم القيامة، وحاول أن تكون مفتاح خير ومغلاق شر، واتصل بمن حولك من الأحزاب الأخرى ونسق معهم، فعنكم واحد (الشيوعية)، وأنت ومن حولك من الأحزاب مسلمون وإخوة، وحق على المسلم أن ينصر أخاه ويحفظه في دمه وماله وعرضه، إياكم وظلم المسلمين واغتصاب أموالهم أو ترويعهم وإيلافهم، وإياكم ودماء المسلمين، ففي الحديث الصحيح: (لزال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم).

أخي الكريم:

لقد كنت حريصا عندما زرت بنشير أن أصل إليكم وأنذركم في جبهتكم أنت وإخوانك، وكنت مشتاقا لآراك، وطلبت ذلك، ولكن لم أستطع أن أصل إليك، فأمل المعذرة، وأدعو الله أن يمكنني من زيارتك في فرصة قادمة، وقد كانت خطتي أن أنور قادة الحزب وقادة الأحزاب كلها، ولكن جاءت مفاجأة.

أوص إخوانك ومجاهديك بأن يحتفظوا أموال الناس وأعراضهم ودماعهم، وفي الحديث الصحيح:

(لو اجتمع أهل السموات والأرض على قتل امرئ مسلم لكبهم الله جميعا في النار).

سلامي إلى إخوانك شفق بار، وأحمدي، وفتح محمد، وإنهندس هاشم.

نوصيك وإخوانك بتقوى الله والإخلاص وثلاوة القرآن والأذكار وصوم الإثنين والخميس، وقيام الليل وحفظ اللسان، وعدم غيبة المسلمين، وترك النعمة، وحب المسلمين، وتعلم أحكام الشرع الإسلامي.

ندعو الله عز وجل أن يجعل نصركم قريبا، وأن يقيم دولة الإسلام على أيديكم إنه سميع قريب مجيب.

أخوكم / الدكتور عبدالله عزام

نموذج رسائل إلى قادة الجبهات

من العبد الفقير إليه تعالى عبد الله عزام إلى أخيه المجاهد..... قائد جبهة حفظه الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد:

فإن الحمد لله نحمده وتستعينه وتستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، وبعد:

لقد أكرمك الله بإشرف منزلة وأفضل عمل، إذ يسرك الجهاد في سبيله..

ويا أيها الذين آمنوا من يتردد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم هـ المائدة: ٥٤.

ولقد تفضل الله عليك بأن جعلك من المجاهدين في ساحة القتال، ولقد من الله عليك بنصر من عنده..

و ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم هـ الأنفال: ١٧.

فالفضل لله أولا وأخرا وله المنة والحمد لله من قبل ومن بعد، فنوصيك يا أخي بتقوى الله ومراقبته، وإياك أن يدخل إلى نفسك

عجب، أو يداخلك بغير أن هذا التصرف يعلّمك ومهارتك، فليس لك من الأمر شيء، «كل إن الله عز وجل لا يقبل عملاً إلا بشروطين :

أن العجب والغرور يحبط العمل ويهلكه كما تاكل النار الحطب، فأوصيك يا أخي بالإخلاص لأنه عز وجل لا يقبل عملاً إلا بشروطين : أولاً: كونه صواباً موافقاً للسنة.

ثانياً : أن يكون خالصاً لوجه الله من الرياء، ففي الحديث الصحيح «من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه».

فعليك بمراقبة الله وخشيته في السر والعلن، وأكثر من الصالحات ظاهراً وباطناً يحفظك الله في الشدائد ، ويلطف بك في النوازل ظاهراً وباطناً «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

«ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب» الانفال : ٤١

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه »- الكهف : ٢٨

وأوصيك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض، ونذر لك في السماء، وهو عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، وهو الهدى والنور والشفاء والروح، وأوصي المجاهدين أن يتلوه ويكثرُوا من تلاوته

«يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون»- السجدة ٢٤

وأكثر من الاستخارة والاستشارة، فما ندم من استشار وما خاب من استخار ، وفي الصحيح «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها».

واجعل أهل الشورى عندك ممن تظنهم من المخلصين الصادقين ، وإياك أن تجمع حولك أهل الذنوب والغافلين «ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً».

واعلم أن أصل الفساد في هذه الدنيا يرجع إلى اتباع الشهوات والشبهات، فلا بد من دفع الشهوات بالصبر، ومن دفع الشبهات بالعلم واليقين، حتى تصبح إماماً في الدين، لأن الإمامة في الدين لا تنال إلا بالصبر واليقين «رجعنا منهم آئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون»

فاكثر حولك العلماء، وحارب الشهوات بقطع الطمع، لأن الطمع والحرص على الدنيا يفسد دين المرء ودينه، وفي الحديث الحسن

«ما ذنبان جاثعان أرسلنا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه».

وإياك والاستعانة بالظالمين ، أو استشارة الكافرين، أو الركون إليهم، أو الاعتماد عليهم

«يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين» آل عمران : ١٠٠

«يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين»- آل عمران : ١٤٩

وعليك بسحابة البدع صغيرها وكبيرها، ونبه المجاهدين ألا يحملوا الرقى والتمايم، ولا يتمسحوا بالقبور، وألا يضعوا عليها الأعلام والزهور، وألا يبنوها فإن بناء القبور حرام، وأن لا يبنوا عليها المساجد، وأن لا يوقدوا عليها السرج، لأنه كما جاء في الحديث «أولئك شر الخلق عند الله»، وفي الحديث «شر الناس اثنان: الذين تدركهم الساعة أحياء، والمتخذين على قبورهم المساجد والصرح» -

وأوص المجاهدين بصوم النافلة، وقيام الليل، فإنه عون لهم في أمر جهادهم، ولا تجمع كل الصلاحيات بيدك، بل وزع المسؤوليات على أعوانك، فإن هذا يريحهم ويزيدهم ثقة بك وحيلتك، وهو راحة لك، وأجدى للعمل، وأنفع للجهاد، وهذا يقلل من التمرد على أوامرك، أو التفلت من قبضتك، ويحفظ الصف من الانشقاق والتمزق، وإياك والتجسس على جنودك أو تتبع عوراتهم، فإن الأمير إذا ابتغى الريية في الناس أفسدهم أو كاد أن يفسدهم «ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته وفضحه ولو في جوف بيته»، وكما أفسدت هذه القضية من قلوب، وكما مزقت من صفوف، وتحبب إلى جنودك بالابتسامة الصادقة ، وتغاض عن مفواتهم ، واعف عن مسيئتهم، وأقبل محسنهم، ولا تجعل ظنك بهم سيئاً .

واعلم أن العالم الإسلامي كله يرنو ببصره إلى الجهاد الأفغاني، ويتابع أخباره باهتمام بالغ، وهو يستحوذ على اهتمامهم ، ونرجو الله عز وجل أن ينصرركم ويثبت أقدامكم، وأن يقيم دولة الإسلام على أيديكم، إنه نعم المولى ونعم النصير .

أخوكم / عبد الله عزام

رسالة مفتوحة إلى العلماء^(١)

مداد العلماء ... ودماء الشهداء ؟

إنما تحيا الأمم بعقائدها وأفكارها، وتموت بشهواتها ولذاتها، ويقدر ما ينتشر في الأمة من مبادئ خيرة وعقائد صحيحة، بقدر ما تضرب بجنودها في أعماق الأرض، وترسل مجموعة سيقانها وأوراقها يانعة تستظل بها البشرية من لبح الحياة وسعيرها المادي، ومن لظى الحقد والحسد والتنافس على المتاع الحقيق والعرض القريب.

والأمة المسلمة إنما عاشت على مر التاريخ البشري بالعقيدة الربانية، وبالدما التي أريقَت من أجل نشر هذه العقيدة وغرسها في واقع الحياة.

فحياة الأمة إنما ترتبط بمداد العلماء ودماء الشهداء، وما أجمل أن نخط تاريخ الأمة بمداد العالم ودمه، فتصبح خارطة التاريخ الإسلامي ملونة بخطين أحدهما أسود، وهو ما خطه العالم بمداد قلمه، والثاني أحمر وهو ما خطه الشهيد بنجيعة ودمه.

وأجمل من هذا ، أن تكون اليد واحدة، والريشة واحدة فتكون يد العالم التي تبذل المداد، وتحرك القلم، هي نفس اليد التي تنزف الدم وتحرك الأمم.. ويقدر ما يزداد عند العلماء الشهداء ، بقدر ما تنقذ الأجيال من رقادها، وتنقذ من ضياعها، وتستفيق من سباتها.

ولقد قاد الأنبياء عليهم السلام هذه المسيرة الخيرة، فخطوا للبشرية بعرقهم ودمائهم خطوطاً بقيت بصماتها خاربة في أعماق الزمن، وفي أرجاء الكون ، غائرة في ثنايا القلوب.

فهذا الطريق: تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل، واضطجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس ولبت في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليهم جميعا وسلم تسليما كثيرا.

وعلى هذا الطريق سار العلماء والريانيون من هذه الأمة.

فهذا أبو ذر رضي الله عنه يقول: (لو وضعت المصمصاة - أي السيف الصارم - على هذه -قفاه- ثم ظننت أنني أنفذ كلمة سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن تجهزوا علي، لأنفنتها)، فهو طريق الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ومن تبعهم أمثال أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية.

ولقد دفع نفس الضرائب عز الدين القسام وحسن البنا وسيد قطب ومحمد فرغلي وعبدالقادر عودة وصالح سرية وكارم الأناضولي وعبد العزيز البدري وخالد الإسلامبولي ومروان حديد وصلاح حسن ومحمد باعباد.

إنه طريق واحد لا بد من عبوره لإنقاذ الأمم.. إنه جسر واحد لا بد للعلماء أن يجتازوه أخذين بحجز الأمة وأيدي أجيالها حتى لا تنه أو تضل أو تغرق في تيار الحياة العارم الجارف.

لا مفر للعلماء الجادين أن يلجوا هذا الخضم المتلاطم، ولا بد أن تكون دماؤهم وأعمالهم سفنا يتقنون بها الأمم من الضياع المحقق، وإلا فالخزي في الدنيا والعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون .. ففي الحديث الحسن الذي رواه الترمذي (أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينتفع بعلمه). (إنما أخاف على أمتي الأمة المضلين)^(٢).

وكان سفيان الثوري يقول: (نعوذ بالله من فتنة العابد الجاهل وفتنة العالم الفاجر ، فإن قمتنهما فتنة لكل مفتون) .. وقد كان سفيان بن عيينة يقول: (ليس شيء أنفع من علم ينتفع ، وليس شيء أضر من علم لا ينتفع ..) وكان صلى الله عليه وسلم يدعو بهذا الدعاء :

(اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ، ومن نفس لا تشيع ، ومن علم لا ينفع ، أعوذ بك من هؤلاء الأربع)^(٣)

١- نشرت في مجلة الجهاد بتاريخ ١ شباط ١٤٠٥ هـ - الموافق ٢١ أبريل ١٩٨٥م العدد الخامس

٢- رواه الترمذي . ٣- حديث صحيح رواه الأربعة .

فيا علماء الإسلام:

لقد ضاعت بلاد المسلمين بقعة بقعة، وابتلعت قطعة قطعة، وتسلبت على رقابنا الطغاة، واستتسر في أرضنا البغات -صغار الطيور- ونحن ننظر كالمفرجين، ضاعت فلسطين، وانتهكت أعراض المسلمين في الفلبين وفي لبنان وفي أرتيرية وسورية وفي كل مكان ولا غير لدينا ولا تكير .. وهذه أفغانستان وقعت في فم الدب الروسي ويكاد يبتلعها فهل تتحركون لإنقاذ الأمة ؟

فيا علماء الإسلام:

هلموا واحملوا الراية حتى تجتمع حول رايتكم الأمة ..

« وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها .. » النساء - (٧٥) .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

رسالة عاجلة إلى أطباء المسلمين^(١)

إن الحمد لله .. نحمده ونستعينه ونستغفره .. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله .. أما بعد:

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا .

بقدر من الله وفي يوم الخميس ١٨ أبريل ١٩٨٥م كنت في زيارة لكويتا، وقمنا بزيارة مستشفى مرضى المجاهدين، وقد أذن لنا دون استئذان مسبق ، إلا مستشفى الصليب الأحمر الدولي، فإنهم في العادة يرفضون دخول الزوار لولا إله ثم استئذان الدكتور الذي يعمل مديرا للهلل السعودي .. فآذنوا مع اشتراط الموعد المحدد والعدد القليل .

دخلنا المستشفى، ومما بلغت النظر فيه أن معظم الذي يعملون في داخله من النصارى الغربيين وبعض النصارى الباكستانيين. كانت مناظر الجرحى تدمي القلب وتفتت الكبد، وقمنا بالطواف على المرضى والجرحى، وأثناء تجوالنا حدثت قصة جفرت آثارها في أعماق القلب، ولا أظنني أنساها ما حييت .. شيخ من قندهار اسمه عبد المقصود، قد خط الشيب عارضيه، هجم علينا بقلبا ويحتضنا ويذرف الدموع الحرى وهو يضم صورنا إلى صدره، فذرفت عيناى .. كان المنتظر عجيبا كأنما امرأة يئست من لقاء ابنها بعد فقدته وإذا بها تجده بين يديها وتحضنه بحرارة .. إنها عاطفة الإسلام تلك التي جعلته يندفع بلا وعي وهو يرى مسلمين لأول مرة في هذا المستشفى، لقد التقط الصليب الأحمر ابنه عن الحدود، ونقلوه إلى غرفة العمليات، وهو الآن في نور النقامة ، وطيلة هذه الفترة لم ير مسلماً واحداً .. فذهل عندما رأى منظرنا.

انتحى بى جانباً (أبومازن) رجل غيور على الجهاد -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا- وله مكانته في بلده، وكان يبكي، قال لي ودموعه تغرق عينيه ما قيمة العيش يا أخي ونحن نرى إخواننا الذين هم بين الموت والحياة بين أيدي الصليب الدولي؟ قال لي بصوت متهدج : أما رأيت القلمان تقطع أيديهم وأرجلهم ؟

أين العرب؟ أين المسلمون ؟ وهي لفقة قيمة .. إذ أن قطع رجل المجاهد أمر ميسور، ولعله محبوب لدى هؤلاء الغربيين حتى لا يعود إلى الجهاد .

ففي مركز الصليب الأحمر الدولي في بيشاور قطعت عام ١٩٨٣ ٢٥٠٠ قدم للمجاهدين، فسألهم الدكتور يوسف (أحد الأطباء المسلمين) ما سر هذا القطع الكثير ؟ فاعتذروا إليه أنه لا يوجد عندنا أسرة زيادة حتى نرعاهم لفترة طويلة ريثما تشفى الإصابة في أصبعه أو مشط قدمه، فيبيتونها ثم يضعون له القدم الصناعية الجاهزة، فيعيش طيلة حياته بعيداً عن أرض الجهاد .

كنت ذات مرة أحضر مناقشة بين عربي مسلم ومسؤول باكستاني، وكان العربي يطالب بفتح نقاط طبية قرب الحدود، وكانت سبباً لنسلاخ تبو على وجه المسؤول وهو يرد بالنفي قائلاً : لقد كانت هناك نقاط كثيرة للصليب الأحمر الدولي على الحدود، لكن

١ - نشرت في مجلة الجهاد بتاريخ ١٥ شعبان ١٤٠٤ هـ - الموافق ٥ مايو ١٩٨٤م العدد السادس.

الآن عادت النقاط، وكانوا يتلقون الجرحى بالتبليط والتخدير، يقولون له ستعيش بقية صرك عاطلا عن العمل، مشلولا عن الحركة، لأنك قد فقدت قدامك أو ساعدك، من أين تعيش منذ الآن ؟! أنتم هل تستطيعون أيها الأفغان أن تواجهوا روسيا وحلف وارسو، فيؤدي هذا إلى آثار سلبية على نفسه، قال المسؤول فحاولنا كثيرا حتى أبعدنا هذه النقاط عن الحدود، وللصليب الأحمر في كويتا ماثرتا هليكوبتر لنقل الجرحى لأنهم لا يعانون إلا جرحى الحرب .

فإذا استقر هذا في ذهنك فإليك المعلومات التالية : للسويديين تسعون عيادة في أرض أفغانستان، ويتعاون معهم ١١٠ أطباء أفغانيون، بالإضافة إلى هذه العيادات الفرنسيين لهم ١١٦ طبيبا داخل أفغانستان، ولهم ثلاث جمعيات، من المتوقع أن يصل في هذا الصيف عدد الأطباء في إحدى هذه الجمعيات ٦٠ طبيبا، وقد شهدت بنفسني في يوم الثلاثاء ٥ مارس ٨٥ إسلام (إفيلين غوي) وهي من جمعية الطببة الفرنسية الدولية لخدمة إنسانية في مكتب الدعوة في بيشاور، وكان قبل قد أسلم إيتي ميلسون صديقها في نفس الجمعية، وكانا قد جانا لعلاج الجرحى في أفغانستان، فعندما رأى ميلسون أن بندوق بسيطة تقابل الأساطيل الجوية والبرية والصواريخ بأنواعها هذه منظر الجهاد من أعماقه فأعلن إسلامه، وسمى نفسه الدكتور عبدالله والسويديون داخل أفغانستان يزرعون الأرض ويحصنون بواسطة الأفغان، ولهم مدارسهم الخاصة .

هناك جمعية الأمصال الواقية الغربية تذهب لإصرارهم واستعمالهم لكل وسيلة لإبقاء الأمصال صالحة للوصول لأرض أفغانستان، يضعون الأمصال الواقية في ثلاثة صفيحة في الخرج، وفي الناحية الأخرى من الخرج (الكيس ذو الجيبين الذي يوضع على ظهر الحمار) توضع بطارية تشغل الثلاثة، وهناك حمار آخر وراء هذا الحمار يحمل مولدا ليعبئ البطارية التي تفرغ شحنتها كل ثلاثة أيام، ويقومون بتطعيم الأطفال من الأمراض ضد الأمراض الستة المعروفة (السل والحصبة والدفترية والمثايل والسعال والتيتانوس)، ويطعمون الرجال ضد التيتانوس .

لقد أعلن أنه في هذا الصيف سيدخل مائتا طبيب أمريكي للعمل داخل أفغانستان .

هناك في بيشاور ما لا يقل عن خمسمائة غربي يعملون بدأب لا ينقطع بين المجاهدين الجرحى ! فهناك منظمات: كاراتاس سيرف - جين أغلاص - انترايد - ميشن هوسبيتال، وغيرها .

حدثني الدكتور محمد قاسم قال : جرح شاه محمد من بانجشير في عينه، فعملوا له عملية في تكسلا في (أي هوسبيتال)، وهذا المستشفى تابع له (مشن هوسبيتال)، وعندما أنهوا العملية قالوا له بالطريقة التبشيرية البدائية : قل يا محمد أشف لي عيني- بعد أن غسلوها بماء عادي- فلم ير شيئا، ثم غسلوها بالنواء وقالوا له قل يا عيسى فأبصر النور. أضف إلى هذا أن الصليب الأحمر الدولي له مراكز إسعاف أولية (فيرست ايد هوبايال تيمز) وعددها خمسة في بارشيتار وميرام شاه ووانا وشامان وأباريتي .

وهناك مركز لتأهيل المشلولين في بيشاور في حيات آباد افتتح سنة ١٩٨٤م يتسع لمائة سرير، وهناك دورات إسعاف أولية . وفي بيشاور أجرى الصليب الأحمر ١٠١٥١ عملية جراحية لجرحى الحرب، و أجرى في كويتا ٣٢٨٩ عملية جراحية، ودرج ٢٢٠٧ في دورات على الإسعاف الأولي في بيشاور ، و٢٧٢ في كويتا .

لقد مكث طبيب أسكتلندي ١٨ شهرا في بلخ (مزار شريف) لعلاج المجاهدين .

هذه المعلومات نضعها بين يدي الطبيب المسلم لتكون حجة عليه يوم القيامة ، ولا يبقى لأحد عذر أمام ربه .

إننا إن قارنا هذه الأرقام المذهلة لعمل الغربيين نقول : لم يعمل في داخل أفغانستان سوى طبيب عربي واحد هو الدكتور صالح، ليس في مستشفيات الجرحى في باكستان التي يديرها العرب والمنظمات العربية طبيب تخدير واحد، ويموت الكثيرون نتيجة خطأ تخدير .

ألسنا أولى من الغربيين بمساعدة هؤلاء الإخوة المسلمين من الجرحى الذي يحمون أعراض الأمة الإسلامية وأموالها وديارها من السرطان الأحمر ؟!

ألسنا أولى بهذا العمل حتى يقال أجرا ونكرى في الأولى والآخرة ؟! ألسنا أطمع بمودة هؤلاء ويتوثق الصلة بقلوبهم الكسيرة الحزينة ؟! ألسنا أولى أن نهتمهم ونواسي جراحهم ؟!

هل يطعم الغربيون كما نطمع نحن بالنعيم المقيم في جنات النعيم ... ففي صحيح مسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) .
أيها الأطباء .. أنوا زكاة علمكم .. أنوا زكاة أوقاتكم .. قاله سائلكم عن علمكم ماذا عملتم به ، وعن مالكم من أين اكتسب وأنى أنفق .

أيها الإخوة:

إنه ليتلج صدورنا هذه الجيوش الجرارة من الشباب المسلم الذي يدرس الطب في الغرب وهو معتصم بدينه، متمسك بإسلامه .. ملتزم بمبادئه، ولكن .. ألا تؤلمون شيئا من أوقاتكم لله رب العالمين ؟ أما ترابطون مع هؤلاء المجاهدين شهرا في السنة وتأخذون إجازة بلا راتب لمدة سنة؟ ونحن مستعدون بإذن الله أن ندفع للمتخصص ألف دولار في الشهر، والطبيب العام ستمائة دولار في الشهر، من شاء أن يتقدم لخدمة الجهاد والمجاهدين فعليه أن يتصل بنا على عنوان المجلة:
بيشاور ص ب ٨٠٢، رقم التليفون ٧٦٢٩٤ أو مكتب خدمات المجاهدين (بيشاور- باكستان ٤٢٩٢٢ - ٨ - ٤٣٧)، أو اسلام آباد ص ب (١٦٣٨) ت ٨٥١٨٠٥ ، أو يتصل في بيشاور مكتب لجنة الدعوة - أرياب رود ت : ٤٢٢٢٢ .

«انفروا خفاقا وثقالا وجهادوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون». التوبة: ٤١.

أيها الإخوة الأطباء نحن في انتظاركم .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

أخوكم

د. عبدالله عزام

رسالة إلى الشباب^(١)

كثير من الإخوة المتحمسين والمتدفعين للمشاركة في الجهاد مع الإخوة الأفغان ، كثير من هؤلاء الشباب يرسل إلينا يسأل عن طريقة الوصول إلى هناك ، وقد وجد الدكتور عبدالله عزام أنه لا بد من الإعداد النفسي للشباب القادم إلى أفغانستان حتى يكون على علم وبصيرة بالأرضية التي سينزل فيها، ويعيش عليها، فإنه أدعى للثبات وأعون على الصبر .
واليكم هذه الملاحظات السبع من أستاذنا الدكتور عبدالله عزام :-

* * * *

إن الحمد لله .. نحمده ونستعينه ونستغفره .. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده رسوله أما بعد :-

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا .

أولا:- إن الجهاد في سبيل الله هو من أشق الأمور على النفس وأصعبها ، ولا يحتمله إلا أفذاذ من البشر ، ولذا فقد جعل الله الجزاء مقابلا للجهد والمشقة، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أي العمل أفضل؟ قال : الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله)^(٢) .

وقال عليه الصلاة والسلام: (الغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها)^(٣) .

وقد أجمع العلماء أن الجهاد في سبيل الله أفضل من جوار الحرمين، وهذا هو تفسير الآية:

« أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجهاد في سبيل الله لا يستترون عند الله والله لا

١ - نشرت في مجلة الجهاد ١٥ رمضان ١٤٠٥ هـ - الموافق ٣ / يونيو / ١٩٨٤ م .
٢ - رواء البخاري ومسلم .
٣ - رواء البخاري ومسلم .

بهدي القوم الظالمين ، الذي آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفاتحون»

التوبة (١٩-٢٠)

ثانياً :- إن الجهاد في أفغانستان أروع صورة للجهاد في العصر الحديث خلال القرون الثلاثة الأخيرة ، ويعتبر خارقة من خوارق الدهر، ولكن الذين يجاهدون هم بشر كبقية الناس، وشعب كبقية الشعوب، لهم أخطاؤهم، ولهم مخالفاتهم، وقد يذنبون الذنوب الصغائر والكبائر، وهو شيء طبيعي في البشر، فئن يكونوا مثل مجتمع المدينة في أيام رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومع ذلك فقد كان في صف جيش الرسول (صلى الله عليه وسلم) طابور من المناققين يروجون الإشاعات، وينشرون الأراجيف، ويكرهون الإسلام وقيادته المتمثلة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد يظن بعض الناس أن الشعب الأفغاني شعب نزل من السماء كالملائكة طاهرين مطهرين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، حتى إذا جاء إلى ساح القتال وأرض النزال ورأى هؤلاء الأبطال ببشريتهم الناقصة، ورأى أخطأهم يصدم صدمة عنيفة، ويفكر بالعودة من حيث أتى .

فالشعب الأفغاني شعب كبقية الشعوب، فيهم الكاذب، وفيهم الصادق، وفيهم اللخن، ولكنه بالمقارنة مع بقية الشعوب يبقى شعباً فريداً في الأرض اليوم من ناحية البطولة والرجولة والعزة والأنفة والنخوة والوفاء والحرية والإباء، ويكفي أنه تحدى أكبر قوى الأرض، ووقف أمامها هذه المدة الطويلة .

ثالثاً :- إن الجو العام في أفغانستان هو ثقيل جداً على النفس البشرية، قد تحتمله النفس البشرية العادية شهراً أو شهرين، ثم يخبر الحماس ويبدأ الوسواس ، ولا يحتمل تكاليف الطريق ومشاقه إلا القليل من الناس، فالطعام قليل، إذ أنه قد يمر عليك شهر كامل لا ترى فيه إلا الخبز والشاي ، وسترى حولك أناساً تستوحش برؤيتهم ، فلا لغة بينكما للتفاهم، ولا تجد أنس الصحبة، ولا صور المودة التي كنت تألفها في بلدك، وقد ترى صلاة سريعة، وجهلاً ببعض التعاليم الإسلامية، وهنا يأتي دورك في الصبر والمصابرة.

رابعاً :- إن الشعب الأفغاني يحب العرب كثيراً ويحترمهم، ويعتبر خدحتهم عبادة، بشرط واحد وهو أن يثق بهم ، فإذا وثق بهم قدم لهم نفسه وروحه فداء، ولكن إذا شعر أن العربي يستعلي عليه فإنه يحتقره ويؤذره ، إذ أن نفس الأفغان لا تطيق الاستعلاء ولا الاستعباد ولا الذل ، إذ أنه يفضل الموت على الذل .

فعلى العربي الذي يأتي هنا أن يعرف حدوده ، ولا يضع نفسه فوق المنزلة التي تستحقها ، فهو قائم كالجندي وليس قائداً للقادة وموجهاً للسادة، فلقد رأينا بعض العرب ليس له رأي في أسرته الخاصة، وليس له أية مكانة علمية في بلده أو قريته، وجاء هنا وبدأ الانتقاد لقادة الجهاد، ويشكك في مسيرة الجهاد ، قد أصبح الانتقاد عندنا علامة على حب الرجوع ، وأصبح التشكيك عندنا قرينة على العزم على الإياب .

خامساً :- إن فوق أرض الجهاد أناساً من مشارب شتى ومدارس مختلفة، كثير منهم يخالفك في الطريقة التي تربيته عليها ، والنهج الذي نهلت منه، وبعضهم لم يتلق العلم على يد عالم، كل علمهم من الكتب ، لا يعرف أدب الدعوة، ولا يعرف أدب المحادثة، وأنت مضطر للمعاملة مع هؤلاء جميعاً، والقاعدة التي تسير عليها ها هنا (تتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه)، فلا بد لك من الصبر على إخوانك الذين يشاركوك في الجهاد، وإن الصبر على هؤلاء أشد على النفس من وقع قذائف الأعداء، ولا مناص لك ، لن ترى في أرض الجهاد أناساً كلهم على فوقك، ولا بد لك من الصبر على اختلاف المشارب والأنواق والطبائع والجيالات، وإلا فلن تستطيع أبداً الجهاد .

سادساً :- إن الصورة في بيشاور غير الصورة في داخل أفغانستان، وسوف تسمع الكثير من الغثاء مما ينقبض له صدرك من المتناقسين على الرئاسة ضد بعضهم البعض ، فلا يصدقك هذا عن الدخول إلى أرض المعركة لترى بنفسك الصورة المشرقة للجهاد تخالف هذه الصورة تماماً، الصورة التي رسمتها في ذهنك من كلام الأنداد في بيشاور .

سابعاً :- أخي الكريم: إن الجهاد (صبر وثبات واستقامة واحتمال للشدائد كلها)، وعليك بتقوى الله والذكر حتى تبقى سائراً على الطريق، لأن الله عز وجل يقول: «إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله

عنهم إن الله غفور حلیم» آل عمران - ١٥٥. وكما قال عمر في رسالته إلى سعد رضي الله عنهم جميعاً (إن تنويعكم أشد عليكم من سيوف أعدائكم)، وكما قال أبو الدرداء : (إنما تقاتلون بأعمالكم) .

إن الجهاد لا يعدله شيء، فهل تؤثر على الجهاد عملاً من الأعمال ؟ وإذا ضعفت نفسك عن الإقدام والمبادرة إلى المشاركة في ميادين الجهاد فلا تبرر لنفسك واقعا تعلم انحرافه وتترك مدى خطورته .

رسائل متبادلة بين داعية وقائد^(١)

يحرص الدعاة المتبعون دائما على إبداء النصيحة والموعظة الحسنة في أمر الدين والدنيا لعامة الناس وأئمتهم، لأن نصيحتهم وانتصاحهم فيه الخير كل الخير لهم وإن يتولون أمرهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة، قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)^(٢) .

وهل هناك تعاون أسمى من تعاون العلماء والدعاة مع الأمراء والقادة على رعاية مصالح الأمة وبالأخص في أرض الجهاد على أساس أحكام الجهاد .

في هذا الباب رسائل متبادلة بين الداعية عبدالله عزام أستاذ (في كلية الشريعة) في الجامعة الإسلامية في إسلام آباد والقائد أحمد شاه مسعود أمير جبهة وادي بنجشير المشهورة، وهو من الذي انتظموا في الحركة الإسلامية على يد الشهيد حبيب الرحمن، مما جعله يترك دراسته الهندسية في السنة الجامعية الثانية فاراً بدينه بعد ملاحقة الحكومة له، ومازال في الجهاد منذ ما يقارب العشر سنوات، يقارع قوى الكفر والشيوعية، وهو صاحب اثنين وثلاثين عاما.

* * * *

رسالة الداعية عبدالله عزام

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد الفقير إليه تعالى عبدالله عزام إلى أخيه المجاهد قائد جبهة بنجشير حفظه الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فإن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، وبعد:

لقد أكرمك الله بأشرف منزلة وأفضل عمل إذ يسر لك الجهاد في سبيله: [يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم] . المائدة: ٥٤.

ولقد تفضل الله عليك بأن جعلك من المجاهدين في ساحة القتال، ولقد من الله عليك بنصر من عنده:

«وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليجلي المؤمنين منة بلاء حسنا إن الله سميع عليم» الانفال: ١٧.

فالفضل لله أولاً وأخراً وله المنّة، والحمد لله من قبل ومن بعد، فأوصيك يا أخي بتقوى الله ومراقبته، وإياك أن يسلخ إلى نفسك عجب أو يداخلك تفكير أن هذا النصر بعلمك ومهارتك، فليس لك من الأمر شيء (قل إن الأمر كله لله) و (إليه يرجع الأمر كله) واعلم أن العجب والغرور يحبط العمل ويهلكه كما تاكل النار الحطب، فأوصيك يا أخي بالإخلاص لأنه عز وجل لا يقبل عملاً إلا بشرطين:

أولاً : أن يكون صواباً موافقاً للسنة .

ثانياً : أن يكون خالصاً لوجه الله خالياً من الرياء، ففي الحديث الصحيح «من عمل عملاً أشرك فيه غيري شركته وشركي».

١- نشرت في مجلة الجهاد في ١ صفر ١٤١٥ هـ الموافق ١ / أكتوبر العبد الثاني عشر . ٢- رواء مسلم .

فعليك بمراقبة الله وخشيته في السر والعلن، وأكثر من الصالحات ظاهراً وباطناً بحفظك الله في الشدائد ، ويلطف بك في النوازل «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

{ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب } ، الانفال: ٤٥

{ ومن يتوكل على الله فهو حسبه } آل عمران: ١٠٠

وأوصيك بتلاوة القرآن فإنه نور لك في الأرض، ونور لك في السماء، وهو عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، وهو الهدى والنور والشفاء للروح ، وأوص المجاهدين أن يتلوه ويكثروا من تلاوته:

{ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون } . آل عمران: ١٤٩

وأكثر من الإستشارة والإستشارة، فما ندم من استشار وما خاب من استشار، وفي الصحيح «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستشارة في الأمور كلها» .

واجعل أهل الشورى عندك ممن تظنهم من المخلصين الصادقين، وإياك أن تجمع حولك أهل الذنوب والفاقلين: { ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً } .

واعلم أن أصل الفساد في هذه الدنيا يرجع إلى اتباع الشهوات والشبهات، فلا بد من دفع الشهوات بالصبر، ومن دفع الشبهات بالعلم واليقين حتى تصبح إماماً في الدين، لأن الإمامة في الدين لا تتال إلا بالصبر واليقين [وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون]

فأكثر حولك العلماء، وحارب الشهوات بقطع الطمع، لأن الطمع والحرص على الدنيا يفسد دين المرء ودينه ، وفي الحديث الحسن «ما ذنبان جائعان أرسلا في غنم فأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه » .

وإياك والاستعانة بالظالمين ، أو استشارة الكافرين، أو الركون إليهم، أو الاعتماد عليهم ، { يا أيها الذي آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين } .

{ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين } .

وعليك بمحاربة البدع صغيرها وكبيرها، ونبه المجاهدين ألا يحملوا الرقى والتعائم، ولا يتمسحوا بالقبور، وألا يضعوا عليها الأعلام والزهور، وألا يبنوها، فإن بناء القبور حرام، وأن لا يبنوا عليها المساجد، وألا يوقدوا عليها السرج، لأنه كما جاء في الحديث «أولئك شر الخلق عند الله» ، وفي الحديث: «شر الناس اثنان: الذي تدركهم الساعة أحماء، والمتخذين على ظهورهم المساجد والسرج » .

وأوص المجاهدين بصوم النافلة، وقيام الليل، فإنه عون لهم في جهادهم، ولا تجمع كل الصلاحيات بيدك، بل وزع المسؤوليات على أعرائك، فإن هذا يريحهم ويزيدهم ثقة بك وحبا لك، وهو راحة لك وأجدى للعمل، وأنفع للجهاد، وهذا يقلل من التمرد على أوامرك، أو التفتك من قبضتك، ويحفظ الصف من الانشقاق والتمزق ، وإياك والتجسس على جنودك، ولا تتبع عوراتهم، فإن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم أو كاد أن يفسدهم ، « ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته وفضحه ولو في جوف بيته » ، وكم أفسدت هذه القضية من قلوب، وكم مزقت من صفوف .

وتحجب إلى جنودك بالابتسامة الصادقة ، وتغاض عن مفواتهم ، واعف عن مسيئتهم، واقبل محسنهم، ولا تجعل ظنك بهم سيئاً.

واعلم أن العالم الإسلامي كله يرنو ببصره إلى الجهاد الأفغاني ويتابع أخباره باهتمام بالغ، وهو يستحوذ على اهتمامهم، ونرجو الله عز وجل أن ينصركم ويثبت أقدامكم ، وأن يقيم دولة الإسلام على أيديكم، إنه نعم المولى ونعم النصير .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

أخوكم

عبدالله عزام

من القائد الأستاذ غلام محمد آرين بور^(١)

إلى الداعية الدكتور عبدالله عزام

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الكبير والداعية والعالم المدير الحنون وخادم الإسلام والمسلمين الدكتور عبدالله عزام .. المحترم !^(٢)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فأرجو الله الواحد الأحد الفرد الصمد أن تكونوا بخير وعافية ، وأن تقالوا سعادة الدارين .

تسلمت خطابكم الموقر الذي كان يبشر عن صحتكم، وكان يحتوي بين طياته المفاهيم القيمة التي لا غناء عنها لأي فرد مخلص، وإنكم ما تركتم شيئاً مفيداً إلا ذكرتموه . وأنا أريد أن أكتب باختصار عن أفكار ونيات حاملي السلاح في أفغانستان ، عن أفكار أناس يؤمنون برسالتهم الإسلامية، ويلعبون دورهم البارز، ويزينون صفحات تاريخنا الإسلامي المجيد، وتاريخ بلادنا بحماسهم الفريد، وأن أذكر خواطر وذكريات تسطع في جبين التاريخ .

أنا شاهدت تلاطم الأحداث الاجتماعية والسياسية والعقبات في سبيل شعبنا المؤمن منذ عام ١٣٤٧ هـ ش (١٩٦٨م)، حيث كنت في جلسات رجال بدأوا العمل الإسلامي، ولكنني لا أدعى بأنني لعبت دوراً حاسماً مثل هؤلاء الرعيل الأول، وأعني بهم: الأستاذ برهان الدين رباني، والشهيد السعيد المهندس حبيب الرحمن، والشهيد السعيد المهندس سيف الدين نصرتياري، والشهيد العزيز عبدالرحيم نيازي، والشهيد السعيد غلام رباني عطيش، والشهيد للسعيد الدكتور محمد عمر، وعشرات غيرهم من أبناء الإسلام الصادقين المجاهدين، وأما في الظروف الموجودة أشكر الله العلى التقدير بأن أرى جسماً النحيف بين إخواني المجاهدين، وأبذل كل ما في وسعي بطيب خاطر لخدمة الجهاد، وما أكتبه لكم هو عصارة تجاربي من جهادنا العملي والفكري .

من المعلوم بأن سيل الحوادث المختلفة أثر في تقاليد وأعراف وفكر الناس أثراً إيجابياً أو سلبياً، مثل هجوم جنكيز الوحشي، وثلاث هجمات من قبل إنجلترا، وبعدنا الزمني عن ينبوع الوحي، وعدم مبالاة السلاطين والملوك في الأمور المتعلقة بالثقافة الإسلامية، وما لعبت من دور خطير الأيدي المجرمة وعملاء الملحد في الماضي والحاضر، ولاسيما وجود دولة روسيا الملعنة في الستين سنة الأخيرة .

وقد أراد أبناء الحركة الإسلامية المخلصين في بداية السبعينات بأن يجهزوا أنفسهم باستفادتهم من كتاب الله وسنة رسوله، ويهيئون الظروف العينية والذهنية لتحركاتهم، ولكن مع الأسف الشديد لم تتح لهم الفرصة، وبدأت الثورة الإسلامية في أفغانستان قبل أوانها ، وعدم تجربتنا والتعليم الكافي في هذا المجال أفضى بأن يدخل في صفوف الحركة أشخاص آخرون، ويحمل السلاح أناس غير مخلصين ، ومن العقبات التي يواجهها جهادنا الإسلامي المبارك عقبة هؤلاء الرجال، بالإضافة إلى ما يتركبه عملاء الدولة العميلة، وعملاء كي - جي - بي في صفوف الجهاد .

وفي الظروف الراهنة الحساسة نحن نعتقد على الرغم من وجود العقبات التي يواجهها المجاهدون المخلصون ، نقول بأن النصر الإلهي التي لا نهاية لها تشملهم ، ولكن نعرف ونتيقن بأن انتصاراتنا منوطة بأعمالنا وأفعالنا ، وكلما طابقت أعمالنا وأفعالنا مع كتاب الله وسنة رسول الله ، كلما تقال حظنا وأفرا عن مدد الله الغيبي وعنايته الوافرة .

ولكن إذا عصينا ربنا، وأفسدنا في أعمالنا، وابتعدنا عن طاعة الله وأوامره، فحصل الهدف والغاية أمر مستحيل لا نقاله أبداً . نحن قبل ثورتنا الإسلامية كنا نترصد ما فعله وما ستفعله القوة الاستعمارية الشيوعية الشرقية والغرب الرأسمالي، نحن نعرف ما فعله الطواغيت باسم السلام والمساعدة للشعوب المستضعفة من المسلمين وغير المسلمين في ألمانيا وكوريا وفيتنام والفلبين وسوريا ولبنان وليبيا وفلسطين الغالية ، ونحن نعرف ما يفعله جنود سوريا وإسرائيل والعملاء بحيل كثيرة باسم المساعدة والإصلاح ، ويهجمون على أرض لبنان، ويؤسسون الشيوخ والشباب والأطفال والرجال والنساء مثل النملة .

٢- الرسالة جاءت باللغة الفارسية وهذه ترجمتها باللغة العربية.

١- الشهيد في نعظم طهره في أوائل سنة ١٩٩٣ في بامخشان الشرع والياً لها.

المجاهدون يعرفون عن مصير عشرين مليون مسلم ومئات المدارس وآلاف المساجد في بخارى وسمرقند وتاجكستان وتركمنستان، ونعرف المخططات الأتمة الإجرامية التي تواجهها النول الإسلامية، ولا ننسى ما فعله معتنقر عقيدة التثليث وحاملو راية الكفر والشرك على الأندلس الإسلامية، وما قدموه تحت شعار المسيحية الكاذبة وأعمال يندى لها الجبين خجلا بنكرها .

ونعرف عن المخططات التي ينوي الاستعمار تنفيذها في الفلبين وفلسطين ولبنان ومصر والأردن و . . .

نعم ! الإمبريالية الغربية والشرقية والصهيونية العالمية وتجار وسرقة ومصاصو دماء الإنسان المظلوم وجميع الطواغيت اتحدوا معا، وشتموا عن ساعد الجد لتدمير الإسلام العزيز وإبادة الأمة الإسلامية بالحيل والخداع، ولكن ليس لكرهم أي مستقبل إلا مستقبل جيش الأحزاب حينما حاصروا المدينة المنورة في عهد الرسول ﷺ، حيث أرادوا القضاء على دولة الإسلام الفتية، فهؤلاء الاستعماريون والذين قلدوا الدجالين مثل: ماركس وإنجلز ولينين وستالين وهمار وفرويد وداروين واسبنسر لا يستطيعون أن يعملوا شيئا، وسيدفنون في مزبلة التاريخ بإذن الله العزيز المنتقم المقتدر، ويخيم عليهم غضب الله -إن شاء الله-

اترك قيصر العصر ويزدجرد الزمان في الكرملين والبيت الأبيض وقصر الأليزيه أن يستهزئوا بجهادنا، جهاد حفاة صنعوا تاريخهم في الجبال الشامخة والوديان، اتركهم يفرحون بدموع العرائس اللاني استشهد أزواجهن في ليالى الزفاف، مسرورين يستمعون لأهات الأمهات اللاني فقدن فلذات أكبادهن، دعهم يزدرون قوافل مهاجريننا وآلاف الجرحى والمرضى والمعوقين، وليتذكروا برؤية هؤلاء المستضعفين همجية الحرب بين " غلاديوكتوريين " ويرضوا بتلك السادية الفكرية السائدة بينهم .

ولكن أبناء جبال هندوكوش وسليمان والجبل الأبيض الفيورين الشجعان، وأساده ضفاف كنز وهلمند وهريود وأمو وكوكتشة الرابضون، قد رفعوا رؤوسهم مثل الجبال الشامخة والأمواج الهائجة، لا ينحنون إلا لخائفهم العزيز المقتدر الواحد المدبر، ولا يركعون أمام أية قوة جبارة في العصر، وهم متيقنون بزوال جميع الجبابرة، لأنهم يعرفون بأنه " وأما ما يثنع الناس فيمكث في الأرض " فيبقى لواء الإسلام المجيد يرغرف على أرجاء الوطن .

أخي العزيز:

إننا نعتقد بأن معصية الله سبحانه وتعالى، والبعد عن سنن رسول الله، وتفشي النفاق، وحدث الشقاق - تحت أي اسم كان- يعد من العوامل التي تقصم ظهر جهادنا المبارك، ومن العوامل التي تفشل الجهاد، ولا نختصر إلا بالوحدة في العمل على الجمع بين المجاهدين، ولا تستطيع أية وسيلة مادية أن تملأ هذه الفجوة، ومن أضرار النفاق الأمور التالية:

- (١) يمحور روح الترابط بين المجاهدين.
- (٢) يورث التذبذب الفكري والعملي .
- (٣) يخلق العداوة والحسد والتعصبات المختلفة ويكثرها .
- (٤) يمنع العرب المتفق عليها من جميع الجهات .
- (٥) يورث الخلل في الحروب المتحركة، وتعرف بأن الحرب المتحركة عامل مؤثر في قصم ظهر العدو.
- (٦) يضعف المساعدة المتقابلة بين الناس والمجاهدين .
- (٧) إضعاف الابتكارات والأعمال الحيوية التي يريد المجاهدون العمل بها.
- (٨) تضر تحركات العدو ودعاياته.
- (٩) يطفيء روح الجهاد تدريجيا .

كما يفعل الشقاق المجاهدين نتيجة هذه الأفاعيل، وفي مقابلة ذلك يعد الاتحاد والوحدة حرية نافذة ومؤثرة تؤدي إلى إنبهار العدو وتحقيق أمنيائنا الإسلامية .

أخي العزيز:

نحن لا نوافق على هجرة المواطنين من الوطن، بل نراها غير منطقية وغير مفيدة .
ونحب أن تساعد الجهات المختصة الجبهات في الداخل، وبدل أن تساعد المهاجرين خارج ثغور البلاد يجب مساعدتهم داخل

أفغانستان، لأن ترك المهاجرين بلادهم يؤدي تدريجياً إلى قطع جذور الجهاد، ومن جانب آخر فالدول الغربية تؤثر على تقاليد وقيم المهاجرين، وبعد الانتصار سنواجه مشاكل أخرى، والآن وبعد هجرة كثير من أبناء الوطن إلى الخارج، نرجو الله العلي العظيم أن تكون أسرتهم إبراهيم وموسى وسيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام.

أخي المحب للإسلام:

نرجو من فضيلتكم أن تبعثوا الإخوة العرب إلى جبهات الجهاد بعد تحليل شخصيتهم وكفائتهم وأهليتهم وتفهمهم للأمور، وأن يكون الأخ واسع الأفق يصرف همه في الأمور الأساسية، وأن يكون حر الإرادة والعمل، سليم الفكر والتصميم، ولا ينسى رسالته الإسلامية، وأن لا يدافع عن منظمات أفغانية كأحد أعضائها المتعصبين، وأن يكون مصلحاً بعيداً عن الإفساد، ولا يخرج عن دائرة هذه الشروط وهذا ما نتوقعه وننتظره منهم.

ونقترح في موضوع مساعداتكم وإدارتكم الخيرية الأخرى ألا ينشئ فعالية الجبهات الجهادية ونظمها وظروفها وتعهداتها وإخلاصها ومدى تمسكها بكتاب الله وسنة رسوله، ومواقفها في المسائل الجهادية والدولية لتكون المساعدة في شكلها المناسب الإسلامي حتى لا يستفاد منها في النفاق والشقاق والأهداف الشخصية والقبلية والإقليمية.

وفي الختام أرجو العفو من تطويل رسالتي، وأذكركم بأن الأخ عبد الواحد قد مكث معنا في جبهة كشم وغيرها زماء سنة، وهو خير من يشرح لكم الوقائع والأحداث، والله العزة والرسول والمؤمنين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم في الله / محمد أرين بور

المسؤول التعليمي في جبهات شمال أفغانستان / جمعية

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة زوجة الشهيد

رسالة موجهة من زوجة الشهيد عبدالله عزام إلى المؤتمر الإسلامي النسائي في أمريكا والسويد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أخواتي في الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كنت أود أن أكون معكن في هذا الاجتماع المبارك الذي أرجو الله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأن تكون فوائده وحسناته في ميزانكم يوم القيامة إنه سميع مجيب، ولكن مشيئة الله حالت بيني وبين اجتماعي بكن، أسأله جل وعلا أن يعوضنا عن اجتماعنا بكن خيراً.

أخواتي الحبيبات:

إن العمر قصير، وإن الحياة لأنفاس معدودة ومحسوبة، فهل أعدت كل واحدة منا نفسها لهذا اليوم، يوم فراق الأحبة والأصحاب، وفراق الدنيا الفانية، والانتقال إلى يوم الحساب وإلى دار البقاء، ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم؟! وهل أعدت كل واحدة منا نفسها لضمة القبر التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها يوم أن دفن الصحابي الكريم سعد بن معاذ رضي الله عنه (لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ)؟! أرجو الله تعالى أن نكون ممن صدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن (خير متاع الدنيا المرأة الصالحة)، وصلاحك أختي المؤمنة بصلاح دينك، وصلاح عقيدتك، وصلاح تربيتك لأولادك الذين هم أمانة في عنقك، والذين هم شباب المستقبل وحماة الدين، والوقود المستمر لهذه الدعوة الخالدة.

أخواتي الحبيبات :

يا حفيدات الخنساء ، ويا أخوات سعية وخولة بنت الأزور..

يا من رخصتين بالله ربا ويا لإسلام ديننا وبمحمد رسولا ويا القرآن دستوراً..

يا من تردن أن ترفعن راية لا إله إلا الله خفاقة عالية..

يا من تردن أن تعشن على ربوع أرض يسودها العدل والطمأنينة ..

يا من تردن أن تعشن حياة سعيدة عزيزة وكريمة..

يا من اتبعن نهج الرسول في حياتكن..

يا من اتخذتن القرآن دستوراً.

يا نساء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ادفعن الرجال للجهاد في سبيل الله، لأنه لن يكون لكن كما تمنين إلا في ظل رجال أقوياء يحملون السلاح ويدافعون عن دينهم وعقيدتهم ووطنهم وعرضهم، وتكون لهم مهابة في قلوب أعدائهم .. يقدمون الشهيد تلو الشهيد، وعند ذلك تكون العزة والكرامة والرفعة في ظل السيوف، وهي ظل أناس أقوياء لهم مهابة في قلوب أعدائهم، ولكن لن يكون ذلك إلا إذا قامت كل واحدة منا بدفع الزوج والولد والأخ والأب لساحات النزال وساحات الشرف والقتال، ولن يكون ذلك كذلك إلا بصبر المرأة على غياب الزوج والأخ والأب، وبأن تخلفهم في نفسها وأولادها وبيتها خيراً، وتكون من ورائهم الصخرة الصلبة التي يتكئون عليها، وتكون الساعد الأيمن للرجل، وأن تهنيء -بكل ما تملك من صبر وتحمل- الظروف المناسبة للرجل في سبيل تحقيق ذلك، وأن ترفع عن الدنيا وسفاسفها، وأن لا تكلف زوجها ما لا يطيق، وأن ترضى بالقليل الذي ييسره الله لها، وأن لا تشغله بنفسها وبطلباتها الدنيوية، التي لو تتبعتها وتتبع شهواتها ستؤدي بها في النهاية إلى التهلكة، وستنفذ كل طاقاتها وجهدها وقتها، ولن تنتهي من هذه الدنيا إلا بعد أن تهلكها.

ويجب عليك أختي المسلمة:

أن تدفعيه للجهاد بكل ما تملكين، ولا تترددي بذلك لأي سبب من الأسباب، لأن الأعمار بيد الله، وأن الجهاد لا ينقص من أعمارهم ولا من أرزاقهم شيئاً، وترك الجهاد في سبيل الله لن يزيد في أعمارهم شيئاً ولا في أرزاقهم، فكل ذلك بقدر من الله، والله يقول: (إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون).

وانتي أختي المسلمة:

أسألك سؤالاً: ألا تعبين أن تكوني مجاهدة في سبيل الله؟ بالطبع ستجيبين بـ«نعم»، فكيف يكون لك ذلك في أيامنا هذه حيث تغيرت أساليب الجهاد في سبيل الله، فلا تستطيع المرأة الآن أن ترافق زوجها إلى ساحات المعركة، فكيف تكون مجاهدة إذا لم تدفع زوجها للجهاد، وتشاطره الأمر بصبرها على غيابه وإخلافه في بيته؟ فإن كتب الله له الحياة في ظل الجهاد فستعيشي معه سعيدة، وإن كتب الله له الشهادة فستمشري معه شهيدة -إن شاء الله-، لأن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته، فماذا بعد هذا الأجر؟ وماذا بعد مرافقة الشهداء والصالحين في الجنة؟ ترجو الله أن يحشرنا في صحبتهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وانتي والله لأقول لك أختي في الله عن تجربة أنك إن توكلت على الله في حياتك فلن يضررك شيء بإذن الله، فمهما كبرت المصيبة فهي صغيرة جداً مادامت في سبيل الله، والله الذي لا إله إلا هو أنني تلقيت خبر استشهاد زوجي وأولادي بكل رضا بقضاء الله وقدره، ونزلت المصيبة عليّ برداً وسلاماً، وقد أحسست أن السيادة تفيض عليّ من الداخل، وتغمرني، وقد مضى على استشهادهم الآن شهراً ومازلت ثابتة راضية مطمئنة، فكل هذا من الله ويقدره، وليس هذا باستطاعتي لولا تثبيت الله لي، ولكنني واثقة أن عمرهم قد انتهى، وأن أجلهم جاء، فماذا ينفع الجزع والعزن، فالرضا بقضاء الله خير من الجزع، والصبر جزاؤه الجنة، فاللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم، وإني لأستشعر السيادة باستشهادهم أكثر منها في حياتهم، وإني أرى والله أعلم بأنهم قازوا وفزت معهم -أدخلهم الله فسيح جناته وألحقنا بهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر إنه سميع مجيب-

وأخيراً أختي المسلمة:

أوصيك ونفسي بتقوى الله، وقراءة القرآن، وحفظ اللسان، ومصاحبة الأخيار، والبعد عن الأشرار، وإياك والترفع، فإنه يعيب القلب، والقلب الميت لا يستطيع أن يربي الأحياء، وإننا بحاجة أختي المسلمة إلى تجديد النماذج من الصحابييات رضوان الله عليهن، فضعي نصب عينيك أن تكون أم سلمة وخولة والخنساء رضي الله عنهن قوة لك، فاعلمي كي ترتقي إلى الدرجة السامقة التي ارتقت إليها أخواتك رضوان الله عليهن، واجتهدي كي تجعل من نفسك نموذجا حيا يتحرك على الأرض، فالتأثر بالنموذج الحي أوقع في النفس وأجدر بأن يقتدى به، وفقك الله لما يحب ويرضى.

واعلمي أختي المسلمة:

أن لك أخوات في الله يعشن على أرض باكستان من أخواتك المهاجرات الأفغانيات اللواتي قدمن الغالي والرخيص والنفس والنفيس في سبيل رفعة هذا الدين، وهن بحاجة كي تمدي لهن يد العون بكل ما تستطيعين، سواء بالمال أو باللسان أو بالدعاء، كما يجب عليك أن تتذكري دائما كلما وضعت في فيك أو في فم أولادك شيئا من الطعام أن هناك نساء وأطفالا على أرض باكستان لا يجدون ما يسدون به رمقهم، وحققهم على إخوانهم المسلمين في كل مكان أن يبقوا معهم في محتهم، ونحن أختي المسلمة نهيب بك أن تمدي يد العون لأخواتك المهاجرات على أرض باكستان عن طريق اللجنة النسائية العربية في بيشاور التي لديها كثير من المشاريع الخيرية بحاجة إلى الدعم، وتستطيعين أن تقدمي مساعدتك في أي منها، وإليك هذه المشاريع:

- ١ - مشروع كفالة اليتيم ويكلف شهريا خمسة عشر دولاراً .
- ٢ - مشروع كفالة معلمة وقيمته خسمون دولارا شهريا .
- ٣ - دعم المراكز القرآنية التي تشرف على تعليم الأطفال القرآن الكريم والفقه الإسلامي، وتقوم بتقديم المصاحف والأقلام والكراسات مرتين في السنة، ورواتب المعلمات وبعض المكافآت للطلاب .
- ٤ - راتب ممرضة وقيمته ١٠٠ دولار شهريا .
- ٥ - راتب طبيبة ما يعادل ٤٠٠ دولارا شهريا.
- ٦ - تقديم المساعدات للمستشفيات مثل الأدوية والشراشف -الأكوية- والطعام للمرضى.
- ٧ - دعم مشروع توزيع الإعانات المادية والعينية على المهاجرين في المخيمات.
- ٨ - دعم مشروع توزيع الخيام وثمان الخيمة ما يعادل ٧٠ دولاراً.
- ٩ - دعم توزيع الحجاب الإسلامي على المعلمات والممرضات والأخوات المهاجرات في المخيمات.
- ١٠ - دعم مشروع توزيع الحليب على الأطفال الرضع في المخيمات.
- ١١ - دعم المشاغل ودور الخياطة بأنوات الخياطة وحاكينات الخياطة التي تعمل بها أرامل الشهداء وبنات الشهداء وأمهات الشهداء، وتقوم اللجنة النسائية بالتسويق، والأرباح التي تنتج عن هذه المشاريع تنفقها اللجنة النسائية على المهاجرين أنفسهم.
- ١٢ - التبرع بالأموال المخصصة لترجمة الكتب الفقهية إلى اللغة الفارسية وتوزيعها بين المهاجرين والمدارس من أجل تنمية الوعي الديني بين الشعب الأفغاني، وذلك لتفشي الجهل بين الشعب وذلك بسبب الحرب.

وأخيراً أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أختكم في الله / أم محمد عزام

رسالة من زوجة شهيد الأمة الإسلامية إلى قادة الجهاد الأفغاني

أيها الإخوة في مشارق الأرض ومغاريها ، الإخوة الأفاضل قادة الجهاد الأفغاني... حفظكم الله وسدد خطاكم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

[ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم
يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون]. آل عمران: ١٦٩-١٧٠

لقد رحل عنا الشيخ ونحن أحوج ما نكون إليه بعد الله، وفي هذه الظروف الحالكة، وحالة المجاهدين تقترب من النصر الذي
حرم رؤيته، والذي استهلك منه جميع ما يملك من قوى، بل وملك عليه مشاعره وأحاسيسه وفكره وخلجات قلبه، بل وأنساء بلده وأهله
وأسوته وعشيرته، وملك عليه فؤاده، حتى أصبح لا يتكلم إلا عنه، ولا يكتب إلا عنه، ولا يشد الرحال إلا إليه، وفي سبيله، والذي طالما
كان يحلم أن تقام الدولة من خلال هذا الجهاد، وأن تكون أفغانستان هي قاعدة الانطلاق للمجاهدين في سبيل الله لنشر دين الله في
الأرض، ولتحرير المسجد الأقصى من اليهود، ولتحرير الأرض من الكفر والظلم، ولإعادة العباد إلى عبادة رب العباد، وبهذا ما
عودتهم عليه من الدنيا من البحث عما تصدره إليهم دول الكفر والإلحاد لهدم وتشويه مبادئ دينهم الحنيف، وللسيطرة على عقولهم
 وأفكارهم من خلال إشغالهم بسطحية الأمور، وغفقتهم عن جوهرها، وإغراقهم بالدنيا وملذاتها.

ولقد رحل الشيخ وأخذ قلوب الأمة الإسلامية جمعاء معه، ولكن عزاها أنه قضى شهيدا ونال ما سعى إليه، وفاز بشرف عظيم
في الدنيا والآخرة، ونال أحسن الدرجات من الجنة إن شاء الله. وأملنا بالله كبير بأن الذي ذهب به قبل رؤية النصر في الدنيا أن لا
يحرمه مشاركتنا الفرحة بالنصر وهو في عليين، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا، لأن الله أخبرنا بهذا حيث قال في كتابه
العزیز:

[والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مدخلا برضونه
وإن الله لعليم حلیم] الحج ٥٨-٥٩ صدق الله العظيم .

إخوتي في الله قادة الجهاد:

لقد مضى شيخنا إلى الله، وعزائنا أن له إخوة في الله سائرين على خطاه، مكملين طريقه، وسيثأرون له، ويخلصون له حقه،
ويشفون له غليله من أعداء الله المجرمين، وإنهم بإذن الله سينهجون نهجه، وسينفذون ما اتفقوا عليه معه كاملا دون نقصان بإذن الله
تعالى.

إخوتي في الله، إنكم أعلم الناس بالشيخ، وبما كان يسعى إليه، وما كان يأمل منكم أن تفعلوه لصالح الجهاد، فنرجو من الله
أولا ثم منكم ثانيا أن تعملوا على تحقيقه، وأن تنبؤوا ما بينكم من خلافات، وأن تبذلوا ما في وسعكم من جهد كي توحّدوا الصفوف،
وتبدأوا بتحرير المدن، وتضربوا ضربة رجل واحد كي تطهروا أرض أفغانستان من الرجز الأحمر ومن الظلم، وإننا لنشعر بأن
الدولة الشيوعية تخنق، وأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة، ولولا الاختلافات التي بينكم وعدم اتحادكم لما استطاعت دولة الكفر أن تستمر
وتواصل، ونشعر بأن نصر الله قريب، وأنه مرتبط باتحادكم وصفاء قلوبكم وتفوسكم، لذا نضرع إلى الله. أن تكونوا قد عزمتكم عزما
أكيدا أن توحّدوا الصفوف والكلمة وتكونوا بنعمة الله إخوانا.

إخوتي في الله:

أستحلفكم بالله وأقسم عليكم بالله أن تتقوا الله في هذا الجهاد، وأن تتنازلوا عن حب الدنيا وحب المناصب لوجه الله تعالى،
وأن تتقوا الله في دماء الشهداء، وتذكروا أنكم في يوم من الأيام منادرون، ولهذه الدنيا تاركون، وللأمل والمنصب مفارقون، ولا يصعد
معكم إلا الذي كنتم تعملون، ولا يذكر لكم في هذه الدنيا إلا ما كنتم عند الله تدخرون، ذلك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا
من أتى الله بقلب سليم.

إخوتي في الله:

نريد منكم أن تأخذوا على أنفسكم ميثاقاً على أن تستمروا على ما عاهدتم الله عليه ثم ما عاهدتم عليه الشيخ، لأن فيه عز الدنيا والآخرة، وفيه رضا الله، وفيه الخلود في الآخرة في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

نسأل الله عز وجل أن يتقصد الشهداء بالرحمة والغفران، وأن لا يحرمنا أجرهم، ولا يفتنا بعدهم، وأن يربط على قلوبنا كما ربط على قلب أم موسى، وأن ينصر المجاهدين الصادقين في سبيله، وأن يثبت أقدامهم، وأن يؤيدهم بنصر من عنده ويعلائكته، وأن يلبهننا وإياكم الصبر والثبات، وأن لا يحرم الأمة الإسلامية من قيام النولة الإسلامية على أرض أفغانستان، وفقكم الله لما يحب ويرضى، وسيروا على بركة الله، واستمروا قوتكم من الله، ونحن من ورائكم، ندعو لكم بقلوب يملأها الإيمان والثقة بنصر الله [ينصر] من يشاء إنه على كل شيء قدير]. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أختكم في الله / أم محمد عزام

مقتطف من كلمة الدكتور عبدالله عزام

في أسبوع التضامن مع حركات التحرر العالمية (١)

وبعد أن أنهى الأستاذ برهان الدين رباني كلمته تكلم الدكتور عبدالله عزام عن قضية فلسطين... وقد بدأ كلمته بقوله: بالجهاد.. الجهاد فقط، تقوم دولة فلسطين ويقوم للأمة كيائها وأنه لا وجود للحق بلا قوة تحميه وهكذا علمنا التاريخ ثم قال: إن انشغالنا بالجهاد الأفغاني ليس نسياناً لفلسطين وإن فلسطين تعتبر جزءاً مقدساً من ديننا وإن تخليص المسجد الأقصى أول فرض على المسلمين في الأرض فإذا تغيرت المواقع فليس معنى هذا أننا نسينا موقعنا الأول، ولكن إذا اشتدت الحدود فلا بد من تغيير الموقع حتى تبقى شعلة الجهاد مشتعلة. وقال الدكتور عبدالله عزام: إن فلسطين أرض عربية قبل مئة قرن وإن اليهود يريدون أن يلبسوا علينا هذه القضية وأثبت ذلك بأدلة كثيرة وأثبت أيضاً بأن حائط المبكى إسلامي باعتراف الأمم المتحدة بأن حائط المبكى من الأوقاف الإسلامية وأن الدول العربية هي التي ساعدت إسرائيل على قيام كيان لها ثم ذكر بأن الفلسطينيين قد قدموا خلال ١٣ قرناً ما يقرب من ١٠ ملايين مسلم وإن الفلسطينيين قد ارتموا في حضن الشرقي عندما لم يجدوا يداً إسلامية تساعدهم. وقد تكلم عن مساعدة أمريكا للنصارى في لبنان وإبادة المسلمين إبادة جماعية. ثم ختم كلمته بقوله «إن فلسطين لن ترجع إلا بالإسلام».

مقابلة مع الشيخ عبدالله عزام

في الذكرى التاسعة للتدخل الروسي في أفغانستان (٢)

* ما هي انطباعات الشيخ عبدالله عزام مع بداية العام العاشر للغزو الروسي لأفغانستان وكيف تقيمون هذه المرحلة الآن؟
سيخرج الروس إن شاء الله ولن يستطيعوا المواصلة داخل أفغانستان ولو وضعوا أسداً في قلب كل روسي فلن يستطيعوا لأن الجيش محطم معنوياً ونفسياً ولا يستطيع جيش مثل هذا أن يواصل المعركة، إلا إذا ركبوا لكل واحد أرجلاً من حديد، ووضعوا في قلب كل واحد أسداً من أسود الغابات، فهذا يمكن أن يشبوا داخل أفغانستان، إذا كان الجندي الروسي يعلن من خلال الراثي (التلفزيون) الروسي عندما يقولون له: كيف حالكم داخل أفغانستان؟ فيقول عندما نسمع الله أكبر نبول على ثيابنا، وقد حدثني أحد المسلمين الثقات في أميركا أنه خلال اجتماع لوزراء دفاع حلف الأطلسي قال الوزراء لكالروتشي (وزير الدفاع الأميركي) يبدو أن غورباتشوف بعد خطابه الأخير قد بدأ يغير سياسته تجاه الغرب بعد أن سحب مليوني جندي روسي من أوروبا الشرقية، فقال لهم: هل تظنون ذلك؟ فقالوا: نعم، فقال: أما أنا فأقول إن غورباتشوف لم يغير سياسته تجاه الغرب وإن الذين أجبروه على ذلك هم المجاهدون الأفغان!!

فالمسلم يقدم دمه وروحه في سبيل الله من أجل الجنة، أما الشيوعي فعن أي شيء يدافع؟ هل يدافع عن الكيان الشيوعي الذي

(١) البيان الرسمي للعدد الخامس ٥ فبراير ١٩٨٦م ص ١٢.

(٢) مجلة البيان العدد ٢٦ شعبان ١٤٠٩هـ مارس ١٩٨٩م.

يكرمه؟ أم يدافع عن الطغمة الشيوعية التي امتصت عرقه ودمه وحياته وأعصابه وهو لا يكاد يصل إلى لقعة الخبز، ويعمل كالحذر ليلاً ونهاراً من أجل أن تنصب جهود في جيوب الطغمة الشيوعية التي يكرهها، فضلاً عن أنه لا يؤمن بالآخرة.

فإنه عندما بدأت الولايات الإسلامية المحتلة في داخل الاتحاد السوفيتي تتأثر بنور ونار الجهاد الأفغاني مثل أذربيجان وطاجيكستان فإن غورباتشوف قد بدأ يوزع الأناجيل التي يؤمن بها على أرمينيا النصرانية من أجل أن تقف أمام أذربيجان.

فروسيا منسحبة -إن شاء الله- وقد فقد بريقها وهيبتها التي كان يروج لها الشيوعيون في العالم العربي عن الأم روسيا، وهم الآن مختبئون في جحورهم... فأين أصبحت نظرياتهم؟ الدين أفيون الشعوب... الدين علقمة تمتص دماء الشعوب، أما نحن فقد وجدنا أن الدين يحرك شعباً أمياً ضعيفاً ليقف في وجه أعظم قوة في العالم، وهذا يعني أن الشيوعية هي التي تمتص دماء الشعوب وأن الدين دافع أساسي، ومحرك حياة لا يمكن أن يستغني عنه شعب يريد العزة والكرامة والحياة... وقد أثبت هذا الجهاد للعالم أن هناك قوة عظمى غير قوة روسيا هي قوة الإسلام، الذي بدأ يتدافع للامام يتزى بالمجد ويحمل بأيديه البيض والسمر (الرماح) ويتقدم للعالم بهذا الدين وبالرحمة القوية المحمية بالسلاح.

* ما رأيك فضيلة الشيخ بالمفاوضات التي جرت مؤخراً بين وفد من المجاهدين ووفد الروس في كل من الطائف واسلام آباد؟
عندما فشل الروس في المعركة العسكرية لجأوا إلى الدهايز السياسية لعلمهم ينالون شيئاً ويخرجون ببقية من ماء وجوهم وطلبوا الاتصال بالمجاهدين، وفي البداية حاولوا أن يتصلوا مع أحمد شاه مسعود سراً فاستأذن مسعود الأستاذ رباني وقال له: إن الروس وفورنستوف بالذات يحاولون الاتصال بي، فقال له الأستاذ رباني: لا تلتقي بهم فاعتذر أحمد شاه مسعود، فالحوا عليه ولكنه رفض ذلك. فما كان من فورنستوف إلا أن طلب من الأمين العام للأمم المتحدة أن يلتقي برياني سراً فرفض رباني إلا أن يكون اللقاء علنياً وبشروط منها: ألا يطرح شكل الحكومة القادمة للنقاش وكذلك الحزب الشيوعي الأفغاني، فقط نتباحث كيف يمكننا أن نخرجوا من أفغانستان دون أن نتعرض لقواقلكم المنسحبة، فوافق فورنستوف وقال تلتقي في ثيينا فرفض رباني إلا أن يكون اللقاء في بلد إسلامي، وأثناء وجود رباني في السعودية اتصل به الأمين العام يخبره بموافقة فورنستوف على اللقاء في السعودية فكان ذلك، ثم انتقلت المباحثات إلى اسلام آباد وكل الذي يريده الروس أن لا يقال عنهم أنهم تركوا أصحابهم وتخلوا عنهم صيداً سهلاً للمجاهدين، وقد أصروا : كثيراً على أن يدخلوا بعض الوزراء الشيوعيين في الحكومة، وقال فورنستوف بنفسه: تدخلونهم وبعد ذلك بشهرين تطردونهم حتى لا يقال أمام العالم أننا تخلينا عن حلفائنا، لكن المجاهدين رفضوا بشدة فخرج فورنستوف غاضباً وهاجم المجاهدين وقال: إننا سنبقى ندعم الحزب الشيوعي الأفغاني بعد الانسحاب، فأوقف المجاهدون المفاوضات وأعلنوا مواصلة الجهاد حتى قيام الدولة الإسلامية.

* ما هو دور المترتب على العلماء بعد قيام الدولة الإسلامية في أفغانستان؟ وهل سيزيد العبء الملقى على عاتقهم أم ماذا؟
أجاب الشيخ قائلاً: طبعاً سيزداد دورهم لأنه الآن سيبدأ التقنين والتشريع والحكم بما أنزل الله، والقضاء وكل مؤسسات الدولة ستبنى على العلم والإسلام وهو محتاج إلى معرفة، لذلك فهم بحاجة الآن إلى كل الجهود والمتخصصين بالقضاء الإسلامي والشريعة الإسلامية والدعوة الإسلامية، فسيوجه الالتفات الآن إلى تثقيف الشعب إسلامياً، كذلك الصحافة والإذاعة والأوقاف والمساجد والتربية والتعليم والمناهج، كلها تحتاج إلى مفكرين وإلى دعاة وإلى جهود ضخمة جداً وهذا يستدعي من الدعاة والمفكرين أن يتداعوا لكي يؤثروا دورهم لبناء أفغانستان، لأنهم قصرُوا في الجهاد في أفغانستان ففرض عين عليهم أن يأتوا لبناء الدولة الإسلامية التي قامت على رءوس الرماح بعد طول زمن من الضياع والهوان والتأخر والتقهقر لهذه الأمة وهي أول مرة تقوم فيها الدولة بعد تضعيفات جمة بامهظة ومعركة مشرفة طويلة.

ذات النطاقين (١)

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وأخيراً خرجت ذات النطاقين بفضل الله ومنته بعد مخاض استمر عدة أشهر، وقد اخترنا لها هذا الاسم -ذات النطاقين- ولم نختر لها نسيبة المازنية (أم عمار) لأن ذات النطاقين تشرفت بخدمة أشرف مهاجرين في هذا الدين، فقد أكرمها الله بأن تسعد بخدمة

(١) ذات النطاقين، العدد الأول السنة الأولى ١٩٨٩/١٢م. تقديم الدكتور عبدالله عزام

سيد البشرية ﷺ ووالدها الصديق (رضي الله عنه) في تلك المرحلة التي غيرت تاريخ البشرية، وأنقذ الله به الإنسانية من دياجير الظلام إلى نور الإسلام.

ولقد بقيت ذات النطاقين علماً شامخاً تهز بمواقفها عروش الظالمين، وتشهد مع زوجها الزبير الأحداث الجسام التي زلزلت الأرض آنذاك وقوضت عرش قيصر.

ولا زالت كلماتها وهي تخاطب الحجاج في ابنتها عبدالله بن الزبير مسطرة في جبين الزمن بأحرف من نور تسير على هديها الناسكات العابدات إلى يوم الدين.

ربما أن قسم النساء الذي يتعاون مع مكتب الخدمات ولجنة الدعوة شرفه الله برعاية شؤون المهاجرات في بشاور- على قدر الجهد القليل والطاقة الضئيلة- فإننا أحياناً نكون ذات النطاقين نبراساً لهذا القسم ولكل الانتصاريات اللواتي أقبلن ليشركن بالجهد القليل للتخفيف من مناساة هذا الشعب المروعة فيواسي جراحه ويمسح على رؤوس بعض أيتامه.

ولا زالت كلمات عبدالحى -أمي.. عربي- ترن في أنفي وتترك بصماتها في قلبي.

هذا الطفل الذي يعيش في المستشفى منذ ثلاث سنوات تجرى له عمليات التجميل بعد أن أبعد أهله وكان مع أمه عند التور فوقع فيه فاحترق.

أقول: إن كلماته لا زالت تدوي في أعماقي لأنه يخاطب أهلي (أم محمد) أمي عربي بسبب يد الإحسان التي تمتد إليه.

ويعد إلحاح شديد من أهلي افتتحت هذه المجلة بهذه الكلمات مع دعائي لهذه الصحيفة بالتوفيق والبركة والنفع.

بسم الله الرحمن الرحيم

حسن البنا ورعاية الماثورات

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وبعد:

فلقد اطلعت في مجلة المجتمع العدد (٦١٢) المؤرخ في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ١٥ مارس سنة ١٩٨٣ م على مقال للأخ عبدالرحمن الجميعان بعنوان (الثقافة القلم المبارك).

ورد فيه (انظر كتاب الماثورات للإمام (حسن البنا) رحمه الله تجده مليئاً بالأحاديث الضعيفة والمنكرة بل والموضوعة).

وكم يسرني أن يلتفت الجيل المسلم إلى النصوص الصحيحة ويهتم بها وينفر من الكتابة بدون الإشارة إلى المصادر، وكم يبهج نفسي أن أرى هذا الاهتمام بتخريج الأحاديث التي يستشهد بها الكتاب دون أن يشيروا إلى مصدرها ودرجتها من الصحة إن هذا الأمر دين فلا بد أن نتلقى ديننا بالرواية الصحيحة الدقيقة، لا أن نلتفقه من أفواه القصاص والسنة الأدباء الذين لا يلقون بالأصحة الرواية التي يورثونها.

إن هذا المنهاج -الاهتمام بدقة النصوص التي تروى- تيار بدأ يشتد في السنوات الأخيرة، وهذه نعمة من الله وفضل قد فأت الكثيرين من الجيل السابق ولم تحظ باهتمامه كثيراً، وكم عاتبت بعض الإخوة الكتاب -جزاهم الله خيراً- على هذه القضية.

ومع هذا السرور الذي يغمر جوانحي فلا بد من أن نذكر الجيل المسلم بأن منهاج التلقي وأصول الرواية قد سبقنا إلى تأصيل قواعدها وترسيخ أسسها علماء التفت الأمة على أجلالهم وأجمعت على علو شأنهم في علومهم وتقواهم، فلا نستطيع أن نغمض أعيننا عما كتبوه وأصلوه إذا أردنا أن نلج في خضم علومهم، فإذا اقتحمنا بحارهم دون أن نتعلم طريقة العوم فإننا نفرق ونهلك لا محالة.

فقد تجد شاباً متحمساً يحمل الشهادة الثانوية لا يفرق بين الصفة والحال وعطف البيان والمفعول الثاني ولا يفرق بين نائب المفعول المطلق والتمييز، ولم يفتح كتاب أصول، ولا الناسخ ولا المنسوخ ولا يعرف استعارة ولا مجازاً ولا يفرق بين الكناية والصريح والحقيقة والمجاز.

وتجده بعد هذا كله يقول لك: أخطأ الشافعي في هذه المسألة ورأي أبي حنيفة مرجوح في تلك المسألة، ولو سألته هل فتحت كتاب الأم للشافعي؟ وهل تعلم كم مجلد هو؟ وهل تدري ما كتب ظاهر الرواية؟ لفقر فاه وأجاب كما يجيب المفرط للملائكة في القبر ها، ها.

نحن نريد الاعتدال فلا إفراط ولا تفريط

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور نعيم

فلا اهمال للنصوص ولا تهاون في صحتها ودقتها من ناحية وكذلك لا تفريط في ذلك التراث التشريعي الفقهي الكبير الذي يعد مفخرة من مفاخر الانتاج الفكري الشرعي واعظم ماثرة للعلماء على طريق هذا الدين عبر الحقب التاريخية المتعاقبة في خط سير هذه الأمة المسلمة.

وانطلاقاً من هذه المقدمة ترجع إلى الأخ الحبيب عبدالرحمن.

لا أريد أن أتعرض إلى شخصية البنا وأثره في التغيير الكبير الذي أيقظ هذه الأمة من سباتها بعد أن كادت تفقد أصالتها واعتزازها بدينها وربها، ولا أريد أن أشير إلى الأثر الكبير الذي تركته دعوة البنا في جميع المسلمين في العالم، ودعك عن الصحة الإسلامية التي تعم أجزاء كثيرة من المعمورة كان الفضل فيها أولاً وآخرأً لرب العالمين ثم لتأثير جنود البنا الذين يردون في أعماق أرض الجاهلية - الله غايتنا والرسول قوتنا والجهاد سبيلنا - وذلك التأثير مباشرة أو غير مباشرة من قريب أو من بعيد.

وأظن أن الأخ عبدالرحمن جميعاً يتفق معي في هذه القضية التي لا مجال للدخول في تفاصيلها.

ولكنني سأتكلم عن شخصية البنا العلمية وخاصة من جهة الحديث، فمن هذه الناحية لا يختلف اثنان ممن عرفوا البنا أنه كان معنياً بخط السلف ووضوح العقيدة وتقديم الحق على الخلق والخروج من قوقعة الجمود على النصوص الفقهية مع أن بعضها يخالف الأحاديث الصريحة جهاراً.

ولذا فقد أشار على سيد سابق بتأليف فقه السنة وقدم له بخط يده، وفقه السنة في الزمن الذي صدر فيه كان حدثاً ضخماً أحدث نوباً هائلاً في مصر خاصة في الأوساط العلمية التي ترى هذا العمل بدءاً في عالم الفقه الذي لا يجوز أن يخرج عن النسق الذي ارتضته الأمة عبر الحقب التاريخية الإسلامية بالتأليف ضمن إطار مذهب فقهي معين دون خروج.

ولكن لا بد أن نشير أن البناء غرض الطرف عن التزام أفراد الجماعة بمذاهبهم الفقهية لأنه لم يرد أن يحول الخلافات الفقهية إلى قضية كبرى تشغل الجماعة عن هدفها الكبير وهو إقامة دين الله في الأرض، وحذراً من أن تتحول الخلافات الفقهية والاصرار عليها إلى خلافات في القلوب تصد الناس عن الاقبال إلى الدعوة الإسلامية التي كانت وما زالت - إن شاء الله - أملاً كبيراً في اخراج الأمة من شفير الهاوية.

وكذلك لا بد من التنبيه إلى قضية هامة وهي:

أنه ليس من أحد إلا ويؤخذ منه ويرد عليه إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم، فحسن البنا بشر يخطئ ويصيب ويذنب ويستغفر، فليس من مسلم مقدم على النص، فالنص فوق الأشخاص، والنهاج الإلهي فوق البشر، وأن نشير إلى خطأ الأفراد خير من أن ينحرف المنهاج فتسير الأجيال مع منهاج معوج أو مشوه فتخرج الأجيال ذاتها شوهاء حسب القالب التي نمت فيه عقليتها وطريقة تفكيرها.

وهنا لا بد أن نقول كذلك: إن الحركة الإسلامية العالمية بحاجة إلى:

١- خط ابن تيمية في الوضوح العقدي وأثبت الأسماء والصفات دون تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.

٢- خط حسن البنا في التربية الحركية لأنه أثبت كفاءة في التربية وتجميع الشباب المسلم ضمن إطار هذا الدين، ولأن التربية العقيدة تتم من خلال البناء الحركي (فالجماعة تبنى بالعقيدة والعقيدة تظهر في واقع الحياة - من خلال البناء الجماعي والحركي). إن العقيدة الإسلامية ليست نظرية تؤخذ مجردة للدراسة الذهنية، لا بد أن يتم بناء العقيدة مع بناء الجماعة والحركة، لا بد أن تتمثل العقيدة في بناء حركي وجماعي يعبر بنفسه عن نمو العقيدة ذاتها. (وخطأ أي خطأ - بالقياس إلى الإسلام - أن تتبلور العقيدة في

صورة نظرية مجردة للدراسة الذهنية والمعرفة الثقافية، بل خطر أي خطر كذلك).

وبإمكانك أن تترك الفرق الهائل بين مجموعة درست هذه العقيدة بتفاصيلها ووضوحها من خلال المناهج الدراسية الجامعية ونالوا بها الشهادات العالية، ومجموعة أخرى تلقت هذه العقيدة من خلال التربية الحركية في الجماعة المسلمة.

إن انتاج كليات الشريعة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي كان في غالبية فجاً هشاً متهاوناً، ليس للعقيدة أثر يذكر في سلوكه أو أخلاقه أو تعامله في واقع الحياة، فحامل الشهادة يعيش في برجه العاجي يبلغ الناس التوكل على الله وعدم التوصل بالبشر أحياء وأمواتاً، ويعلم الناس اللجوء إلى الله والاستعانة به، وكم ذكر الناس بكلمات ابن القيم: إن الدين عبادة واستعانة (إناثة وتوكل) ولكل لا تجد له موقفاً واحداً صلباً في حياته يعبر عن هذا التوكل ويشعر بثقته بالله وحده وأنه - سبحانه - إليه يرجع الأمر كله.

يقول الأستاذ سيد رحمه الله (إن كل نمو نظري يسبق النمو الحركي الواقعي ولا يتمثل من خلاله هو خطأ وخطر كذلك) المعالم ص ٥٢.

٢- ولابد مع البناء العقدي الواضح من خلال الحركة الإسلامية الهادفة لبناء دين الله في الأرض - إلى جانب هذا لابد من الاعتناء بالتربية الروحية وتوثيق الصلة بالله - عز وجل حتى يصبح الفرد المسلم يتعامل مع هذا الدين وينفذ منهجه وكأنه يرى الجنة والنار رأي العين كما كان علي رضي الله عنه يصفهم بقوله: صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى.

لابد أن تسير هذه الخطوط الثلاثة متوازية في وقت واحد (الخط العقدي السلفي الواضح + الخط الحركي العملي الجاد + التربية الروحية الصافية العميقة).

لقد رأيت الكثيرين ممن تلقوا هذه العقيدة الواضحة السلفية ولكن بعيداً عن البناء الحركي العملي، فما وجدت في كثير منهم النماذج التي تحتذى بل سرعان ما يسقط أحدهم من الأفق العالي الذي أحلته إياه مكانته العلمية لبارقة خلافة أو أمام امتحان بسيط لا يسقط أمامه تلميذ صغير من تلاميذه، ولقد استلم هذا النوع من حملة الشهادات الذين تلقوا العقيدة وتفاصيل هذه الشريعة من خلال البرامج الدراسية والكتب المدرسية فخرجت الأجيال على أيديهم مشوهة ممسوخة إلا من رحم ربك - قليل ما هم -.

شخصية البنا العلمية:

يعلم الجميع أن أحمد عبدالرحمن البنا - والد الإمام حسن البنا - كان ذا باع طويل في علم الحديث ويعتبر كتابه (الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني) عملاً رائعاً أفاد طلبة العلم في جميع أنحاء الأرض، إذ أنه قام بنشر أحاديث مسند الإمام أحمد وأعاد ترتيبها حسب الأبواب الفقهية فيسر الاستفادة من هذا السفر العظيم، وكذلك قام بجمع وترتيب مسند الإمام الشافعي والسنن في كتابه (بدائع المتن)، وكذلك أعاد ترتيب مسند الطيالسي أبي داود في كتاب (منحة المعبود في ترتيب مسند الطيالسي أبي داود)، وقد أعان الإمام حسن البنا والده في هذه الأعمال العظيمة ولذا فليس الإمام البنا غريباً عن علم الحديث ورجاله، بل كان من أهل هذا الفن ومن يحملون قصب السبق في هذا الميدان خلال هذا القرن، وإن كان وقته لم يسعه في التأليف في الحديث لانشغاله كما قال هو (سنعمل على تأليف الرجال دون تأليف الكتب).

أما حظه من العربية والبيان فقد كان من حفظة الكتاب العزيز وتقدم إلى امتحان دار العلوم لشهادة الليسانس يحفظ سبعة عشر ألف بيت من الشعر بالإضافة إلى الأراجيز والنثر وقد كان لماحاً ذكياً واسع الأفق إذ أنه كان في ترتيبه في امتحان الشهادة.....(١).

(١) الموضح لم يكتمل في الأصل وكان الأحقر أن يوضع في مقدمة كتاب "المشهورات" في المجلد الأول من الموسوعة إلا أننا وجدنا هذا الموضح في أوراق الشيخ فيما بعد ربما أننا نزلنا في مرحلة الجمع فلم نعد مكاناً له إلا في نهاية هذا المجلد (الجزء الثاني من الموسوعة).

تألوا عن الجهاد الأفغاني وتلنا^(١)

كثرت الأقاويل حول الجهاد الأفغاني وانتشرت البلبلات والناس بين مصدق ومتشكك ومكذب وبدأت الألسنة تلوك سمعة الذين يكتبون عن الجهاد وتمزق لحومهم، يتهمونهم بالتهويل والتفخيم ويرسمونهم برسم صور مثالية وينقل صور خيالية وأخبار أسطورية عن الجهاد.

قال بعض الناس:

- ١- إن الجهاد الأفغاني على وشك السقوط والانهاء.
 - ٢- وقالوا: إن قيادة الجهاد الأفغاني مختلفة ومتناحرة على مناصبها.
 - ٣- وقالوا: إن الشعب الأفغاني شعب قبلي ويتأمل بحماية قبلية وعصبية عرقية وليس للإسلام دور في الجهاد الأفغاني أو هناك تخليط في الجهاد.
 - ٤- وقالوا: إن الكلام عن قضية أفغانستان قد صرف النظر عن قضية فلسطين.
 - ٥- وقالوا: لم يثبت في التاريخ أن حصل التغيير من الأعاجم بل التغيير طيلة حقبات التاريخ يحصل على يد العرب ومن خلال بلدان الشرق الأوسط.
 - ٦- وقالوا: لقد قلتم: إن الجهاد الأفغاني فرض عين مع أنه فرض كفاية.
- ونحن نرى لزماً علينا أن نوضح الصورة بما نعتقد حقاً وليس ادعاء ولا فخراً فلا أضلن - والله أعلم - أن عربياً واحداً في أرجاء الأرض يعلم من خبايا الجهاد الأفغاني وخفاياه ما أعلم.. إذ هذه هي السنة الرابعة التي أعيشها بين المجاهدين وعلى صلة وثيقة بجندهم وقادتهم في الداخل والخارج.
- أقول هذا فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمني ومن الشيطان وأرجو الله - عز وجل - أن يفر لنا بحسن ظننا وسلامة قصداً.. إنه سميع قريب مجيب.

روسيا مختلفة داخل أفغانستان:

أما إن الجهاد الأفغاني على وشك السقوط فزعم تكذيب الأرقام وينفيه الواقع إذ أن الواقع يشهد أن روسيا مخففة في داخل أفغانستان وهذا الذي جعلها تقدر أن تنقل العاصمة كابل إلى مزار شريف (بلخ) على الحدود الروسية إذ أنها تيقنت أن استقرارها فوق أرض أفغانستان مستحيل ويكلفها ثمناً باهظاً في الأنفس والمعدات، عدا أن كابل كمستقر للدبلوماسيين ومقر للشعارات لم يعد ممكناً، إذ لم تعد أكثر السفارات حراسة وهي الروسية بعائن من قذائف المجاهدين التي تنهال عليهم من كل جانب.. وكذلك وزارة الدفاع (دار الأمان) وقصر الرئاسة (خلق خانة) (دار الشعب) (وميكروريان: مساكن الضباط) أصبحت هدفاً للمجاهدين إن روسيا والشيوعيين يتمنون أن تمر ليلة واحدة على كابل دون أن تروغ بالتفجيرات وتودي في أرجائها القذائف.

ولم تعد الدولة قادرة على المحافظة على السجناء من المجاهدين في سجونها إذ تم في عام ١٩٨٢م إطلاق سراح ألف من المجاهدين بقوة سلاح المجاهدين الذين أغاروا على السجون التالية وأطلقوا سجناءها (غزني، جارديز (مركز بكتيا) قندهار، قراء، لغمان، مرغاب في بادغيس).

إحصائيات:

وأما الأرقام فاني أضع بين يدي القاريء الكريم الإحصائية التي استلمتها من إذاعة المجاهدين رغم أن البعض قد يرى أن هذه الأرقام فوق الحقيقة وأقل من الصورة الواقعية إذ أن الأخبار التي تصل الإذاعة لا تتعدى ٢٠٪ من الوقائع والأحداث التي تجري فوق أرض أفغانستان... حقائق حية ومشاهد واقعية مرئية تخط بالدماء وتشهد لها الجماجم والاشلاء.

وأرجو من الذين يتشككون في الجهاد أن يروني مركزاً واحداً للروس في أفغانستان بعيداً عن متناول أيدي المجاهدين مطاراً

(١) نشر في مجلة المنبر في أوائل الثمانينات وقالاً في عام ١٩٨٤م.

أو قاعدة أو سفارة أو غير ذلك وصل مطارات كابل، قندهار، غزني، شندند / فرج، وجلال آباد وخوست/ بكتيا وترينكوت / أودزجان كم شهدت من هجمات المجاهدين وكم تحطم فوق مدرجاتها من طائرات.

إن روسيا تحاول جاهدة منذ سنتين سد الحدود أو طرق المجاهدين فهل استطاعت؟ لقد راهنت روسيا وأعلنت كابل ان سنة ١٩٨٢ هي آخر سنة للجهاد فهل استطاعت أن تفعل شيئاً؟ لقد ضاعفت روسيا قواتها حتى وصلت إلى (٢٠٠-٢٥٠) ألفاً ولكن كما قال الله عز وجل:

«وَقُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْرُ اللَّهِ يُبْغُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبُيُوتِ الْمُهَادَّةِ» (ال عمران ١٢) وذلك

(إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصلوا عن سبيل الله فيسبنفقونها ثم تكون حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) (الأنفال: ٣٦).

إن كارمل من قرية (كمري) ضاحية من ضواحي كابل ولا يستطيع أن يأكل من ثمار بساقيته لأن المجاهدين يسيطرون عليها.

الجهاد فوق أرض الواقع:

إن القيادات في بيشاور مختلفة فهذا لا نفكره ونقر به ولكن لو دخلنا إلى الداخل ورأينا الجهاد فوق أرض الواقع لرأينا النفوس المتألقة ورأينا جميع الأحزاب متكاثفة أمام العدو لا يخلو الأمر من بعض النقصات مما يعكر صفو الأخوة في بعض المناطق، وهل يمكن أن تجد شعباً كاملاً لا ترى فيه عوجاً ولا أمناً شعب تعمل عليه كل الأجهزة العالمية وتسلط عليه الاضواء الدولية وكم من الاموال تنفق لبث الفرقة بينهم ولفرس الشقاق بين ظهرائهم.. ودعك عن الفقر المذل ومرارة الحاجة الملحة التي تعتبر معبراً سهلاً إلى النفوس الضعيفة التي تشتري.

وأما بالنسبة للقيادات السياسية فنحن لا نقرهم على هذا الخلاف ونحاول معهم ونضرع إلى الله أن يوفق بين قلوبهم مع أن نوبانهم تحت قيادة واحدة من أصعب الأمور على انفسهم اذ يعتبر كل واحد منهم كأنه رئيس دولة وراعه حوالي مائة ألف مجاهد ومن إشارته، انه يصعب على النفوس التي خلصت من حظ نفوسها. وقبل هذا علينا أن ننظر إلى أنفسنا وإلى حالة التمزق والتشتت التي يعيشها المسلمون في العالم العربي.

ليس الجهاد حرباً قبلية:

وأما ان الجهاد الأفغاني حرب قبلية فهو مبرود من نواح:

١- إن الجهاد لم يبدأ ضد الروس الذي يعادي القومية الأفغانية بل بدأ الجهاد ضد أبناء أفغانستان انفسهم من الشيوعيين.. لقد بدأ الجهاد ضد داود ثم اشتد أيام تراقي وازداد اشتعالاً أيام حفيظ الله أمين ثم انفجر الجهاد الأفغاني المسلم ضد بابر كاركمل وهؤلاء كلهم أفغان.

إن بابر كاركمل من قرية قرب كابل اسمها (كمري) ويفصلها عن جكري نهر صغير وأهل (كمري) يقاتلون كاركمل وجنوده تحت قيادة محمد صديق جكري.. (شباب في العشرينات تخرج من الجامعة الاسلامية قبل اربع سنوات).

ولماذا كانت الحرب قومية فلم يرفض قادة الجهاد الأفغاني أن يمدوا أيديهم لمساعدة الدول الغربية؟

بل لماذا يرفض المجاهدون عودة الملك ظاهر شاه الذي اصطلح عليه الروس والأمريكان ليكون شرطاً لانسحاب روسيا من أفغانستان؟

حدثني حكمت يار قال : إن عجوزاً هي قندهار جاءت إلى المجاهدين وقالت إن ابني يتعامل مع الشيوعيين ودلّتهم على مكانه فالقى المجاهدون عليه القبض ثم جاؤوا بأمه وقالوا لها: ماذا تصنع به؟ فقالت اربطوه واعطوني سكينا ثم جاءت إلى ابنها وقالت له: اذكر يوم نلت من رسول الله ﷺ بالسباب والشتم ثم انقضت عليه وذبحت بيدها.

أمهذ غير قومية؟ أم عصبية جاهلية؟ أم روح الاسلام تحرك شعباً بكامله؟ إنها أول امرأة في التاريخ بقدر اطلاعي تذبح ابنها بيدها انتصاراً لدينها وعقيدها.

الغيرة الإسلامية:

وحدثني مولوي حليم (أمير ميدان) قال: لقد دخل الروس قرية في ميدان وفي أحد البيوت اثناء تفتيشهم عن الرجال ألقى غلام بنفسه تحت السرير لينجو من أنظارهم.. وبينما كان الجنود الروس يفتشون البيت وجدوا مصحفاً شريفاً فآلقوه بازدراء وإذا بالشباب ينتفض من تحت السرير كالليث واحتضن المصحف صائحاً: لن أسمح لكم أن تهينوا كتابنا العزيز ولو قطعتموني.. وإذا بالروس يخرجون من البيت احتراماً لغيرة هذه الغلام.

فهل هذا شعب يقاتل من أجل قوم أو جنس؟

الهدف من الجهاد إقامة دولة اسلامية:

لقد نص دستور الاتحاد الاسلامي لمجاهدي أفغانستان في المادة الثانية: أن الهدف من هذا الجهاد إقامة دولة اسلامية في أفغانستان.

فإن قلتم: ليس كل المجاهدين على المستوى المطلوب.. أقول لكم نعم إن فيهم من يتعاطى الدخان والنسوار (مسحوق الدخان المخلوط) ومنهم من يكذب ويسرق ومنهم من يتهاون في الصلاة وإن كانت نسبة الذين يتهاونون في الصلاة لا تصل ٨٪ ولكن تبقى روح الاسلام هي التي تسيّر المجموع العام وتسيطر على الجهاد وتهون عليهم التضحيات التي وصلت إلى مليون ونصف شهيد. ومن جهة أخرى فهذا يضاعف واجبنا تجاههم بالتربية والاعداد وأريد أن أسأل الذين ينتقدون من بعيد متى خلس الجهاد بكنيته من المرجفين والدخلاء؟ وهل تريدون من شعب بكامله أن يكون مبرماً من العيوب والنقائص؟ إن هذا محال.

لقد نص شيخ الاسلام ابن تيمية في فتاواه ٥٠٦/٢٨ (ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وباقوام لا خلاق لهم كما أخبر بذلك النبي ﷺ لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع عسكر كثيري الفجور فإنه لا بد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم اعظم ضرراً في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الانفجرين.

قضية فلسطين والجهاد الأفغاني:

وأما الذين يرون أن الجهاد الأفغاني قد صرف النظر عن قضية فلسطين فأتانا أخالفهم في هذا وأرى أن الجهاد الأفغاني فيه إحياء لروح الجهاد وفتح نوافذ الأمل العريض في نفوس الشباب المسلم الذي يهفو لتحرير الأقصى وفيه اذكاء لروح الغيرة الإسلامية على المقدسات.. ثم ماذا نجني من الكلام فقط عن فلسطين؟ هل نسبق الاعلام العربي في النواح والمزايدات والتباكي على فلسطين التي خذلوها وتركوها تذبح بيد الصهيونية والصليبية؟ وأريد أن أتساءل أين كان هؤلاء الذين يملأون الدنيا نوحاً بالكلام عن فلسطين؟ أين كانوا سنة (١٩٦٨-١٩٧٠) عندما كانت الحدود مفتوحة على مصراعها لمن أراد أن يجاهد عبر نهر الأردن؟ وأضيف قائلاً هل يأتي تحرير فلسطين إعتباطاً وصدفة أم لا بد له من إعداد طويل للأرواح والأبدان في كل ميدان.. وأي ميدان أفضل من أفغانستان؟

من كابل إلى القدس:

ومن جهة أخرى أن معظم المجاهدين يرددون العبارة التالية (من كابل إلى القدس) بعضهم يدعو (اللهم يسر لنا الجهاد في أفغانستان وارزقنا الشهادة على أرض فلسطين المباركة).

لقد كانوا يبيكون عندما اكلمهم عن فلسطين. والكلام عن قضية أفغانستان كلام عن قضية فلسطين وإحياء الحنين والأشجان لها وما أجمل أبيات متمم بن نويرة:

رفيقي لتدرا في الدموع السواك

لقبر ثرى بين اللوى فالدكادك

فدعني فهذا كله قبر مالك

لقد لامني بين القبور على البكا

وقال اتبكسي كل قبر رأيت

فقلت له: إن الشجي يبعث الشجي

وأما الذين يقولون إن التفسير لا يمكن أن يتم إلا عن طريق العرب وهذا شهادة التاريخ فاذكرهم بالنزلة الإسلامية العثمانية

التي حكمت قسماً كبيراً من المعمورة لمدة أربعة قرون (١٥١٦-١٩١٧) ولم يستطع العرب ان يحافظوا على الاقصى نصف قرن، ولعلهم يذكرون أن تركيا المسلمة وصلت إلى لينين غراد (بترسبرغ) ودخلت فينا ولا زال شارع الطابور (حيث اصطف الجيش العثماني المسلم فيها) شاهداً حتى الآن.

وأذكرهم بدول خوارزم والدولة الغزنوية حيث دخل محمود الغزنوي الهند قرابة عشر مرات وأسلم على يديه الكثير.

الجهاد فرض عين:

وأما الفتوى بأن الجهاد فرض عين في أفغانستان.. فالجهاد فرض عين ليس في أفغانستان فحسب بل في فلسطين وفي كل بلاد المسلمين. فمن استطاع أن يقوم بدور القتال في بلده فيها ونعمت وإلا فلا يسقط عنهم إثم التخلف عن الجهاد الأفغاني.. ومن كان في شك من قلبي فليعطني مثلاً واحداً لقول عالم يعتقد به في التاريخ الاسلامي كله يقول: إن الجهاد في مثل هذه الحال (الاعتداء على أرض المسلمين) فرض كفاية ويحتاج إلى إذن الوالدين مقابل هذا أنا أقدم لهم أكثر من مائة كتاب معتبر في الفقه والتفسير والحديث ينص أن الجهاد فرض عين إذا دخل الكفار أرض المسلمين حتى تخرج المرأة نون إذن زوجها والولد نون إذن والديه.. بل لم أجد كتاباً فقهياً واحداً يخلو من هذا النص فإن قلت تريد أن تخرج المرأة نون إذن زوجها وتريدنا أن نترك بلادنا ونأتي إلى أفغانستان فنقول: ليس هناك بلادنا وبلادكم فأرض المسلمين واحدة وكلها بلادي.

الهند لنا والصين لنا والعرب لنا والكل لنا

اضحى الاسلام لنا دينا وجميع الكون لنا وطننا

(وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربهكم مُعهِدون)

ثم يعترض علينا آخر فيقول: أتريد من الطالب أن يترك مدرسته وجامعته والموظف أن يترك مكتبه ومن المعلم أن يترك مدرسته فتضيع المصالح والأجيال وهنا نقول: إن هذه العلة هي التي يتعلل بها المسلمون في الأرض.. يتركون كل قطر اسلامي يلاقي مصيره وحيداً فريداً فابتعت أرض الاسلام قطعة قطعة ووصلنا إلى ما وصلنا إليه من حال بنيسة.

ثم ترتفع الأصوات علينا مستنكرة أتريدنا أن نرجع إلى بيوتنا فلا نجد أزواجنا ولا أولادنا فنسأل عنهم لنجاب أنهم ذهبوا إلى أفغانستان فنقول للمستنكرين رويدكم لا تعجلوا علينا لو طبق المسلمون هذا الحكم الشرعي ونفروا من كل أنحاء الأرض كما أمر الله كم يوماً يحتمل اليهود أمام المسلمين؟ هل يحتملون أسبوعاً أو أكثر؟

دفع الصائل عن أرض الاسلام أهم فروض الأعيان:

وختاماً أرجع فأقول مؤكداً الفتوى التي ذكرتها: أن دفع الصائل عن أرض الاسلام أهم فروض الأعيان وهذه فتوى جميع العلماء في الأرض. يقول ابن تيمية: (ليس بعد الايمان أهم من دفع الصائل) فالجهاد اليوم فرض عين كالصلاة والصوم والزكاة إن لم يكن أهم منها.. وليس هناك فرق بين ترك القتال والافطار في تهار رمضان بغير عذر أو ترك الصلاة كسلاً بل ترك (القتال اليوم) أشد خطراً من تضييع الصلاة والصوم لأن ترك الجهاد فيه ضياع الصلاة والدماء والأعراض والأموال. ولا إذن لأحد على أحد لا إذن للوالدين على الولد ولا للزوج على الزوجة لأن فروض الأعيان لا إذن فيها فمن أراد صلاة الصبح فلا يستأذن من والده ولا من أحد من العالمين.. وإذا تركنا الأمر لعواطف الأباء قلن يسمحوا بذهاب أبنائهم إلى الجهاد. لقد شهدت شاباً من إحدى الدول البترولية جاء للجهاد ومتحمساً فجاء والده إلى بيشاور ومعه اثنا عشر شخصاً من أفراد أسرته لأرجاع ابنهم. وكنت جالسا مع حكمتيار فأخذ والده يتوسل بالحسن أن نقنع ابنه فسأله حكمتيار كم ولداً لك؟ قال: سبعة ذكور فقال: أعطاك الله سبعة أولاد أفلا تعطيه ولداً واحداً. وعندما فشل الأسلوب اللين بدأ الوالد يتهدد ويتوعد أن يسبب ولده سوء العلاقة بين الجهاد وبين بلده ثم هدد بالشكوى إلى بوليس الانتربول ثم بدأت التلغونات والاتصالات من بلده إلى الشيخ سياف ولم يزل يقتل لسياف بين الحبل والغارب حتى أعطاه سياف وعداً بإرجاع ابنه بعد فترة فهدل تريديون من أب أو أم أن يسمحوا لابنهم بالجهاد.

لقد هُزمتنا في فلسطين سنة (١٩٦٧) تلك الهزيمة النكراء التي لم يشهد لها التاريخ مثيلاً وخرجنا مهاجرين إلى الضفة الشرقية من نهر الأردن فحاولت أن أؤدي بعض الواجب فاشتركت مع المجاهدين وحاولت الذي أن بشياني عن الجهاد وعندما يسروا من اقناعي التجأوا إليّ البكاء الذي كان لا يفارقهم طيلة مشاركتي في الجهاد حتى ازداد الضغط عند أمي التي طعنت في الثمانينيات.. وختاماً أعود فأقول: لا زلت مصراً على أن الجهاد فرض عين ولا إنن لأحد على أحد وإن الجهاد الأفغاني الآن أوضح جهاد في الأرض ورايته أنصع راية ولا زلت أقول: ان الجهاد الأفغاني خارقة من خوارق العصور الحديثة ولقد علمت بيقين أن الجهاد الأفغاني يدرس الآن في الأكاديميات العسكرية وعلى أعلى المستويات كمنظورة من الأساطير فوق أرض الواقع أعيت العقل البشري ان يجد له تفسيراً سوى أن : يد الله عز وجل هي التي تدير المعركة فهل يقبل المسلمون رأينا ويقبلون إلينا (بأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) (المائدة:٥٤).

«وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك».



هذا الكتاب (١)

دقات قلب انسابت على أنسة الأقلام كلمات ومضات فكر نقلت أحداث الأسته عبارات، وأشجان نفس ترجمت ضرام الوقائع مقالات.

مسيرة شرفنا الله بمواكبة كواكبها، وملحمة قدر الله لنا أن نشهد دوران رخاها وهي تطلحن الأعصاب واللحوم والعظام، ودرج قد تجرعنا غصصها فاستعذبناها، وجادة قد تكبدنا أهوال سراها فاستحليناها.

هي أحداث سجلناها وقد كانت صفحات مشرقة توجت هام التاريخ الإسلامي الحديث، وأضحت معالم عزة وقمم مجد، وقد افتتحنا بهذه المقالات لهيب المعركة فنقلت لهيب الشجى والجوى الذي يشتعل في أعماق النفس فكان كل مقال عصارة ما يمتل بين الجوانح من آلام وآمال ممزوجة بالدماء والدموع والعرق.

فترجو الله القبول والنفع لنا وللمسلمين.

المؤلف

د. عبدالله عزام

(١) هذه الكلمات كتبها الإمام الشهيد عبدالله عزام على الغلاف الأخير من كتاب كلمات من خط النار الأول وهي عبارة عن انتقادات نشرت لهيب المعركة

عشاق الحور

معاً على الطريق أبو عثمان وأبو حمزة (١)

مضيتما إلى الله والقلوب معلقة بكما، ما من لسان إلا ويلج بالشثناء، ما من فؤاد إلا ويشعر بالوفاء، ما من نفس إلا وملؤها الرجاء أن يجمعها الله بكما في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

أما أنت يا أبا عثمان... فالذي يشد القلب إليك مزايا كثيرة... الحياء الجم، والرجولة الصادقة، والأدب الرفيع، والحرص على معرفة الحكم الشرعي، خاصة لقمة الحلال، ولقد وجدت (غالباً) أن الحياء والرجولة والكرم صفات متلاصقة لا تراها مفترقة.

حيثما رأيته وأنى لقيته كنت أجده يحمل في يمينه كتاباً به يدرس... كتاباً من كتب العلم القديمة النافعة، عظيمة الفائدة... كان يبحث عن الأصول ويغوص إلى الأغوار يستخرج كنوز الدقائق من البحر الرائق، أو يأخذ التهذيب من المذهب، ويجمع العلم من شرحه المجموع... وتراه شغوفاً بكتب الشافعية وبأبي إسحاق الشيرازي تأثراً بشيخه في الفقه محمد حسن هيتو الذي كان قد قدم رسالة الدكتوراه في أبي إسحاق الشيرازي في الأصول.

وكان يبحث عن العلم الحقيقي، ولا يريد الشهادة بكونتها... ولقد سجل الدكتوراه في جامعة السند، ولكنه كان يبحث عن بحر للعلم أعمق، فاستشارني أن يسجل البحث في ندوة العلماء في الهند، وشجعتني على هذا، وشد متزده، وحزم أمتعته، وكان يعد للرحلة الهند حيث يتلقى العلم على يد بقية السلف -فضيلة الشيخ أبي الحسن النوبختي-، ولكن سبقت رحلة الهند رحلة الأبد إلى الله. وكانت الشهادة الكبرى التي فتحت بها أبواب السموات كما وعد الله، ولن يخلف الله وعده، ونرجو الله أن يرزقنا الشهادة في سبيله ونلتقي بك يا أبا عثمان في الملا الأعلى.

أما أنت يا أبا حمزة فرغم حداثة سنك، كنت كبيراً في القلوب، إن كنت أنسى فلا أنسى تلك الصورة التي قابلتك بها لأول مرة في بيتي في إسلام آباد، شاب يعيل إلى الطول، أسمر، لعينيه بريق، نحيف، ودخل البيت وجلس بحياء شديد في إحدى زواياه، وقدم نفسه إلي: لقد قدمت من يوغوسلافيا -كنت أدرس الهندسة فيها- فتركزت الدراسة طمعاً في الجهاد والاستشهاد، ثم وصل إلى بدر.

كنت كلما زرت مخيم بدر أجد هذا الشاب المنشيط الذي اختلط مع الأفغان يخدعهم ويستفيد من كل دقيقة من حياته، سألت عنه من حوله فانتقلت الأقواء تثني عليه، كان الكل مجمعا أن أبا حمزة أول عربي مسلم يختلط بالأفغان هذا الاختلاط، ويعيش صابراً على لاواء حياتهم وشدة ظروفهم وخشونة طعامهم ولباسهم.

كنت أدخل قناره يقوم من بيننا ويعود بعدها يحمل الطعام أو الشاي يقدمه لنا ثم يجلس يأدب ينتظر انتهاء الطعام ليرفعه ويفسله.

كان كل واحد ممن حوله يستحي منه بسبب تفانيه في خدمة إخوانه، استمعت إليه القرآن فوجدته يتقن أحكام التجويد، فسألت: أو تحفظ شيئاً من القرآن؟ فقال: لقد كنت أحفظ القرآن على يد شيخنا محمد قاسم شاور في منطقة رام الله، ففرحت كثيراً.

ثم مضى أبو حمزة إلى ربه، هكذا كالبرق الخاطف افتقدناه من بيننا فافتقدنا أخاً حبيباً، ومجاهداً صادقاً، ورجلاً صامناً قلماً يجرد الدهر بمثله.

إن الشهادة درجة عالية لا يهبها الله إلا لمن يستحقها، إنها اختيار من العلي الأعلى للصفوة من البشر ليعيشوا مع الملا الأعلى (ويتخذ منكم شهداء)، إنها اختيار واتخاذ واصطفاء للأقذاذ من البشر ليكونوا في صحبة الأنبياء (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً).

مضى كل منهما إلى ربه رافع الرأس، ناصع الجبين بعد أن بلغ الشهادة في الأرض ونال الشهادة في السماء.

يا رب قد أخلصتهم فنجوا فمتى تمن علي يا ربي

(١) مجلة الجهاد عدد ٤ من ٣٦ مارس ١٩٨٥م

مضيتما كلمع البصر وتركتما حسرة الفراق في القلوب، وثقلتما إن شاء الله فرحة اللقاء بعلام الغيوب.
وتردد أخيراً الأبيات التي رددتها أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- على قبر أخيها عبد الرحمن -رضي الله عنه-:
وكنا كندمانى جذامة برمة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
اللهم أحيينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرونا في زمرة المصطفى ﷺ واجمعنا مع أبي عثمان وأبي حمزة في الصالحين.
أمين... أمين... أمين...

تهنئة شهيدين:

تحية وفاء، وتهنئة وثناء إلى الشهيدين الأخوين (أبي عثمان وأبي حمزة).
من أخيك في الله محمد إسماعيل -قائد الولايات التسع الجنوبية الغربية- قال تعالى: (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله
أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون).
إخواننا المجاهدين وجميع منسوبي ومحبي شهدائنا العظام:
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

إن كافة أعضاء ومنسوبي الإمارة العامة، والقيادة العامة للقوات المسلحة في هرات، يهنئون ويباركون شهادة إخوانهم أبناء
مدرسة الإسلام وعاشقي الشهادة في سبيل القرآن وعلى رأس هؤلاء الشهداء الأخوان الشجاعان البطлан أبو حمزة وأبو عثمان
رحمهما الله.
والتلميذان المخلصان اللذان جاءا لزيارة إخوانهم المجاهدين في هرات، نبعث إليكم وإلى أقربائهما وإلى كافة محبيهما
ومنسوبيهما أحر التهاني، ونسال الله للجميع الصبر الجميل ولكافة شهدائنا الأجر الجزيل.

أخوكم في الله

العقيد محمد إسماعيل

وداعاً يا يحيى^(١)

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون)

هذه الكلمات الأخيرة التي ودعت بها الحياة في رسالة وجدناها في جيبك، قال رفيق رحلتك والذي لفظت أنفاسك الأخيرة
ورأسك على صدره، أقول: قال لي محمد أمين محدثاً: لقد كتبها يحيى آخر ليلة عاشها فوق هذه الأرض.
كل شيء كان يلقي في روعك أنك مقبل على الشهادة، ولطالما أقسمت يا يحيى لإخوانك الذين يشاركونك آلام الطريق البذل
والتضحية والعرق والدم تحت أزيز الرصاص ودوي المدافع لتوقظوا أمة دب الومض في أعماقها، وأصبحت لا تغفو إلا على موطن كل
جبار غشوم، وإذا صحت فعلى خطى الذل خاشعة الرسوم.
لطالما أقسمت لهم أنك شهيد، وهم يقولون لك: يا يحيى لا تترك نفسك، وأنت تقول معاذ الله أن أركي نفسي، ولكنه إحساسي
الذي أشعر به في أعماقي.

كانت ليلة عرفة والروس قد أقبلوا عليكم من فوقكم ومن أسفل منكم، وبلغت القلوب الحناجر، فقامت مع إخوانك المسعور من
أجل صيام عرفة في أرض المعركة، لأن صيام عرفة يكفر عامين، فكيف صيام عرفة تحت الحمم المتناثرة من السماء كأنها وابل المطر،
فهذا لاشك أن أجره أعظم بكثير، وفي الحديث الصحيح (من صام يوماً في سبيل الله باعد الله بينه وبين النار سبعين خندقاً).
فصاح إخوانك يا يحيى لنذكر السحور، فقلت لهم: أنا ذاهب للاستحمام، ثم استدركت قائللاً: والله ما بي من جنابة وإن كنتي
أستحم لاستقبال الحرية التي رأيتها في المنام، إذ أنني لم أر في حياتي امرأة في منامي، وهذه الليلة أقبلت إلى بدنها رداً لها

(١) مجلة الجهاد عدد ١٢ من ٢٢ أكتوبر ١٩٨٥م

وجنائها ووضعها ودعى ميوتها، إنها الحورية!!

وانتهت معركة جاجي ولم تحظ يا يحيى بالشهادة، وأخذ الإخوة يمازحوك قائلين: أين ذهبت الحورية، وأنت تهرع على قدميك،
حدثني أحد الإخوة العرب قائلًا: لقد وقف يحيى على قبور الشهداء العرب الثلاثة التي تحتل قمة جاجي فأخذ يخاضهم قائلاً
عنا قليل أنا قادم إليكم بإذن الله .

وجاء اليوم السابع من محرم الموافق لليوم الثالث والعشرين من أيلول وكنت على موعد مع الشهادة التي ما فتئت تتمناها
صباح مساء وعلى يد مجموعة من عملاء الشيوعية الذين فتحوا رشاشاتهم عليك على أبواب جاجي، ففزت بها وربحت البيع -إن شاء
الله- يا يحيى، وبدأ الدم الزكي يتدفق، وما بقي أحد ممن مس جسدك أو تضرع بقطرة من دمك إلا والمسك يبعث في أنفه، حتى صر
كر من حصر جنازتك يتسائل لم نشهد في حياتنا ولم نشم رائحة أزكى ولا أطيب من هذه .

حدثني أبو الحسن المقدسي قائلاً: لقد شممت أنا وأبو معاذ دم الشهيد على بعد خمسمائة متر وهو في السيارة التي نقله نحو
مشواه الأخير، إلى الحضرة التي سعدت بضم جسد الطاهر والتي نرجو أن تكون روضة من رياض الجنة.

وحدث الدكتور أحمد قائلاً: لقد تلقيت كثيراً من الشهداء فعما شممت رائحة أطيب ولا أزكى من هذه الرائحة، وحدثني الدكتور
أبو محمد: لقد دخلت الغرفة التي سجي فيها يحيى في المستشفى بعد ثلاثة أيام وإذا رائحة المسك تنبعث في أرجائها، وحدثني أبو
حمزة قائلاً: لقد بادرني زوجتي بعد عودتي من الجنازة: أي عطر هذا الذي نشمه؟ لقد بلغت عزاء لا يقرع الدهر مروته، ولا يفصل
عروته، ولا ينقص مرته، ولم تلت قناتك لغامز، وأبيت أن تستباح الذمار، أو يوطأ الحمى، أو تداس الحوزة، فلم تصير على خسف، ولم
تقم على مذلة، لقد أقبلت على الله رابط الجأش ثبت الجنان صلب العود شديد الشكيمة.

لقد كنت تحب وردك (ولاية في أفغانستان) لأنك طففتها بكاملها! ولم تدع مستقراً للمجاهدين فيها أو تجمعاً لهم إلا ودخلته
وتعرفت عليه، ونقلت حاجاتهم وضروراتهم من أجل سد نقصهم وخلتهم، ولذا كنت تطلق على نفسك عبد الرحمن عبد الكبير الوردكي .
وهكذا ويلمح البصر مضى يحيى إلى ربه، نرجو الله أن يقر عينه بمقعد صدق عند مليك مقتدر .

لم تكن أيامك طويلة بيننا يا ابن العشرين عاماً، ومضت روحك لتترك في الدنيا مجداً وعزاً مؤثلاً ولسان صدق فوق هذه
الأرض، ونرجو الله أن يكون حبورك وسرورك أعظم بلقاتك مع الله الأعلى .

وندمو الله عز وجل أن يحيينا سعداء ويميتنا شهداء، وأن يحشرنا في حضرة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وندعو الله عز
وجل أن يعوضنا عنك خيراً، وأن يجعل أمك وأباك وإخوانك يحسبوك عند خالقهم، ونبتهل إليه تعالى أن تكون شافعاً لهم يوم
القيامة . . .

وختاماً نردد الذكر الحكيم ندياً: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله
من فضله ولنستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

أخوك أبو محمد

الرسالة الأخيرة من الشهيد يحيى سنيور^(١):

المجاهد المسلم يعرف هدفه جيداً، ولذلك تراه يسير على بصيرة من أمره، ويعيش بخطى ثابتة لا يعرف التراجع . . . ولا يعأ
بالمحن والعقبات، بل يجد فيها غاية راحته لأنها في سبيل الله .

ومن يقف آثار النبيين لسم يسيل على الشوك يعيش أم على الشفقات

و الرسالة الأخيرة التي خطها الشهيد الحي لأمله أكبر دليل: لي صدق ما ذهبنا إليه، فاستمع إليه و هو يقول: (أنا هنا . . . رغم
الطائرات، رغم الدبابات، رغم القصف المستمر ليلاً ونهاراً، ورغم البرد الشديد، ورغم الجوع، إلا أنني في قمة السعادة وراحة الضمير،
لأنني أشعر أنني أفعل أحب الأعمال إلى الله، وأن الله لا يضيع أجر العاملين، وهذا الجهاد هو الوحيد الذي يستطيع به الإنسان أن
يقدم أعمالاً ترضي الله وترجع لهذه الأمة أمجادها) .

(١) مجلة الجهاد عدد ١٢ ص ٢٩

بوابة المجد^(١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، وبعد.

فلقد شاعت إرادة الله أن تحيا الأمم بالنماذج الفذة، وأن تبنى الأمجاد بالقمم، وأن تنصر المبادئ بتضحيات الأفراد الأفاضل هؤلاء الأفراد يكونون غريباء في مجتمعاتهم، ولكن المجتمعات بهم تحفظ وبأمثالهم تنصر وتزق.

هؤلاء الأذكياء لأنهم عرفوا طريقهم إلى الله، وإن كان غيرهم يرثي لحالهم ويسخر من تفكيرهم، هم السادة وإن كان أهل الدنيا المحرمون من لذة العيش الحق يريدون هؤلاء عن أبوابهم ويدفعونهم من مجالسهم.

هم القادة لأنهم يملكون نياط القلوب ويأسرون الأفئدة بحبهم، وقادة الدنيا هم المتنبؤون حقاً لأنهم كما قالت أم هارون الرشيد عندما رأت الآلاف المؤلفة تجتمع حول رجل فقالت: من هذا؟

قالوا: هذا عبد الله بن المبارك عالم خراسان، فقالت: هؤلاء هم الملوك وليس أمثال هارون الذي لا يستقبل الناس إلا بجنود وشرط.

هم الملوك كما قال ابن المبارك عندما سئل: من الملوك؟ قال: هم الزهاد، ف قيل له: فمن السفلة؟ فقال: هم الذين يصلحون دنيا غيرهم بإفساد دينهم.

هم الذين يخطون تاريخ الأمم: لأن صروح المجد لا تبقى إلا بالجماع والأشلاء، هم الذين يحفظون شجرة هذا الدين من أن تضمحل أو تنوي لأن شجرة هذا الدين لا تروى إلا بالدماء، هم الخالدون بذكرهم في الأرض والسماء: لأن بذكرهم تحيا القلوب، وإذا رؤوا ذكر الله.

وفوق هذا كله جنة عرضها السموات والأرض تنتظرهم، وحرر تشناق للقائهم وتتحرق للقرب منهم.

هؤلاء هم المجاهدون في سبيل الله، يأتون في المرتبة بعد النبيين والصديقين، بل تعنى رسول الله صلى عليه وسلم الشهادة في سبيل الله.

ففي الصحيحين (والذي نفسي بيده لو ددت أن أقتل في سبيل الله، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل، ثم أحيا ثم أقتل)، وفي الصحيحين (لغدوة في سبيل الله أو روعة خير من الدنيا وما فيها).

وفي البخاري: (طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مفبرة قدماء، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع).

وتلاحظ العبارة النبوية الكريمة إن كان في الحراسة كان في الحراسة: أي حيثما أقامه الأمير أقام، وحيث أمره أن يبقى لزم مكانه وصبر، والأحاديث في فضل المجاهد كثيرة لا نستطيع أن نلم بها في هذه العجالة، وقد شهد له الرسول ﷺ بأنه خير الناس: (ألا أخبركم بخير الناس؟ رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله، ألا أخبركم بالذي يتلوه؟ رجل معتزل في غنينة له يؤدي حق الله تعالى فيها، ألا أخبركم بشر الناس؟ رجل يسأل بالله ولا يعطي به) رواه مالك والترمذي والنسائي.

هؤلاء يقتلون لتحيا أممهم ويحيون هم أنفسهم، هؤلاء عشاق الموت لتوهب لهم الحياة، وكما أخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه (من لئل منا صار إلى الجنة، قلن نحن أحب في الموت منكم في الحياة) أخرجه البخاري تعليقاً.

هؤلاء يبحثون عن الموت، وكما قال ﷺ في صحيح مسلم: (من خير معاش الناس لهم رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله بطير على متنه كلما سمع هبة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه).

وتلاحظ معي ممسك بعنان فرسه: فهو لا يرخي العنان كناية عن تمام استعداد، بطير على متنه: فهو في سرعة استجابته كالطير لا يركض ولا يسرع فقط بل يطير طيراناً.

كلما سمع هبة: أي فزعة ترعب الأمة وترهبها فهو يفزع ويسرع ويهرع من أجل أمن الأمة وأطمئنانها.

يبتغي الموت مظانه: أي حيثما ظن مكان الموت أسرع إليه ومضى مسرعاً يطلب الموت.

ومن هؤلاء إن شاء الله شهداؤنا الذين مضوا بعد أن بلغوا أمتهم ومجتمعهم وأسرهم وأجباتهم بالدم لا بالمداد. إن المبادئ

(١) مجلة الجهاد العدد السادس عشر ص ٢ جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ - يناير ١٩٨٦م.

أثمن من الحياة وإن العقائد أثمن من الأجساد وإن القيم أعظم من الأرواح.

ورأيت معظم الشهداء الذين عشت معهم تجمعهم صفات على رأسها:

١- حفظ اللسان عن المسلمين.

٢- سلامة الصدر على المسلمين .

٣- أنعمل بصمت والبعد عن ضجيج الإعلام .

٤- طاعة الأمير -إن كان في الساقاة كان في الساقاة-

٥- قلة النقاش فيما يوجهون إليه.

٦- الحياء الجم والأدب الرفيع والاحترام الشديد للعلماء والكبار والمسؤولين.

٧- الحرص الشديد على البقاء داخل الجبهة والنفور من جو الراحة والدعة والاستقرار.

٨- ألسنتهم لا تلهج إلا بذكر محاسن المسلمين. ولا يرون للجبهات ولا للمجاهدين إلا فضلاً عليهم، ويرون أنفسهم صفاراً

بجانب هؤلاء الذين صمدوا صموداً تنوء به الراسيات، ورحم الله امرأ عرف حده فوقف عنده.

من هؤلاء عرفت:

- أبا حمزة (ماهر شليك) عمل بصمت وبأدب رفيع وحياء وأحب الأفغان وأحبوه فاختره الله شهيداً بينهم.

- أبو عثمان (عبد الله الفيلكاوي) لا يعرف النقاش، سألني سؤالاً واحداً ما عقب عليه: ما رأيك أذهب أم أبقى؟ فأشرت إليه

بالذهاب، فلم يلفظ ببنت شفقة ومضى في رحلته وإلى الأبد.

- يحيى كان فرحاً بما يورث إليه من أعمال، سعيداً بتنفيذ الأوامر، مع سلامة صدر ومرح بريء ومزاح مؤدب فاختره الله.

أما شهيدنا اليوم فهو:

الشهيد عبد الوهاب بن عبد الله بن سعيد

هجر الدنيا وعاف المقام بين أعطاف النعيم، استقال من وظيفته وهو من أسرة ذات منزلة اجتماعية وثراء لا بأس به، أدبه رفيع

حتى بت أساطل: كيف يربي هؤلاء؟

من أين لهم هذا الحياء الجم؟ كيف نال هؤلاء هذه الدرجة من الحرص على الجهاد والطاعة والانضباط مع الأدب والتنفيذ

والعمل؟

قابلته منذ عام فقال: علمت أن الجهاد فرض عين فنشرت في سبيل الله لا إذن لأحد علي، وقد حسمت القضية في قلبي وذممي.

كان يتحرق على المسلمين ويتأرق لمصائبهم، لقد أقض انتهاك الحرمات جنبه فجافى مضجعه وأقبل بكه ونفسه وقلبه على

الجهاد.

طلب الموت مظانه: من جاجي -بكتيا، لوجر، كونر، ننجرهار وأخيراً كان اللقاء مع الشهادة في -شلمان- على أرض ننجرهار.

صامت لو تكلمنا لفظ النار والدما

قل لمن عاب صمته خلق الحزم أبكما

وصية الشهيد عبد الوهاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

هذه وصيتي أنا عبد الوهاب بن عبد الله بن سعيد الردة من المملكة العربية السعودية.

- مالي وملابسي في قسم الأمانات هنا تعطى للمجاهدين أو المهاجرين فرد استشهادي.

- إلى الوالدة والإخوان والأخوات: لن أطيل الكلام، وأنتم بالتالي يجب أن لا تكثروا الملام.. أنا لم أجاهد في أفغانستان

بنفسي ومالي إلا باقتناعي التام بأن الجهاد فرض عين، ولهذا أقدمت على الجهاد طائعاً مختاراً.

- إلى بنتي: لقد عاش أبوك وحيداً وغريباً برغم كثرة المال والأهل والخلان، ولكني كنت بفكر متميز وصاحب مبادئ وقيم لم

أتنازل عنها أبداً، ولذلك جفاني الناس وجفاهم فكري، ومن أفكارني وما أنا عليه يا عزيزتي: أن الإسلام دين ودولة، ومصحف وسيف

وأنني لا ألدغ من جحر مرتين.

إنني أكره الطواغيت وأحاربهم بقلمي ولسانتي وقبلي هم وأتباعهم وألعنهم صباحاً ومساءً وكل يوم لأنهم.....

عزيزة نفسي من غير كبر إن شاء الله، شاعر عتيد ومجاهد صنيدي.

عيشي هنية وموتي شهيدة، كوني مؤمنة صابرة مجاهدة بكل ما أوتيت من وسائل، واعلمي سبب وجودك في الحياة واعلمي به واحفظي كتاب ربك وإلى اللقاء في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

- إلى إخواني في الله في كل مكان: كثير من الناس من يتخذ الحياة طريقاً إلى الموت، وأنا اخترت الموت طريقاً إلى الحياة. عليكم جميعاً التمسك بالإسلام قولاً وعملاً وحركة وجهاداً، والإسلام ليس كما يتصوره البعض ركيعات في المسجد ولكنه دين شامل.

كفاكم غواية إبليس وشبهوات أنفسكم ومكر الطواغيت بكم وضحك الشرق والغرب عليكم.

- العنوا الطواغيت وعابوهم بكل ما أوتيتهم من قوة هم وأتباعهم من حثالة البشر ولعنة الله على الظالمين.

الوصية الشرعية:

أوصي بثلاث مالي أن يعطى للمجاهدين في أفغانستان عن طريق أميرهم الشيخ عبد رب الرسول سياف. والباقي يقسم قسمة شرعية واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون، فالنصف لابنتي، والسدس لأمي، والباقي يوزع على إخواني وأخواتي. اللهم إني عفوت ما بيني وبين الناس فاعف ما بيني وبينك.

رسالة الشهيد عبد الوهاب إلى والدته:

الحمد لله مالك الملك وجبار السموات والأرض العزيز القدير، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وقائد الفر المحجلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

والدتي العزيزة...، إنني أكتب هذه الكلمات وأنا أؤمن بقضاء الله وقدره، فحياتي جرت كما تعلمين غريبة عجيبة بالأمها وأمالها وحلوها ومرها حتى انتهى بي المطاف هنا وما أدراك ما هنا؟

هنا عبادة فرضها ربي علينا من زمان وأضعناها، وعادت اليوم الفريضة الغائبة فجزى الله خيراً الرجال الذين أعادوها والرجال الذين قدموا أنفسهم رخيصة في سبيل الله وعلى درب الجهاد نلتقي...

أمي يا ست الحبايب، والله لست يقاس ولست يعاق ولست ساذجاً ولست بمعقد وليس بي ضلالة... أنا أسف على عدم ملاطفتك ومجاملتك أنت وإخواني وأخواتي والأصدقاء، ولكن هذا ليس بيدي فالطامة كبيرة والحدث عظيم، الإسلام يدمر والأعراض تنتهك والحرمان تدنس وكرامة المسلم وحريته أهدت، والجميع صامت كالإعلام العربي العميل، الجميع يأكل ويشرب ليعيش، ويعيش ليموت، بنست الحياة، أما أنا وغيري من أقراني وإخواني في الله بذلنا وسنبذل كل ما في وسعنا لإعلاء كلمة الله خفاقة في مشارق الأرض ومغاربها بإذن الله تعالى أو ترق منا الدماء مقبلين غير مدبرين، فمن كان هذا فكره لا تلوموه على عدم ضحكك وعدم ملاطفته، فجراح الأمة أثقلتنا ولهذا ينوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان، ولكن لا بأس علينا نحن سعداء جداً في هذا الطريق، عندي كلام كثير وهدت أن أقوله، ولكن أرجو من الله أن أكون باستشهادي قد قلت كل ما عندي ولا أبالي.

والدتي، إخواني، أخواتي، أقاربي، ابنتي، إخواني في الله مع كل خشوع وتفكر بأية قرآنية أو ذكر شهداء أو شهادة اذكروني، ومع كل إشراقه نهار جديد اذكروني، ومع كل... ومع كل موجة من التيار الإسلامي اذكروني واعتبروا يا أولي الأبصار. لقد عجزت عن التفكير وقد يخونني التعبير، ومع ذلك لا أبالي وسأمضي إلى حيث أخوتي الشهداء وإلى يحيى وسنكون جميعاً في ضيافة الكريم عز وجل، فقد رحب بنا في بيتنا عندما أكرمنا بدينه ويكرمنا في آخرتنا بإذنه سبحانه وتعالى، فإلى لقاء هناك وما أدراك ما هناك؟ حيث الرضوان والنعيم والجمال والخلد فلا إله إلا الله والله أكبر.

الشهيد الذي لم يستشهد بعد وهو عند الله شهيد

عبد الوهاب عبدالله

رثاء الشهيد عبد الوهاب (١):

أكبرت يومك أن يكون رثاء	الخالدون عهدتهم أحياء
كنت ابن أرضك من صميم ترابها	تعطي الثمار، فلم تكن جدبساء

(١) مجلة الجهاد العدد ٢٠ ص ٤٤ نو القعدة ١٤٠٦ هـ، يوليو ١٩٨٦ م.

وجهت أن تمضي سنيتك عبرها
ولقد حملت من الأمانة ثقلها
فعلبك يا فخر الجهاد تحية
نم أمتا ستمد روحك حسرة
لتشيد مجتمعا يفيض نساء
لم تلقها سخطاً ولا أعساء
في مثل روحك طيبة وتقساء
وسط الجهاد بصحبة الأمناء

كتبها القاري صلاح السلطان/الدمام-السعودية

الشهيد عبد الصمد مفتاح

فهو من النماذج: أدب، صمت، وعمل، لا يعرف الكلام، طاعة لا يخالطها نقاش، تصميم لا يعارجه تلثم ولا تردد، كأن لسان حاله يقول:

إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

سألني في الصيف ما حكم الجهاد؟ قلت: فرض عين، فقال: إذن نزل بلا رحيل، هنا طاب المقام، فالحياة حياتكم والمات مماتكم.

وهو وحيد أمه، ولقد ذرفت عيني عندما اطلعت على رسالتها بالأمس وهي تتأشده بحنانها وعطفها وفؤادها وأعصابها تتأشده الرحم أن يرجع وأن لا يدعها تموت شوقاً إليه وجوى عليه.

وفي (شلمان) جرح، وفي (ورسك) ثوى في مرقده الهادي بجانب الشهداء حوله حتى يبعث معهم -إن شاء الله- يوم القيامة. وأما الشهيد..... فنكف عن الكلام عنه وإن كان في النفس كلام كثير أتحرق لذكره لأنه نموذج فذ ما تفتحت عينا على شارب ممن مضوا على هذا الطريق مثله.

نكف عن الكلام عنه لأنه أوحى أن لا يشار إليه بتصريح ولا تلميح، فاحتراماً لوصيته نمسك السنتنا، وأخيراً حق لنا أن نقول (هذا شلمان جبل نحبه ونبهنا).

وفي النفس حاجات وفيك قطانة، ونرجو الله أن يجمعنا بهم في الجنة.
وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

رسالة الشهيد عبد الصمد إلى أهله:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى والدي الأعزاء:

من ابنكم الفقير إلى رحمة الله وعفوه (الخميس ٤) يوليو (١٩٨٥م).

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على خير الأنام، أما بعد:

إليكم أحر سلام وأقوى نكم عيد مبارك إن شاء الله، وأسأل الله تعالى أن يعيده عليكم كل سنة وأنتم بخير وفي صحة وعافية. وأتأسف على هذا التأخر في إرسال الرسائل إليكم، واعتذروني على ذلك لأنني كنت في شغل بعيد عن البريد، وهذا الشغل هو جداً هام، وهو أنبل من حياتي، معذرة مرة أخرى وأقول لكم لا تحزنوا ولا تهنوا وارفعوا رؤوسكم وقولوا الحمد لله هو نفس الذي خلقكم من أجل أن تعبدوه وأنا خلقتي من أجل أن أعبد، ولقد بعث نفسي لله رب العلمين.

سبحان الله في هذه الدقيقة وأنا حامل القلم لكتابة هذه الرسالة فإذا بأمر ياتيني في هذه الدقيقة بالذهاب إلى منطقة من المناطق الريانية لأداء واجب من الواجبات، الرجاء من الجميع السماح والدعاء.

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

أبو سلمان (١٥/٨/١٤٠٥هـ)

كان بالأمس بيننا خاطر في أفغانستان^(١)

بسحنته الصميدية وسمته المصري ذي السمرة المائلة إلى الدكنة قابله لأول مرة والسيارة تقلنا تنهب الأرض نحو(كونر). إنه الأخ حمدي البنا أول شهيد مصري فوق أرض أفغانستان، كان صامتاً لا يتكلم إلا بقدر، ينبك صمته عن ليث يغلي صدره كالرجل حزناً على الأم المسلمين ومشاكلهم.

سألته ممن الرجل؟ قال: من مصر، اسمي حمدي، وفي حوار مؤدب عرفت أنه مهندس تخرج من مصر ثم واصل دراسته في لندن ولم يكمل دراسته العليا هناك وعاد إلى مصر ولم يطق العيش متنوعاً بين أعطاف الترف وألوان المطاعم والمشارب، فقرر أن يخلع ربقة الدنيا من عنقه وأن يدوس على ترفها ويمم وجهه شطر أفغانستان، وبدأ يطلب الموت مظانه محاولاً تمثل الحديث الشريف حياً بخطوات وأخلاق وسلوك، وفي الحديث الصحيح {من خير معاش الناس رجل أخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيلة أوفزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه}.^(٢)

تجول من جبهة إلى جبهة يبحث عن أشد خطوط النار التهاباً وأقواماً اشتعالاً، ذهب إلى قندهار واشترك في شعبان بعملية فتح كبيرة تحت قيادة مولوي غلام محمد غريب ونصرهم الله نصراً مؤزراً.

وقد نشر تقرير مرسل منه باسم (عبد الله غريب) في العدد الماضي عن تلك المعارك (أنظر: بشائر من قندهار، صفحة ١٦). وعاد ليشارك في معركة جاجي في رمضان حيث اشتد أوار المعركة وطائرات (T 22) و (T 28) تدمر كل شئ بأمر ربها. كان لي شرف مرافقته أيام الجمعة والسبت والأحد (الأول والثاني والثالث من رمضان)، وقد ساهم في تسوية أرض لمسجد المخيم في جاجي، فكان يعمل بصمت ولا ترى منه إلا حركة دائبة نون أن ينس بينت شفة، أو تسمع له ركزاً، لا تلمس عليه ملأ ولا تحس منه تضجيراً، يتفجر حيوية ويلتهب حماساً وكان متقانياً في خدمة إخوانه.

استلم فترة من الفترات خدمة إخوانه في مكتب الخدمات، كان يأكل بعد أن يشبع إخوانه، كان ينتظر انتباه إخوانه من طعامهم فيجمع بقايا كؤوس الشاي ويجلس ليشرب الشاي فوق فتات الخبز المتبقي، وكان كثيراً ما يحاول تطبيق السنة يلعق بقية الصحون أخذاً بالحديث فإنك لا تدري في أيها البركة، وأمرنا بلعق الأصبع والصحفة، وقد كان يصوم الإثنين والخميس أكثر أحياناً، وصام شعبان كله (لنك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين) القصص.

وفي الخامس من رمضان الساعة العاشرة صباحاً في إحدى الغارات الجوية ومن جراء القذائف الضخمة حيث تدمرت صخرة عظيمة على رأسه فأسلم الروح إلى خالقها ولحق بركب الأعداء أمامه على طريق يحيى وسعود وعبد الوهاب وعبد الصمد يضيف إلى قائمة الشهداء بطلاً تسطر تاريخ الإسلام بدمائه وتروي شجرته بنجييعها.

فترجو الله أن يجمعنا به في الصالحين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

رسالة الشهيد حمدي البنا إلى أهله:

من عبدالرحمن ابنكم حمدي إلى الوالد الكريم والأم الحبيبة والإخوة الأعزاء: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته الحمد الذي جعلنا مسلمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وأشهد إن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

مولاي صل وسلم دائماً أبداً على حبيبك خير الخلق كله

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: (فأذكريني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون، يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون، ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والشروات وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المفلحون)، (ولئن قتلتهم في سبيل الله أو متم لغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون)، (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم

(١) مجلة العهد، العدد التاسع عشر من ١٦ شوال ١٤٠٦ هـ، حزيران ١٩٨٦ م

ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين)، (كل نفس ذائقة الموت والله تنزيه أجركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)، (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون).

روى الترمذي عن المقداد بن معد يكرب عن رسول الله ﷺ قال: [الشهيد عند الله ست خصال يغفرله في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر وأمن من اللزج الأكبر] وفي رواية أخرى [يضع على رأسه تاج الوقار الباقي منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج باثنتين وسبعين من الخمر العين ويشفع في سبعين من أقاربه].

غداً تلقى الأحبة محمداً وصحبه

قولوا لامي لا تنوحني واصبري	أنا عند خالقي الذي يهديني
إننا أن حرمت وداعكم لجنائتي	فملائك الرحمن لم يدعوني
أن لم يصل علي في الأرض	أمرق حسبي صلاتهم بغلين
أنا في ربا القديوس أقفز شاديا	جذلان كالصنوبر بين غصون
أنا في جوار المصطفى وصحابه	أحيا حياة الحر لا المسجون

ابنكم حمدي

وصية الشهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلنا مسلمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

مولاي صل وسلم دائماً أبداً على حبيبك خير الخلق كلهم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إلى الإخوة الكرام: فهذه وصية العبد الفقير إلى الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا صالح الأعمال ويتجاوز عن السيئات.

أوصيكم بتقوى الله عز وجل، وأتبعوا السيرة الحسنة وخالقوا الناس بخلق حسن.

١- عند وفاتي أنفن في أقرب أرض ولا أنقل بعيداً.

٢- يسرى قبري بالأرض ولا توضع له علامات.

٣- أن يكون الكفن لباسي الذي أموت فيه.

٤- أن يؤخذ من على جسدي كل ما هو نافع للمجاهدين.

٥- جميع متعلقاتي ملابسني في حقيقتي فهي لليتامى والمساكين.

٦- جميع أموالني التي أمتلكها مناصفة بين المجاهدين الفقراء والأخ أبي عبيدة (على الرشيد المصري).

٧- أن يكتب خطاب عن يوم وتاريخ وفاتي (استشهادي) ويوضع في الخطاب مع التواريخ بعد غلقها بأسرع وقت.

رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم في الله

(عبد الرحمن عبدالله البنا)

أهل الشهيد (١):

لما استشهاد المجاهد حمدي البنا -رحمه الله- وأردنا أخبار أهله كان العيد يطل على المسلمين قرأنا تأجيل تبليغهم إلى ما بعد العيد واكتفينا برسالة كان قد كتبها الشهيد لأهله، يتكلم فيها عن الشهادة والشهيد وما له من الأجر والمقام العالي عند الله

(١) مجلة الجهاد العدد ٢٤ ص ٤٠ وبيع الأول ٧-١٤هـ نوفمبر ١٩٨٦م.

سبحانه.

وما كنا نعرف الكثير عن هذه العائلة الطيبة الصابرة، فبعد أن علم أهل حمدي باستشهاده كتبت لنا أخته رسالة تعبر فيها عن اعتزازها باستشهاد أخيها، وتطلب عنداً آخر من مجلة الجهاد الذي تحدثنا فيه عن الشهيد، لتحفظ به لأولادها حتى يكبروا ليقرأوا عن استشهاد خالهم ويكونوا مجاهدين مثله.

ثم جاتنا رسالة من والدته الشهيد -نشرناها في هذا العدد ركن المجاهدات-، فقرأنا فيها صبرها واحتسابها، وإيمانها بالله سبحانه، وأعادتنا إلى ذاكرتنا سيرة الختساء وغيرها من السابقات.

رسالة أم الشهيد فيها عزاء لكل أم رزقها الله أولاداً مجاهدين وفيها دروس في الصبر والرضا بالقضاء.

رسالة من أم الشهيد حمدي البنا^(١):

كل نفس ذائقة الموت، إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، اللهم اجعلنا من الصابرين الذين تنالهم البشري التي وعد الله سبحانه بها.

لقد ذهب إليكم الشهيد حمدي باثماً نفسه لله، رافعاً راية الجهاد فداء للإسلام، تركني وأنا حزينة على أخت لي ماتت أثناء الولادة وقال لي: لا تحزني إنها شهيدة، وسوف أذهب للجهاد عسى أن ألقى الشهادة مثل خالتي.

كنت أتمنى أن يرجع لزيارتي كي أراه ولكنه كان على موعد مع الشهادة، فله ما أعطى وله ما أخذ (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه).

لا أبالغ لو قلت: إنه كان من عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً.. كان رجلاً قلبه معلق بالمساجد لا يترك الصلاة بها.

لا زلت أذكر يوم ولادته إذ كانت في فجر يوم بارد من أيام الشتاء ولم أشعر إلا برعشة برد ليس معها أي ألم من آلام الوضع وخرج للدنيا صغير الحجم، ضعيف الجسم، فحملته والدتي وذهبت إلى والدي كي يؤذن في أذنه، وقالت له: هل يعيش هذا؟ فقال: يعيش ويكون رجلاً إن شاء الله تعالى.

وكبر (حمدي) بعد تعب وجهد كبير -أحتسبه عند الله سبحانه- وكنت أرى فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (وشاب نشأ في طاعة الله)، لم يغبنا يوماً ولا ساعة لا بقول ولا بعمل، كان مثال الأدب والأخلاق تخرج مهندساً وعمل في المساحة الجيولوجية، وكان ناجحاً في عمله، اكتشف خلال بعثاته في جبالنا عنصر (اليورانيوم) ولا ندري لمن ينسب هذا الاكتشاف وتسكت عن الكلام.

وحظي ببعثة متابعة دراساته ثم رجع قبل اكتمالها وهو عازم على المضي للجهاد، لا أنكر أنني -وكأني أم- عرضت عليه الزواج من أي فتاة يريد، وحدثته عن مكانته وعن المال، والشهرة التي تنتظره، فرفض وقال لي: (متاع الدنيا قليل، الجهاد أولاً، والجهاد -يا أمي- سياحة المؤمن).

كنت أتمنى أن يطول به المقام بينكم لتروا همته وتقانيه في العمل لقد كان شعلة مضية لمن حوله (خدم، صادق، جاد في عمله) ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين، ولا نقول إلا ما يرضي الله، إن العين لتدمع، والقلب ليحزن، وإنا على فراقك يا ولدي لمحزونون، ويزول حزننا بنصركم أيها المجاهدون الأبطال، والسلام.

أم حمدي البنا الشهيد المصري

(١) مجلة الجهاد العدد ٢٤ من ٤٠ ربيع الأول ١٤٠٧ هـ - نوفمبر ١٩٨٦ م.

تونس تجود بأول شهدائها على أرض أفغانستان (١)

مزيداً من التضحية، مزيداً من الدماء الطاهرة الصادقة، مزيداً من الشهداء لك أيتها الأرض المجاهدة، وما هم يهرعون إليك من كل حذب وصوب يشكل الاستنفار ملامحهم، نزلوا من طائرات الترحال والاغتراب منتظرين أن يتخذوا مقاعدهم في حواصل طير خضر في الجنة.

أبو عقبة.. أول دماء زكية تحملها أجنحة الشوق لجنات الخلد، من سهول تونس المؤمنة إلى جبال أفغانستان المجاهدة لتسطر بحرارتها صدق الوعد وحماسة الإنطلاق.

في تونس العاصمة كان المولد والنشأة، ومن ينزرت كان العمل بأحد مصانعها، لتلتقي اللقاء الأول في مسجد (المدينة) حيث كنا نشارك في الدروس والمحاضرات، ومن تونس يحمله شوقه العارم إلى تركيا ومنها إلى فرنسا، والحيرة تنبعث في ملامحه، والقلق والخوف يخطان جنورهما في مغاور عينيه، القلق على عقيدته، والخوف من أن تظل راية الإسلام ساكنة لا حراك، كان هذا قبل عشرة أشهر خرج بعدها من دوامة التيه والترحال ليتخذ القرار الملهم.

ترك الأهل والأحباب ليجد له أحباباً وأهلاً لا يجمعه بهم غير صفاء الأرواح وعذوبة الإخاء وحنين الشهادة، وبين هتافات (الله أكبر) التي ماتزال تردد حروفها وتنتقل أصداؤها من جبل لآخر، إنهم هنا.. في أفغانستان حيث كان لنا لقاء ثان أفرقنا بعده ليدخل كل منا في جبهته، ثم التقينا مرة ثالثة في شهر رمضان الماضي وتعايننا قبل أن نفترق من جديد عناقاً حاراً كان له مذاق المعانقة الأخيرة، وأفرقنا على أمل أن يعود بعد ثلاثة أيام ليسافر إلى باريس كي يحضر زوجته، لكنه في هذه المرة كان على موعد آخر غير الموعد الذي أعطاه لزوجته، ودون أن يدري، كان على موعد مع الشهادة!

ففي اليوم الثاني عشر من شوال أتاه الوعد الإلهي، وانتقل إلى جوار ربه ليتخذ مكانه الجديد في حوصلة طائر أخضر في الجنة بإذنه تعالى، مسجلاً رقمه السادس عشر في قائمة الشهداء العرب على أثر قصف جوي على منطقة شناري-قندهار، بينما كان بهم ليتوضأ.

لقد كان أبو عقبة (محمد بن إبراهيم) صافي النفس، صامت اللسان، قليل الكلام، وإطالما رأيتُه فما أنكر أنني سمعت صوته، سليم الصدر على إخوانه، لا يفن أحداً ولا يقل في قلبه حقداً ولا يكن ضغينة على من حوله، كان ملازماً للشهيد حمدي البناء، لم يفرق فراق صاحبه فلحق به في موكب الشهداء الماضي إلى قيام الساعة، رحم الله أخانا أبا عقبة وسائر الشهداء من جنس منهم ومن ينتظر وأعطاهم ما وعدهم، وجعلنا منهم، هو مولانا فتيم المولى ونعم النصير، وهنينا لك أبا عقبة على منحك وسام الشهادة الرياني، فقد نسّم الإخوة رائحة المسك المنبثة من جسدك الطاهر عند استشهادهك وعند دفنك.

فقوافل الشهداء تمضي تبذل الأرواح
نشرى بتكريم الإله لسعيها في
واح ترفل في الجنان وفي النعيم
صحبة الأحباب والملا الكريم

وصية الشهيد:

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

الإسم محمد بن إبراهيم

الوصية: إذا من الله على بالشهادة فأرجو أن تعلموا زوجتي وعائلتي أن يقوم بعراسيم دفني إخواني من العرب حتى لا يقوموا ببعض القلاط التي يقوم بها الأفغان كأن يدفنوا مع الشهيد أشياء التي يلبسها.
أن يكون قبري مسوى بالأرض، وأن لا يوضع عليه علم أو غيره من الترهات.

رسالة الشهيد إلى زوجته:

زوجتي العزيزة، إذا أتاك نيا شهادتي فأحذري أن تظني أن الله قد أخلفك وعده، بل العكس اثبتني وليبقى أملك الوحيد هو الله، لأنه لا يخيب قاصده، وخذي عني عن تجربة أن الله هو أرحم الراحمين، وهو الحنان المنان، حيث لا صدر يحنو ولا قلب يعطف.

(١) مجلة أجهت العد: العشرين من ٢٠ في القصة ١٤٠٦ - يوليو ١٩٨٦م

فاهربي إليه ولوذي بحماه، فسيكلاك برعايته، ويجزل لك العطاء إلى يوم القيامة لصبرك واحتسابك إليه كل شيء..

احتسبي على ما أصابك ويصيبك في سبيله لأنه هو الذي أمرنا بالجهاد وحثنا عليه وحذرننا وتوعدنا من مغبة تركه، فإذا كان ما حصل لك هو في سبيل هذا الإله العظيم وصبرت على ذلك، تستطيعين بعد ذلك أن تختلي حب الله لك والعلاقة الطيبة التي تكون بينك وبينه، ومن هناك يكون المنطلق بالضبط كما حدث لي أنا حين أتيت إلى هنا، فكنت كلما تذكرت أنني عملت هذا في سبيل الله يسعد قلبي وأحس بعلاقة طيبة بيني وبين ربي، فأشعر برغبتني أكثر للقرب منه والابتعاد عما يبعدني عنه، وأنتي لم أنسك يوماً يا حبيبتي وإن أنساك إن شاء الله أبداً، سنذكرك في العالم الآخر، وأسأل عنك دائماً وأدعو ربي أن يجمعني بك في الجنة بفضل رحمة والسلام، وكان بوذي أن أكتب لك أكثر ولكني لا أجد الوقت كافياً لأنني غداً صباحاً أتوجه إلى خوست.

الأحد (٧) مارس (١٩٨٦م)

محمد

والد الشهيد أبي عقبة يتحدث للجهاد:

كان لما نشرته (الجهاد) من خبر استشهاد (أبو عقبة) صدي بعيد المدى، وفرصة لاتساع الحديث عن الحرب الأفغانية في تونس، ولقد أقبل الناس على تهنئة أبويه وأهله عند اطلاعهم على العدد العشرين من (الجهاد)، وتناوبوا قراءة النسخ المحدودة التي وصلتهم منها.

ولما زار والده مدينة القيروان التي هي موطنه الأصلي توجه إليه مراسلنا بالأسئلة التالية:

(الجهاد): بمناسبة التكريم الإلهي لابنكم محمد هل تسمحون أن تحدثوا قراء (الجهاد) عن شيء من حياته؟

* لقد رزقني الله -فيمن رزقني- ولداً سميت محمدًا فترفاه الله، ثم رزقني آخر فاستأثره الله به كأخيه، ثم رزقني آخر بعدهما ثالثاً فأنجاه لنا، وكنت سميت محمدًا كأخويه السابقين، ولقد أنبت الله نباتاً حسناً، وكتب له أعظم مراتب التكريم في موكب الشهداء بالأراضي الأفغانية، والحمد لله على فضله العظيم.

(الجهاد): وفيما بين ذلك كيف كان محمد؟

* كان محمد باراً بأبويه، عفيفاً أميناً كل الأمانة على أي عمل يقوم به في المصنع وغيره، صموتاً، كئوباً، وكان أكثر ما يسره من حديث رفاقه وأقربائه هو ما كان ذا صلة بالله وبمصير الإنسان، يحمل هموم المسلمين، ويطيل التفكير في أوضاعهم، ويتمنى أن يجمع الله شمل الأمة على نصرة دينه.

(الجهاد): هل راسلكم الشهيد بعد وصوله إلى جبهات القتال؟

* نعم، وطلب مني أن أرضى عنه، وألح عليّ أن أسترضي أمه لأنه لم يعلمها بنيه عند سفره، كان يظن أنه لو استأذنها لترددت في الإذن له، أو لحملت على التريث على الأقل لأنه حديث عهد بعرس.

(الجهاد): وماذا كان من أمه لما بلغها نبأ استشهاد؟

* امتزجت في عينيها دموع الحزن بدموع المسرة، فهي باكية ضاحكة، بكت لفراق محمد زوجه على قرب عهده بعرس، وضحكت مستبشرة بجهاده لأنها قدمت من بنيتها من فاز برضوان الله والتحق بقائمة الشهداء.

(الجهاد): وهل كانت زوجه على علم بخروجه للجهاد؟

* نعم وكانت تعزم اللحاق به لتقوم بأي دور يسند إليها من خياطة أو تمريض أو تعليم أو حضانة أو أي عمل فيه نصرة الأفغان المجاهدين في سبيل الله.

(الجهاد): كيف تلقت زوجه نبأ استشهاد؟

* تلقت الخبر بمنتهى الثبات والصبر والحمد لله، وما زال يشتد بها التفكير في نصرة المجاهدين الأفغان، وأمنيته أن ترى أفغانستان محررة في القريب -إن شاء الله- من أثر لامة الكفر.

(الجهاد): هل لك من الأبناء الأحياء غير محمد الشهيد؟

* لي من الأبناء من هو أكبر منه ومن هو أصغر.

(الجهاد): كيف كان وقع استشهاد (أبو عقبة) في نفوسهم؟

* كان الصغير يبتسم استبشاراً، أما الكبير فقد اغتم كثيراً، لأنه لم يكتب الله له حتى الآن ما كتب لأخيه الأوسط، أما أخواته

فلا تسأل عن ابتهاجهن.

(الجهاد): وهل يفكر إخوته في اتباع سبيله؟

* التفكير شيء، والعمل شيء آخر، أو تظن أن المؤمن حقاً لا يفكر في أن تكون كلمة الله هي العليا؟ ولعل الله يسمح بالوسائل

المتاحة لذلك، وما أشد سعادتي أنا لو بقيت مني قوة فتأخوذ بما فاز به ولدي.

(الجهاد): إن إخواننا الأفغان يحتاجون إلى المال أكثر من حاجتهم إلى الرجال، فما هي الفائدة من انضمام غيرهم إليهم في

هذا القتال على ما يبدو لكم؟

* صحيح أنهم في حاجة ملحة إلى مساعدة المسلمين لهم بالمال أكثر، ولكن وجودنا نحن العرب معهم في هذه المحنة الطاغية

يشعرهم بأن إخوانهم لم ينسوهم، ينكروهم بأن الجسد الإسلامي في هذا العصر ما يزال يحس العضو منه بما يشتكي منه بعض

الأعضاء، ولو تنامت بهم الديار، ويؤكد لهم أن الرباط الذي بين قلوبهم جميعاً هو أقوى من رباط الجنس واللغة والتراب ومن أي رباط

آخر.

(الجهاد): هل تسمحون فتعرفونا بالرباط الذي تقصده؟

* إنه الرباط الذي أقره الله في كتابه العزيز، وعرف به الأمة الإسلامية فقال سبحانه:

(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم قاعبدون) (الأنبياء: ٩٢).

تفاصيل مشيرة عن استشهاد أبي عاصم (محمد عثمان)^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فإن أسباب الشرف في الدنيا كثيرة، فمنهم من ترفعه قبيلته

بأعدادها، ومنهم من تظهر ثروته يذهبها ودنانيرها، وبعضهم من يبرزه علمه ومداد قلمه، وقليل هم الذين يرفعهم النجيع والمداد

الأحمر الذي يخط التاريخ ويصنع الأمجاد ويشيد الممالك.

ومن بين الذين رفعهم دمهم وأظهرتهم شهادتهم فكان موتهم حياة وفراقهم لقاء وغيابهم حضوراً شهداء، ودأبنا أجسادهم في

فلسطين وأفغانستان، ومن بين من عرفنا (أبو عاصم).

أبو عاصم (محمد عثمان) شاب يافع مثقف ولد في أسرة متوسطة في مستواها الاجتماعي والعلمي والمالي، وشب كباقي

الشباب ولكن في جو مكفهر يطارد المسلمين ويلاحق الإسلام، فكانت نشأته عادية، لم تتوله يد حانية بالتربية، ولم تتمهده عناية معلم

بالتوجيه الروحي والثقافي والخلقي.

ومن جراء السياط اللاعبة لظهور المسلمين كان أبو عاصم من بين الذين هربوا ببقية إنسانيتهم حفاظاً على روحه التي بين

جنبه، وبدأ التحول في مجرته المضنية، من خلال لفح طريقها وشدة محتتها بدأت النفس تتجه إلى الله، واتجه أولاً إلى القرآن ينهل

من نعيمه العذب، ويتعلم القراءات وأحكام التلاوة والترتيل، وبدأت نفسه تتأدب بأداب القرآن، قال لي من سكن معه: كنا أحياناً نتحدث

بأمور الدنيا وهو صامت، فينسل من بيننا نون أن نشعر، فنفتقده وإذا به اعتزل في غرفة أخرى يقرأ القرآن.

وكان يحب صيام الإثنين والخميس، ويقوم الليل، شغقت نفسه بطلب العلم في ملتان، وحفظ القرآن ولم يبق منه إلا جزآن

عندما قابلته لأول مرة في بيشاور، ولكنه أتم حفظ القرآن في بنجشير.

كانت المقابلة قبل عام ونصف، رأيت على وجهه إشراقة، أشقر الشعر، باسم الثغر، رزين السميت، وإذا تكلم فبقدر، ويفتر عن

مثل حب الجعان.

قال لي: أريد أن أوصل تعلم القرآن، فقلت له تكفيك الآن رواية حفص، إذ أنه حل بالمسلمين ما شغلهم حتى عن أولادهم

(١) مجلة الجهاد المصدر السابق.

وأنفسهم... الآن جاء نور الجهاد.

وراجعني بكلمة أو كلمتين، فقلت له: هذا هو السبيل في المرحلة الراهنة.

وبدأ رمضان فأتخذ الشباب يجتمعون إليه في صلاة التراويح، ولكأنما تسمع القرآن غصاً طرياً كما أنزل.

وفي هذه الفترة كان أهله يلحون عليه بالعودة إليهم، فقال لهم لن أعود إليكم، وجأوا بخطيبته لتكلمه في التلفزيون قائلة: لن أتزوج ما دمت حياً، فرد عليها قائلاً: مروجي خيري منذ عوده إليكم، هنا الحياة وهنا الممات.

وانتصف رمضان، وتحركت قافلة بنجشير ليرافقها أبو عاصم، وودع ببشاور وداعه الأخير.

وصل أبو عاصم إلى (أحمد شاه مسعود) بطل بنجشير وأسد الشمال، وعندما رآه تمسك به وقال لا تفارقني في حل وترحال ولا سفر ولا حضر، علمني القرآن واللغة العربية.

وانطلق أبو عاصم في مسيرة الجهاد المباركة، وبدأ أحمد شاه يعد له الدورات التربوية القرآنية الروحية من القادة الذين حوله وعن خيار المجاهدين عنده، وخلال عام كان قد ربي مائتين من القادة والجنود! على كتاب الله تلاوة وتجويداً، وعلى صيام الإثنين والخميس، وعلى قيام الليل، قال لي عبد الواحد -أحد الإخوة العرب في بخشان-: استمعت إلى شاب أفغاني يتلو القرآن تلاوة صحيحة مع مخارج الحروف، فسألته من أي جامعة عربية تخرجت؟ فقال تخرجت من جامعة أبي عاصم العراقي!

وتعلق المجاهدون به تعلقاً عجبياً، فصار لا يتحرك إلا ويقولون: جاء قارئ صاحب (أي القارئ المحترم)، وذهب قارئ ه صاحب، وأقبل رجب وبدأ أبو عاصم يعد الأيام حتى يأتي رمضان، ويفرك يديه قائلاً: أه على شهادة في رمضان، وجاء اليوم الرابع عشر من رمضان (١٤٠٦هـ)، وجاءت معه معركة أندراب-بغلان، واستأذن أبو عاصم ليشارك في المعركة، ويفجر باب القلعة التي يهاجمونها، وأذن له.

وسجل المسؤول أسماء الإخوة المشتركين فكانوا مئة وعشرة من المجاهدين، وسجل بجانب اسم أبي عاصم كلمة شهيد.

قال عبد الله أنس: قلت للأخ الذي سجل الأسماء (صفي الله): أنت مستعجل على العرب؟ نحن اثنان تريدون أن يذهب واحد إلى ربه ويبقى واحد؟ قال صفي الله: أقسم أنه لن يرجع، أولاً ترى نور الشهادة بين عينيه؟ أنظر إلى وجهه، ثم أقسم ثالثة ورابعة أن أبا عاصم شهيد في هذه المعركة.

وأفطر المجاهدون جميعاً استعداداً للمعركة عدأً أبي عاصم (وشاه قلندر)، ووصل المجاهدون القلعة، وفتحت الرشاشات، وكان لابد لأبي عاصم أن يقوم بدوره تحت نيران الرشاشات، وتقدم كالليث، وبسرعة خاطفة وضع الألغام تحت باب القلعة وفجرها، فانهار الباب وقسم من الجدار، وانهارت معه معنويات الكفار، ودب الرعب في قلوبهم، وانطلق المجاهدون يكبرون، وكان من أواشيهم أبو عاصم وشاه قلندر، فأصابتهم رصاصات واستشهدا، فكانا هما فقط الصائمين الشهيدين يوم أن يستشهد غيرهم.

مضى أبو عاصم إلى ربه:

ولقد كانت صاعقة نزلت من السماء على نفوس المجاهدين عندما رأوا أستاذهم وإمامهم ومقرنهم قد مضى وتركهم، وقد كان وقع المصاب شديداً على أحمد شاه وعلى المجاهدين، وبدأت الذكريات الحبيبة تحول المكان كأنه ظل خارجي قد عبث به رياح الدهر، فخيم الوجوم وساد الصمت وأطبق العزن وعمت الوحشة، وأنكر المجاهدون أنفسهم وهم يتسألون كيف الحياة بدون أستاذنا.

يقبل الفجر وتقام الصلاة ومن يسد مكان أبي عاصم في الإمامة، يجلسون بعد صلاة الفجر لحقة القرآن ولكن مكان أبي عاصم خال:

سرى صوت المؤذن في حمانا وقد فقدت مائتنا بلاه

فبيدأ البكاء وينفض القوم.

إذا وضع الطعام فهذا (صحن) أبي عاصم، فتفص النفوس بالطعام، وإذا جاء المنام فهذا (فراش) أبي عاصم، فتتأرق الأجفان وتتجافى الجنوب عن الضاجع.

وكاد القوم يصابون بالهنيان حزناً على الفراق... مع أنهم فارقوا من قبله أباهم وأشقائهم... ورأوا آلاف القتلى، ولكن أي

مصائب جلل حل بالقوم بعد أن ذهبت روحهم من بين ظهرانيهم؟ واضطر أحمد شاه أن ينقل المجاهدين بعيداً من المكان ثماني ساعات لينسيهم ذكريات إمامهم، وما من معركة تحصل بعد "أندراب" إلا ولسان كل مجاهد يقول: اللهم ألحقني بآبي عاصم في الصالحين.

رب ارحم أبا عاصم فلقد بلغ المنزلة إن شاء الله، وردد في مثواه الأخير هناك فوق قمة جبل شامخ حفر قبره أحمد شاه مسعود بنفسه مع المجاهدين، وكانت جنازته مهيبة مشهودة ودع بها أبو عاصم هذه الدنيا الزميدة ومضى بعد أن أخذ القلوب في رحلة الخلود الأبدية.

إن قبره في نرى الهندكوش ليشهد أن هذا الجهاد جهاد إسلامي عالمي وليس قتال قوم خاص بالأفغان.

فهنيئاً لك يا أبا عاصم، ونرجو الله أن يجمعنا بك في الفردوس الأعلى إنه سميع قريب مجيب، ونقول هذا أبو عاصم فعلى منواله فانسجوا، وعلى طريقه فاسلكوا.

ولحق أبو عبد الحق بالركب^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فكلما مضى أخ شهيد إلى الله أخذ معه جزءاً من قلوبنا وفلذة من أكبادنا وسار بها إلى ربه، وتبقى بعده الذكريات الجميلة التي تؤرق أجناتنا من جهة أخرى، يمضي وتبقى روحه الشفافة وممته العالية ودأبه الناشط وحركته التي لا تعرف الكلل والملل حوافز تؤجج في صدورنا ناراً على أعداء الله، ونوراً تضيء لنا الجادة إلى الله.

هذا المهندس من بين الذين تركوا في نفسي أثراً عميقاً وبصمات واضحة، أحسبه من خيار الناس الذين يصفهم رسول الله ﷺ: (أنهم الأخفاء الأتقيا الأبرياء).

قدم من أمريكا -مهندساً كهربائياً إلكترونياً- من بقعة هي أكثر البقاع ترفاً في الأرض، حيث الرفاهية والمتعة ووسائل الراحة التي قدمت خدمات لا يكاد العقل البشري يتصورها، وانتقل إلى أرض الجهاد حيث "عراب والثوج والجبال، ولعل أقدام البشر لم تطأها من قبل

منعت زوجته أن تلحق به لأسباب، ولكن هجرته إلى الله لا رجعة فيها ولا تردد ولا تلثم، فإن كانت الزوجة عاتقا وعقبة كؤوداً تحول دون الهجرة أو تقطعها، فلنضع بالزوجة ولنطأ على قلوبنا ومشاعرنا ونصبر ونصابر ونحن نكابد أشواقنا ونقاوم خلجات أنفسنا (إنا أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم)، وبقي أبو عبد الحق على الطريق يبحث عن الشهادة ويتشوق إليها، مضى إلى بكتيا يعمل في تركيب الأجهزة اللاسلكية، ودخل اللوكر، وفوق قمة جبل (سلطان سيف) الذي يشرف على المناطق المحيطة بكابل أقام أبو عبد الحق يتربص بالأعداء ويستشرف الشهادة، ولكن لم يكتب الله أن يقتل فوق أرض المعركة.

عاد أبو عبد الحق ودخل مخبره ليعمل على إصلاح الأجهزة وتركيبها وحلها، وكنت أراه داخل مخبره كأنه الراهب في صومعته أو العابد في زاريته، وكان لا يسمح للناس بزيارته، فكنت إذا دخلت عليه علت وجهه ابتسامة مشرقة، وترى السرور من خلال بريق عينيه الذي يتراقص لك من وراء نظراته، وكنت لا أطيل عليه كزيارات المريض، لأنني قطعت عليه حبل تفكيره مع جهازه الذي يرى أن العمل فيه خير من صلاة التواقل، لأنه يعتبر الإعداد قرضاً، أما صلاة التافلة فهو منسوب، ولا شك أن الفرض مقسم على التافلة.

كان لا يتكلم إلا بقدر، وكثيراً ما كان يواجهنني بأسئلة يتحرى فيها لأمر دينه، وهذه الأسئلة يعدها في ذهنه ريثما يهتبل فرصة لقائي.

كنت لا أراه إلا خالياً مع أجهزته أو يطالع في كتاب فقهي أو فكري. يسأل وأجيبه ولا يناقش، يسأل بأدب وعيناه في الأرض كأنك تعيش مع تلميذ وأستاذه في القرن الثاني الهجري في المسجد الأموي أو في دار الحكمة، بذلك الأدب الرفيع والتواضع الجم والاتزان المهيّب تعرف آداب العالم والمتعلم وحق العلم والتعلم.

لا يعرف الجدل ولا يعتب على كلام المجيب ولا يتمحل ولا يتشدد، سألت أحد الإخوة المجاهدين من بلده، هل تعرف أبا عبد

(١) مجلة الجهاد العدد ٢٤ من ٢٢ نوفمبر ١٩٨٦م

الحق وأنت معه في الساحة؟ قال: أعرفه ولكن لم أجلس إليه.

ويبقى المهندس عاماً كاملاً يأكل ويشرب وينام في زاوية التي يتعبد الله بها من خلال أجهزته، ومن الله عليه أخيراً بقبوم زوجته رزوية ابنته فاطمة التي ولدت ولم يرها بعد.

وقسم دهره قسمين ليلة لزاويته وليلة لزوجته، وكان يعود قرب العشاء ويبيده جهاز، ويجلس مع زوجته فتبدأ الكلام مع عقله مشغول بجهازه، فكانت تغار من أجهزته وتتغضب وتقول: أنت تحضر ضررتي لتأخذ من ليلتي، هذه الليلة لي وليست لضررتي -تعني جهازه-، كان أبو عبد الحق زاهداً، فكان يخصص لنفسه سبع روبيات مصروفاً في مخبره أي حوالي ريال وربع، وكنت تدخل بيته فأول ما يثور في خاطرك قصص أبي نر الفقاري وسلمان الفارسي في الزهد -رضي الله عنهما-.

وذات يوم جاء من يخبرني أن المهندس في المستشفى، ذهبت لزيارته فوجدت الصفرة قد علت محياه فزائته إشراقة على إشراقة، وجسست جبهته فوجدت عليها قليلاً من الحرارة، ولكن حالته لم تكن في النظرة البشرية خطيرة، وقرأت عليه الأذكار الواردة في الاسترقاء.

وفي هذا المرض رأى أبو عبد الحق رسول الله ﷺ ونار له ورقة وإذا بها (الشهادة مع اسمه الصريح)، فنادى صاحبه وكان إلى جواره معظم أيام مرضه وقال: اكتب وصيتي جاءت الشهادة يا أخي، فبدأ صاحبه يحاوره إبعاداً له واجس الموت وشبعه عن ناظره وفكره، فقال: أين الشهادة؟ الشهادة في المعركة وأنت في المستشفى، قال المهندس: أنا هنا مرابط رغم أنني مع أن قلبي معلق في المعركة، ألم تسمع قوله تعالى:

(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مدخلًا يرضونه وإن الله لعليم حلِيم) (الحج: ٥٨-٥٩)

وكان الصحابي فضالة بن عبيد في غزوة فتوفي مجاهد واستشهد آخر فجلس فضالة عند قبر المتوفى، فقيل له: تركت الشهيد فلم تجلس عنده، فقال: ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت، إن الله تبارك يقول: (والذين هاجروا في سبيل الله... لعليم حلِيم) فما تبقي أيها العبد إذا دخلت مدخلًا ترخصاء وبرزقت رزقاً حسناً؟ والله ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت، رواه الطبراني بإسناد صحيح. وقد روى الإمام أحمد الحديث قال ﷺ: [من وضع رجله في الركاب فاصلاً في سبيل الله فلدغته هامة أو وقصته دابة أو مات بأي حتف مات فهو شهيد] رجاله ثقات والحديث صحيح.

وأذن صاحبه لطلب أبي عبد الحق وسطر الوصية ومما جاء فيها: (... وقد نذرت روحي ومعرفتي وجسمي لله حتى كلفني ذلك ترك لذة كبدي وزوجتي الودود لمدة سنة كاملة كانت سنة تمحيص... بعدها أمرت بالرباط الطويل في نفس المكان، كنا نعمل ليلاً ونهاراً، فكنت أركب وأجمع وأدرس وأتعلم ولا أعطي لأهلي إلا القليل من وقتي، ذلك لقتلة المهندسين المسلمين في أفغانستان، ولم يمنعني هذا أن أجد لذة إنفاق بدني في سبيل الله، وكانت الأخبار تمسح عنا التعب إذا هبت ريح مسك لشهيد قرآني فكانوا يغذوا وشرابنا وعطرننا وكلنا يلهج ليأخذه معهم...

وإذا توفيت أخبروا الشيخ عبد الله عزام ليخبر زوجتي، واختتم الوصية بالآية (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه محبباً) ورأت زوجته قبل وفاته بأيام قليلة رسول الله ﷺ يحمل جنازة، وكان زوجها فيمن يحمل مع رسول الله ﷺ فسأله من هذا المحمول الذي نال هذا الشرف؟ فقال: إنه شهيد ليتني مكانه، وأخيراً فاضت الروح إلى بارئها، وكانت لحظات عصيبة جداً تمر على كيف أواجه زوجتي بالخبر، وصليت الفجر وتوجهت مع زوجتي إلى بيتها، وأخذتها إلى المستشفى، وفي الطريق صرت أمهد السبيل بالأحاديث النبوية والآيات القرآنية والمرأة لا تتمالك نفسها وترتجف أوصالها وهي تحس أن الأمر جلل.

ودخلت مع زوجتي وزوجتي لتلقي عليه النظرة التي لن تحظى بغيرها بعد اللحظة، وكانت مفاجأة مذهلة ومصاباً عظيماً أن ترى زوجها جثة هامدة، إلا أن ابتسامته وإشراقة وجهه لم تفارقه، فبدأت تمرغ وجهها على وجهه وتقول: حرام عليكم نظرة واحدة، لو أعطيتكموني قبل أن يموت...أبا عبد الحق، أبا عبد الحق.

وسارت جنازته في موكب مهيب، ويجانب يحيى وفي بابي دفن أبو عبد الحق حيث المكان الذي أحب، ويجانب الشهيد الذي عشقه وتعلقه.

ولشدة ما كانت دمهشة زوجته عندما علمت أننا دفناه بجانب يحيى فقالت: قد كانت هذه أمنيته.
وتكلم الشيخ سياف كلمة، وتكلمت كلمة كانت من عصارة قلبي وحرقة كبدي، وما بكيت على أحد بكائي على أبي عبد الحق
رحمه الله وألحقنا به في الصالحين.

غاب الطود الشامخ (الشهيد أبو دجانة) (١)

من عروس البحر (الاسكندرية) إلى أرض الجهاد والشهادة

الصد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

حدث ابن اسحاق قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال فأمسك
عنهم حتى قام إليه أبو دجانة -سماعك بن خرشة- أخو بني ساعدة فقال: وما حقه يا رسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى
ينحني. قال: أنا أخذه يا رسول الله بحقه، فأنطأ إياه وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يفتال عند الحرب إذا كانت، وكان إذا اعتم
بعضابه له حمراء فاعتصب بها علم الناس أنه سيقا تل- فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عضابته تلك
فعضب بها رأسه وجعل يتبختر بين الصفين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها لمشية ييغضها الله إلا في مثل هذا الموقف.

قال الزبير فوجدت في نفسي إذ أعطاه أبا دجانة وتركني، والله لأنظرن ما يصنع، فأخرج عضابه له حمراء فعصب بها رأسه،
فقالت الأنصار أخرج أبو دجانة عضابه الموت، وهكذا كانت تقول إذا تعصب بها، فخرج وهو يقول:

أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لسدى النخيل

ألا أقوم الدهر في الكيول أضرب بسيف الله والرسول

لجعل لا يلقي أحداً إلا قتله. سيرة ابن هشام ٢٠/٣.

قد قيل: أن لكل اسم من أسماء نصيباً، فصاحبنا أبو دجانة الذي اقتصرت يد النون في ميعه (شدة) نشاط الشباب منذ
فترة وجيزة في (نهرين) إحدى مناطق بغلان، له من صفات الصحابي الجليل أبي دجانة أسوة حسنة. كان صاحبنا ذا زهوة لا تفارقه
ولكنها في تواضع، رأيته لأول مرة سنة ١٩٧٦ في معسكر جامعة الإسكندرية ثم غابت صورته عني.

اختلاف النهار والليل ينسي /أذكرا لي الصبا وأيام أنس

ثم رأيته للمرة الثانية في أرض الرباط في بكتيا، كان قمة في النشاط والحيوية، أعطاه الله بسطة في الجسم وأتاه الله القرآن
فكان حافظاً ذا صوت ندي، فكنت أحب أن أقدمه للصلاة لأسمع صوته، ولكنه كان لا يطيل في الصلاة، قدمت ذات مرة لصلاة الفجر
فقرأ في كلتا الركعتين سورة الزلزلة كاملة، فسأله عن هذا فقال: ثابت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يتتبع
الأثار ويلتزم السنة فبقي يقصر الصلاة مدة سنة ونصف حتى وهو في بيشاور ما أتم الصلاة قط إذ كان يعتبر نفسه مسافراً
مرابطاً، كان حساساً للبدء صغيرها وكبيرها، كنا ذات مرة في بكتيا فأطلقت طلقة قريباً منا، فقال أحدها بصوت مرتفع: ابن محمد
وكان الصائح ولداً لمحمد فعلاً، فكان في أوقات الشدة يقول: أنا ابن محمد -اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم أنا ابن عبد المطلب-
فقلته أبو دجانة يقول يا محمد فصاح قد أشرك الرجل.

كان نجماً لامعاً حيثما سار وكوكباً ساطعاً أينما دار، ومن لا يعرف أبا دجانة في مدينته، خاصة من أبناء جيله، فقد كان
مهيئاً مهياً!

نزل إلى تنجرهار (مارو) نازيان، فالتقى بين المجاهدين شهرين أو ثلاثة فآلف الله على يديه قلوبهم وجمع ببركته صفوفهم فشكل
الأحزاب الأربعة مجلس شورى، وانتخبوا أميراً، وأصبحوا وكنائهم منظمة واحدة لا تحس بينهم فرقاً وتغبطهم على ألفتهم وتقارب
صفوفهم واختلى الدخان والنسوار -الشمه- والتماثم من بين صفوف المجاهدين وأصبح المجاهدون يطبقون السنن والأذكار خاصة

(١) مجلة الجهاد العدد ٢٥ ص ١٧ ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ ديسمبر ١٩٨٦ م.

الواردة بعد الصلوات المفروضة.

كان ذا نكتة حاضرة يغير المنكر بالنكتة، ويخفف عن اخوانه بالدعابة البريئة وبالمزاح الصادق فكان إذا رأى حليقاً من المجامدين مسك بيده وأجلسه بين المجامدين مع ابتسامته المشرقة يرفع يديه إلى السماء ويقول "دعاء دعاء" وهذا يعني عهد لدى الأفغانين فإذا رفع الحليق يديه فهذا عهد ألا يحلقها بعد وهكذا في التعائم والنخان.

كان رياضياً فهو يحمل شهادة جامعية في الرياضة فكان يدرّب إخوانه التمارين السريية فلا يحس أحد منهم بتعب رغم أنها عنيفة شديدة لأن النكتة تصاحب التمارين كلها.

كان عالي الهمة مع التواضع، حازماً مع اللين، شديداً مع الرأفة، لا ينزل إلى الأمور الدنية، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفاسفها) رواء الطبراني والحاكم وهو صحيح، انظر صحيح الجامع ١٨٨٦.

كان يحب إخوانه ويحبونه، لا يحمل بين جواتحه لهم إلا تقديراً وحباً، يكره الخلاف ويترفع عن التعصب الحزبي الذي مرقّ الجماعات وأوغر صدور الدعاة على بعضهم وكل حزب بما لديهم فرحان، كل خمسة يتجمعون ويختارون أمير المؤمنين ويجعلون له منبراً ويحسبون أنفسهم جماعة المسلمين، وإذا بويح لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما ويكفر بعضهم بعضاً ويعطون القسم الآخر صكوك غفران في دخول الفردوس والجنان ويحسبون أنفسهم شعب الله المختار.

كان أبو دجانة مترفعاً عن هذا كله، فكان يربطه بسماك بن خرشة -أبو دجانة الصحابي- علو الهمة قال ابن اسحاق: وقال أبو دجانة سمك بن خرشة رأيت إنساناً يمشى الناس خمشاً شديداً فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فإذا امرأة -هند بنت عتبة- فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اضرب به امرأة.

كان صواماً قواماً، فكان أغلب دهره صائماً الاثنين والخميس، وشهد لي من كان لهم شرف صحبتي في الجبهات أنه كان يقوم الليل، ويصوم يوماً ويفطر يوماً.

كان شديداً في دين الله دخل الجيش الجاهلي ورفض من بين أقرانه جميعاً أن يحلق لحيته خلافاً للأنظمة الجاهلية التي تسود الجيوش وتحكمها.

رجع من تنجرهار لأثم في ظهره وأقام فترة في بيشاور ريثما يتم علاج ظهره، وكان يقول: سأطأ بعرجتي هذه الجنة -إن شاء الله- مردداً كلمة الصحابي عمرو بن الجموح رضي الله عنه.

واستلم إدارة مكتب الخدمات أثناء مرضه، فوضع له نظاماً دقيقاً وعلق لائحة على الحائط، فحزم الأمر وأصبح كل أخ يحسب له ألف حساب وكان يقول: مكتب الخدمات (جماعة الجماعات) لأنه ينصهر فيه كل الاتجاهات والمدارس وتنوب فيه كل الحواجز الحزبية والجغرافية والإقليمية.

ذهب إلى سرانه وأقام في هذا الوادي -الذي يمتد قرابة سبعين كيلومتراً بين خوست وجاريز- سبعة أشهر، أصبح الحاكم الفعلي فيها وتوارت أمام شخصية أبي دجانة كل القيادات الجهادية ولم يعد على طول الوادي ذكر سوى لأبي دجانة، وتظهر الوادي من كل البدع والمخالفات الشرعية، وبقي فيه معلماً مربياً وإماماً عادلاً وقارئاً ماهراً حتى دخلت العشر الأوائل من ذي الحجة سنة ١٤٠٦هـ، كتب الله له الحج نون توقع ليجمع بين الغزو والحج وكان ذلك آخر عهده بالبيت الحرام جاحي ذات يوم بعد الحج ونحن في الحجاز متهلل الوجه فقال لي: لقد اتصلت بوالدتي اليوم وطلبت منها الدعاء لي بالشهادة فدعت لي بالشهادة وبعد الحج توجه إلى بنجشير التي طالما تأقت نفسه لرؤياها وكثيراً ما كان يردد وهو في بكتيا: بنجشير متى نراها؟ بنجشير متى نلقاها؟

وسار إلى بنجشير مع العصبة المؤمنة مع الصفوة الذين كتب الله لهم شرف مشاهدة أسد الشراة.

بأيديهم بيض إذا حمش الرغى فلا بد أن يردى لهن صريع

فلم يبق إلا موقد النار حوله رواكد أمثال الحمام كنوع

كان لي شرف وداع هذه الصفوة في شترال حيث اتجهوا نحو بنجشير..

فقدنى لهم أمسى غداة الروح إذ يمشون قصوا

سيراً إلى كبش الكتبية إذ جلته الشمس جلوا

وصل أبو دجانة بنجشير ثم توجه إلى الشمال حيث التقى بأسد الهضاب والجبال -أحمدشاه مسعود-، وصار يتقلب على
اللقى متشوقاً للهيبة معركة يختتم بها هذه الحياة بشهادة.

وكان الموعود مع القدر في نهريـن -بغلان- وفي معركة ضاربة اشتركت فيها كتائب مختلفة نظمها أسد بنجشير وولى قيادتها
عبدالحى حقجو وسار أبو دجانة في الكتائب.

وتراه يرقل في الحديد كأنه فر لبدّة شثن البرائن أريد

والتارك القرن الكمي مجدلاً يوم الكريهة والقنا يتقصد

وافتح المجاهدون مقاطعة يكاملها ولم ينج من أعداء الله واحد وكانوا أربعمائة وخمسين كافراً، وغنم المجاهدون ثلاث دبابات
صالعة، ومجموعة من الأسلحة الثقيلة، وألف قطعة سلاح خفيفة...

وتوج النصر بمجموعة من الشهداء من بينهم (عبدالجبار و أبو دجانة) وثوى أبو دجانة في جبال الهندوكش قريباً من جدث
(قبر) أخيه أبي عاصم وذبيح الله (أبو حامد)، ولحق هؤلاء جميعاً بقافلة الشهداء التي تسطر في صفحات الزمن أن الجهاد في
أفغانستان جهاد إسلامي وليس حرياً قومية إذ ضمخ ثراها الدم الطاهر من مصر وقلسطين والحجاز ونجد والكويت والجزائر وتونس
والعراق والشام...

لهفي لشبان رزقناهم كأنهم المصابيح شم غطارفة بطارقة خضارمة مسامح

المشترون الحمد بالأرواح إن الحمد رابح والجامزون بلجمهم يوماً إذا ما صاح صائح

ونحن نبتهل إلى الله عز وجل أن يرزقنا الشهادة كما رزقهم وجمعنا بهم في الفردوس الأعلى ويعطينا جميعاً ما وعدنا به على
لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث المقدام بن معديكرب المرفوع:

(إن للشهيد عند الله خصالاً: أن يغفر له من أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويعطى حلبة الإيمان، ويجار من
عذاب القبر، ويأمن من النزاع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين من
المحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه) رواه أحمد وصححه الترمذي واسناده صحيح.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصية الشهيد -أبو دجانة- لقادة الجهاد:

بسم الله الرحمن الرحيم

... وانقل هذه الوصية لقادة الجهاد الأنفاتي بأن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم، فالتنازع وأهواء النفوس لا تأتي بالنصر، بل
تأتي بالفشل والعياذ بالله، وإذا كانوا هم صادقين فما الذي يؤخرهم عن الاتحاد؟ وإذا ما ادعى أحد منهم الاخلاص فما الذي يضيره
أن يصبح جندياً تحت قيادة أخيه، فإذا ما كان أحدهما صادقاً فليثق الله ولا يخشى الناس، فإنه مسؤول في يوم عظيم أمام الملك
الديان، ولا يضع للناس ولبطانته اعتباراً بجانب طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي توجب له النصر بإذن الله،
فإنه تعالى قد جمع أسباب النصر في الآية الكريمة من سورة الأنفال حيث يقول سبحانه:

(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا
وتذهب ربكم واصبروا إن الله مع الصابرين)

وبعد: فإذا عرقتهم فالزموا...

(واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون).

فإنكم ورب العباد مسؤولون عن كل نفس ماتت أو استشهدت وتوبوا إلى بارئكم توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم

سيئاتكم ويغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار.

كتب في نمكاو

في ولاية تخار في ٨/١١/١٩٨٦م

الشهيد أنس (تركي الهذلي) (١)

لا زال عودك أيها الشبل غصاً، ولا زال أمثالك يا تركي سيكون على لقمة العيش، ما الذي جاء بك يا صاحب الصوت الندي؟ من ذا الذي يؤذن بعد اليوم في مسجد الشركة التي كنت فيها؟

سرى صوت المؤذن في حمانا وقد فقدت مأذننا بلال

من ذا الذي يجمع الناس بصوت ندي كصوتك.

هكذا وينون مقدمات من أعطاف النعيم على شاطئ الخليج إلى قمم الجبال في بروان تسابق الأفغان في غنوهم وجهادهم وتسلقهم للقمم، وأكبر من ذلك كله الوقوف أمام أشرس قوى الأرض وأعتاها، ليس متوقفاً من أمثالك أن يواجه الدبابات بقذائفها الرهيبة وبوبها الذي يصك الأذان، إن أمثالك يفزعون من رؤية عقرب أو صرصور.

إنه اختيار رب العزة لك ولعبد الرحمن أن تكونا ممن اصطفاهم الله - إن شاء الله - لتكون أرواحهم في حواصل طيور خضر في الجنة تسرح حيث تشاء ثم تؤوي إلى قناديل معلقة تحت العرش.

لقد كبر أهلك وأهل عبد الرحمن في أعين الناس عندما بدأوا يفتخرون بأنهم قد قدموا لهم فرطاً على الحوض، وحق لهم أن يفخروا لأن أمثالك ولعل بعض أرحامك يمرتون وهم يفحطون بالسيارات وأنتما ممن يشفع بسبعين من أهل بيته، ويلبس تاج الوقار الياقوته منه خير من الدنيا وما فيها، ونرجو الله أن يجمعنا في الفردوس الأعلى.

الشهيد عبد الرحمن (عبد الله الجمار) (٢)

من أرض الجزيرة، عرفته ببشرته السمراء وسماحة وجهه، تلمح بين عينيه براءة الفطرة وسماحة البادية وبساطة النفس.

عرفته في جاجي في رمضان سنة (١٤٠٦هـ)، كان البرد شديداً، والهول يلف المنطقة بردائه بسبب الفارات الجوية التي أحالت الأرض كلها قطعة من النار المشتعلة، وبوي الانفجارات المتتالية تذهل الموضع عن وليدها، وكانت لديه عيادة فاشتعلت بها، وبعد يوم أو يومين تأثر عوده الرقيق وجسده الفاحل بالبرد فجاء يطلب العيادة وعلى استحياء شديد، ثم ظن أنه ما كان له أن يطلبها، وذات يوم وإذا به يذهب ويشتري عيادة ويقدمها هدية، وأصيب عبد الرحمن بشظية قنبلة كسرت فخذ، ونقل إلى المستشفى، وانتظر حتى عافى الله ساقه ثم عاد ليرى أهله في الجزيرة، وكم يهز مشاعرك وإخوانه يحملونه مكسور الفخذ وهو يعتذر إليهم قائلاً أتعبتكم.

وعاد عبد الرحمن مرة أخرى وتوجه إلى بروان مع -سيد باس- قائد العزب الإسلامي، وسيد باس هذا من العلماء الذين يشهد لهم بالإصلاح والصلاح، وقد دوخ الروس في منطقة بروان المركز، وأثناء وجوده في بروان توجهت قوة ضخمة من الطائرات والدبابات وهاجمت المنطقة، ووقف سيد باس مع المجاهدين ليواجهوا القوة، ولأول مرة لا تجرؤ القوة أن تدخل القرى لتفتيشها، ودقت رجا الحرب المنطقة بثغالها (الحجر الأسفل في الطاحون).

غير أن الفتى يلاقي المنايا كالحات ولا يلاقي الهوانا

وبرزت الأسود من غيلها، ويحدث الأفغان عن شجاعة -عبد الرحمن- أنس الذي لم يصل إلى الثامنة عشرة ما يشرح القلب

ويبلغ الصدر.

وكان القدر بالمرصاد، والشهادة مطوية في علم الغيب، حيث تنتهي المعركة الشرسة باستشهاد عبد الرحمن واستشهاد أنس

واستشهاد القائد سيد باس.

١- مجلة الجهاد العدد ٢٩ شعبان ١٤٠٧هـ إبريل ١٩٨٧م.

٢- نفس المصدر ص ٣٣.

الشهيد أحمد التونسي (نبيل مبارك) (١)

وهكذا ساءت الأقدار لتتوج خوست -سناكي- بأول شهيد عربي على أرضها، كم جاهد قبلك مع الشيخ جلال الدين وفي أرض خوست؟ إنهم كثيرون، ولكن تاج الكرامة لم يتوج به أحد من قبلك من أبناء جلدتك ولسانك.

حتى في وسط المعركة أنت صائم (من صام يوماً في سبيل الله بأعد الله بينه وبين النار مهين خريفاً) حديث صحيح.

يا صاحب الوجه المشرق والجبين الرضاح، كيف خلصت من أفسد أرض؟ من إيطاليا بلد الجنس والخمر والهوى، والنسب فيها امرأة وكأس، إلى أرض الجهاد، هكذا انسلخت من الدنيا وجفوتها، وفارقت زخارفها إلى أجادب من الجبال وقفار من الهضاب لا ترى فيها العيون الزرقاء والشعور الشقراء التي كانت تزخر بها شوارع روما.

من ذا الذي يقود الطائرة التي تعلمت عليها؟ ومن يحل في مقعدك في كلية الطب؟ أم أن أهل الدينا في واد وأنت في واد.

هكذا تستوحش من الدنيا وزخرفها، وتطلق الأرض بزيبتها ونعيمها، وأصبح حبيبك قرأتك الذي يرافقك، وأصبحت عشيقتك بندقيتك التي ملأت عليك حياتك وأملك ومحط أنظارك.

ماذا سيقول والدك الذي نشأ في مهنة الطب وكان يعمل أن يكون غداً مكللاً بزهور الدنيا، وكان جل همه أن يراك أستاذاً لامعاً في كلية الطب، وإلا فلا أقل من طبيب ماهر مختص له عيادة يشار إليها بالبنان، كيف سيتلقى خبر استشهاده؟

لقد تركت حسرة عميقة في نفس كل أفغاني رآك، ثلاثة أيام متتالية والوحشة تخيم على المنطقة ألماً لفراقك وحزناً على غيابك.

لقد حدثني عنك شيرين جمال -قائد الجبهة- ومنصور وعثمان أنهم شموا رائحتك الزكية التي فاحت من دماغك.

وهل كنت على موعد مع الموت في أحاسيسك حتى تقول لمنصور: (سلام عليك نراكم وإلا فمعدنا الجنة)!

وهكذا بسرعة البرق الخاطف تمضي من بيننا ويوارى التراب وجهك الصبوح المشرق لتلقى ربك صائماً شهيداً.

فسلام عليك يا نبيل، ونسعو الله أن يجمعنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

الشهيد عبد الجبار (أيمن كمال عباس) (٢)

الشهيد الصائم الذي يدخل المعركة وهو صائم حيث يلتزم بصيام السنة في السفر والحضر، أما لك أن تأخذ بالرخصة وانت تتسلق جبال نور ستان وشواحق اشكمش ومرتفعات بغلان؟ هلا اقتفيت أثر أخيك الأكبر أبي دجانة الذي شاركك مسيرة الطريق إلى عالم الخلود؟ أم أردت أن تحلق منطلقاً من ثقله اللحم وحمأة الطين.

يا صاحب الإشرافة الوضيئة لم نشبع من النظر إلى محياك الطاهر، ولم نمتع أبصارنا بالنظر إلى أهل الجنة الذين يدبون على الأرض - كما نظنهم ولا نزكي على الله أحداً- لقد فارقتنا أنت وإخوانك ولم تكن أيامكم بيننا طويلة.

بقتم وينا فما ابثت جوانحنا شوقاً إليكم ولا جفست مآقينا
نكاد حين تقا جيبكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

وكان اللقاء الأخير في نهرين -بغلان-، وبعد ذلك الفتح العظيم في نهرين تأتيكم قذيفة فتصيبكم شظية فيبدأ الدم ينزف.

أقبل أبو خالد واحتضن عبد الجبار ليثم ذلك الجبين المضمخ بالدم، فيشير إليه عبد الجبار وبصوت خافت متهدج قائلاً: اسقني، فأشار الطبيب أن لا نسقه، وأسلم الروح الطاهرة الخالدة بين يدي أبي خالد.

فسلام عليكم أيها الأبرار -ولا نزكي على الله أحداً-، ونبتهل إلى الله أن تكونوا شفعاء لنا يوم القيامة، ونأمل من الله أن يكون قد تقبل شهادتكم.

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

ومضى منشء الطائف (١)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وبعد:

ففي كل يوم تخطف يد المنون بقدر من الله شاباً، لا تعرف قدره إلا بعد أن يمضي، فإذا به عملاق يلبس أثواب شاب عادي بسيط.

في الطائف وفي عائلة فيها شباب متجه إلى ربه نشأ أحمد وترعرع، وأصبح الجهاد الأفغاني حديث السامر في الطائف بل في معظم المدن الإسلامية، ولم تكن أسرة أحمد بمعزل عن الأحداث العظام التي تهب الأرض بأسرها.

وأصبح الكلام عن الجهاد الأفغاني شغل هذه الأسرة الشاغل، خاصة وقد علم أبنائها الحكم الشرعي للجهاد بأنه فرض عين بالنفس والمال، ولا حاجة لاستئذان الوالدين، وإخوة أحمد مكانة اجتماعية ووظائف حساسة في بلدهم.

واقبل أخ يكبره ليرى واقع الجهاد الأفغاني وطبيعته والدور الذي يمكن أن يؤديه، فرأيت أحمد لأول مرة في مخيم صدى في رمضان سنة (١٤٠٦هـ) كان معه أخوه الذي يكبره وهو موظف صاحب عيال، جاجي وجلس في خيمتي التي تجاور خيمته وسألتني عن حكم الجهاد الأفغاني بالنفس بأجبت: أنه فرض عين ولا حاجة لاستئذان الوالدين، واكتفى بهذا وعاد إلى بلده مزماً على الاستقالة ثم التفرغ للجهاد، وكان بجانبه شاب صغير دائم الابتسام، فسألت عنه فعرفت أنه أخ لذلك الموظف المتزن الجاد، فقلت له: أنت لبت، وسميته لبتاً.

وتفارقنا في أواخر رمضان، ودارت الأيام، ورأيت أحمد في جاجي في المأسدة، وفي وسط الثلوج عاد والحنين يشده إلى الشهاد، والشوق يورقه للقاء الحور العين، وبقيت الابتسامه والدعابة البريئة والمزاح الفطري الذي ينبعث من قلب بسيط ونفسية صافية لا تعرف التكلف ولا الاكتواء، ولا تتصنع الابتسامه الصفراوية، فطرة سليمة وبساطة واضحة، وهمة عالية، هذه كانت خلاصة نفسية أحمد -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً-، وهذا قوام شخصيته.

والذين رأوا جاجي في وسط الشتاء يدركون ضخامة العناء الذي يكابده من يعيش هناك، إن درجة الحرارة لتصل إلى - ٢٠ - تحت الصفر المئوي، ولقد رأيت الماء الساخن يتجمد مباشرة على وجهي، ويتحول شعر اللحية بمجرد ملامسته الماء إلى قضبان جليدية على الوجه.

إن الحياة في تلك المنطقة في الشتاء من القساوة والشدة بحيث لا يحتملها إلا أقدام الرجال.

ولقد عشت بينهم قرابة عشرة أيام كنت أغبط هؤلاء الشباب على احتمالهم وصلابتهم وصبرهم، وكنت أعجب لاحتمالهم هذا الزمهرير الذي تلفح سمراته الوجوه حتى أثناء سطوع الشمس وقت الظهيرة.

وكنت أكبر في هؤلاء الشباب نشاطهم ودأبهم، لا يتوقفون منذ طلوع الفجر حتى غروب الشمس.

تراهم في أقرب نقطة إلى العدو ليس بينهم وبين مراكز الشيوعيين سوى ثلاثة كيلومترات ونصف، في قمة منعزلة عن المجاهدين حوالي (١٤) كيلو متراً.

كنت أخشى أن يتخطفهم العدو، والعدو أمامهم قوي ويأسه شديد، وكانت التوجسات تقلقني عليهم، وكانت المخاوف تتتابني كثيراً أن تحدث عملية إنزال مفاجيء عليهم فيمسكونهم أحياء، فكنت أرجوهم أن يرجعوا قرب مقر المجاهدين، ولكنهم يصرون على البقاء مهما كان الثمن ومهما جلت التضحية.

سألت أحدهم: ماذا لو هجمت القوة (والقوة تعني مئات الدبابات والناقلات تساندها الطائرات وراجمات الصواريخ) هل تنسحبون؟ فنظر إلى مبتسماً وقال: سنتصدى لها بإذن الله ونرجعها، وعندها: جزيت على ابتسام بابتسام، وسألت آخر: ماذا لو جاءت القوة؟

فقال: الله في السماء ثم أبو عبد الله في الأرض، وتركتمهم وهم يوصلون الليل بالنهار ويعجلون في تحصين موقعهم، شباب مترفون، لم تمرّكهم الحياة بعد، ولم يصلب عودهم كما يجب، ولكن الهم تطاول السحاب وتناطح السماء.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

كانوا يقولون: لا بد من إزالة قواعد الشيوعيين هذه، ولا بد من تأمين الطريق المؤدي إلى لوجر وإلى كابل، وقلعاً تجد واحداً من

١- مجلة الجهاد العدد ٣٠ رمضان ١٤٠٧هـ مايو ١٩٨٧م.

هؤلاء الأبطال لا يشتغل، نزل سبعة منهم وتصبوا خيمة على بعد مائتي متر من قواعد العدو وأخذوا يترصدونه، فعجبت من جرأتهم وصبرهم وثباتهم، ومكثوا طويلاً والألسنة تلهج لهم بالدعاء:

كأنما يريون الموت عن ظمأ أو ينشقون من البارود ريحاناً

كان أحمد يبحث عن الموت، لقد انتظر طويلاً يريد أن يخوض معركة، فدفعه الشوق إلى البحث عن مكان آخر غير جاجي، فكان يقول: (هذه العملية ثم إلى قندهار) ولكنه كان يعلم أن الله يريد غير ذلك أن يختاره إلى جواره -إن شاء الله-، وكما نأمل وندعو أن يكون الله قد تقبل شهادته.

كان ذا صوت ندي بالقرآن الكريم، وذا لحن شجي بالأنشيد، فكان يروح عن إخوانه ويخفف من ثقل اللواء عليهم ببعض الأنشيد كانت غرفة الطائف تشتاق إلى إمامته لهم في الصلاة، وكان الشيخ تميم يحب سماع صوته ويرتجح للصلاة وراءه، وعرفت فيما بعد أن له أشرطة تباع في الأسواق في الطائف وغيرها، وما أجمل الأذان من فم أحمد.

وقبل العملية بيوم كنت معهم، وبث عندهم، وحدثني أحد زملائه الذي حرس معه أن فترة الحراسة -ليلة الجمعة- قضاها بالتهجد.

وحدثني أبو فيصل: رأيت أحمد قبل شهر فأهداني مصحفاً وقال بشرط: أن تدعو لي بالشهادة كلما فتحت للثلاوة، لقد كان أحمد وأخوه محمد يعرفان في الطائف كلها بأنهما الدعاة، فكانا دائبين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي صباح الجمعة (١٩) شعبان سنة (١٤٠٧هـ) الموافق (١٧) أبريل (١٩٨٧م) مر على شباب يتحدثون ويمزحون فقال لهم: اشتغلوا بذكر الله.

وقال لآخرين: اليوم الجمعة لا تنسوا قراءة سورة الكهف، كان أحمد يحس -والله أعلم- أن هذا اليوم قد يكون آخر عهده بالدنيا، فودع أخاه أبا حذيفة -من الطائف- قائلاً سلم على والدي فأني اليوم شهيد.

واصطفت الجموع لتنتقل للعملية، وبدأت الدموع الحرة تهطل من العيون، وما أحر وما أمر لحظات الوداع، خاصة وكل واحد يتوقع ألا يرى أخاه بعد تلك اللحظة، ولكن بعض الشباب لم يستكملوا تدريبهم واستعدادهم بعد للقاء العدو، فحرمهم المسؤول أن يشاركوا، وصاروا يبكون ويرجون هذا وذاك أن يتوسط لدى المسؤول لعله يسمح لهم بالمشاركة.

ومضت الجموع، وفي ساعة الاستجابة يوم الجمعة في السادسة مساءً انفتحت النيران تحرق كل مكان، وبدأت أرقب العملية والنيران تحرق مراكز العدو وتنتهم بأستنها المتطورة قواعدهم، وكان أحمد في النقاط المتقدمة يرقب وماية مدفع (٨٢) ويطل على أماكن سقوط القذائف، ويطلق أحياناً على المدفع، وانطلق إلى الأمام ليشفي صدره باحتراق أعداء الله، وصاح (خوب) أي ممتاز، ومع غروب شمس يوم الجمعة انقطع صوت أحمد، وناداه إخوانه ولم يرد عليهم، واقترب يحيى من أحمد فوجده مضرباً بدمائه مغفراً بالتراب (طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه مغبرة قدماء، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع).

ومضى ليث المؤسسة، ووصل الخبر ونحن نتتظر أنباء المعركة عن كلب بأن أحمد على مدفع (٨٢) قد استشهد، وانفجر أبناء الطائف باكين لأنهم يعرفونه منذ نعومة أظفاره، ثم بدأ الشباب يهتفون بعضهم بعضاً باستشهاده ويتمنون أن يلقوا الشهادة ويتقبلها الله منه ومنهم.

واصطف الشباب يطالبون بإحضار الجثة في بهيم الليل الداجي والقذائف تعطر المنطقة بوابل نيرانها، وأصروا على إحضاره ليودعوه، فقلنا لهم: من الخطر الآن أن تتحرك بسبب عدم وضوح الطريق، ولأن المعركة شديدة، وكذلك فإن السنة أن يدفن القتلى في مصارعهم (أماكن قتلهم)، جاء في زاد الميعاد (٢١٤/٣): (إن السنة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم ولا ينقلوا إلى مكان آخر، فإن قوماً من الصحابة نقلوا قتلاهم إلى المدينة فنأى متأدي رسول الله ﷺ: بالأمر برد القتلى إلى مصارعهم).

وتحت قذائف نيران العدو وفي جفج الظلام يتسلل بعض الشباب ويحضرون جثة أحمد، فوجده مبتسماً كحالاته التي فارق عليها الحياة.

ويشهد لي أبا حذيفة أنه شم رائحة طيبة تخرج من جسده، وهناك ومقابل الغرفة التي كان يقيم فيها أحمد أثناء رباطه حفر الجثث (القبر)، وحمله أبا حذيفة ليوارى جثمانه الطاهر في التراب ويخلي بينه وبين رب العالمين، والعيون لا تملك أن تمسك دموعها الهائلة، وإن كانت القلوب مستبشرة فرحة بهذا المصير الذي لقيه أحمد، بحق لأبي حذيفة ولأمثاله ممن عرفوا في حياة أحمد الناعمة

والوادة الهادئة، وفي هذه اللحظات أن يمر في خيالهم صورة مصعب بن عمير، وأن يودعوه بتلك الكلمات الخالدة التي ودع بها رسول الله ﷺ مصعب يوم أحد: (لقد رأيته في مكة وما في مكة شاب أرق حلة ولا أحسن لمة منك، وما أنت الآن أشعث في بردة)، فهنيئاً للطائف بشهيدها ومنشدتها ومؤذنها، وهنيئاً لوالديه وأقاربه الشهادة والشفاعة إن شاء الله، ومضى ليث المؤسسة، فهنيئاً لأبيه وإخوانه الشفاعة، فهي مفخرة الدنيا وعزها، ونعيم الآخرة وخلودها -إن شاء الله-.

فيا أشقاء أحمد، طلال ويحيى وسعيد وعمر وعبد الوهاب ومحمد وينذر، هذا الليث (أحمد) قد شق الطريق أمامكم، فهل أنتم على أثره سائرون؟ ويا أصدقاء أحمد هذا أحمد قد مضى بعد أن شهد عليكم وأقام الحجة عليكم فليس لكم في القعود بعده عذر. ويا أرحام أحمد ما كان لكم أن تتخلفوا عن السبيل الذي ضمن الله سالكه في الدنيا والآخرة. وندعو الله أن يجمعنا بأحمد في الفردوس الأعلى.

رسالة إلى أهل الشهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

العم الكريم عبد الله بن الزهراني حفظه الله ورعاه.

العمة الكريمة والددة أحمد الزهراني حفظها الله.

الإخوة الكرام أشقاء أحمد، طلال، يحيى، سعيد، عمر، عبد الوهاب، محمد، بندر، حفظهم الله ورعاهم.

شقيقات أحمد، أعانهم الله وألهمهم الصبر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

إن الناس كلهم يموتون، ولكن الشهداء هم الذين ينفردون بالمجد في الدنيا وبالفوز في الملا الأعلى، إن الشهادة اختيار من رب العزة لصفوة خلقه (وتلك الأيام تداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء).

إن الأمم تحيا برجالها الذين يضحون في سبيل نصرة مبادئها وارتفاع رايته وصيانة مقدساتها وحماية أعراضها، ولا خير في أمة تهضم حقوق مستضعفيها، وتداس قيمها وتهتر دماؤها ولا تحمي نساءها وظعانتها.

وكثير من القبائل أحيأ ذكرها شاب نونخوة وحفظ لها وجودها وأدخلها سجل التاريخ.

وأنتم جميعاً كعائلة يعرفكم الناس بأحمد الذي جعل الله له لسان صدق في الآخرين فبذكره تذكرون، وبه تعرفون.

لقد نامت الأمة طويلاً وغطت في سبات عميق، ولا يمكن أن تستيقظ هذه الأمة إلا على صوت السلاح وسيلان الدماء، فدماء هؤلاء الشباب الأطهار تحيي الأمة من جديد، وتعيد الحياة إلى عروقها التي كادت تجف.

إن شجرة هذا الدين القويم لا تنبت ولا تترعرع إلا إذا رويت بدماء الصادقين ويعرق المخلصين، فطريق هذا الدين طويل مفروش بالأشلاء، مروي بالدماء، وإن أقرب طريق إلى الجنة هو الشهادة في سبيل الله، وإن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيله.

إن الجهاد اليوم باتفاق العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين (فرض عين بالنفس والمال، ولا إذن للوالدين ولا للدائن على المدين ولا للزوج على زوجته) مع أنه لا يجوز أن تخرج الزوجة والأمرد إلا بمحرم.

إن المقدسات التي سلبت، والأموال التي نهبت، والأعراض التي انتهكت، والديار التي اغتصبت، كل هذه تستغيث همم الشباب وعزائم المسلمين.

كيف القرار وكيف يبدأ مسلم والمسلمات مع العدو المعتدي

أتسبى المسلمات بكل ثغر وعيش المسلمين إذن يطيب؟

إذا كان أتراب أحمد وأنداده (جيله) يلهون بتفحيط السيارات فإن أحمد لا يلهو إلا بمدفعه ورشاشه.

لئن كان الشباب يقضون إجازاتهم في عواصم النول الكبرى في خضم بحر الجاهلية الآسن غارقين في وحل الجنس وسمار الشهوات، فإن أحمد كان يقضي حياته على الثغور على قمم الجبال يستروح أريج الأفاق العليا ويبحث عن المثلث مظاته.

أعز مكان في الدنيا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

ولئن كان الشاب في طيش الشباب لا ينام إلا على الألبان الراقصة والموسيقى الصاخبة والصور المتحركة في الأفلام المأجدة، فقد أبت عين أحمد إلا أن تسهر في سبيل الله تحمي أعراض المسلمين، ولا يقطع أثناء الليل إلا بتسبيح أو تهجد أو استغفار .
 وإن كان الناس يبعثون عن المجد بالتزلف إلى أهل الدنيا وبالتردد على أعتابهم، فإن أحمد وجد أن المجد بأن يدوس على الدنيا بأسرها، فقد صغرت في عينه ولم يبق لها في قلبه أي تعلق، لقد علم الحديث الشريف جيداً: [أزهد في الدنيا يحبك الله، وأزهد بها في أهدي الناس يحبك الناس] .

وختاماً ففي القلب حاجات كثيرة وفي النفس كلام كثير . . . وفي الفؤاد أهات وحسرات نريد أن نبثها لكم، وحسبنا هذه العجالة قائلين: أن القتل في سبيل الله أتعناء لابناني جميعاً فنرجو الله أن يرزقنا الشهادة في سبيله، فهنيئاً لكم ابنكم في الدنيا عزاً وشاء وفي الآخرة شفاعاً ورفعة سيأذن الله تعالى، وأختتم رسالتي بحديث رسول الله ﷺ في الشهيد: [لشهيدي عند ربه ست - أو سبع خصال - يغفر له مع أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويلبس تاج الوقار الباقية فيه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج بأثنتين ومعهن من الخمر العين، ويشفع بسبعين من أهل بيته] حديث صحيح .
 وإن شاء الله على هذا الطريق لسائرون، ونرجو الله حسن الخاتمة.

أخوكم/ عبد الله عزام

الثلاثاء (٢٣) شعبان (١٤٠٧ هـ) الموافق (٢١) أبريل (١٩٨٧ م)

من والد الشهيد أحمد الزهراني إلى الدكتور عبدالله عزام:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى أخي في الله الشيخ المجاهد عبدالله عزام .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وصلتني كلماتك الطيبة التي نعتت إلي فيها ابني (أحمد) رحمة الله . . . وهنأنتني في استشهاده، "مدد الله وإنا لله وإنا إليه راجعون".

وجزاك الله عني وعن المسلمين خيراً، وبارك في جهودك الطيبة التي تسعى فيها إلى انتشال الأمة من وهنتها وإيقاظها من رقنتها .

أخي في الله . . . أنا ضابط قديم شاركت في حرب اليهود منذ (٤٨)، ومع ما كان في بعض تلك الحروب من أمثلة بطولة لكنها لا تعدو أن تكون حالات فردية قليلة، أما هذا الجهاد المبارك فإنه بالنسبة إلى تلك الحروب جملة كالعملة الصعبة والمزيفة، فالهدف هنا واضح والرأية واضحة، ولا أحتاج هنا إلى مزيد تفصيل فلعلك عايشته في بعض فترات حياتك بعض تلك الحروب .

قدر الله عز وجل أن يكون هذا الجهاد كالغيث الطيب في زمن أسنت فيه المشارب، فتلقفته أفئدة أمنت بالله ورضيت به سبحانه رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً، وبالجهاد طريقاً، وبالقرآن منهاج حياة، فهنيئاً لكل من وفق للجهاد في سبيل الله، فإنها والله التجارة الربحية، وهي عز الدنيا وكرامة الآخرة، وهي التخفف من جذب الطين وثقله اللحم، وهي الطمأنينة والثقة ونبوة سنام الإسلام، قال تعالى (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) فأوصيك يا أخي ونفسي بتقوى الله والسلام عليك .

عبدالله بن يحيى الزهراني

وصية إلى أولياء الشهداء:

يا أم الشهيد . . . لا تجزعي بل اخبري بابنك بطلاً شهيداً، وفارساً فريداً، ونرجو الله أن يتقبل شهادته فيكون لأهلك شفيعاً يوم القيامة . ولا تجزعي فأمثال ابنك مفخرة للأجيال ونبراس للفتيان .

لا تقتلي النفس إذ حانت منيته في طاعة الله يوم الروح واللباس

وأما شقيقاته فلهن أن يرفعن رؤوسهن اعتزازاً ورفعة، ولا تسكين عبرات الواله الفاقدة، بل افرحن فرح الحبور الوافد الواجد .

أما الوالد الكريم، فهنيئاً لكم هذا الليث البصير الكاسر الذي نكل بأعداء الله، وعرفنا بكم وبالعائلة جمعاء من خلال جهاده، وابتك من هؤلاء الذين يطلبون الموت مظانه.

فج يكاد سهيل الخيل يقذفه عن سرجه فرحاً بالغزو أو حرماً

فافخر ولا تجزع، والفرح ولا تحزن، وابعث إخوانه ليسلكوا جادة العزة وجدية الفخار، ولولا أنهم خير منا لما اختارهم الله قبلنا وتركنا نتجرع حسرتنا ولا ندري ما خاتمتنا، فاللهم أحيينا سعداء، وأماتنا شهداء، واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ.

ضيوف الرحمن في يوم الجائزة

وصلنا (جاجي) في مساء الثلاثين من رمضان، استمات العدر في محاولة الاستيلاء على المركز وكلما اقتربوا أصلاهم الشباب برابيل قذائفهم ونيران مدافعهم. حاولت الدبابات أن تدفع مع شاحنات الغذاء والسلاح للوصول إلى المراكز الشيوعية، ولكن راجعات الصواريخ التي بيد المجاهدين اضطرتها للتقهقر والفرار. وحاول أعداء الله مرة أخرى أن يوزعوا مجموعات من الصاعقة (الكوماندوز) ووضعت مجموعات منهم على التلال المقابلة للمركز الجديد (المأسدة)، ولكن قذائف (أر، بي، جي، ٧) حصدت منهم مجموعات بالإضافة إلى قذائف مدافع (٨٢) ملم، و (٧٥) ملم التي لا تدعهم يلتقطون أنفاسهم لحظة، وكانت طائرات الهليكوبتر تحوم لتلتقط جثث أهل النار، هؤلاء كما يشاهدهم الإخوة من خلال التلسكوب كلهم من الروس ذوي الوجوه الحمر المائلة إلى الزرقة وذوي العيون الزرقاء الضيقة.

أمر قائد المأسدة الشباب بالانسحاب، فقال سيف الله (قائد مجموعة مضاد الطائرات): لن يتقدموا إلا على جثثنا، ولن تنسحب، فصاح به القائد: أنا بريء منك أمام الله يوم القيامة إن عصيت أمري، فقال سيف الله وقد رأيته في الليل -ليلة العيد-: ما انسحب إلا مطاعة للأمر.

ولكن المجموعات من الإخوة عادت في الليل لتحافظ على المركز. وصلينا الفجر، وتحرك سيف الله مع مجموعته بعد صلاة الفجر، وكان معه علي وحسين المتحابين اللذين لا يفترقان.

وبعد طلوع الشمس كنت مستريحاً في فراشي وبجانبني الشيخ تميم العدناني، فسمعنا هدير الطائرات وأصوات المدافع المضادة تدوي من كل مكان، فصاحوا بنا: انهضوا واخرجوا من هذه الغرفة لأنها لا تحتل القذائف، فقلت للشيخ تميم قم وأسرع، فقال الشيخ تميم: شهادة في يوم العيد يا شيخ، فقلت أنهض، وخرجنا من باب الغرفة لنرى القذائف التي ألقتها الطائرات، وسرعان ما غمض، أثير بسحاب أسود فقال الشيخ سياف: (يحتمل أن تكون القذائف من الغازات السامة) وبدأ السحاب الأسود الذي عقب الانفجار يسير:

كان مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه

جلسنا حول اللاسلكي نترقب أخبار المعركة دقيقة دقيقة، جاء أبو الحسن المقدسي وقال: استشهد ثلاثة من العرب، وانتظر تأكيد الخبر من أبي محمود الذي يرسل على اللاسلكي من مقر المركز الجديد (المأسدة)، فقال: لقد أسلم ثلاثة من العرب أرواحهم إلى خالقهم وهم: (الشهداء الثلاثة علي وحسين ونور الحق)

كانوا مع الشهادة على قدر، لقد رأيت علياً جاداً في البحث عن الشهادة، كان يقلل لعل الله يرزقنا الشهادة، ولما كان يفارق أرض المعركة:

مقيم مع الهيجاء في كل منزل كأنك من كل الصواري في أهل

وحسين منذ عام مع علي لا يفترقان. كأنه ظل له، لا تفقد حسناً إلا مع علي، وحسين من مواليد سنة (١٩٧٠م)، شاب صغير صامت مؤدب صوته ندي بالقرآن، أوتي مزاراً من مزامير داود.

ولا أذكر أنني رأيت عليهما ثوباً نظيفاً لأن الضيق والمنازوت وزيت السلاح يرسم على ملابسهما نقوشاً كأنما هي خارطة لبقاع مختلفة من الأرض:

إذا اعتاد الفتى خوض الناي فأهـون ما يمر به الوحول

فلم تعد الشدائد ولا الكروب، ولا البرد وزمهريره، ولا السهر وشدة وطأة الجوع والامه، ولا العطش وشدة، لم تعد هذه شيئاً في أنظارهم:

أقل بلاء بالرزايا من القنا وأقدم بين الجفلين من النبل

واستشهد علي وحسين ودفنا في خندق واحد.

هي المسيرة تدور دورتها وتقفز إلى الذهن قصة عبد الله بن حرام -والد جابر- وعمرو بن الجموح اللذين استشهدا في أحد فامر رسول الله ﷺ بدفنهما معاً: (ادفنوا المتحاربين في قبر واحد) -

وهكذا كانت مسيرة واحدة أدت بهما إلى جدث واحد يبعثان منه (إذا بعثر ما في القبور)، وصدق الله كلمات علي: نريد أن نعبد، وعبد علي في ضيافة الرحمن.

أما نور الحق المغربي فقد كانت مجرته خالصة إلى الله -كما نصيبه ولا نزكي على الله أحداً- لا رجعة فيها، جاء أول مرة برا عن طريق الدول الأوروبية، حتى إذا وصل إلى حدود سوريا ردت الطائفة النصيرية ومنعته من اجتياز الحدود، ثم جاء إلى الحج، وبعد أن قضى مناسكه في أم القرى بمم شطر أفغانستان، وهنا في بيشاور يجد الشيخ سياف قد أنشأ مدرسة لتعليم أبناء الأفغان سماها حراء، فحذر نفسه لتربية أبناء الأفغان على لغة القرآن، وكان يقوم بتدريب أبناء المدرسة على ألعاب الكارتية، وعندما علم بنشرب معركة في جاجي توجه نحو الجبهة، وكان اللقاء مع الشهادة، فزادت إشراقة وجهه نوراً، وكان يقول: لا رجعة إلى بلادنا..

وتتابعت الأخبار والمجاهدون ملتقون حول جهاز الاتصال، أبو سلمان يمسك الجهاز، والشباب يلقون السمع ويشنفونه بكل كلمة تخرج عبر اللاسلكي، الشيخ سياف يرد على الجهاز، المعركة شديدة، القصف متواصل، رجال الصاعقة الروس يربون اقتحام المركز الجديد (المأسدة)، والشباب مستميتون بالدفاع عنه، راجمة الصواريخ تمطر الشباب بوابل القذائف.

صاعقة على رجال الصاعقة:

من المعلوم أن روسيا قد أعدت خمس كتائب من رجال الصاعقة (الكوماندوز) ودربتها طويلاً، وهذه الكتائب قد هينت للانتقاض على قواعد المجاهدين، ودفعت بمجموعة كبيرة منها لدخول المركز، أجسامهم كبيرة، وهؤلاء من اللقطاء تهيئهم روسيا لإبادة المجموعة الخطيرة المعادية لها، وتباهي بهم روسيا كما تباهي أمريكا برجال المارينز، وفقد واحد منهم يعتبر خسارة كبيرة لروسيا، لقد ضربت الطائرات المركز، ثم نشطت المدفعية وراجمات الصواريخ، ثم تقدمت مجموعة من هؤلاء وصاروا على بعد سبعين متراً من المركز، ودارت المعركة مواجهة مع هؤلاء، المعركة غير متكافئة أبداً سواء في الإعداد أو الأعداد أو الوسائل أو الأسلحة، وضرب مختار برشاشه (الدكتريوف) وأفرغ مخزنه مائة طلقة، فأصاب ستة منهم دفعة واحدة فأرداهم قتلى، وضرب خضر أحدهم بقذيفة (آر، بي، جي ٧) فأحالت الكافر إلى قطع متناثرة.

وهنا كانت المفاجأة التي لا يتصورها الخيال، التقاف من قائد مجموعة من الشباب المهاجر المجاهد على الكوماندوز، إذ تقدمت مجموعة عكرمة -التي تذكر بعكرمة رضي الله عنه يوم اليرموك- من يبايع على الموت، كان في المقدمة منصور، وأبو الفضل، وعبدالله، ودارت المعركة بالقنابل اليدوية للتطهير، قال لي أحد الإخوة: لقد ألقيت قنبلة أمامي وإذا بروسي يحني ظهره ليتلقى بوجهه شظايا القنبلة، ويبنى وبينه شجرة فقط، فعلوته بالرشاش لتردى هالكاً لا حراك فيه جسمه كاليفل: جسم البغال وأحلام العصافير.

شباب متعطش للموت، يبحث عن الشهادة ولا فكيف الهجوم على الكوماندوز وكل واحد منهم تلقى أعلى مستويات التدريب، ولكن الإيمان يصنع المعجزات، والروح أقوى بكثير من الأجساد.

وانتهت هذه المواجهة السريعة بين الشباب والكوماندوز بالإجهاد على كثير من الكفار، وفر الباقون لقومهم مغية مقابلة أبناء الإيمان وضراغم الإسلام، وعاد كل شاب من هؤلاء بعد أن خوض في دماء أولئك.

وقفت وما في الموت شك لو أقف
كأنك في جفن الردى وهونائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
بوجهك وضاح وثغرك باسم

منصور الشهيد (١)

يقول لي أحد مؤلاء الشباب: رأيت منصوراً وقد سقط شهيداً أثناء الاشتباك، ورأيت أحد العمالق الروس أخذ يقلب جثة منصور يتفحصها.

منصور الشهيد (أبو دجانة الثاني) عشت معه أربعة أشهر فأحببته، قلت له من اللحظة الأولى التي أبصرته بها: أنت تشبه أخانا أبا دجانة، فقال أين نحن من أبي دجانة؟ وكما هو معروف أن أبا دجانة قد استشهد في معركة نهريين هذا العام، فارع الطول، نو جسم رياضي، رجولة مع كرم، شجاعة مع حياء، والرجولة عادة مقترنة بالحياء والكرم، وفي الصحيح: (الحياء والإيمان مقترنان فإذا رفع أحدهما رفع الآخر).

هو الشجاع يعد البخل من جبن وهو الجواد يعد الجبن من بخل

وفي منصور كثير من صفات أخينا أبي دجانة، فإذا أضفت إلى هذا أن كليهما حافظ للقرآن، عجبت لتوافق كثير من صفات المظهر والمخبر لكليهما.

كان منصور قليل الكلام، حياء، ومع هذا كان إذا رأى عبد الرحيم في معسكر (صدا) يقول لي: ادع الله لي أن يرزقني أدب مؤلاء.

كان متقناً بارعاً للسلاح، أقام في جبهة الشيخ جلال الدين حقاني ثلاثة أشهر فأحبه المجاهدون وجعلوه إماماً، وكان منصور متبعا للسنن، يحاول أن يلتزم الآثار، ويكره الابتداع، ويحارب الخرافات، فكان إذا سمع قصة عرضها على ما يعرف من قصص السلف، فإن وافقت قبلها، وإن خالفت رفضها، وكان يسره أن نصلي التروايح ثماني ركعات، وكان ألمحيا نو ذكاء لماح، يحفظ الآثار، فإذا كتبت لهم الحديث أو الدعاء يكون أول من يحفظ.

ولد هذا الشاب الذي يناهز السابعة والعشرين من عمره في المتيا في صعيد مصر، وقد رضع رجولة أهل الصعيد وشدتهم منذ حداثة سنه، وعاش فترة ليس بالقليلة في القاهرة ودرس في كلية الآداب في القاهرة، وتخرج فيها من قسم اللغة العربية.

كان لا يراني إلا وعلت وجهه ابتسامه مشرقة مع إغضاء الطرف حياء وأدباً اشترك في المعركة الأولى في (١٩) شعبان في المناسدة وكان في فرقة الاقتحام، ونجاه الله لأن منيته تنتظره حتى يكمل رمضان، فتضرع إلى الله أن يكون من عتقاء شهر رمضان، وفي يوم عيد الفطر يوم (الجائزة) نال منصور جائزته وفي موقف بعد أن خوض في لبة الصنديد (حلقوم البطل).

ومضى منصور إلى ربه وترك في أعماقنا حسرة ونشوة، حسرة بفقده، ونشوة بفوزه بالشهادة - كما نظن ولا نزكي على الله أحداً -، فهنيئاً لك يا منصور ونامل أن تلقى بأبي دجانة في عليين.

شهيدنا الخامس في يوم عيد الفطر الرجل الصامت (أبو الفضل) (٢)

صامت لو تكلمنا لفظ النار والدماء

قل لمن عاب صمته خلق الحزم أبكما

وأخو الحزم لم تزل يده تسبق الفما

ولكثر صمته بحسبه الجاهل عيباً، كان لا يتكلم إلا إذا سمع رأياً يحسبه يخالف حديثاً صحيحاً قال: ألا يخالف هذا الحديث الصحيح، كان دائب العمل، يوصل ليله بنهاره، لا يهدأ ولا يقر إلا إذا ظن أن أمور مجموعته التي أمر عليها على خير ما يرام، كنت لا تراه إلا حاملاً قلعه ينتظر أمر قائد المخيم لتسجيل ما يلقي إليه من توجيهات.

نو وجه مشرق ولحية طويلة خفيفة، مؤدب يجلس في المجلس مستمعاً، فإذا سمع شيئاً من اللغو قام وغادر المجلس، يحفظ من القرآن ولا أعلم أن كان يحفظ القرآن كاملاً أم لا.

كان يعد نفسه للدخول في أعماق أفغانستان منذ فترة، ولكن أحداث جاجي منذ (١٩) شعبان حتى الآن أخرت رحلته، وشارك في العشر الأواخر من رمضان في المعركة، وفي اليوم الثلاثين من رمضان جاء الأمر بالانسحاب من موقعه، فاستأذن القائد أن يبقى في مكانه إن كان ممكناً، وفي يوم الفطر نال الجائزة ودغته الإخوة مجاوراً لأخيه منصور.

بضرغامهم صمت اللسان كغيره ولكن في أعطافه منطلق الفضل

١- المصدر السابق ص ١٦.

٢- المصدر السابق ص ١٧.

الشهيد عبد الله المصري^(١)

وفقيدنا السادس عبد الله المصري عرفته لأول مرة في مكتب الخدمات هو وهارون صاحبه الذي رافقه مسيرة الطريق، ودخل معه الجبهة في قندهار، وكان يزعم العودة من حيث أتى، ولقد بششت في وجهه، وشكا إلي بعض المتاعب التي لاقوها، فسريت عن أنفسهم وروحت عنهم.

وواصل المسيرة، ثم جاء إلى صدا وتمكن من كثير من الأسلحة التي يستعملها الكفار ليواجههم بسلحهم، وتوجه إلى جاجي للرباط، ثم رجع إلى خوست، ثم إلى صدا، ثم إلى جاجي، وحيثما سمع باشتداد أوار الحرب ووطيس المعركة طار شوقاً إليها ولسان حاله يردد:

ولقد نخرت لكل أرض ساعة تستعجل الضرغام عن أشباله

لقد اتخذ أخيراً قراره النهائي الذي لا رجعة فيه وهو الموت في سبيل الله أو ينصره الله، فإنما هي إحدى الحسنيين. سمح الوجه، قليل الكلام، يبحث عما ينفعه في دينه وديناء، إن تكلم فبقدر وأدب، كثيراً ما تراه يحمل في يده كتاباً يلخص ويقرأ وهو يقول: (أريد أن أنقل فائدة إلى الجبهة).

وكان الوداع الأخير في المسعدة حيث قابل هؤلاء الكوماندوز، ولا نعلم حتى الآن مصيره أضل في شعب من الشعب !! أم أسر بيد هؤلاء النصاب الكلاب؟ أم لقي الله مصون الجناب؟.

فترجو الله أن يكتب لنا وله الشهادة، وأن يجمعنا وإياه في الصالحين.

ملاحظة: (وصل نبأ استشهاد بعد ذلك).

التمطش للشهادة الشهيد (أبو خالد الجزائري)^(٢)

الشباب سيكون فرحاً طمعاً في لقاء الله شهداء، فما غادروا أوطانهم، ولا تركوا الترف الذي بين أعطافه يتقلبون، ولا طلقوا النعيم الذي فيه يتزعمون إلا حبا في الشهادة، وكثيراً ما يقول أحدهم: متى اللقاء مع الحور؟

اللاسكلي بيد أحد الشباب، لا تكاد النداءات تنقطع، المجاهدون ملتقون حول الجهاز، الشيخ سياف واقف يرد على الأمور الهامة، ويوجه الأوامر، والقادة العسكريون حوله، فيأمر هذا، ويهمس في أذن هذا، ويشير إلى ذاك، ويطمئن المجاهدين، وتشكل السرايا، وتتحرك السيارات، الإعياء ظاهر على وجه الشيخ، ينام الناس ولا يتام، آلام قرحة المعدة برحت به، لا وقت للراحة، ولا ساعة للخلود بالنفس، أعصاب الشباب مشدودة، قلوبهم تكاد تقفز من صدورهم، أذاتهم تتشتت وهي تستمع الكلمات، لا يكاد أحد هم يلتقط أنفاسه وهو يتابع الأخبار.

تقدم الكوماندوز، تصدى الإخوة الرابضون على جبل الرماة لهم، خرجت مجموعة من الدبابات من شاوني (القلعة)، قذائف المجاهدين تسقط على تجمع الدبابات، هربت بعضها متجهة إلى ناراي، انتهت قذائف الهاون... وهكذا دواليك لا يتوقف الجهاز عن البث والتلقي إلا في ساعة متأخرة من الليل، يقول الشيخ سياف: إن الله نوالقمة المتين ولا فمن نحن؟ نحن بأربع سيارات نقابل حلف وارسو.

الجرحي:

وانطلقت سيارات الإسعاف تنهب الأرض تريد أن تحتن بقية النجيع في أجساد هؤلاء الإخوة، أبو خالد الجزائري إصابته شديدة، والمسافة بعيدة، وفي الطريق يسلم أبو خالد الروح، ويصل أبو سهل الصغير مغمى عليه، أصابت الرصاصة دماغه ولا زال ناعداً وميه في غرفة الإنعاش (استشهد أبو سهل بعد كتابة المقال رحمه الله).

لم أكن أصدق أن هذا الرجل جاء للجهاد، عمره في العقد الخامس، جسده ناضل، لا يظهر عليه آثار العلم أو التربية الإسلامية العميقة، وما كنت أصدق أنه يستطيع مواصلة المسيرة على طريق الشوك المفروش بالدماء والأشلاء، لأن كثيراً من الهالات قد سقطت

١- المصدر السابق من ١٧.

٢- المصدر السابق من ٢٠.

على هذا الطريق اللاهب المضني.

إلا أن في الرجل وقاء وحياة ورجولة وإباء، كان حليفاً أول الأمر ثم أطلق لحيته، إن تكلم معي بغض الطرف أدباً، كان لا يطبق الشرقة ولا اللغز، الجميع راض عنه، لسانه قصير لا يبلغ في أعراض الناس، وفمه طاهر من أن ياكل لحوم المسلمين، وكان لا يعرف بالتعصب لآية جبة، ولا ينتسب لحزب من الأحزاب، إنه مسلم عادي فطرته سليمة يحب المسلمين جميعاً، ولذا عندما خرجت روحه إلى بارئها عفت رائحة المسك تضرع.

الشهيد أبو الوليد السعودي^(١)

لم يتكبد الروس في معركة من المعارك كما تكبدوه في هذه المعركة، فقد هرب ثلاثة من السائقين وانضموا إلى المجاهدين، قال أحدهم: لقد أخذ الروس شاحناتنا الثلاث ورأيت شاحنتي مليئة بجثث القتلى.

كنت أنام في غرفة غير محمية لا تستطيع أن تدفع عن فيها قذيفة طائرة ولا صاروخ، وقد اعتدنا كل يوم أن نستقبل قذائف الطائرات التي تبدأ وجبتها الأولى الساعة السادسة والثلاث صباحاً، وترجع لوجبتها الثانية الساعة التاسعة، إلا أن المجاهدين تصدوا لها بالمضادات التي لا تزيد في أثرها من أن تبعد الطائرة عن الأرض أثناء القصف، وقد أسقط المجاهدون أكثر من طائرة بالصواريخ.

وفتح الجهاز في مساء يوم عيد الفطر فقال أبو عبد الله: نعزيكم بفقدنا أخينا أبي الوليد السعودي، فكان فقيدها الثامن أبو الوليد السعودي.

شاب على الفطرة، نو ثقافة بسيطة، وعشق للجهاد لا يكاد يوصف، طوف أفغانستان من جنوبها إلى شمالها حيث ألقى عصا الترحال في بلخ (مزار شريف)، ومكث هناك عدة أشهر، ثم عاد وزاد عمله في المنطقة الشرقية، ولم يطق المقام طويلاً بين القاعدين لأنه يصعب على من تذوق حلوة الجهاد أن يستسيغ العيش بين الخوارج (رضوا بأن يكونوا مع الخوارج)، إن النفوس الأبية ليعز عليها أن ترى أبناء دينها يذبحون، وأن يبصروا لحوم العذاري تاكلها جنازير دبابات الروس وهم يرددون لا تسمع لهم ركزا.

أتسبى المسلمات بكل ثغر وعيش المسلمين إذن يطيب

سنة لله والإسلام حق يدافع عنه شبان وشيب

وفي يوم الفطر يهجم حوالي خمسة وعشرون منهم فيتصدى لهم ثلاثة: فقط أبو الوليد وياسين وخضر، وأما ياسين فهو منطلق كالسهم لا يعرف للموت رهبة.

يستعذبون من أيامهم كأنهم لا يياسون من الدنيا إذا قتلوا

وأما خضر فقد مزق أحدهم بقذيفة (آر، بي، جي ٧)، وما هي إلا لحظات وإذا بأبي الوليد تختطفه يد المنين، وإذا به في العالم الآخر (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً).

وما الموت إلا سارق دق شخصه يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

كان أبو الوليد متشوقاً للشهادة، ويعد أن بلغني نبأ شهادته فتحت رسالتين يكتبهما لأصحابه يقول فيها: (أخي ثامر: ولا ينقصنا سوى رؤياكم بيننا في أرض الجهاد ومن أجل إعلاء كلمة الله... إن كان عيدكم في السنة مرتين فعيدنا والحمد لله كثير، وهذا عندما نتنصر على أعداء الله يعتبر عيداً وهذا بفضل الله تعالى).

وكان آخر الكلمات التي بخطها في الرسالة: هبي يا رياح الجنة هبي ورببي... لبيك إسلام البطولة كلنا نقدي الحمى.

فنبتهل إلى الله أن تكون أبا الوليد قد فزت بالشهادة وثلت الدرجات العلى.

١ - المصدر السابق ص ٢١

الشهيد بشير المصري وسراقة^(١)

واستمرت المعركة، والأحداث تتوالى، والمجاهدون يواصلون جهادهم، يرابطون في الخط الأمامي، والقذائف فوق رؤوسهم لا تكاد تهدأ، الجهاز مفتوح، الأخبار لا تنقطع، مجموعة تلتف حول الجهاز تريد أن تتابع أخبار المجاهدين أولاً بأول. وجاء البيان: سقوط شهيدين آخرين: بشير وسراقة..

بشير المصري: على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لم تلوث نفسيته، بسيط دون تعقيد، واضح دون غموض، يقول عن نفسه: كنت سلفياً ثم انتقلت إلى جماعة التبليغ وأخيراً جئت إلى الجهاد، فرد أحد الحاضرين على الفور: ما طفت هذا الطواف إلا لتوافي الشهادة. وعاش بشير في مخيم صدا يعد نفسه ونفسيته لملاقاة الكماة ومنازلة الطغاة.

كان إذا ناقش أحد إخوانه كثيراً ما يقول صل على النبي، فصار إخوانه يرددون هذه الجملة كلما واجهوه أو ناقشوه، وكثيراً ما كانت تقوم بينه وبين عادل مداعبة رقيقة ومزاح لطيف مستساغ، وكان يتسع لإخوانه ويتجاوز عن مفواتهم، وكان يطلقون عليه: (نو القلب الأبيض).

أنهى بشير إعداد نفسه وانتقل إلى أرض الرياط، وكان يعد نفسه لمرافقة إحدى القوافل التي تدخل أفغانستان، ودامتنا أحداث الأيام الأخيرة من رمضان، واشترك بشير، وكان على قدر في اليوم الثالث من شوال مع الشهادة.

فندع الله أن يجعله في الفائزين، وأن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.

وأما سراقة (أحمد الحزامي) فهو من الشرقية-الدمام، شاب يدخل قلبك بلا استئذان، قليل الكلام، على وجهه إشراقة لا تفارقه، وعلى ثغره ابتسامة لا تغيب، تسأله فيجيبك بقدر، فإن كررت عليه السؤال تريد الاستفسار لا يزيد عن الأجابة الأولى فتضطر للسكوت لأن ابتسامته وأدبه تمتص كل غضب (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق)، كان يحمل ساعة في جيبه يعلق خيطها في عنقه، فسأله عن سبب هذا فصرفني عن الإجابة المباشرة بقوله إنها رخيصة جداً.

رواقته المنية بعد أن تم رمضان، وحدثني من رآه: أن ابتسامته لم تقارق محياه، مضوا إلى ربهم وتركونا وراحم، بأعمار أبنائنا سبقونا إلى ربنا، ولكن الرحمة ليست بالعمى، والشهادة ليست بالشهادة، فإن شهادة رب العالمين غير شهادة الجامعات (أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون) الزخرف.

ثم ذهب أبو الذهب^(٢)

الحمد لله الواحد القهار....

فبعد أسبوع فقط من مضيّ منشد الطائف ليث المأسدة أحمد الزمراني يمضي على أثره وفي نفس الجادة أسد آخر هو أبو الذهب.

هناك وعلى شاطئ البحر وقرباً من الإسكندرية تفتح عيننا هذا الطفل على الحياة، والداه قد هاجرا من السودان ليقبلا في مرسى مطروح، كل شيء في المنطقة باسم لاه، المرح دين هذا الشعب، وخاصة على رمال البحر حيث يحل الكلام ويغذب السمر ويمر الوقت خلصة.

المتاع، واللعب، واللهو، والمزاح والنكتة هو الطابع العام لكل من يعيش هناك، ولا يغيب عن بالك أن المنطقة سياحية تكون في الصيف غاصة بكل المصطافين الذين يفنون إليها من كل حدب وصوب.

كل شيء يمكن أن تتوقعه في هذا المجال سوى الجد، وكل أمر يمكنك أن تتخيله أو تفكر فيه عدا الجهاد والزهد والتعسف وتحمل المتاعب والمشاق.

في هذا الجو اللاهبي الصاخب ينشأ شهيدنا، وقد ورث روح الفكاهة طبعاً دون تكلف، وسليقة دون تصنع، فما تكاد النكتة تفارق شفثيه، وأخذ مكانه بين الجماهير التي لا تلوي على شيء ولا يهمها شيء، ولا تؤثر فيها الأحداث، ولا تسترققها المصائب التي

١- المصدر السابق من ٢٢.

٢- المصدر السابق من ٢٢.

تتوالى على رؤوس المسلمين.

وفي الجامعة وفي كلية الزراعة يرجع شهيدنا إلى الله من خلال بعض إخوانه الناشطين للعمل الإسلامي، ويأخذ الأسلام بقوة، ويحمل الرسالة بجد، ويتلفت حوله ليرى مكاناً يصب طاقته الإسلامية ويرى الله منه حسن المصنع وصدق الرجوع، فلا يجد في الأرض منتجعا سوى أفغانستان حيث قامت الحرب على ساقها بادية نواجذها معلومة أخلافها (أضلاعها)، فحمل الصحفي الأبلج (السيف الأبيض)، والقويم الأملج (الرمح الأسمر)، وتوجه إلى أفغانستان، ولك أن تتصور معي كم يعاني الشاب الناشي في مجتمع فقير لتوفير ثمن التذكرة التي تصل إلى ألف جنيه؟!

ويصل الشاب إلى أفغانستان، ويعد نفسه بسرعة، ثم يتوجه مع قافلة إلى تخار هناك على حدود روسيا.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرآها الأجسام

عود رقيق، وجسم نحيل، ولكن الروح وثابة، والعزم نفاذ، وبقي هناك بصحبة أخيه ذبيح الله وعبدالرحمن، وقريباً من نهر جيحون (أموداريا) وساعاته التي يقطعها يتشوق للشهادة ويتطلع لها، وفي أخرج الساعات ما كانت النكته الحاضرة تفارقه، وروح الفكاهة أصبحت تجري في دماغه.

وأيامه التي انسلخت عنه وما داره سوى الهيجاء (ليس له دار سوى الحرب)، وبما أثرت صوارمه البيض له في جماجم الأعداء (وآثرت سيوفه في رؤوس الأعداء)، ورجع من تخار إلى بيشاور، ثم يترامى إلى مسامعه هجوم الروس على نجرهار، ويمتشق سلاحه ويهب كالريح لنجدة إخوانه الأفغان، ثم يعود ويشد الرحال في هذه المرة مع أخويه (عبد الرحمن وذبيح الله) إلى جاجي، ويحط رحاله هناك، ويبدأ ببناء قاعدة جديدة للجهاد وأين؟ على بعد أربعة كيلومترات من معسكرات العدو، ويواصل عمل الليل بكد النهار، سألته من إمامكم؟ قال: أبو الذهب وهو يحفظ كتاب الله، كان صوته ندياً ومع نبراته شجي، كنت أراه يصلي معنا الفجر ثم يغادر ولا أراه إلا بعد العشاء، بين الثلوج التي لا يكاد شخص يقف لها ويصبر عليها.

ترى هذه المجموعة ولا يكاد أحدهم يزيد عن الثالثة والعشرين فيخيل إليك أنك تواجه أرواحاً في أشباح النمر ومخالب النمر قد تحفزت للوصاب، وانقضت للاختلاب، ولا فتى مثل أبي الذهب، يجمع بين الأدب الجم والإخلاص - كما نحسبه ولا نركي على الله أحداً - الذي تلمسه من خلال جلوسه بين يديك كالطفل الصغير يطلب منك الدعاء له بالشهادة، وقد حسبت أنه لا يمزح أبداً، ولم أسمع ذات مرة يضحك بملء فيه أو يهزل، وإذا ببعض من عايشه يقول لي: النكته لا تفارقه، فعلمت أنه الأدب الرفيع مع الكهول. وطالت المدة وزمهرير الشتاء لا يؤثر على صلابة الرأي ومضاء العزيمة، إنهم مصممون أن يحرروا المراكز التي تواجههم ويفتحوا الطريق الواسع إلى كابل، ولا يكون من مراقبة العدو ولا من جمع المعلومات ولا من الاستعداد للانقضاض.

ثم تقدم ونصب خيمة على بعد مائتي متر قرابة شهرين، ويحدثني أبو خالد الذي كان يساكنه في الخيمة: كنت أحس من أعماقي أن الرجل ماض إلى الله وأنه سيفأدرنا عما قريب، كان يعمل في نصب الصواريخ وإعداد السلاح وتبين الأهداف حتى الساعة العاشرة ليلاً، ثم يأتي يتجافى جنبه عن المضاجع ويغالبه الكرى وتأخذه سنة من النوم ثم يستيقظ الساعة الواحدة ليلاً وينهض ليواصل عمله والشباب هجع.

ويقبل يوم العملية وأبو الذهب يتمنى أن ينال الشهادة، ولكن الشهادة قدر مقدر وغيب مسطور (قد جعل الله لكل شيء قدراً) (لكل أجل كتاب).

ولم يغادر الفتى خيمته، ولم يقطع استعدادة، وواصل العمل، وبعد أسبوع بالضبط وفي اليوم السادس والعشرين من شعبان سنة (١٤٠٧هـ) الموافق اليوم الرابع والعشرين من إبريل سنة (١٩٨٧م) كانت المنية للفتى بمرصد، فخرج يرافقه شفيق وأسامة للاستطلاع وبعد العصر أخذ الشهيد يمهّد الأرض بقدمه لأداء صلاة العصر وإذا بلغم يتفجر تحت قدميه، وطارت قدماه حتى الركبة تقريباً، وأخذ الانفجار أصبعين من أصابع أسامة، وأصاب شفيقاً شظية صغيرة، لقد تحققت الرؤيا التي رؤيت له بالجلوس مع امرأة جميلة غراء الجبين فيبشر في صباح هذا اليوم بالشهادة.

ويدأ الدم ينزف من رجليه المقطوعتين ويده البتراء وهو يردد حسبنا الله ونعم الوكيل، وبقي على هذا الحال قرابة الساعتين ثم أسلم الروح، وكان آخر ما ودع به الدنيا يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، وحمل جثمانه الطاهر ثم أراه التراب، شهادة لله أنه ما قصر تجاه دينه، وشهادة على زملائه وإخوانه وأحبابه ومعارفه أنه بلغ حكم الجهاد لهم وخط بدمه الطاهر أسطر الخلود لتبقي أحرفاً

من نور في سجل الخالدين وديوان العارفين، فهل يؤثر دمه الفوار الذي روى مضارب أفغانستان على من عرف هذا الطريق فيدرك أن أمر الجهاد جليل، وأنه فرض، عين وآته لا إذن للوالدين ولا لأحد من العالمين في ثبته نداء رب العالمين؟

فتى الخيل قد بل النجيع نحرها يطاعن في ضحك المقام عصيب
يعاف خيام الريط في غزواته قيا خيمة الإغبار أنت حروب

ومضى أبو الذهب إلى ربه وأصبح حديث السامر، فسلام عليك يا أبا الذهب في الخالدين.

عاشق الحوراء (الشهيد ياسر أبو النور - عبد الرحيم العرجة -)^(١)

أما ياسر أبو النور (عبد الرحيم العرجة) فلاول مرة رأيته في مكتب الضمات، مشرق الوجه، ناصح الجبين، لا يكاد يجاوز الثامنة عشرة من عمره، فسألته: ممن الرجل؟ فأجاب: من فلسطين ولكن أعيش في الكويت، جئت أبحث عن قبول في إحدى الجامعات الباكستانية، ولكنني أود الجهاد.

كانت قافلة متوجهة إلى بلخ (مزار شريف) فنصر أن يكون أحد جنودها، وتوجه هذا الشاب الرقيق الذي لم يذق للشظف لوعة ولا للحرمان مرارة، ولم تعجم الحياة عوده فيصليب، ولم يكشر له الزمان عن أنيابه فيثوق المحن ويجرب بنات الدهر، ما كنت أظن أن هؤلاء الشباب يستطيعون أن يقدموا العطاء الجزيل للجهاد الأفغاني، ولكنها بركة الإخلاص وحرارة الصدق تذيب الغواشي عن قلوب الناس فتدخلها هذه النماذج بلا استئذان.

يحدثني عنه أسد الله أبو أسيد (شاب عربي) رافقه السفر وعاش معه فترة في بلخ (مزار شريف) فقال: كان محبوباً من قبل المجاهدين الأفغان، وكان يتميز بصفتين بارزتين جعلتا حبه يخترق شفاف القلوب أولاهما: بسط الوجه وحسن الخلق (إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق)، فبشاشة وجهه وسعة صدره وسعت الناس فوسعوا له قلوبهم، وثانيهما شجاعته الخارقة وحرصه الشديد على الشهادة [خير الناس رجل آخذ بمعتان لرسه يطهر على مته كل ما سح هبة أو فزعة -ضجة مخيفة- طار إليها بهتفي -يطلب الموت مظانه-].

كان الأمير العام لجبهات مزار شريف (محمد علم) يسميه (ديوانه) أي (مجنونا) لشجاعته الخارقة النادرة، وكان ياسر يوقع رسالة دائماً (أول شهيد عربي في مزار شريف) ويجانبه (عاشق الحوراء -الحريرة-).

كان مرحاً، نمت الأخلاق، وكان لا يسمع بمعركة إلا طار إليها فرحاً:

فج يكاد سهيل الخيل يقذفه عن سرجه فرحاً بالغزو أو طرباً

ولسان حاله يردد دائماً:

يلذ لأنني سماع الصليل ويبهج نفسي مسيل الدما
أهوناً وعندي تهون الحياة ودلاً وإنسي لرب الإبا

وكان كثير التلاوة للقرآن الكريم، وكان يصوم الإثنين والخميس غالباً، وكانت رؤاه كفلق الصبح، رأى نفسه عدة مرات شهيداً، ورأى الحور العين في منامه، وكان يكتب لإخوانه بالرؤيا التي كان يراها، ويقص الرؤيا في رسائل طويلة لإخوانه العرب في مزار.

كانت بداية صلت بالجهاد نزوله إلى كوتر عند أسد الله في معسكر أسامة بن زيد، وكان كثير الكلام بعدها عن أسد الله وعن كوتر:

كم منزل في الأرض يعشقه الفتى وحنينـــــــــــــــــه أبدأ لأول منزل

ومضى عبد الرحيم يبحث عن الموت، يتتبع أخبار المعارك، ويتحرق لأنباء الجبهات الساخنة ليصطلي بنارها طمعاً أن يحميه الله من نار الآخرة.

وجاءت العشر الأواخر من رمضان سنة (١٤٠٦هـ) حيث يترقبها كل مؤمن ليفسل ذنوبه ويضرع إلى الله بالدعاء ليقبل توبته ويمحو حويته، ولكن ياسراً جمع بين الدعاء والعمل، فسمع أن هنالك عملية في هشدا نهر (الثمانية عشر نهراً)، وتوجه إليها ياسر وكان على موعد مع القدر المبروم والوعد المحتوم، وفوجيء ياسر مع مجموعته بقوة من الدبابات والطائرات، وحاول ياسر أن يرد عن

١- مجلة الجهاد العدد ٣٦ شوال ١٤٠٧هـ حزيران ١٩٨٧م، ص ٣٧.

نفسه، ولكن قدر الله نالذ، فأحاطت به مجموعة من الأعداء واستطاعوا أن يلقوا القبض عليه، وقيدوا يديه، فأفلت من بين أيديهم وهرب، فلحقوا به وألقوا عليه القبض ثم زجوا به في داخل طائرة الهليكوبتر، وقبل أن تطير الطائرة ألقى بنفسه من الطائرة وهرب. فدخل بستاناً للفلاح وخبأه الفلاح، وانطلقت كلاب الصيد تبحث عن فريستها ودل بعض المنافقين على بستان الفلاح فجاءوا به وضربوه فدلهم عليه.

وأخوه إلى مركز الولاية (مزار شريف)، وفي اليوم التالي نقلوه إلى كابل.

حب المجاهدين الأفغان للعرب:

وخيم الحزن على جيهاات الولاية، وعندما يبلغ النبا لجبهة فكأن صاعقة خرت عليها من السماء، لقد أسر ليث النزال ديوانه (مجنون) الشجاعة، واختفت من بينهم دندنة القرآن الخاشعة التي يرتلها ياسر (عبد الرحيم)، وغابت الابتسامة المشرقة التي اعتادوا أن يروها مرتسمة على وجهه، وكان قتل مجموعة من خيارهم أحب اليهم من أسر خليفهم العربي الشجاع، ولقد كان وقع المصائب عظيماً على نفس (محمد علم) أمير المجاهدين هناك والذين بلغ تعدادهم ستة عشر ألف مجاهد، وكيف يواجه إخوان ياسر من العرب بالخبر، ولأن يسقط مائة من الشهداء بين يديه أحب إليه من فقد ضيفه، ولكن:

إذا أراد الله إنفاذ أمر سلب من نوى العقول عقولاً

تبادل الأسرى:

وكان لدى محمد علم ضابط روسي، فطلب الروس مبادئته بمجموعة من الأفغان الأسرى لديهم، فرد عليه محمد علم: نحن نريد عربياً واحداً مقابل تسليمكم القائد الروسي، فقالوا له: اطلب من الأفغان ما شئت دون هذا العربي، فرفض إلا العربي مقابل الروسي، وأخيراً قال له الروس، لقد قتلناه، فطلب محمد علم أحد عشر قائداً من المجاهدين الأفغان مقابل هذا الضابط الروسي، وتم التبادل. فإن كان حقاً ما قاله الروس -هذا هو الغالب- فنرجو الله -عز وجل- أن يكون لقي الحوراء التي عشقها وطالما تمنى لقاءها، وكما قال ابن القيم في وصف الحور (حادي الأرواح ١٤):

والله كم من خيرة إن تبسمت	أضاء لها نور من الفجر أعظم
فيا لذة الأبصار إن هي أقبلت	ويا لذة الأسماح حين تكلم
ويا خجلة القمصن الرطيب إذا انتثت	ويا خجلة الفجرين حين تبسم
فإن كنت ذا قلب عليل بحبها	فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
فيا خاطب الحسنة إن كنت راغباً	فهذا زمان المهر فهو المقدم

والخيرة: هي الحورية كما قال الله -عز وجل- (ليهن خيرات حسان، فبأي آلاء ربكما تكذبان، حور مقصورات في الخيام).

خاطب العيناء (أبو حامد مروان)^(١)

كان خاطب العيناء نبيح الله أبو حامد مروان (مصطفى الحاج خليل) صانعاً مع نفسه، صريحاً مع أصحابه، واضحاً مع عقيدته ومبادئه، حمل المبدأ الرباني وعاش من أجله، وضحى بكل ما يملك حتى لقي الله -عز وجل- شهيداً، تفتحت عيناء في أدلب في أرض الشام المباركة التي وصفها رسول الله ﷺ: [بأن ملائكة الله باسطة أجنحتها على أرض الشام] حديث صحيح.

هناك ترعرع ولا يسمع إلا أن الطائفة النصيرية أخذت بخناق المسلمين، تحارب القيم وتدمر الأخلاق، لقد كان يسمع من أبائه أن هؤلاء الطغاة قبل سنوات كانوا يبيعون بناتهم ليعملن خادماً في بيوت المسلمين، لقد كان عمره سنتين عندما كانت محطة دمشق تزد:

أمنت بالبعث رياً لأشريك له	وبالعروبة ديناً ما له ثاني
هات سلاح وخذ سلاح	لين محمد ولي وداح

١- النصر السابق ص ٣٩.

لقد كان يسمع قصص الحرائر والمحصنات النواتي كانت ثيابهن تمزق في شوارع الشام، وأنباء المسلمات انصابت النواتي حملن سفاحا من جنود الطغيان في سجن تدمر.

كانت هذه الأخبار تعليج في نفس هذا الغلام قتلتهب مشاعره وتحترق أعصابه، يتلفت حوله في هذا الظلام الدامس لعله يرى بارقة أمل أو بصيص نور، وكان يبحث مع من يبحثون عن مخرج، وبدأ يسمع عن مروان حديد، فأصبح مروان البطل الذي يملأ عليه حياته من بعيد، يسمع قصص البطولة والفداء، يسمع وقوف مروان أمام الدولة سنة (١٩٦٤م) بعد أبيات الشعر أنفة الذكر، ويترأس إلى مسامعه تلك المحكمة الأسطورية التي شكلت لمروان آنذاك ووقفته الشامخة المشرقة أمام الطغيان، ثم يصدر حكم الإعدام على مروان، ثم يعفى عن مروان ومن معه بعد أن تدخل شيخ مشايخ حماة -رحمه الله محمد الحامد.

وتأتي أحداث الدستور في بداية السبعينات، ويقف مروان كالتود الشامخ، ثم يختفي الشيخ مروان، ثم يلقي القبض عليه بعد مقاومة شبه خيالية، ويعرض عليه الطاغية المهادنة فيرفض بإباء، وتكون نهاية الشيخ مروان في السجن بعد أن بلغ الأمانة ودفع لها أغلى ما يملك.

سمى مصطفى نفسه (مروان)، وتأتي كتيبة الشيخ مروان الصامته يقودها عبد الستار الزعيم ويسام أرنؤوط وعدنان عقلة، ويأخذ ذبيح الله (مروان) مكانه في الكتيبة الخرساء، ويشترك ضد النظام الطاغوتي بعمليات كثيرة، وأخيراً يلقي القبض عليه ويحكم عليه مع سبعة عشر من إخوانه بالإعدام، وتبدأ النفوس تستعد ليوم النقاء وهي تنشد:

الروح ستشرق من غدا وستلقى الله بموعدها

ولكن الأجل قدر مقدور وغيب مسطور: (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون).

والهرب من سجن البرامكة يكاد يشبه الخيال إن لم يكن ضرباً من المحال، ولكنه ليس بعيداً عن الكبير المنعالي، واستطاع أحدهم أن يرى قريباً من كوة (نافذة) المرحاض منشأراً صغيراً صندئاً فأخذه، وصاروا ينشرون كل يوم من نافذة السجن الرهيبة ملم واحداً، وذات ليلة وفي الساعة الثانية ليلاً قفزوا من النافذة التي تعلو عدة أمتار فوقهم في الساحة، ثم اخترقوا الساحة إلى ساحة أخرى، ثم قفزوا من فوق السور إلى الساحة الثالثة حيث يرون جندياً من حرس الطاغوت، فقال: من أنتم، قالوا: (نحن الإخوان المسلمون)، فجف لعابه وضاعت الدنيا في وجهه وارتيك وقال: دعوني أنا صاحب عيال، فأنخروا بندقيته ومضوا، وقفزوا عن السور فرجدوا ضابطاً بسيارته فأوقفوه وسألهم من أنتم؟ فأجابوه: نحن الإخوان المسلمون فخارت قواه وطلب منهم ألا يقتلوه، فطلبوا منه أن يوصلهم إلى أي مكان بعيد واستلم أحدهم قيادة السيارة، ووصلوا الحدود، وانطلقت الطائرات تبحث عنهم، ووصلت في اللحظة التي عبروا فيها الحدود، وكانوا يمسونهم لولا كتاب من الله سبق.

وأخيراً وصل أبو زياد إلى باكستان للدراسة وقبل في الجامعة ورأته ذات يوم فسلم علي وهش في وجهي، وسأله من أنت؟ فأجابني بقصته.

ثم بادرنى بالسؤال: ما رأيك في دراستي هنا؟ فأجبته: لا يليق بك أن تنزل من قمة المجد والعزة وتعيش بين المقاعد الجامدة أربع سنوات تموت فيها نفسك تدريجياً، وتمتل فيها غيرتك ببطء، وتحكم على نفسك بالموت هذه المدة، فقال: إذن اترك الجامعة، فقلت: لا ترجع إليها غداً.

وقبل النصيحة بنفسيته الصادقة، وكان أبو أسيد كذلك قد قبل في الجامعة فاستنصحتني فنصحتته بالذهاب إلى الجهاد، وكان أبو أسيد قد عاد من مزار شريف وبلغ قبلها بشهرين تقريباً، وصمم الإنسان على التوجه نحو بلخ، وسارت القافلة تضم بين رجالها هذين البطلين.

والطريق إلى مزار شريف تستغرق شهراً كاملاً على الأقل مشياً على الأقدام، وقسم ليس بالقليل منها تكسره الثلوج، وكم سقطت في هذه الثلوج من أنظار، وكم تجمدت من أصابع، وصل أبو زياد بلخاً وكان يلقي نفسه بأبي حامد مروان لأنه يعشق مروان حديد رغم أنه لم يره، وفي مزار شريف صار يستمع إلى قصص البطولة والفخار عن ذبيح الله الذي أسس الحركة الجهادية في مزار وأصبح قائداً عاماً للجهاد هناك، فلقب نفسه بذبيح الله.

كان أبو حامد (أبو زياد) حريصاً على الشهادة، وكان بطلاً مقدماً وأسداً مصوراً، ولكن الأمر الذي يؤرقه أنه لم يشف صدره من أبي عبد الله المنافق الذي سلم عدنان عقلة، فكان يردد أنه لا بد من قتل هذا الرجل.

وكان أبو حامد يتقن الرماية على السلاح خاصة الزكويك (مضاد الطائرات)، فربض كالليث في قمة جبل وأمامه الزكويك ينتظر الموت، واستطاع بفضل الله أن يدرب مجموعة من الأفغان على هذا السلاح، وأحبه الأفغان لبطولته وعبادته، فقد كان يصوم الإثنين والخميس مع الدكتور صالح الذي يدير مستشفى بجانب تلك الرابية، واستطاع بفضل الله أن يسقط طائرتين، يقول لي أبو أسيد: لقد رأيت حطامهما، كان حريصاً على الموت فقد اقترب ذات مرة من المطار حتى أصبح على بعد ثلاثمائة متر، وزرع الألغام فانفجرت دبابية من دبابات الكفار.

وفي اليوم السادس عشر من محرم سنة (١٤٠٧هـ) الموافق اليوم الثاني عشر من سبتمبر سنة (١٩٨٦م) كان أبو حامد على موعد مع القدر، فقد أغارت الطائرات عليه فأصابه صاروخ فأقاضت روحه إلى بارئها، ومناك وفوق تلك القمة في زاري وبجانب المستشفى رقد أبو حامد (ذبيح الله)، ولعله لقي العيناء التي كثيراً ما كان يردد ذكرها ولا يسقط اسمها عن شفتيه، وقصة العيناء قصة عجيبة طريفة يرويها ابن المبارك في كتابه الجهاد ص (١٤٤).

قصة العيناء:

يروى ابن المبارك في كتابه الجهاد بسند صحيح عن ثابت البناني أن فتى غزا زماناً وتعرض للشهادة فلم يصلها، فحدث نفسه فقال: والله ما أراني لو قُلت إلى أهلي فتزوجت، قال: ثم قال (أي نام قبل الظهر) في القسطاط (الخيمة)، ثم أيقظه أصحابه لصلاة الظهر، قال: فبكى حتى خاف أصحابه إن يكون قد أصابه شيء فلما رأى ذلك قال: إني ليس بي بأس ولكنه أتاني آت وأنا في المنام فقال: انطلق إلى زوجتك العيناء، قال: فقلت معه فانطلق بي في أرض بيضاء نقية، فأتينا على روضة ما رأيت روضة قط أحسن منها، فإذا فيها عشر جوار ما رأيت مثلهن قط ولا أحسن منهن، فرجوت أن تكون إحداهن، فقلت: أفيمكن العيناء؟ قلن: هي بين أيدينا ونحن جواربها، قال: فمضيت مع صاحبي، فإذا روضة أخرى يضعف حسننها على حسن التي تركتها، فوجدت فيها عشرين يضعف حسنهن على حسن الجواري التي خلفت، فرجوت أن تكون إحداهن، فقلت: أفيمكن العيناء؟ قلن: هي بين أيدينا ونحن جواربها، حتى ذكر ثلاثين جارية، قال: ثم انتهيت إلى قبة من ياقوتة حمراء مجوفة قد أضاء لها ما حولها، فقال لي صاحبي ادخل، فدخلت، فإذا امرأة ليس للعبة معها ضوء، فجلست فتحدثت ساعة، فجعلت تحدثني، فقال صاحبي: اخرج انطلق قال: ولا أستطيع أن أعصب، قال: فقلت، فأخذت بطرف ردائي فقالت: أفطر عندنا الليلة، فلما أيقظتوني رأيت أن ما هو حلم، فبكيت، فلم يلبثوا أن نودي في الخيل (يا خيل الله اركبي)، قال: فركب الناس، فما زالوا يتطاربون حتى إذا غابت الشمس وحل للصائم الإفطار أصيب تلك الساعة، وكان صائماً، وطمنت أنه من الانتصار، وطمنت أن ثابتاً كان يعلم نسبه.

رحم الله ذبيح الله خاطب العيناء، ونرجو الله أن يجمعنا في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً:

نحي على جنات عدن فإنها	منازلنا الأولى وفيها المقيم
ولكننا سبي العدو فعل ترى	نعود إلى أوطاننا ونسلم
فيا بائعاً هذا ببخس معجل	كأنك لا تدري ولا أنت تعلم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة	وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

يحدث عنه أحد معارفه فيقول: كم كان يقول لي: أتمنى تظاً رجلي بلاد الإمام البخاري عندما أصل بلغ.

بعض صفات الشهيد:

عزوفه عن الدنيا: لقد عزفت نفسه عن الدنيا، فيقول في إحدى رسائله من الجبهة: (لقد تركت الدنيا ووطنت كل الطواغيت بقدسي وترفعت عنهم).

رؤيته الثابتة لحقيقة الجهاد: لقد أدرك الشهيد الوضع الحقيقي للجهاد، وأدرك أساليب الروس الماكرة في أرض الجهاد، فيقول في إحدى رسائله يصف الواقع الأفغاني: (يا أخي إن الشعب الأفغاني أحوج ما يكون إلى الشباب العرب، لأن الحرب الطويلة أثرت فيهم، ويتابع رسالته ليقول: فيا شباب العرب حي على الجهاد قبل فوات الأوان، ويا شباب الإسلام أدركوا الإسلام ببقية الجهاد في أفغانستان تعالوا وعلّموا الأفغان وأرشدوهم حتى يستمر الجهاد ويصلح الحال الخطير، الحاجة ماسة جداً إلى التعليم وإدارة المدارس

قبل التسمي الى المشاركة في المعارك.

ويقول في رسائله مخاطباً شباب ما وراء الحدود: (إلى كل ظامئ لنور الله، إلى كل صابر محتسب: تعالوا إلى حيث النور، إلى الحياة الصحابية، فالليل والجبال والسفر والمركب والحصار والزيب، والجوع والعطش والخبز والسفر على الأقدام بالساعات والأيام والأسابيع لتربطنا بحياة الصحابة ربطاً عملياً مباشراً كما ربطتنا بهم روحياً وفكرياً)، ويقول: (إننا بحاجة إلى الجهاد الذي يصقل النفوس ويهذبها ويضبطها بطابع الإسلام العملي الذي يختلط مع الدم والجوارح، فيجعل كل ذرة في جسدك خلية حية إسلامية تتخلص من أمراض النفس والدنيا)، ويقول أيضاً: (وأما حديث الزكويك -الضياء للطائرات- فهو ألد وأطيب وأنعش من الدخول على مائة عروس، كل عروس أجمل من التي قبلها).

التحيد أبو حفص (هشام هاني منصور)^(١)

من الأرض المباركة منهبط الوحي، وفي ظلال أولى القبيلتين وثالث الحرمين الشريفين، نشأ والد هشام وتعلم وأصبح والده من القضاة المعروفين، وقد سمعت أهل الفضل يشنون عليه بالنزاهة ونظافة اليد، واستقر والد هشام في الأردن في عمان، وسكن في أحد أحيائها الراقية، وأحب أن يربي أولاده على التعاليم الإسلامية منذ نعومة أظفارهم، فوجههم إلى المسجد، وقد كان في المسجد شاب من أبناء الحركة الإسلامية قد نذر وقته لتربية الناشئة، فساقهم الله إلى يد هذا الشاب -الشيخ نظمي-، وقد أوتي حلاًماً وحكمة ورغبة في بناء الجيل على هذا الدين، وكان هشام في العاشرة من عمره، ورغبهم الشيخ نظمي بتعلم الرياضة والدفاع عن النفس.

ترجعه هشام إلى نادي اليرموك، وقد حاول أن يجمع بين القوة وبين معرفة الدين، فكنت تراه وهو في العاشرة يحب الجهاد وترسم في ذهنه صور البطولة لأسلافنا وللمعاصرين من علمائنا ودعاتنا الذين قضوا نحبتهم على هذا الطريق اللامع الطويل الشاق، ومنذ نعومة أظفاره وهو يحلم بأن يكون مجاهداً، وكم داعبه حلم أن يكون أحد جنود الشيخ مروان حديد، ولكن هشام كان آنذاك صغيراً، كان هشام يرى أن السلاح هو الطريق الوحيد إلى نيل المآرب وبلوغ الهدف، وكأنه يتمثل بيت أبي الطيب:

لا أكسب الذكر إلا من مضاربه أو من سنان أصم الكعب معتدل

وواصل هشام مسيرته، وكان حوله مجموعة من الشباب المتحمس من أبناء جيله، وكان أربعة منهم يترددون على بيتي ويطالبون بالجهاد بنية وسيلة ومهما كان الثمن، ونحن نقول لهم: (ولكنكم تستعجلون).

ودارت الأيام، ونفرت المجموعة، وكان أحد أفرادها قد ذهب إلى الثورة الفلسطينية واشترك في العملية الجريئة الرائعة التي هزت الكيان اليهودي -عملية القارب المطاطي الذي وصل إلى شواطئ فلسطين- واستشهد هناك.

إلى أفغانستان:

وأما هشام فقد اتفق مع أبي أسيد أن ييمما شطر الهندوكوش حيث أوار المعركة الإسلامية المشتعل، وذات يوم وأنا في بيشاور وإذا بهشام وبأبي أسيد، ولا يعلم إلا الله كم سعدت بلاقئهما، فسألتهما عن حالهما فأجابا بأننا كنا في أرض المعركة مع فيض محمد أحد قادة الحزب الإسلامي في بكتيا، كان هذا منذ أربع سنوات تقريباً.

ثم عاد هشام إلى الكويت، وبقي فترة يتقلب على الشوق إلى مواطن النزال، ولقد كانت صور الآلام التي شهدتها في أفغانستان وأنات الشكالي وأهات اليتامي تقض مضاجعه وتثوق أجفانه.

كأن الجفون على مقلتي ثياب شققن على الشكالي

فما زال أبو حفص بين عذاب الضمير ورغد العيش الوفير والنوم على الفرش الوثير حتى استجاب لنداء الإيمان في أعماقه أن لا يد من النفي قراراً من عذاب السعير.

إلى بلخ:

وأقبل والشوق يحويه يسأل عن أخيه أبي أسيد الذي سبقه إلى مزار شريف (بلخ)، ويسر الله له قافلة متوجهة إلى بلخ فصار معها بين التلويح المتراكمة على طول معظم الطريق، ووصل إلى بلخ، واستقبله أبو أسيد وقدمه إلى أمير الجبهة العام (محمد علم)،

١- مجلة الجهاد العدد ٣٢ نر القعدة ١٤٠٧هـ يوليو ١٩٨٧م ص ٢٠.

وأحبه المجاهدون، لقد كان يحمل بين حناياه قلباً كبيراً، وكان يطيب لي أن أذكر بيت المتنبي عندما أرى أبا حفص وأمثاله:

كفى بجسمي نحولاً أنني وجل
لولا مخاطبتي إياك لم ترني

كان هادئاً ولكن صدره يغلي كالمرجل المأ على حال المسلمين.

وادمع كالحمام في حرم البيت وكالليث يستبـاح حماء

كان لا يتكلم إلا بقدر، ولو أراد العاد أن يعد كلماته لعددها، إذا جلست معه تشعر أنك جالس مع شاب في حكمة الشيوخ، وكان كلامه منبعث من صاحب تجربة نيف على الأربعين، مؤدب يصغي إليك حتى تنهي ما تقول، ثم يعقب إن أراد بكلمة أو كلمتين تعبر عما جال في صدره.

حكمة الشيوخ بحماس الشباب:

قال لي ذات مرة قبيل استشهاده بشهر: لقد توفي والدي في الكويت حيث كان يعمل مستشاراً قانونياً، وبقيت أمي وشقيقتي هناك فأريد أن أستقدمهما إلى بيشاور حتى نعرفهما بالجهاد من فوق أرض الواقع، وأريد منك أن تختار لشقيقتي شاباً مجاهداً، مع العلم بأنها خريجة كلية التمريض، وبإمكانها العمل في مستشفى مساهمة منها في هذا الجهاد الإسلامي المبارك، فأجسست أن الشاب يحس بمسؤوليته تجاه أسرته رغم أنه غارق في نار الجهاد ونوره، لقد كان أبو حفص يزعم السفر إلى مزار شريف، فما جاء ابتداءً وتكبد مشاق السفر في الرحلة الطويلة التي تستغرق شهراً إلا من أجل الحصول على بعض متطلبات الجبهة خاصة الصحة والتعليمية منها، وكان يلح عليّ أن أسرع في تجهيزه بما أستطاع من مساعدات طبية وكتب دينية لأن نفسه ضاقت ذرعاً في بيشاور وهو ينتظر القافلة، وأثناء انتظاره ما كان يطيق الجلوس، إذ أن القعود عن القتال يمرضه،

يقول لي الطبيب أكلت شيئاً وداؤك فسي شرابك والطعام

وما في طبه أنني جواد أضرب جسمه طول الجعام

تعود أن يغبر في السرايا ويخرج من قتام فسي قتام

وقد اشترك في العملية التي قام بها الإخوة العرب في (١٩) شعبان (١٤٠٧هـ) قبل شهرين تقريباً، وكان يالف المنسدة ويحب الحياة بين المجاهدين.

رحلة الخلود:

وأخيراً سافر سفره الأخير ولم نشبع من رؤيته، وكم يحزن في نفسي أنه عندما وصل جاجي قبل أن يستشهد بأيام ومرّ علي وأنا أراقب المعركة، أقول: حز في نفسي أنني لم أعانقه العناق الأخير، وجاء الخبر على اللاسلكي فلم أتمالك أن أكفكف دموعاً هاتئة وأنا أتذكر تاريخ هذا البطل ومسيرته في ركاب الغزاة، قال أبو محمود: لقد استشهد أشقائي الثلاثة ولم تنزل لي دمة، وعندما تلقيت نبأ استشهاده أبي حفص فاضت عياني، ثم عقيت قاتلاً: على مثل أبي حفص فلتبك البواكي، وأخيراً ندعو الله عز وجل أن يتقبل أخانا وابننا هشاماً في الصالحين، ولقد كان مصابنا بك يا هشام وبإخوانك عظيماء، ويعزيثنا أنك سرت في قافلة الخالدين، وندعو الله أن يحشرنا معك في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، والحمد لله رب العالمين.

(حدثني شاكر الزنداني قال: عندما استشهد أبو حفص كنت حاضراً، فكان وجهه أسمر، وبعد الشهادة استنار وجهه فظننت أنه مغبر بالتراب، وإذا بهالة نور تكسر وجهه كأنه البدر، وقد دفنوه في اليوم التالي فكان طرياً يتثنى كأنه نائم، وكان بجانبه كافر منتفخ مسود).

رسالة من والدته الشهيد أبي حفص:

بسم الله الرحمن الرحيم

إخوتي وأبنائي المجاهدين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يمضي ركب الأبطال، ويمضي معهم الشهداء تباعاً (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر

وما بدلوا تبديلاً).

مضيت يا هشام... يا أبا حفص... يا فارس... على طريق الخلود طريقك الذي اخترته بمحض إرادتك، لأنك كنت كبيراً في نفسك، كبيراً في طموحك، لترسم مع إخوانك طريق التحرير، تحرير النفس أولاً ثم الأرض، ترفعت عن الالتصاق بطين الأرض وزخرفها واخترت العلو في أفاق السماء... الطريق التي رسمها الله لعباده الذين أحبهم وأحبوه...
إذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

لقد كنت ترسم طريق التحرير وأنت لم تتجاوز عامك الثالث من العمر عندما احتل الصهاينة بيت المقدس، ورايك ما سمعت وما رأيت، فكنت تدمرهم وتقضي علي جحافلهم وتسقط طائراتهم بخيالك الطفولي البريء لتنتقم من الذين دنسوا المقدسات وانتهكوا الحرمات في الأرض المقدسة التي بارك الله حولها...
وعندما صرت في سن تمكثك من ذلك وجدت طريقها مسدوداً مليئاً بالحراس، ووجدت باباً لجهاد قد فتح وإن كان بعيداً...
فبعت شطره لعلك تجد فيه ما يطفى نار الشوق للتحرير والجهاد فاخترته...
فإلى جنات الخلد مع إخوانك مضوا، وآخرين ينتظرون... وندعو الله لهم بالنصر ليفوزوا بإحدى الحسنيين التي وعدهم الله بها... والدتكم/ أم هيثم

سبع الليل (أحمد محمد الأحمدى) فاتحة شهداء اليمن في أفغانستان^(١)

كتلة من النشاط، لا يعرف الهوى ولا الاستقرار، حضر إلى الجهاد قبل سنتين ونصف، وهو في العقد الثالث من عمره، من أبناء اليمن، ثقافته بسيطة، لكنه يحب أن يتعلم، ولد في لواء -إب-، ذكي الفؤاد، الجواب حاضر على رأس لسانه، ويعطي كل إنسان من الأجوبة ما يناسبه، فإن كان السؤال هازلاً كان الجواب لاذعاً مفحماً، قال له أحد الشيوخ: أين جنيتك (خنجرك) التي على بطنك، فأجاب أنا لم أكل مال أحد حتى أشد معدتي.

تناقش مع أحد الشباب الذين يشككون في الجهاد فقال الشاب: أنا لا أرى أن الجهاد فرض، فرد عليه سبع الليل: لقد أفتى العلماء أن الجهاد فرض عين فلان وفلان من العلماء، فقال الشاب: أنا لا أخذ برأيهم، فقال سبع الليل: إذن نسأل لك أحمد عدوية (وهو من مصري).

أطلقت عليه اسم سبع الليل لشجاعته، وكنت معه قبل سنتين في رمضان، إذ أن الله أكرمني أن أقضي ثلاث رمضان متتالية مع بعض الشباب المجاهد العربي، وكان سبع الليل في الأشهر الثلاثة شاهداً، فكان قبل سنتين يصل إلى حدود القلعة -تشاوي- مع مجموعة تحمل مكبرات الصوت، وعندما يصل إلى حدود القلعة تبدأ المجموعات بمكبرات الصوت تنادي: اخرجوا أيها الجبناء، أطلقوا برؤوسكم يا أبناء الخنازير. ولا يستطيع أحد أن يطل برأسه، فيطلقون نيرانهم ثم يرجعون.

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه وتكب عن ذكر العواقب جانباً

حضر إلى الجهاد في رجب سنة (١٤٠٥هـ)، كنت ألاحظ عليه كثرة التلاوة للقرآن في رمضان، سأله ابني إبراهيم وكان في المعسكر في رمضان فقال: كم مرة ختمت القرآن؟ فقال: هذه المرة السادسة، قلما كان يتام في رمضان، كانت وظيفته أن يوقظ الشباب للسحور، وكان يردد وهو يتجول بين الخيام: (يا صايم وحد الدائم)، وكان يعمل مع مكتب التوجيه والإرشاد في اليمن، وكان يسخر وظيفته وعمله من أجل الدعوة إلى الجهاد وجمع التبرعات للجهاد الأفغاني.

جراته:

كان رحمه الله جريئاً يقول الكلمة التي يعتقدونها مهما كلفه ذلك، فمن ذلك قصة حصلت له مع نائب رئيس الجمهورية وزير الداخلية اليمنية وبحضور مجموعة من الوزراء والأعيان وبحضور الشيخ عبد الله الأحمر، فكان سبع الليل يحمل الكلاشنكوف مرافقاً لأحد العلماء، فقال له الحرس عندما أراد أن يدخل بالسلاح: ضع سلاحك، فقال: لن أضعه، وأصر أن يدخل بسلاحه، ودخل، وعندما دخل وجه سبع الليل حديثه نحو نائب الرئيس قائلاً: كيف تسكنون عن القتال -رئيس الجامعة اليمنية- الذي يقول: (كان الله سبحانه).

١- المسر السابق ص ٢٦.

أُخِصَ الله رماداً) استغفر الله؟ فقالوا هذا كذب، فأخرج لهم سبع الليل صورتين للجريدة التي نشرت القصيدة، وبقيّة القصة تتعلق بالجهاد الأفغاني ويعرفها أهل اليمن. ثم بدأ يتكلم عن الجهاد الإسلامي في أفغانستان، فاشتكوه إلى رئيس الجمهورية.

أسد دم الأسد الهزبر خضابه موت فريص الموت منه ترعد
جف النجيع عليه وهو مجرد من غمده فكأنما هو مغمد

كان يحب مقابلة العلماء والمسؤولين لنقل الصورة الحقيقية عن مأساة أفغانستان، والواجب الإسلامي العظيم الملقى على عواتق المسلمين تجاه هذه القضية الإسلامية، فقد قابل الشيخ عبد العزيز بن باز أكثر من مرة وشرح له القضية، وكان يقابل الشيخ عبد المجيد الزنداني ويتردد عليه ويوضح له القضية وأبعادها وخطورة التهاون فيها.

خطبته:

خطب امرأة نسائه أخوها: أعندك شهادة؟ نعم عندي شهادة أن لا إله إلا الله، ثم سأله: ما عملك؟ فأجاب الجهاد، ثم سأله: ألك بيت؟ فأجاب: الجنة خير دار. وأنا لا أريد امرأة تسأل عن البيت، بل أريدها رفيقة سفر، تكون معي حيث سرت إلى أرض الجهاد، وقد كانت أمنيته أن يدخل زوجته إلى أرض المعركة.

غيرته على الجهاد الأفغاني:

كان لا يطيق أن يفتح شخص فمه بيّن شقة ينتقد فيه الجهاد الأفغاني، أو يلزم في جانب قادته، أو يشك في أصالته وإسلاميته، فكان يقصد لكل من يتفكك بنشر عيوب المسلمين، ويتسلى بذكر مآسيهم في أفغانستان.

إعجاب الأفغان به:

كان العقيد (بائنده محمد) أحد أركان الحرب لدى الجمعية معجّباً به، وكذلك القائد (عبد الرحمن) مسؤول راجمة الصواريخ الذي استشهد معه (سبع الليل)، فكان بائنده محمد يقول: (بسيار بهلوان بسيار ديلاور) شجاع جداً بطل كبير، وكم تأسف عليه هؤلاء، فيقولون يعاني يعاني بهزفت رؤوسهم حسرة وألماً.

جسور لا يروع عند هم ولا يثني عزيمته اتقاء

وأخيراً أصيب بدماغه وأغمي عليه مباشرة وهو بجانب راجمات الصواريخ في يوم الإثنين (١٢) شوال سنة (١٤٠٧هـ)، ونقل إلى مستشفى باراشنار، وقبل أن يصل إلى هناك انتقل إلى جوار ربه، وأمر الشيخ سيّاف به أن يدفن في سباني - هناك بجانب الشهداء يحيى وأبي عبد الحق والدكتور أحمد الفلسطيني، وفي موكب مهيب سارت الجنازة يشيعها الذين يعرفون سبع الليل ومن لا يعرفه من العرب وغيرهم، وهناك وارى التراب جثة أحمد، سار فجأة بعد أن أخذ قلوبنا، ومضى وقد نزل الخبر علينا كالصاعقة. فهل تلتقي -إن شاء الله- على الحوض ونشرب من بين يدي سيدنا محمد ﷺ شربة هنيئة لا نظماً بعدها؟ هذا في علم العليم الخبير وما ذلك على الله بعزيز فإنه جواد كريم.

رائحة دمه:

شهد الأخ أبو أحمد والأخ صالح اليمني (عن الطواغيت) أنهما استروحا رائحة المسك من دمه، وإن شاء الله - يأتي يوم القيامة: (اللون لون الدم والريح ريح المسك).

وصية الشهيد سبع الليل:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فإني أترك في هذه الورقة وصيتي للإخوان والأصدقاء، وأترك فيها نصيحتي إن كان هناك من يقبلها ألا وهي: أن على كل شاب مسلم أن يقف أمام الباطل، وأن لا يخاف في الله لومة لائم، وأن يجاهد في الله حق جهاده، وأن لا يطأطأ رأسه لكائن من

كان، لأن في ذلك مرضاة ربه، وها أنا ذا على باب من أبواب الله لا أدري ماذا سيكون الشهادة أم النصر، إنما سأترك هذه الوصية وذلك للاحتياط العام، وأقول فيها إن على الإخوة الذين هم في صنعاء الأخ محمد المؤيد وفي مكة الشيخ عبد المجيد الزنداني أن يستموا من الأخ قايد حمادي في باب السياح (١٧٨٠٠) سبعة عشر ألف ريال وثمان مائة ريال سعودي على أن يعطوا ثلث المبلغ للوالد والوالدة وكذلك لدي حوزة الوالد جنيية تقدر بثلاثين ألف ريال، وكذلك جنيية لدى القاضي محمد النزيبي، تباع هاتان الجنييتان ويرسل ثمنهما إلى المجاهدين الأفغان، أما المبلغ المذكور يستلم بواسطة أحد الأقرباء، وكما ذكرت أن يسلم ثلث المبلغ أو نصفه للوالد والوالدة، وبقية المبلغ يرسل إلى المجاهدين الأفغان.

هذا بالنسبة لي، أما بالنسبة لبقية الأسرة وعلى وجه الخصوص الوالد والوالدة أقول لهم إذا كتب لي الشهادة عليكم بالصبر وأن لا تجزعوا، ويكون يوم عيد لا يوم حزن، هذا وأسأل الله أن يتقبلنا بعفوه إنه سميع مجيب.

أحمد محمد مرشد الأحدي

أحقاً قضى أسد هرات؟

التحيد (صفي الله أفندي) (١)

في يوم السبت الخامس عشر من ذي القعدة سنة (١٤٠٧هـ) حيث أصيل الشمس يسكب على صفحات جبال (صدا) بريقاً ذهبياً، وبعد صلاة العصر بالضبط جلست أفندي لأبي صادق وهو يحدثني عن حاجات المجاهدين ويطالب بقضائهم.. وجرى فجأة على لسانه خبر نزل على فؤادي كالصاعقة، قال: لقد استشهد صفي الله أفندي في هرات. فما كادت أذناي تصدق ما أسمع، فاستفسرت منه عن الخبر -أحقاً- ما تقول؟ أم تراك سمعت إشاعة ترددت على بعض الألسنة؟ فعاد مؤكداً لقد استشهد (صفي الله)، ولم أتمالك دموعي الهاتئة التي غمرت عيني وحاولت أعصابي الكليّة أن تحتل هول النبأ الذي سمعت له كل أوتار النفس. ولكن ثقل الخبر على قلبي أضلّى على نفسي وجوماً موحشاً وحيرة مذهلة.

أحقاً نوى ذلك الغصن الرطيب الذي كان يضيء على هرات نضارة وبهاء وإشراقة ورواء؟ أحقاً مضى ذلك الأسد الهصور الذي ترهبه روسيا الأيام والشهور؟

كنت لهرات بفضل الله قلبها النابض، وشریانها الدافق، وظلها الوارف، ومعينها العذب الذي تنهل منه الأدب والرجولة والعز والشرف والكرم. فرحمك المولى عز وجل مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

نشأته:

في بيت عز ومحضن تربية ولد صفي الله سنة (١٩٥٤م) في مديرية غوريان التابعة لهرات في قرية -قيسان- وترعرع مع نيل محند، وأصالة معدن، وكريم عرق، فلقد سبقه على طريق الدعوة إلى الله شقيقه حفيظ الله أفندي الذي كون مع أخيه في الله سيد نور الله عماد بعون الله النواة الأولى للحركة الإسلامية في هرات.

كان كل منهما مشعلاً من مشاعل النور في جامعة كابل، وتخرج حفيظ الله أفندي من كلية الآداب -قسم الإعلام، وأقبلت أيام داود، وقررت الحركة مواجهة نظام داود بالقوة المسلحة، وكان أول من اعتقل من أبناء الحركة الإسلامية (سيد نور الله)، ثم ذهب الداعية الكبير (سيف الدين نصرت يار) إلى هرات، وأخذ يتنقل بين البيوت محرضاً الأمة على القيام ضد داود وخاصة القادة ذوي الاتجاه الإسلامي أو الذي لم يعهد منهم عداء لهذا الدين أو لأبناء الحركة الإسلامية.

وحمل المهندس حكمتيار راية الكفاح المسلح بعد أن اعتقل الأمين العام للحركة الإسلامية المهندس حبيب الرحمن، ونظم حكمتيار مجموعات تقوم بالهجوم على مرافق الدولة لتشل حركتها وتربك مسيرتها، فنظم مجموعة توجهت نحو بدخشان أميرها د. محمد عمر، وأخرى إلى لغمان تحت إمرة مولوي حبيب الرحمن، وثالثة بإمرة أحمد شاه مسعود إلى بنجشير. وكان حفيظ الله وأخوه صفي الله ضمن جنود أحمد شاه حين استولى على مديرية بنجشير وبقي فيها ثلاثة أيام يديرها، واستشهد حفيظ الله أفندي في (٢٩/٦/١٩٧٥م)، وكان صفي الله آنذاك في الحادية والعشرين من عمره، ولكنه رضع لبان الدعوة الإسلامية منذ نعومة أظفاره، إذ انضم إلى الحركة الإسلامية وعمره (١٧) عاماً، عشق العلياء وكانت الرجولة مع الإباء مما نهله من بيتهم وهو يحاول أن يتأسس

١- مجلة الجهاد العدد ٣٣، ص ١٤٠٧-١٤٠٨ أغسطس ١٩٨٧م ص ١٦.

خطى أخيه الشهيد الراحل، وواصل صفى الله مسيرة البيت الجهادية وجادته التربوية البناء، فقد تخرج من جامعة كابل- كلية العلوم، ثم حمل الراية التي بقيت مرفوعة بيده حتى خر شهيداً.

كارثة هرات:

وشهدت هرات المأساة المروعة في (١٥/٣/١٩٧٩م) أيام تراقي، إذ انتفض الشعب بتحريض أبناء الحركة الإسلامية، وكان لصفى الله القدح الممل في القضية، ووقف الجيش بجانب الشعب المسلم في هرات ضد الحكومة الملحدة العميلة، واستولى الجيش على جميع مرافق الدولة، وظهر جميع مؤسساتها من الشيوعية وأذئابها ومنتهضيها، وأقبل الشعب معبراً عن فرحته بهذا النصر المبين، وأقبل الدب الأحمر بأساطيله البرية والجوية وحول الأرض إلى براكين من النيران المشتعلة، وبقي يسحق هذه الجماهير المتجمعة حتى قتل في يوم واحد من أهل هرات (٢٥) ألفاً، وعاش صفى الله الكارثة المزلزلة بأعصابه ودمه، وصمم أن ينازل الطواغيت مهما جلت التضحيات، غلت الأثمان، وأخذ الناس يتجمعون حوله وفاء لنم أخيه حفيظ الله، ورمزاً لعهدهم بإجلاء الذين ابتدأوا المسيرة وأرسوا أحجار الأساس لميثاق الدم الغالي، وقد عين الأستاذ رباني صفى الله قائداً لعدة جبهات في هرات وأطلق عليها اسم أخيه الشهيد حفيظ الله أفغلي، وشارك في المسيرة أخوه (جكتوران) الرائد عزيز الله أفغلي الذي يكبر الإثنى سنّاً، ولكن صفى الله كان معط أنظار أبناء الدعوة ووجهة حماتها ومجمع الشم العرائن من مجاهديها.

رأيتك لو لم يقتض الطعن في الوغى إليك انقياداً لاقتضت الشماثل
كريم متى استوهبت ما أنت راكب وقد لقت حسرب فائك باذل

وسار صفى الله في هذا الطريق اللاحب الطويل لا يلتفت ولا يتردد، والمجاهدون خطوا رحالهم عنده، وألقوا بمقاليد الأمور بين يديه.

طبيعة هرات:

هرات مدينة أقيمت في سهل فسيح لا تجد فيها أكمة (تله) ولا أجمة (غابة)، والحرب العوان (الشديدة) التي دارت رحاها خلال هذا العقد في أفغانستان تحتاج إلى الجبال الشم التي تقوي المجاهدين، وإلى الغابات الكثيفة التي تواربهم وتستترهم عن أعين الحاقدين والمارقين يتحركون بين أذغالها وأشجارها، ولكن:

إذا لم يكن إلا الأسنة مركباً فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وفي داخل هرات يقيم قواعده ويبنى مراكزه، ينازل الروس صباح مساء، ويتملك الإنسان العجب وهو يرى هؤلاء الأبطال يواجهون الشيوعية في ميدان فسيح وسهل مكشوف لا ترعى فيه عوجاً ولا أمناً.

وكنّت وما زلت لا ينقضي عجبي من استمرار الجهاد في مناطق الصحاري وخاصة هرات وقندهار، وقد شهدت هاتان المنطقتان عبر السنين العشر العجاف أشرس المعارك وأشد المواجهات، وأقول دائماً: (لكم الله أيها المجاهدون وخاصة أبناء هرات وقندهار)، ففي هرات مديرية اسمها أنجيل فيها حوالي ألفي قرية يعجزك أن تجد بيتاً من بيوتها سالماً، ويصعب عليك أن ترى سقفاً قائماً على جدرانها، ومع ذلك فالمعركة مستمرة يقودها هؤلاء الشباب الذين نثروا أنفسهم لله.

وتزداد مشقة الجهاد بسبب الصحاري الشاسعة التي يضطر المجاهدون لقطعها لا ينتظرون إلا طائفة تباغتهم، أو دبابات تصادمهم أو كمينا في عمية الصبح يحصد عدداً كبيراً منهم، وقد يضل بعض المجاهدين في هذه المفاوز المترامية والقفار الواسعة فيهلكون جوعاً وعطشاً.

المجاعة:

قام الروس بهدم السدود المعدة للري، وقد شهدت هرات في الفترة الأخيرة سنوات عجاف، أقفرت الأرض، وأجذبت السماء وأمسكت قطراتها، وعم الجفاف، وعز الطعام، وصار الرغبة كالبرد لا يحظى به إلا القليل، وأخذ صفى الله مع جنده يكابد الجوع وينال المصصة، ونظروا إلى العالم الإسلامي فلم يجدوا يداً حانية ولا قلباً رحيماً، وانقلبوا ييئسون عن مخرج لسد مجاعتهم فلم يجدوا سوى بقايا الإقط الذي تبقى في السنوات الماضية من اللبن الجاف، وبدأوا يسكنون الجوع بالتهام بعض قطع اللحم، ولقطة

الخبز وانقطاع الأرز أصاب كثيراً منهم القرحة المعيبة، فجاءوا إلى بيشاور في هذه المرة يبحثون عن العلاج والدواء، واستطاع صفى الله أن يجتاز هذه المحنة بعون الله، ووصله في السنة الأخيرة بعض المساعدات التي خففت من المصاب.

استشهاد أصحابه:

واصل صفى الله مسيرته الجهادية، ونصره الله عزوجل، ذلك ينتقل من نصر إلى نصر، وعندما تلفت حوله لم يجد من الذين شاركوه المسيرة منذ بداية الطريق إلا القليل فقد سقط قبل سنتين ساعده الأيمن وركنه الأول قاضي عبد الرحيم رحمانى الذي كان يعد الأب الروحي والفقيه القاضى والداعية المربي، وحكم عز على استشهاد، واستشهد عبدالله جان الذي قتل شير آغا زعيم الميليشيات الذي فجعت بقتله روسيا، وقتل ماما عبد العلي والمهندس مير أحمد، وقبل عام تقريباً هجعت روسيا مجزماً كاسحاً على الحدود ككري وعلى ششما شيرين (العين خلوة) وكان قاسم ابن عم صفى الله قائداً فيها واستشهد قاسم فتقدم خليفة سبجان قائد الحزب الإسلامى وقال لصفى الله: (أنا جندي من جنودك، واعتبر أن قاسماً ممثلاً بي)، وجاء صفى الله وكان غائباً عن أرض المعركة، فجاء متحاملأ على نفسه، وعلم باستشهاد ابن عمه قاسم وسقوط قاعدته (ششماشيرين) بيد الشيوعيين، وأقسم بالله ليصلين العصر في ششماشيرين، وسار وحيداً مع طاهر من ككري إلى دواب، والبر بهذا القسم أمر دونه خراط القتاد، وبقي صفى الله يقاتل حتى دخل القاعدة وصلّى بها العصر، ولم يكن أمراً هيناً أن يتحدى القوة الروسية وينازلها في ميدان مكشوف.

استشهاد عتيق الله ابن عمه:

وعتيق هذا قد نذر نفسه على أن يصطاد كل يوم شيوعياً في أسواق هرات، وأراد والد عتيق الله أن تقر عينه بزواج ابنه، واشترت الحلويات، وجاءوا بها، وفي اليوم المحدد وصل عتيق الله شهيداً، ووزعت الحلوى فرحاً بالشهادة، وقد استشهد في دواب بعد نصر احتل به (٦) مراكز شيوعية وكان صانعاً.

دخول قزل إسلام:

قزل إسلام قلعة من قلاع الكفر اتخذها الشيوعيون مركزاً لإقامتهم وحصناً لحماية أنفسهم، فأقاموا فيها الخنادق والملاجئ الإسمنتية المستورة مع التحصينات الشديدة التي تجعل اقتحامها دخولاً في أهوال نار مستمرة لا تنطفئ، وقرر صفى الله مع محمد إسماعيل خان (القائد العام للجمعية) وخليفة سبجان قائد الحزب الإسلامى غزوها واقتحامها، وفي يوم واحد شدوا عليها شدة رجل واحد، وكان صفى الله في مقدمة المجاهدين الذين عبروا السراييب تحت الأرض يطهرونها من أرجاس الشيوعيين وأدناس أذنابهم، وبينما كان في أعماق الملاجئ المظلمة وهو يصيح بالكفار أن يسلموا أنفسهم وإذا بشيوعي يحمل رشاشه - يسأل من أنت؟ فقال: أنا صفى الله، فقال الشيوعي: خذ بيدي أسيراً فلان تأسرني أنت أحب إلي من أن بأسرني غيرك، وكان هذا قبل أربعة أشهر تقريباً.

استشهاد فقير أحمد:

وقبل شهر واحد استشهد ابن أخته فقير أحمد أحد قادة جبهات صفى الله رغم أن عمره لا يزيد عن اثنين وعشرين عاماً، إلا أن أشهر القادة في هرات يحترمونه، فإن فقير أحمد لا يشق له غبار، فإن زادت العين لهول الحرب تراه مع أدب رفيع وشجاعة منقطعة النظير وحماسة متفجرة، فرحمه الله وأسكنه قسيع جناته.

تواضع صفى الله مع شجاعته:

جلست إليه عدة مرات فكأنه تلميذ صغير مؤدب يجلس في حضرة مدرسيه، صامت لا يتكلم إلا بقدر، يصفى مطرقاً رأسه ولا يقطع محدثه، فإن سئل أجاب بقدر كلمات معدودة تود لو زادت لأنها تخرج من قلب فتنزل على القلب كأنها الروح والريحان، وضمنتنا ذات ليلة جلسة أنسة ملك فيها القلوب بحديثه العذب الساحر، ولشدة سيطرته على النفوس لم يتمالك أبو مازن نفسه فقام وخلع عليه عباءة البيضاء الثمينة الجميلة وشمله بها ثم طوقه بتراعيه حباً وإعجاباً، وقال أبو مازن: لا أملك أثنى منها أهديكه.

ومع هذا الحياء الجم والادب الرفيع كانت أسماؤه تتشقق من أسد عرين، ولشدة هيئته في الصدور فقد أعد له أعداءه كميناً، وعندما أقبل صفى الله عليه جمعت أصابع عنوه عن الزناد، وتقدم صفى الله وأخذ السلاح من يده.

سلاحي من عدوي:

كان يريد: أنا لا أريد مساعدة من أحد لأن سلاحي ونخيرتي مما أغتتمه من يد عدوي، وقبل أن يستشهد أرسلت إليه قريتان من الشيوعيين واستسلمتا له.
هذا وقد غنم خلال ثمانية أشهر في داخل هرات -في العام الماضي- مائتين وستين قطعة سلاح بين خفيفة وثقيلة، وهذه الكمية ليست بالقليلة في تلك المناطق.

إعجابنا به:

كان يختلس القلوب التي تخالطه، ويسحر الأبواب التي تصفي إليه، والعيون التي ترمقه، أقام الأخ سيد نور الله عماد على شرفه حفل عشاء حضره مجموعة من أبناء أفغانستان والعرب، فكان محل إعجاب الجميع، وحديث السامر في بيشاور، ولشدة إعجابنا به فقد توجت كتابي (عبر وبصائر) بصورة له.

شفاقيته:

كان معه أحد المجاهدين اسمه محمد التركي (من تركيا)، وكان لا ينظر إليه إلا ويقول: أنت (شهيد)، وكان حديث القلوب صادقاً مع القدرة، لقد استشهد (محمد التركي) ولحقه صفى الله بعد خمسة أشهر، وهناك تلتقي الأحبة - إن شاء الله-، وقد اتصل به سيد نور الله قبل استشهاده بأيام قائلاً له: لقد اتصلت بك مراراً فلم أجذك، فرد صفى الله: لقد كنت مشغولاً باستئجار الحمير لنقل مهمات الجبهة، فقال: سيد نور الله إن روسيا تنقل ذخائرها ومهماتنا بالطائرات وأنت تنقلها على الحمير، فقال صفى الله: سنهزم روسيا بإذن الله وطائراتها بحميرنا، ثم أضاف صفى الله: أنا أحس أن المنية قد اقتربت، وسأصل بكم إن شاء الله، وكان الشعور الذي يسيطر عليه أن أيامه تمر مثل لحظ البصر، وأن الدنيا سقطت نهائياً من عينه، وأنه لم يبق في العمر بقية، وأن رياح الآخرة تهب نسائهما.

أجرة بيته:

ومع هذا الصدى الواسع الذي تحدثه عملياته في المنطقة الغربية وتردها الأكسنة في كل مكان يحسب الإنسان أن أسرته تعيش عيش الطبقات المترفة، ويذهل الإنسان فاغراً فاه عندما يعلم أنه استأجر لأسرته مع أربع أسر أخرى تعيش معهم منزلاً بخمس مائة روبية (مائة ريال سعودي) شهرياً، تكسو جدرانه الأعقان والطحالب التي تنمو مع الرطوبة والتي تكاد تتحول إلى مستنقع، ففاتحنى طاهر بهذا الأمر وأشار عليّ بأنه لابد من استئجار بيت جديد لأسرته حتى لا تفترسهم الأمراض وينشغل بعلاجهم عن معاركه.

وقد قررنا له مصروفاً شهرياً واجميع الأسر التي تعيش في كنفه قدره ألف روبية (مائتي ريال سعودي).

ثم قال: أنا مريض وأخشى أن أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء، وسأسير إلى الجبهة لأنه من العار أن أموت على فراشي، سار إلى الجبهة ولم يعد إلا شهيداً.

وكم يدهش الإنسان أن صفى الله منذ ثماني سنوات وهو يصطلي بنار الحرب، وقلما يدخل معركة إلا ويكون في الصف الأول منها وفي خط المواجهة الساخن، ومع هذا كله لم يجرح جرحاً واحداً، لقد حفظ الله جسده طيلة سني المعركة ليواصلها وهو يتمتع بصحته ويحظى بعافيته حتى قبضه الله إليه.

وفي رمضان: حاول أعداؤه اغتياله فوضعوا لغمًا في سيارته، وتفجر اللغم ونجى الله صفى الله لأنه كان في صلاة التراويح! ثم أصلح السيارة نفسها -السيارة الحمراء- ليلقى بها مصرعه في الأجل المحدود وفي القدر الموعود.

وكانت الخاتمة:

أن كميناً أعد له في (١٩٨٧/٧/٧م) لأن أعداءه لا يجرون أن يواجهوه في ساحة الفزال، فلا بد من الدس والمؤامرة والاختفاء، فتربصوا به، وبينما كان في سيارته ماراً على طريق عام فاجأه أعداء الله بوابل رشاشاتهم، فانقلبت سيارته وسقط مخرجاً بدمائه.
ومضى البطل الذي زلزل الأرض من تحت أقدام الروس.

مضى القائد الداعية إلى ربه بعد أن خلف في كل قلب حسرة، وحق لكل مجاهد أن يذرف دموعه حزناً على صفى الله، وماذا على نساء آل أفضلي أن يسفنن دموعهن على الأسد المغوار (بون لطم ولا صراخ)، ولشدة بكاء سيد نور الله انتفخت عينه وكادت تنفجر.

سارت سفائنهم والنوح يتبعها كأنها إبل يحلبها الحادي

وختاماً ندعو الله أن يجمعنا في الفردوس الأعلى

فقدت نفسي وما ملكت يميني فوارس صدقت فيهم ظنوني

فوارس لا يهابون المنايا إذا دارت رحى الحرب الزبون

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

أسد هرات

شعر: شاعر طيبة

يا (شهيداً) قضى الحياة جهاداً
يا (شهيداً) روى الثرى بدماء
كم تباغت بك البطولات حقاً
أسد هرات قد قضى لهف نفسي
عاث في أرضه الكلاب فساداً
كان والله شعله من كفاح
زلزل الأرض تحت أقدام روس
و (صفى) وقته من جهاد
يقذف الرعب في قلوب الأعادي
واثقاً من نصره وهده
إنه الطود جراً وثباتاً
عقد العزم أن يحرق أرضاً
معه نجل الطفاة عبيداً
كم له من مواقف رائعات
قد بكت (هرات) حزناً عليه
هو في موته انبثاق فجر
لم تفارق عينه نضرات
وعلى ثغره ابتسامة بشر
وقلوب الشباب ذابت عليه
كلنا في معنة واعتراب
أحرام على بلبله النوح
كم شهيد على الجبال ندمى
يا (صفى) قضى الحياة كفاحاً
لا يبالي بعاديات الليالي
سوف أبكيك يا (صفى) وأبكي
ملء أعماقنا ينابيع حزن

والشباب الريان في العتفوان
أنت لحن الوفا وكهف الأمانى
وتغنت بساح الوفى بالتفان
كان والله فارس الميدان
وطفى الروس أيما الطفيان
ليس يقوى على احتمال الهوان
ثائر النفس ثورة البركان
يتعدى صولة العدوان
لا يبالي بطغمة الشيطان
شامخ الروح راسخ الإيمان
وهو رمز الجهاد للأفغان
نستها أرجل الجعلان
ودوس الطفاة كالفران
يتغنى بصدقها المشرقان
ويكت قبله (قاضي رحمن)
شيعته ملائكة الرحمن
وعلى وجهه دغيف الأمانى
وعلى صدره وسام التقانى
غمرتها عواصف الأحزان
ونعاني من همومنا ما نعاني
حلال لليوم والغريان
ينزف الجرح بالنجيع القانى
يزرع الرعب في قواد الجبان
يتحلى بقوة الإيمان
(شهداء) من كتائب الشجعان
فجرتها كوامن الأشجان

ذكره خالد بكل فؤاد والبطولات مله سمع الزمان
كلما لاح ذكره في خيالي طاوالت عزمتي قوى الكفران

في رحلة الخلود الشهيد عثمان (خالد الكردي) (١)

فقد كانت النفوس لا زالت متعلقة بمناسك الحج، أرواحها تطوف بالبيت بعد أن طافت أجسادها صور مواكب الحجيج من كل فج عميق لازالت عالقة في أذهانها، خيام منى، مسجد نمره، ومسجد الخيف، ومآذن المسجد الحرام التي تناطح عنان السماء، وفود الرحمن التي تتوق لسماع أخبار المسلمين خاصة قضية أفغانستان، كل هذه الأشباح والأرواح والصور لا زالت تسيطر على القلب والنفس والروح، فاتصلت بالدكتور أبي حذيفة في بيشاور لأسأله عن أخبار الجهاد والقوى الروسية وأتباء الإنتصارات، وإذا به يفاجئني نبأ استشهاد أخي خالد الكردي (عثمان)، ويعدّها بيوم أو يومين وإذا بالإخوة يخبروتنا بالهاتف وأنا لا زلت في البلد الحرام نبأ استشهاد سيد القلشي (عبد المنان) وسيد محمد عبد المجيد (عبد الرحمن المصري)، وهكذا سقطت أعمدة ثلاثة من حملة المأسدة.

واهتزت القاعدة لفقدان ثلاثة من أحجار الأساس الذي ترتكز عليها هذه القاعدة التي ضمت صفوة أبناء العالم الإسلامي، كان جرحاً عميقاً في أحشائنا وكلماً أليماً في أعماقنا.

لقد نكأتم جراحاً في جواتحنا وقد افضمتم دموعاً من مآقينا

وذكرني استشهادهم بمن سبقوهم على الطريق، وقلت في نفسي هؤلاء الذين بنوا هذا المركز بعرقهم ضمخوا تربته أخيراً بدمائهم.

مضى أولاً أبو الذهب، وجرح أسامة، ثم سقط هؤلاء الثلاثة دفعة واحدة، وكانوا ثلاث المأسدة (تراثها ومالها القديم)، وكانوا لها جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، لقد كانوا عمادها وتلاذدها وأثافيها، وهنا أردد.

أنأسو أم نقيم على الجراح ونرثي أم يمد من الفواح
ونشكوا بثنا أم قد كفانا بأن الرزء أكبر من فصاح
لقد جل المصائب فكسب رزتنا وبذء اليوم جل عن البواح

قلت سبحان الله، كان الثلاثة يريدون أن يتوجهوا للبيت العتيق فحالت دون ذلك مشاكل الطريق، كان الثلاثة قد أعدوا أنفسهم للزواج، فقد خطب عبد المنان، ونوى عبد الرحمن، وأما عثمان فكان يقول: الزواج فرض عين، وأنا لا بد أن أذهب لالتزوج ثم أرجع، (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة).

كم حاول الثلاثة أن يصلوا إلى بيشاور في رحلتهم نحو بلادهم للحج أولاً ثم للزواج، ولكن الله يختار لعبده خيراً مما يختاره لنفسه. أرادها سفرة ليطلقوا ظمأهم وشوقهم لبيت الله، فأبى الله إلا أن تكون السفرة النهائية، وبهذه الخاتمة المشرفة، والنهاية المشرفة وترجر الله أن تكون الجنة هي دار المقام في مقعد صدق في دار السلام مع رضا الله السلام.

أرادوها زواجا من امرأة من نساء الدنيا يتحملون على كواهلهم يون الزواج ونفقات العرس، فأبى الله أن يزوجهم -أن تقبل شهادتهم- إلا بأثنتين وسبعين من الحور العين. (فيهن خيرات حسان فبأي آلا ربكما تكليبان حور مقصورات في الخيام)، بلا مؤنة مكلفة ولا تكاليف باهظة هناك حيث (ما تشبهه الأنفس وتلد الأعين).

لقد ضاقت نفوسهم وصدورهم وهم يصدون على أبواب بارشمار يريدون أن يقضوا لبانة نفوسهم وينفقوا أمانيتهم، ولكن الله عز وجل يريد لهم مقاماً أميناً -كما نامل من الله ونرجو-، يلبسون من سندس واستبرق متقابلين على سرر مصفوفة.

لقد تمنوا أن يحضروا أيام التشريق في منى ليروا لحوم الهدي مشرقة (معرضة للشمس للمشرق لتجف وتحفظ) فكانت لحومهم هي الهدي في يوم الجمعة (١٢) ذي الحجة في آخر أيام التشريق يجمعها الله من حواصل الطيور ويطوى السباع.

وأنفس قد شراها الله صادقة أقوى من الموت والتشريد والألم

شباب في طهر الملائكة يلبسون أردية بشر، أحلامهم، أمانيتهم، خطواتهم، كلماتهم، تحمل في طياتها آلام أمة الإسلام وأمل.

أحلامنا الطهر لا رجس ولا كدر إذا نشأها الصبا رقت رياحينا

١- مجلة الجهاد العدد ٢٥ صفر ١٤٠٨هـ أكتوبر ١٩٨٢م ص ٢٢.

نظروا إلى الأمة الإسلامية تمزق أشلاء وتعمل بها مخالف الظلم، وتتناوشها الذئاب في كل مكان، فأنبأوا على أنفسهم أن يموتوا كما يموت البعير على فرشهم الوثيرة .

في مخالف الظلم من أكبادنا مزق وفي النيوب بقايا من أمانينا

شباب عشقوا الموت في سبيل الله كما جاء في الحديث الشريف [خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه بطير على متنه كلما سمع هبة أو فرجة طار إليها بهتني الموت مظانه] أي يبحث عن الموت حيث يظنه موجوداً فلا يسمع ضجة ولا صوتاً مخيفاً إلا وطار إليه بفرسه.

والآن تعالوا معنا نفتح صفحات من حياة كل شهيد من الثلاثة؟

الشهيد عثمان (خالد الكردي) فاتحة سجل الخالدين من أبناء طيبة:

في الأرض الطاهرة وفي الحرم المدني ما بين عير وثور (جبلين في المدينة) كان مسقط رأس خالد، شب وترعرع وهو يعيش الحياة الإسلامية، من خلال أكامها وتلالها، فهنا قرع، وهناك أحد، وما بين وادي العقيق وبطحان تتراعى صور الصحب الكرام في مخيلته، وكل ذرة تراب، أو شجرة نخيل، أو كثيب من كثبان الرمل يشير في أعماقه التاريخ المشرق الذي خطه رسول الله - ﷺ - وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم بعرقهم ودمائهم، فهنا قباء، وهناك قصر كعب بن الأشرف، ومنازل بني قريظة كلها تفتح أفاقاً عريضة أمام الداعية وكيفية تخطي عقبات الطريق وعقابيل المسيرة.

دخل خالد المدرسة حتى إذا وصل الثانوية صار يطرق مسامعه أصداء الرصاص وبوي المدافع التي ترد من بعيد في جبال الهندكوش فتقض مضاجعه وتورق أجفانه. وانتظرها لحظة العمر بفارغ الصبر حينما نفر أستاذه أبو البراء إلى الجهاد فخف ولحق به.

والتقيت بخالد في جاجي في رمضان سنة (١٤٠٥هـ)، فسألت عن اسمه فقال خالد، فقلت: بل أنت عثمان، إنه في حياء يذكرنا بسيدنا عثمان رضي الله عنه، على الفطرة الأولى التي فطر الناس عليها، بسيط تلمع البراءة في وجهه كأنها براءة الأطفال، فلا التواء ولا دس ولا خبث، وبعد رمضان أرغل عثمان في الداخل.

إلى خرد كابل:

وسار إلى جكري، وأمضى عدة أشهر ثم عاد إلى المدينة المنورة، ودخل معهد الجامعة، ولكن نفسه التي تنوقت حلوة الجهاد أتى لها أن تستطعم العيش بين جموع القاعدين حتى ولو كان في أرض طابة المباركة وبين أروقة الجامعة الإسلامية حيث ينهل العلم من خلال كتب التفسير والحديث، وبقي يتقلب على الشوك، عانت نفسه مخالطة الناس فأصبح غريباً بين أهله، واستأجر بيتاً قديماً يذكرك ببيت أبي ذر الغفاري رضي الله عنه واتخذ مقرأ لعزلة بعيداً عن صخب أهل الدنيا وأحلامهم، هارباً من تمنياتهم وأمالهم وكلامهم، جسده في مدينة المصطفى ﷺ وروحه تطيف ببغمان وكابل وميدان وجاجي.

بغمان هيبت الذكرى لواعجنا وأرخصت دمعها الغالي ماتينا

ولم يطق البقاء في المدينة، فخف للتغير مرة أخرى، وجاء خالد والشوق يحده إلى الجهاد مرة أخرى.

في المأسدة: ووصل خالد المأسدة بعيد إلى نفسه ما فقدت بعيداً عن ميدان الرجولة والإباء ولسان حاله يردد:

تاخرت أستبقي الحياة فلم أجد لمثلي حياة مثل أن أتقدما

فلسنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن عسى أقدامنا يقطر الدم

وأصبح عثمان كأنه شجرة من أشجار المأسدة أو أكمة من أكامها لا يحب فراقها.

حبه لاسم عثمان:

كنت أداعبه أحياناً قائلاً أنت عثمان أم خالد؟ فيجيب بل عثمان، هذا اسم أعترز به لأنك أطلقت علي، وكنت إذا رأيته ساهياً أحياناً أسأله أنت غاضب علينا يا عثمان؟ فيقول: معاذ الله أن أكون من الجاهلين. وإن سألته مسلياً: ألا تود أن ترجع إلى المدينة؟ فيجيب: كلا لن أترك الجهاد ما دمت حياً.

حب أبي عبد الله له:

كنت مع أبي عبد الله (أسامة) في معركة شوال، فكنا إذا اشتد اليأس وحمي الوطيس قال أبو عبد الله: أرسلوا لنا عثمان حتى يحرسنا ويصنع طعامنا، فكنا نحب أن يحرسنا ويكون على باب الغرفة التي نلوي إليها.

استشهاده:

نزل عبد المنان وعبد الرحمن ولم يرجعا، فأرسل أبو عبد الله مجموعة في أثرهما، وكان معهم عثمان لأنه عرف الأرض شبرا شبرا، وسار عثمان مع سعد مع د. صالح، وعندما وصلوا إلى مفرق طريق فتقدم عثمان، وما أن سار عدة أمتار حتى انفجر تحت قدمه نغم فقطعت قدمه وانبعج بطنه واندلقت أفتابه وجرح جرحاً بسيطاً في يده.

عن القرصة: روى الإمام أحمد والترمذي والنسائي الحديث الحسن: (ما يجد الشهيد من القتل إلا كما يجد أحدكم من القرصة).

أي أن الشهيد لا يحس بألم السلاح إلا كما يحس الذي لدغته نحلة، وهذا الذي جرى لعثمان، فعندما اندلقت أفتابه وطارت قدمه إلى منتصف ساقه أقبل الدكتور صالح يرد أمعاء إلى بطنه ويلفها ببطانية، وذرفت عينا الدكتور وهو يحاول لف بطن عثمان، فقال عثمان: لماذا تبكي يا دكتور؟ أنها جراح بسيطة في اليد، ولم يكن يعلم عن إصابة قدمه وبطنه ولا يحس بأي ألم فيهما.

أحب الشهادة ولكن بعد أن تشيب ناصيتي وعوارضي في الجهاد:

هذه الكلمات التي كان يريدها عثمان يهدى بها نفوس إخوانه من حوله.

وحمل عثمان ودمه ينزف، وبقي بكامل قواه العقلية حتى فاضت روحه الشريفة، وفاح المسك من دمه، ولقي الله وهو لا يعلم أن قدمه قد طارت وبطنه قد شق. ومضى عثمان بعد أن خلف في قلوب كل من عرفوه جرحاً غائراً.

دفن عثمان: وهناك في تبة الشهداء بثوي جثمان عثمان بجانب أحمد الزهراني ومحمد منير العتيبي وعبد الله المصري.

الشهيد عبد المنان (سيد القلشي) (١):

فالعين بعدكم كان حداثها سعلت بشوك فهي عور تدمع

النفس الرضية: دائم الابتسامة، لا تراه عابساً، وفي أحلك الظروف وأحرج المواقف وأحرج المواقف لا يفضب ولا تتوتر أعصابه.

نشأته: من بركة السبع (طوخ طبنشا) خرج هذا السبع وترعرع في المنوفية محافظته، ثم دخل كلية الزراعة وتخرج مهندساً زراعياً، ثم توجه إلى البيت الحرام، ومن هناك بدأ يفكر بالجهاد ويأرض أفغانستان، ويسر الله له السفر إلى أفغانستان فوصلها قبل ثلاث سنوات.

من أخلاقه: كان يكره ضياع وقته سدى، كان دائم المطالعة في كتب الجهاد وفي كتب ابن القيم وابن تيمية، وكان الكتاب لا يفارقه في حل ولا ترحال، فإن أقام أقام في مكتب الخدمات فهناك الكتب الخاصة بعبد المنان، وإن ذهب إلى الجبهة اصطحب كتبه معه، ويعوزه أحياناً بعض الكتب فيرسل إلى وأنا في صدى يطلب: زاد المعاد المجلد الثالث والمغني المجلد السابع (الأجزاء التي تتكلم عن الجهاد)، وكان هذا قبل استشهاده بأقل من شهر، وهذا آخر عهدي به في هذه الدنيا.

يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يكره الغيبة ويمقت النميمة، تراه إذا اغتیب أحد إخوانه أمامه تمعّر وجهه غضباً.

قيام الليل وصيام التافلة: كان عبد المنان يتناوب مع سيف الله على إمارة الزكويك، وكان الشيخ تميم في مجموعة الزكويك، فيقول كان يداوم على صيام الإثنين والخميس ويقوم الليل بعد الحراسة.

عقد قرانه: عقد قرانه غيايباً وكان يزعم السفر إلى الإسكندرية بك زوجته من أجل أن يبني (يدخل) بزوجه ويصطحبها إلى أرض الجهاد.

إحساس وشغالية: يسمع أبو عبد الله أصوات الدبابات فيحرك عبد المنان وعبد الرحمن نحر الهدير، ويمر عبد المنان بأسد الله السندي فيسأله أسد الله متى ترجعون؟ فيجيب: لن نرجع إن شاء الله.

والإحساس بقرب الشهادة كثيراً ما حدث به الشهداء، فهذا أسد هرات صفى الله أفضله الذي استشهد في (١٩٨٧/٧/٧م) عندما دخل السيارة قال للجالسين فيها إني أشم رائحة غريبة لعلها رائحة الجنة، رائحة الشهادة، وفعلاً كانت الشهادة التي أعدها الله بعد ساعات من شم رائحة الجنة، وهذا يخلق بنا فتنة في أذهاننا قصة أنس ابن النضر يوم أحد إذ يقول لسعد بن معاذ (واها يا أبا عمرو الجنة، إني لأجد ريحها من نون أحد)، وهذا الذي حصل مع شهيدنا الثالث: عبد الرحمن أمير المأسدة (سيد محمد عبد المجيد) إذ يرسل إلى أبي محمود رسالة يطلب فيها أشياء قائلًا في الرسالة: (احتملنا يومين فقط ثم تسترح منا) ومضى عبد الرحمن بعد يومين إلى ربه.

شهادة عبد المنان وعبد الرحمن:

سار الأخوان يقتحمان الموت ويقتربان من أم الخنادق (مركز كبير للشيوعيين).

الناظرين بأعين محمرة كالجمر غير كيلة الأبصار
يتطهرون برونه نسكا لهم بدماء من علقوا من الكفار

وانطلق صوت من جهاز اللاسلكي، صرخ عبد الرحمن قائلًا: (دابة دابة سقط عبد المنان ثم اختفى الصوت).

وحرار الإخوة في تفسير ما وقع، هل وقعا أسيرين؟ أم سارا شهيدين؟ وأخذ الإخوة يبحثون عنهما، وأخيراً وصل الإخوة قرب حقل الأنغام الذي سقطا فيه، لقد كانت جثة عبد المنان قسمن، وأما عبد الرحمن فلم يعثروا إلا على قفصه الصدري، لقد كانت الأنغام عديدة مشرقة ببعضها.

وصية الشهيد عبد المنان :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى والديّ الأعزاء ... إلى إخواني هدى وزينب ويسرية- إلى إخواني محمد وسليمان .. إلى جميع أفراد العائلة إلى الإخوة ممن عرفتهم ويعرفونني-

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد عشت فترة جاهلية مضت من عمري اثنين وعشرين عاماً كنت خلالها أصلي بعض الفترات، وكان الوالد دائماً يقول لي خلالها ان لم تصل لا تأكل ممي، رغم أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب إلا أنه يحب الإسلام، ودائماً يحافظ على الصلوات، صرت أتخبط من الشيطان، وصراع عميق بين الدين واللادين، والحمد لله الذي هدانا للإسلام .

جاء وقت الهداية وهو وقت العشاء من يوم الأربعاء (١٨) رمضان (١٣٩٨هـ) الموافق (١٩٧٨/٢٢م)، كنت أجلس مع بعض الشباب، أحدهم قال قم فصل معنا إنك لم تركع لله ركعة، سخرت منهم ومن قولهم، واستهزأت بهم، وانصرفوا هم في الحال وتركوني في صراع مع نفسي، أيهما أصبح الدين أو اللادين؟ الانحلال الخلقي الذي يعيشه الشباب أم... أم... تساؤلات لم أجد لها إجابة، غير أن الله في السماء والعباد خلقوا لعبادته... فأسرعت خلفهم أناذيتهم حتى وصلت المسجد والكل ينظر لي نظرة تعجب، تحملت ذلك وبدأت أبحث وأقرأ عن الإسلام الذي كنت بعيداً عنه، قرأت كتاب فقه السنة، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقتها شعرت بقيمة المسلم وقيمة الإسلام، ولا حياة لنا إلا بظهور هذا الأمر، وكلم حديثي نفسي عن الجهاد قبل أن أعرف أفغانستان من خلال قراءة كتب السيرة والبكاء لما حدث للرسول ﷺ أثناء الغزوات والصحابة الكرام، فهم قدموا للإسلام الكثير، ولم نقدم شيئاً، ضحوا بأرواحهم ولم نضحى بشيء، مع ذلك نقول سيففر لنا، وغلبت علينا أمانتي المفقرة، والآن ونحن في وقت أصبح المسلم ذمياً منبوذاً مقهوراً... لماذا؟ لأنه يقول ربي الله ويدعو إلى الله، أصبحت حياة المسلم ليل نهار وصباح مساء فتن تلاحقه كي تصرفه عن دينه القيم، حب الذات، الماديات، الشهوات، ضيق ذات اليد، اضطهاد حكومي، فهي خلاصة القول فتن الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويسمي كافراً ويسمي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من دنيا زائل، نسأل الله العفو والعافية .

أمي الحبيبة ست الحبايب، والذي الحبيب: أقول لقد عشت بينكم لا أحمل هم شيء، كانت حياة شبه مدالة، ثم عرفت قدر الدنيا وقيمتها فماذا بعد الدنيا؟ الموت يرضى عنا به الله رغم ما حملنا من أوزار اكتسبتها أيدينا ..

المسلمون في سجون الطواغيت رؤوس الشياطين ولا أحد يسمع بهم، ولا أحد يفكر فيهم بالدعاء لهم إلا من رحم الله، إذا كانت العاطفة تتحكم فينا كي نخذل دين الله فتباً لنا وسحقاً لنا ويطن الأرض خير لنا من ظهرها، وليستبدل الله قوماً غيرنا يكونوا أهلاً لنصرة دينه .

أمي عليك بالصبر والفخر حال استشهادي، فإنتني لم أمت بل حي أرزق عند الله، بعث دنياي واشترت بها الآخرة، أذكر أول مرة خرجت فيها من مصر عام (١٩٨٣م) في إبريل كان الهدف الأول منه ليس اكتساب الرزق فقط، بل كان طاعوت مصر السابق يقوم بحركة استدعاء للجيش للحشد على حدود ليبيا للقتال، وكنت ممن استدعي لهذا، ففرت بديني ولم أخبر أحداً، فحياة المسلم الذي يحب الله لا يعرف أحداً فهو دائماً في حالة استعداد للرحيل عن الدنيا الفانية لأنه عرف قدرها، لم يعيش بها كأنه خالد فيها و .. مرت أيام كنت أخاف النوم ليلاً .. وأخيراً اخترت لنفسني الطريق ألا وهو أفغانستان بغية كل مسلم يخشى الله ويأع نفسه له ولنصرة دين الله، سافرت مرة واستهوتني الشياطين بالتخطيط فيها وفي رجالها الذين لم أعرف قدرهم إلا بنزولي أرض مصر، وجدت اللوم من إخوة لنا في الله سواء باللسان أو بالعين وكانهم شكلوا لي محكمة .. عفوك يارب أين غيرة المسلم لنصرة دين الله؟ أين شعور المسلم تجاه إخوة له شرد أبناؤهم وانتهكت أعراضهم أيعقل هذا؟ !

قررت السفر كي أكون ضمن الركب: يحيى الحبيب، عبد الصمد، عبد الوهاب، سعد، حمدي البنا الحبيب، أبي دجانة الذي عرفت فيه أصالة وصدق وإخلاص المسلم لله عز وجل، فمثل هؤلاء ومن سار على دربهم بأع نفسه لله عز وجل.

حتى لا أطيل عليكم أقول إنتني أبرأ إلى الله من كل فعل تقطونه يخالف الشرع والدين حال وصولكم الخير باستشهادي إن شاء الله، وعليكم بالاسترجاع وتربية الأطفال على حب الإسلام والالتزام به والعمل بأوامره واجتناب نواهيه، وعليكم بأفضل الذكر وهو القرآن العظيم دواء القلوب وشفافها، وكثرة الاستغفار والترحم والدعاء لي، وجزاكم الله عنا خير الجزاء، وأرجو السماح والمغفرة لي إن كنت قصرت في حق والدي، وأدعو الله أن يجمعني بكم في جنة الخلد إنه سبحانه جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين - وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمي كان بوذي أن يجعلني الله سبباً لك في أداء فريضة الحج لتبسي شيئاً من العرفان بالجميل إن لم أعطك قدرك، ولكني أدعو الله أن يجمعنا بالجنة.

ابنكم الشهيد

السيد أحمد سليمان القلشي

الشهيد عبد الرحمن المصري (سيد محمد عبد المجيد) (١)

فهو سيد حقاً، من مرسى مطروح، حياء مع رجولة، عمل دائب ولسان صامت، خلق رفيع وأدب جم، وصل إلى حدود روسيا إلى تخار مع أبي الذهب وذبيح الله، وعاد إلى نجرهار حيث اشترك في محاولة صد الهجوم عليها، ثم انتهى به المطاف إلى المناسدة، ما كان يفارق المناسدة (المركز الجديد) إلا لماماً، أحد الأعمدة الخمسة التي بنيت عليها المناسدة.

أمير ولكنه لا يأكل إلا من فئات إخوانه، يصنع الطعام ويأمر بالاكل، ولكنه ينتظر ريشاً يشبع إخوانه ثم يأكل.

الحياء: كان يكلمني مع إغضاء النظر إلى الأرض أدباً وحياء، قلت له إن هجمت القوة ماذا تصنعون؟ قال: لا انسحاب ولا تتقدم الدبابات إلا على جثتنا.

وكان لا يقابلني إلا ويبيش في وجهي، لاتلمس منه ملأً رغم كثرة العمل، ولا ترى عليه سائماً رغم وحشة الجو وقساوة الظروف:

ومنه تطل سباع ضافرة ولا تمشي برأيه الأراجيل

وهكذا مضى الثلاثة إلى الله، وفي مثل لحظة البصر مضى إلى الله بعد أن بلغوا بدمائهم دعوة الله، وخطوا بنجيهم تاريخ الإسلام الحديث، وقد كان بإمكانهم أن يعيشوا كما تعيش الجماهير التي تتمتع وتاكل وهمها ثوب أو رغيف، وكان بمقتورهم أن يجروا أماكنهم بين صفوف الذين ينتظرون حزمة البرسيم أو قطعة القماش أو لقمة الطعام، ولكن كم كانوا يخسرون؟

(كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير: معنى زهامة الحياة بلا عقيدة، وبشاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الظلمة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد) سيد قطب انضلال (٣٨٧٤/٦).

إن دم خالد قبل أن يسقط على الأرض قد جرى في عروق الأمة الإسلامية التي كانت تجف فأعاد إليها الحياة.
وإن أنفاس عبد المثنان الأخيرة قبل أن يلفظها قد انتقلت إلى جسد الأمة الذي كاد يموت فيعيد إليها أنفاس الحياة.
وإن روح عبد الرحمن التي فاضت في جاجي دبت في جثمان الكثيرين فأعادت إليها الروح بعد أن كانت هائمة لا حراك فيها.

وصية الشهيد عبدالرحمن:

بسم الله الرحمن الرحيم

أبي وأمي وإخوتي: سلام الله عليكم جميعاً، أودعكم لكي ألحق بمجموعة الشهداء بالفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، أسأل الله أن يجمعني بهم بحسن الظن بالله ... وإنها بشرى لكم أنكم ستجدون شهيداً يشفع لكم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون (يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه)، وأرجو أن تسامحوني على عدم إخباركم بذهابي إلى أرض الجهاد، وإنما قد أمرني الله تعالى وأمر كل مسلم مؤمن بالجهاد، فقدمت إلى الله ... رضي الله عنكم، وأسأل الله أن يجمعنا في الجنة كي تعرفوا سبب إسراعي إلى الجهاد ... ولا تنسوا أن تدعوا لي دائماً بالمغفرة والرحمة والله الوكيل.

والدي العزيز: أرجو أن تعطي أخي مجدي عشرة جنيهات ثمن إيجار الفيديو، وأن تقول لعبد الحكيم أن يسأل جمعة مفتاح كم يريد مني، ويعطيه حوالى (٣١٢) جنيه ... وأرجو أن تسامحني على تقصيري في حقوقكم كثيراً، وخاصة أنت يا أبي، فقد عرفت فضلك وتعبك معي وعلى عندما تركتك، وكذلك والدتي الحنونة عرفت قدرها وتعبها عند الفراق، ولكن ربنا يسامحني ويغفر لي على تقصيري معكم، كذلك إخوتي الأحباء وحنيتهم الخفية هدايم الله جميعاً وجعلهم من الصالحين ...
أرجو ألا تحزنوا، بل افرحوا، ولا تصنعوا شيئاً مخالفاً للسنة، وقولوا إنا لله وإنا إليه راجعون، حفظكم الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إبتكم/ عبدالرحمن المصري

معك أهل القرآن هشام وزكريا الفلسطيني^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، ففي المسجد حيث الدعاء بعد صلاة العصر قد توجه إلى الله من قلوب ضارعة إلى ربها أن يتقبل، ومن نفوس مخبة إلى خالقها أن يثيب، وكانت الأفتدة لا زالت تعيش محقة في الأجواء تحاول أن تعيش مع الشهداء الذين سمعت قصصهم العجيبة في خطبة الجمعة قبل ثلاث ساعات، وإذا بأبي عمار اليماني يقبل من بعيد ولا يزال تقع (غبار) المأسدة يغطي وجهه يتأبط حقيقته التي لا تعرف لها لوناً تحمل معها طين المأسدة وغبار الفخار وحل الرباط الحبيب، وهوى الخبر المروع الذي هز النفوس من أعماقها: لقد استشهد اثنان من إخواننا إثر تفجر مدفع الهاون بهما وجرح أخ ثالث، وأمسكت النفوس بأنفاسها، وقبل أن تلتقط لهاثها قال: استشهد حمزة اليمني وأبو مصعب الفلسطيني (الطائفي) وجرح سياف المصري، واستغرب الإخوة الذين لديهم علم عسكري، كيف يتفجر الهاون؟ لا بد أن يكون هناك خطأ في تقييم القذيفة، فرد أبو عمار: لا بل أنا متأكد أن وضعها صحيح، وأنا كنت معهم مع صابر، ويأتي أخ آخر ليؤكد أن مدفع الهاون المصري قد انفجر في جاجي ميدان وفي خوست وفي ماروا، وهنا بدأ الإخوة المختصون يراجعون الحسابات، لعلها مقصودة أن يلقى في السوق مجموعة من قذائف الهاون لتفجر بأصحابها، وأول ما طاف في مخيلتي وتبادر إلى ذهني سؤال يلح على كل من يسمع القصة، ما حكم من انفجر به سلاحة؟ أو قتل نفسه خطأ في أرض الرباط أو الجهاد؟ وقد كان الجواب حاضراً في نفسي: وهو قصة عامر بن الأكوع في خير.

وقلبت صفحات البخاري ومسلم لاستخرج قصة عامر التي رواها الشيخان: فقد كان عامر شاعراً وشعره حذاء للركبان ورواية البخاري في قصة عامر يرويها أخوه الصحابي الجليل البطل المغوار سلعة بن الأكوع، فيقول رضي الله عنه: (خرجنا مع النبي ﷺ إلى خير، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا هنيهاتك، وكان عامر رجلاً شاعراً، فنزل يحدو بالقوم يقول:

١- مجلة الجهاد العدد ٢٦ ربيع الأول ١٤٠٨هـ نوفمبر ١٩٨٧م ص ٢٠.

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فقال رسول الله ﷺ: من هذا السائق؟ فقالوا: عامر بن الأكوع، قال يرحمه الله، قال رجل من القوم قيل أنه عمر وجبت يا نبي الله لولا أمتعتنا به، فأتينا خير فحاصرناهم... فلما تصاف القوم كان سيف عامر قصيراً، فتناول به ساق يهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركية عامر، فمات منه، قال: فلما قفلوا قال سلمة: رأني رسول الله ﷺ وهو أخذ بيدي قال: ما لك؟ قلت له: فذاك أبي وأمي زعموا أن عامراً حبط عمله، قال النبي ﷺ: (كذب من قال: إن له لأجرين، وجمع بين إصبعيه، إنه لجاهد مجاهد، قل عربي مشى بها مثله) مختصر البخاري - التجريد الصحيح - رقم (١٦٤٤)، والنووي - مسلم - (١٦٧/١٢).

أو قد سمعت شهادة النبي ﷺ لعامر بن الأكوع - أخي سلمة - الذي قتل نفسه خطأ: إن له لأجرين... إنه لجاهد مجاهد، أي مجاهد جاد في طاعة الله والغزو في سبيله.

وقد اتفقت نصوص الأئمة الثلاثة المالكية والشافعية والحنبلية على أن قاتل نفسه خطأ في أثناء القتال لا يغسل ولا يصلى عليه، وهو كمن قتل بيد الكفار، قال المالكية في حاشية الدسوقي (١/٤٢٦): (لا يغسل شهيد معترك ولو قتل بدار الإسلام... أو داسته الخيل، أو رجع عليه سيفه أو سهمه، أو تردى في بئر، أو سقط من شاطئ في حال القتال).

قصة الاستشهاد:

والآن دعنا ندع أبا عمار اليماني - شاهد العيان - يكمل قصة الاستشهاد ويروي لنا آخر ما شهد من مشاهد هذين البطلين في هذه الحياة.

يقول أبو عمار: كنا أربعة نطلق قذائف الهاون على مركز العدو، وكان أبو مصعب الفلسطيني يلقي الهاون بالقذائف، وكنت أناؤه، وكان حمزة اليماني (مشام بن الدكتور عبد الوهاب الديلمي) يمسك بأرجل الهاون، وفي القذيفة الخامسة بالضبط وبدلاً أن تنطلق على مراكز العدو تفجر المدفع ذاته، وحمل أبا مصعب الفلسطيني وألقاه على بعد مترين أو ثلاثة حيث أسلم الروح لخالقها وعلى الفور، وأما حمزة اليماني فقد مكث عشر دقائق ثم قاضت الروح الطاهرة إلى مولاها، وجرح سياف المصري.

رائحة المسك:

ولفت أبا مصعب الفلسطيني ببطانية، وبدأت رائحة المسك تفوح في الأرجاء، ويقسم أبو عمار عدة أقسام أنني لم أرح (أشم) عرفاً (رائحة) أطيب من هذه في حياتي ولعمرة الثانية، إذ كانت الأولى هي التي استنشمتها من دماء خالد الكردي الذي استشهد في (١٢) ذي الحجة قبل شهر تقريباً.

دماء الشهداء حياة شجرة الإسلام:

وعدت لأحمل حمزة اليماني الذي يسكن سويداء قلبي، والذي ملك حبه عليّ نفسي ومشاعري وشد إليه إحساسي وأنفاسي، حمزة الذي عرفته في صنعاء، وكم طعمت في بيته وهو صائم، وكم تعلمت منه ومن والده! رائحة المسك تعبق مسكاً في الأرجاء، وفاح الطيب، وطاب من طيب الدم المكان كله، ووقعت قطرة من دم حمزة على قميصي، وأخذت الرائحة طريقها إلى أنوف كل الحاضرين، وصرت أشهد كل من أرى على طيب رائحة الدماء الزكية التي روت أرض المأسدة لتروي بدورها عروق شجرة الإسلام التي كانت تجف عندما انقطع رواقها بانقطاع ماء حياتها وهو دم أبنائها.

ثم أوصلت سياف إلى المستشفى (بارشمار) وعدت في الثامنة مساءً إلى المأسدة والكل يتحدث عن الدماء الزكية والأرواح النقية.

الكل يلهج بذكر رائحة المسك، وأصبحت القضية من المسلمات لدى العرب والأفغان، ولا يناقش في صحتها انسان، لأنها تتكرر فلم يعد لمنكر مبرر، ولا لعلماني محيص أو مهرب.

وفي الصباح عدت إلى اليرموك الموقع الذي استشهد به الأخوان، وغسست إصبعي في دماهم، لا زال الدم سائلاً لم يجف، ولا زال المسك عبقاً لا ينفد، وصار أحمد البيشي وجنود اليرموك يرددون ويذكرون طيب الدماء وطيب الأشلاء، وانهال الثناء، وضربت الأكف بالرجاء إلى فاطر الأرض والسما أن يتقبل الشهداء، وأن يلحق بهم الأحياء، فعن الشهيدان؟

الشهيد هشام بن عبد الوهاب الديلمي:

من عائلة يمانية، وفي بيت علم ودين ودعوة وأدب ينبت هشام، فقد ولد في الطائف حيث يسكن والده، وقد تلقى والده العلم في جامعات السعودية، والدكتور عبد الوهاب سكن جدة فيما بعد فلتقى ابنه دراسته الابتدائية والإعدادية في مدارسها، وحرص والده أن يحفظه القرآن الكريم فأدخله حلقات القرآن، ثم نال الشيخ عبد الوهاب شهادة الدكتوراه وعاد إلى مسقط رأسه ليأخذ دوره أستاذاً في جامعة صنعاء لتربية الجيل، وعاد هشام مع أبيه ليواصل دراسته الثانوية في المعهد العلمي في صنعاء، وفي أثناء الدراسة جاء ليشترك بنفسه في الجهاد الأفغاني.

كان في الثامنة عشرة من عمره عندما أقبل في السنة الماضية، وتوجه شطر خوست وجاردين، وكان معه بعض أقرانه وأترابه (أجياله)، فلم يطبقوا ما أطاق، وعادوا أدراجهم، وصعد هشام ثم عاد لينهي الثانوية العامة.

شاب في عمر الورود ولكنه ثقيل في ميزان الناس، كبير في أعين العقلاء، لا يتكلم إلا بقدر، ولا يخف إلا للخير.

قال لي أقرانه: لم نجرب عليه سوماً، وليس في صفحاته المشرقة صفحة واحدة مظلمة أو غائمة.

أخلاقه ناصعة، سلوكه نظيف منذ الصغر، يعلم الناس القرآن في مسجد التقوى-صنعاء، يرثب الرحلات الإسلامية ويديرها ويحث عليها ويدعم في تشجيعها من مصروفه البسيط.

وصدق أبو الدرداء (إنما تقاتلون بأعمالكم) وصدق الله عز وجل قبل أبي الدرداء (ويتخذ منكم شهداء)، فالقضية اختيار واصطفاء، والذي يختار هو الله علام الغيوب المطلع على القلوب (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير).

وأما والده فمن ذا الذي لا يعرف الدكتور عبد الوهاب الديلمي من أهل اليمن؟

متشابهي رزع النفوس كبيرهم وصغيرهم عف الإزار حلائل

اللقاء في حج سنة (١٤٠٧هـ): والتقيت به قبل شهر في الحج وقال: إني قادم إليكم، ثم ألقيت محاضرة في مخيم يماني فالتقيت به مع والده، فقدم أحد الإخوة والده لي قائلاً: أوما تعرف الدكتور عبد الوهاب؟ رجل مجاهد، فقلت أنا أعرفه وأعرف ابنه المجاهد، وأشارت إلى هشام الذي كان بجانبه.

وأقبل بعد الحج، والتقيت به في (صدا)، فقال لي أنا متوجه نحو المأسدة لأنك تعلم أنني تدرست وتربيت في العام الماضي، سار إلى المأسدة وكانت آخر النظرات التي ودعت بها هذا البطل الكبير.

رؤيا واستشفاف:

قال لي أبو عمار وعبد الله اليمانيان: لقد أخبرنا قبل أيام أنه سيستشهد لأنه رأى في المنام ذلك، ثم أوصاهم وكتب إلى أبيه هذه الكلمات التي وجدتها في حقيته: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) اللهم اجعلنا منهم، والذي الكريم: بعد أن رأيت في منامي هذه الليلة أنني أودعك فلمست أنني مودع هذه الدنيا بأكملها، ومقابل ربي -إن شاء الله- وفي البداية وصيتي هذه: أرجو منك والذي الكريم أن تسامحني وتدع لي بخير، وإني لئن شفعتني الله في أحد من أهلي لأجعلك أول من أشفع لهم.

مناجاة النفوس:

ومضى هشام اليماني يتبع هشاماً الأردني، وسألت نفسي أين الزهراني وأبو الذهب وعبد المنان وعبد الرحمن وخالد الكردي أين الذين بنوا المأسدة على أكتافهم؟ أين الأوائل من سكانها؟ لقد مضوا، ورددت بيت أبي الطيب:

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت ومنك أوائل

فقد خلت المأسدة من بناتها الأوائل، وأقفرت منهم، ولكنها عامرة بذكرياتهم، ثم سألت نفسي: أين أنت من هؤلاء يا نفس؟ أخشى أن تحرمي من منازلهم التي وصلوا إليها، وبكل سيرك ويتقل خطوك في الوصول إلى الشأن العظيم الذي نالوه، ولكنني أعزي نفسي أنني تشرفت بمعرفتهم وجددت حياتي بشبابهم:

أحب الصالحين ولست منهم لعلني أن أنال بهم شفاعاة

شهادة وشهادة

أحقاً قضي ذلك الفتى الفضل (هشام)؟ (١)

الآن عرفت لماذا كان يلح علي في الاعتذار، كلما كنت أعاتبه على كثرة تغيبه عن الدراسة في المعهد... أقول له: يا هشام... اتق الله إنك أمير فصلك... والطلاب يشكوكك كلما وبخت أحدهم أو قاصصته... من ينضبط في الفصل إن لم ينضبط الأمير؟ وكان يقول لي: يا أستاذي، (أنا مريوش جداً) يقصد مشغول، أريد السفر إلى الخارج وقد لا أرجع إذا حصلت على تأشيرة... وأنت تعرف أنها تحتاج إلى سمي وجهد ما بين السفارة والجوازات والخارجية... وأقول له: حيرتني يا هشام... إلى أين تريد السفر؟ فيقول لي: سامعني يا أستاذ... فإذا وقعت في الحصول على التأشيرة ونهيا السفر سأقول لك، وبقيت محتاراً بين كثرة الكلام عليه من زملائه واعتزاني به وثقتي بصدقه...

وتمر الأيام ولا يسافر هشام... وأفتقده حيث كان يمر عندي يوماً لياخذ الإذن بالغياب... ثم تكتيني عنه شكوى ثانية من زملائه... هشام يتغيب عن الحصص الأخيرة باستمرار... فأبحث إليه وأسأله: فيجيب بحرارة تشعرك بعمق إيمانه وبجدية لم أعهد لها في أقرانه: (لا أستطيع يا أستاذي أن أسمع الأذان وأبقى جالساً في مقعدي وتفوتني صلاة الجماعة).

وتنتهي السنة الدراسية، ويحصل هشام على شهادة الثانوية العامة، وأبحث عنه فإذا هو هناك على ذرى الهندكوش، وسريعاً سريعا كأنه على موعد مع شهادة أخرى لا تعدها شهادة في الحياة، رحمك الله يا هشام، ونسأل الله عز وجل أن يلحقنا بك، وأن يمن علينا بالرضى والسكينة، وحققاً يا هشام: من خان (حي على الصلاة) يخون (حي على الجهاد)!!

أبو مازن

والد الشهيد هشام - الدكتور عبد الوهاب الديلمي - يتحدث للجهاد (٢)

الجهاد: نرجو إعطائنا فكرة عن الشهيد هشام.. عمره، دراسته، تربيته.

د. عبد الوهاب: الشهيد هشام ولد في يوم عيد الفطر من عام (١٣٨٩) للهجرة، وتوفيت أمه وهو في سن الطفولة، فتنقل في صغره في أيدي الحواضن، وفقد حنان أمه وعطفها اللذين لا غنى عنهما للطفل. فلما أوى إلي بعد أن تزوجت، وبعد أن بلغ السابعة من عمره أدرك من حناني عليه وعطفي وحببي مالم يجده عند غيري، وكان بعد ذلك إذا سئل أي الأماكن التي تنتقل فيها أفضل، يرد قائلاً: المكان الذي أكون فيه مع أبي.

وبما يلفت النظر إليه أنه أصيب وهو في مرحلة الرضاعة وفي عهد أمه بعرض كاد أن يلفظ فيه أنفاسه الأخيرة، ولم يعد لنا أمل في حياته، ولكن الموت والحياة بيد الله، فقد شاء الله سبحانه أن يموت شاباً جلدأ قوياً مجاهداً في سبيل الله تعالى.

وكان من سمات هشام منذ الطفولة الحياء الذي كان محل غرابة عند كل من عرفه، فقد كان إذا رأى امرأة أجنبية يلوي عنقه منها في خجل شديد وهو لم يبلغ التاسعة من عمره، وكان إذا تكلم لا يرفع صوته حياء حتى لا يكاد يسمعه أحياناً من بجانبه.

وكان من يجالس هشاماً ويحسن معرفته يرى أن عقله أكبر من سنه بكثير، وقد تم له الالتحاق بمعهد صنعاء العلمي في أثناء المرحلة الإعدادية حتى نهاية المرحلة الثانوية (قسم أدبي)، ولا أنسى هنا أن أعترف بالفضل والجميل للمسؤولين والمدرسين بالمعهد لما بذلوه من جهد مشكور في تعليم وتربية الشهيد هشام رحمه الله، وقد نشأ بحمد الله نشأة طاهرة زكية، فما علمت عليه في حياته أنه تلوث بشيء مما يشين خلقه، ويطعن في سلوكه، كما نشأ سليم العقيدة محافظاً على العبادة، بعيداً عن مجالس السوء، وكان كثير التتبع لأخبار العالم الإسلامي، شديد التعلق بكتب الدعاة البارزين: كسيد قطب، وأبي الحسن الندوي، والمؤيدي وغيرهم، وكان كلما ازدادت معرفته بالإسلام وما فيه من كنوز عظيمة يتقطع ألماً للواقع الذي يعيشه المسلمون بعيداً عن منهج الإسلام وهديه، وختم حياته بالأمنية التي كان يريدها على لسانه عشرات المرات شهيداً في سبيل الله تعالى.

الجهاد: كيف تلقيتم خبر استشهاد ابنكم هشام؟

د. عبد الوهاب: في يوم السبت (١٩) من المحرم الحرام جاني جماعة من إخوانه في الله قبل الظهر، وقد تلقوا الخبر عن طريق الهاتف من باكستان باستشهاد هشام، وكانت زيارتهم لي في ذلك الوقت يكتنفها الاستغراب، وتحيط بها علامات الاستنهام.

(١) المصدر السابق ص ٢٢.

(٢) مجلة الجهاد العدد ٤٢ من ٢٤ رمضان ١٤٠٨ هـ الموافق مايو ١٩٨٨ م.

فأرادوا أن يخففوا وقع الحدث في نفسي، وظلوا يتحدثون عن أفضل الأعمال، وعن الجهاد في سبيل الله والشهادة... إلخ، فعرفت أن قد حدث شيء، فسألتهم هل جاكم نية باستشهاد أحد؟ (وأنا أريد ابني) فقالوا عظم الله أجرك، فحزن القلب، وذرفت العين، واسترجعت، وحمدت الله سبحانه على قضائه، وكانوا قد أخبروني أن الحادث كان في يوم الجمعة، لكن تلقيت بعد ذلك مكالمات هاتفية من باكستان كانت أكثر تفصيلاً للحادث، وقد تضمنت الآتي: الاستشهاد كان في الساعة السادسة والنصف قبل مغرب يوم الخميس (٧) من شهر محرم الحرام (١٤٠٨هـ).

كان الشهيد هشام مع زميلين له يرمون بالمنفع الهاون، وبعد الاستمرار في الرمي انفجر بهم المدفع، فاختار الله سبحانه عبده هشامًا وجرح زميله.

كمنني أحد زميليه وهو عبد الله بن علي القيسي عن صورة الحادث وشهد لله شهادة يسأله الله تعالى عنها أنه شم من هشام بعد موته رائحة زكية لم يسبق له أن شم مثلها في حياته.

الجهاد: رزقكم الله بولدين، الشهيد هشام أحدهما، والآخر محمد (١١ سنة)، ماذا كنتم تمنون لأبنائكم لو كان عددهم كبيراً؟
د. عبد الوهاب: الذي أرجوه من الله عز وجل لأولادي -قل عددهم أو أكثر- أن يمنحهم الله تعالى العلم الذي يعرفون به غاية وجودهم في هذه الحياة، وأن يصدقوا في الالتزام بالإسلام عقيدة وعملاً، وأن يحملوا هذا الدين للناس، ليسيروا في نفس الطريق التي رخصها الله تعالى لأتباعه ورسوله، وهذا أمر أرجوه لكل شباب المسلمين، لأنه الطريق الذي لا خلاص للأمة بدون، وقد كان الذي منحني الله عز وجل في ابني هشام فوق ما كنت أتوقعه، فما كنت يوماً ما أحسب أن الله عز وجل سيكرمني باختيار ابني شهيداً في سبيله، وهذه من أعظم من الله علي التي تستوجب مني مزيداً من الشكر له سبحانه، فله الحمد والمنة، ولعل الله أن يكرمني ويكرم أخاه بمثل ما أكرمه، ولعله سبحانه يكرم بناتي بأن يكن أمهات شهداء إنه على كل شيء قدير.

الجهاد: الشباب في عمر الشهيد هشام لهم اهتمامات غالباً ما تكون سقيمة، ناتجة عن تأثرهم بوسائل الإعلام المختلفة.. يجلساء السوء وانعدام التربية في مراحل التعليم.. وهذه النتيجة ترضي الصهيونية العالمية، وتعمل جاهدة لتثبيتها، كيف يمكن لفت نظر الشباب إلى الطريق الصحيح الذي يضمن لهم العزة والكرامة؟

د. عبد الوهاب: قد أخبر ﷺ عن تأثير عوامل التربية والبيئة على الناشئة تماماً، فأبناء المسلمين المفروض فيهم أن يسيروا على نهج السلف الصالح، وأن يقتصموا بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن يعاشوا سيرة المصطفى وصحابته حتى يستوحوا منها المنهج الذي يوصلهم إلى ربهم، ويضمن لهم سعادة الدارين، فيعيشوا في قوة في إيمانهم، وسلامة في خلقهم، واستقامة في سلوكهم، وشباب اليوم هم الذين يعمل عليهم في حمل أعباء الحياة في المستقبل، المستقبل ينظر إليه من خلال استقامة الشباب أو عدمها، فالشقاء في الأمة لا يأتي إلا من فساد النفوس وانحراف الأخلاق، فتضيع كل معايير الحق والعدل في الأمة، ويحول الناس إلى وحوش، لا يسعدهم مال ولا حضارة مادية، لأنهم فقروا أغلى ما يملكه الإنسان في هذه الحياة.

الجهاد: ما رأيك في حجم التبرعات التي يتقدم بها المسلمون في مواجهة متطلبات الجهاد واحتياجاته؟

د. عبد الوهاب: لا شك أن حجم المساعدات ضعيف جداً أمام متطلبات الحرب الشرسة التي يشنها الشيوعيون على العزل المستضعفين، ومتطلبات الحرب تتصاعد من يوم لآخر، فضحايا الحرب تتصاعد أرقامها، ومتكبرو الحرب من الجرحى والدمار للبيوت والتشريد تتصاعد أرقامها كذلك، والمهاجرون من الأفغان بلغوا الملايين، ومثل هذه المشكلات لا يحلها تبرعات الأفراد، أقل ما ينفع فيها وقوف الدول الإسلامية إلى جانب إخوانهم، مع هذا فإن هذه التبرعات لها تأثير طيب من ناحيتين:

الأولى: يشعر من خلالها الجاهلون بأن لهم إخوة في الدين، يعيشون قضيتهم، ويمنون يد العون لهم، ويواسونهم بقدر طاقتهم، وهذا مفيد من الناحية المعنوية، فهو يشد من أزرهم، ويقوي عزائمهم على الاستمرار في الجهاد.

الثانية: أن الله عز وجل يبارك في هذه التبرعات على قائلها، لأنها تصدر من نفوس مؤمنة لا تبتغي بهذا العطاء سوى وجه الله سبحانه وتعالى.

الجهاد: بعض الأبناء يخافون من ذهاب أبنائهم إلى أفغانستان خشية الموت، ما قولكم لهؤلاء؟

د. عبد الوهاب: هذه الخشية تتنافى مع عقيدة الإسلام، فالموت والحياة بيد الله عز وجل، والجهاد لا يقرب الأجل، كما أن القعود عن الجهاد لا يطيل العمر، وقد حذر الله سبحانه المؤمنين أن يقعوا فيما يقع فيه الكفار والمنافقون. فقال سبحانه في شأن الكافرين:

(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم، والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير) العنبر.

الشهيد أبو مصعب الفلسطيني:

أما أبو مصعب الفلسطيني (زكريا....) فهو من مواليد الجزيرة، شب على القرآن، وتربى في المسجد في الطائف، وكان يحلو له أن يسمى نفسه أبا مصعب الطائفي، عشق الجهاد، كيف لا وقد أخرج من دياره وحرم من رؤية المسجد الأقصى، فقلبه معلق بالأقصى ورياء الإعداد له.

من قراء القرآن، انتظر أن يفتح الله باباً للجهاد ففتح له باب أفغانستان، لم يمض عليه سوى ثلاثة أشهر في أرض الجهاد، قضى منها شهراً ونصف في الإعداد، وشهراً ونصف في الرياء والجهاد.

نزل في موقع اليرموك في المساعدة مع الدكتور أبي هشام فارتفعت همته والتهب حماسه وتفجرت طاقته.

وفي صباح الخميس كتب عدة رسائل حيث يسافر الدكتور ليرسلها معه إلى أهله، وكتب فيها: (أرجو الله أن لا يمسي هذا اليوم إلا بعد استشهادي)، وكان الذي أراد زكريا، فما غربت الشمس إلا بعد أن بكت على فراقه ورحيله عن هذه الأرض.

ورائحة المسك يشهد بها كل الإخوة السبعة الذين كانوا في موقع اليرموك منهم أبو عمار وأبو الزبير الذي كان معه في اللحظات الأخيرة.

الشهيدان في عمر واحد: والعجيب أن هشام الديلمي وزكريا بنفس العمر في التاسعة عشرة من أعمارهما.

كان عابداً صائماً قائماً، فشهد له أقرانه بصيام الإثنين والخميس.

فهنيئاً لهما الشهادة ونرجو الله أن يتقبل الإثنين ويجمعنا بهما في الفردوس الأعلى.

رحلتم فكم ياك بأجفان شادن عليكم وكم ياك بأجفان ضيغم

وداعاً أبا مصعب (زكريا أبو الهنود) (١)

الحمد لله الذي أتمم علينا فاختار واحداً منا واصطفاه شهيداً... الحمد لله الذي أحيا قلوب هذه الأمة بدماء هؤلاء الشهداء الطاهرة الزكية، فغدت لا تطيق صبراً عن أرض الجهاد والكرامة، وصلى الله على إمام المؤمنين وقائد الفر المحجلين... وبعد:

إخوة الجهاد في سبيل الله... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... من الطائف الحبيبة التي قدمت شهيدتين من أبنائها هما الاخ/ أحمد الزهراني، والتي لا زالت أرجاء الطائف تتجاوب مع أصدااء نشيده صباح مساء، والاخ العزيز زكريا (أبو مصعب) الذي ما أن علمت نبأ استشهاده حتى أرسلت عيني دمعاً حاراً لا حزنأ ولا جزعأ -معاذ الله-، فالشهادة أتمناها لي ولكل إخواني، ولكني تذكرت نفسي وتذكرت تقصيري والأيام تمضي والأحبة يمضون واحداً تلو الآخر إلى الله في مواكب الشهداء الأطهار.

أخذت بعدما أتذكر ذلك الشاب الذي لم يمض على فراقه سوى مدة قصيرة، أتذكر حماسه الذي تجلله هالة من الهدوء والطمأنينة... تذكرت جده وبساطته، فكان -تقبله الله عنده- مثلاً نادراً بين أقرانه، كان فيه حماس الشباب المتدفق، وحكمة وهنوء الشيوخ والكبار. عرفته شاباً صغيراً اتجه في سنواته الأخيرة إلى الله بنفس صادقة مطمئنة، وكأني به يشعر باقتراب أجله، وكان كغيره من إخوانه يتوق للجهاد في سبيل الله ويتحرق لذلك. فقرر أن يذهب ويرى بعينه ما يحدث على أن يعود لإكمال دراسته بعد انتهاء الإجازة- وزاد من اندفاعه تلك الرؤيا التي رآها له أحد إخوانه في المنام. فقد رأى زكريا مخرجاً بدمائه فد قضى شهيداً في سبيل الله في أفغانستان، فما كان منه بعد أن سمع ذلك إلا أن حزم حقائبه ومضى في رحلته إلى الله... ولقد نقل لي من رآه هناك أنه لم يكن يضيع أي لحظة أو فرصة للعمل، بل إن الأعمال التي كان ينجزها غيره في أشهر ربما أنجزها في أيام. وكتب أثناء فترة

١- مجلة الجهاد العدد ٢٦ ربيع الأول ١٤٠٨هـ -نوفمبر ١٩٨٧م ص ٣٢.

تدريب رسالة لأحد إخوانه يحث فيها على الجهاد، ويذكر له ما رأى وشاهد، وكان مما كتب في هذه الرسالة: إن أعداد الحسنيات يعمُر منا ليل نهار لا ينقطع، ولا عمل لعداد السيئات إن شاء الله.

وبعد أن انتهى من التدريب اتجه إلى جاجي، إلى حيث استشهد إخوانه، وقضى فيها أياماً جادة يعمل فيها بصمت وصبر وإخلاص، نحسبه كذلك والله حسيبه.

وحينما استروح عبير الجهاد والعزة كتب لإخوانه: أن أقبل ولا تتأخر، وأخذ يحث على الجهاد، ويذكر له ما وجد من نعيم وراحة نفسية. وحينما دخل شهر محرم هذا العام وفي أول خميس منه وبعد أن فرغ زكريا من صلاة العصر مر عليه القائد وقال له: ما رأيك أن ترمي على الهاون؟ (ولم تكن نوبته إلا أنه كان يتقن الرماية عليه)، فاستجاب وأخذ مكانه وكان معه الشهيد أبو حمزة (هشام الديلمي) -رحمه الله- من اليمن. وحينما وضع أول قذيفة في الهاون انتجر الهاون انفجاراً شديداً فقذف بزكريا مسافة عشرين متراً في منحدر ولم يوقف اندفاعه إلا جذع شجرة، ولما وصل إليه إخوانه وجدوه قد أسلم الروح لباريها وقد تضرع بدمائه وبالقرب تماماً كما كان في الرؤيا التي رآها أخوه، واستشهد بعده بدقائق أبو حمزة. وشهد لي اثنان ممن رآه بعد صلاة المغرب من ذلك اليوم وهو مسجي قبل أن يدفن أنهما استروحا رائحة المسك الشديدة المنبعثة من زكريا وأقسما على ذلك. بل قالوا زيادة في الثبوت: فتشنا ملابسه خشية أن تكون في جيبه زجاجة طيب قد انكسرت فلم نجد شيئاً. وقال لي من قام بإدخاله إلى قبره: والله لقد رأيت لوجهه نوراً ما رأيته عليه من قبل.

وكان رحمه الله قد كتب ليلة استشهاد رسالة لأحد إخوانه في الله يطلب منه أن يأتي ولا يتأخر، ويذكر له ما وجد من عزة في الجهاد، ويذكر له طرفاً مما يحدث للمجاهدين من أعدائهم، وأخبره فيها أنه قرر أن لا يدرس السنة القادمة، وأنه سيقضيها أيضاً في الجهاد -رحم الله أبا مصعب، فلقد ذهب هو وأخوه أحمد بقطع من قلوبنا معهم.. وتقبلهم جميع الشهداء عنده سبحانه.. وألحقنا بهم وجمعنا بهم في الجنة، والحمد لله رب العالمين..

أخوكم / الواثق بالله أبو عبد الرحمن الطائف

تألق فرسان الجزيرة (١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

إن الناظر في أرض النزال فوق أرض أبي حنيفة النعمان ليجد دماً غريباً بين المجاهدين الأفغان معظمهم من أرض الجزيرة، وقد بدا طرفاً الجزيرة الآن شمالها -أرض الحرمين وجنوبها -أرض اليمن والإيمان والحكمة- وكأنهما فرساً رهان في عدد المجاهدين الذين نفروا إلى الله وهم يسمعون صيحات الله أكبر تنوي فوق ذرى الهندوكوش.

ويحاول أبناء اليمن أن يزحموا أبناء الحرمين هذا الشرف العظيم الذي تخلت عن نيله الأمة الإسلامية التي كادت تنسى فريضة الجهاد (القتال) في سبيل الله.

إلا أن قصب السبق لا زال في يد أبناء الحرمين الذين فازوا بتقديم ستة عشر شهيداً في ميدان البطولة وساحات الرجولة، وأما أبناء اليمن فقد بدأوا يزاحمون إخوانهم عدداً بعد أن ألقى (الشيخ عبد الله الأحمر) بثقله في هذه الساحة حين رجع من زيارته الأخيرة لمعسكرات المجاهدين وكنته شعلة مضطربة ونار ملتهبة، ففتح مضافته التي تصل إلى خمسين متراً ليبيت التلغاز فيها صور البطولة والفداء ويحكي قصص العزة والإباء.

وبدأ يدعو إلى المشاركة بالنفس والمال في هذا الجهاد الذي شرف الله به جبين الأمة الإسلامية وأحيا به مواتها. وقد انتفض غاضباً كالليث وهو يسمع احتجاج بعض الشباب الذاهب إلى المعركة وأطلقهم، وأعلن أنه سيجوز الغزاة النافرين في سبيل الله ويكفل أسر شهدائهم.

ومن بين الشهداء الذين وفدوا إلى الله في الشهر الأخير ثلاثة: اثنان من أبناء الجزيرة وثالثهم من مهاجر أبيتنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام من أرض الشام.

١- مجلة الجهاد العدد ٢٩ جمادي الثانية ١٤٠٨هـ - فبراير ١٩٨٨م ص ١٨.

أبو شهاب (شاكر حسن قرشي)^(١):

قريباً من مسجد ابن عباس رضي الله عنه ولد هذا الليث، وترعرع فوق أرض الطائف، حصل على الشهادة الثانوية ثم توجه إلى أمريكا يحقق طموحه في نيل شهادة دارسيه منها، وهناك استعصى على حوامض الجاهلية الغربية أن ينوب فيها، بل وعلى العكس من هذا قبض على دينه كالجمر، وبدأ يبحث في هاجرة الجاهلية اللافة هناك عن واحة يتقياً ظلالها، وعن سفينة ينجو من خضم الفتن المتلاطمة في (عاصمة الشيطان) في الأرض.

وفي تلك الصحراء المقفرة انطلق يدعو إلى الله من خلال رابطة الشباب المسلم العربي، وبقي سنتين في أمريكا لا يكل عن الحركة، ولا يقتتر عن الدعوة، ولكن نفسه ضاقت ذرعاً بالحياة الناعمة الهائلة - حياة الهمبورجر والكوكا-، فطلق أمريكا ثلاثاً لا رجعة فيها وعاد إلى أرض الحرمين حيث عمل في إحدى مؤسسات الدولة، ولكن عينه لا تغمض عن الأحداث المندوية على ضفاف كونز، فازيز الرصاص وبوي المدافع ودخان القذائف يقض عليه مضجعه خاصة وقد اقتنع بالحكم الشرعي للجهاد الآن في أفغانستان: (فرض عين بالنفس والمال ولا إذن للوالدين)، كيف لا وشيخ الإسلام ابن تيمية يقول: إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب بفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلد الواحد، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم) الفتاوى الكبرى (٦٠٨/٤).

فيات يحدث نفسه بالجهاد، وبدأ يمزق الحبال التي تشده إلى الأرض، ويتخلص من القيود التي تثقل رجليه في داخل مستنقع الطين.

وجاء شاكر وسمى نفسه (أبا شهاب)، وهو شهاب محرق للأعداء، ومخير للطريق إلى الله، وكم تحس وأنت تستمع إليه أنك جالس مع إنسان ناضج يدرك أبعاد المؤامرة على الإسلام.

رأيته في المعسكر في هذا نائب الحركة، صامتاً، كلامه عمل، ما رأينا له مخالفة لأمر، ولا مشاكسة لرفيق طريق، ولا مضايقة لأخ من إخوانه.

وقد حفظت اسم أبي شهاب من أخيه عبد الرحمن النجدي طالب الهندسة الذي توجه إلى بلخ، ولذا كان يردد (جنت لائقها رصاصة هنا فأنخل هنا) وهو يشير إلى قلبه وإلى السماء.

قال لي عبد الرحمن: نريد أبا شهاب أن يرافقنا في عسيرتنا إلى بلخ.

وقضى الله أن يسير عبد الرحمن ليخلف وراءه في المعسكر أبا شهاب، لأن الله عز وجل يقول (قل لو كنتم في بھوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) - لقد قدر الله أن يكون مصرعه ومضجعه هناك في جبال خوست.

وجاء أهل شاكر؛ وذات ليلة وإذا برجلين يبدو عليهما الوقار وتعلوهما الهيبة يدخلان علينا في صدا، والتقيت بهما مع شاكر كان أحدهما والده والآخر خاله، فأما خاله فيعمل موجهها تربوياً في الطائف.

وذا الحوار بينهم، وحاولا أن يرجعاه ليرى أمه التي أذهلها المرض في المستشفى، وبعد حوار عنيف حظياً بوعد منه أن يرافقهما إلى بيشاور ليتصل بأمه ليطمئنها. وفي الصباح قلت لهم وهم يغادرون المعسكر: لا تحرموا ابنكم الجنة، ولا تحرموا أنفسكم الشفاعة. ومضى شاكر إلى الله عن عمر يناهز السادسة والعشرين.

شاكر وأخوه: كان شاكر يحلم بالشهادة دائماً ويتحدث عن الحور، وأحياناً قد ينام متأخراً فيوقظه أبو خالد القضي إلى الصلاة فيرفع الغطاء ببطء فيقول له أبو خالد: أنت تقوم متباطئاً والحور تتأديك وتتظنون، فيهب سريعاً قائلاً: قد أقبلت قد أقبلت، انتظروني.

رحلة الشمال: وبدأ شاكر يعد نفسه لرحلة الشمال مع إبراهيم نحو بدخشان، إلا أن أحداث خوست عاجلتنا ونفرنا إليها، وقد اشترك فيها أكثر من مائة وخمسين شاباً عربياً، وكان أبو شهاب من بين هؤلاء، وهناك في ستي كانداهو حيث استحال الأرض براكين متفجرة والسماء إلى حمم وشهب متقطعة.

(١) مجلة الجهاد العدد ٣٩ تمرايز ١٩٨٨م ص ١٨.

رابطة شاكراً مع إخوانه: وكان شاكر مع القدر الذي ينتظره، وجاءت القذيفة التي طالت تمثما وحطم بها قذيفة (SM4)؛ فأصابته رجله إصابات بالغة، وكذلك إصابات في صدره، وجرح معه أربعة.

كرامة عجيبة: حصلت لشاكر كرامات عجيبة منها:

١- أنه عندما أسلم الروح كان واضعاً يده على جرحه، فأنزلها الإخوة وأسبلوها على جانبه، ثم تركوه لشدة المعركة ولتعبهم، وبعد ثلاثة أيام عادوا إليه فوجدوه قد أعاد يده ووضعها على مكان الجرح.

٢- عادوا إليه بعد ثلاثة أيام وكان الزمهرير شديداً والبرد قارساً والمفروض أن الميت بعد قليل يتصلب، فكيف في جو يتجمد فيه الماء في لحظات؟ فوجدوه ليلاً يتنفس كأنه نائم.

٣- رآه أحد الإخوة العرب في المنام مدفوناً على يمين رسول الله ﷺ، فحلفت الشاب الذي رآه في المنام على صدق الرؤيا فحلف على ذلك.

تلقي أهله لخبر استشهاده: اتصلت زوجتي بأمة فكان رد أمة: (لاني صابرة محتسبة، وهذا شرف عظيم لنا، إن أيكى، وسأمنع النساء أن يبكين في المجلس) وأما والده فقال: نأمل من الله أن يكون قد نال الشهادة حقاً حتى يشفع لنا يوم القيامة.

قرأت في مذكرته: اللهم شجع جبنائنا، واجعلنا مع شجعاننا، وألحقنا بشهدائنا.

الشهيد حمزة (جبران شريف ناصر)^(١):

فر من جحيم الجاهلية المتلظى في ديترويت في دير برون (المولد العزيز)، وعندما علمت باستشهاده وأنا في الولايات المتحدة أزمعت على السفر إلى ديترويت لأمنى أمه وأباه وبعثت شطر ديترويت حيث تقيم أمه وأبوه، وخطبت الجمعة هناك، وبعد الصلاة طلبت والده والتقيت به في غرفة في داخل المسجد وهناك بشهادة ابنه، فكان صابراً محتسباً ما تقوه بينت شفه إلا أن قال: (الموت والحياة بيد الله والقدر بيده)، ووالده تبهر عليه البساطة الفطرية.

وبعد العشاء وبعد أن ألقيت محاضرة في المسجد أسررت في أذن إمام المسجد محمد موسى (الرجل الذي يحظى باحترام الجميع، وتبهر عليه الرزاة والوقار، مع علم واعتدال دون إفراط ولا تفريط، وهو يمثل النارة التي يلتف حولها أبناء الجالية الإسلامية واليمنية بالذات) فقلت للشيخ: نريد أن نذهب نهني ونواسي أم الشهيد.

وتوجهنا نحو منزل أمه، ودخل الشيخ محمد موسى أمامي، وكنت أظن أمه قد علمت من والده، ولكن الشيخ قال لي: إن أمه لم تعلم من قبل باستشهاده، وقد كانت الوالدة: صابرة محتسبة، لم تبس بينت شفه سوى أن قالت الحمد لله، رضي الله بقدر الله، أما شقيقته فقد انفجرت باكياً.

ثم حدثت والدة قصة جبران معي قلت: رأيته مشرق الوجه كأنها إشراقة الشهادة، وضياء رأيته مشرق الوجه قبل اللقاء، فاقتربت منه من بين السبعين شاباً وسألته ممن الشاب؟ فقال من اليمن وأهلي يقيمون في ديترويت، (ففررت إلى الله) من أمريكا إلى اليمن ثم إلى السعودية، وأخيراً سعت لأؤدي فريضة الجهاد في أفغانستان وأطلت معه الحديث ولا أدري لماذا اخترته من بين الجموع، وكان هاتفاً يهتف في أعماقي أن هذا مسافر ماض من الدنيا، فاستمتعت بالحديث إليه قبل أن يودع الدنيا، وأظنني ودعته قائلاً: أرى نور الشهادة على وجهك.

قالوا الحقوقي فقلت لفظ لم أجد	عنه كآسنة اللهب معبراً
للحرب جند يصبرون على الطوى	يوم اللقاء ويلبسون الفيرا
ويردون جوف الرمل أجمل قندق	وروانح البارود تنفج عنبرا
ويردون أن من استبيح له حمى	يلقى المنايا أو يعيش محرراً

الرؤيا الحققة: كثير من الإخوة يرون أنفسهم مع الحور العين، أو يراهم إخوانهم مع نساء جميلات قبل الشهادة فيستبشرون بالشهادة، وقد حصل هذا مع كثير من الإخوة مع أبي دجاجة ويحيى سنيور وأبي عاصم وعبد الوهاب الردة القامدي وسعد الرشود

(١) المصدر السابق ص ٢٠.

رأى عبد الحق وكثيرين آخرين من العرب والأفغان.

وقد رأى جبران نفسه مع امرأة جميلة، فبشر إخوانه أن الشهادة قادمة، وقد رزقه الله الشهادة ونرجو الله القبول.

الشهيد أبو جعفر الشامي^(١):

وشهيدنا هذا أكبرهم سناً، فهو في الثلاثين من عمره، ويختلف عن سابقيه أنه خلف وراءه أرملته مع ابنتيه وولد.

فر من الدنيا إلى الله، رأى الطاغوت النصيري جائئاً على صدر هذا الدين يريد اجتثاث جذوره من أرض الشام، وشارك بجهد المقل هناك، ثم أقبل إلى هنا إلى قندهار البلدة المعروفة بالتزامها الإسلامي، ويحصانة نساها، ويكثرة علمائها، البلد الذي قدم حوالي ألف شهيد وهو يدافع عن النقاب الذي يغطي وجوه المخدرات والعواتق عندما سير له الملك ظاهر شاه جيشاً لجباً بقيادة خان محمد وهو يعلن انتهاء عهد الخمار إلى الأبد.

أبو جعفر وأخوه في أرض المعركة؛ وأقبل إلى هنا إلى أفغانستان طمعاً في النور عن حياض الإسلام وحرمة المسلمين.

وصل أرض المعركة ومكث تسعة أيام فقط كان يريد أثنائها:

جامد بالله أخيه جامد إن كنت تقيا
تلك آفاق الدنيا وتلاقى الله رضا
جد بالمال وبالنفوس إن تطمع بالفردوس
فهناك أحلى عرس للمؤمن والحرورية

المعركة النهائية: وعلم بمعركة قادمة ولكنه كان بين مجموعة من الإخوة العرب، فخشي أن لا يسمحوا له بدخول المعركة، وانتقل إلى قائد آخر، وأعد القائد الثاني لعملية ورفض القائد أن يدخله فيها، فجاء بأبي خبيب من الإخوة القدماء في المنطقة وأصر على القائد بالدخول.

وسارت المجموعات حيث تفتح الجنة أبوابها لتلقى الذين يختارهم الله شهداء، وانتقل إلى المجموعة الأولى المهاجمة، وهرع أخوه ليخبره أن مجموعتهم متأخرة، إلا أنه غاب عن ناظري أخيه لعله ينال الشهادة [أخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هجمة أو فرزة طار إليها يبتغي الموت مظانه] إنه يبحث عن الموت في المواطن التي يظنها فيه.

الإصابة: كان القصف على المجاهدين جد شديد، وانسحب المجاهدون، وفي أثناء الانسحاب أصابته قذيفة (R . P . G.7) في يده اليمنى، كما أصابته بحروق في صدره، ولم يكن بجانبه غير شقيقه الذي أصيب في يده، فحملة وخرج به من أرض المعركة والدم ينزف منه لمدة خمس ساعات حتى استشهد.

كرامات: قال أحد المجاهدين: رأيت نور الشهادة على وجهه ولكني لم أخبره، واستنار وجهه بعد الشهادة وأصبح كانه النور. والحمد لله، لقد كانت شهادته يوم الجمعة (١٨/١٢/١٩٨٧م) وهو سيد الأيام، وقد حزن عليه المجاهدون حزناً شديداً كأنما عاش بينهم دهرًا رغم أنه لم يعيش بينهم سوى تسعة أيام، كان دائم الابتسامة، مرحاً، قريباً إلى النفوس، محبباً إلى القلوب، وإذا مضى وأخذ معه القلوب.

ونحن نضرع إلى الله أن يتقبل شهادتنا، وأن يلحقنا بهم في الفردوس الأعلى، وأن يمن على الأمة الإسلامية بنصر عاجل قريب، وأن يقر أعين المؤمنين بنصرة الإسلام في أفغانستان وفي فلسطين، وأن يسعد البشرية بالهدية التي تنتظرها بفارغ الصبر ألا وهي (دولة إسلام).

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

(١) المصدر السابق ص ٢٩.

تسلل الدم حتى عاتق الكلمات:

وصية الشهيد أبي جعفر رجنت في جيبه وقد خضبتها الدماء:

انحمد لله والصلاة، والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وقائد المجاهدين، السلام عليكم ورحمة وبركاته:

أكتب هذه الوصية... نفسي وإياكم بتقوى الله في السر والعلانية، وانتهي عن معاصيه والعمل بطاعته، وجعلني الله وإياكم إن شاء الله عباد الله الصالحين، أوصي والدي ووالتي بتقوى الله والصبر، أن الموت حق والأجل من عند الله وأن لا تحزنوا ولا يتقبلوا عزاء لأن الشهيد عند ربه حي يرزق، وأن تعرفوا مكانة الشهيد وما له من محبة من الله وأوصيكم على أولادي أن تربوهم على تقوى الله وأما زوجتي فهي تعرف أن الجهاد فرض عين وجزاها الله ألف خير على صبرها وحسب أمرها عند الله، وما أطلب منها إلا تقوى الله وتربية الأولاد على الإيمان والتقوى والجهاد، وتحت ابنها كما حثت زوجها على الجهاد، وأن تربى بناتها تربية إسلامية وتزوجهن من مجاهدين، وأرجو منها السماح، ولها الحرية في نفسها أن تفعل ما تريد، وأما أقربائي وإخواني فأقول لهم نصيحة وللشباب خاصة إن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وهنا في أفغانستان يرى بأم عينيه حياة الجهاد والصبر، وأقولها أن كل من يستطيع أن يجاهد وهو جالس بجوار بذخ الدنيا فهو آثم، فيا شبابنا وإخواننا هبوا لنصرة دين الله، إن المجاهدين في أفغانستان حين يرون مدداً عربياً لهم تشدد عزيمتهم ويستحيون أن يتركوا جبهات القتال والذهاب إلى أهليهم - وبالنسبة لما أملكه فهو في وصية أخرى موجودة لدى زوجتي فيها توضيح لذلك، وأرجع وأقول: لا تحزنوا واصبروا، وإن شاء الله يا زوجتي ستكونين أميرة الحوريات العين بإذن الله هناك دار الاستقرار لأننا نقول لا إله إلا الله، نصيحة للشباب في بلادي يا شباب إن أعداء الله في كل مكان والجهاد يسمى في... فتعالوا إلى أرض أفغانستان بدلاً من الجلوس في الترف وملذات الأكل واللباس وجزاكم الله كل خير فما هو كما تعلمون جهاد في أفغانستان في القلبين وأرتيريا ومصر وفلسطين فالعدو واحد، هبوا للجهاد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم العبد الفقير إلى الله تعالى

أبو جعفر (١٦/١٢/١٩٨٧م)

من أسد الله... إلى شقيقه أبي جعفر:

أخي الشهيد، ونحسبك عند الله كذلك، يا ابن أُمي ورفيق الطفولة والصبا والشباب، والعمل والجهاد... جمعنا أخوة الرحم... وأخوة الجهاد... ولقد اجتمعنا على الله وما نحن نفترق عليه. أنت قد رحلت في زبد الدماء وأنا خلقتك. نعم قد تأخرت عنك... لكنني إن شاء الله لن أترك هذه الطريق.

لقد أتيت يا أخي من بعيد، وبعد أن عرفت أن الجهاد فرض عين ولم تؤل ما عرفت، ولم تبحث عن مبرر للعود... قد كنت أرقبك وأحس بما تحسه، وأشفق على قلبك الذي أصبح بركاناً لا يهدأ... فصرخات الأطفال وبكاء اليتامى وأنين المرضى وصيحات النساء قبل الموت أو السبي كل هذا كان يحرق داخلك، وكنت لا تهدأ إلا حين تسمع صيحات الله أكبر، وترى انتصارات المجاهدين عبر شاشة (التلفاز)... وما أنت قدمت بعد أن دفعك قلبك، وما أنت تحمل روحك وتقتحم أفغانستان لعلك تنقذ ما يمكن إنقاذه... تركت زوجتك وأولادك... تركت خلقتك فتن الدنيا وإغراماتها، وأيضاً تركت شباباً أضاعتهم الدنيا، حيث لم يعد لهم أمل إلا اللحظة التي يعيشونها، بعد أن تركوا ذروة سنام الإسلام... وتركت هذا وأتيت هنا طالباً حياة العزة، وأن تسقي روحك إباء الجهاد التي انتقدناها في هذا الزمن.

هل تذكر عندما حملت الرشاش الروسي الذي غنمه المجاهدون وذهبت لمقابلة العدو بسلاحه... لقد رأيته في تلك اللحظة شامخاً، وعلمتك جندياً من جند الإسلام، رأيته بعمامتك السوداء فقلت: ليت إخواننا يعلمون.

لقد قضيت بين إخوانك الأفغان أياماً معدودات فأحبوك لمحرك وابتسامتك، فأخبروني بأنهم رأوا في وجهك نور الشهادة... كنت لا أصدق أنك ستمضي بهذه السرعة... لقد قاسيت برودة الشتاء، وتقاسمت مع إخوانك الخبز والشاي وغذاهم المعتاد (البطاطس)، تقاسمت ضحكائهم وآلامهم وحزنهم... ثم رحلت.

لقد سقطت أمامي في أرض المعركة، ودمك الطاهر يسيل... قلبي يرى ذلك قبل عيني... وحملتك على يدي، ودفرت دموعي... ليس لانقضاء أجلك، ولكن لأنني فقدت أخاً حبيباً، وصديقاً عزيزاً على قلبي... كان ينصحنني، ويؤثرني على نفسه... قضيت معه كل

طفولتي وشبابي... فقدت ابتسامتك لي وقت المحن... لقد اختارك الله وقبلك وما قبلني رغم أنني كنت وإياك في وقت الشهادة في خندق واحد... أنت صرت في الراحة والجنان... وأنا بقيت في دنيا زائلة، القاعد فيها خير من الواقف... وكل أمني ودعائي أن الحق بك.

أخي: لقد أصبحت فخوراً بك... بشهادتك، لقد أصبحت هنا أعرف بأخي الشهيد... لقد نسي الناس اسم الحي، ولم ينسوك!! هل تعلم أن الشباب الذين كنت تعرفهم عندما علموا باستشهادك في أرض العزة والإباء استقيظوا من غفلتهم ولزموا طريق الحق، وأصروا على اللحاق بك... لقد أرشدت بدمك من لم تروشد الكتب ولا الخطب، وبذيت بجسدك جسراً يعبر عليه هؤلاء الشباب إلى أرض الجهاد... ولقد تعاهدنا على أن نسقي شجرة الجهاد بدمائنا، ونمد من أجسادنا معابر لكل شباب العالم الإسلامي.

أخي الحبيب: لا تظن أنني تراجعت بعدك أو لانت عزيمتي أو أنني فكرت بالتباطؤ... كلا إني أشهد الله أنني على دربك سائر، وسأمزج دمي بدمك بإذن الله، وندعو الله لك ولكل شهيد أن يسكنكم فسيح جناته.

أخوك: أسد الله

رسالة من زوجة الشهيد أبي جعفر:

قال تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون).

إلى إخواني المجاهدين على أرض أفغانستان المسلمة، وإلى كل زوجة استشهد زوجها في سبيل الله لإعلاء كلمة الله.

لقد بلغني خبر استشهاد زوجي في جبهة القتال ضد الغزاة الروس إلى جانب إخوانه المجاهدين في معركة قندهار، مما أثار في نفسي بعض الحزن في بادئ الأمر، ولكن سرعان ما أنزل الله على قلبي برداً وسكينة.

فأصبحت أحمد الله على ما ناله، وفوزه بالجنة والشهادة في سبيله، وتذكرت ما أعد الله للشهيد من أجر وثواب، وذلك في قول قائد المجاهدين رسول الله ﷺ: [الشهيد عند ربه ست خصال: يغفر له في أول قطرة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويؤمن من الفرع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج باثنتين وسبعين من الخور العين ويشفع في سبعين من أهله].

إخوتي المجاهدين في كل مكان... إن هذا العمل الذي قام به زوجي وأدى واجبه تجاه ربه ودينه يشرفني أنا وأولادي وأهله.

وليشهد الله على ما نويت بتهيئة أولادي الثلاثة ليلحقوا بدرب أبيهم وإخوانهم المجاهدين، فهنيئاً لك يا أفغانستان بهذا الجهاد، وهنيئاً لنا في هذا الشهيد الغالي.

أنا ندعو الله أن ينصركم ويثبت أقدامكم في هذه المعركة، والنصر حليف المؤمنين، فتذكري يا أختاه ما أعد الله للشهيد الذي يقاتل في سبيله، ولنقدم أرواحنا، ولنهيء أبنائنا للجهاد في سبيل الله.

وبذلك يتم النصر بإذن الله ويدحر الكافرين والمشركين، سائلين الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المجاهدين في سبيله.

قال رسول الله ﷺ: (أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تروح في الجنة حيث شاءت) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أختكم: أم جعفر

أصداء الشهادة : (١)

إلى الإخوة القائمين على مجلة الجهاد:

لقد راودتني نفسي أن أكتب إليكم نبذة عن الشهيد أبي جعفر لأنه كان في حياته يرفض الحديث عن أي عمل أو نشاط له ولكنه الآن في الفردوس الأعلى -إن شاء الله- وليس عليه أي اثم أو نتب بما ينشر لأن مصلحة الجهاد فوق أية مصلحة فذلك لا لشهرة، بل لما تعرفه في فائدة تعود على المسلمين ليكون مشعلاً وقنطرة تنير درب الأجيال المتعاقبة لرفع راية الجهاد ولإعادة الخلافة إن شاء الله على الأرض، وقد نشرتم ذلك فقد كان خبر استشهاد مؤثراً جداً لما له من علاقات اجتماعية كثيرة في مجال عمله وأقربائه وحين بلغ

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٣ ص ١٥ شوال ١٤٠٨ هـ يونيو ١٩٨٨ م.

ابنة أخي - طالبة ابتدائي - كتبت بعض السطور المعبرة في رثائه ووعدها بمتابعة الطريق رغم أنها ليس لها أية محاولة كتابة سابقاً.
أخوكم/محمد صادق

إلى شقيق الشهيد

أخي في الله أبو عبد الحكيم:

لقد تنبأت خير استشهاد زوجي في جبهة القتال وسرعان ما أثر ذلك في نفسي ولكن أنزل الله على قلبي برداً وسلاماً عندما تذكرت ما أعد الله للشهيد وأهله يوم الآخرة في الجنة. وإنني أمنتك في شهادة شقيقك أبي جعفر، الحمد لله الذي كتب له الشهادة، وإن هذا والله ليشرقني أنا وأبناء الشهيد ويرفع رأسنا جميعاً طول الحياة فما عليك إلا أن تفرح بشهادته وما ناله من الله تعالى سائلين المولى أن يجعلنا في هذا الطريق لرفع كلمة الله والنصر حليف المؤمنين، وفي الختام الصلاة والسلام على سيد الأنام.
زوجة الشهيد

عهداً يا شهيد

شهادة اسلامية.. لا قومية لا غربية لا شرقية..

اسلامية.. اسلامية.. يتعنى حور العين.. من جنة الفردوس.. شهيدنا اليوم يبكيها ويفرحنا.. في جنة النعيم.. مع الأبرار.. مع الشهداء.. شهيدنا اليوم.. حي في الجنة.. عهداً يا شهيد... أنا على الطريق.. جيلاً بعد جيل.. نسير إلى الأمام.. لتعلو راية الحق.. الله أكبر لتزول الحدود والطواغيت، عهداً يا شهيد.

ابنة أخيك (ذات النطاقين) طالبة ابتدائي

صقور مهد الرشيد^(١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإن الشباب المسلم في سائر العالم الإسلامي الآن تتنازعهم أشواق، وتحفزهم رغبات قوية تقطع الجواذب التي تشده إلى الأرض، وتنشله من ومدة الحياة الرتيبة الفارقة في صنوف النعيم، وشتى أنواع الترف، النفوس تهفو إلى الجهاد، والأرواح تفرغ تريد الوصول إلى أرض الشرف والنزال، ويعيش الشباب بين هذه الأشواق الملحة وبين حاجات الحياة اليومية التي ربطته بها القيود الثقيلة من خلال الوظائف الحكومية والشركات الأهلية والدراسات التي تستنزف طاقات العمر، ومع هذا فقد استطاع كثير من الشباب أن ينتشل نفسه من هذه الحياة الهادئة الواحدة ليعيش مشاكل المسلمين ومحنتهم بأعصابه وقلبه وماله.

ورغم المحن التي حلت في أصقاع العالم الإسلامي وما تعانيه الأقطار في بلاد المسلمين من رزايا ناعت بحملها الشعوب إلا أن الشجى يبعث الشجى، والجراح تنكأ الجراح، وكم من باكية على ميت لا يموت إليها بصلة قرابة ما أنزل عبراتها وما أهدم دموعها سوى الأشجان لميتها الذي وارته الثرى منذ زمان.

والأشواق إلى الجهاد الأفغاني قدوق أجفان المحبين، ونار الغرام في الصدور للمشاركة في ميدان الشرف يلهب المشاعر، ويرفع الاهتمامات، ويقطع جنود الانشغال بالحياة، ويحطم القيود، ويمزق روابط الانتقال الجاذبة إلى الأرض.

ويلاد الراقيين من أكثر بلاد الإسلام ابتلاء، وأشدّها مصائب، وأقبحها خسائر عبر التاريخ الإسلامي كله، وحسبك بمأساة التار سنة (٦٥٦هـ) حيث سقطت دار الخلافة وذبح من المسلمين ما لا يقل عن ثمانمائة ألف حسب أقل الإحصائيات التاريخية لتلك الحقبة.

وأما دامية الثعابين التي حلت بالعراق فحدث عن المآسي ما تشيب له الفواصي في فتنة عمياء أمسى فيها الحليم حيراناً، وهذه المصائب التي ألت بهذا الجزء العزيز من أرض الإسلام لم تنس الشباب واجبه تجاه الجهاد المبارك المشرف الذي تجري فصوله الرائعة أحداثاً دامية فوق أرض أفغانستان، ومن قدموا إليه وشرفهم الله بالقتال والاستشهاد في سبيل الله:

(١) مجلة الجهاد العدد ١٠، رجب ١٤٠٨هـ مارس ١٩٨٨م.

الشهيد محمد فاروق (علي مصطفى):

ولد الشهيد في منطقة كبرى التابعة لمحافظة كركوك سابقاً سنة (١٩٦١م)، وهو من أسرة فقيرة جداً، وقد تابع دراسته رغم الظروف القاسية التي مر فيها.

وقد شب داعية إلى الله، ونال بعض الابتلاء الذي هو سنة أصحاب الدعوات: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون).^١

وألقي في غياهب السجون قرابة عام حيث حفظ شهيدنا عشرة أجزاء من القرآن، وضرب مثلاً رائعاً بالتضحية والإيثار لإخوانه الذين يشاركونه المحنة، وكان يصوم الإثنين والخميس.

ويحدث عنه صاحبه الذي يشاركه لأواء الطريق: (كنت عندما أنهض لبعض الحاجة في جوف الليل أراه في الغالب إما قارئاً للقرآن أو قائماً يصلي).

كان شديد الشوق للجهاد، ولذا صمم على ترك أرض العراق إلى موطن يشم فيه رائحة الجنان ويعيش تحت ظلال السيوف. درس في المعهد الطبي، وكانت نفسه تراوده كثيراً أن يدع الدراسة ليواصل مسيرة العرق والدم، ولكنه -تحت إلحاح إخوانه- أكمل الدراسة لتكون خدمته للجهاد أعمق أثراً.

ولقد كانت مجموعة تبحث عن مخرج في أعماق هذا الليل الدامس، وذات يوم وإذا بأمر هذه المجموعة يقاتعهم أن المال الذي بين أيديهم قد نفذ، ولا بد لأحدهم أن يغامر حتى يحضر لهم مالاً، وما تحرك أحد لأن الموت يرقبهم في كل مرصد، والمنون تنتظرهم عند كل مفرق طريق، إذ لم يكن مع أي واحد منهم ورقة تثبت هويته وتحدد شخصيته، وأي واحد منهم معروف من قبل السلطات التي تطاردهم، فليس له مصير سوى الموت الفوري.

وهب علي وحمل على عاتقه مسؤولية إنقاذ إخوانه، وقرر تنفيذ أمر الأمير، ويذكرني هذا الموقف بموقف حذيفة بن اليمان ليلة الأحزاب عندما انتدبهم رسول الله ﷺ أن يخرج واحد منهم ليرى خبر الأحزاب فلم يتحرك منهم أحد. ويتحرك علي ولم يكن يحمل في بقات قلبه إلا ترقب الموت.

يحدث صاحبه قائلاً: كنت معه في السيارة حيث وقفنا عند نقطة التفتيش المهمة، فسألت ماذا عندك؟ فأجابني ليس عندي سوى التوكل على رب العالمين وتقويض الأمر إليه، ولقد طلب منا رب العزة الإعداد فأعدنا ما استطعنا، ولم أستطع أن أعد من الوسائل المادية شيئاً، وليس لدي سوى الإيمان برب العالمين.

لقد أحدثت هذه الكلمة دويماً هائلاً في أعماقي، وتركت أصداءها أثراً بالغاً في قوايدي.

لقد كان التفتيش شديداً في هذه النقطة عن الهويات والحاجيات، وما هي إلا لحظات وإذا بيد مسؤول النقطة تشير للسيارات كلها بالعبور دون تفتيش، فكان هذا هو التفسير العملي لقوله عز وجل: (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يعز كل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شي قدراً).

ووصل الشهيد إلى أرض إيران ثم اخترقها إلى حيث تمتزج البطولة بالدماء وبالحديد، ووصل هرات، وبدأ يزاول الطب فوق أرض المعركة، وهنا في أرض الرازي وابن حبان صمم على الموت.

تمثّلت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر

تردى ثياب الموت حمراً فما دجى لها الليل إلا وهي من سندس خضر

حتى لقي الله ولحق بمن سبقه على طريق الله مع أولئك النفوس الذين تنتشر أجسادهم (قبورهم) في أرجاء أفغانستان شهادة أمام الله ثم أمام التاريخ أن هذا الجهاد جهاد إسلامي عالمي، وليس قتالاً قوميّاً، وإن كان لأبناء أفغانستان القدح المعلن في التضحية والإيثار والصبر والإباء والجماعم والأشلاء.

وسبحانك اللهم ويحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

قافلة الغرباء (١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

ومكثا مع قافلة الغرباء التي تنهب طريقها إلى ربها لحقت باقة جديدة بهذا الركب الغريب، غرباء في تفكيرهم، غرباء في اهتماماتهم، غرباء عن أصحاب دنياهم، طلقوا الدنيا التي فتت ألباب الكثيرين، عافوا الزينة التي تهافت على حطامها فراش النار - غرباء عن مسقط رؤوسهم، فطويس للغرباء، العيون ترمقهم من بعيد إكباراً وإجلالاً، وبعضها تذرف عليه الدمع رثاء وإشفاقاً، القنوب تود لو انشقت فضمتهم بين حناياها، والصنوبر تتابع التقاط أنفاسها شغفاً في معرفة محبتهم الأخيرة.

غرباء سعداء بغربتهم، مطاردون من قبل الذين يحسبون كل صيحة عليهم، ومع هذا فهم في غمرة النشوة وهم يشقون طريقهم في صحراء الجاهلية المقفرة، كل واحد يترقب منيته بين طرفة عين وانتباهتها، يحرصون على الموت كما يتكالب أهل الدنيا على الحياة. (فوق صهوة جواده يبتغي الموت مظانه).

مجاهدون في العلا على المدى مجاهدون لنا أزمة الردى وفي الكفاح صامدون

ولقد طالت الحياة وتجاوز العمر الخامسة والأربعين، وكنا نود لو لقينا أحبائنا قبل سنين، إنها حياة طويلة تلك التي تفصلنا عن الحور العين، وتحجزنا عن جنات النعيم، وإن كان البعض يحس أنه في الجنة قبل أن يدخلها (إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة).

الشهيد مرزوق (٢):

لحظات لن تنمحي من مخيلتي ما جرت السماء في عروقي.

تلك اللحظات الأولى التي قابلت فيها هذا الشاب، على باب الرابطة في مكة المكرمة، قابلني لأول مرة مع طيبين، شاب يتفجر حماساً ويتدفق حيوية، فسألته ممن الرجل؟ فقال: من ذرى الأوراس.

فواصلت السؤال مستغرباً: منذ كم تعيش وأنت بهذه الطاقة العجيبة المتدفقة؟ كان الأولى بك أن تكون هناك منذ سنوات بين أسود القمم، فأجاب على الفور: أنا جاهز، وأجبت غداً ترافقني في الطائرة، فرد قائلاً مهلاً ولعدة دقائق ريثما أحضر حقيبتني ومرت السيارة بنا على الغرفة التي فيها يقيم، وحمل متاع الراكب وهذا حصيلة ما جمع من الدنيا، وانطلقت بنا السيارة نحو جدة.

وبدا يرتب حقائبي ويضع أمتعته وملابسه بين أمتعتي، فقلت له: لو وضعت أمتعتك في صندوق كرتون منفردة لكان أولى لأنني لا أظنك تسافر معي؟ فأجاب بلهجة الواثق المطمئن: لا بل أنا مسافر - إن شاء الله -، فقلت له: عوارض كثيرة تعترض طريقك فلا تأشيرة، ولا حجز، ولا تذكرة، مع أن الدنيا أيام حج والطائرات مزدحمة، فقال: إن شاء الله سيسهلها جميعاً!!! وبقيت عقبة كؤود وهي أنه متأخر في البلد بدون إقامة قانونية لعدة أشهر، ثم سهل الله الأمر، ورق له قلب الموظف، ومضى مرزوق معي، ووصلنا مطار إسلام آباد، وسهل الله أمره كذلك.

وكان أحد الإخوة من نوبي المكانة في قومه يستقبلنا، وعندما رأى مرزوق تفانى هذا الأخ في خدمة هؤلاء الشباب الوافدين على الله، قال: (اللهم انقص من عمري وأضفه إلى هذا الأخ حتى يستمر في خدمة المسلمين).

وجلس مرزوق شهراً في بيشاور، وقد جوازه منذ الأيام الأولى، ولم تحظ هذه القضية من اهتمامه شيئاً، إن قلبه هناك يطير ليسيقه إلى الجبهة، ومر شهر كطرفة عين بالنسبة لنا، كان ملء وقت مرزوق الإعداد للقافلة التي تتجهز لتعبر إلى الشمال.

ولقد فرح عبدالله أنس بمرزوق فرحاً كبيراً جداً وكأنا عثر على هدية نزلت عليه من السماء، وقلما دخلت مكتب الخدمات إلا ومرزوق مشغول بما يعنيه من أمر القافلة. وعبدالله أنس يجمع يود لو أخذ بيشاور كلها معه، وأنا أقول له (للم: إجمع) وهو يقابلني بتلك الابتسامة التي قلما تقارقه حتى في أحلك ساعاته.

ومضى مرزوق، ووصل تخار، واشترك في فتح فرقة نهرين، وجاءت الرسائل منه وكلها نار تتأجج، وأشواق تضطرم، ينتظر بشاعة لقائنا، ووصل مرزوق وقال: (لم أت إلا لرؤيتك)، ومكث فترة وكان يود أن يجد جوازاً بدل الضائع، ولكن الحنين إلى الجبهة لا

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٢ من ٢٠ رمضان ١٤٠٨ هـ الموافق مايو ١٩٨٨ م.

يدعه يستقر لحظة، والشوق إلى العودة إلى أرض البطولة والفخار في تخار تملك عليه تفكيره وأحاسيسه ومشاعره، ومضى مرزوق، وما كنت أعلم أن تلك الوقفة التي وقفتها معه في مكتب الخدمات هي آخر لحظات الدنيا التي نراه فيها .

وقد كان على قبر مع أمله حيث انقلبت به السيارة ففاضت روحه إلى خالقها في (أعظم درسك)، وفي الحديث الصحيح: (من وضع رجله في الركاب فأصلاً قومته دابته فمات، أو لدغته هامة فمات، أو مات بأي حتف فهو شهيد) وقد وقصته دابته (أي رتمته فاندقت عنقه) فمات، فنرجو الله أن يكون شهيداً، لقد كان كمية من المتغيرات متجمعة على شكل إنسان تنتظر إشعال الفتيل حتى تبدأ انفجاراتها، لقد كان من الدعاة المظلمين على ما كتبه المفكرون المسلمون في هذا العصر .

وكان من بين الطلبة البارزين في العمل الإسلامي في جامعة الجزائر .

سلام على تلك الدماء التي مضت تراق لكي تلقاك قانية حمرا
سلام على ذاك الشباب الذي انطوى فأتربون المجد أن يسكن القبرا
فحيوا الأمل بأعوا العقيدة أنفساً وفوق قبور الخالدين ضعوا الزهرا

ومناك في (أعظم درسك) أهيل التراب على جثمان مرزوق، وطوي البيرق ونكس، وانفض عنه السامر الحزين .

الشهيد أبو الحارث اليماني^(١):

صامت لا يتكلم إلا بقدر، مؤدب، يفضي حياء، ولا يكاد يرفع طرفه لينظر إلى من يكلمه، على جبينه إشراقة زادها الحياء جمالاً ومهابة. قارئ لكتاب الله نور صوت ندي شجي، وقفت معه ومع عبد الحميد أوصيهم وأنا أودعهم وهم يزعمون المسير إلى بروان، وقام بدور ملموس في بث نور القرآن بين أسد الرحمن في بروان .

قال إخوانه: (لم نر منه إلا الخلق الإسلامي الرفيع، وقلما نلاحظ عليه سقطعة أو زلة) .

عليه سكينه أهل اليمن وحكمتهم وزاده الجهاد أدباً وسكينة .

مكث في غوربند قرابة ستة أشهر، ثم كانت شهادته مع مرزوق في نفس السيارة، مصباح أشرق ثم اختنق، وزهرة زهت وانتثقت ثم ذبلت وصوتت، وحطم جميل طاف بنا ثم مضى وسلب معه بعض العقول .

ولد في ذبحان -عز-، وتعلم في المعهد العلمي في صنعاء، وهو نفس المعهد الذي تخرج منه هشام الديلمي .

ولقد أفاد كثيراً من المنهج الإسلامي الخالص الذي يدرس في المعهد وخاصة القرآن والقراءة والتجويد والتفسير .

فنقل ما درسه في سورة التوبة إلى واقع حياتي في أرض بروان .

فما الحق إلا قوة وعزيمة يعوزه رمح ويرقبه باتره
ونار تذيب القيد في جمراتها فليس لك القيد إلا صواهره

الشهيد أبو جهاد (أحمد أبو غوش)^(٢):

لأول مرة رأيته في معسكر صدى، شاب وسيم، تزين وجهه استتارة الوضاعة مع جلال الحياء، وبدأ يحدثني أنني كم عانيت حتى قدمت هنا، وكما لا مني العذاب وأنا أعد قارب النجاة من حياة ليس عليها أية سعة من ندوة الروح أو شفافية النفس أو صفاء القلوب !! غرق الناس في الدنيا فلم يعد لكلامهم طعم - ولا تتجاوز الكلمات الشفاء فلا تلامس أوتار الأفتدة ولا تخترق شفاف القلوب . وعجبت له وهو يحدثني بهذه الحرقه والمرارة كيف لا يزين وجهه جمال اللحية؟ واكتشفت السر أنه كان ملتجئاً ولكن السفارة رفضت منحه التأشيرة .

شاهد من مسجد الشهيد: كان جاداً في أمره، تخرج من الثانوية، وتخصص في الكهرباء، وعمل فترة في هذا المجال، ثم طلق الدنيا عندما سمع محاضرة واحدة في مسجد الشهيد في جبل التاج في عمان للشيخ تميم العدناني، فانطلق لا يسأل عن شيء إلى أرض الشهيد والشهادة، طمناً أن يلبس تاج الوقار الحقيقي الياقوت منه خير من الدنيا وما عليها (إن الشهيد عند ربه سبع خصال: ينفر له مع أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويؤمن من القرع الأكبر، ويلبس تاج الوقار الياقوت منه خير من الدنيا وما عليها، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين ويشفع بسبعين من أهل بيته) حديث صحيح .

(٢.١) المصدر السابق.

مسجد صدي هو مسجد الشهيد اختبئي؛ هذا المسجد الصيني فريد في نوعه، فكم شهدت اعمته من قاتلي اسير، وذاري في
الدموع السخينة، وثلومات المشتاقين إلى الجنة، وكم تربى بين جدرانه من أسود صانت العهود وأعادت سيرة الجدود، وكم من رجال
مروا عليه ثم سيطروا بدمانهم أروع ملاحم البطولة وكتبت أسماؤهم في سجل الخالدين .
وقد سميناه مسجد الشهيد انجنير حبيب الرحمن أول شهيد من الحركة الإسلامية في أفغانستان، والحق أنه مسجد الشهيد،
لا بل مسجد الشهداء .

في الطريق إلى تخار: ومع مجموعة من إخوانه صمم أن يخترق أفغانستان من جنوبها إلى شمالها، وانطلق أحمد وقلبه يسبقه
إلى الشمال، ولكن قدر الله جاء بالثرج التي حالت دون استمرار مسيرة القافلة، ورجعوا من الطريق بعد أن كانوا يلقوا حتفهم بين
جبال الجليد في نورستان .

ثم إلى نجرهار: وهذه منطقة قد طوت بين شعابها فلذات من أكبادنا . ففي شلمان احتضنت سعد الرشود وعبد الوهاب
الغامدي في بداية انطلاقتنا، ثم لثمت هذه الأرض فم أحمد أبا جهاد تبركا وتطيبا .

ودعا ذلك الشخص أيها الحفيان إن الوداع أيسر زاد
واغسلناه بالدمع إن كان طهراً وادفناه بين الحشا والفؤاد
واحياه الكفان من طي القلب كبراً عن أنفس الإبراء

وهكذا وبطرفة عين أسدل الستار على صفحة من صفحات الخلود، نبتل إلى الله أن يجمعنا جميعاً في الفردوس الأعلى، إنه
سميع قريب .

من وصية الشهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله رب العالمين، القائل: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل...) والقائل سبحانه (وجاهدوا في الله
حق جهاد، هو اجتباكم) .

والصلاة والسلام على قائد المجاهدين وإمام المتقين... وبعد، هذه وصيتي أنا الشهيد -إن شاء الله- أحمد محمد نمر أبوغوش
الكنى (أبو جهاد)، أوصي والذي ووالدتي وإخواني وأخواتي بتقوى الله عز وجل، والمحافظة على حرمانه، والقيام بالطاعات التي أمر
بها، وأرجو من الجميع الدعاء بالمغفرة والرحمة، وأن يسامحوني عما بدر مني .

والذي، والذي، إخوتي، أخواتي الأعزاء:

اعلموا أن هذا الطريق الذي اتبعته إنما هو الطريق الذي أمرنا به سبحانه بأن نتبعه (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا
تبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) والصراط هو هذا الدين، وهذه العقيدة التي يغذيها الناس بحياتهم فتوهب لهم الحياة .

وهذا الصراط قد عبره موكب من النبيين والصديقين والمجاهدين، وهذا الموكب سائر إلى يوم القيامة، ولا بد لهذا الموكب من
ضحايا... لا بد أن تمرق قافلة الرقيق بعض جوانب الموكب، لا بد للحرية من تكاليف، ولا بد أن تصيب سياط العبيد بعض ظهور
الأحرار، إن للعبودية ضحايا وهي عبودية، أفلا يكون للحرية ضحايا وهي حرية .

فهذا هو الطريق... طريق العزة والكرامة والجهاد .

وفي الختام أرجو من الجميع الدعاء بالمغفرة والرحمة .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الفقير إلى الله: الشهيد أبو جهاد

(١٩٨٧/١١/٢ - ١٠ ربيع الأول ١٤٠٨ هـ)

الشهيد اليماني أبو محمد (خالد علي محمد الشرجبي) (١)

إن الداعية نعمة يمن الله بها على عباده، وهو في مكان قطب الرضى ومحط الانتظار ومهوى الأفئدة، إليه يفزع الناس في الملهمات، وإليه يهرعون إذا تكالبت المشكلات، وحاجة الناس إلى الدعاة أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أوجب من طاعة الأبناء والأمهات، كما يقول الإمام أحمد عن الدعاة والعلماء، لهم يستغفر السمك في البحر وأهل السموات والأرض، فما أكثر خيرهم على الناس، وما أكثر شر الناس عليهم!! من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، شاب نشأ في طاعة الله، ومعلق روحه في المساجد، غضيضة عن الباطل أعينهم، كيلة عن الشر أرجلهم، أنضاء عبادة وأطلاح سهر، متحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها، وكلما مر بآية عن ذكر النار زفر زفرة كأن جحيم جهنم بين أذنيه.

بأبي هؤلاء الشباب وأمي حيث يسهرون وقد نام الناس، ويصومون إذا أفطر القوم، صامتون تقرأ من قسرات وجه أحدهم ويريق عينيه كأن هموم المسلمين كلها ملقاة على عاتقه، لا يتكلم إلا بقدر.

كان أبو محمد -كما نحسبه ولا نذكره على الله أحداً- من بين هؤلاء الذين يعملون بصمت، يأسرون القلوب بابتساماتهم المعبرة، ويدخلون الأفئدة دون سابق استئذان، شخصية قيادية، كان كلما رأى حلاً بين الصفوف طفق يحدث عن الصبر في الشدائد وهو دأب الصالحين، وإذا أبصر تراجعاً بدأ يحدث عن الثبات وعن مواقف الرجال والأبطال.

عمله تربية الشباب وربطهم بالله وشدهم إلى صراطه سيان الله، ولد في تعز وكان نابغاً ذكياً، وقد كان متفوقاً خاصة في الثانوية العامة، فقررت الحكومة إرساله مبعوثاً إلى جامعة الملك سعود (الرياض) فدخل كلية العلوم، وبدأ الإقبال من أبناء الجزيرة إلى أرض البراكين والحمم والشهب النارية في خراسان، وكان من بين المقبلين في إجازة الشتاء، فتعلقت روحه بالجهاد، عاد إلى الجامعة ولكنه أودع قلبه بين جنبات المعسكر، وأصبح شبحاً في الرياض، يأكل ويشرب ويتحرك بين الناس ولكن أعصابه وروحه وتب بكتبها -تقريباً- مشدودة إلى هناك، حيث تمتزج البطولة بالدماء والحديد، فأصبح غريباً بين أصحابه، وكما يقول ابن الرومي:

أعاذك أنس المجد من كل وحشة فأنتك فسي هذا الأنام غريب

فهناك مفارقات هائلة بين الموجود والمنشود، بين الواقع الذي تعيشه الناس، والمثال الذي يحققه الأبطال في الجبال.

ولم يطق الصبر بين أعمدة الجامعة التي لا يسمع فيها سوى أحاديث الطعام، وتعدد الزوجات أم لا، وهو واجب على الكفاية أم مندوب، والشباب يتهامسون: لقد أنقصوا الأعطيات الشهرية، وقطعوا التذاكر، ومنعوا استخدام الزوجات، إلى غيرها من الأحاديث المكررة التي أصبحت كأنها مبضع يعمل في جسده، ولا بد لهذه الحال من حسم، وترك الجامعة وانطلق إلى المأسدة، وأقام في حطين - أحد مواقعها - يعيش مع إخوانه بخلقه الرفيع، وصمته الدائم، وذكره الكثير، وقرأه أنيس حياته وقلبه، فأسر القلوب، واستهوى النفوس، كان كثير الخدمة لإخوانه، متواضعاً.

واختار حطين -كموقع متقدم- حثاً للشهادة واستعجالاً للقاء ربه.

ونفس الشريف لها غايتان وروح المنايا ونيل المنى

وجاءت الساعة التي يرقبها منذ زمن، وانطلقت قذيفة الهاون وتفجرت في الجو وأصابته مع أخوين له، وهرع الدكتور أبو البشر صهر الداعية عدنان سعد الدين واحتضنه، وبدأ يحاول أن يقدم له الإسعافات الأولية، ويجري له التنفس، كانت الإصابة في قدميه وفي صدره، وجيء بالسيارة، وانطلقت تنهب الأرض، وأخذ يذكر الله، ثم دخل في غيبوبة، وكان ذلك في التاسع عشر من رمضان.

قد وصلت قد وصلت: كانت هذه هي الكلمات الأخيرة التي ودع بها الدنيا بعد كلمة التوحيد، قال استجابة لسؤال أبي البشر كيف حاله؟ فقال: قد وصلت قد وصلت، وفاحت رائحة زكية في الجو كرائحة الآس والإذخر، كما يقول الدكتور أبو البشر قال: نعرفت أن روحه قد فاضت إلى بارئها، وجاشت مشاعر أبي البشر بهذا الموقف الخاشع المعبر الذي يصغر الدنيا في عيني صاحبها، ففاضت أحاسيسه بكلمات شاعرية على لسانه فقال:

أودعت أرض الجنان مزغرداً وبقيت ارتشف المראה في صدا
لما أتاه الموت أعرض قائلاً إنني الشهيد مخلص طول المدى

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٢ ص ٢٠ شوال ١٤٠٨ هـ يونيو ١٩٨٨ م.

من قبل أن تأتيه بات مسدداً
فأجابني أبشر وصلت موفداً

أذهب فغيري في المذلة قابع
لما تداني للسوداء سائته

فندعو الله أن يجمعنا وإياه في الصالحين.

هنيئاً لك الشهادة^(١):

قالوا استشهد وما علم الناعون أنه كان ومضاً لعيوني، وأملاً ترعرع عوده في وجداني، ما كنت أحسب أنه ينمو على كتف النون، ذاك الذي كان في صدره حلاًماً أخضراً.. طوراً كان يعبر عنه بزمجرة، وأطواراً يشدوا به كقيثار حزين، فلقد كان كالأتون. لقد توج الشيب رأسه برغم عمره الذي لم يتجاوز الثالثة والعشرين، وعلى جبينه تركت أناملها السنون، متوضي الخطوات والكلمات.. صوام العيون.. والابتسامة لا تخطيء طريقها إلى شفثيه أبداً.. وكان كأروع ما يكون الأصدقاء، وكان كالصفي الرقيق.. (فتياً، أيباً، ذكي البريق، شفيفاً، رهيلاً، كطل رقيق).

يطل من عينيه عزم كالنهار، وفي صدره دأماً أمل يستفيق، وفي أعماق أعماقه ثورة تستعر، كان كتلة من النشاط والحيوية والحركة، ينتقل من مسجد إلى مسجد في منطقته، يلقي فيها ما فتح الله عليه من النروس والعبر، ويربي البراعم على مائدة القرآن، ويحبب للشباب الذين في مثل سنه إسلامهم، وعندما كان في خدمة الجيش لم تفتقر له همّة، ولم تكل له إرادة، اندفع يعلم الجنود أصول عقيدتهم، ومبادئ دينهم، حتى نال رضى ضباطه، وجعلوه مشرفاً على المعلمين، وحاز على حب الجند فصار كل فرد منهم ينظر إليه نظرة إجلال وحب وتقدير.. كان عملاقاً بإيمانه وأماله وطموحه، وفي طرحه الموضوعي عند مناقشته لخصومه، فلم يخذل أحداً بكلمة نابية، وإذا حضر أي مجلس أو مقيم يذكر الجالسين بالله وبهموم أمته وجراحات المسلمين في شتى بقاع المعمورة.

رفض أن يعيش في عصر اللافقات، يلوك الكلمات ويمضغ الشعارات، فنذر نفسه لله، فكان في الصفوف الأولى مع المجاهدين والمرابطين، كان سفراً من آلام الكفاح، ونبعاً صافياً يتدفق بالحب والإخاء والإيثار.. ونكاه يتألق من خلال سيرته الدراسية، نال شهادة الدنيا بتفوق قلم يرضى بها، وأحس أنها شهادة للعظام، فلقد حملت نفسه طموحاً عالياً وهمّة سامية، فتطلع إلى شهادة عالية، تعلو دعوته، خالدة كخلود رسالته، رفيعة كرفعة عقيدته التي يحملها بين جنبيه، فبحث عن هذه الشهادة، فوجدها في الجهاد، وفي أرض الجهاد أرض الأفغان الطاهرة.

أواه -أيها الشهيد- كنت تلميذاً فصرت لنا اليوم أستاذاً تعلمنا معاني العطاء والبذل في سبيل الإسلام الغالي، علمتنا أن جنسيتك هي عقيدتك، ووطنك هو دار الإسلام، وغايتك الله، وقوتك رسول الله، ومستورك هو القرآن، وطريقك هو الجهاد. علمتنا أن نفرتك للجهاد في سبيل الله إنما هي انطلاقاً من قيد الأرض، وارتفاع على نقلة اللحم والدم، وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان، وتغليب لعنصر الشوق المجنح في كيانك -أيها الشهيد- على عنصر العقيدة والضرورة، وتطلع إلى الخلود الممتد، وخلّص من القناء المحنود.

وها أنت ترحل قبل أن تستحم بضوء الخلافة بعد، ولكن لن تستطيع الدموع أن تخذلنا، وستكون التعازي زيتاً يدفعنا لتقديم المزيد من الشهداء من أحفاد الأنصار، ولأن أية الشهادة في كتاب ربنا تنلى على مسامعنا كل يوم (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) فتهدأ كل الأحزان، لأننا نعلم أن الناس يموتون كل يوم.. ولكن الشهيد لا يموت أبداً، ونؤمن أن الله لا يختار للشهادة إلا من يطرد الدنيا خارج حدود بدنه، فهنيئاً لك الشهادة يا أبا محمد، ولكل الذين سبقوك، وليكن استشهاده قعة محترقة، تقذف حماماً وباروداً وناراً على التتر الحمر الهمجيين، وأن تشرب الأرض الطيبة العطشى دمك الزكي.

هنيئاً لك الشهادة يوم القيامة، اللون لون الدم والريح ريح مسك، ولنن كتبت بدمائك العبيقة وثيقة الشهادة. وأذبت فيها روحك بنبل وفائك لدعوتك الراشدة، وحملت بحلمك الأخضر قيام الخلافة الراشدة والدولة الإسلامية في أفغانستان، فلتنهأ ولتطمئن، فإننا نلمح اليوم طير ينقر غيمات جبل تستنزف منها بعض الطل، وبشائر النصر تلوح في الأفق، وبنزيفك الجاري بأطباق الثرى رويت شجرة الحرية المنشودة، وكانت تلك الشظية التي أصابتك نبع زلال يروي كل الظامئين للعزة والإباء والكرامة.

(١) في رثاء الشهيد أبي محمد اليمني رحمه الله - مجلة الجهاد العدد ٤٨ ربيع الأول ١٤٠٩هـ أكتوبر/نوفمبر ١٩٨٨م ص ٢٥.

فلنبتهل وندعو الله صادقين أن يتقبل الذين انتصروا رغم الإبادة.. للذين عبروا فوق درب الشهادة.. للذين كتبوا بدمائهم الزكية فوق ربي الأفغان.. إنما الموت أحلى ولادة.

الشهيد حذيفة المدني (محمد عبد الحميد شحاته) (١)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

نقف اليوم صامتين خاشعين أمام قدرة الله وعظمته وألوهيته ومنته على بعض الأفراد الذين ذهبوا مع دنياهم كل مذهب، وخاضوا في الأوجال وركبوا لها كل مركب، وكانني بأبي نواس يقول فيهم:

ولقد نهزت مع القوة بدلوهم وأسمت سرح اللهب حيث أساموا
ويلفت ما بلغ لمرق بشبابه فإذا عصارة كسل ذاك آثام

ثم ذهبت نقعة ريانية وحملتهم إلى الجهاد، وتغيرت حياتهم، وصاغتهم أهوال الحرب صياغة جديدة، وفي أتون القتال صلب عودهم، وصفت أرواحهم، وسمت نفوسهم.

ومن هؤلاء نموذجان: عبد الحميد البحريني، وحذيفة المدني، وقد استشهد برفقة حذيفة أخوان آخران في قندهار (أبوطارق الفلسطيني، وأبو الحسين السوري).

من أهل ينبع أصلاً ثم سكن أهل المدينة، وطاف في الأرض هائماً مع هواه، ليس له غاية يحققها ولا أمنية ينشدها، ووصل المغرب وأعجب بجمال بنات المغرب، وتزوج منها، وكان يتردد عليها من أجل زوجته، ثم طلقها، وسمع بأفغانستان وعن الجهاد فيها، فامتزت أوتار الإيمان في أعماقه، وسار إلى حيث تضطرم النار ولا يخف لها أوار حيث الأبطال بقندهار.

مع القافلة إلى قندهار: حدثنا أبو ثابت قال: وسارت القافلة تتهادى في هذه المغارة المهلكة التي لا ترى فيها أثراً للحياة، وكم سقط فوق هذه المغارة من أجساد، وكم تشربت رمالها من دماء، وكم دفن بين تربتها من أشلاء، كانت غولاً مقرعاً، وشبحاً رهيباً بالنسبة للقوافل المجاهدين، وتكاد القلوب تعد نبضاتها لكثرة انتباهها، وتكاد الأذان تلتقط النسمات الهادئة فتحسبها هدير دبابة أو أزيز طائرة، وتكاد الأنوف تحصي أنفاسها، فالكماثن كثيرة، والدبابات لا يقابلها شيء إلا أولئك الذين باعوا أنفسهم لله يخاطرون بأرواحهم ويغامرون بحياتهم، والطائرات تسرع وتمرح غدواً وعشياً تنتظر قافلة مارة أو جمعاً متحركاً، والطريق تستغرق ثلاثة أيام، وفي السرا يحلو السمر، وبدأ حذيفة يحدث عن إحساسه الداخلي بقرب الشهادة، وبدأ يقص رؤيا رآها عن أخية الميت وكان أخاه يستحث خطاه إليه.

كان أبو ثابت أخذ بيد حذيفة وفي الليلة الثالثة، وعلى بعد ثماني ساعات فقط من مطار قندهار كان لا بد للقافلة أن تمر في شعب الموت، حيث تنحسر الطريق وتضيق بين تبتين متقابلتين، وفجأة وإذا بالرشاشات تلعب فاتحة أفواهها علينا ومن الجانبين، واشتغلت وسائل الإبادة المتعددة.

يقول أبو ثابت: وقعت قذيفة هاون بيننا وأصاب شظاياها جوارحنا، أما حذيفة فقد كان الجرح غائراً، وصار يتن من الجراح، وتحاملت على نفسي، وزحفت على بطني حتى التصقت بسفح التبة، ثم سرت بين الزحف والمشي، ووصلت إلى راع للغنم، وموت طائرة، وألبسني عمامته لأنه من الغريب جداً أن يضع القندهاري عمامته، ثم أخذني إلى بيته، وهناك عرف أنني عربي.

كرم أهل قندهار: وعندما أدرك الراعي أنني عربي قام إلى شاة وذبحها إكراماً لي، وكان بإمكانه أن يسلمني للشيوعيين مقابل مئات الآلاف، ولكن إكرام الضيف، من أكبر الواجبات وقبول الواجبات فرض بالنسبة لهم، والشاه لها قيمتها.

كنا قرييين من المطار، بعضهم قد لحق بريه، وطفقتا نبحث عن إخواننا العرب حذيفة وأبو طارق الفلسطيني وأبي الحسين السوري وأنا متلهف لأرى مصيرهم

ونوالظما المشتاق لا يعرف الوغى ولا الضعف حتى يستبين له الورد

وكان لابد من التأكد، ودلونا على جدثيهما، ورأيت حذيفة بعد ثلاثة أيام ودمه لزج وجسده لم يحصل له أي تغيير رغم أن

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٤ ص ٣٢ ذو القعدة ١٤٠٨ هـ يوليو ١٩٨٨ م.

الشيوخ عيين مسودة وجوهم منتفخة أجسادهم والصيد يسيل من أنوفهم وأفواههم.

هكذا مضى محمد عبد الحميد إلى ربه رغم أنه لم يتم الأشهر الثلاثة في ساح الجهاد، ونرجو الله أن يكون هذا دليل القبول، إذ أن عمرو بن ثابت بن أقيش -الأصيرم- دخل الجنة ولم يركع لله ركعة، كما كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول، على أبواب قندهار ومنذ الأيام الأولى خلع محمد أثواب الجاهلية وتذر بالأخلاق الإسلامية من شجاعة وأخلاق وتضحية وإصرار.

أصهر بنارك قل عنقك ينصهر
واقم على الأشلاء صرحك إنسا
فعلى الجماجم تركز الأعلام
من فوقه تبني العلا وتقام

الشهيد أبو طارق الفلسطيني^(١):

رأيت في المكتب، تمنع في عينيه بريق المضاء وعزما وسناء، ذهب إلى قندهار وعاد يطلب المساعدات للجبهة

لقت السورى منك الزئير
عرف الطريق لحقه
فزمجر من حوله غاب
ومشى له الجند الصواب

شاب أصله من غزة، ولد بعيداً عنها في جدة، وترعرع فيها، ولكن قلبه معلق بالأقصى ووجد أن الطريق الجاد نحو الأقصى هو الإعداد والاستعداد، فلا بد من البحث عن ساحات غير منابر الكلام وميادين الخطابة، فأتجه إلى ساحة النزال، وكان على قدر، وقد كتب الله لي أن أودعه بتلك النقائض العشر التي وقفتها معه في مضافة سعد الرشود (مكتبنا)، وكان اللقاء في الله مع أخويه حذيفة وأبي الحسين السوري في السادس عشر من شعبان سنة (١٤٠٨هـ).

وجسم تجدل في الصحصاح
فمنه نصيب لطير السماء
تقاوشه جارحات الفلا
ومنه نصيب لأسد الشرى

ولولا حزن بنات غزة لتركناك يجمعك الله من بطون السباع وحواصل الطير.

الشهيد أبو الحسين السوري^(٢):

اسمه الحقيقي عبد الفتاح محمد عبد الرحيم السواري، سوري الأصل، سعودي الجنسية، من مواليد جدة حيث تعيش أسرته، أنهى الدراسة الثانوية ثم دخل الجامعة، وفي السنة الثانية من دراسته الجامعية صار يتقلب على الشوك، وأرق أجفانه صرخات المظلومين وأفات التكالي وصيحات العذاري التي تنوي في سفوح الهندكوش، فلم يطق الحياة مع الكلمات الباردة التي يخزنها قوالب في ذهنه ثم يفرغها على ورقة كيما ينال ورقة يعمل بها -إن تيسر الأمر- معلماً بالفي ريال.

عاش أحداث حماة التي لا تحتمل مرارة العيش من قبل، وأخذت لواعج صدره تشتعل غيظاً على الظالمين.

كان أليفاً مألوفاً محبوباً من قبل الصغار والكبار، يزين وجهه اتران صامت وهود ملحوظ، كان مواظباً على صلاة الجماعة، وجاء القدر المقدر لانطلاقه الخلود فيم شطر قندهار.

نفسه طوع معة
وجمت دونها الهمم

وانطلق يرفرف بأجنحة الشوق، ويطير بوقود الصدى مع قافلة حذيفة وأبي طارق حيث الردى ينتظرهم بمرصد.

وفي كويتا سرى النبا سريان النعي في يوم عرس، ووجم الجميع وهم يستقبلون نبأ وداع ثلة من الآخرين.

الشهيد عبد الحميد عبد الله البحريني:

وهكذا كان وقع نبأ استشهاد عبد الحميد البحريني على قلب إبراهيم كالصاعقة، لقد كان وقع الصدمة عنيفاً على قلب إبراهيم

(٢. ١) المصدر السابق.

الرفيق الرؤوف اللطيف، لم يتعود إبراهيم أن يواجه أنباء مزلزة لكيانه وهaze لأركانه كهذه، ما كان يتصور أن يفارق عبد الحميد في رحلة طويلة لا لقاء بعدها إلا فوق السرد الموضونة إخواناً متقابلين إذا كتب الله لهما ذلك اللقاء..

وكان الخبر عنيفاً على قواده، فبدأ يستعيد شريط ذكريات طويلة لرحلتيهما فوق أرض البراكين والشهب والزلازل والجماجم: بدأنا المسير معاً باحثين عن قضاء إجازة ممتعة مريحة، ننطلق مع أمانتي الشباب التي لا تتعدى نسيمات عليّة بين أشجار غابة جميلة تسمح عن أنفسنا عناء حرارة البحرين وتنسينا جوها الحار الخانق.

وتهب علينا نفحة ريانية لإنقاذنا من أوضار الجاهلية التي تنقلب في أحوالها، إذ تقع في أيدينا صحيفة تتحدث عن أخبار الجهاد وأنباء انتصاراتهم. وتستثيرنا الأنباء، ويبدأ التفكير بالحقاق بقوافل الأفذاذ، وتحول التفكير إلى تصميم.

في سفارة كابل؛ وبدأ التنفيذ، وتوجهنا إلى السفارة الشيوعية في إسلام آباد، وسألناهم عن إمكانية أخذ تأشيرة للذهاب إلى كابل، فسألونا عن السبب، فقلنا نريد الجهاد مع المجاهدين، وأخذ موظفو السفارة يبتسمون وينظرون إلى بعضهم، وأدركنا أننا أخطأنا المعبر، فخرجنا بعد أن عرفوا أننا من البحرين.

ومن فضل الله علينا أن مكتب المجاهدين كان قريباً، ورتبوا أمر إرسالنا إلى بيشاور، ومن هنا طلبنا التوجه إلى جبهة ساخنة. طاحون الموت لا يتوقف فيها من الهدير، وكانت أقرب الجبهات الساخنة جبهة لوجر حيث الدكتور ولي الذي التقت القلوب على احترامه، واتفقت الناس على إجلاله.

في اللوجر؛ ونزلنا على الدكتور ولي في خير دار، ووقعنا على أحسن جوار وأنسانا حبه ذكر الأهل والخلان، وفي مراتع لوكر سلونا المنشأ والجيران، وبدأت حياتنا تصاغ على لحن الكفاح، تصغر في أعيننا تلك الهالات الضخمة التي كانت تهز المناظر، وصار مثل الدكتور ولي وأمثاله من الشباب الذين يصنعون حياة الأمم بأرواحهم، ويخطون تاريخها بدمائهم، ويبنون أمجادها بأشلائهم، كان لابد لنا أن نردد:

تقضي على حد الأسنة لا النمارق والوسائد

لسنا كمن يرغي على الأعواد بالخطب الرواعد

وقضيناها فترة شاعرية وليال مرت كأحلام الصبا، عذبة المذاق، حلوة الطعم، وظننا أن رحلتنا ستطول مع هذا البطل، ولكن:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وما هي إلا أيام قلائل حتى أقبلت قوة العدو بأساطيله الجوية والبرية، ودارت رحا الحرب الزبون، وكان معنا الشهيد عبدالوهاب الردة الغامدي، ويعقوب، وأبو العز السوري، وخرج البطل د. ولي ليدافع عنا ويطمئن على سلامتنا، ودارت معركة المواجهة، واختلطت يد المنون قائدنا، وأصيب عبد الحميد برصاصة كسرت يده وكذلك يعقوب، وعينا نحمل عبد الحميد ليتلقى علاجه في أفغان سيرجكال، ولم تسطع المستشفيات الباكستانية أن تتفن علاجه، وتوجه إلى لندن وعلى حساب بعض المحسنين، ومن الله عليه بالشفاء، وعادت يده إلى حالتها الطبيعية.

إلى قندهار؛ وتحسنا أخبار الجبهات مرة أخرى فكانت الأسنة تتداول أخبار الأحداث المجلجلة التي تدور رحاها في قندهار، وشددنا إليها الرجال، وهناك ترى من الأهوال ما يندق عن الوصف، وهناك المجاهدون.

قيام بأبواب القباب جياهم وأشخاصهم في قلب خائفهم تعو

معارك تدور في وسط الشوارع لا تبعد عن العدو مائة متر.

والمجاهدون فيها كما يصفهم ابن القيم: (تلمح القوم الوجد ففهموا المقصود، فأنجموا الرحيل، وشمروا للسير في سواء السبيل، فالناس مشتغلون بالفضلات، وهم في قطع القلوات، وعصاير الهوى في وثاق الشبكة ينتظرون الذبح).

وعمل مع المجاهدين في قندهار وهو ينتظر الشهادة كل لحظة، وعمل مع قائد الاتحاد توران عبد الستار واستشهد.

القائد جاتان؛ وهناك شاب لا يتجاوز السادسة والعشرين، سيماء الحياء، صدره يغلي كالرجل، ولكنه لا يرفع عينيه في جلسه حياء وأدبا، شجاع:

همام إذا ما فارق الغمد سيفه وعائنته لم تدرايها النصل

ومع جانان وبين أهل قندهار وجد عبد الحميد نفسه، وأهل قندهار لهم سمات يتميزون بها عن أهل أفغانستان، فالشجاعة بثارهم، والكرم سجيبتهم، والحياء فطرتهم، والصلابة لحمتهم، والصبر سداً لهم، وتتميز نساء قندهار باحتشام عجيب في جميع البيوت، سواء متدينهم أو فاسقهم، وإذا فإن الملك ظاهر شاه عندما أصدر مرسوماً بكشف النقاب عن الوجوه أبت نساء قندهار ووقفت بصلابة أمام المرسوم الملكي، واتبع الملك هواه وأصر.

وكان لابد من إرسال جيش بقيادة خان محمد لتنفيذ القرار الملكي، ودارت رحى معارك سقطت نتيجتها قرابة ألف رجل، وعاد الملك يجر ثياب الخزي والخذلان ويمضض أصابع الندم والحرارة.

أضف إلى هذا أن أهل قندهار من الجنس البشتوني (الباتاني) المعروف بصلابته وخشونته وشجاعته.

كرام إذا أعطوا شمس إذا بدوا كثير إذا نوبوا قليل إذا علوا

عمليات جريئة في قندهار: وفي قندهار جرت عمليات جريئة، ولك أن تأخذ صورة عن كثرة العمليات أن أحد زملاء حدثني: إنه مر شهر لا يمر فيه يوم إلا ويدخل عملية تستمر من الصباح إلى المساء، وأعدوا سيارة متفجرات وأرسلوها إلى كابل، وأحدث انفجاراً هائلاً سبب خسائر ضخمة، وتناقلته وكالة الأنباء العالمية، وأحدث دويماً كبيراً في الأوساط السياسية والإعلامية.

وجاء اليوم الموعود، وصار عبد الحميد مع جانان يعدان لعملية أخرى شبيهة بسابقاتها، وانفجرت الألغام، وتمزقت أجسادهم، وتناثرت لحومهم، وحاول الإخوة أن يجمعوا من لحومهم، ومضى عبد الحميد مع جانان لحرقاً بالشهيد عامر الأكوع الذي بارز مرحباً زعيم خيبر، ودجع سيف عامر عليه فقال ﷺ: [إنه يؤتى أجره مرتين].

المثال الحي: ومضى عبد الحميد مثلاً حياً لمن أراد أن يمن الله عليه بالقوة ويعطي مرتبته بالجهاد بعد جاهلية وضياح.

فهنيئاً لعبد الحميد الشهيد، ونرجو الله أن يكون قد تقبله في الصالحين، وأعلى مكانته في عليين، وهنا يتوقف شريط الذكريات في ذهن إبراهيم ويدرك النقلة الهائلة بين ذلك اليوم الذي دخل فيه السفارة الشيوعية في إسلام آباد، أو عندما قابل سير فراز المسؤول في الحزب الإسلامي، وسأله سرفراز عن الإسلام وعن بعض الكتاب اللامعين من المسلمين كسيد قطب فأجاب إبراهيم: نعم إنه كان يدرسا في العام الماضي في الجامعة في البحرين، وهو يرى رحمه الله في هذه النقلة الكبيرة والمسافة الشاسعة التي قطعتها نفسه بين الأيام الأولى في التوجر حيث تعلم الصلاة عند د. ولي، وبين هذه الأيام وقد نضجت نفسه وارتفعت اهتماماته وصلب عوده وأصبح من رجال أعظم قضية في الأرض.

الشهيد عبد الرحمن المصري (الركن الذي نوى)^(١)

وهكذا عاش عبد الرحمن غريباً، وجاهد غريباً، واستشهد غريباً، وهكذا كان أبو ذر رضي الله عنه (طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماء، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأنن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع) البخاري.

سبق الشباب العرب إلى أرض المعركة، والتقى مع الشيخ جلال الدين، وتعلقت روحه بجبهة خوست وجور، وأصبح الشيخ جلال الدين قنوته على هذا الطريق -بعد رسول الله ﷺ-، لم يكن يطيق فراق الجبهة ولا يفارها إلا لحاجة ماسة أو ضرورة بارزة.

كنت أراه بين الحين والآخر فأعاتبه عتاباً رقيقاً لأنني أطمع أن أظهر برؤيته والتحدث إليه، فكان يغضي حياء، إذ أن طبيعته الصمت، ومن سماته الحياء، هذا إلى الشجاعة التي كانت من معالم شخصيته البارزة في جاهليته وإسلامه.

في الإسكندرية: ولد وترعرع، وكان يهودى البطولة، ويعشق القوة، وفي عرصتها كان هذا الفتى يحمل سكيناً به سلسال يلوح به كرمز من رموز الصعاليك (الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا).

رجل تعرض في الصعاب ولم تقل منه الصعاب
لومعه انتاب الهضاب لكسكت منه الهضاب

إلى أفغانستان: وسمع بدوي القذائف وذللة الأرض وتقجير البراكين فوق أرض الغزنوي، وصمم أن يكون بين هؤلاء القوم الذين يكاد الخيال يحسبهم جناً في ثياب أنس.

(١) المصدر السابق ص ٣٥.

وترامى إلى مسامعه في بيشاور خير الشيخ جلال الدين حقاني، وصمم أن يكون في جواره، وأن يواصل معه المسيرة التي تصنع التاريخ وتبني الأمجاد وتحيي الأمم.

عبس الخطب فابتسم وطفى الهول فاقتمح

وفي هذه المنطقة وبين جبهاتها ارتبطت روحه وتعلقت نفسه فما يستطيع لها هراقاً، ولا يصبر عنها بعداً، يستوحش عن بيشاور حيث يأنس القاعدون، وينفر من مجالس القيل والقال حيث القوم راتعون يحللون الأحداث السياسية ويرتبون المجاهدين في مراتب ودرجات كما تسول لهم أنفسهم.

ومنذ قرابة خمس سنوات وعبد الرحمن هناك في أرض الجبهة، لا تسأل عنه إلا قيل لك عمل عملية على باري، ضرب مطار خوست، في جرد وماتي كانداه، مع صاحبه أبي حفص، ومصطفى وأبي عبيدة.

ثم انشغل أبو حفص بأعمال أخرى في إسلام آباد، في الهند، وبقي عبد الرحمن بجانب الشيخ جلال الدين.

كم منزل في الأرض يعشقه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

الزواج: وجاعني الإخوة وقالوا نريد بيتاً لعبد الرحمن فهو يريد الزواج، فقلت لهم أعطوه بيتاً وافرشوه بما تيسر من متاع وأنوات، وتزوج عبد الرحمن، وصار يعطي أهله بعض وقته الذي كان خالصاً للجبهة من قبل، ووجد أن هذا الوقت قد أصبح يضيع على الجبهة، وعرض الأمر على الشيخ جلال الدين حقاني، فوفر له بيتاً في ميرانشاه وانتقل إليها وودع بيشاور وداعاً غير واثق، وعاش على قرب ساعة من الجبهة، يأتيه أحياناً بعض إخوانه العرب ومعظم أوقاته وحيداً، وهو يتقن الفارسية، فعاش بين الأفغان كأنه أحدهم، وكثيراً ما كان رجال الأمن من باكستان يمسكون بعض العرب أما هو فيتركونه بسبب لغته ظناً منهم أنه أفغاني، لا يستوحش إلا البندقية، ولا يأنس إلا بوحدة وسلاحه.

فيم انفرادك لا أنيس	تسراه في القفر المخيف
في ريقة الوهج الحرور	وغسل عاصفة عصف
وصبرت للهوج اللوافح	في الضحى صبر الأنوف
وطلبت وحدة راهب	فيها وعزلة فيلسوف

الشهادة: (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مزجلاً)، لقد تعرض عبد الرحمن عدة مرات للموت المحقق ولكن الله ينجيه إلى القدر المحدود، وكان آخر الحوادث التي تعرض لها حادثة سيارة استشهد من فيها ولم ينج إلا عبد الرحمن وآخر، وقبل أيام جاءت سكرة الموت التي لا مفر منها، وسقط الركن القوي مجنحاً بدمائه، وغادر عبد الرحمن دون تحية وداع ولا عناق أحبة.

كسا دمه الأرض بالأرجوان	وأثقل بالعطر ريع الصبا
وعفر منه بهي الجبين	ولكن عفاراً يسزيد إليها
وبان على شفثه ابتسام	معانيه هزم بهذي الدنى
ونام ليحلم حلم الخلود	وبهنا فيه بأحلى الرؤى

ليث بروان وشهيد رمضان (موحد)^(١)

رجع أبو سيف من هرات يحدث عن بطولات أرض الفخر الرازي والأحنف بن قيس، وعن ضراوة القتال الذي تنور رحاء في مفازة واسعة لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً.

وكان اسم موحد من بين الأسماء التي تتردد على لسانه، ويقول قدم من بروان يجوب أفغانستان يحاول أن يلم شعث المجاهدين ويوجد بين صفوفهم، ومنذ ذلك الوقت ونفسي تنوق للقاء موحد.

والتقيت به شاب يتفجر حماساً ويتدفق حيوية وينضح غيرة، يتكلم العربية رغم أنه لم يتخرج من جامعة إسلامية أو عربية.

همام إذا ما فارق النعمد سيفه وعابنته لم تدرك أيهما النصل

في معهد الأنصار: وكان اللقاء الأول في معهد الأنصار وعرضت عليه أن يعمل مشرفاً في معهد الأنصار، ليث روح الحماس

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٤ من ٢٧ نور القعدة ١٤٠٨ هـ

في نفوس الطلبة وإذابة انصبية الحزبية إن ظهرت بين الطلبة، بالإضافة إلى العلم الشرعي الذي بإمكانه أن ينهل منه وهو يعيش بين جدران هذا المعهد، ويصاحب إبان إقامته أساتذته من حملة القرآن ومدرسي الفقه والتفسير والعقيدة.

ولكنه استمهلني، وإذا بأبي الحسن المدني يفتح له معهداً خاصاً يقوم بالإشراف عليه لتربية نماذج جهادية خالصة من روابط الطين وأواصر القوم والجنس.

في اللقاء التاريخي: في جارسدا الذي ضم قادة الجهاد السبعة يعاهدون المئات من الأئوف على استمرار الجهاد ورفض المؤامرات العالمية على هذا القتال المبارك. وبجانب حكمتيار شاب قد ضل (بح) صوته وهو يهتف بالوحدة وضم الصفوف ولم الشتات. كانت الجماهير المسلمة المجاهدة تلهب حماساً، ولكن هذا الشاب قد لفت انتباه الجميع، وتسمرت العيون نحوه، وشد القلوب إليه بما كان يفيض على لسانه وعلى قسماص وجهه من غيرة وحماس.

وعندما تكلمت عن موحد قال أحمد شاه رئيس حكومة المجاهدين المؤقتة: إنه فتى ذلك اللقاء التاريخي.

نحو برهان: وأعد موحد قافلته وبدأ يجهزها، ولم يرد له أبو الحسن طلباً طمعاً منه أن يكون لهذا الشاب دور في توحيد صفوف بروان، وانسابت الكلمات على لسان موحد: إن كتب الله لي الشهادة وشفعني في أحد من خلقه فسأقول له: إن أول مسلم اشفع فيه هو أبو الحسن المدني.

القافلة: وسارت قافلة الإيمان ومعها مائتا جمل محملة بكل شيء، وحادي الركب فتى الفرسان -موحد-، وسبقت الأخبار من المنافقين إلى القيادة الشيوعية في كابل، وانطلق الطيران محمواً يصب جام غضبه على هذه الجمال، وبدأ يطاردها بين السفوح والهضاب والوهاد والشعاب. وبدأت الجمال تتساقط ويتفجر ما عليها من ذخيرة ويحترق ما فوقها من متاع، وموحد يواكب القافلة تحت العمم المتساقطة والشهب المنقضة، ويصر على المواصلة، وأخيراً وصل موحد إلى مركز بروان (جاري كار).

أسد فرائسها الأسود يقودها أسد تصير له الأسود ثعالباً

وبدأ نشاطه الجهادي، واستلم إمارة المنطقة، وبدأ بالتعليم والتوحيد.

محور العمل ومحط الأمل: كان موحد في نظر الجميع قطباً متعادلاً يمكن أن تثقف حوله القلوب، وأمل أن يجمع الله حوله النفوس، وكانت الوحدة بينه وبين القائد شفق (في بجرام) والقائد فتحي وعلى أيدي الإخوة العرب.

وكان يطمح أن يمتد به الأجل حتى ينظف المنطقة من الجواسيس وعيون المنافقين الذين نجحوا -إلى حد ما- في الإيقاع بين الإخوة المجاهدين، وغدت سيارة (الجارود) لا تتوقف عن الحركة، ولا تكف عن التنقل تدرج بروان من شرقها إلى غربها والعيون تتابعها أينما سافرت، لأنها يآذن الله صارت محط الأمل في لم الصفوف وجمع الكلمة، وكان موحد والجارود عمودين صلبين بارزين في هذه المحاولة التي هي خير من نوافل الصلاة والصيام، وهي إصلاح ذات البين، (لأن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين).

واستمر موحد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في داخل معسكره بدأب لا يعرف الملل، وهمة لا تعرف الكلل، مع محاولة جادة في المنطقة لإزالة الخلافات التي أظهرها المنافقون.

الاحتف مع الفتح: وبدأ موحد يعد الخطة لفتح المنطقة المحيطة وإزالة القواعد الشيوعية منها، ولا بد أن يقود المعركة بنفسه، ففتح ثلاث قواعد، وبعد الفتح أصابته قذيفة هاون كانت فيها نفسه ولقي فيها حتفه.

يزدري الأعادي في سماء عجاجة أسنته في جانبيها الكواكب

فتسفر عنه والسيوف كلئها مضاربها مما انفلن ضرائب

هول النبا: ونزل النبا على قلوب المجاهدين سواء في الجبهة أو في خارجها نزول الصاعقة.

فعلق المهندس حكمتيار وهو يتلقى الصدمة بالنبا المزلزل وقال: ما أحببت أحداً في الدنيا كموحد، وددت لو فقدت أبتاني فداء

لموحد.

وسرى النبا سريان النعي في يوم هرس، وتدأعت الأحزاب لتأبين الفارس الذي ترجل وتوسد التراب.

صيامه وكفاهه: يقول أنس رضي الله عنه: [ما كان أبو طلحة يصوم في عهد رسول الله ﷺ، فلما توفي رسول الله ما رأيت الدخان في بيته نهائياً قط، فقد كان أبو طلحة يفطر من أجل الجهاد، وإذا كان في المدينة ما كان يفطر].

وهكذا موحد في بيشاور: يقول أبو الحسن المدني: كثيراً ما كان يزورني موحد في بيشاور، وما أنكر أنه ذاق طعاماً في بيته نهائياً بسبب الصيام. ونام ذات ليلة في بيته فراقبته، فقام من الليل طويلاً، ثم صلى بنا الصبح، فكنت أحس أن القرآن غص طري يفهمه ولو من كان أعجمياً.

لم يدخل مدرسة شرعية ولا عربية، ومع ذلك فقد كان يتقن العربية ويتكلمها بطلاقة.

هاجر وعمره (١٢) عاماً أيام داود، ومنذ ذلك الوقت بدأ مسيرة العرق والدم، يتجرع القصور ويتكبد المرارة، وبقي يحمل راية الجهاد حتى سقط في التاسع عشر من رمضان شهيداً، وقد كان سبب الفتوح أن الشيوعيين أعدوا العدة للاحتفال بالعيد العاشر للثورة في السابع من ثور، فأتى على نفسه أن لا يسمح لهم بالاحتفال، وأن يؤرق عليهم أجفانهم، وأن يحرق عليهم بيوتهم، فنسق مع الجاهدين في المنطقة، وفتح المراكز المحيطة، ولقي الله في رمضان، وندعوا الله عز وجل أن يجمعنا به مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

ومضى موحد وترك على درب اليتيم الطويل زوجة وولداً وبناتاً يتقلبون بين فكي اليتيم والفقر، وبين حجري الجوع والنوى. لهم الله هؤلاء أشبال الشهداء وأبطال غد العزة والسنا.

الشهيد خالد علي القبلان (أبو الوليد) (١)

أقبل الصيف واشتدت ضراوة المعركة، واضطرم أتون القتال، وبدأت الساحة تشهد سقوط الشهيد، تلو الشهيد ونحن اليوم أمام كوكبة من فرسان المعركة، ودماء الشهداء هي التي تمد هذه الكلمات التي نكتبها، وتعطيها حيوية وحرارة ونبضا ومضاء وسناء، ويحلو للقلم أن يكتب عن الشهداء، لأن دماهم هي التي تخط تاريخ الإسلام عبر المراحل التاريخية.

ليس في موطني الكبير عظيم يستحق الثناء غير الشهيد
أو إمام يقودنا لجهاد في رحاب الأقصى لاجر اليهود

في صباح هذا اليوم كنت متوجهاً نحو قاعدة عبد الرحمن المصري الشهيد في (باري)، وعلى الطريق التقينا بأخوين عاشدين من القاعدة، فانتحى بي على جانب الطريق (أبو سعد النجدي) وأسر في أذني أن الأخ أبا الوليد قد استشهد بالأمس الجمعة في الساعة الثانية والنصف في (١٩٨٨/١١/٢٤م)، فأجبت قائلاً: هنياً الشهادة.

وهذا الخبر جعلني أغد الخطى نحو القاعدة، ووصلنا القاعدة، وتلقانا الأبوة الصيد من أبناء يعرب ولسان حالهم يقول:

قد هجرت الفراش غير جزوع ومن الشوك قد اتخذت غذائي
أرقب الفجر في الظلام وأرجو عبقرى السنا كريم الضياء

وسألناهم متلهفين عن أحوال أبي الوليد، فطفقوا يحدثونا قصصاً وكأنها أوصاف لرجل من القرون الثلاثة الأولى المشهود لها بالخير. قالوا كان يختار حراسته من الثانية عشرة إلى الواحدة ليلقى بعدها قائماً حتى الفجر، ولما ينام بعد الحراسة إلا إذا كان مرهقا.

وفي ليلة الجمعة حرس في مواعده المحدد، وبقي قائماً حتى الفجر، وكان ينازعنا دائماً على الأذان، ثم أذن الفجر وصلينا، وقراء اذكار الصباح، ثم اختار قذائف الهاون، وانطلقنا نحن الثلاثة— (أبو سعد النجدي، وأبو دجاجة الرمي الصنعاني، وثالثنا وهو الشهيد أبو الوليد)، وطيلة الطريق كانت شفاته تتحركان بالقرآن والصلاة على النبي ﷺ، وعندما وصلنا بادرته قائلاً: أتممت سورة الكهف؟ فاجابني بالإيجاب.

لقد كتب الله الخاتمة التي نحسبها طيبة في هذه الساعة المباركة، إذ اعتاد الإخوة أن يبادلوا المركز الشيوعي القريب القذائف، وبينما كان خالد يهم بإيقاف المعركة لهذا اليوم استعداداً للغد وإذا بقذيفة الموت تأتيه لتكون حياته الأبدية.

فموتني في الوغى عيش لأنني رأيت العيش في أرب النفوس

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٦ ص ٢٤ محرم ١٤٠٩هـ أغسطس ١٩٨٨م.

صيام خالد: لقد عرف خالد بكثرة صيامه للنوافل، فكان يصوم الإثنين والخميس والأيام الستة من شوال والأيام البيض من كل شهر (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر).

موقف الوالدین: ومن البركات أن تكون والدته ممن يشجعه على الجهاد وترسل الرسائل بهذا الشأن.

مولده ودراسته: لقد كان (الرس) في القصيم هو البلد الذي رأى فوق أرضه النور، وبعد دراسته الثانوية التحق بجامعة الملك سعود في الرياض بكلية الهندسة - قسم العمارة -، ولكن نفسه عافت حياة الترف والتقلب على الفراش الوثير، وضجى بالرسوم الجافة التي لا تقارن لوحة المدرس، وأصبحت كميات الحديد والإسمنت أبغض المسعيات لمسامعه.

يتردد على المسجد فلا يسمع الحديث الذي يعزف عن أوتار قلبه، فصار يسائل نفسه:

أين السيوف التي في كف معتصم صالت على البقي من فرس ورومان
فلم تجبني من القمع نخوت ولم أجد في جبرج القوم شياني

وأخيراً قرر أن يطلق الجامعة ثلاثاً لا رجعة فيها، فانطلق وهو يردد:

الرأي رأيك يا مسداع فانطقي واحمي النمار

الشهيد مازن ملوش (أبو عمرو المكي) - مؤذن الجامعة -^(١):

وهكذا صرّح السكن الجامعي في الكيلو (٦) في جدة من شاب رافع الهامة. تتوج رأسه قبعة أفغانية لا يخلعها في المنزل ولا بين حجرات الدراسة. وافتقد مسجد السكن ذلك الصوت الندي الشجي الذي كان ينطلق مع انبلاج الفجر، وكأن جدرانه تهمس في أذن السامعين

ناح تيثاري العزيز فحنن لصدى النوح قاسيات الصخور
بليلي ضاق بالنشيد فولى وتخلص عن عشه المعمور

نعم إن مازناً يقوم الليل ويجاور في الحرم المكي طيلة شهر رمضان، يسمع ترتيل القرآن من فم الحذيفي والسديس وعلي جابر، ولكنه لا يستعذبه تلك العنوية التي كانت تترك حلاوتها في قلبه أيام أن كان في أرض الجهاد، نعم يتحدث عن الجهاد الأفغاني، ولكن شتان شتان بين الأقوال والأفعال.

حقاً إنه لا يدع مقاماً يقوم فيه لله إلا ويقفه وينكر المنكر، ولكن سورة التوبة تقض عليه مضجعه وتؤرق عليه أجفانه، إن آيات القتال تأتي عليه أن يقعد بين النساء والأطفال، شأنه شأن المقداد بن الأسود عندما رآه أحد التابعين جالساً على تابوت -طاولة- أمام أحد الصرافين في حمص وقد زاد جسمه عن التابوت، فسأله مستغرباً: ألا تقعد هذا العام؟ فلأجاب المقداد: أبت البحوث (التوبة)، أي رفضت سورة التوبة القعود.

الخروج: لقد راع مسؤول قسم التسجيل في جامعة الملك عبد العزيز انسحاب الطلاب وبهذا العدد الملفت، ومما هاله انسحاب مازن من الفصل رغم أنه لم يبق له سوى ساعات قليلة حتى يأخذ شهادة الهندسة، فنصحته وجهد في النصيح ولكن المحب عن العذار في صمم. إن قلبه في أفغانستان مع حبيبه الجهاد:

ما بال عينيك قد أزدى بها السهد كأنما جال في أجفانها الرم
أمن فراق حبيب كنت تألفه قد حال من بوته الأعداء والبع

في حي النزهة في مكة: واشتاق حي النزهة -الذي ضم هذا الشاب منذ نعومة أظفاره- إلى طلعة هذا الشاب.

لقد كانت ملامحه معروفة لأبناء هذا الحي، فكم من منكر أوقف سيارته ليزيله على يديه، وعرفه الحرم المكي عابداً مجاوراً معتكفاً وخاصة في أيام رمضان، وربما اعتكف الشهر كله.

حدثني أهر حمزة المؤذن: دخلت ذات ليلة في السحر مسجد السكن لأسبق إلى أذان الفجر، فوجدت مازن ملوش قد سبقني إلى المسجد يقوم الليل ينتظر الفجر أن يتداح.

(١) المصدر السابق.

ويواصل أبو حمزة: كان اسم مازن يتردد على ألسنة الطلبة الجامعيين، وكان في أعماقي رغبة أن أجمع بين الاسم والصورة حتى رأيته في ذلك اليوم.

كان صامتاً ولكن صمته يبذ الناطقين، وفي صدره مرجل ينلي حسرة على هذا الدين الذي تتناوله معاول الأعداء من كل جانب، ويتناوش أشلاء الأقارب والأجانب.

كان يحن لصليل السلاح وهي المدافع ودمعة الرصاص وهدير الطائرات. وثلثت مازن في الأرض فلا يرى شعباً رافع الرأس مشمخراً العرنين يناطق السحاب سوى الشعب الأفغاني الأبى.

مجلحين ولا يلوون قد ملئوا عزاً وبونهم العوصاء والكود

الرخصة: وقبل أن يغادر مازن الجامعة كتب كلمة كانت كلماتها الشهب العارقة وعلقها على لوحة السكن. وأوجرت كلماتها القلوب فتركت فيها مجلاً (دملاً) من الصعب أن يندمل.

ووصل إلى صدى ليوم أو يومين، ثم كتب الله له أن يشارك في قافلة متجهة إلى الشمال إثر أبي عمر، وفي الشمال حمله أبو عمر مبلغاً من المال معه وكان يتجول بين الجبهات وعرفه العرب والأفغان لا يحل في مكان إلا ويترك فيه أثراً طيباً.

ينخل الجبهة أيام ويرى بأم عينيه حاجتهم، ثم يتوجه إلى السوق ويشتري لهم الطحين والسكر والأرز، ثم يغادرها إلى غيرها، وانتشر ذكره وشاع اسمه بين المجاهدين، وبقي مازن كما هو لا يدع منكراً إلا ونبه إليه، وبقيت عبادته وصيامه وقيامه، وتقبل من الناس واحتل حبه شفاف القلوب.

وقد يسر الله له الأمور بتقواه - كما نحسبه ولا نزكي على الله أحداً - (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً) (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً).

والكلمة التي تحيا إنما تقتات قلب إنسان حي، وتصل إلى أعماق القلوب، لأنها خرجت من القلوب. أما الكلمة التي تخرج من الفم فإنها تولد ميتة، والناس لا يتبنون الأموات.

وحالت شعوب (المنية): وعندما حان الأجل خرج مازن بمجموعة من المجاهدين ليقوم بجانب عمله الجهادي بمهمة أعظم وهي الإصلاح بين بعض الفئات المجاهدة، ودخلت المجموعة مسجد القرية، وعلم بعض أعداء الله بهم، ودخلوا عليهم المسجد وقتلهم.

وسرى النعي في قواعد المجاهدين، ونزل الخبر كالصاعقة على قلوبهم، وحق لهم أن يقولوا:

يا عين جودي بغيض غير أبساس على كريم من القتيان أباس
صعب البديهة ميمون نقييته حمال ألوية ركب أفراس
أقول لما أتى الناعي له جزعاً أودى الجواد وأودى المطعم الكاسي

صرخة بقلم / الشهيد أبي عمرو المكي (مازن ملوش):

قال الله تعالى: (قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتصصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الظالمين).

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

لهذه الصرخة لك يا أخي المسلم العزيز، لك وليس لغيرك. . . نعم لك أنت يا صاحب اللحية الطويلة. . . يا من ترتاد بيوت الله في كل يوم. . . إنها صرخة الجهاد والتي تدعوك للمشاركة فيها، إنها فريضة قد فرضها الله عليك. إن الجهاد في أفغانستان اليوم أصبح فرض عين على كل مسلم، كالصلاة والصوم وسائر العبادات.

أخي الحبيب: راجع نفسك وتأكد من إيمانك قبل قوات الآوان، واعلم أن الإسلام ليس صلاة وصوماً وحجاً فقط، ولكن قول وعمل، وعقيدة وتطبيق، وإخلاص وجهاد.

أخي: إن المعركة في أفغانستان لا تحتل ترددك وبعذك عنها أكثر من هذا، ألا تعلم ماذا أعد الله للمجاهدين في سبيله من جنات النعيم، ومرافقة للأنبياء؟ هل زهدتم في الجنة وما وعدكم ربكم به ورضيتم بذنبا فانية ملعونة ملعون من فيها إلا ذكر الله أو

عمل صالح؟! أخي: إن ناداني لك من باب الرحمة وانشفقة عليك، لأنك سوف تسألني يوم القيامة عما قدمت لهذا الجهاد.

فماذا تجيب إذا سئلت عن ذلك؟ أخي الكريم... لا زالت الفرصة بين يديك سائحة بأن تتحقق بصفوف المجاهدين على قمم أفغانستان، فإن أبواب الجنة مفتحة هناك تدعوك، فلا تبطلن وتأتي بأعذار وأهية وتبقى مع المتخلفين وتركها لغيرك.

أخي... أرجوك... أرجوك أن ترحم نفسك وتستجيب لربك، وترفع عنك أقنعة الجبناء، فإنك سوف تموت يوماً ما، ولكن شتان بين أن تموت في منزلك وتحت مكيفك وبين أبنائك وفوق فراشك، أو تموت مجاهداً مرابطاً شهيداً حياً عند ربك، إنك يوم العرض تود لو كنت من المجاهدين، وهذا هو رسولك ﷺ يقول: (والذي نفسي بيده لو ددت أني أقتل في سبيل الله، ثم أحيأ ثم أقتل، ثم أحيأ ثم أقتل، هذا قول رسولنا وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر).

أخي لقد أمهلك الله ولم يقبض روحك حتى الآن، فانتبهزها فرصة في أداء واجبك الذي فرضه الله عليك، وأعط ربك من وقتك ما تشكر به نعمه عليك.

إن الوضع في أفغانستان يحتاج إلى وجودك بين المهاجرين والمجاهدين فلا تبخل عليهم بذلك، وانفض عنك ثياب الكسل والوهن، والبس رداء الإسلام الحقيقي وكن من جند الله... أخي ليس بالضروري عندما تذهب إلى أفغانستان أن تدخل جبهات القتال، ولكن هناك أعمال وأمور أخرى تستطيع أن تقوم بها في معسكرات المجاهدين... كأن تساهم في تعليم أطفال المجاهدين... أخي هناك أعمال كثيرة جداً تحتاجك فلا تقف ساكناً جامداً أو تتركها لغيرك من الصليبيين والكفرة من أعداء الله، المهم يا أخي تثبت وجودك بين إخوانك هناك... أخي... لقد قال رسول الله ﷺ: (سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله، فاذهب واسع هناك مع إخوانك مؤدياً واجبك، مروحاً عن نفسك من عناء الدنيا وثقلها، وأخيراً أقول لك يا أخي أن بوابة أفغانستان مفتوحة الآن لك ولغيرك من قبل أن تغلق فتندم ولا ينفع الندم... أقول لك يا أخي أن تقرأ هذه بقلب المؤمن الصادق المنفذ لأوامر الله، وأن تختبر إيمانك، وتؤدي ما أمرك الله به...).

وفي القتام... أرجو أن تفكر في الأمر جيداً وتضعه نصب عينيك، وتذكر بأن الجنة حفت بالنعمة، والنار حفت بالشهوات. وأدعو الله أن يجعلك من جنده المجاهدين في سبيله لرفع كلمة: لا إله إلا الله، لتكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وما هذه الصرخة إلا لأنني أحبك في الله.

الشهيد أبو فهد المكي (١)

ملت النفس الرمال المألحة على شاطئ جدة، ومناظر السفن القادمة والمغادرة من الميناء تثير فيك إحياء عميقاً في مسارب النفس وهي تثير أشجاناً تجعل النفس ضارعة خاشعة وهي ترهب من تلك الرحلة الأبدية التي لا عودة منها.

فهل من سفينة أمنة توصلني إلى شاطئ السلام إلى دار السلام عند الملك العلام؟

إن منظر البحر يبعث في العنايا شجي وشجواً إلى بحر الدماء الذي جرت فوقه بارجة العزة والكرامة فوق نجود أفغانستان ورمادها.

هناك روابط متينة وجبال غليظة تشد أيا فهد إلى الأرض، وتربطه بالوظيفة، وهي الزوجة والوليد الصغير.

وعلى شفاه صفارنا عذبت دنيا من الآمال تدخر
في كل ثغر من براعمنا روض من الأحلام يزدهر

ولكن لنا في قصة سعيد بن المسيب عبرة (خرج سعيد وقد كبر في السن وذهبت إحدى عينيه وهو عليل، فقيل له: إنك عليل، فقال: استهنض الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكنني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع).

وقد أبو فهد أن يغادر البلد الحرام ويترك الطفل والأهل والعيال، وجاء إلى مكان الإعداد، وأعد نفسه، ثم رابط في معسكر (جهاد وال) في خوست -بكتيا-، وهناك أصابه مجل (دمل).

الرقباء: خلال وجوده في المستشفى في بيشاور لعلاج الدمل رأى الملائكة تحمله في نعش وتدخل به الجنة، فاستبشر خيراً

(١) المصدر السابق ص ٣٦.

وأستيقظ وهو يضحك.

مشاركته في المعارك: رابط فترة بين الكماة الأفغان وبين الشم الغطارفة العرب، وحالهم وهم من حول القائد الشهيد عبدالرحمن المصري وكأنهم يتغنون بشعر كعب بن مالك:

إنا بنو الحرب نمرىها ونتنجزها
وعندنا لذي الأفسان تتكيل
يمشون تحت عمايات القتال كما
تمشي المصاعبة الأدم المراسيل

دخل في عملية في باري، وفتحوا المركز، وغنموا (١٧) كلاشنكوفاً وأسروا (٥٢) أسيراً.

إلى برهان: ومع زيد الخير (أحمد قاسم العراقي) الذي ترعرع في أمريكا كأجير للمجموعة يسير أهر فهد والبشر يطفح على وجهه، والامل يحذره أن تصدق رؤياه في المستشفى.

وهناك كان له القدر بمرصد، وكان على موعد مع الشهادة في معركة أفغانستان التي توجت جبين البشرية بالشرف والعزة.

الشهيد علي قدري صالح الجوهري^(١):

إن سماحة النفس وبساطة النفس والتواضع مع الأنفة والعزة والرجولة تعتبر سمات مشتركة بين الأخوة اليمانيين عامة.

وقلما أرى يمانياً إلا وينفتح له قلبي، وتنسبط له أساريري، وقديماً وصفهم بكثرة: (أناكم أهل اليمن أرق أفتدة وألين قلوباً، فالإيمان يمان والحكمة يمانية).

وأنت تراه يجمع إلى الرقة العزة، ومع التواضع الشجاعة، ويحق لليماني أن يقول:

إنا لمن قوم أفنى أوائهم قيل الكماة ألا أين المحامونا
فإذا عز النصير للضعفاء رأيت اليماني هو المنافع

والمنافع (شديد الدفاع)، وتراهم مطاعين في الهيجا مطاعيم في المحل.

وشهيدنا من بلد الصنعائي ومن مواليد (١٩٦٢م)، ورغم وجود ثلاثة من الأفراخ الزغب إلا أن داعي الجهاد وخوف التفريط بفريضة أوجبها رب العزة على الناس قد دفعته لترك الدنيا وزهرتها، والزهد في الزوجة وصبيتها، وقدم إلى أرض المعركة، ويفتده الصغار، ولعل الصباح والمساء يذكرهم بذلك العمود الذي يحمل خيبتهم ويظللهم إذا اشتد القيظ ولفحت الهاجرة، وينفثهم إذا صردت الأنواء واشتد الزمهرير، ويطول الانتظار وكأنهم يرددون مع مالك بن الربيع:

تقول ابنتي لما رأت طول غيبتني فراقك هذا تاركني لا أبا ليا

ويعد أن أتم الإعداد توجه إلى ولاية قرب كابل تسمى (لوجر).

في اللوجر: وهناك حيث الظل الظليل والهواء العليل والثمار الدانية فوق مياه نهر سرخاب يقيم شهيدنا، وبجانب الأخ القائد الذي ينتزع حبه من أعماق القلوب (سيد محمد حنيف) العالم المجاهد الداعية - كما نحسبه ولا نزكي على الله أحداً -، وقرب المعلم عبدالله الذي ما انك يعطي الجزيل من تدريباته للعرب خاصة، وتطو الحياة في هذا الجو بين إخوة كرام وبين أشجار المشمش والتوت حيث نصب المجاهدون خيامهم، ومن هذا الوادي الجميل تنطلق العمليات في أعماق الليالي.

وهذا الوادي قريب من مديرية محمد آغا التي يمر من وسطها الشارع الواصل بين كابل وغزني، وتعتبر العمليات على هذا الشارع من أجراً العمليات وأشدّها نكاية على العدو، والمجاهد وهو يقابل الدبابة إنما يضع في حسباته أنه يعيش لحظاته الأخيرة.

أشم كأنه أسد عبوس غداة بدا بيطن الجزع غاد

ولقد كتب الله لي أن أزور هذه المنطقة ورأيت حطام الدبابات والآليات على جانبي الشارع التي تشهد بأن أعداء الله ينزفون وبأن أمرهم، وهذه بعض آثار هزائمهم، والدبابات التي لا تستطيع المرور إلا بصعوبة بالغة، وأما الجنود فلا يمكن أن يسبوا على الشارع.

منه تظل سباع البر ضامرة ولا تمشي بواديه الأراجيل
ولا يزال بواديه أخوشقة مطروح البز والدرسان مأكول

(١) المصدر السابق ص ٢٧.

قلبة الوداع: وفي يوم الجمعة (١٩٨٨/٧/٨م) بصمم المجاهدون أن يقتحموا مراكز الشيوعيين، ويأبى (علي) إلا أن يكون بينهم، ووثبت الأسود وافتتحت المركز في الساعة الواحدة والنصف ليلاً، وانسحبوا بسلام، وقد أطلق على المجاهدين أثناء انسحابهم قذائف الهاون فأصابته علياً شظية في قلبه أسلم روحه للحمام -الموت- مباشرة واستشهد حالاً:

ألا إن عيناً لم تجد وسط لوجر عليك بجباري دمعها لجمود

وحمل الجثمان على القلوب المكلومة، وسالت جراح قلب علي فأنكأت جراح إخوانه، وفي جوانب وادي سرخاب برقد الليث رقدة الأبد في الحياة الفانية.

وأما دموع الحزن التي ستصيب من مقلتي زوجتك وبناتك فهي عبرات الحزن والسرور، حزن الفراق المؤقت حتى تشفع لهم -إن شاء الله- ويلتقون بك إن تقبلك الله في الجنة، وسرور الشرف الخالد الذي سجل على جبين الزمن وفي أوضاً صفحات التاريخ الإسلامي الحديث.

فالعين بعدهم كأن حدائقها سملت بشوك فهي عود تدمع

الشهيد عبد العزيز عبد الصمد (الماليزي) (١):

هذا دم جديد سرى في عروق الأمة المسلمة في كافة أنحاء الأرض، وبدأت الحياة تدب في أوصالها، وصارت ليوث الله تقبل من كل عرين وتغفر من كل عريس (هرين).

في كراتشي في جامعة الدراسات: الحر شديد، وعلى الشاطيء في كراتشي حيث ترتخي الأوصال ويطول النوم ويكثر التثاقب، ويسيطر الملل والسأم على النفوس، إلا أن صليل السيوف وقفعة السلاح أسهت بطلنا وهرمت لذيذ المنام.

وسار إلى الجهاد، يحنوه الطمع في الجنة وثواب الرباط (يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل). وهو يطمع أن يموت أو يقتل، وإن مات في الرباط أو قتل فإنه يموت شهيداً ولا يختم على عمله [كل ميت يختم على عمله إلا من مات مرابطاً] ومن مات مرابطاً يأمن الفتان -سؤال القبر وعذابه-.

وفي أرض الإعداد: أعد نفسه وأتقن السلاح الذي سيشهره في وجه أعداء الله، ثم توجه إلى وردك وميدان، وهناك:

وقد عريت بيض كائن وميضها حريق ترقى في الإباء سريعاً

القيام في وردك: وفي وردك قام بالمركز الجهادي رمضان، وكان يعلمهم القرآن الكريم.

رؤى مباركة: وقد رأى عبد الرحمن السندي في المنام هاتفاً يقول: إن بينكم شخصاً اسمه عبد العزيز سيستشهد! وكان عبد الرحمن لا يعرف عبد العزيز، فتساءل: أيكم اسمه عبد العزيز؟ فقال: أنا، فقال له: أنت ستستشهد -إن شاء الله-، لأنني رأيت هذا في المنام، وتكررت الرؤيا مرة أخرى مع عبد الرحمن.

حالة الروس والشيوعيين: إن الروس وعملاتهم يعيشون حالة نفسية أسيفة يرثى لها، فهم في رعب شديد. ينتظرون أية طلقة تطلق عليهم بعد إعلان معاهدة جنيف، يود المجرم لو يفتدي بأخيه وأمه وأبيه وصاحبه وقائده (ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه).

فتح ميدان: وصمم المجاهدون على اقتحام ميدان عاصمة وردك التي تبعد ثلاثين كيلومتراً فقط من القصر الجمهوري، ويكتب الله للأخ عبد العزيز الاشتراك في تحرير أول ولاية بكاملها من أعداء الله، وكان نصراً مؤزداً وغنائم عظيمة وفتحاً كبيراً.

نفارهم تجري المنية بيننا نشارعهم حوض المنايا ونشرع

وفي صبيحة يوم الشهادة قال عبد العزيز لأبي عاصم التبوكي: أنا أحس أنني اليوم سأستشهد -والله أعلم- وحقق الله بشري عبد الرحمن له: ففي (١٩/١١/١٤٠٨هـ) وأثناء المعركة أصابته شظية من قذيفة دبابة فجرح وبقي حياً تسع ساعات وتلا سورة البقرة بكاملها ما بين الجرح والشهادة! ثم أسلم الروح.

وصيته: ووجدنا طي أوراقه وصية يقول فيها (أعطوا متاعي لأميري في الجهاد ليتصدق به وأعطوا سلاحي لأخي عبد الوهاب ليواصل به الجهاد. وانصحوا أبي أن يخرج من الحزب الوطني إلى الحزب الإسلامي).

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر قليس لعين لم يغض ماؤها عثر

(١) المصدر السابق ص ٢٨.

الشهيد هاني أحمد رشيد (أبو زهير): أمير المركز الإسلامي - إسلام آباد - (١):

كان عمر رضي الله عنه يدعو ربه: (اللهم ارزقنا شهادة في بلد نبيك) رواه البخاري، وكان الصحابة رضي الله عنهم يعجبون كيف يرزق عمر الشهادة وهو في المدينة، ولكن الله - عز وجل - علم صدق عمر وشوقه الشديد لمنازلة الكفار وملاقاة الحنف بين الصفائح والعوالي، ولقد هم عمر رضي الله عنه أن يخرج ليقود الجيش وينازل بنفسه كسرى ابرويز، لولا أن الصحابة رضي الله عنهم ضجروا ورفعوا عقيرتهم في وجهه: كيف تترك المدينة والمسلمين بدون من يدبر أمورهم.

وكتب الله لعمر الشهادة في محراب النبي ﷺ تصديقاً لبشرى رسول الله ﷺ له قبل أعوام وهو واقف مع أبي بكر وعمر وعثمان فوق أحد، فاهتز أحد فقال ﷺ: (أثبت أحد قائلنا عليك تبي وصديق وشهيدان).

ونحن الآن مع أخ حبيب ستيكيه الجامعة الإسلامية، ويندبه بحري النعوع المركز الإسلامي في إسلام آباد، وستودعه قلوب الكثيرين من أبناء فلسطين الذين كتب لهم أن يولدوا في الكويت.

ما كنت أتصور أن يسبقني بتناول كأس المنية وهو غض في عمر أولادي، ومع دوامه في الجامعة الإسلامية. إلا أنها درجات يهبها رب العالمين لمن شاء من عباده (وإن في الجنة لمائة درجة أعداها الله للمجاهدين في سبيله)، وما أظنه استحق هذه الدرجات العلا - إن كان ربه تقبل شهادته - إلا كنا نحسبه ولا نزكيه على الله بالحياء الذي يعتبر سجية مجبولة مع فطرته، وبخلق الرفيع الذي تعين به.

وقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: [تقوى الله وحسن الخلق]، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، قال: (الطمع والفرج) حسن صحيح، وعن عائشة مرفوعاً: [إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم] أبو داود.

الحديث [أنا زعيم بهت في رضى الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبهت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبهت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه] صحيح رواه أبو داود، وفي البخاري [الحياء خير كله].

قليل الكلام، كثير الحياء، لا يكاد يرفع طرفه في المتكلم إغضاء وأدباً، صامت لا يتكلم إلا بقدر، إن خالفك صمت، وإن وافقك أومى إيماء يهمس لا يكاد يسمع جليسه كلامه، في وجهه المشرق ابتسامة لا يملأها الجليس ولا يعافها الكال.

كان هاني هو المركز الإسلامي، تنبيك إشراقة الحياء عن أدب جم رفيع، وعن تربية رفيعة نرجو الله أن تكون في ميزان أهله يوم القيامة.

جسد في إسلام آباد وروح ترقرف قرق أفغانستان.

كنت أرى الشباب يعيشون فراغاً نفسياً حاداً بين أشواق مجنحة تطير إلى المعركة بأشجانها وشجوها وأشواقها، وبين واقع ثقل من رغبة الأهل وضغط الواقع الاجتماعي الذي يزن بعوازين الجاهلية من مال وأوراق جامعية، وكانوا في الجامعة يخفون من حدة هذا الصراع باغتنام فرصة سائحة يطفنون فيها نار الجوى ولهبب الأشواق في جبهة قريبة أومعسكر دان وكان الواحد منهم يخاطب نفسه:

إلى كم ذا التخلف والستواني
وكم هذا التماذي في التماذي
وشغل النفس عن طلب المعالي
بيبع الشعر في سوق الكساد

العطل الصيفية: كان ينتظر العطلة الصيفية بفارغ الصبر ليروي ظمأه للجهاد، ويروي غليله ويطفئ صداه، فكنت أراه كثيراً في عرين الليوث أو بيشة الأسود حيث العتاق الجرد تملك اللجم تنتظر دورها لتنتقل إلى أرض الجهاد.

فلسطين والانتفاضة: وكانت آخر مرة أراه فيها في تنظيم المؤمنين وقد قدم مع صحبة مجموعة من التمثيليات والأناشيد وذلك قبل عيد الأضحى بفترة وجيزة، ورغم أنه لا يعرف القرية التي تعتبر مسقط رأسه في عتيل من قرى طولكرم إلا أن هموم فلسطين أرقته عينه بالسهاد، والمسجد الأقصى يكاد يقض على مضجعه الرقاد، وتعتبر منطقته حوضاً من أحواض الزيت الفلسطينية، إذ تمشي في طريق طويلة وعلى طولها ترافقك الأشجار التي تثبت بالدهن، إذ لا تكاد ترى الأرض، وجدائل الزيتون يلثم الصبا أنفانها

(١) العصر السابق ص ٢٩.

مداعباً، فتعطي الجور رونقاً عجيباً من الجمال الأخاذ والاعتدال الساحر، من ضلوكهم إلى عتيل مرورا بشريكة ودير الفصور، مسير
لتلك المناظر، وواها لتلك المناطق التي لها في أعماق قوايدي كل حنين وشوق، ولكم سلكت بنفسي هذه الطريق الجميلة.

في المركز الإسلامي في إسلام آباد: كان لهاني دور طيب وأثر فعال في التقاط كثير من الشباب الفلسطيني الحائر الضائع بين
شعارات اليسار الثورية وبين معاناة التشريد والوجود التي جعلته يقف على حافة الهاوية يائساً، وفي ذلك المركز البسيط وقرب
الجامعة كم رجع إلى الله من هذا الشباب المتهوك (المتحير) الذين في سكرتهم يعمهون، ورده إلى جادة الصواب وطريق الحق بإعادة
الثقة إلى قلبه بهذا الدين العظيم كمنقذ وطريق للنجاة، والآن كيف تواجه المركز الساهم الحزين الشاحب بعد فقد ليث العرين.

أتعرف الدار عفا رسمها تدمي بها عبرة الثاكل
سألتها عن ذاك فاستمعمت لم تدر ما مرجوعة السائل

خاتمة المطاف: وتوجه إلى قندهار حيث تلهب المعارك، وفي إحدى المعارك في سبين بولدك قردوا اقتحام مركز من مراكز
الشيرعيين، وألقى الشيرعيون السلم، وغنم المجاهدين كل ما في المركز، وقيدوهم بالأغلال، وبدأ المركز القريب يلقي بحممه على
المجاهدين، ووقعت قذيفة قرب أبي زهير فأصابته منه مقتلاً وهو بين يدي ربه قائماً في صلاة الظهر في يوم التورية (٨) ذي الحجة
(١٤٠٨هـ) الموافق (٢٠ / ٧ / ١٩٨٨م)، في هذا الموطن الذي تستشرف له النفوس وتتناول له الأعناق. موطن الشهادة التي نرجو
الله أن يكن قد قبلها فتكون روحه في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شات ثم تأتي إلى قناديل معلقة تحت العرش:
(وإن للشهيد عند ربه سبع خصال: يغفر له مع أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع
الأكبر، ويلبس تاج الوقار الهاقوتة منه خير من الدنيا وما عليها، ويزوج بأثنتين وسبعين من الخمر العين، ويشفع سبعين من أهل
بيته).

ونرجو الله أن لا يحرمنا من الشهادة في هذا السبيل ولحقنا به في الصالحين:

بكت عيني وحق لها بكاءها وما يغني البكاء ولا العويل
على ليث عزيز حين قالوا أهاني ذلك الرجل القتيل

في وداع الشهداء: وفي وداع الشهداء نقول لأعيننا:

هلا بكيت على الكرام بنسي الكرام أولي الممارح
كبكا الحمام على فروع الأيك في الغصن الجوانح
من يبكيهم يبكي على حزن ويصدق كل مراح
شمط وشبان بهاليل ——— مغاوير وحارح
مرداً على جسر إلى أسد مكالبة كوالح
ويلاق قرن قرنيه مشي المصانع للمصانع
ولقد أصاب قلوبنا مجل على جلب قوارح

وصية إلى أولياء الشهداء:

يا أم الشهيد لا تجزي بل افخري بابك بطلاً شهيداً وفارساً فريداً، ونرجو الله أن يتقبل شهادته فيكون لأهله شفيها يوم
القيامة، ولا تجزي فتمثال ابنك مفخرة للأجيال ونبراس للفتيان.

لا تقتلي النفس إذ حانت منيته في طاعة الله يوم الروح والبأس

وأما شقيقاته: فلن أن يرفعن رؤوسهن اعتزازاً ودفعة، ولا تسكين عبرات الوالاه الفاقدة، بل افرحن فرح الحبور الواقد الواجد.

أما الوالد الكريم: فهنيئاً لكم هذا الليث الهصور الكاسر الذي نكل بأعداء الله، وعرفنا بكم وبالعائلة جمعاء من خلال جهاده
واستشهاده، وابك من هؤلاء الذين يطلبون الموت مظانه.

فج يكاد سهيل الخيل يقذفه عن سرجه فرحاً بالغزو أو طرباً

فانخر ولا تجزع، وابعث إخوانه ليسلكوا جادة العزة وجدية الفخار.

ولولا أنهم خير منا ما اختارهم الله قبلنا وتركنا نتجرع حسرتنا ولا ندري ما خاتمنا، فاللهم أحيينا سعداء وأممتنا شهداء واحشونا في زمرة المصطفى ﷺ.

وصية الشهيد أبي زهير:

هذه هي وصية العبد الفقير إلى ربه هاني أحمد صالح، فتوصيكم بتقوى الله فإنها جماع الأمر كله، وأوصيكم باتباع نهج المصطفى ﷺ والسير على خطاه.

لقد أمنا بالجهاد سبيلاً، هذه الفريضة التي غفل عنها المسلمون اليوم إلا من رحم ربي، فتراهم هائمين على وجوههم وقد أصابهم الخنوع والذل (وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا) وإن أعدائنا قد شبعوا كلاماً وشجياً وتديداً واستنكاراً، ولن يسكتهم ويكسر شوكتهم إلا الدماء التي هي طريق استرداد العزة والكرامة المسلوبتين، ولن تقوم لنا قائمة إلا بهذا البذل وهذا العطاء. وبعد فهذه وصيتي لوالدي الكريم، فتوصيك والدي بأن تكون منقذاً لأوامر الله، ومجتنباً لنواهيه، وأن تتقي الله في إخواني وأخواتي.

وأوصيك يا والدتي بأن تهتمي بأولادك كل اهتمام، وتربيهم التربية الحسنة، وتتقي الله في نفسك وفي أولادك وأرجو منكما أن تسامحاني علي أي تقصير بدر مني.

وأقول لكما أن الله أعزني بالجهاد في سبيله أيما عزة، وأنني والحمد لله ما سعدت كما سعدت في هذا الجهاد المبارك الذي هو جهاد الأمة الإسلامية، ليس مقتصرأ على شعب من الشعوب، وأنه لا يعرف الحدود الجغرافية التي اختلقها الاستعمار بمساعدة الأنظمة العميلة، فافرحوا أيما فرح، واسعدوا أشد سعادة إذا بلغكما خبر استشهادي، وأسأل الله أن يجمعني معكم في الجنة إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، وإنه نعم المولى ونعم النصير. ١٦

الشهيد (١٩٨٨/٦/٢٦م)

الشهيد عبد الله المحارب (١)

يعود بي شريط الذكريات إلى (١٩٨٤م)، كنت ذات يوم في بيتي وكنت آنذاك أسكن في إسلام آباد، وإذا بعبد الله يقرع الباب، ففتحته فوجدني مع بعض الإخوة منهمكين في التفكير في قضايا مهمة، فوقفت أمامه والحياء يسبغ وجهي لونا من الحمرة، واستحييت أن أقول له: (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) بسبب انشغالي، وكذلك لم أقل له أن يدخل، عانقته فبادرني قائلاً: لعلكم في شغل، فأجبت: بلى، فقال: اشتقت إليك فجئت خصيصاً لأراك، وقد رأيته، وقلت راجعاً إلى بيشاور.

هكذا كنا ثم قست قلوبنا، كنا أسرة واحدة، قلباً واحداً، انظر إلى هؤلاء الشباب كأنهم أبنائي، بل أحب إلي من أبنائي - علم الله -، ينشرح صدري إذ أرى أحدهم، ويضيق صدري بالبعد عنهم.

الكبير في هذه الأسرة أب، والصغير ابن، والقرين أخ وهكذا، وكنت من البداية حريصاً على أن أجنب هذا التجمع الجهادي المبارك مغبة الوقوع فريسة الأحقاد، أو السقوط في هوة التعصب الحزبي والمذهبي أو الإقليمي.

ومراد النفوس أصغر من أن نتعادي فيه أو نتفانى

ثم أقبلت بعض الصدور تحمل أحقاد السنين، وتتوء بما يثقلها من خلافات الهوى والشح والمطامع والإعجاب بالرأي، فقذفت ل ما تحمله عن بلادها من مرارة الاختلاف في أحضانتنا، فقغيرت بعض النفوس، وفسدت بعض القلوب، وتنكر بعض الإخوة لإخوانهم. هكذا كنا: يقطع عبد الله المحارب مائتي كيلومتراً ليراني، فيبل شوقه ويطمئن قلبه ثم يعود إلى بيشاور.

كان عبدالله من السابقين الأوائل إلى ميدان القتال، ولقد كان على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، شاب نشأ في طاعة لله، لم تدنس فطرته بهوى، ولم يفسد قلبه بدنيا.

يعيش عيش ذلك الأعرابي رث الهيئة الذي سمع أبا موسى الأشعري يروي عن رسول الله ﷺ: [إن أبواب الجنة تحت ظلال صيرف]، فقال: يا أبا موسى أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال: نعم، فرجع إلى أصحابه فقال: اقرأ عليكم السلام، ثم كسر خن سيفه فالتقاء، ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل مسلم.

(سجدة الجهاد العدد ٤٧ ص ٢٤ صفر ١٤٠٩هـ الموافق سبتمبر ١٩٨٨م..)

منذ خمس سنوات وهو يتردد بين أرض المعركة ويرجع قومه، يأتي إلى ساح الأبطال، فيخوض غمار النزال، ويشبع نهمه ثم يعود إلى بلده يجمع ما استطاع، ويستنهض النهم، ويستثير العزائم، ويقبل موقراً بالأموال وما جادت به كرام النفوس، ثم يوصلها إلى المجاهدين، ويعيش بينهم فترة ثم يرجع وهكذا دواليك.

الفتوى: كنت أراه بين الحين والآخر، قال لي ذات مرة: لقد رأيت أن فتواك في فرضية العين حق، وأنه لا إنن لأحد على أحد، ثم عقب قائلاً: وهل اطلعت على رأي الشيخ ابن تيمية (ج/٢٨ ص ٢٥٨): (فأما إذا أراد العبر الهجوم على المسلمين فإنه يصير دفعه واجب على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين، كما قال الله تعالى: (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) كما أمر النبي ﷺ بنصر المسلم، وسواء كان الرجل من المرتزقة للقتال أو لم يكن، وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة والمشى والركوب كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق لم يأتن الله في تركه لأحد).

فقلت في نفسي: لم يعلم الأخ عبد الله أنني نقلت هذا في كتابي (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان).

في -آرغنداب- من مديريات قندهار: واختار عبدالله ساحة قندهار لتكون ميداناً لتشاطعه وقندهار معروفة بأنها أرض منبسطة، ويعتبر القتال فيها أشق ما يواجه المجاهدين على أرض أفغانستان.

وفي غرة ذي الحجة سنة (١٤٠٨هـ) بينما عبد الله يعيش انتصارات المجاهدين، ويشعر بعنة الله العظيمة على هذا الشعب الكريم، وانحسار الكفار وأهله، وخزي الإلحاد وبحره.

وفي معمان القتال وبين دوي المدافع وبعدة الرصاص أصابت عبد الله شظية لم يستطع أن يتكلم بعدها سوى أنه كان يشير بسيابته إلى السماء، وبلغت الحلقوم وشخص البصر، وأسلم الروح في ميدان طالما حلم أن يشهد منيته فيه.

وما أجمل أن نردد مع أبي تمام في وداع عبد الله:

فتى كلما ارتاد الشجاع من الردى مفرأ غداة المأزق ارتاد مصرعا
وما كنت إلا السيف لأقى ضريبة فقطعها ثم انتنسى فتقطعا

وقد أرسل لنا الشيخ عقيل العقيل مدير مؤسسة الحرمين للأيتام في كويتنا على حدود قندهار بهذه الرسالة بعد استشهاد الأخ عبد الله رحمه الله.

في أول ذي الحجة (١٤٠٨هـ) سقط على أرض قندهار الأخ عبد الله بن محمد المحارب فروى بدمه الطاهر أرض البطولة والجهاد.

لقد كان لقائي الأول بذلك الشاب الفتى في أواخر رمضان سنة (١٤٠٤هـ) في الرياض حيث أبدى رغبته في الالتحاق بصفوف المجاهدين، وفي ثاني أيام عيد الفطر من نفس السنة كنا نلحق ومعنا بعض الإخوة الشباب إلى مطار إسلام آباد.

التحق -رحمه الله- بصفوف المجاهدين في جاجي حال وصوله وبقي ثمانية أشهر متواصلة عاد بعدها للسعودية ثم تزوج وانتقل إلى المدينة المنورة.

ومن يومها انقطعت أخباره عني وعلمت أنه يتردد على أرض الجهاد بين الفترة والأخرى، يحمل ما يتمكن من جمعه من أموال يدعم بها الجهاد ويواسي المكومين، ثم علمت أنه بنى مستشفى ميدانياً صغيراً في آرغنداب في ولاية قندهار، وكنت أتوق إلى لقائه وأخطط لذلك، ولكن المنية اختارته قبل أن يتم اللقاء.

لقد كان -رحمه الله- في مهمة جهادية في الداخل لتفقد أحوال المجاهدين، فأصيب بشظية من قنبلة مدفع هاون سقط شهيداً -إن شاء الله- في مكانه، وأخبرني زميله الذي كان معه أنه مات وهو يرفع أصبعه السبابة دون أن يتمكن من التلفظ بالشهادة. وكانت تبدو على وجهه ابتسامة رضى وحبور بعد استشهاد.

وقبل الحادثة بساعات اغتسل من أحد الينابيع التي مر بها، وكان ذلك مساء الخميس ليلة الجمعة أول من ذي الحجة ١٤٠٨هـ في منطقة آرغنداب.

تذكرت وأنا أنظر إلى صورته مبتسماً رغبته في الشهادة وصدقه في طلبها حتى آناله الله منيته.

فهنيئاً لك أيها البطل موتك في سبيل الله، وهنيئاً لوالديك ولزوجتك ولابنتيك الصغيرتين، وأسأل الله سبحانه أن يتقبلك في

الشهداء، ومنيناً لنا جميعاً بأمثال هؤلاء الشباب الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فبنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الشهيد (سيد أحمد خليفة)^(١):

كان نسيج وحده في عزته وإيائه ونخوته، همته تتأطح السحاب، وعزيمته تطاول الجوزاء رغم أنه مشلول النصف، لا يخطو خطوة إلا ويجانبه من يسنده، ونصفه يعتمد على عكازه الذي لا يفارقه أبداً.

من السادة الذين يعرفهم الشعب الأفغاني، ويحترمه الكبير والصغير، ويبتته محط للقادمين ومستراح للزائرين في طيبة مشوى سيد الانام ﷺ، وكنت تلمح في وجوه القوم الذين يريدون مضافته أناساً من شتى الطبقات ومختلف المراتب والهيئات، فرنيس وزراء أفغانستان وقائد الجيش وغيرهما ممن تسلموا المناصب أيام الملك ظاهر شاه كانوا إذا زاروا المدينة فغالباً ما يعرجوا على البيت الذي يعتبر كآته جزء من جدول الزيارة.

كان (مياجل خان) من علماء أفغانستان البارزين الذين لهم صلات وثيقة بالسادة في المدينة المنورة، وقد أحب والد (سيد أحمد) لابنه أحمد أن يشب على حياة الفروسية، ويترعرع بين لمعان الأسنة ويريق الخفي (الرمح) وضوء المشرفي (السيف).

أرسله إلى أفغانستان صغيراً وعاش فيها كآته من أبناء هذه العائلة الكريمة التي كان لها شرف السبق في إعلان الجهاد ضد تراقي سنة (١٩٧٨م)، وعندما أدرك الحدث زوجوه إحدى بناتهم، وتزوج الأفغان للعرب أمر غريب، لأنه من الصعب جداً أن تخرج البنت خارج قبيلتها، ولكن تزويجهم لأحمد كان شرفاً أثيلاً ومجداً رفيعاً يريدون كسبه لأنه من النسل الشريف حتى يتألوه ولو من جهة المصاهرة.

صلة سيد أحمد بالجهاد: أفغانستان جزء عزيز من قلب أحمد، وقد تزوج منها امرأتين كانت إحداهما أم أسامة، ولقد شهد في أفغانستان من الأحداث الضخام التي جعلت تاريخ أفغانستان يكون قسطاً وافراً من ثقافته.

وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاه الشباب منالكا

هاجر صهره أبو الحسن المدني (وائل جليدان) بأسرته إلى أرض الجهاد، وأم الحسن هي ابنة سيد أحمد، ثم لحق بوائل جمال بن أحمد مع أسرته. وفتح الأبواب ليطلق سيد أحمد لهيب الأشواق للجهاد خاصة وأن الجهاد فوق الأرض الحبيبة التي درج فوق رباها ونشأ بين تجودها وأومادها، وقسم دهره شطرين: شطراً للمدينة المنورة التي تأخذ نصف قلبه ولبيه، وشطراً لبيشاور وأفغانستان التي سلبت النصف الآخر.

كنت أجلس إليه ويفتح الحديث عن أفغانستان وطبيعة الشعب الأفغاني وطران العيش فيه، ويحدثك عن مصرع نادر شاه سنة (١٩٣٢م) وقد كان أحد الشهود في الحفل الذي تحول مأتماً في يوم عرس، ويحدثك عن الحفاوة البالغة التي كان يعطى بها أثناء زيارته لأفغانستان وعلى المستويين الشعبي والرسمي، وكل هذا راجع لحب الأفغان البالغ للنسب الشريف الذي يمت إليه سيد أحمد، قضايا كبيرة وخلافات ضخمة ما استطاع أحد أن يحسم فيها سوى السيد الشريف القرشي الذي لا يستطيعون التعقيب على رأيه وقوله لما له من مكانة رفيعة في قلوبهم.

زيارة الوداع: وكانت الزيارة الأخيرة خالصة للرباط والله أعلم، ولم تخالطها نية زيارة الرحم (أم الحسن)، فلقد قضت الفترة الكبيرة بين العيدين في بيت أهلها بالمدينة، ثم رجعت قبل عيد الأضحى بقرابة شهر، فرافقها والدما مع والدتها طمماً في أجر الرباط.

وأقبلت الأيام الأولى من ذي الحجة (ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام)، وذات صباح وبعد صلاة الفجر وإذا بجرس التليفون يدق، فأجبت، فرددت علي (أم جمال) زوجة أحمد وقالت قل لأبي الحسن (وائل) أن يمر علينا في المستشفى، ففرعت عليه الباب المجاور وأخبرته، ثم توجهت أنا ووائل وزوجه أم الحسن لزيارة سيد أحمد، فإذا بأثار الجلطة التي ألت به في الهزيع الأخير من الليل قد زالت، ورفيقته بالأدعية الماثورة ثم ودعته وكان مستريحاً، وكانت النظرة الأخيرة التي حظيت بها منه في هذه الحياة، وفي الساعة الرابعة مساءً جاء ابني إبراهيم وأسر في أنني توفي سيد أحمد فخرجت رأساً إلى بيت أبي الحسن في

(١) المصدر السابق ص ٢٧

جواني، فرأيت مسجى مغطى بقماش أبيض، وقرأت قرب رأسه سورة (يس).

الدفن: وتشاورت مع أبي الحسن في مكان الدفن، وكنا بين أن ندفنه في مقبرة الشهداء في بابي قرب بيت سياف، بجوار يحيى سنيور وأبي عبد الحق، وبين أن ننقله إلى المدينة ليدفن بين الصعابة في البقيع.

وكنيت أخشى أن يتغير لونه لأنه توفي يوم الجمعة ساعة الاستجابة بعد العصر، ولن يصل إلى المدينة إلا في منتصف ليلة الأحد، وقضى الله أن لا نجد ثلاثة للموتى في بيشارور، وبقي الجثمان ليلة السبت ويوم السبت، وفي مساء السبت نقلناه بالطائرة.

دهشة جميع الحاضرين في المدينة: ولشد ما كان تعجب الجميع عندما كشفوا عن وجه سيد أحمد وهم يتوقعونه قد انتفخ وأزرق لونه، وإذا به كالنائم محمر الوجه لا يمل الناظر إلى وجهه بودع الجميع المهاجر المرباط، وألقوا عليه نظرات الوداع، وسارت الجنازة إلى البقيع، وودعي الجثمان بين الرهط الكريم من سلف هذه الأمة.

ونرجو الله عز وجل أن يكون قد تقبل رباطه وهجرته، وفي الحديث الصحيح: [من وضع رجله في الركاب فأصلاً فرقسته دابته نعات، أو لدغته هامة نعات، أو مات بأي حنف مات فهو شهيد وإن له الجنة].

شهداء يوم التروية

رغم أن الدبابات لم تعد تستطيع السير فوق الشوارع في جميع أرجاء أفغانستان هلعاً من قذائف ليوث الجهاد، ولم يعد بإمكان أي كتيبة من كتائب الجيش الأحمر أن تظهر في سهل ولا جبل، وحرم على طائرة هليكوبتر أن تحلق في سماء أفغانستان جزءاً وربعاً من صواريخ المجاهدين.

والانتصارات متوالية، ورايات الظفر ترفرف فوق معظم الوهاد والنجود، ومعنويات المجاهدين تناطح السحاب في عنان السماء، وعزائم الكفار خائرة منهارة يحسبون كل صيحة عليهم، كما عبر عنها جندي روسي راجع من الميدان وعلى شاشة التلفاز الروسي: (عندما نسمع صيحة الله أكبر نبول على ثيابنا)، وفي كل يوم جديد من الانتصارات التي تشبه الأحلام، ومن انهيارات الكفار (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) وكانت تذكرة عظمى للمؤمنين كما قال الله -عز وجل- معقباً على الآية السابقة (فاعتبروا يا أولي الأبصار).

وسقطت تغار، وكندز، ووردك، وباميان، وغزني، وقندهار، وسمنجان، وجلال آباد على وشك السقوط.

رغم هذا كله إلا أن الله يكرم بعض عباده بالشهادة ويختارهم إلى جواره، ألقت طائرة قذيفتها مشرقة فيها صواعقها تنتظر من يتجمع حولها لتنفجر بجمع غفير، وتجمع الجمع وانفجرت القذيفة فأصاب سته من خيار الإخوة، ففازوا بما جاؤوا من أجله، ووصلوا إلى الغاية التي لها يطمحون، في الثامن من ذي الحجة (١٤٠٨هـ)، منهم:

الشهيد المهندس أشرف بدوي السيد (صديق المصري)^(١):

يا كوكباً ما كان أقصر عمره	وكذا تكون كواكب الأسفار
وملأ أيام مضي لم يستدر	بدرأ ولم يمهل لوقت سرار
عجل الخسوف عليه قبل أوانه	فمساء قبل مظنة الإبدار
واسقل من أترابه ولداته	كالقطة استلت من الأشفار

ولد اشرف سنة (١٩٦١م) وكان متفوقاً في جميع مراحل التعليم، وأنهى الثانوية لينخل جامعة الإسكندرية في قسم الهندسة المعمارية، ونال البكالوريوس منها عام (١٩٨٤م)، وحصل على الماجستير من جامعة هارفرد براشتون سنة (١٩٨٨م)، وسجل للدكتوراه في الهندسة، ولكنه يسمع عن أنين الثكالي ويكاء اليتامى وأهات الأيامي فتقض عليه مضجعه، وتثير في أعماقه أشجاناً فيسلو الدنيا بمغرياتهما، ويهجر عاصمة الشيطان ببيرقها ووميضها، يترك واشنطن بما فيها ويقبل على الجهاد، وماذا على الشباب أن يردد وهو متوجه إلى أرض المنون التي تصنع الأبطال:

وإني لنزال بكل مخوفة	كثير إلى نزالها النصر الشور
فلظما حتى ترتوي البيض والقنا	وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر

(١) المصدر السابق ص ٢٩.

ويا رب دار لم تخفني منيعة طلعت عليها بالردى وأنا الفجر

أقبل إلى أفغانستان وكله أمل أن يشيع لومته بمصافحة العوالي، ويروي حرقته لمعاينة الصفائح (السيوف)، ودخل جور غيل الليث وبيشة الضراغم يتدرب على ألوان العدة، وكان بين إخوانه مثال المسلم رفيع الخلق، عالي الهمة، واسع القلب والصدر، وكما حسن الله خلقه فقد حسن خلقه، وكان شقيقاً لطيفاً بإخوانه.

وفي يوم التروية مضى أشرف إلى الله، وتأمل من الله أن يكون قد عوضه عن شهادة الدكتوراه التي يدخل بها المصانع الأمريكية بشهادة يدخل بها جنات (هجري من تحتهم الأنهار دعواهم فيها سبحانه اللهم وجميعهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين).

وقد وصلنا من والد الشهيد رسالة بعد علمهم نبأ استشهاد جآء فيها: (كان أشرف طوال مراحل حياته مثلاً طيباً للشباب المسلم الصادق المتعسك بدينه، المبتسم للحياة ابتسامة الواثق بربه المتسامح الكريم، ذو القلب الرحيم المليء بالعطف والحنان والحب للجميع، ناهيك عن أسمى درجات الرحمة والبر بالوالدين والإخوة والأقربين، وكان كما حسن الله خلقه فقد حسن خلقه.

اقتضت مشيئة الله تعالى لولدي الصديق أشرف أن يؤدي فريضة الحج عام (١٤٠٧هـ)، وكان آخر عام هجري في حياته حتى يرنق الشهادة مستكماً لأركان دينه الخمسة.

نسأل الله تعالى نحن الصابرين المحسنين أمه وأبائه وأخواته وذويه والأقربين أن يوفقنا لصالح الأعمال لنكون أهلاً للدرجة العالية الرفيعة التي أوصلنا إليها شهيدنا الصديق أشرف وأن يجمعنا به شقيقاً لنا عند ربنا في مستقر رجعت.

والله غالب على أمره، والتصر للإسلام، والمحق للفقار، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والد الشهيد صديق المصري

بدوي السيد بدوي

الشهيد خالد مصطفى المصري - أصغر شهيد عربي في أفغانستان - (١):

في حجر والده في إسلام آباد نبت وترعرع، ووالده مولع بحب القنا والبنادق، عمل والده مراسلاً لجريدة الاتحاد الطببانية ومثلاً لها في إسلام آباد، ووجد في أرض باكستان بغيت، نهم القراءة لا يمل ولا يكل، خاصة في عالم الشعث الغبر الذين يأبون الضيم ويأنفون المذلة.

يرابط كثيراً ويصطحب أبناء معه، ويربيهم على شظف العيش وخشونة الحياة، فتراه في بابي أو خوست يحمل في يمينه سلاحه متابطاً تحت ذراعه الآخر إبناً من أبنائه، وتعجب وأنت ترى هذا الغلام غض الإهاب، لين العظام، كيف يعيش فوق أرض تقذف بحمم براكينها، وتحت سماء تمطر الأرض بشهبها وحديدتها، ولا ريب أن يشب هذا الشبل على محك المحنة ونار المعاناة، منذ سبع سنوات وأنا أراه لا يكاد يهدأ، وابنه لا يتجاوز التاسعة، وكم من شاة سبقت أمها إلى المذبح.

الشهادة: وفي يوم التروية كان من بين الذين أصابهم الحادث المروع وأودى بحياته.

مكالمة من لندن: وبقيت أمه دون أن تعلم حتى مر قرابة شهر عليه، واتصلت بها شقيقتها من لندن، وفي منتصف الليل ولم يكن في البيت غيرها، وقامت من نومها ترد على التلفون، وإذا باختها تهدئ من روعها وتعزيها وتذكرها بأن الموت جسر لا بد أن يمر عليه كل حي، ففجعت ولا تكاد تصدق، فالتقطت بعض أنفاسها واستطاعت أن تجمع بعض الكلمات التي جمعت على شفيتها فقالت: متسائلة عن زوجها أن زوجها في الرباط منذ فترة وفي جبهة أخرى ولا ترى منه إلا الخيال:-

طواه الطوى حتى استمر مريره فما فيه إلا العظم والروح والجلد

الطوى: الجوع، استمر مريره: استحكم .

قالت: أقتل مصطفى؟ فأجابته أختها: لا إنما هو وليدك خالد.

فخارت رجلاها وسقطت على الأرض مفسياً عليها، ولم تستيقظ إلا في اليوم التالي:

(١) المصدر السابق ص ٢٩.

وانما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

وهكذا مضى خالد في زهرة عمره وهو ابن السادسة عشرة بعد، وقد ذكرت بشهادته استشهاد عمير بن أبي وقاص أصغر شهيد في بدر.

وهكذا قطفت هذه الوردة في لمح البصر، وحرمتنا شذاها ليعبق عرفها (ريحها الطيب) بين رياحين لا تذبل ولا تنوي - إن شاء الله -.

إن يحتقر صغيراً قرب مخم بيد ضئيل الشخص للنظار
إن الكواكب في علو مطها لتري صفاراً وهي غير صفار

موسى دامن البلوشستاني^(١):

في إيران ومن زاهدان وفي قرية من مضافاتها كان مسقط رأس موسى، أنهى المرحلة المتوسطة ونشأ نشأة دينية في بيت ملتزم بالإسلام، ولذا لم يطق الاستمرار في المدارس الحكومية فانتقل إلى مدرسة دينية ينهل منها العلم والآدب، ويشبع نهمة للمجد وهو غاية الأرب.

ولكنه كان يخشى أن يؤخذ للتجنيد الإجباري حيث يزج به في معركة ليس فوقها راية واضحة ولا هدف جلي، راية عمية يخشى أن تكون ميتة تحتها ميتة جاهلية على الحدود العراقية الإيرانية.

الهجرة: ولذا فقد أزمع الهجرة إلى باكستان ليواصل شربه من هذا المعين العذب يتمثل في المصادر الرئيسية للتشريع في هذا الدين، ووصل كراچی، ودخل (دار العلوم الإسلامية في كراتشي)، وقسم وقته بين دروس يتلقاها في هذا المعهد الإسلامي العتيق وبين أرض يطبق عليها ما تلقاه من مبادئ وقيم ومثل، فتسخن الكلمات بحرارة المعركة، وفي أتون القتال تصفر النفوس وتشرق الأرواح وتصل القلوب.

فيوماً في الذخيرة من سلاحسي ويوماً في الذخيرة من تسلادي

الرحلة الأخيرة إلى أرض المعركة: كانت الأيام تمر ثقيلة فوق مقاعد الدراسة لأن قلبه يضطرم شوقاً لأرض الأبطال وعرين الأسود، وما أن أقبلت العشر الأوائل من ذي الحجة حتى ينطلق موسى بصحبة عشرة من أتراب الدراسة -وهكذا خلصة- يتسللون من بين حجرات الدراسة حتى يضعوا أنفسهم بين أحجار الرحي التي تطحن الحديد والبشر.

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
لا كما قد حييت غير حميد وإذا مت مت غير فقيد

وسار موسى الشاب المتواضع الذي يخالط إشراقة وجهه شيء من الحمرة، ففى قلما تسمع له نبساسة، مشغول بعيوب نفسه (وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس)، قلما تراه عابس الوجه أو مقطب الجبين، دائم الابتسامة، يأسرك منه تواضع جم وخلق أخاذ، وقلب كبير يضم بين حناياه ألام أمة وأمال جيل.

وكانت الحاققة في جحر في يوم التروية: وبصمت الجميع بذهول يشده العقول لصاعقة النبا التي نزلت على القلوب فأحرقتها، ويتحول الدرس النظري الذي يلقيه الأستاذ إلى درس عملي فيه العبرة والذكرى والعبرة، وكل لسان يلهج بما في أعماق قلبه من حب وثيق لهذا الراحل المعلم الذي ترك بصماته في حنايا النفوس وعلمها أن الحياة الحقيقية هي حياة الفرسان [من خير معاش الناس رجل أخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هبة أو فرزة طار إليها يبتغي الموت مثانه] صحيح.

عبد الله عبد الوالي الذهب (أبو عمر اليماني)^(٢)

ما رأيت شبيها لفطرة أهل أفغانستان مثل أهل اليمن، ويكاد القطران يتشابهان بأصالة فطرة الأبناء وطبيعة الأرض والالتفاف حول العلماء ووضع النصوص موضع الجدية والتنفيذ، تراهم في الخمسينات يرتدون البزة العسكرية ويحملون البنادق ويسابقون الشباب في تسلق الجبال، بل في الصعود إلى أعالي الجدد.

(٢. ١) المصدر السابق ص ٤٠-٤١.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

روح الشباب، وهمة الفتيان، وعزيمة لا تعرف الكلل.

عمري بروحي لا بعد ستين فلأسخرن غداً من التسعين
عمري إلى الستين يجري مسرعاً والروح ثابتة على العشرين

وهكذا فقد التقيت في نرى الجبال وبين الغابات والأدغال نماذج من أهل اليمن، رأيت الغبيسي وأبا فارغ، وكم يهزك أن تعلم أن غيلان أبا فارغ أول من يقبل إلى الجهاد من أهل اليمن والإيمان والحكمة رغم أنه في العقد السادس من عمره. ويعجبك أهل اليمن بإيائهم وأنفتهم وعزتهم وقبولهم للمنايا دون إعطاء الدنيا في دينهم، كذاك أهل أفغانستان. ونفس تعاف العار حتى كأنه — هو الشوك يوم الروح أو مثله الكفر

وتكاد النعمة العنبة تتحد على لسان حال اليماني والأفغاني:

هو الموت فاختر ما علاك نكره فلم يمت الإنسان ما حيي الذكر
ولا خير في دفع الردي بمذلة كما ردها يوماً بسوائه عمرو

أقبل عبد الله: من بين الذين أقبلوا مستجيبين لرب العزة وهم يرتجفون من التهديد الرعيب من فوق السبع الطباقي:

(قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتشعوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) (التوبة)

وهو في الأربعين من عمره تاركاً والده ليس لها إلا الله ثم السهاد والاروق والبكاء والقلق على الفراق.

من منطقة رداغ، ولكنه نزيل صنعاء، شاب وقور جاد كثير الصمت، لا يعرف منه تجاء الناس إسامة، ولا تراه إلا في حلق العلم تارة، وأخرى بين دروس تحفيظ القرآن يتتبع الندوات والمحاضرات، وله في القلوب منزلة، وصمته يضفي على مكانة مهابة واحتراماً.

في معسكر التدريب: وفي داخل المعسكر وجد نفسه، وانبسطلت أساريره، وبدأ يعبر عن ارتياحه الكبير ببعض النكات التي تلمح كان تسمع منه من ذي قبل، وكأنه وجد التفسير العملي (عليكم بالجهاد فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم) حديث صحيح.

وفي يوم التروية مضى إلى الله وترك أمماً في صنعاء تكابد الليل مع نجوم السماء ولو كانت تعلم الأدب والشعر لقاتلت.

فإذا نطقت فأنث أول منطقي وإذا سكنت فأنث في إضماري
أخفي من البرحاء ناراً مثلاً يخفي من النار الزناد الواري
وأخفي الزفرات وهي صواعد وأكفكف العبرات وهي جواربي

(الزناد الواري: المشتعل المشتعل، الزفرات: التهذبات، العبرات: الدموع، البرحاء: الشدة).

فهنئاً لك هذه الخاتمة التي نرجو الله أن يتقبلها وأن يجمعنا بكم وبهشام الديلمي.

الشهيد تيسير دخيل الله بن سالم الربيع (الفاروق)(١):

كثير الصمت لأنه حكمة، قليل الكلام (الصمت حكمة وقليل فاعله)، كثير الذكر، وهذه صفة المجاهدين (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)، فأمّا الشهادة فهي عشيقته التي يهاوها ولا يفتأ يردد ذكرها على لسانه. اتصل بي والده يستفسر عن استشهادي، فبشرت بشهادته، ودعوت الله أن يكون شفيعاً لوالده، وقلت: أمثال ابنك تفخر بهم لأمم وتحيا بهم الشعوب، ونرجو الله أن تلقى هذه النتيجة صادقين مقبولين.

رؤيا صادقة: وقبل استشهادي بساعات في يوم الجمعة قال: أتمنى أن أشتهد بقذيفة طائرة، وصدق الله، وقد كان له دور في التوجيه والتربية الإيمانية والروحية، بالإضافة إلى أنه كان مثال الجندي المطيع، ولقد كان لغيابه أثر على نفوس الكثيرين.

(١) المسير السابق ص ١١.

لك الله أيتها الأم الرؤوم، وهنيئاً لك شهادة ابنك، لو تكلمت العبرات في مقنتيك لقانت:

تصرت جفوني أن تباعد بينها
أم صورت عيني بلا أشفار
وتلهب الأحشاء شيب مفرقي
هذا الضياء شواظ تلك النار

(أشفار: أهداب ورموش، الأحشاء: الأمعاء، المفرق: مقدم الرأس، شواظ: لهب).

إلى اللقاء في الجنة (١):

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ثم الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاماً على نبينا محمد الأمين وعلى صحبه وآل بيته أجمعين، أما بعد:

إلى أبي وأمي مع خالص التحية والسلام (سلام عليكم ورحمة الله وبركاته).

أكتب لكم هذه الورقات وأنا بإذن الله في عداد الشهداء بين يدي الله الذي قال: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل

أحياء عند ربهم يرزقون). أرجو أن تكون في مقام كريم عند رب العالمين في جنة الفردوس.

أبي وأمي: أوصيكم بتقوى الله سبحانه وتعالى والتمسك بدين الله لا دين الناس، فإن الله لا يرضى من الناس إلا ما قد من

عليهم، ولم يكثر عملهم بدون تشريع من الله فهو عليهم وليس لهم.

أرجو أن تفهموا أن المصير إلى جنة أو نار لا ثالث لهما.. يعني إما رضى الله وإما غضبه، فليس النار فقط للكفرة، بل وأيضاً

للمقصرين في أمور دينهم.

لقد أنعم الله عليكم بالعيش الآن تأكلون وتشربون وتنامون، ولديكم فضول أموالكم ابذلوها في سبيل الله بضاعة، وخذوا الجنة

ثمناً لها، واسمعوا أن يكون المشتري منكم هو الله عز وجل الذي وهبكم الحياة السعيدة الهانئة، وأسبغ عليكم نعم الأمن والصحة،

ورزقكم المعيشة الواسعة، وقد قال الله تعالى: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة).

ومن أصدق من الله وعداً للمجاهدين في سبيل رفع راية الجهاد وإعلاء كلمة الله حيث قال: (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم

ويغزوهم وينصرم عليهم ويثقف صدور قوم مؤمنين). جزاكم الله خيراً، إلى اللقاء في الجنة.

إبنكم تيسير (الفاروق)

الشهيد أبو الدحداح الليبي (٢)

صوام قرام، يصوم الإثنين والخميس، يتفجر حماساً، ويتطلع إلى مهمة يقوم بها، مولع بالحراسة، وفي الحديث الصحيح:

{حراسة ليلة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود}، مطراخ لأميره، رفوف بإخوانه يحدب عليهم ويحنو عليهم، قلما

وجد أحد إخوانه واجماً ساهماً إلا وسارع في سؤاله عن سبب حزنه، لسانه رطب بذكر الله، ما زال لسانه يلهج بالذكر والدعاء منذ

إصابته حتى وفاته (يقول: لا إله إلا الله، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني).

وجد في الجهاد متنفساً عميقاً بعد الضيق الشديد والكبت الخائق الذي كان يعانيه تحت حكم الطاغوت.

وقد كان مع أمثاله مرجلاً يقلي ويهدر قاتلاً:

فإن عشت فالطعن الذي يعرفه
وتلك القنا والبيض والضمير الشفر

وإن مت فالإنسان لا بد ميت
وإن طالت الأيام وانفسح العمر

وقد مضى إلى ربه وكان يأمل أن يرى راية الإسلام ترفرف فوق أفغانستان وفوق ربوع بلده، ونرجو الله أن يتقبله في الفردوس

الأعلى وأن يلحقنا به هناك.

الشهيد محمد أحمد الحنق (أبو حفص اليمني) (٣):

في بيت الحنق قرية من قرى أرحب اليمنية ولد محمد ونشأ نشأة بسيطة متواضعة، وعندما شب وجاوز الحنث، فتح بقالة يعيش

منها، ولم يحظ بدراسة عالية ولا بثقافة واسعة، ولكن بقيت لديه الفطرة الطيبة.

(٣-٢) مجلة الجهاد العدد ١٧ من ٤١-٤٢ صفر ١٤٠٩ هـ سبتمبر ١٩٨٨ م.

(١) مجلة الجهاد العدد ١٨ ربيع الأول ١٤٠٩ هـ الموافق أكتوبر نوفمبر ١٩٨٨ م ص ٢٥.

قصة قدومه للجهاد: أعلن عن محاضرة في صنعاء للأستاذ عبد الوهاب الديلمي تحت عنوان (قصة شهيد) وذلك بمناسبة استشهاد والده مشام الديلمي، ولقد كان محمد بين شهود المحاضرة، فخرج منها وقلبه ينبض حباً للجهاد وشوقاً للاستشهاد، وردد قائلاً (لقد انتزعت الدنيا من قلبي)

والموت آت والحياة نفائس والمستقر بما لديه الأحق

فلا بد من الصديق مع الله، وطلاق هذه الدنيا ثلاثاً لارجعة فيها (ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم إصبعه في اليم لينظر به يرجع) صحيح، (موضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها) صحيح.

بداية التنفيذ: أقبل إلى دكانه (بقالته) فباعها بأرخص الأثمان، وأصبح ينظر إليها كأنه يضعها في جيبه فألقاها بعيداً. وأقبل إلى الجهاد قبل عشرة أشهر، وأعد في مخيم التربية والتدريب، ثم إلى الرباط في المأسدة بين التلوج التي تجمد الماء الساخن على الوجه، ومكث ستة أشهر هناك (ترجو الله لنا وله القبول).

من المأسدة إلى خروست: ثم انطلق إلى خوست، ورابط في باري، ثم أصبح أميراً لها.

الشهادة: طال الانتظار للقاء الحور العين، وتاقت نفسه للنزال، ولعل وراه اللقاء، وأعدت عملية للهجوم على معسكر العدو في يوم السبت (٢٢) محرم (١٤٠٩هـ)، وكان لابد أن يكون محمد في مجموعة الإقتحام.

وأغوى ولو أن الصباح صوارم وأسرى ولو أن الظلام جحافل

وأني جواد لم يحل لجامه ونصل يمان أغفلته الصياقل

فإن كان في لبس الفتى شرف له فما السيف إلا غده والحمائل

(صوارم: سيوف، الصياقل: الحدادون، الحمائل: حاملات السيف وعلائقه، جحافل: جيوش، لبس: خفاء)

الحفاة والمسك: وجاءت قذيفة تحمل معها المنايا، وأصيب شقه الأيمن، وبدأ يتزف ويتلو القرآن من سورة التوبة، وفاضت روحه، وكانت الدماء تسيل من جرحه والعرف (الشذى) الطيب يفوح من دمائه، اللون لون الدم والريح ريح المسك.

ويشهد أبو العاص الحاربي وأبو الصادق الصنعاني وصلاح الدين الحق أنهم تنسموا الرائحة الطيبة من دمائه الزكية، ويشهدون على ذلك ربهم.

رسالة من أبي حفص (محمد أحمد الحق) إلى والده:

(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون، ولنبلرئكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والشعرات وبشر الصابرين).

ويقول تعالى: (قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وهجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين)، (ولا تهتوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) وأسأل الله تعالى أن أكون ممن شملتهم هذه الآية، وأدعو الله أن تشملكم أنتم أيضاً، وأن يتقبلنا عنده إنه كريم رحيم.

والدي العزيز: تحية إسلامية، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، ويعد:

فاعلم يا والدي أنني أحبكم كثيراً، لأنك رجل عرفت قدر نفسك، وعرفت حقارة هذه الحياة، وإنها ليست باقية، فقد قدمت في سبيل الله أحد أبنائك وأرجو أن تقدم من بقي منهم ليكونوا لك ذخراً عند الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، واعلم والدي أنك أصبحت رجلاً ليس كالذين يحبون أن يبقى أبنائهم في الشوارع وفوق حطام الدنيا. ولكنك أردت والحمد لله الذي وفقك لأن ترى هؤلاء الضعفاء أين يجب على الأب أن يضع ولده، واعلم يا والدي أن هذه الحياة ليست بدار قرار، فلا تفكر فيها فإنك زائل منها مهما طال العمر (كل شيء هالك إلا وجهه)، وأطلب منك يا والدي المسامحة من كل خطأ بدر مني نحوك في زمن جهلي، وإن شاء الله إن يشغني الله في أحد فأجعلك منهم إن شاء الله، ثم حذار من أن تصدقوا لنفاق الناس ولومهم، ومن سمعتموه يقول شيئاً

فاحتوا في وجهه التراب وأما والدتي التي أعلم أنها كذلك من المؤمنات النواتي لا يخفن في الله أحداً، وكوني يا والدتي عند حسن الظن، فمهما بقيتا هنا في هذه الدار نأكل ونشرب فقط، فلا بد لنا من نهاية وخرج إلى الدار الآخرة، فإما إلى الجنة وإما إلى النار، ولا تنسي أنك ستريتنني في الجنة إن كنت من الصادقين حيث لا موت فيها ولا فراق بعد ذلك، وأوصيك بالصبر والصلاة وطاعة الله إلى أن تلقى الله، ولا تصدقي قول أحد.

وأخيراً أطلب ممن يعرفني من إخواني أن يسامحوني ويدعوني، وأن يواصلوا جهادهم أينما كانوا ولا يفتروا، فالحياة جهاد في سبيل الله فلا تجعلوها في سبيل الشيطان، وأنتم أعلم بذلك مني، والسلام عليكم يا أبي، والسلام عليكم يا أمي، وعلى إخواني أجمعين، وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

ملاحظة: إذا استشهدت قبل الحج فأرجو من والدي أن يحج عني، وإذا لم يستطع فلحج إخواني في الله الذين لهم قدرة. أخوكم وولدكم: محمد أحمد الأرحبي المكنى (أبو حفص الأرحبي)

عادل الوريك (خلاد) (١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد: لكل اسم من أسماء نصيب فهو خلاد، أي خلّد ذكره بتسطير تاريخه بدمائه، وهو قد خلّد في أسرته روح الجهاد، وأحيا عبادة القتال، وصدق رب العزة (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون)، ولقد عبّر عن هذا أبو الطيب:

فقتلي في الوغي عيشي لأنني رأيت العيش في أرب النفوس

واقتبس منه شوقي قوله:

ففي القتلى لأجيال حياة وفي الأسرى فدى لهم وعتق

حياته: من مواليد مدينة الخبر سنة (١٣٩٠ هـ) بالمنطقة الشرقية فقد اهتمت به يد المنون في عمر الورد. ويحدث عنه أستاذه أبو مصعب (رياض الحقييل) قائلاً: (عجب ريك من شاب ليس له صبوة) كما في الحديث، فلقد عرفت منذ سنوات وما علمت عنه إلا كل خير، عرفته منذ نعومة أظفاره وهو يتردد بين المكتبات والمراكز الإسلامية الصيفية وأنشطة التوعية وغيرها في المدارس، وكان من رواد المسجد، والمسجد رياضه ومستراحه، فمع الشباب في المسجد يتعلم دين الله من كتاب وسنة وثقافة إسلامية، وكنت تجده بينهم في رحلات الحج والعمرة.

وكان يجلس مع إخوانه من الشباب في أحد المساجد صباح كل خميس ويقرأون القرآن على قراءة أحد المشايخ (الخليفي، باجاير، المنشاوي)، وكانوا يتبارون بتداوة الصوت وجمال المخارج، كان ذا صوت ندي رقيق جميل خاصة في تلاوة القرآن.

أما الأناشيد فكان يجيدها ويحلو بها زاداً في وقت السفر أو لطرد السآمة والملل. وكان يداوم على درس صحيح البخاري عند أبي مصعب يواظب على الحضور، يشارك في المناقشة، يسأل ويجيب، ويذكر بالصحابي ابن عباس رضي الله عنهما في كثرة سؤاله وفهمه الثاقب، وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن سر وصوله لهذا الشأن من العلم فقال: (بلسان سؤال وفؤاد عقول).

التفكير إلى الجهاد: كان قلبه يشتعل شوقاً إلى الجهاد، وقد زار الجهاد ذات مرة فلما رجع منعه أهله، فأنجهد نفسه في المحاولة بالترغيب والترهيب لأهله حتى تمكن من الذهاب.

ويرجع أخرى ليحرض إخوانه على الجهاد فيمنعه أهله من الذهاب، وهنا استعانت في إرضاء والده واستعطافه علّه يرق لهذا القلب الواله النصف المعلق بالجهاد، وأخيراً أذن له والده.

قافلة بروان: ولا سمح بقافلة للمجاهدين متجهة نحو بروان فرحاً شديداً لأنه علم أنها للجهاد والتربية على العلم الشرعي، وبدأ ينتظر، ولكنه ما أطاق الانتظار في بيشاور، فصار يتردد بين الجبهات والمعسكرات، فترى الكتاب قلماً يفارق يده، ويقرأ على الشباب من التفسير والحديث والكتب العامة، ولم يكن يدع الكتاب حتى في الطريق، وكان حريصاً على اتباع السنة والتنبية إليها مع إخوانه ومع القادة.

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٠ جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ ديسمبر ١٩٨٨ م يناير ١٩٨٩ م ص ٣٢.

الأيام الأخيرة؛ وقبل استشهاده بيوم وفي الجبهة في (ليجا) -خوست- يأتي أحد إخوانه الكبار ويستشير في البقاء في ليجا للاشتراك في العملية أو بالذهاب إلى بروان، فأمرة بالاستخارة.. ويفعل، ثم يقول: قد نويت البقاء هنا، وودع إخوانه في قافلة بروان قائلاً: (يا إخوة إنني أحبكم في الله، يا إخوة والله ما تعلمون معنى المحبة والأخوة في الله إلا في مثل هذه المواطن).

وبعد هذه الكلمات الجميلة بيوم فقط وفي يوم الجمعة وبعد الصلاة.

الشهادة في ساعة الاستجابة: من السنة ترقب ساعة الإجابة يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار وفي هذه الساعة بالضبط بدأ يزحف نحو مركز العدو الذي لا يبعد أكثر من مائة إلى مائة وخمسين متراً، وكان أميره بجانبه، فقال للأمير: (نحن الآن في ساعة الاستجابة)، وبعدها بقليل وإذا بلغم ينقجر تحته قتمزق الجزء الأسفل منه وبقي الجزء الأعلى، وبقيت الورقة التي رسم عليها موقع العدو في جيبه.

منظر يؤنس بقبول الشهادة: وفي صباح اليوم التالي جاء إخوانه إليه وكان مشهداً يأخذ بمجامع القلوب، خلاد مجتدل فوق الثرى، إصبعه المسبحة تشير إلى السماء بالشهادة، وثغره باسم، لدمه رائحة طيبة كالملك كما شهد بهذا أبو حبيب أمير مجموعته وآخرون. نرجو الله أن يتقبله في الصالحين وأن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.

إبراهيم جلال (أبو محمد السعودي) (١):

سبقوا رغم صغر سنهم، اصطفاهم رب العزة رغم أن مسيرتهم الجهادية قصيرة وعمرهم على الطريق المرير غرير، إلا أن الاصطفاء من رب الأرض والسماء ولا يرتبط بعمر ولا عمل، إن القلوب الصادقة هي الجديرة بالاستجابة من علام الغيوب الذي ينظر إلى هذه القلوب والأعمال. وكلما أفضت زمرة صافية إلى خالقها ودعتها القلوب وهي تردد:

إن كنتم ظعننا فإن مداممي تكفي مزاكم وتروي العيسا

(ظعننا: راحلين، العيس: الإبل).

نكي على أنفسنا وليس على من ودعنا، لأننا نعلم أن الله إذا تقبل شهادتهم فقد قدموا إلى خير الأخرة (الموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها) صحيح، وكل واحد من هؤلاء يعيش بكيته في عالم الآخرة، مع الحور في الجنة.. في رياضات الجنات، ليس عنده هم سوى التفكير في الشهادة و (من طلب الشهادة صادقاً أعطيا ولو مات على فراشه) صحيح.

ونرى الواحد منهم يناطح بهامته سحب السماء، ويشمخ بهمته حتى يطاول الجوزاء.

أنا صخرة الوادي إذا ما زوجحت وإذا نطقت فإبني الجوزاء

منذ عام وهو يعيش في أرض الجهاد، إلا أنه عاد لزيارة أهله والعلاج.

العردة: إن الجهاد مهوى الأفتدة، وقلما استعذبت طعمه نفس مؤمنة وأطاعت فراقه. قد يعيش في جو آخر، وتفتح له الدنيا أبوابها، ولكن الروح تبقى معلقة بالجهاد، ويبقى شياً بين أهله ونبيه، لا يلذ بطعام ولا يهنأ بمنام، جفونه مؤرقة لا تكتحل بالنوم، هادئة إلا تحت دوي المدافع وقصف الطائرات، ويبقى الحنين إلى أرض النزال يقض مضجعه.

الرقيا: رأى وهو بين أهله الجنة ونعيمها، فطارت روحه إلى أرض الجهاد، ثم تبعها جسده، وقد ألهمه الله العمل، وحبب إليه النوافل خاصة الذكر والصلاة، فكانت لا تفتقده إلا وجدته قائماً يصلي أو فاتحاً لكتاب الله يتلو أو ذاكراً، وكما قال أبو الدرداء: (إنما نقاشون بأعمالكم)، فقد بدأ يعد الأعمال التي بها يقاتل أعداء الله ويقابل وجه الله.

الشهادة: وفي يوم الجمعة (٢٨) محرم سنة (١٤٠٩هـ) كانت هناك معركة حامية الوطيس في أحد مراكز قندهار، وبعد المعركة أوى إبراهيم الجلال مع أخيه أحمد بن عبد الله بن صالح الخليفي القطري إلى مكان، فأغار الطائرات عليهم فاستشهدا ومضيا على الطريق اللاحب إلى الله، فنرجو الله أن يتقبلهما ويلحقنا بهما في الصالحين.

أسد الرحمن المصري (٢):

في مقتبل العمر وزهرة الشباب ونضارة العمر وفورة الصبا يقبل أسد الرحمن إلى أرض الجهاد، كان مشرق الوجه، نير

(٢٠٩) المصدر السابق ص ٢٢.

الجبهة ، يقبل إلى بشوق عجيب قائلاً: كيف حالك يا والدي، عرفته يذوب شوقاً إلى الجنة.
قال لأصحابه قبل أن يستشهد: (إن أعظم شيء يقدمه لنا الشيخ عبد الله هو: الطريق إلى الجنة) أجسادهم على الأرض وأرواحهم معلقة بالفردوس.

وصدق رسول الله ﷺ: [الروح في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيد -يعني سوطه- خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاعت ما بينهما ولألأته رجلاً، ولنصفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها] البخاري.

كيف لا تهفو النفوس إلى الحور والفردوس؟ إن نفوس الشباب كالخيل التي تملك اللجم تريد أن تنطلق من أزمعتها ، إنهم يترقبون الشهادة ترقب عزيز غائب سيقبل.

يستغفون من أيامهم كأنهم لا يخرجون من الدنيا إذا قتلوا

عرفت أسد الرحمن في صدى، وأمرته على خيمته رغم صغر سنه، كان ينتظر تكليفه بأي عمل إنه متعش للعمل ، مندفع يتفجر حيوية ويتدفق حماساً، وأنهى تدريبه وكان هذا قبل عام ونيف تقريباً، ثم انتقل إلى جاجي ورابط فيها، وبدأ يبحث عن قافلة ذاهبة إلى الشمال. وانطلق معها ليروي غليله بالجهاد، ومكث فترة هناك، ثم عاد، ولكنه لا يكمل ولا يعمل، ولا يستقر ولا يهدأ.

وكان الشيخ تميم العدناني يحب هذا الشاب حباً جماً لتواضعه وشجاعته وأدبه وحياته.

إلى خروست: وترامى إلى مسامعه المعارك الساخنة في هذه المنطقة فيم شطرها، وألقى رحاله فيها، يشترك في العمليات التي لا تنقطع ، فلا تكاد المنطقة تخلو من ذوي القذائف وصيليل السلاح وهدير الطائرات، وأزيز الرصاص.

وأقبلت شعوب (النية): وجاء اليوم الذي أعده الله لملاقاته، وخطط الشباب لافتتاح مركز شرس طالما أذى المجاهدين وكبدتهم خسائر. وقرر جند الله اقتحام هذا المركز، ورسوموا خطة الهجوم، وكان أسد الرحمن من الليوث التي أعدت للاقتحام. وهو لا يطيق أن يشترك إلا في الصفوف الأولى، إنهم يريدون أن يستشهدوا لتحيا الأمة، ويقتلون لتعيش الأجيال بدينها وإيمانها، إنهم يهزون الدنيا ليستيقظ السادرون في نومهم.

فتى كلما ارتاد الشجاع من الردى مفرأ غداة المأزق ارتاد مصرعاً

وما كنت إلا السيف لاقى ضريبة فقطعها ثم انثنى فتقطعا

واقترح الشباب المركز (البوستان)، وبعد أن تم الفتح أصيب أسد الرحمن، ومضى إلى الغاية التي أقبل من أجلها وجاهد لتحقيقها. ونرجو الله أن يكون قد أجاب دعاءه وصدق عليه بشرى رسول الله ﷺ: {...وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يعقوا، أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنمة] البخاري.

اللهم أحيينا سعداء وأماتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ.

شهداء قطر الثلاثة

إن الشيخ تميم العدناني كالغيث المبارك حيثما نزل أفاد -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً-، ويجده الشاب واحة يلوي إلى ظلها من لفع الجاهلية، وبراء الشيخ الطاعن في السن طاقة تتفجر حماساً فيعيد الشباب إلى روحه، وهو يرى في الشيخ الكبير أبا، وفي القرن أخاً، وفي الصغير ابناً، ولكم رأيت الشيخ تميم (أبا ياسر) وهو يبكي إذ يودع الشباب إلى الجبهة وهو يقول: والله إنهم كانوا لي أشد حباً. كان عصام (تحسين) أحد الشباب الذين نفروا في سبيل الله، فيقول: هذا ابني عصام وليت لي ابناً مثله.
وقد حل الشيخ تميم في السعودية فيأيقظ الشباب وأحيا في أعماقهم فريضة الجهاد، وأصبح الجهاد الأفغاني حديث السامر في الجزيرة عموماً وفي المنطقة الشرقية خاصة.

ثم رحل الشيخ إلى قطر فأصبح الجهاد هو اللحن الحبيب لمجالس قطر ومتدياتها، وهو النشيد العذب على ألسنة شبابها وديوانياتها، وبدأ الشباب يفدون إلى الجهاد تبعاً، وإن كنت أنسى فلا أنسى في هذا المجال محمد عبد الله صديقي الذي كان له شرف سبق من طلاب أمريكا ومن شباب قطر، فنرجو الله أن يكون ممن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، وهذا الشاب أضحى مثلاً لكل من أراد أن يحلو، ونموذجاً لمن أراد أن يقلد أو يقتفي -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله

أحداً-، وشهداء قطر هم على التوالي:

أحمد عبد الله صالح الخليفي (أبو يوسف)(١):

إيه يا قندهار، كم ضمت جنباذك من جثث الأطنهار، وكم حامت فوق ملاجات ويولذك ومطارك من أرواح الأخيار، بيداك القفراء أصبحت خضراء بالدماء. رحالك الجافة أضحت ندية بذكريات الكماء الأباة.

أسرته: بين خمسة إخوة شب أحمد، وهو من الشباب الذين نشأوا في طاعة الله، المسجد مراحه ومستراحه، وروحه وريحانه، فتعلقت روحه ببيت الله وكتابه، يرتاد المسجد ويواظب على الصلوات الخمس فيه، كان باراً بوالديه، وهذا فرض رباني أملاه عليه دينه. الجهاد وإقباله عليه: يحدث عن قدومه إلى الجهاد قائلاً: (سمعت أن الشيخ تميم يحدث في مسجد الوكرة عن الجهاد، فذهبت مع أصدقائي، وكنا في الذهاب نستمع الأغاني، وبعد الدرس تأثرت كثيراً وعاهدت الله على الذهاب إلى أفغانستان).

وذاة مرة قال أحد طلبة العلم لأبي يوسف معازحاً: أو كنت تسمع الأغاني؟ فرد عليه: لقد سمعت محاضرة واحدة عن الجهاد ففكرت في سبيل الله، وأما أنت فطالما حدثت الناس عن الدين والجهاد ولم تنفر إلا الآن.

صفاته وسماته: كان كثير الصمت، يحب خدمة إخوانه في الجبهة ولا يناقشهم، مشغول دائماً بقراءة القرآن، كتب في رسالة باللغة العامية لوالديه يقول فيها (بابا يا أمه اصبروا أنا أشفع لكم يوم القيامة -إن شاء الله-، ترى الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته).

من رسائله:

كتب إلى إخوته في الفريج:

شباب ماض إلى الرب برضيه، وشباب قاعد اللعب يلبيه، إن الحل لا يكون إلا بالجهاد، فالحقوا أنفسكم ولا يفوتكم قطار الشهادة في سبيل الله اللهم هل بلغت اللهم فاشهد.

وكتب في رسالة ثالثة لعبد الله الماجد -صديقه- على ظهر بطاقة تحمل صور أطفال من أفغانستان يقول له فيها: (أطفال يجاهدون وشبابنا يلعبون، أخي عبدالله انفر إلى هؤلاء الأطفال الصغار في العمر والجسم، ولكن عقولهم وقلوبهم أكبر من عقول وقلوب شبابنا الضائع اللاهي المضيع لدينه وديناه، والذين لا يفكرون إلا في الأكل والشرب والسيارات، فانظر الفرق)!

الشهادة: معركة شديدة في قندهار أرى بعدها أبو يوسف (أحمد عبد الله) مع صديقه إبراهيم جلاجل السعودي، تقصفت الطائرات المكان ففاضت روحاهما إلى الله -عز وجل- في (٢٨) محرم سنة (١٤٠٩ هـ) في السابع من سبتمبر سنة (١٩٨٨ م).

استقبال أهله لاستشهاده: يقول والداه: (كنت سعيداً باستشهاد أبنائي لأنه شرف كبير، وقلبي حدثني بوفاة قبل أسبوع)!

شعاره: من أفغانستان إلى فلسطين، وكان يعنى الشهادة في فلسطين أو بخارى.

صلته بالمجاهدين: كان محبوباً لدى المجاهدين، وقد كان القائد يوكل إليه بعض المهام، وكان شجاعاً، حتى إنه ذهب إلى مركز الشيوعيين وحده.

يزور الأعادي في سماء عجاجة أسنته في جانبيها الكواكب
لتسفر عنه والسيرف كأنما مضاربها معاً انفلن خرائب

أحمد عبد الله البيوك (الفلسطيني القطري)(٢):

شاب يحب الفروسية، تمارس بالعباب الرياضية، خاصة سباق الضاحية، نشأ وترعرع في منطقة الوكرة، ومسجدها أضحي يعد في السنتين الأخيرتين خلية نحل لا يحط فيها سوى العاملين لجني العسل للأمة الإسلامية. وأحمد بطل رياضي في نادي الوكرة، أنهى الشهادة الثانوية وسافر إلى أمريكا. بعد أن سمع ما سمع عن الجهاد، ولم يطق الحياة في أمريكا وصار يبحث عن طريق الجنة، وذاة يوم وإذا بأحد أصحابه يأتيه به (فيزا) إلى باكستان، وطارت روحه قبل جسده لترفرف فوق أرض الأبطال وعلى ذرى جبال

(٢، ١) المصدر السابق ص ٢٥-٢٦

رسالة لأبيه: كتب رسالة إلى أبيه يودعه فيها قائلاً: (حضرة الوالد العزيز: منذ زمن طويل وفكرة الجهاد تراودني، فهي أسمى شيء باستطاعة الإنسان أن يقدمه إلى دينه وربه وأهله. أرجوك يا والدي أن لا تغضب علي.. لم أعد أستطيع التركيز في الدراسة بعد محاولات متكررة لما أراه في فلسطين وأفغانستان من ذل وضرب وإهانات، وما خلقنا الله لنعيش أذلاء، بل خلقنا لنعيش أعزاء.

أحمد بين المجاهدين: وجد أحمد نفسه في الحياة التي كان يرسمها في ذهنه، العزة لحياته، والمجد سداها [من خير معاش الناس رجل أخذ بعنان قمره كلما سمع هجمة أو فزعة طار إليها يخفي الموت مهانته].

والعز في صهوات الخيل مركبه والمجد ينتجه الاسراء والسهر

التوافل: يحدث عنه علي عبد الله صديقي قائلاً: كان يقيم الليل، يحافظ على الجماعة ويحدث عليها، خدوم لإخوانه، يحضر لهم ماء الموضوء، ولم تشغله المعركة أن يرسل إلى أهله يوصي أخواته بالحجاب.

شهادته: في معركة اشتد ضرامها، ورفرفت المنايا فوق أبطالها، امتشق أحمد قائفه الصاروخي ال (آر. بي. جي) وبين زغردة الرصاص ودق طبول القذائف انطلق أحمد وماله لا ينشد.

محرمة أكفال خيلي على القنا وداميسة لبائها ونحورها

حرام على أرماحنا طعن مدبر وتندق منها في الصدور صدورها

وتتناثر القذائف حوله، واختطفت إحداها روحه إلى خالقها.

وهناك في سبين بولدك ثرى أحمد البيوك بعد أن بقي دمه ينزف ثلاثة أيام بنجيع راحته كالمسك. وراه إخوانه إلى مثواه الأخير بجانب هاني الشيخ الفلسطيني الذي كان يعيش مع أهله في الكويت.

هكذا يا أبناء فلسطين: تفرقتم في البلدان، ولكن ضمكم حب الشهادة والشوق إلى الجنان، فهنيئاً لكم، ونرجو الله أن تلتقي بكم في الفردوس الأعلى.

حسن العرضي (١):

كان يرى الإعداد فرضاً وإن كان في قطر، فلا بد من تعلم الفروسية في ناديمها، وقد شجعه والده على الجهاد في سبيل الله، وكان والده وإخوانه من أكبر العوامل على دفعه للتغيير، ولطالما لهج لسانه بالدعاء أن ييسر الله له سبيل الجهاد (ثلاث حق على الله عونهم الغازي في سبيل الله...).

فالموت أعز لي والصبر أجمل بي والبر أوسع والدنيا لمن غلبا

(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً).

عشق الشهادة: كان كثير الحديث عن الشهادة، ولقد فجرت شهادة أبي يوسف القطري (أحمد عبدالله صالح الخليلي) في قلب كثير من أبناء قطر يتابع الشوق والحنين إلى الشهادة، وأصبح حديثهم عن أحمد حافزاً يدفعهم إلى الإمام، ولذا كان يلج على القائد (الأمير) أن يسمح له بحضور عملية ضد الروس، وأخيراً أذن له، فانطلق يتسلق قمة المجد:

ولا تحسبن المجد زقساً وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

ويعد العملية الناجحة على مركز العدو عاد المجاهدون إلى المركز، فجاءته المنية بقذيفة هاون على طريق العودة، ولعلها العودة هناك بإذن الله:

فحي على جنات عدن فإنها نحي على جنات عدن فإنها

ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلم

(١) المصدر السابق ص ٢٧.

فيا بائعاً هذا ببخس معجل كأنك لا تدري ولا أنت تعلم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة أو كنت تدري فالمصيبة أعظم

مثال المتعلم المجاهد (خالد زير)^(١):

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

لم أر باكستانياً في حيويته ونشاطه، وفي سمته ودله، وفي أدبه وحيائه، شاب درس العلم الشرعي على يد مشايخه، ثم انتفض يريد أن يزيل عن نفسه وعن إخوانه ركाम السنين من غبار الذل، وعجاج الجاهلية. صدره يغلي كأنه الرجل، ففي أعماقه ألام أمة طامنا غطت في منامها، وفي أهاته الحري وزفراته المحرقة انعكاس لجراح عميقة تعتمل في طياته.

يجلس إليك فلا ينبس ببنت شفة، بغضي حياءً وهو يصفي إليك، لا يحب الثثرة ولا اللغو، ولا يحب أن يشغلك عما بين يديك من عمل. إن كانت لديه حاجة ماسة جارك وعرض قضيته دون مقدمة ولا تنزيل، ثم يهب كأنما لدغته أفعى، أو ألهب ظهره سوط، ويغضي ولا تراه يمشي متلكتاً ولا متباطلاً.

عرفته في صدى: كان مع مجموعة من إخوانه في زاوية من زوايا المخيم، يعرف موعد الدرس بعد الغروب، فيتكبدون عنه تسلق الجبال رغم زهوير الشتاء وانهمار المطر، ثم ينسلون دون أن يحس بهم أحد، وفي غلس الظلام يتحدرون إلى مستقرهم ومهجهم.

إلى الأورغون: وانطلق إلى الأورغون مع إخوانه، وما لهم لا ينشدون مع أبي فراس:

لا تحرز الدرع عني نفس صاحبها ولا أجبر لعمام البيض واليلب
ولا أعود برمحي غير منحطم ولا أروح بسيفي غير مختضب

وتجمع حوله مجموعة من الإخوة الباكستانيين تحسب الواحد منهم أسداً، وأخذوا يقدمون الشهيد تلو الشهيد، حتى وصل شهادتهم إلى العشرين، وهم بين خوست والأورغون وغزني، وقد تعلق أرواحهم بالقائد المعروف أرسلان رحمان، العالم الرباني المجاهد الذي كان له قصب السبق من بين إخوانه العلماء في الدخول إلى معمران المعارك، والذي رويت عنه كثيراً من الكرامات التي حصلت معه وأودعتها كتاب (آيات الرحمن في جهاد الأفغان).

والحق أنها أرواح و [الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف]، فروح خالد بصفتها التقت مع روح أرسلان بنقائها، ونفس خالد بوضوحها وجدت طريقها إلى نفس أرسلان بصدقها.

وألقي رجاله بين خوست والأورغون، ويث رجاله كالليوث يغدون ويروحون، وجرح مساعده عبد الرحمن بعينه، ثم عاد بعد أن عالج عينه وواصل خوض غمار المعارك.

التحريض على القتال: وكان يختطف من وقته ما يستطيع فيه أن يدعو إخوانه الذين تركهم يدرسون ويدرسون في المعاهد الشرعية إلى الجهاد، ويستحث خطاهم إلى أرض موطن الجلاء. إذ أصبحت أفغانستان بجهادها روحه وريحانه، ويهصر في هضابها من شبابيه ريعانه.

كنت ذات مرة في مهرجان جهادي في كراتشي والناس ينتظرون خالداً، فاقبل كعادته كأنما ينصب من علي، وألقى كلمته ثم غادر.

شجاعة كتيبه: والتف حوله شباب له أن يردد معهم لحنه العذب:

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما التثموا مرد
تعال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا كثير إذا شدوا قليل إذا عدوا
وطعن كأن الطعن لا طعن عنده وضرب كأن النار من حره برد
إذا شئت حفت بي على كل سابع رجال كأن الموت في قمها شهد

(١) مجلة الجهاد العدد ٥١ جمادى الثانية ١٤٠٩هـ يناير/فبراير ١٩٨٩م ص ٢٨.

والحق أن شجاعة هؤلاء الإخوة نادرة، وإن كنت أنسى فلا أنسى قصة أحدهم نصر الله الذي خاض معركة ضد طائرة هليكوبتر وقتل بعض أفرادها ونجاه الله رغم أن الطائرة كانت قد أعدت كميناً له ولإخوانه، ولكنه خرج وجراحه تنزوا دماً، ورحم الله إرشاد الحق شهيدهم وقائدهم الأول، والذي سقط في أرض المعركة. وكم استشهد من هذه الزمرة الصائقة دون أن تجد قتماً صادقاً يذكرها أو لساناً مخلصاً ينوه بها.

الشيخ سيف الله اختر: ومن الواجب علينا أن ننوه بذكر الشيخ سيف الله الذي كان له الفضل بعد الله في تجميع هؤلاء الشباب بعد أن تسلم الراية من إرشاد الحق، ورغم قلة ذات اليد، وضيق الحال، فإن مسيرته المضنية ماضية، ومواصلته على درب الشوك وطريق الدم مستمرة.

فتح شران: وقبل شهرين كان خالد زبير في مقدمة الذين فتحوا عاصمة الأورغون وبكتيكا (شران)، وليس هذا بجديد عليهم، إذ دأبهم أن يقتحموا حصون الأعداء بين السابقين من المجاهدين، وعلى أيديهم وأيدي أمثالهم من المجاهدين وتحت قيادة (مولوي أرسلان) فتحت كل بكتيكا.

الشهادة في خوست: كان خالد رحمه الله ينتقل بين خوست وغزني والأورغون، ويحاول أن يرتفع بمستوى إخوانه القتالي، وقد يصل عدادهم أحياناً المئتين.

وخطط خالد أن يفتح مركزاً للشيوعيين في خوست، واقتحمه مع أصحابه، وكان الموت له بمرصد، فقد انفجر تحت قدميه لغم فطارت إحداهما وكسرت عظام الأخرى.

وجاني سيف الله إلى المكتب يخبرني بجرح خالد وبإصابته البائفة الخطيرة، وبعدها بيومين في يوم الخميس في السابع والعشرين من يناير (١٩٨٩م) جاني سيف الله يخبرني بأن روح خالد أفاضت إلى خالقها، وعندها تركت مكتبي رأساً وتوجهت إلى مستشفى خيبر فرجته مسجى فوق السرير وعلى محياه تلك الإشراقة التي ما كانت لتفارقه في الدنيا ولا في الآخرة، وعلى جبينه طبعت قبلة الوداع الأخير في هذه الدار، ودعوت له وفي جفوني عبرات الذكريات من خلال الشريط الطويل للجهاد الذي رافق هذه النفس.

إلى (مردان): ولم يكن لدى سيف الله اختر سيارة لينقل الجثمان إلى (مردان) بلده، وطلب سيارة إسعاف وليس لدينا سيارة، وأشرت عليه باستئجار سيارة، وحمل الجثمان، وفي المسجد الكبير في بيشاور صلى عليه، وسار الموكب الحزين العزيز إلى هناك إلى (مردان) حيث تشأ خالد ودباً وترعرع وتضج، فقد كان فيها فتى صغيراً واستشهد قائداً كبيراً، وأنا أعلم أن (مردان) لا تعرف قدره ولا غيرها، إنما يعلمها رب العالمين الذي أعد للشهداء منازل الجنة، ففي البخاري (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض)، فنرجو الله أن يكون قد تقبل شهادته، ولقد ترك خالد وراءه أناساً لسان حالهم يقول:

خليلاي دون الناس حزنٌ وعبرةٌ على فقد من أحببت ما لهما فقد
تليج رموعي بالجفون كأنما جفوني لعيني كل باكية خدٌ

ونرجو الله أن يجمعنا به في الصالحين.

أول شهداء (حاشد) جمال محمد ناصر الحنيني (أبو دجانة اليماني) (١)

ما بالك يا أرض أبي موسى تدفعين بقلذات أكبادك إلى الوغى؟ وما شأنك تجودين بصفوة أبنائك إلى أتون القتال: أتريدان أن تراهني بلاد أبي حنيفة على السبق؟ أم تودين أن تزاحمي أرض الطالقاني على المجد والسؤدد؟ يا أرض حذيفة إن تكاليف العز غالية فهل أعددت لدفع الضرائب؟ يا بلاد أويس القرني إن أثمان الرفعة والسناء باهظة فهل لك طاقة بدفع عدلها؟
رويدك يا ابنة المجد ويا وريثة السؤدد، فالطريق طويلة والأثمان غالية والتكاليف عزيزة.

(١) المسير السابق ص ٢٠.

لا جرم أنك تعتبرين شهادة أبنائك مفخرة لك في سجل الخلود، وترتلين مع السابقين واللاحقين: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) وكأنتك تحدين مع المنشدين لحناً عذياً لكل فتى من أبنائك الذين تزفين إلى الحور:

كأنتك بالفقر تبغي الغنى وبالموت في الحرب تبغي الخلود

واليوم تقف وقفة المودع لابن عزيز من أبنائك، هنا في أرض الفخار بين أطنان الحصى وبراكين النار، على مشارف قندهار، إنه ليث خرج من عرين أكبر قبيلة يمنية من حاشد، إنه جمال محمد ناصر، ولقد انحدر من نوحة المجد ومن مركز حاشد من (خمر) بلد الشيخ عبد الله الأحمر، وقد أقبل مودعاً الدعة، تاركاً النعيم والرفاهية.

وحين أقبل على معسكر التدريب كان النشاط سمة بارزة له، ووجد مكانه بين إخوانه العرب في مأسدة الانصار، وهناك الشباب الذين يتوافدون إلى الوغى كأنهم في أعواسهم:

تدفقت جند العويسدة أنهرأ في كل سباح
زهواً بالسنة الكفاح وبالبطولات الصحاح
وجدائهم قرآن عنوان الهداية والفلاح
قالوا لئن شح العطاء فنحن للدين الأضاحي

وهناك يطيب المقام، ومعالم أجدائهم، وشذى قصصهم، والأنوار التي لا زالت تخرج من قبورهم تبعث في النفوس أشجانها. وتنكأ في القلوب جراحها، فهذا رمس (قبر) أبي حفص الأرنؤي، وذا قبر أحمد الزهراني، وهناك قبر هشام النيلي، وذاك جدت زكريا أبي هنود. بالأمس كانوا بيننا واليوم عند ربهم ونحن سبهم ولا نؤكي على الله أحداً - شهداء يرزقون.

كان جاداً في الجهاد: ويوصي إخوانه بالصلاة على المذهب الحنفي حتى يتسنى لهم الجهاد مع الأفغان الذين يتحسسون من مخالفتهم بسبب أميتهم (ويا قومي مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعوتني إلى النار).

رجع أبو دجانة ليؤدي فريضة الحج ولزيارة أهله في السعودية، وبدأت الإغرامات من أجل الإخلاص إلى الأرض، والارتباط بحضامها، وليس بين أيدي أهله ورقة أشد إغراء وأكثر بريقاً من الزواج، وبينما كانت الخطط تحاك، والمكائد تحيك، احتال عليهم بأنه يود زيارة الرياض، وحزم حقيبة سفره ويمم شطر باكستان، وفيها بيت أشجانه لإخوانه قائلًا: قررت من نساء الدنيا إلى الحور العين.

الطريق إلى قندهار: ووصل بيشاور، فسأله صديقه أبو الجود: أين وجهتك يا أبا دجانة؟ فأجاب إلى كابل، فعرض عليه أبو الجود أن يذهباً سورياً إلى قندهار ملاجات حيث القائد ملا عبد الغني من الاتحاد.

الاستهام إلى المعركة: وفي قندهار حيث يتسابق الشباب إلى الموت، فاستهموا ليأخذوا بعض الشباب العربي، ولم يكن من نصيبه، وتالم أبو دجانة، وبعد ثلاثة أيام جرى استهام آخر فكان نصيبه الخروج إلى المركز المتقدم، وعند انتهاء مدته استأذن القائد أن يبقى فبقي عليه إلا الرجوع.

فانتقل إلى قائد آخر ملا عبد الرزاق حيث الاحتكاك بالأعداء أشد والمسافة أقرب، والموت أدنى من شراك النعل، وفي الملعب وعلى مقربة من مطار قندهار ربض هذا الليث.

الوسام الأول: شارك جمال في بعضها، وجرح في بعضها خله أبو عز الدين، وبعد يومين كلم جمال محمد ناصر كلمه الأول حيث أصابته شظايا قذيفة هاون أولها في جبهته وأخرى قد استقرت في ظهره وبعض شظاياها في ظهر يده اليمنى. وفي الحديث الصحيح {ما من مجروح بجرح في سبيل الله - والله أعلم بمن يجرح في سبيله - إلا جاء يوم القيامة وجرحه كهيئة يوم جرح، اللون لون الدم والريح ريح المسك}.

الرحلة الأبدية: وعاد إلى كويتا، وفي اليوم التالي سار إلى قندهار، وحمل مدفعه القاذف الصاروخي (RPG)، وفي ملاجات حي من أحياء قندهار يلاقي جمال عدوه، وتورد رضى الحرب، فيطلق صاروخه فيرد عليه العدو بكرينوف، وكانت قد أصابته طلقة في جبينه فخر شهيداً ونا يبلغ الخامسة والعشرين من عمره.

وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السمر

ومضى جمال إلى الله، ولكننا لا نقول كما قال الشاعر وما مات حتى مات، بل نقول كما يقول ربنا (ولا تقولوا لمن يقتل في

سبيل الله أموات. بل أحياء ولكن لا تشعرهم).

إنهم أحياء بذكرهم، وأحياء يمتون نبتة هذا الدين بالحياة، ويروونها بالدماء، ويغنونها بالأشلاء. وأي حياة أعظم من حياة المبادئ والأفكار والعقائد والقيم، وهذه لا يمكنها الاستمرار بدون شلال الدم المندار.

قائد كتيبة الملائكة الشهيد (عبد الفتاح ابن مولوي عادل) (١)

كثيراً ما كان يطرق مسامعي طلبات الإخوة العرب الذين يودون أن يلتحقوا بكتيبة الملائكة، مما جعلني أتلهف لمعرفة هذه الكتيبة وقائدها، وعندما كنت في رحلة الشمال في (فرخار) في المركز التعليمي التقيت مع عشرة من الإخوة العرب وبت وإياهم، وسألتهم عن وجهتهم فقالوا إلى كتيبة الملائكة وقائدها عبد الفتاح.

التسمية: ولقد أطلق بعض الجهلة من الأفغان هذه التسمية على هذه المجموعة المجاهدة بسبب العمل الجليل الذي اضطلعت به هذه الكتيبة وهو الإصلاح بين الجامعين، هذا عدا عن الأخلاق الإسلامية التي تمسكت بها من محاربة التدخين و (التسوار)، ودعك عن التزامها السنن والآداب الشرعية، ثم انتشرت هذه التسمية (الملائكة) حتى أصبحت لا تعرف إلا بها، ونحن لا نوافقهم على ذلك، وهذه الكتيبة تصل إلى ثلاثمائة مجاهد تقريباً معظمهم من البخاريين المهاجرين، من بينهم أربعون حافظاً للقرآن الكريم، وعدد بارز منهم يفهم اللغة العربية، إذ أن قسماً منهم من الشباب الذين عملوا في الدول العربية ثم تركوا عملهم عندما نادى منادي الجهاد وتوجهوا نحو أفغانستان.

قائدهم: أما قائدهم عبد الفتاح فهو خريج مدرسة شرعية ثانوية اسمها (تخارستان)، وقد كانت مدينة (قندز) مسقطاً لرأسه، وبعد أن تخرج من هذه المدرسة عمل مدرساً فيها، وهذه المدارس الشرعية لها دور الريادة للعمل الجهادي في أفغانستان. وقد كان عبد الفتاح أحد أبناء الحركة الإسلامية الأوائل، فجمع بين الفقه الحركي والشرعي، وكانت أبعاد المعركة على هذا الدين واضحة في ذهنه، والدور الكبير الذي ينتظر المسلم هذه الأيام من محاولة إنقاذ الأمة الإسلامية التي تردت في وهدة الشبهوات ومستنقع التزوات.

فانهض إذا أوقيت خطة مؤمن وصدقت نهج الفارس المتوسم

وعبد الفتاح يشبهه (ذبيح الله) أسد مزار شريف ويطل بلغ، وقد كان ذبيح اله كذلك خريج مدرسة شرعية ثانوية (الأسدية) وأحد طلائع الحركة الإسلامية، وقد أدى دوره الكبير ثم مضى إلى الله العلي القدير:

نهبت على الأعداء منه عواصف وزمجر أساد وثار ضراغم
أنا الصخر لا كانت عهده تشدني إذا لم تطلق من عودي الجماجم

ومضى عبد الفتاح على الطريق: فقد أنشأ مركزه في (فلول) بولاية بغلان، وكان ميدانه من (فلول) إلى (اشكمش) في ولاية تخار إلى (قندز)، والكل يحترمه ويجله، أسمع الشاء عليه من كل الأحزاب، وتلهج الألسنة بذكره الحسن (وهو آخذ بعنان فرسه بطير على متنه يبتغي الموت مغانه) وما لهم لا ينتشرون:

يا أمة الإسلام طال بك المدى وشراعك المطوي لما يخفق
فتبي أفاق الجهاد وجلجلي مدني شراعك في الفضاء وحلقي
وردي حياض الموت موجاً دافقاً يروي الزمان من الحياض الدفق

الصهر الطويل: لقد استعلى هؤلاء القوم على شهواتهم، وطلقوا الدنيا ثلاثاً، ولم يعد للفانية أي وزن في معاييرهم، إن زوجة عبدالفتاح وأولاده يعيشون في مكة المكرمة منذ خمس سنوات مع والده ووالدته، ومع هذا فلم يزرهم سوى مرة واحدة، لقد شغلته الجهاد عن نفسه وأهله.

إن الجهاد قد أخذ عليه مجامع نفسه، واستولى على مشاعره وقلبه، فخلصت نفسه من حظوظها.

شجاعته: إنه يقود المارك ويغرض غارها مع الليث حوله، ولقد جرح أربع مرات، وكان له القدح الممل في فتح (قندز) قبل شهرين، روقف أمام الشيوعيين أربعة أيام.

(١) المصدر السابق ص ٢٩.

استشهاد: كنت جالساً عند حكمتيار فسألته عن حال الجهاد، فأخبرني عن المعارك حول مطار (قندز)، وأنه قد تلقى مكالمات من بشير البغلاني نقلاً عن (انجنير) بشير الذي كان يكلمه من حول مطار (قندز) تنعي إليه استشهاد القائد عبد الفتاح مع خمسة من المجاهدين بينهم أخ عربي، وكان استشهادهم في مواجهة ساخنة مع أعداء الله وطلقات الرشاش الفردي (كلاشنكوف)، ونبتهل إلى الله أن يكون قد تقبل شهادته، وأن يرفع منزلته في الفردوس الأعلى، وأن يجمعنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وسبّاك اللهم ويمسكك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

ضيوف الرحمن

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد مضت القافلة تنهّدي على رب السلام إلى الله السلام حتى يلجوا داره دار السلام، فوثبت الليوث وانطلقت من خوابرها وعمرها، تغلي غيظاً وتلمظ جوعاً، تبحث عن أعداء الله تود لو ظفرت بها لتمزق أحشائها وتتناوش أشلائها:

الناظرين بأعين محمرة كالجر غير كلية الإبصار
والبائعين نفوسهم لإلهم للصوت يوم تعانق وكوار
يتطهرون برونه نسكاً لهم بدماء من علقوا من الكفار
دربوا كما تربت بيطن خفية أسد غلب الرقاب صواري

اللهم إنه قد بلغنا على لسان نبيك ﷺ فيما رواه النسائي وابن حبان في الحديث الصحيح أن [وفاة الله ثلاثة: الفارزي والحاج والمعتمر]، فاللهم إنهم وفدك فأكرم وفادتهم، وضيوفك فأحسن قراهم ونزلهم، تركوا ديارهم ونفروا ابتغاء مرضاتك وإعلاء لكلمتك، ونصرة لشريعتك، فقبل اللهم منهم، واقبلهم، إنهم استوحشوا صحبة أهلهم أنساً بالجهاد في سبيلك فأنس اللهم وحشتهم في قبورهم، وضائق صدورهم بالعيش بين الخوالب والقاعدين وخفوا لرفع رايك، فوسع اللهم عليهم قبورهم، ونور قلوبهم وقبورهم.

ولقد أخبرنا رسولك ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي عن أنس مرفوعاً [من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له] فنسالك اللهم أن تجعل شمل هؤلاء المهاجرين في سبيلك، القادمين لنصرة عبادك، المسترخسين أرواحهم ودماعهم من أجل إقامة دينك في الأرض، ونضرع إليك يا ربنا أن تتجاوز عن مسيئتهم، وأن تهب محسنتهم مسيئتهم، وأن تحفظ أحيائهم، وأن تقبل شهداءهم، إنك سميع قريب.

والآن يدخل قافلة الشهداء السائرة ثمة من ضيوف الرحمن:

الشهيد أبو جندل الفلسطيني (مروان شفيق عبد الجبار الوزني)^(١):

في سبتمبر (١٩٨٧م) قبل عام ونصف رأيت في صدا شاباً يتحرق حماساً ويتفجر بحوية، وكنت أعطي كل يوم مجموعة من الدروس في المعسكر، فسألته عن الشاب، فقال من فلسطين قادم من الأردن، وزدت استفساري، فقالة كنت أعمل في الأردن/عمان في مختبر لطب الأسنان، ولقد سئمت من حياة القعود، إذ لا نفرق بين حياتنا وبين حياة السوائم، نأكل ونتمتع ونفقد ونفوح ليس لنا هم سوى الطعام والشراب والمتعة مع خلو البال من الانشغال بالعظام، أو تعكير الصفو من البحث عن المعالي، وبقي في المعسكر فترة من الزمن حتى أتم الإعداد ليتسنى له مواجهة الجنود الحمر وعملانهم من الشيوعيين الأفغان.

وكانت الغزوة الأولى إلى (نورستان) وهي من أقرب المناطق الأفغانية إلى الحدود الباكستانية، ثم عاد وهو قلق لأنه يبحث عن جبهة ساخنة ومنطقة مضطربة، وقفل وقد أطلق شعره كأغلب الأفغان حتى صار جمعة يمس كتفيه.

وأخذ يخطط لرحلته الثانية الطويلة، فكانت رحلة تنجرهار (جلال آباد)، وغاب أبو جندل في أرض الرباط والثبات بين الغزو والقتال، وبين الرباط مع ليوث النزال سبعة أشهر، تروجو الله أن يجدها في ميزانه يوم القيامة.

(١) مجلة الجهاد العدد ٤٦ من ٢٧ رجب ١٤٠٩هـ مارس ١٩٨٩م.

وكانت الرحلة الثالثة إلى خوست حيث رابط على خط النار الأول يهفر إلى الشهادة ويبحث عنها، يبتغي الموت مضاه. ومن
العمر قدر مقبور وغيب مسطور، وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً.

تلقاهم ورماح الخط حولهم كالأسد البسها الأجام خفان
صانوا النفوس عن الفحشاء وابتذلوا منهن في سبل العلياء ما صانوا

التملق بفلسطين: كان يقلقه أمر فلسطين كثيراً، وكم فاتحني بهذه القضية قائلاً: إن فلسطين تنتظرنا، فاجيبه: نرجو الله أن
ينصرنا في أفغانستان ثم يفتح لنا ثغرة في فلسطين، ولكن جوابي لم يرو صداه، ولم يطفئ ظمأه، إن الجهاد فرض عين في
أفغانستان وهذا ما لا يناقشني به، ولكنه يرى أن البدء بالأرض المباركة ومحاولة تطهير الأقصى من دنس اليهود أولى وأحرى، كيف
لا؟ وهو من قضاء القدس، وانطلق لاحقاً قلبه الهائم بفلسطين يبحث عن سبيل للوصول إلى أرض الإسراء والمعراج، وغاب أشهراً
فوجد أن المنافذ قد أوصدت، وأن الوصول إلى قلبه المعلق ببيت المقدس بونه خروط القتاد، فقفل راجعاً إلى أرض الجهاد في أفغانستان
لأنه لم يستطع الحياة بعيداً عن مضارب البيض ويريق الأسنة وصهيل الجياد.

ثم كانت الرحلة الرابعة في جلال آباد، حيث اشتد لهيب المعركة واضطرم أتونها، وعاد في الحادي عشر من فبراير إلى بيشاور
ليرتب إلى رحلة كابل في السادس عشر من فبراير، ولكن منيته قد عاجلته برحلة الخلود الأبدية، ففي فترة الإعداد للتوجه إلى كابل
حيث الضراغمة الأباة أحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم، وبينما كان يركب دراجة نارية مع أبي حذيفة الأردني انقلبت بهما
الدراجة، فصعدت روح أبي جندل إلى بارئها فوراً، وأغمي على أبي حذيفة، وهي شهادة -بإذن الله-، ففي الحديث الصحيح الذي رواه
أبرداود والحاكم [من فصل في سبيل الله فمات أو قتل، أو وقصته فرسه أو بعيره، أو لدغته هامة، أو مات على فراشه بأي حتف
شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه ابن ماجه (من مات مرابطاً في سبيل الله أجرى الله عليه عمله الصالح الذي كان يعمل عليه،
وأجرى عليه رزقه، وأمن من اللتان، وبعثه الله يوم القيامة آمناً من الفزع).

الشهيد أبو حذيفة الأردني (ياسين حمدان عبد الشكور الحمايدة)^(١):

من أكبر عشائر الأردن وفي أعظم دوحاتها نبت هذا الفرع الذي به تفخر الشجرة كلها، وفي مدينة القصر من لواء الكرك كان
مسقط هذا الشهيد، مشرق الوجه، تعطيه غلالة الحياء هيبة واتزاناً، ويكسوه الصمت بهاءً ووقاراً.

تخالهم للحلم صمماً عن الخنا وخرساً عن الفحشاء عند التهاثر
ومرضى إذا لاموا حياء وعفة وعند الحروب كالليوث الخواثر

رأيته أكثر من مرة تشغله الأمة بمصيرها، والإسلام ومستقبله، يريد أن يعيش لهذا الدين، وهبه نفسه، ونذره قلبه وفكره، ولذا
فإن أحببت أن تراه تالياً للقرآن مترنماً بالتفني به وتجويده رأيته، وإن دعوته إلى الطعام في نهار الإثنين والخميس أجابك صمت عن
عبادته. وإن تلفت حولك من يعلم الشباب أحكام الترتيل ومخارج الحروف كان بين متقدمة الصفوف، وإن أحببت أن تراه في غسق
الليل قائماً بين يدي ربه متهجداً فغالباً لا يخلف ظنك.

من أبناء الدعوة الإسلامية منذ حداثة سنه، تشرب روحه منذ نعومة أظفاره كراهية أعداء الله، تجده يغتم فرصة الفراغ بين
الدروس في الثانوية فيقف بين الشباب يبلغ هذا الدين ويوجه أئداده إلى الهدى ويلفت أنظار أقرانه إلى الخير.

كانت عقيدة البراء والولاء واضحة لديه فتجده وهو صغير يجمع المسامير ليضعها تحت عجلات سيارة أحد الشيوعيين في بلده،
أما النصاري فحدث عن مقتله لهم كما تريد، فما يطبق لهم ذكراً، وما يحتمل لهم رؤية.

وسمع عن الجهاد فاقبل إليه يرفرف بأجنحة الشوق، وألقى عصا التسيار في مخيم لإعداد نفسه على حدود أفغانستان، وأقبل
الثلاثة أبو حذيفة وأبو المعصم وأبو صهيب ولو أنشد كل واحد منهم لقال:

يا رب إخوان صحبتهم لا يملكون لسوة قنباً
لو تستطيع قلوبهم نفرت أجسامهم فتعانقت حباً

وكان بارزاً في كل ميدان ولجه، فهو في العلم من المبرزين، وقد ترك كلية الشريعة في الجامعة الأردنية وأقبل يريد شهادة أرفع

(١) المصدر السابق ص ٢٨.

ووساماً أعظم، إنه يريد شهادة تدخله الجنة ولا يريد شهادة تدخله الدنيا بشحها وضيقها.

وفي ميدان التدريب كان نشاطه ملفتاً لأقرانه وكان محل إعجاب المدرب وقد تولى تدريس إخوانه في مركز التدريب تلاوة القرآن كيف لا؟ وهو من حملة كتاب الله ومن حملة شهادة خاصة في تلاوة القرآن وتجويده من بعض المشايخ.

وعندما وصل إلى أرض الجهاد ازداد هياماً بالجهاد وتعلقاً بالاستشهاد، فيكتب رسالة إلى أحد أصدقائه عبد الحي شفيق المجالي يقول له فيها: (أنا يا أخي ما نسيتك من الوداع لأنني أحبك ولم أخبرك بسفري ولكن أخبرتك قلبك وأنت لا تعلم وقد دعوت الله كثيراً أن يلحقك بنا حتى ترى معنى الإيمان ومعنى الحياة وعزة المسلم.. ويعد يا أخي فوالله إننا بخير وكل نعمة وورثي (٧١) كنم ونحن بفرحة عظيمة.. أننا ممن اختارهم الله ليكونوا جنوداً في سبيله.. وصدقني، إننا في أرض الجهاد قد عرفنا أننا في الأردن كنا نكذب على الله في العبادة وهنا أصبحنا نعرف معنى الإسلام والقرآن والأخوة وكل شيء والحمد لله).

بين ياسين وأمه: مالك يا ياسين قد أرقمت أجفان أمك؟ وأسهدت ليلها أما ترق لدمعها الرقراق؟ أما تحن لقلبها المشتاق؟ ما بالك لا تصغي إليها وهي تخاطب صورتك التي قلما تفارق مخيلتها وكأنها تقول:

ما كنت أعرف إلا مذ نائمتُ أن المضاجع مما تنبت الإبرا
يا رب ليل طويل بت أرقبه حتى أضاء عمود الصبح فانفجرا

أما ترحم مرضها وازدياد الضغط والسكر لديها؛ فقد كان يجيئها كلما اتصلت به لتخبره: بأن نسبة السكر تزداد لدي، بقوله: ولكن يقيني كذلك يزداد يوماً بعد يوم.

وجاء الخبر بالحادث. وزنته في المستشفى وجزى الله خيراً الإخوة الذين ما كانوا يفارقونه في مستشفى الجامعة (خيبر) في بيشاور ليلاً ونهاراً، ووجدته مستلقياً على ظهره، ثم بحث له الأخ أبو الحسن المدني عن مستشفى أكثر عناية في إسلام آباد وقرنا نقله ولكن الطبيب لم يسمح قائلًا: إن حالته لا تمكن من نقله.

وفي تمام الرابعة بعد عصر السبت في العشرين من رجب الموافق لليوم الخامس والعشرين من فبراير جاعني أبو سليم في بيت أبي عبد الله (أسامة) ينعي إليّ الأخ ياسين ويأتني روحه قد قاضت إلى بارئها.

ونقل الجثمان من مستشفى خيبر إلى بيت الضيافة وغسل وكفن ثم سار الموكب المهيب إلى مقبرة الشهداء في (بابي)، وفي ساحة مسجد بابي سجي ياسين ليصلي عليه العرب والمهاجرون والمجاهدون ثم حملناه إلى مثواه الأخير.

في حفرة الخلود: وفي مقبرة الشهداء وعلى مقربة من قبر والدتي شق قبر ياسين ونزلت الحفرة لأشرف بوضعه في اللحد، وحملته مع أبي خالد وكشف عن وجهه ولقد لفت انتباهي ثلاث كرامات له:

١- لقد رأيت إشراقة نور وصفاء عجباً وبهاء منيراً على وجهه، فما تماكنت نفسي عندما رأيت وجهه إلا أن قلت: سبحان الله.

٢- لقد وجدت بدنه دافئاً بل ساخناً، وعهدي بالأموات أن أجسادهم باردة.

٣- لقد وجدت أن جسده لين يمتشي كأنه نائم.

ووجهت وجهه إلى القبلة ثم واريناه التراب، وذرفت عيناي وأنا أرى هؤلاء الشباب المقبل على الله، وكلما ودعت واحداً من أبنائي هؤلاء صغرت نفسي في عيني وقلت: لولا أن هؤلاء -والله أعلم- خير منا ما اختارهم الله واتخذهم شهداء قبلنا -كما نحسب ولا نزكي على الله أحداً-.

وألقيت كلمة فوق قبره، واستودعنا الله دينه وأمانته وخواتيم عمله، وهكذا مضى وهو في عمر الورد ولما يبلغ العشرين بعد. ونرجو الله أن يجمعنا به في الصالحين.

الشهيد أبو البراء المدني (أحمد عبد العزيز قاسم الركوز)^(١):

ما شئت أن تحدث عنه فحدث، هكذا بادرني أبو عبيدة قائده قاتلاً: هين لين، بشوش الوجه، سباق لخدمة إخوانه من المستغفرين بالأسحار، لا يسبقه على أذان الفجر أحد، يقوم من آخر الليل، ثم يوقد سخان الماء لإخوانه، ثم يؤذن الفجر ويردد ما قبل الأذان ويعد -الصلاة يا مؤمنون-.

(١) المصدر السابق ص ٢٠.

أما المصحف فقلما يفارق جيبه، يتلوه، هذا هو العدة والعتاد.

(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) (البقرة: ١٥٢)

إذا كان غير الله للمرء عدة أتته الرزايا من وجوه المكاسب

[ما لي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم قام وتركها]، هكذا علم رسول الله ﷺ أصحابه والربانيين من أمته، وأن الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وأنها كما روى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ مرّ على جدي أسك ميت فقال لأصحابه: أيكم يحب أن يكون له هذا بدرهم؟ فقالوا لا أحد، فقال ﷺ: [للدنيا أهون على الله من هذه عليكم].
ومكذا كان موقف أحمد، فقد جوازه فذهب إلى السفارة اليمنية لإخراج جواز جديد، فامتنعوا عن إعطائه جوازاً، وأخبروه بأنه لا بد له أن يرجع إلى اليمن للتجديد، فأعرض عن الجواز وذكره.

الإصرار على بلوغ المجد:

لاستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلا لصابر

لقد قدم أبو البراء إلى أرض الجهاد في معركة خوست قبل العام الماضي ديسمبر (١٩٨٧م)، وواصل رباطه وجهاده، واستقر به المقام في (باري) خوست حيث خط النار الأول والمواجهة اليومية والمناوشات المتواصلة.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

هيام أبي حميد اليماني: لقد أعجب أبو حميد اليماني بأحمد، وأبو حميد رجل يذم لك صبره، وتتصاغر أمام إصراره، فقد بلغ الستين من العمر وهو مرابط مع هؤلاء الشباب، ورغم أن أحمد لم يتجاوز الحادية والعشرين من عمره إلا أنه أصبح أستاذاً للجميع بأخلاقه، ومربيّاً بخصاله وأفعاله، وأصبح أبو حميد إذا أراد أن يلهج بالثناء فعلى أحمد، وأصبح أحمد مضرب الأمثال، وفتى المثال في عالم الخيال لدى أبي حميد وكأنه يردد:

أهيم به حباً ووداً وإففة هيام شجيرات الحدائق بالطير

على تورغر: واتفق أحمد مع أخويه أبي خليل وآخر على أنه لا بد من غرس الراية فوق الجبل الأسود (تورغر)، وأعد الراية وحملها بيده وسار نحو الجبل، ووصل قريباً من مركز الشيوعيين، وفر الجميع ولم يبق سوى اثنين، وألقى الإخوة الحبل الصاعق المتفجر ليتفجر الألغام أمامهم، ولكن الرشاشات التي فتحت عليهم من العدو اضطرت أبا البراء أن يضع يده خارج المعر الذي فتحه الحبل الصاعق، فانفجر به لغم ودفعه بعيداً، فوقع في حقل الغام، وطارت قدمه ويده التي تحمل الراية ونزف، ورغم أن الأفغان رأوا جسده قد طار تصفه إلا أنهم اقتحموا حقل الألغام لينقذوه إن كان في الحياة بقية، وجرح اثنان منهم، وما أجمل أن ترد قول البحتري في وداعه:

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً لدى المجد حتى عد ألف بواحد

ومضى أحمد إلى ربه رافع الرأس، بعد أن أعثر إلى بني قومه أن طريق الرجال صعب وشاق، وأن الأشواك فراش طريق المجد وجادة العزة.

رحم الله أخانا أحمد، ونرجو الله أن يكون قد تقبل هجرته ورباطه وقاتله وإعدادته، وكلها منازل أعدها الله لعباده [إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله] البخاري.

الشهيد أبو عبيدة السعودي (عبد الله بن مبارك القحطاني) (١):

من نجد حيث الأصالة ورجولة البداوة، وصفاء الصحراء، والبعث عن اللي والتعلق والغواء نشأ شهيدنا.

إنما الإسلام في الصحرا امتهد ليكون كل مسلم أسد

فاباؤه من (الخرج) من (نجد)، ولكنه ولد وترعرع في شعاب المنطقة الشرقية، وقد كان قنومه لهذه الدنيا سنة ١٣٨٧هـ، وأنهى

الدراسة الثانوية، وعمل في شركة (سابك) في (الجبيل).

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٢ من ٢٨ شعبان ١٤٠٩هـ مارس/أبريل ١٩٨٩م.

قدومه إلى الجهاد: بدأت النفس تتجه إلى الله، وتبحث عن محطة تغسل فيها الذنوب وتقبل فيها توبتها وتحط عنها حوبتها، وأي مكان يمكن أن تتجه إليه أعلى، وأي قمة أكثر سمرقاً وسمواً من ذروة سنام الإسلام (الجهاد)، ولقد أصبح الجهاد الأفغاني محطاً للقلوب، ومهوى الأفئدة، وقبلة تحن إليها نفوس العاشقين للشهادة، الخاطبين للخيرات الحسان.

وبدأ النزاع بين النفس التواقفة إلى الجهاد، الطامحة في الجنة، وبين الأغلال التي تشده إلى الأرض من أهل ووظيفة وأمال، فقد وجدت في دفتر مذكراته بيتاً يعبر عن الصراع النفسي بين الأشواق المجنحة وبين القيود المعوقة:

إبليس والدنيا ونفسي والهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي

أقبل إلى الجهاد قبل شهرين، وفي مخيم التدريب أخذ قسطه من الإعداد، وبدأ يحن لمقاولة الأعداء، واشترك في عملية على خط النار في خوست، وبعد أن أكرمه الله بالوقوف ساعة في القتال، وأجر وأي أجر ينتظر المخلصين، ففي الحديث الصحيح (قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة).

وكان مع الشهادة على قدر: فائتاء عودتهم من العملية أصابته رصاصة، وبدأ الدم ينزف، وطلب كتاب الله واحتضنه، ولقد تضمخ الكتاب العزيز بالدم العزيز الذي يشهد أخوه الفلسطيني الذي كان يرافقه أنه شم رائحة المسك منه، واستثار وجهه بعد الشهادة، ونرجو الله أن يتقبله شهيداً ليشفع بوالديه وبسبعين من أهل بيته، ففي الحديث الصحيح (إن للشهيد عند ربه سبع خصال: يغفر له مع أول دفقة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويلبس تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما عليها، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع بسبعين من أهل بيته).

الشهيد أسد الله الفاتح (أبو جبل المصري)^(١):

كم ألقيت يا أرض الكنانة من فلذات أكبادك في أتون القتال؟ وكم ودعت من الشهداء في فلسطين والقتال؟ إنك تفخرين بعلمائك، ولكثرت تيهين زهواً بعظماؤك. أما يكفيك يامصر ما أنبتت أرضك من الدعاة؟ أباسم الشافعي وابن حجر العسقلاني تنشدين؟ أم بذكر العيني تطربين، أم بجيل ممن ربى البنا وسيد قطب وصالح سرية تعلمين؟

لقد حق لك أن تفخري فانت مهوى أفئدة العالم بأزهرك الشريف، وأنشدي ما شئت أن تترنمي بدعاة دينك الحنيف، وطاولي السماء عزاً بالمجد المنيف، وناطحي السحاب فخرأ بسيفك الرهيف.

أوبه إبراهيم: في طنطا من محافظة الغربية نبت إبراهيم، وعلى أرضها درج وحبا، ولكنه بقي بعيداً عمن يأخذ بيده إلى الطريق إلى الله، ويشاء الله له أن يشهد وفاة أحد أقاربه، وعندما حمله بين يديه وكأنه يرى القبر والبرزخ، وتلكه الخوف الشديد من حياته التي لا تتعدى حياة السوائم من أكل وشرب ومتاع. وكانت هزة عنيفة سقط الركام من على قلبه، وبدأت أجهزة الاستقبال تتلقى الأوامر الريانية.

وكان لابد من عمل جليل يمسح من تاريخه ذلك السفر العافل بالمخالفة للنصوص، ولا بد أن يرتقي إلى قمة هذا الدين وذروته بالجهاد فوق جبال سليمان وفي صحراء قندهار وأهلمند.

وفي قسم الشرطة العسكرية بباب الحديد يدخل رجل غريب هذا القسم، ويسأل سؤالا غريباً عجيباً، إنه يستفسر منهم عن طريق الجهاد إلى أفغانستان، فرد عليه الشرطة اذهب إلى السفارة الباكستانية.

وبباب السفارة الباكستانية تجري مشادة كلامية عنيفة بين حارس السفارة وبين إبراهيم، إذ أن شهيدنا يريد إقناع الحارس بأنه يريد أداء فريضة الجهاد التي كتبها الله عليه، والحارس يدفعه بشدة من باب السفارة، وأخيراً هدده بإحضار الشرطة له إن أصر على الدخول بالقوة.

ويعود إبراهيم أدراجه لا تكاد تحتمله قدماء لهول الصدمة، إنه لا يجد لجسده طريقاً حتى يلحق بروحه التي أرسلها إلى أفغانستان تلثم الفجار عن أقدام المجاهدين الأبرار.

أنا عند حسن ظن عهدي بي: ولم يخيب الله فائه، فنصحه بعض المظلمين بالذهاب إلى أرض الحرمين لعله يجد سناً من هناك، وكانت قدراً مقدوراً حتى يتم له أداء فريضة الحج ويرجع كقيم ولدته أمه، ثم يعرضي نظيفاً طيباً إلى الله الطيب، ويسلام إلى

(١) المصدر السابق ص ٣٩.

دار السلام، وكتب الله له التيسير بالمضي إلى بلاد النيب والتغيير، ووصل إلى أرض الأنهار، واختار أسخن الجبهات في أرض قندهار.

حالته في الجهاد: يشعر كل من عايشه في هذه الفترة أنه كان يودع الدنيا، إذ أنه يذوب إخلاصاً ويتفانى غيرة لهذا الدين، ومن خلال رسائله لإخوانه وأساتذته علي تشعر أنه يتفجر حماساً وحيوية وكأته المسؤول الوحيد عن هذا الدين، إنه وجد ضالته في هذا الدين، كان تائهاً في مفازة مهلكة ثم اهتدى إلى الجادة القويمة والطريق المستقيم، يكتب إلى إخوانه: (والعلم يا أخي فإن الإنسان مهما قدم أو ضحى فلن يساري أقل نعمة أنعم الله بها علينا... هيا يا شباب تحركوا واعلموا أننا مسؤولون أمام الله، ماذا قدمنا لهذا الدين... أخي حان الوقت كي تتيقن أن معنا ما هو أقوى من القنبلة الذرية والهيدروجينية، معنا لا إله إلا الله، لو عرفنا الله عز وجل سيكون لنا السيادة في الأرض... أخي ما هي إلا شهور وستسقط أفغانستان بيد المجاهدين، ويتجه الجميع إلى فلسطين، ولا بد بأن يعلم الجميع أن العزة ستكون للإسلام بإذن الله... واعلم أن أي إنسان يتجه إلى الله بقلبه -صدقني- فإن الله سيساعده وسيبارك خطواته حتى يصل إلى أرض الجهاد، إلى ساحة الشرف).

ويكتب إلى والديه: (عندما أنظر من خلفي أجدني أقرأ تاريخاً حافلاً بالمعاصي والذنوب في حق الله وفي حقكم، رجاء اغفروا لي زلاتي حتى يرضى الله عني، توجهوا إلى الله وقولوا: اللهم اغفر لإبراهيم وأعف عنه وتقبل منه ولا تردّه خائباً، وسامحوني على فراقي لكم دون استئذان، فما حملني على ذلك إلا نداء الله الذي لم أستطع أن أتأخر عنه).

وصيته لإخوانه في النسب وفي الدين: (أدعو الله أن يجعلكم دعاة إلى دينه، سيوفاً على أعدائه، وأن يعز بكم الإسلام والمسلمين، وأن يبصركم بالطريق، ويمن عليكم بالهداية، وأوصيكم بنفسي بتقوى الله عز وجل واتباع هدي رسولكم محمد بن عبد الله ﷺ، والسير على منهجه، فهيا إخواني أدعوكم إلى طاعة الله، هيا أسرعوا قبل فوات الميعاد وارتفاع الأمواج، أناديكم من شاطئ الأمان بأعلى صوتي اركبوا قاربي فالأمواج عالية والرياح ناسفة).

من مراقبه في الجهاد:

- ١- كان في غرفة ضيقة في منطقة قندهار وبجانبها غرفتان، والعرب يصلون ثلاث جماعات لضيق المكان، فأخذ على نفسه أن يبني لهم مسجداً واسعاً للمبيت والصلاة، وبني بنفسه معظم البناء، وأعانته إخوانه وأصبحوا جماعة واحدة.
 - ٢- خرج حافياً إلى العملية، لم يجد ذات ليلة حذاءه فأصر على دخول العملية حافياً.
 - ٣- حمله القذائف الثقيلة، كان يحمل وحده القذيفة التي ينوء بحملها رجالان.
 - ٤- إيثار إخوانه، كان يهدي إلى إخوانه معظم ما معه، وكان لا يجلس على مائدة الطعام إلا بعد اطمئنانه إلى أن إخوانه جميعاً قد جلسوا، وكان يستيقظ آخر الليل ليجمع الحطب ويسخن الماء لإخوانه في زهرير الشتاء القارس.
 - ٥- من عباداته، كان يقوم الثلث الأخير من الليل، يصوم يوماً ويفطر يوماً كصيام داود عليه السلام.
- رؤيا ليلة الاستشهاد:** رأى ليلة استشهاد أنه يسير مع أربع عرائس.

كهفة استشهاد: في (ملجات) بولاية (قندهار) وفي غرفة القومندان (القائد) عبد الرزاق أذن لصلاة المغرب، فأفطر إبراهيم وقد كان ذلك اليوم الخامس عشر من رجب سنة (١٤٠٩هـ)، وبعد الإفطار أدت السرية صلاة المغرب وانطلقت على بركة الله وفيها اثنا عشر شاباً عربياً، وإبراهيم كعادته يبحث عن الشهادة، فهو يزاحم الإخوة على الموت، ويتقدم الصفوف، وصعد إبراهيم السلم ووقف في أعلاه حيث أطل على المراكز الثلاثة للشيوخين، وتناول قاذفه الصاروخي (R.P.J.7) وركب القذيفة في القاذف ثم أطلق القذيفة الصاروخية مع القذيفة الربانية التي تواكب القذيفة عادة من قم إبراهيم وهي قذيفة (الله أكبر)، وانطلقت مدوية تعزق صمت الليل الساجي، وتزلزل أقدام أعداء الله، وفتحت الرشاشات على المكان الذي اندلعت منه السنة الذهب من القاذف، وكانت الرصاصات (من كلاشكوف أو جرينوف) التي حملت معها روحه إلى بارئها، ولم يسقط عن السلم، وتلقاه أخوه الذي كان يتبعه على الدرجة التالية للسلم.

ومضى إبراهيم إلى الله بعد أن علمنا درس الرجولة والبطولة والتوبة الخاشعة والأوبة المخيبة إلى الله عز وجل، فنرجو الله أن يتقبلنا وإياه في الصالحين، وأن يبقى إبراهيم علماً شاخصاً على طريق السالكين إلى رب العالمين.

أول شهيد من (عبدة)

أبو رقية (حسن محمد هادي وهيظ بن حنيش) (١)

هناك وفي مأرب حيث شهد التاريخ حضارة سبأ وسد مأرب الكبير.

القد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم وأشكروا له بلدة طيبة ورب غفور (سبأ: ١٥)

ثم شهدت مأرب خراب السد وهجرة أبناء قبيلة من الأوس والخزرج إلى المدينة المنورة بحيث أصبحوا قادة الإسلام ومعدنه وأعمدته وهيكله.

وبقيت هذه البلدة بأطلالها تحدث العبرة لأجيالها من آثار الطاعة في حياة الأمم، ومن نتائج الذنوب في هدم المجتمعات ومسح المثل والقيم.

وفي هذه الأرض حطت عبدة وضربت بجنودها، وأطلقت فروعها وأفخاذها السبعة، وبرز من بين أفراد هذه القبيلة الكبيرة رجل يعرف بصلاحه والتزامه، وأثمرت شجرة هذا الرجل ثماراً طيبة.

(ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) (إبراهيم: ٢٤-٢٥)

كان هذا الرجل الذي يشار إليه بالبنان في صلاحه واستقامته هو الشيخ علي العرادة شيخ عبدة ومأرب في هذه الفترة، ونبتت من نوحته الطاهرة نرية صالحة ونحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً، والتزم أبناءه خط الدعوة الإسلامية الواضح المتزن. وحول هذا البيت نشأ شهيدنا، فقد تأثر بالدعوة الإسلامية منذ نعومة أظفاره، وعرف بالتزامه ونظافته سلوكه منذ حداثة سنه، وقد دفعه والده إلى معهد (الجند) الشرعي العلمي في مدينة (تعز) وهو من أشهر معاهد اليمن، وتخرج منه وعمل سنة في التعليم، وكان خطيباً للمساجد، وهناك بعض رجال القبيلة نور العقلية الجاهلية القبلية الذين يتحركون بمنهج بريد بن الصمة:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

وهذه العقليات كثيراً ما تجر أهل الطيب بل العشيرة برمتها إلى دمار وخسار بسبب النخوة الجاهلية والعصبية القبلية. وقد كان هؤلاء يعيرون على حسن محمد هادي أنه لا ينصر قومه ولا يحمي ذمارهم في خلافاتهم التي تنبعث من الهوى، وتؤجج نيرانها الشبهات والخفية والنزوات الداخلية.

قال أبو طارق بن الشيخ علي العرادة: ما عرفنا على هذا الشاب منذ صغره إلا خيراً.

وقدم إلى الجهاد وهو يسمع أخبار هشام الديلمي وسبع الليل (أحمد الأحمدى) وأبي محمد اليماني وغيرهم من شهداء اليمن فأقبل مع كثير من إخوانه الذين يحذوهم على الطريق نداء الجنة وأحاديث الشهادة، ففي الحديث الصحيح [أفضل الشهداء الذين يقاتلون في الصف الأول فلا يلتفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون (يتمرغون) في الغرف العليا من الجنة، يضحك إليهم ربهم، فإذا ضحك ربك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه].

وفي الحديث الصحيح [أفضل الشهداء من سفك دمه وعقر جواده].

ووصل أبو رقية، ونال تدريبه في معسكر التدريب ثم تراسى إلى مسامعه أنباء سرية حمزة المتجهة إلى فارياب بقيادة أبي الجنيد البغدادي، وهذا القائد تعجب من حماسه وأندفاعه وتحمس ودعه وتقواه -كما نحسبه ولا نزكي على الله أحداً- وقد تخرج أبو الجنيد من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وكأنه نثر نفسه لخدمة هذا الدين في ميادين الجهاد وكم نجاه الله من مأزق خطيرة ومهاك كثيرة من أيدي زبانية التصيرية في سورية التي ألقته سبعة أشهر في زنازينها وهي تستجويه حتى تحصل على اعتراف بكلمة واحدة وهي أنه كان في أفغانستان ، ونجا مرة أخرى من أيدي المخابرات الفرنسية التي كادت تسلمه إلى جلاوزة الطاغوت في بغداد، وأقبل إلى الجهاد وألقى عصا القرحال بين قوم يفخر بهم الزمن وتعتز بهم الأمة الإسلامية وخط رحاله بين شعب لسان حالهم ينشد:

محرمة أكفال خيلي على القنا محلة لباتها والقلائد

(١) المصدر السابق ص ١٢.

وأورد نفسي والمهند في يدي موارد لا يصدرن من لا يجالد

وتوجهت سرية حمزة إلى فارياب بقيادة أبي الجنيد البغدادي تحت قيادة إخوانهم الأفغان وبحراسة سلاحهم ومروا بورديك وكانوا يسقطون في أيدي الشيعة أسرى وأنجاهم الله عز وجل، بعد معركة بين الشيعة وبين المجاهدين.

وصول السرية إلى فارياب: ولدى وصول السرية فارياب بدأ التحريض على القتال بين المجاهدين الأفغان يتصدر صفوفهم الإخوة العرب المتعطشون للشهادة، ودارت رحى المعركة، واحتدم القتال، وأخذت الطائرات الروسية تتابع خطوات الإخوة العرب تقتصفهم أنى حلوا، وتضربهم حيث ارتحلوا، وبدأت القنذات تتوالى، وصارت الدولة الشيوعية تنبع في إذاعاتها أن العرب جاوا ليفسدوا المنطقة وينشروا الوهابية، ويذكوا نار العداوة بين القوم الواحد مما يؤدي إلى قتل النساء والأطفال، وذات يوم وفي معركة مشرفة حيث المواجهة بالسلاح الخفيف.

وتضربهم هبلاً وقد سكنوا الكدى كما سكنت بطن التراب الاساود

وأصابته رصاصة في صدره وأرسل أبو الجنيد يستشيرنا فيم يصنع بأخويه اللذين أصيبا ولم يستشهدا مباشرة ولكن الله عز وجل- كتب لهم الشهادة ومضيا إلى بارئهما.

فهنيئاً لحسن شهادته، وهنيئاً لعبدة ابنهم وفتياتهم، وهنيئاً لأهل الشهيد فرطهم على الحوض وشفاعته بهم، إن كان الله تقبل شهادته كما نحسب ولا نزكي على الله أحداً.

الرسالة التي بعث بها الشهيد أبو رقية قبل استشهاده لنشرها في (الجهاد) (١):

إلى القاعدين والمثبطين لعزيمة الشباب المتعطش للجهاد في سبيل الله، إلى المخذلين المتخاذلين في كل مكان وإلى الذين لا يجدون ما يسلون به أنفسهم إلا الاستهزاء والسخرية من الدعاة المجاهدين الصابرين المصابرين ونهش لحومهم الحرام واتهامهم بقصور العلم والفهم وعدم الفقه واتهامهم بالأخطاء حتى في صميم العقيدة، إلى الباحثين عن المعايير المفتشين عن المثالب بدلاً من إصلاح حال الأمة ومجابهة أعداء الدين، إلى من اهتم بالأقوال ونسي الأعمال، إلى المرجفين والمشككين في جهاد المجاهدين الصامدين في وجه الباطل، إلى هؤلاء جميعاً. أسوق هذه الأبيات من قلب موجه بفعلهم متاكم من صنيعهم راثياً لحالهم راجياً أن يصححوا نظرتهم نحو العلماء والمجاهدين وأن يسلكوا طريقاً أصوب وإلى الحق أدنى وأقرب.

أيا من يثبط سير الجهاد	ويستهتر بحماة الثغور
ألا تنتقد نفسك الخاطئة	وتخشى عقبى هذا الفرد
تحقق ما يبتغي الحاقنون	على الدين يا ربح أهل الفجور
إذا كان دأبك سب الدعاة	فماذا عملت ليوم النشور
سل الروس إن شئت عن بأسهم	وسل عنهم في امتداد العصور
ودع عنك ماقد يفيظ الأفاضل	ودع عنك رجم الحصى والصخور
ودع عنك حرباً يريد الأعادي	لها بيننا أن تظل دمود

في الشهادة والشهداء

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فقد ضرب هذا الشهر رقماً قياسياً في الشهداء خاصة بالنسبة للإخوة العرب فقد أشر العقرب حتى اليوم على العدد (٢٤)، والمعارك لا زالت محتدمة حول جلال آباد وخوست، وأصبحت سيارات الإسعاف لا تفي بالحاجة المطلوبة، إذ ضاقت سيارات لجنة الدعوة والهلل الكويتي التي حازت قصب السبق في الوقوف أمام الزحف الصليبي في الميدان الصحي عن القدرة على نقل كل الجرحى، وامتلات أسرة مستشفى الفوزان والهلل الكويتي من المصابين، وأبواق سيارات الإسعاف وأصراؤها لا تكاد تكف عن الهدير والبريق، وما بين عشية كل يوم أو ضحاه صرنا نودع عزيزاً أو أحمية يمضون حاملين معهم مهجنا وقلوبنا.

إن التفسير الإسلامي للتاريخ يقوم على أساس أن للإنسان غاية في هذه الحياة وهي الاستخلاف.

(١) مجلة الجهاد العدد ٢٢ ص ٢٨ شبان ١٤٠٩ هـ مارس/أبريل ١٩٨٩ م.

(وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) (البقرة: ٢١)

واشترط رب العزة شرطاً لهذا الاستخلاف ومن:

(إِنَّمَا بِأَمْرِنَا وَمُنَى هَدَى فَمَنْ أَتَّبَعَ هَدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (طه: ١٢٣-١٢٤)

والتاريخ البشري في المنظور الإسلامي هو تحقيق المشيئة الربانية من خلال الفاعلية المتاحة للإنسان في الأرض بقدر الله وبحسب سنن معينة يجري الله بها قدره في الحياة الدنيا.

والتاريخ من جهة أخرى هو سعي الإنسان لتحقيق ذاته كلها لا البحث عن الطعام فحسب (كما هو التفسير المادي الماركسي للتاريخ) ولا المتاع والسيطرة والاستحواذ (كما هو التفسير الليبرالي للتاريخ).

وإنما هو تحقيق كل ما يشتمل عليه الإنسان من طاقات وقدرات وتطلعات وأشواق، إلى جانب الضرورات القاهرة والرغبات القريبة، ومحاولة نقل المبادئ التي يعتنقها الإنسان، والعقيدة التي يحملها بين جوانحه إلى واقع حياتي وأحداث يومية.

أي محاولة تحويل الكتاب والسنة والآيات والأحاديث والنصوص إلى سلوك إنساني وأخلاق ومعاملات تمشي على الأرض يراها الناس فيرون الإسلام، وهو تاريخ الفرد والجماعة في ذات الوقت من خلال تشابكهما الذي لا ينتهي، وتدافعهما الذي لا يقف عند حد.

والتاريخ الإسلامي أكبر شاهد على نهافت التفسير المادي والليبرالي للتاريخ، إذ أنه حصل خلال نصف قرن أن فتحت نصف المعمورة آنذاك، واستمرت الدولة الإسلامية بضعة عشر قرناً مصونة بالحق الذي جاء به هذا الدين، محمية بالسيف الذي بعث به سيد المرسلين.

لقد حصل التحول التاريخي في هذه الفترة المعجزة من التاريخ نون أن يحصل أي تغيير في وسائل الإنتاج، ولا تبديل في مصادر الاقتصاد والدخل.

وشامت إرادة الله - عز وجل - أن تنزلق أقدام النب الرديسي على سفوح الهنوكوش، والتقى أحد العملاقين الضخمين في الأرض -الاتحاد السوفياتي- ويدعسه حلف وأرسو مع شعب فقير أعزل أمي لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، وكان التفسير المادي الماركسي يوجب أن تنهزم القوة الرجعية الدينية أمام القوى التقدمية، لأن الدين أفيون ومخدر للشاعر الشعوب، وأنه علق تمتص دماء الشعوب.

إلا أن التفسير المادي الماركسي للتاريخ قد بان زيفه وتعرى زيفه وظهر أنه سراب خادع قد استهوى به غواش الأمم التي احترقت بحميم الشيوعية باسم التقدم وإنقاذ العمال والبرليتياريا والديالكتيك.

لقد كانت الشيوعية لعنة صبت على البشرية فاذاقها الله الويلات على أيديها بظلمها وبتنويرها (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير).

أقول: هزمت الشيوعية وأصبحت بقاصمة الظهر، وبدأت تعاني من أزمت داخلية، وقلقل وتمزقات في أعماقها برزت بعض مظاهرها في أذربيجان وتاجكستان وجورجيا (النصرانية).

وستشهد السنوات القادمة والله أعلم تحولات خطيرة في الشيوعية، ولعل نهايتها قد أزلت وعاد الحنين مرة أخرى إلى الجن الذي هربوا منه إلى الكنيسة ورجالها، والكلام في هذا يطول.

صناعة التاريخ: وتاريخ الأمم إنما يجري بقدر من الله على أيدي أفياد أفذاذ يسطرون بدمائهم ويشيدون بمواقفهم وصلابتهم أمجاد الأمم وحصون عزتها، وقد بدت صناعة التاريخ الإسلامي طلية في أفغانستان، فبدأت معاقل الإسلام حديثاً ترتفع ولكن بالجماع لا بالحجارة والطوب، وكان المجاهدون الأفغان جزءاً من قدر الله لهذه الأمة التي بدأت تنهض من كبوتها، وتستيقظ من سكرتها، وترتفع من مستنقع وهدتها وأرتكاسها.

والأمم تحرص على كتابة تاريخ أفذاذها لتربية مقبل أجيالها، وبناء الناشئة من أبنائها على القيم التي ضحى من أجل غرسها أبطالها ونعمها.

وأفضل طريقة لتربية الأجيال هي تدريسها تاريخ أمجادها من خلال سير مصلحيها وقادتها وأبطالها، فنحن نتأسى برسول

الله ﷻ، ونقتبس من النور الذي جاء به، ونسير على هدي أصحابه، ونقتفي أثرهم «أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده».

وكما كانت الأمثلة شاخصة حية، وأحداثها ساخنة جديدة، فإن وقعها في القلوب يكون أعمق، وأثرها في النفوس وتوجيهها أشد وأقوم، وذلك لأن الشواهد الحاضرة دوافع ومحركات للقلوب أن تشابه وتباري، لأن نداء الأعماق من القلوب ينادي بقوة هذا شاب مثلكم يعيش كما تعيشون، ولفته البيئة التي لفتكم، وضمه الجور الذي يظلمكم، فما باله قد سبقكم؟ أو ليس بإمكانكم أن تسلكوا كما سلك وتسيروا كما سار؟

الحيار الصعب: وكثيراً ما نواجه ونحن نفتح وصايا كثير من الشهداء بمشكلة أنهم يخرجون علينا أن لا نكتب عنهم كلمة، فقد كتب سعد الرشود: لا أسمح لمجلة الجهاد ولا للبيان المرصوص أن تكتب عني كلمة.

وأبو دجانة (عادل فارس) أوصى بأن لا يكتب عنه شيء.

وأبو مسلم الصنعاني أوصى بأن من كتب عنه شيئاً فهو حبيبه يوم القيامة.

وساغت نفسي كثيراً: وهل يحق لهم أن يمنعوا الناس أن يتكلموا عنهم بخير، إن هؤلاء أصبحوا جزءاً هاماً وشريطاً حياً من تاريخ هذه الأمة، فليس لأحد أن يقص شريط التاريخ المشرف بحجة أن صورته وردت فيه، أو ذكره مرّ خلاله، إن دماء هؤلاء الشهداء قد روت شجرة هذا الدين وسطرت بأحرف من نور تاريخ هذه الأمة، فكم ستحرم الأجيال لو أخفي تاريخ النماذج المشرقة والقمم السامقة من أبناء هذه الأمة ابتداءً بنبي بكر والخلفاء الأربعة والصحاب الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، والأبطال الأفاضل أمثال سعد ومصعب وحزمة والقعقاع وعاصم والمقداد والنعمان وعكرمة وخالد وأبي عبيدة.

وكم ستخسر الأمة من رصيدها الثر الذي يكون المعين العذب الذي تنهل منه الأجيال عبر العصور.

لم تعد سير هؤلاء الصادقين ملكاً خاصاً يورث من قبل ورثته، أو مالاً يوصي به إلى جهة خيرية ويصرفه كما يشاء، لقد خرجت سيرهم وقصصهم من ملكهم الخاص إلى رصيد أمة تحيا بذكرى أفاضلها، وتعيش أجيال مقتفية الجادة القويمة التي قضى عليها أسلافها وأتمتها.

لقد أوصى كل واحد بأن لا يكتب عنه بعداً عن الرياء، واختفاء عن مواطن الضوء إلى الظل، وذلك حرصاً منهم على تعحيص النية وتقرير الإخلاص، فعضوا بإخلاصهم وصدقهم وثوابهم.

وكم يحز في نفسي أنني لم أكتب عن سعد الرشود ذاك الذي كنت إذا جلست إليه أشعر أنني أمام قمة شاهقة وعلاق ضخم مع أنه في ثقافته لا يتعدى الثانوية العامة.

والآن واجهنا أبو مسلم الصنعاني بوصيته التي تعني تمزيق صفحة وضاعة من تاريخ الأمة الإسلامية الحديث، وقطع جزء من الشريط الحي الذي يحفه البهاء وينيره السناء وتكون له المهابة إطاراً جميلاً فريداً.

إن الكلام عن الشهداء فرض من رب العالمين، لأنه جزء من التحريض على القتال الذي افترضه الله على كل مسلم «فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرص المؤمنين».

ولو علم الشهيد كم سيسوق الله له من الخير ويوصله إلى قبره من الثواب بذكر قصته لأمسك عن الوصية.

فكم من القلوب الميتة أحييتها قصص الشهداء، وكم من الشباب قد وفدوا إلى الجهاد بقراءة قصة شهيد، وكم من تائه رد إلى الله وكم من فاسق أب إلى ربه بها:

ففي القتل لأجيال حياة وفي الأسرى فدى لهم وعق

إن هؤلاء الإخوة يتسبون أنه (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة).

كم نفع الله يورصية الشهيد عبد الوهاب بن صالح الردة الغامدي؟

فعندما سمعت بوصية أبي مسلم (عبد الله النهعي) قلت سأكتب عنه وعندما تلتقي بين يدي الله سأقول له (يا رب إن عبدك هذا عبد الله النهعي يريد أن يحرم الناس الخير بعدم الكتابة عنه، ويريد أن يمنع الأمر بالمعروف والتحريض على القتال بمنعه لنا أن نكتب عنه) ولذا فإني سأبدأ به:

أبو مسلم الصنعاني (عبد الله النهمي) (١):

أي مسجد في صنعاء لم يسمع عن أفغانستان من قمك؟ وأي امرأة من الصالحات لم تتزع حليها تبرعاً بعد سماعها عن الجهاد موعظتك؟ أي شاب من اليمن لم يعرفك ممن عادوا إلى الله مع تيار الصحوة الخاشعة؟ أي عالم من العلماء في بلدك لم يشعر بالخجل ولم يطرق حياءً إذا قابل صورتك أو رآه ظلمتك، فيا عبدالله وإن أوصيت: (من كتب عني كلمة فأتنا حجيجه يوم القيامة).

فكيف لا نكتب عنك؟ وهل يستطيع صاحب العطر أن يمنع الشذى أن ينتشر في الأفاق، ويضوع بأريج الطيب في الجو؟ أتريد أن تكف الألسنة عن ذكر الخير ونشر البر؟ وإذا طفحت القلوب بالمحبة وأفعمت بالإعجاب فمن ذا الذي يستكها أن تعبر عن إعجابها أو محبتها؟ إن لم نكتب عنك في الجهاد فكيف تمنع إخوانك في اليمن أن يسطروا بالمداد المزوج بالدموع والأسى عن ذكرك؟

بائع الليمون: زارني ذات مرة في بيت أبي عبد الله في جدة وكنت مزماً على زيارة أخ عزيز، فأحب أن يرافقتي، فقلت له: لو غيرت ثوبك حتى لا يظنك الناس بائع ليمون، قلتها هالاً فضحك ملء شقيقه، وكنت كلما لقيته غالباً يبادرني القول: كيف الليمون؟ وإن صعدت البنيان عن التشرف بذكرك وتزين صحفاتها بصورتك فكيف يمكنك أن تسكت ألسنة الذين عايشوك في الجهاد في قندهار وجاجي وغلند وخوست وبنجرهار وجلال آباد؟ إنك حاولت ولكتك تحاول عبثاً.

يا لائم في الهوى العنري معذرة مني إليك ولو أنصفت لم تلم
محضتي النصيح لكن لست أسعد إن المحب عن العذل في مسم

طلّاح الجهاد: لقد كان عبد الله من أوائل الذين قدموا إلى أرض الجهاد يرافقه الشيخ غيلان أبو فارغ في الخمسينات من عمره، وحلوا في كتيبة بدر، واشتركوا في الجهاد داخل أفغانستان، جاء غيلان يحمل ماله ولم يشته كبر السن ولا عظم الثروة أن يقبل بنفسه إلى الجهاد، وكانا يحملان مبلغاً طيباً من المال الذي جادت به نفس غيلان مع ما جمعه من الصالحين والمحسنين. ومكث عبد الله فترة ليست قليلة في الجهاد ثم عاد إلى اليمن، ولم يكن آنذاك ترتيب للعرب ولا معسكرات ولا بيوت ضيافة، إذ لم تكن قد أنشأت مكتب الخدمات بعد.

ولكن النفوس التي تتنوق خلاوة الجهاد ليس من السهل عليها أن تعود إلى حياة رتيبة لا ترتفع الاهتمامات فيها عن نوع الطعام وشكل اللباس وأحسن حالاتها الدراسة في كتاب ديني في مسجد من المساجد أو داخل غرفة مقفلة.

وبدأ الحنين إلى أرض النزال يعاوده ويؤرق عليه أجفانه ويقض عليه مضاجعه، فعاد مرة أخرى ودابط في جبهات مختلفة، ثم أفتى له بعض الأحبة والمتعلمين أنه لا بد أن يدرس العلم الشرعي حتى يكون عالماً داعية، وهنا بدأ يراوده أمر ملازمة كتب العلم مع خدمة الجهاد، وجمع المال له، والقيام بحملة إعلامية له والنزود عن حياضه، والذب عن جنابه.

في كلية الشريعة: وفي السعودية ألقى عبد الله عصا ترحاله ودخل الكلية وبدأ ببناء نفسه علمياً، ولقد كان الكتاب لا يفارقه في المعسكرات فكثيراً ما كنت أجده يحمل كتاب الأذكار للنووي وبعض كتب ابن القيم كالوابل الصيب أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، وحيثما حل إما أن تجده واعظاً يلقي دروسه أو مستمعاً مصفياً يلتقط أطايب الكلام كما يلتقط أطايب التمر أو تالياً لكتاب الله - عز وجل -.

وكنت تلمس فيه الورع - نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً - وكثيراً ما كان يتكلم عن الآخرة، عن عذاب القبر وعن النار والجنة.

فكان الشيخ عمر سيف متخصصاً بوصف الجنة وحوورها وقصورها وغرفها وكان عبد الله النهمي يكاد يكون متفرداً بالتذكير بعذاب القبر وأحوال القيامة.

العودة إلى الجهاد:

وقبل سنة ونيف تقريباً أُلقيت محاضرة في جدة في مسجد الأمير سلمان وسجلت المحاضرة بالفيديو واستمع عبد الله النهمي إلى المحاضرة قال: فسمعك تقول فيها: (الجهاد الأفغاني سوق عقد وكاد ينفذ ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر) قال نيزكي

(١) مجلة الجهاد العددان ٥٤-٥٥ ص ٣١ رمضان/شوال ١٤٠٩ هـ إبريل/مايو ١٩٨٩ م.

هذه الكلمة وعزمت على تطبيق الجامعة ثلاثاً لا رجعة فيها.

وشد عبد الله النهمي رحاله وأقبل إلى الجهاد وتوجه إلى صدا حيث تمسك به أبو برهان يريده أن يكون داعية عنده، ثم شد أبو عبد الله إلى المؤسسة حيث يعظ ويوجه، ثم تردد بين حاجي (المأسدة) وخوست.

ثم إلى قندهار: وتسابق أبو عبد الله وأبو الحسن على النهي فكل يريد أن يشده إلى جهة فأبو عبد الله يدفعه للذهاب إلى قندهار لأنها خالية من داعية فاضح يلتف الشباب حوله وحرص على إرساله ولو لمدة أسبوعين، وأما أبو الحسن فيود لو يأخذه مع إلى كابل ليكون رفيق درب الجهاد، وقاز أبو عبد الله بإرساله إلى قندهار.

إلى جلال آباد: وعاد النهمي من قندهار إلى نجرهار حيث اشتعلت النار وزاد الأوار واضطرب الخضم وحمي الوطيس. وهناك كانت رحلة الخلود وبينما النهمي في هجوم على مطار جلال آباد الذي شهد على أسواره وداخل ساحاته حصاد الرؤوس وانسحار الكفر:

لما تحكمت الأسنة فيهم جارت ومن يجرن في الأحكام
فتركهم خلال البيوت كأنما غضبت روعهم على الأجسام

وكانت المنية تنتظره على الأسوار وكان ذلك يوم السبت (١٨) شعبان سنة (١٤٠٩ هـ) الموافق (٢٥) مارس سنة (١٩٨٩ م) بينما كان يتلو القرآن أثناء الهجوم جاءت قذيفة الهاون فأصابته شظية في رأسه فنال ما كان يتمناه وحاز الشهادة ونرجو الله عز وجل له وله القبول، وأن يكون قد أذن لروحه أن تكون في حواصل الطيور الخضراء التي تسرح في الجنة حيث شاعت ثم تأتي إلى قناديل تحت العرش.

الدعاء الجميل: كان النهمي يردد في دعائه: (اللهم لا تجعل ذنوبنا سبباً في حجب الشهادة عنا)، ولعل الله قد استجاب دعاءه ولبى أمنيته وحقق رغبته.

وصايا الشهيد (أبي مسلم الصنعاني) إلى أهله وذويه^(١):

إلى الأهل والإخوان: بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.. أما بعد:

فهذه وصيتي أكتبها بخط يدي في يوم الجمعة من شهر شعبان في السادس عشر منه من السنة الهجرية ألف وأربعمائة وتسعة هجرية.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وبعد:

فهذه وصيتي أكتبها بخط يدي امتثالاً لقول النبي ﷺ: [ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده] فأقول: أوصي أهلي وإخواني في الله تعالى بتقوى الله تعالى والجهاد في سبيله، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون)، وأن يضعوا حديث رسول الله ﷺ نصب أعينهم والذي نقله إلينا أئمة الحديث عن الصحابي الجليل عباد بن الصامت وهو يوضح ما بايع عليه خير القرون النبي ﷺ، قال عباد بن الصامت -رضي الله عنه- (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا تنازع الأمر أهله، إلا أن تروا كثراً براحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن تقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم) متفق عليه.

وأوصي إخواني في الله المجاهدين إذا من الله علي بالشهادة في سبيله -مع أنني لا أستحق الجرح في سبيل الله تعالى فضلاً عن الشهادة-، ولكن هذا من باب إحسان الظن بالله عز وجل (أنا عند حسن ظن عبدي بي)، فأوصي إخواني في الله أن يدفنوني في مكان استشهادي، وأن لا أنقل إلى باكستان، وأن لا يرتفع قبري عن الأرض مقدار شبر، وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

وأوصيك أبا عبد الله (أسامة بن لادن) أمير الإخوة العرب أن تمنع أن يكتب عني في مجلة نبوء الجهاد أو البنيان أو تنتشر صورتني، ومن خالف ذلك فلنا حجيجه عند الله تعالى، وسلام الله عليكم ورحمته.

إلى أفراد العائلة:

(١) المصدر السابق ص ٥٢.

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسوله وعلى آله وأصحابه ومن آله وبعد:

والدي الكريم ووالدتي الحبيبة وأخي الشقيق وأختاي الشقيقتان.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد فإن الله تعالى فرض علينا الجهاد في سبيله تعالى كمثّل فرض الصلاة والصوم والحج، قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)، فمن فضل الله سبحانه وتعالى على المسلمين أن فتح لهم باب الجهاد في أفغانستان المسلمة بعد سنوات طويلة من انقطاع هذا الخير، وعندما دُعي المسلمون للجهاد ضد أعداء الله الملاحدة الذين ينكرون وجود الباري سبحانه وتعالى قلبى من لبي هذا النداء.

فأله يعلم أنني أتيت إلى أفغانستان بقناعة واطمئنان سائلاً الله تعالى أن يفر لي ذنوبي الكثيرة بذهابي إلى أفغانستان للجهاد في سبيله.

فيا والدي ووالدتي.. لا تجزعوا إذا وصلكم نبأ استشهادي فهو أجلي كتبه الله تعالى عليّ قبل أن أخرج من بطن أمي، قال النبي ﷺ: [ويؤمر الملك بكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد]، وقال تعالى (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير).

فأله الله أن تتبرموا من قبر الله، فأنا أبرأ إلى الله تعالى من الفياحة وشق الثياب والسعوى بدعوى الجاهلية وإذا جاء الخبر افرحوا واسألوا الله تعالى أن يتقبلني في الشهداء الصادقين، فإن النبي ﷺ يقول في الأشياء التي تعطى للشهيد في سبيله تعالى [لشهادته عند الله سبع خصال، يغفر له في أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويُحلى حلة الإيمان، ويزوج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين إنساناً من أهله]، فاكثروا من الدعاء لي بالقبول عند الله حتى يحقق الله البشري، وأنا أعدكم إن تقبلني في الشهداء ويرضى عنكم أن أشفع في المقدمة في أبي وأمي وأولادي وزوجتي وإخواني... إلى أن يشاء الله.

يا أمي لا تبكي عليّ بل افرحي واحمدي الله أن ابنك لم يموت على فراشه، ولم يموت تحت عجلات السيارات، بل لقي الله تعالى كما تمنى الرسول ﷺ: [والذي نفسي بيده لو ددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا فأقتل] فادعوا لي ولا تقولوا يوه لو بقى عندنا ولم يذهب إلى أفغانستان لما وقع له شيء، فهذا لا يجوز، لأن الأجل بيد الله، والموت متى يريد الله، فاللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين. واكتبنا اللهم في عداد الشهداء يا رب العالمين.

وصية إلى العم صالح:

إلى عمي الكريم صالح بن صالح فاضل حفظه الله ورعاه.. آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أكتب لك هذه الرسالة أو الوصية من تحت أزيز الرصاص وأنا متوجه إلى إحدى العمليات في جلال أباد بعد صلاة العصر من يوم السبت السابع عشر من شعبان، فأوصيك أولاً ونفسي بتقوى الله تعالى والعمل بطاعته، والتزود للدار الآخرة، والإكثار من قراءة القرآن، والإكثار من ذكر الله، وأداء الصلوات في أوقاتها في المسجد وقيام الليل والتفقه في دين الله تعالى.

وأوصيك بأولادي خيراً بأن تربيتهم تربية إسلامية، فانت بعد الله تعالى خليفتي فيهم، فإذا كبرت سميهم فزوجها لمن يتقي الله، وكذلك مريم، وعبد الرحمن إن استطعت أن تحفظه القرآن فلك من الله الأجر والمثوبة.

والى ملتقى إن شاء الله تعالى في جنات عدن عند مليك مقتدر.

إلى زوجتي:

زوجتي الكريمة سلام الله عليك ورحمته، أنا أعلم بأنك إن شاء الله تعالى لن تجزعي عندما تعلمين باستشهادي إن شاء الله تعالى، لأنك كما أحسبك تعلمين أنه قضاء الله وقدره، فاسألي الله تعالى أن يتقبلني في الشهداء، وأوصيك بسمية ومريم وعبد الرحمن خيراً، فجاهدي فيهم توجري، وأوصيك بالإكثار من ذكر الله تعالى، ومن قراءة القرآن، وأداء الصلوات، وفي أوقاتها، وقيام الليل، والابتعاد عن المجالس التي تشغلك عن ذكر الله تعالى، وأبتعدي عن رؤية التلفزيون وسماع الراديو والتي فيها التمثيليات، واشتغلي

بما يقربك من الله تعالى.

زوجتي الكريمة: يقول تعالى (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ومن يرد ثواب الدنيا تؤتة منها ومن يرد ثواب الآخرة تؤتة منها وسنجزى الشاكرين). فكلنا سيموت، فأُسعد السعداء من يقبل الله شهادته ويخرج من الدنيا والله تعالى عنه راضٍ. أخيراً إن استطعت أن تكثري من زيارة الوالدة والوالد فلك أجر ذلك وتصبرينهما، فوالله إن تقبلني الله في الشهداء فليست مصيبة، وأنا ظني بالله سبحانه وتعالى خيراً، أسأل الله تعالى أن يجمعني بك في الجنة، وأن يجعلك ممن أشفع فيهم. أخيراً استودعك الله الذي لا تضيع ودائعه، وأمل منك المسامحة.

زوجك المتصر في حقه

الفقير إلى الله: عبد الله بن محمد النهمي (أبو مسلم)

الخميس (١٦) شعبان (١٤٠٩ هـ)، (٢٣) مارس (آذار) (١٩٨٩م)

ملاحظة: (حذف من الوصية الأشياء المتعلقة بالتركة وبعض الأمور البسيطة الخاصة).

أبو اليسر (علي عبد الفتاح) (١)

أمير الجماعة الإسلامية بمحافظة (المنيا) في مصر

قضى شيخ المنيا:

أي بيت في (المنيا) لم يسمع باسمك؟ وأي شاب في المحافظة لم يفخر بذكرك؟ وهل بقي للطاغوت شرطي لم يقتف أثرك ويجد في طلبك؟ ماذا صنعت مع إخوانك حتى اختفت الخمور والمشروبات الكحولية في ساحة (المنيا)؟ لقد سددت الأبواب على التصاري الذين يتاجرون بعقول الناس ببيع الكحول.

وماذا عن المناظرة التي جرت بينك وبين المفتي ووزير الأوقاف اللذين هزما أمام قوة الحق التي تهز الأركان وبشبات الكلمة الطيبة التي تأخذ بمجامع القلوب؟ لقد سجلت المناظرة على شريط الفيديو والكاسيت فسرت بين أيدي الناس سريان النار في الهشيم. لقد كانت المناظرة يوماً مشهوداً حضره جمع غفير وخضم متلاطم من جماهير الناس، وعندما شعر المفتي بالهزيمة خرج عن طوره وبدأ يهذي قائلاً: (ليت الدولة تقتلكم كلكم، نحن نستجدي الخبز من أمريكا وأنتم تقولون: جهاد وأمر بالمعروف!).

أي درك هبط إليه العلم بهؤلاء؟ أو تصدق أن هؤلاء ورثة الأنبياء؟ وماذا أصابهم من ضياع حتى وصلوا إلى هذا المستنقع الأسن من حطام الدنيا؟

(واتل عليهم نأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فحمله كمثل الكلب إن لحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) (الأعراف: ١٧٦).

(إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيانات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، إلا الذين تابوا وأصلحوا وينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) (البقرة: ١٥٩-١٦٠).

قال قتادة والربيع: المراد ب (اللاعنون) الملائكة والمؤمنون. وقال مجاهد وعكرمة: هم الحشرات والبهائم يصيبهم الجذب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم، وجاء في حديث حسن رواه ابن ماجة عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال عن (اللاعنون): دواب الأرض [انظر تفسير القرطبي ١٨٦/٢].

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه قهان وتنسوا
محياء بالأطماع حتى تجهما

(١) المصدر السابق ص ٢١.

آمننا برب الغلام: وبعد هذه المناظرة برز الأخ علي عبد الفتاح وذاع صيته، والتف الناس حوله قائلين (آمننا برب الغلام).

المطاردة: وهنا رأت الدولة أنه لا بد من تصفية الشيخ علي أو إلقائه في غياهب السجون ردىاً من الزمن، فهموا في طلبه، وجبوا في أثره، وبدأوا يعتقلون كل من له صلة به، حتى أنهم قبضوا على قرابة خمسمائة شخص، ولكن أنى لهم بقبضه؟ وغير وزير الداخلية مدراء الأمن الواحد تلو الآخر حتى غير أربعة لفشلهم في القبض عليه.

وبدأت صحف المعارضة تنتقد هازئة بالدولة متحدية إياها أن تلقي القبض على الشيخ علي، ولم يتم في الليل قرابة ستة أشهر حتى لا يؤخذ علي حين غرة.

نصراني يؤويه في بومته: وذات ليلة داهم النظام الحي الذي يربض فيه هذا الأسد، فقفز من منزل إلى سطح منزل مجاور، فرأى كوة في السطح فأراد أن ينزل منها، وإذا بصاحب البيت يضع له كرسيّاً ويقول له: (انزل يا شيخ علي)، وإذا به بيت نصراني، وطمانته النصراني وقدم إليه التحية، فاقترحم البوليس الدور كلها دون هذا البيت لأن صاحبه ليس مسلماً.

السجن من (١٩٨١م-١٩٨٤م): بعد مقتل السادات أودع علي وإخوانه السجن، وعلى أثر أحداث أسبوط والمنيا، ثم خرج (١٩٨٤م) فلم يعبثوا إلى بيوتهم بل إلى المساجد يعاهدون الناس على مواصلة الطريق، وعادت الدعوة من جديد إلى المنيا.

محلات الخنا وحانات الليل والراح (الحمر): علم الشيخ علي أن شاحنتين محملتين بالخمير في طريقهما إلى المنيا فأعد لها كميناً مع إخوانه، وعندما مرتا بدأ يطحنها، حتى إذا آذن الفجر بالبروز كانوا قد حطموها عن آخرها، وأخذوا يهاجمون محلات الخنا والرقص، وصار الشعب كله عيوناً للشيخ علي، فحيثما وجدوا مسلماً يخالف الشرع دلوه عليه فيجهز عليه.

مساجد الرحمن والحلقة والجهاد: وأصبحت هذه المساجد محط أنظار الناس، ووثق الناس بالشيخ علي وإخوانه حتى صاروا يدفعون لهم زكاة أموالهم وفطرمهم، فكانت الشاحنات تصطف ببابها لتعمل المواد الغذائية والألبسة وتدور على الفقراء، وكم من مرة صودرت وسجن الشباب من الحكومة.

وأخيراً وصل إلى أرض الجهاد في أفغانستان، وأخذ يعد نفسه للقتال، خطبت الجمعة ذات مرة، وبعد الخطبة جاء وجلس بجانبه، ولفت نظري إلى نقطة في الخطبة، فأحببت منذ اللحظة الأولى التي رأيته فيها دون أن أعرف الرجل، ثم عاد إلى مصر وحاول أن يدخلها، ولكن أغلقت بونه الأبواب، فجاء بأهله من الأردن وعاد إلى أفغانستان.

(هنيئاً لك يا أبا مسلم (الصنعاني) إني اغبطك على هذا المكان وليتني أدفن بجوارك)، هذه عباراته كلما مرّ على جدث (قبر) عبد الله النهمي الذي أحبه بملء قلبه، وكأنه يقرأ قدره المسطور، إذ أن أبا مسلم دفن قرب جلال آباد بعد استشهاديه في (١٥) شعبان الماضي.

وفي السادس من رمضان سنة (١٤٠٩هـ) كان أبو اليسر على حافة الخندق بجانب راجعة الصواريخ (بي إم ١٢)، وكان غالباً يذكر إخوانه بقول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحْيِيكم)، ويذكر قول ابن القيم فيها: ما أرى الحياة إلا بالجهاد، وبينما كان يقرأ القرآن جاءت نازعة الأرواح (قذائف الهاون) فأصابته شظية فاستشهد على الفور وإخوانه بجانبه في الخندق، وبعد لأي تسالخوا أين أبو اليسر، فخرجوا وإذا به مسجى، ومضى ابن الثلاثين عاماً بالشهادة الكبرى لا شهادة الأدب العربي الورقة التي يحملها من الجامعة.

بهذا الجسد الفارع طويلاً، المقتول عضلاً، الذي أزهق الدنيا في حياته وهزها باستشهاده، وهكذا مضى شيخ المنيا فسلام عليه يوم تقدم وتأخر الناس، ويوم ضحى وجبن الناس، ويوم باع وضم الناس.

هو الشجاع يعد البخل من جبن وهو الجواد يعد الجبن من بخل

لقد رأت كل عين منك مالههسا وجريت خير سيف خيرة الدول

وقد كان علي شاعراً، وكتب في السجن أنشودة عذبة عن القدس ولحنها بلحن جيد جميل، وقد سمعت الشباب المصري ينشدونها واسمها (لييك ياقدس الحبيبة كلنا نفدي الحمى)

كلمات الوداع للشعب الأفغاني المسلم البطل: بهذه الكلمات النابعة من صميم فؤاده ودع الشعب بهذه التحية:

دقات قلبي تهتف بحبكم ويحب الخنادق والبنادق.

نعم أنتم شعث مغبرون، ولكن قلوبكم رقيقة وهي أقرب إلى الرحمن من أهل المدائن والنواصم.
أحبتي أهل الرباط أنتم ما نسيتم؟ أتعرفون من يذكركم؟ يذكركم المستضعفون ويهتفون أصبح للإسلام مجاهدون، وعندما يسأل
اليتيم أمه الشكلى عن أبيه ويلج في السؤال ويقول: متى رجوع أبي أو متى الذهاب؟ فعندها أنتم الآمال (بعد الله) ترجى، أنتم الأسد
الغضاب، وعندما يشتد ليل الظلم ويطول تستشرف الفجر بين قسماط جباهكم المغضبة.

(ويأى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) (التوبة: ٣٢) وأرجو الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.

الراكب المهاجر الشهيد (عابد الشيخ محمد)^(١):

صفوة الدعاة قد قبضوا، وخيرة القوم قد ذهبوا في هذا الشهر، وجلال أباد تقول: هل من مزيد لوقود معركة الإيمان، ألم ترو
يا أرض تفجرها من دماء الأبطال، أما يكفيك ما ابتلعت من جثث الأبطال؟ كفاك.. كفاك فقد أخذت فلذات الأكباد ومهيج الأرواح.

رحل أبو مسلم.. ثم تبعه عابد... وبعد عابد بيوم واحد اختلطت يد المنون علماً ثالثاً وهو أبو اليسر (علي عبد الفتاح).
كم من العيون ستبكي عليك يا عابد؟ وكم من أرض ستستغفر لك؟ أهى بلوشستان التي تمت إليها أصلاً ونسباً؟ أم الكويت
التي درجت على أرضها وترعرعت بين جنباتها؟ أم قطر التي تخرجت من جامعتها؟ من ذا الذي لا يعرف هذا الفتى الذي درس في
معهد الإيمان الديني في الكويت؟ ومن ذا الذي دخل كلية الشريعة في قطر ولا يسمع بهذا الضرعام؟

كذا قليج الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

أي عين لا تبكيك ممن رأوك؟ أي لسان لا يلهج بالثناء عليك بالخير ممن خبرك؟

وهكذا كتب الله لك هذا التطواف الطويل في أرض الخليج حتى يعرفك الكثيرون الذين أراد الله بهم الخير لعل الله يحيي
بذكرك موات القلوب وينقذ بسيرتك كثيراً من ضلال الدروب.

الدراسة: ودخل كلية الشريعة في قطر وتخرج منها (١٩٨٥م) وهو في الرابعة والعشرين من عمره، ثم عمل مدرساً في
مدارسها، ولكن نفسه تأبى عليه أن ينعم تحت هواء المكيفات وأبناء دينه يحصدون بنار الرشاشات، وأطفالهم يموتون في حر الصيف
في بيشارور بمعدل مائة يومياً أحياناً، وأنسى لأسد أن يقبل العيش مقيداً بالأصفاد في حديقة الحيوانات ويعرض على الناظرين؟ لابد أن
يحطم القيود ويعود إلى غيله (عرينه) حيث الضراغم والأسود.

وتزوج عابد وقدم إلى أرض الجهاد سنة (١٩٨٧م) بعد أن سبقته فروع الشجرة الطيبة (أشقائه) زاهد (مدير لجنة الدعوة)
وخالد (المهندس خريج أمريكا)، ودق أطناب خيمته على باب الشيخ سيّاف، وأصبح ظله الذي لا يفارقه، وظيفه الذي لا يباعده.

وعمل في البنيان المرصوص، وعندما تنوق حلالة الجهاد لم يطق الصبر بعد أن طفح الكيل، فوجه رسالة عتاب جميلة إلى
مشايخه الذين تلقى العلم على أيديهم، وكانت لفظة موجية معبرة تحت عنوان: (عفواً شيخى) مع أدب جم، ومشاعر فياضة مفعمة
بالمحبة والحب.

في خنادق القتال: وكلما اشتدت المعارك وزاد ضرامها وشد إليها الشيخ سيّاف الرجال تجد حوله من أركانه الذين لا يفارقونه
خالد وعابد ويلحقهم أحياناً زاهد.

وقد سعدت بخالد فترة آخر معركة ضخمة في جاجي بضعة عشر يوماً، وكنت اسميه السكرتير، فكان يستمع إلى القرآن، وقد
حاولنا أن نطبق منهج الصحابة في تلاوة القرآن (فمي يشوق) أي ختمة في مدة أسبوع أولها: من (الفاء-الميم) الفاتحة إلى المائة،
والثاني من (م-ي) (المائة-يونس)، والثالث (ي-ب) (يونس إلى بني إسرائيل)، الرابع (ب-ش) (الإسراء-الشعراء)، الخامس
(ش-س) (الشعراء-الصافات)، السادس (و-ق) (والصافات-ق)، السابع (ق-الناس).

الشهادة: وأخيراً إلى جلال أباد، وفي هجوم على المطار حيث انطلق الخمسة: عابد، وأبو الفضل (أبو طارق) اليمني، وأسامة
الأزبكي، وصخر الصخري، وسراقة الشوقاي.

وأراد العرب أن يتقدموا الصفوف فضن بهم القائد خالد (أسد يقود الحرب بقدم واحدة) فقال: العرب يتأخرون عن الأفغان

(١) المصدر السابق ص ٢٦.

جميعاً، وسار خمسون من المجاهدين الأفغان، ويعدم جميعاً وفي نفس الطريق سار الخمسة ولكن الحذر لا يغني من الدهر، فعثرت قدم صخر بخيطة للغم مشترك (مجموعة ألغام مربوطة مع بعضها)، فانفجر اللغم وسقط عابد ولفظ روحه لتوه، وجرح الجميع عدا أسامة فكله جراح.

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام
جرحت مجرحاً لم يبق فيه مكان للسيوف أو السهام

وحمل الجرحى الثلاثة (أبو طارق، وسراقة، وصخر) أما الأخيران فقد قضيا تحبهما على الطريق ودفنا في نفجرهار (جلال آباد). وأما أبو طارق فقد وصل مستشفى الفوزان (مكسور الساق مهشم العظام ساقاً وساعداً) وكنت الساعة الثانية عشرة ليلاً في المستشفى وإذا بابي الفضل (أبو طارق).

شهد عجيب من الصبر والرجولة؛ وحول الناقلة التي ينام عليها أبو الفضل (أبو طارق) اليماني اكتشفنا مجموعة من أطباء المستشفى والدكتور عبد اللطيف وأبو حفص (زاهد؛ شقيق عابد)، فسألته ماذا وراك يا أبا طارق؟ قال: لغم أصابنا فاستشهد عابد، ومن عابد؟ قال القطري الذي أصله من بلوشستان وعاش في الكويت، ونظرت إلى وجه زاهد وقد جمدت الدموع في عينيه والكلمات على شفتيه، وكأن الأمر لا يعنيه، فاستلعت الكلام: أنت رأيت عابداً بنفسك قد استشهد؟ قال: نعم لقد قضى على الفور أمامي، ورأيت معنى الحديث الصحيح مفسراً على وجه أبي حفص (زاهد) (إن الله ينزل الصبر على قدر المصيبة، والمعونة على قدر المؤنة).

على مقبرة الشهداء: وفي اليوم التالي الثلاثاء (٦) رمضان شيعت جنازة عابد بعوكب، وحرس الشرف مصطفىون، والشيخ سيّاف لا يتمالك نفسه من البكاء، وعبراته تهطل سبلاً، وكذاك محمد ياسر، والجبانة (المقبرة) غاصة بالمجاهدين عرباً وأفغاناً، وودعه محمد ياسر بكلمة، ثم الشيخ سيّاف، ثم تكلمت، وهكذا مضى عابد وترك زوجته وطفليه -صهيب أكبرهما-:

يقول صهيب لما رأى طول رحلتي سفارك هذا تاركي لا أباليا

ومع الخالدين رحل الراكب المهاجر وصاحبتة القلوب، ونرجو الله أن يجمعنا به في الصالحين.

بلال المأسدة (محمد خلف الصخري)^(١):

في الطائف نشأ وترعرع، وعندما بدأ أبو عبد الله (أسامة بن لادن) إنشاء مأسدة الانتصار أقبل إليها شاب اسمه أبو حنيفة، وأعجب بها أيماً إعجاب، وأرسله أبو عبد الله داعية لها، وكان أبو حنيفة يسكن الطائف، فقول من استرعى انتباهه شباب الطائف، فعرض الفكرة على مجموعة من الشباب، فاقبلت مجموعة في عمر الورد كان من بينهم صخر (بلال المأسدة)، ولقد كانت السنة الأولى التي أنشئت فيها المأسدة جد قاسية على النفوس، لقد بدأ أبو عبد الله مسيرته في المأسدة في الشتاء، وكانت الثلوج تغطي الجبال ولا تستطيع وقت الضحى أن تخرج إلى الشمس الساطعة لأن برودة الجو أكبر بكثير من حرارتها.

الاستخارة في الحرم النبوي: صلى (صخر) ركعتين في الحرم المدني واستخار، وانشرح صدره للقبوم، ولقد كانت النقلة بعيدة، والخطوة واسعة، والفرق هائلاً بين كلية الحديث في الجامعة الإسلامية/المدينة المنورة التي كان يدرس فيها صخر وبين جاجي، سواء في الجو أو في الطعام.

وكانت بداية موحشة لأنها ابتدأت بمجموعة من الشباب، ولذا لم يمض عليه كثير وقت حتى ضاقت نفسه، واستوحشت للأهل والخلان، فغادر المأسدة وعاد إلى الطائف، ولكن أتى له أن يجد لذة الحياة الحقيقية وحلاوة العيش؛ أيجدها في قطعة لحم؟ أم في سيارة فارغة أو نزهة على الهدى مع بعض الأصحاب؟

لقد أضحت الحياة في نظره فارغة لا يجد فيها تلك الحلاوة التي تنوqها في الجهاد، وشتان شتان بين حياة في ذروة سنام الإسلام يستروح أوج الحياة الطيبة، ويتنسم شذاها الأخاذ النفاذ، وبين حياة أرقى ساعاتها الروحية الجلوس إلى كتاب إسلامي مع بعض الأحبة، إنه الفرق الهائل بين من يأكل العسل بنفسه وبين من يجهد نفسه في قراءة مجلد عن فوائد العسل وطعمه ونذته

عاد صخر مرة أخرى، وواصل المسيرة مرة أخرى مع ليوث مأسدة الانتصار، وعندما كثر الشباب العرب أصبحوا ينهون

(١) الصبر السابق ص ٣٧.

صعوبة المرور على الطرقات العامة المؤدية إلى المؤسسة، فكنا نخفي أنفسنا بأنواع الألبسة الأفغانية وعماماتهم الضخمة، ونحاول أن نتعلم بعض الكمات التي يمكن أن نمره على البوليس الباكستاني الذي يتلقى الأمر قلو الأمر أن يضيق على العرب ويعنهم من المرور بعد تلك الضجة الكبرى التي يدير رحاها اليهود ويحذرون الغرب والشرق من مغبة إحياء الجهاد الإسلامي فوق أرض أفغانستان. ومرت علينا سستان شديتان كنا نواجه عتاً كبيراً حتى نتخطى نقطة البوليس. وتزداد العقبات إذا كان ضابط المركز شيعياً أو شيوعياً أو قومياً أو من الأحزاب اللابينية، وكلما هدأت ضجة علينا أثارت السفارات العربية ضرام نار المعركة علينا، وكنا نمشي الأميال في الجبال حتى نتخطى نقطة بوليس.

مقارنة: وكنت أرى الفتاة الفرنسية أو الأمريكية وهي تمر أمنة مطمئنة على هذه النقط البوليسية، ولو مُست بأدنى سوء قامت الدنيا وما قعدت تتولى سفارتها في إسلام آباد المرافعة ضد باكستان أمام المحافل الدولية وغيرها، هذه وظائف السفارات الغربية، أما السفارات العربية فوظيفتها التضيق على العرب ومطاردتهم مع الاستخبارات الباكستانية وبوليسها.

دعاء صخر: ومهما أخفى صخر نفسه فلو أنه شاهد عليه، فكان إذا اشتدت به الأزمة وأرجع من الطريق رفع يديه إلى السماء قائلاً: (اللهم افتح جهاداً في منطقة كالسودان أو الصومال من نوي البشرية السوداء حتى أجاهد معهم، وإذا جاء إخواني العرب هناك ينوقون ما أتوق الآن).

إلى قندهار: وذهب إلى قندهار حيث سخونة الحديد وضرام النار، ومكث فترة ثم عاد.

إلى مشاء الأخير: وفي جلال آباد وقرب المطار يتوجه مع عابد الشيخ وأسامة الأزيكي وسراقة وأبي الفضل اليماني نحو عملية، فقال لهم خالد (قائد من تنظيم يونس خالص): العرب لا يتحركون إلا في الأخير، وسار أمامهم خمسون أفغانياً، واصطدم صخر بخيط اللغم، وانفجر اللغم وأودى بحياة الثلاثة (عابد، وسراقة، وصخر) وكسرت قدم أبي الفضل، وهكذا مضى صخر مع أصحابه إلى الله - عز وجل - ونرجوا الله أن يتقبلنا جميعاً في الصالحين.

فدتك الخيل وهي مسومات وبيض الهند وهي مجردات
(مسومات: معلمات ببيض الهند: السيوف)

سراقة (سعد خالد الخالدي)(١):

من القبيلة التي تعرف صولتها وشجاعتها وأصالتها العرب، هناك في المنطقة الشرقية في (الثقة) حيث الرجولة الأصيلة والفطرة السليمة وكان بعض القوم يردد لسان حالهم:

وإني لمن قوم كأن نفوسهم ————— بها أنف أن تسكن اللحم والعظم

وبعد معركة المؤسسة رمضان سنة (١٤٠٧هـ) التي أسفرت عن نصر باهر مؤزر تنزل من السماء أصبحت الجموع تفد أفواجاً لجهاد وضائق طاقاتنا عن الإعداد والتوجيه في معسكرات التربية في حيدا وغيرها، بدأ سراقة مسيرته وكان محبوباً لدى إخوانه، إذ لا تكاد الابتسامة تفارقه.

إحساس داخلي: وقبل فترة أعطى حمزة - أحد إخوانه المجاهدين - بذلك وأخذ بذلة حمزة، وقال: حتى يتذكر أحدنا الآخر بعد استشهاد، خاصة بعد أن استحر القتل بالشباب العرب في جلال آباد.

وفي نفس الوقت وفي الأيام الثلاثة الأخيرة التي سبقت استشهاد كانت والدته تتصل يومياً ببيشاور تريد أن تسمع صوته، فجاءها نعيه، وكان وقع الخبر على نفسها شديداً، فوقعت في الحال هي ووالده إذ لم يحتملا صدمة النبأ المروع فنقلا إلى المستشفى.

أحضر عليك وفي فؤادي لوعة وأصد عنك ووجه ودي مقبل

لقد هالها خبر الاستشهاد وإن كان فيه عز الدنيا ومقام الآخرة الأمين - إن تقبله الله - كما نحسب ولا نركي على الله أحداً.

وإذا طلبت وصال غيرك ردتني ولأ إليك وشافع لك أول

لقد مرها الحدث المزلزل، وحق لها لأن سراقة لم يكن شخصاً عادياً، لقد كان شخصية قيادية ورجلاً في زمن عز فيه الرجال.

(١) المصدر السابق ص ٢٨.

ولقد كان أميراً لمنطقة ثمر خيل، ولكنه ألح على أبي عبد الله بالتقدم إلى خط النار الأول، ودفعه أبو عبد الله وضمن به، وكما جاء في الأثر قول الرسول ﷺ لأبي بكر: يا أبا بكر أشم (أغمد) سيفك ومتعنا بنفسك)، ولكن الأسود لا تطيق القيود، وكيف ترضى أن تبقى قيد أميال عن أتون مضطرم، فهي تتقلت وتلح وترجو وتأمل من الأمير أن يفلتها لأنها لا تستطيع إزاء المعارك المحتمة صبراً.

تلقاء يقطر سيفه وسنانه رينان راحتته ندى ونجياً

وهكذا سار إلى مثواه الأخير في جلال أباده، وفي مقبرة الشهداء العرب على بوابة خيبر (طورخم) دفن سراقه بجانب صخر وأبي مسلم الصنعاني.

أبو بدر الحربي (خالد بن معلا الأحمد الحربي) (١):

لا رجوع إلا بفتح كابل أو الشهادة: في البيت المضياف الذي لا يخلو من ضيوفه صيفاً ولا شتاءً، عائلات وأفراداً، في بيت أبي الحسن المدني الذي يجاورني تعرفت على شاب أسمر اللون، صادق اللهجة -كما نحسبه ولا نزكي على الله أحداً-، وفي الخيمة التي أقامها أبو الحسن المدني (وائل جليدان) لنصلي بها تعرفت على أبي بدر، وكان قد حضر مع صديق له مع زوجيهما للجهاد، وقضى إجازته ثم عاد بعد أن قاتحني بإمكانية قدومه إلى أرض الجهاد، وأطلعني أن زوجته جامعية بإمكانها أن تقوم بدورها في تعليم اليتيمات، فقلت له: في الأمر سعة وحيلاً وترجو الله أن ييسر كفالة أسرتكم.

وعاد أبو بدر إلى بترومين حيث يعمل، ولكن الحياة لا طعم لها بعد أن تنرق حالاتها الحقيقية، وبدأ الصراع للقدوم في أعماقه، وانتقل النقاش واحتد في بيته بين والده الذي يضمن به عن الموت كما يحسب وبين نفس وثابة تواق للجهاد.

وجاء الفرج: ألقيت محاضرة في مسجد الشعبي وإذا بكهل يأخذ أبا بدر بيده ويسألني أمام الناس: هذا ابني يريد أن يترك زوجته وابنتين ويذهب إلى الجهاد وأنا غير راض، فما حكم الشرع في هذا؟ فقلت: (لا استئذان في فروض الأعيان)، فلا تستطيع منه شرعاً، والآن تعين الجهاد في أفغانستان. فقال الوالد: إن كان رأي الإسلام هكذا إذن نسكت.

وجاء أبو بدر مرة أخرى، ودخل معسكرات الإعداد ثم عاد إلينا، ووجدناه شاباً ناضجاً إذ أنه من مواليد سنة (١٣٧٣هـ) فعمره في السادسة والثلاثين، فجعلناه مشرفاً على إخوانه في بيت الضيافة الذي يستقبل القادمين لتوجيههم إلى الإعداد والجبهات.

وبدأت الشفونات ترد إلينا من زوجة وأمه وأهل يودون لو يفتنونه، وراجعت فقال: (دعك من هذا)، وكان يكرر كلمته (لا رجوع إلا بعد فتح كابل أو الشهادة).

وجاءت معارك جلال أباده: ودخل المعركة مع ستة من العرب في جمع غفير من الأفغان بقيادة مولوي محمد فاروق من الجمعية، ودمر المجاهدون ست دبابات، وأثناء الزحف على المطار جاءت نازعة الأرواح (قفيفة الهاون) فأصابته أبا بدر وأبا الدرداء المطوع، أما أبو الدرداء فقد قضى لتوه وعلى الفور، وأما أبو بدر فبقى على قيد الحياة.

شجاعة أبي عائشة: وخاطر أبو عائشة اللبناني بنفسه وحمل أبا بدر، وطلب الماء لأن الجوع يعطش، فقال له صبراً فالنهر أمامنا، وفي الطريق هبت ريح طيبة فخرجت الروح، وفي الحديث (أخرجني أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب، أخرجني إلى روح وربحان ورب غير غضبان).

وقد أصبح خروج الشذى الطيب علامة لخروج الروح، قال أبو عائشة: ثم انبعثت رائحة طيبة مرة أخرى، وجيء بالجثمان إلى بيت الضيافة. مائة من العرب يقفون على نافذة الغرفة التي فيها جثمان أبي بدر يتنسمون العرف (الرائحة) الطيب الذي يعبق شذاً في الأنوف. وأخذ أبو إبراهيم العراقي من دمه على يده وقال لزوجته شمي، فشمت رائحة عجيبة طيبة.

وسار الموكب يوم الثلاثاء في (٢١) مارس سنة (١٩٨٩م) نحو مقبرة الشهداء في بابي (قرب بيت الشيخ سياف). ووضعت بيدي في القبر، وقد لاحظت إشراقه صفاء عجيبة على وجهه مع أنه أسمر داكن (يعيل إلى السواد).

وعدنا وبقي الدم الذي على قطيفته ينضج طيباً، وبعد خمسة أيام ذهبت إلى الرياض لإلقاء محاضرة عن الجهاد الأفغاني فأخذت القطيفة معي وشمها أهل الرياض.

(١) العصر السابق من ٣٩

فأمل من الله أن يجمعنا به في القربوس الأعلى، وقد اتصلت بأهله وبوالده فكان وقع المصاب عليهم كبيراً إلا أن والده قار به (إن أفتح بيتاً للتعزية) بل للتهنئة.
فرحمه الله، ونرجو الله أن يبارك في زوجه وبناته، وأن يجبر مصيبة زوجه ويبدلها خيراً منه، كما ورد في الحديث الصحيح عن أم سلمة رضي الله عنها.

وصية أبي بدر الحربي (خالد معللا الأحمدى) (١) :

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد :

والدي، والدتي، زوجتي، ابني، ابنتي، إخواني أقاربي جميعاً أوصيكم بتقوى الله فإنها جماع الأمر كله، وأوصيكم باتِّباع منهج المصطفى صلى الله عليه وسلم والسير على خطاه، والله والله والله لقد عرفنا عزة الإسلام حينما جئنا إلى أرض المسلمين المؤمنين أرض أفغانستان الطاهرة، لقد أمتنا بالجهاد والقتال في سبيل الله حينما جئنا لأداء هذه الفريضة التي غفل عنها المسلمون اليوم إلا ما شاء الله، ونرى اليوم حالنا وما أصابنا من خنوع وذل ولقد صدق رسول الله ﷺ حينما قال: "وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا" والله لقد شبع أعداؤنا كلاماً وشجباً وتنديداً واستنكاراً، ولن يكسر شوكتهم إلا الجهاد لاسترداد العزة وإن تقوم لنا قائمة إلا بهذا العطاء ألا وهو الجهاد. يقول الله عز وجل (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والفرقان ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا بهيمكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)، ويقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله ومحجهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تجهونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)، وقبل أن أختم كلامي يقول الله عز وجل (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون).

أهلي جميعاً أقول لكم وأنصحكم بتقوى الله عز وجل في السر والعلانية وأنت يا أم بدر أوصيك بتربية أبنائنا تربية دينية صالحة وأن تدخلني بدر وعهود وخلود مدارس تحفيظ القرآن وأن تبني التلفزيون والفديو ولا تجعلوا في البيت تلفزيون وفديو وأرجو أن تسامحوني إذا استشهدت وأنا مسامحكم جميعاً.

١٤٠٩/٧/١٧ هـ

أبو الدرداء (إسماعيل عبد الله محمد المطوع) (٢) :

تبكي على الأنصل الغمود إذا	أنذرها أنه يجرد
تعلمها أنها تصير دماً	وأنه في الرقاب يهدم
أطلقها فالعدو من جزع	يفمها والصديق يحمدها
تنقدح النار من مضاربها	وصب ماء الرقاب يخدمها
إذا أضل الهمام مهجته	يوماً فأطرافهن تنشدها

أبيات أبي الطيب تصدق على كثير من الشباب المقبل على الله، المنذع إلى الموت، الحريص على الشهادة، تشغله الخاتمة الطيبة ودخول القربوس، يكون عندما تردهم عن المعركة، يتبرمون بك إذا منعهم من اقتحام الأهوال، وصدق رسول الله ﷺ : (إن سياحة أمتي الجهاد) صحيح رواه أبو داود والحاكم.

وكيف تستطيع ردهم عن أرض المعركة والرسول ﷺ يقول: (قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة).

قال أبو الدرداء القصيمي: انفتوني على الطريقة الإسلامية وفي موضع مصرعي، يحمل الثانوية العامة، وكان يردد: (الجامعة بعد الجهاد).

وكانت شهادته في الثالث عشر من شعبان (١٤٠٩ هـ) الموافق (٢٠/٣/١٩٨٩ م) مع أبي بدر الحربي في الساعة الثانية والنصف ظهراً.

(١) مجلة الجهاد العددان ٥٤-٥٥ رمضان/شوال ١٤٠٩ هـ إبريل/مايو ١٩٨٩ م ص ٤٦. (٢) المصدر السابق ص ٤٠.

أبو حسام السوري (رضوان إبراهيم المرعي الحموي)^(١)

قليل من جماعة التبليغ هم الذين أقبلوا على الجهاد، ولكن هؤلاء الذين وفدوا إلى الجهاد نفعا الله بهم كثيراً، أدب رفيع جم، طاعة عجيبة للأمير، إقدام على الموت، عفة وترفع وزهد وتواضع، صمت معبر، وكلام مؤثر، فنرجو الله عز وجل أن يكثرهم في أرض الجهاد، لأن أثرهم بالغ في النفوس سلوكاً وإخلاصاً وأدباً -نحسب- كذلك ولا نزكي على الله أحداً-.

لا يعرفون الجدل، ولا يحبون النقاش، قلوبهم مقبلة على الجهاد، والحق أنني جد معجب بجماعة التبليغ بنواح كثيرة ونرجو الله أن يعينهم على سد الثغرات والنقص من نواح قليلة باقية، ونبتهل إلى الله أن يسوق إلينا مجموعات كبيرة، منهم إلى الجهاد.

وشهيدنا هذا من جماعة التبليغ: كان يتميز سلوكه اليومي في البيت بيقين بالغ مع أولاده، فيمرض ابنه فيأتي بالعسل ويقول هذا علاجه، فيقول له ابن راحة -جاره- أرسله إلى الطبيب، فيقول له: (فيه شفاء للناس)، ويستعين بما ورد في الأحاديث للتطبيب كالعسل والقرآن والأدعية الماثورة.

منهته: ولد شهيدنا سنة (١٩٥٧م) في خان سيحون من أعمال حماة، ونجا من الموت بأعجوبة في أحداث حماة يوم أن دمرها النصيريون سنة (١٩٨٢م) وقتلوا من شيوخها وأطفالها ونسائها وأبنائها حسب تصريح أحمد أبو ككرة مدير الهلال الأحمر الدولي (اثنين وأربعين ألفاً) بالأسماء.

لدمره إلى الجهاد: مكث تسع سنوات في جماعة التبليغ، ثم استشار أمير جماعة التبليغ في الأردن فاذن له، وعمل في الشروع التربوي الصحي في داخل أفغانستان، ومكث ثلاثة أشهر في غزني يعمل في القسم التربوي، ثم انتقل إلى البنيان المرصوص ليعمل مصوراً ومراسلاً للمجلة، وكان يصور والكلاشنكوف في كتفه.

معارك جلال أباد: في (١٢/٣/١٩٨٩م) نزل إلى جلال أباد وكان مع الشيخ تميم العدناني، واشترك في عملية اقتحام مركز للشيوعيين، وفتح المركز، ولكن الله عز وجل كتب له أن أصابته رصاصة فكانت فيها منهته.

وشهد الكثير له أن دمه كانت تنبعث منه روائح المسك والعطر، فرحم الله أبا حسام، لقد مضى إلى الله وخلف وراءه زوجة وسبعة أطفال، وكانت وصيته (لا ترجعوا أهلي إلى سوريا وليبقوا في أرض الجهاد).

والحمد لله لقد تم أسر الشيوعي الذي قتله، وتم تنفيذ الإعدام بالشيوعي، ونرجو الله أن يخلفه ابنه الأكبر (حسام ١٢ عاماً) في الأسرة، وأن يكون خير خلف لخير سلف، سيما وأن حساماً يحفظ عشرين جزءاً من القرآن، ونرجو الله أن يجمعنا في الصالحين.

محطات ١٠٠

أشهر حسامك يا "حسام" (٢)

إلى "حسام" نجل الشهيد رضوان إبراهيم المرعي (أبي حسام) مراسل مجلة البنيان المرصوص، والذي استشهد في الشهر الماضي أثناء متابعته لمعركة "جلال أباد".

أشهر حسامك يا "حسام"

واقراً على الدنيا السلام

لا عاش من رضي المذلة والخنوع والانهازم

لا عاش من هجر الحسام

أشهر حسامك وامتشق ظهر الغمام

تلك الديار أيت مصاهرة الكرام

فارحل وطُف بالكون، عجل

لا يؤخر الكلام

ستجد بنا -في هذه الأرض-

(٢.١) المصدر السابق ص ٧٨، ٧٩.

البطولة والفداء والافتحام
ولسوف تخيرك الشظايا والمعام
أن درب الخالدين هنا..
وأن النصر في تلك الحطام
وأن أشلاء الشهيد غداً
ستتبت في البوادي عنبراً
رشدى وطهراً واعتصام

أشهر حسامك يا "حسام"
والحق بقافلة الرجولة والضرام
هذي دماء أبيك في جفن الثرى
تروي حكاية عاشق
ما قيدت أشواقه طُرُقُ المنافى والسجون
ما عطلته عن الوغى سبل الهوى
بل ساقه ثقل الحنين إلى الصام
فارفع جبينك يا "حسام"
وامشق حسامك وانطلق
واقراً على الدنيا السلام
لا عاش من رضي المذلة والخنوع والانهمام
لا عاش من هجر الحسام

عبدالله محمود

عبد الرحمن الإماراتي (محمد عبد الله راشد زايد) (أول شهيد من الإمارات)^(١)
إذا رجعت إليكم فافعلوا بي ما بدا لكم: هكذا كان جوابه للعقيد الذي جاء يهدده بوجوب الرجوع إلى الإمارات لأنه كان يعمل
في السلك العسكري، فالقى البزة العسكرية وأقبل إلى الجهاد يريد أن يطبق يوماً واحداً ما تعلمه في الجيش عبر السفين، إذ أنه رأى
أن الجيوش في العالم الإسلامي لا يتعدى عملها الروتين اليومي المكرر المل، ولا تؤدي أكثر من مراسم الاستقبال والتوزيع.
أما الجهاد الذي أسس الجيش من أجله قلم يذق طعمه قط ولا يحلم به أبداً.
قدم إلى الجهاد قبل سنتين، وطوّف في معظم أرجاء أفغانستان يبحث عن الشهادة [من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان
فرسه يطير على متنه كلما سمع هبة أو فرجة طار إليها يبتغي الموت مظانه].
وصل إلى حدود روسيا فجاهد في بلخ (مزار شريف) وجوزجان وفارياب، ومكث في الشمال قرابة ثمانية أشهر، ثم عاد وذهب
إلى غزني وقندهار وغيرها من الولايات.
طريقة استشهاده: في يوم الإثنين الثاني عشر من رمضان (١٤٠٩هـ)، الموافق (١٧/٤/١٩٨٩م) كنّا في جلال آباد وعلى مقربة
من المطار، فسمعنا في الصباح أصوات الرصاص بأنواعه، فسألنا فقالوا عملية للمجاهدين على المطار، واشتدت غارات الطيران على
المنطقة، والشيوعيون الآن يستعملون طائرات (اليوشن) (ناقلة كبيرة تحمل تسعة أطنان طائرة كاشفة ومحاربة تستكشف ثم تقصف
مباشرة تسير على مهلها في السماء ولكنها محلفة في أفاق عالية).
لقد كان عبد الرحمن أحد الليوث الذين شاركوا في اقتحام المطار، فأنصر شيوعياً من بعيد فصب على رأسه فُرداء قتيلاً.

(١) المصدر السابق ص ٤٢.

ويهمج عبد الرحمن (محمد عبد الله) على الشيوعي ويأخذ سلبه: السلاح ويصيح فرحاً (الله أكبر قتلت شيوعياً في سبيل الله)، وفي الحديث (لا يلتقي كافر وقاتله في النار)، وبدأ يتغنى فرحاً، فقال له الأفغاني: اجلس يا أخي حتى لا يصيبك الرصاص، فجلس يرقب، وإذا بخمسة من حمر الشيوعية المستتفزة كأنها فرت من قسورة، وأروا إلى غرفة في إحدى المرتفعات، وتوقف الأفغان عن التقدم، ولكن عبد الرحمن أخذ قنبلة من أحد الأفغان وهجم كالليث الغاضب عليهم، وفتح فتحة القنبلة وألقاها عليهم، ثم اقتحم عليهم حصنهم ليجهز عليهم وإذا ياشين من الشيوعيين، مختبئين خارج الغرفة، ففتح أحدهما رشاشه على عبد الرحمن فأصابته في صدره (٥-٨) رصاصات فاستشهد في الحال:

فلستنا على الأعقاب تدمي كلومنا ولكن على اقدامنا ينزف الدم

فرحم الله عبد الرحمن، ولقد كان لي نصيب رؤيته في المطار في أول رمضان إذ قدم ابن عمه معي من دبي إلى بيشاور فنزلاً إلى جلال آباد، وترجو الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.

عوض المالكي (عبد الله عزم الله) (١):

رن جرس التليفون وإذا بصوت فتاة تستفسر مني عن شهادة عبد الله، قلت ومن تكونين أنت؟ فقالت شقيقته، ثم قالت والذي يريد أن يكلمك: فقلت لهم شرف عظيم أن يتقدمكم إلى الله أحد أبنائكم يكون فرطاً على الحوض ويشفع لسبعين منكم إذا تقبل الله شهادته، وقرأت على والده الحديث: [إن للشهيد عند ربه سبع خصال: يغفر له مع أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويلبس تاج الوقار الباقوة منه خير من الدنيا وما عليها، ويزوج بائنتين وسبعين من الخور العين، ويشفع سبعين من أهل بيته]. فرد والده (أتشرف بهذه الشهادة).

حياته: في السابعة والعشرين من عمره، رجع إلى الله قبل ثلاث سنوات، وهو بين أربعة إخوة وثلاث أخوات، ونشأ في بيت بسيط متواضع، وهو من بني مالك، ولكنه عاش في الطائفة بجانب والده الذي يفتح بقالة في منطقة الشهداء التي ضمت إليها شهيدنا عبد الله عزم الله.

عمل في التجارة الحرة ما بين الرياض ومكة، يصوم تطوعاً، استشهد في جلال آباد بقذيفة طائرة، فنرجو الله أن تكون روحه في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شامت ثم تأتي إلى قناديل معلقة تحت العرش.

أبو سهل المكي (إبراهيم بن مرجي عائد السهلي الحربي) (٢):

في أم القرى وبجوار البيت العتيق ولد إبراهيم، وعاش فترة بعد سن الحنث مع شباب مكة، ثم رجع إلى الله فعمل مطوفاً بالبيت الحرام، وأخيراً استهوته العذراء المصون التي حمي عرضها ببحور الدماء، لقد هام في حبها كما هام غيره، وجذبت بجمالها الأخاذ ورونتها الساحر، إنها أفغانستان التي ساح المسلمون حباً بها.

إلى (بابي) -عند الشيخ سياف-، ثم إلى قندهار حيث مكث قرابة أربعة أشهر عند قاري عبد العزيز، فتعلم على الأسلحة الخفيفة، ثم عاد إلى بيشاور وقلبه يحدثه أن يعود إلى مكة ليرى أمه وأباء خاصة ولوالدته في قلبه حنين لوضعها الخاص.

ولكن أنى له أن يفارق أرض الجهاد والرباط في رمضان؟ أو يقدم صوت الحذيفي والسديسي وعلي جابر على قعقة السلاح وبريق الأسنة وبوي المدافع وأزين الطائرات، فاختار جلال آباد ومعركتها وكأن هاتفاً يتغنى باسمه:

بلذ لأنني سماع الصليل ويهيج نفسي مسيل الدما
ونفس الشريف لها غايتان وروود المنايا ونيل المنى

في جلال آباد: وهناك حيث المنايا تتوارد على الشباب من كل ناحية، جلس إبراهيم بجانب خيمة يتلو القرآن والطيران الذي أصبح شبحاً رهيباً خاصة الأنواع الجديدة (اليوشن) الناقلة ذات حمولة التسعة أطنان، ومرت الطائرة وألقت قذيفتها، وانتزعت شظية من شظاياها روح إبراهيم، وترجو الله أن يجمعه بجده إبراهيم عليه السلام مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وفي مقبرة الشهداء في (باب خيبر/طورخم) يثوي هذا البطل بجانب أخويه عبد الله النهدي وعلي عبد الفتاح.

(٢ ١) المصدر السابق ص ٤٣ - ٤٢.

أبو عبد الله الجزائري (مجاهد بريك) (١)

غادر الجزائر منذ ست سنوات وتوجه نحو قبلته في الحجاز، ومكث هناك وفي سوريا هذه السنوات، ولكنه كان يحس بأنه لا طعم لهذه الحياة التي لا تتجاوز اهتماماتها لقمة الغذاء وقطعة الكساء، وكانت تتراعى إلى مسامعه أخبار الجهاد في أفغانستان وتقتض عليه مضاجعه، ويشعر بتأنيب الضمير في الأعماق، وأخيراً حطم القيود وسار إلى بلاد الأسود.

في فرخار: التقيت به مع مجموعة عربية يقودها أبو الحسين المصري، وكان لقاءً ممتعاً مع أحمد شاه مسعود، وقد ألقوا عليه مجموعة من الأسئلة، وبتنا تلك الليلة في المركز التعليمي في فرخار، وفي الصباح ودعتهم وكان اللقاء الأخير في هذه الدنيا.

إلى عهد الفتاح أمير كتيبة الملائكة: وسارت الكوكبة إلى عبد الفتاح حيث الكتيبة التي نذرت نفسها للإصلاح بين المجاهدين، مع نظافة في السلوك وطهارة في الأخلاق، وسرّ الجميع بعبد الفتاح وظلوا معه.

عملية عسكرية: ولقد كان مركز عبد الفتاح محط أنظار طائرات العدو، فلا يكاد يمر يوم دون أن تصبحه بغارة أو تمسيع بهجوم وحشي، وذات يوم جرح أحد الإخوة بالقصف فهرع إليه مجاهد (وكثير من الأسماء لها من مسمياتها نصيب).

وأورد نفسي والمهند في يدي موارد لا يصدرن من لا يجالد

محرمة أكفال خيلي على القنا محلة لباتها والقلائد

(أكفال: مؤخرة، القنا: الرماح، لباتها: نحورها)

هرع مجاهد لينقذه، وإذا بالقذيفة الإنشطارية (العنقودية) تنزل من الطائرة وكانت تحمل معها شعوباً (المنية)، واستشهد رحمه الله في الحال، وترجو الله - عز وجل - أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.

أبو عمر المدني (ماجد عبد العزيز المغربي) (٢):

وهكذا اختار ماجد طريقه فلم يأس بمكة رغم الأوس الذي تشيعه في الجو نفحات البيت العتيق، ورغم وجود إخوانه فيها، ولم يرتح لجو بيشة مع تلك النسمات الباردة التي تختلف في مناخها عن بقية الجزيرة عدا أن أباه يعمل فيها، إنه مستوحش من الحياة بين الأحبة والأهل، ولا غرو في هذا فقد هامت روحه هناك مع قصص الأبطال وسير الذين يصنعون التاريخ من جديد بدمائهم وأرواحهم، على مشارف كابل وفي أوهام بغلان وفي أنجاد بروان، وحطم الأصفاء، ومزق الأغلال، وأقبل إلى أرض الأبطال والنزال.

كان شخصية تبدو عليه ملامح القيادة، فاستلم قيادة ماني كانداز، وفي زيارته الأخيرة لأمه حاولوا أن يقيدوه بأغلال الدنيا ويوثقوه ببعض إغراماتها، فعرضوا عليه سيارة وزوجة ووظيفة، وكان لسان حاله يجيب (يا قوم أتم في واد ونحن في واد).

في جلال أباد: وجاءت الشهادة قرب تمرخيل على مشارف جلال أباد في يوم عزيز على المسلمين، حيث فتحو مناطق واسعة، وأذل الله فيه الكفر وأهله.

وكان معه أبو يونس السعودي وأبو طارق اليماني أمير برو ومنير المدني وهداية الله الكردي، وقد شهدوا أن وجهه كان مستثيراً مشرقاً بإشراق الشهادة - إن شاء الله - ولا نزكي على الله أحداً، وأنهم شعروا من دمه رائحة المسك.

وفي (برو) مركز العرب ثوى ماجد تحت التراب، ولم يمض لأن ذكره لا زال بين الأحياء، ولعل الله يتقبل شهادته (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون).

وكانت شهادته في اليوم الأول من شعبان سنة (١٤٠٩هـ) الموافق للثامن من مارس سنة (١٩٨٩م)، فرحمه الله رحمة واسعة وتقبله في الصالحين.

من صفات أبي عمر المدني الإيثار، والحق أن الإيثار صفة تجدها في كثير ممن وفدوا إلى الجهاد، لأن أرواحهم معروضة على الرحمن أنبيخل، بما دونها؟ لقد رتب ذات مرة عملية ضد أعداء الله، واتصل باللاسلكي وأطمأن على سير المعركة، وكان يحمل مدفع (٨٢) وبجانبه صاحبه الذي يحدث عنه، وكانت العملية في (ماني كانداز)، وبعد أن وضع القذيفة في المدفع أخرج يده ليضغط على الزناد فأصابته رصاصة في يده، ولم يكن في الموقع سوى بطل واحد، فقال صاحبه: قدمته لماجد ليركب فرفض، إذ كان بجانبه جريح آخر، فأركبه على البطل ومشى ماجد ساعتين حتى وصل المركز الخلفي (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون).

(٢.١) المصدر السابق ص ٤٧.

عكرمة الجزائري (بيبي عبد المالك)^(١):

في بيت عالم من علماء الجزائر ولد شهيدنا، وماذا تكون التسمية، لقد جاء الاسم من وحي الكتب التي يدرس بها والده، ويتبع فقهها ويدرس تعاليمها في المسجد، فكان الاسم على اسم إمامهم وفقههم مالك.

كان ذا قامة فارغة ومضلات بارزة، عنده ولم شديد بالمطنة. ومن أحب ساعاته أن يخلو بكتاب في زاوية من زوايا بيت الضيافة حتى لا يزعجه أحد ويقطع عليه خلوته وحبال تفكيره.

عبادته: كان صواماً قواماً، كثير التعبد والتفعل، ففاته بعض إخوانه بأمر النافلة قائلاً له مقالة ابن عمر رضي الله عنهما عندما رأى مجموعة من الصحابة والتابعين يتنفلون في السفر فقال: (لو كنت مسيحياً لأتممت الفرض).

قال عكرمة: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فصافحني ثم قال: يا عكرمة أتريد الشهادة؟ فقلت: نعم، فقال: لا تقب، فسألت أحد العلماء عن تعبير الرؤيا فقال لي: أي حافظ على التوافل والسنن التي التزمتم بها.

ملاحظة: أما بالنسبة لصلاة النافلة في السفر، فالسنن المستحبة كصلاة الضحى وقيام الليل فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه كان يصليها في السفر. أما السنن الراجية (المؤكد) فقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه ما كان يدع الوتر ولا سنة الفجر في سفر ولا حضر. وأما سنة الظهر القبلية، فقد ثبت عن البراء بن عازب في رواية أبي داود الحسنة قال: خرجت مع رسول الله ﷺ ثماني عشرة مرة فما كنت أراه يدع ركعتين إذا زالت الشمس قبل صلاة الظهر. أما سنة المغرب فقال النووي: إنها داخلة في صلاة الليل وقيامه.

التدريبات: كان عكرمة شاباً ناشجاً، فكان مهتماً بنفسه وروحه، فيكثر العبادة لتقويتها وتغذيتها، ويقوم الليل لإشباعها وإسعادها، ومهتماً بعقله فكان الكتاب خير جليس له، وكثيراً ما كان يجلس إلى أبي يحيى المصري ويسأله ويستفسر عن بعض الأحكام، وكان مهتماً بجسده تدريباً وتمريضاً فكان يأخذ بكرة للملاكمة.

كان رحمه الله جاداً لا يمزح بل يهاب إخوانه أن يمزحوا معه، ويبكي أحياناً عندما يقرأ القرآن، وكان يوصي إخوانه (إياكم والمثبطين والمرجفين) لا تسمعوا لهم.

دراسته: تخرج من كلية الهندسة المعمارية.

في الجهاد: سلمه الإخوة إمارة جاجي، ثم ذهب إلى قندهار وأقام في غرفة (أوطاق محمد أيوب)، ثم دمر العدو الغرفة وقطعت يد مالك، ثم قرر القائد بناء غرفة أخرى بعيدة عن أنظار العدو، وخلال أسبوع كانت الغرفة الجديدة قد أقيمت، وقد أسهم مالك في بنائها إسهاماً كبيراً.

القتال في قندهار: والقتال في قندهار شرس، ورحى الحرب طاحنة دائرة، فقد قرر القائد عبد الرزاق إقامة غرفة (أوطاق) على بعد ثلاثين متراً من الشارع العام ويعدّها بدأ تصيد السيارات المارة.

وعلى مقربة من الغرفة إذا بسيارة جيب تقف، فأمر عبد الرزاق بضربها، فحمل عكرمة قاذف الـ (R.P.L) وصعد فوق الغرفة وضربها، وإذا بالنيران تنصب على الغرفة ومن جميع الأسلحة، وانهمرت القذائف بأنواعها على المجاهدين، حتى كانت طلقات العدو تدخل من الفتحات الخاصة التي يطلق منها المجاهدون.

وسرعان ما دخلت طلقة من رشاش شلكا (٢٣) ملم وأصاب رأس عكرمة، وانفجر الدم كالشلال يتصيب من رأسه، وبعد ساعتين أسلم الروح، ودفن هناك بجانب أخيه أسد الرحمن.

لهفي على فئة رزئناهم أشاوسة ججاج

وهكذا يمضي الركب إلى الرحمن وفات الدرب يحنو.

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واثقوا أجر عظيم) (ال عمران: ١٦٩-١٧٢)

(١) المصدر السابق ص ٤٨.

أبو سياف المصري (جمال رشدي عبد الغفار)^(١):

البساطة وسلامة الفطرة هي الطابع البارز في شخصية جمال، وقد عمق الريف المصري هذه البساطة وأضفى عليها الرطوبة والنخوة والإصرار.

دراسته بسيطة، لم يثوث بآدراة المدنية ولم يفرق بنوحالها، درس في معهد للخطوط، ثم دار مع عجلة الزمان فألقت به في عمان حيث عمل خطاطاً. أما إسلامه فذاك الذي رآه من أمه وأبيه، إلا أنه كان يقطع في الصلاة أحياناً، وفي الشركة التي يعمل بها جمعه الله بأخذ إخوانه الملتزمين، وما زال يسلك إلى قلبه كل سبيل لعله يسير في سلوكه على الخط الإسلامي، أو يلتزم في سلوكه بالنهج القرآني، ثم كتب الله له الهداية على يدي هذا الشاب.

مجلة الأمة (قبل اغلاقها): وقرأ في مجلة الأمة مقالاً عن الجهاد الأفغاني، وقد هزته روعة الجهاد وشدة منظر الليث الأفغان بلحاهم وأسلحتهم التي تزين أكتافهم، وعيونهم التي تقدح شرراً، فتعلقت روحه بالجهاد، وصار شبحاً مع الخطوط التي يخطها لقاء لقمة العيش، وأما روحه فهي هائمة مع الأسود، سارحة بعيداً ولن تعود، فلا بد أن يلحق بها.

في حالة البعد روجي كنت أرسلها تقبل القوم عني وسي نائبتي

التأشيرة الباكستانية: وبدأ يسعى لأخذ التأشيرة الباكستانية التي صارت تضاهي في صعوبتها ومرارة الحصول عليها تأشيرة الدول البترولية أو الغنية بل أشد.

وعبثاً يحاول جمال وهو ينزع الشوارع مقتلاً بين السفارتين الباكستانية والمصرية والكل يصده ويرده.

وعندما رأى صاحبه الملتزم الذي دله على الله حرصه على الذهاب إلى أفغانستان للجهاد صار يحاول أن يشفيه عن عزمه، أو يفتر همته المثوبة للانطلاق إلى ذروة سنام الإسلام، وكذلك صاحب العمل بدأ يشككه بهذا الجهاد، ولكن لسان حاله يقول لهم:

لا تعذليه فإن العذل يرلمسه قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعه

جاوزت في نصحه حداً أضرب به من حيث قدرت إن النصح ينفعه

فاستعجلي الرفق في تأنيبه بدلاً من عنفه فهو مضنى القلب مرجعه

وعندما رأى صاحب العمل حاله وإصراره رقى لحاله ودأف به وصمم أن يساعده في أخذ التأشيرة، ويقدر من الله أن المالك متزوج باكستانية، فأخذ زوجته مع أبي سياف إلى السفارة بعد أن اشترى تذاكر ذهاب وإياب، وقال للسفارة بأنه يريد زيارة أهل زوجته مع هذا الرجل.

ونال التأشيرة وطار فرحاً بها وأخذ يرقص بها في الشارع طرباً كالمجنون، أما التذكرة فكانت من إمام المسجد الذي يصلي فيه.

إلى باكستان ثم مصارع العشاق: تدرب جمال في معسكر صدي، ثم صمم على الذهاب إلى مصارع عشاق الحور، وكان الكلام عن الحور يشغله كثيراً، حتى إن وصيته بدأها: (عندما تقتحمون هذه الوصية أكون مع الحور العين يا عيني على الحور العين).

إلى قندهار مقبرة الأبرار وأرض العز والفخار، وإلى أوطاق (غرفة) محمد أيوب آغا (أوطاق الشهداء)، والتقى مع أسد الله المصري وهما من منطقة واحدة، فالبطالان من طنطا من قريتين متجاورتين.

كان صاحب نكتة حاضرة ومرح كثير، فعلا الجو الذي يعيش فيه أنساً، وغابت رهبة الموت ووحشة المعارك الضارية بهذه الروت المرحية المنطلقة مع سجيته، المعبرة من الحب للإخوة الذين حوله، فأصبح حديث الأفغان والعرب وأضحى مع أسد الله يمثلان قطبي الرحي بالنسبة للغرفة.

ومضى أسد الله إلى ربه، فشهد الأمر إلى الله، وبدأت الجدية لفترة تظهر عليه، ورأى أن الشهداء الماضين إلى الله معظمهم صوامون فجذب بالصوم، فكان في أواخر أيامه يصوم الاثنين والخميس.

(١) المصدر السابق ص ٤٩.

وأخذ ينتقل من موقع إلى موقع جاداً في طلب الموت، يلقي بنفسه في غمار المعارك المضطربة:

فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بعستطاع

واستشهد عكرمة وجمال لا زال ينتظر الشهادة.

وفي اليوم التالي لاستشهاد عكرمة وفي نفس المكان خاض معركة، فأقبلت منيته بقذيفة اختلطت روحه وجرحته أخاه أبا أنس اليماني جراحاً بالغة.

مضى أبو سيّاف خاطئاً بدمائه أسطراً في سفر الخلود، خلود المبادئ التي تروى بالدماء، وغاب شبح أبي سيّاف ولكن روحه ترفرف فوق إخوانه الذين عايشوه ولم ينسوه، وأنى لهم بنسيانهم؟ وكيف لهم أن ينسوا قرآنه الذي كان يقرأ بصوت كبار المقرئين عبد الباسط والمنشاري، فكان يقرأ القرآن أحياناً فيسمع بعض الإخوة فكانما يسمع للمنشاري وكبار القراء.

وصيته لوالده: (في وصية لوالديه يقول: أوصيكم بمتابعة الجهاد لأنه عزة المسلمين، وأرجو منكم أن تصبروا ابتغاء مرضاة الله إذا كتب الله لي الشهادة، كما أوصيكم بتربية إخواني تربية إسلامية، وتعليمهم أمور دينهم، وأن تعلموهم القرآن، وأن تلبسوا أخواني البناات الزي الشرعي، وعندما يكبرن -إن شاء الله- تزوجوهن لمجاهدين).
فإلى رحمة الله يا أبا سيّاف، ونأمل أن يتقبلنا ربنا في الصالحين.

أبو أحمد (عبد الله أحمد أحمد حكيم)^(١):

شاب سعودي بسيط، مكث سنة ونصف سنة يتردد بين الجبهة والسعودية وكان في فترته الأخيرة بين رجب وشعبان متردداً أيقضي شعبان عند أمه أم في خنادق القتال وأخيراً سمع أن يتصل بالشيخ ابن باز وحاول ولم يوفق في الاتصال، وكان بجانب أخ سوري يدعى أبو ريان يثق به ويسر إليه بخاصة نفسه، فأقضى إليه بما يدور في خلده، فنصحته بأن يتوجه معه إلى قندهار، وتوجه الاثنان مع أخ ثالث لهما وهو أبو عبيدة السوري.

توجه الثلاثة إلى (جكيري) وكان ذلك في يوم الثلاثاء غرة شعبان حيث حطوا رحالهم في (بيري غند) قرب المطار، وفي اليوم التالي كانت عملية موثبة ما بين الظهر والعصر، فأخذ الإخوة أماكنهم في رأس الجبل مع إخوانهم الذين يصل عدادهم خمسة عشر شخصاً، وكان الدبابات قد صويت فوهات مدافعها إلى هؤلاء الإخوة، وجاء الأمر بإطلاق النار على العدو، ثم أمر بإيقاف الضرب، فتناول عبد الله مصحفه وأخذ يقرأ، وفجأة أظلم الجرد وتناثر الغبار على أثر قذيفة دوت بينهم، وصمت الجميع في دهول مريب، إذ دفن الجميع بالتراب المتناثر، وبعد دقيقة نهض أبو ريان ينفض عن نفسه الغبار مع ضحكة عالية ويتفقد نفسه ليرى الجراح، ووجد نفسه مع أخيه أبي عبيدة سالمين من الجراح.

وهناك وبجانبهم كان المصحف الذي تطاير غلافه، وبجانب المصحف غطاء الجمجمة الذي أودت به شظية كبيرة، وعلى مقربتها كان أبو أحمد (عبد الله) مجتهداً بجراحه وقد لفظ روحه مباشرة مع انفجار القذيفة.

وعلى طريق الخلود يمضي مع الركب عبد الله، ولا سبيل لإيقاف هذا المركب السائر إلى الله، فقد عرف طريقه إلى خالقه وغايته وهدفه، إنها نفس السكة التي سارت عليها قاطرة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون).

وترامى إلى مسامع الدكتور المربي الذي كان يعقد لهم جلسة القرآن الصباحية أن أبا أحمد قد مضى إلى ربه، فعلق قائلاً «ويتخذ منكم شهداء»، ويببو أن الله عز وجل قد نظر إلى صفاء نفسه وطيب سريرته فاختره إليه، إنهم تلاميذ القرآن أمل الله وخاصته.

فترجو الله عز وجل أن يمن علينا بحياة السعداء وخاتمة الشهداء والحشر مع الأنبياء عليهم السلام.

(١) المصدر السابق ص ٥٠.

أينما نومي يحسون

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد حمي الوطيس، واشتد الضرام، وتأجج أتون القتال، وأقبل الشباب من كل حذب وصوب يستعذبون ورود المنايا، وما لهم لا يقبلون على حوض الحمام إذا كان في الحمام الجنة، هي كأس لابد أن يشربها، فلتكن هذه الكأس على هذا الطريق الذي يوصل إلى دار السلام. إن هؤلاء الشباب من صفوة أبناء هذا العصر، هجروا زهرة الدنيا التي أقبلت عليهم، فأكبت على أقدامهم فركنود وخرجوا ركضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وحب المعاد، ما ضاقت عليهم الدنيا حتى جاوروا وألقوا بأنفسهم بين برائن الموت وشهر المنايا، ما عضهم الجوع بنابه، وما هربوا من قبضة طاغية، ولا طفقوا في الأرض يتتبعون الرزق والكلا، وما هجروا بلادهم طمعاً في إكمال دراستهم الجامعية، ولا بحثاً عن وظيفة في شركة أو متجر أو مصرف، ليس شيء من هذا كله.

إنهم خرجوا ابتغاء مرضاة ربهم -كما نحسب ولا نزكي على الله أحداً-، يؤنون فريضة القتال، ويسعون للصعود رقباً لكسب أعظم الآمال وهم دخول الجنة برضا الكبير المتعال، كم من هؤلاء الشباب كان وحيد أبويه، وترك أمه طريحة الفراش بجلطة أو غير ذلك مجرد سماعها أن ابنها قد نقر إلى الجهاد في سبيل الله، كم من الأمهات قد غبن عن وعيهن لمجرد سماعها أن ابنها في أفغانستان لقد بلغني أن والدته ياسين عبد الشكور الحميدة لا زالت في صدمتها منذ أن بلغها شهادة ابنها، ولا زالت لا تستطيع أن تعرف من يقف أمامها، وبلغني عن الشهيد سراقه أن أبويه قد سقطا مشلولين لمجرد تلقي نبأ الشهادة.

ولا يعلم إلا الله كم يعاني هؤلاء الشباب من آلام بسبب مواقف آبائهم ومشايخهم، وكم يتخطون من حواجز أمنية وجغرافية وكم يلاقون من عنث وهم ينتقلون من قطر إلى قطر طمعاً في نيل تأشيرة باكستان للوصول إلى أرض الجهاد، ولك أن تسطر من قصصهم أسفاراً نفيسة وملاحم غريبة، وفي مستشفى الهلال الأحمر الكويتي أحد إخواننا الجزائريين الذين كانوا يعملون في فرنسا، فاجلس إليه ليحدثك عن الفرائب التي واجهها حتى وصل إلى أرض باكستان، فمن فرنسا إلى تركيا إلى سوريا، ومكث في سوريا ستة أشهر بين المخابرات والسجون والمساجد والسفارات، لا يجد مأوى ولا طعام ولا تأشيرة، وأخيراً إلى إيران، ثم السير من إيران إلى باكستان على الأقدام، ويزج به في السجن في باكستان قليلاً ثم يخرج، إلى أن وصل إلى أرض المعركة وأصيب بكسر في قدمه. وعندما يقبل الشاب من بلاد العرب يرثي لحاله بعض المشفقين المتعقلين. ويسر لخروجه نوره النظرة العسيقة البعيدة، ويفج بفرقه أرحامه وبعض معارفه، ويحزن بعض الدعاة لمغابته مكانه شاغراً وقد كانوا يعتقدون الآمال على وجوده في بلده هناك.

ولكن خروجه كان خيراً للجميع: أما من ناحية أهله وأرحامه فكم رد خروجه من المصائب عن البيت، وكم من العذاب رده عن نويه ومنطقته بنفيه في سبيل الله، وكم من الدعاة الجدد قد اجتنبهم إلى دعوته دون أن يعلم شيوخه وأساتذته. إن قصة هذا الشهيد قد انتهت في نظر أهله وأصحابه على مشارف جلال أباد برصاصة أودت بحياته، ثم دفن تحت صخرة من صخورها، أو في مغارة في جبل من جبالها، وهنا أسدل الستار على آخر فصول المسرحية ولكنهم لا يعلمون.

لا يعلمون كم من الخير صبه الله على أهله بشهادته، وكم من الرزق والعافية سيق إليهم بسببه، لا يعلمون كم خبا الله له في عالم الغيب من أفراد تهتز بقصته، وترجع إلى الله بمعرفة سيرته، وتحيا قلوبهم بذكره، وترتبط بالله من خلال نفرته.

لا يعلمون أنه مع أمثاله يحيون فريضة غابت عن واقع المسلمين منذ عهد بعيد، ويروون بدمائهم شجرة هذا الدين حتى لا تجف عروقها أو تذوي أغصانها، لا يعلمون أن التمكين للمؤمنين في الأرض إنما يكون بجهود أمثال هؤلاء المخلصين هدية من رب العالمين، وتفضلاً من خالق الناس أجمعين.

لا يعلمون أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد قضى نحبه في أعماق سجن القلعة سنة (٧٢٨ هـ)، وبعد ستة قرون ونيف يخرج الله البترول في منطقة تآثر به علماءها فيعيدون طباعة كتبه وتوزيعها على العالم، حتى لا تكاد مكتبة إسلامية في الأرض تخلو من كتبه. وأصبح ابن تيمية الشيخ المقتفى والمثل الرائع الذي يحتذى على نفس الطريق الذي سار عليه سيد المرسلين ﷺ ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

إنهم لا يعلمون أن سيد قطب قد مضى إلى الله بإعدامه في غرفة مظلمة في سجن الاستئناف في القاهرة، ولا يعلم أهله حتى

الآن مكان قبره، وقد ظن الدعاة أن استشهاده خسارة كبيرة للدعوة الإسلامية، وإذا باستشهاده دفعة قوية لموكب الدعاة، ولم يكن تفسير في ظلال القرآن قد طبع في حياته سوى طبعة واحدة، وفي عام استشهاد طبع سبع طبعات، حتى أصبح أصحاب المطابع النصرانية إذا أشرفت على الإفلاس نصحه بعض أصحابه أن يطبع كتب سيد لينقذها من الإفلاس.
إنهم لا يعلمون، ولو نطقت أرواح الشهداء لقال: (ألا ليت قومي يعلمون).

الشهيد عوض بن علي (ابن مبخوت العرادة شيخ من شيوخ عبدة / مأرب) (١):

قبل ثماني سنوات عرفت في بيته في مأرب مع مجموعة إخوانه، ليوث تتلمذ التفت تحت سقف واحد، تربية إسلامية رفيعة، أدب جم، رجولة وحياء، كرم وإباء، صمت العقلاء ونطق الحكماء، يتكلمون بقدر كلاماً كأنه عد الجواهر واللاكن، وعلى سجيبتهم قاموا وذبخوا شاة أو اثنتين إكراماً لي، ثم خرجنا قبيل الغروب خارج مأرب، وأخذوا يشيرون إلى المنطقة التي صدوا بها هجوم الشيوعيين القادمين من الجنوب، وهم كأبناء قبائل تقتضي الرجولة أن يكون السلاح جزءاً من حياتهم، وكل واحد منهم كأن لسان حاله يتقنى:

أطرح الجد عن كتفي وأطلبه وأترك الفيث في عمدي وأنتجع
والمشرفية ما زالت مشرفة وراء كل كريم أو هي الوجع

وودعت هذا البيت الذي علق به قلبي ثم عدت.

ومرت الأيام، وذات يوم كنت في بيت الأخ أسامة بن لادن في جدة وإذا بعوض يدخل، وسلمت عليه، وكان ذلك في فترة الحج، ثم عدت، والنفوس التي تعتاد خوض المأيا يصعب عليها أن تتبع في الزوايا، وترامى إلى مسامعه أخبار الجهاد في أفغانستان وأزمع السير إلى جبال العزة فيها، وأقبل إليها زائراً مع الشيخ عبد المجيد الزنداني سنة (١٤٠٤هـ)، ثم عاد وتعلق القلب بما يشغله عن الأهل والولد.

وتلفت الميدان هل من طارق هل من صلاح

ويقول هل من ضيفم عن طهر أمته يلاحي

وأقبل أبو طارق تاركاً وراءه أولاده وأحفاده، واستقر به المقام في مأسدة الانصار، وكان قد مرّ عليّ في صدا، وألفت نفسه جو البطولة والفداء، وارتاح قلبه للحياة بين الضراغم، وأطمأنت نفسه للحياة تحت ضجيج المعارك وصيليل السلاح وقعقة المدافع ودي الطائرات وأزيز الرصاص.

وأخذ يتردد بين خوست وبين جاجي، وبعد فتح تشاوني انتقل إلى خوست حيث تجمعت سرية أو أكثر من الإخوة العرب.

إلى جلال آباد: وبدأنا نوزع إخواننا العرب على المناطق الساخنة ذات المعارك الضارية، واخترنا لكابل أميراً، ولنروان وكابيسا، وبقيت جلال آباد، فقال أبو عبد الله: أنا أقترح الأخ أبا طارق اليماني أميراً، فارتاحت النفوس لاختياره.

وتوجه أبو طارق إلى جلال آباد، وحل في قرية (برو)، وتجمع حوله ثلة من أرقّة القلوب ونوي الحكمة من أرض أبي موسى الأشعري، وزدتهم مع الدكتور أبي عصام هناك وفرحنا بهم، وكما كان سرورهم بنا عظيماً في السابيع والعشرين من رجب (١٤٠٩هـ) الموافق، (٥) مارس سنة (١٩٨٩م)، وبتنا ليلة عندهم ثم عدنا في اليوم التالي، ولقد كانت غبطة أبي عصام بهؤلاء الليوث جد عظيمة.

فتح (ثمرخيل): وفي نفس اليوم الذي غادرنا فيه بدأت المعارك على "ثمرخيل"، وكان لهؤلاء الشباب دور طيب في فتحها، وترى أبا طارق يزمر بين هؤلاء.

أسد فرائسها الأسود يقودها أسد تصير له الأسود ثعالباً

وافتح المجاهدين منطقة واسعة وغنم غنائم كثيرة.

وانتقل أبو طارق: ونقل أبو طارق سريته إلى خط التماس مع العدو، ووصلت قرب جلال آباد في العاشر من رمضان، وعلمت أن أبا طارق في المقدمة.

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٦ من ٢١ ذو القعدة ١٤٠٩هـ - يونيو ١٩٨٩م.

وفي اليوم العشرين من رمضان جاء أبو طارق من حصن أندر الذي نحر بعض الحجاجات والأسلحة، ورايد فقارني: إن كاتب
عن أبي رقية تثير علينا الناس. فأبى رقية ليس من فخذنا إنما هو من فخذ آخر، ومدحك لوالدي يثير حفيظة اليساريين والقوميين
علينا، وحبذا لو لم تكتب عنا، فقلت له: اجتهدنا، فإن أخطأنا فمننا ومن الشيطان، وإن أصبنا فمن الله.

ثم جلس إلى أبي عبد الله وقضى حاجته وأخذ لوازمه، ثم أراد أن يسير فامتنعتني وكنت أجلس في المغارة، فجاء إليّ وودعني،
وكانت هي اللحظات الأخيرة التي ودعته بها في هذه الحياة يوماً الحادي والعشرين والثاني والعشرين من رمضان (الأربعاء
والخميس)

وقد خاض المجاهدون ومن بينهم الإخوة العرب معارك شديدة في مدين اليومين، وفتح الله عليهم خمسة مراكز من مراكز
الكفر، منها مركز قوي، وأصبحت الدبابات تفر من المجاهدين، ومئات الكفار قد أطلقوا سيقانهم للريح هرباً بحياتهم، ولحق بهم
المجاهدون يطاردونهم

تتدفقت جند العقيدة أنهرأ في كل سباح
تزهو بالوية الغداء وبالبطولات الصبحاح
وتقول إن شمع العطاء فنحن للدين الأضاحي
وجلاؤها القرآن عنوان الهداية والفسلاح
والنصر يجنى بالدماء وبالغناء وبالصفاح

يرى أبو طارق وهو في مجموعة الحماية هذا المنظر فيطير قلبه ليحقق بهؤلاء المجاهدين الذين يطاردون أعداء الله، ويستأنن
المرّة ثلث المرة أن يشبع نهمه ويشفي غليله من هؤلاء الكفار، وأخيراً أذن له أبو عبد الله، وانطلق أبو طارق كالهزير يحمل مدفعه
الصاروخي على كتفه لـ R.P. وأمامهم ثلاث دبابات مازية. أو تصدقون أن الدبابات هاربة والليوث تطاردها؟ (سئلني في قلوب الذين
كفروا العرب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وما أوهام النار ويشن مشوى الظالمين) (ألصمران: ١٥١).

وبعد أن ثبقت الدبابة الثالثة أنها قد تجاوزت مرمى المدفع استدارت وأطلقت قذيفتها، وجاءت القذيفة في نحر أبي طارق،
واستشهد في الحال مع اثنين من إخوانه الأفغان، وجرح أربعة من الأفغان، وهكذا وفي شهر واحد نفد عمودين من أعداء الجهاد ومن
بلد واحد. لقد فقدنا أبا مسلم الصنعاني الداعية (عبد الله النهمي)، وفقدنا عوض بن علي مبخوت العرادة قمة من القمم، وفي نفس
الشهر سار على الطريق علي عبد الفتاح وعابد الشيخ محمد.

وجاء الخبر باللاسلكي، وتساعلت عن اسم الشهيد فقالوا: أبو طارق، فذرفت عينا، ودار حوار الأمان بين الأدواح:

وهمت على خدي الدموع فقلت ياروحي وراحني
هل رحمت قلوبنا فعدلت عن هذا السراح
فأجابني البطل المسجي هزناً بي باقتراحني
كفكف دموعك ليس في عبراتك الحرى ارتياحي
هذا سيليبي إن صدقت محبتي فاحمل سلاحني
فيه إلى القدس الوصول والكرامة والنجاح

ولني لأرى من خلال الشهداء الذين يتساقطون على دروب المجد مصداق الآية الكريمة (ويتخذ منكم شهداء)، فالشهادة اختيار
راضطفاء واتخاذ واجتباء، والموت لا يتعلق بخطر، والسلامة لا ترتبط بحذر، إنما هو اختيار رب العالمين لصفوة عباده المخلصين.

ونرجو الله أن يكون قد تقبله في الصالحين وأن يجمعنا به في القربوس الأعلى، وأبتهل إلى الله عز وجل أن يلهم والده وأبناءه
وأحفاده وأخواته الصبر والسلوان، وأن يجبرهم في مصيبتهم وأن يعوضهم خيراً.

الوأي في استشهاده: لقد رأى عدة إخوة أبطارق ويشروه بالشهادة، وكان أول من رآه أبو مسلم الصنعاني (عبد الله النهمي)
ويشروه بالرفيا.

وكذلك حدثني أبو أحمد الأنسي قال: رأيت إحدى وعشرين امرأة جميلة في قصر من القصور، ونادى مناد هذه النساء للمجاهدين، فقلت في نفسي: أختار أجملهن، ولكني رأيتهن جميعاً كأنهن خلقة واحدة لا تستطيع تمييز واحدة عن الأخرى، وبدأت النساء يخترن أزواجهن، فتقدمت واحدة واختارت أبا طارق.

ورآه أبو عبدالرحمن النأري في قصر كبير، فدخل عليه أبو عبدالرحمن ومجموعة، فاقبل عليهم أبو طارق في قصره، وقدم لهم ألواناً من الفاكهة والطعام، وفجأة دخلت القصر امرأة جميلة، فبدأ أبو طارق وكأنه يستعجل الضيوف بالخروج ليجلس مع زوجته. ورأى عبد الجبار الشرقي في منامه -وهو في جلال آباد- مجموعة من أهل اليمن، فسألهم عن أبي طارق، فقالوا: استشهد أبو طارق.

رائحة المسك: وشهد لي الإخوة الأربعة اليمانيون الذين رافقوه في المعركة وبعد الاستشهاد إلى مثواه الأخير في "بابي" أن رائحة المسك كانت تعيق بأريجها فتعطر الجو وهي تنبعث من جسده.

الشهيد أبو حامد الغامدي (عبد الواحد حامد آل حمدان الغامدي)(١):

الساعة الثالثة تقريباً قبل الفجر رن جرس التلفون، فهببت من نومي لأرد عليه، وإذا بصوت متهدج يقطعه البكاء ويقول: معذرة لإزعاجك، فما كنت لأزعجك لولا أنني أريد الاستفتاء في أمري، لقد انتهت محاضرة الشيخ تميم قبل قليل، وسألت في أمر قدومي فأشار إليّ بالقدوم، رغم أن أمي تعمل في طيات قلبها جلطة قد تؤدي بحياتها لأول مرة، ووالدي يجري السكر في دماغه عالياً مقلقاً. إلا أن استشهاد أخي أبي حامد ومحاضرة الشيخ تميم قد جعلتني أزهد في الحياة، ومن تكون يا أخي؟ فأجاب إنني أبو سليمان الحضرمي، ولكنني تركت كلمة حضرمي حتى لا يشم منها رائحة القومية الجاهلية الممتنعة، فأتنا (أبو سليمان المهاجر).

وأخذ أبو سليمان يعدد على التلفون مناقب أخيه في الله عبد الواحد الغامدي، فقال: جمعني الله وإياه في شقة واحدة في سكن الحرم الجامعي عمارة (٨) شقة (٢-٣)، وكان في الغرفة الرابعة، فكان يطلب مني أن أترك باب البلكونة مفتوحاً، ويعتذر أنه قد يحتاج من ثلاثتي في الليل كأس ماء باردة أو حبة فاكهة، ولكن الحقيقة غير ذلك، فقد كان إذا جمع الناس في مراقدهم وانتصف الليل وتجاوز إلى الواحدة قام أبو حامد وتوضأ وبدأ صلاته، وكان طويل القيام، فكنت أرى ركعته قد يمتد بها الزمن ثلث أو نصف ساعة، فهو قوام صوام، وممن تعلم قيام الليل؟ لعله من أحد أساتذته أو زملائه العابدين في قسم الدراسات الإسلامية في جامعة الملك عبد العزيز، ولعله من أحد مشايخه في الباحة التي كانت مسقط رأسه وعلى أرضها درج وقضى لبانة شبابه، أو لعل أحد أشقائه الذين يعملون في الرياض والطائف قد أثر عليه بسمته ودله وسلوكه، أما والده فقد مضى إلى الله -عز وجل- منذ فترة.

وفي جلال أهداد: وفي العشر الأواخر وأثناء الفترحات المؤزدة كنت في مغارة على مقربة من المعركة تراسى إلى مسامعي صوت أبي الزبير -والله أعلم- على اللاسلكي الذي يتابع أخبار المعركة قائلاً: لقد استشهد أبو حامد الغامدي، وهكذا مضى على الطريق أسد من أسود الله يسطر بدمه التاريخ الإسلامي، ويمهد بتضحيت الطريق إلى المجتمع الإسلامي الذي تتعقد الآمال على الله لإقامته من جديد.

الشهيد أبو أحمد الجزائري (فوزي بن علي)(٢):

في بيت القائد (ملا تاج محمد) في العاشر من شوال سنة (١٤٠٩ هـ) حيث ذهبت مع لفيق من الإخوة الأحبة لزيارته إثر إصابته وإذا بمجموعة من الإخوة الجزائريين الذين نعموا بصحبته في أرض الجهاد يكتنفونه، وإذا بحضرة بلال -أخ عربي قد أصيبت رجله- يفتح كيساً صغيراً من ورق البلاستيك وفيه قطعة قماش مضمخة بالدماء، طلب منا أن نستنشق أريجها العطر، وتتسم شذاها العبق. ثم قال على مسمع من إخوانه الذين شهدوا شهادة فوزي: (هذه دعاء فوزي)، لقد كانت رائحة زكية، فاستأذنت لأخذها إلى البيت حتى يستروحوا أريجها الطيب، وأخذتها إلى البيت وشمعتها النساء، كان هذا بعد استشهاد فوزي بتسعة عشر يوماً، ثم قال بلال: لا بد أن يشم أهل الشهيد هذه الرائحة.

(٢.١) المصدر السابق ص ٢٥-٢٨.

فمن هو فوزي؟ من الوادي، ذلك المكان الذي أقبل منه صفوة أبناء الجزائر، وتجذ كوكبة الفرسان الجزائرية التي قذف بها الوادي إلى أتون معركة الإسلام في أفغانستان من خيرة الإخوة أدباً ورجولة وحياء وطاعة.

ولذا فإني أسميه (وادي أبي إبراهيم) وحقاً لنا أن نسميه كذلك، إذ كان هذا الليث الذي نيف على الخمسين طليعة قومه إلى الجهاد، وعاد إليهم والرائد لا يكتب أهله، فبدأت الأسود تنطلق من عرينها - الوادي - وتقبل على أرض (سرخ رود) وكابل. وقد تعرفت في صدا على شاب اسمه (أبو علي) من الوادي، وكنت عندما أتحدث عن قضية فقهية يرد عليّ بالفقه المالكي، فسميته (أبو علي المالكي)، وأنهى أبو علي توريته وتوجه إلى شكردرا على مشارف كابل حيث تحقّم الممارك ويصطلي بنيرانها غلظ الرقاب من الأسود الضواري، وشرح الله صدر أبي علي للاستقرار هناك، حيث أصبحت المنطقة وبعد سنة تردد اسم أبي علي، وأصبح قريباً إلى قلوب القادة (ناصر، وأنور، وتاج محمد، ووسيل)، ومحوراً يتحرك بينهم، وأقبل أهل الوادي إلى واد آخر (انتقل أهل وادي سوف الجزائري إلى وادي السكر الأفغاني) لأن شكردرا تعني - وادي السكر -، والتفوا حول أبي علي الذي نضج مع حرارة المعركة وضخامة التجربة، فأنصبت وأنت تجلس إليه كأنك تجلس مع رجل في العقد الخامس من عمره لما تسمع من حكمة القول وحسن التصرف وأدب المعاشة مع الأفغان والعرب.

دراسته: كان فوزي كما يصفه صديق العمر ورفيق المسيرة - حذيفة الجزائري - خارق الذكاء، حاضر البديهة، وقد عرف بهذه الصفة بين أقرانه، حيث كان الملجأ للكثيرين من أئداده الذين يعيشون في معهد العلوم الدقيقة في (عناية)، فكانوا كلما أعضلت عليهم مسألة رياضية توجهوا إليه ليجنوا حلها.

أمر يحزنني: وما يحز في نفسي ويؤلني أن العقلات الرائعة والأفذاذ ممن من الله - عز وجل - عليهم بنعمة الذكاء يتوجهون لدراسة الهندسة والطب والصيدلة، أما دين الله الذي يدرس في كلية الشريعة فيشكو إلى الله أبناء الدعوات وأصحاب الحركات الذين يتجهون إلى الكليات العلمية التطبيقية - الطب والهندسة - ويتركونه، ولا يدخل كلية الشريعة أو أصول الدين سوى الذين أوصدت في وجوههم كل الكليات، ولم يبق أمامهم سوى دراسة الإسلام.

إن دين الله أولى بهذه العقلات، وأجدر أن يدرسه هؤلاء الأذكاء، لأننا بحاجة إلى عناصر قوية فنية ذكية شجاعة مضحية حتى تحمل دين الله، وتستتبط أحكاماً شرعية جديدة تواجه بها العضلات العصرية والمشكلات الحاضرة على ضوء الكتاب والسنة، لا أن تبقى محصورة بين دفات كتاب ألف في القرن السادس الهجري - فقط - بون أن تتعداه أو تتخطاه، لقد فطن أعداؤنا من الشيوعيين والبعثيين والقوميين إلى دراسة العلوم الإنسانية من التاريخ والتربية والإجتماع وعلم النفس والآداب، وعادوا يستلمون توجيه هذه الكليات ليصوغوا عقول الأجيال على أعينهم، ويوجهوها على أهوائهم، أما أبناء الحركات الإسلامية فالواحد منهم يعيش مع الإسمنت والحديد والمبضع والمريض، ويقضي طيلة حياته أمة التفكير، بعيداً عن الفوص في أعماق هذه الشريعة الغراء، أو العيش مع الأجيال الذين يشكلون قاعدة المجتمع وأساسه، فهلا نتتبه ونوجه خيار أبنائنا إلى دراسة دين الله وشريعته.

نشأته: ولقد كان رحمه الله منذ نعومة أظفاره مقبلاً على الله، مشغلاً من مشاغل العمل الإسلامي، وعموداً من أعمدته منذ مرحلته الثانوية، فحيثما يحلوك أن تشاهده رأيته، فمن حلقة المسجد، إلى احتفال الحي بنكري إسلامية، إلى المعارض الإسلامية الجامعية، ودعك عن الندوات والدورات الفقهية والأصولية، وكانت الدراسة في السيرة وحياة الصحابة تملك عليه مشاعره، وتشده بكيته إليها.

تخرجه: وتخرج فوزي من قسم الرياضيات، وأصبحت الأمانتي المعسولة تشغل والده لإرساله إلى فرنسا للحصول على الدكتوراة ليعود أستاذاً جامعيّاً مرموقاً.

يقول أبو عاصم الجزائري - أحد رفقاء درب الجهاد من بلده - زرت ذات مرة بعد التخرج وبدأ والده يحدث عن مخططاته من أجل صياغة مستقبل الورود لابنه فوزي، وأنه سيرسله إلى فرنسا، فابتسم فوزي وأسر في أنني قائلاً: (أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد)، وكأنه يقول لوالده: يا قوم نحن في واد وأنتم في واد.

لقد كان التفكير في الجهاد يأخذ من وقته كل مأخذ، ويشد نفسه بأحاسيسها وأعصابها ما وراء الأوراس إلى الهندوكوش، إنه

يتابع الخطوات التي تبني حياة الأمم بمسيرتها، لقد كان يعيش مع الجهاد ومجلة الجهاد وأعلام الجهاد في أرض العزة والامجاد. ويحدث عنه أخوه حذيفة الجزائري فيقول: ولقد كان الصدق والجدية من معالم شخصيته البارزة، فتراه يقلب الأمر من جميع وجوهه، حتى إذا قرأ في أعماقه أنه الحق التزمه وبذل له حشاشة قلبه وعصارة نفسه.

محاولة القدوم: وكانت المحاولة الأولى للقدوم من خلال مصر، فاشترى تذكرة إلى مصر لعله يحصل على تأشيرة باكستان منها بعد أن فشل في الحصول عليها من الجزائر:

المستجير بعمرى عند كريتة كالمستجير من الرمضاء بالنار

وعاد إلى الجزائر ورأى أن منح التأشيرة من خلال جماعة التبليغ سهل ميسور، فارتدى الثوب القصير، وأقبل عليهم بييت معهم في المساجد، ويخرج معهم في الجولات، حتى استطاع أن يحصل على التأشيرة الباكستانية، إذ كانت التذكرة تونس -موسكو- إسلام آباد.

مع إخوانه في أرض الجهاد: أقبل فوزي إلى أرض الجهاد، وكان يأسر إخوانه بخلقه الرفيع وشعوره الرقيق، وابتسامته الحلوة، وحديثه العذب، يدخل إلى قلبك لأول لقاء، ولا تزيدك الأيام به إلا حبا، ولا المخالطة إلا إعجاباً وإكباراً، فكيف إذا طلعت على عباداته وعرفت أنه يصوم الإثنين والخميس وبقية النوافل، ولا يفوته ورده القرآني ولا أذكار الصباح والمساء إلا لماماً.

فمن صدا إلى ذات الصواري إلى ميرانشاه وخوست وأخيراً إلى شكردرا.

يد المنون وفوزي: ولقد حاولت يد المنون أن تختطفه ثلاثاً، فكذا بدأ بشير الجزائري يحدثني عنه:

أ- أولها على الطريق إلى شكردرا حيث تعرضت القافلة إلى قصف شديد، وانهمر الرصاص مطراً يشق حجب الظلام بالسنة لهيبه، وتفرق القوم، وتأخر فوزي قليلاً لقضاء حاجته وعاد إلى الطريق ليجد نفسه وحيداً.

غريب من الخلان قد ند صحبه وقد أقبل الأعداء وأطولك الليل

ووقف فوزي في وحشة من الليل وغربة من الأهل وجهل من المكان فلا أنيس ولا جليس. وافتقده إخوانه العرب في القافلة، فاستوقفوها وعادوا يبحثون عنه، فوجدوه وكأنه يسائل الليل والنجوم:

يا ليل الفجر متى غده أقيام الساعة موعده

ب- المرة الثانية في الصراع مع الموت: وصل فوزي إلى شكردرا واتصل بتاج محمد، واستقر به المقام عنده، وزاد شجاعته إلى جراءة، فالتقت غيرة الإيمان وحماس الشباب وتقليد القادة الأخيار، أما تاج محمد فقد عرف بجرائه النادرة وشجاعته الفريدة:

أسد دم الأسد الهزبر خضابه موت فريص الموت منه ترعد

لقد حدثوني عن شجاعته وهو يسمع، قالوا: حاصره الأعداء وهو في بئر مع مجموعة من مجاهديه، وأخذ الأعداء يطلقون عليه القنابل من باب البئر وهو يصيح بهم من الداخل استسلموا خير لكم.

وعندما مرّ بهم الأخ عبد الله أنس وأبو هاجر سمع أعداء الله بهما من المركز القريب على مرمى الرشاش والكلاشنكوف، فأخذوا يرمونهما بشتى أنواع الرصاص، فأخذ تاج محمد مكبر الصوت وخرج وصاح بهم: إما أن تكفوا أو أهجم الآن عليكم، فخرس الرصاص فوراً.

ولنرجع إلى فوزي، لقد كان مع ثلاثة من إخوانه يتعلمون الرماية على قاذفة القنابل التي غنموها من العدو (نارنجاك)، فرماهم العدو بقذيفة فأنفجرت، فأصابته لبة (نحر) فوزي شظية فقطعت شريان العنق، وبدأت الدماء تتدفق، فأقبل بشير وأخذ إبرته وخاط مكان الجرح، فقال فوزي لبشير الجزائري وهو يعالجه يبدو أن شعوباً (المنية) قد أقبلت، ولكن الله نجاه وعاد للجهاد.

ج- ولم تخطئه الثالثة: في اليوم السادس والعشرين من إبريل (١٩٧٩م) ذكرى الانقلاب الشيوعي وبدأ الشيوعيون يحاولون الاحتفال، وقد قدموا الاحتفال يوماً عن الذكرى خوفاً من ضربات المجاهدين، فاجتعت سبع عشرة دبابة نحو مركز ملا تاج محمد، فلبس فوزي لأمته وأخذ عدته ثم هجم مع القائد عليها، فحضرها ثلاثة وأصابتهم شظايا قنبلة، فجرح تاج محمد واستشهد فوزي لتوه.

ودفن بعد أن دفن الكثيرون قلوبهم في لحدّه، وأصبح فوزي حديث الساحة ونشيد سامر المنطقة، فنرجو الله أن يجمعنا جميعاً به نري
الغروب الأعلى.

الشهيد فوزي بن علي الجزائري (١) :

في هذه الأونة التي أكتب فيها هذه الكتيبات وأنا أكاد أطيّر فرحاً بنيا استشهاد أخينا (أبو أحمد) فوزي بن علي الجزائري،
لقد أشج صدورنا كثيراً، وكما كانت فرحتنا تزداد عندما أبلغنا والده بالخبر ولم نستطع أن نملك أنفسنا وكان يوقرنا ويسترجع الله
سبحانه وتعالى.

وكم رفع من معنوياتنا رغم بعض التحفظات الأمنية خصوصاً عندما أصبح والد الشهيد يتيسر في وجوه معزيه بعد يومين من
الخبر وهو أسف شديد الأسف عن عدم تبسّمه خلال اليومين الأولين، وهو يسأل الله المغفرة على تلك الغفلة التي صدرت منه، كما كان
يردد لمن عزاء (ابني شهيد أحسبه عند الله، ولا أزكي على الله أحداً) أما من قال له أبشر قد فاز فوزي يدعو بقوله (اللهم الحقني به
مع الصالحين والشهداء ومن سلك نهجهم إلى يوم الدين) اللهم آمين.

أقول وبالله التوفيق، فاز -إن شاء الله- أبو أحمد نحسبه شهيداً عند الله، وما عهدنا عليه إلا الصدق، وهو الشاب المسلم،
صاحب العقيدة السليمة والخلق المتين والفكر المثقف، يميل منذ صباه إلى الجِد، ناجح في دراسته، ملتزم في سلوكه، خريج المسجد
قبل الجامعة بحلقات العلم ومدارسته.

كان صريحاً يمتاز بالذكاء والصراحة سواء مع الأهل أو الأصدقاء. ندعو الله لكم بالنصر المؤبد وإقامة حكم الإسلام على
أرض أفغانستان المسلمة ونسأل الله أن نكون من بين السبعين الذين يشفع بهم الشهيد.

أبو صهيب - الوادي/الجزائر

أهل (الوادي) يكتبون للمجاهدين تفاعلاً مع استشهاد أبي أحمد الجزائري (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

من أفغانستان إلى القدس:

الحمد لله رب العالمين، خص بالعبادة الشهداء من المجاهدين، ورفع مراتبهم في جنات النعيم، وشفّعهم في سبعين من الأهلين،
وجعل للشهيد في كل قلب أبيض بالإيمان محبة خاصة ولو كان ممن بعدت به الديار وانقطع دونه العمران من الجهوليين، وأشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له رغب في الشهادة والاستشهاد والنود عن حياض المسلمين أين كانت، وأشهد أن المبعوث رحمة للعالمين
نبي الله ورسوله، إمام الأنبياء وقائد المجاهدين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أيها القادة الفضلاء أيها
المجاهدون الأعزاء، أيها المتطوعون بالمال والدماء، نحن من ولاية الوادي إذ نقدر فيكم هذه الروح الجهادية العالية حق قدرها، وتلمس
منكم بعضاً لعزة الأمة الإسلامية التي طال نومها، فبلغ بالذين أذهبوا أنفسهم عليها حشرات درجة اليأس (حتى إذا استيأس الرسل
وظنوا أنهم قد كذّبوا جاءهم نصرنا) فأنتم غيث هذه الأمة المرتقب، وسلاح من ظن أنه أحيط به، وسفينة النجاة من شبح الفرق
المحدث. إخواننا على أرض الجماجم والأشلاء والدمار نرف إليكم من ولاية الوادي عامة وأسرة الشهيد أبي أحمد (فوزي بن عبد
الرحمن بن علي) خاصة نرف إليكم تحية الإسلام، ونقول لكم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله من رجال أعادوا لهذه
الأمة عزتها وأذهبوا عنها ذلتها وكريبتها، ومسحوا عن جبينها العار الذي لحقها، وبيضوا بعد الاسوداد وجهها، وكذب الله على أيديهم
مزاعم الشيطان وأتباعه من أن الدولة الحمراء لا تهزم، فهزمت على الأيدي الشاحبة، والبطون الضامرة، والأقدام الحافية، بالأسلحة
القليلة وبالإيمان الذي في قلوبهم أرسى من الجبال وأثبت، فتصركم الله عليهم، وعض الحاقنون على الأنامل من الغيظ، وظنوا أنهم مع
الفران قد أحيط بهم، وصدق الله العظيم إذ يقول: (وَأَمَّا تَثَقَفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ تُشْرِدُهُمْ مِنْ خَلْقِهِمْ) فهذا الذي حدث نخمده سبحانه
وتعالى على ذلك. إخواننا على أرض الجهاد المبارك في أفغانستان لكم من استشهاد ابننا البار (فوزي بن علي) ولاية الوادي بأسرها،
ولكم أحدثت هذه الشهادة من تغيير في النفوس، وتعاطف قوي من عامة الناس، الأبعد والأقارب، ولكم اكتشف القائمون على أمر
الدعوة من جهل الناس بالقضية، بل بقضية الجهاد والاستشهاد، ولكم عرف العوام أفغانستان المجاهدة من وراء شهادة أخينا فوزي،

(٢) مجلة الجهاد العدد ٥٨، محرم ١٤١٠هـ أغسطس ١٩٨٩م.

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٧، ذي الحجة ١٤٠٩هـ يناير ١٩٨٩م ص ٤٦.

حتى أن من العجايز من تعجبت من الجهاد والشهادة، وقالت فيما مفهومه لقد خرجت فرنسا من الجزائر وانتهى الجهاد، ولكم أدعن لهذه البشري الجلية المرجقون بالدعوة في المدينة وغيرها، ولكم شوقت شهادة أخينا فوزي كثيراً ممن سمع به فأحبب الشهادة حتى لكأنني رأيت جماهير الشباب كلها تمتلئ لو كانت فوزي، وتذكرت قصيدة شاعر الجهاد في الجزائر مفدي زكرياء في أول شهيد جزائري في بداية الثورة الجزائرية (١٩٥٤م) أحمد زابانا، فبعد أن حكم عليه العدو بالإعدام، قال فيه وفي إخوانه قصيدة طويلة منها هذان البيتان:

يا زيانا ويارفاق زيانا
عشتم للوجود دهرأ مديدا
كل من في الأرض أضحي زيانا
وتمنى أن يموت شهيدا

أيها القائمون على أرض الجهاد والاستشهاد، لكم لاحظنا من صبر أعطاء الله لهذه العائلة المشرفة، فغصص البكاء تخشنا، والدموع تنهمر من أعيننا، وعبد الرحمن أبو الشهيد يربتنا، وبالكلام يشجعنا على الصبر والثبات، كل ذلك من فضل ربي إن فضله كان علينا كبيرا.

أيها القائمون على أرض الجهاد والاستشهاد لا يسعنا إلا أن نبليغ لكم السلام جميعا، ونقول لكم إنكم ما رميتم إذ رميتم ولكن الله رمى، واعلموا أنه ما حالفكم النصر إلا بقدر ما كان هواكم تبعا لما جاء به الرسول ﷺ، فعضوا على ذلك بالنواجذ، ولو لم يعترف بكم أهل الأرض جميعا، ولو عاداكم أهل الأرض جميعا، ولو أن تعضوا على أصل الشجر والحجر وأعقاب البنادق حتى يدرككم الموت وأنتم على ذلك.

وأخيرا نسأل الله لكم النصر المؤزر المعجل لإقامة خلافة الله في الأرض التي طالما تحطمت النفوس في غيبتها، ونسأله جل وعلا أن ينصر إخواننا المجاهدين في فلسطين وأفغانستان وفي كل مكان يذكر فيه اسم الله، ونستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أهل الوادي - الجزائر

الشهيد عبد القادر (عز الدين بلحواجب) (١):

هكذا يمضي الخبر أحيانا دون أن تعلم تفصيلاته، جاء الخبر أن طائرة روسية قد ألقت قنبلة على خيمة فقتل فيها اثنا عشر عربيا، فكم من نعم هدمت، وكم من أمل كبير طعنت؟ هذا لا يعلمه إلا الله الذي يخلق ما يشاء ويختار، والحق أن الفقدان والخسارة في ميزان البشر، أما رب العزة الذي فطر هذه النفوس فهو الذي يدبر الأمر ويقدر ويعلم أين الخير، فأحيانا يكون القتل خير كبير للأمة:

نفى القتل لأجيال حياة
وفي الأسرى فدى لهم رعتق
والحرية الحمراء باب
بكل يد مضرجة تسددق

مضت القذيفة بأرواح هؤلاء إلى الله، ونرجو الله أن يكون ربها قد تقبلها ووصلت إلى حواصل طيور خضر في الجنة تسرح حيث تشاء، ثم تلوي إلى قناديل معلقة تحت العرش.

ومن بين هؤلاء الوافدين على الله عبد القادر، ابن الجلفة (البلدة الجزائرية) التي شرفت باحتضانه، وحظيت تربتها بأقدمه، وطاب نسما بأنفاسه، ولقد استقبلته وهادها بقدمه إلى هذا العالم سنة (١٩٦٥م)، وحلت الأفراح على بيته خاصة وهو أول ضيف ينجبه رحم أمه على هذا البيت، وهذه البلدة (الجلفة) في قمة جبال الجزائر (الهضاب العليا الغربية).

نشأته: تعرف على الإسلام من خلال الدعوة الإسلامية، وأقبل بنهم كبير يلتهم الكتب الفكرية الإسلامية، فاطلع على عظمة هذا الدين وجدارته بقيادة الحياة، وأحقته بالهيمنة على حياة الناس، فبدأ يعمل لهذا الدين ومن أجل هذه العناية، ثم وجد أن الطريق الحقيقي الجاد لإعادة دين الله إلى الحياة هو الجهاد، فهو أقصر طريق وأقوم جادة، وقد تراسى إلى مسامعه أخبار الجهاد الذي شرف الله به الأمة الإسلامية ورفع هامتها وأعلى جبهتها، فقرر أن ينتقل من ذروة الجزائر إلى ذروة سنام الإسلام.

ولكن هنالك عوائق كثيرة وعلى رأسها الدراسة الجامعية في كلية الزراعة في جامعة (تيارت)، فلقد أنهى السنة الثالثة ببيت

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٨ محرم ١٤٦٠هـ أغسطس ١٩٨٩م، ص ٢١

سنة التخرج ونيل الشهادة ودخول السلك الحكومي، ولكن هناك شهادة أخرى تنتظره تدخله جنة عرضها السموات والأرض، وأخيراً
الآجلة على العاجلة، ويمم شطر أفغانستان.

مناقبه: كان شاباً متزناً، قليل الكلام، دائم الفكرة، غزير العبارة، وقوراً صامتاً، حتى قال له أحد إخوانه أثناء السفر لقد فقدت
حقيبتك يا عبد القادر، فرد بإطمئنان أراحني الله منها.

وصل إلى معسكر التدريب في صدد، ثم توجه نحو خوست، لقد كان حادي الأرواح يهتف في أعماقه: بلاد الأفراح بلاد
الأفراح.

وأخيراً وصل إلى جلال آباد حيث تمتد برائن الموت لتختطف النماذج والأفئدة، وجاءت القذيفة التي نقلته مع إخوانه إلى رب
العالمين.

أثر استشهاد في نفوس أئداده وأقرانه: لقد أثرت شهادته في نفوس إخوانه ممن عرفه من قبل.
يقول مرزوق: (لقد كنت وإياه منتافس في القنوم إلى أرض الجهاد، وذات يوم وإذا بلقح الموسرين يسر في أنني أنه على
استعداد لتجهيز أربعة غزاة، فأعلننها في جلسة، وإذا بعبد القادر يأتي ويهمس في أنني أنا أحدهم، وقطع تذكرة عن طريق ألمانيا،
وأخيراً جاء الله بنا إلى أرض الجهاد وسبقنا عبد القادر إلى الله.

ويقول مرزوق: (لقد أمضيت معه أربع سنوات تفرنا المحبة الإيمانية، وتهتز أعطافنا فرحاً بالآخوة الإسلامية).

وكنا كندمانى جذامة برهة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كآتي ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً

وأهدى إليه إخوانه الذين صاحبوه الدراسة الجامعية (مرزوق ومنصور وعلال وأبو الصديق) هذه الأبيات قاتنين: (نهدي هذه
الأبيات كما نهديها إلى والديه راجين أن يستبشروا بهذا الفوز العظيم عند رب العالمين):

فالجراحات تملأ الأرض عطراً فاخلجني من أريجها يا أزهري
يا دماء الشهيد أنت عييري وقصيدي ونشوتي والمشاعر
كل عهد عن الجهاد تمامي هو في منطق الأخوة خاسر

وكتبوا أبياتاً أخرى يذفونها بشرى إلى روحه:

فإذا هوى منهم شهيد هلك حور الصنان
يلقيته بالراح والريحان في غرف الجنان

ويقولون: ولقد هاهمه إخوانه الذين أتوا معه أنهم سوف يواصلون الطريق حتى يكرمهم الله بإحدى الحسينين:

أبطالنا الذين صاغوا الفجر بالدماء
إننا على طريقهم نجدد الرءاء
لنصرة الإسلام لدعوة الإسلام لدولة الإسلام

الشهيد أبو الخير اليماني (مرشد حمادي محمد مقبل) (١):

على الورقة التي تضمنت بدءه أثناء الشهادة وجدنا هذه الأبيات:

ومهاجر في الله ودع قومه لم يلتفت يوم الفراق وراء
التي تقال الأرض عن أكتافه ورمى الهوى لما أراد سماء
ومضى كأن الأرض لم يولد بها يوماً ولم يعرف له رفقاء
تتزاخم الدمعات خلف جفونه فيردن تصبراً واباء

مستجمعاً أسرارهِ في صدرهِ أظُّ الفؤاد لثقلهن ونساء
لولا اليقين لما أطاق بقاءها بين الضلوع ولا أطقن بقاء

هذه الورقة التي عبقت عطراً بدمائه كما يشهد بذلك صاحبه أبو البراء القرشي الذي رافقه آخر رحلة قيل أن يمضي إلى الله، ولقد كان في آخر اللحظات يمسك بيد أبي البراء وينظر إليه مودعاً، فلقد كانت بينهما مودة عميقة ومحبة وثيقة، أقول: يشهد أبو البراء القرشي وأبو عمرو الحبشي أنهما تنسما من دمه عطراً عبقاً وشذى قوياً طيباً.

نشأته: منذ صغره فقد أباه، فاضطر أن يخرج إلى السعودية بحثاً عن مصدر رزق له ولأمه، فودع بلده (إب/تعز) وتوجه نحو السعودية، وأخيراً وجد أن الحياة لا طعم لها ولا معنى إذا كانت غايتها عمل من أجل البطن والفرج (الزواج)، فلا عذر للنفس بالقعود وقد رفعت راية الجهاد من جاجي إلى نهر جيحون، فأني حجة بقدمها بين يدي رب العالمين بالتقاعس عن النفير في سبيل الله. وجاءت الساعة التي اختارها الله له ليدع الأرض التي يحس أن حياته فيها سهلاً لا ترتفع عن الطعام والشراب واللباس، ويقبل إلى الأرض كل دقيقة فيها حياة جديدة، نومها عبادة، وروث حصانه ويوله حسنات في ميزانه يوم القيامة، وأقبل على الله بكيته وأعصابه وقلبه ونفسه.

الرؤى والإرهاصات: إن كير الجهاد يذهب غشاوات القلوب وغيش النفوس وكدرها وغواشي الروح ووضرها، فتصقل النفوس، وتصفو القلوب، وتشف الأرواح، وترفرف بأجنحتها وأشواقها.

أخلاق مرشد وتصرفاته كانت أخلاق مودع، كلماته وحبه لإخوانه، فإذا خاطب أحد إخوانه افتتح كلامه بعبارة ودودة (يا أخي الحبيب)، وإذا أحس أن كلمة واحدة كانت ثقيلة على نفس أخيه أقبل إليه معتذراً متأسفاً، يؤثر إخوانه على نفسه، وتضفي التجربة على كلامه حكمة واتزاناً، كان عذب الحديث، حلو الابتسامة، رقيق العبارة، فلا تراه بين إخوانه إلا مبتسماً.

تراه إذا ما زرته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتيق الله سائله

وكان يترقب الشهادة ويعد لها عدتها، والنفوس عندما تقبل على الله يقبل عليها، وإذا أحبت لقاء الله أحب الله لقاءها، وإذا اصطفى الله عبداً ألهمه العمل الذي يكون مقدمة لقدمه على الله.

كان رقيق الصوت بالقرآن، يحاول أن يقلد الأخ الحبيب أبا هاجر أو الشيخ عمر عبد الرحمن، فكان صوته يرقى القلوب، وكان الأمير يقدمه للصلاة خاصة التراويح.

من كلماته: يقول أبو عمرو اليماني: سمعته يقول: قال الله عز وجل (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى)، فكيف سميت نفسي أبا الخير؟ فقال أبو عمرو: لعله على سبيل التيمن.

من رؤاه: رأى ذات مرة في المنام حداثق جميلة وفي داخلها نساء ذوات جمال رائع قل نظيره، فقال الأخ السامع في نفسه: لعلها إرهاصات الشهادة.

مبشرات يوم الشهادة: يقول أبو عبيدة اليماني: لقد خرجت معه صبيحة اليوم الذي استشهد فيه، وفجأة استوقفني قائلاً إني أشم رائحة الجنة فهل تشمها يا أخي؟ فقلت: لا أشم شيئاً، فقال أبو الخير: أما أنا فأشمها.

ويقول أبو البراء القرشي: خرجت مع مرشد (أبي الخير) يوم الشهادة إلى شلال قريب، فذهب إلى الشلال ومكث طويلاً وهو يغتسل، فعندما عاد قلت له يا أخي لقد أبطأت علينا، فقال: أريد أن ألقى الله والحدود العين وأنا نظيف.

ويقول أبو أحمد السعودي: في الليلة التي سبقت شهادته (ليلة العشرين من رمضان) بقي حارساً ست ساعات وملء الليل تكبير وقرآن ولم ينق طعم النوم:

على الهضبات نرسان وعند الحورتحنان
وملء الليل قسراً إذا هتفوا به لانوا
فدمع العين وقراق

وهبت ريح الجنة: وفي ذلك اليوم قامت معركة بين المجاهدين والكفار في (لجا)، وأخذ أبو الخير دورة على السلاح الثقيل (الدوشكا)، وكان معه عبد الكريم الأفغاني، فأراد عبد الكريم بعد العصر أن ينصرف، فقال أبو الخير: مهلاً يا أخا الإسلام لعل أحدهما ينال شهادته ويمضي إلى الله، ولم تمض على الكلمات سوى دقائق معدودات وإذا بقنيفة هارن، فأصابته إحدى شظاياها، وكان انظار بيده يرقب مواقع الرصاص من العدو، فالتقى المنظار جانباً ثم جلس جلوسه للتشهد، ورفع يديه نحو السماء مبتهلاً مخبئاً أن يتقبله الله، واختفى صوته تدريجياً إذ أن دمه كان يتدفق بغزارة ويقي على هيئة التشهد حتى أقبل الخل الوفي (أبو البراء القرشي) بسرير لينقله عليه، ووضع عليه والدم يتدفق، والعطر يعبق شذاه في الأنوف، ويضج (ينتشر) بعرفه فيطيب له الجو.

وبقيت المسبحة تشير إلى السماء بالوحدانية، وأراد أن يودع أبا البراء الوداع الأخير فأخذ بيده وصار يودعه بنظراته كأن لسان حاله يقول: سفر طويل فأريد أن أمتع نظري منك حتى تلقني عند الله.

ووصل المستشفى في ميرانشاه وكانت روحه قد أفضت إلى خالقها، ودفن حيث أوصى فقد أوصى، أن يدفن حيث يقتل، وأن لا يعلى قبره ورأيت وصيته على الورقة التي تعطرت بدمه: (أوصي أن لا تنتشر صورتي في المجلة، وعمامتي وبدلتي السوداء لأبي دجاة البعني).

من وصيته: وقد سطر وصيته في الحادي والعشرين من شعبان سنة (١٤٠٩هـ) قبل شهادته بشهر تماماً، ومما جاء فيها: (إخوة الإيمان والإسلام، أحبتي في الله: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: أكتب هذه الوصية عسى الله أن يكرمني بالشهادة في سبيله، وأوصيكم إخوتي في الله بتقوى الله تعالى والإخلاص في كل عمل تفعلونه، ومواصلة هذه الفريضة العظيمة التي كتب الله فيها عزنا ومجدنا فإن تركناها كتب علينا الذل والمهانة كما أشار إلى ذلك الحبيب المصطفى ﷺ في قوله: (ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا) وهذا ما أصاب الأمة الإسلامية في هذا الزمان، ولعل الله أراد بها الخير أن هيأ لأول شرارة من الجهاد أن تشعل في أرض أفغانستان، فادعو الله تعالى أن لا تنطفئ هذه الشعلة بعد إشعالها بدماء إخوة أفاضل، والأمل فيكم كبير إن شاء الله تعالى).

وهكذا رقد هذا الليث في جثته على مقربة من المستشفى في ميرانشاه ليلة الحادي والعشرين من رمضان، ولعلها أول ليلة استراح فيها بعد مسيرة مريرة طويلة ملؤها الشوق والشوك والفصص والعذاب والحلابة والاستعذاب، ومضى إلى الله بعد أن علمنا الكثير الكثير، ونرجو الله عز وجل أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى ذلك الفوز الكبير.

الشهيد أبو الليث السوداني (الصادق الهادي عبد الله)^(١):

من بلدة نباله في السودان، كان يدرس الزراعة في ليبيا، وقطع دراسته في السنة الثانية وتوجه إلى بيشاور ليلتحق بصنفوف المجاهدين:

نماذج أحييت في النفوس معانيًا ترف إليها العود أغلى التهاني

نسمع قصصهم فتحيا بها قلوبنا، ونعيش معهم ونخالطهم فنشعر أننا مع صنف جديد من البشر اصطفاهم الله ليجددوا دينه ولأحياء شريعته، وتعيد إلينا صورة ذلك الجيل الفريد الذي يعبر عنه أنس رضي الله عنه قائلًا للتابعين: (إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدّها على عهد رسول الله ﷺ من الكبائر).

وتذكرنا حساسيتهم ومحاسبتهم لنفوسهم بقصة سيدنا علي رضي الله عنه عندما جثم على صدر أحد الكفار لقتله، فبصق الكافر في وجهه، فقام عنه سيدنا علي وتركه، فعندما سئل علي عن سر تركه قال: (كنت أريد أن أذبّه ونيتي خالصة لوجه الله، فخشيت إن قتلته الآن أن يكون للنفس حظ).

كتب عنه أبو النور قائلًا: لقد أقبل أبو الليث إلى الجهاد قبل ستة أشهر وتدرّب، وكان أبرز مناقبه:

١- كثرة التواقل والطاعات.

٢- التحري الشديد بشؤون الحلال والحرام.

(١) المصدر السابق ص ٢٤.

٢- الدماثة في الخلق والأدب في المعاملة، والمردة العميقة التي يحس بها نحو إخوانه.

٤- الاهتمام الشديد بإخوانه.

أبو يحيى المقدسي قدمه لنا فقال: كان أبو الليث رحمه الله تعالى من أهل القرآن والعبادة والذكر، دائماً يقرأ القرآن أو يسبح، يذكر منظره بالصحابة الكرام، قمة في التواضع ودماثة الخلق، ترى النور في وجهه الأسمر المليح، إذا عاملته في الجبهة أحببته، وتشعر بالإخلاص في كلامه، والتفاني في حبه لإخوانه وخدمته لهم وحرصه على نصرتهم بالحسن، دائماً يفتتح المجلس ليذكر إخوانه فينفهمهم أو يتفهم بهم.

عرفناه في الجبهات المتقدمة في خوست عند القائد عبد المنان بسال كثيراً عن فلسطين وطريق الوصول لها، جاء إلى بيشاور وكان يستعد للسفر إلى كابل، وودعناه ليذهب إلى تهرين مع الإخوة الماليزيين.

الأفق الرفيع الذي احتله: لقد كان أبو الليث يعيش في قمة سامقة بخلقه وسلوكه، وليس أدل على ذلك من الرسالة التي سطرها إلى أبي يحيى في (١٧) شعبان (قبل شهادته بشهر تماماً).

(الأخ الفاضل أبا يحيى حفظه الله: تحية من عند الله مباركة طيبة، كما يود قلب أخ فارقكم وفي نفسه شيء من (حتى)، وكان يوماً يفكر في أن يصلح ما حدث (وكلف يعني نفسه) حتى استعد للسفر، وهكذا حتى غادرت الديار، تحية تلبس ثوب السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أخي.. كان أول لقاء لقاء تلك الخيمة التي تشكو النسيان في خوست، ثم سرنا سوياً إلى بيشاور، وفي الطريق تعرفت على ثلاثة إخوة لعب الجهاد بقلوبهم، فالحبيت أن يكون لي إخوة كذلك، ثم في بيشاور التقينا مرات كان آخرها في مسجد سبع الليل. ولعل السؤال المهم الآن: ما الفائدة من كل ذلك؟ إني كإنسان تغمرني الذنوب إلى رأسي، أتصرف تصرفات كثيرة لا معنى لها.. قبل لم أكن أهتم لذلك، ولكن الآن بعد أن نسيت عقلي فجبب أن أفكر قبل كل شيء أفعله وبعد كل شيء فعلته. أخي أحسب بأن علاقتي بك تسوء أحياناً، ولعلي أكون سبباً في ذلك، فأرجو منك مسامحة تغفر لي خطاياي التي ارتكبتها في حقك، ليت ذلك يحوب بك تدعو لي في خلواتك بالتوفيق، وكل ذلك خشية أن أقف يوماً أمام الله فيسألني عن حق عبد مجاهد لما أضعته، وقد بين لنا في كتابه أن الذلة هي ما يصلح لمعاملة المسلمين فيما بينهم، بينما العزة هي ما يصلح للكافرين، أخي قد يكون الموضوع عندك تافه لا يحتاج إلى ذكر ولكن عندي قد يكون ذا أهمية لأنني صاحب الإثم وأنت صاحب الحق.

أخي دعاؤك في الصلوات وعسى نلتقي في مقعد صديق عند مليك مقتدر، سلامي للأفاضل عبد الرحيم وعلي وكل من يخدم الجهاد عن طريق مكتبكم، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب).

استشهاده: وجاءت الفترة التي يقضي فيها وطره، ويشبع لبنته، فما أن أوفى مدة تدريبه حتى توجه إلى كابل مع قافلة حطت رحالها على الطريق بين جلال أباد وكابل لقطع الإمدادات عن جلال أباد، وعسكروا مقابل المراكز الشيوعية التي تحمي الطريق لمروء القوافل، وكانت الأحزاب الجهادية تتناوب قطع الطريق، فجاءت نوبته مع حزب يونس خالص، ثم انتهت الفترة وجاءت النوبة الأخرى، فتدبى القائد أن يرحل معه، فسأل القائد: منذ كم وأنت في الجهاد؟ فأجاب قائد يونس خالص: منذ عشر سنوات، فقال أبو الليث: أما أنا فلم يمض علي سوى بضعة أشهر معظمها في مركز التدريب، فدعني أشبع نهيمي فتركه، وفي اليوم الموعد وفي ذكرى بدر (في السابع عشر من رمضان) كان الهجوم على معسكر شيوعي ظهراً، وأبو الليث صائم فرفع رأسه من خندقه وأخذ يرشق الأعداء بوابل رصاصه، فأقربت الرصاصة التي أصابته في جبينه، ووقع أبو الليث ودمه يتدفق بشدة، وأفاضت روحه إلى بارئها، فحمله إخوانه من الخندق ودفنوه في أحد الجبال المحيطة بكابل، وهناك شوى الليث أبو الليث ولم تفارقه الابتسامة التي كانت محل دهشة الجميع وإعجابهم الذين تغلقوا به حباً وإعجاباً في الدنيا، ولعلهم يتعقرون به شفاعته يوم القيامة إذا تقبل الله الجميع في الصالحين، نسأله المغفرة والقربوس لنا ولهم أجمعين.

الشهيد عبد السلام (عبد الرحمن هادي اليماني اليافعي)^(١):

ومكنا دأب أعداء الله - عز وجل - لا يدعون مكاناً إلا وقد أحالوه قفراً بلقماً، ولا يخرجون من قطر أو بلدة إلا وقد ركزوا

(١) المصدر السابق ص ٢٤.

صنائعهم أو من يحافظ على حظهم الممنع في الإفساد وإهلاك الحرث والنسل، فلم تدع بريطانيا (عدن) إلا وقد ضمنت أن تواصل الطغمة الشيوعية مسيرتها في اجتياح الشعب اليمني الكريم عن جادة الحق، وتحويله إلى مجموعات من الطفيليات تنتظر المعونة الروسية في آخر كل شهر لتوزع على عملاء الإفساد والتخريب، بحيث تضمن هذه الطغمة توفير القات طيلة الشهر، ومع مضغ القات يجترئون كلمات لينين وماركس يعيدون فيها ويبدئون ليطمئنوا السادة في موسكو أنهم على الطريق.

وكذلك ما تركت أمريكا (يانكوك) إلا وقد أصبحت بؤرة عفنة للجنس تقضي فيها قطعان السوائم من الشعوب وطرها، بين المخدرات والجنس (الوطر: الحاجة).

وثبتت عيد السلام في هذا الجو الذي يسمى فيه عبد الفتاح إسماعيل إلهاً (إذ كتبت الصحف عنه يوم أن قتل: نحن لا نؤمن عبد الفتاح لأن الآلهة لا تؤمن)، ولعله مثل آلهة اليونان التي تتسلى كما تقول أساطيرهم بتعذيب الإنسان وتحطيمه، وليست (أسطورة بروميثوس حامي النار المقدسة) ببعيدة، إذ أن إله العلم قد عاقب الإنسان الذي اقترب ليسرق النار المقدسة ويعرف الحقيقة بأن ألقته في وادٍ سحيق تنهشه الطيور طيلة النهار، وفي الليل يعيد الإله لحمه، وجوبيتر كبير الآلهة يرقب الأمر ولكنه مشغول بعشيقته على عرش الأوليمب.

وليس ببعيد أن يسمى عبد الفتاح إلهاً فقد سمي ميشيل عفلق من قبل إلهاً، وكتبت مجلة حزب البعث العراقية لدى استقباله عند دخول بغداد (الإله العائد)، وقال شاعرهم:

يا سيدي والهي ومعبدي
حسبي ألم فتاتكم حسبي

وليس هذا بعجيب إذ كان على غرار التاكليه الذي سارت عليه روما: إذ ألهمت فيثوس الزانية وبياخوس السكر، وأفروديت التي خادنت ثلاثة آلهة فولدت منهم ولدأ سمته كيوييد، فأضحت فيثوس عند الرومان آلهة الجمال، وبياخوس إله الخمر، وأفروديت آلهة الحب، وابنها كيوييد إله الحب.

وشب عبد السلام ليواجه صعوبات الحياة، وقد ألقى على كاهله إعالة أمه، إذ أن أباه كان قد أفضى إلى ربه شهيداً على يدي الإنجليز لأنه كان يقف قمة شماء أمام الإنجليزي الذي لا يشبع مطامعه شيء.

والحمد لله الذي أذل بريطانيا وأخزاها ودمرها في عقر دارها، إذ أن القصور التي بناها الضباط الإنجليز على ضفاف التايمز في لندن من دماء الشعوب وعرقها لا يجدون بين أيديهم الآن نفقات صيانتها، فصاروا يتخلصون منها بالبيع للقادمين من دول البترول.

لقد تربى عبد السلام في حياة كلهاكد وشظف، إذ أنه ما كان يأكل رغيفه إلا ممزوجاً بعرق جبين أمه التي صبرت على أيتامها حتى شبوا.

وتوجه عبد السلام إلى السعودية مع صديقه عبد القوي الجعدي، وألقوا عصا التسيار في نهاية المطاف في المدينة المنورة، وأخذ عبد السلام يتردد على الحرم النبوي في أوقات الفراغ حيث يتلقى دروس التلاوة والتجويد على يد الشيخ عباس حتى أتقن التلاوة، وأخيراً تناهى إلى مسامعه قصص البطولات النادرة فوق جبال الهندوكوش، وأخذت فكرة النفير إلى الجهاد شغله الذي يغص اللقمة في حلقه، وأخذ يتباحث مع أخيه عبد القوي حول التوجه إلى مصانع الرجولة والإباء، وأخيراً طلقا دنيا العمل في المدينة وتوجها إلى أفغانستان، وابتدأ التدريب، ثم شاركا في فتوحات (تشاواني) قبل عام تقريباً في عيد الفطر سنة (١٤٠٨ هـ) ومكثا أربعة أشهر.

المقدمة: ثنى المدينة المنورة: ولقد كانت الخواطر التي تشغل مخيلتهم في أفغانستان هي كيفية استنهاض همم بني قومهم ليروا بأن أعينهم مزينة للذئب الروسي مثخناً بجراحه، بعد أن مرغت كرامته ومزقت هيئته، فكان القرار أن يرجعا إلى المدينة من أجل نقل الصورة المشرقة عن الجهاد الأفغاني لبني جلدتهم.

وفي المدينة المنورة: أخذ عبد السلام وصاحبه يتصل باليمنيين الجنوبيين من أبناء منطقته ويشرح لهم حقيقة الأمر، وأن الشيوعية لا تعدو أن تكون نسيج عنكبوت قد مزقته عواصف الجهاد الأفغاني، وجند الشيوعية كالقطط والشعالب ولت هلعاً وخوفاً أمام زئير الأسود.

وإذا بعاصفة هرجاء من الاستغراب والنقد اللاذع تواجههم، بل جابههم بعض البيغاوات اليمنية قائلا: أنتم عملاء للإمبريالية.

يريدون نفس الشعارات الشيوعية التي سمعوها من الإذاعة الشيوعية، وقال آخرون: أنتم مجانين.

قال عبد القوي: فوجدنا أنفسنا في واد وقومنا في واد، فعدنا أدراجنا إلى أفغانستان.

الإعداد الكامل: قال عبد القوي: وهنا قررنا أن نستقر في معسكر التدريب حتى نعد أنفسنا جيداً لمواجهة أعداء الله على أرض أفغانستان، وفي عدن أبين، فمكثنا سبعة أشهر، ثم تقدمنا إلى جلال آباد حيث تمتزج البطولة بالدماء وبالحديد. وعسكرنا مع إخواننا العرب في خط النار الأول وتحت مرمى المدفعية ومقابل اللواء (٨١) الذي يحمي جلال آباد.

الشهادة: وفي العاشر من رمضان سنة (١٤٠٩هـ) جاءت القذيفة التي تحمل بين طيات شظاياها الحمام، وأصاب رأس عبد السلام شظية، وخرج قسم من دماغه مع الدماء المتدفقة، وأقبل عليه عبد القوي، فبدأ يودعه بنظراته الطامئة، وكأن هذه النظرات تروحي لعبد القوي إحياء عميقاً، وتأخذ عليه عهداً وثيقاً، كأنها تقول لعبد القوي قل لقومي من بعدي: هذا هو الطريق، كأنها تقول: إن طريق المجد مفروش بالأشلاء مروي بالدماء.

تقول:

من اقتضى بسوى الهندي حاجته أجاب كل سؤال عن هل بلم

تقول:

إن ألفي قذيفة من كلام لا تساوي قذيفة من حديد

وتقول:

شعب دعائه الجماجم والدم تتحطم الدنيا ولا يتحطم

وتقول: إن الذين يحلمون بالعودة إلى عدن عن غير هذا الطريق إنما هم قوم غارقون في بحر من الأوهام. وأما عبد القوي فكان لسان حاله يرد على هذه النظرات قائلاً:

يا شهيداً أرقته جنة الخلد العليّة

طبت حياً طبت ميتاً صرت رمزاً للقضية

وهكذا مضى عبد السلام وأخذ معه قلب عبد القوي، مضى وهو في ريعان الشباب في سن السابعة والعشرين، وسيبقى معلماً بارزاً في اليمن خاصة للسالكين على الطريق، الجادين في السير إلى الله، فنرجو الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى آمين.

الشهيد عبد الرحمن الهندي^(١):

في جلسة ضمت لفيفاً من الإخوة وعلى رأسهم الشيخ تميم كان مدار الحديث أثر الجهاد الإسلامي في أفغانستان على الشعوب الإسلامية، ومدى تفاعلها معه، وتفاعله فيها، وإذا بالشيخ تميم يفاجئني بخبر خراً على قلبي كالصاعقة، فقال الشيخ تميم لقد استشهد عبد الرحمن الهندي، فقلت له أو حقاً ما تقول؟ وتبينت الخبر وثقت منه، قال نعم قلت له لقد زارني في بيتي في اليوم السابع والعشرين من رمضان مساءً وأفطر مع أخوين له في بيتي فقال لقد استشهد في خوست في اليوم الرابع من شوال وجاعني جُنده وأخبروني بالقضية، فحزنت لذلك كثيراً، وهكذا وخلال شهرين من الزمان ودعنا قائدين من قادة حركة الجهاد الإسلامي التي يقودها الشيخ (سيف الله أختري)، وقد مضى قبل قرابة شهرين ونيف خالد زبير القائد الأول للشيخ، وتسلم الراية بعده عبد الرحمن، وقد اكتسب درية وحكمة خلال السنوات الثلاث الماضية.

تاريخه الجهادي: التقيت به لأول مرة في صدى مع خالد زبير، وبسبب اطلاعه الشرعي كان هو وخالد يستطيعان التكلم بالعربية ولو بعشقة، وكان قمة في الأدب والتواضع، وكنت أحس من خلال جلساته معي أنه يتفجر حيوية وينوب حزناً على حال المسلمين، وكانوا على صلة وثيقة بي، ونحاول أن نحل بعض مشاكلهم وهو مع أخيه خالد يتقدمان الصفوف إذا استعرت الحرب وحمي الوطيس وأحمر الحلق فأنصيب ذات مرة بشظية في عينه، فحاولنا علاجه في باكستان، ولكن وقف الضب عاجزاً أمام علاجه، فرتب له الأخ أبو الحسن المدني جزاء الله خيراً العلاج في ألمانيا، وأرسلناه إلى ألمانيا، وعولج فيها ثم عاد يواصل الجهاد.

وقد ذكرنا أنه كان يتحرق على حال المسلمين في الهند في بنغلاديش لأنهم غائبون تماماً عن قضية الجهاد الأفغاني، وحرص

(١) المصدر السابق ص ٣٧.

عبد الرحمن الشيخ تميم على الذهاب إلى بنغلاديش، ورتب له مع الشيخ عبد الحمز عبد الستار جولة في بنغلاديش، وخصب الشبحز والجموع التي أقبلت كالبحر الهادر تباع على الجهاد وتعاهد على الاستشهاد، عاد الشيخ تميم ومله جوارحه الأمل بأن المستقبل لهذا الدين، وتفره السعادة لإقبال المسلمين على هذا الجهاد العظيم.

إلى خوست الأرغون: وكان معظم جهاد هؤلاء الإخوة في خوست من بكتيا والأرغون من بكتيكا، واشتركوا في فتح الأرغون، وكان لهم مع الإخوة العرب القدح الملقى وقصب السبق في الظفر المبين الذي تقضل به رب العالمين.

ولقد كان الأخ عبد الرحمن يجمع بين الشجاعة والوداعة، وبين العزة والتواضع، وبين الأدب والترفع، وعندما يأتي ليبتكم معي يقدم لكل جملة: يا أستاذ يا أستاذ.

يوم أن جرح خالد زبير وأدخل مستشفى خبير كان عبد الرحمن قد جرح معه، ولكن الله اختار خالداً إلى جواره، أما عبد الرحمن فقد اتصل بي وهو جريح، فقلت له يا عبد الرحمن أنت تجرح ولا تستشهد، مرات والناس يسبقونك إلى الجنة من الجرح الأول؟ فقال: ماذا نصنع يا أستاذ؟

اللقاء الأخير: وقد ر الله لعيني أن تكتحلا بوداعه ليلة الثامن والعشرين من رمضان وقد جاء يعرض عليّ مشاكلهم، فقال لي: نحن الآن في خوست والأرغون حوالي ثلاثمائة ونحتاج إلى طعام، فحسبت أن أقل ما يكفيهم مائة ألف روبية في الشهر، وطلب إليّ أن أؤمن لهم سيارة فقلت له: أما الطعام فهذا ضرورة لا مناص من تدبيرها، أما السيارة فلا نستطيع تأمينها لكم فدبروا أنفسهم بالمواصلات العامة، وكانت آخر نظرات حظيت بها منه، ومضى عبد الرحمن إلى الله، وأرجو الله أن يكون قد تقبله في الصالحين، وهكذا مضت القافلة من الهند إلى باكستان إلى بنغلاديش إلى أفغانستان، ونام المنام الطويل في جدته في خوست:

فدت نفسي وما ملكت يميني فوارس صدقت فيهم ظنوني
فوارس لا يهابون المنايا إذا دارت رحى الحرب الزبون

رواد القوم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

لقد توقفت القلم عن متابعة أخبار هؤلاء الأبرار، ولم يعد الوقت يسمحني لأعطي هؤلاء حقهم أو بعض ما يستحقون، قليل عليهم أن تكتب آثارهم بإطناب، ولا نوفيهم حقهم أن تقف على أبواب قصصهم سائلين، وعلى أعتاب سيرهم متتبعين، إنهم أحيوا في الأمة عزتها، وأعانوا للأجيال من السلف سيرتهم، وهزوا منام الراقدين الغافلين، وما كان يمكن أن يتنبه الذين في حياتهم الروتينية ساديين بدون دفع الثمن الثمين، بدون بذل أقصى ما يستطيعه البشر، لأن القوم كانوا في خمار، وأصاب مقتلهم اللهو كأنهم صبية أغرار، وأخذ برأسهم الدوار.

كل شاب قدم من جرح لا م مترف كان هزة عنيفة في أعماق بيته، وكل رب عائلة أزعج إلى المعركة واقترب فكأنما نقل عائلته بكاملها إلى أرض اللهب تحياها صباح مساء تتابع أخبارها، وتحيا أحداثها بأعصابها وأنفاسها اللاهثة، وقلوبها المتوقفة.

كنت ذات مرة في اجتماع فقالوا: لقد قرع جرس التليفون وهم يطلبونك لتجيب على مكالمة خارجية، وإذا بشاب مختلف مع أمه حول حكم الجهاد من الرياض، واحتكما إليّ لأفض النزاع بينهما، وكان محل النزاع حول استئذان الوالدين للتغير إلى الجهاد، وقلت لوالدته: ليس عليه استئذان لأنه لا استئذان في فروض الأعيان.

ثم قالت الوالدة: عندنا طفل مريض نأمل أن تدعوه له، كان الشاب قد حضر من قبل إلى أرض الجهاد، والدة يحتل منزلة رفيعة في وزارة الإعلام، وعندما أقبل الشاب على الله، واصطلى بنار الجبهة وتقلب بين أزيز الرصاص ودوي المدافع تبعه والده ليرى مصير ابنه، إذ اضطره ابنه أن يتعرف على القتال عن كثب، وكم من موسم ترك شركته أو مصانعه لأن ابنه كان قد سبقه إلى الخندق، واستطاع أن ينقل السعادة الغامرة التي أضناها جو الجهاد على نفسه إلى قلب أبيه، مما جعله يتوق ليتنوق ما قد تنوقه ابنه من قبل. وكم من شهيد قد استشهد فامتشق أقاربه أسنتهم ومضوا على جادة الرائد الذي ما كذبهم، فابو جهاد (أحمد أبو غوش) مضى إلى الله، وإذا بأخيه ينتضل حسامه ويمضي على طريق العزة والكرامة، وأبو قتيبة السوري يمضي إلى الله فيأتي والده وينزل إلى

جلال آباد. هي نفس الطريق التي سلكها سلفنا الصالح بمفاراتها ومعالمها وأثارها ومراسمها، وما أجمل ما قاله إقبال، ونحن إذ نكتب عن هؤلاء الغر الكماة والصيد الأبية لنترجو الله أن يجمعنا بهم يوم تلاقاه. والآن مع هذه القصة.

الشهيد أبو قتيبة (طالب عبد العزيز التجار)^(١):

من أرائل الذين قدموا إلى أرض الجهاد، شاب صغير، ولكنه فارغ الطول، ممتشق القد، عالي الهمة، ذو طاقة كبيرة وحركة دائبة، رأيت لأول مرة مع أستاذه أبي البراء، قد عزفت نفسه عن الدراسة لأن شيخه ومربيه أستاذ البيولوجيا والكيمياء قد طلق المدرسة ثلاثاً لاربعة فيها، فماذا ينتظر بعد أن صوحت المدرسة وتغيرت معالمها إذ غاب منها بدرها ونورها.

عجبت لأبي البراء وهو يجمع حوله هؤلاء الشباب الذين لم يصلب عودهم بعد، ولم تقرقع فوق رؤوسهم، من البيت إلى المدرسة، وأحسنهم حالاً من داوم على حلقة الدرس التربوية، وما كنت أعلم أن هؤلاء سيكون لهم دور لا تستطيعه كيار النفوس، وأنهم سيقومون بما وقفت عاجزة أمامه الرؤوس، ورجع بعضهم إلى المدينة المنورة، وأما أبو قتيبة فقد مضى في رحلة بعيدة شاقة.

رحلة الشمال: مضى أبو قتيبة مع من لم تضعضع همهم نواشب الدهر، ولم تثن عريكتهم أمام أهوال الحروب، وتسلق الجبال، وخوض غمار النزال إلى بدخشان، قال لي أبو قتيبة: مشينا ستة عشر يوماً، كل يوم نمشي فيه ثماني عشرة ساعة نخوض في الثلوج، كنا نتمنى لشدة الآلام التي نعانيها في أصابعنا لو تقطعت أناملنا وخلصنا من برحاء الشدة، وقد كنا مضطرين أن نمشي هذه الساعات الطوال ونحن نجتاز قرى الشيعة التي لا نجد فيها سوى الخبز الجاف والشاي المر باثمان خيالية.

وخط رحاله مع القافلة في بدخشان، وهناك وبجانب القائد عبد الودود وجد روحه وريحانه، فالقومندان عبد الودود شقيق الدكتور محمد عمر من أبناء الحركة الأوائل، ومن طلائع الشهداء في هذا الجهاد المبارك، وعلى نفس الطريق سار عبد الودود، ومن المهمل العذب ارتوى، ومن ذات المشكاة اقتبس، فقد أسس الجبهة في بدخشان/كشم ورعاها وسهر عليها، وحرر المنطقة، فأصبح المعلم المربي، والقائد المرشد.

دانت له القلوب بالمحبة، وتآلفت عليه النفوس بالإخاء، فهو اللحن العذب في أنشودة الحياة لدى جنده الذين يحق لهم أن يرددوا:

حياتك حرب فلا تنشن في الحرب أنناك اللامية
وإن الحياة دم عاصف وليست شذو المسك والغالية
وما رأس مالك منك سوى دم القلب والهمة العالوية

ويقي أبو قتيبة ستة أشهر في الشمال، ويعود طالب من هناك بعد أن نضجت نفسه، ولأول مرة ألقاه بعد الرحلة يلبس الزي البدخشي، ويشد وسطه بمنطقة كما يفعل المجاهدون بالكوفية (رسمول)، فظننته أحد أبناء الشمال، سيما وإن سحته تشبه أبناء درواز ويقتل، وعلامحه تقارب تقاسيم وجوههم.

في المأسدة: ووجد مكانه شاغراً في المأسدة، وأصبح المرافق اللصيق لأبي عبد الله، فتراه يرافقه كالظل، يقود سيارته، ويتكفل بحراسته، ويقوم على خدمته، وما استطاع أحد أن يصبر على مشقة العمل مع أبي عبد الله مثل طالب، فتجده وفي منتصف الليالي يقوم إلى السيارة ويتحرك نحو جاجي، حتى إذا وصلها وجد أوامر تنتظره، ويعود أدراجه، لا يشكو الملل، ولا يتبرم بالعمل مهما كان ثقیلاً، وكأنه يزال هوايته، ويشبع رغبته بخدمة قائده أبي عبد الله.

اجتماعي يجلس في جلسة فكانه يعرف أهلها منذ زمن، يعرف المداخل والمخارج، وقد ورث من أهل بلده حماة علو الهمة ودوام الحركة واقتحام الأهوال، وورث من منشئه ومنبته في أرض طيبة الطيبة أدب المجالسة وسرعة الموافقة وطلاقة المحيا في لقاء الناس ووداعهم، بشوش حيثما لقيته، أنيس أنى جالسته، يالف ويؤلف (ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف).

من المأسدة في جاجي إلى خوست وميرانشاه: وما بين جاجي وخوست كانت الحركة الدائبة، ففي خوست كانت المعارك اليومية مشاغلة أعداء الله، وحررت جاجي وجاوني، فانصببت الجهود على خوست وجور وميرانشاه.

رجل عمل، يقوم بكثير من الأعمال البيتية، ويصلح ما يتعطل من الآلات والمحركات والسيارات والأبوات. فقد كان الذراع الأيمن لأبي عبد الله، وكأنه يريد أن يكون الأداة التنفيذية لما يدور في رأس قائده الذي أعجب به إعجاب المنتبهي بسيف النولة، وأحبه حب الربيع المرادي للشافعي، وكان روح أبي عبد الله (أسامة بن لادن) تنجلي روحه قائلة:

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٧ من ٢٧ ذو الحجة ١٤٠٩ هـ يوليو ١٩٨٩ م.

إذا ما انخرت الأماني العذاب وأثرت أكوابها الصافية
ولم تنخر لك مله العريق دماً كدم الأسد الضارية
تمت ظمأ في حياة مشت على الدم عابثة قاسية

معارك جلال أهاد؛ وبدأت نار المعارك تستعر في أرض البطولة والفخار في شجرهار، وبرز نور العرب المهاجرين الانتصار في المعركة، وأخذ ضرام المعارك يزداد التهاباً، وتختطف أيدي المنون النموذج تلو النموذج، والفد تلو الفد.

امتدت يد المنايا فطوت صفحات مشرقة، وتحركت وراها قصصاً مشوقة، وسبق المفردون، فغاب أبو مسلم (عبدالله النهمي)، ثم مضى أبو اليسر (علي عبدالفتاح)، وتبعهم أبو طارق (عوض علي العرادة)، وختاماً كان المصاب بأبي قتيبة في (١٩٨٩/٥/٢٣م).

الشهادة: وجاءت قتيبة النيابة التي اختطف معها بيد ملك الموت ثلاثاً من أعز الإخوة، أبا قتيبة، وأبا خليل، ومزقتهم إرباً، ونقلوا إلى طورخم ودفنوا هناك بجانب السابقين من إخوانهم.

وجلس أبو عبد الله (أسامة) يحدث، ثم جاء ذكر أبي قتيبة فخنقته العبرة، وفاضت عينه، وفقد الكلمات، ثم عاد ليحدث فعادت الفصحة ممزوجة بالعبرات، وعاد الثالثة، وانقطع الكلام وصمت الجميع. رحم الله أبا قتيبة وجمعنا به في الصالحين.

لقاء الجهاد مع والد الشهيد أبي قتيبة:

(الجهاد): نود من الوالد الفاضل أن يقدم لنا نبذة عن ولده الشهيد أبي قتيبة رحمه الله وكيف تلقيت نبأ استشهاد؟

والد الشهيد: ولد طالب رحمه الله تعالى في مدينة حماء عام (١٩٦٥م)، وتربى منذ أن نشأ التربية الإسلامية، جرت معه قصة وهو في الثالثة من عمره تقريباً، حيث ضرب أحد أبناء الجيران بحجر فسال دمه، ولما سأله عن السبب قال يا أبي سب الدين، فقلت له إن كان هذا هو السبب فقد عفوت علك، وقد أنهى المرحلة الابتدائية في حماء، ثم شاء الله تعالى أن أهاجر فاراً بديني من حماء، وقد هيا الله تعالى لي الإقامة في المدينة المنورة ومع عائلتي، وبفضل من الله كان له نصيب مواصلة تعليمه في مدينة رسول الله ﷺ فأزداد من حب الله ورسوله ومن الورع والتقوى، وما أن وصل إلى الصف الثاني الثانوي وبمنتصف السنة بدأ يتكلم لنا عن الجهاد وفضائله، وكان هذا كلما جلسنا على الطعام، ثم بعد أيام سأل والدته عن تركه المدرسة والذهاب للجهاد في سبيل الله في أفغانستان فأجابته بعدم الموافقة، وفي اليوم الثاني وكنا أيضاً نتناول الطعام قال ما رأيك يا أبي؟ أجبتة -والله على ما أقول شهيد- ما عندي مانع، وكاد رحمه الله تعالى يطير من الفرح، فترك الطعام لشدة فرحه وقال ما دام أبي موافقاً فسأمضي، وفعلت لم تمض أيام قلائل حتى سار ملبياً نداء الجهاد، وسافر مع بعض الإخوة المجاهدين إلى أفغانستان واستمر سنوات، وفي مساء يوم الأربعاء (١٩) شوال (١٤٠٩هـ) ذهبت لبيت شقيقي ومع عائلتي، وما أنا جلستنا قليلاً حتى سمعت بكاء يخرج من غرفة النساء، فنهضت وسألت ما بكم، فقالوا جأنا هاتف من مجهول يخبرنا بنبأ استشهاد طالب، فقلت خيراً، انتظروا نتأكد، فأخذت الهاتف واتصلت بببشاوور على بيته فلم يرد علي أحد، فاتصلت بأخ يعرفه وسأله عن صحة الخبر فأجاب: نسأل الله أن يتقبله شهيداً وشفيعاً لكم، فقلت: جزاك الله خيراً، إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم رجعت لوالدته وقلت لها طالب لماذا ذهب لأرض أفغانستان قالت لكي يجاهد فقلت حسناً هذا هو جاهد وأكرمه الله وأكرمنا بأن اتخذته شهيداً، نحمد الله وشكره حيث قال عز وجل (ويؤخذ منكم شهداء)، فما كان منها إلا أن مسحت دموعها وقالت إنا لله وإنا إليه راجعون، وأخذت أشرح لها أن نبينا محمداً ﷺ هو إمام المجاهدين ونحن على طريقه إن شاء الله، وأنه لا بد من الجهاد في سبيل الله تعالى لنصرة دينه، فتغمدته الله برحمته وأسكنه فسيح جناته، وهنيئاً لك يا طالب، طلبتها وتلقها إن شاء الله.

(الجهاد): لماذا جئت بنفسك إلى أرض الجهاد؟

(والد الشهيد): قبل خمسة أشهر تقريباً من تاريخ استشهاد -رحمه الله تعالى- طلب مني أن أصطحب والدته وإخوته إلى باكستان، ومن ثم يأخذني لأرى أرض الجهاد والمجاهدين، فوعده إن شاء الله بالعطلة الصيفية، ومضت بضعة أيام حيث اتصل بنا هاتفياً وقال حبذا لو كان قدومكم في عطلة الربيع، فقلت له لا تكفي خمسة عشر يوماً نظراً لبعد الطريق، فقال تكفي وجزاكم الله خيراً، وفعلت حصلت على إجازة من مكان عملي عن عطلة الربيع وذهبتنا إلى الباكستان، وأخذني -رحمه الله تعالى- إلى عدة جبهات،

فدهشت ويدون مبالغة نظرت بعيني وسمعت بأذني عملياً حياة الكرام في جميع أعمالهم وحركاتهم وتصرفاتهم، وبعد أن تلقيت نبأ استشهاد رجلي رحمه الله ضرب الطمع رأسي وقلت لا يكفي أن يكون ولدي طالب شفيماً لي، وإنما يجب أن أذهب لأرض الجهاد سائلاً المولى عز وجل أن يكرمني بالشهادة مجاهداً في سبيل الله إنه على كل شيء قدير.

(الجهاد): تزعم طائفة من الناس أن مشاركة شباب الدعوة الإسلامية في الجهاد سيعرض الدعوة للخطر لأنهم سيتركون ثغورهم شاغرة!

(والد الشهيد): إنني أرى من الضروري جداً استمرار الدعوة الإسلامية إلى الله تعالى، ولكن لا يعني هذا ترك الجهاد، فالجهاد فرض لا يترك، حيث قال نبينا ﷺ ما ترك الجهاد قوم إلا ذلوا، وإنما يستطيع الدعوة أن ينسقوا بين الدعوة والجهاد، بأن يذهب للجهاد بفران من عشرة ولدة شهرين مثلاً، وعندما يعودان يذهب غيرهما، وهكذا بحيث تبقى الدعوة قائمة ويسد الفراغ الموجود بين صفوف المجاهدين، وفي هذا تشجيع وتأييد للمجاهدين.

(الجهاد): ما نصيحتك للأبناء الذين يمنعون أبناهم من المشاركة في الجهاد؟

(والد الشهيد): إنني أتوجه للإخوة الآباء بسؤال: هل يهنا الوالد إن لم ير ابنه أو ابنته ينعمان بالعيش الطيب الرغيد؟ وهل يهنا الوالد إن لم ير ولده يحيا حياة سعيدة كريمة عزيزة؟ وأي عيش وأي حياة تشبه عيش الجنة؟ وحياة الجنة وليس الجنة فحسب وإنما مع الأنبياء والصديقين في الفردوس الأعلى، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) وإن الشهادة خير وقاية من النار، وخير ضمان أكيد للجنة بإذن الله.

وآتمنى لو كان لي أربعين شاباً يستشهدون في سبيل الله، والآن أدعو الله وأسأله الإجابة أن يرزقني وزوجتي وولدي وبناتي الشهادة في سبيل الله.

ومن ناحية العمر ونهاية الأجل فالآية صريحة جداً وواضحة (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون).

(الجهاد): ما وصيتك للشباب المجاهد في هذه الساحة؟

(والد الشهيد): أوصي إخواني وأبنائي الشباب المجاهدين أن يتوسلوا إلى الله تعالى دائماً بأن يرزقهم حسن النية والشباب والإخلاص في العمل، وأن يحافظوا على المودة والأخوة ووحدّة الصلح فيما بينهم، وتتأسي الخلافات المزمّنة الناشئة في بلدانهم، كما أوصيهم بالاستمرار في السمع والطاعة لقادتهم، والدعاء لي بأن يكرمني الله بالشهادة في سبيله.

(الجهاد): كلمة أخيرة توجهها لقراء (الجهاد).

(والد الشهيد): إخواني قراء مجلة الجهاد في هذا الوقت بالذات أرجو منكم أن تزدادوا ارتباطاً بالجهاد وتأييداً له، فالجهاد هو نروة سنام الإسلام، ولا عزة للمسلمين إلا بالجهاد، وأولها جهاد النفس، عندما يتغلب الإنسان على نفسه يصنع المعجزات، ثم حينئذ أنفسكم لتلبية نداء الجهاد في سبيل الله طلباً لرضاء والفوز بالجنة ومساعدة إخوانكم المجاهدين.

الشهيد أبو خليل (معتوق فارس خليف العبدلي) (١):

ما كل من طلب المعالي نافذاً فيها ولا كل الرجال مخولاً

سنة كاملة لم ينزل من المأسدة إلى ترمجل: كل من زار المأسدة يدرك عظم المعاناة التي يتجشمها المرء الذي يربط هناك أربعة أشهر والثلوج تكسو وجه الأرض، ولا يستطيع المجاهد أن يواجه الشمس في رابعة النهار لشدة البرد ولذع الزمهرير، لقد عشت فيها فترة، وكنا نضع المياه في أوان بلاستيكية فنقوم في صبيحة اليوم التالي لنجدها متجمدة لا نستطيع أن نصب الماء منها لوضوء الفجر.

ولذا فإن الأفغان يقسمون الجبهة إلى قسمين، قسم يقضي شهره في الرباط بينما يستجم القسم الآخر وقت إجازته بين أمه، ثم يتم التبديل.

(١) المصدر السابق ص ٢٨.

في هذا الجو الذي تتجمد فيه الأطراف برداً وتتوقف الحركة في المنطقة يقسم أبو خليل: (لن أنزل ترمجل حتى تفتح تشاوني (القلعة)).

ويبر الله بقسم أبي خليل الذي أصبح مضروب المثل في حبره وعصاميته، ويوليه أبو عبد الله إمارة جبل قباء في المؤسسة، ولكأنك تنظر إلى هطاء بن أبي رباح وأنت تنظر إليه، فعطاء سيد التابعين في مكة وكان عبداً أسود أقطس، ولكن الرجال ليست بمناظرها:

همم بلفنكم رتبات كثرت عن بلوغها الأوامر
ونفوس إذا انبرت تضال نفدت قبل أن ينقذ الأقدام
وقلوب موطنات على الروح كان اقتحامها استسلام

في باري: وبعد أن فتحت قلعة جاوني في عيد الفطر سنة (١٤٠٨هـ) وهزم أعداء الله، يمم أبو خليل شطر جبهة ساخنة، وهل أقرب وأسخن من باري في خوست، وأصبح أميراً هناك، وألهم ظهور الأعداء بشظايا الرمي، وكان الهاون هو آلة الانغام العذبة التي يشنو على صليلها أشعاره. ويروح بدويها عن نفسه، ويشبع نهمه ويحقق أمانيه:

طال غشيانك الكرائه حتى قال فيك الذي أقول الحسام

وطال المقام في باري عاماً آخر يستقبل أبو خليل فيه فوجاً ويودع ركباً، وإذا كانت ترمجل قد تافت لرؤياك عاماً كاملاً فماذا عن ميراثه وأنت في باري.

من مناقبه: كان يقوم الليل، ومن سماته البارزة الحلم والأناة وسعة الصدر، وكان يقول عن أبي العباس: إن هذا سيستشهد لأن عليه ملامح الشهيد.

في جلال أباد: وجاءت الأحداث الساخنة في جلال أباد، واستلم أبو عبد الله أقرب المناطق إلى العدو، وبدأ يقتحم الأهوال بما جمع الله له من أبطال، وإذا بأبي خليل يهفو إليها ويقبل عليها.

وفي (١٩٨٩/٥/٢٢م) كان اليوم الموعد الذي طالما كان يجار إلى الله بقلائه فيه، وفي ساحة لظاها يشعل الأرض ناراً، وشواظ طائراتها ولظى دباباتها تقشعر لهوله الأبدان، وفي هذا الجو المدهم المكفر ألقى أبو خليل بنفسه بين فكي الموت مع أخيه الحبيب الزاهد العابد (أبي العباس)، ويمضيان إلى الله في لحظة واحدة:

فأثبت في مستقيم الموت رجلك وقال لها من تحت أخمصك الحشر

ومضى الزاهد الراهب في عزلة، الفارس فوق ذروته، مضى إلى الله بعد أن علمنا الكثير من دروس الصبر والمصابرة والمراقبة، فنرجو الله أن يكون من المفلحين، واستراح في جدته في طرخم بعد معاناة السنين.

الشهيد أبو مبارك البعاني (عامر أحمد صالح الجبري) (١):

لقد تحملت الجزيرة بشقيها الشمالي والجنوبي العبء الأكبر في تقديم التضحيات العربية الباهظة في الفتوحات التي تمت في جلال أباد وقندهار، ولقد أصبح أهل اليمن مع أهل الحجاز ونجد كفرنسي رهان في ميدان الحطبة، وأهل اليمن لهم شبه كبير بأهل أفغانستان، حتى صار الإخوة يطلقون على اليمنيين (بشتون العرب)، وهناك تقارب كبير وتشابه كثير بين فطرة الشعبين وطبيعة البلدين وجبالهما وشطط العيش فيهما، وزهد شعبيهما، وتحمل المكاره والمشاق، والصبر على المصائب.

ونحن الآن مع حداد يذكرنني بيوسف طلعت أحد قادة الإخوان المسلمين في فلسطين وقناة السويس، إذ أن يوسف الذي أقض مضاجع اليهود في السبع، والإنجليز في الإسناخيلية تجار بسيط الثقافة، ولكن الجهاد بفضل الله حوله عملاقاً يهز عروش الظالمين.

نبذة عن حياة الشهيد: من مواليد (١٩٥٨م) في يريم التي اشتعلت منها أول شعلة ضد الشيوعيين في سنة (١٩٨٠م)، ولقد قدمت يريم الكثير من الأسود الذين قضوا نحبتهم على طريق هذا الدين، ولا زال البعض يخذي (يسرع) في سيره على هذه الجادة.

ولعل قدح الزناد ضد الشيوعيين في اليمن هو الذي ألهم الجيل الذي عايش ذلك الجهاد الذي حرك النخوة والحمية الإسلامية في أعماق رجال اليمن، واليمن هي البلد العربي الذي قذف بأقلاد أكباد شابت نواصيهم في الإسلام، وطعنوا في سنهم دون أرواحهم

(١) المصدر السابق ص ٣٩.

التي لا تشيب، إذ الجهاد حولها إلى أرواح شباب يشتعلون حماساً، فأبو حميد الذي كان يرافقني الرباط على خط النار الأول في جلال آباد في العشر الأواخر قد بلغ الستين من العمر، ومن قبل رأيت غيلان أبا فارغ وصاحبه وهو في العقد السادس من عمره كذلك، وهذه ظاهرة تفرد بها أهل اليمن، إذ لم يكتف من السعودية إلا الشباب الذين في مقتبل العمر وكان اليمني وهو يمتشق سلاحه وقد أصبح رأسه ثغامة (شيبية) ينشد:

سني بروهي لا بعد سنيــــــــــــــــني
عمرى إلى السبعين يجري مسرعاً
فلا مسخرن غداً من التسعين
والروح ثابتة على العشرين

فعامر هذا في الثلاثين من عمره، ودّع زوجته وبيتيه وولده واستودع الله أهله وأمانتهم، وترك جنيماً في رحم زوجته سيرى الحياة دون أن يرى له في الدنيا أباً.

ترامى إلى مسامع عامر أخبار الجهاد الأفغاني، وكانت نفسه تهفو لكي يعيش مع أسد الشرى في أجمها، وبحيا مع ليوث الغاب في عرنها، فودع مطرقة وسندانه وأقبل سنة (١٩٨٨م)، ومكث في الجهاد والرياط ستة أشهر تنقل فيها ما بين صدى - حيث تلقى تدريبه - وخوست - حيث شهد رحى المعارك اليومية التي ما كانت تنقطع يوماً عن الضرام -، ورجع إلى أهله بجسده وترك روحه هائمة بين نرى أفغانستان، وكان روحه تردد قائلة:

حتى رجعت وأقلامي قوائلي
المجد لل سيف ليس المجد للقلم

وما كان لنفس بمنّ الله عليها بتثوق حلوة الجهاد أن تنساه وتشنأه (تبغضه)، وهذه نعمة يتفضل الله بها على من يشاء من عباده.

فكان همه أن يمهد الطريق لعودته إلى أرض القنا الردينية (الرماح)، والبيض المشرفية (السيوف) ففتح ورشة الحدادة مرة أخرى ليجمع ثمن التذكرة وليترك أهله دون أن يريقوا ماء وجوههم لأحد، أو يمدوا أيديهم لحاجة، ولقد كانت مجلة الجهاد التي تنقل أخبار الشهداء تقض عليه مضجعه، وتسهد عليه ليله وأجفانه، ولو رآه أبو الطيب لأشد له:

حقاً نحن نساري النجم في الظلم
ولا يهس بأجفان يهس بهســــــــــــــــا
وما سراه على خف ولا قسم
فقد الرقاد غريب بات لم ينم

(أي إلى متى نسهر ونسير مع النجوم في الليل مع أن النجم لا يسير على خف فيتعب، أو على قدم فينهك، وكذلك فالنجم ليس له جفن حتى يتألم من السهر بسبب الغربة والوحشة).

ووفر مبلغاً وألقاه في حجر امرأته ثم أقبل كالهيمان الذي يزور خله والولهان الذي ينادم حبه الغائب ووصل في رمضان، وأين يمكن أن يتوجه سوى إلى جلال آباد التي أصبحت مصرع عشاق الحور، ومحطاً لأمال الراحلين إلى بلاد الأفراح، وفي طريقه إلى أفغانستان لأبد من العمرة.

العمرة: ومرّ بالبيت الحرام وأدى العمرة، ووقف في ظلال البيت يعاهد الله على الموت، وكأنه كان على موعد مع الشهادة، فأقبل في رمضان إلى جلال آباد، وفي (١١) ذي القعدة سنة (١٤٠٩هـ) الموافق (١٢/٦/١٩٨٩م) نال الشهادة التي أقبل من أجلها ثم مضى إلى ربه، ونرجو الله أن يتقبلنا وإياه ويجمعنا في الفردوس الأعلى.

أبو العباس^(١):

سمات الشهداء بارزة في تصرفاته، ومناقب المقبلين على الله - عز وجل - بادية على مخايله، طويل الصمت، يكره التثرثرة ولا يطيق المزاح ولا كثرة الكلام، أفعاله خير معلم لإخوانه، فكانوا يستقون من أدابه قبل أن يتلقوا منه تعليم السلاح إذ كان مدرّياً، وكان لا يفتر عن الذكر، لسانه رطب بذكر الله.

أما عن زهده فحدثت ولا حرج، فقد كنت تشتتهي أن ترى عليه غير ثياب المعسكر البدلة الزهيدة الصفراء، وتراه وقد اشتد الزمهرير لا يغير هذه الملابس، ومع لذع سبرات الرياح الصرصر في الشتاء يتقدم إليه أحد الإخوة ويقدم له جاكيتاً ليحب البرد، فيعثر إليه شاكراً بأدب.

(١) المصدر السابق ص ١٠

كأن نفسك لا ترضاك صاحبها
ولا تعدك صولاً لمهجته
إلا وأنت لها في الردع بسؤال
ما قاته وفضل العيش أشغال
نكر الفتى عمره الثاني وحاجته

أما عن طعامه فكانه يطبق الحديث الشريف "حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ثلث للطعام وثلث للشراب"، يقول عبد الجبار المصري: لقد كنا نعجب كيف يعيش أبو العباس؛ حتى كنا نتخيل أنه لا يكلل أبداً، ولقد كان يعطي الفاكهة إلى إخواته. في الدورة الشهرية؛ وأفرد مجموعة من الإخوة مكان في معسكر جاور، وقد أذن لهم أن يحضروا طعاماً وشراباً خاصاً، وذات يوم سأل عبد الجبار مازحاً عن الحمام والعصير الذي اشتراه إخوانه، فقال له: دعني من هذه الأشياء فأني لا أكلها ولا أعلم عنها شيئاً.

ويقول عبد الجبار: لقد كان دائماً لا يسير في المعسكر إلا حافياً، فهو نموذج عجيب لم أر مثله قط في حياتي.

أعاذك أنس الجد عن كل وحشة
كأنك في هذا الزمان تريد

وغادر جاور إلى باري حيث يلتقي الزاهدان أبو العباس وأبو خليل، وبعد فترة غادرا باري إلى جلال آباد بعد أن حمى اللوطيس واشتبكت الأسنة واشتجرت، وكانا على موعد مع القدر في (١٩٨٩/٥/٢٢ م). ومضى أبو العباس مع أبي خليل وبقيّة واحدة إلى الله عز وجل تجاورا في الأولى وفي الآخرة.

الشهيد أبو إبراهيم (ناصر علي حسين علي اليماني) (١):

بعد رحيل الزاهدين العابدين (أبي خليل وأبي العباس) بيوم واحد تبعهما الزاهد العابد ناصر، لا يختلف عن سابقه في مناقبه وخصاله كنت لا تراه إلا تائياً لكتاب الله، أو مطالعاً في كتاب، أو ذاكرة، أو صامتاً، هو صنو أبي العباس في الزهد، كثير الصيام رغم جسده الناحل الضاوي ياكل من الطعام ما تيسر، ويرتدي من اللباس ما تهيأ، وإن أحببت أن تراه في آخر الليل فستجده بين القائمين (تتجاني جنبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطعناً)، كثير القيام والصيام، ولوع بالقراءة، شغول بالذكر، قليل الطعام قليل الكلام، يسير المنام، كل من عايشه يدرك أن الرجل يودع الدنيا.

وحيد من الخلائ في كل بلدة
إذا عظم المطلب قل المساعد
وأورد نفسي والهند في يدي
موارد لا يصدرن من لا يجالس
ولكن إذا لم يحمل القلب كفاً
على حالة لم يحمل الكف ساعداً

وعلى قدر من الله يلتقي أبو قتبية وأبو عبد الله العبيدي مع ناصر (أبي إبراهيم) في خندق واحد في جلال آباد، وتأتي قذيفة الموت لا بل قذيفة الحياة لتأخذ الثلاثة أشلاء إلى الله (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموال بل أحياء ولكن لا تشعرون)، فرحم الله أبا إبراهيم، وليت شعري أي مدرسة هذه التي منها يخرجون؟ وأي مورد صاف هذا الذي من رواه ينهلون؟ ونرجو الله عز وجل أن يجمعنا وإياهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

الداعية المهاجر (٢)

من زهرة الدنيا مرب، ومن قنّة الأرض -أمريكا- أقبل، وفي تضارة الشباب اهتصر، ومع نداوة الفصن اعتصر. رأيت في المؤتمر في أمريكا في ديسمبر (١٩٨٨ م)، وأخذ يتابعني من مكان إلى مكان، وبحجة الصحافة سمح له أن يبقى قريباً مني في الفندق يتردد على غرفتي، هكذا سبحان الله تعلق بي أيعا تعلق، لا يود مفارقتي، وعندما شارف المؤتمر على الانتهاء بدأ يغريني بزيارة المدينة التي يقيم فيها، وجاني مجموعة من شباب (أرلنجتون) وقالوا: عندنا أبو طارق الطيكر، ومدينتنا نشطة للجهاد كأنها خلية نحل، وحق عليك أن تزورها وهي قريبة إلى (اوكلاموما)، وبالإمكان أن تسافر إليها بالسيارة، وقررت أن أسافر معهم في سيارتهم، وفي سيارة الأخ مصطفى ركبنا وسافرت معهم، وكانت ساعات حارة اللقاء بعد غياب طويل عن أبي طارق الذي شارك معنا وضع حجر الأساس لمكتب الخدمات، والذي كان له فضل السبق في هذه المسيرة الخيرة التي قطعها هذا المكتب.

وقرر أبو الطيب أن يطلق أمريكا ثلاثاً لا رجعة فيها، وعدت إلى بيشاور، وبعد مدة وإذا بأبي الطيب يصل بيشاور، وأخذته إلى صدي، وكانت دورة الدعاة لا زالت فكرة في الأذهان، وتحسنت أن يدخلها، وكان أول الداخلين فيها، إنه يريد خدمة هذا الدين، وقد

(٢) مجلة الجهاد العدد ٥٨ من ٢٤ محرم ١٤١٠ هـ أغسطس ١٩٨٩ م.

(١) المصدر السابق ص ١٠

أتاه الله اطلاعاً على الثقافة الإسلامية، وكنت تلمح على إشراقة حياه إشراقة الروح التي تسري في أوصاله، وصفاء النفس الذي ينمكس على جبينه، وما أجمل إشراقات إقبال في العزيمة المتوثبة.

إذا ما استيقظت روح الصقور وهبت في الجوانح والصقور
رأى الشبان في الأفلاك مشوى عزائمهم وفي الأفق المنير
وأنت الصقراقين الوكر واسكن على قمم الشرايق والصخور

في رمضان: وفي رمضان يعود الدكتور حمزة من كابل ويشير عن حاجته إلى مرضين مجاهدين، بحيث يقوم على تدريبهم ليكونوا معه فرق إنقاذ وإخلاء من خط النار، وتكلمت في المسجد عن الحاجة الماسة، فتفاعلت نفسية أبي الطيب، واستطاع دحمزة أن يقتنه ويرسله أمامه إلى كابل.

وفي عيد الفطر يعود أبو الحسن المدني من كابل ويخبرني عن قدوم بعض الإخوة العرب، ثم نوّه أنه لمح من بينهم شاباً عليه ملامح الإخلاص، وتبدو صفات القيادة على مخايله، وأنه رشحه ليكون أمير مجموعة نون أن يكون له به سابق معرفة.

إلى شكردرة: وعند أبي علي المالكي لمي (كريزمير) حط رحاله، وألقى عصا تسياره، وهناك اشتعلت المعركة واستحر القتل بالمجاهدين، واشتد قصف الطائرات التي تجلجل بدورها في المنطقة ليلاً ونهاراً، وعلى مقربة من كابل حيث بدأ المجاهدون يدمرون الحزام الأمني الثاني لكابل، وابتعد المجاهدون عن التبة التي استقر بها أبو علي، ولم يبق فيها سواء وخمسة من إخوانه العرب، بحيث لو غادروا سقطت كريزمير بيد أعداء الله، فالكوا على أنفسهم ألا يغادروا المكان إلا جثثاً ممزقة، وهنا طاب لأبي الطيب المقام، ووجد روحه في لهيب الغرام، ورأى على حد الأستاذ طيب الجمام (الراحة).

يريك مخبره أضغاف منظره بين الرجال وفيها الماء والأك
وقد يلقيه الجنون حاسده إذا اختلطن وبعض العقل عُقال

(الال: السراب، أي هناك رجال حقاً كالماء في منظرهم ومخبرهم، ومنهم أشباه رجال كالسراب الذي يبدو كالماء، عُقال: داء يصيب رجل الدابة يعيقها عن الحركة، اختلطن: اشتبكت السيوف).

الخبر الصاعق على نلس محمد المشتاق: وبعد صلاة العشاء مساء (١٩٨٩/٦/٢٩م) جاني صاحبه ورفيق عمره محمد المشتاق المغربي وساطني باستفراب: أوقد مضي أبو الطيب؟ فشدهت قائلاً: من أنباءك هذا؟ فقال لي: أخ جزائري قادم من بيشاور سمع بقي الدين الجزائري العائد من شكردرا (كريزمير) يحدث بهذا، فقلت له: سل أبا الحسن المدني فهو في غرفة القيادة، وأقبلت إلى غرفة القيادة وإذا بمحمد المشتاق قد خنقته العبرات، وفي ظلام الليل لا يجد سوى دموعه الحرى يناجي بها روح أخيه أبي الطيب الذي رافقه ثماني سنوات، وواكبه المسيرة من المغرب إلى أمريكا إلى هدى، فرحمه الله وألحقنا به في الصالحين.

وهكذا مضي الطيب أبو الطيب، وقضى الحمام الوداع بعد أن أصبح صقراً بازياً، وغضنفرأ (أسداً) هائجا، ويلمحة خاطفة افتقدناه من بيننا بعد أن بلغ بالصليل ما لم يدركه غيره بالصياح والعويل والقال والقييل.

كتب عنه حبيبته ورفيق عمره محمد المشتاق ما يلي: (ولد حسن ولقي -أبو الطيب- في مدينة فاس في ١٩٦٤/٣/٣، كان شاباً تربى منذ صغره على حب هذا الدين وخدمته، فكان صواماً للاثني والخميس، قاتماً بين يدي الله في الثلث الأخير من الليل، لا يفوته الوتر، وكان كتاب الله لا يفارقه في سفر ولا حضر، ولا يفوته ورده اليومي من القرآن الكريم مهما كانت الظروف، وكان رحمه الله مداوماً على أذكار الصباح والمساء، ولا ينام إلا وهو متوخسّ مهما قست الظروف، ولا ينام إلا بعد قراءة سورة الملك (المنجية) مهما غلبه النوم والتعب، وكان النوم يأخذه أحياناً فيغفو قبل أن يختمها، فيغالب النوم ليكمل السورة، كان شاباً شجاعاً لا يهاب العدا، وكان الإسلام والدعوة إليه ديدنه لا يكل ولا يمل.

كنا سورياً في الثانوية، وكان دائماً يقوم بإعطاء المحاضرات عن الإسلام، ويرد على شبهات الملحدين والشيوعيين أساتذة كانوا أم تلاميذ، وبعد أن انتقل إلى المرحلة الجامعية رفض أن يدخل شعبة الدراسات الإسلامية لأنه كان يرى أن معظم الإخوة والأخوات فيها، ودخل شعبة الفلسفة وعلم النفس لأن معظم طلابها إن لم أقل (٩٩٪) منهم ملحدين، وقد كان شوكة في حلقهم، وأدى دوراً فعالاً في القسم، مما جعل بعض الأساتذة يحقنون عليه ويرسبونه في امتحاناته، وكان بالمرصاد للشيوعيين والاشتراكيين، فحيثما سمع بمحاضرة لهم تابعهم ووقف في وجوههم. وكان رحمه الله ذا اطلاع واسع على الثقافة الإسلامية والأدبية والثقافة العصرية.

وكان محباً لكتب سيد ومحمد قطب وخاصة الضلال، وكان محباً لكتب فتحي يكن الحركية، وعاشقاً لكتب السلف الصالح كأمثال ابن تيمية وابن القيم.

كان رحمه الله عضواً نشيطاً في الحركة الإسلامية، ينذر أن تجده دون خدمته للجماعة من الدعوة إليها، أو تربية القلوب قبل العقول، وكانت له مكانة في قلوب الجميع أينما حل وارتحل، بحيث كل من رآه أحبه لأول وهلة، وكان على صلة مبكرة بالجهاد الأفغاني، وقد حاول القنوم منذ (١٩٨٤م)، وكان يكتب عن الجهاد الأفغاني في مجلة الإصلاح المغربية، وكتب بحثاً مطولاً عن أفغانستان الماضي والحاضر).

وقد كتب رسالة مؤثرة معبرة إلى أمه تنم عن عمق اتصاله بالله - عز وجل - نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً، وكذلك عن علو كعبه في البيان، وصلته بالثقافة الإسلامية - الكتب الحركية -، فترجو الله أن يتغمده برحمته، وأن يجعله شفيعاً لنا ولأمه ولأهله يوم القيامة إنه سميع قريب مجيب.

رسالة الشهيد أبي الطيب المغربي إلى أسرته^(١):

أمي الحبيبة أسرتي الكريمة لأجل الآخرة وخوفاً من هذا اليوم العصيب الذي يشيب له الولدان، فررت بديني من أرض الكفر والكافرين إلى بلاد الإسلام والمجاهدين مؤثراً شظف العيش هنا على ترف الحياة هناك، متجرعاً كأس الغربة والاغتراب لعل ربي يرضى فيعوضني عنها كأس الأنس والقرب في جنات عدن.

أمي الحبيبة، أعلم يقيناً أنك تألت كثيراً لفراقي وغربتي ويعلم الله أنني أبادك نفس الشعور، وستألمين أكثر عندما يصلك خبر استشهادي، فتتعطم آمالك الدنيوية وينهدم قصرك المستقبلي الذي بنيت من دراستي في أمريكا و.....

ولكن على رسلك يا أماء لا تظلميني ولا تظلمي نفسك، ولا تجعلني نار الحسرة تأكل قلبك، واستشعري معي أمر الله ومن قبل ذلك استشعري معي فضل الله ونعمه، فمن فضل الله ونعمه علينا أن جعلك أمماً لي وجعلني ولداً لك وجعل بيننا الحب والعطف وهدانا مع ذلك وقبله إلى الإسلام، وفوق ذلك كله «إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها»، فهو سبحانه الذي أعطانني لك، وهو سبحانه الذي أخذني منك، فليس لي ولا لك من الأمر شيء «قل إن الأمر كله لله».

أمي الحبيبة إنني ما ذهبت إلى أمريكا إلا لأدرس وأتيك بالشهادة وأؤمن لك ولأسرتي المستقبل الطيب، لكنني ذهبت والشوق إلى الجهاد يملأ علي كل جوانحي، وهناك فكرت، وقدرت واخترت لك الآخرة، ونعيمها الدائم، لأنني مهما حصلت لك من هذه الدنيا وزخرفها فما هو في الآخرة إلا متاع، وما مثل الدنيا في الآخرة إلا كرجل استظل بشجرة ثم فارقها، فأنا اخترت لك يا أمي الحياة الخالدة والنعيم الدائم في رحاب رب كريم وإن طال غيابي عنك فلا تجزعي، فعند اللقاء تزول الوحشة ويحل الأنس وستجديني هناك إن شاء الله على أحسن حاله وأنتظرك بالشفاعة التي وعدنا الله بها فأخذ بيدك أنت وكل أسرتي ندخل الجنة التي وعد المتقون، ففيها كل ما تشتهيhe الأنفس وتلد الأعين، ونحن إن شاء الله فيها خالدون.

أمي الحبيبة اعتبري غيابي عنك، أنني بقيت في أمريكا أدرس حتى أحصل على الشهادة وإن الشهادة في سبيل إعلاء كلمة الحق أعلى من كل شهادات الأرض، بل أفضل من كل الدنيا وما فيها، وتيقني يا أماء أن أفضل وأحسن هدية أقدمها لك تلك الشفاعة التي وعدنا الله بها لأنني وجدت كل شهادات الأرض لا تليق كتعبير لحبي لك إلا هذه الشهادة الربانية أو بالأحرى هذه الهدية الربانية، التي تتضمن عز الدنيا وشرف الآخرة، فاستبشيري بهذا الفضل وهذا الكرم، واعلمي أن الله ما أخذ أبنتك إلا لأنه يحبك فاشكريه ولا تقبلي العزاء في فإنني لست بميت بل أنا حي عند ربي أريق فرح بما أتاني من فضله وقولي للمعزين لا تبكوني في حسن بل هنؤني به فإن هذا الشرف كانت الصحابييات المزمئات السالقات يتسابقن إليه وما الخنساء عنا ببعيدة، فلتكن يا أماء هذه الصحابية الجليلة قدوتك فقد قدمت لله تعالى في يوم واحد أربعة من أفلاد كبدتها قرباناً.

أمي الحبيبة لتتصور جميعاً أنني أتممت دراستي وحصلت على الشهادة ثم الوظيفة، فالسيارة، والفيلا، ثم ماذا بعد؟ أليس المثلث باب وكل الناس داخله فماذا أعدنا للآخرة؟

لقد أخذت يا أماء الآخرة ومضيت إلى الله شهيداً إن شاء الله، وأنا بانتظاركم وكل أسرتي على باب الجنة، وأسأل الله العلي

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٨، محرم ١٤٤١هـ أغسطس ١٩٨٩م، ص ٣٦.

القدير ألا يخيب أملي فيه وأن يجمعني بكم جميعاً «يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها» «يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم شأن يغنيه».

أبي العزيز إن ما قلته لامي أقوله لك أن تصبروا على فراقني فإن الله قد أبدلكم جنات تجري من تحتها الأنهار. «فاصبروا وصابروا ورباطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون».

أختي الحبيبة راضية أسأل الله أن يرضى عنك ويدخلك جنته فلا تجزعي علي بل استبشري.

الشهيد أبو عبد الله المأربي (سالم عمر سالم الحداد)^(١):

في ناحية من نواحي مأرب/اليمن الشمالي ولد سالم، وفي بيت علم ودين وأدب، كان والده من أعلام الدعوة في منطقته، واختطفته يد المنون مخلفاً وراءه خمسة عشر نفراً في أسيرة يتلفتون إلى من يقوم بكفالتهم وتبوير لقمة عيشهم، فلم يجدوا سوى سالم، فكان عليه أن يشد منزره، ويحزم أمره، ويتأخذ على عاتقه أمر إخوانه وأسرته.

وبدأ سالم مع أخيه أبي سالم يجهدان في توفير حياة مهما كان الشظف طابعها، والشدة عنواها وسمتها. وسمع سالم وأخوه أبو سالم بالجهاد فأقبل أخوه أبوسالم، وعرفته في صدى، وكتب الله له أن يشترك في معركة رمضان سنة ١٤٠٧هـ (معركة المأسدة)، وقد قتل الله على يديه زعيم الماليشيا في المنطقة -كما ظن المجاهدون من خلال جثته-.

وأما سالم فقد أكرمه الله بالجهاد، لأول مرة سنة (١٩٨٧م)، ثم عاد إلى اليمن، ولكن نفسه بقيت معلقة بهذا البلم الشافي الذي تنوّه، وقد كان مع إخوانه يتناوبون على الجهاد، إذ أن هذه الأسيرة قد حظيت بتقديم أربعة من ليوشها إلى الجهاد.

وفي شعبان سنة (١٤٠٩هـ) عاد سالم إلى الجهاد حيث طاحونة الحرب الدائرة في جلال أباد تطحن النفوس والأعصاب، وهناك تشتبك الردينية السمر (الرماح) مع بعض الصفاح (السيف)، وأقبل أبوسالم وزج بنفسه بين فكي الحتوف (الموت) وكأته يقول:

سأحمل روعي على راحتني وألقي بها في مهاوي الردى
فأما حياة تسر الصديق وأما معات يغيظ العدا

وشارك في فتح (فركتند) و(نولة زي) و(قرنوسار) و(شينجر)، وخلف رشاش الدوشكا ريش سالم في قرنوسار حيث تطل على الفرقة ٨١ التي تحمي جلال أباد، وكانت السماء ملتهبة فوق رؤوس القوم من خلال تراشق الذيران، فنبابات العدو وهاونات تصلي الإخوة العرب بوابل نيران، والعرب يرددون:

كأن جماجم الأبطال فيهم وسوق بالأماعز يرتمين
نشق بها رؤوس القوم شقاً ونختلب الرقاب فيختليسن

(وسوق: جمع وسق وهو حمل البعير، الأماعز: جمع أمعز وهو المكان كثير الحجارة: شبه كثرة القتل فيهم وتساقط رؤوسهم كأنها حجارة في مكان كثير الحجارة، تختلب: تقطع بالمخالب وهو المنجل الذي لا أسنان له، يختلينا: قطع الخلا وهو الحشيش الرطب).

الرقبها: وفي (٢٢) شوال هب سالم من نومه يضحك والبشر بائن على وجهه كما يقول أبوصالح مثنى المأربي، ثم أخذ سالم بتلابيبي وقال: أبشر فأني سأستشهد، فقلت له: إن شاء الله في فلسطين، قال: لا بل في أفغانستان، فأني رأيت والدي يصارعني مازحاً وهو مسرور لي.

وجاءت القذيفة ليأخذ ملك الموت فيها روح سالم وأبي تقيبة السوري (طالب النجار)، ومضى إلى الله -عز وجل- بعد أن ترك حسرة عميقة في قلوب إخوانه أنه نال الشهادة -كما يحسبون- قبلهم، والكل يتمنى ويدعو أن يقضي نحبه على هذا الطريق، وترجو الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى.

الشهيد أبو ساعد الجداوي (رضوان خليفة)^(٢):

هكذا قدر الله أن يكون اسم الشهيد على اسم خازن الجنة، ولعل روحه قد التقت برضوان على بارق -نهر بباب الجنة- في تبة

(١) المصدر السابق ص ٢٧-٢٨.

خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً.

ما بالك يا رضوان قد طلقت الدنيا ونفرت منها كأنها البعير المبعد أو الشاة الجرباء؟ ولماذا حرمت جمهورك ومحبيك من رؤيتك في ميادين الكرة، مالك يا رضوان قد جفلت من رحلات النادي إلى أوروبا والغرب ليروح عنك ويسري عنك همومك؟ أي اختيار هذا أن تفخر من أطعمة أوروبا وتعليمها، ومن الرفاهية في جدة وترفها إلى الخبز الجاف والشاي المر؟ ليت شعري ماذا دهاك؟ حتى استبدلت الشطلف بالترف، واخترت الخوف تحت القصف على الأمن والراحة الجسدية التي تعم بلدك.

يا ابن الرابعة والعشرين أما فكرت في الفيد الحسان حتى تختار منهن رفيقة حياتك؟ من التي ستتزوجك بعد أن تركت النادي وهربت من الدنيا وأهلها إلى شعف الجبال تطلب الموت مظاناً؟ إن الأمانني ارتفعت، والاهتمامات قد علت، والروح قد شفت ودفرفت وأصبحت تبحث عن الحذر العين بعد أن كانت النفس غارقة متيمة في آرام (جمع ريم) الطين ونساء الدنيا.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

لقد عبّ رضوان من متاع الدنيا وماء بحرهما فما ازداد إلا عطشاً، وكثت يعيش في أخريات أيامه مع أبيات أبي نواس:

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأسعت سرح اللهور حيث أساموا

وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه فإذا عصارة كسل ذاك أثام

فر إلى الله، وظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه، وأصبح يهتم بالحديث، حتى كان الإخوة يطلقون عليه (الألباني الصغير)، كان يفر من الشر وأهله، لا يحب النيمة ولا الغيبة، كان صواماً قواماً كما يشهد له أفراد سرية حمزة بن عبد المطلب التي توجهت إلى فارياب والتي حظيت تربتها بأن تضمخ بعده.

قدم إلى الجهاد قبل سنة ونصف، وتدريب ثم ذهب إلى لوجر، وأخيراً كتب الله له أن يكون جندياً تحت إمرة أبي الجنيد/أمير سرية حمزة بن عبد المطلب، وتوجه إلى فارياب أبعد بقعة في أفغانستان تقريباً عن بيشاور، وفي الطريق وقع في أسر الشيعة في باميان، ولكن الله -عز وجل- قدر أن يعمي أبصارهم عنه فلم يعلموا أنه عربي سعودي، وإلا لعضوا عليه بالنواجذ يطلبون الفدية بالملايين، كما فعلوا بثلاثة من الأطباء العرب في وردك قد أسروهم منذ سنة تقريباً وهم يطلبون الملايين لقاء إطلاق سراحهم رغم المواعيد الكثيرة التي أخففوها.

وأطلق سراح رضوان ولحق بحبيبه أبي الجنيد، وهناك توجه إلى مديرية قيصر واشترك في عملية ضد الروس، ثم اشترك بعدها في عملية (قلعة يلبكي)، وذهب بعدها إلى (اندوخوي) على حدود تركمانستان، هذه المنطقة التي ترزح تحت الاستعمار الروسي، وتذكرك وأنت تنقسم عبيرها بشذى المدن الكبرى التي كانت في يوم من الأيام مله سمع الدنيا ويصرها.

خراسان: لقد كانت تركمانستان جزءاً كبيراً من خراسان والتي يقول عنها ياقوت الحموي (وأما العلم فهم فرسانه وسادته وأعيانه)، وإن هذه البلاد لتثير في أعماق النفس الأشجان لأن الحضارة فيها تندب أيامها الخوالي، وتركمانستان تضم سرخس (بلد السرخسي صاحب المبسوط)، وبيهق (بلد البيهقي صاحب السنن الكبرى)، وهذه مرو-قصبه خراسان وحاضرتها (بلد عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل)، وهذه آمد (بلد الأمدى: صاحب كتاب الإحكام في أصول الأحكام في أصول الفقه)، وهنا اببوردي (بلد الأبيوردي الأديب محمد بن أحمد سنة ٥٠٧ هـ)، وهنا نسا (بلد النسائي صاحب السنن)، وهذه جرجان (بلد الجرجاني النحوي الأديب)، وهذه زمخشر (بلد الزمخشري صاحب الكشاف في التفسير)، وأي قطر في الدنيا أخرج من العلماء أكثر من هذا القطر الذي انصحت فيه آثار الإسلام، وحرم اقتناء القرآن، بحيث يعد وجود القرآن في بيت جريمة تعرض صاحبها إلى الحكم بالسجن أربع سنوات، وشمال أفغانستان جزء من خراسان، ثم عرفت الأهماء السياسية والديكتاتوريات العسكرية البلشفية فقطعتها ثلاث فرق: قطعة بقيت في أفغانستان والهندكوش وشمالها وتضم هرات وكل الولايات التي تقع شمال كابل، وأهم مدنها هرات وميمنة وبلخ وطالقان وفيض آباد وبقلان وبولخمرى، ومساحة هذه البقعة مائتا ألف كم^٢ (٢٠٠ ألف).

وأما القطعة الثانية فهي بلاد التركمان (تحت حكم الاستعمار السوفياتي ومساحتها ٤٥٠ ألف كم^٢) والقوزاق.

القطعة الثالثة من ولاية خراسان ضمن إيران ومساحتها مائة ألف كم^٢.

أما سكان خراسان فهم (١٢) مليوناً من البشر.

١- (٤.٢٥) مليون من أصل تركي وهم التركمان والقرغيز والأوزبك والقوزاق.

٢- (٣.٧٥) مليون من أصل فارسي وهم الطاجيك في أفغانستان وسكان إقليم (مازندران) في إيران.

٣- (٣.٥) مليون من أصل مختلط من (الفرس والترك) هم البشتو في شمال أفغانستان.

٤- (٠.٥) مليون من أصل روسي وهم المستعمرون الحكام.

أمنية لتحقيق: وقد كانت نفوس الإخوة العرب تهفر أن تطل هذه الأرض الإسلامية التي غابت وراء الأسوار الحديدية الحمراء منذ بداية هذا القرن، وكتب الله لهم تحقيق هذه الأمنية، ولجوا هذه الأرض، وعانوا مسرورين بتحقيق هذه الأمنية الكبرى.

وكتب الله لرضوان السقوط فوق أرض الشهداء في أعز موقف، لقد كان رضوان حريصاً أن يشترك في كل معركة ساخنة لعله يحظى بالشهادة، وجاء اليوم الذي يشترك فيه الإخوة في معركة على (كروان باشي) في (ميمنة) عاصمة قارياب، واشتد القتال، ودارت الدائرة على أعداء الله، وتم الفتح لجند الله، وجاءت طلقة في صدر رضوان ونال الأمنية الكبرى، ومضى إلى الله بعد أن تحول من (لاعب كرة هواء إلى رامي كرة نار على الأعداء)، وانتقل نشاطه من (ميدان رياضة كرة القدم إلى ميدان بناء وقيادة الأمم)، وقد كان كثير من الإخوة يتوقعون له الشهادة من خلال سلوكه وأعماله التي تمهد لهذا الشرف العظيم.

بشرى رسول الله ﷺ: ولقد رأيت حديثاً ينطبق على رضوان وأمثاله ممن عادوا إلى الله بعد جاهلية، ثم فرقوا (خافوا) من ذنوبهم وقدموا إلى الله فراراً إليه من ذنوبهم، وطمعاً في الشهادة؛ ففي الحديث قال ﷺ: [القتل ثلاثة: رجل مؤمن مجاهد بماله ونفسه في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد المضمن في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضلهم النبيون إلا بدرجة النبوة، ورجل فرق على نفسه من الذنوب والخطايا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى يقتل، فتلك مصصة تحت ذنوبه وخطايا، إن السيف محاء الخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، ولبعضها أفضل من بعض، ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله حتى يقتل، فإن ذلك في النار، إن السيف لا يحمر النفاق]، أحمد وسنده حسن وصححه ابن حبان. (مصصة: مطهرة ومقسلة، فرق: خاف).

الشهيد الدكتور ناصر الجزائري (حلواجي عمار) (١) (طبيب القلوب والأجساد داعية الوادي)

رفيق العمر يصاحبه في لحظاته الأخيرة التي يودع بها الدنيا -تقي الدين-، عاش معه في وادي الجهاد (وادي سوف)، عرين الأسود، وبيشة (غابة) الفهود، وتخرج من الثانوية ودرس القطاع الصحي (فني مختبرات)، وتخرج من المعهد مع أخيه أبي بشير الجزائري، وعمل في مستشفى الوادي وأصبح لامعاً في مجال اختصاصه.

وفي بستان الدعوة الإسلامية كانت هذه النبتة التي نعمت بالجو الطيب، فنبتت بإذن ربها، وكانت الثمار الطيبة التي فتح الله بها على المفكرين الإسلاميين في هذا العصر، قد وصلت إلى أيدي الناشئة فأنقذتهم، وكان لسيد قطب رحمه الله دور الذي أعده الله، فسالت المواهب الريانية على ريشة قلعه السيال، وأعطتها بلاغة البيان وقوة السبك التي حباها الله لسيد روعة وبهاء وأمدتها بالحياة وكتب الله لسيد أن يقف تلك الوقفة الصارمة الشامخة التي ودع بها الدنيا، فنفخت في كلماته الروح والحياة والنفاد إلى أعماق قلوب أبناء الجيل، وكذلك الأمر بالنسبة للكتاب الآخرين من أبناء الحركة الإسلامية الوائدة.

وتربى ناصر على موائد هؤلاء المفكرين، وفي زاوية بيته مكتبة عامرة يمثل هذه الكتب التي استحوذت على اهتمامه، وكان لكتب السيرة مكانة خاصة في أعماقه، ولذا فقد كانت السيرة عنوان المحاضرات التي يلقيها في نوات المساجد، ويعلق على أحداث السيرة، ويفسرها التفسير الحركي الذي يجعل أصحابه كتفي الدين أن يمتلئ إعجاباً به، وكثيراً ما كان يبدي دهشته وتأثره بمناضرات ناصر، وكان ناصر يرد قائلاً استغفر الله.

إلى أرض الجهاد: وغادر ناصر الوادي سنة (١٩٨٥م) متوجهاً إلى أرض الجهاد، وترك ثغرة كبيرة في الوادي، وما أجمل أن يملأ هذه الثغرة أخوه (علي)، ولدى وصوله أرض الجهاد عمل ممرضاً في اختصاصه بجانب الدكتور صالح الليبي، ثم عاد ناصر إلى الجزائر، وصار يتردد على أهل الدكتور صالح بالزيارة وفاءً له وحباً.

(١) المصدر السابق ص ٣٩.

وعاد ناصر مرة أخرى إلى الجهاد، وتوجه إلى (وادي سوف الامفاني) وبدأ يزاوّل عمله كطبيب وذلك لقلّة الأضياء، ولم يذكره من أخيه أبي بشير هناك، وبعد ستة أشهر كلفه الأخ أبو الحسن المدني بعمل مستشفى، ففرح بذلك فرحاً شديداً، وزاد في فرحه وصول تقي الدين مع جمال الدين- وجمال أحد الشباب الذين أنقذهم الله على يد ناصر- وما أجمل أن يردد (لا ندري بأيهما نفرح، بعمل مستشفى المجاهدين أم بوصول تقي الدين وجمال الدين)، وهي أيام ثلاثة فما ارتوت الأرواح من ظمئها ولا خفف اللّقاء من شوقها:

عنتم إلينا فما ابتلت جوانحنا شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا

(المآقي: جمع مؤق حجرة العين التي يتجمع فيها الدمع).

إنها أيام ثلاثة فقط يلتقي الأستاذ مع تلميذه، ثم اختلطت رحي المنايا الدائرة روح جمال الدين، وكان وصول الإخوة في الأسبوع الذي استشهد فيه (وسيل) -قائد الاتحاد في شكردرا-، وقد كان غصنفاً مصوراً في ميادين الوغى، وقد ترك في نفوس الجميع حسرة عميقة، ولذا فكان ذكره يتردد على لسان ناصر، ولا يعلم ناصر أنه بعد يوم أو يومين سيلتقي بوسيل إذا كتب الله لهما القبول، وطارت الأرواح إلى حواصل الطيور الخضراء في الجنة.

رجاء اليوم الموعود: حيث توجهت القوة الحكومية إلى شكردرا، وفي اليوم الرابع صلى الإخوة صلاة الغداة (الفجر)، وتلوا على عادتهم الورد القرآني بعد أذكار الصباح (المأثورات)، وفي الساعة الثامنة والنصف جاء الخير بوصول القوة، فهب المجاهدون إلى قمم الرواسي الشاهقة، أما ناصر فقد توجه إلى مكان الوضوء، وتقي الدين يستحثه الخطى، ولكن ناصرأ يصبر على الوضوء قبل تسلق ذرى الجبال.

وبين صيحات التكبير والتهليل التي تردد أصدائها السفوح والقمم والهضاب وأسد الله الغضاب تصلي أعداء الله بشواطئ النار قبل نار الآخرة، وبدأت القوة ترتد على أعقابها خاسرة، وتتقلب خائبة وهي تحمل معها قتلى المعركة كلاب النار، وتنفذت قذائف الإخوة المجاهدين، فانطلق ناصر مع تقي الدين لإحضار القذائف، وفي الطريق إلى مخزن الذخيرة وتقي الدين يهتف بناصر للإسراع وقعت قذيفة بينهما، ولم يكن بينهما سوى متر ونصف فأشاح تقي الدين بوجهه وأخذ بأنفه من غبار القذيفة.

وانجلى الغبار، وأقبل تقي الدين ليطمئن على أخيه ناصر، وإذا بالشطايا قد أصابت منه مقتلاً، وحمله تقي الدين إلى المغارة، وبدأ يقرأ عليه سورة (يس) وأوداج ناصر تشخب الدم الزكسي.

وقبل أن ينهي تقي الدين السورة للمرة الثالثة صعدت الروح الطيبة إلى بارئها بعد أن بلغت بمسيرتها وأشهدت وأقامت الحجة على من تخلف، فلطالما كان وهو يتفقد الساحة فلا يجد فيها الدعاة والأطباء فيقول: بماذا يجيب العلماء والدعاة والأطباء ربهم يوم القيامة عن تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله، لقد أرسل إلي ناصر رسالة صوتية يطلب بها أن نرسل إليهم طبيباً أو دواء وقال: لقد جاءت فتاة صليبية لتعالج الجرحى فأين المسلمون؟!

بل لقد سمعت أبا الجنيد بعد رجوعه من فرياب وهو يرى حاجة الساحة للأطباء، وقد نقل لنا بالصورة المسموعة أرجل الجرحى وهي تقطع بمنشار الخشب. أقول لقد سمعت أبا الجنيد يقول: إن هذا القطع بالمنشار مع بقاء المجاهد الجريح حياً، لقد تعلم هذا بعشرة إلى عشرين ممن قتلهم وهو يحاول تشر أرجلهم أو أيديهم.

وقال أبو الجنيد وهو يعيش أزمة الغياب المنهّل للأطباء عن الجهاد: أظن أن الأطباء سينالهم عذاب شديد يوم القيامة بسبب تخلفهم عن إنقاذ جرحى المعارك.

فهل يسمع نداهم عشرات الألوف من الأطباء في العالم الإسلامي، بل قد تجد البعض من هؤلاء لا يستطيع أن يعمل في بلاده بدون أجر في مستشفيات الدولة (إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون) وعند الله تجتمع الخصوم. ونرجو الله عز وجل أن يتقبل شهادة أخيها ناصر ويجمعنا به في الفردوس الأعلى.

الشهيد جمال الدين الجزائري (رشيد الغولي)^(١):

قال أبو محمد: إني لأرى رشيداً يأكل من يد الحور العين.

من وادي الجهاد أقبل شهيدنا رشيد، وفي جنبات هذا الوادي ترعرع، ومع أترابه من أبناء الحركة الإسلامية نشأ وسار، وما هو مبرر وجود الحركة إن لم يكن الجهاد أول برامجها، وماذا ستعمل الدعوة إن لم تعد للأمر عدته وتتخذ للشأن أهبتها؟ وماذا عساه

(١) المصدر السابق ص ٤١.

يكون حديث سامرها وحدها ركبائها إن لم يكن حديث الفيض والسر والصفاح والحوالي والرماح والأسنة؟.

ولكن من أين التذكرة؟ أما وقد اقتنع رشيد بالجهاد من خلال ما تراسى إلى مسامعه من مفاخر القوم في أفغانستان، ومن قصص البطولات الرائعة التي أعادت سير السلف وشجاعتهم إلى الأذهان حية قائمة شاخصة، وليس أمام رشيد سوى أن يطلق الدراسة وينطلق إلى عمل من الأعمال مهما كان شاقاً حتى يوافي من كد يمينه وعرق جبينه ما يستطيع به أن يشتري التذكرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فإذا كان الجهاد لا يتم إلا بالوصول إلى أرض باكستان فالسعي لشراء التذكرة فرض.

وانتقل من الجزائر إلى تركيا لعله يحصل على التأشيرة، ولكن أعياء الطلب ويئس من الحصول عليها من تركيا، ثم غادر تركيا إلى سوريا، وكتب الله له أن يحصل عليها بعد التي والتيا، وعندما وصل باكستان توجه إلى معسكر خالد بن الوليد، ثم بعد أن أتم تدريبه توجه إلى خوست ثم إلى نجرهار/جلال آباد، وكان مختصاً بالرمي على الأسلحة الثقيلة، وقد أحبه الأفغان حباً شديداً، وقد كلفه القائد الأفغاني بالتحقيق مع الهاريين، وانتشر صيته بين الشيوعيين، حتى أصبحت له رهبة ورعب في قلوب أعداء الله.

وذات يوم أصاب القصف الغرفة التي يحل فيها رشيد، فسقط عليه جداران، وأصيب بجراح خفيفة، فجاؤا لعلاجها فاصطحبه تقي الدين إلى شكريرا.

وهناك التقى جمال الدين (رشيد) بأستاذه ناصر، وكان لقاءً حاراً بعد غياب طويل، ف قضى معه أياماً ثلاثة مرت كئيباً طرفه عين في نظره لشدة الأنس، وجاءت الدبابات في اليوم الثالث لتتحم الموقع الذي يربض فيه الإخوة العرب، واختلط جمال الدين مدفعه (٨٢) وحمله وصوب قذيفته نحو مدرعة متقدمة فأحرقها، والتكبير من الشباب العربي يدوي في عنان السماء.

وهزم القوم الذين كفروا، وأصبحت صيحات التكبير الممزوجة بفرحة الانتصار تتعالى من هنا وهناك، وصار الكفر المثلخ بجراحه يظلي جرحاء، ونزل تقي الدين لطلب القذائف، ثم عاد وفي نشوة النصر الغامرة سأل تقي الدين عن جمال الدين وعثمان اليمني، فورد الأفغان لقد صنعوا إلى قمة الملجأ، فصعد تقي الدين ليراهما، وإذا بألفاتني يصيح: شهيد شهيد، فاستفسر تقي الدين فقال: اثنان من العرب قد استشهدا، وجاء تقي الدين وإذا بجمال الدين مسجى وقد وصل إلى ربه واستراح، وترك في أعماق القلوب الجراح، وحمل الشهداء، وبجانب أحمد الجزائري والقائد وسيل دفن رشيد هناك حيث امتزجت الدماء واختلطت الأشلاء في معركة هذا الدين، وحتى تبقى هذه الأجداد شاهداً شاخصاً أن معركة أفغانستان هي معركة العقيدة، وأن العرب جزء من تاريخ أفغانستان الإسلامي الحديث، وأنهم لبنات صالحة قد أخذت مكانها في صرح المجتمع الإسلامي الذي تتوقع قيامه في كابل إن شاء الله.

بشرى عظيمة على لسان أبي محمد الجزائري: وقد جرح مع رشيد في نفس القذيفة، وأصيب بشظايا في رأسه، ونقل إلى بيشاور، وكانت الألام تشتد عليه أحياناً فيغمى عليه، وأغمى على أبي محمد ذات مرة فقال: (إني لأرى رشيداً يأكل من يد الحور العين).

الشهيد ياسين الجزائري (عبد رب النور حميد)^(١): (الفار من زواج الدنيا إلى زواج الآخرة).

من الوادي وأنعم به من واد، فكم قذف بقلذات الأكباد من الليوث والأساد، فقد جازنا من وادي سوف وثبت في أرض الجهاد أكثر مما جازنا من الجزائر بأسرها، وحسبك من الوادي الشهيد فوزي بن علي، ولا أدع ذكر الوادي قبل أن أدعو لأبي إبراهيم.

عائلته متعددة: شب وتفتحت عيناه على براعم الصحوة الإسلامية التي عم نورها البلدان الإسلامية، وضوح شذاها أرجاء المعمورة، أنهى الدراسة الثانوية، ثم عمل في وظيفة إدارية، وخطب له أهله فتاة يريدون أن يعتنوا أبصارهم برؤية أحفادهم، وتمت الخطبة، وبدأت الإعدادات للزواج وقبل البناء -العرس- بقليل وقعت أنظاره على مجلة من مجلات الجهاد، فاسترعى انتباهه أمر جليل، إنه الجهاد في أرض البطولة والفداء، وماذا بعد هذا؟ إن العلماء يفتون بفرضية العين دون إذن الوالدين.

فيا نفس أي عذر لك أمام الله بعد هذا؟ وهل الزواج يصلح عذراً للقعود عن الجهاد؟ ألم يكن أصحاب رسول الله ﷺ يتزوجون أو يهفون للزواج؟ وهل منعهم هذا عن تقديم أرواحهم لنصرة هذا الدين؟ أسئلة تتواتر وتترادف، وخواطر تتوالى وتتوارد، لم يعد يستطيع، أصبح ذهنه مشغولاً في هذه الخواطر التي لم يعد يملك ردها.

وجاء القرار أخيراً: وأخيراً جاء القرار الحاسم بأن تكاليف الزواج يجب أن يشتري بها تذكرة توصله إلى الجهاد، وأما الزواج فقلعه يكون في الجنة بالحور العين، ألم يقل الله -عز وجل- (قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأسرار

(١) المصدر السابق ص ٤٢.

اقتربتموها وتجاهرة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين).

تأشيرة باكستان: وانطلق ياسين مفادراً الجزائر، وطلق يبحث عن سبيل للحصول على فيزا الدخول إلى باكستان فتوجه نحو تركيا، ولكن وجد أن تأشيرة باكستان نونها كثير من العقبات، وذلك بسبب الضغوط العالمية -التي توجهها الأصابع اليهودية- على باكستان، لأن العالم كله إنما ينتفض فزعاً من الشباب المسلم الأعزل، فكيف إذا حمل هذا الشباب السلاح، إن الشباب المجاهد غول يطارد أعداء الله في منامهم فيقتض عليهم المضاجع.

وانتقل ياسين من تركيا إلى دولة عربية، وبعد جهد جهيد وقد بلغت القلوب الحناجر يسر الله له التأشيرة، وأقبل إلى باكستان، وأخذ قسطه من التدريب، ثم إلى أين؟

إلى وادي سرف الأفغاني (وادي شكردرا: وادي السكر)، وقد لقي الإخوة فيه أنسهم بعد أن يسر الله لهم أحد إخوة الوادي (أبا علي المالكي) الذي أصبح محل ثقة جميع القادة، وكان الأفغان ضيوف وأبا علي صاحب المنزل.

وفي شكردرة: استلم ياسين دبابة من الفئانم، وقد كانت له معرفة سابقة بالنبابات الروسية، وأصبح يقودها ويتحرك بها في المنطقة، وقد كان يخوض غمار المعارك يحمل كاميرة الفيديو ليسجل القذائف الملتهبة والدبابات المحترقة والمخازن المشتعلة.

سنة كاملة في وادي سرف الأفغاني (وادي شكردرة): ووجد ياسين في الوادي روحه وريحانه، وأقربائه وخلانه، فاستقر بها يبحث عن الموت ليسرع من زواجه بالحرور.

في كهرزمير: ولشدة القتل الذي يخلفه القصف الجوي والمدفعي بكل ما أبدعه العقل الروسي من وسائل التدمير والإبادة قل عدد المجاهدين في كهرزمير (قرية في شكردرا).

وأبى الإخوة العرب أن يدعوا أهل القرية لمصيرهم المحتوم وهو الاستسلام للدولة فيما لو انسحبوا، واختاروا الموت على خط الدفاع الثاني لكابل.

ولقد استحر القتل بهم، والدولة تعرف مركز العرب، والمسافة مقيسة بالمتري، والقذيفة قلما تخطئ هدفها، أو تضل مسارها. قال تقي الدين: وشهدت مع ياسين المعركة الأخيرة، وقد حوّر أحداثها الملتهبة، وعاد إلى البيت ليلقي الكاميرا، وجاءت قذيفة الموت التي أخذت معها رجله، وجاء عبد الحق الجزائري وضمد الجرح الذي يشع بماً، وأتينا بالحصان الذي نريد أن ننقله عليه إلى جاريز والطريق مسيرة ليلتين، وبعد مغادرة شكردرا بساعة صعدت روحه إلى بارئها.

ومضى ياسين إلى رب العالمين، ونرجو الله عز وجل أن يتقبله في الصالحين، وأن يزوجه الحور العين، وهكذا مضيت يا ياسين بعد أن علمتنا الكثير، علمتنا أنه:

إذا غامرت في شرف مريم فلا تقنع بما دون النجوم
قطعم الموت في أمر حقير قطعم الموت في أمر عظيم

الشهيد شفيق إبراهيم المدني^(١)

(ويح أمه مسعر حرب لو كان معه رجال)

وهكذا مضى أبطال الملسدة الواحد تلو الآخر، وابتلعت أراضني جلال آباد أسداً بعد أسد وليثاً إثر ليث، وأبو عبد الله أسامة يعنصر قلبه الألم، كلما ودع قلعة من كبده أصابت كبده قذيفة جديدة فانتزعت قلعة جديدة، ثم مضت وتركتها يتلوى الماء، وقبل أن يواسي جراحه يصيبه سهم جديد بجرح عميق وينكا عليه ما كاد ينمّل من قديم الجراح، ولسان حاله يردد مع كل مسافر إلى الله -عز وجل-.

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام
جرحت مجروحاً لم يبق فيه مكان للسيوف أو السهام

مضى أبو الذهب فقال لي أبو عبد الله: ما تالت على أحد كأيي الذهب، ثم لحقه خالد الكردي فقال أبو عبد الله: ما عز علي أحد

(١) مجلة الجهاد العدد ٥٩ ص ٣٩ سطر ١٤١٠ - سبتمبر ١٩٨٩م.

كخالد، ثم تبعه عبد المنان وعبد الرحمن المصري.

وأما في جلال آباد فقد اختطف يد المنون شلواً لأبي عبد الله وهو أبو طارق الماربي (عوض العرادة)، ثم انتزعت شلواً آخر وهو أبو قتيبة، وهنا كان البكاء المر، ثم امتصرت الحتوف (الموت) شقيقاً فلم يعد في النفس صبر على فراق الأحبة.

أما شفيق فحدث عنه كما نشاء -من الشجاعة والإقدام والصبر والاحتمال- فهو من أصغر الناس الذين أقبلوا على الجهاد. قدوه: أما شفيق فقد قدم سادس ستة تلاميذ أحد الدعاة المعروفين من المدينة المنورة منهم الشهيدان أبو قتيبة وخالد الكردي، ومضوا على الطريق الشائك ينتقلون شوك الغضى ويتجرعون غصص الأكدار، ولقد واكبت مسيرتهم منذ أيامهم الأولى، وكنت أشفق عليهم، غص أهائهم، وطري عودهم، والأمر أكبر منهم، والحمل ثقيل على كواهلهم، -سبحان الله- إن أبعد شيء كان يمكن تصويره هو استمرار هؤلاء الشباب على هذا الطريق الدامي الأليم، ولكنهم ثبتوا بثبوت الله لهم، وقصرت قمم كنا نحسبها أعمدة لهذا البناء الإسلامي السامق، وفجأة افتقدناهم وكل له ميرراته بترك الميدان، ولكن أتقبل عذراً عند الرحمن؟ إن هذا من الشك بمكان.

في معسكر أسامة بن زيد: وكان أسد الله أمير معسكر أسامة بن زيد شخصية جذابة لكثير من الإخوة العرب القادمين للجهاد لشجاعته، وكذلك لقرب معسكره، فنزل إليه شفيق مع بعض إخوانه العرب، وإبان وجودهم في المعسكر حصل اقتحام للمعسكر من قبل الشيوعيين، وقد ولج الشيوعيون نفس الغرفة التي فيها شفيق ونجا شفيق، وأبوحنيفة بأعجوبة بالغة، إذ أن الله قدر لهما الحياة، وفي اليوم التالي أراد المجاهدون استنقاذ المعسكر من أيدي الكفرة، وكان شفيق من الليوث الذين انقضوا على الأعداء مع (جل الرحمن)، وأنقذ المعسكر واستشهد (جل الرحمن).

وطوف شفيق بين المعسكرات الحدودية في بكتيا وكتر، وكان والده قد قدم إلينا من أجل إرجاعه، والتقيت بوالده، واستطاع أن يعيد ابنه إلى المدينة.

ثم زرت المدينة وإذا بشفيق يعمل في الحرم المدني، فأخذني للزيارة، ولم يطل به المقام وكأنما يتقلب على الخدم (الأسنة)، وكان لابد من العودة ولو بأي طريق، وعاد شفيق إلى أرض الجهاد، وبعد لأي قدم أبو عبد الله أسامة متفرغاً للجهاد وبدأ بإنشاء المؤسسة، وكان دون تأسيسها عقبات وأهوال، وبدأها باثنين، شفيق وآخر وكان هو ثالث الثلاثة.

وبدأت المؤسسة تنمو يوماً بعد يوم، ولكن الزمهرير الذي احتمله الإخوة من صقيع الشتاء في العام الأول لا يحتمله إلا أقدام الرجال، وقد كنت مشفقاً عليهم أن تنزل طائرة هليكوبتر فتلتقطهم أحياء وتعود بهم إلى كابل.

معركة المؤسسة: رمضان سنة (١٤٠٧هـ) وقدّر الله لهذا المعسكر العربي الصغير أن يواجه هجوماً شرساً من الروس والشيوعيين وكتب الله النصر للمسلمين وكان للشباب العربي المجاهد -بعد الله تعالى- دور مشكور في النصر المبين.

على أكتاف هؤلاء تقوم الأمم، قال أبو الشهيد الأرحبي: لقد كنت في المؤسسة ويود كل واحد منا أن يجد لحظات للراحة لشدة الإعياء الذي ينهك النفوس، في هذا الوقت العصيب رأيت شفيقاً بعودة الناحل يحمل الهاون على كتفه لينصبه في مواجهة العدو، فقلت في نفسي (على أكتاف هؤلاء يقوم الجهاد)، فقلت (بل على أكتاف هؤلاء تقوم الأمم).

شفيق يواصل المسيرة: واستمرت مسيرة الجهاد، وزاد تدفق الشباب العربي إلى الجهاد على أثر معركة المؤسسة، واستمر شفيق ينتقل من موقع إلى موقع جندياً مجهولاً، لا يتكلم عنه أحد، ولا يعرفه أحد إلا الذين يعيشون في أكتاف أبي عبد الله، وعمل في خوست، ثم انفجرت براكين جلال آباد، وأقبل شفيق ولا تجده إلا في المواقع المتقدمة التي تقع على أسخن خطوط النار، وبدأ الشباب يتساقطون في ميدان البطولة والإباء، وشفيق مواصلة مسيرته ينتظر مصرعه، وما رأيت أبيات أبي الطيب أليق بشاب عربي شهيد من شفيق:

أقل بلاءً بالرزايا من القنا	وأقدم بين الجحفلين من النبل
أعز بني الدنيا وليث إذا انبرى	كأنك نصل والشدائد للنصل
مقيم مع الهيجا في كل موطن	كأنك من كل الصوارم في أهل

(الرزايا: الشدائد. القنا: الرماح. الجحفلين: الجيشين، أي إن الرماح أشد تنثراً بالشدائد منك، انبرى: ظهر. نصل: سيف. الهيجا: الحرب، الصوارم: جمع صارم وهو السيف القاطع، أي حيثما تكون المعركة نجدك وكأن أهلك هم السيوف).

وقد كنت كتبت هذه الأبيات لشهيد عربي آخر، فعندما بلغتني شهادة شفيق قلت: إن شفيقاً أولى بهذه الأبيات. والحق أن هؤلاء الشباب الذين جاؤا صفاراً إلى الجهاد وشبوا على نار محنته، ونضج عودهم على لهيب أتونه، لم يعد للخوف أي مكان في حياتهم، إذ كان شفيق يصل في دوريات الاستطلاع في المراكز القريبة من المأسدة، أو في جلال أباد على بعد عشرين متراً حتى يسمع حديث الجنود في المركز، ولو نطق لسان الواحد منهم شعراً لقال:

سبحان خالق نفسي كيف لقتها فيما النفوس تراه غاية الاسم
الدمر يعجب من حملي نوابه وصير جسمي على أحداثه الحطم

(نوابه: جمع نائبة وهي المصيبة. الحطم: الشديدة المحطمة).

الشهادة: وفي الثالث من ذي الحجة سنة (١٤٠٩هـ) الموافق (١٩٨٩/٧/٥م) أراد الشيوعيون أن يتقدموا على مركز الإخوة العرب وقد اغتنموا فرصة نزول الإخوة الأفغان لقضاء العيد بين أهلهم، وعمل الكفار خدعة، فأرسلوا ثلاث دبابات على الطريق العام نحو "خوش كنبد" (كريز كبير)، فامتشق المجاهدون قاذفاتهم الصاروخية لمواجهتها، وبعد قليل بدأت الدبابات تبرز من خلال التلال المجاورة، ودمش الإخوة لهذه المفاجئة، فتقدم أحد الإخوة بمدفع (٨٢) فلم يطلق، ثم تقدم شفيق على مدفع (٧٥) وأطلق مجموعة من القذائف على الدبابات ولكنها كانت كثيرة ومتقدمة، فأطلقت عليه دبابة قذيفة فأنصابت وتناثرت أشلاؤه في الهواء، ثم تراجع الإخوة العرب، وأحرق أبو عبيدة المخازن والدبابات تطاردتهم، وجرح شاب وحاول الإخوة حمله، ولكن الدبابات كانت جد قريبة وتطاردتهم، فلم يكن لديهم أي فرصة، فطلب الأخ الجريح تركه وانسحب الإخوة العرب، ودخل الأعداء هذا المركز الذي أقض مضاجعهم ثلاثة أشهر متتالية لا يهدأ لهم بال ولا يقر لهم حال.

وهكذا تمرق شفيق يجمعه الله من حواصل الطير ويطون السباع (لولا حزن صفية لتركتك يجمعك الله من بطون السباع وحواصل الطير). ونرجو الله أن يجمعنا به في الفردوس الأعلى وأن يعوضنا وأهله خيراً منه.

الشهيد حبيب (محمد المشاري العرعي)^(١):

قبل سبعة أشهر وقد إلى الجهاد مع أخوين له، ثم عاد الأخوان وبقي مستمراً في أرض الجهاد ليكتب الله له الشهادة فيها. قدم أولاً إلى معسكر صدا ثم إلى خلدند، وعشق خلدند وأحبها حباً لا يستطيع معه مفارقتها، وأتقن السلاح حتى يستطيع منازلة أعداء الله، وقد أعد نفسه وروحه للجهاد.

فقد كان صواماً قواماً كما يقول أبو الدرداء: (قليل من العمل قبل القتال وإنما تقاتلون بأعمالكم)، ولخلدند موقع متقدم على خط التماس الساخن، وكان التراشق بالهاون مستمراً متبادلاً، وأصابته ذات مرة شظية في يده وعافاه الله، وقد شارك أخيراً في عملية بجانب سوق خوست وقد استشهد فيها (١٨) مجاهداً وعاد سالماً.

وإذا الكتبية عريت أنيابها بالسهمري وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشبالسه وسط الهبابة خادر في مرصد

(السهمري: الرمح. مهند: سيف. الهبابة: القبار. خادر: أسد في عرينه. مرصد: كمين يتربص صيده).

وفي الليلة التي سبقت استشهاده كانت رماية العدو كثيفة وشديدة، مما اضطر قائد المعسكر أن يسحب نصف الإخوة المتقدمين في خط النار الأول، وكانت المدفعية ورشاش الشيلكا (٢٢) ملم يصلي المجاهدين بوابل من أمطار قذائفه.

وعاد حبيب من خط النار، فأصابته طلقة فاخترقت رتته وكتفه وصدره، فسقط على الأرض وهو يقول لإخوانه: إني لأشعر بوخز في صدري، فأرأسوا حمله إلى الغرفة لئلا يعلم أحد أنه أصيب، فوجدوا دماؤه تسيل، فنقلوه بسرعة إلى مستشفى صدى، وعلى الطريق صعدت روحه إلى بارئها.

رائحة المسك: ومع خروج الروح الطيبة بدأت الرائحة الطيبة تفوح مسكاً في السيارة. قال لي أحد الإخوة: ما شمعت رائحة أطيب من الرائحة المنبعثة من معه، ولقد أصاب شيء من دمه ثياب الطبيب في صدى، وعاد الطبيب إلى بيشار وبقيت ثيابه تعبق شذى عطرياً، ونرجو الله - عز وجل - أن يكون طيب دمه وجرحه يوم القيامة أشد وأزكى وأنفذ وأعقب.

(١) المصدر السابق ص ٢٨.

وبقيت كلمة أخيرة عن عرعر: فقد جازنا إلى الجهاد من هذه البلدة الطيبة عدد كريم من الإخوة، وكان لهم أثر عميق في نفوس الذين خالطوهم سواء من القسم الذي عاد إلى عرعر أم من القسم الذي بقي يواصل المسيرة فوق أشواك الطريق الدامي، ونرجو الله أن يجزيهم عنا خير الجزاء، ونرجو الله أن يخلف على أهل الشهيد خيراً، وأن يجعله شهيداً وشفيعاً لهم يوم القيامة إنه سميع قريب مجيب.

الشهيد أبو رياض (محمد سعيد الزهراني)^(١):

في عمر الورد مضي، وفي نضارة الشباب قضى، لم يدرك العشرين بعد. أحب أستاذه (رياض) فكفى نفسه أبا رياض، وقد صمم أستاذه أن يأتي ببعض تلاميذه ليعيش معهم في أرض أفغانستان يتلقون العلم والعمل معاً ومعهم قائدهم، وجاء الإخوة من المنطقة الشرقية في السعودية وقد شكلوا سرية أعدت نفسها للدخول، وقد جمعوا بعض الأموال لأحياء المنطقة الأفغانية (غوربند-بروان) ببعض المشاريع، خاصة مشروع كفالة الأيتام وإقامة مستشفى ومدارس.

وكتب الله لأستاذهم أن يحضر يوم الدخول لحاجة الإخوة العرب لتربيته وتوجيهه، ومضى الشباب في سبيله إلى غايتهم مع الجارود كبيرهم الذي قضى في العام الماضي قريباً من عام من الزمن هناك.

ودخل الإخوة بروان وصاروا يزرعونها من كوهستان إلى غوربند يريدون أن ينفذوا المشاريع التي كلفهم أصحاب الأموال بتنفيذها، وبعد ستة أشهر تقريباً أراد (أبو رياض) أن يعود إلى بيشاور، وحزم متاعه مع أخوين من ليوث الله وعادوا، وعلى الطريق محطات للراحة، ويحلو للإخوة العرب أن ينزلوا في المكان الذي يتواجد فيه العرب.

محطة شكردرآ: وعند أبي علي المالكي نزل في (وادي سوف الأفغاني) حيث تجمع مجموعة من الشباب الجزائري الراجع إلى الله والمقبل على الجهاد، وهذه منطقة ساخنة لا تتوقف فيها المدافع عن أمطار حمعها المتصيبة يومياً -تقريباً-، وكتب الله للإخوة أن يشهدوا وقعة في شكردرآ، ثم جاءت القذيفة التي تناولت معها أرواح ثلاثة إخوة وهم (أبو رياض، وعواد الدين، وسيف الدين).

أطلعت على رسالة موجهة إلى أهله تشف عن نفسية صافية، وتنم عن قلب متجه إلى الله -عز وجل-، وما أجمل القلوب التي تصفو قبل أن تفرق في مستنقع الدنيا يندسها الحسد وينجسها الحقد، ويشوبها الرياء، نفوس طاهرة لم تفسد بعد بالأهواء، ولا تعرف الالتواء، يقول فيها (أوصيكم بالجهاد لأنه ذروة سنام الإسلام، ولأنه -إن شاء الله- ينجيها من عذاب أليم، وإن حلوة الجهاد لا يعرفها إلا الذي خاضها، كما أوصيكم بالصلاة والصوم والصلاة على النبي ﷺ حتى يكون شفيعاً لنا يوم القيامة.. وإلى اللقاء بكم في جنات عدن).

رحم الله أبا رياض، ونرجو الله أن يجزي أستاذه رياضاً الخير، وأن يجمعنا به في الصالحين.

الشهيد المهندس شمس الدين الأفغاني^(٢):

أكتب عنه مع أنني لا أكتب عن الأفغان لكثرتهم، ولأن وقتي لا يتسع لذلك، وكان بودي أن أكتب عن القادة الأفغان لأن تاريخهم يوارق أمل كبير للأمة الإسلامية، وهم نماذج نحتذي بها على الطريق لمن أراد أن يحطم قيود العبودية وينبذ أغلال الذل، وقد اكتفيت في زاوية الشهداء أن أكتب عن كثير من الشهداء العرب والذين يسعفني الوقت بالكتابة عنهم، ولكني كتبت عن القائد صفي الله أفضلني لما بيني وبينه من صلوات وثيقة ومحبة عميقة، وعن موحد وعبد الفلاح، والآن أجندني مدفوعاً للكتابة عن هذا الشهيد لكثرة الشاء والإطراء الذي سمعته من أفواه الإخوة عليه.

في (درزآب) ولد شهيدنا شمس الدين، وكان معه البحث عن جبهة ساخنة يعمل بها ويقضي بها نحيه ويلقى بها ربه، فقد ترك أهله منذ خمس سنوات يطوف بين الولايات، واستهوت شولكر البلد الذي أقام به ذبيح الله مؤسس الجهاد في بلخ، وهناك أصبح راعياً على السلاح الثقيل (الزيكويك)، ثم ترك شولكر يبحث عن الموت، فوصل بدخشان، ثم ودعها إلى تخار، وأخيراً جاء إلى بيشاور.

وفي بيشاور التقت به سرية حمزة بن عبد المطلب بقيادة أبي الجنيد وعلم أبو الجنيد، أن شمس الدين مهندس أسلحة، فهو يصلح معظم أنواع الأسلحة، وتمسك به أبو الجنيد، وعرض عليه أن يرافقه إلى فارياب لأن فيه المعهد الإسلامي (للتربية الإسلامية

(٢١) المصدر السابق ص ٣٩.

والعسكرية)، وسار مع القافلة (علمُ فصلاً كاملاً في المار عن العلوم العسكرية والتربية الإسلامية).

كان يصدع بالحق حيثما كان، واستقر المقام به أخيراً في مركز ميمنة عند (سيد علاء الدين) أسخن جبهة في فارياب، وقد عرف عن علاء الدين الشجاعة والإقدام والنكاية بأعداء الله، ويتغنى الناس بشهامته وعزته، فعندما رآه أحبه كثيراً، والتقت الأرواح مع بعضها، وكما قال حُكَّه (الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) وازدادت المحبة بينهما، وأراد علاء الدين أن يربطه رباطاً وثيقاً بالمنطقة، فعرض عليه الزواج، وألح عليه، وأعانه عليه قائد آخر (سيد نوردان أكبر)، وأخيراً كتب الله له عقد الزواج على امرأة من القوم.

ولكن الله حبيب إليه الجهاد حباً ملك عليه مشاعره ونفسه، وأحب أوقاته أن يجلس إلى أنيسه وجليسه يتحدث إليه وهو السلاح الثقيل، يصلحه أو يمسحه أو يجريه، وكان ماهراً بإصلاح الأسلحة.

قال له أحد الإخوة العرب: لقد تزوجت الجهاد، فأجاب شمس الدين: لقد زوجوني من بنات حواء رغم أنني.

رحلة الوداع: وفي معركة (كروان باشي) كان اللقاء مع أعداء الله، ودارت رحى الحرب، وحمي الوطيس، وانطلقت النيوث الخادرة من عرينها، ويحلو للشاعر أن يتغنى بهم قائلاً:

إذا هم ألقى بين عيني عزمه	ونكب عن ذكر العواقب جانباً
ولم يستشر في رأيه غير نفسه	ولم يرض إلا قائم السيف صاحباً
سأغسل عني العار بالسيف جالباً	عليّ قضاء الله ما كان جالباً
ويصفر في عيني تلادي إذا انتثت	يعيني بإبراك الذي كنت طالباً

(تلادي: مالي القديم).

وأقبلت شعوب (المنية) تنشب أظفارها وتستل روح شمس الدين ورضوان (السعودي) في هذه المعركة، ويمضيان على الطريق. ونرجو الله أن يبلغنا وإياهم منازل السابقين. مضى شمس الدين إلى الله وهو في سن التاسعة والعشرين.

الشهيد أبو عاصم الصنعاني (عادل حسني الوادي)^(١):

بعد أن أتم حراسته في ليلة يوم الإثنين (١٩/٧/٨٩م) في مركز قباء أحد المواقع المتقدمة للمجاهدين حول مدينة جلال آباد التي قضى فيها معظم أيام جهاده، صلى الفجر ونام في خندقه.

كان القصف في تلك الليلة شديداً ومتواصلاً، ففاجأته قنيفة هاون (١٢٠) ملم وانفجرت بين قدميه، وكانت أول كلمة ينطقها بعد إصابته (حسبي الله ونعم الوكيل)، ثم ردد الشهادة، وبقي يردد حتى سعدت روحه إلى بارئها راضية مرضية بإذن الله.

ولد الشهيد عادل حسني الوادي (أبو عاصم الصنعاني) في اليمن سنة (١٩٧٠م) وهو يتتسب لأسرة كريمة، محافظة... عاش ينهل من القرآن وعلومه، ويسعى إلى إقامة الإسلام في كيانته، وأهله، ووطنه.

كان يرى العالم من حوله ظلاماً دامساً، ويرى أن كثيراً من الناس يعيشون في عالم الغفلة والنسيان، وفي مستنقع عبودية النفس والهوى والشيطان.

تلفت هنا وهناك يبحث عن إشراقة شمس ونور جديد وتاريخ مضى... فبرز الفجر على قواده، وظهر الدرب أمامه، عندما سمع عن الجهاد في أرض أفغانستان، عندما سمع النادي يقول: يا خيل الله اركبي وإلى الله أرغبي. ودع أبو عاصم أسرته الصالحة وأحبته وأترابه وارتندي حلة الجهاد، وصاح بأعلى صوته ليك يا أرض الجهاد، وهاجر بروحه وماله تاركاً كل شيء، يتشد العزة، ويطلب من الله النصر والثبات. كان رحمه الله يلح في الدعاء والرجاء، ويكثر التقرب إلى الله ليمن عليه بالشهادة.

هكذا مضى الشهيد أبو عاصم رافعاً رأسه يأعز موته بل أعز حياة في سبيل الله، وقد ذكر الأخ أبو محمد اليمني والأخ أبو عتر اليمني أنهما استروها رائحة طيبة تفوح من جسده بعد استشهاديه (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون).

(١) المصدر السابق.

الشهيد أبو دجانة الجزائري (عناية محفوظ / خميس مليانة)^(١):

من رواد المساجد، تربي في حلقاتها، وصقل روحه بين جنباتها. ثقافته الإسلامية صقلت من خلال هذه الحلقات. كان يتفانى في خدمة هؤلاء الذين عرفهم في بيوت الله، وقد كان شغوفاً بسماع الأشرطة التي تغد إلى الجزائر من وراء البحار، وذات يوم ترامت إلى مسامعه أخبار الجهاد الأفغاني وحكمه الشرعي بأنه فرض عين، فعمل هذا الشريط في نفسه عملاً، وأصبح يتقلب على مثل شوك الغصن، فاقض عليه مضجعه، وأرق له أجفانه، وصار لسان حاله يريد:

أبرحت يا مرض الجنون بمرض مرض الطبيب له وعيد العود

وكان لابد من التفكير بوسيلة ليُلحق بجسمه روحه التي سبقته لتتوي من نهر كابل أو هلمند أو هاري رود.

ويدأ يتردد على أبواب السفارة الباكستانية ويطرق أعقابها ويقرع أبوابها، فما وجد إلا صداً، وما استمع منها إلا رداً.

التضرع في الأسفار: وذات ليلة قامها وابتهل إلى الله أن ييسر سبيله وأن يلبي رغبته، فيسر الله له التأشيرة، وما كاد يصدق أنه قد نالها، ولو فطن قلبه لقال (حلماً أرى أم ذاك طيف خيال).

لم يعد عنده أي صبر على الانتظار، فطار إلى أفغانستان بجناحي روحه قبل أن تحرك الطائرة التي تقه جناحيها. ولدى وصوله توجه إلى معسكرات الإعداد والتدريب والتوجيه.

التنقل بين الجبهات: وبعد أن أتم تدريبه أخذ يزاوِل الجهاد ويتنقل بين الجبهات وينتقي أسفنها وأشدّها التهاباً، ثم يرجع إلى بيشارور يلتقط أنفاسه، ثم يعاوده الحنين إلى مواطن الشهادة، وتستحثه شهادة إخوانه السابقين لمواصلة الطريق.

هوة أنقذه الله منها: وذات يوم التقى به نفر من الشباب الذين التبس عليهم أمر الجهاد وأصبحوا يتحدثون بما يهز العزائم ويثبط الهمم، فتأثر أبو دجانة بهم، وأظلمت صورة الجهاد في نفسه، ودخل الشيطان في مساريه يسوّل له العودة إلى الجزائر، فساق الله له أحد الشباب الناضجين الذين كشف الله عن بصيرتهم، وحبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم (نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً)، ووضح له حقيقة الجهاد وحكمه الشرعي، وأن المشاكل التي تعترض المجاهد على الطريق هي جزء أساسي في هذه المسيرة المضنية لا تنفك عنها، لأن البلاء ملازم لطريق الأنبياء -عليهم السلام- والصديقين والصالحين (أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل).

العهد الجديد: وهنا عاهد أخاه الذي أجلي الشك من نفسه والريب عن قلبه أن ينزل إلى جلال أباد ولا يرجع منها قبل أن يتم السنة، وهناك وفوق جبل قباء بنى عناية عشه الذي كان بعد فترة نعشه، وذات يوم جاءته قذيفته التي تحمل معها منيته، وسار أبو دجانة إلى الله ونجاه الله من التولي يوم الزحف (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار). ومضى كأنه يعلم الأجيال قاتلاً:

دع المداد وسطر بالدم القاني وأسكت الفم واخطب بالفم الثاني
فم المدافع في صد العداة له من البلاغة ما يزدى بسحبسان

الشهيد ضرار عيسى موسى الشيشاني (محمد منصور)^(٢): (ضرار ولا خالد له).

ولد في الأزرق -قرية في صحراء بادية الشام-، فتفتحت عيناه وترعرت نفسه مع عزة الصحراء، وانطلقت نفسه مع الحرية التي يعبر عنها امتدادها وسعتها

إنما الإسلام في الصحرا امتهد ليكون كل مسلم أسد

رباه والده على الأنفة والإباء، ويذكر لي قصصاً في صغره تعبّر عن نفسية الشموخ التي ترفض الذل وتأبى الهوان.

ما كان يغيب عن قلبه أنه ينتمي إلى قفقاسيا، فقد رحل أجداده من هناك وقاتلوا مع الشيخ شامل الداغستاني، وكان يحلم أن ينتقم من أولئك الذين ألقوا بمئات الألوف من أبناء قفقاسيا في منافي سيبيريا يموتون جوعاً وبرداً، ولقد حدثني بعض هؤلاء أن آبائهم وأجدادهم في أيام ستالين قد وضعوا في المناقي بون طعام، فكانوا يأكلون أولادهم الذين يموتون قبلهم.

(١) مجلة الجهاد العدد ٦٠ ربيع الأول ١٤١٠هـ أكتوبر ١٩٨٩م ص ٤٠.

(٢) المنصر السابق ص ٤١.

نقد كان الروس يدركون أن هذا العرق شرس في حروبه، ولا يمكنهم أن يخضعوا له، فهم يسهرونه، حتى قد أجبروا الروس ولطه باغلوب (نقد كلنا القتال مع الشيخ شامل من الخسائر ما يكفي لفتح البلدان الواقعة بين مصر واليابان). فكانت الأحلام التي تراود ضراراً أن يستعيد هذا المجد المثل والعز الضائع، ولعل والده قد سعاد ضراراً تأسيساً بضرار بن الأزور بطل الفتوحات الشامية.

في الكلية العسكرية: وتوجه هذا الشاب إلى الكلية العسكرية في الجيش الأردني، ودخلها ليكون الطريق الحقيقي لإشباع طموحه وتحقيق تطلعاته، وتخرج من الكلية العسكرية ضابطاً في قسم الهندسة، وبدأ يخدم في الجيش، وقد عرف في شبابه باستقامته ونظافة سلوكه، وصار يربى مجموعات من الشباب الشيشاني على الإسلام وعلى السير على هدي المصطفى ﷺ.

اللقاء أول مرة: وأول مرة التقيت به على صفحات رسالة أرسلها إلى بعض أحيائه في بيشاور، فادركت من خلالها طموحاته وآماله، كان يفكر في ضرب موسكو، ويحذر من خطط الروس والاميين، ونست عمقه، وكان يحدثني بأشياء قريبة من الخيال وكأنه:

إذا غامرت في شرف مرم فلا تقنع بما دون النجوم
نطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم
يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

تطبيقه الدنيا: مضى على ضرار أربعة عشر عاماً في الجيش الأردني ثم تراسى إلى مسامعه أخبار الجهاد الأفغاني وتيقن أن هذا هو الطريق، وكان قد وصل إلى رتبة (رائد) في الجيش ولم يبق سوى عام واحد حتى ينال تقاعده، وحاول أن يصبر نفسه ولكن أنى تطيق البقاء؟ فقلت له عند قبوذه إلى الجهاد هلا انتظرت سنة فتتال التقاعد؟ فقال ضرار (العام طويل)، نعم العام طويل على جسد يحيا بلا روح فروجه قد سبقته ترفرف فوق جبال الهندوكوش.

طلق الدنيا وخاف الفتنة: أقبل ضرار وحيداً بعد أن حاول إحضار زوجته ولكنها أثبت عليه وتركها وبنياها وجاء بكليته إلى الجهاد، عمل في التدريب، وفي الكلية العسكرية -عند الشيخ سياف- وقد كان معتلاً إعجاباً وحباً وإجلالاً للشيخ فكان يقول: قال أمير المؤمنين -سياف- عمل في مجلة البنيان، وفي مرآة الجهاد (ماج)، وعلق على فيلم (لا عزة إلا بالجهاد)، اشترك في بعض المعارك مستشاراً للشيخ سياف، كان يعد بحثاً نظرية للجهاد والشؤون العسكرية لتطبيقها في أرض الفخار وقمم المجد.

لقد كان باختصار معتلاً بالقضية معتزلاً بهذا الدين، يؤلف الأهازيج والأشعار عن صلاح الدين والقادسية وحطين ويحلو بها أثناء التدريب ويلقنها الشباب، يناطح السحاب بعزته، ويطاول السماء بشموخه وأنفته.

كنت أقول له: حبذا لو قلت من تحليقك في سماء آمالك حتى تكون أقرب إلى الحقيقة من أحلامك، وكأن لسان الحال أبلغ من لسان المقال يردد:

سبحان خالق نفسي كيف انتهت فيما النفوس تراء غاية الأكم

رجوع ضرار إلى الأردن: وعاد ضرار، وظلنته سنم الطريق وملّ المواصلة، وإذا به يخطط لأمر آخر، فقلب الأسد الذي يطوي عليه الجوانح لا يمكنه الاستقرار في حياة هامة رحية ممتعة، فمحال أن يتحول الرجل الذي يغلي فجأة إلى جنيد قاس والجو كله ملتهب حوله.

عملية خيالية: جاءت الأخبار عن عملية شبه خيالية يقتحم فيها ضرار الحدود نحو فلسطين ليكنم لدورية يهودية، وتقوم بينه وبينها معركة يستشهد فيها ويمضي إلى ربه رافع الرأس ناصع الجبين، ولم يترك لأحد عذراً وقد أقام الحجة على الناس، مضى وقد فسر الحديث الشريف في عالم الواقع [خير الناس رجل أخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فرعة طار إليها يبتغي المرت مظانه].

وحيد من الخائن في كل بلدة إذا عظم المقصود قلّ المساعد

فخرجوا الله أن يتقبله شهيداً، وأن يجمعنا به في الفردوس الأعلى... آمين.

رسالة إلى ولدي (١) :

بسم الله الرحمن الرحيم

إبني الحبيب:

لقد صحوت اليوم ١٩٨٥/١١/٨ إثر حلم لذيذ رأيته فيه، رأيته جنت إليه ورميت بنفسك في حضني على عاتيك، فشددتني إلي بيدي، وأنا أقول لنفسي لأسعد بابني هذه اللحظات ولو في الحلم، وعندما صحوت وجدت يدي مشدودتين إلى صدري، وكأنك حقيقة في حضن والدك.

أي بني:

لا تحسبن أنني فارقتك رغبة عنك، وزهداً بك، فمن يحبك إن لم أحبك، فأتت ابني الوحيد في هذا العالم، وما جئت إلا بعد ثماني سنوات طويلة من الانتظار كنت فيها أسأل الله عز وجل وأتضرع إليه أطلبك منه حتى رزقني بك، فالحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات.

لا تحسبن أنني فارقتك لأنني لا أحبك، أنا فارقتك لأنني وقفت على آية في كتاب الله عز وجل تقول (قل إن كان آباؤكم وأخوانكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتمسكوا حتى يأتي الله بأمره) والله لا يهدي القوم الفاسقين).

فلما قرأت هذه الآية رغبت بما عند الله، وفوضت أمرك إليه.

لم أزل أتذكر تلك اللحظات التي أدخلتك فيها إلى غرفة أخرى دون أن تشعر حتى لا تراني خارجاً وتبكي ورائي، فما كنت سأطيق بكاءك لو أنني سمعتك تبكي خلفي وانطلقت إلى الجهاد في سبيل الله إلى أفغانستان دون أن أسمع لنفسني بالانفلات خلفي.

واليوم وقد وصلت إلى المكان الذي طالما تقف إليه، وبدت أن أكتب إليك رسالتي لأسطر لك فيها بعض الكلمات كي أقول:

إنك ستكبر بإنذن الله، وسترى حال المسلمين، وستجد أنه لا سبيل لعزة المسلمين إلا بالجهاد، فلو صيحت أن تلتحق بي يوم أن يشتد ساعدك ويقوى جسمك حتى نواصل طريق الجهاد معاً على جبهة واحدة، أو أنك ستصل إلى أرض الجهاد فتجد أباك قد اتخذته الله شهيداً عنده، فتعمر على قبري، وتطلب لي من الله عز وجل المغفرة والرحمة، ثم تتطلق لتكمل المشوار في درب الجهاد والاستشهاد...

أي بني الحبيب:

سأنتظرك مهما طال الزمن ما دمت حياً فإذا التقينا في الحياة الدنيا فسأفرح بك وتقرب بي، وتحمي الله عز وجل سويماً على نعمة اللقاء، أو تلتقي يوم الحشر العظيم تحت ظل عرش الله في الخالدين إن شاء الله.

أبوك المحب

رسالة: من مرابط إلى ولده (٢)

إبني الحبيب:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

كنت قد كتبت إليك قبل فترة من الزمن رسالة، وذلك بعيد وصولي إلى أرض الجهاد، وكنت حينذاك في حالة عاطفية كنت أحسبها قاسية، لأنني فارقتك وتركك بعيداً مع والدك، واليوم من الله علي أن دخلت إلى مستشفى مكة المكرمة^(٢) وزدت الجرحى من المجاهدين، ووجدت بينهم من هم في مثل سنك فسألت عن سبب وجودهم على أسرة المرضى وعن أمراضهم، فقد ظننت أنهم مرغى بأمراض الأطفال المعروفة في العالم، وكشف الطبيب لي عنهم، فذهلت عندئذ من هول المفاجأة، فممنهم من بقرت يده ومنهم من بقر

(١) سعة الجهاد العدد ١٨ من ٢٨ و١٤٠٦ هـ ٢٣ مايو ١٩٨٦ م.

(٢) سماها الشهيد حماد الشيشاني عندما كان يجاهد في أرض أفغانستان.

(٣) في مدينة كويته الباكستانية على حدود أفغانستان.

ساقه، ومنهم من بترت يده وساقه، ومنهم من تشوه جسده انصغير إلى درجة الرعب.
 فإذا سبب المرضي يا بني (فايروس حقوق لود اسمه روسيا)، فنتعلم يا بني أنك لن تهنا يوماً من الأيام وإن يهنا طفل من
 أطفال المسلمين إلا أن نقضي على هذا الفايروس اللود، فنتعلم هذه الحقيقة منذ اليوم.
 وبعد ذلك، قمت بزيارة مخيم للاجئين، فرأيت أطفالاً في مثل سنك حفاة عراة يتفطر القلب حزناً وأسى عليهم من ناحية، وغضباً
 وتصميماً على الثأر من روسيا من ناحية أخرى.. فقارنت بينك وبينهم يا بني.
 فأما أنت يا بني إذا السنوات الثلاث فإنك تلبس جميلاً، وتأكل لذياً، ولو أنني جمعت ثمن الألعاب التي اشتريتها لك ودفعته
 إلى هؤلاء الأطفال لنشأوا وترعرعوا بأحسن حال.

لقد وجدت يا بني مئات وألوفاً من الأطفال في مثل سنك، ولكني لم أر على وجه أحدهم آثار الدلال التي كنت أجده في وجهك،
 كذلك فأنت اليوم في حضن أمك وفي بلدك وبين أقرباتك، هذا يقبلك وذاك يداعبك، والدك حي يرزق ولو بعدت الدار، أما هؤلاء الأطفال
 فإن ألوفاً منهم لا أب لهم ولا أم ولا جد ولا عم ولا خال، عندئذ نسيت أنني فارقتك ورأيت فراقك عبارة عن نكتة سخيفة أمام هذا
 الهول الذي لا يستطيع حتى قبلك الذي لا يدرك هذه الأمور أن يتحملة.

إبني الحبيب: ها أنذا أنتظرك، ولا أقول لك تعال تعال إلى حضني كي أقبلك، ولكن لأقول لك تقدم تقدم إلى القتال، واجعل غاية
 هناك أن تستشهد في سبيل الله عز وجل، فإنني أريد شرفاً كبيراً لنفسي ولك، حتى إذا وقفت يوم القيامة بين يدي الله عز وجل أقول
 له: هذا ابني وفلذة كبدي، ولدي الوحيد في هذا العالم، قدمته تقريباً لك يا رب لعلك ترضى.

والدك المحب/محمد منصور

الشهيد أبو ياسر اليمني (عبده علي قارع البحري)^(١):

يا صديقي عن أي شيء كان سؤالك في رحاب العقل يبحث عن جواب؟ أتفكر في الشهيد كيف يترك منصب الدنيا؟ كيف
 يعيش في الطريق؟ ليس سرا يا صديقي تركه الدنيا وأن يمشي على ساداتها مشي الزهيد، هكذا فكر الشهيد، نفسه تأبى الخضوع
 لأي قيد من حديد، من أنا من أنت دون عز، دون حكم الله في هذا الوجود، من أنا من أنت والساحة والحرارة والبيضاء تحكم بالنار
 والحديد، هل ترى هذه القطرات تفتش الطريق، إنها دم الشهيد، رسمت خطاً على طول الطريق، كتبت اسماً عظيماً، الجهاد يا
 شباب المسلمين هو الطريق.

ومضت قافلة قارياب تشق طريقها عليها تلحق بركب العزة، أو تضحي للدرب ولو بصيصاً من نور خلال هذا الجهاد المبارك.
 كل منا تداعب خياله لحظات الوصول لقارياب، وكلما زادت مشقات ومصاعب الطريق ازدادنا صبراً وجلداً، فقد مضى علينا
 خمسة وأربعون يوماً لم نتم فيها تحت سقف أو نقتش أريكة، فالسما سقفتنا والأرض فراشنا.

ورغم وحشة الطريق إلا أن الأخوة السائدة بين أعضاء القافلة كانت تضفي عليها أماناً واطمئناناً، ووصلت القافلة بعد شهرين
 من السفر، استقبلتها قارياب رجالها ونسائها وأطفالها، وبعد أن أخذ كل منا قسطاً من الراحة تفرقنا في أنحاء الولاية، وكان على
 أبي ياسر الشهيد (عبده علي البحري اليمني) أن يرحل إلى مدينة منسية في حدود روسيا تسمى (اندخوي) لم تطأها قدما غريب منذ
 مئات السنين، وهناك فكر أبو ياسر في إنشاء مركز عسكري لتدريب المجاهدين حسب تخصصه، فهو عسكري ومن خريجي الحربية
 بصنعاء، ولكن الظروف لم تهئ له إنشاء ذلك المركز، فيم شطر (ميمنة) مركز الولاية، ثم رحل إلى تكاب شرين حيث حظ رحاله هناك
 استعداداً للعملية ضد أعداء الله، فعلاً بدأت المعركة واشتدت رحاها وزاد ضرامها، وبدأ جند الله يقتحمون مواقع الشيوعيين ومعهم
 أبو ياسر، يقتحمون الحصن تلو الحصن، غير أن هناك مدفعاً كان يشق المجاهدين ولم يخرس بعد، وكان على أبي ياسر أن يسكته،
 فأخرج قبلته من جعبته وارتفع قليلاً من الخندق والمجاهدون ينظرون إليه متى يلقيها من يده، ولكن أبا ياسر انخفض فجأة وسقط على
 الأرض مضرجاً بدمه، فقد مزقت سهام الردي جسده، وهناك في أعالي تكاب شرين دفن أبو ياسر بعد أن قطع الحزن عليه نياط
 القلوب، ولكنه دلج مهر العور كما قال لإخوانه أثناء صعود الجبال (صبراً فإن هذا مهر العور)، (وكان معروفاً بيننا بصيام النواقل

(١) المصدر السابق ص ٤٦.

في السفر والحضر).

وداعاً أبا ياسر فقد عشت عزيزاً ومهاجرت وحيداً - إن شاء الله - ولا نزكي على الله أحداً، وداعاً أبا ياسر فقد دفعت ثمناً من أثمان ركود هذه الأمة، ونحن على الطريق سائرون، ولن تجد منا من يخون المسيرة.

الشهيد أبو مهاجر (محمد سعد اليمني)^(١):

من وصيته:

يا حبذا الجنة واقتربها طيبة وبارد شرابها

إشراوتي. لقد سمعت وحضرت كيف يموت كثير من الناس فلم أجد أكرم ولا أشرف ولا أعز من الشهادة في سبيل الله. لم يكن هذا الشهيد الشاب ممن طال بهم الزمان في الجهاد، ولم يكن ممن فتحت على أيديهم الفتوحات، ولم تظهر له خوارق الكرامات، ولكنه رجل نظن أنه صدق الله قصده.

عبر إلى الجنة بأقصر طريق.. جاور ربه راضياً بقدره، بل كان متشوقاً إلى ذلك، والذي يلفت النظر قصة هذا المجاهد أن لبث في الجهاد قصير جداً، فقد اختاره الله في أول مرة يشارك فيها في عملية ضد الشيوعيين على أرض جلال آباد، وفي أول لحظة وطئت فيها قدماء أرضها، ومما يلفت النظر في وصيته أنها مع قصرها فإن سطورها تنبئ عن عمق إيمان صاحبها وقوة يقينه (نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً)، كما تنبئ عن رزانة وحكمة قلما تتوفر لدى الشباب ممن هم أطول منه باعاً، وأقدم منه في أرض الجهاد.

حاول الشهيد السفر إلى أرض الجهاد ولكنه وجد معارضة شديدة من أهله بوضع العراقيل في طريقه، حتى إن إخوة له ذكروا أنه اجتمع عدد من أفراد قبيلته لمحاولة اقناعه بالبقاء لأنه صغير السن تارة، أو لأنه يجب عليه أن يكمل دراسته تارة أخرى ثم بالضغط عليه، ولكن كان أقوى من ذلك كله، فإصراره وعزمته كانتا أكبر من سنيه، فمكث عاماً كاملاً ولسانه يلهج بذكر الجهاد والشهادة في سبيل الله ولم تضعف عزمته، ولم تخر قواه، بل كان في العام التالي أشد إصراراً، فحاول مرة ثانية ونجح في استخراج جواز السفر، وكسر كل القيود، وانطلق إلى أرض الجهاد بقلبه وقالبه، فكان يردد دائماً قوله تعالى (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات)، وقول الشاعر:

أنا لله قد نذرت حياتي وسألت الله حسن الثبات

كان شديد الحب للجهاد، ما جلس في مجلس إلا وتحدث عن الجهاد محرضاً إخوانه للذهاب معه، يقص عليهم مما يسمع من أخبار الجهاد، كان أهله بالله كبيراً، تصوره للجهاد واسعاً، كان يريد أن يعد نفسه للجهاد في كل مكان وليس في أفغانستان فنسب، فأكمل الدورة التدريبية على أمل أن يشارك في عمليات جلال آباد ثم يعود ليأخذ دورة أخرى ثمواصل الجهاد بإعداد أحسن.. ولكن الله اختاره في أول لحظة وطئت فيها قدماء أرض جلال آباد حيث أصر أن يشارك في أول عملية يشهدها، ولم يرض بغير الصف الأول، فجاءت قذيفة هاون لتأخذه هو والشهيد محمد هاشم معاً إلى جنات الخلد - إن شاء الله - فاختره ربه إلى جواره وعجل له باللقاء (ويتخذ منكم شهداء)، فنعلم المجاهد، فقد تمنى الشهادة صادقاً فصدقه الله وآتاه إياها -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً-.

رحمه الله رحمة واسعة، فقد ترك فجوة في قلوبنا التي كانت قد تعلق به حبا في الله، والله فقد كان يحترمه جميعنا مع صغر سنه، وكان كثير الاستخارة في الأمور كلها، طيب الخلق، حسن المعشر، يلهج لسانه كثيراً بذكر الجهاد ومتابعة أخباره.. ناصع الحياء، لا تتقطع الابتسامة عن وجهه.. مع رجولة وحزم، يصفه إخوانه بأنه أكبر من سنه.

ألا رحم الله الشهيد (أبا مهاجر) وأسكنه فسيح جناته وأنزله منزلة الشهداء والصديقين وحسن أولئك رفيقاً، وألحقنا به في الصالحين إن شاء الله... آمين.

(١) المصدر السابق ص ١٢.

استهاد أول طبيب عربي دخل أفغانستان (١)

- الطبيب صالح الليبي يطلب راتبه لستة أشهر مقدماً لينفقه على إخوانه المجاهدين ويشتري به الدواء وليوزعه على المرضى داخل أفغانستان.

- أحمد المبارك الصومالي يخترق مواقع الروس والشيوعيين الأفغان ويعود إلى المجاهدين بعد أن ظنوا أنه قد وقع في الأسر.

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

مقد طال الانتظار على أبواب جلال أباد وقندهار، وأشراف عنق النفاق، وانطلقت جموع (طلقاء الفتح) يروجون الإشاعات في أرجاء أفغانستان أن أن الأوان للقاء على رجل يرضى عنه الوحشان الضاريان -روسيا وأمريكا-، ويرز المرجفون بثياب الناصحين يتمسحون بالمسؤولين من جميع الأطراف ويبشرون لهم ما لا يخفون، وكأن لسان حالهم يقول: ألم يأن لهذه النفوس التي تتكبد آلام المسيرة وتتجرع غصصها أن تلين وتحس بالواقع؟

ألم يأت الوقت الذي يثوب فيه حملة السلاح إلى رشدهم فيحسوا بالآلام الشكالي وأهات اليتامى وزفراء الأياشي وأنات المكومين؟ أما أن لهم أن يرحموا هذه القلوب الجريحة ويوقفوا شلالات الدم المتدفقة؟

ألم يحن الحين أن ينظروا إلى بيوتهم التي تحولت إلى مآتم ومياتم؟ كل خيمة من خيامهم تحولت إلى مجمع للمعوقين والمشوهين واليتامى المجروحين؟

ما بالكم تصرون على مسيرتكم؟ أليس الأولى بكم أن تجتمعوا على رجل اجتمعتم عليه أربعين عاماً وهو راجع إليكم باسم جديد -ظاهر خان- وليس ظاهر شاه؟

أم أنكم تصرون على هذه الحرب المدمرة التي ما أبقت ولا تركت، دمرت البنيان، وأحرقت الذروع، وسحق الناس، وتهبعت المساجد وبيات الأولاد يتضورون جوعاً في الشوارع لا مدرسة تؤويهم، ولا قرش في جيوبهم، ولا دار تظلمهم.

كفاكم صراعاً على المناصب، وخصومة على الكراسي وزجاً للشعب كله في مذابح أهوائكم، ومجازر شهواتكم. هذا لسان حال المرجفين المثبطين والقاصدين المخذلين.

ولكن جند الله كائنهم في صمم مما يلفو النين حولهم، وما لهم لا يجيبون قائلين:

سأبقى في جبين الصبر	وشعاً ليس ينفصل
أشرع هامتي للنار	للأشواق أتعامل
وكل قذيفة يشدو	على أنفاسها الأمل

نعم كل ما يريده المرجفون حق ولكن أريد به باطل، وقد نسوا قضية كبرى وهي أن هذا الجهاد قام منذ أول يوم لاعلاء كلمة الله في الأرض وإشادة مجتمع مسلم دعائمه الجماع والدم. ولذا فكل حل لا يأتي بالأيادي النظيفة الصادقة لتمسك بزمام مقود التوجيه فهو مردود.

(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله» الأنفال/٣٩.

إذن فلتبقي الرماح مشرعة، والسيوف بارقة، والدماء مبرقة حتى ينتصر دين الله أو يقضي الله أمراً كان مفعولاً، وهكذا مضى القرم على الطريق.

نعم لقد استمر القتل بعشاق الحور، واختلطت المتون خيارنا، ومضت القافلة تضم إليها كل يوم فارساً جديداً، وتشتد الأحزان عندما يرى الإنسان نفسه وقد سبقه الذين جاؤا من قبله ومن بعده إلى الله عز وجل ونرجو الله أن يتقبلهم في الفردوس الأعلى شهداء وأن لا يحرمنا الشهادة في سبيله بين صليل السلاح ودموي المدافع فهذه غاية المنى: فاللهم أحيينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ.

(١) مجلة الجهاد العدد ٦٦ ص ٢٥ ربيع الثاني ١٤١٠هـ - نوفمبر ١٩٨٩م

ومع ثلة جديدة من الشهداء:

الدكتور صالح محمد الفارسي (أبو حاتم)

قلما رأيت في طيبة وكرمه، قدم من بريطانيا يحلوه الأمل العريض، أن ينال شهادة يدخل بها جنة عرضها السموات والأرض. كان يحضر في الدراسات العليا في الطب في قسم الأطفال، ولكن الحزن شده إلى أرض الأمجاد والجهاد، لم يعد يطبق رؤية "التزام" الهوائي ولا الأرضي، ولا دخان مصانع لندن، ولم تعد أذناء تطبيق مدير التايمز ولا دقائق ساعة "بيج بن Bigpin" لقد عشق محبوبة جديدة، لقد اختطفت معشوقته - أفغانستان - قلبه فهو يحاول أن يلحق به.

ولد سنة ١٩٥١ في بني غازي، حصل على شهادة الطب من جامعة قاريونس/بني غازي.

في غزني:

وصل أرض الجهاد وتلفت في ميدانه فلم يجد طبيياً عربياً واحداً فوق أرض النار، فامتشق بندقيته بيد وحمل مبضغه وحقيبته بيد أخرى، ويعد السؤال هداه الله إلى أن يسير مع المجاهدين إلى غزني، وهناك مكث ثمانية أشهر يأكل ويشرب وينام مع المجاهدين، دون أن يلتفت إلى راتب أو يبحث عن دنيا.

ولشد ما كانت النقلة بعيدة وصعبة بين حياة مرفهة مترعة في لندن، وبين حياة المجاهدين الذين لا تتعدى وجباتهم الشاي والخبز وأحياناً دون سكر، وأما الغذاء فهو المرق الأفغاني الذي تكون السمنة (الدهن) فوقه طبقة سميكة، وما نجا أحد من العرب القادمين بسبب ذلك من الإسهال الشديد الذي يشرف بصاحبه أحياناً على الموت.

الوافدون العرب:

لقد كان وصول الفئة الأولى من المجاهدين إلى شمال أفغانستان -عبدالله أنس وأبو أسيد ومحمد أمين- من أغرب الغرائب، لقد أمضوا ستة وأربعين يوماً حتى وصلوا بلخاً بعد أن أشرف محمد أمين على الموت وسقطت أظافر عبدالله أنس، وانهارت ولاية بلخ -مزار شريف- بكظها وكثيفتها لتري العرب الذين كانوا يقرأون عنهم في الكتب، فكم من شيخ قد اشتعل رأسه شيباً مشى على الثلج أياماً يتكئ على عصاه التي يمسكها بيمنه أخذاً بيسراه حفيده أو ابنه الصغير؛ ليحظى هذا الطفل ببركة وضع العربي يده على رأسه.

العودة من غزني:

ولدى عودة الدكتور صالح من غزني التقيت به، وكان عبدالله أنس عائداً من مزار شريف بعد أن هاله تواجد الغربيين من الفرنسيين في مستشفى مجهز بالأدوات الحديثة، فثارت ثائرة "عبدالله أنس" على أمير المنطقة محمد علم وعلى قاضيهما عبدالله فكان الجواب مفحماً للعرب: نحن ما رأينا عربياً حتى الآن قبلكم وقد وصل إلينا هؤلاء الفرنسيون قبل سنوات، فهلا أحضرتهم طبيباً مسلماً عربياً، أو غير عربي لنستغني عن هؤلاء.

وكان عبدالله أنس يصر على البحث عن طبيب عربي فقضى الله أن يسوق لنا الدكتور صالح.

وصول الدكتور صالح:

ووصل الدكتور صالح إلى بلخ -مزار-، وكان الفرنسيون قد وصلوا إلى أعماق قلوب الناس، فهم عدا أنهم يقومون بعلاجهم فإن لديهم الهدايا والحلويات التي يقدمونها للمرضى ودعك عن الزيارات في البيوت مع بعض الأموال.

ولدى وصول الدكتور صالح بلخاً تنكرت الأرض للفرنسيين، فبعد أن كانت القلوب تتفتح لتضم هؤلاء الأطباء الأجانب في أعماقها وإذا بهم يُنبذون فجأة إثر فتوى من القاضي عبدالله الذي أعلن: حرمة المعالجة عند الفرنسيين وحرمة مخالطتهم ومجالستهم، وهكذا وفي يوم واحد قلب لهم بلخ ظهر المجن، إذ أن العلاج عندهم كان ضرورة والضرورة تقدر بقدرها، وانتهت هذه الضرورة نشعر الفرنسيون بالنبذ والافراد فقالوا للامير والقاضي: يبدو أنكم قد استغنيتم عنا.

فكان الرد: نعم، فطلب الفرنسيون أخذ معداتهم، فلم يأبه المجاهدون لهذا، فقالوا لهم: وليكن لكم ما تريدون، خذوها وغادروا المنطقة، ومضى الفرنسيون.

كرامة الدكتور صالح:

وقبيل وصول الدكتور صالح كان أحد المجاهدين قد أصيب بشظية في العمود الفقري ووصلت النخاع الشوكي، فشكّل المجاهد، وكان هذا المجاهد قد عرض على الفرنسيين فقالوا لهم: (يستحيل طبياً أن يشفى هذا المريض) بل لقد قالوا كلمة الكفر، قالوا: (إن الله لا يستطيع شفائه) -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-.

ثم عرض المجاهد على الدكتور صالح، قال لي الدكتور صالح: فرأيتك محضاً نفسياً وجسدياً فقد عاد لا يستطيع الحركة عن السرير، يبول ويتبرز على نفسه، فقلت له: بسيطة بسيطة -إن شاء الله- يشفيك ربنا، قال الدكتور صالح: قلتها لأرفع من معنوياته المنحطمة.

وبدأ الدكتور صالح يعالجه بالأدوية والدعاء ولم تمض فترة قليلة حتى عاد المجاهد معافى سليماً، ثم انطلق إلى الجبهة يواصل الكفاح على جادة الخير مواجهاً أعداء الله.

فأخذ الناس في بلخ يرددون: وصلنا ولي صالح اسمه الدكتور صالح.

ستان في بلخ:

وأما الدكتور صالح سنتين في مزار شريف -بلخ- كان للإخوة العرب نعم الأب والمربي، فأحياناً تجده يعلمهم القرآن الكريم وأخرى تجده يؤذيهم إليه كما تؤذي الدجاجة فراخها، فلم يعد العرب يطيقون فراق المستشفى وأصبح عملهم العسكري منصّباً في المنطقة التي تحيط بالمستشفى فهناك وفوق رابية تطل على المستشفى قضى ذبيح الله -مروان حديد- السوري نحبه.

أطلق عليه إخوانه العرب أبا حاتم لكرمه، لم يكن يوفر من راتبه شيئاً فهو ينفقه إما على إخوانه العرب ولشراء أدوية للمستشفى، ولم يكن راتبه قليلاً ولكنه مع ذلك كان يقترض عليه ديناً ليستطيع مواصلة عمله في المستشفى، إذ كان الدواء شحيحاً فكان يضطر أن يرسل إلينا في بيشاور يطلب راتبه للفترة القادمة -الأشهر الستة المقبلة- ليسد عجز الأدوية في المستشفى.

يقول عباس: عشت معه ستة أشهر فكنت أنصح أن يقتصد في البذل فيقول: هذه تجارتي بيني وبين ربي.

عرض للزواج:

ومن المعلوم أن الأفغان يتشدّدون في تزويج بناتهم لغير أقوامهم أما الدكتور صالح فقد عرضوا عليه بناتهم للزواج طمعاً فيه لما يظنون من صلاحه وإخلاصه.

العودة من مزار شريف:

وعاد الدكتور صالح إلى بيشاور ومكث فترة فيها، ثم حدثت معركة المأسدة في رمضان سنة ١٤٠٧هـ واشترك فيها وجرح، وكنت لا تود أن تراه في مكان ملتهب ناراً إلا رأيت، لم تكن جراح الدكتور بالغة، كان في خط النار الأول حيث الأرض تتفجر براكين والسماء تمطر الأرض حمماً ملتهبة.

النمر الغضوب وما الضرقام والفهد

لمشهد ينسب الأبطال أو ينسب

وأوغلت في بطون الشوك منه يسد

فإنه في هواها ليس يتسد

ما الفحل يهدر في يوم الصيال وما

أشد منه مضاً وهو مندفع

كم استقرت على طاغ له قدم

إذا المنية عن ميعاد اتددت

(ينسب: يدفن، اتددت: تأخرت).

قافلة تخار:

ثم اخترناه ليمضي في قافلة أبي إبراهيم نحو تخار، وكانت هذه القافلة أكبر قافلة دخلت أفغانستان موقرة -محملة- بكل ما يمر في الذهن من أجهزة وأدوات طبية وكتب، عدا أنها ضمت واحداً وعشرين عربياً اصطفاهم أبو إبراهيم من المعسكرات، وضمت القافلة طبيين آخرين (د. أبا الرداء المصري و د. محمد عمر العراقي) ولدى وصولهم إلى تخار أقاموا دورة طبية لجموعة من الأفغان لتعليمهم كممرضين.

ويقي الدكتور صالح في المستشفى ستة عشر شهراً ولكنه كان يبحث عن القتال، إنه يبتغي الموت مظانه.

نشيد الدكتور صالح:

كان يريد دائماً زجلاً يقول فيه: ماذا تريد؟ أريد جيلاً قرانياً فريد، لا يخشى الوعيد ولا التهديد، قوته أسامة بن زيد وخالد بن الوليد، أمه الوحيد أن يموت في سبيل الله شهيد.

لا علاج إلا بأخذ النسوار (الخان): كان لا يعالج مريضاً إلا بعد أن يأخذ منه علبه النسوار.

العودة من تخار:

في رمضان سنة ١٤٠٩ هـ عاد الدكتور من تخار ولكنه لا يعرف الراحة ولا الاستقرار، كانت معركة جلال آباد ملتبة وعلى أشدها، ومضى إليها يمارس هوايته ويشبع رغبته، إنه يهوى القتال:

يلبذ لأتني صليل السلاح ويهيج نفسي مسيل الدماء
فكيف اصطباري لكيد الحسود وكيف احتمالي لكيد العدا

وبقي في جلال آباد بين إخوانه الذين ابتلعتهم أرض جلال آباد الواحد تلو الآخر حتى بلغ عددهم التسعين شهيداً، وكم فقدنا من الخيار في أرض ننجرهار، إنهم صفوة الأمة وخيرة أبنائها نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً.

العلاج عند الدكتور صالح: كان يقول للمريض العلاج هو (الدعاء ثم الدواء ثم الغذاء).

الشهادة في العشرين من صفر سنة ١٤١٠ هـ:

وهكذا تأتي القذيفة التي قدر الله أن تكون بها خاتمة المطاف، فاختطفته مع أخ عزيز آخر هو الأخ أحمد المبارك الصومالي، وطوي السفر المشرق من حياة الطبيب المسلم العربي الذي كان له شرف السبق إلى أفغانستان إذ أنه أول طبيب دخل أفغانستان، ووصل الجسد المخضب بالدماء إلى بيشاور وسارت الجنازة في موكب مهيب إلى بابي حيث مقبرة الشهداء، وهناك ثوى الدكتور صالح بين إخوانه الشهداء من العرب والأفغان.

أبكيك لا كذباً ما ينبىء الألم يا من للقيال حور الخلد تبسم
قلو جراح فؤادي كلها التأمّت ما كان جرحك يا دكتور يثلثم
لما تمزقت ثلت الفوز أجمعه يا ليت قومي بما قد نلت علموا

الشهيد أحمد المبارك الصومالي

فارسان من طينة واحدة جمعتهما خصال حميدة شتى، مضيا إلى الله معاً بقذيفة واحدة، وأبرز سمة فيهما هي الطيبة البريئة وكانهما لم يختلطا بقوم فيهم خبث أو دسائس أو التواء.

قدم منذ سنوات باحثاً عن الموت في أسخن جبهاته، ولكن المنايا قبر لها أجلها الذي لا تتأخر عنه ولا تتقدم.

في بروان:

وبروان ولاية شهدت ما شهدت من المعارك الحاسمة، ولم يعهد من ولاية أخرى تضحيات تناظر البذل الذي قدمته هذه الولاية،

ففيها مركزها "جاريكار" على الخط العام الواصل بين روسيا وكابل، ولذا فمن المناظر الرئيسية التي لا تفارقه حول هذه المدينة أكوام الدبابات والآليات التي تحطمت على أيدي أسد الله وجنده، ولقد استشهد قادة هذا المركز الواحد تلو الآخر في معارك ساخنة تحدث عنها أثارها، فقد استشهد نيازي وموحد وسيد باشي في خضم أحداث طاحنة قلما ترى لها نظيراً، وبذلك بعد هذا أن أهل المنطقة لم يهاجروا، إنهم يسكنون بساكنهم ولكن في ملاجئ تحت الأرض، وأنى لنفوسهم أن تطاوعهم أن يفارقوا هذه الرياض الفاخرة -التي لا يعمل النظر منها- المعتدة على طول حوالي (٦٠ كم) كانت -شي في بستان واحد من "جاريكار" إلى "شكردره -شمالي-"، ففي هذا المكان وجد "أحمد المبارك" بغيته وقره عينه ومحط أمله.

الأسر:

وذا ليلة خرج المجاهدون لمواجهة قافلة من الدبابات، وأصلوها شواظ نيرانهم ففتحت عليهم النيران من كل مكان كأنما وابل من السماء تصيب عليهم، وتفرق المجاهدون ناجين بأنفسهم، وتلفت أحمد فلم يجد حوله أحداً، وسار وحيداً في ظلمة الليل ووحشة الطريق وذهبة الأعداء وجهل المنطقة، وبدأ يخطط خطط عشواء ليس له دليل ولا أنيس فتارة يكبو من فوق صخرة وأخرى يعثر فيتردى في حفرة، والبرد قارس لا يكاد الإنسان يلتقط أنفاسه لسيراته اللاذعة، فما طلع الفجر عليه إلا وقد تخضب بدماء جراح عثراته.

في بستان شيوخشي:

انبجح النهار فأتى أحمد إلى بستان ليصلي الفجر، فاقبل صاحب البستان إليه قائلاً: أنت عربي، فأنكر أحمد، وأنى له الإنكار؟ فلونه الأسود يقطع بأنه ليس من أهالي البلاد، ثم اعترف أنه عربي، كيف لا وسلاحه ولفته ولونه كلها تفصح عن هويته. قال صاحب البستان: أنت الآن في قرية تابعة للدولة الشيوعية، ثم أخذ بيد أحمد وبدأ يريه المطار -قريباً منهم- ومراكز الروس والشيوعيين فأدرك عندها أنه وقع في الأسر.

فطلب من صاحب البستان أن يخفي أمره ويكتم سره.

قال أحمد: ثم أخذنني صاحب البستان إلى بيته وأتاني بالفطور ولكن ففسي صامت من الزاد وبدأت أفكر في الخلاص، فأخذت قنبلة من جيبي، وفتحت أمانها وأطبقت عليها يدي ووضعت يدي تحت سترتي مظهراً أنني أدفء يدي ولكني متحفظ لتفجيرها عندما أحس بخطر الأسر.

حب العربي:

والأفغان يعتبرون حب العرب من الإسلام فيكونون لهم في أعماقهم كل محبة، وينعكس هذا على تعامل الأفغان مع العرب، ولذا فعندما سأل صاحب البيت الأخ أحمد عن هويته وأبقن أنه عربي وجد صاحب البيت الذي يعمل مع الشيوعيين أنه محل للإحترام وأهل للإكرام.

قال صاحب البيت: ماذا تريدني أن أصنع لك.

قال أحمد: أريدك أن توصلني إلى مركز المجاهدين.

فقاب صاحب البيت وإذا به يحضر سيارة مع ثلاثة مسلحين، ثم طلب إلى أحمد أن يركب معهم، قال أحمد: فأدركت أنهم ذاهبون بي إلى السجن لتسليمي للروس، وأخذ يدور برأسي ما قرب وما بعد، أفكر كيف تكون نهايتي معهم، وعلى الطريق أخرج أحدهم رزمة من المال ودفعها إليّ فرفضتها قائلاً: قد قدمت للموت طلباً للجنة وليس لي في الدنيا مطمع أو مطمح، فقال رجل الماليشيا: أنت عربي قادم من بلاد بعيدة ولعلك بحاجة إلى مصروف خاصة وقد مضى عليك فترة بعيداً عن أهلك، وأصر الرجل وأصر أحمد على الرفض.

وظلت السيارة تنهب الأرض وكلما مروا على مركز أشار المضيف: هذا مركز روسي وذاك مركز للدولة ويشير إلى المارة هذا روسي وذاك شيوعي، وبقيت السيارة تسير حتى انتهى الشارع المعبد فلم نجد مناًصاً من النزول ومن السير على الأقدام، وظلوا معي حتى أصبحنا على مشارف مركز المجاهدين، وعندما توقف الأربعة قائمين: نحن لا نجرؤ على الاقتراب من المجاهدين، وأشاروا إلى

المركز وودعوني بحرارة وعادوا أدراجهم، وعندما وصلت إلى مركز المجاهدين وجدت القوم ييكون عليّ، وهم في حيرة من أمرهم: كيف يفتنون أخاهم العربي الذي أسر من بينهم وهم أحياء، وقد استقر أمرهم أن يدفعوا بأحد أسرى الروس إلى الدولة لمبادلتهم بأحمد، وأسرى الروس يعتبرون كالعملة الصعبة لأن الروس مستعدون أن يبادلوا أسيرهم بالعديد من قادة الجهاد، وعندما رأوا أحمد مقبلاً تهلت وجوههم فرحاً وبدأت رشاشاتهم تطلع في السماء معبرين عن ابتهاجهم بعودة أخيه العربي، وكان حالهم كمن فقد دابته في القلاة وعليها طعامه وشرابه ثم نام يائساً فما استيقظ إلا وأخذ بخطامها فقال لشدة الفرح (اللهم أنت عبيدي وأنا ربك) أخطأ من شدة الفرح.

العودة من بروان:

وعاد أحمد من بروان ولكنه كالولهان الذي يبحث عن أحب، أنه يبحث عن معشوقته الشهادة، فصار يتنقل بين جاجي وخوست وجلال أباء يطلب الموت مظانه، إنه يريد أن ينصر هذا الدين الذي ذبح في الصومال على يد طاغيته زياد بري.

فكان لسان حاله يردد:

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ
كأنهم من طول ما التثموا مرد
ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا
كثير إذا شدوا قليل إذا دعوا

معاً إلى الله في قذيفة واحدة:

وعلى جبل قباء -اسم أطلقه العرب على جبل قرب تمرخيل- حيث يربط أحمد والدكتور صالح الليبي، وقد أعد الإخوة الأفغان مع العرب هجوماً على تمرخيل، وجرح أثناء المعركة بعض الإخوة فجيء بهم إلى الدكتور صالح فوضعهم الإخوة في سيارة الإسعاف، ويقدر من الله كانت إحدى عجلات السيارة مضرورية فنزلوا لتبديلها فبدلوها، ثم ركبوا السيارة وساروا قليلاً وإذا بالعجلة الجديدة مضرورية أيضاً، فنزلوا لاصلاحها وابدالها.

جلس الدكتور صالح وأحمد بجانب السيارة فأراد أحمد أن يسير على أقدامه إلى مركز الإخوة العرب، فالتمس منه أحد الحضور الانتظار، وما هي إلا دقائق حتى جاءت خاطفة الأرواح (قذائف الهاون: الجرنائي) وهي من أكبر أنواع الهاون فنزلت بينهما ولشدة التفريغ الهوائي استشهد الاثنان رأساً، وهكذا وفي لحظة واحدة يطوي الردي بطلين من أطيب من عرفت بين الأنصار العرب الوافدين للجهاد.

لم أصب بمثلك قط (١)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

وهكذا نزل الخبر كالصاعقة على قلبي، في صدى، في غرفتي وبين الكتب وأنا مستغرق في المطالعة بين كتب الحديث والفقه، أغوص على أعماق بحور العلم في الجهاد ألتقط الدرر، دخل أبو عبادة الغرفة وجلس أمامي واجماً ثم تلا: (كل نفس ذائقة الموت).

(آل عمران ١٨٥)

ثم قال: توفي الشيخ تميم على أثر نوبة قلبية في أمريكا، وهكذا وفجأة سكوت صوت الحق الناطق باسم الجهاد، ومضى إلى الله.

أحقاً قد قضى ذاك الليث الذي تعرفه المأسدة بعد أن عاش بين الرصاص والمدافع وتحت وابل الرصاص أربع ساعات متواصلة بين فكي الموت في الثلاثين من رمضان سنة ١٤٠٧هـ طلباً للشهادة، وتفوتك هناك بعد أن تحطمت أغصان الشجرة التي تنفياً ظللها، عمّ نحدث وقد أخرس حول النبا الألسنة؟

لسن تموت:

وكيف تموت وذكرياتك تملأ حياتنا فتهزنا من أعماقنا؟ إن صوتك الذي يهوي في الأشرطة المسموعة والمرئية ليكفي أن يزلزل

(١) نبيب المعركة العدد ٧٤ التاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٤١٠هـ الموافق: ١٢ أكتوبر ١٩٨٩م.

دنيا أعداء الله، وتهتز له أوتار قنوب جند الله، لن يموت من أبقى له في الدنيا مواقف تتصاغر أمامها العظمة والسعة والعناء..
لن يموت من طوف الدنيا وهو يحمل بين طياته أشرف قضية تحرق قلبه وتوجع صدره نارا قبيثا من خلال خطب ناروية
وكلمات ساخنة ملتهبة تنبثق من القلب فتصل إلى القلوب بإذن علام الغيوب..
لم تكن أدبيا ذا بيان ساحر، ولكن لكلماتك سحر يأسر القلوب، لم تكن عالما ذا فقه واسع، ولكن الله علمك ما يتفكك وما ينتفع
به الناس من خلاك، وما تركته من آثار في جيل الصحوة قد عجزت عنه جماهير العلماء..

لم تكن الفارس الذي يمتطي الجياد في الميدان، ولكن الفرسان يقفون أمام جرأتك أقزاما..
يحدث الشيخ سياف عن الشيخ تميم قائلا: لقد رافقني الشيخ تميم نحو كابل وكنا مع الاستاذ رباني، وعندما وصلنا (أزره)
بدأنا صعود جبل شاهق، ولكن الشيخ تميم بثقله لا يستطيع الارتقاء إلى ذروته، ولكنه أصر على الصعود، فسيّاه بحصان وركبه
الشيخ تميم، ووزن الشيخ تميم تخشاه الخيل!!

قال الشيخ سياف: والله لقد تصاغرنا أمام جرأة الشيخ تميم وأصراره،
إن الطريق إلى قمة الجبل لا يكاد يزيد عرضه عن قدم، وأي انزلاق للحصان إنما يعني أن يهوي مع الشيخ تميم إلى قعر
الوادي، وبينما نحن في الطريق إلى القمة جامعا من يصيح: سقط الشيخ تميم عن الحصان، قال الشيخ سياف: فقلت في نفسي
حسبنا الله ونعم الوكيل، أنى لنا الآن بوسائل لإتقاذ جثة الشيخ تميم من قرارة الوادي لدفنها؟ فعدت لأجد كمية من التراب قد ساقها
الله لتحمي الشيخ تميم من أن يهوي في هذا الفج العميق.

وبصر الشيخ تميم مرة أخرى أن يمتطي ظهر الجواد، واللبل قد أرخى سدوله، ويسير الحصان صاعدا بزفراته اللاهثة، ويمر
الحصان من تحت جذع شجرة منخفض ليأخذ بعنق الشيخ تميم ويلقيه خلف الحصان، فيمسك الشيخ تميم بالحصان، فيسقط
الحصان فوق صدره، فيدفعه بكتا يديه عن عظام صدره، ولكن يقضي الله أن تهشم ركبة الشيخ، وجاء النذير صانحا مرة أخرى إلى
الشيخ سياف والشيخ رباني، فيرجع الشياخان، ولدى رؤية الشيخ رباني للشيخ تميم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال (مازحاً): (هذا
جزاؤك، كنت تريد أن تجلس على كثير من الناس فأجلس الله عليك الحصان).

عم أتحدث؟ عن شجاعتك ومواقفك أمام أهل الدنيا:

كم مرة سمعتك تقول: والله لا أخاف أحدا في الدنيا الا الله.

لا أنسى لك موقفك يوم أن جمعت مليون دولار في بلدة من البلدان، فطلبها المسؤولون منك، فأجبت: والله لو قطعتموني إربا
إربا ما أخذتم دولارا واحدا، إن أمنيته الشهادة فاقتلوني وخذوها، ولم تبق القضية طي فؤادك، وإذا بك ترعد وتزبد فوق المنبر قائلا:
من أراد أن تتكلم أمه أو بيتهم أولاده أو يرمك زوجته فليلحقني إلى المطار حيث أغادر إلى أفغانستان في يوم الأربعاء، وقدم بالمليون
دولار وسلمها إلى الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان آنذاك، ولا أنسى لك وأنت بين أيدي الدوائر الأمنية في مطار القاهرة قبل
شهرين، فيسألونك أتعرف محمد شوقي الإسلامبولي؟ فيكون الجواب: ومن ذا الذي لا يعرف شقيق الشهيد البطل خالد الإسلامبولي؟

فيسألونك عن أسماء بعض المصريين في أفغانستان، فتغلظ لهم الأيمان أنك لو عرفت اسمهم ما بحثت باسم واحد..

ثم كانت الجرأة التي تطلب فيها من مخابرات مصر أن يسمحوا لكم بإعطاء محاضرات عن الجهاد الأفغاني، فيفغرون
أقواهم استنرابا لهذه الجرأة عليهم، ثم تذهب إلى مسجد الشيخ المحلاوي في الاسكندرية، وبعد صلاة الجمعة تبدأ بخطبتك وأنت
تفجر حماسا وتتدفق حيوية وتقلي كالمرجل، وساعة ونصف وجماهير البشر تتدفق كأنها أمواج البحار الزاخرة، وهي تصفي إليك
كأن على رؤوسها الطير، وما لنا لا نردد متعنين بشجاعتك قائلين:

أقل بلاء بالرزايا من القنا وأقدم بين الجحفلين من النبل

أعز بني الدنيا وليث إذا اتبرى فأبك نصل والشدائد للنصل

مقيم مع الهيجاء في كل منزل كائنك من كل الصوارم في أهل

وماذا عساها تفني هذه الأسطر عما يجول في الأعماق من الخواطر وما يكتنه لك الصدر من المشاعر؟!

قلب سليم، وفطرة صافية لم يدنسها طمع الدنيا، لم تلوثها التواءات الحضارة، مشرقة كالسجفجل (المرأة)، بيضاء كاللجين (الفضة).

أقول عنك: (فطرة صافية كأنها فطرة طفل في الثالثة من عمره، ونفس تتفجر حماسا كأنها العشرين من عمره، وسخاء أصيل لا يعرف رد قانع ولا معتر، فيعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وصراحة صادقة، وعزم لا يعرف الوهن، وآمال لا يتطرق إليها بأس، وهمة تتأطح المزن وتطاول عنان السماء، وتباري ماء المعصرات طهرا وصفاء).

معرفتي بالشيخ تميم: عرفني الشيخ تميم من خلال الجهاد، وما أوثق عرى المحبة التي تبني أوامرها فوق أرض النار المضطربة، حيث تستعد النفوس للموت فتكون قريبة من فاطرها تستشرف للقاء بآرتها .

عرفته سنة ١٩٨٢م زارني في بيتي في صويلح / الأردن في العطلة الصيفية، ثم توثقت الوشائج من خلال هذا الجهاد المبارك الذي شملت بركاته وأثاره معظم مناحي حياة الأفراد والأمم التي تعيش في العالم الاسلامي، وفي سنة ١٤٠٧هـ تفرغ الشيخ تميم للجهاد تعاماً.

الرباط:

إن أنس من الأشياء لا أنسى ذلك الرباط الذي امتد قرابة السنة بين ثلوج مأسدة الانتصار، صابرا محتسبا بين شباب في سن ابنه، وهو يعيل إلى الاندفاع الذي تتسم به شخصية الشيخ تميم من خلال عاطفة جياشة وحرقة تاكل قلبه وكبدته على جراحات المسلمين والامم، وصدر يغلي كالرجل، ونفس متطلعة إلى الشهادة بأي طريق .

وما رأيت رجلا في سن الشيخ تميم مثله، وما رأيت حديث الرسول ﷺ في طلب الشهادة تمثلت في إنسان كما هو في الشيخ تميم: (من خير معاش المرء رجل أخذ بهتان فرسه بطير على منته كلما سمع هبة أو فرجة طار إليها بهتخي الموت مظانه)، رحلته إلى قطر وأمريكا خاصة والسعودية والأردن: وأي شاب من أبناء الصحوة الاسلامية في هذه الاقطار لا يعرف أبنا ياسر؟

رحلته الأخيرة:

طوف فيها بمجموعة من الاقطار يتحدث عن الجهاد الافغاني، وليس لديه قضية سواه، فقد ملكت عليه القضية أحاسيسه ومشاعره ونفسه وأعصابه.

فذهب ليفتح معرضا في نيجيريا عن الجهاد الافغاني، وألقى محاضرات باللغة الانجليزية، إذ أنه يجيد الانجليزية، وأصبح الشيخ تميم حديث الشارع، إذ أن الصحف والتلفاز كلها بثت محاضرات الشيخ.

ثم من نيجيريا إلى مصر وجرى ما جرى مع أجهزة الأمن، ثم اليمن وهناك مرض بالملاريا التي أتعنته عن إتمام جولته في إلقاء المحاضرات، ثم إلى قطر. وهناك قرر الشيخ أن يسافر إلى تشيكوسلوفاكيا لتخفيف وزنه، فاتصل بي يستأذني أن يسافر ثلاثة أشهر هناك حتى يرجع لخوض المعارك، فأنشرت عليه أن يذهب إلى أمريكا حيث يأنس بالشباب المسلم الذين تعج بهم هناك فلا تستوحش لكثرة من يلتفون حولك من الشباب الذين يتسابقون لخدمتك.

رحلة الخلود:

وكانت السفرة الخاتمة التي كانت فيها رحلة الخلود، وفي السابع عشر من من ربيع الأول سنة ١٤١٠هـ الموافق ١٨/١٠/١٩٨٩م أصابته التوبة القلبية في أورلاندو/ فلوريدا بعد سلسلة محاضرات اخترمتها المنية قبل أن يتمها.

الشيخ تميم والشهادة:

لقد كانت الأمنية الكبرى التي تداعب أحلام الشيخ تميم أن يختم الله له بالشهادة، لما كانت الشهادة تفارق مخيلته، رآه ورد

في الحديث الصحيح: (من طلب الشهادة صادقاً أعطىها ولو مات على فراشه).

ونحن ندعو الله عز وجل أن يكون قد تقبله شهيداً، فقد هاجر الشيخ تميم وربط وقاتل وحرّض وأعد وتدرّب وطوف في الأرض يحرض المؤمنين على البذل في سبيل الله، وعلى التغير إلى أرض الجهاد.

والأحاديث التي تبشر بقبول المهاجر الشهيد مهما كانت طريقة وفاته كثيرة، منها: حديث فضالة بن عبيد: روى ابن كثير في التفسير ٢٠١/٣ عن طريق عبد الرحمن بن شريح عن سلامان بن عامر أن عبد الرحمن بن جحدم حدثه أنه حضر فضالة بن عبيد في البحر مع جنازتين أحدهما أصيب بمنجنيق والآخر توفي، فجلس فضالة عند قبر المتوفى، فقليل له: تركت الشهيد فلم تجلس عنده، فقال: ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت، إن الله تبارك وتعالى يقول:

[والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مدخلا يرزقونه وإن الله لعليم حلیم] - (الحج: ٥٨-٥٩)

وكذلك روى هذا الحديث ابن المبارك في كتاب الجهاد فقرة ٦٩ ص ٢، وكذلك رواه ابن أبي حاتم، وروى ابن جرير بنحوه.

اتفاق المنزلة مع اختلاف الميتة :

عن مالك بن ندم أنه قال: [سمعت عمر بن الخطاب يقول: ما ترون في نفر ثلاثة أسلموا جميعاً وهاجروا جميعاً، لم يحدثوا في الإسلام حدثاً، قتل أحدهم الطاعون، وقتل الآخر البطن، وقتل الآخر شهيداً، قالوا الشهيد أفضلهم، فقال عمر والذي نفسي بيده إنهم لرفقاء في الآخرة كما كانوا رفقاء في الدنيا] رواه سعيد بن منصور في سننه الجزء الثاني برقم (٢٨٤٤).

المهاجر له الجنة مهما كانت ميتته:

(من فصل في سبيل الله فمات أو قتل، أو وقصته لرسه أو بعيره، أو لدغته هامة، أو مات على فراشه بأي حيف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة) أبو داود والحاكم عن ابن مالك الأشعري - حسن .

وختاماً أقول:

لم تكن أيامك طويلة بيننا يا ابن السابعة والأربعين، ولم أصب بمثلك قط، ولقد كان فراقك ثقيلاً على نفوسنا، ولكننا قطعنا يميني، وأردد الآن بمرارة:

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام
جرحت مجرحاً لم يبق فيسه مكان للسيوف أو السهام

فأمل من الله - عز وجل - أن يتقبله شهيداً وأن يجمعنا في الفردوس الأعلى آمين. آمين.

وختاماً نبك أشجاناً من خلال الأبيات التي قالها فيك والدك الشاعر محمد العدناني:

أحسن إلى عنائك يا تميم	حينما قد روى عنه التميم
بهيمن مثله في كهف صدي	وينزع أصفري ولا يبريم
فباسمك يهتف القلب المعنى	وحراك روجي الظمأى تحوم
تنادي يا تميم قلاً مجيب	به تشفى إلي كي تجلو الهموم
يحدث عنك ما يحيي الأمانى	ويبرأ من بشائرهما السقيم
فأني يا منى ابن الصدر دوماً	على وجدي وتحناني مقيم
حياك الله سعداً مثل يسم	وتحقيق الأمانى يا تميم

القمة الشامخة (١)

الشيخ تميم العدناني رحمه الله

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

وفجأة غابت الذروة الشماء، قمة المجد والإباء، وذروة الفخر والسناء، ودامعتنا الأحداث دون استعداد لها، وأمطرتنا الأقدار بوابل الرزايا والبلايا فتلفتنا على الطريق حولنا وجدت أشجاننا ممزوجة بأحزانها وآلامها، معجونة بدموعها وعرقها.

وحيد من الخلق في كل بلدة إذا عظم المقصود قل المساعد

روايلنا سيرنا على الجادة تنكأ الأحداث الجديدة الجراحات القيمة التي لم تشف بعد..

إن البلايا والرزايا والقنصا حلفاء صعبى غوروا أو انجدوا

والحق أن الكتابة عن الشيخ تميم تقصر أن تعطي الشيخ الراحل حقه، فما رأيت مثله قط -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً- وقليل على الشيخ تميم أن تسطر عنه الأسفار تتفنن بمكارمه وليس كثيراً عليه أن يلهج بمدحه الأبرار، ويسلو بقصصه الركبان في الترحال والأسفار (وأجعل لي لسان صدق في الآخرين) (الشعر: ٨٤)

لقد فجعنا برحيله بالسكته القلبية، ولكن الحديث الصحيح: (موت اللجأ أخذه آسف - غاضب - للكارم ورحمة للمؤمن)، ومعدرة البيان إن لم يوف الأقدارهم ..

ومعدرة اليراعة والقوافي جلال الرزء عن وصف يدق

وإننا إذ نكتب عن الشيخ تميم هذه الكلمات بهذه العجالة لنبخس أبا ياسر حقه، إذ لا بد أن يفرد فيه مؤلف كامل، ولكننا نكتب سطور بعض قبسات من حياته:

١- ولد الشيخ تميم سنة ١٩٤٢م في القدس من بيت شرف ونسب وحسب إذ كان جده (خورشيد باشا) والياً للقدس من قبل النولة الإسلامية العثمانية.

٢- كان والده شاعراً لامعاً (محمد العدناني) ولقد بذَّ إبراهيم طوقان في شعره، وله دواوين شعر معروفة.

٣- ارتحل والده بعد سقوط فلسطين إلى سوريا، واستقر في حلب الشهباء وتكلم الشيخ تميم على أيدي كبار العلماء، وكان يفخر أنه تلميذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة.

٤- تمسك بالأداب الإسلامية منذ حداثة سنة وأطلق النحية في الثانوية العامة في زمن عزَّ أن تجد شاباً متديناً.

٥- أنهى الثانوية وتوجه إلى القاهرة يكمل دراسته في جامعة عين شمس / كلية السياسة والاقتصاد إذ أن والده كان يؤمل أن ينهي دراسته ليحتل مكانة مرموقة في السلك الدبلوماسي.

٦- في القاهرة تعرف على علم الجهاد المعروف الشيخ مروان حديد الحموي، فانطبع في نفس الشيخ تميم من شيم العزة والإباء، ومن الأنفة والسمو والتعدي الكثير من صفات الشيخ مروان.

٧- أنهى الشيخ تميم دراسته الجامعية وعاد فعرض عليه أحد أرحامه عملاً براتب مغرٍ في البنك العربي، ولكنه أبى يرضي لنفسه أن يعمل مدرساً في مدرسة ثانوية خاصة براتب زهيد.

٨- تعرف أثناء تدريسه على فتاة صالحة وخطبها لتكون شريكة حياته.

٩- سَرَّ الله له أن يعمل في السعودية في شركة بريطانية للطيران (B . E . C) متوجماً وأطمأنت نفوس المسؤولين لأمانته فعينوه مديراً للمشتريات بعد أن كانوا ينزلون إلى الأسواق ليتوثقوا من صدقه في أثمان المشتريات.

١٠- تعاقدت الشركة مع وزارة الدفاع السعودية / قاعدة الظهران الجوية، وأصبح الشيخ تميم عاملاً في القاعدة وبدأ نبها اتجاؤه الديني ونفا سلمه إمامة المسجد وخطبة الجمعة.

(١) لهيب المعركة العدد ٦٧٦ ربيع الآخر ١٤١٠هـ ١ نوفمبر ١٩٨٩م.

- ١١- بدأ نجم الشيخ تميم يتألق في المنطقة الشرقية في السعودية وأصبح المسجد محطاً لأنظار الشباب المتجه إلى الله.
- ١٢- لم يعد المسجد يتسع لرواده فوسعه فضاق بالمصلين وزادوا مساحته تدريجياً حتى أصبح أربعة أضعاف مساحته.
- ١٣- اشتغل الشيخ تميم بقضية الجهاد الأفغاني وأصبح محط أنظار المحسنين، يثقون به لنقل أموالهم ومحل ثقتهم لتلقي الأخبار عن الجهاد فكان يجمع الملايين ويقضي إجازته السنوية بين المجاهدين، فقضى إجازة السنة الأولى مع الشيخ جلال الدين حقاني في بكتيا ومع القائد محمد حسن بالذات، وقضى إجازة السنة الثانية والثالثة عند الشيخ سياف في بكتيا، وكان يلقي خطبة لدى عودته من زيارته الأولى والثانية والثالثة.
- ١٤- انتشرت أشرطة الشيخ تميم في السعودية والخليج وسارت بذكرها الركبان، وأصبحت حديث السامر خاصة الكرامات في الجهاد الأفغاني.
- ١٥- ثم انتقل الشيخ إلى قطر ونما الإحساس في الشعب القطري بالجهاد الأفغاني وأصبح الناس يتوافدون إلى الجهاد، وقدمت قطر مجموعة من الشهداء ومبالغ طيبة من المال.
- ١٦- رابط في مأسدة الانتصار فترة طويلة ثم رجّاه أن يستلم إدارة مكتب الخدمات فقبل مشكوراً وحمل عني حملاً ثقيلاً وطوّف في الأرض ينب عن الجهاد ويوضح صورته وينافح عنه، ففي أمريكا الشمالية قلما تجد ولاية لم يترك الشيخ تميم فيها أثراً طيباً، ثم كندا وفنزويلا والبرازيل ونيجيريا واليمن ومصر والسعودية وقطر وبنجلاديش، فأصبح حديث الشارع في كثير من الأقطار.
- ١٧- توفي بالسكتة القلبية في أورلاندو / فلوريدا في ١٧/ربيع الأول/١٤١٠ هـ الموافق ١٨/١٠/١٩٨٩ م.
- ١٨- حصلت له كرامات كثيرة بعد وفاته منها:
- أ- بكائه بعد وفاته بـ ٤٨ ساعة، عندما وقفت زوجته تودع الوداع الأخير.
- ب- لين جسده رغم مرور يومين من وفاته.
- ج- خروج رائحة عطرية عبقّت بها أرجاء المكان الذي سُجّي فيه.
- ١٩- أحضرت جثته من أمريكا وصلى عليه الشيخ سياف وشيخ جنازته جمهور غفير من المجاهدين العرب والأفغان، وألقى الشيخ سياف كلمة رائعة قال فيها: (لقد أثر نبأ شهادته على نفسي أكثر من سقوط جبهة قوية)، وألقيت عليه كلمة وودعه ابنه الأكبر ياسر بكلمات حارة.
- رحم الله الشيخ تميم رحمة واسعة وجمعنا به في الفردوس الأعلى.

وصية من وصايا الشيخ تميم العدناني^(١)

(اللهم تفضلني برحمتك وتبليني شهيداً يا الله)

أوصيكم جميعاً بتقوى الله عز وجل والمحافظة على هذا الجهاد العظيم، وأوصي قادة الجهاد جميعهم بالاتحاد ونبذ الخلافات التي بينهم فالكرسي لن ينفعهم يوم القيامة، بل فهيناً لمن باعها لله عز وجل واشترى بها جنة عرضها السموات والأرض... أوصي زوجتي وأولادي بتقوى الله عز وجل وأوصي ياسر وأحمد وحسام بالجهاد في سبيل الله والموت على ما مات عليه آبؤهم... اللهم اجعلها شهادة في سبيلك واحشرني تحت لواء حبيبك إمام المجاهدين محمد ﷺ.

تميم العدناني

بيشاور في ١٢/٥/١٤٠٨ هـ الموافق: ٢/١/١٩٨٨ م

(١) لهيب المعركة العدد ٧٦ - ٦ ربيع الآخر ١٤١٠ هـ ٤ نوفمبر ١٩٨٩ م.

تمـازي (١)

مكتب الخدمات يودع فقيده الغالي الشيخ تميم العدناني الى مثواه الاخير

بمزيد من الالم الذي يعتصر القلوب والافئدة ، وبفتت الاكباد شيع المجاهدون العرب العاملون على الساحة الافغانية - يتقدمهم شيخ المجاهدين العرب الدكتور عبدالله عزام ، ومجموعات كبيرة من الاخوة المجاهدين الافغان - ، وعلى رأسهم بعض قادة الجهاد الافغاني الشيخ عبد رب الرسول سياف رئيس وزراء دولة المجاهدين المؤقتة والشيخ محمد نبي ويونس خالص ومندوب الشيخ حكمتيار .

الشهيد المجاهد الشيخ تميم العدناني (مدير مكتب الخدمات) الذي وافته المنيّة في أمريكا عن عمر يناهز السابعة والاربعين بعد عمل متواصل ليلا ونهارا لا يعرف الكلل ولا الملل في خدمة الجهاد الافغاني وفي خوض المعارك داخل أفغانستان ، وفي التطواف في أنحاء المعمورة حثا للمؤمنين وتحريضا لهم على القتال في سبيل الله ودعمًا للجهاد على أرض أفغانستان .

وقد سارت الجموع محتشدة تودع شهيدها الغالي الى مقبرة الشهداء في بابي يوم الاحد تاريخ ١٩٨٩/١٠/٢٢ ، وقد القى كلا من الشيخ سياف والدكتور عبدالله عزام ونجل الشهيد الاكبر (ياسر) كلمة تايينية على قبر الشهيد كان لها الاثر الكبير على قلوب الحاضرين .

وبهذه المناسبة الاليمة الحزينة فان جميع العاملين في مكتب خدمات المجاهدين بكافة مؤسساته بنعون شهيدهم الغالي الشيخ تميم العدناني ويرجون من الله العليّ القدير أن يكون قد تقبله في عداد الشهداء وأن يجعل مثواه الجنة في القربى الاعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، كما يرجون من الله تعالى أن يعوضهم خيرا منه ، وأن يلهم المجاهدين ثوبه الصبر والسلوان إنه سميع مجيب الدعاء .

من أمير الجماعة الإسلامية بباكستان

القاضي حسين أحمد الى الدكتور عبدالله عزام

حفظه الله تعالى

حضرة الاخ الفاضل الدكتور عبدالله عزام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد

بلغتنا وفاة الاخ الكريم الشيخ تميم العدناني وتأسفنا كثيرا لهذا الخطب الجليل ، ندعو الله عزوجل أن يدخل الراحل فسيح جناته ويجعله مع الشهداء الابرار ، ويلهم ثوبه الصبر والسلوان ، ونقدم اليكم تعازينا القلبية ، اعظم الله اجرکم ، ولانستطيع الا ان نقول : لله ما اعطى وله ما أخذ وانا لله وانا اليه راجعون .

اخوكم في الله / حسين أحمد القاضي

١٩٨٩/١٠/٢٥

نعي من جمعية الاصلاح والتوجيه الاجتماعي - رأس الخيمة

فضيلة الشيخ / الدكتور عبد الله عزام أمير مكتب خدمات المجاهدين حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

بقلوب ملؤها الحزن تلقينا نبأ وفاة الشيخ المجاهد تميم العدناني ، نسأل الله تعالى أن يغفر له ويحشره وایانا مع النبيين والشهداء والصالحين في جنات النعيم ..

وان لله ما أعطى وله ما أخذ وكل شيء عنده بمقدار ، فاصبروا واحتسبوا . وانا لله وانا اليه راجعون .

مجلس ادارة الجمعية / ١٩٨٩/١٠/٢٤

(١) لهدف المعركة العدد ٧٥ من ١٢ ربيع الاول ١٤١٠ هـ ٢٨ أكتوبر ١٩٨٩ م.

نعي من اتحاد الطلبة المسلمين - باكستان

حفظه الله تعالى

فضيلة الدكتور عبدالله عزام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الامانة العامة لاتحاد الطلبة المسلمين باكستان تحتسب عند الله تعالى فضيلة الشيخ المجاهد " تميم العنثاني " رحمة الله عليه ، ساتلين الله عزوجل ان يتغمده بواسع رحمته وان يسكنه فسيح جناته وان يكتبه في عداد الصيقيين والشهداء والصالحين ، وان يلهم أهله ونوويه واخوانه الصبر والسلوان - وانا لله وانا اليه راجعون -

اتحاد الطلبة المسلمين - باكستان

١٩٨٩/١٠/٢٤

نعي من لجنة البر الاسلامية

حفظه الله

فضيلة الشيخ عبدالله عزام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

لاندرى بايهما نبدا ، بتهنئتك بالسلامة من كيد اريد بكم ، أم بتعزيتكم في القدر الذي نزل بنا وبكم ، وانا لتعلم أن مصابكم بفقد الاخ الحبيب الشيخ تميم العنثاني أكبر وأشد فلقد كان الاخ الودود والخطيب الصادق والمجاهد الشجاع .
نعلم أنكم فقدتم ركنا من أركان عملكم في مكتب الخدمات وأخا محبا ورفيقا على الدرب الماضي الى يوم القيامة .
نسأل الله عزوجل أن يلهمكم الصبر ، وأن يعوضكم ويعوض المسلمين خيرا منه ، وأن يجعل من اخوانكم العاملين معكم خير خلف لخير سلف ، وكلنا نشد أزركم ونضع يدا في أيديكم وتبادل العزاء واياكم ، وانا لله وانا اليه راجعون وله ماأخذ وله مااعطى . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لجنة البر الاسلامية

١٤١٠/٣/٢٢ هـ الموافق: ١٩٨٩/١٠/٢٢ م

نعي من الشركة العربية المركزية للاعلان والنشر

حفظه الله تعالى

الشيخ عبدالله عزام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد

فقد بلغنا نبأ وفاة ((الشيخ تميم)) .. نسأل الله وتدعوه وتتوسل اليه بأن يتغمده وأن يسكنه فسيح جناته ، وأن يلهمكم الصبر والسلوان ، مهما كتبنا وقلنا قلن توفي أنرجل حقه .. حسبنا الله ونعم الوكيل

اخركم / بهاء فؤاد أبو غزالة

٢٢/ربيع الاول / ١٤١٠ هـ الموافق ٢١/اكتوبر/ ١٩٨٩ م

نعي من رابطة الشباب المسلم العربي - في الولايات المتحدة الأمريكية

حفظه الله

فضيلة الشيخ الدكتور عبدالله عزام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

لقد تلقينا ببالغ الاسى والحزن نبأ وفاة الشيخ تميم اثر أزمة قلبية خلال زيارته لولاية فلوريدا حيث كان يقوم بواجب الدعوة

الى الله .

ورابطة الشباب المسلم العربي في أمريكا الشمالية * لجنّتها التنفيذية وأعضائها المنتشرين في جميع أنحاء الولايات المتحدة وكندا* تتنّى اليكم وإلى العالم الاسلامي قاطبة الفقيد الجليل سائلين المولى جل وعلا أن يتفعله بواسع رحمته وأن يجعله في زمرة الصالحين وأن يفضله منازل النعيم .

نرجو منكم قبول هذا العزاء وايصاله الى أهل الفقيد سائلين الله أن يلهمهم الصبر والسلوان . .

وإنا لله إليه راجعون .

كما أننا نشكر الله تعالى على سلامتكم من المحاولة الفائرة التي دبرت لكم ، وهذه يشرى من الله تعالى ((ان الله يدافع عن الذين آمنوا)) والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اخوكم/ نبيل السعدون

من مسؤول منظمة العون الاسلامي الى الدكتور عبدالله عزام

الى الوالد الكبير والشيخ الجليل والعالم العامل المجاهد أميرنا وقائدنا وشيخنا الفاضل الدكتور عبدالله عزام حفظه الله من كل المكائد والشعور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أيها الشيخ الفاضل :

لقد تواردت لاسماعتنا أخبار تجرح الفؤاد وتقلق النفس وكان أولها خبر محاولة الايدي الخبيثة تفجير مسجد الشهيد سبع الليل ، ولقد سجدنا لله شاكرين على فشل هذه المحاولة القذرة ، وحاولنا أن نتكلم معكم شخصيا ولكن لم نوفق .

ثم جاء الخبر المؤلم على النفوس ب وفاة الشيخ بريء الفطرة وكنها فطرة طفل لاتعرف إلا البراءة، المحبوب لدى عموم الشباب المسلم في كل مكان حبيبنا وشيخنا مدير مكتب خدمات المجاهدين الشيخ المرحوم تميم العدناني رحمه الله وجعل الجنة مثواه .

وإني أتقدم بهذا الشعور مواساة لنفسي ولكم وأطلب من الله العلي القدير أن يحفظكم ، وإني أتقدم لكم بنفسي وما أملك لأكون خادما حارسا لكم لأن سلامتكم عندي وعند كل منصف تعني سلامة الأمة الاسلامية ، فنحن تحت اشارتكم وتحت امركم ، جزاكم الله كل خير عنا وعن الأمة الاسلامية وعن المجاهدين بشكل خاص وبارك الله فيكم .

اخوكم/ ابو جندل

تعزية وتنديد

حفظه الله تعالى

إلى شيخنا الدكتور عبدالله عزام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فقد تلقينا ببائع الحزن والأسى نحن الأخوة الجزائريون نبأ وفاة الشيخ تميم العدناني مدير مكتب خدمات المجاهدين رحمه الله تعالى ، وعزّونا في ذلك أن يتقبله الله شهيدا إن شاء الله تعالى ، فقد كان يطلب الشهادة بصدق .

وفي الحديث الذي رواه مسلم عن سهل بن حنيف قال : قال رسول الله ﷺ ((من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه)) .

وبهذه المناسبة نقدم التعازي الحارة لأهل الفقيد ونسال الله أن يلهمهم الصبر والسلوان .

كما لا يفوت الأخوة أن يندبوا بكل من كان وراء العمل الإجرامي الذي استهدف فضيلتكم في مسجد سبع الليل ، ويؤكدون أن الجهاد ماضى إلى يوم القيامة لا يبطله عمل المجرمين ولا مكر الماكرين ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تميمي (١)

تلقت نشرة لهيب المعركة نسخة من رسالة العزاء التي بعث بها الشيخ (عبدالفتاح ابو غده) الي اخيه الشيخ د. عبدالله عزام ، وفيمايلي نص الرسالة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الفاضل المجاهد الدكتور عبدالله عزام وإخوانه المجاهدين

حفظهم الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

نحتسب معكم عند الله فقد الأخ الشيخ تميم العدناني ، الأخ الكريم والمجاهد المخلص المحتسب الذي باع لله نفسه وولده وماله ، فكان علما من أعلام الجهاد والمرابطة ، لا يكل سعيه ولا يفتقر آواره ، فله دره ودر إخوانه علي درب الجهاد والشهادة . ولئن كان فقد خسارة فائقة لكم شخصيا وللجهاد الأفغاني بعامة فإننا نبتهل إلى الله العلي القدير أن يهيأ لكم من يرباطه ويسد مسده ، وأن يقويكم مع إخوانكم لمقاومة المسيرة حتى ياتي نصر الله المؤزر المبين عما قريب بإذن عز وجل . نرجو إبلاغ تعازينا القلبية لأهل الفقد وإخوانه ، والقادة الأفاضل ، سائلين المولى أن يتقبل من الجميع جهادهم ورباطهم وإن ختامه (نصر من الله وفتح قريب ، وبشر المؤمنين)

الشيخ عبدالفتاح أبو غدة

رسالة عزاء بنفقد الجهاد والمجاهدين (الشيخ تميم العدناني)

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور . والصلاة والسلام على سيد المرءة المحجلين ، وقائد المجاهدين سيدنا محمد ﷺ تسليما كثيرا وعلى آله وصحبه والتابعين وتابعيهم باحسان الى يوم الدين . أخي في الله /الدكتور عبدالله عزام سلمه الله وأطال عمره وأبقاه ذخرا للجهاد في سبيل الله ، وختم أعماله بالشهادة في سبيل الله . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

قال الله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) وقال ايضا جلّت قدرته (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) . صدق الله العظيم

بلغني نبأ صدمني الا وهو رحيل شيخنا الفاضل (تميم العدناني) من هذه الدنيا الغانية للقاء وجه ربه عز وجل بعد ان ختم حياته مجاهدا في سبيل الله وداعيا الى الله .

وساعتها تمتعت أنني قدرت أن اقتنيه بلولادي الخمسة ولكن قضاء الله وقدره نتقبله بالتسليم والطاعة ويصدر رجب ، ولا نقول إلا (إنا لله وإنا اليه راجعون) والذي هون علي وقع الخبر قول الله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين) صدق الله العظيم

فقد عشتم غرباء داعين إلى الله مجاهدين في سبيل الله فمنكم من قضى نحبه ومنكم من ينتظر (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) .

فالشيخ تميم رحمه الله رحل عن هذه الحياة الغانية بإذن الله للقاء الأحبة محمد ﷺ وصحبه . فقد وهب - رحمه الله - حياته داعيا إلى الله ومجاهدا في سبيله وهكذا الحياة للخالدين ولا قلا .

وإن رحل عنا فنذكره باق بيننا فما زالت كلماته تروى في أنفي في شريط تسجيل زيارته الأولى لأفغانستان ومازلت أذكر كلامه

(١) لهيب المعركة العدد ٧٧ التاريخ ١٢ ربيع الأول ١٤١٠ هـ الموافق ١١/١١/١٩٨٩ م

عندما زلته في العون الاسلامي ببشاور .

فقدان الشيخ تميم العدناني خسارة كبيرة على كل مسلم غيور على دينه وبخاصه على الجهاد الافغاني ولكن قدر الله وما شاء فعل والبركة فيكم وفي الاخوة الاماجد المجاهدين في سبيل الله الذين ينوبون عن حمى الاسلام هناك في ارض العزة والكرامة ارض السلام والاسلام ارض افغانستان الغالية على قلوبنا .

انتم المعلم الاول والاخ الكبير بعث حياتك رخيصة في سبيل اعلاء كلمة الله وبمهما حاولت التعبير عن شخصكم فلا استطيع فانت وامثالك من المجاهدين يعدون الرجال الذين تفتخر بهم الامة فقد تركتم وراكم حياة العيش الرغيد السعيد مقبلين الى الله ولإعلاء كلمة الله لتكون راية الاسلام خفاقه عاليه تهز عروش الجبابرة .

ولانري - والله - من اعزى بفقد الشيخ تميم اعزى نفسي ام اعزىكم ام اعزى اهل القيد واخوانه المجاهدين فهو خسارة علينا جميعا فقد رحل عنا حياة أبدية خالدة بإذن الله ، وقد اختاره الله فلا تغضب على هذا (إن القلب يحزن والعين تدمع وأنا عليك ياتميم لمحزونون) (إنا لله وإنا اليه راجعون) اللهم اغفر لتمام وارحمه رحمة ينال بها الفردوس الاعلى مع محمد ﷺ وصحبه الكرام ، وانصر المجاهدين ، اللهم لاتفتنا بعده يا عزيز يا كريم .

الحمد لله على سلامتكم وسلامة الاخوة المجاهدين من المحاولة الائمة التي استهدفتكم بالمسجد الجامع الذي تصلون فيه ، والحمد لله الذي افشل خططهم وبيات محاولاتهم بالفشل واسأل الله ان يجعل كيدهم في نحورهم ، والعاقبة للمتقين .

انهم يحاولون القضاء على كل ماهر اسلامي وخاصة انتم لانكم رمز الجهاد هناك ولكن الله يابى إلا ان يتم نوره (ولا يغني حذر من قدر) ولكن الحذر واجب والمؤمن كيس قطن والاعداء يتربصون بكم النوائر . ألاخاب ظنهم بعون الله وتوفيقه .

اعزىكم واهل الشيخ تميم وكافة المجاهدين . اللهم الله الصبر والسلوان وجعل النصر حليفكم وأسأل الله لفقيدنا الفردوس

الأعلى .

اخوكم / ابو سعود / الرياض

سعادة الدكتور عبدالله عزام غفر الله له (١)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد

اخي في الله : قد وافانا نبأ وفاة الشيخ تميم العدناني رحمه الله مدير مكتب الخدمات (بلغه الله منازل الشهداء ، وافانا هذه النبأ بالاسى والحزن لفراق هذا الشيخ الجليل الذي بذل نفسه ووقته وأولاده ووظيفته في سبيل الله تعالى فجزاه الله خيرا وتجاوز عن ذنوبه فنذكره ذكرا حسنا - وانتم اعلم به - حيث كان من الصادقين المخلصين نحسبه كذلك ولا نزكي على الله احدا . نذكره في بيت الله الحرام في شهر رمضان يوم أن سلمنا عليه وحيثنا . قال كلمة أثرت في نفوس الكثير منا وشجنت هممتهم وأوقدت نار عزيمتهم . . . قال : (أهلا بالشباب القاعدين . . . نريدكم - ان شاء الله - من المجاهدين) يقول هذا من تطقت نفسه بالجهاد وعشق فؤاده نري القنابل وتفريد الكلاشنكوف ، وما نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا على فراقك ياتميم لمحزونون ، هذا ونسأل الله أن نعيش عيشة السعداء وأن نموت ميتة الشهداء وأن يحشرنا في زمرة الانبياء . .

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب اليك .

ابو مروان

(١) كل ما مضى نشر في لبيب الحركة الأعداد التي تلت استشهاد الشيخ تميم رحمه الله.

في رثاء الشيخ الشهيد تميم العدناني - رحمه الله -

إلى الشيخ الذي سارت تحت لوائه الركبان وانطلقت خلفه جحافل الإيمان تقوض مضاجع الطفيان إلى الذي بموته غاب بدر الزمان وتبدلت الأرض غير الأرض وعمت الأحزان إلى البطل الثائر والمجاهد الصابر والخطيب الباهر الشيخ تميم العدناني - رحمه الله وأسكنه فسيح جناته - أهدي هذه الكلمات :

مامات (١)

مذي دموعي أغرقت أجفاني	وتفجرت كتفجر البركان
القلب يبكي والعيون تفرحت	ماراقها نظر إلى إنسان
خطب أحاط بنا فحملنا به	سحباً من الآلام والأحزان
سحباً تشبعت الأسى لكانها	قد أمطرت دنيائي بالقطران
عظم المصاب وأظلمت أيامنا	فنهاننا كمشية الذبياني
والليل خيم والظلام مطبق	وجحافل الذكسرى تهز كياني
لوكلما جفت دموعي لحظّة	عاد الحنين إلي فاستبكاني
بكت المنابر شيخها وشهيدها	وامامها بالدمع والأشجان
وقلت أنتموها وكانت تتحنني	مهمومة مهتزة الأركان

وتراه في ساح الرغى مستأسدا	وتراه يغلي كالحميم الأنسي
أسد هزبر لا تلين قناته	وعزيمة هزت ذرى الأفغان
طلب الشهادة حيث ثلث وجودها	لكنها قُدر من الرحمان
قد مات أستاذ الفداء وما أتى	بعد المعلم من فهم ثان
مامات من تحيا القلوب بذكره	ولذكره تتارق العينان
ما مات من أحيا الجهاد المنتسى	بين الورى منذ أقدم الأزمان
مامات من خرت جبايرة البدنى	صعقا لخشية جراءة العدناني
مامات من لازلت تسمع صوته	حيا يقض مضاجع الطفيان
ما مات من ساس الجحافل كلها	ليدوس رأس الظالم الخران
ما مات من - الله أكبر - شدوه	يشدو بها في السر والإعلان
من فيه قد خرجت تزلزل أمة	وتهز صرح الكفر كالطوفان
لا فسرق بين شهادة في ساحة	معلومة بالقصف والنييران
أو ميتة في ذلك الدرب الذي	يبغي رجساً عزيمة وتغاني
قد قالها الخطاب بين صحابه	وأتى بها المنان في القرآن
صدق الذي سبق الورى في ذكرها	إن الحياة دقائق وثوانسي
عفوا إلهي إن أفضت مبالغنا	فما القلب بعد فراقه أعياني

(١) شعر. حذيفة عبد الله عزام.

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظه الله تعالى

فضيلة الدكتور عبدالله عزام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقينا نبأ وفاة الشيخ المجاهد / تميم العدناني ببالغ الأسى والحزن ، وتدعو الله العلي القدير أن يتغمده في واسع رحمته .
واني أبعث اليكم بتعزيتي الصادقة وتعزية اخواني منسوبي هيئة الاغاثة الاسلامية العالمية في وفاته رحمه الله . وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبله في الشهداء وأن يعوضكم ونوبه واخوانه المجاهدين في مصيبتهم خيرا وأن يبارك في جهودكم ويحفظكم من كل مكروه .

المشرف العام لهيئة الإغاثة الاسلامية العالمية

د/فريد ياسين قرشي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

فضيلة الشيخ الدكتور / عبدالله عزام

الاخوة قادة الجهاد الاسلامي في أفغانستان

الاخوة المجاهدين :

يعجز البيان ويعجز اللسان عن وصف الحزن الذي اصاب المسلمين عامة وجاليتنا الاسلامية في منطقة شمال كاليفورنيا (سانتا كلارا وسان فرانسيسكو) خاصة ، عندما تلقينا نبأ وفاة الشيخ المجاهد " تميم العدناني " في ولاية فلوريدا . . كيف لا والشيخ تميم رحمه الله تعالى واسكنه فسيح جناته قد احتل مكانة في قلوب كل الذين اجتمع بهم، قرأوا فيه صدق النية وحب الجهاد في سبيل الله تعالى ، حتى أنه في مخيم سان فرانسيسكو الذي تم في شهر سبتمبر الماضي كان يكثر الكلام عن الآجال وأنه لا يملك الرزق والروح إلا الله ، مستشهدا بحوادث وقعت معه في أفغانستان ، ((وماتدري نفس ماذا تكسب غدا وماتدري نفس بأي أرض تموت)) . أنها سنة الله في الكون عزأونا فيك يا أبا ياسر قول المصطفى ﷺ : (من طلب الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه) ، نسأل الله تعالى أن يكرم مثواك يا شيخ تميم ويجمعنا وإياك في الفردوس الاعلى . . وختاماً نسأل الله تعالى أن يوحد صفوف اخواننا المجاهدين ، ويجمع كلمتهم ويثبت خطاهم وينصرهم على أعداء الاسلام ، فان أقطار العالم الاسلامي تتجه كلها الى الجهاد في أفغانستان راجية من المولى عز وجل النصر المؤزر والفتح القريب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

اخوكم / محمود مصباح

رئيس مسجد النور في سانتا كلارا - اميركا

رحم الله الشيخ تميم العدناني (١)

كلمة الشيخ سياف:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله الله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة.
إخواني الأنصار: الذين ساهمتم في جهادنا هذا، وهو جهادكم وجهاد الأمة الإسلامية، ساهمتم في هذا الجهاد بدمائكم وأرواحكم، أعزّي نفسي وإياكم في أخينا الغالي الذي نعتزّ بأخوته، في الدنيا وفي الآخرة -إن شاء الله- أعزّيكم في هذا الأخ الكريم

(١) جريدة الشات العدد ٧ التاريخ: ٢٨ ربيع الأول ١٤١٠ هـ - ١٨ أكتوبر ١٩٨٩ م.

الذي أحبيته منذ أن عرفته والذي تشبه أُنفاً حسد فيه الصق والإخلاص، والذي رباه تميم غيب من خشية الله وعيناً لا تفسد النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله أنا أشهد الله وأشهد بذلك على أنني رأيت مراراً يبكي من خشية الله ورأيت يجاهد في سبيل الله ورأيت يحرس في سبيل الله، إنه كان يبحث عن الشهادة متعطشاً لها وكانت الشهادة هي ضائقته التي كان يبحث عنها في كل خندق وفي كل ميدان للقتال، وأرجو الله سبحانه وتعالى وأدعوه جل ذكره أن ينزله منازل الشهداء وأن يحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، هذا الأخ منذ أن تعرف على الجهاد في أفغانستان، أفنى وقته كله لصالح هذا الجهاد، ولم يدخر شيئاً، كان يطوف بالبلاد لكسب الدعم لهذا الجهاد وكان الجهاد هو روحه وحياته، وكان يعيش بالجهاد وللجهاد، وكان يتفكر بالجهاد، وكان يتفكر بالجهاد، وما رأيت فيه وهذا ولا ضعفاً عند لقاء العدو، رأيت مرة في آخر معركة جاجي، وكان إخواننا قد حوصروا، أو صار نحوهم شبه الحصار، كان جالساً معي، وطلب الإخوة باللاسلكي أن أرسل لهم مجموعة من المجاهدين لفتح الحصار فجمعت بعض الإخوة لأرسلهم، فقام الشيخ تميم وقال: أنا أذهب معهم، فقلت: يا شيخ تميم إجلس هنا وادع لهم، قال: لا والله، الذين سمعوا كلماتي من الأشرطة والكاسيتات ضحكوا بأنفسهم في سبيل الله وأشلأهم محتاثرة هناك في الخط الأول، وذهبوا عند ربهم، ماذا سيقولون: شجعنا الشيخ تميم على الجهاد فجلس في الخط الثاني، ولم يشاركنا في الخط الأول؟ كيف أواجه الله؟ قتلت له: إجلس، قال: والله لن أجلس، فتحرك مع المجاهدين، ذهب هناك والمجاهدون كانوا في أضيق الأحوال وأشدّها، وكلّ كان يبحث عن مكان يستقر وراءه، كان الشيخ تميم جالساً في الميدان أربع ساعات وقرأ من القرآن سبعة أجزاء، وكان مختفياً في دخان القنابل والقذائف، ومهما ألق الإخوة عليه أن يدخل في النفق أو في غرفة، رفض أن يدخل، وكان يقول لي: عندما كان يأتي ذكر النار أو يأتي ذكر جهنم في القرآن كنت أقرأ بسرعة حتى لا أصاب في هذه اللحظات، وعندما يأتي ذكر الجنة وذكر الرحمة كنت أتأني لعل الله يبرقني الشهادة عند قراءة كلمة الجنة أو الرحمة.

صاحبتني في السفر وفي الحضر، في الهجرة وفي الجهاد وفي الرباط وفي القتال وأشهد الله أنه كان خير أنيس، وإن رؤيته كانت تنسيني الهموم والأحزان، ويعلم الله أنني لما سمعت خبر وفاته، أحسست كأن جبهة من جبهات القتال القوية سقطت، هكذا كان شعوري وإحساسي نحوه، وليس لي إلا أن أدعو الله له بالقبول، أدعو الله عز وجل أن يقبله، وأن يلهم أهله وإخوانه وأصحابه في الجهاد الصبر وأن يبرقنا جميعاً الثبات على طريق الجهاد وعلى الدرب الذي مشى عليه هو وغيره من إخواننا الذين قضوا نحبتهم، ونشهد أنه كان من الرجال، وإن رجولته لم تكن تخفى على أحد، أدعوا، الله العليّ القدير أن يوفقنا والمجاهدين جميعاً إلى تحقيق تلك الآمال والأهداف والمقاصد السامية التي حملها هؤلاء الإخوة، فادعوا الله أن يوفقنا في تحقيق تلك الآمال وتلك المقاصد، وندعو الله عز وجل أن يختم لنا بالشهادة وأن نترك الدنيا ونحن على طريق الجهاد ثابتين مخلصين له الدين، كما أدعوه جل ذكره أن ينصر المجاهدين والدعاة إلى الله عز وجل في كل مكان، وأن ينقذ الأمة الإسلامية من وطأة الأنظمة الطاغوتية وأن يعيد لهذه الأمة اليتيمة والمظلومة مجدداً من جديد وعزها من جديد، ندعو الله عز وجل أن يختم يتمة هذه الأمة بسرعة وأن يعيد لها استازيتها وسيادتها من جديد وأدعو الله عز وجل أن يوحد كلمة المجاهدين في أفغانستان وكلمة المسلمين المخلصين العاملين للإسلام في مشارق الأرض ومغاربها وأن يجمعهم على الحق وأن يحقق لهم أملهم في الدنيا وفي الآخرة كما أدعوه سبحانه وتعالى أن ييسر لنصرة دينه وتطبيق شريعته وإقامة حكمه وإعلاء كلمته ونشر دعوته...

اللهم انصرتنا ولا تنصر علينا، اللهم أعنا ولا تمن علينا، اللهم امكر لنا ولا تمكر علينا، اللهم افتح لنا فتحاً ميبيناً، اللهم انصرتنا نصراً مؤزراً، اللهم استر عيوبنا واغفر لنا ذنوبنا ومكن لنا قلوبنا واشرح صدورنا، ويسر لنا أمورنا، آمين يا رب العالمين.

وهللى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رثاء الشيخ تميم العدناني^(١)

معلقة الفخار لذا الزمان	بسيبك قد كتبت بلا بيان
تميم ثم عشاق الجنان	معلقة الجهاد بها تغني
فقدنا اليوم أستاذ التفان	فمهلاً يا دعاة النوم إنا

(١) المصدر السابق.

*** **

●●● ●●● ●●● ●●● ●●●

*** 2023 2022 2021 2020 2019

حوار مع ابن الفقييد: ياسر

- 617

لقد كان رحمه الله أمةً بأكملها.. كان لنا الأب والصديق والناصح والآخر. كان يريينا بأنعمل قبل القول، فكان يترجم ترجمة عملية.. فضائل الخصال والأمر والنهي، ونحن نقتني أثره في حياتنا اليومية.

هل ستبقون هنا في أرض الجهاد؟

* لا أجد جواباً على هذا السؤال أنسب من هذه الأبيات:

فهاجت على خدي الدموع	فقلت يا روعي رواجي
هلا رحمت قلوبنا	فعدلتني عن هذا الرواح
فأجابنا البطل المسجي	هازناً بي باقتراح
كفكف دموعك ليس	في عبرتك الحرة ارتياحي
هذه سبيلي إن صدقت	محبتني فأحمل سلاح
فيه إلى القدس الوصول	والكرامة والنجاح

هذا الضيق شقه لنا الوالد ونحن على أثره سائرون.. وإن توفي والدي الشيخ نعيم فما زال حياً والدي الثاني الشيخ عبدالله عزام ونحن على دربهما نسير حتى يقيم الله دولة الإسلام.

هل تذكر أي مواقف لك مع الوالد في جبهات الجهاد؟

* أذكر مواقف كثيرة منها على سبيل المثال:

ذلك الموقف الذي كنت فيه مع أخي والوالد في جلال آباد وقرر المجاهدون القيام بهجوم على المطار فغنموا والدي من الاشتراك في القنوط الامامية بينما سمحوا لنا فحزن والدي حزناً شديداً لكنه سرعان ما بكى فرحاً عندما رأى أبناءه في المقدمة.

هلا أتحدثنا بمواقف ومعلومات عن حياة والدكم قبل الجهاد؟

* ولد في القدس عام ١٩٤٢م وترعرع في حلب وتربى على أيدي المشايخ أمثال عبدالفتاح أبر غدة.

نشأ في طاعة الله وأطلق لحيته في الثانوية رغم المعارضة الشديدة له من مجتمعه بسبب ذلك الاتجاه الديني.

ومن ورعه أنه كان يرفض الشراب من بيوت الأرحام إذا اشتبه في مصدر المال.

درس الاقتصاد والعلوم السياسية في مصر ورفض العمل في البنوك رغم أنه قد عرض عليه منصب (نائب رئيس) لإحدى البنوك التي يتولى إدارتها أحد أبناء.... وأثر أن يعمل مدرساً براتب زهيد.

كانت أمي إحدى تلميذاته فاختارها لصلاحها وتزوجها عام ١٩٦٥م.

ثم عمل مترجماً ومديراً للمشتريات في شركة الطائرات البريطانية (بي إي سي) وكان عمله في قاعدة الظهران الجوية بالسعودية.

وعندما تغيب إمام المسجد عن الخطبة ذات جمعة تقدم والدي وأرتجل خطبة فتعلقت القلوب بكلماته.

كان راتبه في الشركة واحد وعشرين ألف ريال سعودي وثلاثة آلاف وخمسين ريال بدل خطبة ولكنه ما كان يأخذ منه ريالاً واحداً بل كانت تذهب إلى المجاهدين مع ما يبسرهم الله من راتبه في الشركة.

ثم تفرغ للجهاد ورابط في مؤسسة الأنصار ثم طلب منه الشيخ عبدالله عزام أن يتسلم إدارة مكتب الخدمات.

كانت أمنيته الكبرى أن تقوم الدولة الإسلامية وأن يشارك في تحرير القدس والصلاة في المسجد الأقصى.

ما بين طياته قلب كبير يحمل هموم الأمة الإسلامية.

كان مسامحاً لكل الناس وعندما يأتي للنوم يخلع كل ما يربطه بالدنيا ويتوجه إلى الله بالقول: (اللهم سامح كل من ظلمنا).

ما هي علاقته بمروان حديد؟

توثقت علاقته به في (عين شمس)، حيث كان يدرس مروان وكاننا يخرجاً معاً حيث تتبعهما المخابرات، تأثر بشجاعت وصمود

مروان الذي ما كان يخشى إلا الله لأنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

هل من كلمة أخيرة؟

أسأل الله ألا يحرمنا أجره ولا يفتنا بعده وأن يجمعنا به في مقعد صدق عند مليك مقتدر.
سلام عليه منارة طالت فعلت.. سلام عليه شمعة أضاءت فاحترقت، سلام عليه حياً وميتاً.

المهندس أحمد شاه

كنت أعرف الشيخ تميم العدناني في الظهران -السعودية-، وكان داعية إلى الله، وصار مجاهداً في سبيل الله، كما ساهم في الجهاد الأفغاني بماله ونفسه وأولاده.. وكان يعمل لصالح الجهاد ومناصرته قبل أن يأتي إلى أفغانستان، وكان بطلاً شجاعاً في إيصال الحق -نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً- كما نحسبه مجاهداً في سبيل الله تعالى وأسأله سبحانه أن يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار.

الشيخ فتحي الرفاعي

كان الشيخ تميم -رحمه الله- كما نحسبه ولا نزكي على الله أحداً محباً للرباط والجهاد، شارك في بعض الجبهات في أفغانستان، وكان سهلاً لا يعقد الأمور ويتعنى تقديم كل الخدمات للمجاهدين، جياش العاطفة، سريع التأثر، وقد لاقى الكثير من المتاعب على درب الجهاد، وهكذا يبئس كل من يأتي للجهاد بالإختبار والتحصين.

أنزله الله منازل الشهداء، وألهم أهله الصبر والسلوان، وإخوانه الثبات حتى النصر.

مدير المركز التعليمي الإسلامي - بيشاور

الأستاذ أحمد زي - رحمه الله -

فضيلة الشيخ تميم العدناني كان رجلاً مجاهداً، وداعية مخلصاً، متحمساً للإسلام والجهاد الإسلامي على أرض أفغانستان، اشترك في كثير من المعارك الميدانية ضد الروس والشيوعيين في أفغانستان، حض الشباب والشيوخ على الجهاد بالنفس والمال، كان لكلامه أثر يجذب القلوب ويسيطر على المشاعر، جاهد في سبيل الله حتى اختاره الله إلى جواره، ندعوا الله أن ينزله منازل الشهداء وإن مات على فراشه فإنه كان يحب الشهادة ويطلبها مظانها، وكان يريد للإسلام والمسلمين عزاً ونصراً، كما ندعوه سبحانه أن يحقق أمنيته في جهادنا في أفغانستان بإقامة حكمه وتحكيم شريعته حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، ندعوه تعالى أن يدخل شيخنا الراحل مدخلاً كريماً ويكرم مثواه ويرضى عنه ويرضيه.

من سجون لبنان إلى دمشق!

حدثني الشيخ تميم -رحمه الله- ذات يوم أنه بينما كان يسير في أحد شوارع بيروت، ألقت قوات الردع السورية القبض عليه بتهمة إنتمائه إلى الإخوان المسلمين، مع العلم أنه من فلسطين.

وقال لي: ولا أدري يا أخ أبو جعفر لماذا اشتبهت بي المخابرات السورية وأنا فلسطيني، وخارج سورية، ولحيتي في بداية ظهورها، حيث لم يكن طول الشعرة فيه أكثر من نصف سنتيمتر.

وأركبوني في سيارة خاصة توجهت بي إلى أحد سجون دمشق الذي مكثت فيه ثلاثة أيام بليلاتها ثم خرجت بعدها وملابسي مبللة بالدماء لشدة ما ذقت من ألوان العذاب، بعد أن قالوا لي لقد جاؤا بك إلى هنا عن طريق الخطأ وكان المقصود شخصاً آخر ثم قال الشيخ تميم: «وضعت تلك الملابس في كيس نايلون ووصيت زوجتي بأن تعمل على دفنها معي لكي تشهد لي أمام الله يوم القيامة على جريمة أولئك النصيرين الكلاب حكام سورية».

والجدير بالذكر أن شقيق الشيخ تميم كان قد اعتقل معه في لبنان، وهو وقتئذ لا يصلي، وقال لأخيه وهما في طريقهما إلى دمشق، لقد قررت هذا اليوم أن لا أسير معك أبداً لأنك أنت السبب في هذه المصيبة التي أوقعني فيها.

وعند خروجه من السجن، أصبح متديناً بفضل الله والتزم رب أخيه الشيخ تميم والحمد لله. أبو جعفر

كُتِبَ يَاسِرُ تَمِيمٍ أَلْفَ نَدَائِي نَسِي تَجَرُّ وَالْأَلَمِ

الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله.. يا أبي، يا أيها الجبل الشامخ، يا أيها القمة المرتفعة.. تشكر أنك أمنت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، سلام الله عليك يا أبي، سلام الله عليك يا منارة طالت فارقت.. سلام الله عليك يا شمعاً أضاءت فاحترقت.. سلام الله عليك يا علم الجهاد، لقد أدبت الأمانة، وبلغت الأمة وجاءت في الله حق جهاده، أسأل الله عز وجل ونسأله جميعاً أن يجعلك في منازل الشهداء وأن يجمعك بالنيبين والصديقين والصالحين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.. يا أبي نحن أبنائك وأبنائك في كل بقعة على الأرض نردد على لسانك مائة مرة يا علم الغداة، لبيك يا علم الجهاد، كننا نفدي النحس، لبيك يا بطر الجهاد كننا نرب الغداة.. كن لنا شقيقاً يا أبي، وانكرونا عند ربك، وأسأل الله أن يجمعنا بك في جنة ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر.. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.

روايا من الشيخ تميم (١)

قبل أسبوع -تقريباً- من وفاة الشيخ تميم رأيت رؤية عجيبة ما زالت عالقة بقلبي وذهني وظلت تشغل فكري حتى كانت المفاجأة بفقد الشيخ تميم والذي كان محور هذه الرؤية.

رأيت كأننا في مبنى جامعي كبير وفي وسطه ساحة خضراء وكان الطلاب في حالة هياج وشغب وفوضى غير أخلاقية فقلت في نفسي سيأتيهم الآن من يعلمهم الإسلام والجهاد فإذا بأحد الصعابة يأتي على جمل يسير فوق سور داخلي فوق سطح المبنى ويلبس مثل الملابس الأفغانية ويحمل في جنيته خنجرًا وفي يده سوطاً طويلاً ونادى بصوت مرتفع: الجهاد، فنظرت إلى وجهه فإذا به الشيخ تميم فخرج الجميع في زحف إلى الساحة الخضراء ينظرون إليه لحد طرف السوط إلى إحدى نوافذ المبنى فعلقت زوجته شيئاً بطرف السوط ولما قرب منه إذا به فرس فانتقل من الجمل إلى الفرس وأخذ يجري بفروسه بسرعة شديدة ويطرف فوق سطح المبنى وكأن يعلمنا الفروسية والجهاد ويجواره يجري الجمل وكان كلما اقترب من زوايا المبنى يميل بفروسه إلى الداخل حتى يكاد يسقط فيكبر الجميع «الله أكبر» ولا أنسى هذه التكبيرة أبداً وما زالت عالقة بذهني حتى الآن فكان يستوي بفروسه مرة ثانية وظل على هذه الحال عدة بردات ثم اتجه بسرعة مذهلة إلى الناحية الخارجية من السطح وطار بفروسه وجمله بعيداً عن المبنى فسقط الفرس والجمل على الأرض وكنتي أسمع صوت إرتطامهما الشديد بالأرض حتى الآن وصعد الشيخ تميم إلى السماء في منظر مذهل رهيب مهيب.

فاستيقظت من النوم وأنا أقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، فقالت لي زوجتي ماذا حدث؟ قلت: استشهد الشيخ تميم وتعجبت كيف يستشهد وهو الآن على حد علمي في أمريكا، فكان الذهول والصدمة الشديدة عندما جازا خبر وفاته، فرحمك الله يا أبا ياسر وأنزلك منازل الشهداء ونسأل الله أن يلهم أهلك وبنيك الصبر والسلوان.

رحم الله الشيخ تميم (٢)

رحم الله من كان بالأمس بيننا... عرفناه محباً لله ورسوله، نذر نفسه لنصرة دين الله وسخر وقته لإعزاز وتثبيت الإسلام في الأرض وكان يعلم دائماً -رحمه الله- بخلافة إسلامية، تجتمع عليها القلوب، وتتوحد تحت رايتها الجهود، نظر إلى أفغانستان فوجد أنها أقرب بلد إسلامي يمكن أن يحكم فيه شرع الله، فنوى الهجرة في سبيل الله، عزم على المضي في درب الجهاد، ومنذ أن وطأت قدماء أرض أفغانستان، أصبح يفكر في الشهادة.. وكلما استشهد واحد من إخواننا رأيت الدموع تنزل من عينه يكاد على نفسه التي لم تصل إلى ما وصلت إليه نفس الشهيد، وكم شاهدوه الإخوة وهو يبكي تحت قصف الطائرات وأزيز الرصاص، لا من خوف ولكن طلباً للشهادة، ولكن الله عز وجل لم يكتبها له في أرض الجهاد بل رزقه إياها في أرض غير أفغانستان...

نسأل الله أن يتقبله شهيداً في سبيله لأن من ابتعد عن أرض الجهاد وهو ينوي الرجوع، ومات وهو مسافر فهو شهيد ودليل هذا حديث المصطفى ﷺ عندما قال «من فصل في سبيل الله أو مات على فراشه بأي حثف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة».

(١) راي هذه الرواية أحد أصحاب الشيخ رحمه الله.

(٢) الثبات العدد ٩ التاريخ: ١٢ ربيع الثاني ١٤١٦هـ - ١١ نوفمبر ١٩٩٩م.

والشيخ تميم -رحمه الله- سافر إلى أمريكا بنية العلاج، سافر جسداً ولكن قلبه بقي معلقاً بلأرض الجهاد وفي طريقه من باكستان إلى أمريكا مرّ على بعض الدول العربية والأجنبية، وتكلم فيها عن الجهاد الأفغاني، فجعل القلوب تطير من صدورها والأرواح تهفر إلى أرض الجهاد.

وأيضا حل أو ارتحل كان حديثه -رحمه الله- عن الجهاد الأفغاني وعن انتصارات المجاهدين، وعن حلم الملايين من المسلمين... عن إعادة الخلافة... تلك المفارة المفقودة.

والعلماء الذين قدموا إلى أرض الجهاد جُدُّ قليلون والذين ثبتوا في الساحة وعقدوا النية على البقاء في أرض الجهاد حتى النصر... يعدون على الأصابع... والشيخ تميم من أولئك الذين صمموا على إكمال المسير حتى النهاية رغم مشقة الطريق، وصعوبة المسلك، ولكن من يجعل الله غايته تهوّن عليه كل المصائب، وكثيرا ما تحدث أشياء تكون غائبة عن أذهان الناس، فقدان الشيخ تميم في هذه المرحلة لم يتوقعه أحد، بل كان الجميع ينتظرون رجوعه حتى يروا كيف أصبح الشيخ تميم بعد العلاج، ولكن قدر الله إذا جاء لا يقدم ساعة ولا يؤخر، وكم كان خبره -رحمه الله- شديداً على القلوب فقد فقدنا أخاً من أحب ما رأت عيوننا، ونسأل الله جل وعلا أن يتقبله شهيداً وأن يجمعنا وإياه في جنات النعيم. ووالله ... إن القلب ليحزن وإن العين لتدمع، وإنا على فراقك يا أبا ياسر لمحزونون... رحم الله شهيدنا.. وأبدلنا خيراً منه.. وجعل الجنة مثواه.. ورزق أهله صبراً جميلاً، إنه نعم المولى ونعم النصير.. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فايز أبو عكا

رسالة من الشيخ تميم العدناني إلى البنيان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

نشرت مجلة البنيان المرموض في آخر عدد لها (العدد ١٣) وفي الصفحة الأخيرة صورة طبق الأصل لما نشرته مجلة "فلسطين الثورة" في عددها (٢٢٢) تحت عنوان "حركتنا تُهنّئ" لي ذكرى تأسيس حزب الشعب الديمقراطي الأفغاني" وسردت تحت هذا العنوان برقية تهنئة بعثتها حركتنا «هركتهم هم، فإنني أبرأ إلى الله منها» بتوقيع اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني -فتح- المجلس الثوري.. والبرقية هذه مليئة بالأكاذيب والمغالطات، تفوح منها رائحة العفن والنتن. وقد نقلت مجلتنا الحبيبة "البنيان المرموض" هذه البرقية تحت تعليق «قدساء فاقروني، وكنتُ أربأ بعجلتنا الحبيبة أن تدنس صفحاتها بذكر مثل هذه البرقية المليئة بالكذب والبهتان.

ومن الهازل حقاً أن تصف هذه البرقية المجاهدين الأبطال الذين رفعوا راية لا إله إلا الله، وجاهدوا تحتها بأنهم "عصابات المرتزقة المعادية للشعب والثورة الأفغانية" .. ألا فلتعلم أيها المجلس الثوري التائه أن الشعب الأفغاني شعب مسلم أصيل يؤمن بعقيدته ويدافع عنها، ويجاهد بالنفس والمال لإعلاء كلمة الله ولطرده الروس الملاحدة وآذئابهم الشيوعيين من أفغانستان المسلمة، ولتعلم أيضاً أن هذا الشعب المسلم البطل قد قدم أكثر من مليون ونصف من الشهداء الأبرار دفاعاً عن عقيدته ودينه ويكفي هذا الشعب المسلم البطل أنه -بتأييد ونصر من الله تعالى- قد وقف ثماني سنوات كاملات أمام الإتحاد السوفيتي وحلفائه الشيوعيين، وكبدهم الهزائم تلئلهزائم، وحرّر (٩٠٪) من أراضي أفغانستان المسلمة بون استعانة بالشرق أو بالغرب، كما فعلتم أنتم باستعانتكم ببروسيا الملاحدة الشيوعية التي تخلت عنكم في حرب لبنان.. بل إن المجاهدين الأفغان استعانوا بالله عز وجل وحده لأنهم عرفوا معنى قوله تعالى : «وما النصر إلا من عند الله».. وأذكر أنني ذات مرة قلت للأستاذ عبد رب الرسول سياف أمير المجاهدين الأفغان منذ ثلاث سنوات "ماذا لا تقبلون المساعدات الأمريكية؟" فأجابني بيقين المجاهد المؤمن بريه: "نحن لا نستعين بكافر على كافر".

ألا فلتعلم أيها المجلس الثوري التائه أن فلسطين لن تعود بشورتكم الملاحدة ويرفاقكم الشيوعيين، بل إن الطريقة الوحيدة لعود فلسطين: هي الجهاد المقدس تحت راية الإسلام .. فلقد فتحها عمر بالإسلام، وأعاد فتحها صلاح الدين بالإسلام وحده أيضاً ولن ترجع -والله- إلا بالإسلام.. فائقوا الله أيها الفلسطينيون وعربوا إلى الإسلام، وارفعوا راية لا إله إلا الله، تهزموا عدوكم، وترجعوا إلى قدسكم فاتحين منصورين، ويتحقق وعد رسول الله ﷺ "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون -لم يقل: الرفاقي الثوريون- اليهود

فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي خلف الحجر أو الشجر فيقول انجر أو الشجر: يا مسلم يا عبدالله هذا يهودي خشي تمار فانتته، إلا الفرقد فإنه من شجر اليهود.. ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد.

أخوكم في الله/تميم العدناني

قصيدة في رثاء الشيخ تميم (١)

شعر: أسامة الألفي

هلا علمت بأن قلبي
بعد فقدك قد غدا
هجر الأبية يكتويه
فبات بعد مسهّدا
صعق الوري بوفاته
ياحزنهم طول المدى
وأتى على جثمانه
وسط الجموع ممددا
قد سار مع من شيعوا
حملوه صفاً واحدا
قد سار ياسر خلفهم
ورأى هنالك أحمددا
وحسام يتبع خطوهم
يدمودعاء خالدا
(يا رب أكرم والذي
أدخله دارك مسعدا
وامنعه في أعلى الجنان
وتحت عرشك مقعدا)
لا لن تضيع جهود من
بذل النفس وجهاًدا
لا لن يموت كفاحه
أبداً، ولن يمضي سدى
يا من سما بجهاده
يا من علا وتمجدا
بلغ حسين وخالدا
وأبا حسام وعابدا
أننا نسير إليكم
فهناك موعدنا غدا
هيهات تخلف عهدنا
هيهات ننسى الموعدا

أو في حمأة يرى العدو
الستيد الحاددا؟
وعلى ربي كابول قد
صال العدو وعمرىدا؟
حمل السلاح ليمتطي
ظهر المصاعب والردى
هجر الحياة وطيبها
ليعيش فيها زامدا
وقضى السنين بعدها
عيشاً رخيصاً زائدا
عاش الحياة مجاهدا
ومقاتلاً متجردا
سهلاً على إخصواته
وعلى العدا مستأسدا
صلباً على طاعتهم
لم يخش منهم سيدا
إذ كان لهم يأسه به
إن صاح فيه وهدا
سند الجهاد بكله:
قلباً، لساناً، أوردا
عرفته جاجي صامدا
ويعلمه شهدت صدى
قد كان إن سمع النداء
يقول: حي على الفدا
يمضي إلى ساح الوغى
ركضساً، ولا يتريدا
وكان حلم الشيخ أن
يمضي، وأن يستشهدا

أ تميم أنت من الذين
رجسوت إلا أفقدا

قالوا: قضى، فتنهدا
وأراد أن يتأكد
فأتى يسألني: أحقدا
قد فقدنا القائددا؟
أو هل مضى ذاك الذي
بفؤاده قد جاهددا
ويروحه .. ويماله
سند الجهاد وأيددا؟
فصمت، ثم أجبت:
حقاً، فقدنا المرشدا
فمضى يسير مكذباً
خبيراً مهولاً مرعدا
ويقول: كلا لم يمت
فيجيبه رجع الصدى:
«إننا فقدنا القائدا
إننا فقدنا القائدا»
وأتى الرياض وقد غدت
قفراً.. بيابا أسودا
ورأى البلابل هزماً
حزن الأزهري والندى
والطير فاض به الأسى
ألماً.. وحزناً سرمدا
أنسى يطيب لسه الكرى
أو أن يعود مفردا
قالشيخ غامر روضهم
والروض أضحى فبددا

ألفي البلاد يعمها
ظلم أبداً وأفسدا
فالقدس -مسقط رأسه-
يلهو بساحتها العدا

(١) اللغات العدد ١١ التاريخ: ٢٧ ربيع الثاني ١٤١٠هـ ٢٥ نوفمبر ١٩٨٩م.

الشيخ تميم العدناني.. جبهة القتال التي سقطت (١)

لم تكن شهادة الشيخ تميم العدناني حدثاً عادياً في حياة المجاهدين فوق أرض أفغانستان.. فالكل كان ينتظر عودة الشيخ من أمريكا بعد غيبة طالت بين عدة دول تنقل الشيخ خلالها ليحمل للآخرين أريج هذا المطر الفواح فوق ذرى الأرض الطيبة.. وقد كان الأخوة يتناقلون فيما بينهم أن الشيخ وصل إلى نيجيريا ثم غادرها بعد أن أحدث انقلاباً هناك حتى في صفوف الرسميين من الدولة وكيف أن الإذاعة والصحف كانت تنقل ما يقوله الشيخ عن هذا الجهاد العظيم بكل غرابة وكان الشيخ خلال رحلته على اتصال دائم بهذه الأرض -التي أحبها وأحبته فأبت إلا أن تضعه وتحتضنه بين جنبااتها- ينقل أخباره إلى المجاهدين ويطمئن على أحوالهم ومع أن رحلته هذه كانت أصلاً للعلاج إلا أنه قد صرف الجزء الأكبر منها للدعوة إلى هذا الجهاد لأن حاجة الشيخ للجهاد أصبحت كحاجة الجسد للماء والهواء لا غنى لأي إنسان عنهما، كان الشيخ تميم -رحمه الله- صاحب قلب كبير شهد له بذلك أحابؤه وبنوه ولا غرابة في ذلك والغرابة أن أكثر المسلمين الذين عرفوه رغم تفرقهم واختلافهم وانقسامهم على أنفسهم كانوا يجمعون على حبه وطيب قلبه وأخلاصه.

والشيخ الشهيد تميم العدناني لا يمكن لمن لم يجالسه أن يعرفه فكم من مرة فجر فينا البكاء لمنظر شهيد أو ذكر شهيد.. وكم من مرة ترك في نفوسنا الأمل بغد مشرق سعيد.. وقد قال الشيخ الشهيد عبدالله عزام (إن الشيخ تميم العدناني هو الباني الحقيقي لمكتب الخدمات).

وقد كان الشيخان صديقان حميمان جمعت بينهما أرض أفغانستان وكان الشهيد تميم رحمه الله يقول اللهم اجعل يومي قبل يومه (الشيخ عبدالله عزام) فكانت شهادته قبل شهادة الشيخ عزام بشهر تقريباً وكانا متحابين حباً شديداً ، وفي حفل التابين الذي أقيم بمناسبة استشهاد الشيخ تميم قال أحد الإخوة للشيخ عبدالله عزام رحمه الله يا شيخ لو اتصل بالدكتور فلان ليحل محل الشيخ تميم، فأجابه الشيخ عبدالله عزام رحمه الله الذي كان أعرفنا بمعن الشيخ تميم: أمجنون أنت؟ هل يستطيع هذا أن يسد المكان الذي تركه الشيخ تميم؟ إن عشرين من أمثاله لا يستطيعون ذلك! هل يستطيع هذا الدكتور أن يجمع للجهاد ٤.٥ مليون ريال و١٨ كلغم ذهب صافي خلال خطبتين جمعة ومن مسجد واحد؟ ونحن نقول إضافة إلى مئات الشباب الذين جمعهم أبو ياسر من كل أفاق الدنيا.. لقد كان الشيخ تميم العدناني وكان وكان وخص القلب بالأحزان، وما نحن نورد ما قاله لشيخنا الحبيب عزام عن شيخنا الحبيب تميم العدناني : مضيت يا أبا ياسر ونحن أحوج ما نكون إليك بعد رب العزة، مضيت وخلفتنا على الطريق ورجو الله عز وجل أن يكون قد بلغك أمنيتك.. لقد مضى الشيخ بحماسة وغاب الطود الشامخ وأفل النجم البازغ ووالله ما أصبنا بمثله قط ووالله ما أظفني بكيت على مخلوق كهكائي على فراقك وعزائنا أننا نظن بك خيراً وندرجو من الله أن تكون عند حسن الظن وزيادة.. وما كان يظن الشيخ عبدالله عزام أنه سيلحق بالشيخ تميم بهذه السرعة ليلتقيا من جديد لقاء لا فراق بعده.. اللهم إنك تعلم مصيبتنا في شيخينا فإلهما اللهم صبراً وأبدلنا خيراً منهما إنك على تشاء قدير.

الشيخ تميم في مصر:

مر الشيخ في جولاته الأخيرة على مصر، وسأل عن أقاربهم الذين لم يرههم منذ زمن طويل وعرّ عليهم واحداً واحداً كأنه يودعهم ووجد أحدهم مصاباً بمرض مزمن طالما تمنى أهله له الموت ليريح ويستريح فوق الشيخ لحاله عندما رآه وبكى ثم دعا ربه قائلاً: اللهم أرح هذا المريض.. وفي اليوم الثاني توفي المريض.

وكان الشيخ تميم قد استدعي من قبل المخابرات في بداية دخوله مصر، ودار بينه وبينهم الحوار التالي:

- هل تعمل في باكستان؟

- لا أنا أعمل في أفغانستان.

- ما شاء الله.

- اسألوها ما شئتم فأتنا صريح جداً.

- هل عندكم مصريون؟

(١) مجلة البنيان المصطفى العدد ٣٠ من ٣١ رجب ١٤١٠ هـ / إبريل ١٩٩٠ م

- نعم كثيرون.
- ما أسماؤهم؟
- سجل عندك: أبو زر - أبو معاذ - ابن هريرة - أبو أنس - أبو حمزة - أبو صهيب.
- يا شيخ تريد الأسماء الحقيقية.
- لا أعرفها، ولو كنت أعرفها، فوالله ما أخبركم بواحد منها، وهل أنا مجنون حتى أفعل ذلك؟!
- ولكن لماذا؟
- لأنكم متضعونهم في السجن عندما يرجعون، كما فعلتم مع أبي حنثي الذي سجن لبيكم أربعة أشهر.
- وأين هو الآن؟
- لقد رجع إلى الجهاد.
- هل تعرف محمد شرقي الإسلامبولي؟
- نعم، ومن ذا الذي لا يعرف شقيق الشهيد خالد الإسلامبولي؟!
- تقول الشهيد؟
- نعم!
- ثم انتقل الشيخ تميم بالحديث إلى نور المهاجم قائلاً:
- أريد تصريحاً لألقي محاضرات عن الجهاد الأفغاني.
- القوانين لا تسمح.
- أريد عنوان الشيخ كشك والشيخ المحلاوي.
- لا تعرف.
- وخرج الشيخ تميم وسافر إلى الإسكندرية وسأل عن الشيخ المحلاوي فوجده وصلى عنده الجمعة وقام الشيخ تميم بعد الصلاة وألقى محاضرة عن الجهاد الأفغاني لمدة ساعتين ونصف.
- الشيخ تميم في جاجي:**
- ومن مواقفه ما ذكره الشيخ سياف في تأييد الشيخ تميم العناني رحمه الله:
- رأيت في آخر معركة في جاجي وكان إخواننا قد حوصروا أو شبه محاصرين، كان جالساً معي، وطلب الإخوة باللاسلكي أن أرسل لهم مجموعة من المجاهدين لكك الحصار فجعلت بعض الإخوة لأرسلهم، فقام الشيخ تميم وقال: أنا أذهب معهم، فنقلت: يا شيخ تميم اجلس هنا وادع لهم، قال: لا والله، الذين سمعوا كلماتي من الأشرطة ضحوا أنفسهم في سبيل الله وأشلاقهم متناثرة هناك في الخط الأول، وذهبوا عند ربهم، ماذا سيقولون: شجعنا الشيخ تميم على الجهاد فجلس في الخط الثاني، ولم يشاركنا في الخط الأول كيف أواجه الله؟ قلت له: اجلسن قال: والله لن أجلس، فتحرك مع المجاهدين ذهب هناك والمجاهدون كانوا في أضيق الأحوال وأشدها، وكل كان يبحث عن مكان يستقر وراءه، أما الشيخ تميم فقد كان جالساً في الميدان لمدة أربع ساعات وقرأ من القرآن سبعة أجزاء، وكان مختفياً في دخان القنابل والقذائف، وكان يلح عليه الإخوة أن يدخل في النفق أو في غرفة، فكان يرفض أن يدخله وكان يقول لي: عندما كان يأتي ذكر النار أو يأتي ذكر جهنم كنت أقرأ بسرعة حتى لا أصاب في هذه اللحظات وعندما يأتي ذكر الجنة وذكر الرحمة كنت أثنائي لعل الله يردني الشهادة عند قراءة كلمة الجنة أو الرحمة.. ويعلم الله أنني لما سمعت خبر وفاته أحسست أن جبهة من جبهات القتال القوية سقطت..

لقاء مع أم ياسر، الزوجة الصابرة

في ظرف شهر واحد كنا أمام حدثين عظيمين على الساحة الجهادية شهادة الشيخ تميم العدناني والشيخ عبدالله عزام الذين كانا معتلين للمد الجهادي في ساحة العمل الإسلامي وكان لهما الكأس المعلا والمكيال الأعز في دعم الجهاد في أفغانستان. وما لا نعرفه عن الشيخ تميم أكثر بكثير مما عرفناه عن هذا الطود الشامخ وجبهة القتال القوية.. وإيماناً منا بأن هؤلاء القنوات لابد أن توضع حياتهم كلها أمام الأجيال لتصبح معالم في الطريق وأساساً للانتماء لهذا الدين.. فكان لابد من الذهاب إلى مظان المعلومات الدقيقة وكان هذا اللقاء مع أم ياسر الزوجة الصابرة عن طريق إرسال الأسئلة مع ياسر كبير أبناء الشهيد وكان هذا الضوء على جزء من حياة الشيخ تميم الزاخرة بالمواقف.

- حبذا لو حدثتمونا عن حياة الشيخ تميم -رحمه الله- منذ الولادة وحتى عام التعرف عليه والزواج منه؟

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه أحمدك ربي لا إله إلا أنت صبرتنا على النبأ، هديتنا من ضلالة وعلمتنا من جهالة، آمنتنا من فزع وصبرتنا من جزع، وأسيتنا في محنة وثبتنا من فتنة، كثرتنا من قلة ورفعتنا من ذلة، لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وبعد:-

ولد الشيخ تميم -رحمه الله- في القدس الأسير - فك الله أسره وكسر قيده- في (٥/٣/١٩٤٢م).

وكان من بيت نسب وحسب، فكان جده "خورشيد باشا" ذا مقام رفيع في الدولة العثمانية وقاد كثيراً من الحملات الجهادية التي كانت تقوم بها الدولة الإسلامية العثمانية.

وكان جده فريد باشا والياً على القدس من قبل الدولة العثمانية، وكان والده "محمد العدناني" أديباً بارعاً وشاعراً لامعاً، حيث أعطي لقب "شاعر فلسطين الأول" بعد أن حاز على الجائزة الأولى في المباراة الشعرية التي أجريت عام ١٩٤١م والتي كان موضوعها "حرب الطائرات" وقد شارك في هذه المباراة عدد كبير من شعراء فلسطين وشعراء الأردن وغيرهم. وله أكثر من ٢٧ مؤلفاً ما بين الشعر والنثر والتاريخ واللغة والنحو.

علاوة على المعاجم التي ألّفها ومن بين مؤلفاته "سيرة أبي بكر الصديق طبع عام ١٩٥٩م"، "معجم الألفاظ اللغوية المعاصرة" ومن نواوينه الشعرية ديوان العدنانيات، ديوان اللبيب، واختار له هذا الاسم لأنه وحي عاطفة ملتهبة ثارت على الظلم الصارخ على الظالم المعتدي في فلسطين الأبية.

وفي حلب حصل الشيخ تميم على الشهادة الابتدائية والمتوسطة والثانوية، وهناك تتلمذ على أيدي كبار العلماء أمثال الشيخ عبدالفتاح أبوغدة.

وكان رحمه الله قلبه يعتصر ألماً وحزناً على المسجد الأقصى والقدس وضياح بلاد المسلمين منهم منذ حادثة سنة، وكان قلبه معلقاً في المساجد يتلمذ على أيدي العلماء وينهل من نبع الإسلام الصافي.

ثم انتقل إلى مصر ودرس هناك الاقتصاد والعلوم السياسية، وواصل طريقه هناك فأطلق لحيته وكان يذهب إلى المساجد ويؤذن بعض الأحيان في زمن عز فيه أن تجد شاباً متديناً، وفي وقت كان يحارب فيه الإسلام وقد لاقى الكثير من المتاعب والمضايقات والتهديدات ولكن هيهات لقلب مثل قلب الشيخ تميم رحمه الله أن يعمل حساباً لأي أحد في الدنيا أو أن يحرك ساكناً من قلبه خوفاً من مخلوق فكان دائماً يقول «والله لا أخشى أحداً إلا الله» وقلما خلت لوحة الجامعة من نصائحه القيمة بالتعاليم الإسلامية من حيث عدم الاختلاط وعدم التبرج والتعسك بتعاليم الدين الحنيف، وعندما تخرج الشيخ تميم -رحمه الله- من الجامعة كان يبحث عن عمل وعن زوجة صالحة فعرض عليه العمل في أحد البنوك الربوية بمنصب عال وراتب مغر ولكنّه رفض على نفسه أن يأكل من حرام، وأثر أن يعمل مدرساً للغة الإنجليزية في مدرسة خاصة براتب زهيد فرحمك الله يا أبا ياسر وتغمدك بواسع رحمته وغفرانه، فلقد علمتنا وعلمت الدنيا بأسرها كيف تكون الكرامة وكيف تصنع العزة وكيف يعيش المرء عزيزاً ويعت كريمة، وكان لسان حاله كان يشكو بهذه الأبيات:

فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدى

وفي (٢٦/١١/١٩٦٥م) قدر الله وعقد القرآن، وأذكر أنه قال أن ذاك «شريد أن تبني أسرة إسلامية تدعو إلى الله وتسلم بتعاليم

الإسلام ولا تخاف في الله لومة لائم.

-حبذا لو أتحدثتمونا بمعلومات عن حياة الشيخ منذ الزواج وحتى تفرغه للجهاد الإسلامي في أفغانستان؟

(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مداخل يرضونه وإن الله لملم لهم عليهم)

(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم، ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وحصل صالحاً وقال إنني من المسلمين).

والحق أن الكتابة من موقف عن مواقف الشيخ تميم -رحمه الله- تحتاج إلى الشرح المفصل الذي قد تتسع له الكتب وقد لا تتسع، فلقد كانت مواقف الشيخ تميم -رحمه الله- صلبة جريئة غير متوقعة من قبل أعداء هذا الدين ومعدرة البيان إن لم يوف الشيخ تميم حقه.

وسأحدث عن هذه الفترة بإيجاز، وسأذكر بعض مواقف الشيخ تميم رحمه الله.

ومعدرة الميراة والقوافي جلال الرزة عن وصف يدق

بعد الزواج عمل مدرساً للغة الإنجليزية لمدة سنتين براتب زهيد، ثم تعاقد مع إحدى الشركات في السعودية مدرسة سلاح الصيانة بالطائف بوظيفة مترجم، وهناك كان يتعامل مع الأجانب في الشركة بنفس مبدئه، فكان يدعوهم إلى الإسلام، ولا يسكت عن المنكر الظاهر ويحارب الفساد الموجود في الشركة، فأسلم على يده عدة أشخاص، فضاق الذرع بمدير الشركة وفصله عن العمل. ولكن الشيخ تميم -رحمه الله- لم يحزن بل على العكس كان سعيداً وكان يقول «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها» ويذهب بعدها الشيخ تميم -رحمه الله- إلى المنطقة الشرقية في السعودية بعد أن مكث في الطائف حوالي سنة سنوات، ويتعاقد مع شركة «شركة الطائرات البريطانية» وفي المنطقة الشرقية كان الشيخ تميم -رحمه الله- ينتقل من مسجد لآخر، وقلما خلا مسجد من مساجد مدينة الخبر من درس للشيخ تميم أو كلمة أو نصيحة، ويصبح بعدها الشيخ تميم -رحمه الله- خطيباً لجامع معهد الدراسات الفنية بالقاعدة الجوية ومشرفاً للتربية الإسلامية في المعهد، وكان يتناول في خطبه مواضيع حساسة تهم واقع المسلمين الذي يعيشونه، فوسع مسجده حتى أصبح أربعة أضعاف حجمه لكثرة تدفق المصلين عنده، فكان كلامه يقع في القلوب لأنه لا يريد في ذلك إلا وجه الله، كان قوي الإيمان شجاعاً جريئاً لا يخاف في الله أحداً فجعل الله على يده الخير الكثير كان علماً للجهاد يحمل تجارة رابحة طاف أرجاء الكرة الأرضية وهو يعرض هذه التجارة التي كان معتزاً بها وبفضل الله كان كل من يسمعه يدرك من هذه الخير، وكان له أسلوبه المتميز وجرائته وشجاعته وذكاءه وكل هذا أنعمه الله عليه كي يحمل راية الدعوة والجهاد فعند أن سمع عن الجهاد الإسلامي في أفغانستان هب لنصرة هذا الجهاد.

ولم يتعد كما قعد غيره فطار يسأل هنا وهناك ويستفسر من قريب وبعيد، حتى تحقق من وجود تجمع إسلامي جهادي في أفغانستان يقف في وجه الروس وفي وجه الكفر والإلحاد، فطار على جناح السرعة إلى أفغانستان وتعرف على أوضاع الجهاد وشارك في بعض المعارك بماله ونفسه وأولاده ثم عاد ليصرخ في أرجاء الأرض ويوقظ أمة بعد رقادها ويقول لهم «إن هذا الجهاد هو السبيل للتحرر من الذل الذي أصابنا ومن الوهن الذي ألم بنا» وما لنا لا نرشد مع الشاعر:

تميم قد نهبت إلى بلاد	لتوقظ أمة بعد الرقاد
وتتذر عابد الحرمين فيها	وتدعوه ليأوي للرشاد
وتذهب للشيوخ بكل أرض	وتفسد للشباب بكل نساد
فثبت فعله كل الرجس	وصاروا ظاهرين على الأعادي

والحق أن الشيخ تميم كان يشعر بأن هذا الجهاد سيكون نقطة تحول لتاريخ هذه الأمة بعد أن ماتت بين طياتها فريضة الجهاد، لذلك باع نفسه لله ولخدمة هذا الجهاد فكان لا يخاف في الله لومة لائم، وكان شجاعاً وجريئاً لذلك كان يقف مواقف في الحق

صلبة أقرب ما تكون إلى الخيال وأذكر على سبيل المثال لا الحصر ذلك اليوم الذي جمع فيه الشيخ تميم -رحمه الله- من أحد الدول مبلغاً يزيد على المليون دولار للمجاهدين وطلبت إليه الدولة أن يسلمها المبلغ وضغطوا عليه بالترغيب والترهيب ولكن هيبات لمل الشيخ تميم -رحمه الله- أن يخاف إلا الله، وقال حينها كلمته الخالدة «والله لو قطعتموني إرياً لن تأخذوا دولاراً واحداً» وأوصل المبلغ إلى رئيس الاتحاد آنذاك الشيخ عبد رب الرسول سياف، وكان الشيخ تميم -رحمه الله- طيلة الفترة السابقة يحافظ على صلته بالمجاهدين، فكانت زيارته لهم لا تنقطع فكان يقضي عطلة الصيف في أفغانستان ويعود ليذهب الشباب ويحمسهم ويخطط لهم درب العزة والفخار، فلم يعد يشبع حب الشيخ تميم وتأججه للجهاد زيارته لأرض العزة فقط فقرر الهجرة في سبيل الله ووجد فيها ضالته وهو يريد قوله تعالى طمعاً بجاناته: «والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون» يمشهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم» (التوبة).

فرحمك الله يا شيخ تميم وأسكنك الفردوس الأعلى وحشرك مع النبيين والصديقين والشهداء، فلقد أدبت الأمانة ونصحت وجاهدت في الله حق جهاده.

- إذا ذكر الشيخ عبدالله عزام تذكر الناس الشيخ تميم العدناني والعكس كذلك، فأين ومتى التقى الشيخان الشهيدان؟ وكيف توطدت علاقتهما وعائلتهما بعد ذلك؟

الحمد لله علام الغيوب ومؤلف القلوب، أحمذك ربي لا إله إلا أنت، ساويت بين العجم والعرب وأظهرت رابطة الدين على رابطة النسب فك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك وبعد:

يحدث الشيخ الشهيد عبدالله عزام عندما سأله ولدي ياسر -بعد استشهاد الشيخ تميم- عن أول مرة تعرف بها الشيخ عبدالله عزام على الشيخ تميم العدناني فيقول:

«كنت قبل ٢٥ سنة في "السيلة الحارثية" في فلسطين وكنت أجلس في أحد مجالس القرية في نفر كثير من كبار القرية، وإذا بأحد رجال القرية يدخل علينا المجلس ويرف إلينا بشرى فيقول:

من أراد أن يتعلم اللغة الإنجليزية على أصولها أو أراد أن يعلم أبناءه اللغة الإنجليزية فانا أبشره بأن المدرسة العربية في جنين -جنين هي أقرب مدينة إلى السيلة الحارثية- قد وفد إليها مدرس قوي جداً باللغة الإنجليزية وقد استفاد منه الطلاب وشكروا في غزارة علمه وسهولة أسلوبه، فسأله أحد الجالسين أريد أن أذهب إليه وأتعلم فما اسمه؟ فأجاب: اسمه الاستاذ تميم العدناني».

فيقول الشيخ عبدالله -رحمه الله-: وكانت هذه أول مرة أسمع بها باسم هذا الرجل الشامخ، ولكن الله لم يكتب لنا أن نلتقي في تلك الفترة، وما كنت أعلم وقتها بأن هذا الرجل سيكون أحب إنسان إلى قلبي وسأنزله بكلتا يداي إلى القبر، وفي عمان في الأردن سمع الشيخ تميم عن الشيخ عبدالله عزام فذهب ليراه في أحد المساجد وقد عرفه الشيخ تميم من بين الحضور وقال: عرفت من كلامه وإخلاصه ورأيت في وجهه نوراً وأحبيته في الله لأنني وجدت في وجهه سمة الصالحين. «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم» رحمهم الله جميعاً وتغمدهم بواسع رحمته وغفراته وأسكنهم جنة الفردوس الأعلى كانا للجهاد كالجناحين تحايا في الله وأخلصا لله عملاً لله فهذا مزوا الدنيا وأسمعوها صوتهم بأن «حي على الجهاد» فقد أوا الأمانة ويلغوا فلتواصل أمة الإسلام هذا الطريق فالجهاد الآن أمانة في أعناقهم.

وهنا في أرض الجهاد في أرض العزة توطدت العلاقة بين الشيخين وأصبحا يعملان عملاً ذويًا دون كلل أو ملل فهنيئاً لهما -إن شاء الله- لقد كانا رحمهما الله كالجبال الراسية كالطود الشامخ هدفهم واحد هو إعلاء راية الجهاد وإحياء هذه الفريضة المنسية في هذا الزمان، ومنذ بداية هذا الجهاد المبارك حضر الشيخ تميم ومعه مبلغ جمعه من الإخوة في السعودية جاء هنا لأفغانستان ونم يكن وقتها مكتب للعرب وكان العرب وقتها مجموعة صغيرة عند الشيخ سياف في خيمة صغيرة اسمها خيمة العرب، رجع الشيخ تميم إلى السعودية وانطلق بشجاعة يتكلم عن الجهاد الأفغاني وهكذا حتى انتشرت أشرطته فبدأ الناس يعرفون عن الجهاد أكثر وأكثر وبعد ثلاث زيارات لأفغانستان أنعم الله عليه بالتفرغ لهذا الجهاد والهجرة في سبيل الله فاجتمع مع أخيه الشيخ الشهيد عبدالله عزام على هذا الطريق، فزريقنا واحد وهدفنا واحد قد تأخضت عليه أرواحنا وأسرتنا واحدة لا حدود بيننا إلا ما وضعه الشرع ونسأل الله أن يجمعنا على منابر من نور.

- كان الشيخ تميم -رحمه الله- يتكلم كثيراً عن حبه لشهيد عبد الله عزيم والشيخ سياف فكيف أثر استشهاد علي أبي ياسر في جهاده؟

لقد اجتمع الثلاثة على طريق واحد هو طريق الله فملاً قلوبهم بالإخلاص والإيمان والمحبة في الله، فكان الشيخ تميم رحمه الله يرى فيهم الصورة الحية للورع والزهد والتفاني لله والعمل النوب لإقامة الدولة الإسلامية، وكان دائماً يتكلم عن ورعهم وتعبدتهم وإخلاصهم للجهاد فساروا جميعاً يشد كل منهم أزر أخيه «وفي ذلك قلوبتنا من المتنافسين» «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً».

- من المعروف عن الشيخ تميم العدناني جرأته في حياته وفي جهاده حيث كان يصبر على أن يكون في الصفوف الأولى في القتال فهلا أخبرتمونا عن جرأته وكيف كان يواجه تلك المواقف؟

كان رحمه الله يتدفق بالإيمان والعطاء والدعوة والجهاد والشجاعة والرجولة والصبر والثبات، كان إذا كان مؤمناً بشيء ويعرف أن فيه رضا الله لا يثنيه عنه وعن تحقيقه أي شيء في الدنيا.. كان دائماً يبكي من خشية الله ويطلب رضا الله، ومن أبرز صفاته -رحمه الله- جرأته التي يشهد له كل من عرفه وسمع به وكان منبع جرأته هو يقينه التام بقول الله تعالى «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا» ولن نستطيع أن نحصي مواقفه الجريئة لكثرتها ولكن نذكر منها:-

١- يوم أن كان مع الشيخ سياف وجاء أحد المجاهدين يريد نجدة لفك الحصار عن المجاهدين وانطلق الشيخ تميم وقال أنا سأتذهب فقال له الشيخ سياف: أنت تبقى.. فقال: لا والله إن أبقي ماذا أقول لربي يوم القيامة؟ أنا الذي أَدْعُوهم للجهاد وأشلاقهم تتأثر في الخطوط الأمامية وعندما رأى الشيخ سياف -حفظه الله- أصراره أذن له وذهب لنصرة إخوانه المجاهدين.

٢- عندما جمع مبلغاً للمجاهدين وطلبت منه تلك الدول أن يسلمها المبلغ فأبى وقال: «هذه أمانة والله لو قطعتموني إرباً إرباً لن تأخذوا منه شيئاً» وجاء وسلمه للشيخ سياف.

٣- وفي جملته الأخيرة عندما ذهب إلى دولة عربية وأخذوا يحققوا معه وقال لهم نعم أنا مجاهد «وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله» فسألوه عن أسماء المجاهدين من تلك الدولة فسفر منهم وقال لن أخبركم عن أسماء إخوتي فاستغربوا منه وقالوا له حتى الآن لم يمر علينا شخص بجرأتك ولم يكتف الشيخ تميم بهذا بل دعاهم للجهاد وعبادة الله وحده وترك الطواغيت وذكرهم بالقبر واليوم الآخر حتى قالوا له ادع لنا يا شيخ ولم يكتف بهذا بل طلب منهم أن يعطوه إذن كي يلقي محاضرات في المساجد ليذكر الناس باليوم الآخر ربحهم على الجهاد وفعل هذا بفضل الله الذي أمدّه بهذه الجرأة.

٤- جرأته داخل المعارك فقد كان -رحمه الله رحمة واسعة- عندما تأتي الطائرات تقذف حمماً على المجاهدين لا يختبئ ولا ينبطح أرضاً بل يبقى كالأسد رافع الرأس يحب أن يلقي العدو بصدرة ويتمنى الشهادة ويطلبها بصدق.

٥- وعندما ذهب لبلقاريا وكان قلبه يعتصر ألماً لما يلاقه المسلمون هناك لدرجة تغيير أسمائهم إلى أسماء صليبية والجريمة الكبرى من يجدوا عنده مصحفاً فكان هناك يقف عندما تحين الصلاة في أي مكان ويؤذن بأعلى صوته ويقيم الصلاة.. فيخوف وحرص شديد كان يقترب منه بعض المسلمين ويقولون له (مسلم.. مسلم.. ويقولون له قل هو الله أحد) ويقولون له نخشى عليك من أعداء الله فيقول لهم: إنهم لا يستطيعون إن شاء الله، والمسلمون هناك من الأتراك والمسجد هناك سمعته الحكومة وقفلته بقتل والإسلام هناك يصرخ وينادي على المسلمين لفك قيوده فهل من معتمد يا أمة الإسلام؟!

- على ماذا كان يركز الشيخ تميم -رحمه الله- في تربيته لأفراد العائلة من خلال المعاشة اليومية؟

كان -رحمه الله- نعم الأب العطوف والصديق المخلص والمربي الموفق فقد كان قنوة في تصرفاته ومن أهم الأمور التي كان يركز عليها الصلاة على وقتها والصدق وتنشئة الأبناء على مبادئ الإسلام وتعاليمه منذ طفولتهم وحثهم على الجهاد وغرس حب الشهادة في نفوسهم وجعلها غايتهم، وبفضل الله عز وجل إشتراك معه أبنائه الثلاثة في المعارك.

ويجيب أبنائه:

لقد كنا ننظر إليه -رحمه الله- فنرى فيه أمة بأكملها، نرى فيه نبراساً مضيئاً ينير لنا دروب الحياة ويجسد لنا القدوة الحية بعد رسول الله ﷺ على نهج سنته عليه السلام، ومع أننا لم نحظ من وقت الشيخ تميم -رحمه الله- بالكثير لأنه لم يكن يربي سبعة

أبناء فقط بل كان يربي أبناء الأمة الإسلامية جمعاء ومع هذا فقد كان -رحمه الله- يعطينا من وقته ما يكفي لأن يستقينا به المبادئ السامية التي لا تعرف الحيود بعطف الأب وحنانه الذي عرفه به كل من عرف الشيخ تميم، فكان -رحمه الله- يفرس حب الجهاد والشهادة في نفوس أولاده ويعددهم للحرب والنزال ويأخذهم معه للمعارك ومن أبرز خصاله التي كانت تخط في نفوسنا: كرمه فوالله ما سمعناه قال لفقير ولا محتاج كلمة لا قطء ولولا التشهد لكانت لؤه نعم وعندما كانت تضيق السبل بأي محتاج أو فقير يعرف أين يجد ما يريد فيذهب للشيخ تميم ويعرف أنه لن يردّه خائباً أبداً:

أنت خيسر من ألف ألف	إذا كبت وجوه السرجال
أشجاع أنت أشجع من ليث	ضمر بن جهم أبي أشبال
أجواد فأتت أجراً من سيل	نّياس يسيل بين الجبال

كما كان -رحمه الله- يحثنا على قراءة القرآن الكريم وحفظه ومعرفة أحكامه وكان رحمه الله يجسد لنا فضائل الخصال قبل أن يدعونا إليها فقد كان خلقه دعوة صامحة ونصحة وتربيته نقشاً على جدار القلب.

يا أبتاه أجاوب رياً دعاه

يا أبتاه -إن شاء الله- جنة الفردوس ملوّه

يا أبتاه إلى أمة الإسلام تنعاه.

- كيف كانت اللحظات الأخيرة للشيخ تميم قبل استشهاده؟

قال تعالى «ولئن قتلتهم في سبيل الله أو متم لغفرة خير من الله ورحمة بما يجمعون» (آل عمران) وقال ﷺ «إذا أحب الله عبداً استعمله للخير ثم قبضه على ذلك»، رحم الله الشيخ تميم رحمة واسعة، كانت أمنيت أن يرى راية الإسلام ترفرف في مشارق الأرض ومغاربها وأن يرى نولة الإسلام قائمة فأخذ يجوب بقاع الأرض يدعو إلى الله وإلى الجهاد فكانت السنوات الأخيرة من حياته مليئة زاخرة بالجهاد والمحاضرات والدعوة، وذلك بفضل الله وكرمه عليه.. وقبل استشهاده بأربعة أشهر لم يرى أبنائه فقد كان رحمه الله في رحلة متواصلة للدعوة وفتح أبواب الجهاد في بلاد كثيرة منها من يعرف الجهاد ومنها من سمع بالجهاد من الشيخ تميم لأول مرة فذهب خلال هذه الرحلة إلى بنغلاديش ونيجييريا وبورما حيث استجاب له المسلمون هناك استجابة واسعة فضجت به أجهزة التلفاز والصحف وأحيا فيهم روح الجهاد ثم إلى مصر وهناك ألقى محاضرة عن الجهاد في مسجد المحلاوي الكبير ثم إلى اليمن ثم ألقى محاضرات أتى على إثرها بفضل الله بالكثير إلى الجهاد ثم إلى قطر ثم إلى أمريكا.. كان مما يشغله ويعتصر قلبه ألماً هموم الأمة الإسلامية التي كان يحملها على كامله فكان يعد لإلقاء محاضرة في مؤتمر باللغة الإنجليزية عن الجهاد في بيت المقدس فكان شغله الشاغل إقامة النولة الإسلامية وفق المسجد الأقصى وتحريره تحت راية الإسلام.. وفي أمريكا كان الإخوة في المراكز الإسلامية يعدون جدولاً لرحلات الشيخ تميم عندهم وتنقله بين المراكز وقد كان جدولاً حتى منتصف شهر ديسمبر تقريباً، ولكن قدر الله وقعه قبل أن يكمله جعلها الله في ميزانه يوم القيامة -إن شاء الله- وعندما طلبنا منه أن يرتاح وقلنا له بعدها تكمل المحاضرات فقال لنا: الحمد لله أنا بصحة جيدة وراحتي بالدعوة والجهاد فكان يتدفق حماساً حتى آخر لحظة من عمره وكان يقول أكمل العلاج وعندما أعود وأشارك في الصفوف الأمامية في المعركة.. وفي صبيحة يوم (١٨/١٠/١٩٨٩م) ذلك اليوم الذي شهد مضي أحد عمالقة الجهاد صلى الفجر وجلس بعد الصلاة كعادته يذكر الله ويدعو بالأنعية الماثورة وجلس ورتب حقييته وما يتعلق بأمور الجهاد وسجلها وصنفها كعادته وأخبرني بأمورها.. وفي صبيحة ذلك اليوم سمعته يدعو بأدعية وكأني لم أسمعها من قبل ولم ألاحظ عليه أي تعب أو مرض فقد كان بصحة جيدة وأعدنا أنفسنا للسفر إلى ولاية شيكاغو لإلقاء محاضرة عن الجهاد وكان المسجد قد احتشد بالحاضرين ينتظرون الشيخ تميم ولكن وقع قضاء الله والشيخ تميم بهم بالسفر وقضى الشيخ إلى ربه، لقد اشتاق الله للقائه فكلم تأقت نفسه للشهادة وكأنه كان ينتظرها وفي لحظات يتصبب جبينه الطاهر عرقاً وتفيض روحه إلى بارئها.. وفي اليوم الثالث من استشهاده ذهبنا لنودعه في المستشفى قبل السفر إلى باكستان وقبل تجهيزه فقرأت عليه سورة يس وقلت له سلام الله عليك أبا ياسر.. سلام الله عليكم يا بطل.. لقد أدت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده فلن يضيعك الله بإذنه، وممعت في نفسي أن أدعو الله وأن لا أتركه حتى يريني الله أية بأنه شهيد ولكن قلت في نفسي لا أريد تأخير الشيخ تميم أكثر وربما أكون لست أهلاً لأن يستجيب الله

دعائي وخرجت إلى بيت أحد الأقارب هناك وكفى بالله عالماً وعيماً وجلست أنتظر وذهب الإخوة لتجهيز الشيخ تميم -رحمه الله- وبعد فترة من ذهابهم عادوا ولا أستطيع أن أصف ذلك الموقف.. الألم يعتصر القنوب.. والفرحة المعزوجة بالألم.. وإذا بالباب يقرع وينادي يا خالة أم ياسر يا حجة أم ياسر أبشري.. والله لا تقول إلا ما رأيت.. بعد ما خرجت من عند الشيخ تميم فاضت عينه انيمى بالدمع.. فحمدت الله على إكرامه لنا بهذه الآية.. وعندما خرجت الطيبة بعد استشهاد الشيخ تميم فوراً لتخبرني بأمر الله وقضائه اقتربت مني وقالت لي: الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. ثلاث مرات.. وهذه الطيبة لا تتكلم العربية وكانت تكلمني بالإنجليزية، وأنا أتمنى أن يسألها الإخوة الذين كانوا هناك لماذا قالت الله أكبر ومن أين سمعتها فقد كانت الله أكبر شدد الشيخ تميم وأنشودته التي كان يدي بها في المساجد وبين الجبال وفي المعارك.. فقلها سمعتها منه رحمه الله.. قلله درك يا أبا ياسر أسأل الله أن تكون ممن بُشر عند الموت بروح وريحان ورب غير غضبان برحمة الله وكرمه.. وحتى الآن مضت ثلاث شهور على استشهاد وراحة الحناء تفوح من جواربه التي كان يلبسها ومن حذائه كذلك عندما فاضت روحه إلى من أحب لقائه ونسأل الله أن يكون بتقديله بعرش الرحمن وأن يتقبله في الصالحين وأن يكون شافعاً لنا بين يدي رب العالمين وأن يجمعنا به في القربوس الأعلى ولا تقول إلا ما قال رسولنا الكريم اللهم أجرنا في مصيبتنا وأخلفنا خيراً منها.. ونسأل الله أن تنبت الأرض ألف مجاهد ومجاهد ومليون تميم وتميم.

وداعاً والدي البطل

وداعاً يا شيخ تميم العدناني.. وداعاً وإلى لقاء إن شاء الله..
 وداعاً يا صوت الحق الناطق باسم الجهاد.. وداعاً يا ليث الماسدة..
 وداعاً يا من دوى صوتك في دنيا السبات فأيقظتها..
 وداعاً يا من طقت الدنيا وقلبك مثقل بجراح أمة الإسلام..
 وداعاً يا من أسرت كلماتك الصادقة قلوب الناس..
 وداعاً يا من أنار لكثير من الأمم بروب الجهاد فأحيا هذه الفريضة..
 وداعاً يا صاحب القلب الأبيض يا من لا تقل لفقير ولا محتاج كلمة لا قط..
 وداعاً يا من عاش يطلب الشهادة مظانها.
 وداعاً وإننا مشتاقون وإننا إن شاء الله على درك درب الحق ماضون، وفي سبيل الله مجاهدون، وإننا على مرافقك يا أبتاه لمحزونون ولكن عزائنا فيك قوله تعالى: «والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حلیم».
 فلتهنأ يا ذروة شماء علت بالجهاد ولتتم قرير العين وتعلم أن ك إخوة وأبناء خلفتهم على طريق الجهاد، قد زرعت الجهاد في قلوبهم بكلماتك وفجرت في أعماقهم باستشهادك فحياتك حياة وموتك حياة.. فجزاك الله عنا وعن الأمة الإسلامية خير الجزاء
 أبنتك: عيير تميم العدناني

هكذا عرفت الشيخ تميم

كنت أظنه كغيره من الشخصيات التي تبرز في عالمنا الإسلامي لابد أن يكون حاجب على بابه ولا بد لمن أراد الحديث معه أن يهتم بالمقدمات والعبارات اللبقة ولا بد أن يحرض على مشاعره خشية أن يستثار غضبه ولا بد أن تحول بيني وبينه صحاري وديان بسبب فارق العمر بيننا وفارق المكان، ولا بد من أن أتحنن له الوقت المناسب كي أضمن استقباله لي وعدم اعتذاره، وأنه لابد لمناقشته من حشد الأدلة الكثيرة ودعمها بالوسطاء والتزكيات من الوجهاء والعظماء وكنت أظن أنه لابد من حاشية تحوطه من كل مكان وأنه لا يمكن التقرب منه إلا بعد الحصول على رضا الحاشية.. ولا بد من توليد العلاقات مع الحاشية لتكرم بنكري أمامه بخير كي يساعني على اللقاء به والتحدث معه بحرية إن أردت.

كنت أظن.. وكنت أظن.. هذا ما تعودناه وما وجدناه ممن يعتلون المناصب الكبيرة وهذا ما قست عليه الشيخ تميم رحمه الله.. إلا أنه كان يتراعى إلى سمي أقوال: الشيخ تميم رجل طيب جداً.. الشيخ تميم مخلص.. الشيخ تميم صادق في جهاده.. ويحب خوض المعارك.. الشيخ تميم ليس كثيره وفيه خير كبير.. الشيخ تميم غير معقد وسهل التعامل..

كنت أظن أن هذه اشاعات كعادة الحواشي في تلميع رؤسهم وانتحال الخصال الحميدة والأفعال العظيمة لزعمائهم.. فما كنت أبني لك زائناً كنت أسمع .

زارنا في العمارة فكنت أراقب كل حركة له وهمسة.. لقد زارنا دون دعوة ولم نعد له شيئاً يليق بأصحاب الوجاهات.. لكنه لم ير عليه أي تأثر.. وجلس حيث انتهى به المجلس..

لقد كان مفرد الجبين، مبسوط الجبهة، واسع الابتسامة، مشرق الطلعة، قيم الأسلوب، ناضج الفكرة، يدهي العبارة، طليق اللسان، عفوي الملاحظة، يشارك جميع الحاضرين بحديثه لا يميز أحداً على أحد، يشد انتباه الجميع إليه ويأسر أذانهم وعيونهم.. لم نلاحظ عليه أي مراعاة لرسميات الخطاب والمحاذة بين قائد وفرد أو كبير وصغير مما اعتاده الناس، فكان معنا كالأب، وجدنا أنفسنا معه كالأبناء كانت تبدو في وجهه ومن طريقة كلامه معنا -رغم أن بعضنا لم يختلط به- أنه يحسن الظن بالمسلمين.. لقد عرضنا عليه بعض المشاكل التي نعاني منها دون مقدمات ودون ملء طلبات وعلى الفور تفهمها ووعد بحلها على قدر استطاعته.. فلم يدع أكثر مما هو بمقتوره مهما كانت نظرة الناس لذلك.. رأيت في تلك الجلسة متواضعاً سهل العلاقة يفتح فرصة الحديث مع لكل الحضور بل أسلوبه يشجع على ذلك، ويجيب على أي استفسار اجابة صريحة صادقة واضحة تحمل معنى واحد وهو المطلب، مهما كان السؤال أو يعتذر اعتذاراً واضحاً.. لقد كان مهيباً لكن هيبه حقيقية متدفقة من سمو النفس ورفعة الأخلاق وعظم الفعل والتضحية ولم تكن هيبه مزودة مصطنعة بكثرة الحراس وانتقاء الملابس الفاخرة والشح بالابتسامة والتهديد والوعيد للمخالفين، لقد ملا جلستنا تلك بهجة وسروراً وكانت ممتعة جداً تمنيت لو أنها طالت أكثر لاتعرف على الشيخ أكثر.. إلا أنه سرعان ما نهض ليودعنا وداعاً حاراً مرحاً ظريفاً.. وما أن ودعته حتى غرقت في صراع فكري: يا ترى هذه حقيقة الشيخ تميم كما رأيت أم لا؟ وبقي تفكيري بين دفع وجذب، لم يتغير تصوري السابق كلياً إلا أن أركانه اهتزت وبدأت تتسرب من شقوق جدرانه فكرة أخرى وصورة أصنق..

ثم التهبت المعارك في جلال أباد وحمي وطيسها ولم ينبج من تلك المعركة أخضر ولا يابس ولا عجوز ولا طفل، ولا سهل ولا كهف إلا خلطت فيه دماء المسلمين والشيوعيين في معارك لم يثبت فيها إلا نخبة الرجال وصفوة الأبطال.. فيممت وجهي شطرها وما أن حطت رحالنا إلا وسمعنا نبأ وصول الشيخ تميم إلى أرض المعركة مع اثنين من أولاده.. ففرحت به ولكن ما كادت تصل فرحتي إلى حلقومي حتى غصصت بها.. فماذا يفعل الشيخ تميم في هذه الأرض الملتهبة؟ فأعداد الألفام تنافس أعداد الحجارة، والقصف الجوي ما يترك شبراً إلا طعنه طعنة قاتلة لا ترحم كبيراً ولا تعطف على صغير ولا ترقق بامرأة ولا تعثر حيوان.. والشيخ كثير الشحم بطيء الحركة قليل الخبرة يبدو عليه اندفاع شديد إلا أنه لو جرح في معركة لاحتاج إلى عشرة مجاهدين أشداء ليحملوه إلى الخطوط الخلفية.. ثم إن الشيخ تميم عنده أعمال كثيرة وكثيرة جداً هي جهاد وخدمة للجهاد..

ثم نظرت إليه وهو كعادته يمشي الوجه منفرد الأسارير وقد لبس لامته وعن يمينه وشماله قلذنا كبده يمحسهما ويبحث لنفسه ولهما عن عملية اقتحام!! ويصر على القائد هناك لدرجة الإحراج الشديد، فذهبتا معاً إلى مواقع متقدمة لا يعرف ليلها من نهارها، يعيش المجاهد هناك في حالة وداع دائم لا يعرف متى هو؟ عندها تحطمت وتمزقت تلك الصورة وتفجرت دعاءاتها وعرفت أن الشيخ ليس كما يقال عنه من الخير.. بل هو أكثر من ذلك بكثير.. لقد رأيت متلهفاً للشهادة يبكي شوقاً إليها.. رقيق المشاعر، مرفف الإحساس، عظيم الحنان، ثابت الجنان.. لقد رأيت معسكاً بفلذتي كبده، يزجها في أتون المعارك، لقد علم ذلك الشيخ الجليل أن بيته الدعة والأمان والعيش الرغد لا تثبت إلا خرفانا لا ترجى لمكره ولا تعين على نائبة ولا بد أن يعلوا من غبار المعارك ويأرودعا الأسود، ويتمرغوا في حولها ويصلوا نارها لتصل فكرهم وتنميههم على الرجولة.. فهناك بساتين العزة وحدائق الإباء وحصاد الشمم.. هناك مصانع الكماة والفرسان الذين يعدون ليوم كريمة وسداد ثغر.

عجيبون هؤلاء الرجال! غريبين هؤلاء الذين يجمعون بين التواضع وسمو النفس بين الشجاعة والهدوء.. بين البساطة والطيب والذكاء.. بين رهاقة الإحساس وكنم الغيظ بين الذلة للمؤمنين والعزة على الكافرين.. بين خفض الجناح للمسلمين والشد على الكافرين.. بين مخاطبة الناس على قدر عقولهم وبين كثرة المعرفة.. بين الفقر والكرم.. بين الألم والسماحة بين الواقع والأمل.. بين

عجيبون هؤلاء عجيبة صنوبرهم ما أوسعها وما أنقاها! عجيبة قلوبهم ما أظهرها وما أكبرها! عجيبة أخلاقهم ما أرفعها وما أنزهها! عجيبة عزائمهم ما أشحذها وما أمضاها! عجيبة وجوههم ما أنضرها وما أجملها! بل عجيبة ملايين المسلمين ما أقنهم وما أندهم!

إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحداً

فرحمك الله أيها الأب الحنون وأسكنك الفردوس الأعلى، ويعلم الله ما حزننا عليكم بقدر ما حزننا على أنفسنا بعدكم.. ونشكر بشا وحزننا إلى الله، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أبو زيد



هذا الكتاب

الحق أن هذا الكتاب كتب بالدماء وانتفضت كلماته حية بالجماع والأشلاء، فتفرد من بين أمثاله، وزاده قوة دم الإمام الشهيد الذي كان ناراً ونوراً؛ ناراً يحرق الظالمين، نوراً على درب السائرين.

وعادة المؤلفين والمؤرخين أن يسربوا حقائق وأخبار وقصص وروايات بعيدين عن واقعها وحوادثها، بينما نجد مواضيع هذا الكتاب كتبت منجمة؛ وهذه النجوم حسب الحوادث فقد اعتصرت قلب الإمام الشهيد وعاشها لحظة بفكره وروحه وقلبه وقلمه الذي كان يسيل من روحه التي ملك عليها حب الجهاد والاستشهاد؛ فكما سقط شهيد من الشهداء فكانما انفلتت قطعة من كبده وذهب شلو من أعضائه، فتخرج كل كلمة يكتبها ساخنة من أعماقه ملتبة، فتتخلل في أعماق القارئ دون حجاب، وذلك لأن هذه الكلمات كانت تقاتل من قلبه الحي فتعيش حية بين الأحياء تؤثر في قلب كل حي.

فقد ربي الإمام الشهيد هؤلاء الشباب بعنايته، وفي كنفه، كما يربي أبناءه بحنان الأبوة ورفق الصديق وأنس الأنيس، وكم كنت ترى العزن والألم يعتصر قلبه كلما سقط شهيد من هؤلاء وكأن لسان حاله يقول (ذهب الذين يعاش في أكتافهم).

هذه الكلمات التي كان يكتبها على صفحات مجلة الجهاد ما كانت لتبقى مفرقة موزعة وما يليق بهذا الأريج وذات المسك الفواح من أخبار هؤلاء الشهداء الذين كانوا سلباً لمجد هذه الأمة أن تبقى مختفية بين صفحات المجلة، فكان على مركز الشهيد عزام الإعلامي أن يقوم بهذا العبد ويدخلها في كتاب مستقل تحت عنوات (عشاق الحور) وهو الاسم الذي اختاره الإمام قبل استشهاد هذا الكتاب.

(الناشر)

حاضر العالم الإسلامي

الجزء الأول

الشريعة

ترجمة عربية لمذهب ماركس في حالة التطبيق، لأنه يزعم أن مذهبه ينتهي إلى إباحة كل شيء على الشيرع أو بالشاع. ولكن أصحاب المذهب جميعاً يسمونه بالمادية التاريخية أو المادية الديالكتيكية (الثنائية الحوارية)^(١).

أتوال ماركس ولينين وستالين

قال ماركس: (الدين أفيون الشعوب) (إن الله لم يخلق الجنس البشري بل الإنسان هو الذي خلق الله).

قال لينين: (الدين خرافة وجهل).

قال ستالين: نحن ملحدون، ونحن نؤمن بأن فكرة (الله) خرافة.

جاء في مجلة (الشباب السوفياتي) ١٨ تشرين الأول سنة ١٩٧٤ (نحن لا نستطيع إلا أن نتشر الدعوة ضد الدين، ومن واجب الشباب تحرير عقولهم من خرافة الدين).

تقول اليرافدا سنة ١٩٤٩: نحن نؤمن بثلاثة: ماركس، ولينين، وستالين، ولا نؤمن بثلاثة: الله، الدين، الملكية الخاصة.

قال ستالين سنة ١٩٢٨ (يجب أن تقوم التربية في المدارس على أساس إنكار الله).

وسنة ١٩٣٧ قال ستالين (يجب أن يكون مفهوماً أن الدين خرافة، وأن فكرة الله خرافة، وأن الإلحاد مذهبنا)^(٢).

ماركس

ولد ماركس سنة ١٨١٨ ومات سنة ١٨٨٣ من أب يهودي اسمه هرشل تنصر وغير اسمه إلى هنريخ، في سنة ١٨٦٧ وضع كتابه رأس المال بصورته النهائية.

لم يكن ماركس ملحداً في شبابه فقد قال (إن خير الناس وأجدرهم بالتكريم من يعمل لخير الناس، والدين أساس الحياة الانسانية، وهو نفسه يلقننا الخير والحكمة).

كانت زوجته - جيني - تصف فقرهم بأنهم لم يجبوا كفناً لابنتهم، وطردوا من المنزل لأنه ليس معهم أجرته.

البارون هيرش هو الذي أنشأ الفرق العسكرية اليهودية وموّل المستعمرات في فلسطين، وفتح فرعاً لشركته في أمريكا، وتولاها يعقوب شيف، وهذا وضع خطط الثورة الشيوعية وغذاها بالمال والسلاح.

مبلّوه: من لا يعمل لا يأكل. مع أنه لو أكل من عمله لما عاش سنة واحدة.

من خطاب أبيه: (ماذا تظن... كائنات مصنوعة من الذهب)، (لسوء حظك، أراك تؤيد بسلوكك رأيي الذي كونهت عنك. وهو أنك - على ما فيك من خصال حسنة - أناني تغلب الأنانية على جميع صفاتك).

مات أبوه وخلف ثمانية أبناء، وبدل أن يعيلهم بقي ماركس عالة على أمه وإخوته. وكتبت أمه له (أنه لا ينتظر بداهة أن تعيش طفلياً إلى الأبد).

كان لماركس صديق اسمه (روتبيرج) مسؤول عن صحيفة (رنيش جازيت) اشتراكية متطرفة، وأشار ماركس بإخراج روتبيرج، وتولى ماركس مكانه وترك الاشتراكية، فأغلقت الصحيفة بعد شهر، فهاجر ألمانيا إلى باريس وتولى الصحافة، ثم أغلقت فصار يعيش على معونة بعض أصحابه في هولندا.

(٢) فتاوى من الشريعة/ عبد العظيم مسرور

(١) من كتاب الشريعة ولادة الصهيونية لأحمد المسار ص ٥٠ فما بعدها. أفيون الشعوب/ العقاد ٧٣.

اتفق ماركس مع لسكي لإخراج كتاب اقتصادي سياسي وأخذ (١٥٠٠) فرنك، وبقي ١٤ سنة ولم يخرج عنه، وفي سنة ١٨٥٨م اتفق مع الهردنكر على تأليف كتاب ولم يفعل شيئاً سنة ١٨٤٤م. ومن لندن كان ماركس قد اتفق مع (نيويورك تريبيون) على مقال أسبوعي أو مقالين مقابل عشرين شلناً فكان يعتمد على انجلز لاتمامها^(١).

ويعتبر كتاب (رأس المال) انجيل الشيوعية، فالفه ماركس وهو يعيش على أموال انجلز، وبقي ناقصاً إلى الآن. وكان (ياكوتين) أستاذاً لماركس، ومع ذلك شهر به ماركس و قال : إنه تعاقد مع ناشر في روسيا لترجمة كتاب ولم يف بعمله وطلب فصله وفصل. كتب انجلز إلى ماركس (إنك جامد العاطفة ، أناني ، ناقص المروءة والشعور).

لينين

ولد لينين في العاشر من إبريل سنة ١٨٧٠ من أب يهودي ألماني (ايلكوسرول جولمان) وأم ألمانية يهودية اسمها صوفيا جولمان وسمي حيام جولمان يوم ختته حسب تقاليد اليهود. زوجته: تروبسكايا يهودية. موته : مات لينين يوم (٢١) كانون الثاني سنة ١٩٢٤ . جاء في صحيفة فرنسا القديمة سنة ١٩٢٠ (بوسعنا أن نقول بلا مغالاة أن اليهود هم الذين دبروا وأخرجوا إلى الوجود الثورة العالية الكبرى في روسيا). وهناك نداء نشرته فرنسا القديمة :

(أيها اليهود ، لقد قربت ساعة انتصارنا التام، ونحن الآن في عشية يوم تسلمنا فيه قيادة العالم، والروس بالأمس كانوا سادتنا واليوم انقلبوا عبيدنا ، انزعوا من قلوبكم كل ذرة من الشفقة على أعدائنا ، وأوجدوا البغض بين العمال وبقيّة الشعب). الكوميسارية (المجلس المركزي) في عهد لينين: سنة ١٩٢٠ ٣٢٢ يهودياً من أصل ٤٥٧ . ١٩٢١ ٤٤٨ يهودياً من أصل ٥٥٠ . ١٩٢٢ ٤٤٥ يهودياً من أصل ٥٢٥^(١).

ستالين

ستالين (أي الرجل الحديدي) : اسمه يوسف فيسار يونوفيتش، ليس يهودياً ولكن زوجته الحسنة اللعوب (روزا كاجانوفتش) يهودية وكانت عشيقته له.

ابنة ستالين (سفتلانا) تزوجت الصهيوني ميخائيل بن لازار كاجانوفتش.

الثلاثة الذين يحكمون روسيا زمن ستالين هم :

١- ستالين وزوجته روزا (يهودية) .

٢- مولوتوف وزوجته (يهودية) وهي شقيقة الرأسعالي الأمريكي سام كارب.

(١) فتاوى عن الشيوعية/ عبد العليم محمود

٣- الثالث هو ستيف روزا وهو لازار كاجانوفتش وهو يهودي منعصب وتزوج ابنة ستالين ، وكان مسيحي. على ستالين ومولوتوف ، وحكمت أسرة كاجانوفتش (أولاد لازار وأخوته) الاتحاد السوفياتي من سنة ١٩٢٤ إلى سنة ١٩٥٢ حيث مات ستالين. قالت انكاثية السوفياتية (نينا اليكسيفا سنة ١٩٦٥م):

(عدد اليهود في الاتحاد السوفياتي لا يزيد عن ١٪ ، ولكنهم يمثلون ٦٠٪ من هيئة التدريس، / ٨٠٪ من مسؤولية التوجيه العقائدي في الحزب والسياسة الخارجية. وهناك نسبة أعلى من ذلك بكثير في السواثر السوفياتية المعنية بروابط الصداقة مع الدول الاشتراكية الأخرى.

إن نائب رئيس الوزراء ورئيس المجلس الاقتصادي في السوفيات هو بنيامين ديمشيتز ويحصل وسام بطل الإتحاد السوفياتي الذي يحمله عبد الناصر وأبن بلة).

أرسلت روسيا الدكتور لاندو (النزي) للتدريس في معهد وايزمان والمشاركة في صنع القنبلة الذرية في إسرائيل.

نشرت اللوموند الفرنسية في (٢٠) إبريل سنة ١٩٧١م:

(إن القيادة الاستراتيجية للقوات المسلحة السوفياتية في أيدي اليهود) .

الثورات الشيوعية يهودية

١ - المجر هنغاريا : بيلا كون (هارون كوهين) الانقلاب سنة ١٩١٩م وقام الشعب المجري، وهرب بيلكون بعد فترة طويلة من الحكم بعد أن كان يجمع الفتيات الجميلات في الشوارع العامة عاريات ويفحش بهن ثم يقتلن ويرميهن في الدانوب.

وفي سنة ١٩٤٥ وقعت المجر مرة ثانية في يد الشيوعيين وحكمها (راكوزي) صديق ستالين.

٢ - تيتو : تلميذ اليهودي موسى بيجاره.

٣ - رومانيا : اليهودية الرعناء: أنا يوكر وأبوها الجزار ، وأخوها في إسرائيل.

٤ - شيكوسلوفاكيا : اليهودي رودلف سلانسكي^(١).

الشيوعية في العالم العربي^(٢)

سنة ١٩٢١م وصل إلى الإسكندرية روسي يدعى (جوزيف روزينرج) تصحبه ابنته (شارلوت)، وبدأ يروجان للشيوعية، قوقعت رسالة من موسكو إليها في يد الشرطة.

سنة ١٩٢٧ أوفدت موسكو اثنين وعزتهما بثالث الخراجة فاسيليف، انتدبت موسكو (هنري كوريل) اليهودي وأمدته بأموال طائلة ويكون (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني حدث) وأسس بنك كوريل.

منظمة اسكرا : (الشرارة أو الشعلة) ورئيسها ايلي شوارنز يهودي، ثم غير الاسم إلى (نحر حزب شيوعي مصري نحشم).

منظمة الفجر الجديد : أسسها اليهوديان (يوسف درويش وريمون دويك) ثم أصبح اسمها (د. ش ديمقراطية شعبية).

المنظمة الشيوعية المصرية (م. ش. م) وأسسها اليهوديان أوديت وزوجها سلمون سيدني.

العراق: اليهود ساسون دلال ، ناجي شميل ، وصديق يهودا ، ويوسف حزقيل، وكان قدرتي قلعجي شيعياً مخلصاً ثم رجع إلى رشده وكتب كتاباً سماه (تجربة عربي في الحزب الشيوعي).

يقول قلعجي ص ٢١ - ٢٢ (يروي الأستاذ بدر شاكر السياب - بالإضافة إلى ما رواه من فضائح أخلاقية لا نريد الوقوف عندها- كيف كان يعمل مع رفاقه الشيوعيين العراقيين لنشر الشيوعية فيقول (رحمنا نضرب على كل وتر تخرج نغمته موافقة لما نريد

(٢) الشيوعية ولادة الصهيونية ص ٨٦.

(١) الشيوعية ولادة الصهيونية ص ٨٥.

، بثتنا بين الطلاب الاكراد أن القوميين يكرهون الاكراد وقوميتهم ، بينما نعتبرهم نحن إخوانا لنا، وأخذنا نسب القومية العربية أمامهم ، بل رحنا ننتقص من العرب ونزعم أن التاريخ العربي ما هو إلا مجموعة من المذابح والمجازر، وزعمناهم العظام ما هم إلا إقطاعيون جلايلون إلى غير ذلك. ومردنا على إخواننا اليهود وهم مع الشيوعيين دون حاجة إلى دعوة، واستغللنا بعض الرفيقات للتأثير على قسم من الطلاب (١) .

ويذكر قلججي في كتابه ص ١٩ (إن الشيوعية لم تدخل البلاد العربية كحركة وطنية ... وكان أولهم يهودي بولوني يدعى جوزيف برجر أطلق عليه لقب عين موسكو ثم تلاه عين موسكو، الثاني وهو يهودي ليتواني يدعى (الياهوييتز) ، وهناك عين موسكو الثالث وهو روسي من يهود أوديسا (تخمان ليتفنسكي)، وجميع هؤلاء اليهود جاؤا إلى بيروت عن طريق حيفا وعملوا على تأسيس الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان على أن يكون تابعاً للحزب الشيوعي اليهودي في فلسطين. ويعد التبعية للحزب الشيوعي اليهودي كانت التبعية للحزب الشيوعي الفرنسي (٢)

قال الشيوعيون العرب في فلسطين (إن جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود هو الطريق الوحيد والوسيلة الناضجة لبشفة العالم العربي).

الشيوعيون وفلسطين

اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٧م قراراً بالتقسيم، ثم حول الى مجلس الأمن لينفذ القرار أرادت أمريكا أن تتخذ موقفاً معتدلاً لا غلو فيه للصهيونية، فأعلن أوستن عن خطورة التقسيم، واقترح أن تكون فلسطين تحت وصاية دولية (ذلك لأن أمريكا خشيت على مصالحها البترولية) غضب غروميكو وقال في مجلس الأمن يوم ١٩ مارس سنة ١٩٤٨م: ليس من حق مجلس الأمن تبديل قرار الأمم المتحدة. وهاجم أمريكا، وقال نحمل أمريكا نتائج إيقاف التقسيم، وأمريكا حريصة على البترول وعلى استراتيجية الشرق الأوسط. وقال جروميكو في ١٦ ابريل سنة ١٩٤٨م (من الضروري انسحاب العصابات العربية المسلحة من فلسطين ، إن على الأمم المتحدة أن تنزل بالعرب العقوبة الرادعة التي تعيد إليها رشدها ، إن من حق اليهود أن يجنوا معاملة خاصة ورعاية كذلك). تشيكوسلواكيا : (إن وجود دولة يهودية في فلسطين سيساعد على تطور الحركات والنظم الديمقراطية في الشرق). يوغسلافيا : (إن سبب الخلاف بين العرب واليهود أن العرب يفتقرون إلى النظم الديمقراطية الاشتراكية التي يعلم عنها اليهود الشيء الكثير ويمارسونها ويطبّقونها وسيستفيد العرب منهم. إن قرار التقسيم لا يعطي اليهود كل حقهم، وعلى العرب أن يقدروا تضحية اليهود بقبول التقسيم). مندوب بولونيا : (هناك مصالح كثيرة مشتركة بين العرب واليهود في النضال ضد الاستعمار على أساس المبادئ الاشتراكية). وفي ٧ يوليو سنة ١٩٤٨ كان رئيس مجلس الأمن من نصيب أوكرانيا السوفياتية(٣) وكان موضوع البحث قضية فلسطين ، وكم كانت دهشة الأعضاء عند ما نادى مندوب الوكالة اليهودية باسم مندوب حكومة إسرائيل ، فأعطاه صفة الاعتراف الرسمي بدولتهم. الكونت برنادوت : قال عنه جروميكو (إن برنادوت عميل بريطاني وعدو للحق اليهودي في فلسطين وأنه متحيز للعرب). يقول بريتون في كتابه (الصهيونية والشيوعية) : (وأما الحقيقة الراهنة فهي أن الشيوعية والصهيونية صنوان منبعضهما واحد ، وغايتهما واحدة ، وجوهرهما واحد ، والفئة التي تقوم عليهما من وراء الستار واحدة).

منظمات اليهود :

منظمة الأرغون ليوحي مؤلفة من قياداتها وأعضائها من اليهود الروس.

جيش إسرائيل سنة (١٩٤٨) (١٩٤٦) ، سنة (١٩٦٧) ، من اليهود الذين كانوا في جيش الاتحاد السوفياتي والمسكر.

(٢) أفين الشعب ٢٢-٢٧

(٢.١) الشيوعية وبداية الصهيونية ص ٩١ .

في ٢٢ يونيو سنة ١٩٦٤ صرح الملقق العسكري السوفياتي في باريس لمراسل معاريف الإسرائيلية:

(نحن نشارك العرب في كفاحهم الاستعماري والرجعية العربية ، وما نقدمه لجمهورية العربية المتحدة إنما هو لأغراض دفاعية . ولا يمكن أن نسمح باستعماله ضد إسرائيل ، فلا تقلقوا من السياسة السوفياتية في المنطقة العربية، فهذه السياسة متممة بر ضرورة لسلامة إسرائيل.

إطمئنوا وثقوا أن الاتحاد السوفياتي مع إسرائيل وسيؤيدها اليوم وغدا كما أيدها وزعاهما بالأمس ، وكونوا على ثقة من أننا نرعى الاشتراكية العربية لأن في ذلك تعزيزاً لمصلحة إسرائيل مثمناً هو تعزيز لمصلحتنا نحن السوفيات).

دعم الشيوعية لليهود

ما كان قرار التقسيم لينفذ لولا تصليب السوفيات... احتلت إسرائيل أراضي جديدة غير ما ورد في التقسيم فسمته روسيا حق الفتح.

وكان قرار التقسيم يعطي إسرائيل ١٤٢٠٠ كم^٢ ، ولكنها استولت على مساحة تقرب من نصف هذه المساحة في النقب والجليل، فباركت روسيا العمل.

في فترة الهدنة التي كادت إسرائيل أن تمضي لولا أن أمدتها روسيا بالسلاح في طائراتها مع جيش منظم وكذلك بالسفن الرومانية واليوغسلافية، وجعلت من تشيكو سلوفاكيا قاعدة لتموين إسرائيل بالسلاح والرجال.

أمريكا تدخل الحرب لحماية الشيوعية

حاولت بريطانيا جر أمريكا للحرب فرفضت، ولكن عندما اجتاحت هتلر روسيا دخلت أمريكا لإنتقاذها بدفع من اليهود الذين أقاموا روسيا.

روزفلت يهودي منحدر من أسرة يهودية هجرت أسبانيا اسمها روزنبرغ، ثم حُرقت إلى روزفلت، وجده كنتون روزفلت أحد لجنة ثلاثية جمعت الأموال لتزويد ماركس وإنجلز لأخراج البيان الشيوعي.

قدم اليهود لروزفلت ميدالية ذهبية كوسام مكتوب عليها (الرغامية والحكمة لفرنكلين روزفلت نبينا الجديد الذي سيعيدنا إلى أرض الميعاد)^(١).

الفلسطينيون واللقاء مع اليهود

اللقاء الأول اليهودي الفلسطيني كان عام ١٩٧٣ من شهر أيار بمناسبة اللقاء الذي حصل في مدينة بولونيا شمال إيطاليا والذي حضر فيه الفلسطينيون بصورة غير رسمية، وكان اللقاء مخصصاً للبحث في مشكلة السلام في الشرق الأوسط والذي حضره اليهود والعرب.

مسؤول منظمة التحرير (وهو نفسه الذي رافق عرفات في جولته في أوروبا (فيينا وميدريد) للحوار العربي الأوربي قال أيضاً (منظمة التحرير الفلسطينية تمد يدها لليهود الاسرائيليين للعيش معاً في سلام ٠٠٠ وحال تكوين الدولة الفلسطينية جميع المشاكل مع اسرائيل سوف تحل بصورة سلمية.

وعندما نقول : أننا مستعدون لبناء دولتنا على أي قطعة من فلسطين يتم تحريرها ، أن نعلم جيداً أن الجزء الآخر من فلسطين ليس فارغاً (يعني الشعب اليهودي المجاور)^(٢).

(١) الشيوعية وأبداً الصهيونية ١٩٦١.

(٢) جريدة ايطالية لعل إسمها ريتا سانا عدد ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٧٩.

الحزب الشيوعي الأردني

بدأ الشباب الفلسطيني يدخلون في الحزب الشيوعي اليهودي.

سنة ١٩٢٧ تأسست أول حركة علنية للحزب الشيوعي الفلسطيني وراء ستار نقابة عمال في حيفا سكرتيرها أميل توما، وفي الناصرة نقابة سكرتيرها أميل حبيبي. وفي يافا سكرتيرها : فؤاد نصار، وكلها متفرعة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني وأكثره من اليهود.

سنة ١٩٢٩ أنشأ الشيوعيون (عصبة التحرر الوطني) سكرتيرها (بن فسكي) ومساعدته توفيق طويي، مطالبها جلاء بريطانيا وتشكيل حكومة مشتركة من اليهود والعرب، في حرب سنة ١٩٤٨ تحول أعضاء (عصبة التحرر الوطني) إلى قادة عصابات مسلحة فانسحب بعض الفلسطينيين العرب ، ولكن وقف الشيوعيون المتحمسون من الفلسطينيين يدافعون عن اليهود أمام هجمات العرب مثل (ابراهيم بكر وفؤاد نصار).

بعد النكبة سنة ١٩٤٨ صار الحزب الشيوعي يشرف على بقية فلسطين غير المحتلة^(١) ، وكان في رئاسة الحزب (أميل توما) و(توفيق طويي وأميل حبيبي: عضوا الكنيست اليوم)، وكانت الصلة بين الشيوعيين في قسمني فلسطين عن طريق (ضابط اسرائيلي شيوعي في الهندنة ، وسكرتير صحفي شيوعي فيها)، وكانت نشرات الحزب الشيوعي يكتب في أسفلها بالعبرية (طبعت بمطابع الحزب الشيوعي الفلسطيني).

سنة ١٩٥٠ ضمت الضفة الغربية إلى الأردن واعتقل طلعت حرب وهو يوزع منشورات الشيوعية التي أحضرها من اسرائيل. سنة ١٩٥١ عثرت قوات الأمن في عمان على مطبعة الشيوعيين وهي مسجلة بأرقام وكتابات عبرية واعتقل فؤاد نصار. سنة ١٩٥٢ صدر الأمر بفصل الحزب الشيوعي الأردني عن الحزب الفلسطيني، وكان فائق وراة في المنطقة المحتلة فخرج ليكون من القادة.

(كتبت وثيقة القاعدة السرية التي تصدر عن اللجنة المركزية بقولها : خصصت اللجنة العليا للأحزاب الشيوعية في موسكو مبلغ مليون روبل للحزبين الشيوعيين في العراق والأردن).

في ٢٢ تشرين الأول سنة ١٩٥٤ خرجت نتيجة الانتخابات بسقوط الشيوعيين عدا (عبدالقادر الصالح). في نهاية سنة ١٩٥٥ جاء عبكر من أجل حلف بغداد، وقامت مظاهرات سقطت على أثرها حكومة مزاع المجالي وحل مجلس النواب.

محاضرة فؤاد نصار الأولى في الجفر :

(إننا نعلم ويعلم الجميع بأن اسرائيل هي أمر واقع، ومولة لها كيائها السياسي والاقتصادي والعسكري ، وأن اليهود شعب كباقي الشعوب له حق الحياة، وأنا أعترف باليهود ككولة لأن الشمس لا تغطي بغربال).

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأردني :

السكرتير العام : فؤاد نصار.

أمين الصندوق : رشدي شاهين.

رئيس قسم المتقنين : عيسى مدانات.

العميد الثقافي : فهمي السلفيتي.

رئيس قسم العمال : فايز الروسان.

رئيس قسم التنفيذ : داود ترجمان.

رئيس قسم المطبوعات : فائق زياد.

أمين السر : عبدالعزيز العطي.

(١) فلسطين ضمت في هذه الفترة (١٩٤٨م) إلى قسمين قسم مع اليهود وقسم مع العرب.

الشيوعيون في فرنسا

عن مجلة لويون الفرنسية عدد ٢٥٠ شهر ٧ / ١٩٧٧م.

بدأت ضجة ضد الشيوعية منذ أحداث شهر أيار سنة ١٩٦٨ ، وبدأ الماركسيون وغيرهم يكتبون ضد ماركس، وبدأ التمرد ضده ويلتقون على:

١ - التمرد على ماركس أولاً ، إذ لم يعد ذلك الصنم الثابت كما كان من قبل.

٢ - البحث عن معنى للحياة ، عن علة عميقة ، عن دستور أخلاق يعلو فوق السياسة، ومن أشهر الكتاب:

أ- ليفي صاحب كتاب (البربرية في وجهها الانساني).

ب - بينو صاحب كتاب (مات ماركس).

الصوفيات: نشرت (لويون الفرنسية العدد ٢١٨ تاريخ ٢٢/١٠/٧٨ حديثاً صحفياً مع هيلين كارير دنكوس التي أصدرت كتاباً عن الاتحاد السوفياتي اسمه (الامبراطورية المتفجرة).

أمام السوفيات :

١ - مشكلة الجنسيات.

٢- مشكلة الاحصائيات.

يمثل المسلمون اليوم - ٢٪ من السكان ثم بعد فترة يصبح ٤٠٪ أي سنة ٢٠٠٠م يصبح عدد المسلمين (٩٠) مليوناً.

لقد صمدت المعتقدات والقوميات نتيجة عزيمة جماعية للحفاظ على المميزات الخاصة واللغة الأم.

إن الشعوب الاسلامية كلها متجمعة جنوب أوروبا، وهي متداخلة في بعضها من شواطئ البحر الأسود إلى جبال هملايا وإلى الحدود الهندية، متصلة شاسعة تربطها روابط اللغة والثقافة مع تركيا وإيران، وهذا ما يفسر حذر الكرملين الشديد تجاه أحداث إيران.

سنة ١٩٢٠م عدل لينين عن أحداث إيران خشية على المسلمين السوفيات أن يتحازوا إليهم، ولم يساند الثورة الشيوعية في تركيا سنة ١٩٢٠ خوفاً ، بل أيد مصطفى كمال الذي قضى على الشيوعيين.

سنة ١٩٤٦ لم يؤيد ستالين الثورتين شمال إيران حتى لا يوجد عالم شيوعي إسلامي يخرج من تحت سيطرته.

مشكلة الجيش والمجندين ، مشكلة كازاكستان ذات الثروة الضخمة التي يفوق فيها عدد الروس النازحين على عدد السكان المسلمين الأصليين الذين يكرهون الروس.

القرقاز : أهلها أشداء يحترقون الروس ويجتمعون في المسجد ويشكلون خطراً.

جورجيا : قارمت عملية الترويس، فأرادت موسكو فرض اللغة الروسية فخرجت مظاهرات.

أوكرانيا : لقد وقفت مع هتلر، ولولا عنف هتلر لاتحازوا إليه.

في الصين/ عن المعرفة التونسية العدد ٣ سنة (٥)

(الرفيق ماو بشر وليس عبقرياً)

(بكتاتوري فاشي أيديولوجيا، مطالبة محاكمة الثورة الثقافية ، وإعادة الاعتبار لضحاياها، مع إعدام القادة القدماء للحرس الأحمر)^(١).

نشرت أربع صحف تشيكوسلوفاكية في عهد السكرتير (دوبشك) بياناً من ألفي كلمة للنقاد والديمقراطيين حددوا فيه الحزب الشيوعي على النحو الآتي:

(١) مجلة المانية عدد ٢٩ الصادر ١٥ يولية سنة ١٩٦٨ من كتاب محمد البهي نهافت العثمانية.

هو منظمة السلطة لها قوة جنب كبيرة تشد إليها:

أ- الانانيين ذوي الرغبة في الحكم.

ب- الجبناء الذين لا يعرف لجبنهم حد.

ج- وأصحاب الضمائر السيئة.

كما أوردت صحيفة الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي استفتاء قرائها عن إلغاء احتكار الحزب الشيوعي للسلطة، فخرج تسعة أعشار يحبون الإلغاء.

الإله المادي وثن ، والإيمان المادي نفاق، ورفق العترة بهذا الإيمان المادي انتهازية.

القانون في العدالة الاجتماعية عنهم (من كل بالنسبة لقدرته ، إلى كل بالنسبة لحاجته)

أعلن سكرتير الحزب الشيوعي الروماني في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٦٦ اجتماع اللجنة المركزية .

اللات الرومانية الطن = ٤٢٠ جنيها

اللات البلغارية الطن = ٥٠٠ جنيها

لفرنسا الطن = ٩٦٨ جنيها

سويسرا الطن = ١٧٢٤ جنيها

انتاج العامل الروماني أقل بمقدار النصف أو الثلاثة أضعاف عن العامل الايطالي والفرنسي وألمانيا الغربية.

إن ١٣٧٠ سلعة من الانتاج أسفرت عن خسارة في العام الماضي ما يقرب من ٢٤٠ مليون جنيه استرليني.

المجز سنة ١٩٦٧ في الميزانية الرومانية ٢١٥ مليون جنيه استرليني.

المسلمون في الاتحاد السوفياتي

عددهم: ٤٥-٥٠ مليون تقدر الاحصائيات أنهم سيصلون إلى مائة مليون آخر هذا القرن:

بينما الروس سيقون ١٥٠ مليوناً.

ومن خلال (مجلة الأديان في البلاد الشيوعية سنة ١٩٧٤م):

أن ٤٦٪ من القوقازيين والداغستانيين موحدون.

٦٢٪ من الشيشان موحدون^(١).

الشيوعية والمسلمون تحت حكمهم

(أ) الإبادة الجماعية في تركستان:

١- قتل الشيوعيون في تركستان وحدها سنة ١٩٣٤م مائة ألف مسلم.

٢- أعدم ونفي إلى سيبيريا سنة ١٩٣٧م - ١٩٣٩م نصف مليون مسلم.

٣- نفي من التركستان سنة ١٩٣٤م ثلاثمائة ألف مسلم.

٤- قتلوا سنة ١٩٥٠م سبعة آلاف مسلم.

(١) الاسراء الأرمينية ربيع الثاني سنة ١٣٩٩هـ

- ٥- حرب من تركستان سنة ١٩١٩م مليونان ونصف مليون مسلم.
- ٦- حرب أفغان قتل منهما ألف ومائتان سنة ١٩٤٩م .
- ٧- حرب من تركستان إلى الشرق سنة ١٩٥٠م عشرون ألفاً.
- ٨- مات جوعاً من تركستان بين سنة ١٩٣٢م - ١٩٣٤م ثلاثة ملايين مسلم بسبب أخذ الحاصل وقدمت إلى الصينيين.
- ٩- اعتقل من تركستان سنة ١٩٥١م (١٣, ٥٦٥) مسلماً.
- (ب) برغسلانها : بعد الحرب العالمية أبادوا (٢٤) ألفاً.
- (ج) في القرم :
- ١- أبادوا سنة ١٩٢١م مائة ألف وسبعمائة وخمسين ألفاً في عهد بيلاكوف المجري.
- سنة ١٩٢١م هجروا شعبي الشيشان والقرم إلى سيبيريا.
- ومن مجلة البلاغ الكويتية العدد ٤٧٨ / نوفمبر سنة ١٩٧٨م ما يلي:
- القرم زمن كاترينا الثانية : ضمت إلى روسيا وكان عدد سكانها (٥) ملايين، وما زالت تفتصب أرضها وتهجر أهلها حتى أصبح أهلها (٤٠٠ ألف)، وكان عدد مساجدها ١٥٥٤ مسجداً فأصبح سنة ١٩١٤م (٧٠٠) مسجد، وبقيت القرم تجاهد حتى نالت استقلالها سنة ١٩١٧م، ثم جاء العهد البلشفي فاحتلها الشيوعيون سنة ١٩٢٠م. وبقيت المساجد مغلقة، وجاهد أهل القرم، وشن عليهم حرب التجويع حتى أكلوا أولادهم.
- نشرت الأذستيا سنة ١٩٢٢م تقريراً للرفيق لينين عن مجاعة القرم في عهدها الصادر يوم ١٠ يوليو سنة ١٩٢٢م جاء فيه:
- بلغ عدد الذين أصابتهم محنة الجوع في يناير (٢٠٢٠٩٠) مات منهم ١٤, ٤١٣.
- وارتفع عددهم في مارس (٣٧٩٠٠٠) مات منهم ١٢, ٧٥٤.
- وارتفع عددهم في يونيو (٢٩٢٠٦٣) وتوقف عن ذكر الموتى.
- وفي سنة ١٩٤٦م رحل جميع شعب القرم.
- ومؤتمر يالطة سنة ١٩٤٥م بعد الحرب كان فيه (روزفلت ، ستالين ، تشرشل) وهم مع يهود قلباً وقالباً.
- وأصرت أمريكا أن تدخل روسيا ألمانيا الشرقية.
- أما ترومان : (الرجل الصادق) فهو يهودي، واسمه اسم اليهود، وكان شريكاً لليهودي، وأحب أسفار التوراة إليه سفر الخروج (كتاب الخلاص).

الشيوعيون والمساجد والعلماء (١)

- التعليم الديني ممنوع باتاً في السوفييات ، ولكن وجود مدارس دينية محضة لتخريج علماء أمر جائز نظرياً، ومنذ سنة ١٩٤٥م لم يسمح إلا بإعادة فتح مدرسة واحدة في بخارى هي (ميري عرب).
- المساجد : كان عدد المساجد في روسيا وحدها (عدا مساجد بخارى وخيرة الكثيرة جداً) سنة ١٩١٣م ٢٦, ٢٧٩ مسجداً.
- وفي الصحيفة الرسمية السوفياتية: (Soviet War News)
- ٦ أيار سنة ١٩٤٢ عدد المساجد المفتوحة الأبواب للمصلين = ١٣١٢ مسجداً.
- وفي سنة ١٩٦٤ صدرت نشرة عن طشقند بالفرنسية أنه يوجد في كل آسيا الوسطى بما فيها قزاقستان = ٢٥٠ مسجداً.
- العلماء : كان عددهم سنة ١٩١٧ (فيما عدا بخارى وخيره) لا يقل عن ٤٥, ٣٣٩.
- وفي سنة ١٩٥٥ عددهم ٨-٥٢ (إذ أن معظمهم سحق في الثلاثينات).

(١) انظر المسلمين في الاتحاد السوفياتي (شانتال كلجي. الكسندر بنيفش اللارسيان) ص ٢٦٧ لما بسغا.

الدعاية ضد الاسلام:

أنشأ السوفييات بعد الحرب جمعية (نشر المعلومات السياسية) معظم عملها في محاربة الاسلام، ففي الفرع القازاقي نظمت الجمعية بين سنة (١٩٤٦-١٩٤٨) ٢٠,٥٢٨ محاضرة منها (٢٢٠٠٠) ضد الاسلام .

وفي أوزبكستان سنة ١٩٥١ أكثر من (١٠) آلاف محاضرة ضد الاسلام.

وفي تركمانستان سنة ١٩٦٢ أكثر من (٥) آلاف محاضرة ضد الاسلام.

الكتب : طبعت من الكتب بين سنة ١٩٥٥-١٩٥٧ (٨٤) كتاباً طبعت منها ٨٠٠ ألف نسخة كلها ضد الاسلام.

وطبعت من الكتب بين سنة ١٩٦٢-١٩٦٤ (٢١٩) كتاباً ونشرة موجهة ضد الاسلام والمسلمين ووزعت في المناطق الاسلامية.

نقد النظرية الماركسية^(١)

أخذ ماركس نظريته من:

١- منطق هيجل (ديالكتيك هيجل: النقيض).

٢- كتب في المادية التاريخية (HOLBACH هولباخ ، سبينوزا) قبل قرن من ماركس.

٣- صراع الطبقات : سان سيمون.

٤- حتمية حدوث الأزمات الاقتصادية بانتظام : سيسموندي.

٥- دكتاتورية البروليتاريا: بابوسيف وفايتلنج WEITLING .

٦- نظرية القيمة المبنية على العمل : لوك ، آدم سميث.

٧- نظرية الاستغلال وقيمة الفائض : فوريه ، بري ، توميسون.

٨- حركات مزدك ويايك الخرمي والقرامطة.

يقول ماركس : إن عملية التفكير عند هيجل هي خالقة العالم الخارجي.

وأما أنا فأقول : إن الفكرة ما هي إلا العالم المادي بعد أن يعكسه ذهن الإنسان ويصوغه في شكل أفكار.

ويقول ماركس : إن أسلوب الانتاج في الحياة المادية يعين الصفة العامة للعمليات الاجتماعية والسياسية والروحية في الحياة ، (إن الناس غير أحرار في اختيار قواهم الانتاجية).

النتيجة

١- ظهر ماركس في عصر يقول : الانسان حيوان ناطق. والمادة هدف الحياة، وينظر العصر إلى الانسان كمشاعر وعواطف وضمير أنها قضايا ثانوية فكان فكر ماركس انعكاساً لعصره.

٢- إن عوامل الانتاج مثل خصب التربة ، خواص المعادن ، قوة البخار والكهرباء كانت موجودة فاكتشفها عقل الانسان.

٣- إذا كان أسلوب الانتاج هو العامل الحاسم في الفرد والجماعة، فيجب أن تتصرف الجماعات التي تواجه نفس المشكلة الاجتماعية بأسلوب واحد، وهذا خلاف الواقع ، فمثلاً تزايد السكان في اليونان : قامت كورنث باحتلال صقيلة ، وأما اسبارطة فاتبعت النظام العسكري واحتلت أراضى يونانية.

وأما أثينا : فتنظمت الانتاج ومنعت التصدير.

(١) من كتاب (التفسير الاسلامي للتاريخ / عنده النسخ خليل) ص ١٠ لمبعدها.

٤- يقول PROF ALEXENDER GRAY : (مناك شيء كثير غير العامل الاقتصادي ، فالإنسان لا يقصر حياته على أن يحبر على بطنه ، فهناك أشكال الحماس والولاء والإيحاء والإلهام التي تحفز الإنسان للعمل ، وكذلك تأثير الذهن على الذهن. وكيف تفسر مجيء محمد ودانتي وكلفن.

٥- إن فكرنا هو الذي يعلمنا أن نغير هذه البيئة المادية لكي تلائم أغراضنا المختلفة. إن المادة لا تقدر علينا وإنما وعينا، هو الذي يقدر استخدام الموارد المادية.

٦- يقول كارل فيدرن: إن قوى الإنتاج وظروف الإنتاج يؤثر دائماً بعضها على بعض، فاختراع أسلحة يؤثر في نتيجة الحرب، والحرب تؤدي إلى اختراع أسلحة، ولكن ليس السلاح هو سبب الحرب.

٧- يقول Prof . G. D. H. Cole : (إن الأساس الاقتصادي للمجتمع عامل واحد فقط من عوامل تصوير الشكل العام للحضارة ولو كان أهم عامل بدليل أننا نرى بولاً كثيرة بنفس المستوى الاقتصادي مع اختلاف الدين والحياة الاجتماعية ، والأسرة، والعادات ، والأخلاق.

٨- اعتمد ماركس وإنجلز على شواهد قديمة جداً أوردها موجان في دراساته عن قبائل الأركوي الألمانية الزراعية مما لا يمكن حتى مجرد إثباتها تاريخياً.

يقول كيونو (إن القبائل الرحل التي تعيش على الصيد تنظر إلى المرأة نظرة احتقار، ولكن لما تقدم الإنسان للزراعة ارتفعت مكانة المرأة واحترامها).

إن المرأة تحسنت حالها في ظل الحركات الدينية فقط، وأما كلام كيونو فهو مردود لأن المرأة كانت موضع احترام في الهند، بينما الرومان الزراعيون المتقدمون يعاملونها معاملة العبد قانوناً^(١).

١٢- إن قول ماركس - بأن الأخلاق انعكاس لآلة الإنتاج ، والمجتمعات تسجل تقدماً باستمرار لأن آلات الإنتاج تتقدم ، وبناء على هذا فإن الأخلاق في تقدم مستمر، وهذا خلاف الواقع تماماً^(٢).

١٣- يقول ماركس : إن أفكار واتجاهات عصر ما إنما هي نتاج مرحلة التطور الاقتصادي التي تم الوصول إليها ، وهذا يعني أن أفكار ماركس هي نتاج العصر الذي عاش فيه، وإذا فإنها لا تصلح إلا لنمط تلك الظروف.

وتعتبر أفكار ماركس بناء على هذا رجعية لأنها من مخلفات القرن التاسع عشر، وقد جد بعدها كثير من الأفكار.

١٤- يقول ماركس : إن انتشار الآلات سيزيد في بطالة العمال، ويزيد في جهل العمال ويزداد العمال فقراً وجهلاً يوماً بعد يوم. ولكن العكس هو الذي حدث ، فالبلدان الصناعية لا يوجد فيها بطالة، بل توجد فرص عمل أكثر من البلدان المتأخرة صناعياً.

وإن عدد العمال انخفض بينما زاد عدد الموظفين : ففي ألمانيا سنة ١٩٢٥ كان لديها موظفون نسبتهم في مجموع القوى العاملة ٢٥٪.

سنة ١٩٥٨ كان لديها موظفون نسبتهم في مجموع القوى العاملة ٢٨٪.

سنة ١٩٦٦ كان لديها موظفون نسبتهم في مجموع القوى العاملة ٤١٪.

وكل من يأخذ عملاً يجب أن يزيد في تثقيف نفسه.

١٥- يقول ماركس : إن تغير آلة الإنتاج تؤدي إلى تغير النظام، ولكن واقع الدول الغربية وأمريكا يخالف هذا ، وقارن بين برلين الغربية والشرقية.

١٦- لقد اعترفت الدولة على كره بحق الملك والتوريث ، واعترفت بالفوارق بين الأجور وأحوال المعيشة ، واعترفت بفصل الجنسين في معاهد التعليم، واعترفت بالأسرة ومواثيقها ، واعترفت بالوطنية وقوتها الفعالة في الدفاع عن الأمة^(٣).

(١) من كتاب (التفسير الإسلامي للتاريخ / عبد الله خليل) ص ١٠ فاجمعهما.

(٢) انظر كتاب الإنسان ذك المجهول لكارل.

(٣) آئينة الشريعة / العقاد ٧٧.

الماسونية

تاريخها : منهم من يرجعها إلى أيام اليونان ، ومنهم إلى عهد سليمان عليه السلام ، ومنهم من يرجعها إلى عهد الكهنة المصريين.

وقد ذكر أقطابهم أمثال جورجى زيدان وشاهين مكارموس وإيليا الحاج أنها ترجع إلى أيام الهيكل. ومنهم من يرجعها إلى أوائل عهد المسيحية.

فهناك صلة بينهم وبين حركات شريفة أخرى : مثل الكتاريين القباليين الذين مزجوا السحر مع التنجيم. ساندت البروتستانت ضد الكاثوليك.

في أوائل القرن ١٨ وجدت في الفلاسفة الملحدين أنصاراً مثل فولتير وروسو ودامار وفريدريك ملك بروسيا.

سنة ١٧١٧ أعاد اليهود تنظيم الماسونية وتعاليمها ورموزها وأسسوا في هذا العام (محفل بريطانيا الأعظم)، وأطلقوا على أنفسهم البنائين الأحرار بعد أن كان اسمهم (القوة المستوردة). ثم انتشرت المحافل في أوروبا في باريس سنة ١٧٣٢ .

وفي أمريكا ابتداء سنة ١٧٣٣ ، وفي سنة ١٩٠٧ كان عدد المحافل العظمى في أمريكا يزيد على خمسين محفلاً فيها أكثر من مليون أمريكي.

وفي بداية القرن العشرين كان عدد المحافل (٢٦٠٠) محفل في بريطانيا.

مفاسد الماسونية:

١- تخريب الأسرة.

٢- تشجيع الزواج المدني.

٣- احتقار الوطنية.

٤- إنشاء مدارس علمانية ابتداء من سنة ١٧١٧ ، وفي فرنسا استطاع مونتسكيو ولاشالوتي أن يهاجما سلطة الكنيسة على العلم، وأصدر (رولاند) رئيس برلمان باريس نظاماً للتعليم العلماني، وقامت الحرب بين الماسونية والكنيسة حول المدارس، واضطهدت جميعة المسيح، وحين جاء فرانكلين سفيراً إلى باريس وحد المحافل الفرنسية وتأسس محفل باريس سنة ١٧٨٠م.

وفي ألمانيا ناصر فرويل ويستلوزي وهزيج سياسة التعليم العلماني، وكذلك كروز زعيم الماسونية في ألمانيا وأسبانيا.

الماسونية واليهود

يقول تروكاس (في كتابه النمسا اليهودية) : يشكل التهديد اليهودي الماسوني مشكلة حياة أو موت بالنسبة لمصائر شعوب العالم أجمع.

يقول الحاخام إسحق وايز سنة ١٨٦٦ (الماسونية مؤسسة يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات الحُر فيها وهي إيضاحاتها، يهودية من البداية إلى النهاية).

وفي دائرة المعارف الماسونية الصادرة في فيلادلفا سنة ١٩٠٦ (يجب أن يكون كل محفل رمزاً لهيكل اليهود، وهو بالفعل كذلك ، وأن يكون كل أستاذ على كرسيه ممثلاً لملك اليهود ، وكل ماسوني تجسيدا للعامل اليهودي).

يقول يوسف الحاج في كتابه (في سبيل الحق ، هيكل سليمان) بيروت سنة ١٩٢٤ :

١- المحفل : الهيكل.

٢- النور : عمود النور الذي خرج مع موسى عليه السلام.

- ٣- السيف : الذي كان يحمله بنو إسرائيل دفاعاً عن القدس.
- ٤- النهاية الحرة : نفس هيكل سليمان.
- ٥- الأتوار السبعة : السبع سنوات مدة بناء الهيكل.
- ٦- الكوكب الساطع وكوكب الشرق الأعظم : الهيكل.
- ٧- قايح بن عابر : المنسوب إليه العبرانيون.
- ٨- زرد بابل : قائد الشعب الإسرائيلي عند عودته من بابل إلى أورشليم.
- ٩- أبناء الأرملة : نسبة إلى هيرام ملك صور وكان ابن أرملة.
- ١٠- بنوب الأستاذ الأعظم عن الملك اخويرش زوج الملكة أستير اليهودية التي ولد منها كوروش الذي أمر بإعادة اليهود.
- ١١- الأستاذ الأعظم : لقب هارامياح اليهودي الشهير.
- ١٢- الصود المثلث حوله الأفعى النحاسية : رمزاً للأفعى النحاسية التي نصبها موسى عليه الصلاة والسلام.
- ١٣- العمودان : عمود السحاب والنار.
- ١٤- بوعز : زوج راعوث صاحبة السفر في التوراة، وهو والد عوبيد وأبويسي أبي داود الذي يعتقد اليهود أن من نسله يولد المسيح المنتظر.
- ١٥- جاكين أو ياكين : آخر ملوك يهوذا الذي أسره بختنصر.
- ١٦- يهوفا أو جهرفا : يهوه إله اليهود.
- ١٧- جردا أو يهوذا : اسم أحد أسباط بني إسرائيل، ويرمز في يهوذا المكابي الذي حارب ملك سوريا وحفظ أورشليم والهيكل.
- ١٨- العلم الأزرق : شعار الماسونية والأمم المتحدة علمها كذلك بتخطيط يهود.

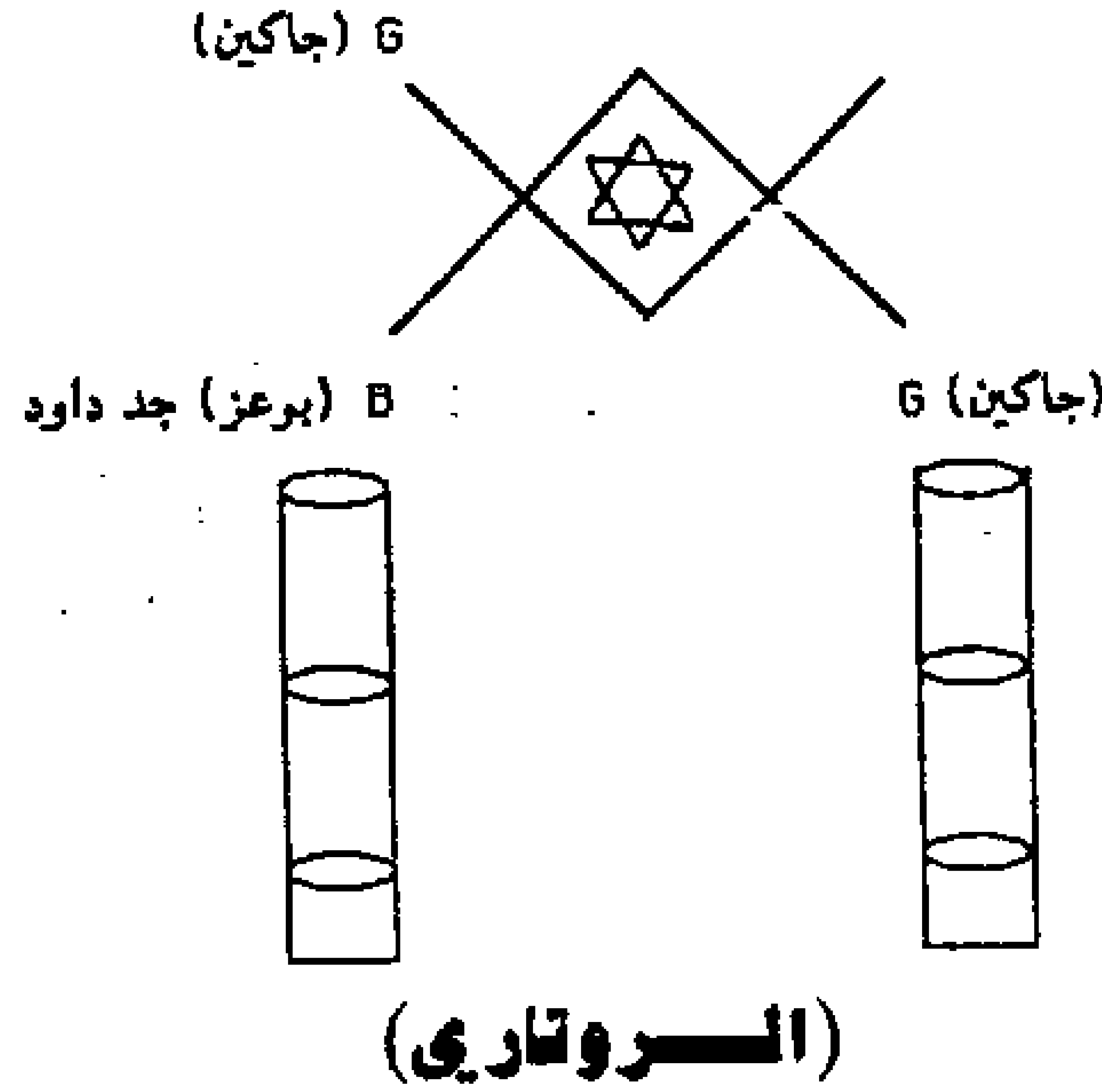
فروع الماسونية

- بني برث : تأسست في نيويورك سنة ١٨٤٢ واقتصرت على قبول اليهود ، تغلغلوا في أربعين جامعة وكلية أمريكية ، ساهمت في الحروب في القرنين (١٩) ، (٢٠).
- سنة ١٨٨٨ أنشأت محفلاً في فلسطين، وكان زعماء اليهود فيها مثل وايزمن، زعيمها كلوزنيك عينه أيزنهاور ممثلاً لأمريكا في الأمم المتحدة، قال دالس سنة ١٩٥٦ (حقل لجمعية بني برث): إن منية الغرب قامت على العقيدة اليهودية وعلى كامب ديفيد في خدمة الماسونية.

الماسونية والأخلاق

- جاء في مجلة القرات المسلحة ١٩٦٤/٥/١ (لوحه ٢ للماسونية: إذا كنت تتمسك بالقيم الانسانية فأخرج).
- وفي المؤتمر الماسوني الكبير سنة ١٩٥٥م في شيكاغو (حضره خمسون ألفاً على رأسهم ترومان) وضعوا تمثال المسيح ورموه بزجاجات الشميانيا، وقام قطيعهم سلومون يقد صلاة المسلمين وصلوا وراءه سكارى.

الماسونية والأديان



أوردت صحيفة دافار اليهودية بتاريخ ٢٩/١/٧٩ خبراً جاء فيه: أن رئيس نوادي الروتاري في إسرائيل «تيسحاق بران» اتصل برئيس نادي الروتاري في مصر (أونسي بهير) وهو يهودي واتفق معه على عقد مؤتمر عام لنوادي الروتاري الإسرائيلية والمصرية والمغربية والتونسية والجزائرية والقبرصية واللبنانية والبحرينية والكويتية.

وقالت دافار : إن الاتفاق قد تم بينهما على عقد المؤتمر في القدس ثم ينتقل بعد ذلك ليواصل اجتماعاته في القاهرة.

وهل إلى عمان أمس^(١) المستر جيمس بومار رئيس الروتاري الدولي في زيارة للأردن تستغرق ثلاثة أيام يطلع خلالها على نشاطات نادي الروتاري في عمان في الحقلين الاجتماعي والثقافي، ويزور بلدة الراجف للاطلاع على مشروع المركز فيها.

ويذكر أن الروتاري الدولي أنشئ عام سنة ١٩٠٥ في مدينة شيكاغو يضم حوالي (٨٥٠ ألف عضو) من مختلف أنحاء العالم ضمن (١٨٠٠٢) نادي في (١٥٢) بلداً، ويعمل في نوادي الروتاري رجال أعمال ومهنيون ٠٠٠ وكان في استقباله فؤاد خوري رئيس النادي في عمان. أصدر الفاتيكان سنة ١٩٥٠ قراراً يحظر على رجال الدين الانتماء إلى الروتاري.

لا فرق بين صهيونية ويهودية

قال هرتزل في خطابه في المؤتمر الصهيوني الأول سنة ١٨٩٧: (الصهيونية هي العودة إلى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد)^(٢).

ويقول ابن غوريون: (أنا يهودي أولاً وإسرائيلي بعد ذلك فقط، لاعتقادي بأن دولة إسرائيل وجدت لأجل الشعب اليهودي بأسره ونيابة عنه)^(٣).

يقول ناحوم جولسمان (لقد كان الغرض من الدولة اليهودية الحفاظ على الشعب اليهودي الذي كانت تهدده رفع القيود والانحماج)^(٤).

الحمولات على اللغة^(٥)

(١) ولهم سييتا : سنة ١٨٨٠م (قواعد اللغة العامية المصرية).

تبنت جريدة (المقتطف) فكرة سييتا، وأيدهم خليل اليازجي / الكاتب اللبناني.

(٢) زعدي الفاتي ١٢٢

(٣) المصطفى والحرب الرابعة / زعدي الفاتي ١٨٦

(٤) المستور ٧٩/١٠/١٢

(٥) كتاب العربية بين شعوبيتين د محسن عبد الحميد.

(٦) منقول إلى إسرائيل/ تلأور ص ١٢٣.

دعا سييتا إلى:

أ- العامية.

ب- الكتابة بغير العربية.

٢) كارل فورس سنة ١٨٩٠ (اللهجة العامية الحديثة المصرية).

٣) ولیم ولكوكس سنة ١٨٩٢م مهندس ري انجليزي سيطر على مجلة الأزهر، وفي سنة ١٩٢٦ دعا المصريين إلى محو الفصحى، وترجم فصولاً من الإنجيل في كتاب (اللغة المصرية) ، وتبنى رأيه سلامة موسى (اليوم والغد).

٤) ولور سنة ١٩٠١ قاضي (لغة القاهرة).

٥) أسكندر معلوف وابنه عيسى وانتخب عيسى عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وكتب أسكندر مقالاً (الفصحى والعامية).

٦) سلامة موسى وتلميذه لويس عوض : دعا لويس إلى كتابة القرآن بالعامية.

٧- حمدي بك (قاضي مصري) دعا إلى تقليص أحرف العربية .

في شمال أفريقيا:

١- ماسيتيون.

٢- الكونت قسطنطين اولوسكي سنة ١٨٩٩ خصص مليون فرانك في تركته للشعب الشرقي الذي ينادر باستعمال وتطبيق الحروف اللاتينية في كتابته.

لبنان:

١- رقائق نخل ، كتابه اللهجة اللبنانية السورية.

٢- شكري خوري كتابه التحفة العامية في قصة فينيانوس.

٣- الحوري مارون غصن : في متل الكتاب.

٤- أنيس فريحة : أستاذ اللغات السامية في الجامعة الأمريكية (تبسيط قواعد العربية)، و (نحو عربية ميسرة)، و(محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها)

٥- هنا أبو راشد (الأستاذ الأعظم للمحفل الماسوني اللبناني) تبديل شكل الأحرف ورسمها.

٦- نصري حطار : مهندس لبناني مقرب عاد إلى مصر ودعا إلى تغيير شكل ورسم الأحرف العربية. (المصور عدد ١١٦٢).

٧- سعيد عقل ديوان (يارا).

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان^(١)

المادة:

١- يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق.

٢- لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات في هذا الإعلان دون تمييز بسبب عنصر أو لون أو جنس أو لغة أو دين، ولا فرق بين رجل أو امرأة.

٥- لا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحظ من الكرامة.

(١) صدر عن الأمم المتحدة ١٠/١٢/١٩٤٨ م.

٦- لا يجوز القبض على أي إنسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً.

٧- لا يعرض أحد لتدخل تعسفي في حياته الخاصة أو أسرته أو مسكنه أو مراسلاته أو لحملات على شرفه وسمعته.

التخوف من الإسلام^(١)

التايم Time تكتب/عن الرأي الأرنيتية ٧٩/٤/٢٢: الاتحاد السوفيياتي يحوي من المسلمين خامس قطر في العالم بعد : اندونيسيا ، الباكستان ، الهند ، بنجلاديش ، عدد المسلمين الآن حوالي (٥٠)، مليوناً قد يصل في آخر هذا القرن إلى (١٠٠) مليون مسلم.

جامعة شيكاغو / يقول مارضن زونس (إن الاسلام الآن يقوم بدور ضرب مصالح الغرب)، ويقول جون أنتوني / الخبير بشؤون الشرق الأوسط (إنا نشهد مرحلة إعادة التكوين ، ويسود الاعتقاد في العالم الاسلامي أنه من الممكن إحداث تغييرات تمكن المسلمين من فرض آرائهم خلال الجزء الأخير من هذا القرن).

إن السعودية تقدم ٧٪ من دخلها القومي للعالم الإسلامي، بينما أمريكا تقدم ٢٪ من دخلها القومي فقط.

يقول ريتشارد فوك من جامعة برنستون عن ثورة إيران (إنها أول ثورة في العالم الثالث على أساس الاسلام لا علاقة لها بالرأسمالية ولا الماركسية).

قال دالس : لا بد للحفاظ على مصالح أمريكا واسرائيل من سحق الطاقة المعنوية والروح الجهادية المستعدين من الإسلام، واحلال النظرة المادية لدى شعوب العالم الإسلامي.

قال كارليباخ في صحيفة معارف سنة ١٩٥٥ -هو صاحب نفوذ واسع في أوساط النخبة الحاكمة في اسرائيل- : ممكن الخطر هو النفسية الاسلامية العاجزة عن الاندماج.

الإسلام أسوأ نوع من أنواع الطاعون ، قلب النزاع ليس مسألة الحدود بل النفسية الإسلامية ، إن العدو هو الروح الإسلامية.

الامان اللبنانية ٧٩/٢/٩:

قال بيغن السادات في لقائهما في الإسماعلية: أنا رباني (بابا جيبوتنسكي Baba Jeabo Tenskey) وهذا عندنا مثل حسن البنا الذي ربي سيد قطب.

يقول أحد أعضاء الكنيست لبيغن في مناقشة وثيقة الصلح مع مصر : أنت مغفل ، إن الصلح يستمر إذا ورث السادات أتباع مصطفى كامل أو سعد زغلول، لكن ماذا سنفعل لو استلم الحكم أتباع حسن البنا أعداء إسرائيل الالاء^(٢).

نشرت الرأي العام الكويتية في ٧٩/٤/٢ تحت عنوان (وقاحة بالغة بحق الاسلام والمسلمين في التلفزيون الأمريكي) :

استنكر أعضاء الجالية الإسلامية في الولايات المتحدة إساءة شبكة (C.B.S) سي . بي . اس . إلى الاسلام وحامل رسالته الرسول الكريم ﷺ في برامجها التلفزيونية. هذه الشبكة وهي أكبر شبكة تلفزيونية في العالم. وقد أطلقت اسم محمد ﷺ على كلب قام بدور في إحدى المسلسلات التي تنتجها، وعرضتها على المشاهدين في ٧٩ /٣/٢ ، وقد نددت مئات الرسائل والبرقيات بهذه الشبكة وطلبت إليها الاعتذار.

وفي ٧٩/٤/٢ نشرت الرأي العام الكويتية مقالاً بعنوان (الدلييل ميل تشن حملة على تطبيق الشريعة وتحذر من مسلمي بريطانيا وفرنسا). تقول الكاتبة جون ساوث ورث : منذ خمس سنوات اكتشفت إحدى شركات البترول التي تعمل في حقل تشنيل العاملين في السعودية أن بعض الأفراد كانوا يعتقدون أن الإسلام لعبة حظ ، وأن آخرين كانوا يظنون أن الإسلام جماعة دينية أسستها جمعية إرهابية ، وأن محمداً هو الذي ألف كتاب (ألف ليلة وليلة).

(٢) (على التلفزيون الإسرائيلي).

(١) الموضوع كان بغير عنوان في الأصل فاختارنا له هذا العنوان.

عدد المسلمين في فرنسا مليونان، وفي بريطانيا مليون واحد، وهم في ازدياد مستمر ، ويحاولون القيام بالضغط مقابل على حصول أصواتهم في الانتخاب.

أوروبا وأمريكا من الداخل^(١)

يقول بيتريم ساروكين مدير مركز الأبحاث بجامعة هارفارد في كتاب صدر أخيراً بعنوان (الثورة الجنسية) : (إننا محاصرون من جميع الجهات بتيار مطرد من الجنس يفرق كل غرفة من بناء ثقافتنا، وكل قطاع من حياتنا العامة ، وهذه الثورة التي تعبر بنا أخذة في تغيير حياة كل رجل وكل امرأة في أمريكا أكثر من أي ثورة أخرى في هذا العصر).

ويقول جون كيشلر -عالم نفسي في شيكاغو- : (أن ٩٠٪ من الأمريكيات مصابات بالبرودة الجنسية، وأن ٤٠٪ مصابون بالعقم)^(٢).

الهروتوكول الأول : (إن الشباب قد أصابه العنـة لانضمامه في الفسق المبكر الذي دفعه إليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات في بيوت الأثرياء والموظفين والنساء اللاتي يعملن في أماكن اللهو)^(٣).

الهروتوكول ٨ : (سنسند المناصب المهمة إلى أناس ذوي سمعة سيئة حتى تتشأ بينهم وبين الشعب هوة سحيقة، أو إلى أناس يمكن محاكمتهم والزج بهم في السجون إذا ما حالوا دون تنفيذ أوامرنـا، والغرض من هذا هو إرغامهم على الدفاع عن مصالحنا حتى النفس الأخير)^(٤).

نشرت جريدة (ترانسي سوار) إحصائية كاملة للدعاري التي نظرت فيها محكمة السين في ذلك اليوم :

٢٢٥ حالة ضرب وجرح حتى الموت.

٢٨٥ حالة تعذيب أو لا.

١٠٠٧ عمليات اغتصاب.

٢٢١ حالة اختلاس.

٢١١ عملية قتل.

٢٨٨ حالة سرقة بدون مبرر.

٤١٠ سرقات موصوفة.

في اليوم الواحد تفتصب ثلاثون امرأة أو فتاة.

بقتل ١٩ شخصاً.

يعذب ٣٠ شخصاً كل دقيقتين.

وكل ٢٠ ثانية تحدث سرقة.

كل ٤ دقائق عملية اختلاس.

كل ربع ساعة سرقة سيارة.

قالت مجلة (Reality) شهر أيار سنة ١٩٧٧م :

سنة أعشار النساء شاذات وأربعة أعشار الرجال شانون.

في يوم واحد تعرضت ٢ مصارف للسرقة في باريس.

في نيويورك صدرت نشرة مؤخراً بأن ٣٥٪ من النساء الأمريكيات يتعرضن للضرب المبرح من قبل أزواجهن ، مدير شرطة نيويورك يقول : (إن أكثر من مائتي امرأة تنقل شهرياً إلى المستشفى نتيجة إصابات كبيرة وتهشيم في الضلوع أو كسر عظام)^(٥).

٥ ملايين شاذ جنسياً و ٦ ملايين كلب في بريطانيا.

٢.٥ مليون فتى من الجنسين (التحشيش).

(١) الموضوع كان بغير عنوان في الأصل فاختارنا له هذا العنوان. (٢) المجتمع العاري ١١. (٣) المجتمع العاري ١٤. (٤) المجتمع العاري ١٤. (٥) المجتمع العاري ٥٧.

٣ ملايين قتي من الجنسين يمارسون الدعارة في أمريكا.

هيلين ستاتسيري كاتبة أمريكية تراسل أكثر من (٢٥٠) صحيفة أمريكية في نيويورك وشيكاغو وسان فرانسيسكو تقول : (إن القيود التي فرضها المجتمع العربي على الفتاة الصغيرة - ماديون العشرين - صالحة وناقعة وأنصح بأن تتسكروا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط، وقيدوا حرية الفتاة، بل أرجعوا إلى عصر الحجاب فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوديا وأمريكا.

امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين، فقد عانينا منه في أمريكا ، وأصبحت أمريكا مليئة بكل صور الإباحية والخلاعة، وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملؤون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية ، إن الحرية جعلت أبنائنا الصغار عصابات (جيمس دين) وعصابات مخدرات ورقيق).

إحصائيات من أمريكا سنة ١٩٧٦

نيويورك : سنة ١٩٧٤ : ١٢٠٨٢٩ حالة إجهاض. النسبة : ١١٢٨ حالة إجهاض، ١٠٠٠ ولادة ، ٦٧٪ من المجهضات غير متزوجات.

واشنطن سنة ١٩٧٤ : ٢٢٦٢٨ حالة إجهاض، النسبة : ١١١٥ حالة إجهاض حالة ولادة طبيعية.

هذه المبلغ عنها التي دخلت المستشفيات.

عدد سكان أمريكا سنة ١٩٧٥ : ٢١٣,٦٠٠,٠٠٠

في نفس العام بلغت حالات الزواج ٢,١٢٠,٠٠٠

أي ١٪ فقط يتزوجون سنوياً.

الطلاق ١,٠٢٦,٠٠٠ أي نصف حالات الزواج.

المدمنون على المخدرات (١٠٠٨٢٧) شخصاً، علماً بأن المدمن لا يترك حتى تجري له عملية جراحية.

الزيادة سنوياً = (١٠٤٤٢) شخصاً.

الجرائم في أمريكا:

سنة ١٩٦٠ : ٣٣٨٤٠٠٠

سنة ١٩٧٠ : ٨٠٩٨٠٠٠

سنة ١٩٧٥ : ١١٢٥٧٠٠٠

وهي موزعة كالتالي:

(٢٠٥٠٠) عملية قتل.

(٦٤٥٠٠٠) سطو مسلح)

(٣٢٥٢٠٠٠) سرقة منازل)

(١٠٠١٠٠٠) سرقة سيارات)

(٦٥١٠٠) اغتصاب بالقوة وملك للأعراض)

(٤٨٥٠٠٠) إيذاء بالضرب)

(٥٩٧٨٠٠٠) نشل)

أرنيست همنغواي اكبر قصاص عالمي أمريكي انتحر وعمره ٦٢ سنة بينيقية صيد، حصة حفيدته مائة مليون دولار.

الانتحار الجماعي ٩٢٤ شخصاً في جورج تاون .

البابا يوحنا بولس الأول قتل بعد ٣٣ يوماً واختاروا (يوحنا بولس الثاني) وهو من بولندا، ولأول مرة منذ أربعين سنة يكن

البابا غير إيطالي. وكلفت جنازة البابا عشرين مليون دولاراً.

عدد الأسر في أمريكا ٧١ مليون أسرة، أي أن ١٦٪ من الأسر أصابها الأذى من هذه الجرائم، أي بعد ٦ سنوات لا يوجد أسرة إلا وقد تضررت.

جامعة في لوس أنجلوس / كاليفورنيا ٨٤٪ من الطلاب منحرفون جنسياً (شانون).

عشرون مليوناً في أمريكا شانون جنسياً.

مائة ألف تقريباً يزاولون الجنس مع بناتهم وأبنائهم.

سنة ١٩٦٥ : (خرجت النساء مظاهرة احتجاجاً على إطلاق الحريات الجنسية في السويد اشترك فيها مائة ألف امرأة).

سنة ١٩٦٤ : (١٤٠ طبيباً سويدياً يرفعون مذكرة إلى الملك للحد من الفوضى الجنسية).

ول ديورانت (مباحج الفلسفة) : (من المخجل أن نرضى في سرور نصف مليون فتاة أمريكية يقدمن ضحايا على مذبح الإباحية وهي تعرض علينا في المسارح والأدب المكشوف) (١).

الكحول

جريدة (Elpais) الإسبانية في عددها الصادر في ١٠/مارس سنة ١٩٧٩ تحت عنوان (توصية جديّة من منظمة الصحة العالمية).

في دولة تشيلي ٣٠٪ من ميزانية وزارة الصحة مخصص للأمراض العامة والنفسية الناتجة عن الكحول.

في بريطانيا تضاعف عدد المرضى عشرين ضعفاً.

في أمريكا : تدفع ٤٣ مليار دولار بسبب أمراض الكحول.

يوغسلافيا : ٥٠٪ من مرض المصحات النفسية بسبب الكحول.

فرنسا : ٢٥-٤٥٪ من مرضى المستشفيات بسبب الكحول.

من أهم ماركز عليه المستشرقون

١- القانون الإسلامي : ابتداء التغير منذ أيام محمد علي ورقاعه الطهطاوي، واشتد أيام إسماعيل سنة ١٨٧٣-١٨٧٩ م ، وكان هذا القلام فرنسي النزعة، أنشأ مدرسة للحقوق على النمط الفرنسي. يقول طلعت حرب : (تربية المرأة والحجاب) رداً على تحرير المرأة لقاسم أمين : (إن إسماعيل لما أراد أن ينفصل بمصر عن النولة العثمانية وعد ملوك أوديا إن أيده من أجل تحقيق هدفه أن يبدل أحكام القرآن فيما يتصل بالحياة السياسية والاجتماعية، ويفصل السياسة عن الدين ، ويطلق الحرية للنساء، وينقل إلى مصر معالم المدنية الأوروبية).

وقد أنشأ المحاكم القنصلية وهي ١٧ محكمة تمثل ١٧ دولة كانت تتمتع بالامتيازات الأجنبية في مصر، ولا يجوز الاستئناف إلا في النول الأجنبية.

ثم المحاكم المختلطة : فأراد إسماعيل أن يوحد القضاء فاستبدل الوفاء بالداء، وحل المحاكم القنصلية إلى محاكم تابعة لنولة مصر، وسميت مختلطة، وأغلب قضاتها أجانب، والشرائع فرنسية محضة حررت على عجل بواسطة المحامي الفرنسي monogi، وأشرف (نويار) وزير إسماعيل الأرمني المتمصر على هذا الانقلاب الكافر.

ثم المحاكم الأهلية : وهي النسخة العربية للمحاكم المختلطة، وقد أصدرتها بريطانيا سنة ١٨٨٢، وهذه خدعة فكّبت كلمة (الأهلي)، والأصل أن يكتب (غير الشرعي)، ووضعت كلمة (أجانب) وكانت مكتوبة (الكفار).

٢- تعدد الزوجات.

٣- فكرة انتشار الإسلام بالسيف.

(١) انظر تربية الأولاد في الإسلام ١٧٤/٢ عبد الله علوان ، الطفل يباع بمليين أو مليوني ليرا إيطالي (٣٠٠-٧٠٠ دينار أرمني).

٤- فصل الدين عن الدولة : علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم : رسالة لا حكم، دين لا دولة).

٥- الجهاد.

في الهند: كانت يد السارق تقطع حتى سنة ١٧٩١م . ولكن الانجليز أخذوا بتغييره ووضعوا تشريعاً جنائياً من قانون (لويزيانا + التشريع الانجليزي + فرنسي).

في السودان : كالهند.

في العراق : أخذت عن القانون التشريعي التركي الذي وضع سنة ١٨٥٦ بعد الحرب الطاحنة بين تركيا وروسيا وأشرفت بريطانيا وفرنسا على الصلح، ووضعت (التنظيمات الخيرية) ، وأنشأت المحاكم المختلطة والمحاكم التجارية.

الهروب من إله الكنسية (١)

يقول جيمس جينس (عالم الأسرار): إن في عقولنا الجديدة تعصباً يرجع التفسير المادي للحقائق .

قال كثير من العلماء : إنهم لا يؤمنون بهذه النظرية - نظرية دارون - إلا لأنه لا يوجد أي بديل لها سوى الإيمان بالله مباشرة.

ويقول سيراوثر كيث : أن نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علمياً، ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان، ونحن لا نؤمن بها إلا لأن الخيار الوحيد بعد ذلك هو (الإيمان بالخلق الخاص المباشر) وهذا ما لا يمكن حتى التفكير فيه.

ويقول (وينكر شاميرز في كتابه الشهادة) : لفت نظري أذن ابتني ، فأخذت أفكر أنه من المستحيل أن تكون هذه معادفة ، ولكنني طردت الوسوسة حتى لا أضطر أن أؤمن بالذات التي أرادت قدبرت.

الطبيعة : يقول عالم (إن الطبيعة حقيقة من حقائق الكون وليس تفسيراً له) .

(Nature is a Fact, not an explanation).

يقول سيسل الأمريكي: (إن الطبيعة لا تفسر شيئاً من الكون وإنما هي نفسها بحاجة إلى تفسير).

Nature does not explain, She is herself in need of explanation

يقولون : إن علمي لا يتكلم إلا عن (ما يحدث) وليس له أن يجيب (لماذا يحدث) .

يقول Harris (إن الاستدلال بقانون الانتخاب الطبيعي يفسر عملية (بقاء الأصلح) ولكنه لا يفسر حدوث هذا الأصلح).

يقول أوجست كونت : (مراحل التفكير الإنساني ثلاثة:

١- المرحلة اللاهوتية : تفسير الأحداث باسم الله.

٢- المرحلة الميتافيزيقية: عناصر خارجية دون ذكر إله.

٣- المرحلة الوصفية : قوانين طبيعية).

جوليان هكسلي : لقد خلق العقل الإنساني الدين، وأتم خلقه في حالة جهل الإنسان وعجزه عن مواجهة القوى الخارجية.

فالدين نتيجة تعامل بين الإنسان وبيئته. إن هذه البيئة قد فقد أوانها أو كاد. لقد اخترع الإنسان قوة ما وراء الطبيعة لتحمل عبء الدين، جاء بالسحر ، ثم العمليات الروحية ، ثم العقيدة الإلهية، حتى اخترع فكرة الإله الواحد . . . وهذه فقدت ضرورتها اليوم) .

أسس قضية معارضة الدين :

١ - البيولوجيا : الكون مرتبط بقوانين ثابتة (نيوتن)، وهذه (قانون الطبيعة) ثم جاء (هيوم) فتخلص من هذا الإله الميت فقال

(رأينا صانع الساعة ولم نر صانع الكون).

(١) من كتاب الإسلام يشهد وحيد الدين خان.

- ٢ - علم النفس : الدين نتاج اللاشعور الإنساني (ليس الإله سوى انعكاس للشخصية الانسانية على شاشة الكون)، (النوحى والإلهام إظهار غير عادي لأساطير الطفولة المكبوتة) .
- ٣ - التاريخ : إن الإنسان أوجد (قوة فرضية) سماها الإله ليحتمي بها من الأعاصير والبلايا والزلازل^(١).

الأريوسيون:

خرج كتاب عن سبعة من كبار رجال الدين في إنجلترا أعلنوا أنهم يرفضون الوهية المسيح حزيان سنة ١٩٧٧م.

الأريوسيون : نسبة إلى أريوس من كبار رجال الدين المسيحي ولد سنة ٢٨٥م توفي سنة ٣٣٦ م .

الكاثوليكية : ديانة جديدة نشأت عن قرار ميلان سنة ٣١٣م.

الأرثوذكسية : انفصلت عن الكاثوليكية في القرن الحادي عشر الميلادي.

البروتستانتية : انفصلت عن الكاثوليكية في القرن السادس عشر الميلادي.

وهذه البيانات الثلاث تابعة للأنجيل الأربعة التي قبلت وحدها من أصل مائة إنجيل في أول مؤتمر مسكوني دعا إليه قسطنطين ليتخذ ديناً عاماً للدولة يسمى الكاثوليكية (أي الدين العام). وقد كان قسطنطين عدواً لكل الطوائف المسيحية، ووالده من قبل عنو فتك بدولة الأباجرة العرب لإيمانهم بالمسيح وقد كانوا يعبدون (الشعري : سيربوس) فسموا بالسريان.

التبشير

عقد الخواجا كمال الدين وزميله روبرتسون مقارنه بين العقائد الوثنية وبين عقائد المسيحية. وقالوا : قبل ظهور المسيح كانت هناك آله كثيرة :

ابلو : الإغريق. ميترا : إله الفرس. هيروكليس : الرومان. أدونيس : إله السوريين.

أوزيريس وحوريس : إله المصريين القدماء. بعل : إله البابليين.

مقارنات بين عقائد الوثنية في دياناتها والنصرانية في عقائدها الحالية^(١)

أوجه الشبه بين ديانة ميترا وبين المسيحية تفصيلاً .

ما هي الديانة المعتبرة؟

هذه الديانة فارسية الأصل ، وقد وجدت في بلاد الفرس قبل ميلاد المسيح، بستة قرون تقريباً ، ثم نزلت إلى روما حوالي سنة (٧٠) قبل الميلاد ، ومن هناك انتشرت في بلاد الرومان ، وصعدت إلى شمال إيطاليا حتى وصلت إلى بريطانيا ، حيث اكتشفت بعض آثارها في مدينة يورك ومدينة شستر وغيرها من المدن هناك.

وإذا نظرنا إلى عقائد المسيحيين في المسيح ، وجدناها تطابق عقائد أتباع ميترا فيه، وإليك البيان:-

(١) الإسلام يتحدى ٢٠ - ٤٢.

ميترا	المسيح
ما كان يقره أصحاب دهانة ميترا	اقوال النصارى والمسيحيين لمي المسيح
١- ولد ميترا في رنوية من الأرض أو كهف .	١- ولد المسيح في غار.
٢- ولد ميترا في ٢٥ ديسمبر	٢- ولد المسيح في ٢٥ ديسمبر عند المسيحيين الأوروبيين.
٣- دفن ميترا ولكنه عاد للحياة رقام من قبره.	٣- والمسيح بعد دفنه قام من قبره.
٤- مات ميترا ليخلص البشر من خطاياهم	٤- ومات المسيح ليخلص البشرية من الخطيئة الأولى.
٥- صعد ميترا إلى السماء أمام تلاميذه وهم يهتفون ويركعون	٥- والمسيح صعد إلى السماء بعد ثيابه من قبره.
٦- كان حورابوا ميترا ١٢ حورابا.	٦- وكان للمسيح ١٢ تلميذاً.
٧- من أوصاف ميترا أنه كان كالحمل الرديع.	٧- والمسيح من صفاته عندهم أنه كالحمل الرديع.
٨- كان اتباع ميترا يمسكون باسمه.	٨- والمسيحيون عندهم هذا التعبد بوصفه ختم النعمة لهم.
٩- وفي ذكراء كل عام بquam عشاء مقدس.	٩- وفي المسيحية عشاء رباني يعتبر طعاماً مقدساً روحياً للمسيحيين.
١٠- ولد ميترا كان رمزاً للطهارة.	١٠- والمسيح مطهر للقلوب.
١١- ميترا كان يدعى مخلصاً من الخطيئة وتمتد.	١١- والمسيح مخلص الخطاة وتمتد.
١٢- ميترا كان تاج للزمنين.	١٢- والمسيح اكمل حياتهم.
١٢- كان ميترا الذبيح القادي.	١٢- والمسيح قدم نفسه ذبيحة لفداء العالم.
١٤- ميترا كان شفيع المذنبين.	١٤- والمسيح شفيع لدى الأب.
١٥- ميترا وسيط بين الله والبشر.	١٥- والمسيح وسيط بين الله والناس.
١٦- ميترا شمس الحياة.	١٦- والمسيح شمس البر.

- ١- ومن هذه المقارنة يتبين وجه الشبه الكبير بين ميترا إله الرومان واليونان في خلال مدة حكم الامبراطور قسطنطين ، لذلك قبل امبراطور الرومان المذكور دخول المسيحية مع محافظته على آثار وشعائر ميترا التي تشبه كما قدمنا شعائر المسيحية.
- ٢- مما يؤيد هذا القول أن العلامة جون روبرتس يقرر أن الميثرايزامية لم تمت باعتراف الرومان للمسيحية، لكنها تقمصت في المسيحية.
- ٣- والامبراطور قسطنطين هذا كان متصفاً بالقسوة، حتى لقد قتل ابنه كورسيو وامراته قسماً بتهمة وهمية كما خان صهره ليسينوس، وقد اعتنق المسيحية ليؤسس بها المسيحية الملكية أو المسيحية السياسية حماية لملكه من الانتهاز.
- ٤- أسبق ذلك الامبراطور على المسيحية السياسية التي اعتنقها غلظته وقسوته، لذلك أعطى للإكليروس المسيحي ما كان للكهنة الوثنيين من الهيبة والصولة ، وزاد في أوقاف الكنائس ، وشجع إقامتها في كل مكان.
- ٥- قام اتباع ذلك الامبراطور بسن القوانين وإصدار الأوامر في سنة ٣١٢ ميلادية بإغلاق كل الهياكل الوثنية ، وقتل مخالفين الدين المسيحي الجديد بكيفية صارمة سماها موسيهم بالشرعية الظالمة لأنها اغتصاب للضمير وقهره دون أن تقوم باقناعه . وهذا يناهض روح الديانة المسيحية الأصلية التي تقوم على العفو والتسامح.
- ٦- ومن هنا تشرب أكثر النصارى القسوة البربرية التي بمقتضاها أباحوا قتل مخالفهم في الدين أو المذهب واغتياله ، طبقاً لما هو مروي في كتب التاريخ طوال أعصرهم المختلفة.

مقارنة بين ما يقوله مباد الوثنيين في بوذا وبين ما يقوله النصارى المسيحيون في يسوع المسيح

بوذا	يسوع
أقوال الهند الوثنيين في بوذا الذي يزعمون أنه ابن الله	أقوال النصارى والمسيحيين في يسوع الذي يزعمون أنه ابن الله
١- ولد بوذا من العذراء ماريه بغير مضاجعة رجل.	١- ولد يسوع المسيح من العذراء مريم بغير مضاجعة رجل.
٢- كان لجسد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء ماريه.	٢- كان لجسد يسوع المسيح بواسطة حلول روح القدس على العذراء مريم.
٣- لما نزل جبرائيل أمين مقعد الأرواح ودخل في جسد العذراء ماريه صار رحمها كالبهيماء الشفاف النقي وظهر فيه بوذا كزهرة جميلة.	٣- لما نزل البسرح من مقعد الساري ودخل في جسد مريم العذراء صار رحمها كالبهيماء الشفاف النقي وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة.
٤- وقد دل على ولادة بوذا بجم ظهر في أفق السماء وبعثته نجم المسيح.	٤- وقد دل على ولادة يسوع بجم ظهر في الشرق ومن الواجب أن يدعى نجم المسيح.
٥- ولد بوذا من العذراء ماريه التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد أي في ٢٥ كانون الأول.	٥- ولد يسوع من العذراء مريم التي حل فيها الروح القدس يوم عيد الميلاد أي في ٢٥ كانون الأول.
١٠- كان بوذا ولداً مخفياً وقد سعى الملك لقتله لما أخبروه أن هذا الفلام سينتزع الملك من يده إن بقي حياً.	١٠- كان يسوع ولداً مخفياً وسعى الملك هيرودس وراء قتله كي لا ينتزع الملك من يده.
١١- وعندما كان بوذا على وشك أن يبدأ دعوته ظهر له الشيطان مارا mors ليحاول تضليله.	١١- وعندما بدأ يسوع دعوته ظهر له الشيطان The devil ليحاول تضليله.
١٢- قال الشيطان لبوذا - ابتعد عن الدهره الدينية وتصبح امبراطور العالم.	١٢- وقال الشيطان لعيسى: إذا سجدت لي سأجعلك ملكاً على كل العالم.
١٣- ولم يهتم بوذا بالشيطان مارا وصاح ابتعد عني.	١٣- ولم يسمع عيسى لكلمات الشيطان وصاح به إذهب أيها الشيطان.
١٤- وبعد أن انتصر بوذا على شيطان مارا اضطرت السماء زهراً وحيث الهواء بصير الطيب.	١٤- وبعد أن انتصر عيسى على الشيطان هبطت الملائكة لعيسى وكرمته.
١٥- وصام بوذا فترة طويلة.	١٥- وصام عيسى أربعين يوماً بليلاتها.
١٦- وتعمد بوذا بناء - المُنشئ وفي ثناء تعبيده كانت روح الله حاضرة وكذلك روح القدس.	١٦- وعمد يوحنا عيسى في نهر الأردن، وكان كذلك أيضاً في حضرة الله - ٦١٢ -
٦- لما ولد بوذا فرحت جنود السماء ورتلت الملائكة أناشيد المجد لمولود المبارك قائلين ولد اليوم بوذا على الأرض كي يعطي الناس المرات والسلام ويرسل التبريد إلى لمجالات المظلمة ويهب بعداً للسم.	٦- ولما ولد يسوع فرحت ملائكة السماء ورتلت الملائكة أناشيد حمداً للراحد لمولود المبارك قائلين ولد اليوم بوذا على الأرض كي يعطي الناس المرات والسلام ويرسل التبريد إلى لمجالات المظلمة ويهب بعداً للسم.
٧- وعرف الحكماء بوذا وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض يوم على ولادته حتى جاء الناس ودعوه إله الألهة.	٧- ولد زار الحكماء يسوع وأدركوا أسرار لاهوته . ولم يمض يوم على ولادته حتى دعوه إله الألهة.
٨- وأهدوا بوذا وهو طفل هدايا من مجوهرات وغيرها من الأشياء الثمينة.	٨- وأهدوا يسوع وهو طفل هدايا من ذهب وطيب ومر.
٩- ولما كان بوذا طفلاً قال لأمه ماريه أنا أعظم الناس جميعاً.	٩- ولما كان يسوع طفلاً قال لأمه ابن الله.
١٧- وتقبل صلاة اليهوديين وتقودهم لي الفردوس ما دامت تقدم باسم بوذا.	١٧- وتقبل صلاة المسيحيين ما دامت باسم عيسى ويثالون بسببها الفردوس.
١٨- وعندما مات بوذا ودفن شق قبره بقوى من قوى ما فوق الطبيعة وعاد للحياة.	١٨- وعندما مات عيسى ودفن أراحته قوة ما فوق الطبيعة المجدارة من قبره وعاد عيسى للحياة.
١٩- وصعد بوذا إلى السماء بعد أن أتم دعوته.	١٩- وصعد عيسى كذلك بعد انتهاء دعوته على الأرض.
٢٠- وسيعود بوذا إلى الأرض ليواصل دعوته آخر الزمان وليستعيد مجده ويلاً الأرض سعادة ونمياً.	٢٠- وسيعود عيسى كذلك ليحكم الأرض من جديد وينشر دعوته ويلاً الأرض بالخير والسلام.
٢١- وسيوكل حساب الناس إلى بوذا بعد الموت.	٢١- وسيوكل لعيسى أيضاً أن يحاسب الناس في النار الآخرة.
٢٢- وبوذا لا أول له ولا نهاية وهو خالد.	٢٢- وعيسى لا أول له ولا نهاية وهو خالد كالأب.
٢٣- ويرى من بوذا أنه قال: انني أحمل سينات البشر عنهم ليصلوا إلى السلامة.	٢٣- وعيسى مخلص البشر الذي قدم نفسه فداء ليكفر عن خطيئة آدم أبي البشر.

٢٤- ويرى عن يوحنا قوله أضف
أعمالك الطيبة وأعلن على الناس
سيفاتك التي تركتها.

٢٥- وأوصى يوحنا أتباعه بالشفقة
والحب حتى مع أتباعه.

٢٦- ونصح يوحنا حراويه وأتباعه أن
يطرحوا الدنيا جانباً ويتنازلوا عن
غناهم ويؤثروا الفقير ليقبلوا في
دعوته.

٢٧- وكان هدف يوحنا الأساسي أن
يكون ما سمته الفلسفة البرهنية
ملكوت السماء.

٢٨- نادى يوحنا بعدم الزواج وشبه
الزواج بالاحتراق بالنفيم.

٢٩- ولم يجز يوحنا الزواج إلا عند
خوف الزنا.

٢٤- ولما علمه عيسى لتلاميذه أن
يخفوا أعمالهم الطيبة ويعلنوا مساوتهم
وخطاياهم.

٢٥- وقال عيسى لأتباعه أجروا
أعمالكم وباركوا لأعينكم وأحسبوا عمن
يخضعكم.

٢٦- واشترط عيسى على من يريد
دخول الدعة أن يتصدق بماله ويؤثر
الفقر ليدخل ملكوت السموات.

٢٧- وها عيسى منذ مطلع رسالته
أتباعه ليدخلوا ملكوت السموات.

٢٨- روي عن عيسى قوله أنه من
الأفضل للرجل ألايس امرأة.

٢٩- روي عن عيسى أنه قال إذا خاف
الإنسان الزنا جاز له أن يتزوج، فالزواج
خير من الاحتراق في النسيم.

مقارنة بين عقائد المسيحيين حالياً

وعقائد الوثنيين من الجراهمة

أقوال الهند الوثنيين في كريشنه	أقوال المسيحيين في عيسى أو يسوع
١ - كريشنه هو المخلص والقادي المعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والاقنوم الثاني من الثالوث المقدس وهو الأب والإبن والروح القديس.	١ - يسوع المسيح هو المخلص والقادي المعزي والراعي الصالح والوسيط وابن الله والاقنوم الثاني من الثالوث المقدس وهو الأب والإبن والروح القدس.
٢- ولد كريشنه من العنقاء ديفاكي التي اختارها الله والده لابته بسبب طهارتها وعفتها.	٢- ولد يسوع من العذراء مريم التي اختارها الله والده لابته بسبب طهارتها وعفتها.
٣- وجدت الملائكة ديفاكي والدة كريشنه ابن الله وقالوا: يحق للكون أن يفاخر بابن هذه الطاهرة.	٣- تدخل إليها الملاك وقال: سلام لك أيها المتقم عليها: الرب معك.
٤- عرف الناس ولادة كريشنه من جسم الذي ظهر في السماء.	٤- ولما ولد يسوع ظهر نجمه من المشرق وبواسطة ظهور نجمه عرف الناس محل ولادته.
٥- لما ولد كريشنه سحبت الأرض وأناها القمر بنوره وترفت الأرواح رهامت ملائكة السماء فرحاً وطرباً ودنل السحاب بأنغام مطربه.	٥- لما ولد يسوع المسيح رتل الملائكة فرحاً وسروراً وظهر من السحاب أنغام.

٣٠- إن يوحنا هو الابن الوحيد وأنه
جسد في الناسوت وقدم نفسه ذبيحة
ليكفر عن ذنوب البشر. ومن ثم
يسرته المسيح والمخلص والابن.

٣٠- إن الابن يسوع الكلمة التي
جسد في المسيح نتيجة التقاء روح
القدس بمريم العذراء. وأنه صلب تكفيراً
عن خطيئة آدم الأزلية التي انتقلت
إلى ذريته حتى خلصهم المسيح بقلبه
وصلبه عن هذه الخطيئة.

٦- كان كريشنه من سلالة ملوكانية
ولكنه ولد في غار بحال الدل والفقر.

٦- كان يسوع المسيح من سلالة
ملكية ويدعونه ملك اليهود، ولكنه
ولد في حالة الدل والفقر بفار في
فلسطين.

٧- لما ولد كريشنه أضى الفار بشرة
عظيم وصار وجهه ديفاكي أمه يرسل
أنسنة نور وسجد.

٧- ولما ولد يسوع المسيح أضى الفار
بنور عظيم أعيا بلمعانه عيني القابلة
وعبني خطيب أمه يوسف النجار.

٨- ومن بعد ما وصته صارت تيكلي
بتدب سوء عاقبة رسالته فكللها
وعزاها.

٨- قال يسوع المسيح لأمه وهو طفل
يا مريم أنا يسوع ابن الله وجات كسا
أخبرك جبرائيل الذي أرسله أبي وقد
أثبت لأخلص العالم.

٩- وعرفت البقرة أن كريشنا إله
وسجدت له.

٩- وعرف الرعاة يسوع وسجدوا له.

١٠- وآمن الناس بكريشنه واعترفوا
بلاهوته وقدموا له هدايا من صندله و
طيب.

١٠- وآمن الناس بيسوع المسيح.

١١- وسع بني الهند (نارك) بولد
الطفل الالهي كريشنه فذهب زواره في
(كركون) وقصص النجوم فتيين له من
فحصها أنه مولود إلهي بمجد.

١١- ولما ولد يسوع في بيت لحم
اليهودية في عهد هيرودوس الملك إن
المجوس في المشرق قد جاء.

١٢- أن كريشته انبثق من الإله براهيم الذي كان قبل الوجود حيث خلق العالم وسمى نفسه الخالق، وكريشنا هو الذي خلص بني الإنسان بتقديم نفسه لتصلب فناء عنهم، ومن ثم يصورونه مصلوباً مثقوب البدين والرجلين وعلى قبعه صرورة قلب انسان ملقى وهناك إله آخر انبثق من الإله براهيم ويدعى سيفاً موكل بالحرايب والفناء.

١٢- إن الآب هو الأصل والاسم هو الكلمة التي تجسدت في المسيح، و. إعدام المسيح صلباً كان تكفيراً منه عن الخطيئة التي ارتكبها آدم بعد أن أكل من شجرة المعرفة، فانتقلت الخطيئة إلى ذريته جيلاً بعد جيل، وإلى جميع نسله حتى افتداهم المسيح وخلصهم من هذه الخطيئة بقتله وصلبه وهناك أقنوم ثالث ضمن ثلاث الاله هو روح القدس.

مقارنة بين محاكمة المسيح وبعل إله البابليين

إن ديانة البابليين كانت معيناً للمسيحية في موضوع قصة محاكمة المسيح وصلبه، وقد وضع البابليون قصة محاكمة إلههم بعل في تمثيلية مؤثرة كانت تمثل كل عام قبل ميلاد المسيح بقرون عديدة، والغريب أن هذه التمثيلية كانت حافلة بالفموض والحزن وقد اكتشف في مطلع هذا القرن بأرض بابل لوحتان يرجع تاريخهما إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وسجلت عليهما قصة محاكمة بعل ونهايته وقت أخذ اليهود إلى سجن بابل بعد هزيمتهم منذ عهد بختنصر، وهناك رأوا هذه التمثيلية تعرض مطلع كل ربيع، وعندما عاد اليهود بعد الإفراج عنهم في بابل إلى فلسطين كانت هذه القصة عالقة بأذهانهم، ومؤثرة في حياتهم فانعكست على آدابهم وعلى حياتهم العامة، حتى أنه عقب نهاية المسيح، ظهرت تمثيلية بعل بنفس عناصرها مع فارق بسيط وهو وضع اسم المسيح محل اسم بعل، حتى ليتمكن القول أن قصة المسيح كما توردها الأناجيل هي قصة بعل وضعت بع انتحال اسم المسيح عليها، ولندلل على ذلك بما يأتي:-

محاكمة بعل

محاكمة المسيح

- ١- اخذ بعل أسيراً.
- ٢- حوكم بعل علناً.
- ٣- جرح بعل بعد المحاكمة.
- ٤- اقتيد بعد تنفيذ الحكم على الجبل.
- ٥- كان مع بعل مذنب حكم عليه بالإعدام وجرت العادة أن يعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت، وقد طلب الشعب اعدام بعل والعفو عن المذنب الآخر.
- ٦- بعد تنفيذ الحكم على بعل عم الظلام وانطلق الرعد واضطرب الناس.
- ٧- حرس بعل في قبره حتى لا يسرق اتباعه جثمانه.
- ٨- الإلاهات مليش حول مقبرة بعل يبكينه.
- ٩- قام بعل من الموت وعاد إلى الحياة مع الربيع وصعد إلى السماء.
- ١- اخذ عيسى أسيراً.
- ٢- حوكم عيسى علناً.
- ٣- اعتدي على عيسى بعد المحاكمة.
- ٤- اقتيد عيسى لصلبه على الجبل.
- ٥- وكان مع عيسى قاتل اسمه باراباس محكوم عليه بالإعدام ورشح هيلاطس عيسى لعفى عنه كالعادة كل عام، ولكن اليهود طلبوا العفو عن باراباس واعدام عيسى.
- ٦- عقب تنفيذ الحكم على عيسى زلزلت الأرض وغامت السماء.
- ٧- حرس الجنود مقبرة عيسى حتى لا يسرق تلاميذه جثمانه.
- ٨- مريم المجدلية ومريم أخرى جلسا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه.
- ٩- قام عيسى من قبره في يوم أحد وفي مطلع الربيع أيضاً وصعد إلى السماء.

القومية العربية

بدأها النصاري في المنطقة مثل قسطنطين زريق، أسد رستم، زين زين، يجب أن ننظم أنفسنا قومياً كالفريين. نودج وقسطنطين زريق يشجعان المظاهرات القومية ضد فرنسا، وعندما ثار الطلاب ضد بريطانيا غضبوا وكالوا لهم الشتائم سنة ١٩٢٩.

حبيب توراني: وكان الأثر الأول للحضارة الغربية في الحياة العربية لبعث القومية العربية وقيام الحركة الاستقلالية التي تشمل العالم العربي في الوقت الحاضر، وكانت هذه الحركة نتيجة مباشرة للتعليم الغربي^(١).

ويقول قسطنطين زريق: (إن أول جمعية سرية وجدت سنة ١٨٨٠ وكان أغلب أعضائها من الشباب الذي تعلم في الكلية البروتستنتية السورية)^(٢).

(٢) الشرق الأدنى ١٥/ محمد حسن ١٣١.

(١) الشرق الأدنى ص ٣١١ محمد حسن ص ١٢٢.

كولبرينغ يقول عن لويس توماس : (إنه قد استطاع أن يرسم القنوط العريضة للظروف التاريخية والاجتماعية للحركة التي انتهت بالزعماء الأتراك المحدثين إلى تحقيق مبدأ تركيا للأتراك هذا المبدأ الذي ساء أغلب شعوب المنطقة).

في إيران:

الصفويون والحكم البهلوي وهنوا العلاقة مع العالم الاسلامي.
أنشأ الحكم البهلوي اتاسيمية للتخلص من المفردات العربية في الفارسية، واكتشفت الاكاديمية مجد إيران القديمة ويزغ مذهب زرداشت من جديد واحتل مكاناً مرموقاً في بلاد السبع والشمس^(١).
تويني ص ٢٩ (فهل من الضروري حقاً أن يتفقت العالم العربي كما تفتتت الامبراطورية الإسبانية في أمريكا لسوء الحظ إلى عشرين دولة مستقلة عن بعضها تعيش في قوالب ضيقة غربية النمط.
هذا هو الوجه الثاني الكالح لحضارتنا الغربية، ومن المؤسف أن تقلده الشعوب الناطقة بالعربية تقليداً تاماً، إن سحر القومية جذاب في أمثال هذه المجتمعات الإسلامية المبعثرة ولكن القومية لن تقود هذه المجتمعات إلى حياة جديدة بل إلى حكم بالموت والفناء).

المبشرون بدايه القومية

لستططين زريق: (وكان من نتائج حملة التعليم التي قامت بها البعثات الأجنبية في سوريا ولبنان نشوء طبقة متوسطة مثقفة ذات شعور قومي وقد نشطت هذه الطبقة في الدعوة إلى القومية العربية بين الجماهير غير المتعلمة، وكان النشاط في الميدان التعليمي مقسماً بين الجزويت الفرنسيين والأمريكان)^(٢).
جب: (إن الأسلوب الذي استطاعت به طبقة المتفريين تأمين قبضتها الثابتة على السلطة في الدولة ... كان القومية. فالقومية هي فكرة غربية أيضاً)^(٣).

قوة الغرب إبقاء للقومية

(في الوقت الحاضر الذي يجد الغرب نفسه منذ الحرب العالمية الثانية نرى أن تجزئته إلى أكثر من أربعين دولة قومية مستقلة ذات سيادة يهدد بانهيار البيت كامله على من فيه بسبب انقسامه هكذا على نفسه، ومع ذلك فإن اعتبار الغرب لا يزال له من القوة في العالم ما يبقي جرثومة القومية الغربية قادرة على السريان والعدوى.
ومن المأمول أن يستطيع العالم الإسلامي على كل حال إيقاف انتشار هذا الداء السياسي الغربي -القومية- عن طريق الشعور الإسلامي القوي بالوحدة)^(٤).

ملاحظات:

- ١- القومية شعور نسبي، وتقوم على نسبية القيم.
- ٢- هل ترضى أن يكون الحق والخير لك وحدك أم للناس أجمعين؟
- ٣- تقوم القومية على تقديم مصلحة قومك على غيرهم، فهل ترضى أن تهضم حقوق الناس؟
- ٤- تقوم القومية على الحدود والتقسيمات، فهل ترضى أن تنحصر مبادئك في أرضك.
- ٥- من الذي وضع هذه الحدود؟
- ٦- تقوم القومية على عنصر واحد.
- ٧- تقوم القومية على سيادة القوم المطلقة.

(١) الشرق الأدنى/ ٢٢١ محمد حسين ١٩٣٣ . (٢) الشرق الأوسط ٢١١/ محمد حسين ١٩٢٧ . (٣) مقدمة مسحي الطويل على الغرب والشرق لتويني ص ٩٠ . (٤) تويني ص ٢٨

أقسام القوميين عندنا:

١- المتخبطون : حازم نسيبة (أفكار القومية العربية)

— منيف الرزاز.

— ساطع المصري (في العروبة).

— عبد الرحمن البراز.

٢- المغفلون : خالد محمد خالد «من هنا نبدأ».

علي عبد الرازق «الاسلام وأصول الحكم».

٣- المنكرون :

— ميشيل عفلق (صراع البعث).

— نبيه أمين فارس (هذا العالم العربي).

٤- الجاحلون:

— قسطنطين زريق (جوهر الحضارة العربية)

— فايز صايل.

— شارل مالك (God and man in Islam).

استلة توجه إلى القوميين بفئاتهم الأربعة:

١- هل العرب نقطة بداية أم نقطة نهاية؟

٢- ما هي الأسس التي تقوم عليها القومية العربية؟

٣- ما هو دور الاسلام في القومية؟

أجوبة المتخبطين:

ج١: العروبة بداية ونهاية، وليس من شأن القومية خدمة الآخرين.

ج٢: القومية العربية تقوم على أسس شبيهة بتأسيس القوميات الأوروبية وقوانينها.

ج٣: كان للإسلام دور توحيد وبعث ، وأما الآن فقد انتهى دوره.

أجوبة المغفلين:

كرسوا جهدهم على الإجابة عن الثالث:

ج٢: قال خالد محمد خالد: «الدولة اللبنانية قائمة على التزمت والكراهية وهي شر مستطير، ومثالها دولة يزيد، أما دولة عمر بن

الخطاب وعمر بن عبد العزيز فهي شاذة وأيست القاعدة».

علي عبد الرازق «ليس من نص في القرآن والسنة أن على المسلمين أن يقيموا دولة، فلا مانع من إقامة دولة علمانية».

أجوبة المنكرين: ميشال عفلق ، نبيه أمين فارس:

ج١: العروبة نهاية قطعاً ، أين نحن من الإيرانيين والأتراك المستعمرين؟

ج٢: تقوم على القوانين العربية ولا يأخذون من شيء ورثوه.

ج٣: لا دور للإسلام، لأن الدين مصدر التعصب والتمسك بالماضي السقيم.

أجوبة الجاحدين:

قسطنطين زريق (جوهر الحضارة العربية) : الهنود مبدعو حضارة، والغرب أيضاً، أما العرب فلم يبدعوا حضارة وإنما نقلوها

عن الإغريق وسمرعان ما استعادها الغرب لأنها تخصه.

يقول شارل مالك : إن الحضارة الغربية هي الحضارة القائمة في فكر أوغسطينوس، ولابد للعرب إذا أرادوا التقدم أن يخلعوا لباسهم البالي.

الردود عليهم :

- ١- لا سبيل إلى انتشارال العرب من بلادهم إلا بانتشال الأقوام المحيطين بهم ، فإما أن يعيش الناس في سلم عادل وإلا فصراع الظلم والعدل لا يفرق بين عربي وعجمي ، لو تخلص الخليج العربي من الانجليز هل يخلص من شاء إيران؟
- ٢- نحن أصحاب الرسالة الخاتمة للبشر فإذا دخلنا قمقم القومية فقد عطلنا هذه الرسالة.
- ٣- لا خير في قومية لا تقوم على مبادئ ذاتية.
- ٤- إن الظروف العربية الراهنة طارئة ولا يمكن أن يقام على أساسها حضارة ومبادئ.
- ٥- إن الاسلام هو روح هذه الأمة ويأني نهضتها ويتبوع حضارتها ومحرك جهادها ومعين عزتها.
- ٦- كيف نستطيع حماية المجتمع العربي المستقل من الظلم والخيانة والرشوة والمحسوبية والطبقية والاثرة والزنا والانحلال بدون دين؟ هذا الغرب بحضارته يسقط، واقرأ إن شئت: (سقوط الحضارة : كولن ولسون) (الإنسان ذلك المجهول: الكسيس كاريل) لقد خرج من الحضارة الغربية اللامنتمون من أبنائها الذين يكرهونها ويعادونها، ولأنها لم تشبع الروح والبعد الثالث فإنها ساقطة.
- ٧- إن العالم يسير نحو نبذ القومية واتحاد القوميات على أساس المبادئ ، فما بالنا نبحث عما خلعت أوروبا بالياً فتلبس.
- ٨- ليس الدستور هو الذي تقرره الغوغاء ٥١٪ ، بل الدستور يضعه المفكرون استناداً إلى تراث الأمة وماضيها الحضاري، وكذا فعلت القوميات الغربية، فإنها في عداؤها للكنيسة عادت إلى حضارة اليونان المادية الوثنية.
- ٩- لماذا تلوم الغربيين كالانجليز باستعمارنا؟ إنهم يخدمون قوميتهم.

الحرب العالمية والثورة العربية الكبرى

نشبت الحرب العالمية في ٢٨ يوليو سنة ١٩١٤. نشبت الثورة العربية الكبرى في ١٠ يونيو سنة ١٩١٦. وفي أكتوبر سنة ١٩١٨ دخل النبي القدس.

جاء في مذكرة وزارة الخارجية الفرنسية سبتمبر ١٩١٦م ما يلي:

"إن اعلان الثورة العربية في الحجاز هو في مصلحة الحلفاء من عدة وجوه:

فأما من الواجهة السياسية فإن اتساع نطاقها حتى تشمل شعوب فلسطين و سورية وأرمينيا الصغرى وتحرير هذه الشعوب من النير التركي يهيء لفرنسا أسباب التدخل في شؤون هذه المقاطعات، كما تشغل من الواجهة العسكرية الجيش التركي.

أما من الوجة الأروبية فإنها تقود الجانب الأكبر من رعايانا المسلمين إلى الاتراك كمعتدين على الأماكن المقدسة الإسلامية، فيزداد تعلقهم بفرنسا لأنها تكافح الترك وعملهم وتزيدهم إخلاصاً لها".

منشورات الجيش البريطاني الزاحف على غزة: "إلى جميع العرب وغيرهم من الضباط والرجال في الجيش العشاني ، لقد سمعنا بكل أسف أنكم تحاربوننا نحن الذين نعمل من أجل صيانة الشريعة الإسلامية المقدسة من أن تبدل".

رسالة من الشريف حسين إلى مكماهون : "أما مايتعلق بقضية العراق وقضية التعويض الذي اقترحناء لقاء احتلاله فانني رغبة في تقوية ثقة بريطانيا بنوايانا وغايتنا في القول والعمل ، فإنني أدع أمر تقدير المبلغ إلى حكمتها وعدالتها"^(١).

قال نوبل جورج (إن فضع اتفاقية سايكس بيكو أزعج الإيطاليين والعرب، فاحتجت إيطاليا بشدة، واكتفى الحسين باحتجاج

(١) ١٧ ديسمبر سنة ١٩١٤ المجمع.

بسيط).

كتب المنار / رشيد رضا / عدد ٢٢ (إن الحسين قد امتنع عن قصد (عن) نشر خبر الاتفاقية في جريدة القبلة، وأخبرهم أحد زملائهم وكان مرافقاً لفیصل أنه قرأ رسالة بعث بها الملك إلى ابنه يعترف فيها بتلك المشاريع المشبوهة مقابل عهود وإغرامات مالية روى هذا شاهد عيان ، الشيخ رشيد رضا) .

وبعد وعد بلفور (أرسل الحسين إلى ابنه فیصل ألا يهتم بالضجة التي أقامها بعض العرب حول قصة وعد بلفور حينما عرفنا تفاصيلها، وأن يتابع عمله في خدمة البريطانيين وإلا فهو خائن في نظر أبيه)^(١) .

أدلى الأمر فیصل بتصريح إلى وكالة رويتر أذاعته ١٢ ديسمبر سنة ١٩١٨م.

"إنني أمل أن تحقق كل من الأمتين العربية واليهودية تقدماً ملموساً نحو أمانيهما وأمالهما ، إن العرب لا يحملون ضغينة ضد الصهيونية ولا اليهودية. بل هم ينوون أن يسمحوا لهم بالعمل ، أما التحاسد بين سكان المستعمرات اليهودية والمزارعين المحليين (العرب) فقد أثارته الفتن التركية ، ولكن التفهم المتبادل لأهداف العرب واليهود سيقضي على آخر آثار هذا العداء الذي زال بالفعل قبل العرب بفضل عمل اللجنة السرية العربية. إن الصهاينة هم حملة حضارة أوربا إلى الشرق"^(٢).

وفي ١٩١٩/١/٣ اتفق فیصل ووايزمان على الاتفاقية التالية:

- ١- تأسيس كيان فلسطين منفصل عن الدولة العربية السورية.
 - ٢- تقوم الدولة الفلسطينية بكل التدابير لتحقيق وعد الحكومة البريطانية في الثاني من نوفمبر سنة ١٩١٧ في دستور وإدارتها.
 - ٣- أخذ كل الاجراءات الضرورية لهجرة اليهود إلى فلسطين على نطاق واسع وتشجيعها بأسرع وقت ممكن.
 - ٤- أن يرسل الصهاينة لجنة لدرس أوضاع فلسطين وإمكانياتها ومدى استثمارها لصالح العرب واليهود وأن تكون الحكومة البريطانية هي الحكم في حالة نشوب خلاف.
- وبعد الحرب أرسل الحسين رسالة إلى فیصل (حليفنا بريطانيا ترغب حضورك نائباً عن مصالح العرب ، وكل ما يركز أساساً لحياتهم سواء ما يتعلق بالحدود أو الإدارة مما معلوم لديك في مجتمع سيعقد في باريس في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩١٨م. فإنفاذاً لرأي عظمتها تتوجه بكل سرعة ممكنة بعد مذكرتك لفخامة القائد العام في كيفية سفرك ، وحيث أن رابطتنا هي المنظمة البريطانية فكل ملاحظتك تبديه لنوابها، وما يكفونك به من قول أو عمل إن كان في المجتمع أو سواء تعمل به وتتجنب سواءه). أمين سعيد.

هزب البعث

- قام الانقلاب في ٨ آذار سنة ١٩٦٣م.
- في ١٨ تموز سنة ١٩٦٣ أطيحوا بالناصريين .
- بدأ الخط الناصري يزداد.
- ألقى ميشيل عفلق بيانه الشهير في القياطين القطرية والقومية وركز على:
- ١- خطورة تعاظم طغيان الطائفة الناصرية.
 - ٢- تعاظم دور الجناح العسكري على المدني.
 - ٣- كثرة الحزبيين الانتهازيين وضرورة العودة إلى الحزبيين القدامى.
- ٢٣ شباط سنة ١٩٦٦ قامت حركة تصحيحية برز فيها صلاح جديد، وقد أخلت هذه الحركة (زكي الأرسوزي) أبا روحيا بدل

(٢) - المجلد ١٧ ديسمبر سنة ١٩٧١

(١) - ميكل هم : الباشميين وقضية فلسطين.

ميشيل عفلق كما يقول سامي الجندي في كتابه (البعث)، وصفت هذه الحركة جناح أهل السنة.
الحركة التصحيحية الثانية ١/١١/١٩٧٠ / حافظ الأسد.

قادة الحزب:

١- من النصاري : ميشيل عفلق، الياس فرح، (منيف الرزاز ٩٠٠٠).

٢- منتسبون إلى أهل السنة : صلاح البيطار ، جلال السيد ، أمين الحافظ، نور الدين الاتاسي . أكرم الحوداني ، يوسف زعين ، مصطفى حمون، عبد الفتاح زلط، عبد الحكيم قدور، لؤي الاتاسي.

٣- من الدرزي : سليم حاطوم، شبلي العيسوي.

٤- من الإسماعلية : سامي الجندي ، عبد الكريم الجندي.

وبعد فشل انقلاب سليم حاطوم أثناء حرب سنة ١٩٦٧ صفى الجناح الدرزي، وقد صفى جناح أهل السنة في حركة صلاح جديد سنة ١٩٦٦.

وصفى جناح الاسماعلية بعد مقتل عبد الكريم الجندي (مدير الأمن العام).

التعصب التصيري:

قال سامي الجندي : سبب إقالة (صلاح جديد) أنه ظن أنه غير طائفي.

قتل محمد عمران في طرابلس على يد المخابرات السورية لأنه كان منفتحاً (وكان رئيساً للوزراء بعد سنة ١٩٦٣).

صدرت أحكام بالإعدام ضد عفلق والبيطار والحافظ سنة ١٩٧١ بعد لجوئهم إلى العراق.

لم ينص الدستور (حافظ الأسد) على عروية أو إسلام سوريا، وركز على إنشاء جيل اشتراكي علماني، واستبعد الشريعة الإسلامية حتى كمصدر من مصادر التشريع.

الغرب والمستشرقون^(١)

يقول الشاعر الإنجليزي Kipling : -
الشرق شرق.. والغرب غرب.. ولن يلتقيا

الإسلام سبب المواجه بين الشرق والغرب

سمت: إن الاسلام كان عاملاً أساسياً وسبباً مهماً من أسباب وجود الهوة التي تفصل بين الغرب والعرب^(٢).

مؤتمرات:

١- مؤتمر برنستون سنة ١٩٤٧ (الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته).

٢- مؤتمر برنستون سنة ١٩٥٣ (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة).

٣- الإسلام في العصر الحديث سنة ١٩٥٧ ولغرد كانتول سمت .

طاف المؤلف تسع سنوات في العالم الإسلامي على حساب مؤسسة روكفلر، ويقع كتابه في ٣٠٨ صفحات، سبعة فصول الأول والثاني تاريخ المجتمعات الإسلامية.

١) الفصل الأول: الإسلام والتاريخ.

٢) الفصل الثاني: الإسلام في التاريخ الحديث، ثلاث حركات الأفغاني وولي الله الدهلوي ومحمد بن عبد الوهاب، ثم يتكلم عن السنوسية والمهدية وحركة الخلافة في الهند.

ثم الاتجاهات الفكرية التحررية Liberalism القومية Nationalism التبريرية Apologetic الحماسية Dogmatism .

٣) الفصل الثالث: العرب ٤) تركيا ٥) باكستان ٦) الهند ٧) مجموعة بلدان أفغانستان إيران اندونيسيا والأقليات

مخاطر التطوير

بين المقلدين (المستغربين) والمتحمسين (القادمين)

توميني ٤٨ (رغم أن حركة المقلدين هي ردة فعل أقوى بما لا يقاس من حركة المتحمسين في مواجهة المسألة الغربية المعنى التي تواجه العالم المعاصر كله اليوم إلا أنها - حركة المقلدين- لا تقدم في الواقع أي حل للمشكلة.

إنها أولاً لعبة خطيرة : لأن تغيير المثل والقيم يشبه تغيير جياذ العربة وفي وسط تيار النهر، والراكب الذي يفشل في الاحتفاظ بمقعده على سرج الجواد ... يجرفه التيار إلى الموت المؤكد. تماماً كالموت الذي ينتظر المتحمس عندما يقف بحريته ودرء أمام الأسلحة الآلية.

فاجتياز المرحلة مهلك وكثير هم الذين يتساقطون على الطريق^(٣).

(١) العنوان اختير من قبلنا ، جملة من أقوال الغرب والمستغربين.

(٢) الإسلام في التاريخ الحديث/ الفصل الثالث.

ملاحظات (٣) الشريط على التاتورك/ انظر العلمانية ص ٥٧٠ وأنظر المخططات الاستعمارية لكافة الاسلام ص ١٧٤.

الاتجاهات الوطنية ٣١٨/٢ ميكالي/العلمانية ٥٩٢/ التربية الإسلامية المعاصرة/ التنوير ٣٢ مدرس اللغة العربية ج١ الانجليزي ١٢ ج٢ هل نحن مسلمون ١١٢-١١٣

أحمد لطفي السيد وصهره اسماعيل مظهر وقاسم أمين / العلمانية ٥٩٩ حسين مؤنس (فكان اثني عشر قرناً من تاريخ هذا البلد ضاعت سدى) . العلمانية ٥٩٩ . لطفي السيد/ استقلال . البزار-كان وزيراً للمعارف احتجاجاً على فصل طه حسين من الجامعة/ لطفي السيد ٢٧٨.

فائدة التطوير (القطرة)

إن من الواجب سد هذه الثغرات ببناء قطرة فوق مثل هذه الهرة، وخلق الأسباب الموصلة للتقاهم والتواصل^(١).

فوائد التطوير والتحديث (تمزيق التأم الإسلامي).

جسب Whither Islam (لعل الآراء الجديدة وحاجات الحياة الجديدة ستنتج آخر الأمر في تشتيت المجتمع الإسلامي وتحطيم وحدته)^(٢).

مصطفى صبري^(٣) : (أما النهضة الاصلاحية المنسوبة إلى الشيخ محمد عبده فخلاصتها أنه زعزع الازهر عن جموده على الدين فاقرب كثيراً من الأزهرين إلى اللادينيين خطوات ولم يقرب اللادينيين إلى الدين خطوة واحدة).

مصطفى صبري ص ١٤٤ عن الالفاني وعنده (إنما اقتصر سعيهما على مساعدة الإلحاد المقنع بالنهوض والتجديد)^(٤).

البرت هوراني^(٥)

إن الذي يقرأ لمحمد عبده يحس أنه كان يريد أن يقيم سداً في وجه العلمانية، ولكن الذي حدث هو أن هذا السد قد أصبح قطرة للعلمانية دخلت عليه إلى العالم الإسلامي.

يقول لويدي عن كلية فيكتوريا سنة ١٩٣٦ : (ومتى تسنى للجمهور أن يعرف هذه الكلية يتنبه الآباء أن تعليم أولادهم فيها ينمي فيهم من الشعور الانجليزي ما يكون كافياً لجعلهم صلة للتقاهم بين الشرقي والغربي)^(٦).

ويقول مهكالي: (يجب أن ننشئ جماعة تكون ترجماناً بيننا وبين الملايين من رعيقتنا، وستكون هذه الجماعة هندية اللون والدم انجليزية الذوق والرأي واللغة والتفكير)^(٧).

جاء في الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته/ برنستون سنة ١٩٤٧ ص ٢١٥ البهائية (يقول كويلرينغ عن البهائية: وبهذا خاب الأمل الذي علقه الكثيرون على هذه الحركة من أنها ستكون قطرة بين ثقافتى الغرب والشرق)^(٨).

الحكم

أتاتورك: (نحن لا نريد شرعاً فيه قال وقالوا، ولكن شرعاً فيه قلنا ونقول).

(عليّ أن أنفذ ما أريد، وعليكم أن تدرجوا ما أعمل في الكتب)^(٩).

محمد عبده- الفتوى الترنسفالية/ مجلس شورى القوانين.

علي عبد الرازق: تبرير ما فعله أتاتورك خفقت وطأة الصدمة كما قال سير توماس أرنولد/^(١٠)

جسب (وقد يكون الاسلام الدين الرسمي للدولة، ولكنه سلب الحقوق التشريعية ونزل إلى مكانة الديانة المسيحية في أوروبا)^(١١)

(١) محمد حسين ١٠٩ .

(٢) الإسلام لمحمد حسين ١١١ الاجتماعات الوطنية ٢/٢٠١ .

(٣) موقف العقل والنعم والعالم من رب العالمين وسيد المرسلين ص ٢٤٢-٢٤٨/نقل عن الإسلام والحضارة الغربية ص ١٠٦ .

(٤) محمد حسين ١٠٧ .

(٥) Arabic thought on the liberal age ص ١٤٤ محمد حسين ٨٣ .

(٦) حسين ص ٤٦ .

(٧) المنشآت ٥٩٣ عن كتاب نحو التربية الإسلامية للندي ٢٢ العلول المستوردة ٢٨ .

(٨) محمد حسين ١٢٩ .

(٩) العثمانية ٥٧٢ (٢) العثمانية ٥٨٢ .

(١٠) العثمانية ٥٨٢ .

(١١) وجهة الإسلام ٥١ / عثمانية ٥٨٧ .

المقدمة

- ١- جومار: أستاذ فرنسي يشرف على الطلبة المبتعثين زمن محمد علي.
- ٢- سنة ١٨٧٢: قانون إسماعيل (القانون الخاص بتنظيم الأزهر وإصلاحه).
- ٣- زمن إسماعيل الخديوي- ظهر محمد عثمان جلال خليفة الطهطاوي.
- ٤- في القاهرة: ٢٠٧ مطابع لطباعة كل ترجمات القصص الغربية.

الدعوة إلى الذوبان في الغرب:

- ١- طه حسين، لطفي السيد، إسماعيل مظهر، قاسم أمين.
- ٢- طه حسين: (التزمنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونميز سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع، التزمنا هذا كله أمام أوروبا) (١).
- ٣- (علينا أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب) (٢).

الأزهر وممارسته / مدرسة القضاء الشرعي

- ١- لاحظ كرومر أن الأزهر مركز للدعاية المعادية لبريطانيا، وسيظل كذلك مادام متمسكا بأشالييه القديمة، ولذلك عمل كرومر مدرسة القضاء الشرعي، وحصل على برنامج كلية سراجيفر وأعطاه محمد عبده، وجاء سعد زغلول سنة ١٩٠٦ ونفذها (٣).

اللغة العامية والأحرف اللاتينية

- ١- عبد العزيز فهمي - اللاتينية.
- ٢- توفيق الحكيم - سكن تسلم.

الجامعات

- ١- ١٩٠٦ إنشاء جامعة علمانية على غرار الجامعات الفرنسية تناهض الأزهر (الذي يهدد الكنسية بالخطر).

ظهور التأثير (١)

- ١- الدارونية: شبلي شميل وسلامة موسى وإسماعيل مظهر والزهاوي والوصافي.
- ٢- فلسفة كورنت: محمد عبده.
- ٣- الإلحاد: إسماعيل أدهم (المجمع الشرقي لنشر الإلحاد).
- ٤- الوجردية: أنيس منصور.
- ٥- العلمانية: نجيب محفوظ.
- ٦- اللامعقول والعبث: بدر شاكر السياب، أدونيس (علي أحمد سعيد).

فوائد المؤتمرات الغربية / وصول الثقافة الغربية إلى الشرق

- ١- فادتها زيادة العناية بتحسين الوسائل التي تساعد التفكير الغربي على النفوذ إلى أعماق ثقافة الشرق الأدنى (١).

(١) الاجتماعات الوطنية ٢/٢. (٢) الاجتماعات الوطنية ٢/٢٢٩. (٣) محمد حسين ١١٠.

(٤) العلمانية ١١٨. (٥) الشرق الأدنى من ٩ محمد حسين من ١١٥.

المسـرأة

ثورة سنة ١٩١٩ أحرقت هدى شعراوي الحجاب مع زميلاتها في الشام (نظيرة زين الدين ألفت (السفور والحجاب).
صفية زغلول: أول زوجة زعيم تظهر سافرة/ (١).

سعد زغلول- شاركت سيّتي قاسم أمين في أفكاره التي ضمنها كتابه (المرأة الجديدة) (٢).

منيرة ثابت (الفتاة الثائرة) (أول صحفية مصرية).

الصحافة النسائية: (فتاة الشرق)

مجلات/ الهلال، المقتطف والعصور.

التعليم المختلط: (شيطان وشيطانه) شيطان (طه حسين) وشيطانه (سهير القلماوي) الرافعي.

في تركيا: (سنة ١٩٢٩ صدر قرار حرم تعدد الزوجات، وقضى على الحجاب والريّة ونظرة الطلاق جان بول رو.

يقول رو: (والمرأة التركية عصرية، فهي ترتدي أثواب السهرة العارية الكتفين والظهر، كما لا تحجم عن ارتداء المايو) (٣).

عقيلة أحمد حسين سفير مصر في أمريكا/

(كلامها عن الحجاب والنقاب وتعدد الزوجات مثل كلام قاسم أمين) (٤).

قال أحمد شوقي في الهرم:

هو من بناء الظلم إلا أنه وجه الظلم منه ويشرق

وقال في توت عنخ آمون:

وطوى القرون القهقري حتى أتى فرعون بين طعامه وشرابه

وفي أبي الهول.

تحير في البدن ماذا تكسسون وضلت برادي الظنون الفكر (٥)

الأثار

الدكتور كون (منذ حوالي قرن مضى أدت عمليات التنقيب الفاجحة التي قام بها بوتّا ولايارد في العراق وماريث في مصر
وشليمان في تركيا إلى تأسيس معاهد للإشراف على التنقيب وإلى إنشاء متاحف وطنية) (٦).

كون: (يجب أن تلحق دائرة الآثار بوزارة المعارف لا بالسياحة) (٧).

روكفلر: تبرع بعشرة ملايين دولاراً لإنشاء متحف للآثار الفرعونية ومعهد لتخريج رجال الآثار (٨).

سنة ١٩٥٦ أصدر بورقيبة قرارات بشأن المرأة.

مدح التراث الإسلامي دعاية لإيجاد التفاهم

يقول كالفرتلي: (إن الكتب التي تمدح التراث الإسلامي سيعني به كتاب أربري الذي كتب كتاباً يمدح فيه الآداب الشرقية- هي
في واقع الأمر نوع من الدعاية التي يقصد بها خلق جو من التفاهم بين المسلمين والأوروبيين) (٩).

(١) الطمانيّة ٦٣٥ (٢) سعد زغلول ٢٠٣ (٣) الأسلم في الغرب ١٨٦ الطمانيّة ٦١١-٦١٢.

(٤) كتاب المقاد/ مجرعة أعواد الشر من ٣٠-٨ (٥) الثقافة الإسلامية من ١٥٠-١٥٩ محمد حسين

(٦) الثقافة الإسلامية من ١٥٠-١٥٩ محمد حسين (٧) الشرق الأدنى من ١٨١-١٨٧ محمد حسين (٨) الثقافة الإسلامية ١٤٣ حسين ١٥٢.

(٩) الثقافة الإسلامية ٣٣٩ حسين ١٥٢

السادات ٢١ أكتوبر سنة ١٩٧٠

١٩٧١ ١٥ مايو القضاء على مراكز القوى.

١٩٧٢ طرد السوفييات ١٧ ألف خبير.

١٩٧٢ إغلاق المعتقلات.

١٩٧٣ حرب أكتوبر.

١٩٧٤ بدء الانفتاح الاقتصادي.

١٩٧٥ عودة الملاحة لقناة السويس.

١٩٧٦ الأحزاب.

١٩٧٧ رحلة القدس (١٩ نوفمبر سنة ١٩٧٧).

١٩٧٨ كامب ديفيد.

١٩٧٩ معاهدة السلام.

١٩٨٠ عودة العرش.

١٩٨١ القضاء على الحركات الإسلامية.

اليونانية والمسيحية والفلسفة الإسلامية

أسس الإصلاح الإسلامي الحديث / تركيا

حبيب توراني : (إن الفلسفة اليونانية القديمة (أ) والفلسفة المسيحية (ب) والفلسفة الإسلامية المتأخرة (ج) التي تأثرت بها عناصر مهمة في التفاعل المنشود الذي يسميه الإصلاح الإسلامي) (١).

سمت: إن وزارة التعليم التركية تعتبر الدراسات الانسانية أساساً لحضارة، فقامت بترجمة الكتب اليونانية واللاتينية، وهو جزء من تعميم تركيا على أن تصبح جزءاً من أوروبا (٢).

عبد الحق أدهوار: (وفي تركيا انفجرت ثورة تركيا الفتاة سنة ١٩٠٨، وكانت ثورة سياسية بحتة، ثم سمحت بدراسة الأديان المقارنة والفلسفة في إستانبول، فأصبح في الإمكان دراسة المسائل الدينية دراسة نقدية، وترجموا كتب بوخد وهيجل وفولتير وروسو) (٣).

التعليم

لويس توماس: (٤) (إن مصطفى كمال فشل في ريف الأناضول، وقد مكن التعليم لهذا التحول الجديد. لقد أمر حسن علي يوسف وزير المعارف التركي سنة ١٩٤٦ بترجمة مائة كتاب من اليونانية، ٢٢ من اللاتينية، ١٨ من الفارسية، ١٢ من العربية، و ٦٢٩ كتاباً كلاسيكياً منقولاً عن اللغات الأوروبية الحديثة) (٥).

يقول لويد المنسوب السامي البريطاني عن كلية فكتوريا سنة ١٩٣٦: (يجب أن يقتب الأباء أن تعليم أولادهم في هذه الكلية ينمي فيهم من الشعور الانجليزي ما يكون كافياً لجعلهم صلة للتقاهم بين الشرقي والغربي).

ضيا كوك ألب

(إن على تركيا أن تتخذ مبدئية الغرب وأن تحتفظ بثقافتها القومية) (٦).

يقول هارولد سميث وهو يكتب عن نظرية (ضيا كوك ألب) في فصل الدين عن الدولة : (إن ألب هو واضح الأسس النظرية للدولة

(١) محمد حسين ١١٨.

(٢) الإسلام في التاريخ الحديث من ٢٠٦ محمد حسين ١١٣

(٣) الشرق الأدنى ١٩٩ / محمد حسين ١٢٤

(٤) الشرق الأدنى ٢٧٢ / محمد حسين ١٢٧ .

(٥) اسلام سميث من ٣٠٢ حسين ١٧٧

(٦) وجهة الإسلام / جب ص ٢٥٨ محمد حسين ١١٩ .

التركية الحديثة) ^(١).

يقول إلبرت هوراثي: (قد نادى بفكرة مجتمع قومي علماني فريق من الكتاب المسيحيين السوريين).
ويقول شبلي شميل (ليس الحكم الديني والحكم الاستبدادي فاسدين فحسب، بل هما غير طبيعيين وغير صحيحين) ^(٢)..

الحرية

تقوم الحكومات العلمانية (المدنية) بتوفير الحرية الفكرية للناس إذا استعملوها ضد الدين.
كولر ينخ (إن إيران تمنح الفرد حرية العقيدة وتترك له حق تغيير دينه أو مذهبه الطائفي وتحميه بالقانون) ^(٣).

الانقلابات العسكرية العلمانية

قسطنطين زريق: (يجب أن تكون الحكومات في البلاد العربية مدنية بكل معاني الكلمة، فليس في المجتمعات الحديثة مكان للخلاف والفرقة التي تقوم على أسس دينية أو مذهبية) ^(٤).

ويقوله: (إن العرب لابد لهم في عهدهم الجديد من قيادة قديرة وتقدمية، وإن عليهم أن ينبذوا من تقاليدهم العناصر، وعندئذ فقط تستطيع الطائفة المستتيرة أن تواصل كفاحها ضد العناصر الرجعية بالتعاون مع الغرب) ^(٥). جب: (إن نجاح التطور يتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء في العالم الإسلامي وعلى الشباب منهم خاصة) ^(٦).

التحرريون والمناصب العليا ^(٧)

(إن التحرريين كثيرين و يشغلون مناصب كبيرة في قيادة المجتمع في كل نواحي الحياة تقريباً، فهم ينتشرون في معاهد التعليم، ويصدرون عدداً كبيراً من الكتب، ويسيطرون على أكثر الصحف، وينتشرون على أكثر (الصحف)، ومنهم أحمد خان، وأمير علي، وشبلي وأبو الكلام آزاد، وعبد، وطه حسين، ونامق كمال وتوفيق فكرت).

فشل الليبرالية والأنظمة الغربية

يقول برنارد لويس: (إن أخذ أي نظام سياسي جاهز ليس فقط من بلد مختلف بل من حضارة مختلفة وفرضه بواسطة الغربيين أو الحكام المتغربين في الشرق عمل خاطئ، فلقد فرضت الديمقراطية بأوامر وفرمانات الحاكم المطلق... فكانت النتيجة قيام نظام لا صلة له بـماضي أو بحاضر البلد، ولا صلة له بحاجات مستقبله) ^(٨).

الدين العالمي

كالفرلي: (وحيثما يصبح الجميع أحراراً في تفكيرهم لهم من الشجاعة ما يجعلهم يتقبلون ما هو خير وعدل وجميل، عندئذ يكون من المحتمل أن يسود العالم دين واحد، وإنني ساكون سعيداً باتباع دين عالمي موحد) ^(٩).

ملاحظة: الخير والعدل والجمال أساس القيم الليبرالية اللادينية والعلمانية، وهي أساس المبادئ الكمالية: الحق والعدل والجمال ^(١٠).

(١) الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ص ٧٢ محمد حسين ١٤٧. (٣) الطنانية ٥٥٨. القومية العربية في ضوء الإسلام ص ٨٠.

(٢) محمد حسين ١٢٦. (٤) الشرق الأدنى ٣٣٦/ محمد حسين ١٢٦.

(٥) الشرق الأدنى ٣٢٥. (٦) الشرق الأدنى ٣٥٢/ حسين ١٢٦. وجهة الإسلام كذلك.

(٧) إسلام سمث ٦١ ص ٧٨. (٨) فرمازي رجنول ١٣٩.

(٩) الشرق ١٣٦/ حسين ١٣٣. (١٠) الشرق ٢٠٤.

أصناف علي فيضي الإسلامي

(فالتيار المعاصر من الفكر الأوروبي والتقدم العظيم الذي حققه المفكرون البروتستانتيون منذ أيام لوثر، والمدرسيون منذ أيد، توماس أكويناس وسوارز (وماريتان) وبرداينف، وثأملات المفكرين اليهود وغيرهم في العالم الحديث يجب أن تستخدم في بصير لتقوي وتجدد المبادئ اللاهوتية الإسلامية)^(١).

سمث: (إن دراسة الدين المقارن تساعد على تقريب ما بين الأديان من فوارق، وتعين على إنشاء علاقات دولية تقوم على التفاهم)^(٢).

أخذ الحضارة ككل^(٣)

(إن الفشل في تطبيق الحضارة الغربية يرجع إلى تطبيق جزء منها، فالنظام الغربي كل لا يتجزأ، ولا بد لكي يؤدي ثماره أن يطبق تطبيقاً كاملاً).

(علينا أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلود ومرها، ما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب)^(٤).

توينبي : (كان السبب في فشل تركيا أن السلطان سليم الثالث ومحمود الثاني لم يكونوا يحملون إخلاصاً للحضارة الغربية وكانت نيتهم الأخذ بالحد الأدنى من جرعة الثقافة الغربية اللازم لبقاء الرجل المريض على قيد الحياة إن كل حضارة وكل نمط حياة هو وحدة متكاملة غير قابلة للتجزئة، وكل أجزائها مترابطة الواحدة بالأخرى).

(إن كل مجتمع يحاول أن يكتسب الفن الغربي دون أن يحارل أن يعيش الحياة الغربية نفسها مريض للفشل في محاولته)^(٥).

حك الانتداب / فلسطين

(يجب أن نضع الدولة المنتدبة وتنفذ في السنة الأولى من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب قانوناً خاصاً بالأثار والحديات)^(٦).

الإسلام الكلاسيكي والإسلام الحديث

قال فضل الرحمن الهندي : إن الإسلام الذي أنزل على محمد ﷺ هو الإسلام الكلاسيكي، والحديث هو المتأثر بالمذاهب الغربية ومن أقسام الإسلام الحديث إسلام الهند الذي أسسه أحمد خان مؤسس الكلية المحمدية الانجليزية الشرقية (لنشر الإسلام الحديث المتأثر بالمذاهب الغربية)^(٧).

ويقول فضل الرحمن الهندي: (كل تغيير كبير في رأي الإنسان عن العالم يستلزم ترجمة جديدة وإعادة تقرير للحقائق الأساسية للعقيدة)^(٨).

العلمانية

صبيح المحمصاني المحامي اللبناني^(٩) (يجب تجنب المزج بين الدين ومعايش الدنيا، فالمسلمون اليوم أمام تيار جارف، فعليه السير في قطار الحياة العصرية وهذا يزودهم بالطاقة اللازمة لهدم أكواخ التقليد الأعمى، وتحطيم القيود التي وضعها الجهلة في وجه الاتحاد والأخوة الانسانية) ، (ولاشك أن هذا القول قد لا يروق لبعض الجهلة المحافظين الذين يزعمون العلم بالإسلام والشرعية). (إن إنشاء وزارة الشؤون الدينية في إندونيسيا إنما جاء توسطاً بين النظرية العلمانية المسيحية التي تفصل النولة عن الكنيسة والنظرية الإسلامية التي توحد بينهما) فهي تعين المساجد والكنائس بالتساوي^(١٠).

(١) الإسلام في التاريخ الحديث ص ٧٠٦ / المصنف / محمد حسين ١٦٥

(٢) الاتهامات الوطنية ٢/ ٢٢٩ - بيروت.

(٣) المادة ٢١ حك انتداب / فلسطين -

(٤) الثقافة ص ٩١ محمد حسين ١٥٤.

(٥) محمد كفاوي أنطونيبي . الثقافة الإسلامية ص ٣٧٩ / محمد حسين ١٥٦.

(٦) الثقافة الإسلامية ص ٤١١ محمد حسين ١٥٥.

(٧) الشرق الأدنى / حسين ١٣٣ . طه حسين / الفقرة (٩) مستقبل الثقافة / حسين ١٣٤.

(٨) الإسلام والغرب والمستقبل ص ٢٢-٢٤ .

(٩) الثقافة الإسلامية ص ٣٩٥ . ص ٨١١ محمد حسين ص ١٥٣.

(١٠) الثقافة الإسلامية ص ١٦١-١٨٠ / محمد حسين ١٥٥.

سمت: إن العلمانية تشق طريقها في العالم الإسلامي في تقدم مستمر، وإن من الممكن تطبيقها بقوة السلاح أو بالضغط السياسي، ولكن من المهم أن تستند في تقدمها إلى سماح الدين بها وإباحته لها وإلا انعدم السلام والانسجام في كل من الفرد والجماعة ... وإن الحرية والانسانية إذا قدر لهما أي رواج في العالم الإسلامي فسوف يكونان في - دولة تحدد إسلامي وإنسانية إسلامية^(١).

تركيا / الإصلاح الإسلامي الكمالي

سمت^(٢) : ١- إن تمجيد المسلمين للقرون الأربعة الأولى وهم.

٢- إن تسمية الإصلاح الكمالي فسق وانحراف وهم.

(إن تمجيد المسلمين للفترة الأولى من الإسلام تحت حكم الخلفاء الراشدين وهم يقوم على تصور رومانتيكي يجسم فيه الخيال منه العلوية السماوية)^(٣).

ويقول: العالم الإسلامي يسير على أثر الخط الكمالي، فإن لم يسر فإن الاختلاف بين المسلمين سيكون جلياً واضحاً^(٤).

سمحت تركيا سنة ١٩٤٦ بإدخال التعليم الديني في المدارس، و سنة ١٩٤٧ سمحت بالحج بعد أن ظل ممنوعاً سنوات طويلة، وسمحت بإنشاء مدارس للوعاظ والائمة سنة ١٩٤٨، و سنة ١٩٥٠ سمحت بزيارة القبور^(٥).

هب استمرار الكمالية

قال سمت (وإذا قدر للأشكال القديمة أن تنتصر فذلك يعني أن الثورة قد فشلت في آخر الأمر)، ثم يقول بصراحة: إن من الواضح أننا لا نتمنى هذا المصير، ولا نعتقد أن التجربة التركية سوف تسحق وتباد^(٦).

تربيني يصف الكمالية ٤٩-٥٠ (لقد هزت الثورة جميع المستويات في وقت واحد فهزت بذلك جميع مناحي حياة الشعب التركي هزة شملت ذروة وأقصى أطراف التجربة الاجتماعية وسائر حقل النشاط الأخرى).

ولم يكف الاتراك بتغيير دستورهم، بل قامت الجمهورية التركية الوليدة بخلع المدافع عن الدين الإسلامي، وألغت منصبه، وجردت رجال الدين المسلمين، وحلت منظماتهم، وأزالت الحجاب عن رأس المرأة، واستنكرت كل ما يرمز إليه الحجاب، وأجبرت الرجال على ارتداء القبعات التي تمنع لابسها من أداء شعائر الصلاة الإسلامية التقليدية بخاصة في السجود، وكنتت الشريعة الإسلامية بأكملها، وتبنت القانون السويسري، وطبقت قانون الجرائم الإيطالي، وغيّرت الأحرف العربية بأحرف لاتينية، وهذا أمر لم يتم إلا بضرع القسم الأكبر من التراث الأدبي العثماني القديم).

وما هم حاولوا ولو متأخرين إقامة صورة طبق الأصل للدولة غربية وشعب غربي.

فقد استطعنا أخيراً أن نحطم سلاح التركي النفسي-الاستعلاء على الغرب، وحرصناه على القيام بهذه الثورة (المقلدة) التي استهلكها الآن أمام أعيننا.

الهوة بين العرب والترك

يقول سمت ١٩٤ ١٧٦ : (إن الذي يعيننا الآن هو الهوة العميقة التي تفصل الترك في المجال الديني عن العرب).

استمرار تطور الدين

في تركيا كيميائيات ومحاميات وطبيبات، ففي أنقرة حوالي ٢٠ محامية، إن التقدم قد مضى إلى مدى لا يترك معه فرصة لعودة

(١) الإسلام في العصر الحديث ٢٠١ حسين ١٧٢ (٢) الإسلام في التاريخ الحديث ١٦٣-١٦٦ / حسين ١٦٨ (٣) الإسلام ٢٤٦ حسين ١٦٩ (٤) الإسلام / سمت ١٨٠ / حسين ١٧٥ (٥) الإسلام / سمت ١٨٩ / حسين ١٧٥ (٦)

الأفكار القديمة، إن الدين أخذ بالتطور والتدرج، ونحن نأمل مخلصين أن يظل التطور والتدرج مستمرًا في طريقه^(١).

كره الأتراك

(كتمل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر...)

توينبي ٥٢: يرى المؤرخ أن التركي كان يستعلي على الأوربي (فاستطعنا أخيراً أن نحطم سلاحه النفسي، وحرضناه : القيام بهذه الثورة التي استهلكها الآن أمام أعيننا، وبعد أن تغير التركي بتحريضنا ورقابتنا... الآن نحن نحس بالضيق والحر، ونميل إلى الشعور بالسخط والحنق).

باكستان

بتسائل سمث عن إمكانية ظهور أتاتورك جديد في باكستان ثم يقول (إن باكستان لا تتجح كدولة علمانية إلا إذا اقتنعنا بأن الدولة الإسلامية هي في حقيقتها دولة علمانية).

ويشير سمث إلى كتاب علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم) وأنه متوفر في باكستان بالأردية والانجليزية). وهناك تشابه بين كوك ألب وعلي عبد الرازق، ويلتقي هذا بالتصور المسيحي، فالنحلة المسيحية خاصة البروتستانت دولة علمانية^(٢) ملاحظة: الإسلام وأصول الحكم: صدر سنة ١٩٢٥ ليبرر لكمال إلغاء الخلافة.

سبب فشل الحكم

إن أسباب فشل باكستان في تحقيق وجود دولة إسلامية أن القيادة منذ مولد هذه الدولة كانت مركزة في يد طائفة من أثري المسلمين المتفردتين ظهرت منذ قرن... وكانوا غير مؤهلين للقيام على مهمة إعداد الدولة لكي تكون دولة إسلامية^(٣). (إن شؤون الدولة السياسية والاقتصادية والإدارية لم تكن تؤدي إلى تعوير النظرية السياسية فحسب، ولكنها كانت تصدر القادة عن الأهداف الدينية)^(٤).

أنواع الإسلام

يكرر سمث في كتابه: الإسلام الهندي، الإسلام الباكستاني، التركي، وينقل عن الكماليين (نريد أن نبني إسلاماً تركيا يصدر ملكاً لنا وجزءاً من مجتمعنا الجديد على نحو الكنيسة الإنجليكانية التي هي مسيحية على النمط الإنجليزني)^(٥).

التصوف

التصوف أصلاً هو الزهد، فهو منهج في السلوك وليس نظرية في المعرفة، ثم اعتراه الفساد عندما أصبح نظرية في المعرفة فاختلف فيه الحق بالباطل، والأصيل بالسخيل، والصحيح بالظنون والأوهام. سمث يشجع التصوف في صفحات كثيرة من كتابه ص ٣٤-٣٧.

فشل الحضارة الغربية

صباحي الطويل ص ٩ :

جب: (إن بقود الانهيار تكمن في النجاح الذي لاقاه المتقربون)^(٦).

(٢) سمث ٢٢٠ - ص ١٧٦.

(٦) توينبي ترجمة نبيل صباحي.

(٢) سمث ٢٢٢ - ص ١٧٩ / سمث ٢٢٠ ص ١٧٩.

(٥) انظر ص ٣٦ رأي لويس.

(١) الإسلام سمث ٣٥٢، ٣٥٣ ص ١٦٩.

(٤) اسلام سمث ١٩٣ ص ١٧٠.

القومية التركية

توثيق معاصرتاه ص ٢٢ (إن الضباط في تركيا الحميدية الطبقة الوحيدة التي استطاعت أن تفتح نافذة فكرية دائمة تنفذ عن طريقها التأثيرات الغربية، لذلك في عام سنة ١٩٠٨ وبعد ثلاثين عاماً من حكم استبدادي مظلم كان الجيل التركي الجديد من العسكاريين هو رأس الحرية نهجهم التثويرانية الغربية على تركيا، وكانت ضرورة تغريب الجيش التركي والتي أقرها رجعي متطرف مثل السلطان عبد الحميد أمراً عرفه قبل مائة عام من حكم عبد الحميد سلفه الليبرالي المتحرر السليمان الحظ السلطان سليم الثالث).

الإسلام والغرب والمستقبل^(١)

١- تحطيم كهرياء الأتراك ص ٥٢ : (وبما أن التركي القديم كان يعتبر نفسه من طينة خاصة حاولنا أن نحط من كبريائه، واستطعنا أخيراً أن نحطم سلاحه النفسي، وحرصناه على القيام بهذه الثورة (المقلدة) التي استهلكها الآن أمام أعيننا، والآن وبعد أن تغير التركي بتحريرضنا ورقابتنا أصبحنا نحس بالضيق والخرج، ونميل إلى الشعور بالسخط والحنق).

٢- الحركة الكمالية:

أ- مقلدة متبعة وليست مبتدعة مخترعة.

ب- تمثل أقلية.

٣- الفرق بين أساليب الغرب وعبيده ص ٥٦

(٢) ويمكن أن نلاحظ في سياق بحثنا هذا أن أي اصطدام وقع ويقع بين (المتحمسين) وأبناء جلدتهم من (المقلدين) المسلمين يلقي (المتحمسون) فيه عناء شديداً، ويعاملهم (المقلدون) معاملة قاسية لا يتجاسر الغربيون على القيام بها، فالغربيون يعذبون (المتحمسين) بالسياط! أمّا (المقلدون) المسلمون! فيعذبونهم بالعقارب!!

فبالأسلوب المرعب الذي اتبعه الملك أمان الله في إخماد ثورة (الباتان) سنة ١٩٢٤، والأسلوب الذي اتبعه مصطفى كمال أتاتورك في قمع الثورة الكردية سنة ١٩٢٥ يظهران بوضوح الفارق في العنف والشدة بين أساليب هذين (المقلدين) المسلمين!! وبين الأساليب الأكثر إنسانية!! التي اتبعها الانتداب البريطاني في نفس الوقت لإخضاع المعارضين الأكراد في شمال العراق، وإخضاع (الباتان) الثائرين في شمال غربي المقاطعات الهندية التي كانت تحكمها بريطانيا.

٤- مدح البهائية والقاديانية ص ٦٠

والواقع أن تأثير الغرب بدأ يحرك كوامن الإسلام، ويمكننا أن نميز في هذه الأيام المبكرة بعض الحركات الفكرية التي يمكن أن تصبح أجنة لديانات سامية جديدة!!!

ويذكر المراقب الغربي المعاصر حركتي (البهائية) و(الأحمدية) اللتين ظهرتتا أولاً في عكا (فلسطين) ولاهور (يوم كانت جزءاً من الهند)، إذ بدأتا ترسلان المبشرين بهما إلى أوروبا وأمريكا.

٥- العنصرية من آثار الاستعمار الغربي ص ٦٣.

قد يحكم البعض على (النصر) الذي أحرزته الشعوب الناطقة بالانجليزية أن (نعمة للبشرية)! من بعض الوجوه... ولكن إذا نظرنا للحالة الخطيرة الحاضرة من الشعور بالعنصرية لا يمكن لأحد أن ينكر أن ذلك (النصر) لم يكن... إلا... منكباً....

٦- العنصرية ص ٦٤

ومن هذه الوجهة فرض «انتصار» الشعوب الناطقة بالانجليزية على البشرية كلها المشكلة العنصرية.

(٢) هذا الموضوع يعطى التاسع.

(١) لتوثيق ترجمة نيل صبحي.

ولو كان الفرنسيون، مثلاً، هم المنتصرون، وليس الإنكليز، في صراع القرن التاسع عشر، وأستولوا على الهند وأميركا الشمالية لما ظهرت تقريباً المشكلة العنصرية.... أو على الأقل، لما اتخذت هذا الطابع الحاد، ولا شملت هذه المساحات الواسعة من العالم.

٧- العزلة ص ٦٥

وه الحكام الإداريون» الإنكلوساكسون الآن هم معزولون فكرياً عن أبناء البلاد الأصليين بسبب «الحاجز اللوني» الذي أثار، «تمييزهم العنصري».

وتحويل نفوس السكان الأصليين نحو الخير أمر أرفع من أن تبلغه إمكانات هؤلاء «الحكام الإداريين الغربيين»، وفي هذه المنطقة بالذات يمكن للإسلام أن يلعب دوره في هذا الموضع.

وفي المناطق الاستوائية المفتوحة حديثاً أو جدد الحضارة الغربية ملامة اقتصادية وسياسية في نفس الوقت الذي أحدثت هي نفسها فيه فراغاً اجتماعياً وروحياً.

٨- التحطيم النفسي ص ٦٦

ولقد أحس مؤخراً بعض المتحررين!! من الإداريين الغربيين بالمدى البعيد للتحطيم النفسي الذي نتج عن دخول الغرب لتلك المناطق...

٩- ٤ فراغ في الحياة ص ٦٦

إلا أن الفراغ الروحي في نفوس الوطنيين لا يزال في وهدّة عميقة، والقول أن «الطبيعة تكره الفراغ» قول حق على الصعبيين المادي والروحي، والحضارة الغربية التي فشلت في ملء الفراغ الروحي وضعت تحت تصرف أية قوة روحية أخرى تروود الميدان شبكة لا مثيل لها من وسائل المواصلات المادية.

١٠- حدود العالم الإسلامي ص ٦٩

من مراکش إلى الفلبين ومن نهر (الفولغا) في أوروبا إلى نهر (الزنجيزي) في جنوب أفريقيا.

١١- الخلافة ص ٧٢

وهذه النظرة في التنبؤات الحاضرة لمستقبل «الوحدة الإسلامية» Pan Islamism جاءت نتيجة للفشل في محاولة إحياء الخلافة الإسلامية؛ ففي الربع الأخير من القرن التاسع عشر اكتشف السلطان العثماني عبد الحميد لقب «ال خليفة» في مستودع «المهمات» في قصر «سيراغليوه»، وبدأ يلعب به كوسيلة لتجميع القائلين بالوحدة الإسلامية حول حكمه.

١٢- خطر الإسلام ص ٧٣

صحيح أن الوحدة الإسلامية تانمة.... ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ إذا ثارت البروليتاريا العالمية للعالم المتغرب ضد السيطرة الغربية، ونادت بزعامة معادية للغرب، فقد يكون لهذا النداء نتائج نفسانية لا حصر لها في إيقاظ الروح التضالية للإسلام، حتى ولو أنها نامت نومة أهل الكهف، إذا يمكن لهذا النداء أن يوقظ أصداء التاريخ البطولي للإسلام.

وهناك متاسبتان تاريخيتان كان الإسلام فيهما رمز سمو المجتمع الشرقي في انتصاره على الدخيل الغربي. ففي عهد الخلفاء الراشدين، بعد الرسول، حرر الإسلام سورية ومصر من السيطرة الرومانية التي أثقلت كلاهما مدة ألف عام تقريباً.

وفي عهد «نور الدين»، «صلاح الدين» والمماليك احتفظ الإسلام بقلعته أمام هجمات الصليبيين والمغول.

فإذا سبب الوضع الدولي الآن حرباً عنصرية... يمكن للإسلام أن يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة أخرى..... وأرجو أن لا يتحقق

ذلك.

ويقول توينبي أيضاً (عن دوافع الغرب) التي حركتهم لتحريض مصطفى كمال للقيام بالثورة:

من المؤكد أننا لم نكن نحب التركي التقليدي المسلم (المتحمس) الذي كان يثير حقتنا عندما ينظر إلينا من على أعلى أننا فريسيين زناديق! ويحمد -أي التركي- الله على أنه لم يجعله مثناً، وبما أن التركي التقليدي القديم كان يعتبر نفسه من طينة خاصة، حاولنا أن نحط من كبريائه بتصوير هذه -الطينة الخاصة- شيئاً معقوتاً، وسميناه (التركي الفكرة) ... إلى أن أستطعنا أخيراً أن نحطم سلاحه النفسي، وحرضناه على القيام بهذه الثورة (المقلدة) التي استهلكها الآن أمام أعيننا.

والآن وبعد أن تغير التركي بتحريضنا ورقابتنا ... ، وبعد أن أصبح يفتش عن كل وسيلة تجعل نفسه معاثلاً لنا وللشعوب الغربية من حوله، الآن نحس نحن بالضيق والخرج، بل ونميل إلى الشعور بالسخط والحق، تماماً كما شعر صموئيل عندما اعترف بنو إسرائيل بفظاظة غايتهم ورغبوا في وجود ملك.

لذلك فإن شكوانا الجديدة من الأتراك في هذا الظرف أمر أقل ما يقال عنه إنه غير لائق، وبإمكان التركي أن يجيبنا: أنه مهما فعل فهو مخطئ في نظرنا، وهو -أي التركي- قادر على تريد مقطع من كتابنا المقدس على مسامعنا، يقول:

«لقد نفخنا معكم في القرب فلم ترقصوا، وحرزنا معكم فلم تبكوا !!»^(١).

الأفغاني ومحمد عبده

يقول جمال الدين (إن الأمة هي مصدر القوة والحكم، وإرادة الشعب هي القانون المتبع، والقانون الذي يجب على كل حاكم أن يكون خادماً له وأميناً)^(٢).

ويقول جمال الدين (وهكذا دعوى الاشتراكية وإن قل نصراتها اليوم فلا بد أن تسود العالم يوم يعم فيه العلم الصحيح، ويعرف الإنسان أنه وأخاه من طين واحد) (أما الاشتراكية، في الإسلام فهي ملتزمة مع الدين الإسلامي، ملتصقة في خلق أهله منذ كانوا أهل بدو وجاهلية، وأول من عمل بالاشتراكية بعد التدين بالإسلام هم أكابر الخلفاء من الصحابة، وأعظم المحرضين على العمل بالاشتراكية هم أكابر الصحابة)^(٣).

(١) الإسلام ... والغرب . والمستقبل توينبي ٥١-٥٢ . (٢) العثمانية/ سفر العوالي من ٥٢٥ نقلاً عن كتاب/ الاتجاهات الفكرية على المعاصرة ص ١-٢ (٣) العثمانية ٥٢٦.

حاضر
العالم الإسلامي
الجزء الثاني

تجار الحروب

إن جميع الثروات والانقلابات والحروب التي وقعت منذ بدء عصر التسامح مع اليهود (وهي القرون ١٨، ١٩، ٢٠) تكاد تكون من صنع اليهود بالوسائل:

١- المال.

٢- الألقاب العلمية.

٣- التفضيل الديني.

آل روتشيلد

جدهم (ماير روتشيلد) ولد في فرانكفورت بالمانيا سنة ١٧٤٣-١٨١٢ افتتح محلاً بالاشتراك مع جاكوب شيف، وطد روتشيلد علاقته مع ملك المانيا واستثمر أمواله، وعندما دخل نابليون المانيا سنة ١٨٠٦ ساعده روتشيلد. أنجب خمسة أولاد وخمس بنات توزعوا على فرانكفورت، المانيا / فينا، النمسا / لندن، بريطانيا نابولي، ايطاليا / باريس.

حرصت عائلة روتشيلد على التزاوج الداخلي، فكان يتزوج العم ابنة أخيه والخال ابنة أخته. اسهم آل روتشيلد في إثارة الحروب والفتن التي دبرتها الماسونية اليهودية.

أ - الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩

كان المحفل الماسوني الأكبر في باريس مركزاً لتجمع قادة الثورة .

جاء في دائرة المعارف الماسونية / حنا أبو راشد (قال لامرتين : إن إعتقادي ثابت بأن الماسونية أخرجت الأفكار العالية التي تأسست عليها الثورات الكبرى سنة ١٧٨٩، ١٨٣٠، ١٨٤٨)

الثورة لم يقم بها فرنسيون بل قام بها أجنبى يتسترون وراءها .

نيكر كان وزير مالية للويس السادس عشر فأغرق فرنسا بالديون (١٧٠) مليون استرليني، حاولت ماري انتوانيت زوجة لويس أن تقف حجر عثرة أمام اليهود فخططوا لتجوييع الشعب، وفي سنة ١٧٨٩ أكره الدانتون اليهود ملك فرنسا على إصدار قانون يسهل سرقة العرش. وقامت مظاهرات يقودها (شول ديرا دي لاكس، مانيول، ديفد الرسام) من اليهود، وأعدم الملك وزوجته، وهدمت الأديرة ونهبت أموالها، (مليار فرانك) ووزعت على اليهود.

وجدت رثيقة بين كتب (ميرابر) تبين دستور الثورة الفرنسية.

(يجب أن نسحق كل النظم، وأن نلغي القوانين، وأن نحو كل السلطات، وأن نترك الناس فوضى، .. ولما كان الشعب ألة يحركها المشرعون حسب إرادتهم فمن الضروري أن نستخدمه لتأييدنا.

رجال الدين يجب أن يسخر منهم ... القذف والقتل والكفر كلها مباحة أثناء الثورة ... يجب أن نبث فكرة مساواة لا يمكن تحقيقها ولكن تكون ملفاً للشعب ... ماذا يهم الفرائس وعددها ... ماذا يهم التخريب والاحراق والنهب والسفك، يجب أن لا نقدر شيئاً، وأن نتبع أية وسيلة مادامت تقضي إلى الغاية)^(١).

(١) تاريخ الجمعيات السرية لعنان ١٨٤١ الأقمى اليهودية ١٦.

تحولت فرنسا بعد الثورة إلى:

١- مزرعة يهودية.

٢- ما خور للدعارة.

ب- أثر اليهود في حروب نابليون

في ١٧/٢/١٧٩٩ قدم توماس كوربت الضابط الفرنسي تقريراً إلى حكومة نابليون يعرض الاستفادة من اليهود في حروب الشرق مقابل أن يمنحهم نابليون منطقة محاذية لقناة السويس تمهيداً لإقامة دولة في فلسطين.

وفي ٢٠ أبريل ١٧٩٩ وجه نابليون النداء التالي إلى اليهود:

(إن العناية الإلهية التي أرسلتني على رأس هذا الجيش إلى هنا قد جعلت رائدي العدل وكلفتني بالظفر، وجعلت من القدس فقري العام وهي التي ستجعله بعد قليل في دمشق التي لا يضرها جوار بلد داود ، يا ورثة فلسطين الشرعيين إن فرنسا تتادىكم الآن للعمل على إعادة احتلال وطنكم ٠٠٠ إن هذه اللحظة لن تعوض قبل آلاف السنين)^(١).

ومع ذلك فقد ادعى نابليون الإسلام فقال لأهل مصر:

(أيها المشايخ والقضاة والأئمة وأعيان البلد قولوا لامتكم أن فرنسا هي أيضاً مسلمون مخلصون)^(٢).

في حرب نابليون مع بريطانيا كان اليهود يقدمون القروض للفريقين. وعلم روتشيلد في لندن من أخيه في فرنسا رجحان كفة الانجليز فذهب إلى البورصة متجهماً الوجه فظن الانجليز خسارة المعركة فطرحوا الأسهم بأسعار زهيدة ، وفي اليوم الثاني ارتفعت فربح عشرة ملايين دولار في يوم واحد)^(٣).

كانت بريطانيا تضطر إلى شراء الذهب من آل روتشيلد لتشتري بالذهب التمرين منهم أيضاً.

بعد هزيمة نابليون في واترلو عقدت معاهدة باريس سنة ١٨١٥م وفرضت الدول على فرنسا دفع غرامة سبعمائة مليون فرانك ، فلجأ لويس الثامن عشر إلى روتشيلد فاشترط أن يحصل يهودي على منصب رفيع في القصر الملكي. واكتشف نابليون مكر اليهود فقال:

(لقد عرّضت على تحسين أحوال اليهود غير أنني لا أريد زيادة منهم في مملكتي ، لقد عملت بالفعل كل ما يشبث أزدرائي لا حقر شعب على وجه الأرض) وقال:

إن الدنيا تساس من قبل جمعيات سرية فلا يجوز أن نكتم هذه الحقيقة ونغش أنفسنا).

وقال لودندورف (إن الماسونية هي التي قضت على نابليون).

ج- أثر اليهود في أغلب ثورات القرن التاسع عشر

كان اليهود وراء الانقلابين اللذين وقعا في فرنسا سنة ١٨٣٠ ، ١٨٤٨م وكانوا وراء اغتيال غستاف الثالث ملك أسوج ، وابن الملك شارل العاشر وكذلك الياصابات في النمسا ، وهمبرت الأول في إيطاليا ، واسكندر الثالث في روسيا ، وشارل الثاني في البرتغال.

هذا بالإضافة إلى الذين سعوا في قتلهم فأحبط عملهم.

أسهموا في:

حرب الصهبة أسابع سنة ١٨٦٤ بين بروسيا والنمسا.

حرب السبعين بين فرنسا وبروسيا.

(٢. ١) الألفى البرية ص ٢٤. (٣) الألفى ص ٢٥.

العصيان الذين أعلنه الشيوعيون سنة ١٨٧١ في باريس.

الحركات (العهدستية / روسيا) (الشعلة / بافاريا) (الكريوناري / إيطاليا) الفوضوية وكانت التهلisisية نواة للثورة الشيوعية سنة ١٩١٧ .

سرب الزنبر بينه الانجليز واليهود في الترتسفال سنة ١٨٩٩-١٩٠٢ من أجل الذهب.

د - أثرهم في الحربين العالميتين

في سنة ١٨٧٤ وصل دزرائيلي اليهودي إلى منصب رئاسة الحكومة البريطانية وعن طريق سيطرة اليهود على بريطانيا (السلطة ومال آل روتشيلد) تسببوا في الحربين العالميتين.

الحرب الأولى سنة ١٩١٤-١٩١٨ أوهم اليهود بريطانيا أنهم سيكسبون مستعمرات ألمانيا غنيمة لها.

يقول هرتسل (الدولة اليهودية): «نحن اليهود حينما نغرق نحول إلى عناصر ثورية مخربة، وحينما ننهض ، تنهض معنا قوتنا الرهيبة لجمع مال العالم في بنك اليهود».

ويقول ماركوس رالفاج الروماني (نحن اليهود نقف من وراء جميع حروبكم وأن الحرب الأولى قامت لتحقيق سيطرتنا على العالم).

وقال أوسكار لينبي (العناصر اليهودية أساس الرأسمالية والشيوعية) وقال هنري فورد (إن الطرف الذي استفاد من الحروب دائماً هم اليهود العالميون).

ونجح اليهود بأمركا في الحرب مقابل وعد بلفور لليهود . وذلك بتأثير مستشاري الرئيس الأمريكي (ولسن) وهم من اليهود إذ كان باروخ مستشاراً للشؤون الاقتصادية ومورجانتو للعالية وماندل للسياسية وليمان للقانون الدولي.

وحاول اليهود ألا تقف الحرب ، فشركة مورجان أقنعت الجنرالات الفرنسيين بعدم توقيع الهدنة. وذلك لأن أصحاب الملايين في سنتي الحرب سنة ١٩١٧-١٩١٨ أصبح (٢١ ألفاً) معظمهم يهود.

ونجح اليهود بون خروج تركيا من الحرب قبل هزيمتها الساحقة. وذلك أن دور مورجانتو (سفير أمريكا في تركيا) نجح في اقناع ولسن بضرورة اخراج تركيا من الحرب وعقد صلح منقود مع بريطانيا وحلفائها. ووافق ولسن وأوفد مورجانتو مع الأموال لانتظام المشروع. وعندها اليهود جن جنونهم وأوفدوا وايزمن الذي اقنع مورجانتو وعدل عن المشروع.

قدمت أمريكا منذ دخولها الحرب (٧ نيسان سنة ١٩١٧ - ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ ٩.٥ مليار دولار معونة للحلفاء

٢٢.٦٢٥ مليار دولار صرفت على قواتها.

تكاليف الحرب ٢٠.٨ مليار دولار.

خسائر الحرب ١٥١ مليار دولار.

الخسائر البشرية في الحرب الأولى

٩/٩٩٨/٧٧١ عدد القتلى.

٦/٢٩٥/٥١٢ عدد الجرحى ذوي الاصابات الخطيرة.

١٤/٠٠٢/٠٣٩ عدد الجرحى ذوي الاصابات العادية.

٥/٩٨٣/٦٠٠ أسرى الحرب والمفقودون.

١٠/٠٠٠/٠٠٠ عدد ضحايا الحمى الوافدة الأسبانية.

٤٦/٢٧٩/٩٢٢ المجموع.

الحرب العالمية الثانية

أعلن اليهود الحرب على هتلر منذ أول يوم إستلم فيه سنة ١٩٣٣ ، وحاربوه اقتصادياً ، وأعلنوا صراحة أن الحرب الثانية لابد أن تعلن دفاعاً عن أسس يهودية وأخيراً نجحوا في دفع بريطانيا وفرنسا لإعلان الحرب على ألمانيا بحجة الدفاع عن بولنده التي دفتها اليهودية العالمية للاشتباك مع ألمانيا بسبب ممر (دانتزج) .

واستطاع اليهود أن يدخلوا في الحكم (ونستون تشرشل) عميلهم الأكبر رئيساً للوزراء في بريطانيا بعد أن أجبروا (تشميرلن) رئيس الوزراء السابق أن يدخل الحرب سنة ١٩٣٩ ثم أجبروه على الاستقالة ليضمتموا تشرشل وكان لليهود في الوزراء البريطانيين عدد كبير من اليهود وأنصاف اليهود أمثال جون سيمون / ماليه وهوريليشا (حزب اليسار) للحريية ، ومساعدته يهودي والتربية والفارجية والاشغال.

وفي أمريكا أجبر اليهود روزفلت على الدخول في الحرب ، وهذا يهودي وحوله زمرة من الوزراء والمستشارين اليهود على رأسهم (برنارد باروخ) ملك أمريكا غير المتزوج .

يقول تشميرلن (رئيس وزراء بريطانيا) (إن أمريكا واليهودية العالمية قد أيدتهما^(١) بريطانيا على الدخول في الحرب ضد ألمانيا).

خسائر أمريكا في الحرب الثانية

٢٥٠ مليار دولار تكاليف الحرب.

١٠٤ مليار دولار مساعدات للحلفاء ومعدات.

٢٥٦/٣٣٠ شخصاً من الضحايا من الشعب الأمريكي نفسه.

الخسائر البشرية في الحرب العالمية الثانية

٢٢ مليوناً قتلوا في ساحات الحرب.

٢٠ مليوناً قتلوا نتيجة الغارات الجوية على المدنيين.

٢٦ مليوناً قتلوا في معسكرات الاعتقال.

٣٠ مليوناً فقدوا أعضواً أو أكثر وعطلوا عن العمل.

١٥ مليوناً من الأطفال فقدوا آبائهم وأهليهم.

أما فرنسا فقد تم تهويدها تماماً بعد الثورة الفرنسية حتى كان من السهل أن يكون رئيس الجمهورية مثل (ليون بلوم) ورئيس الوزراء مثل (منديس فرانس) من اليهود وفي فرنسا كان لليهود ٧٢ اتحاداً احتكاريّاً في الصناعة والتجارة وكل المنتجات الضرورية والكمالية.

اليهود والثورة الشيوعية

إن المساعدات المالية إلى حركة النهليست الفوضوية التي كانت تقسم من المليونير الأمريكي جاكوب شيف مدير شركة كوهن لوب في نيويورك من سنة ١٩٠٥ - ١٩١٧ كانت السبب في نجاحهم في القيام بالأدوار التمهيدية للشيوعية الدولية.

وأسهم أثرياء اليهود في تقديم الملايين للثوار البولشفيك بواسطة القائد اليهودي تروتسكي ، أما لينين فهو في نظر البعض يهودي خالص وفي نظر آخرين نصف يهودي، أما ستالين فكان متزوجاً من يهودية.

(١) هذه الجملة غير واضحة في الأصل.

يقول ارنولد لون في كتابه Rerol against reason :

(إن عصرنا هو عصر عقدة الشهادات. فالماجستير والدكتوراة أصبحت غاية في حد ذاتها لشبابنا ، ولكن ينسى هذه الحقيقة وهي : أن الماجستير والدكتوراة ما هي إلا حروف الأبجدية الأولى لبداية المعرفة ، والمعرفة لا يمكن تخزينها في زجاجة الماجستير والدكتوراة ، إن هذه النظرة مزيفة ، جامعاتنا هي فقط مؤسسات علمية لاعداد الطلبة ليتعرفوا على كيفية التحصيل العلمي^(١) .

المكتب السياسي الأول للثورة الشيوعية

ليتين : نصف يهودي

ستالين : متزوج يهودية

تروتسكي : يهودي

كامينف : يهودي

سوكولنكوف : يهودي.

زينوفيف : يهودي

بينوف : روسي

بعد سنة واحدة من قيام الثورة الشيوعية (تسلط اليهود).

الجهة	الموظفون	اليهود منهم
أول حكومة بعد الثورة	٢٢ وزيراً	١٧
إدارة الحرب	٤٣	٣٤
لجنة الشؤون الداخلية	٦٤	٤٥
لجنة الشؤون الخارجية	١٧	١٣
لجنة الشؤون القضائية	١٩	١٨
لجنة الشؤون الصحية	٥	٤
لجنة التوجيه العام	٥٢	٤٤
لجنة الصليب الأحمر الروسي	٨	٨
لجنة إدارة الأقاليم	٢٣	٢١
لجنة شؤون الصحافة	٤٢	٤١
مجلس الإقتصاد الأعلى	٥٦	٤٥
مكتب العمال والجنود في موسكو	٢٣	١٩
اللجنة المركزية للمؤتمر السوفييتي الرابع	٣٤	٣٣
اللجنة المركزية للمؤتمر السوفييتي الخامس	٦٢	٣٤
اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي	١٢	٩
لجنة البناء والاعمار	٢	٢
لجنة التحقيق عن الموظفين	٧	٥
لجنة التحقيق عن ذبح القيصر وأسرتة	١٠	٧

(١) لجنة المكر لجنحة ٨٦. لجنة المكر لجنحة ٨٦

زوجة ستالين: روزا كاجا نوفتش/يهودية

الثلاثي الذي يسيطر على روسيا زمن ستالين (ستالين ، مولوتوف ، لازار كاجانوفتش (شقيق زوجة ستالين).

أصدرت اللجنة المركزية للاتحاد اليهودي في بتسروغراد:

سري . إلى رؤساء مقاطعات الاتحاد اليهودي الدولي:

أيها اليهود لقد قربت ساعة انتصارنا التام ، ونحن الآن في عشية يوم تسلمنا قيادة العالم . . . لقد استولينا على الحكم في روسيا لقد كان الروس سادتنا فاصبحوا عبيدنا .

صحيفة فرنسا القديمة عدد ١٦٩ سنة ١٩٢٠ .

يقول وايزمان (التجربة والخطأ)

(وفي سويسرا عرفت لينين وتروتسكي وبليخاتوف - وكانوا يهوداً)

وفي مجلة الفطرة المسلمة - الولايات المتحدة ١ نيسان سنة ١٩٦٢ (ولد لينين ١٠ نيسان ١٨٧٠ من أب يهودي الماني يدعى ايلكر سرول جولدمان وأم يهودية المانية تسمى صوفيا جولدمان)

وفي كتاب (حكومة العالم السرية) سنة ١٩٣٦ : كان عدد اللجنة المركزية في زمن ستالين ٥٩ منهم ٥٦ من اليهود).

جاء في دائرة معارف الماسون (حنا أبو راشد) ص ٢١٠ (إن لينين (ينقولاً أوليانوف) يهودي غدت مؤلفاته زعماء الحركة الشيوعية . . فالماسونية مهدت له الزعامة)

وحيث أرسلت الحكومة الألمانية لينين للقيام بالثورة كان معه (٢٢٤) ثائراً منهم (١٧٠) يهودياً جميعهم من مجرمي نيويورك وألمانيا .

سرت روح التلمود في عروق البلشفيك.

٣/٤ قيادات الحزب سقطت ، ٢/٣ رجال السفارات والقناصل من الروس أبيدوا .

الجزالات الثمانية الذي كانوا قضاة في المحاكم العسكرية لم يبق منهم إلا واحد والبقية طهروا .

مجلس الشعب سنة ١٩٣٦ عدهم (٢١) شخصاً لم يبق منهم بعد سنين سوى خمسة والبقية ذبحوا .

أعضاء اللجنة المركزية للحزب سنة ١٩٣٤ (كانوا ٧١) لم يبق منهم سنة ١٩٣٨ سوى ٢١ والباقيون ثلاثة ماتوا طبيعياً ، واحد ذبح ، ٣٦ اختنقوا في سيبيريا ، مارشال انتحر ، (٩) أذيع أنهم ماتوا رمياً بالرصاص .

جاء في بيان الشرق الأعظم سنة ١٩٠٤ ص ٢٣٧ .

(الماركسية واللاتونية هما وليدما الماسونية لأن مؤسسها ماركس وانجلز هما من ماسون الدرجة ٣١ ومن أعضاء المحفل الإنجليزي ، وأنهما كانا من الذين أداروا الماسونية السرية وفضلها اصدرنا البيان الشيوعي).

(الماسونية التي هيأت الجو للثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ عليها أن تهين للثورة الماركسية وعلى الماسونيين أن يعملوا بالاشتراك مع العمال لأنهم القوة التدميرية.

امتدت الثورات الشيوعية اليهودية إلى أوروبا هنغاريا : قامت ثورة شيوعية على يد اليهودي بيلاكوهين.

رومانيا قامت ثورة شيوعية على يد اليهودي أنابوكر بولونيا وشيكورسلوفاكيا! سلانسكي.

في العذراء:

لوط ضاجع ابنتيه.

(١) انظر الأتني اليهودية ٤٤-٤٥ .

داود بن يعقوب اعتدى على زوجة أبيه.

داود اعتدى على زوجة أحد ضباطه.

زنا أمنون بن داود بأخته تمار.

صور الدعارة في نشيد الانتشاد عبارة عن جنس فاضح.

الأنقى اليهودية في بلاد

المسلمين تحت الحكم الشيوعي

١٠٠ مليون تحت الشيوعية أهمها تركستان غربية وشرقية وسييريا وأردال وقفقاسيا القرم ، البوسنة ، والهرسك في يوغسلافيا ، البانيا.

مساحتها ١٥ مليون ميل مربع (أكثر من مساحة أفريقية).

حاكم موسكو مسلم تابع للإمبراطور بركة الله خان.

الحروب مع القياصرة والشيوعية : (١٩٤٦-١٩٥٢)

تركستان الغربية: احتلها الروس سنة ١٨٨٥ وضموها إليهم وثار المسلمون ٣٦ مرة في مدة ٣٧ عاماً.

ساعدت تركستان الثورة الشيوعية إذ وجه لينين وستالين نداءً في ١٥/١٢/١٩١٧ في نيسان سنة ١٩١٨ أمر لينين بالزحف على بلاد الإسلامية . بقيت الحرب في تركستان ذبيح ٦ ملايين مسلم . قامت حرب العصابات من سنة ١٩١٨-١٩٢٩ .

تركستان الشرقية : وقعت تحت حكم الصين . جاء في تقرير قائد الجيش سنة ١٧٥٥ ، سنة ١٧٦٠ عدد المسلمين القتلى : (مليون ومائتا ألف).

سنة ١٩٣٤ احتلتها الصين بمساعدة الجيش الأحمر الروسي وقتل (ربيع مليون) من المفكرين.

الثورة الصينية قتلت سنة ١٩٥٢ (١٢٢) ألفاً.

القفقاس (بلاد الشاشان والشركم)

سنة ١٨٦٤ احتلها الروس (وأجلوا مليون مسلم إلى سيبيريا) وفي سنة ١٨٧٧ نقل الروس (١٥) ألف أسرة إلى سيبيريا.

ستالين كان يكره الشاشان لأن ستالين يثار لشعبه (جورجيا) رحل (٨٠٠ ألف من الشاشان + ٢٠٠ ألف من شعب كاره شاي ٢٥٠٠ ألفاً من شعب كالموك .

استشهد منهم في الثورات ١/٤ مليون (ربيع مليون) ، أما ١/٢ مليون (نصف مليون) فنفاه إلى سيبيريا.

القرم: سكانها: ٧٥٠ ألف نسمة.

البحث واليهود

١- ايليا كوهين

٢- أحمد رباح / يهودي مغربي أمين فرع الحزب في دمشق واختفى بعد سنة ٦٧

٣- خالد الجندي : أصبح رئيس اتحاد نقابات العمال في سوريا وطالب الحكومة بأن تسمح له أن يأتيها بروس العلماء في شق وحمص وحماة.

٤- مافوس / وزير الخارجية يراود سامي الجندي/ سفير باريس بعد سنة ٦٧ . أن يلتقي به (أبا إيمان).

- ٥- مندوب سوريا في الأمم المتحدة يعلن سقوط القنيطرة ومندوب إسرائيل يكذب.
- ٦- صلاح البيطار يخاطب بريطانيا في القبرص ٢٤/٣/٧٥ (أين أنتم؟ ماذا جرى لسوئتكم ولحكوماتكم؟ لماذا غيابكم هنا وانسحابكم انظره من ساحة السياسة الدولية وترككم هذه الساحة للبروتين العملاقين).

هدف الغرب

- ١- اخراج الناس من الإسلام.
- ٢- التنصير
- ٣- الخطة الثالثة: الانعقاد باسم التغريب أو التغيير الاجتماعي
- (ميدوبيرجير: إن النخبة العسكرية في الشرق الأدنى في مصر والسودان والعراق وتركيا وإيران وباكستان كانت عوامل هامة في جلب التغيير ... وقد أصبح العرب متفربين دون أن يتكلفوا الذهاب إلى أوروبا).
- (فبينما يترك الحكام الغربيون منطقة الشرق الأدنى تتحول المنطقة فتصبح أكثر غربية ويواجه الزعماء العرب طريقين فهم يطردون الغرب سياسياً ويسحبون الكتل الشعبية إلى الغرب ثقافياً).
- يقول كرومر (وهذا التغيير يأخذ طريقه بتقديم ونجاح حسب خطة مرسومة وضعت خطوطها بعد دراسة الموقف .. تقوم على التطور والتدرج).
- ويقول بيرجر ص ٣١٣ (ولم يكن الضباط المصريون على ثبات أيديولوجي بل كانوا جماعة علمانية في البناء السياسي والاجتماعي للحياة المصرية).

الغزو الفكري

- (تركيا الفتاة/ رامي)
- جورج انطونيوس (يقظة العرب)
- ١- القومية : قام بها النصارى.
- أ- جمعية الآداب والفنون سنة ١٨٤٧. إبراهيم اليازجي وبيطرس البستاني.
- ب- ثم تحولت إلى : الجمعية العلمية السورية سنة ١٨٦٨.
- تنبهوا واستنفقوا أيها العرب فقد طما الخطب حتى غاصت الركب
أقداركم في عيون الترك نازلة وحققكم بين أيدي الترك مفتصب
- يقول إدوارد عطية (كان المسيحيون السوريون يكرهون السيادة التركية ويتطلعون نحو التحرر).
- كتاب سامطع الحصري (العروة أولاً)
- يقول عمر قاضي (كيف ينهض العرب) لا ينهض العرب إلا إذا أصبحت العربية أو المبدأ العربي ديانة لهم يغارون عليها كما يغار المسلم على قرآن النبي الكريم والغرض من هذا الكتاب تشكيل ديانة جديدة هي الجنسية أو العنصرية العربية.
- يقول إقبال (لا تنس أعم الغرب على أمتك ، فإن أمة الرسول الهاشمي ﷺ فريدة في تركيبها ، أولئك إنما يعتقدون باجتماعهم على الوطن والنسل ولكن إنما يستحكم اجتماعك أيها المسلم بقوة الدين).
- من الهنود : يفخرون بالهندية ويرون الانقطاع عن رمز إلى نهر (جنجا) ويتفنون بأبطال الهندوس (بهيم ، أرجن ، رام ها).
- مساوي القومية:
- ١- التفريق بين المسلمين.

٢- أبدوى الجمالية وأنا بين أظهركم.

٣- موالاة كفار العرب.

٤- رفض حكم القرآن.

القومية العربية

بدأها نابليون في مصر بعد أن عانى من الحرب التي ترفع شعار (الله أكبر والعزة للمسلمين).

وبدا ينشر أن الدولة العثمانية دولة استعمارية متأخرة.

والقوميات وافدة من الخارج.

يقول فليب حتى:- (كان من نتيجة الاحتكاك بين العقلية السورية والنتاج الفكري الغربي أن تولدت مبادئ القومية العربية الشاملة ، واستمدت وحيا بالأكثر من النظريات السياسية الأمريكية. بخلاف القومية التركية التي جاءت متأخرة عن العربية والتي استمدت الهامها من الثورة الفرنسية)^(١).

ويقول حتى: (لقد كان ظهور مبادئ القومية العربية في العقد السابع من القرن التاسع عشر على يد رجال الفكر السوريين رغائبهم من اللبنانيين المسيحيين الذين تنقلوا في المدارس الأمريكية في بلادهم) ومما لا ريب فيه أن القومية بضاعة غربية استوردتها للعالم بما فيه الشرق العربي من أوديا)^(٢).

سنة ١٩٠٤ ألف نجيب عازوري جمعية (عصبة الوطن العربي) في باريس وأصدر كتاب (يقظة الأمة العربية).

في سنة ١٩٠٧ أصدر جريدة (الاستقلال العربي) يقول ساطع الحصري: (إن القومية ابتدأت بنجيب عازوري الذي يضع أماله العربية السورية في فرنسا أولاً وفي إنجلترا ثانياً).

أما مؤتمر باريس سنة ١٩١٣ الذي اتفق المؤرخون - أكثرهم - على إعتباره أساس القومية الحديثة فيقول عنه أنيس الصايغ أنه كان خالياً من المطالبة بالاستقلال حتى لا تخرج بعض الدول الأروبية التي كانت تشجع الحركة العربية وتمدها بالأموال. وقد صرح الزهراوي (رئيس المؤتمر) لمراسل (الطائر) الفرنسية بأنه ليس للمؤتمر علاقة بولايات العرب غير العثمانيين - أي الشمال لأفريقي وأشاد بالمدنية الأروبية ، وشكر وزارة الخارجية الفرنسية ورفض المؤتمر اشتراك مصر في المؤتمر المذكور^(٣).

محمود تيمور^(٤). (وان كتاب العرب في أعناقهم أمانة هي أن يكونوا حواريين لتلك النبوة الصادقة - القومية يزكونها بعلامهم)^(٥).

جاء في مقدمة ط ٣ لكتاب قضية العرب (علي ناصر الدين) هامش ص ٣٨:

(العروبة نفسها دين عندنا نحن القوميين العرب ، المؤمنون العريقين من مسلمين ومسيحيين)

(لأن كان لكل عصر نبوته المقدسة ، إن القومية العربية لها نبوة هذا العصر).

(الوحدة العربية يجب أن تنزل من قلوب العرب أينما كانوا منزل وحدة الله من قلوب قوم مؤمنين)^(٦).

قال إبراهيم خلاص في مجلة جيش الشعب السورية ٦٧/٤/٢٥.

(والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي هي خلق الانسان الاشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن أن الله بالأديان والاقطاع و رأس المال والاستعمار والمتخمين وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمي محنطة في متاحف التاريخ).

عندما دخلوا حماة سنة ١٩٦٤ قال البعث:

(١) الفزد الفكري / علي عبد الحكيم ١٨٢.

(٢) مقدمة كتاب الفزد العربي في دار اسلام. القرضاوي / الطول المستوردة ١٧٠.

(٣) مجلة العالم العربي عدد ١٧٦ بعنوان النشر والقومية العربية (١) حزب البعث ص ٣٠٦ / الطول المستوردة للقرضاوي.

(٤) جاء في مجلة العربي عدد ٢ ص ٩ يناير ٩٠.

هات سلاح خذ سلاح دين محمد ولي وراح^(١).

جاء في النذير عدد ١٧ بتاريخ ١١ رجب ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠/٥/١٥ كتب عناصر الوحدات والسرايا والحزبيون ما يلي :
يسقط الله ، الأسد ربنا لا إله إلا الوطن ، ولا رسول إلا البعث.

(لقد وضع العرب منذ الحرب العالمية الأولى القومية في المكان الأول حين قاتلوا من أجل التحرر من الأتراك المسلمين إلى جانب الانجليز الكفار ، وباستثناء البقية الهزيلة من الإخوان المسلمين فليس هناك في العالم العربي اليوم أناس نوء تفكير سياسي يضعون مجتمع النول الإسلامية فوق قوميتهم العربية).

٢- الفوز الفكري الإستراتيجي

بعد الإصلاح الديني في أوروبا شعرت أوروبا بمراجعة شروح كتبهم فاتجهوا إلى الدراسات الشرقية.
أهدافهم:

١- تفتيت المسلمين.

٢- التمهيد لاستعمار العالم الإسلامي.

٣- استغلال الثروات.

الجمعيات : فرنسا سنة ١٧٨٧ جمعية المستشرقين وأخرى سنة ١٨٢٠ وأنشئوا (المجلة الآسيوية).

بريطانيا سنة ١٨٢٣ (جمعية الدراسات الشرقية).

أمريكا سنة ١٨٤٢ (الجمعية الشرقية الأمريكية). وأخطر مجلاتهم مجلة العالم الإسلامي أنشأها زويمر سنة ١٩١١ حتى الآن.

أخطر أعمالهم (دائرة المعارف الإسلامية)

٣- التبشير

فرنسا : تطارد اليسوعيين في فرنسا وترعاهم في أفريقيا.

أمريكا : تعيد التحرير والذهب وتغطي نصف الأرض بالمبشرين.

روسيا : مجمع مسكوني في موسكو شرفه ستالين.

مؤتمراتهم :

١- مؤتمر المبشرين في القاهرة سنة ١٩٠٦.

٢- مؤتمر أدنبره سنة ١٩١٠.

٣- مؤتمر لكهنو (الهند) سنة ١٩١١.

٤- القدس سنة ١٩٢٨.

٤- التعليم^(٢)

يقول جب: (هذا هو السبيل الوحيد لفروجة البلاد الإسلامية وتقريبها).

لقد كان التركيز قوياً لإنشاء الطبقة التي تأخذ (نهائياً بوجهة نظر لا سلطان للدين عليها) كما يقول جب (وحيثنظر يمكن الجلاء من أرضها وتسليمها زمام السلطة فيها لأنها إمتداد لفكر المحتل).

(٢) الانجازات الفكرية في الأدب المعاصر ٢/ ٢١٨.

(١) الأيكونومست/حزيران سنة ١٩٦٢ (الاسلام ضد الغربية).

يقول موريس جير^(١) : (إن المرأة المسلمة المتعلمة هي أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدين وأقرب أفراد المجتمع على جر المجتمع كله بعيداً عن الدين).

٥- الصحافة واتجاهها اللاديني

يقوله جب : (إن المدارس والمعاهد لا تكفي فليست إلا الخطوة الأولى ويجب صرف الاهتمام إلى خلق رأي عام بالاعتماد على الصحافة، فهي أقوى الأنواع الأوربية وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي ، ومديرو الصحف اليومية معظمهم من التقدميين .. ، الصحف تتميز بنزعة علمانية غالبة كما يرى).

كما يلاحظ جب أن التعليم عن طريق المدارس العصرية والصحافة قد ترك في المسلمين من غير وعي منهم أثراً جعلهم يبدون في مظهرهم العام لادينيين إلى حد بعيد.

٦- إلغاء المعاهد الدينية

يقول جب (إن العالم الإسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينياً في كل مظاهر حياته. ولكنه يضيق ذرعاً بالمعاهد الدينية).

ويقول جب عن الحركات الإسلامية : أنها تتطور عادة بسرعة مذهلة مذهشة فهي تتفجر إنفجاراً مفاجئاً قبل أن يتبين المراقبون من إماراتها ما يدعونهم إلى الاستجابة في أمرها فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا الزعامة وظهور صلاح الدين).

بربرية عنصر مهم أحيته فرنسا^(٢) :

يقول ماسينيون (أما الحل الثاني فهو بحث أمة مغربية تقوم على فكرة جنس أصلي هو الجنس البربري، ولا يؤيد هذا الحل الآن : شردمة قليلون من المسلمين متفرقون بين البربر. إن البربر يكونون ٢٩٪ من ليبيا ٥٪ من الجزائر ١٠،٥٪ تونس أما في مراكش يكونون ٦٠٪. ولذا كان البربر تعوزهم لغة بربرية ثابتة فإنهم لم يشعروا بعثل أعلى يجمعهم^(٣)).

إن الإدارة الفرنسية حاولت أن تشد أزد الروح الجنسية بين بربر مراكش باستصدار الظهير البربري السلطاني ١٦ مايو سنة ١٩٢ الذي قضى بتنفيذ الأحكام العرفية البربرية، وقانون الأحوال الشخصية بدل الشريعة الإسلامية).

— آثار سلامة موسى شبح القبطية في مصر.

— وآثار سعيد عقل ويوسف السودا وفكتور خلاط شبح الفنيقية وأن لبنان لا ينتمي إلى العرب بل هو جزء من حضارة متوسط.

— الفرعونية في مصر خاصة بعد اكتشاف توت عنخ آمون وبعد أن حل شامبليون بعد حملة نابليون حجر روزيتار اثباتاً للعهد قديم.

— في اندونيسيا : اكتشاف الحضارة الجاوية - الهندوكية.

يقول كاتول سمث (وتاريخ الشرق الأدنى الحديث يدل أن القومية المجردة ليست القاعدة الملائمة للنهوض بالواجب الشاق ، لم يكن المثل الأعلى إسلامياً على وجه من الوجوه لن تنمر الجهود البتة^(٤)).

(أول حركة ذات صبغة قومية عربية قامت في العالم العربي ضد الحكم التركي اتخذت من العروبة أساساً وهدفاً ، وكانت مدية سرية يتزعمها مجموعة من الشباب المسيحي في بيروت وتهدف إلى التفرقة بين العرب والأتراك^(٥)).

(٢) : (العالم العربي اليوم) صحيفة المجتمع ١٣٢٢.
(٣) من كتاب الحركة الفكرية ضد الإسلام للكثير بركات دويدار من ١٨٠ فما بعدها.
(٤) كتاب المجتمع العربي (مجموعة أساتذة كلية الآداب/ بيروت).
(٥) الشموعية ص ١٩٥

اليهودية العالمية

سنة ١٩٢٧م في عهد موسوليني اكتشفت إيطاليا ٣٦ ألف جمعية ماسونية ينتسب إليها ٤,٥ مليون شخص منهم ٢ ملايين في أمريكا.

الحكومة اليهودية المستورة

يديرها (٢٠٠) شيطان من اليهود اسمهم الحكماء

لوفي أبو صسل كتابه (يقظة العالم اليهودي) تاريخ الصهيونية يتناول أربعة عهود:

١- عهد التوراة.

٢- العهد السابق لهرتزل.

٣- عهد هرتزل.

٤- العهد الحالي بعد بلفور سنة ١٩١٧.

القومية والشيوعية

يقول جلال السيد في كتابه (حقيقة القومية العربية) ص ٢٧٨

(وكان للحركة النازية التي أبرزت قوتها وصلابتها أثر في نفوس قادة البعث شجعتهم على المضي في اعتناق مبادئ البعث ثم يبين بأن هناك تيارين في دستور البعث :

١- تيار العقل ومن نتائجه صياغة المواد المتعلقة بالقومية العربية والحرية وعلاقات العرب بالأمة الأخرى.

٢- تيار عقوي قام بصياغة المواضيع الإقتصادية لأن الرواسب قد أطلت تحت ستار التقدمية والإشتراكية و المذهب الشيوعي و الرأسمالي.

في المجتمع العربي / بيروت / آداب (إن الذي أوحى فكرة تأسيس الجمعية رجل يسمى إلياس حبالين من بلدة ذوق مكابيل وكان أستاذاً للغة الفرنسية يدرسها في الجامعة الأمريكية لطلاب صف فيهم أليازجي ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس وكان الأستاذ معجباً بالثورة الفرنسية)^(١).

(أسس عزيز المصري (الجمعية القحطانية) سنة ١٩٠٩ في الأستانة ونشط في الدعوة من خلالها إلى القومية العربية)^(٢).

يقول لورتى : (وأخذت أفكر طيلة الطريق في سوريا وأنسا ط هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية وهل يغلب الاعتقاد الوطني المعتقدات الدينية وبمعنى أوضح هل تحل المثل العليا السياسية مكان الوحي والالهام وتستبدل سوريا مثلاً الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني)^(٣).

ويقول أبا إيهان في محاضرة في جامعة برنستون/ أمريكا : (يحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نسبة المد الإسلامي بعد الهزيمة الأخيرة وفي ذلك الخطر الحقيقي على إسرائيل ولذا كان من أولى واجباتنا أن نبقي العرب على يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي)^(٤).

(نحذر من الحركة الإسلامية، والغرب أمام خطر سيجعله يدفع القالي والنقيس)^(٥).

قال الكاردينال برتولي للبابا (إن المسيحية في الشرق هي التي زادت الحركات الثورية وحركات التغيير، وإن أسماء ميشيل عفلق وأنطون سعادة وجورج حبش قد تفسر لك ما أعنيه. وقالت الأمان اللبنانية : ويذكر في هذه المناسبة فرج الله الحلوق وسطنطين زريق وجورج حادي ، وثايف حواتمه ، ومثيف جورج الرزاز)^(٦).

(١) الشهرية الجديدة ١٥٦. (٢) الشهرية ١٩٩. (٣) مجلة المجتمع العدد ٤٢٣ سنة ١٩٧٩ ٢٠ فبراير. (٤) التايمن: عن المجتمع ٤٢٣. (٥) الأخبار الكوشية عدد ١٤ سنة ١٩٧٩م - ١٣٩٩هـ. (٦) المجتمع عدد ٤٢٣.

الرأسمالية

الرأسمالية : حصاد تطور تاريخي اتسم بكثير من صور العبودية.

١- الكنيسة أنقذت ما تبقى من الحضارة الرومانية بعد أن عبث بها البرابرة.

— ثم فرضت زعامتها الروحية على العالم المسيحي حكماً وشعوباً وتحولت الكنيسة نتيجة سطوتها الفكرية والمادية من مؤسسة روحية إلى مؤسسة مادية تستغل الدين لاستعباد الجماهير.

٢- إن حياة الترف واللذة التي عاشها رجال الدين أسقطت هيبتهم من نفوس الجماهير.

٣- القرن الخامس عشر : (بداية العصر الحديث لأوروبا) كان بداية النواة الحقيقية للحرب الصريحة التي قامت في أوروبا ضد الكنيسة ومن رجالها (دانتى ميكافيلي ، دافنشي ، أنجلو).

٤- مؤتمر قواره (فلورنسا) سنة ١٤٢٨ مؤتمر كنسي لمحاولة سحق أية محاولة للحد من سلطانها.

٥- سخرية (أرازم ، طوماس مور ، رابليه) ضد الكنيسة في هذا القرن.

٦- مارتن لوثر استاذ اللاهوت في (فيترغ) ٩٥ مادة ضد الكنيسة.

٧- في القرون ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ظهرت تيارات الفكر المنطلق الحر الذي يقاوم أية وصاية على حركة الإنسان سواء باسم الدين أو تحت أي شعار آخر وأبرز القادة جون لوك ، مونتسكيو ، سميث.

٨- قامت الثورة الفرنسية والثورة الأمريكية انطلاقاً من الثورة الفكرية السابقة .

٩- مؤتمر فيينا للتعاون بين الملوك ضد حركات الأفكار التحررية.

الطابع اللاديني أو التائر على كل ما هو ديني ويميني هو أحد مكونات وخصائص الحضارة الأوروبية.

الصراع بين البابوية والأمبراطورية:

هنري الرابع سنة ١٠٧٧ : صدر بحقه قرار حرمان فتقدم إلى قلعة كانوسا ، وأما سنة ١٢٤٥ كما جاء في كتاب (سوسنة سليمان) اجتمع المجمع الثالث عشر في ليون/فرنسا بأمر البابا أنوسينت الرابع لأجل عزل فردريك ملك فرنسا وحرمة ولكن كنيسة فرنسا لم تسلم بصحته.

الصراع بين الكنيسة والعلم :

قتل ثلاثمائة ألف منهم ٢٢ ألفاً حرقاً وهم أحياء.

الجيل الأوربي : (ظن أن العقل والدين ضدان لا يجتمعان ، من استقبل أحدهما استتبر الآخر ومن آمن بالأول كفر بالثاني. إذا ذكر الدين ذكروا وجوهاً كالحلة عابسة ، وجباها مقطبة ، وعبونا ترمي بالشرر وصندوقاً ضيقة حرجة ، وعقولاً سخيقة بليدة.

الراهب الفرنسي كارول سميثس ناجل (يصدر مجلة الانفتاح) : قال لا يمكن للغرب أن يبقى أصم أمام الوحي الذي نزل على نبي محمد ولا أعى أمام حقيقة الإسلام ولا مفلقاً أمام العالم الإسلامي. وإن الوحي امتد من إبراهيم إلى محمد أريد أن يكتشف لجمهور الأوربي الإسلام.

ب- الظاهرة الثانية (ظاهرة الاقطاع) : رد فعل حياتي إثر هجمات البرابرة من النورمان والجرمان على كل أوروبا فبحث لأمراء والملوك وكبار الملاك عن أتباع تساعدتهم في الدفاع عن أنفسهم وممتلكاتهم وانضوى صفار الملاك تحت راية الكبار.

ج- أمريكا حياة أوروبية بكاملها انتقلت إلى أرض جديدة.

ولم تكن في أمريكا حضارة تقف أمام الأوربيين سوى دولتي الأذتيك في المكسيك والانكا في أمريكا الوسطى اللتين قضت عليهما أسبانيا في أواخر القرن الخامس عشر نفسه.

د- الرأسانية : تقوم على دعائتين مادييتين:

١- العداة لكل ما هو ديني أو كنسي.

٢- البحث عن الثروة الشخصية لتدعيم الملكية الذاتية ولو على حساب المبادئ والإنسان .

الأخلاق في الكنيسة:

يقول درابر في كتابه الصراع بين العلم والدين (ولم تكن الرهبانية والنظام الديني السلبي إلا مصارعة للفطرة فبقيت مقهورة بعوامل الدين الجديدة وسلطانها الروحي ساعدتها عوامل أخرى ثم قهرت الطبيعة وتسرب الضعف والانحراف إلى المراكز الدينية حتى صارت تزاحم المراكز الدنيوية - وربما تسبقها في فساد الأخلاق والدعارة والفجور ، لذلك أوقفت الحكومة المأدب الدينية وأعياد الشهداء والأولياء وذكرياتهم التي وجدت فيها الخلاعة والفجور مرتعا واتهم القسوس بكبائر وفسكات.

ويقول الراهب جيروم : إن عيش القسوس ونعيمهم كان يزدري بقرات الأمراء والأغنياء المترفين ، وقد انحطت أخلاق البابوات انحطاطاً عظيماً واستحوذ عليهم الجشع وحب المال .. حتى كانوا يبيعون المناصب والوظائف كالسلع وقد تباع بالمزاد العلني ويؤجرون أرض الجنة بالوثائق والصكوك وتذاكر الغفران ويمنحون إجازات حل المحرمات كأوراق النقد وطوابع البريد ويرتشون ويرابون حتى اضطر انوسنت الثامن أن يرهن تاج البابوية. ويذكر عن ليوالعاشر أنه أنفق ما ترك البابا السابق ونصيبه ونصيبه اللاحق . ويروى (أن مجموع دخل فرنسا لم يكن يكف ٠٠٠ سنوياً)^(١) .

أسباب خطورة الفزو الفكري

١- طبيعة النور الريادي المنوط بامتنا لتكون شهداء على الناس. وهذا يحتاج إلى المسلم الملتزم.

٢- النور الريادي يحتاج إلى استعلاء الإيمان.

٣- النور الريادي يحتاج إلى طبيعة إيجابية في رفض السلوك المنحرف.

يقول سيد قطب (خرج المجهلزم المخرم فمضى بخرج الاتكلوز السمر).

أهداف الفزو الفكري

١- منع روح الإسلام من الانتشار

أ- لأن الإسلام دين البساطة والمثالية والواقعية.

ب- اجتاز الإسلام بالإنسان مرحلة التناقض بين دنياه وآخرته.

ج- الإسلام ينقل القطعان المستعيدة التي تساق لمصرعها بحزمة برسيم ويحولها إلى نماذج رفيعة من البشر يخشاعها أعداء الإسلام الذين يريدون أن يشجوا لكثرة ولوعهم في الدماء وانتفخت جيوبهم من عرق العبيد والبيغوات.

ومن هنا يشوهون الإسلام عن طرق:

أ- نشر الأباطيل حول الإسلام: وقد نشط في نسج الشبهات حول الإسلام لفيف من المستشرقين مثل جب وجولد زيهير وشاخت وديزي وغيرهم.

ب- تجسيم مظاهر الضعف عند المسلمين وحملها على الإسلام.

ولكن أعداء الإسلام يعترفون بقدرة الإسلام على صناعة النماذج الفريدة ومن هنا يخشونه فكيف يحملونه تبعة التخلف.

ج- تصوير الإسلام أنه دين العنف والدماء : كالجهاد - الحدود وذلك لغرضين.

(١) عن المستقبل لهذا الدين / ٥٢.

أولهما : استنهاض همم الغرب ضد المسلمين.

ثانيهما : بليلة المسلمين بقرية (الإسلام والسيف) فقام المدافعون يقولون الإسلام دفاعي، بل إلغاء الجهاد على يد صناعهم في
لأبنا.

مثل ميرزا غلام أحمد (القاديانية).

(لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الانجليزية وموازرتها) ولقد ألفتُ في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الانجليز
من الكتب والنشرات ما لوجع بعضه إلى بعض للأخمين خزانة وقد نشرتها في البلاد العربية ، ولقد ظلت منذ حداثة سني وقد
اهزت الستين اليوم أجاهد بقلبي وإسائي لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الانجليزية وأنادي بإلغاء فكرة الجهاد التي
بين بها بعض جهالهم والتي تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة.

الحنود : يكفي قصة خوف المرأة الأمريكية السوداء عندما غادرها زوجها في الحج.

د- تصوير مزايا الإسلام على أنها عيوب :

تعدد الزوجات ، الطلاق

— المرأة عند الشيوعيين وسيلة انتاج وأداة لزيادة الدخل .

— المرأة عند الرأسماليين وسيلة للربح عارضة أزياء ، سكربتير.

في السويد قبل سنوات ، أكثر من ٣٠٪ من السكان يعانون من الاضطراب والتمزق النفسي ويمارسون الخلاص من الحياة
بـ طريق الانتحار.

هـ- اتهام الإسلام بشل قوى الإبداع والعبقرية:

كيمون (المستشرق الفرنسي) يقول (الديانة الحمعية جذام تفتش بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعاً .. يبعث الإنسان على
خمول والكسل ولا يوقظه إلا ليسفك الدماء ويذم من معاقرة الخمرة ويجمع في الرذائل وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون
في نفوس المسلمين ويلجئهم إلى الاتيان بمظاهر الصرع العامة والذهول العقلي).

٢- الهدف الثاني للغزو الفكري

ضرب الإسلام من الداخل

الهدف الأول (تشر الأباطيل) جانب سلبي لمقاومة الإسلام أما الغرب من الداخل فهو جانب ايجابي وهذا أخطر من الغزو
سكري لأسباب :

١- يفقد الأمة الانتباه لعدوها .

٢- يتفادى أسباب المقاومة من قبل الأمة إذا واجهها الغازي سافراً .

٣- يجد العدو أنصاراً وعملاء من الداخل .

٤- قليل التكاليف .

٥- أطول من الغزو العسكري لأنه يستعمر القلوب والنفوس .

٦- الوسائل العسكرية بشعة . بينما الغزو الفكري جذاب وخداع ومحفوف بالشهوات .

٧- الغزاة يختفون وراء أبناء البلد ويعملون من خلالهم .

٨- كثرة وسائل الغزو الفكري بحيث يغيب على الناس كثير منها .

وسيلة حسان طرواده استعملها اليهود لتدمير المسيحية والإسلام .

وسائل الفوز النكري

أولاً- إثارة الخلافات العقائدية بين المسلمين

- ١- الفلول المتهورة من حرب الردة ذهبت إلى الكوفة تعيث الفساد.
- ٢- السهبة (عبد الله بن سبا) يهودي من صنعاء أسلم زمن عثمان وتنقل بين الحجاز والبصرة والشام ومصر.
- ٣- حركة الزنج : (علي بن محمد) هاجم البصرة سنة ٢٥٧هـ مع العبيد وأحدث بها الفظائع حتى قال ابن الرومي:
زاد عن مقلتي لنيل المنام شغلها عنه بالدموع السجّام
أي نسوم من بعد ما انتهك الزنج جهراً محارم الإسلام
واستمر خطرهما ١٤ سنة حتى قضى عليها الموفق سنة ٢٧٠هـ.
- ٤- حركة القرامطة : ظهرت بعد حركة الزنج بـ (٨) سنوات أي ظهرت في الكوفة والبحرين سنة ٢٨٠هـ. حتى تمكنت فرقة منهم في البحرين أن تدخل مكة سنة ٢١٧ وتذهب الحجر الأسود وما أرجعوه إلا بعد أن هددهم الخليفة الفاطمي (المهدي).
- ٥- حركة الحشاشين : الحسن الصباح في قلعة الموت/قزوين وهي إسماعيلية. سنة ٥٢٠ استولوا على بانياس. وكان خطرهم على المسلمين أشد من خطر الصليبيين.
ولم تنته هذه الفرقة إلا بسقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م.

ثانياً- إفساد صفاء العقيدة

- ١- الجعد بن درهم - ضحاه خالد القسري.
- ٢- بيان بن سميان - أول من قال بخلق القرآن.
- ٣- خلق القرآن.
- ٤- ابن المقفع : قال المهدي (ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع قال ابن المقفع عن بيت النار:
يا بيت عاتكة التي تعزل حذر العدا وبه الفؤاد موكل
إني لا منحك الصدود وإنني قسما إليك مع الصدود لأميل
- ٥- بشار بن برد : اعتنق الكاملية فرقة رافضية تكفر الصحابة.
ابليس خير من أبيكم آدم فتبينوا يا معشر الأشرار
إبليس من نار وأسم طينة والطين لا يسمو سمو النار
- ودعا إلى التهلك والإباحية فقال مالك بن دينار (ما شيء ادعى لأهل هذه المدينة - البصرة - إلى الفسق من اشعار هذا الأعمى)
وأصبح لبشار مدرسة من أتباعها أبو نواس والحسين الضحاك (الخليع).
- ٦- الاسرائيليات : قال ابن الخطاب لكعب الأحبار:
(لتترك الحديث الأولى أو لالحقك بأرض القردة)^(١).

ثالثاً - المصبيات والقوميات

البروتوكول (لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمنيين الشخصية والقومية خلال عشرين قرناً).

(١) البداية والنهاية ١٠٨/٨.

رابعاً - طرح النظريات والمذاهب

١- التشوه والارتقاء : دارون :

فيتشبه : الإنسان قنطرة بين القرد والسورمان يقول العقاد (ليس الإنسان قنطرة بين القرد والسورمان. بل الإنسان قنطرة بين الأرض والسما بينهما شمس^(١)).

٢- النظرية الماركسية (التفسير المادي للتاريخ) : إن مرحلة التدين قد اجتازها الإنسان فلا داعي لها. والأديان خدعة تاريخية اخترعها الإنسان حين عجز عن مواجهة القوى الخارجية. والفكر الشيوعي يربط بين الدين والرأسمالية والاقطاع.

يقول لينين / المؤتمر الثالث للشباب سنة ١٩٢٠ (إننا لا نؤمن بالله ونحن نعرف كل المعرفة أن أرباب الكنيسة والاقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الاله إلا استغلالاً).

(قررت الحكومة المستورة أن تدمر المسيحية في روسيا وأن تنتقم من الشعب الروسي الذي يحترق اليهود ويضطهدهم فكانت الثورة البلشفية سنة ١٩١٧) (١).

البروتوكول ٢: (لاحظوا هنا أن نجاح دارون ونيتشه وماركس قد رتبناه من قبل) (إننا نقصد أن نظهر كما لو كنا المحررين للعمال ، جئنا لنحررهم من الظلم حينما ننصحهم أن يلتحقوا بطبقات جيوشنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين (ونحن على الدوام نقبني الشيوعية ونحتضنها متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعاً لبدء الأخوة والإنسانية العامة).

خامساً - دعم وتأسيس الحركات المعادية للإسلام

١- القاديانية

٢- البهائية

القاديانية

ميرزا غلام أحمد . ١٨٤٠-١٩٠٨

نصبه : هو الميرزا غلام أحمد القادياني من السلالة المغولية وكان جده صاحب ولاية البنجاب وكان موالياً للإنجليز وقد قدم والده فرقة من خمسين فارساً لمساعدة الانجليز في ثورة ١٨٥٧.

مولده : سنة ١٨٤٠ في قرية قاديان / مديرية كرداسبور. توظف الميرزا في محكمة حاكم المديرية بمرتب يساوي (١٥) روبية. أصيب في شبابه بالهستيريا وبالبول السكري.

تزوج سنة ١٨٧٢ ورزق من زوجته ولدين (سلطان أحمد) (ميرزا فضل أحمد) طلق هذه الزوجة سنة ١٨٩١.

تزوج ثانية في دهلي سنة ١٨٩٤ (أم المؤمنين) رزق منها بشير الدين محمود / خليفة والميرزا بشير أحمد صاحب كتاب (سيرة المهدي) والميرزا شريف أحمد ، تنبأ سنة ١٨٨٨ بأنه سيتزوج الفتاة (محمدي) .

سنة ١٩٠٧ تحدى العالم المشهور (ثناء الله الأقرتسري) بأن الكاذب المقترى من الرجلين سيموت في حياة صاحبه. وفي ٢٦ مايو سنة ١٩٠٨ مات الميرزا ودفن في قاديان.

خلفه : حكيم نور الدين البهيري: كان معلماً ثم تعلم الطب وأصبح بارعاً في الطب وعين عند أمير جمون طبيباً. وفي جمون تعرف على القادياني وكان مقيماً في سيالكوت وتوثقت صلته بالقادياني.

ألف القادياني (براهين أحمدية) قالف الحكيم (تصديق براهين أحمدية وألف الحكيم (فصل الخطاب) أربعة أجزاء في الرد على

(١) ضد الله التل/ خطر اليهودية ١٩٢

ببيع بالخلافة بعد موت القادياني وبقي ست سنوات ومات سنة ١٩١٢ .

براهين أحمدية :

تكفل أن يخرج القادياني كتاباً يجمع فيه ٣٠٠ دليل على صدق الإسلام وقد صدر من الكتاب أربعة أجزاء في ٥٦٢ صفحة وتوقف سنة ١٨٨٤م بعد أربع سنوات. ضمن الجزء الثالث والرابع حث العلماء بإعلان حرمة الجهاد على الانجليز وسنة ١٩٠٥ صدر الجزء الخامس منه.

والكتاب يرد على النصرانية والآرية (فرقة هندوسية) وقال إن الإلهام ووراثة علم النبوة باق وإنه مأمور من الله بإصلاح العالم والدعوة إلى الإسلام.

مرحلة تشبهه بالمسيح:

سنة ١٨٩١ أصدر الميرزا ثلاثة كتب هي فتح الإسلام ، توضيح مرالم ، إزالة أوهام ، وقال : أنه هو المسيح الموعود ثم قال : إنه لا يمكن للمسيح أن يعيش ألفي عام ، وأنه هو المسيح الموعود.

لقد كان الاقتراح من الحكيم نور الدين على الميرزا أن يظهر بمظهر المسيح الذي أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بنزوله فرد الميرزا على الحكيم (إن العاجز - الميرزا - ليس له حاجة أن يكون مثيلاً للمسيح إن همه الوحيد أن يدخله الله في عباده المتواضعين المطيعين).

وبعد فترة وإذا بالميرزا يعلن أنه المسيح (لقد نزلت من السماء مع الملائكة الذين كانوا عن يميني وعن شمالي) (١) .

وقال : إن المسيح ينزل في دمشق (يدل نزول المسيح في دمشق دلالة واضحة على أن رجلاً يجمع بين مماثله للمسيح ومشايبته بالحسين بن علي سينزل لتعنيف اليزيديين الذين هم مماثلون لليهود ولإلزامهم الحجة).

الرداعان الأصفران :

١- صفرة الوجه. ٢- البول السكري.

المنارة الشرقية : بنى المنارة شرقي قاديان ووضع أساسها سنة ١٩٠٣ وتمت زمن نجله بشير الدين محمود.

قبر المسيح في كشمير : قرر أن كشمير أصلها كشير ولعلها مأخوذة من العبرية الكاف للتشبيه وأشير : في العبرية تعني الشام. أي مثل الشام ولما هاجر عيسى عليه السلام من فلسطين إلى كشمير التي تشبه بلاد الشام سماها الله كشميراً تسلياً لعيسى.

وقبر (برؤاسف) في حارة خان يار هو قبر المسيح عليه السلام الذي هاجر إلى كشمير قبل ألفي سنة وكان يعرف بالنبي ابن الملك.

من المسيحية إلى النبوة فما فوقها : سنة ١٩٠٠ ألقى الشيخ عبد الكريم (أمام الصلوات وكاتب السر) خطبة الجمعة ذكر فيها أن الميرزا غلام أحمد مرسل من عند الله والإيمان به واجب. فمثل الميرزا فقال (هذا الذي أدين به وأدعيه) (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي).

ونقل عنه عبد الحكيم (إن الله كشف عليّ أن كل من بلغته دعوتي ولم يقبلني ليس بمسلم).

وكتب في هذا بشير الدين محمود (حقيقة النبوة).

وفي سنة ١٩٠١ وعد الميرزا أن يخرج أربعين رسالة فأخرج منها أربعة وسئل في هذا فقال كالصلوات اختصرت من خمسين

(١) فتح الإسلام ٩.

إلى خمسة.

القاديانيون يكفرون المسلمين : فلا يصاهرونهم ولا يصلون خلفهم ولا على أمواتهم وحج المسلمين عند القاديانية باطل.

التناسخ والحلول : يعتقدون بالتناسخ ولد إبراهيم بعد وفاته بألفي وخمسمائة عام في بيت عبد الله بن عبد المطلب.

هناك بعثتان للنبي محمد : الأولى في الألف الخامس والثانية في أواخر الألف السادس.

التلوق على الأنبياء : جه/ براهيم أحمدية (لقد أراد الله أن يتمثل جميع الأنبياء والمرسلين في شخص رجل واحد وإنني ذلك لرجل). (وأتاني مالم يأت أحداً من العالمين).

قال بشير محمود (إن غلام أحمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل).

وفي صحيفة الفضل (ويجوز أن يكون أفضل من جميع الأنبياء).

الله يخاطبه : (أنت مني بمنزلة وادي) (يحمدك الله من عرشه ويمشي إليك).

الترف : كتب الخواجه كمال الدين إلى محمد علي / أمير الفرع اللاهوري (عندما زارت نساؤنا قاديان ثرن علينا وقتلن : إن بذخ الذي هناك لا تتمتع به أنتم خدعتمونا ، لن نتبرع بالمال بعد اليوم).

يقول عبد الرحمن المصري مدير كلية التعليم في قاديان (إن الخليفة الحالي الميرزا بشير الدين من كبار الفساق وتصيد لفتيات وله سماسرة يحضرون الفتيات).

القاديانية : ميرزا غلام أحمد سنة ١٨٣٩ .

مناهضة التراث الإسلامي، يقولون (إن الذي يزود قبة المسيح الموعود البيضاء في (القاديان) له نصيب من البركات التي تختص بالقبة الخضراء في المدينة)

(والحج إلى مكة بغير الحج إلى قاديان حج جاف ، لأن الحج اليوم إلى مكة لا يؤدي رسالته) .

(ومن نخله كان أمنا) - مسجد قاديان - وهو المسجد الأقصى.

وهم يتحدثون عن ميرزا بقولهم عليه السلام - وأهل بيته - أمهات المؤمنين وقد أيدهم نهر.

يقول إقبال (إن جواهر لال نهرو ومن معه من القوميين مضطربون من انتعاش المسلمين كما أن القاديانية مضطربة كذلك وهم عرفون أن هذا الانتعاش سوف يقضي على خطتهم وهو - تمزيق أمة الرسول العربي - فداه أبس وأمي - وتكوين أمة جديدة لمتنبئ غدي. ولأجلها يؤيدهم نهرو، وإلا فأى علاقة له بهم).

يقول محمود أحمد خليفة ميرزا غلام في (هدية لسمو الأمير ويلز نجل جورج الخامس سنة ١٩٢١) (أنا أرحب بك وأؤكد لك أن جماعة الاحمدية وفيه لبريطانيا وستبقى وفيه - إن شاء الله -) ، وأن منهج هذه الجماعة منذ تأسيسها أن تطيع الحكومة القائمة - بريطانيا - وهذا شرط البيعة فيها.

وحيثما دخلت بريطانيا العراق وقف خليفة - ميرزا - وقال (أنا مهدي وبريطانيا سيغي ، ونحن نبتهج بهذا الفتح ونريد أن نرى أن هذا السيف ويرقه في العراق وفي الشام وفي كل مكان ، وإن الله أنزل ملائكته لتأييد هذه الحكومة (بريطانيا)^(١)).

البهائية

- البابية أنشأها ميرزا علي الشيرازي / أعيد سنة ١٢٦٥م.

- البهائية أنشأها ميرزا حسين علي المازندراني.

أباح الربا، الزنا (لا ينبغي أن يحدسوها بالكيف والكم)

(١) كتاب القاديانية لإحسان شير - ٣٦.

صلب المسيح : تدخلت روسيا وبريطانيا لإخراج ميرزا من السجن ونفى إلى بغداد فعكا حيث مات سنة ١٨٩٢ هـ فانظروا الآن تأتي طوائف اليهود إلى الأرض المقدسة.

عبد البهاء - عباس - يدعو إلى توحيد الأديان الثلاثة على شريعة موسى.

سادساً - التسلي تحت شعارات خادعة

البروتوكول ١٥ (إننا سنقدم الماسون الأحرار إلى الموت بأسلوب لا يعرف.

الماسونية ، الروتاري ، الليونز

بني برث (أبناء العهد) أسهمت في جميع الثورات والحروب في القرنين ١٩-٢٠

شهود يهوه (المسيحية زائفة، الإسلام أشبه بالبوذية.

الروتاري :

اللاسامية : الحربان العالميتان ٦٠ مليوناً ، حرب الأفيون.

١٨٦٦ (الماسونية مؤسسة يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها يهودية من البداية إلى النهاية).

تروكاس (يشكل التهديد اليهودي - الماسوني مشكلة حياة أو موت بالنسبة لمصائر شعوب العالم أجمع).

النصيرية

تنسب إلى محمد بن نصير النميري المؤسس لهذه الفرقة والذي ادعى النبوة وادعى أن أبا الحسن العسكري عاشر الأئمة الاثني عشرية) إلهها ومحمد بن نصير هذا يبيع المحارم ويقول بالتناسخ ويحلل نكاح الرجال (اللواط) ويعتبره من التواضع.

هتبهتهم: ١- فرقة باطنية تحرص على اخفاء عقائدها عن الناس .

٢- عقائدهم تشككت من المجوسية والمسيحية والسبئية فهم يؤلفون ثالوثاً من (علي ومحمد وسلمان الفارسي) ويتخذون من ذلك شعاراً يتكون من (ع . م . س) وهذا الثالوث يفسر عندهم (بالمعنى والإسم والباب) فالمعنى هو الغيب المطلق أي الله الذي يرمز إليه بحرف (ع) والإسم :صورة الإسم الظاهر (م) والباب هو طريق الوصول إلى المعنى ويرمز إليه (س).

فالعقيدة النصيرية هيكلان (نصراني وإسلامي) ولذا يحتفلون بعيد الميلاد ويقدمون فيه النبيذ ولحم البقر. وعيد الغطاس والطيب والبربارا وهي أعياد مسيحية.

كما يحتفلون بالمولد النبوي ، وعيد الفراش (مبيت علي). وعيد النيروز المجوسي.

٣- ومن عقيدتهم الحلول أي أن الله تعالى تجلى في المرة الأخيرة في علي كما تجلى قبل ذلك بهابيل وشيث وسام وهارون وشمعون وسام وإسماعيل واتخذ في كل دور رسولاً ناطقاً تمثل على الترتيب (في آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى).

فعلي : إله في الباطن ، إمام في الظاهر ، لم يلد ولم يولد ولم يعث ولم يقتل ولم يأكل ولم يشرب وقد اتخذ علي محمداً ومحمد متصل بعلي ليلاً منفصل عنه نهاراً وعلي خلق محمداً ومحمد خلق سلمان الفارسي وسلمان خلق الأيتام الخمسة الذين بيدهم مقاليد السموات والأرض وهم:

١- المقداد : رب الناس وخالقهم الموكل بالرعود والصواعق.

٢- أبوذر (أبوذر الفقاري) الموكل بدوران الكواكب والنجوم.

٣- عبد الله بن رواحه : الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر.

٤- عثمان بن مظعون : الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان.

٥- قنبر بن كاران: الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام.

٦- والنصيريون : يعتقدون بالتمسك وهذه عقيدة مجوسية بوذية ويعتقدون أن البشر كانوا كواكب ألقت بهم الخطيئة الأولى إلى الأرض فينبغي أن تنتقل أرواحهم من جسد إلى آخر سبع مرات ثم تعود إلى السماء بعد انصقالها.

٧- ينكرون البعث والحساب.

٨- يعتقدون أن الجنة والنار في الدنيا وحدها .

٩- يعتقدون أن الشياطين مخلوقون من معاصي الناس والناس مخلوقون من معاصي الشياطين.

١٠- يلعنون الصحابة أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعداً وخالد بن الوليد والخلفاء الأمويين والعباسيين والدسوقي والرفاعي والجيلاني والنبوي والأئمة الأربعة وكل من يتبع مذاهبهم لأنهم يأكلون من خيرات علي ويعبدون غيره.

٩- لايجوز للنصيري أن يتعلم أمور دينه قبل الخامسة عشر من عمره .

١٠- لا تسمح شريعتهم لغير النصيري أن يدخل فيها إلا بعد اختبارات قاسية.

مؤسسو الفرق الهدامة وواضعو أسسها:

١- ميمون القداح الديصاني اليهودي الفارسي (نسبة إلى ماريصان حبر يهودي تنصر) مؤسس الميمونية وواضع مبادئ القرمطية.

٢- المفضل الجعفي : واضع كل رواية باطنية ومؤسس المفضلية

٣- أبو الخطاب المجوسي : يمت بصلة القرى إلى كاهن يهودي في البصرة ولما شعر الإمام جعفر الصادق أنه استطاع أن يغوي ولده إسماعيل تبرأ منه ونزع ولاية العهد منه، وقد أسس الخطابية.

٤- محمد بن سنان : خازن علم الباطن ومؤسس (السنانية).

هؤلاء الأربعة بقيت الفرق القتالة تقول بأرائهم حتى سنة ٢٦٠هـ حيث أعلن غيبة الإمام الثاني عشر (محمد بن الحسن العسكري).

عندها ظهر أحد أحفاد هؤلاء وهو (وحيد العين : أبو شعيب بن نصير النعميري) وصاغ المعتقدات اللاحادية السرية في بروتة واحدة ولا يزال القسم الأكبر من عقائد النصيرية منها.

ولقد جعل أبو شعيب (وحيد العين): علياً الها وسماء (أمير النحل) حيث شبه المؤمنين بالنحل ومنح أبو شعيب نفسه لقب (الباب) الذي يحل محل (أمير النحل).

ثم جاء بعد أبو شعيب الجنبلائي والجلي والزاهري وجبين المذهب الصعيدي والخصيبي فأوجدوا المراتب والحجب والألقاب والقباب والتقباء والنجباء.

طوائف النصيرية الحالية:

١- النباوية : منها سليمان المرشد. ادعى الألوهية ، كان راعياً للبقر اتخذ جملاً اسمه (سلمان الميدة) رسولاً وهو من قرية (جوبا يرغال) شرقي اللاذقية. رفعه الفرنسيون وكان المستشار الفرنسي يسجد له. اتخذ أزاراً كهربائية تضيء فيسجد أتباعه. جعل الفرنسيون للعلويين نظاماً خاصاً وأدارها سليمان المرشد وعين قضاة وفدائين. وكان نائباً عن العلويين في المجلس النيابي. وقد ترك الفرنسيون أسلحة بعد جلائهم فأعلن العصيان فأعدم سنة ١٩٤٦.

وبعد مقتل سليمان ألّها ابنه (مجيب المرشد) وبعد أن قتل مجيب ظلوا يذبحون على اسمه فيقولون (باسم المجيب أكبر من يدي إلى رقبة أبي بكر وعمر).

٢- فرقة اللازمية: يعتقدون بحلول علي في القمر ليلاً وبالشمس نهاراً .

٣- فرقة المراجعة: هي كالأولى.

العبادات عند النصيرية:

الصلاة: الصلاة عندهم خمس أوقات ليس فيها سجود، وصلاة المغرب أهمها وهي أربع ركعات، ولا يصلون الجمعة، ولا يستقبلون إلى القبلة -إلا الإمام- ويصلون العيدين دون استقبال القبلة وبعضهم لا يلتزم الطهارة (غسل ووضوء) قبل الصلاة.

الزكاة: كالمسلمين ويضيفون إليها خمس الشيعة.

الحج: ليس فرضاً بل كفر وعبادة أصنام.

من أدعيتهم: (يا مولاي يا علي يا نور الأنوار يا رب الأسرار يا عزيز يا غفار يا واحد يا قهار^(١)).

(أشهد أنه لا إله إلا مولاي أمير النحل علي ولا حجاب إلا السيد محمد ولا باب إلا السيد سليمان ولا ملائكة إلا ملائكتك الخمسة الأيتام الإكرام ولا أرى إلا رأي شيخنا وسيدنا أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي^(٢)).

وثيقة خطيرة عن النصيريين^(٣)

هذه الوثيقة وقعها زعماء الطائفة النصيرية في سوريا وعلى رأسهم سليمان الأسد (جد حافظ الأسد) ومحمد سليمان الأحمد ومحمود آغا حديد، وعز آغا غواش، وسليمان راشد، ومحمد بك جنيد يطلبون عدم انتهاء الانتداب الفرنسي واستمرار الاحتلال لسوريا.

وتقول المذكرة في نصورها:

دولة ليونبولوم، رئيس الحكومة الفرنسية

إن الشعب العلوي الذي حافظ على استقلاله سنة فسنة بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيرة في النفوس هو شعب يختلف في معتقداته الدينية وعاداته وتاريخه عن الشعب المسلم السني، ولم يحدث في يوم من الأيام أن خضع لسلطة من الداخل.

والشعب العلوي يرفض أن يلحق بسوريا المسلمة فالشعب العلوي بالنسبة للدين الإسلامي يعتبر كافراً ولذلك تلفت نظركم إلى ما ينتظر العلويين من مصير مخيف وفظيع في حالة إرغامهم على الالتحاق بسوريا عند ما تتخلص من الانتداب وتمضي الوثيقة.

إن استقلال سوريا وإلغاء الانتداب يعني سيطرة بعض العائلات المسلمة على الشعب النصيري في كيليكية واسكندرون وجبل النصيرية وبذلك يخلق نظاماً يسوده النور الديني ضد العلويين وهي روح غرست في قلوب المسلمين العرب وسوف يصبح العلويين بعد إلغاء الانتداب معرضين للموت والقتل.

إننا نلتمس اليوم كيف أن مواطني دمشق يرغمون اليهود القاطنين بين ظهرانيهم بعدم إرسال المواد الغذائية لإخوانهم اليهود المنكوبين في فلسطين وأن هؤلاء اليهود الطيبين الذين جاؤا إلى العرب المسلمين بالعفارة والسلام وتثروا على أرض فلسطين الذهب والرخاء ولم يوقعوا إلا الذي بآخذ ولم يأخذوا شيئاً بالقوة ومع ذلك أعلن المسلمون ضدهم الحرب المقدسة بالرغم من وجود انجلترا وفرنسا في فلسطين وفرنسا في سوريا نحن الشعب العلوي الذي يمثل الموقعون على هذه المذكرة نطلب بقاء سيطرة حكومة فرنسا ضماناً لحريته واستقلاله ويضع بين يديها مصيره ومستقبله وهو واثق أنه لا بد أنه واجد لنبيهم سنداً قوياً لشعب علوي صديق قدم لفرنسا خدمات عظيمة.

فتوى ابن تيمية عن النصيريين^(٤)

السؤال: ما تقول السادة العلماء أئمة الدين في النصيرية القائلين باستحلال الخمر، وتناسخ الأرواح، وقدم العالم، وإنكار البعث والنشور والجنة والنار، وبأن الصلوات الخمس عبارة عن خمس أشياء: علي، حسن، حسين، محسن، وفاطمة، فذكر هذه الأسماء الخمسة يغني عن الطهارة من الجنابة والحدث.

(١) كتاب الألفية بخط الشيخ حسين بن الشيخ علي محرر في ١٢٩٧ هـ

(٢) الفتاوى ١٤٥ / ٣٥

(٣) انظر مجلة المجتمع الكويتية عدد (٢٠٥).
(٤) في سجل وزارة الخارجية الفرنسية رقم ٢٥٤٧ تاريخ ١٥/٦/١٩٣٦.

والصيام عندهم: اسم ثلاثين رجلاً وثلاثين امرأة وإلههم الذي خلق السموات والأرض هو علي بن أبي طالب.
 عندهم محمد هو الإسم علي: المعنى سلمان: الباب، محمد هو الحجاب، علي: الرب، سلمان: الباب.
 الإسم آدم المعنى شيث
 يعقوب يوسف (لا تترب عليكم اليوم) فلم يعلق الأمر (يفوض) لأنه علم أنه الإله المتصرف.
 موسى يوشع (ردت له الشمس وهل يرد الشمس إلا ربها)
 سليمان أصف (القاهر المقتدر).
 هابيل شيث يوسف يوشع أصف شمعون الصفا حيدر
 قال قائلهم سنة ٧٠٠ هـ :

أشهد أن لا إله إلا حيدر الأ نزع البطين
 ولا حجاب عليه إلا محمد الصادق الأمين
 ولا طريق إليه إلا سلمان نوالقوة المتين

وإبليس الأبالسة عندهم : عمر. ثم يليه في الإبليسية: أبوبكر ثم عثمان.

جواب ابن تيمية

- ١- النصيريون وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى بل أكفر من كثير من المشركين وضروهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من ضرر الكفار المحاربين أمثال التتار والفرنج وغيرهم.
- ٢- وهم لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بالشرائع.
 بل يقولون: الصلاة : معرفة أسرارهم
 الصوم كتمان أسرارهم.
 الحج: زيارة شيوخهم.
 يدا أبي لهب: أبو بكر وعمر.
 وقد يكتب أحدهم اسم الله أسفل رجله .
- ٣- لهم في معاداة المسلمين مواقع مشهورة.
 قتلوا الحجاج وألقوهم في زمزم وسرقوا الحجر الأسود استولى النصارى (الصليبيون) على الساحل والقدس بسببهم.
 ودخل التتار بغداد وقتلوا الخليفة بمؤازرتهم بسبب وزيرهم (النصير الطوسي)
- ٤- ذبائحهم ونساؤهم : لا تجوز مناكرتهم ولا يجوز أن ينكح الرجل مولاته منهم، ولا يتزوج امرأة منهم، ولا تباح ذبائحهم.
- ٥- الجبن المعمول بأنفحتهم: فيه قولان مشهوران للعلماء كسائر أنفحة الميتة وأنفحة نبيحة المجوس وذبيحة الفرنج الذين يقال عنهم أنهم لا يذكون الذبائح.
- فمذهب أحمد في رواية- ومذهب أبي حنيفة أنه يحل هذا الجبن لأن أنفحة الميتة طاهرة على هذا القول لأن الأنفحة لا تموت بموت البهيمة.
- ومذهب مالك والشافعي وأحمد في الرواية الأخرى أن هذا الجبن نجس لأن الأنفحة عند هؤلاء نجسة لأن لبن الميتة وأنفحتها عندهم نجس ومن لا تؤكل ذبيحته فذبيحته ميتة.
- ٦- دماؤهم وأموالهم مباحة.

- ٦- أوأنهم وملابسهم: كأنجوس لا تستعمل إلا بعد غسلها .
- ٩- استخدامهم في الغفوة: عقد فاسد لأنه لايجوز استخدامهم فلا يستحقون الا أجرة امثل.
- ٧-لا يصل عليهم ولا يدفنون في مقابر المسلمين.
- ٨-استخدامهم في الغفوة : من الكبائر كمن يستخدم الذئب في رعي الغنم والواجب على ولاة المسلمين قطعهم من دواوين المقاتلة فلا يتركون في شغل ولا في غير شغل وهم شر من الخاسر (المنس) الذي يكون في العسكر وهم أحرص الناس على تسليم الحصون إلى عنو المسلمين.
- ٩-تربتهم: اختلف العلماء في قبول تربتهم: منهم من يقبلها اذا التزموا الإسلام ومنا يقرون على أقوالهم ومن لم يقبلها لم تنقل إلى ورثتهم ويكون مالهم فيئاً لبيت المال .
- ١١- إذا قبلت تربتهم^(١) :
- ١٠-ويحتاط في أمرهم فإن مذهبهم التقية ولذا فلا يتركون مجتمعين ولا يمكن من حمل السلاح ولا أن يكونوا من المقاتلة ويلزمون شرائع الإسلام من الصلوات الخمس وقراءة القرآن ويحال بينهم وبين معلمهم النصيري.
- فإن أبا بكر الصديق وسائر الصحابة لما ظهوروا على أهل الردة وجأوا إليه قال لهم الصديق.
- اخاروا اما الحرب المجلية وأما السلم المخزية.
- قالوا فما السلم المخزية؟
- قال: قرون ولا نرى قتلاكم وتشهدون أن قتلنا في الجنة وقتلاكم في النار وتقسم ما أصبنا من أموالكم وتردون ما أصبتم من أموالنا ، وتنزع منكم الحلقة والسلاح وتمنعون من ركوب الخيل وتزكون تتبعون أذناب الإبل حتى يرى الله خليفة رسوله والمؤمنين أمراً بعد ردتكم خوافه الصحابة إلا في تضمنين قتل المسلمين.
- فقال عمر: أجور قتل المسلمين على الله ، فهم شهداء لادية لهم فاتفقوا على قول عمر وهذا مذهب أبي حنيفة وأحمد في رواية.
- وقول أبي بكر هو مذهب الشافعي ورواية عن أحمد.
- ١١- قتالهم: ان جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وسائر الصحابة بدأوا بالمرتدين قبل كفار أهل الكتاب.

فتاوى العلماء في النصيرية

- ١-ذكر سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي في كتابه (المقاتلات والفرق) ص ١٠٠-١٠١ وجاء في كتاب الرجال للطوسي ط ١ ص ٤٣١.
- (وقد شذت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد -ع- في حياته فقالت بنبوة رجل يقال له (محمد بن نصير النميري) كان يدعي أنه نبي رسول وأن علي بن محمد العسكري -ع- أرسله، وكان يقول بالتناسخ ويقلو في أبي الحسن ويقول فيه بالريوية ويقول بالإباحة للمحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم ويزعم أن ذلك من التواضع وأنه إحدى الشهوات والطيبات).
- ٢-وكذلك نفس النص عن أبي محمد الحسن بن موسى التوبختي في كتابه فرق الشيعة ص ٧٨.
- ٣- يقول أبو جعفر الطوسي في كتابه الغيبة ص ٢٤٤ ط ٢ مطبعة النعمان النجف، تحت عنوان ذكر المنمومين الذين ادعوا البابية لعنهم الله ومنهم محمد بن نصير النميري قال ابن نوح: كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي -عليهما السلام- قلما توفي أبو محمد ادعى ابن نصير مقام أبي جعفر محمد بن عثمان أنه صاحب إمام الزمان وادعى له البابية ونصحه الله بما ظهر منه من الإلحاد والجهل.
- ٤-وقد كفر النصيرية من علماء الشيعة أبو طالب الأنصاري.

(١) مكذا في الأصل

الدروز

اشتق اسمهم من أحد واضعي نحلتهم الهدامة وهو محمد بن إسماعيل الدرزي ويلقب (لانشكين) أو (نوشكين).

وقد وضع المذهب ثلاثة زنادقة:

١- حمزة بن إسماعيل الدرزي.

٢- حمزة بن علي

٣- الحصن الفرغاني.

وقد انبثق الدرزي من طائفة الشيعة (العبيديين: الفاطميين) وقد ظهر أمرهم أيام الحاكم بأمر الله وقد أطلق الحاكم لقب الإمام على حمزة ثم نشب خلاف بين الدرزي وحمزة فخرج الدرزي بظاهره سنة ٤٠٨ هـ لاستقزاز مشاعر الجماهير (٥٠٠) من أتباعه إلى قصر الحاكم بأمر الله فهاجمهم الناس فقتل قسم وفر الباقي.

وأما الدرزي فقد اختلفت فيه الأقوال فمنهم من قال: إنه فر إلى الشام ونشر مبداء في الجبال، ومنهم من قال أنه استقر في وادي التيم في الشام وقيل أن الحاكم بأمر الله هو الذي أرسله إلى الشام لينشر الفساد.

وبقي حمزة بن علي في مصر ولقب نفسه هادي المستجيبين وقائم الزمان وإمام الزمان وكثر مؤيدو حمزة وعندما قتل الحاكم بجوار جبل المقطم ادعى حمزة أن الحاكم صعد إلى السماء وأنه سينزل في آخر الزمان وادعى الإمامة وأعلن حمزة أنه سيفيخ ثم يعود، اختفى ٣ سنوات كتب خلالها رسائل كثيرة ، ولما انتشرت دعوته في الشام ذهب إليها وأبقى في مصر ورثه (السعوي المعروف بالضيف) واستمر السعوي بنشر الدعوة ويوجه الرسائل إلى الملوك والرؤساء وأرسل رسائل إلى لبنان و Jordan والقيم وعندما كثر أتباعه أعلن السعوي قفل باب الاجتهاد واقتصرت الدعوة الدرزية على رسائل حمزة.

عقيدتهم: يعتقدون أن الحاكم إله وحمزة نبيه ويقولون: نحن لا نشك أن الحاكم بشر في العين المجردة ولكن هذه هي الصورة الإنسية / جاء في رسالة الغيبة لحمزة (أظهر لنا ناسوت صورته) وفي ميثاق ولي الزمان (حمزة) (توكلت على مولانا الحاكم الأحد الفرد الصمد المنزه عن الأزواج والعدد). ويعتقد الدرزي أيضاً بالتناسخ والتقمص وهم يعتقدون أنه لا بعث ولا جنة ولا نار.

وينقسم الدرزي إلى طبقتين:

١- طبقة العقال: وهم الذين يعرفون أسرار عقيدتهم ، يجتمعون مساء كل جمعة .

٢- طبقة الجهال: وهم الذين لا حق لهم في معرفة عقيدتهم.

وللدروز رؤساء دينيون وعلى رأسهم (شيخ العصى ويتولى منصبه بالاتفاق أو الانتخاب ، وله أعوان في كل قرية ومدينة ويسمى (شيخ العقل).

والمرأة عند الدروز لا ترث من بيت أبيها شيئا ويوزع الإرث بالتساوي ، وطلاق الدرزي مرة واحدة ، ولا يجمع بين زوجتين ببعض الدروز يعبدون الفرج، وبعضهم يبيع نكاح البنات لهم، يقولون أن آدم تزوج حواء وهي منه.

اليونسكو

جاء في الموسوعة التي أصدرتها اليونسكو أخيراً تحت عنوان (تاريخ الجنس البشري وتقدمه الثقافي والعلمي ويقع في عدة مجلدات تتجاوز الألف صفحة يتناول الفصل العاشر من المجلد الثالث أحوال العرب والإسلام.

جاء في الموسوعة :

١- الإسلام تركيب ملفق من المذاهب اليهودية والمسيحية أضيفت إليها التقاليد الوثنية العربية .

٢- القرآن مجرد من أهم خصائصه في البلاغة

٣- الشريعة الإسلامية شريعة معقدة.

- ٤- مجموعة الأحاديث النبوية وضعت في عصر متأخر وأجريت على لسان الرسول .
- ٥- فقهاء المسلمين تعمّدوا استخدام النظم القانونية والتشريعية الأجنبية المجربة وبخاصة القانون الروماني والفارسي والتعود والقوانين الكنسية الشرقية.
- ٦- عقوبة حد السرقة قاسية ومشينة.
- ٧- دور المرأة في مجتمع الإسلام على جانب كبير من الضآلة.
- ٨- أرمق الإسلام أهل النمة في البلاد التي تم فتحها بفرض الجزية والخراج.

الدراسات الاستشراقية

في عصر التنوير : بدأت دراسة الإسلام لبيان أخطاء الكنيسة الكاثوليكية.

فمثلاً روسو : يشي على الإسلام لأنه وحد بين السلطتين العقدية والسياسية أما سافاري الفرنسي : فيقول عن الرسول ﷺ (أحد أولئك الرجال العظام الذين يظهرون من وقت لآخر فيقلبون أوضاع العالم ويقودون البشر في طريق التقدم والنصر. وإن الغربي المتنور وإن لم يعترف بنبوته لا يستطيع إلا أن يعتبره من أعظم الرجال الذين ظهرت في التاريخ).

فهذا الاتجاه رغم أنه متحرر من الكنيسة إلا أنه يخضع لنظرة معينة وفكرية أو نظريات علمية فلا يريد أن يعترف بالوحي.

(التغريب) الاستشراق والمبترون

- ١- الشبهات تحاول دائماً أن تعزى إلى الإسلام أنه عامل التأخر الأول .
 - ٢- وإلى أن اللغة العربية هي الحائلة دون الابتكار والاختراع.
 - ٣- والتاريخ الإسلامي مليء بالاختلاف والصراع.
 - ١- فولتير (تمثيلية محمد)
 - ٢- كرومر (تغريب المفكر العربي) سنة ١٨٨٢-١٩٠٦
 - ٣- دنلوب (تغريب التعليم والتربية) سنة ١٨٨٧-١٩٣٠.
 - ٤- أرنست رنان: (الإسلام والتقدم).
 - ٥- هانوتو: مصر والمصريون.
 - ٦- زوهر: التبشير.
 - ٧- مرجليوث: محمد وظهور الإسلام.
 - ٨- لورنس: الأعمدة السبعة
 - ٩- لويس شيخو: تاريخ العرب والإسلام.
 - ١٠- ولكوكس: الدعوة إلى العامة.
 - ١١- فتستك : دائرة المعارف.
 - ١٢- جلوب: الفتوحات العربية الكبرى.
 - ١٣- جولد تسهير: السنة والتشريع.
- يقول ترمي : (إن الأديان الأربعة العليا في الشرق الأقصى (الإسلام والمسيحية والهندوكية والمهايانا) هي مجرد ألوان أربعة لنتيج واحد).
- يقول نلسن (إن الإسلام مقلد، وإن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية وسائر ما فيه أخذ من الوثنية كما هو أو مع شيء من التبيل).

١- فولتير (محمد والتعصب)

أصدرها سنة ١٧٤٥ أهداها إلى البابا (بنوا الرابع عشر). مليئة بالطلعن للنبي صلى الله عليه وسلم.

٢- كرومر سنة ١٨٨٢-١٩٠٦ ألف (مصر الحديثة)

الإسلام مناف للحضارة ولا يمكن للمسلمين أن يتقدموا حتى يتركوا القرآن والإسلام لأنه يعلمهم الحق على مخالفيهم .
الإسلام ينافي العمران ويبيع الطلاق وحرم الربا والخمر.

تشجيع المبشرين في مصر والسودان:

خلق طبقة من المتفرنجين وهؤلاء هم حلفاء الأودبي المصلح ومساعدوه وسوف يجد محبر الوطنية أحسن أمل في ترقى أتباع
الشيخ محمد عبده للحصول على مصر مستقلة بالتدريج .

حمل تعاليم كرومر والدعاية لها لطفي السيد في (المجريدة) وصحيفة المقطم.

وقد ركز كرومر في هجومه على الدولة العثمانية ، والحملة على الإسلام الذي تمثله تركيا. نشر اللغة الإنجليزية . تجميد اللغة
العربية ، مصر للمصريين ، الخط من شأن رجال الأزهر والجامع الأزهر.

رد على كرومر ثلاثة : فريد وجدي، مصطفى الغلايني ، رشيد رضا .

قال الدكتور سامي الفشار: (أعلن كرومر حين مجيئه إلى مصر أنه سيهدم في مصر ثلاثاً: القرآن والكعبة والأسرة الإسلامية
والأزهر).

٣- بروكلمان

يقول في تاريخ الشعوب الإسلامية (ولم يكن عالم محمد الفكري من إبداعه الخاص إلا إلى حد صغير فقد انبثق في النرجة
الأولى من اليهودية والنصرانية فكيفه محمد تكييفاً بارعاً وفقاً لحاجات شعبه الدينية).

ويقول : إن محمداً طاف بالبيت سبعاً لأمساً الحجر الأسود بعرضه في كل مرة وبذلك ضم هذا الطقس الوثني إلى دينه.

٤- ليوتي : أول حاكم للمغرب سنة ١٩١٢.

أثار الفكرة بين العرب والبربر.

حارب جامعة القرويين وقال : إذا تم لفرنسا القضاء على جامعة القرويين فقد ضمنت فرنسا لنفسها البقاء في المغرب ، حارب
اللغة العربية وأحل محلها الفرنسية ، وأقام المحاكم البربرية ، وأقام ثقافة فرنسية بدل الإسلامية ، أقامت له فرنسا تمثالاً في الرباط.

٥ - لا فيجيري

كروينال : أشرف على إنشاء المدارس التبشيرية ، ومهد لاحتلال تونس ، وأقيم له تمثال في مدخل مدينة تونس ، وكان يرى أن
المغرب العربي بلاد رومانية يجب أن ترجع إلى أصلها الكنسي.

٦- دوجلاس غلوب

دخل مصر سنة ١٨٨٩ مبشراً ، عين سنة ١٨٩٧ سكرتيراً عمومياً للمعارف ، وفي ٢٤ مارس سنة ١٩٠٦ عين مستشاراً
لمعارف.

مذهبه (متى توأرى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة). وكان ينفذ
سياسة كرومر (عقل بريطاني وأيد مصرية :)

- ١- حارب العربية والأزهر.
- ٢- نشر الانجليزية. حتى أصبح يعلم الرياضيات والعلوم والكيمياء والجغرافيا بالإنجليزية.
- ٣- محاربة التعليم العالي (إن المصريين لا يصلحون للعلوم العالية).
- ٤- إقصاء الكتب التي كتبت بروح إسلامية كمؤلفات علي مبارك وعبد العزيز جاورش.

هـ - جولد تسيغر

يقول في العقيدة والشريعة (أن الأخلاق العالية والمثل الرفيعة في الإسلام إنما أخذها الإسلام من الديانات التي اعترف لأصحابها بالرسالة)^(١).

أرنست رينان

وصف النبي ﷺ بالخداع والنجل.
ألقى محاضرة في السوربون (سنة ١٨٨٣) (بعتوان الإسلام والعلم) حمل فيها على الإسلام حملة متعصبة وقال : إن الإسلام عقبة في سبيل العلم ، واضطهد العلماء.

جبرائيل هانوتو

يرى هانوتو رأي كميون في نسف الكعبة ونقل قبر محمد إلى متحف اللوفر، رد عليه محمد عبده.

زويمر

بدأ بالبحرين كتابات كتب ، عقد أول مؤتمر للتبشير سنة ١٩٠٦ في القاهرة في بيت أحمد عرابي في باب اللوق ، مؤتمر سنة ١٩١١ في لكو ، ١٩٢٤ في القدس.

مرجليوت

مستشرق انجليزي ألف كتاب (محمد وظهور الإسلام)
رد عليه علي جاورش وقال : إنه حارب التاريخ كما حارب الإنصاف.
وعما قال مرجليوت:

- ١- أن المسلم معناه في الأصل الخائن.
- ٢- عاشر محمد - ﷺ - بعض النصارى فاستفاد من تعاليمهم وأساليبهم.
- ٣- تزوج خديجة طمعاً في مالها.
- ٤- الله : اسم صنم في الكعبة.
- ٥- كانت ممتاب محمداً صلى الله عليه وسلم نوبات عصبية كثيرة.
- ٦- أكل لحم الجمل فرض على المسلم.
- ٧- اسم والد النبي ﷺ مجهول وإذا سمعوه (عبد الله).

(١) انظر ملفويات اليونسكو للسان ص ٢٢.

لورنس (الأعمدة السبعة)

(لقد كنت أعلم أننا إذا كسبنا الحرب فإن عهودنا للعرب ستصبح أوراقاً ميتة ولو كنت ناصحاً شريفاً للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم. لقد كان قادة الحركة العربية يفهمون السياسة الخارجية فهماً عشائرياً بدوياً ، وكان البريطانيون والفرنسيون يقومون بتأليبهم - حرية اعتماداً على سذاجة العرب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم، ولهم ثقة بالعنى
إنني أكثر ما أكون فخرأ أن الدم الإنجليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضتها لأن جميع الاقطار الخاضعة لنا لم تكن تساهي في نظري موت انجليزي واحد).

يقول وايزمان : لقد قدم لنا لورنس خدمات جليلة.
وصل الشرق سنة ١٩١٤ . استخدمه الانجليز في الاستخبارات، وصل جدة سنة ١٩١٦ واتصل بفصيل.
كان لورنس يدعى سلطان الصحراء العربية، ملك العرب غير المتوج.

لامنس

راغب مؤرخ ، كتب عن رسول الله ﷺ كتاباً لم يوافق الفاتيكان على نشره خوفاً من الضجة.
قال : احتكر أبو بكر وعمر وأبو عبيدة السلطة وقد مهدت لهم عائشة وحفصة وأبعدوا علياً.
تأثر الفقه الإسلامي باليونان.
وصف صلاح الدين بالطماع وعزا عفر صلاح الدين إلى (الجبن والخوف).

لويس شيخو (خرافات القرآن) سنة ١٨٥٩-١٩٢٧.

ولد بماردين ، علم الآداب العربية في جامعة القديس يوسف.
أنشأ مجلة المشرق سنة ١٨٩٨ واستمرت ٢٥ سنة.
له كتاب: شعراء النصرانية، وادعى أن معظم شعراء العرب قبل الإسلام نصارى.

وليم ولكوكس

سنة ١٨٩٢ ألقى المهندس الإنجليزي محاضرة عنواتها : لماذا لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن؟ عزاهما : إلى التمسك بالقصص. وقال : إن الانجليز كانوا يؤلفون باللاتينية فلم يخترعوا فعندما اختاروا لغة الفلاحين الانجليز اخترعوا.
اشترى ولكوكس ترخيص مجلة اسمها (الأزهر) وأشرف عليها، ترجم الانجيل إلى العامية ، توفي سنة ١٩٣٢.

فستك

تولى تحرير قسم من (دائرة المعارف الإسلامية) ومعظم محرريها مبشرون .
يتهم محمداً صلى الله عليه وسلم بالوثنية قبل البعثة، وادعى أن الآيات المكية ليس فيها إشارة إلى علاقة محمد بالكعبة.

جلوب (الفتوحات العربية الكبرى)

حاول أن يشوه صورة المصطفى ﷺ والقاتلين من القواد الكبار من الصحابة وتشييع لليهود والنصارى . كان يردد (الشعوب الناطقة بالعربية) وهذا تعبير استعماري . وأراد أن يظهر أن كل من يعتقد الإسلام إنما هو بدافع الانتهازية. التفريق بين العرب والبربر.

الوجودية Existentialism

تقوم على تخصيص حق الفرد وحمايته من طغيان الجماعة. فالفرد هو الوجود الحقيقي في الخارج ، والنوع الإنساني لا وجود له إلا في عالم التصور والذهن.

وبعضهم يقول : إن الوجود كلمة عبث لا معنى له على الإطلاق ولا غاية من ورائه لمخلوق ولا لخالق.

مدرسة الوجودية الفرنسية : مدرسة إباحية يتعلق بعضها بفرنسا وبعضها بسارتر إمام المدرسة.

أما الأسباب التي تتعلق بفرنسا فهو الوبع (بالزي الموسمي).

الأسباب التي تتعلق بسارتر : فهو لاختلال تكوينه ، واتصال نسبه.

ففي تكوينه دلائل اختلال تبدو أعراضها كالشلل يعترى شقه الأيمن ، وأمه يهودية ويقضي معظم أيامه بين اليهود ، وله عناية شديدة بالدفاع عن السامية^(١) .

من فلاسفتهم :

— هايد جارد (مشاعر الخوف من المجهول عملية دائمة).

— كامبي : فلسفتنا تقوم على التمزق واليأس

ذاع صيت سارتر وجيد كفلاسفة للوجودية أكثر من غيرهما وذلك بسبب النقد اللاذع للأخلاق والتقاليد.

وقد يلتقي سارتر مع فرويد الذي توفي سنة ١٩٣٩ في كثير من الخطوط وربما استقى نظريته الشاذة أو بعضها منه. إنه يؤمن كفرويد أن القوة الجنسية أصل عميق في الإنسان منذ طفولته ويسري في العلاقات الإنسانية كلها ولكنه يضيف أن الدافع إلى الجنس ليس القوة الجنسية وأسبابها فحسب بل أن نزعة الوجودية الكامنة في الإنسان تدفعه إلى هذا .

أما (أندريه جيد) فقد تكثر به سارتر وهمايد لأن الإنسان صانع الأقدار أو خالقها بلا استثناء.

والسر في بروزه أنه برز للشباب الانتحار وزينه بالعلم والفلسفة.

ويرى الوجوديون أن الإيمان بالله هو العائق الوحيد عند الوجوديين لأن الإنسان إذا أمن بقوة تسيطر عليه فهو لا يستطيع أن يستقل بوجوده ولا أن يتحمل المسؤولية دون غيره . إن الإيمان بالله عندهم عائق كبير في حرية الإنسان وتفسد عليه حريته (أي التمرغ في الأهواء والشهوات).

الوجودي لا يؤمن بوجود الله ولا يؤمن بنظام خلقي يسود الإنسانية. الإنسان عنده حر مسئول أمام نفسه لا أمام الله.

ويمكن تلخيص آراء سارتر فيما يلي (إن هبوطنا وسقوطنا وأخطاينا لا وجود لها بنفسها بل إن لها مبرراً من وجود الآخرين.

(It is before the others than I am guilty)

وهذا واضح في كتابه (الآخرين هم الجحيم)

وكتاب (Being and nothingness) إن احترام حرية الآخرين جرح لحريتنا.

إن طابع كتاباته تنسم بالآلم والقلق واليأس والتذمر.

إن القيم الخلقية والأسرة والمجتمع والدولة منقصات لحرية الفرد.

لقد كان الفكر الوجودي نتيجة للفراغ الروحي الذي أعقب الحرب العالمية الثانية ، وقد رأى سارتر أهوال الحرب الثانية وسجن سنة وهرب وانضم إلى عصاية ضد الألمان . ويرى سارتر أن الخواء أصيل في الإنسان وكذلك الوحدة والعزلة ولذا يحاول أن يتغلب على هذا باللامبالاة

(١) انظر الفكر العربي على عهد الحكم.

وهذا يبدو من خلال كتبه (سبل الحرية) (موتة الروح) (عصر العقل) والنظرة التشاؤمية التي سيطرت على سارتر لاقتل عن شوينهور) زعيم المتشائمين الذي يقول :

الحياة تتدلى كالبندول من الألم إلى السامة ومن السامة إلى الألم وهذا اليأس والفراغ يدفعهم أن ينطلقوا إلى آخر الشوط في الاتحلال والهروب من النفس وممارسة ألوان مضحكة من التسلية (رقصات الجاز والروك أند رول ورقصات الحمير والبغال ٠٠٠)

لقد انتصر سارتر لأنه برر لآلاف الملايين من البشر انحلالهم وغرقهم من خلال الأدب.

أما مارسيل سنة ١٨٨٩ فهو يمثل المدرسة المؤمنة الوجودية يؤمن بالروح ويرى أن الإنسان لا يتمتع بالحرية الصحيحة إلا إذا أمن بالله.

إنه لا يرى أن الحياة ضائعة مهمة لأمضى لها مثل سارتر وكامي بل يرى أن الأمل والرجاء أصيل في الروح البشرية . وان الأمل للحياة الروحية كالنفس للحالة الطبيعية.

ومن تعشلياته (ولي من أولياء الله) (قلوب الآخرين) (التوفيق الإلهي).

الشيوعية

يعيش الفرد فيها بين المطرقة والسندان : مطرقة الفئة الحاكمة وسندان القواعد للحزب الشيوعي تؤدي جدلية هيجل وماركس إلى نتيجتين :

- ١- الدين والأخلاق والعلم مظاهر للروح العالمية السائدة في عصر من العصور .
- ٢- أن مدنية ما عندما تنضج وتبلغ رشدها يتولد منها طائفة ذات ميول وأفكار جديدة تصارعها وتأتي بالجديد (فلا اعتراف بخالق ولا خلق ولا ثبات ولا استقرار).
- ٣- زاد ماركس وأتباعه : الدين والخلق انعكاس للاقتصاد.

المنظمات الشيوعية العربية كلها يهودية :

أ- في مصر : الاسكرا : ايلي شوارتز

حنتر : هنري كوريل

منظمة د. ش : يوسف درويش وريمون نويك م. ش م : أوديت وزوجها سلامون أو سلافو.

ب- العراق : شلومو (سلمون) دلال.

ج- اللبناني السوري : جاكوب بيتر.

برقية نيسان ١٩٧٧ من الحزب الشيوعي الأردني إلى الاسرائيلي (كما قدر المجلس عاليا المواقف المبدئية والثابتة في القوى التقدمية في اسرائيل نفسها وفي مقدمتها الحزب الشيوعي الاسرائيلي راجح في دعم ومساندة نضال الشعب الفلسطيني)

نشرة أخرى (وكذلك تعزيز الصلات وعلاقات الصداقة مع القوى الديمقراطية الإسرائيلية ولا سيما راجح لما تقدمه هذه القوى من مساعدة عامة للنضال الفلسطيني من خلال كفاحها ضد الامبريالية).

سنة ١٩٣٩ قرار ال بني برث/ عن مجلة المنصور المصرية عدد ٢٦٢٩.

(ولقد نشرنا روح الثورة التحررية الكاذبة بين شعوب الغير لإقناعهم بالتخلي عن أديانهم بل بالشعور بالخجل من الإعلان عن تعاليم هذه الأديان ومزاياها وأوامرها ونواهيها والأهم من ذلك أننا نجحنا في إقناع كثيرين بالإعلان جهاراً عن الحادهم الكفر بعدم الإيمان بوجود خالق البتة بل وأغوييناهم بالتفاخر لكونهم من أحفاد القردة - نظرية داروين - ثم قدمنا لهم عقائد ومبادئ جديدة يستحيل عليهم سبر أغوارها الحقيقية كالشيوعية والفرصية التي تخدم منفردة ومجموعة مصالحنا وأهدافنا وتلقى الغير المستردين

هذه العقائسبقبل حسن وحماس شديد دون أن يراود عقولهم أي شك بأن هذه إنما وجدت لخدمة مصالحنا وإنها بعد ذاتها تشك أخص الأسلحة التي نستخدمها للقضاء على وجودهم وفي كل ذلك برهن الغير الأغنياء عن سذاجة ماكننا نتصورها فيهم فقد كن تنتظر من البعض ذكاء ووعياً أعق بحقيقة الأمور وأصولها ولكنهم جميعاً لم يكونوا أفضل من قطيع غنم ، فلنتركهم يرجعون مر حقولنا حتى يُسمنوا ويكونوا صالحين للنبح كالأصاحي^(١).

قال أبو ماركس(ماذا تظن كائننا مصنوعون من الذهب) (إك على مافيك من خصال حسنة -أناني، تغلب الأنانية على جميع صفاتك) ص ٢٤.

أم ماركس (إنه لا ينتظر بالبداة إلا أن يعيش طفلياً أبدياً).

مخطط الهدنة اليهودي :

١- هدم الأليان ليبقي التمود.

٢- تزيف التاريخ للانداء بوجد في فلسطين

٣- تدمير الأخلاق : فرويد، ماركس و دركايم.

٤- فرض المادية على الفكر البشري.

بن هوربون (لقد قاومت اليهودية الحضارة اليونانية، والامبراطورية الرومانية والمسيحية وأخيراً الإسلام).

يقول كانط : التنوير هو الإفراج عن الإنسان من الوصيات التي فرضها على نفسه والوصاية الدينية هي أرذل الوصاي وأشدّها ضرراً :

الحق : الخير والجمال.

الحق : نقد العقل النظري.

الخير : نقد العقل العملي.

الجمال : نقد ملكة الحكم.

ماكس نوربو سنة ١٨٤٩ .

هرم بن عهد العزيز (يجد للناس من الاتضية ما يجد من القضايا).

نحن الآن نعانى شرك الاتباع لا شرك الأضرحة.

يحمل طالب الشريعة النظارة التي يجب أن يحملها دائماً، علينا أن لا نشغل أنفسنا عن مشاكل المجتمع الجاهلي كالتأمين، فلر اشتغل بيت المال الإسلامي وظيفته فلا حاجة للتأمين.

الغزو الفكري أفسد كثيراً من تفكيرنا فلابد من دراسة المخططات فالطبيب لا يعالج المرض حتى يعرف تاريخه.

اليونسكو تحافظ على الآثار

(الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته) مجموعة مستشرقين : إننا في كل بلد إسلامي دخلناه نبشنا الأرض حتى نُخرج آثار ما قبل

الإسلام ونحن لا نطمح أن يرتد المسلم إلى عقيدة ما قبل الإسلام ولكن يكفي تشييت ولائه.

قال حافظ ابراهيم :

أنا مصري بناني من بنا هرم الدهر الذي أعيا الفنا

اليونسكو/ تحت سيطرة اليهود

(١) المقادير اليون القديمة.

أستاذ جزائري يدرس الشريعة في السوربون يقول : ليس لدينا أية وسيلة علمية تثبت أن هذا هو القرآن الذي نطق به محمد وبدأ يشير أن هناك متناقضات.

جوليان هكسلي (لقد آن للإنسان أن يأخذ على عاتق نفسه ما كان يلقيه في وقت الجهل والعجز على الله ويصبح هو الله).
الهروتوكولات : علينا أن نشجع الانحلال في المجتمعات غير اليهودية فيعم الفساد والكفر وتضعف الروابط المتينة التي تعتبر أهم مقومات الشعوب فيسهل علينا السيطرة عليها وتوجيهها كما نريد (إن الغاية تبرر الوسيلة وعلينا ونحن نضع خطتنا ألا نلتفت إلى ما هو أخلاقي وغير أخلاقي وما هو خير أو شر بقدر ما تلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد) .

مكسيم جوركي (اليهود سيف ذهبي مشهور على رأس أوديا).

دوركايم (نظام الأسرة مصطنع والذين نبت من الأرض).

بوتشه (سياسة الأقوياء والضعفاء) وهو وراء النازية.

لهفي بريل (نظريته في الأخلاق).

الغطور (دارون ، سبنسر، كانط).

الوجودية (سارتر).

المعارك الثلاث :

١- معركة الجنز/ ماركس.

٢- معركة الجنس/ فرويد.

٣- معركة الخوف / انيشتين.

اوسكار لينفي (نحن اليهود سادة العالم ومفسدوه ومحركو الفتن فيه وجلادوه).

هولر (ما من فعل يفاير الأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا واليهود يد فيها وإن ١٠/٩ النشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التي تروج للإباحية المطلقة والماركسية من صنع اليهود).

جاء في موسوعة فولتير الفلسفية ويدرو (أن الزنا ليس محرماً وأنه شريعة الطبيعة).

فولتير وروسو (الثورة الفرنسية) (مال لويس ١٦ : ان هذين قوضا دعائم فرنسا .

نوردهو صاحب كتاب (الأكاذيب المقررة) وهو صديق هرتزل.

الهروتوكول ٣ : (ستنتشر بين الشعوب أدباً قذراً مريضاً يهدم الأسرة وسنستمر بالترويج لهذا الأدب.

(يجب أن نعمل - لتنهـار - الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا ، إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ويصبح معه إرواء غريزته الجنسية وعندئذ تنهار الأخلاق في كل مكان ونستولي على العالم وهو مخدر).

فصل الدين عن السياسة

لقد عادت الكنيسة فتحالفت مع الحكام والدول.

نشأ حلف طويل المدى بين الكنيسة وحملات الاستعمار في آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط وليس صحيحاً أن هذه مرحلة قد انتهت.

فالكنيسة الكاثوليكية في البرتغال تحالفت مع الاتجاه الأمريكي ضد المد الشيوعي، ومجلس الكنائس العالمي نظم مؤامرة بواسطة كبير الأساقفة في يوغندا للإطاحة بعبيدي أمين.

وفي أيرلندا ثورة قوامها العقيدة الكاثوليكية.

وفي ألمانيا وإيطاليا وهولندا وبلدان أوروبية كثيرة أحزاب ضخمة تحمل اسم الحزب الديمقراطي المسيحي. ومجلس الكنائس العالمي في مؤتمره الأخير الذي عقد في (نيروبي) قرر إقامة دولة مسيحية كبرى في شرق أفريقيا تضم تنزانيا وبنغلاديش وكمبوديا وجنوب السودان.

الحروب الصليبية

تم انتخاب (جود فردي) دوق لورين ملكاً على القدس ١٥ يوليو سنة ١٠٩٩ م. في مشهد تاريخي رهيب يقول عنه جيبون. (إن خدام رب المسيحيين رأوا باعتقادهم الأعمى أن يكرموا بذبح ٧٠ ألفاً من المسلمين تعظيماً وإجلالاً وزلفى وقرباناً وز يرحموا كبار السن والأطفال والنساء وقد استمرت هذه المذبحة ثلاثة أيام وما تركوا بقية الأسرى إلا من التعب والإجهاذ).
لويس التاسع ربه أمه (بلانش دي كاستيل) تربية دينية ولكي تنفرد لحكم فرنسا أرسلته أمه على رأس حملة صليبية ووصل مصر سنة ١٢٤٩ م واحتل دمياط وتزع الهلال عن مسجدها إلا أن الظاهر بيبرس أسره مع (١٠) آلاف صليبي.

التدمير باسم العلم والشهادات

جاء في كتاب: Eastern Proplem, London, 1975.P.149

(لا شك أن المبشرين فيما يتعلق بتخريب وتشويه عقيدة المسلمين قد فشلوا تماماً ، ولكن هذه الغاية يمكن الوصول إليها من خلال الجامعات الغربية. فيجب أن تختار طلبة من ذوي الطبائع الضعيفة والشخصية الممزقة والسلوك المتحل من الشرق ولا سيما من البلاد الإسلامية ومنحهم المنح الدراسية ، حتى نبيع لهم الشهادات بأي سعر ليكونوا المبشرين المجهولين لنا ، لتأسيس السلوك الاجتماعي والسياسي الذي نصبوا إليه في البلاد الإسلامية ، إن اعتقادي لقوي بأن الجامعات الغربية يجب أن تستغل استغلالاً تاماً ٠٠٠ جنون الشرقيين للدرجات العلمية والشهادات واستعمال أمثال هؤلاء الطلبة كمبشرين ووعاظ ومدرسين لأهدافنا ومآربنا باسم تهذيب الإسلام والمسلمين)^(١).

السلطان عبد الحميد (٢)

٢٧ تموز سنة ١٩٠٨ إعلان الدستور

٢٧ نيسان سنة ١٩٠٩ خلق السلطان.

سنة ١٨٩٧ قابل مرتزل مع العاخم (موسى ليفي) السلطان عبد الحميد وعرض عليه:-

١- إنشاء اسطول عثماني

٢- دعم سياسة العثمانيين في العالم الخارجي.

٣- مساعدة السلطان في تحسين أوضاعه المالية.

٤- إنشاء جامعة عثمانية في القدس.

قال مرتزل: (مثلاً لو رضي مولانا وباع لنا الأراضي التي ليس لها مالكون في فلسطين بالثمن الذي يقدره) فغضب السلطان وقال: إن أراضي الوطن لا تباع، إن البلاد التي امتلكت بالدماء لا تباع إلا بالثمن نفسه.

من أقطاب اليهود:

١- جاويد أي دافيد: بونمة، ماسوني، اتحاد وترقي وزير مالية.

(٢) انظر بقطة العرب ص ١٨٠.

(١) لجنة الفكر / شبكة ٨٧.

٢- حسين جاهد بالشين: أحد أعضاء لجنة التوفيق الثلاثية (أمريكي فرنسي تركي) بين العرب واليهود.

أنور باشا أحد أقطاب نازية، الانقلاب على السلطان عبد الحميد يقول لجمال باشا (أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟ نحن لم نعرف السلطان عبد الحميد فلصبحنا آلة في يد الصهيونية واستثمرتنا الماسونية العالمية ، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقي)

يقول برنارد ليس اليهودي في كتابه تركيا الحديثة:

(لقد تعاون الإخوة الماسون واليهود سراً على إزالة السلطان عبد الحميد لأنه كان معارضاً قوياً لليهود إذ رفض بشدة إعطاء أي شبر أرض لليهود في فلسطين^(١)).

يقول هرتزل (ونصحني السلطان عبد الحميد بأن لا أتخذ أية خطوة أخرى في هذا السبيل لأنه لا يستطيع أن يتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين إذ هي ليست ملكاً له، بل هي لأمة الإسلامية التي قاتلت من أجلها وروت التربة بنعاء أبنائها، .

رسالة السلطان عبد الحميد لأبي الشامات : عرض اليهود عليه ١٥٠ مليون جنياً انجليزيا ذهبياً فقال: (إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهباً - فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي ، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المهدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلن أسود صحائف المسلمين، أبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين)^(٢).

المقررات السرية لليهود التي

نشرتها التايمز سنة ١٩٢٠.

- ١- العمل بكافة الوسائل واستغلال الشخصيات لتكون فلسطين مكان التجمع اليهودي.
- ٢- ربوا الجمعيات اليهودية مع كافة المنظمات الدولية والسياسية من أجل دولة صهيون.
- ٣- التظاهر بالمسيحية مع الإيمان بأن المسيحية عدوة اليهودية.
- ٤- إضعاف الدول السياسية القائمة وبذر الخلاف والشقاق بين حكامها بواسطة الجمعيات السرية ونقل أنظمتها إلى الإباحية والفوضى.
- ٥- على اليهودية أن تعتبر الجماعات الأخرى قطعاناً حقيرة من الماشية ويجب أن يكونوا لعبا في أيدي حكام صهيون.
- ٦- اللجوء إلى التعلق والتهديد واستغلال المال في إفساد الحكام والسيطرة عليهم.
- ٧- يجب أن يكون ذهب الأرض في أيدي اليهود حتى يمكن السيطرة على الصحافة والمسرح والمضاربة والعلم والتشريع لإنارة الرأي العام وإفساد الأخلاق والتهميش للزيلة. ولحق كل ميل إلى التهذيب وتشديد عبادة المال والشهوة.
- ليس من بأس بأن نضحى بالفتيات في سبيل الوطن القومي وإن تكن هذه التضحية قاسية ومستنكرة لأنها في الوقت نفسه كفيلة بأن ترصد إلى أحسن النتائج وماذا عسى أن تفعل مع شعب يؤثر البنات ويتهافت عليهن وينقاد لهن.

حملة أعداء الإسلام على القرآن

- ١- ماكدونالد (مقال في دائرة المعارف الإسلامية ٢٤١/٤ ط دار الشعب بالقاهرة.
- (ولسنا نعلم علم اليقين هل كانت قد وجدت لديهم (العرب) فكرة عن الملائكة ... وربما كان هذا تفسيراً من عند محمد، ومن أسماء الله السلام وقد تكون هذه الكلمة بقيت في ذاكرة محمد من العبارات التي تتلى في صلوات النصاري)
- ٢- جب (المذهب المهدوي) ص ٢٥ (إن مكة كانت فيها حياة زاخرة بالتجارة والسياسة والدين وأنه وجدت فيها زعامة وزعماء

(٣) انظر كتاب حينك مكانك يهودية ص ٩٧.

(٢) الملائكة اليهودية ص ٢٨١.

(١) الملائكة اليهودية/ حينك ص ٢١٧.

وأنه وجد ظلم اجتماعي بين سكانها ، وأن الرسول محمداً انطبع في نفسه كل هذه الجوانب وكان على وعي تام بها ترى آثارها في حياته وفي قرآنه وفي كفاحه إلى أن مات ومحمد في البداية لم يكن نفسه على علم بأنه صاحب دعوة إلى دين جديد.

٣- ويلز (معالم تاريخ الإنسانية ١٢٦/٣-١٢٤٠)

(ولد لمحمد أطفال عبيدون كان اسم أحدهم (عبدمناف : خادم الرب المكي) ويحتمل أنه رأى كنائس مسيحية في سوريا . . . وربما كان اليهود قد هدوه إلى الاعتقاد في الرب الواحد الحق . . . وأنا لنستبين في محمد رجلاً ذا قوة تصورية هائلة وإن كان عرجونية على طريقة العرب، ولها أغلب مزايا البدوي وأهم نقائصه) (ومحمد شاعر غير مجيد).

الحملة على السنة

١- ماكدرنالد (دائرة المعارف ٢٥٥/٤) (انثالا نستطيع أن نعرف أبداً الأحاديث التي صدرت عن محمد حقاً) (ثم بخلاف زيادات في الأحاديث وأولها ماكان خاصاً بالأساطير وجعلت صفات الله أكثر وضوحاً فاشتد التناقض في صفات الله . جولدتسفيو (إن الأحاديث ليست في الواقع إلا سجلاً للجدل الديني في القرون الأولى . . . لكن هذا السجل مضطرب ، كثير الأغلاط التاريخية ، وفيه معلومات مضللة).

الحملة على الرسول ﷺ

نولدكه ، جب ، جولدتسفيو ، توينبي ، فيليب حتى شاخ ، مجيد خديوي ، مرجليوت ، وايم مورير ، زيرمر ، فنسنت.

١- نولدكه (ان سبب الوحي النازل على محمد والدعوة التي قام بها هو ما كان ينتابه من الصرع)^(١).

٢- بروكلمان (تاريخ الأدب العربي) ٢٤/١ واستخدم محمد في دعوته أساليب الكاهن كما عزا أحوال غيبوته إلى رفيق ذكر فيما بعد أنه الملك جبريل وأعتقد أنه رسول الله إليه) (حفلت تعليماته وتحذيراته بقصص من العهد القديم).

٣- مرجليوت (إن محمداً كان يمارس الشعوذة ، وكانت له مجالس سرية أشبه بالمحافل الماسونية ، وعلامات يتعارف بها من أصحابه).

٤- لامنس الهسومي : (إن محمداً كان كثير الطعام والشره مسترسلاً في اللذات البهنية ومات بالبطنة).

٥- رودتسون (كان محمد زيرنساء ينظم الحملات لقطع القوافل لينهب الطنافس الحريرية ويفرشها لزوجاته).

الحملة على التاريخ الإسلامي

يقول ويلز : (ويبرز إسم خالد، أذكى نجم وأسطمه من القواد . . . ولما أن خلعت غيرة عمر بن الخطاب ظلماً لا يغتفر لم يحدث أية ضجة). د. علي عبد الحليم ص ٣٧.

ويتقل ويلز عن سكوارتز في تاريخ العالم هملوت : إن حياة خالد كانت تنطوي على وصمة فإنه ارتكب الفسق وهي خطيئة في مجتمع يبيع كثرة الزوجات).

ويقول ويلز (لقد كان انتخاب أبي بكر بصورة تصايبية غير رسمية.

وكان عثمان من طبقة المترفين ومن طراز أصحاب الثياب الحريرية التي لم يكن الفز لديها من أجل الله، بل من أجل بلاد العرب . . . ولم يسلم مبكراً كما فعل سلفاه (أبو بكر وعمر) ، وانضم إلى النبي لأسباب سياسية في عملية أخذ وعطاء عادلة . . . ويصبح عثمان ملكاً كباقي الملوك الشرقيين من قبل ومن بعد^(١).

(١) معالم تاريخ الإنسانية/ ويلز ١٢٥/٣.

الفلسفة

يقول الفارو (الكاتب الأسباني) يصف القرن الثالث الهجري (إن أرباب الفطنة والتتوق سحرهم رنين الأدب العربي فاحتقروا اللاتينية وبدأوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها ١٠٠٠، إن الناشئين من المسيحيين الأذكىء لا يبحثون أدباً أو لغة غير الأدب العربي ويجمعونه بأعلى الأثمان ويقرنمون بالثناء على الفخائر العربية ويأثفون من الاصفاء إلى الكتب المسيحية لأنها في نظروهم لا تستحق الالتفات إليها ١٠٠٠، إن المسيحيين قد نسوا لغتهم فلا نكاد نجد اليوم كل ألف يكتب بها خطاباً إلى صديق أما لغة العرب فما أكثر الذين يحسنون التعبير بها) (١) .

في فرنسا : قامت ضجة اجتمعت لها المجالس النيابية وأقامت (لوموند) الدنيا وأقعدتها لأن بعض الكلمات الأوربية - غير فرنسية - سخطت الفرنسية

في ألمانيا : أصبر الألمان على أن يضعوا كلمات ألمانية موضع بعض الكلمات اللاتينية اليونانية التي كانت مستعملة وقد أكد فخته أن اللغة الألمانية قادرة على رفع معنويات الأمة وإعادة وجنتها وتوطيد أركانها بعد أن كانت جيوش نابليون جعلت منها أكثر من ثلاثين دولة.

الأمة التشيكية : حاول الألمان والنمسا القضاء على لغتهم فرفضوا وحرصهم على لغتهم استقلوا.

النرويجيون : تمسكوا بلغتهم في وجه الاحتلال الدنمركي والسويدي.

المستشرقون (٢)

قال السباعي :

- ١- إن المستشرقين - في جمهورهم - لا يخلو أحدهم أن يكون قسيساً أو استعمارياً أو يهودياً .
- ٢- إن الاستشراق في الدول الغربية غير الاستعمارية - الاسكندنافية - أضعف من الإستعمارية.
- ٣- إن المستشرقين المعاصرين يتخلون عن (جولد ستهير) وأمثاله المفضوحين .
- ٤- إن الاستشراق يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية.
- ٥- إن الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا لا تزال حريصة على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية من كونه أداة هدم للإسلام.

في فرنسا : يلاشير وماسينيون : في وزارة الخارجية.

إنجلترا : جامعات لندن واكسفورد وكامبرج وجلاسكو وأدنبره يشرف عليها يهود وإنجليز مستعمرون ويصرون أن تكون مؤلفات (جولستهير ومرجليوث وشاخت) هي مراجع الاستشراق.

لمحة عن بعض المستشرقين

- ١- أندرسون (رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية في معهد الدراسات الشرقية / جامعة لندن. متخرج من كلية اللاهوت / كمبرج ، من أركان جيش بريطانيا في مصر أثناء الحرب الثانية ، تعلم اللغة العربية من دروس اللغة العربية في الجامعة الأمريكية / القاهرة. درس في الأسبوع لمدة سنة. رَسَبَ أندرسون - طالب دكتوراه - لأنه بين حقوق المرأة في الإسلام.
- ٢- جامعة أدنبرة : رئيس الدراسات الإسلامية قسيس.

(٢) عن كتاب حكاية اجتماع المكر ص ٦٠٦ .

(١) الفوز الفكري / علي عبد الغني ص ٩١ .

- ٣- جامعة جلامنكو : رئيس الدراسات العربية قسيس عاش رئيساً للإرسالية التبشيرية في القدس عشرين سنة.
- ٤- جامعة أكسفورد: رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية يهودي يتكلم العربية ببطء وصعوبة وكان في دائرة الاستخبارات البريطانية في ليبيا أثناء الحرب العالمية الثانية.
- ٥- جامعة ليدن (هولندا) : المستشرق الألماني اليهودي (شاخت) ناقشه السباعي عن جواتسهيير (استاذ شاخت في التشويه) وعن وضع الزمري الحديث لعبد الملك ضد ابن الزبير في فصل المسجد الأقصى وأنه ما لقي عبد الملك إلا بعد مقتل ابن الزبير بسنوات.

(التعليم) (١)

- ١- لويس التاسع: احتل دمياط فهزمه الظاهر بيبرس وأسر معه عشرة آلاف صليبي وسجنه في دار لقمان. قال لويس (إن المسلمين لا يهزمون مادامت عقيدتهم قائمة ويجب أن تبدأ الحرب على المسلمين بحرب الكلمة). انتهت الحروب الصليبية منذ استعاد الأشرف خليل عكا سنة ٦٩٠هـ سنة ١٢٩١ م وبعد تسع سنوات قامت السولة العثمانية واستمرت حتى عام ١٢٢٧هـ مدة خمسة قرون ونصف.
- فتح القسطنطينية : ١٤٥٣م - ٨٥٧هـ
- ٢- تقرير من أحد معاهد الإرساليات بقلم نبيه أمين فارس: (بينما كان الشرق الأدنى مطمحاً لأفكار بناء الامبراطوريات ، كان أيضاً مطمح جماعة أخرى من الناس تنشئ أن تنجز عز طريق الكلمة ما عجز أجدادها الصليبيون عن تحقيقه عن طريق السيف).
- ٣- صحيفة الاذن لمحمد بن حبيب الله الشنتيقي / الجزائر: (إن الاذن بتدريس علوم الدين مقيد بأن المدرس لا يفسر أية آية أو حديث يدل على الجهاد ولا يدرس شيئاً من أبواب الجهاد في كتب الفقه).
- ٤- يقول زويمر : إن السياسة الاستعمارية لما قضت منذ سنة ١٨٨٢ على برامج التعليم في المدارس الابتدائية أخرجت منها القرآن ثم تاريخ الإسلام وبذلك أخرجت ناشئة لا هي مسلمة ولا هي مسيحية ولا هي يهودية، ناشئة مضطربة، مادية الأغراض، لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقاً فلا للدين كرامة ولا للوطن حرمة.
- ويقول زويمر في مؤتمر سنة ١٩٢٤ (يجب أن يكون العمل موجها نحو النشأ الصغير من المسلمين قبل أن يتكامل نمو عقليتهم وأخلاقهم.
- ويقول زويمر سنة ١٩٣٣ (. . . إن مهمتكم إخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لاصلة له بالله وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها وبذلك تكونون أنتم طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، هذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السابقة خير قيام ، لقد قضينا في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية تلك التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية.
- إنكم أعددتكم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد.
- إنكم أعددتكم شباباً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه المسيحية وبالتالي جاء النشأ الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار لايهتم للعظام ويحب الراحة والكسل ولا يعرف همه في الدنيا إلا في الشهوات فإذا تعلم فللشهوة وإذا جمع المال فللشهوة وأن تيوأ اسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يوجد بأعلى ما يمكن).
- هنري حبيب : (إن التعليم في الإرساليات التبشيرية إنما هو وسيلة إلى غاية فقط ، هذه الغاية قيادة الناس وتعليمهم حتى

(١) الفجر المسموم (التعليم) / أنور الجندي.

يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية.

دأبني : يرى عدم توظيف المعلم المسلم في المدارس التبشيرية.

الكتاب المثنوي للمبشرين اليسوعيين (أجل لقد كنا نعتمد على مساعدة فرنسا الظافرة والآن ها هي فرنسا هنا.

بنود مؤتمر القاهرة التحضيري

نشرت نيويورك تايمز : بنود مؤتمر القاهرة التحضيري (الياهر اليعازر/ المستشار القانوني لرئاسة الوزراء).

١- تبدأ العلاقات الطبيعية والتمثيل الديبلوماسي قبل الصلح.

٢- تملك مصر ٣٠٠٠ دباية يبقى منها ألف فقط.

٣- يسرح الجيش المصري بنسبة ٧٥٪ .

٤- لا تتعدى القوات المصرية الحدود الحالية.

٥- تبقى المستعمرات الإسرائيلية في سيناء تحت حراسة إسرائيلية.

٦- الاحتفاظ بالمطارات الإسرائيلية في سيناء.

٧- إقامة محطات ذرية مشتركة بين مصر وإسرائيل.

الحلال بين المتطرفين (الليكره / هيفن) والمعتدلين (رابين/ حزب العمل ، بيريز ، مائير، ألون).

كل الوجوه السياسية من ١٩٤٨م إلى الآن من حزب العمل.

المعتدلون يقولون : الاحتفاظ بالأراضي العربية لمقتضيات الأمن (مشروع ألون) وليس كحق تاريخي ، وارجاعهم لبعض الأراضي لأن الكثافة السكانية العربية تهددهم ، فيرجعون بعض الأرض لأنه يسكنها أغلبية عربية.

هيفن : هذه أراضي محررة وليست لأسباب أمنية.

آخر خمس تنازلات للسادات :

١- لا تتعدى القوات المصرية الممرات (متلا والجدي).

٢- كارتر والسادات متفقان على إبقاء مطار (يعطبيون) مع اليهود .

٣- كارتر أقنع السادات بالتريث وإعطاء المبادرة فرصة أخيرة.

وأبلغ السادات كارتر استعداد له لمنح إسرائيل ستة تنازلات.

١- ألا تعبر القوة المصرية معري (المتلا والجدي)

٢- أن توضع قوة رمزية في منطقة خفض القوات وأن تقوم القوات الدولية في المناطق العازلة والمنزوعة السلاح.

٣- حرية الملاحة البرمائية في مضائق تيران.

٤- حق تعزيز محطات الإنذار الإسرائيلية في سيناء.

٥- تقييد حق تقرير المصير للفلسطينيين (يبقى اليهود خمس سنوات في الضفة وسيناء على أن تعاد بعدها السيادة لمصر والأردن ويقرر الفلسطينيون مصيرهم.

٦- معاهدة سلام شاملة^(١).

(١) انظر نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية آذار- مارس (٧٨) بيروت عدد (٣).

الخطبة العسكرية

١ - ١٨٩٧ مؤتمر بال.

١٩٠٧ إنشاء التشكيلات العسكرية الاسرائيلية في فلسطين (الأرجون ، ماشومير ، شتيرن ، هاغانا).

١٩١٧ وعد بلفور.

١٩٢٧ إسباغ صفة الشرعية على التنظيمات العسكرية (سمحت لها بريطانيا بالظهور وتمدها بالسلاح).

١٩٣٧ الكتاب الأسود (يعطي امتيازات لليهود بالهجرة وشراء الأراضي).

١٩٤٨ تقسيم فلسطين.

١٩٥٦ عنوان السويس.

١٩٦٧ حرب حزيران.

١٩٧٧ احتلال لبنان.

حرب حزيران

١- يجال أئون (إن حرب حزيران سنة ١٩٦٧م وضرب المطارات المصرية الذي تم في ثمانين دقيقة قدم الإعداد له والتدريب خلال عشر سنوات).

. - الجيش المصري الذي دخل سيناء : (٤٠) ألف (٤ فرق) مشاة لم يطلب منه أن يحفر خنادق.

أبا إيبان يحمل ملف العنوان في ٢ حزيران وشرحه لجونسون.

خرج عبد الحكيم عامر مع كبار الأركان في طائرة هليكوبتر ه حزيران في الجو وقادة سيناء مجتمعون ليحاضرهم عبد الحكيم.

يقول أحمد إسماعيل والجسمي كنا قيادة عمليات لم نعر علينا أية برقيات

خبأ عبد الناصر عن الملك حسين خبر الطيران ٣٦ ساعة.

الشفيرا غيرها المصريون قبلها بيوم ولم يخبروا الأردن ، وأرسلت عجلون برقية بتحرك الطيران الاسرائيلي نحو مصر.

فرقة مصرية تهاجم النقب وتلتقي مع اللوام المدرع (٤٠).

سوريا : اتحلل عبد المنعم رياض بسوريا وطلب ضرب المطارات الاسرائيلية بالتعاون مع الأردن والعراق ، تباطأ البعثيون عدة

مرات ولم يخرج إلا الساعة (١١). وكان بالامكان تدمير المطارات وبقاء الطيران الاسرائيلي في الجو (لأن الرحلة ذهابا وإيابا ٤٠ دقيقة).

اسرائيل نقلت ٤ ألوية من جبهة سوريا إلى الأردن.

إعلان سقوط القنيطرة للتهديد الاسرائيلي المرسل بواسطة كبير المراقبين إذا لم تخلوا حتى القنيطرة سنحتل دمشق.

أما في الأردن فبقيت الدروع معظمها في الغور.

قال سعد جمعة (المؤامرة ومعركة المصير) (ظهر الخامس من حزيران اتصل سفير دولة كبرى في دمشق بمسؤول كبير ودعاه

إلى منزله لأمر عاجل وتم الاجتماع في الحال فنقل السفير للمسؤول السوري نصر برقية عاجلة من حكومته تؤكد أن سلاح الجو

الاسرائيلي قد قضى قضاء مبرما على سلاح الجو المصري وأن المعركة بين العرب واسرائيل قد اتضحت نتائجها وأن اسرائيل لا

تنوي مهاجمة النظام السوري) وأن اسرائيل من قبل ومن بعد بلد (اشتراكي) يعطف على التجربة الاشتراكية البعثية خاصة (البعثية

العلوية) ... لذا فمصلحة سوريا ومصلحة الحزب ومكاسب الثورة أن نكتفي بمناوشات بسيطة لتكفل لنفسها السلامة، وذهب

المسؤول السوري غير بعيد ليعرض ما سمعه لتوه على رفاق القيادتين القومية والقطرية وعاد الرسول السوري غير بعيد ليبلغ السفير

استجابة الحزب والحكومة والقيادات لضمون البرقية العاجلة وهكذا كان^(١).

(١) المؤامرة ومعركة المصير ص ١٠٩-١١٠.

الحق التاريخي البشري للمسلمين في فلسطين

١- إن وجود العرب البشري لم ينقطع في فلسطين منذ ٦ آلاف عام.

٢- كثير من علماء تاريخ الشعوب يرون أن اليهود في فلسطين ليسوا من بني اسرائيل منهم: فريدريك هيرتس، ريبلي، أوجين بتار.

٣- قال المسيح عليه السلام : لو كنتم أولاد إبراهيم لعلتم أعمال إبراهيم.

٤- جاء إبراهيم عليه السلام ونزل ضيفاً على الكنعانيين/ كما جاء في سفر التكوين.

٥- أسئلة :

أ- هل كان بنو اسرائيل أول من سكن فلسطين؟

ب- هل كان لهم دولة سادت فلسطين كما يقولون؟

ج- هل كان في فلسطين أغلبية بشرية من بني اسرائيل؟

٦- أول من سكن فلسطين: الفينيقيون وأصلهم (مابين النهرين إلى بلاد الشام) أو (جزيرة العرب بدليل تشابه قبورهم مع قبور العرب في الساحل الشرقي كالبحرين).

٧- الفينيقيون : كما جاء في التوراة استمر وجودهم التاريخي إلى جانب الكنعانيين حتى مقدم داود عليه السلام سنة ١٠١٥ ق.م.

٨- اسم فلسطين : مشتق من Philisters

٩- لم ينقطع اسم فلسطين ابداً كما يدعى اليهود بل اسم فلسطين في عهد الرومان واسم فلسطين منقوش على النقود النحاسية زمن عمر بن الخطاب.

١٠- اليهود لا ينكرون أن فلسطين عرفت باسم (أرض كنعان) قبل مولد اسرائيل نفسه (عليه السلام). جاء في التوراة (إن إبراهيم نزل أرض كنعان ضيفاً فاستقبله ملك ييوس كنعاني وأكرمه.

١١- اليبوسيون : أوائل القبائل الكنعانية التي سكنت فلسطين.

١٢- المؤابيون والمدينيون والعمونيون وبنو عناق وبنو كلاب قبائل من جزيرة العرب أصلاً سكنت فلسطين قبل مولد اسرائيل عليه السلام.

١٣- الفينيقيون والكنعانيون كانوا متواجدين عند الغزوة اليهودية الأولى ففي التوراة شارك في بناء الهيكل (ثلاثون ألفاً من اليهود + ١٥٣ ألفاً من الكنعانيين).

تقول التوراة : (وأما اليبوسيون فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في اورشليم وكان ذلك حوالي ١٤٤٤ ق.م أي قبل قيام دولة داود وسليمان عليهما السلام بأربعة قرون.

(بنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان اورشليم فسكن اليبوسيون معهم في اورشليم وكان ذلك حوالي ١٤٢ ق. م أي بعد قيام (دولة داود وسليمان عليهما السلام بحوالي تسعة قرون.

١٤- لغة فلسطين : هي لغة الكنعانيين ثم حلت بجانبها لغة الحثيين.

١٥- عمر بن الخطاب : كتب في عهده لاهل القدس ألا يسكنها اليهود ووجد العهد عمر بن عبد العزيز .

١٦- اسم القدس ييوس وأورشليم نسبة إلى سالم ييوسي الذي وسعها وبنى الحصون فيها.

١٧- (الفراعنة : كانوا يتنازعون السيادة مع الكنعانيين وأول الغزوات ٢٢٢٥ ق. م قبل هجرة إبراهيم عليه السلام بخمسة عشر قرناً ، ومنها غزوة تحتمس الأول ١٥٥٠ ق. م.

ثم الحرب مع رعمسيس الثاني : ١٢٨٨-١٢٢١ ق. م. على مدى عشرين عاماً انتهت بمعاهدة مع (الحثيين) اقتسم الفريقان البلاد. وفي زمن رعمسيس الثاني ولد موسى عليه السلام.

سنة ١١٨٩ ق. م كانت أول غزوة يهودية لأريحا.

١٠١٥ ق. م قامت دولة سيدنا داود عليه الصلاة والسلام وسنة ٩٧٠ ق. م انتهت دولة سليمان عليه السلام أي مدة أربعين عاماً.

ثم غزاهم فرعون مصر وأذل اليهود.

سنة ٧٢٤ ق. م السبي الصغير (سرجون الثاني الآشوري) وأسقط حكومة السامريين في نابلس وأجلاهم.

٥٨٦ ق. م السبي الكبير (بختنصر الكلداني) في القدس.

٧٠ م ، غزو تيطس وتدمير القدس.

اسلام أمريكي فربي

١- أحمد خان سنة ١٨٧٥ (الكلية الانجليزية الشرقية المحمدية) - أنكر الجهاد.

القاديانية / علي عبد الرازق (الإسلام دين لا دولة).

مقارنة بين التبشير والاستشراق^(١)

١ - هما دعاءتان للاستعمار.

٢ - تقاسما جوانب الأعمال :

أ- الاستشراق : الميادين الأكاديمية كتابة ومحاضرات.

ب- التبشير : الصلة بالجماهير والمؤسسات الخيرية.

٣ - استطاعت أمريكا بالصدقة والمال أن تنشر الاستشراق والتبشير في العالم العربي.

٤ - استعان التبشير بالقوى العسكرية.

أنواع التبشير:

١ - بين الجماعات.

٢ - مع الفرد الواحد.

٣ - بالعمل التبشيري الصامت كتوزيع كتاب.

٤ - لم يكونوا منصفين أبداً

٥ - تسلوا إلى الجامعات اللغوية والعلمية.

— جب الانجليزي : في المجمع اللغوي في مصر واستاذ في هارفارد.

— ماسينيون الفرنسي : في المجمع العلمي العربي في دمشق وهو اختصاصي بالفلسفة والتصوف الإسلامي.

— (مرجليوث الانجليزي : مجمع لغوي مصري (م - ل - م - ن) ، مجمع علمي دمشق (م - ع - د - هـ) دائرة المعارف الإسلامية.

(١) كتاب المستشرقين والمبشرين في العالم العربي والإسلام / إبراهيم خليل أحمد.

أرقام عن التبشير

المبشرون في أفريقيا

- ١- عدد هم ٩٨٣٨٨ مبشراً.
 - ٢- المتعاونون معهم ٥,٥ مليون.
 - ٣- المعاهد التعليمية دون الجامعة ودر المعلمين ١٦٦٧١ معهداً.
 - ٤- المعاهد العليا والجامعات ٥٠٠ كلية وجامعة.
 - ٥- المدارس اللاهوتية لتخريج الرهبان ٤٨٩ مدرسة.
 - ٦- رياض الأطفال ١١١٣ روضة.
 - ٧- عدد الطلبة المسلمين في المدارس والجامعات التبشيرية ٦٠٠/١٩٠/٥ طالب.
 - ٨- المستشفيات ٥٠٠ مستشفى.
 - ٩- الصيدليات ١٠٣٤ صيدلية.
 - ١٠- ما خصص للبابا لرعاية المسيحية في ديار الإسلام ٥٠٠ مليون دولار.
 - ١١- ما تنفقه الارساليات الأمريكية الكندية في أفريقيا ٣٠ مليون دولار.
 - ١٢- ما تنفقه الإرساليات الإنجليكانية ٢/١٠٠/٠٠٠ دولار.
 - ١٣- ما تنفقه الإرسالية التبشيرية الأسيرية الهندية ٣٠ مليون دولار.
- الأردن ٢٠٠ مدرسة.

ملحظة: هذا الكتاب (حاضر العالم الإسلامي) بجزئيه يجمع ثلاث مذكرات بخط الإمام الشهيد رحمه الله كانت كمادة يدرسها في الجامعة الأردنية في عمان والجامعة الإسلامية بامسك
أبداً إياي تدرسه فيها.

ربما أنها مذكرات لم تكن موقية على شكل كتاب حازماً بقدر الإمكان ترتيب مضامينها تحت المواضيع المتشابهة كي تتسلسل الأفكار ولم يكن باستطاعتنا اخراجها بحوزة
واحد طرأ لبعض المواضيع المتشابهة في العناوين لكنها مختلفة في المضامين في بعض الأحيان، فوأيضا من المناسب أن تخرج مادة هذا الكتاب بجزئيه منفصلين على أمل أن
ترتب بشكل أفضل في طبعات لاحقة.

وكلنا أمل أن تسفل هذه المادة كمفرد حاضر العالم الإسلامي في المعاهد والجامعات مع دعواتنا للجميع بالتدقيق والصدق. (الناشر)

شهر بين العمالة

مقدمة

من الصفات الواضحة التي تترأى لكل من درس سيرة الإمام الشهيد عزام أنه رجل باحث، ويغلب عليه البحث في سئ المجتمعات ومبادئ الناس ومقادير الرجال وسبل صلاحها وفسادها.

وتلك سؤ ريب- أعظم قضية بحثت على مر عصور التاريخ كلها. لأن الأزمة التي تعاني منها البشرية -على مر التاريخ- هي أزمة النفوس وفساد الأرواح، وتحطم المجتمعات، وذلك حيثما تجهل السن تجهل سبل إصلاح النفوس.

وإمامنا الشهيد -رغم أنه كان يعيش المجاهدين في معسكراتهم وخنادقهم- إلا أن أفغانستان واسعة، ما كان بإمكانه أن يعرف وضع المجاهدين وحقيقة الجهاد في شمال أفغانستان، إلا بعد أن قام برحلتين متتاليتين: رحلة مع الشيخ برهان الدين رباني، ورحلة مع المهندس قلب الدين حكمتيار. تعرف من خلالهما على كثير من وضع المجاهدين، سواء كان الوضع الاجتماعي، أو العسكري، أو النفسي، أو المادي، وحتى طبيعة البلاد الجغرافية ومستقبلها بين العالم.

وهناك حقيقة بدعية لابد أن يدركها القارئ جيداً وهي أن الشيخ -أو أي باحث- عندما يحكم على قضية أو شخص حكماً ما فإنما يحكم عليه من خلال الظواهر وكثرة الشواهد والأدلة، وأما الباطن واليقين فلا يحكم عليه إلا رب العالمين.

ومن هنا وقعنا في حيرة من أمر إخواننا في الساحة حول بعض القضايا الاجتهادية ومنها هذا الكتاب.

فقبل استشهاد الإمام الشهيد رحمه الله دفع هذا الكتاب إلى الطبع، ثم قال الشيخ باللفظ تماماً (أخروا هذا الكتاب)، ثم استشهد الشيخ ولم نعرف إلى متى يؤخر هذا الكتاب، وماذا كان يقصد الشيخ من كلمته، وبعد عدة أشهر بدأت الدعايات من كل جهة: لماذا أخرتم هذا الكتاب؟؟ لماذا لم ترسلوه إلى الطبع؟؟ ولماذا .. ولماذا ...؟ وليت شعري لو أنهم يدركون حق الإدراك كم نجهد -ونرجو من الله القبول- في إخراج هذه الكتب إلى حيز الوجود، وخاصة في هذا الكتاب الذي نحن بصدده، ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل.

اجتمع الإخوة ويحثوا هذا الأمر، وحاولنا أن نناقش كلمة الشيخ (أخروا هذا الكتاب)، فبعضهم قال: يقصد الشيخ (لا تخرجوه)، وبعضهم قال: إنما قصد الشيخ تأخيرها لفترة بسيطة والآن لا داعي لتأخيرها.

فسلم الكتاب للأخ أبي عبادة وأبي الحسن المقدسي. وعكفوا على ترتيبه، ثم مقابلته على الأصل كلمة كلمة، مبالغة في الدقة، نجزاهما الله خير الجزاء.

ووقعنا في حيرة بين الإخوة الذين يريدون إخراج هذا الكتاب بسرعة، وبين الإخوة الذين وقفوا في وجهه بحجة أن الشيخ قد مدح فيه بعض الأشخاص الذين هم ليسوا موضع ثقة عندهم!!

فقلنا لهم نحن لا نستطيع أن نؤخر كتاباً مهما كان السبب. فنحن يهمنا تجربة الشيخ ونتائج رحلته فقط، والشيخ عندما يزكي أحداً فإنما يعرف الظاهر والله يتولى السرائر.

وأما نحن -في مركز الشهيد عزام الإعلامي- فقد قررنا منذ البداية أن نخرج كل كلمة قالها الشيخ، حتى ولو غضب بعض الناس أو اعترض الآخرون، لأن الأمانة العلمية والتاريخية تقتضي ذلك، وكل ما قاله الشيخ أو كتبه لابد أن يخرج للناس ليحكم عليه الناس، بأنفسهم.

والآن فقد جاءت الفرصة المناسبة لإخراج هذا الكتاب، بعد أن تعانق الإخوة الأحبة، وأصبحوا تحت قيادة واحدة، وبهذا نكون قد أدبنا ما علينا، والله الأمر من قبل ومن بعد.

وبعد ... فهذه مقدمة وضعناها بين يدي القارئ الكريم حتى يكون معنا في صورة الملابس التي أحاطت بهذا الكتاب، ويدرك لسبب في تأخيرها إلى الآن.

راجين من الله عز وجل أن يتقبل منا ذلك خالصاً لوجهه الكريم، وأن نجد هذه الخدمة في ميزان حسناتنا يوم القيامة، إنه سميع مجيب.

مدير المركز / أبو عادل عزام

١٤١٧/١/٢٧ هـ - ١٩٩٦/٦/١٣ م

وادي الموت*

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد :

فلقد كنت قد سمعت كثيرا عن وادي بنجشير، وقرأت واطلعت على تقارير قدمها الإخوة الذين كتب لهم زيارة الوادي، ولكن الصورة الرائعة التي تجسد التضحيات الهائلة التي قدمها أهل هذا الوادي ما كانت لتتضح في ذهني لولا أنني وقفت عليها بنفسني، ورأيته بأبصار عيني .

إن هذا الوادي قد نقل اسمه حيا في العالمين، فمعنى بنجشير (بنج شير: الأسود الخمسة)، والآن حق لنا أن نطلق عليه وادي الأسود .. عشر سنوات متواصلة من الحياة بين فكي الموت، وبين حجري الرخى، وهؤلاء المجاهدون صامدون، لم تهن لهم عزيمة، ولم تكن لهم قناة، وكأنهم يرددون مع أبي الطيب :

تمرست بالآفات حتى تركتها تقول آفات الموت أم نعر النعر

وقد كان لهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والترمذي عن أنس مرفوعا: (لقد أوديت في الله وما يؤذي أحد، وأخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد آتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال).

كنت أرى وأسمع ولا أكاد أصدق ما أرى، لأن التضحيات كبيرة لا يطيقها كثير من البشر، وهي أكبر من طاقتنا، ولذا فقد كان يهولنا ما نسمع .

والحق أن الذي يعمل ويصبر فإن الله يبارك في عمله : (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) برف : ٩٠ .

ولقد قبض الله لهذا الوادي شاباً من أبناء الحركة الإسلامية يجري حب الجهاد في عروقه، وأوتي ولعا شديدا ولهفا عجيبا بالقتال . لقد قاد مجموعة من أبناء الحركة أيام داود، وتسلسل إلى أعماق الوادي ، وكان الشاب الوحيد الذي يتقن الرماية على (RPL)، وأحرق دبابة في مركز الوادي في (رخا)، واحتل الوادي ليوم واحد .

وعاد إلى بيشاور بعد أن ألقى داود القبض على كثير من أبناء الدعوة وزج بهم في غياهب السجون ، وحدثني عبدالحق عتيد وكان يسكن قنعه في غرفة في بيشاور : لقد كان يصعد إلى سطح الغرفة ليلعب الرياضة، وكثيرا ما تراه يطالع في الكتب العسكرية التي كانت له طعامه وشرابه .

وتأتي أيام تراقي ويعود الشعب من جديد ليهبوا في وجهه، وينزل أحمد شاه مسعود مع مجموعة من أبناء الحركة، ويجهزهم الشيخ برهان الدين رباني ببندقية شولتز واحدة ومجموعة من البنادق من صناعة (درا آدم خيل) القرية الباكستانية الشهيرة بصنع السلاح والإتجار به .

وتصل المجموعة إلى بنجشير، ويستقرون أهل الوادي، ويقوم الناس معهم، ويقفون في وجه الدولة بالعصي والحجارة، ويحررون الوادي بكامله، ثم يتخذ أحمد شاه من (شتل) بداية الوادي من جهة يروان مقرا له، ويجلس بجانب الهاتف ليتابع أخبار المراكز في بنجشير، فتأتي المكالمات من المركز تلو المركز تنبئ بسقوطها ووصول الدبابات إليها، واستولت الدولة على بنجشير مرة أخرى، وأعادت سيطرتها وقبضتها على الوادي .

ويحدث مسعود قائلا : كان من أصعب المواقف التي واجهتها في حياتي، إذ تجهم الناس لنا، وحملونا تبعة ما حصل، وعندها تجمعتنا وكنا أربعة وعشرين شابا من أبناء الحركة في دشت ريوات (بلدة في الوادي)، وتعاهدنا على مواصلة الجهاد حتى الموت، ولكننا أفردنا أفراد البعير المعبود ولقد كان إدخال تين في بيت من البيوت أحب إلى صاحبه من إدخال أحدا فيه ، وتقدم رجل شهم من هذه البلدة واسمه (عبدالمين)، وفتح لنا بيته وقال: ليس عندي سوى سير (٧كغم) من الطحين فهي لكم حتى يرزقنا الله غيرها، وكان ابنه محمد إبراهيم من خيرة القادة الذين فقدهم الجهاد، وقد رأيت هذا الرجل فسألته عن عمره فقال: سبعون عاما، وقد كان عبدالله أنس يحدث عنه معجبا به ويقول: هذا هو الأسد السادس في بنجشير (لأن بنجشير : خمسة أسود وهذا سادس الليوث) وهو رجل لازالت الفتوة بادية على مهيأته، بالإضافة إلى هبة تضفي عليه الوقار، وتلقي الرهبة في قلب الناظر إليه، عدا عن نور يشع من جبينه يعطيه روتقا وبهاء..

* ملاحظة: هنا حذفنا المواضيع التالية: (الطريق إلى طالقان)، (البغل بمائة شيرمي) لتكرارها في مجلد خضم المعركة من المرسمة.

هو واد واحد يمتد من باريان / بدخشان إلى شتل في پروان على طول مائة كيلومتر، يرافقه في أثناء مسيرتك نهر كاته اللجين (الفضة)، لا تجعلك تمل من رحلتك ولا تسأم من مشيتك ، ويغيب التعب، وتنسى الضناء والعناء في هذه الرحلة وأنت تستمتع بخير الماء وخضرة الشجر وألوان الثمر ، وإن كانت الطريق في بعض منعطفاتها تلقى في نفسك ظلالا من الخوف والرهبة وأنت ترى نفسك فوق مرتفع يطل على النهر، ولم تبق الانهيارات الجبلية تحت قوائم حصانك عدا مسريا ضيقا لايزيد عن عرض الحصان، وتنتظر تحتك لقرى الهوة السحيقة التي ستتردى فيها فيما لو زلق الحصان أو أدركه في هذا المازق العران (رفض الدابة على الطاعة) .

وأما الآن فقد جاء عامل جديد يضفي على منظر الوادي روعة ورونقا وجمالا وهو حطام الدبابات والمدرمات التي يعجزك عنها، وإن كنت راكبا جوادك الذي يسير على مهل لأن الكثرة والتناثر يجعل الإحصاء شاقا ومجهدا . فهذه دبابة قد أصابتها القذبة فانقلبت في ماء النهر، ولم يبق منها سوى عجلاتها الشاخصة إلى السماء فوق الماء . وتلك مدرعة قد انكفأت على وجهها، وثالثة قد سقط جنبها، ورابعة تحطم زجاجها، وأما القرى على جانبي الوادي فإنها تذكرني بشعر عمر بن أبي ربيعة :

هيج القلب مغان وصير داسات قد علاهن الشجر

ورياح الصيف قد أزرت بها تنسج التراب فتونا والمطر

وعندما كنت أرى القرى المدمرة التي لم يخر سقفا فقط بل جدرانها تهاوت فكانت الصورة التي تشخص في ذهني وتغر في خاطري : صورة القرى الرومانية التي مر عليها في الأردن قرابة ألفي عام، ورواثر الآثار تحافظ على بقايا جدرانها وحجارتها لتكون محطات للسياحة تدر الدخل على البلد من تهاوت السائحين لرؤيتها .

وعجبت لهذا التدمير الشامل الذي عم الوادي، ثم سألتهم عن سبب هذا، ولم يكن الجواب سوى : التنظيم الدقيق الذي شاهده أعداء الله في الوادي، والمقاومة العنيفة التي واجهها هذا الدب، والدغات القاتلة التي ذاق ويالها في مسارب هذا الوادي وشعابه، وأنت تعجب ومسعود يصف لك حال القرى قبل الغزو الروسي .

الموكب المهيّب:

لقد ابتدأت رحلتنا في بنجشير من باريان، وقد وصلناها الساعة الثامنة بعد الغروب بساعتين، وكان في انتظارنا قرابة مائتي فارس ومئات من المجاهدين الذين يرتدون بزاتهم العسكرية وينسق واحد يحملون رايات مكتوب عليها آيات النصر، وبعضها عليه عبارات الترحيب ، وكان موقفنا يأخذ بمجامع القلوب ، ويملك على النفس مشاعرها وأحاسيسها، وتهيج الذكريات إلى مواكب العزة التي تحركت في الأرض أول مرة تحمل هذا الدين لتنفذ به البشرية أيام الصديق والفاروق رضي الله عنهما، وقد حيانا (سارنوال محمود) قائد بنشير التابع لمسعود وعانقنا بحرارة، وقال رباني ينقل إلى ترجمة كلام محمود : لقد كان في انتظاركم سبعمئة فارس منذ الساعة العاشرة صباحا، وعندما ينسوا من قنومكم رجع خمسمئة منهم وبقي منهم مائتان .

وفي الصباح تحرك الموكب، يتقدمه أحمد شاه مسعود ورباني، وكنت قريبا منهما، ووراءنا الخيول التي تصهل وتضج وتصل قرابة المائتين، وجماهير الناس التي هرعت لترى هذا الموكب وفي كل مكان ثمر فيه تجد صفوف المجاهدين المرتبة المنضبطة تحمل الرايات الخضراء، ثم يتقدم قائد السرية ويحيي التحية العسكرية، والأسلحة مشرعة مرفوعة تحية لقائد الجمعية /الشيخ رباني ، ثم يحييها الأستاذ رباني ويطلب منهم إنزال السلاح والراحة .

وأما جماهير الناس فكانهم جراد منتشر زحفت لتحبي الضيوف وكل واحد يود لو يحظى بمصافحة أو تحية أو ابتسامة ، وأما المجاهدون فكانت أرقب مليا نوع سلاحهم فكانت أراها روسية - أي غنائم-، وما أجمل أن تقول فيهم ما قاله بكر بن النطاح :

ومن يفتقر منا يعش بحسامة ومن يفتقر من سائر الناس يسفل

وإنا لنهز بالسيوف كما لهت فتاة بعقد أو سخاب قمرنقل

يوم أشر من الزمان محجل :

كان من أشد الأيام تأثيرا في أعماق النفس، وقد ترك بصماته جلية على القتب في اليوم العاشر من صفر سنة ١٤٠٩ هـ الموافق ٢١/سبتمبر ١٩٨٨ م.

لقد بدأ الموكب مسيرته من الصباح ابتداء من خنج (بلد سارنوال محمود)، وتقدمنا دبابة فيها المجاهدون، ثم ناقلات الجنود التي غنمها وهي تطفح بالمجاهدين الذين تعلقوا بها من كل جانب ، وهتافهم تنوي أصداؤه في جنبات الرادي بين تكبير ونشيد، ووراءنا سيارات الجيب ، وركبت مع الشيخ رباني ومسعود وأرينبور وعبدالله أنس في سيارة مكشوفة، وسار الموكب يتهادى بين هذه الهتافات، والناس على جانبي الطريق كلما وصلنا قرية أو مركزا وكتائب المجاهدين تنتظر، وغالبا ما يكون الناس قد نصبوا سرادقا ليتوقف الموكب فيستمع القوم كلمة أو توجيها، ويقدمون التحية من الفواكه البنشيرية التي سلعت أشجارها من التدمير والإبادة، ويلفت نظرك التفاح البنشيري الذي خلقت الشمس على وجعته المشرقة حمرة أخاذه.

وصلنا إلى بشغور واستقبلنا قائدها طارق ، وبشغور هذا المركز العظيم الذي يذكر بفتح رمضان الكبير سنة ١٤٠٦ هـ حيث تقدم ثلاثة وخمسون مجاهدا كفرقة هجومية، ويسندهم حوالي مائة آخرون، وقد أسروا حوالي أربعمئة من الكفار، فيه من بينهم سبعة وثمانون ضابطا . من بينهم الجنرال أحمد الدين الذي قتله المجاهدون ، ونكست الأعلام عليهم عدة أيام في كابل.

ثم سار الموكب من بشغور إلى أشابه، ثم استرحنا قليلا، وقد ذكرنا هذا المركز بالأخ نور الدين الذي قضى فيه أياما عزيزة ولكنها شديدة، لأن قائده الآن هو شقيق القائد ميرزا الذي كان يتولى قيادة المنطقة بين فكي الموت ، ومن أشابه سار الموكب إلى ثلاثة مراكز متقاربة (كرامان وعبدالله خيل ودرهه هزارة)، وفيها صلينا الظهر، واسترحنا قليلا ليلقى الفلمان أناشيدهم التي كانت لازمة من برامج الاحتفال ومراسم الاستقبال في كل محطة تقف فيها، ودعك عن المجاهدين الذين برزوا بلباسهم العسكري وأسلحتهم التي تلمع مع إشراقة الشمس .

وبعد سارنا إلى منطقة أستانة التي تضم أربع قرى (بهارك ،، أورو ، سنكنا، أستانة)

قال مسعود ونحن في السيارة: الحمد لله، لقد بدأنا بيندية شولدن، وما نحن الآن نملك الأسلحة بأنواعها حتى الدبابات . وعندما كنا نمر بين أعطاف قرية (سنكنا) قال مسعود : تعتبر هذه القرية من أشهر القرى بإنتاج العنب ، فنظرت نحوها مليا وإذا بها ركام من التراب لم تعد ترى فيها شجرة يانعة.

ألا لك لإحراق وهدم منسازل وقتل وإنهاب النهى والنخائل
وأبراز ربات القصور حواسسراً خرجن بلا خمرو ولا بمسائر
كأن لم تكن بنشير أحسن منظرا وملهى رآته عين لاه وناظر

محرقة الآليات :

ثم سارت بنا السيارة إلى منطقة بارانده وفيها ست قرى صغيرة متجاورة (مالاصبا نوالين وجنكك ويازاراك ورجمن خيل وملا خيل)، وكان من بين مالاصبا وجنكك أكوام الدبابات المدمرة والسيارات المحطمة ما لا يقل عن ثلاثمئة آلية تحيط بالطريق من الجانبين، فسألت مسعودا عن تاريخ تدميرها، فأجاب : لقد تدمرت في سنتي ١٩٨٦، ١٩٨٧م فقط، فقلت له : وكيف تركتها الدولة بهذا الحال ؟ فقال: رغم المحاولات المستميتة فإن الدولة فشلت أن تقيم مركزا في هذه المنطقة، ولذا لم تستطع أن تسحب هذه الآليات التي شهدت النهاية الأسيفة الحزينة لراكبيها الذين تطايرت لحومهم مع قطع الحديد المنصهرة تحت ضربات صواريخ ال RP التي أذاقت من شواطئها لهيبا تزع أرواح هؤلاء قبل أن ترى لهيب جهنم.

رخا (حداث الموت) :

وفي يوم الجمعة ١٢ صفر ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٣ / سبتمبر وصلنا إلى رخا (مركز المديرية)، ورخا تذكرنا بحديقة الموت في اليمامة التي استعصم بها مسيلمة الكذاب، واستحر القتل فيها بأصحاب رسول الله ﷺ ، وتذكرنا بطولة أحمد بانا وجادا ببطولات الصحابة رضوان الله عليهم، خاصة البراء بن مالك الذي تعلق بالكلايب المحممة التي سلخت لحمه.

سنة ١٩٨٢م يحتل الروس أعنابة ورخا، ويلقون بشتلهم قيهما ويزرعون خمسة آلاف روسي في رخا ومثلها في أعنابة.

ووزع الروس مراكزهم على قمم الجبال الشامخة حول رخا، وعلى قمم التلال الصغيرة المحيطة بها كذلك .

وذات ليلة جاء المجاهدون وخاضوا في الثلوج التي تصل إلى صدورهم، وتسلقوا الجبال المتوسطة الارتفاع (بين القمم الشاهقة والتلال الصغيرة)، ونصبوا أسلحتهم الثقيلة (الدوشكا والهاون)، فكان الروس في السهل على حافة النهر، ثم على رؤوس التلال الصغيرة، وبعدهم المجاهدون على جبال متوسطة الارتفاع وفوقهم الروس مرة ثالثة فوق الثرى الشاهقة .

وعدا الروس خلف ظهرهم روس فعلى أي جاتبيــــــــــــك تعميل

كان مسعود يشير إلى مراكز المجاهدين ولا أكاد أصدق ما أسمع وكأنه يحدثني عن قصص ألف ليلة وليلة - كما عبر عنه ذات مرة - عيناى تنظران وعقلي يتعلل الحديث لعله يستسيغ ما يسمع، إنه عمل بشري شخوصه من لحم ودم، ولكن الطاقات القاصرة والهمم الهابطة لا تكاد تصدق هذه الوقائع التي جعلت روسيا تخر صاغرة على أقدام المجاهدين تطلب الصلح وتلتمس الهدنة :

وأتى لمن قوم كان نفوسهم بها أنف أن تسكن اللحم والعظم

لقد حاول الروس محاولات يائسة أن ينزلوا هذه الصقور التي حطت في ظلال الليل بين الثلوج، وجريت المدفعية والصواريخ الطائرات، ولكن المجاهدين أصبحوا رواسي ثابتات كهذه التي تقلهم، ولكن أنى لهم طعام يأكلونه أو خبز يقاتون به ؟ وكيف الوصول إليهم من بين جموع الروس ونيرانهم ؟ لقد كان طعامهم لعشرة أيام التوت الجاف لا غير، ثم صاروا يوزعون البطاطا بالحبة كوجبة كل مجاهد، وبقي طعامهم البطاطا فحسب، وحتى هذه البطاطا كانت أثمانها قرضا من أيدي التجار.

قال مسعود : كنا كلما رأينا حصانا قادمنا نحو قواعد المجاهدين نحسبه تاجرا جاء يقتضي دينه . كانت المعارك مستمرة من طلوع الشمس إلى غروبها، ولا يستطيع الروس أن يتحركوا بين مراكزهم إلا ركضا، وكلما تحرك متحرك أثناء النهار فاجأته رصاصة لدوشكا أو قذيفة الهاون فتعيد إليه صوابه ليأخذ على نفسه عهدا ألا يتحرك إلا تحت جنح الظلام الدامس .

لقد استطاع هؤلاء الشباب الذين يعيشون بين جبال الجليد والثلوج أن يعلموا الروس درسا قاسيا ، وأن يقيوا حركة خمسة آلاف من الروس .

أسد فرائسها الأسود يقودها أسد تصير له الأسود ثعالب

وكما قال ابن القيم (إذا طلع نجم الهمة في ظلام ليل البطالة، وأردفه قمر العزيمة أشرقت أرض القلب بنور ربها).

أهل رخا:

وفي هذه الفترة ما كان أهل رخا يسكنونها إلا ليلا، فترى الأطفال من قبل طلوع الشمس يهرولون قبل آبائهم فرارا إلى كهوف في الجبال، ويقضون سحابة يومهم في المغاور، حتى إذا غربت الشمس، وانتشر الظلام، عادوا إلى بيوتهم فرارا من البرد قارص، وذلك بسبب المعارك التي تستمر أحيانا من الصباح إلى المساء .

لهجوم:

يقول مسعود: وقررنا اقتحام مركز الفرقة والدخول على الروس في خيامهم ، وكان قرارا يحتاج إلى نفوس باعت أرواحها لله، علبت ثلاثين مجاهدا لتنفيذ العملية، فإذا بمائة من المجاهدين حولي، وكانت مجازفة رهيبة، ومغامرة خطيرة، إذ أن النهر يعترض ريق المجاهدين، عدا الثلوج التي تكسو الجبال، ولكن:

إذا لم يكن إلا الأسنة مركبا فما حيلة المضطر إلا ركوبها

وكنا نعاني معاناة شديدة من عوز بالأحذية، فكان الشباب الذين ننتدبهم لإيصال المواد الغذائية لإخوانهم في قلال الجبال سبون الأحذية، ويبقى الآخرون حفاة، ولقد كانت الهمة عالية والعزيمة شديدة

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما التثموا مرد

ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا كثير إذا شدوا قليل إذا عنوا

وانطلق المجاهدون بعد ومن من الليل، واخترقوا النهر، ومروا على خيمة الجنرال وهم لا يعرفونه، وفتحوا أبواب الخيام، وقتلوا من قتلوا، وتركوا البعض يتلوى بجراحه، ثم عابوا، ونزل الخبر نزول الصاعقة على أفئدة الروس، وظنوا أنهم أحيط بهم وجاعهم الموت من كل مكان . ولم يفقد المجاهدون سوى شهيد واحد . وارتفعت معنويات جند الله وقرروا اقتحام مركز أعنابة (مركز الفرقة الثانية) .

اقتحام مركز أعنابة :

وقام المجاهدون بعملية أشد على مركز الفرقة في أعنابة، وفجروا مخزن الذخيرة في داخلها، وقتلوا عددا وجرحوا آخرين وعابوا دون أن يفقدوا أحدا، وهنا سقط في أيدي اعداء الله، وظنوا أنهم هالكون لا محالة : (لأن الذي يطلب الموت لا يهزم).

أخوفا وعندي تهون الحياة وذلا وإنني لرب الإبل

وموتي في الوغى عيشي لأنني رأيت العيش في أرب النفوس

وهنا خر الروس على ركبهم جثيا يطلبون الصلح من أسد بنجشير .

أين العالم الإسلامي ؟

وهنا كلمة لا بد منها: لقد كانت هذه الأحداث التي تدور رحاها في هذا الوادي ، هذه الوقائع التي يكتب بها تاريخ الإسلام من جديد ، معارك أغرب من الخيال، وأشبه بالأساطير، ولا يكاد أحد يسمع شيئا مما يجري لهذه الفئة، وتغيب هذه النماذج الفذة تحت ضجيج الإعلام الذي يشرق شرقة الموت لو علمت حقيقة هؤلاء الأبطال لدى جماهير المسلمين .

قانون :العاقبة للمتقين ولاعدوان إلا على الظالمين

ولكن الغناء سرعان ما يزول: (فأما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) الرعد ١٧ . (بل تقلد بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) الأنبيا ١٨ .

خلاصة القول :

إن الذي تميز به وادي بنجشير عن غيره من الجبهات:

- ١- وجود الشخصية القيادية التي عاشت عشر سنوات متواصلة بين فكي الموت، بين الفراس التي غرستها، وسهرت عليها، وأحاطتها برعايتها، معتمدة على ربها، حتى نضجت ثمارها وأنت أكلها . (ومن زرع حصدا، ومن سار على الدرب وصل، ومن طلب العلى سهر الليالي ، ومن يخطب الحسنة لا يظلم المهر) (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) .
- ٢- العناية بالإعداد والتنظيم والتدريب والضبط والربط (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الأنفال ٦٠ .
- ٣- حياة القائد بين الجند، يأكل مما يأكلون، ويلبس كما يلبسون، جعل الجند يحبونه كأنفسهم، بل يقتونه بأرواحهم وأموالهم .

٤- إن اهتمام القائد بمشاعر الناس، ومراعاته مطالبهم دون أن يرهقهم باتاوات باهظة، وضرائب مفروضة على رقابهم قسرا جعلهم يلتفون حوله، ويشعر من عاش في بنجشير أن الوادي من أقصاه إلى أقصاه كأُسرة واحدة، قائدهم كَأب لصغيرهم وابن لكبيرهم، وأخ لئله منهم. وهذا الذي جعل مائة وخمسين ألفاً من سكان بنجشير يهاجرون لمجرد إشارة من القائد سنة ١٩٨٤م، وفي وسط الشتاء، وبين الثلوج، وهذه لم نسمع بها في التاريخ الحديث أبداً، وكذلك فإن الوادي الذي يعد مئات القرى لم تستسلم منه للدولة سوى نصف بلدة ، ولذا فإذا أطلقت كلمة الأمير في الشمال كله فإنها لا تنصرف إلا إلى أحمد شاه مسعود .

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) المائدة ٥٤ .

قصص لا تنسى

قصة محمد نعيم الشهيد :

حدث القارئ عبد الرحمن (قائد في قريباغ) قال :

استشهد مجموعة من الشهداء ومن بينهم محمد نعيم، فجاء أخوه يبحث عنه فوجدوه جالسا واضعا يده على خده وينظر إلى الناس، فقال أخوه: يا أخي نحن نبحث عنك وظنناك شهيدا فقم حتى نطمئن أمك، وعندما وجدته لا يتحرك قال له: أخي الشهيد أنت على هذه الحالة لا نستطيع دفنك فقم على ظهرك ومد يديك ورجليك، وإذا به يمد يديه ورجليه، ثم حملوه، وقد شهد هذا الحادث مجموعة كبيرة من المجاهدين .

نصص حدثها صوفي رسول / أمير شمال كابل (شكردرا واستالف وقريباغ وبگرام)

حدثني صوفي رسول في بنجشير في ماله/ بارنده عدة قصص ورياني يترجم قال:

حصل قصف بالطائرات عدة مرات، وذات مرة وقعت القذيفة قرب مجاهد، فحملة هواثها وألقاه فوق سطح المنزل، ومرة أخرى وقعت قذيفة فحمل الهواء بقرة لصاحب البيت وألقاها فوق سطح المنزل، وبقيت سليمة، وأصبح المالك في حيرة من أمره في كيفية إنزال البقرة .

وحدث قائلا : حوصرنا ذات مرة وكنا سبعة نفر من المجاهدين، وكان الروس يحيطون بنا من كل جانب، وفتحوا علينا نيران شاشاتهم، واستشهد خمسة منا، وعندما عدت سالما تفقدت ملابسي وإذا بها محترقة في كثير من المواضع في العمامة والقميص .

قصة المرأة من خاينز :

كنا في طريقنا بين بازارك ورخا، فمررنا بقرية اسمها (خاينز)، فأشار أحمد شاه مسعود إلى القرية قائلا : كان في هذه قرية امرأة تخدمنا هي وأولادها سنة ١٩٨٢م، ولم يكن في القرية سراها، وكان ابنها مجاهدا معنا، ولقد كنا نعجب لشجاعته. فكنا إذا اشتد القصف نختبئ، ولم تكن تختفي، وقد كان القتال شديدا في هذا العام، وكانت القوة قريبة منا، فكانت المرأة تخبز الخبز تطهي الطعام ثم يأتينا به ابنها، وذات مرة بدأت السماء تمطرنا جمعها، والمدفعية تصلينا بشواظ نيرانها، وكنا في غرفة، فأردنا نتفرق من الغرفة وإذا بالمرأة تقف بالباب وتقول لا تخرجوا لأن الشظايا كثيرة قد تؤذيكم. وكانت ابنتها الشابة تساعدنا في الخبز، لطبخ، فأصابتها قذيفة فأردتها قتيلة، فغطتها بغطاء واستمرت المرأة في عملها .

واستشهد زوجها كذلك ولم يبق إلا ابنها المجاهد، ثم عاجلته المنية واستشهد، وصار لسان حالها يردد ما رددته عائشة رضي الله عنها على أخيها عبد الرحمن :

وكنا كندمانسي جذامة برهة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تقـرقنا كائني ومالكـا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

وحزن المجاهدون جميعا لفقدان ابنها، فجننا لتعزيتها فقالت : لقد كان حزني لفقدان من يوصل إليكم طعامكم أكثر من فقدي نذة كبدي، وإذا فاني واعتبارا من اليوم أطهي لكم طعامكم وأخبز خبزكم وأدعه وأنتم تأتون لتحملوه بأنفسكم، قال مسعود : وقد تقدت المرأة فلم أجدها، ولعلها هاجرت إلى كابل، وينفسي لو عرفت مكانها لأجزئها أياديها البيضاء علينا .

نسي رخا

وصلنا رخا، واستقبلنا "كل حيدر" (قائدها)، والمركز الجهادي اسمه (جمال وردة)، وبدأ مسعود يلهج بالثناء على حبرة نورسان وشجاعته، وقد رأيناها برجل واحدة، فقال مسعود : إنه فقد قدمه بانفجار لغم تحت قدمه، وحدث عن قائد قبله كان قد استشهد اسمه (عبد الواسع)

أسد دم الأسد الهزير خضابه موت فريص الموت منه ترعد

وذكر أنه أرسل ببعض البنادق القديمة منها بندق صيد، وبدأ يقاتل ويتحرك بين الدبابات، وفي فرصة قليلة غنم ستين

كلاشن.

وقد تحدثنا عن رخا سنة ١٩٨٢م عندما كان يقودها أحمد بانا من جهة وجادا من جهة أخرى، والفخروف العvisية التي كان تحياها ، وقد زرنا مستشفى رخا وللأسف مع أنه كان شبه خال من الأدوات الطبية والأوبوية ، إلا أنه لم يجد أيادي إسلامية و أموالا إسلامية تتفق عليه، فتقدمت بعثة طبية سويدية تتفق عليه .

وتفدينا ثم صلينا الجمعة، وألقى الأستاذ رباني كلمة، وكان المسجد غاصا بالمصلين، وبعد الصلاة انطلق الموكب بتهادي صور الجزء الأخير من بنشير، فمررنا بقرية (أبدرا)، واستقبلنا الجنود المجاهدين المصطفون - كالعادة -، ثم ترجلنا وسلمنا على جعفر الناس، وألقى الأولاد أناشيدهم الجهادية.

وانطلق الموكب إلى أعنابه: وهذه هي البلدة الوحيدة التي استسلم بعض أهلها للنوالة، ولذا فقد شاهدت بساينها لا زان خضراء، يانعة، وأبنيتها لم يعمسها التدمير الذي حل في بنجشير كلها. وأما الآن فقد أحال مسعود البت في أمر الذين استسلموا إلى محكمة شرعية (والمحاكم كلها شرعية) يرأسها العلماء . واستقبلنا فيها من قبل المجاهدين وقسم من أهل القرية، وعلق مسعود قائلا: هذه البلدة فيها شر الناس الذين والوا النوالة، وفيها خير المجاهدين الذين ضربوا مثلاً رائعا في التضحية والبذل .

وبعدها سار الموكب ومر بقرية (فراج)، واستقبلنا المجاهدين والأهل، وأخيرا أخط الموكب في آخر نقطة من بنشير الجهادية وهي شتل التي اتخذها مسعود مركزاً أول مرة أيام تراقي وإذا بهم قد نصبوا سراقاً من السجاد، فدخلنا وصلينا العصر، وقار الإخوة: إن شتل إداريا ليست تابعة إلى بنشير، ولكنها تتبع جلبهار، ولكن المجاهدين ضموها إلى بنجشير، ثم قالوا: إن جلبهار عر بعد أربع دقائق بالسيارة، وفيها مركز روسي، والدبابة الروسية بارزة للناظرين، ولكنهم لا يحركون ساكناً في هذه الأيام تجاه المجاهدين، وكل همهم أن ينجوا بحياتهم، وأن يقضوا هذه الأشهر الأربعة المتبقية ويعودوا إلى بلادهم فارين بما بقي لديهم من أعصاب، وما احتفظوا به من بقية عقل .

ثم عدنا إلى رخا وقضينا ليلتنا وعدنا في صباح اليوم التالي إلى بازاراك .

الهدنة سنة ١٩٨٢م

قال مسعود : لقد كانت الضربات الشديدة التي وجهناها إلى الاحتلال الروسي خاصة في رخا، وبعد أن استطعنا بفضل الله أن نقيد حركتهم ونشل نشاطهم بحيث تعثر عليهم التنقل أثناء النهار في داخل مراكزهم ، وبعد أن اقتنعنا عليهم مهاجمهم فر أعماق الفرقة التي يقيم فيها الجنرال، سواء في رخا أو في أعنابه، اضطر الروس أن يطلبوا الصلح .

فأرسلوا إلى رسالة يطلبون فيها عقد هدنة، وفيها كثير من التبريل والاحترام، فجمعت العلماء وعرضت عليهم الرسالة التي وردتني من الروس، واستفتيتهم بالحكم الشرعي، فأجمعوا أن هذا (بعد نصراً عظيماً) .

وبعدها أرسلت رسالة إلى الأستاذ رباني أرى فيها رأيه، فوافق الأستاذ رباني على الصلح، وقد جاءت الرسالة في أشد الأوقات العvisية التي مرت بنا ، لقد كانت الحرب فيها شديدة، وقام الروس في هذا العام بحملتين كبيرتين، واستشهد من المجاهدين حوالي ألف وأربعمائة شهيد ، وقتل فيها مائتان من كبار الشيوعيين ، ووصلني رسالة تهديد ووعيد من نجيب الذي كان آنذاك مدير للمخابرات وعبدالقادر وزير الدفاع .

وفي هذا الوقت كذلك ارتفعت أسعار المواد الغذائية، فأصبح ثمن كيلو الرز الواحد ألف روبية أفغانية، وكيلو الملح سبعمائة روبية.

وأغلقت الطرق علينا من كل جهة، فالروس يحاصروننا من جهتين، وكان في أندراب قائد يدعي الجهاد اسمه (جمعه خان). فأغلق الطريق علينا، وجاءنا في هذه الفترة مائة حصان قافلة إمداد من بيشاور أرسلها الأستاذ رباني، فاستولى عليها بعض الإخوة في كوهستان ، فأما جمعة خان فقد التحق بالنوالة بعد فترة .

كنا نقترض ثمن الطعام من التجار والموسرين من أهل بنشير، وقد كان مصروف المجاهدين اليومي (مائة وخمسين ألف روبية أفغانية)، وأرسلنا إلى بيشاور نستغيث، وبعد جهد جهيد وصلنا (مليون ومائتا ألف روبية أفغانية)، أي مصروف ثمانية أيام فقط (تعدل سبعة آلاف دولار) من الاتحاد .

ولذا فقد كنا محاصرين من كل جهة، الروس واندراپ ونجراپ وكوستان، ولم يبق أي منفذ لنا من خارج بنشيري، وفي ساعة عسرة هذه جاءت رسالة الروس تعرض الصلح، واقترح الروس اقتراحات للقاء منها :

- ١- أن نلتقي في مكان وسط معي حرسني ومعهم حرسهم .
 - ٢- أن نضع رهائن، كل يضع رهائن عند الآخر، فإذا نكث طرف قتل الرهائن.
- فرفضت الاقتراحين وقلت : لابد أن تأتوا بأنفسكم إلينا وأنتم في أمان . وجاء الروس ومعهم رجل شيوعي بنشيري معروف سمه (ميرداد) .

المحادثات :

لقد تحدثنا مع الوفد الروسي عدة ليال، وفي الليلة الثالثة: انطلق المفاوض الروسي على طبيعته بنفس عما في نفسه من الآلام، وصف الحالة البئيسة الأسيفة، والروح المعنوية المتردية التي يحياها الروس، فقال: (نحن نشعر أننا خدعنا من الحزب الشيوعي أفغاني، وقد ألقى بنا هذا الأحق - بريجنيف - في هذه انتامة المهلكة والهاوية المحرقة، وكان بريجنيف قد هلك وجاء بعده سرويوف آنذاك ، وإننا نشعر أننا في أفغانستان نرسف في أغلال، وكل هذا كيف نحلها) .

قال مسعود: فهممت أن أسجل المحادثات سراً، ولكنني رأيت أن هذا لا يليق بأمانة المجالس، وأنه نوع من الخسة تأبأها سي، وأخيراً وقعنا المعاهدة .

شروط المعاهدة:

- ١- إيقاف الحرب بيننا في بنشير لمدة ستة أشهر .
- ٢- لأهل بنشير أن يقاتلوا خارج الوادي .
- ٣- تكوين كتيبة مشتركة من المجاهدين والشيوعيين الأفغان لمراقبة وقف إطلاق النار .

سبب قبولنا الهدنة:

- ١- السبب الرئيسي الذي جعلني أقبل الهدنة أخذ فرصة للخروج إلى الشمال لنقل النظام العسكري الذي أسسناه في بنشير .
- ٢- الظروف العصيبة التي كنا نعيشها في هذا العام سنة ١٩٨٢م .

نمألنا أثناء الهدنة:

- ١- كنا نرسل المجاهدين من بنشير إلى المناطق المحيطة فيقاتلون ويرجعون، وخاصة سالنج التي شهدت معارك عنيفة طويلة في الحرب .
 - ٢- هجم الروس على الأحزاب الأخرى في كابيسا وبروان، وهاجر حوالي ستة آلاف مهاجر من الأحزاب الأخرى وأويناهم في حير .
- وقبل الهجوم أرسل إلي الروس رسالة: (نحن نزع الهجوم على الأحزاب الأخرى في كابيسا، فأرسل إلى قادة الجمعية في كابيسا ألا يقفوا في طريقنا) فأجبتهم: (إن الهدنة بيننا في داخل بنشير فقط) .
- وقاموا بالهجوم على كابيسا، فجاءتني رسالة أخرى من القائد الروسي (قل نقاشك شاهين في كابيسا أن يفتح لنا الطريق فهو دينا منذ خمسة عشر يوماً ويصدنا عن التقدم)، فأجبت : (الهدنة في داخل بنشير فقط) .

دجني إلى الشمال واكتشاف الخطة:

وفي أثناء الهدنة خرجت إلى الشمال لتشكيل الوحدات المركزية، ونقل التنظيم الذي وفقنا الله به إلى الشمال، وكتبت خطة سلة مرحلية للشمال من أجل التنظيم ، وقد كتب الله لأحد الإخوة الذين يحملون الخطة في حقيته أن يقع في كمين روسي وقعت عة في يد الروس، وعندما ارتعدت فرائصهم، وطلبوا مقابلي فقايتهم، فوجدتهم يتميزون غضب ويغلون غيظاً، فقالوا (نحن لن

نسمع أبداً أن ينقل النظم العسكري إلى الشمال ، ويمكننا أن نحتفل بانتقالك حتى إلى كابل إلى نجرهار والجنوب، أما الشمال ف
نسمع بانتقال النظم إليه). فاثرت العودة إلى بنشير لأنني لم أكن في حالة تمكّني أن أدخل في صراع حاسم مع الروس .

هلاك أندريوف ومقدم شيرينكو :

ثم مات اندريوف وعلا شيرينكو عرش الكرملين، فجاءت هيئة جديدة روسية لتجديد المعاهدة: كتبت لي الهيئة : إنك خذ
الهيئة القديمة، ونحن لدينا الآن شروط جديدة، وأرسلوا لي ورقة مكتوب عليها شروطهم منها:
(معرفة أماكن السلاح وعندها وشروط أخرى صعبة)، وطلبوا مقابلتي من أجل التفاوض على الشروط الجديدة فاعتذر
بانشغالي، وطلب من الفلاحين أن يجمعوا محاصيلهم.

وبعدها لبست اللباس العسكري، وحملت الكلاكوف، وقد كنت من قبل أقابلهم بلباس عادي دون اهتمام ، ثم توجهت إليه
ودخلت عليهما أحمل ورقتهما التي فيها شروطهم بعد أن شطبت عليها بالخط العريض، ورقة أخرى كتبت فيها شروطي القاسية الذ
ظننت أن الروس لا يمكن أن يقبلوا بها بحال .

وناولتهم ورقتهما وورقتي، فعندما رأوا الورقتين احمرت وجوههم، وانتفخت أوداجهم غيظاً، وبدأوا ينفخون كأنهم الأفعى الذ
ابتلعت شيئاً، ثم خرجوا خارج الغرفة ليدخنوا السجائر، وبعد دقائق رجعوا واحتدم النقاش الحاد .

قالوا : نحن عقدنا معك معاهدة، واعترفنا بك كملك دولة، وأشهرناك بهذه المعاهدة، ولقاء هذا أنت تكتب شروطاً لا يمد
تنفيذها .

ولشدة غضب أحدهم أخذ ورقتي ورماها بصورة لا تليق بي ولا تدل على الاحترام، وعندها جمعت الورقة وألقيتها في وجه
وطلبت من الهيئة أن يخرجوه من بينهم، فاعتذروا إلي والتمسوا إلي بقاء، فأصررت على طرده خارج الغرفة، واضطروا أن يخرجوا،
وامتد النقاش الذي تحول إلى جدال عنيف إلى قرابة الفجر، وأخيراً وقعت الهيئة الشروط الجديدة ثم انصرفوا (صرف الله قلوب
بأنهم قرم لا يفقهون) الترية ١٢٧، وفي اليوم التالي أرسلوا إلي رسالة يعتذرون فيها عن التزامهم بشروط المعاهدة، وقالوا: إنما وقعنا
تحت رهبة الكلاكوف .

وبعد أيام جاني رئيس الهيئة في سيارة جيب، وجلسنا معاً، وأخذ يتفرق إلي بالكلام، ويستجدي عطفني ويستشير رحمتي
قائلاً:

نحن ما أخطأنا معك، وعاملناك كرئيس دولة، ومع هذا تعلي علينا شروطاً شديدة لا يمكن احتمالها، فنأمل منك أن تتنازل عن
بعض الشروط، وبعد جهد جهيد تنازلت لهم عن بعضها

ونفس تعاف العار حتى كأنه هو الشوك يوم الروح أو مثله الكفر

موقف بايراك كارمل من المعاهدة:

كل هذا يجري وكارمل رئيس الدولة لا يعلم شيئاً، وحاول جاهداً عن طريق أجهزته أن يستطيع ما حدث، فطلب من الروس أن
يطلعوه على مجريات الأمور، فاجابوه باحتقار : ليس هذا شأنك .

ولجأ كارمل إلى خطة تظهره أنه في الصورة، فأرسل وفداً من كبار السن من أهل بنشير يطلب إلي أن أرسل له رسالة أطلب
منه فيها الإفراج عن الأسرى الذين بين يديه من بنشير، ولقاء الرسالة سيقوم بالإفراج عنهم، وكان قصد كارمل الأصلي أن يعرض
الرسالة على شاشة التلفاز ليرى الشعب أن الأمور تجري بمعرفة .

وجاني عن طريق عيوني في مخابرات الدولة أن كارمل يرمي إلى هذا القصد، ولذا فعندما جاء الوفد من كارمل رفضت
مقابلته، وعاد يخفي حين .

القيادة العسكرية الروسية:

لقد رأت القيادة العسكرية السوفياتية في المعاهدة استهانة بمقامها، واحتقاراً لكبريائها، ولذا فقد قام الجنرال الروسي (القائد
العام) في أفغانستان بإرسال رسالة يقول فيها : (سأعلمك كيف الحرب ؟)

فرددت عليه برسالة (إن معي ربي سيهدين ، بل أنا سأعلمك كيف الحرب).

مدارس حرب العصابات الحديثة :

وسأنته: هل درست تجارب حرب العصابات الحديثة كتجربة جيفارا وماوتسي تونغ وهوشي منه وكاسترو وغيرها؟
فقال: لقد اطلعت كثيرا على هذه التجارب، فمعظم حياتي الجهادية وأنا أحاول أن أطلع وأستفيد من هذه التجارب البشرية .

السيرة النبوية الشريفة:

ثم عقب قائلا: ما استفدت من كتاب في التنظيم والخطوات والمرحلية كما أفدت من كتاب السيرة النبوية، فقد درست بعمق كتاب محمد حسين هيكل (محمد صلى الله عليه وسلم)، واستفدت منه، فقلت له: وهل درست سيرة ابن هشام بالتفصيل؟ فأجاب بالفني فنصحته بدراستها جيدا .
وعندها قام إلى مكتبته في الغرفة الأخرى وأحضر السيرة النبوية بيده، وسألني أهذه التي تعني؟ فقلت: نعم وهي مترجمة إلى الفارسية، ووعده بدراستها .

مراحل صلتنا بمسعود:

ثم قلت له: لقد مرت صلتنا بك بثلاث مراحل :

١-المرحلة الأولى: مرحلة النفور والكراهية : وذلك من خلال الحملة الشعواء التي كانت تشن عليك في بيشاور، والضجة الهائلة التي كانت تشوش على جهادك، حتى أنني أذكر في كثير من الخطب في أمريكا والسعودية والأردن قلت: إن هناك محاولات لتلميع شخصية مسعود وتضخيمه ونفخه حتى يبدو بطلا عظيما في نظر الناس، وهناك مئات القادة مثله أو اقوى منه ، ومئات الجبهات كجبهته أو أعظم، وأنكر أنني كتبت في مقدمة كتاب آيات الرحمن للضبعة الثانية غمزا بك وطعنا، إلا أن الهجوم التاسع (الهجوم الروسي الشرس) اضطرني أن أحذف ما كتبت عنك ، ولقد اتصل بي أحد الإخوة -أبو الجود- أثناء الهجوم التاسع عليك يطلب أن نقدم بعض المساعدات لكم فنهرته بجفاء على التلفون، ورفضت تقديم أية مساعدة ، فعقب مسعودا قائلا : ستسأل عن هذا بين يدي الله .

٢-المرحلة الثانية: مرحلة التوقف بشأنك: وذلك بسبب التقارير التي قدمها الأخ نور الدين عن جبهتك بعد أن زارك مرتين، وهذا التقرير نقلنا من نور النفور إلى التوقف، بحيث لا نثم ولا نمدح، وأرسلنا على أثر ذلك الأخوين أبا عاصم العراقي(قاري محمد عثمان) والأخ أبا بكر السوري ، ثم أرسلنا أبا ياسر العراقي .

المرحلة الثالثة: مرحلة المحبة: وهذه المرحلة كان السبب المباشر في نقلنا إليها - بقدر الله ومشيتته- هو الأخ عبدالله أنس الذي عاش معك عن كتب ولدة عام، ثم استمر حتى أمضى الآن معك ثلاث سنوات .

كلمات وآهات:

وهنا بدأ مسعود يبت أشجانه، وكنت أحس بحرارة الكلمات المعزوجة بالأسى والمنبثقة من الأعماق من خلال مراجعة شريط طويل من المسيرة الحزينة المريعة التي تكبدها هذا الشاب عبر طريق الآلام والمآسي والسهام التي كانت تصوب إليه من كل جهة، وكأنه يردد :

رمانى القوم بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
قصرت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال
فهان وما أبالي بالرزاء لأنني ما انتفعت بأن أبالي

وكنت أقرأ في تجاعيد جبينه ومن خلال هذه الأخابيد الخمسة التي حفرتها مصائب الدهر على محياه أقرأ كثيرا من الآلام، وألح من ورائها الجراح العميقة التي خلفتها في مسارب نفسه هذه الأثقال التي ألقيت على كاهله، ولم يزل بعد في نضارة الشباب وريحان العمر .

كلام القلب:

قال مسعود: أشهد الله أننا ما قاتلنا من أجل أنفسنا، ولا للدنيا، ولا حتى لتحرير أفغانستان، ما قاتلنا إلا لنصرة هذا الدين .

بين شير علي وحبيب الرحمن :

كان شير علي قائدا للممرعات حول القصر الجمهوري، وتحت يديه ثلاثون دبابة وثلاثون آلية، وكان يرتب مع حبيب الرحمن ، وبدأت الأيام تقترب من الموعد المحدد للانقلاب على داود، فجئت إلى حبيب الرحمن وقلت له لا بد لك من حراسة مسلحة، فرفض حبيب الرحمن قائلا : إن هذا مما يلفت نظر الدولة ، فقلت له: إذن فلا مناص لك من الاختفاء أياما قبل الانقلاب، فرفض كذلك لأن هذا يكشف الخطة .

وبعد أيام جازني حبيب الرحمن وقال: أنا ذاهب إلى «خير خانة» -حي في شمال كابل-، وأخبرني عبد الصبور وسيد عمر من كندز واستكتمنا الخبر، أما سيد عمر فقد كان قام بمظاهرات في كندز، وبدأ رجال الأمن يتابعونه، فجاء للاختفاء في كابل. العشاء في بيت عبد الصبور : كنت ذات ليلة مع سيد عمر على عشاء في بيت عبد الصبور، وإذا بالبواب يقرع، فإذا بحكمتيار يرتدي معطفا أسود ويركب دراجة نارية وأثار الاضطراب بادية على وجهه، فسألنا يتلطف: أين حبيب الرحمن ؟ فأجابني عبد الصبور ماذا تريد منه؟ قال حكمتيار: لأمر ضروري عاجل ملح .

ولكننا رفضنا إخباره عن مكان إنجنير حبيب الرحمن، وعلمنا في اليوم التالي الأمر، ولكن بعد فوات الأوان، وندمنا ولا ساعة مندم أن لم نكن أخبرنا حكمتيار عن مكان إنجنير حبيب الرحمن .

خلاصة الأمر:

جاء الضابط الذي يعمل كحلقة وصل بين حبيب الرحمن وبين الضباط يبحث عن حبيب الرحمن بعد أن ترامى إلى مسامحه ان الدولة تبحث عن حبيب الرحمن إثر اكتشافها للخطة، وقتش الضابط (حلقة الوصل) عن حبيب الرحمن أو عمن له صلة به فلم يعثر إلا على حكمتيار، فاقضى إلى حكمتيار بالأمر، وطلب منه أن يبلغ حبيب الرحمن بأية وسيلة، وإذا مرع حكمتيار إلينا يود إنقاذ أخيه بأية وسيلة.

اعتقال حبيب الرحمن :

وفي صبيحة تلك الليلة التي طرق فيها حكمتيار بابنا جاء حبيب الرحمن إلى بيت الضابط عمر، وبعد خروجه من البيت كانت فئة من الحكومة في انتظاره، وعندما خرج انقضت عليه وألقت عليه القبض وألقت في سيارة حكومية، وقد كان أحد الإخوة يسمى (شريف) شاهدا لهذه العملية، فجاء وأقضى إلينا بالأمر .

الاتصال بيني وبين حكمتيار:

قال مسعود: بعد اعتقال حبيب الرحمن أراد حكمتيار مواصلة الطريق، فجازني وسألني عن أسماء الضباط فرفضت أن أعطي شيئا، وذات يوم جازني رسالة من حبيب الرحمن أن أسلم كل شيء لحكمتيار، فسلمناه كل شيء.

محاولة لإنقاذ حبيب الرحمن :

قال مسعود: وبعد فترة جازني ثلاثة ضباط من المسؤولين في سلاح المدرعات عن السجن وقالوا لي : نحن نستطيع أن نذك أسر حبيب الرحمن بالقوة ونأتي به إليك، فنقلت الخبر إلى حكمتيار، فقال: نحن نرتب الآن انقلابا على داود، ولو فعلنا هذه الفعلة سيكشف أمرنا، عما قليل - بإذن الله - سنستلم البلد ونفتح السجون ونخرج أختانا .

المخطط القتالي العام:

ثم انتقل مسعود لشرح الخطة التي اتبعها في قتال الشيوعيين والروس ، فجازني بخارطة أفغانستان، وبدأ يتكلم، وإذا بالرجل ينطلق من استراتيجية ثابتة منذ الانقلاب الشيوعي وقبل دخول روسيا ، وأخذ يشرح خطته، واستطرد في الشرح وكلي أذان وأنا أتابع أعماله الرائعة التي أصبحت مدرسة متفردة ، وهي (مدرسة حرب العصابات الإسلامية) فتجربته الضخمة أصبحت متكاملة وجديرة بالدراسة والاستفادة من إيجابياتها ونبتذ سلبياتها، وذلك حتى تستفيد الأجيال القادمة منها .

وبريطانيا .

ومن قريتنا جل محمد: أستاذ الشيوعية في الجيش، ويطلق عليه الجيش (أبا الشيوعية) وهو أستاذ في الثانوية العسكرية ومعظم صفار الضباط تربوا على يديه .

وهادي كريم : خريج كلية الشريعة ثم أصبح شيوعيا، سجن أيام الملك ظاهرشاه، ثم انشق على الشيوعيين، وقد عرض عليه نجيب وزارة العدل فرفض .

ومن جنكك حوالي (٦٤) شيوعيا ممن يشار إليهم بالبنان، وفي الجيش حوالي (٦٠) إلى (٧٠) ضابطا شيوعيا تخرجوا من روسيا، ومن قريتنا عائلة أخرى منها لواغان وعقيدان .

درأستي:

كان والدي ضابطا، وكانت الأسرة تنتقل معه حيثما حل، وعندما ألقى عصا الترحال في كابل كنت قد بلغت الثامنة، فدرست درأستي في كابل، وكانت الدراسة الثانوية في مدرسة الاستقلال التي تدرس اللغة الفرنسية كلغة أجنبية .

إنهاء الثانوية:

وبعد أن حصلت على الدراسة الثانوية وجدت أن الشيوعية بدأت تسري بين أبناء الجيل، فلستأجرت غرفة في كابل وصرت أدرس الشباب الرياضيات لأتقنهم الإسلام من خلال اتصالي بهم، ولكنني وجدت أن قريتي أشد حاجة لهذا، فأنقلت التدريس إلى غرفة في القرية، ولكن الشيوعيين ضاقوا ذرعا بهذه الغرفة، وضيقوا عليها، وعندما قام انقلاب داود أغلقوها .

انقلاب داود: في تموز (يوليو سنة ١٩٧٣)

وقد جاء هذا الانقلاب بترتيب مع روسيا كرد فعل لزيادة النشاط الإسلامي في أفغانستان وفي جامعة كابل بالذات، وكان مجيء داود بشرط أن يعمل على سحق الحركة الإسلامية، وبدأت الحركة الإسلامية تفكر ماذا تصنع إزاء داود؟

وقد قدر الله لي أن أكون على صلة حميمة بالأمين العام للحركة الإسلامية (المهندس حبيب الرحمن) الذي جمعتني وإياه عرى الأخوة الإسلامية وشائج الدعوة، بالإضافة إلى صداقة قوية بسبب كوننا الاثنين ندرس في معهد البوليتكنيك الذي افتتحته روسيا وبالله الروسية، وحبيب الرحمن هذا يعدد الشباب سيد قطب أفغانستان .

جاءني ذات يوم وقال لي: لا بد من العمل بين ضباط الجيش لعلمهم يحدثون أمرا تجاه داود الطاغية الجبار، وقال لي إن كثيرا من الضباط من بنجشير في الجيش، فأريد أن تعرفني على بعضهم، فعرفته على البعض، ومكثنا عدة أشهر ونحن الاثنين نتحرك بين الطيبين من أبناء الجيش، ثم جاءني ذات يوم وقال لي سأغيب فترة ثم أعود إليكم .

وفي هذه الاثناء خرج حكمتيار ودكتور عمر من السجن وكانا قد سجننا أيام الملك سنة ونصف السنة بسبب اتهامهما بقتل طالب شيوعي في الجامعة .

وهنا قاطعت مسعوداً قائلا : نحن نكتب تاريخ حركة إسلامية، وأنت مسؤول بين يدي الله عما نقول، فأعطني الصورة واضحة لك أم عليك، فقال مسعود: أرجو الله أن لا أزيد ولا أنقص عن الصورة التي في ذهني، وبدأ يرتب أبناء الحركة في طبقات وصفوف : قال : إن الصف الأول للحركة الإسلامية بدأ بالأساتذة: بروفيسور غلام محمد نيازي، رياني، سياف، رياني عطيش، مولوي حبيب الرحمن .

الصف الثاني : الطلاب البارزون الناضجون: عبدالرحيم نيازي، إنجنير حبيب الرحمن، حكمتيار، سيف الدين نصرت يار، د. عمر، عبدالقادر توانا، سيد تورالله عماد .

الصف الثالث: سيد عمر من كندز، شارقى استشهد في بيشاور، غلام حضرت، وسأكته عن صفه في الدعوة فقال: أنا دون هذه الصفوف .

مفتحة عليكم، والأضواء مسلطة عليكم، يريدون أن يروا النولة التي قامت على بحر من الدماء قوامه مليون ونصف المليون من الشهداء..

وكنت أثناء الطريق ألقى ببصري على المنحدرات السحيقة التي أقيمت الطريق على حافتها ، وأفكر في كيفية تردي السيارة فيما لو غفل السائق أو أصاب السيارة خلل ، وقبل أن نصل بقليل: قضى الله أن تعجز السيارة أن تجتاز مرتقعا، وتحت قمة المرتفع وقفت السيارة، وعادت أدراجها لا تلوي على شيء ، وما أوقفها إلا الاصطدام بالجبل، فنزل الأمير وعبدالله أنس وعادا قائلين: الحمد لله، لو رجعت السيارة نصف متر آخر لتردينا في هوة سحيقة لا تقل عن ثلاثمائة متر في الأودية الرهيبة .

ثم سألت عن بعض المسؤولين ساراتوال محمود ، وبسم الله ، أرينبور ، فقال : ساراتوال محمود : مسؤول بنجشير وعمره ستة وثلاثون عاما، وهو الأول على الجامعة كلها ، وقد وصفه كثير ممن خالطه بالودع والزهد، وإذا ذكر بالله ترى عينيه تفيض من الدمع، وإدارته لبنجشير ناجحة، وأما بسم الله: فهو يستطيع قيادة ثلاثة آلاف مجاهد ، وهو الآن نائب أمير پروان وكابيسا، وكان بسم الله مسؤولا عن خدمتنا في بارنده (ويازارك) ، وكان مثال الخلق الطيب والهمة العالية .

لقاء مع أحمد شاه مسعود

في العشرين من صفر سنة ١٤٠٩ هـ الأول من أكتوبر سنة ١٩٨٨ في أبرو - خانتقاء - فرخار وصلنا بعد منتصف الليل إلى أبرو فرخار، وكنا مجهدين ، وكان يرافقنا القائد محمد صديق جكري، والدكتور نجيب رئيس اللجنة السياسية، وعبد الله أنس ، وفي قرية لا تزيد عن عشر أسر تقريبا، وفي بيت تاج الدين حارسه الخاص الأمين منذ ثماني سنين والخازن لأوراق أحمد شاه كان المبيت .

وفي الصباح أفطرننا ثم جلست، وبدأت أتحدث مع مسعود وهو يجيئني بانفتاح، تحدث مسعود عن أحواله الخاصة ونشأته، فقال: اسمي أحمدشاه، وأما كلمة مسعود فقد أضيفت في مهجرتنا في بيشاور أيام داود إذ كان على كل واحد منا أن يختار اسما غير اسمه الحقيقي، فاخترت اسم مسعود، فصاروا يطلقون علي أحمد شاه مسعود .

أما والدي: فاسمه دكروال (الواء) نوبست محمد، وهو في السابعة والثمانين من عمره، معروف بصلاحه، وأعلم عنه منذ نعومة أظفاري محافظته على قيام الليل وصلاة الجماعة، ولا يزال على قيد الحياة .

أما والدتي : فقد توفيت أيام داود، إذ كنت قد غادرت بنجشير أيام مطاردة داود لنا، وعندما عدت إلى البيت رأيت جميع الأسرة ولكتي ما رأيت أُمي فأدركت أنها توفيت .

ولقد كان موقف أبي من الجهاد إيجابيا، وكان يحضني على الجهاد ضد داود، وهو الذي وضع صورة داود المظلمة في ذهني . وأما في أيام تراقي فقد كان يشرح لي بعض الخطط العسكرية ويوصيني باتخاذ التحصينات الدفاعية .

أما إخواني: فهم أربعة، ثم استدرك قائلا لا بل خمسة (أحمد ضياء ، أحمد ولي ، محمد يحيى (في بيشاور)، دين محمد وقد اختطفته حكومة كابل من بيشاور) .

قريتي اسمها جنكل، وتسكنها أربعون أسرة، وهي من أكثر قرى بنجشير ثقافة، وقد رأيتها -أعني نفسي- بنفسني مدمرة نهائيا، وعلى أبواب القرية وبينها وبين قرية مجاورة (مالاصبا) رأيت حوالي ثلاثمائة آلية مدمرة ما بين دبابة وآلية .

ومن المعلوم أن القائد مسلم من قرية أحمد شاه، وتعتبر قرية جنكل أكثر قرية خرجت من الشيوعيين، وكتب الله لي أن تكون هذه القرية مسقط رأسي، وكانت أسرتي مع ثلاث أسر أخرى هي التي تلتزم الإسلام وأما بقية السكان فهم يفخرون بشيوعيتهم. وفي هذه القرية نبتت كثير من رؤوس الشياطين وأتمة الكفر، ومنهم :

يونس أكبري يعمل الدكتوراه في الفيزياء الذرية وهو أستاذ في جامعة كابل ومعه الشهادة الحمراء في الفيزياء وهذه الشهادة لا تعطى إلا لكبار الشيوعيين .

وليونس هذا أشقاء كلهم من الكفار: فمن إخوانه من يحمل الماجستير من روسيا، وأخوه الثالث يحمل الدكتوراه من بريطانيا، والرابع من الشيوعيين في الجيش، والخامس خريج معهد البولتكنيك، وهو يعمل في بيشاور كحلقة الوصل بين الشيوعيين في بيشاور

شريفه وحديثنا عن فتح كندز ، وعن عارف خان (أمير كندز)، وأنه تلقى شريطاً من نجيب (رئيس أفغانستان) يقول له فيه: إنحن مستمعون أن نقدم لك ما تريد أن شئت ما لا أرمعطيك ملك كندز بشرط أن تدع هجومك علينا) .

وعلى الطريق التقيت « بكومندان مسلم » القائد المعروف الذي حطم مئات السيارات والدبابات والمدفعات، وهو في السادسة والعشرين من عمره تقريباً، وكم سمعت به من قبل وتمنيت أن أراه .

وقائم سيفي فيهم اندق نصله
وأعقاب رمحي فيهم حطم الصدر
سيزكرني قومي إذا جد جدهم
وفي الليلة الظلماء يفقد البدر

وعند دخولنا البيت في ورسج عرفني الشيخ ربانسي «بكومندان أحمد بانا»، وهذا من أكثر القادة الذين كان يهفو قنبي للقائهم، وقد رويت عنه كثيراً من الكرامات، وقد أرقق الدولة كثيراً، خاصة عندما كان في سالنج، فتلقي رسالة من نجيب رئيس أفغانستان (يطلب منه أن يخفف الضربات للقوافل المارة من دمر سالنج والتي تحمل الشحنات الغذائية، ومقابل ذلك ستقدم له الدولة ما يريد من مال) . أما الكرامات التي جرت على يدي بانا فسأقصها - إن شاء الله - .

«أصفر قائد» اسمه حبيب الله، ويحكم مديرية «دشت ارچي» مديرية في كندز قريبة من نهر جيحون، وقد قام بتحريرها وعمره واحد وعشرون عاماً .

«قاري رحمة الله» أمير كندز: والتقينا هذه الليلة مع قاري رحمة الله الذي حدث أن كندز كلها (بمديرياتها الخمسة وعلاقة داري واحدة) بيد المجاهدين، ولم يبق بيد الدولة سوى مدينة كندز رغم أن الموظفين لا يداومون في مكاتبهم، وقد أخذ المجاهدون كل ما في المكاتب والنواثر من سيارات وكراسي وأجهزة وأثاث وطعام .

الحديث عن جوزجان رسمنجان:

حدث الأستاذ رباني أن عملية كبيرة حصلت في جوزجان دمر فيها المجاهدون مائة آلية (ما بين دبابة وسيارة وناقلة)، وكانت متجهة إلى فارياب، وتغنم المجاهدون غنائم كثيرة منها جهاز لاسلكي ضخم ليس موجوداً عند الحكومة الأفغانية نفسها .

تحذير خطير من الشيخ رباني:

وقد حدث الأخ مسعود أن الدولة عرضت عليهم اقتسام السلطة في برون وكابيسا، وحدث قاري رحمة الله أن الدولة عرضت عليهم كذلك السلطة .

قال الشيخ رباني: هذه خدعة خطيرة يلجأ إليها الشيوعيون، وقد فعلها الروس فيما وراء النهر، واختاروا خيرة الشباب في «بخاري وخيو»، ولوهم الحكم، ثم اساءوا سمعتهم، واتهموهم باتهامات نشرها بين إخوانهم المجاهدين، فقام المجاهدون وقتلوا بأنفسهم هؤلاء الشباب الذين كانوا بالأمس قادة لهؤلاء المجاهدين .

من خاتمة إلى آبرو:

بعد العشاء جازني عبدالله أنس وقال: نريد التوجه إلى آبرو مع الأمير ومع د . نجيب وصديق جكري، فخرجت وركبنا سيارة جيب من سيارات الغنائم، وبدأت السيارة تشق بنا الطريق الذي شقه الأسرى مع الأهالي، ومن المعلوم أن كثيراً من الأعمال الشاقة يقوم بها الأسرى ، وهي في بعض منعطفاتها شاقة عليهم حتى على الماشي على قدميه .

وعلى الطريق سأل مسعود عن حكم الموسيقى العسكرية، فنكرت له الحديث: (ليكونن من أممي أقرام يستعملون الحر -الفرج- والحرير والمعازل والحرير البخاري. فقلت له: إن الآلات الموسيقية يتوابعها، وكل آلة ذات وتر محرمة، وقد أبيع الطبل في الحرب والعرس، ثم أردفت: إذا من الله عليكم بالحكم سيكون عندكم مجلس قضاء ومجلس إفتاء يفتي في كل المسائل التي تعترض سير الدولة الإسلامية. ونصيحتي: إن كل مسألة اشتبه فيها الأمر بالاحتياط أولى (إن الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام ..)، ومسناك قاعدية أصولية (الخروج من الخلاف أولى) .

وإذا قدر الله لكم أن تقيموا دولة إسلامية فيجب الاحتياط البالغ، ولا ترتكب شبهة إلا للضرورة ، عدا أن عيون العالم الإسلامي

عصاه ويسير معنا، وسلمنا على ملا ويود وسر معلم طارق وإكرام الدين ومجموعة كبيرة من القادة ، وكانت الرايات مرفوعة، والأقواس التي سطرت عليها عبارات التكريم والتحية، وصفوف المجاهدين التي تبعث العزة في أعماق النفس وتحيي الأمل، وبعد المجاهدين هنالك صفوف الأهالي الذين أنهلوا علينا كالسيل الدافق شبيبا وشبانا علماء وفلاحين ، وسارت أمامنا السيارة التي تحمل البوق الكبير الذي يهتف بالأناشيد، ويفرد بالأشعار الحماسية، وحاملات جنود المجاهدين تشق طريقها بصعوبة بالغة بين الناس الذين تعلقوا من كل حذب وصوب، ووصلنا المدرسة التي أقيم فيها الاحتفال، وألقى سيد أكبر (عالم مجاهد) كلمة ترحيب، ثم ألقى الأستاذ رباني كلمة ترحيبية، ثم ألقى كلمة قصيرة، وحضرت الصلاة، وخطب رباني الجمعة، وصلينا ثم تغدينا .

لقاء يوم الجمعة . ٣ سبتمبر مع عبدالحفي حقجو:

عبد الحفي قائد كبير من قادة الجمعية في بغلان، سألت بعض الأسئلة بعد الغداء فقلت له:

س ١: كم مجاهداً مسلحاً عندكم؟

فقال : سبعة آلاف.

س ٢ : ما هي الفتوحات الأخيرة التي قمتم بها؟

قال: فتحنا حوالي عشرة كيلومترات في منطقة «حسن تال» ، قرية من مدينة بغلان القديمة ، وكنا بصدد التخطيط لدخول بغلان القديمة، ثم جئنا هنا لاستقبالكم، وفي مدينة بلخمري (المدينة الصناعية:التسيج والاسمنت والسكر- من الشعبند-أي البنجر) في هذه المدينة استسلم سبعون بأسلحتهم .

س ٣: متى ترون فتح بغلان؟

إن بغلان مدينة اهتم بها الشيوعيون، وفيها قادة الروس والشيوعيين، ومنها يمر الطريق الوطني الواصل بين (حيرتان: الجسر الذي أقيم على نهر جيحون بين روسيا ومزار شريف) (وبين كابل، وحيرتان - مزار شريف - سمنجان - بلخمري - كابل)، والطريق الآخر (ميناء شبرغان - كندز - بغلان - كابل)ولذا لا بد أن يحافظ الروس على بغلان حتى آخر لحظة من أجل تأمين انسحابهم .

س ٤ : ما هي كلكي ؟ وكيف تفجرت ؟

كلكي : قاعدة كبيرة للروس، وتعتبر مخزناً من المخازن الكبرى للخبرة التي تعد بغلان وكندز، تخار ، بدخشان، فارياب، مزار شريف ، سمنجان ، أي كل جهة الشمال ، وأقام فيها الروس مصنعا للذخائر الثقيلة وقد اتصلنا بأحد الجنود الروس من تاجكستان (مسلم)، واتفقنا أن نهجم على القاعدة، وحددنا الليلة، وولنا إليه مهمة تفجير الذخيرة ثم الهرب إليها، وفي الليلة المحددة قمنا بمحاصرة القاعدة، وقام الأخ التاجكستاني بمهمته إلا أنه استشهد، وهرب الروس من مهاجمهم عراة، وقتل منهم حوالي ألف نفر، ودمر حوالي سبعائة وعشرون طناً من الذخائر .

س ٥: بلغنا أن الروس يبيعون الشيوعيين في هذه الايام؟

فقال: نعم اشترى قائد اسمه محمد صديق اثنين من كبار الشيوعيين سلمهم إياه الروس بأشئ عشر ألف روبية أفغانية ليقتلهم، فطم أهاليهم فاشترؤهم بنصف مليون أفغاني .

مساء الجمعة . ٣ سبتمبر في الطريق إلى خاتقاه (مركز ورسج):

وصلنا ليلاً، ودخلنا المدينة بين زغردة الرصاص والشهب المنيرة المتصاعدة من خلال رسام الرصاص، وكان أهل البلدة في استقبالنا، سرنا في موكب من السيارات والمصفحة أمامنا، وسيارة الإذاعة (الأهازيج والأناشيد) يتردد صداها، وأكثر نشيد تروده الله أكبر الله أكبر الله أكبر .

مادشعنان را سنكر بسنكر أي(نحن والعو خندق بخندق)

رانيم بيسرون از خاك كشمرد (وسنطهر ارض الوطن منهم)

وأمر ورسج هو أمير مجاهد شاب في العشرينات من عمره، وكان قائد السيارة ملا عبدالودود، ويسوق السيارة التي غنمها من طالبان، وكانت لقائد (الخاد)، وعبدالودود هو سيد قومه، وعلى الطريق حصل بعض التوقف، والتقيت بعباس الليبي قادماً من مزار

العمليات من قبل أحد الأطباء اسمه (سحر)، وقد جاءت بعد أربع سنوات من ابتداء الجهاد، ثم جاء بعض الأطباء الفرنسيين والغربيين.

سؤال كبير:

قال مسعود: لم يأتنا من العرب سوى طبيب واحد من السعودية د. أبو بشار، ولم نر غيره . ثم ألقى السؤال الكبير، أين أبناء الحركة الإسلامية من الأطباء والمهندسين والدعاة؟ فأجبت: إن الحركة الإسلامية كانت مقيدة خلال عشرين عاماً متواصلة، وقد خرج أبناءها من السجون، فوجئوا أسرا ممزقة، وأبناء ضائعين، وبنايتهم مشردات في الشوارع، لا يعرفون الإسلام ولا يلتزمون به، ووجئوا أنواجهم وقد أصبح بعضهم خادماً في البيوت، خرجوا وقد تراكت الديون التي اشترى بها الخبز للعائلة خلال عشرين عاماً، فكثير منهم بدأ يبحث عن وسيلة لسداد دينه، ففتح الله لهم أبواب النول البترولية، فخرجوا لسداد دينهم، وفي أذهانهم أن يجدوا ملجأً يجمعون فيه ما يسدون ديونهم، ومأوى يبتعدون فيه عن أعين المخابرات ويطش السلطة السياسية في بلادهم.

إلا أن الحياة قد تغيرت كثيراً عليهم في الجزيرة والخليج، فارتفع الراتب، وزادت الكماليات، ونعمت الحياة، وترهلت النفس مع الفراش الوثير والعيش الرغيد، وصار من الصعب عليه أن يعود إلى راتب ضئيل في بلده الأصيل إلا من رحم الله، زيادة على أن السجن الطويل أحال الأجساد إلى ركام من الحطام، بالإضافة إلى أن الضربات المتلاحقة جعلتهم في حذر شديد من التعامل مع السلاح، لأن السلاح هو الذي جر عليهم الضربات الوحشية التي تكال لظلائهم في كل مكان، وبتوصيات من النواثر الغربية التي ترتعد فرائصها من الإسلام المسلح.

قال مسعود: هؤلاء الإخوة في مصر، فأين الإخوان في سوريا والعراق، فقلت: إن عمليات الإبادة تلاحقهم في كل مكان، ولقد كانت عمليات السحق في العراق أشد منها في مصر.

قال مسعود: حركة إسلامية منتشرة في كل العالم هل تعجز عن توفير مجموعة من الأطباء دون العشرة ترسلهم إلى معركة استمرت عشر سنوات؟! وقد أخرجني هذا السؤال كثيراً فأجبت: أنهم مقصرون، ولكني استدركت: إن كثيراً من المسلمين لا يتعاونون مع الجهاد لسببين:

١- لأن صورة الجهاد غير واضحة في أذهانهم.

٢- بسبب الصورة المشوهة التي يأخذها الزائر لبشاور عن الجهاد.

فمثلاً أنا أعيش في ببشاور منذ سبع سنوات، ولم أعرف حقيقتك إلا منذ ثلاث سنين، لقد كنت أظنك غربياً بسبب الدعاية المغرضة المضادة لكم.

قال أرينبور: وهل يعفيكم هذا الظن من السؤال أمام الله يوم القيامة؟ أما كان بإمكانكم أن ترسلوا إلينا من يعرف حقيقتنا؟

الطريق إلى ورسج الجمعة ٣ سبتمبر:

بعد الفطور في وريغان وكان الفطور شهياً من العصافير والسماك انطلقت القافلة تنهّدي، وكل ركب جواده، وعلى حافة ذلك السد الرائع (حوض وريغان)، وكان بجانب سياف -مدير الاطلاعات في الجمعية-، وعلى الجانب الآخر التاجر سعد الدين هذا الذي كان له القدح المعلق في خدمتنا واستضافتنا، تراء رجلاً بديناً ذا قامّة تشامخة، لا يكمل عن الحركة والخدمة، يسأل عن أحوالنا باستمرار، فقلت له: أنت تخدم هذا الجهاد بنفسك ومالك وتذكرني بأخ لنا في عمان اسمه سعد الدين الزميلي الذي يخدم الدعوة بنفسه وماله.

وكان يحدث أن الثلج يتجمد في الشتاء فوق ماء السد (الحوض) فيكون طريقاً تسير عليه الدواب والبشر، وكان سياف يترجم

بيننا .

الوصول إلى ورسج:

وصلنا مشارف ورسج، وإذا بقيادة الشمال خاصة تخار قد انهالوا على ورسج لاستقبال الأستاذ رباني، وترجلت عن الحصان للسلام على القادة الذين اصطفوا بيزاتهم العسكرية ينتظرون القائد القادم، وسلمت عليهم، وكان أمير مجاهد (أمير تخار) يتكئ على

نتائج المعركة :

وبعد أيام ثلاثة كان الموت يخيم إبانها على كل نفس، وما ظنت مهجة أنها ستجتاز هذا المعبر إلا من خلال باب البرزخ، وكانت النتائج مذهلة تظهر لطف العلي الكبير بعباده المؤمنين .

سقوط ثماني طائرات هليكوبتر، وثلاث طائرات من الجت أسقطها كوماندان أمير (يتبع الاتحاد الإسلامي/سياف)، وقتل مائة وسبعين إلى مائتي روسي، وبتددة ما كانت الشحنة أن المجاهدين لم ينلهم أي أذى: «فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم» آل عمران ١٧٤. لم يجرح منهم أحد، ولم تسقط منهم شعرة «إن في ذلك لعلوة لأولي الأبصار».

هذا المجاهد في عرينه شمم وفي حمائله الصمصامة الذكر
هي نفرة كالتى من طابة حطمت هام الطاقة وبوى بعدها الظفر
تدافعت وحداها المجد واتزرت بالبيض تسبقها الخطية السمر

ليلة شديدة في غرفة خمس رؤوسنا سقفها:

وقضيناها ليلة نابغة. وانطلق مسعود مع صديق جكري وناما في العراء، وكانت شديدة البرودة، حتى لقد وصل أرينبور إلى أول قرية في درسيج (أصبغ) لا يستطيع الكلام لشدة البرودة التي تجرعا على طريقه في الليل .

وفي الصباح توضحنا بماء على سطحه الثلج، لا يمكن أن تتعدى حرارته الصفر المئوي ، ثم انطلقنا الساعة الخامسة صباحا بعد صلاة الفجر، وركبت حصانا مسرجاً لرجل اسمه «در محمد»، وصعدنا جبلا اسمه «زرد كوتل» : الجبل الأصفر، واستغرق صعوده ست ساعات، كان البرد شديدا رغم أن الشمس مشرقة، والسماء صافية لا ترى فيها قزعة، وانحدرتنا من قمة الجبل إلى الوادي، وتوضعت للظهر، ولا يعلم البرد الذي تجرعا مرارته في هذا اليوم إلا رب العالمين ، ونرجو الله أن نجده في صحائفنا يوم القيامة، كنت ألبس تحت ملابسى الخارجية ملابس داخلية ثقيلة (صوفية وقطنية)، وألبس الكفوف الجلدية المحشوة، واضطربنا لاجتياز النهر، وكنت أركب الحصان، وفي وسط النهر زلق حصاني وجثا على ركبتيه، وأدركت أنني غارق في النهر لا محالة، وكان الهم الكبير هو ابتلال ملابسى الذي سيحيلني إلى قالب من الثلج ولكن الله أعان الحصان ونهض ولم تبطل سوى قدمي .

ووصلنا أول درسيج (قرية اسمها : أصبغ) الساعة الخامسة مساء بعد اثنتي عشرة ساعة على ظهر الحصان، وما كدت أصدق أنني وصلت، وقد بلغ مني الجهد كل مبلغ . وأرجو الله عز وجل أن تكون ممن شملتهم الآية الكريمة برحمتها :

« ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطننا يغبظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون»

التوبة : ١٢ - ١٢٦.

وصلت المغرب والعشاء جمع تقديم، وألقيت بنفسى في الفراش وأنا أنتفض تعباً ويرداً ، وما استيقظت إلا عند طلوع الفجر .

يوم الجمعة ١٩ / صفر ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٠ سبتمبر ١٩٨٨ م

انطلقنا بعد صلاة الفجر من (أصبغ) إلى قرية ويغتان ، وهي قرية تتربع على قمة فوق حوض ويغتان، وهو عبارة عن سد طبيعي عمقه قرابة ثلاثمائة متر، ويسير الراكب على حافته الشاهقة نصف ساعة على حصانه، ويشكل الطرف الثاني من الحوض (السد) شلالا جميلا مرتفعا، وحذا لو استغل هذا السد لتوليد الكهرباء في المنطقة .

كان الفطور من السمك والعصافير ، وهي مما يصطاده المجاهدون من السد، وصيد العصافير منتشر في المنطقة . وعلى الفطور سألت مسعودا : أين كنتم تنقلون المجاهدين الجرحى؟ فقال: لقد كانت المستشفيات عبارة عن خيمة أو مغارة، وكانت تجرى لهم

يطمئن الناس أن مسعوداً يشاركهم مصيرهم حتى الموت :

فإن عشت فالطعن الذي يعرفونه وتلك القنا والبيض والضمير الشقر
وإن مت فالإنسان لابد ميت وإن طالت الأيام وانفسح العمر

المعركة المذهلة (شوال سنة ١٤٠٦ هـ) :

وجاء يوم المعركة: وأبدأ القصف الجنوبي المدمر، وكانت الأوامر قد وجهت إلى مسلم وسيد يحيى أن لا يطلقوا طلقة واحدة على الطائرات حتى لا تكتشف المكان بالضبط.

واستمرت الحمم التي تمطرها السماء خمسة عشر يوماً، ولم تخرج طلقة واحدة عليها، فاطمأنت الطائرات أنه ليس في المنطقة مقاومة، وفي صبيحة اليوم السادس عشر في الساعة الخامسة وعشر دقائق حلت طائرتا هليكوبتر، فقال مسعود لعبدالله أنس : هاتان الطائرتان طليعتا الإنزال ، واليوم سيحصل الإنزال والوقت يتراوح بين نصف ساعة والساعة .

وفعلاً حصل كما توقع، وبعد أربعين دقيقة جاءت خمس وأربعون طائرة (طائرة مقابل كل مجاهد)، وبدأت الطائرات تهبط تدريجياً، واتصل القائدان بمسعود يستأذنان بالرمية فأجاب بالنفي، واقتربت الطائرات من رأس الجبل، وفتحت أبواب الطائرات ، وحتى الآن لم يصدر الأمر بإطلاق النار ثم بدأ الكوماندوز بالنزول، وهنا صدر الأمر بالرمية.

وانطلقت قذائف (RPG7) -والحمد لله- وخلال الدقائق العشر الأولى وإذا بأربع طائرات تثهب بالقذائف الصاروخية الموجهة إليها .

واتصل الضابط عبدالله باللاسلكي بمسعود قائلاً: أمامي كافر مقطوع الرجل وبجانبه حقيبة ملقاة، لأمره مسعود أن يزحف للحصول على الحقيبة، وزحف عبدالله وحمل الحقيبة وأتى بها مسعوداً، ففتحها وإذا بخطة المعركة مفصلة فيها، فحامل الحقيبة هو قائد المعركة، ولقد تجلّى فضل الله في الدقائق العشر الأولى للمعركة :

١- أن كشفت الخطة .

٢- وقتل قائد المعركة.

٣- وسقطت أربع طائرات.

وبعد أن سقطت الطائرات الأربع وسقط في أيدي الكفار أن اكتشفوا أن المنطقة محصنة وليست خالية من المجاهدين، فعادت جميع الطائرات من حيث أتت .

واتصل مسعود بالمجاهدين وأخبرهم أن لا يغادروا أماكنهم لأن المعركة لم تنته بعد . وفعلوا وبعد قليل عادت ثلاثمائة طائرة، وحتى الآن لا يعلم سر عودتها دون أن تقصف . وبعد قرابة ساعة أو ساعتين عادت إحدى وأربعون طائرة وواصلت القتال . واستمر القتال ثلاثة أيام، وكل مجاهد يقابل طائرة، والحرب ضروس وجها لوجه، الرشاشات مفتوحة من الطائرات، والمجاهدون يواجهون الطائرات وجها لوجه، ومع ذلك يغالبون الجوع والكرى والجهد.

البطون الخاوية:

بقي المجاهدون يومين دون أن يصلهم طعام :

فأثماً حتى ترتوي البيض والقنا وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر

ونزل الكوماندوز في رؤوس الجبال المحيطة، وصاروا يتقدمون نحو المجاهدين، وطائرات الجت(التفاعة) والهليكوبتر تمطرهم حمماً لا تكاد تنقطع ، والأحشاء تتلوى من الغاقة :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب » البقرة : ٢١٤.

سنة أشهر من المقابلات مع القادة :

واستقر مسعود في شيرا بين الجبال، وحفر مغارة وأقام فيها، ثم بدأ يرسل إلى القادة الواحد تلو الآخر، ويشرح لهم خطته في القتال، واستراتيجيته، وكان يركز كثيرا على تحصين جبال الهندكوش، وبدأ يضم القادة الواحد تلو الآخر، وبدأ بقيادة الجمعية، ثم بالقادة الذين يلمس فيهم القرب منه والافتناع بما يقول .

الحادثة التي كشفت عن وجوده :

لقد استطاع مسعود أن يوفق خلال فترة وجيزة، وأن يؤلف بين كثير من القادة - بإذن الله -، ورتب لأول مرة عملية مشتركة في « قندز » على طول الخط الوطني القادم من روسيا عبر حيرتان وعلى المطار وعلى أماكن أخرى، اشتركت فيها جميع الأحزاب الجهادية في كندز .

وذهلت روسيا إذ ترى كندز تشتعل كلها نارا في ليلة واحدة، وتلتقي في العملية كل القوى الجهادية ، وتبادر إلى ذهنها أن السبب لا يمكن أن يكون طفرة ولا صدفة ولا اعتباطا . لابد أن تكون هناك يد منسقة لهذه القوى ، ولا يستطيع أن يفعل هذا سوى مسعود، إذن فلا بد أن يكون مسعود في المنطقة، واشتد البحث، وتكاثرت عيون الجواسيس، وأمسك (مسعود) أكثر من مرة بعضهم .

ثلاثة أسئلة :

وذات يوم دخل عليه أحد العيون الذين يعملون لحسابه في داخل الـ (K.G.B)، ويأمره بالقول : لقد طرح علي الروس ثلاثة أسئلة يريدون منك الإجابة عليها :

١- من هو مستشارك العسكري؟

٢- أين كنت في هذه الفترة ؟

٣- هل قابلت ريفان؟ وما نوع السلاح الذي أعطاكه ؟

فأجاب مبتسما : أما مستشاري فهو هذا، وأشار إلى عبدالله أنس الذي كان بجواره .

وأما أمريكا : فهي هذه وأشار إلى قرية انجلستان .

واشتد كلب أجهزة الأمن على البحث، وصارت الطائرات الكاشفة تبحث في كل مكان، ويعد جهد حثيث للطائرات مكانه .

القرار :

وجاء تقرير من كابل يخبره أن روسيا قررت ضرب مقرك خيرية قاضية، ولم يكن لديه سوى خمسة وأربعين رجلا (في مجموعتين) : المجموعة الأولى (القطاع المركزي الأول) ويقوده سيد يحيى والمجموعة الثانية (القطاع المركزي الثاني) ويقوده قومندان مسلم، ولم يكن لديهم سوى سلاح ثقيل واحد (زيكويك)، ومجموعة من (R.P.J7) وأسلحتهم الفردية ، وكان اتخاذ القرار بالنسبة له ولجأهديه صعبا :

١- إما الانسحاب: وهنا تتحقق الإشاعات التي كانت تروج في المنطقة أن مسعودا قادم ليخرب المنطقة ثم يغادرها قاعا صغصفا أو قفرا بلقعا، وهذه الدعاية قد ركز عليها كثيرا ليحال بين القادة في هذه الأرجاء وبين الدخول في التنظيم، وألقيت الخطب في المساجد حول هذا الموضوع، ووزعت المنشورات تحذر من احتضان مسعود أو قبوله في المنطقة.

ولقد كان الجبل الأشم الذي احتمل تكاليف الإيواء والاحتضان والإجارة هو (سر معلم طارق)، ولقد كان كفاية الله قبلها بعام تقريبا قد شهد له عندما سأله عنه فأجاب بلهجة الواثق المطمئن : طارق بطل.

قال كفاية الله : سجل هذا عني وإذا رأيت سوى ذلك بعد خمسين سنة فانسقط شهادتي. ولقد قلت هذا لمسعود آدم طارق، وأردفت قائلا: شهد له يحيى بن معين !، (وإبن معين : هو العالم المحدث الثبت الثقة في الجرح والتعديل).

والعلاق الثاني الذي تحمل التكاليف هو إكرام الدين وكل منهما الآن أمير في مديرية من اشكماش .

٢- أو الثبات في المكان: وهنا تتعرض الصفوة التي تحيط بمسعود للإبادة أو الأسر. وكان لابد من هذا الاختيار الثاني حتى

روسيا وعصية محاولة استنقاذ الأسرى:

كانت المحادثات جارية بين كارمل وبين مسعود من أجل مبادلة الأسرى، وقد خرجت نساء الضباط في كابل بمظاهرة ضد كارمل والشيوعيين في كابل يعبرنهم بالجبن والخور والضعف :

أرانب غير أنهم ملوك مفتحة عيونهم نيام

واتصل كارمل بمسعود، وبدأت المحادثات، وهنا تدخلت روسيا حتى لا يتم إخراج الضباط، لأن روسيا كانت حريصة أن تزرع في قلوبهم حقيقة أن المجاهدين يقتلون كل ضابط شيوعي يأسرونه، حتى لا تسول لهم نفوسهم الاستسلام للمجاهدين طمعا في النجاة وأملًا في الحياة .

والسبب الثاني : أن روسيا استميت على كبريائها أن تلتزم من مسعود مبادلة الأسرى، فلجأت إلى محاولة إنقاذهم بالقوة.

في مكني :

كان الضباط الأسرى سجناء في (مكني) قرب (سفيد شير)، وكان أخوان عربيان (أبو عاصم وأبو بكر) من بين الحرس على هؤلاء الضباط، وذات يوم وإذا بمجموعات من الطائرات تحط قبل طلوع الشمس، ثم نزلت مجموعتان بعد طلوع الشمس وأنزلت حوالي ثلاثة آلاف من الكوماندوز:

وتلك بنشير الاسود وبرزها سلب النفوس ونار حرب توقد

وهواجل وصواهل ومناصل ونوابل وتوعد وتهدد (١)

فكان الأمر الأول من مسعود: اقتلوا الضباط ، قال أبو بكر : وبدأنا نلقي القنابل من النوافذ على الضباط الأسرى، وبدأ الجرحى يتساقطون، وصار الضباط يصيحون : نحن رفاتكم، وقد ظنوا أن الشيوعيين والروس قد وصلوا لإنقاذهم ، وصار الضباط الجريح منهم والسليم يخرجون من المغارة ونحن نرشهم حتى أبدناهم جميعا .:

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم معمرة فكانهم لم يسلبوا

ودارت رحى المعركة بين الروس والمجاهدين، والروس في حالة استعداد وتأهب، ويطلقون من قعة الجبل، والمجاهدون في الوادي، واحتدم القتال ، وتساقط الروس وأخذ النهر قتلاهم، وعلى حافته ترى الجثث المترامية كانهم حمر مية. قال عمر شير دل: لقد وصلت «مكني» بعد المعركة بثلاثة أيام، وشرينا من الوادي، وإذا بماء النهر قد أمتن، وتعجبنا، وطفقنا نبحث عن السبب، وإذا بالجثث على مقربة منا قد تعفنت في النهر، وبدأت عفوية مائه تتحول إلى رائحة كريهة. ولم يفقد المجاهدون أي فرد من أفرادهم، ولم يستشهد منهم أحد.

في شيرا - صيف ١٩٨٥م:

لقد أن لمسعود أن يترك بنجشير للقائد الذي عرفه الوادي بذكائه وأدبه والتزامه الاسلامي، واشتهر برقته وكثرة بكاائه عند سماع أي الذكر الحكيم ، فاطمأنت نفس مسعود أن بإمكانه أن يترك الوادي لرجل يقوم مقامه إذا احتدمت ونزل روع الحادث الجلل، فودع الوادي تاركا سارنوال محمود ثانيا له في الوادي، وتوجه نحو الشمال، وحل في قرية لا تصل بيوتها إلى العشرة بين جبال شاهقة، واسم القرية (إنجلستان)، ويجانبها واد يسمى(خيلي آب:الماء الكثير)، واستقر هناك في منطقة شيرا مع أربعين من خيار المجاهدين الذين عاشوا أيام المحن، واجتازوا شدائدھا، وقد خرجوا منها أصفى نفوسا، وأصلب عودا، وأشد مراسا. لقد خرج لينقل التنظيم والاستراتيجية الجهادية إلى الشمال .

الإعلان العام:

وأعلن مسعود أنه خارج إلى باكستان، وطلقت المخابرات الروسية (K. G. B) تبحث عنه في كل حذب وصوب في المدن الباكستانية، وبعد شهرين من البحث المضني عادت المخابرات تقدم تقريرها بالياس التام من العثور عليه، ثم انطلقت المخابرات في داخل أفغانستان، وحامت في رؤوسهم الظنون: أن مسعوداً قد سافر إلى أمريكا لمقابلة ريغان .

(١) الهواجل : النوق ... الصواهل : الغيل ... مناصل : السيف ... القوابل : الرماح

لتفصيل، وقد أفادتنا الاستطلاعات كثيرا أثناء المعركة، ولا زال هذا الأمر يشكل عمود الأساس وركن الأركان في الجهاد .

٢- انقاذ شعب بكامله - بنجشير - نون أن يمسه الروس بسوء ، وطاعتهم في ساعة العسرة دون تخلف .

٣- سحب المجاهدين من الجبهات بأسلحتهم وكيفية توفير الطعام لهم أثناء التنقلات .

٤- إعادة المجاهدين مرة أخرى إلى جبهاتهم .

٥- المسائل الأخلاقية، الإشاعات التي بثت من جانب المسلمين ومن جانب الروس، وكيفية مواجهة المجاهدين لها وتخطيهم عقابيلها .

قال مسعود: ثم رجعنا إلى بنجشير، وعقدنا مجلسا مع قادة المراكز الذين ظلوا في الوادي والذين دخلوا من جديد ، وتشاورنا نيم نصنع ، ما كنا نعرف الأسلوب الذي تتبعه في الهجوم عليهم، ووصلنا أخيرا إلى رأيين :

أ- الهجوم الجماعي على العدو .

ب - نوزع المجاهدين على شكل فئات في رؤوس الجبال ومداخل الوديان.

وقسمنا المنطقة بينهم، ورجحنا الرأي الثاني (توزيع المجاهدين على شكل فئات)، وهذا الأمر يضعنا أمام مشاكل كثيرة :

١- كثرة المطابخ.

٢- توزيع الأسلحة الثقيلة على كل المراكز.

وبدأ المجاهدون يهاجمون الروس في كل نقاط بنجشير . مثلا : فئة من المجاهدين يرون حانة من الروس في مكان فيتبعونهم، حتى إذا جلسوا للطعام هجم المجاهدون وقتلوا من قتلوا، وغنموا ما غنموا ثم هربوا، وهذا أرهق الروس كثيرا، وهنا فكر الروس بـ

١- حرب الاستنزاف:

إرسال الطائرات للاستكشاف، ثم إنزال الصاعقة تحاصر فئات المجاهدين، حتى حصل ذات مرة أن حاصر الروس خمسة من المجاهدين، واشتعلت المعركة، ثم تعب الطرفان وانسحبا .

٢- حرب الاستحكامات والخنادق:

ثم لجأ الروس إلى حرب الاستحكامات والخنادق: فأحاطوا مراكزهم بالخنادق، ثم بالأسلاك الشائكة، ثم حقول الألغام، وفي داخل الخنادق الأسلحة الثقيلة المصوية قبل المجاهدين، فبدأنا نشق طريقنا نحوهم بالطوربيد بنجالور (نوع من المتفجرات لفتح الطرق في حقول الألغام).

مركز ثم دبابات ثم خنادق ثم أسلاك شائكة ثم حقول ألغام، وكان لهم ستة مراكز (بشغور ، بهارك ، تنبه ، رخا ، رحمن خيل . أعنابه).

التغلب على حقول الألغام :

ليس عندنا تصور في كيفية الدخول إلى المراكز ، كانت معنويات المجاهدين متدهورة، لأن العدو متمركز في كل الوادي، فلا بد من اقتحام مراكز الروس لرفع المعنويات، ويث الحماس في نفوس المجاهدين، ولم يكن عندنا خبرة بأنواع الألغام وكيفية مواجهتها (صوتية، أو ضغطية، أو سلكية).

١- فكنا في البداية نأتي بحبل ونربط به كلابا، ونرمي الحبل ثم نسحبه، فقد يتفجر اللغم، ويعدو يمشون إلى المركز.

٢- طوربيد بنجالور (التفجير بهذه الطريقة).

ولذا اضطررنا أن نقتحم (بشغور) بثلاثة وخمسين مجاهدا، وأسروا أربعمئة أسير، ومن بينهم خمسة وثمانون ضابطا، من بينهم أحمد الدين الذي قتله المجاهدون، ونكست كابل أعلامها عدة أيام على قتله:

فإن المنايا والصوارم والقنا أقاربهم في البأس دون الأقارب

على شيء ، وطلق جنرال روسي يبحث عن محيص ولات وقت نجاة، ولكن أنى له؟ فلم يجد مهرباً إلا أن يلقي بنفسه في النهر حيث يلقى حتفه ، وفي اليوم التالي جاءت السيارات التي تحمل الأعلام السوداء رمز الحداد، وثقلت الجثث التي غصت بها أرض القاعة من الروس والشيوخ.

تخصي لا نفسي

وحدثنا في هذه الليلة كراييك (قراييك) -أحد المجاهدين والقادة المعروفين من بنجشير - قصة أحمد بيك فايز التي اشتهرت على كل لسان في بنجشير .

قصة أحمد بيك فايز:

قال عبدالله أنس: لقد سمعت القصة من أحمد بيك فايز نفسه ، قال أحمد: جرحت في معركة حصارك سنة ١٩٨٤م، فجاء أهلي وحملوني على سرير دبطوني، وكانت إصابتي بالغة في رجلي ولا أستطيع الحركة ، وبعد أن حملوني رأنا الروس فاطلقوا علينا النار، فوقعت ووقع الأربعة الذين يحملونني، ثم جاء الروس وأجهزوا على الأربعة، وجاءوا إلي ورشوني بأسلحتهم وظنوا أنني ميت كذلك، ثم تولوا مدبرين .

وبعد نصف ساعة وجدت نفسي مطولاً من الرباط، وقد كنت على حافة النهر، ولا بد لي أن أُنقل إلى الناحية الثانية، وأنى لي بهذا وأنا إلى الموت أقرب مني إلى الحياة؟ وسبحان ربي! لقد ذهلت أن وجدت نفسي على الحافة الأخرى للنهر. وبدأت أزحف كالسلحفاة أو أبطأ، وكان إذا عضني الجوع بقاءه نمت، فإذا استيقظت وجدت بقايا الطعام في فمي ، وبعد عدة أيام قابلني نهر آخر فنمت، فوجدت نفسي على الحافة الأخرى من النهر .

وبعد أحد عشر يوماً وجدت ثلاث حبات من الزبيب فأكلتها، وبعد ثلاثة عشر يوماً رأيت داراً فدخلتها، فوجدتها مهجورة ليس فيها أحد من سكانها - لا سكن ولا متاع ولا أنيس -، إلا أنني وجدت فيها كيساً من اللبن الرائب فشربت منه . وفي نفس اليوم جاء المجاهدون فدخلوا هذه الدار المهجورة، فأرهبهم رؤية إنسان ملطخ بالدماء، فهربوا خوفاً، فناديتهم فدخلوا وعرفوني وعرفوا قصتي التي تشبه الأحلام وهي إلى الخيال الأسطوري أقرب منها إلى الحقيقة . قال عبدالله أنس: وأحمد بيك الآن معافى وبين صفوف المجاهدين .

وقال أحمد : كلما حدثت بهذه القصة جاني هاتف في منامي يقول لي : هذه القصة سر فلا تحدث بها .

قصة أخرى عن محمد إبراهيم حدثها قراييك أمامي :

محمد إبراهيم ابن أحد العلماء المعروفين، وقد خطب والده قبل صلاة الجمعة بنا في رخا، ومحمد إبراهيم أحد المجاهدين المعروفين، وقد جرح في إحدى المعارك. وكان جرحه مقعداً عميقاً، ولم يستطع الحركة، وكانت القوة الروسية قد أغارت على المنطقة وجرح أثناء المعركة ، ولم يستطع أحد أن يتحرك بسبب الدبابات التي تحتل المنطقة ، وتفقد جيوبه فلم يجد إلا قليلاً من السويق (التوت المخلوط بالطحين ويعملونه قطعاً على شكل الكعك) وكانت معه قطعة صغيرة جداً فأكلها، ولكن لا بد له من الماء ، ولكنه لا يستطيع حراكاً، ثم سمع خريراً لماء قريباً منه بين الحجارة، فأخذ تكة سرواله وربط بطرفها حجراً ثم رماه نحو ما يسمع من الخرير، وبدأ يمس طرف التكة الآخر(وكأنه يشرب بقصبة قنينة من البيبسي)، وهكذا كلما عطش لجأ إلى نفس الطريقة .

بقي محمد إبراهيم (٢٥) يوماً يعيش جريحاً بين جموع الدبابات المسيطرة التي يبعث منظرها شبح الرعب في المنطقة، فيخيم الخوف على النفوس، وبعد أن انسحبت الدبابات جاء المجاهدون وأخذوا محمداً الذي بقي تفسيراً عملياً لقوله تعالى: «وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتاباً مؤجلاً ومن يرد ثواب الدنيا تؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة تؤته منها ومستجزي الشاكرين» آل عمران: ١٤٥.

دروس وعبر (نتائج) معركة ١٩٨٤م:

١- أهمية الاستطلاعات ونوعها في صفوف العدو، وهذا موضوع جدي مهم في حرب العصابات، ويحتاج الأمر إلى شيء من

عشرين مليون روبية باكستانية (ومايساوي مليون دولار) قد اقترضتها لشراء طعام للمجاهدين .
ودعنا نستمتع بالنشيد لهذا القائد المظفر :

أيا مهرا يجيد العسر لم يشمت به الكل
ونعقد عزة رغم اشتداد الموج ينتقل
ر في شدة الدق يسطع حين ينتقل

معركة ٢٢ / نيسان ١٩٨٤ (الهجوم التاسع) :

قال أحمد شاه مسعود في الطريق إلى درسيج يوم ٢٨/سبتمبر /١٩٨٨ - ١٧/صفر/١٤٠٩هـ قال: تركنا بنجشير وتوزعتا
خمس مجموعات: في خوست فرنج، كوهستان ، أندراب ، سالنج ، نجراب، وكثت في مجموعة خوست ، ودخل الروس، وكنا قد تركنا
فيها أربعة قادة معروفين:

١- يعقوب في داري هزارا . ٢- بهلول في فراج .

٣- ميرزا في أشابه . ٤- عبدالحكيم في زمن كور.

أما يعقوب : فقد كان في داري هزارا، فدخلها الروس وظنوها فارغة، وتركهم يعقوب يدخلون، وبعد أن دخلوا شن عليهم معركة
شديدة، فقتل وجرح منهم حوالي ثلاثمائة وخمسين، وأخذ يجمع الغنائم، فجمع ثمانين كلاشنكوف وكلاكوف ، وقد كتب الله أن يكون
أحد الأسلحة فيها طلقة فأصابته إصبع مجاهد الزناد فانطلقت الرصاصة فأصابته يعقوب واستشهد، فاستلم القيادة بعده مساعده،
يوصل المعركة بالإجهاد على الجرحى، فاطلق عليه روسي من الجرحى رصاصة فأردته قتيلًا .

وإني لجرار لكل كتيبة معودة ألا يخل بها النصر
وإني لنزال بكل مخوفة كثير إلى نزالها النظر الشمر

أما بهلول / فراج: فأراد المجاهدون أن ينسحبوا فرفض حتى يضرب ضربة شديدة، فقتل منهم عدا، وغنم ثلاثة عشر كلاكوف
وبيكا .

أما ميرزا : فقد كان في مركز «أشابه» ، فكان طابور الروس يمر، فيغير عليهم ويقتل، ثم يختبئ المجاهدون في سفح الجبل
بين الحجارة والصخور، فيأتي طابور آخر فوق رأس الجبل، ويفزل ميرزا إلى الوادي ويزرعه بالألغام، وهكذا دواليك، فيأتيه مجموعة
من المجاهدين يخبرونه أن مجموعة من الضباط والمستشارين الروس في مكان فيهم عليهم مع مجموعة ويفتحون عليهم نيران
رشاشاتهم، ويعقب ميرزا (الآن شفيت صدور القوم المؤمنين) .

معجزة الكفار في «ماله» مقابل رحمن خيل:

وفي هذه الفترة الحرجة التي امتدت من أبريل إلى سبتمبر سنة ١٩٨٤لقي الإخوة المجاهدون من العناء والضئك والمشقة ما لا ي
تحمله إلا أقدام البشر، ولقد مرت عليهم أيام عجاف كالحة ، مكشرة عن أنيابها ، وكانت العمليات العسكرية تتسم بالجرأة والمواجهة
والاشتباك من الجانبين ، نعم لقد تكبد الروس خسائر فادحة في الأنفس والمعدات، إلا أن المجاهدين في المقابل فقتلوا كثيرا من
الأنفس والأرجل بسبب الألغام، إلا أن هذه الفترة تبقى لحنا عذبا يتردد على ألسنة المجاهدين، ولو نطقت لغنت :

سأبقى في جبين الصبر وشما ليس ينتقل

وقد كانت المواقف المشرفة التي خاضها المجاهدون معارك حية رمزا رفيعا للتضحيات الرائعة والبطولات الفريدة ، ومن هذه
لمعارك معركة (ماله) التي تتلخص أحداثها :

إن الكفار قد اجتمعوا في أحد أعيادهم في (ماله)، ودعوا كبار القوم من كابل - من الروس والمرتدين الأفغان- ليشاركوم
لاحتفال بهذا اليوم، فتسألوا فيما بينهم عن وجود المجاهدين، قال قائل منهم: لم يبق في هذه المنطقة إنس، إذ أنهم غادروها إلى
ندراب، وأطمأنت النفوس، وتوافد القوم إلى مجلس الراح ودارت الأدنان الطافحة بالدماء، وغاب القوم عن وعيهم ، وكان لهم بالمرصاد
ستون من المجاهدين يرتقبونهم عن كثب، وجاءت ساعة الصفر، وانطلقت الصقور تعمل أسلحتها في السكاري ، وفر القوم لا يلوون

ومكذا برالك . وهذه الاخبار والاحداث تكررت في عشرات المواقف والامكنة وتصور مجاهدا حافيا جاثعا يلاحقه الروس والافغاني .

خمسة أشهر وهذه حالنا:

الطيران يبقى يوميا من الصباح إلى المساء ، تخرج من بگرام وكابل (خوجا رواش) ومن روسيا نفسها، ومن كلتي، فعند تمر الطائرات صباحا فوق پروان يبكي الناس حزنا على أهل بنجشير، نزول الصاعقة في كل مكان على بنجشير خاصة .

قني الشهادة :

وهنا تمنيت الشهادة، لأن نفسي لم تعد تحتل هذه المصائب.

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا
تمنيتهما لما تمنيت أن أرى صديقا فأعيا أو عدوا مداجيا

ثلاثة أشهر نأكل الفول المسلوق :

وقد مكثنا ثلاثة أشهر في هذه الظروف العصيبة لا نأكل إلا الفول المسلوق ، قال لي مسعود: لقد تمنيت الشهادة أكثر من مائة مرة وأنا أواجه هذه الصعوبات التي لا قبل لي بحلها ، قضية الجوع ، المعارك التي لا تكف ليلاً ونهاراً :

إن الرزايا والعطايا والقنا حلقاء جندك غمروا أو أنجدوا

الإخوة المجاهدون الذين طحنوا أمام هذه المصائب والمشاكل :

واظمأ حتى ترتوي البيض والقنا وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر

الدعايات التي لا تكف عنا! أننا نتبع الغرب أو أمريكا حتى لا يراف بنا قلب، ولا يحزن علينا فؤاد، بل بعضهم يتهمنا أننا تابعون للشيوعية الصينية، وأنا -عبد الله^(١)- أقول: أذكر أنني تلقيت مكالمات هاتفية أثناء الهجوم التاسع من الأخ أبي الجود قال لي : إن هناك هجوما شرسا قد وقع على الأخ مسعود في بنجشير، فلولا أرسلنا إليه بعض المساعدات، فقلت له: أهو تابع للاتحاد أم لا؟ لماذا لا يعلن صراحة انضمامه للاتحاد ؟ ثم أغلقت التلفون في وجهه .

وانصل بي الأخ معن أبو نوار من أمريكا وكان يدرس هناك آنذاك يقول لي: إن الصحف الأمريكية كتبت(هزم الدب الأسود)، وتصف معارك بنجشير، فقلت له: إن صحف الغرب وأمريكا تريد أن تنتفخ الرجل وتصنع منه بطلا أمام العالم .

هكذا كانت الصورة في أنفانتا عن هذا البطل المجاهد، وقد كنا نعيش في بيشاور في دوامة عجيبة بسبب الأخبار التي تبث ضد أمثال هذا القائد ، ولكننا الآن نردد مع يوسف أبي هلاله :

لنا اسمع أن تقبل في يدك السيف يسا بطل
ونمسح عن خذائك ما عليها بطرح السفلى

تعقيب :

ثم عقب مسعود قائلا: يأتي الناس اليوم إلى بنجشير فيفغرون أفواههم عجبا لأكرام الحديد من الآليات المدمرة، ولكنهم لا يسألون كم كلفت هذه الآليات من الأقدام المقطعة بالأفغام؟ وكم خلفت وراءها من اليتامى والأيام؟ وكم بذل في مواجهتها من دماء؟ وما سقط (مقابلها) من رؤوس الأخيار.

لقد جاعني امرأة لها سبع بنات ، استشهد أبناؤها كلهم في الجهاد، ولم يخلفوا وراءهم محرما للعائلة، فقالت: اتق الله فينا، لقد مر علينا يومان ونحن نجمع قتات الجيران من الخبز نقات به.

وجاعني رجل اسمه (معراج الدين) فقال: إن ما أصابنا من دمار وما لحق بنا من عذاب وخراب بسبب جهادكم، فأعطني مائة ألف أفغاني أريد أن أغادر بنجشير، فبحثت له فلم أجد سوى عشرين ألف أفغاني (ألفي روبية باكستانية) فأعطيته إياها .

يقول مسعود: والناس لازالوا يتهموننا بالعمالة، والله يعلم أن علي دينا يساوي (مائتي مليون روبية أفغانية) أي ما يعادل

(١) الشيخ.

- ١- لقد قتل المئات من الكوماندوز، وتفجرت مجموعات من الدبابات بالآفام .
- ٢- المعارك التي فتحناها على الروس في أماكن كثيرة وكبدت خسائر ضخمة .

المشاكل التي اعترضتنا:

١-القادة المفسدون:

أ-شمس الدين يتعرد: من جبل سراج / بروان من الجمعية، فأخذ يحرض الناس ضد مسعود وضد بنجشير، وقال: إن ما تعرض له قرانا الآن بسبب بنجشير، وكان شمس الدين محيطة نفسه بمجموعة من المفسدين، وكنا نحاول أن نطهر مركزه من هؤلاء المفسدين، ويرفض أن يخضع للمراقبة والمحاسبة المالية.

ب- وكذلك قائد آخر اسمه شير في بروان مثل شمس الدين .

٢- في نهرين : أرسلنا سرية إلى نهرين لمهاجمة القوة هناك، فاتفقت ضدهم جميع الأحزاب بما فيهم الجمعية.

٣- في بروان : وأجهتا هجوما شديدا .

٤- الهجوم على قواتنا في غوربند .

٥- الهجوم على قواتنا في أندراب من قبل جمعة خان .

٦- الطائرات توزع منشورات تحذر من إيواء البنجشيريين في بروان وكابيسا وبغلان .

٧- الطائرات تقصف تجمعات المجاهدين البنجشيريين، والناس (الأهالي) يأتون من كل مكان يقولون : يا أصحاب القيعات خرجوا من ديارنا لأنكم سبب تدمير قرانا ويموت بسببكم أطفالنا .

٨- وصول رسالة (باللاسلكي) من سالنج ومن نهرين ومن كل جهة يشكو فيها المجاهدون سوء أحوالهم وقلة الغذاء عندهم .

٩-أشاعت الحكومة قتل مسعود .

الصاعقة الروسية تحاصر «خوست /فرنك» للقبض علي حيا ، وكان مسعود فيها مع أربعمائة من المجاهدين ، وأما أنا فقد انسحبت إلى إشكمش للقت نظر الحكومة إلى إشكمش ، فيقوموا بضربها ، ثم انسحب بعدها إلى مكان آخر لتبديد نفسي والتفكير في المعركة .

قتل الروس ستين من «خوست / بغلان »، ولم تكن هناك مقاومة للروس، فتحركت من إشكمش إلى خوست للمقاومة، فعندما وصلت كان الروس قد انسحبوا .

١٠- بعد إشاعة استشهادي هبطت الروح المعنوية لقادة الجمعية، فانضم بعضهم إلى الحزب، وآخرون إلى الحركة، وفريق ثالث استسلم للدولة .

لم يبق حولي سوى بعض الاصدقاء من المتقنين وهم ياكلون لحمي لوما وعتبا .

ليس عندي ثمن الطعام، أرسل لنا الأستاذ رباني (مليون أفغاني : مائتي ألف باكستاني)، وأرسل لنا مولوي عبداللطيف عشرة ملايين أفغاني : مليون باكستاني) فكانت لنا كالروح للحياة ، ولكن ماذا تفعل مع أربعة آلاف مجاهد ؟ الناس يفرون منهم كقرار الحمر المستنقعة من الأسد ، ليس معنا طبيب ، الأخبار متوالية عن الشهادة ، عن الحصار، عن قلة الطعام ، محاربة الأهالي بخوفهم من إطلاعهم المجاهدين .

في أندراب :

أنزل الروس الصاعقة على المجاهدين، فخرجوا إلى بنجشير، فلاحقوا بهم إلى بنجشير والمجاهدون حفاة جيا ع ، والتلوج فوق لجبال، فخرجوا من بنجشير إلى كوهستان ، فلم يجدوا من أحد مساعدة ، وقد تجهمت لهم الأرض كلها، وشمرت الحرب عن ساقها .

سالنج:

نزل الروس على سالنج فانسحب المجاهدون إلى بنجشير. لحقهم الروس ودارت معركة، ثم انسحب المجاهدون إلى سالنج.

وقد كان الأخوان على شجاعة فائقة، فقد قاسوا الجسرين، وحسبوا كمية المتفجرات، ووضعوا العبوة والدبابات الروسية تمر فوقها، والحراسة على جانبيها، ولشدة شجاعة (عزيزالله) وضع السلم لأخيه ليصعد ظهر الجسر ويرى مكان العبوة جيدا، فسحب السلم من تحت أخيه وتركه فوق الجسر - مازحا -، فأخذ أخوه يصيح (اتق الله أتمزح والدبابات تمر من جانبي)، كل واحد منهم لم استطاع النطق بالعربية لأنشد معنا قائلا:

لئن عمرت جعلت الحرب والددة والسمهري أخا والمشرقي أباً
بكل أشعث يلقي الموت مبتسماً حتى كأن له في قتله إرباً
فج يكاد صهيل الخيل يقذفه عن سرجه فرحاً بالغزو أو طرباً

قيادة العدو:

قدم سرغولوف (نائب وزير الدفاع السوفياتي) من موسكو إلى كابل ليشرّف بنفسه على مخطط المعركة، وقد سلّمت قيادة المعركة إلى مارشال يساعده جنرالان.

الصعوبات التي كانت تواجهنا :

لقد اعترضتنا مشاكل جمّة :

- ١- على رأسها الثلوج التي تغطي الطرق كلها
 - ٢- كيفية انسحاب المجاهدين من بنشير
 - ٣- توفير المواد الغذائية لهم في فترة الانسحاب والبعث عن قواعدهم في الوادي .
 - ٤- نقل الأسلحة الثقيلة من بين الثلوج لنشن بها معارك في المناطق التي حددناها بين كابل إلى مزار شريف مروراً ببغلان وكندز .
- ولكن الله أعان : ثلاث حق الله عونهم (الغازي في سبيل الله، والتاكج يريد العفان، والمكاتب يريد الاداء) حديث صحيح .

المعركة الكبرى

(الهجوم التاسع ٢ ثور سنة ١٣٦٣هـ. ش)

٢٢/ابريل سنة ١٩٨٤م

القيادة السوفياتية في غرفة العمليات في كابل :

جلست القيادة السابقة في غرفة العمليات، وابتدأت المعركة، وما رأت أفغانستان معركة أشد ضراوة منها، كانت تنفيساً شديداً عن أحقاد متجمعة في صدر العسكرية الروسية، ومحاولة عنيفة لرد هيبتهم واستنقاذ كرامتهم التي مرغتها أسود بنشير في الأرواح .

وجاءت النتائج الأولى للمعركة في ورقة حملها المارشال بيده، ولشدة الذهول سقط القلم من يده، لقد كانت صدمة عنيفة تصفع وجه القيادة، ثم جمع بعض الكلمات بصعوبة على شفّته قائلا : لقد خسرتنا المعركة .

وماذا حصل؟ سؤال ينطلق على لسان كل سامع ؟

لقد خدعنا المجاهدون ، دخل الجيش والكرمانوز إلى بنشير فلم يجدوا أحداً، لقد وجدوا الألقام فقط، وهذه الألقام التي تفجرت في وجوه جنودنا .

ولذا جنّ جنونهم، فكانوا يرسلون ثلاثين طائرة دفعة واحدة كل واحدة منها تحمل ١٦ قذيفة بوزن نصف طن .

قال مسعود: كانت هذه هي المرحلة الأولى من المعركة، وكانت المعركة في صالحنا وريحناها .

كان العدد عشرة آلاف روسي ينزلون من الجو، وفرقتان من الروس كذلك كل فرقة تسعة آلاف جندي، مع ثلاثة وعشرين ألفاً من الجنود الأفغان (٢٨ ألف روسي + ٢٢ ألف أفغاني).

الخيار الصعب :

كنا أمام خيار صعب: إما أن نزج بالمجاهدين في هذه البراكين الثائرة، وتحت هذه الحمم المتساقطة ، سماء ستمطر شهباء، وأرض تفجر نارا، وهذه مجازفة قد يباد فيها كثير من المجاهدين ، أو أن نترك بنشير ونرجع إليها بعد مرور العواصف الصرصر العاتية :

وقال أوصيحي بالفرار أو الردى نقلت هما أمران أحلاهما مر

وكان لابد من الاختيار المر، وأن نتجرع أحد الكأسين ، فقررنا مغادرة بنشير بعد طول تفكير .

خطتنا:

زرعنا الأرض الغاما، وشركنا الأبواب بالانغام الخداعية ، وماكان لدينا من الغام ضد الدبابات والأفراد زرعتاه ينتظر من يودي بحياتهم .

الإشاعة:

أعلنت في مسجد رخا أننا سنقاتل الروس في بنشير وفي أندراب وفي جلبهار، والقائدان عبدالعظيم وأمان الله هما اللذان يعرفان مكاني ، وسأرسل إلى جلبهار وأندراب مجموعات من كتائبنا .

الخطبة الحقيقية:

كان لا بد من سحب قواتنا تحت غطاء مقاتلة الروس في جلبهار وأندراب ، وقد حاولت محاولة مستميتة أن اتصل بالإخوة من الأحزاب الأخرى خاصة في كوهستان وأندراب من أجل إسعافنا في هذا المأزق القاتل ، وذهبت إلى شتل وجلبهار، وخاطرت بنفسي في هذه الظروف العصيبة، ولكن رفض الإخوة مقابلتي ورويتي ، واتصل جمعة خان قائد اندراب بالروس، وأخذ الأسلحة وهجم على مركزنا في أندراب، ولكنه ارتد خاسرا على عقبيه .

أبقيت بعض المجموعات فوق روس الجبال في بنشير وذهبت إلى دشت ريوات.

قررنا إغلاق ممر سالنج:

وزعت المجاهدين من بنشير على خط طويل يمتد من خير خانة في شمال كابل إلى أندراب إلى كندز ومزار شريف (بلخ) . طلبت من قواتنا أن تشن هجوما واسعا على العدو قبل هجومه بيومين .

رسالة حاطب بن أبي بلتعة:

وفي هذا الظرف يتكرر الخطأ الذي ارتكبه سيدنا حاطب قبل فتح مكة، إذ أرسل أحد القادة من بنشير رسالة إلى أهله الذين يسكنون في كابل كي يتزودوا بالمواد الغذائية لأننا سننطلق ممر سالنج، وأوصل أهله الرسالة إلى الدولة، فقام الروس بشن هجوم على سالنج قبل الموعد بأربعة أيام .

الانسحاب :

تم انسحاب المجاهدين خلال يومين بسلام خارج بنشير .

تفجير جسرين عظيمين :

أرسلنا أخوين لتفجير جسر (أمان الله) وجسر (بولي منك) وهما من الجسور العظيمة التي نصبت فوق الطريق العام (الطريق الوطني : اوتوستراد) الواصل بين روسيا وبين كابل ، ويقع هذان الجسران في بروان شمال كابل .

هجرة أهل بنجشير:

جاءتنا معلومات وثيقة قبل ثلاثة أشهر من الهجوم أن هجوما كاسحا ستعرض له بنشير سياكل الأخضر واليابس ، فقررنا أمام مشككتين ضخمتين :

أولاهما: كيفية تخلص الأهالي من هذا الشر الداهم.

ثانيتها: كيفية تخلص المجاهدين من هذه المصيبة الدهماء.

وكان لابد من الالتجاء إلى الله في وقت الضيق: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) التكوير ٨
(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) الطلاق ٢-٣.

واجتمع مجلس شوري المجاهدين، وقررنا أن يهاجر أهل بنشير، ونصحت الأهالي أن يهاجروا . فبدأ أهل الوادي يهاجرون ولم يبق في الوادي أحد ، مائة وخمسون ألفا صوّح الوادي منه ، وكان أمر الهجرة أثقل من الجبال على الأهالي . والظروف التي حصلت فيها الهجرة كانت خائفة.

الثوج تكسو الجبال ، والطرق مغلقة بالثلوج ، وبعض الأسر لم تكن قد خرجت من قريتها أبدا، بل بعضها لم ير السيارات بعد، خاصة في مناطق باريان، وماذا عساهم أن يحملوا من أمتعتهم ؟ وأي وسيلة يحملون بها الأمتعة ؟
كانت طريق خاواك (اندراب) هي الطريق الوحيد الذي يمكن للبشر والنواب أن يسيروا فيه ، كم مات بين الثوج من الأطفال لقد كانت حالة من العسرة لا يعلمها إلا رب العالمين .

وطلبت من أصحاب السيارات في بنشير أن ينقلوا الأسر، وإذا بالسيارات تنهال علينا من كثير من المدن الأفغانية مبيت لنجد أهل الوادي المجاهد من كابل وهرات وبلخري، وكلها تتبرع أن تنقل الأسر مجانا .

وتسابق أهل كابل في احتضان كثير من الأسر المهاجرة، فأنقذ أهل البيت غرفة من الغرف أو أكثر للمهاجرين بدينهم وعقيدتهم: (اللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) الحشر ٨ .

وكانت الحكومة تتصح أهل بنشير بالخلود إلى السكينة وعدم مفادرة منازلهم ، ولكن الأمر جامعهم من أميرهم الذي أحلهم سويداء قلوبهم، وهي أول مرة في التاريخ الحديث أن يهاجر شعب بكامله لمجرد إشارة من قائده .
لقد كان بإمكان الأهالي أن يلتزموا الصمت إزاء الشيوعيين، ويبقوا في بيوتهم ينعمون بالطعام اللذيذ، والفراش الوثير والفواكه الفاخرة . ولكنهم أثروا أن يهاجروا بدينهم وعقيدتهم، وأن لا يعطوا النية في دينهم.

استدعاء نجيب لكبراء بنشير:

واستدعى نجيب - مدير الاستخبارات الشيوعية - شيوخ أهل بنشير المهاجرين في كابل، وبدأ يحدثهم عن سبب البلاء وخطر الرزايا.

تفاصيل خطة الهجوم:

جاءتنا المعلومات الأكيدة تحدد موعد الهجوم بعد أربعة وعشرين يوما مع تفاصيل دقيقة للخطة:

- ١- نشر الألغام القربية في رؤوس الجبال .
- ٢- القصف الجوي المركز بطائرات (su22-25 Mg23-25,Tui6) سرخوي .
- ٣- إلقاء الغازات السامة .
- ٤- إنزال جوي (كوماندوز) على رؤوس الجبال في غير مناطق الألغام .
- ٥- تقدم النبابات في وسط الوادي مع فرق الكوماندوز

الخطوة الروسية

قبل الهجوم الكبير سنة ١٣٦٣هـ.ش (١٩٨٤م) بستة أشهر قرر الروس قوارين :

١- إغتيالي - ٢- إبادة المجاهدين في بنشير .

محاولات الاغتيال :

حاول الروس كثيرا اغتيالي، وألقيت القبض على أربع محاولات، ثلاث من داخل بنشير ورابعة من خارجها .

كمران :

راجع الروس تاريخي الدراسي فتوصلوا إلى شاب كان يدرس مفي وهو من أصدقائي ، وكان أهله يجاوروننا في كابل ، استدعاه جهاز المخابرات (خاد) ، وطلبوا إليه اغتيالي ، فجاء إلى بنشير والتقى بي، وأخبرتني بالأمر، وعندما عاد إلى كابل ألقى عليه قبض ثم زج به في السجن .

قال كمران : وذات يوم كان الدكتور بهاء مساعد د. نجيب مدير المخابرات يتجول في السجن فرأني، وكان يعرفني - فسألني عن أمري، فأخبرته فأخرجني، ثم دعاني إلى بيته، ولأزال يفتل لي بين الحبل والغارب حتى اقتنعت بالاغتيال، وكان تنفيذ الاغتيال :

١- إما عن طريق سم يقتل بعد أربع ساعات .

٢- أو مسدس كاتم للصوت صغير الحجم كبير الرصاص .

ثم حملت السم والمسدس وعدت إلى بيتي وأنا مقتنع بتنفيذ الاغتيال، وفي البيت فاتحت زوجتي بما جرى ، فانتفضت غاضبة قالت : لن تقتل هذا البطل، وقامت بانتزاع السم والمسدس من زوجها، وخبأتها حتى تطمئن أن زوجها لن يفعل شيئا . قال كمران : طمأنت نفسي إلى فعل زوجتي . وتوجهت إلى بنشير في اليوم التالي.

قال مسعود: جاني كمران وقدمنا له طعاما، وأطعمني مما في حقيته من بعض المأكولات، وبعد الأكل ضحك كمران وقال : لن أجازت الحيلة ونجحت الخطة، وحدثني بالأمر كله، واتفقت معه على الكلام الذي سيحدث به الدكتور بهاء : (أنني دفنت المسدس وراء في مكان كذا وسأرجع في يوم كذا إلى بنشير للتنفيذ)، وحتى تطمئن نفس بهاء أخذت وإياه صورة مشتركة، وسار إلى بهاء . في الليلة السابقة للموعد وفي حفل ساهر في بيت د. بهاء يجتمع كارمل ونجيب وبهاء وتتعشى في بيت بهاء في جو من الاحترام تبجيل ، فقلت لهم: لابد أن نأخذ بعض المساعدات لمسعود كالأحذية والجاكيتات ليزداد طمأنينة إلي ، وفي اليوم التالي ركبت سيارة المساعدات، وقدمت بنشير، وعندما مررت على مركز الفرقة في أعنابة أخبرتهم، ثم أوصلت المساعدات إلى مسعود .

حالة الأخرى :

اختاروا أحد المجرمين المشهورين بالاغتيال، وقد كان من قبل قد نفذ مجموعة من العمليات الناجحة في اغتيال بعض القادة في كابل في الجبهات.

وقبل أن تتحرك سيارته من كابل جاعني مخابرة : تصلك سيارة رقمها كذا ولونها كذا فيها رجل يريد اغتيالك مع السائق . مسعود، فأخبرت الحرس بالأمر، ولكن الحرس غفلوا، وتعدى الحارس الأول والثاني والثالث حتى وقف ببابي . فقالوا بالبواب . قادم من كابل عنده شكوى على المجاهدين، فقلت في نفسي . وما الذي جاء بهذا الرجل من كابل وفي مثل هذه الظروف صعبة، فارتببت في أمره، وقد غاب أمر سيارة كابل عن ذهني . فقلت للحرس : خذوه للتحقيق، فعندما أمسك به الحرس ولى السائق بيا، وبعد قليل وصلت سيارة من الإخوة الذين يعملون معنا في كابل، فقالوا : أين الرجل الذي كان في السيارة؟ فأجبت : إنه من إلى التحقيق، فقالوا : هذا الرجل الذي أخبرناك عنه إنه قادم لاغتيالك، فذهبت إليه، وقلت له لقد أرسلك الدكتور بهاء لاغتيالي؟ استدعاك إلى بيته، وأخذت أصف إليه بيت الدكتور بهاء الذي كان كمران قد وصفه لي من قبل، وحياي هذه المعلومات اعترف . ثم بإعدامه مع رجل آخر كنا ألقينا القبض عليه من قبل .

وتم إعدامهما أمام المجاهدين ليكونا عبرة لغيرهم من الجواسيس .

ولو قاتلنا لغير الله ما استطعنا أن نصبر هذا الصبر الطويل، ولا أن نقدم هذه التضحيات الباهظة . وهذا واجب افترضه رب العزة علينا، وهو محاولة نصرته دين الله، حتى إذا فشلنا في أفغانستان -لا قدر الله- فإنه يجب علينا أن ننقل جهادنا إلى منطقة أخرى . وأنتم كمسلمين يجب عليكم أن تحاولوا نصرته دين الله، وأن تقفوا مع من يحاول في هذا الطريق، فإذا اقتنعتم أننا نعمل له فإنه يجب عليكم أن تقفوا بجانبنا .

وأنت تعلم الحملة الشعواء التي شنت على جبهتنا، والسيوف والرماح التي كانت تتناوشنا من القريب والبعيد، والدعاية الظالة التي كانت تنهش لحومنا ولا ترعى فينا إلا ولا ذمة، وأنت ممن تأثر بهذه الدعاية، وكذلك الأستاذ رباني نفسه كان ممن تأثر، حتى أننا لم نلق منه أية مساعدة مادية منذ الهجوم التاسع سنة ١٩٨٤ حتى يومنا هذا . وكنا نرسل الشيخ عبداللطيف وأمثاله وقانوني ليجمع بعض المساعدات من أيدي المحسنين من السعودية وغيرها مما كان لنا عوناً على هذا الطريق . ولكن الله عز وجل جزانا بصبرنا خيراً، وأورثنا نصراً، وأقول هنا : (واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً) .

تذكير بالله:

وهنا ذكرته بالله، ونصحته بأن يحفظ لأهل السابقة سبقهم، خاصة ممن سبقوه على طريق الدعوة، وأن لا يغمطهم حقوقهم، وأن لا يبطر بنعمة النصر التي أنعمها الله عليه، ونصحت مسعوداً أن يقوي صلته بالله، حتى لا يصيبه الغرور وهو يرى الأصابع تشير إليه، والحناجر تلهج بذكر معاركه وانتصاراته وتنظيمه وشوراه . وأشرت عليه بالذكر والقرآن وقيام الليل وصوم النافلة والتواضع لله عز وجل، ثم قلت له : إنني أخشى من غرور العسكريين .. فتبسم .

شرح الخطة:

ثم واصل شرح خطته السابقة والمقبلة، وما ينوي عمله تجاه فتح المدن، والإطاحة بالحكم الشيوعي - إن شاء الله-، وسيأتي شرح الخطة .

مشاكلنا وحاجاتنا:

وعندما وصل إلى المشاكل التي تعترضهم في المرحلة القادمة كان الجهد قد بلغ مني مبلغه وذلك بعد العشاء-، فتمت وهو يعدثني والقلم بيدي . فتبسم قائلاً: لقد بقي الشيخ مستيقظاً، حتى إذا وصلنا إلى حاجتنا ووضعنا الاقتصادي نام الشيخ، ثم قال: هذا قبرنا ونصيينا فماذا نفعل؟

التخطيط العام:

قد شرحت هذه الخطة للإخوة أيام حفيظ الله أمين سنة ١٩٧٩ سبتمبر، وفي تلك الأيام كانت الخطة عندنا أن نركز جهودنا بين شاري كابل روسيا / كابل تنجها، ثم قسمنا هذه المنطقة قسمين بقسمي الهندكوش . ملاحظة: سلاسل الجبال (الهندكوش - بامير إلى كابل، ثم كوه بابا ثم سفيد كوه يمتد إلى هرات) ثم جبال سليمان . فصارت المناطق ثلاث : شمال الهندكوش ، الهندكوش نفسها ، جنوب الهندكوش .

خطوات العمل :

- ١- مرحلة التأسيس.
- ٢- مرحلة تأسيس المراكز (الدفاع الاستراتيجي) .
- ٣- الهجوم الاستراتيجي .

٤- التفير العام (الاستنفار).

وتقسيم المناطق طرحت نفسها بعد هذه المراحل، ثم قسمنا المناطق إلى قسمين: أ- الجبال ب- السهول

١- المرحلة الأولى: جمع السلاح أيام تراقي وأمين .

٢- المرحلة الثانية: التركيز على تنفيذها في بنجشير، وكان معظم همتنا تنفيذها في منطقة جبيلية وهي بنجشير، فإذا نجحنا في بنجشير وسعناها في المناطق الثلاث السابقة .

بداية العمل الثانية: بدأنا في بنجشير فانتبه العدو، وبدأ هجومه علينا، وفي تلك الأيام نوينا توسيع مراكزنا، فبدأنا العمل في غوربند، كابيسا، سالنج، أندراب، شمال أفغانستان .

المشاكل التي اعترضتنا:

١- قلة السلاح والمال والإمكانات .

٢- الإذن من قبل الجمعية .

٣- الدولة والمركة في داخل بنجشير .

٤- عدم وجود رجال بارزين يركن إليهم في إدارة المراكز خارج بنجشير .

٥- الحزب الإسلامي الذي يقف في وجهنا .

كانت همتنا الخطة، ولكن هذه المشاكل تعترض التنفيذ .

بدأنا العمل فكان قائد المنطقة من الجمعية يقول: أنتم من بنجشير فلا تدخلوا منطقتي، فكنا إذا أردنا العمل في أندراب وزعنا

عشر قطع سلاح، فيقوم مسؤول الجمعية ويوزع ثمانين قطعة سلاح .

مشكلة: ارتفع مستوى المجاهدين كثيرا في بنجشير، فانتبهت الحكومة فبدأت الضربات الشديدة على المجاهدين، فلم نستطع

أن نلتقط أنفاسنا بسبب المعارك المتواصلة ، وقد جاءتنا الفرصة في فترة الهدنة .

الأحزاب: وكانت المنظمات تتسابق على اجتذاب الناس بالسلاح والمال، أما أنا فمن وافقني على خطتي بدأت أعمل معه .

المراسلة: أرسلت رسائل إلى جميع القادة في الجمعية، وفي قرية (شرشر) مركز إسلام الدين / إشكش التقينا سنة ١٩٨٢

معظم قادة الجمعية: أرينبور، مخدوم عبد الباري (أمير تخار)، طارق، إكرام الدين، عبد الحي حقجو ، عارف خان/ كندز ، ومجموعة

من القادة أثناء الهدنة، شرحت لهم خطتي، وهذه الخطة تحتاج إلى اتحاد وقوة في وجه الروس، وأعطى كل واحد رأيه ، وكان لأرينبور

كلمة الفصل في الأمر، فقال: أنا أعلمكم بالكتاب والسنة، وهذه الخطة التي يريد مسعود أن يطبقها هي خير ما سمعت وأنا عندي

سبعمئة مجاهد ومنطقة محررة فأضعها بين يديه .

ووافق بعده: طارق، وإكرام الدين، أرينبور، القاضي مخدوم عبد الباري، وعارف، وفورمول / أندراب .

وقد تحمل أعباء الخطة بالمال والسلاح الأخوان (سر معلم طارق وإكرام الدين) في إشكش، ولهم كثير من الناس عن

تسليمهم مناطقهم وجندهم لي .

ساحة العمل:

١- المنطقة الجبيلية : التي لابد أن تسلم لي حتى أعمل فيها .

٢- المنطقة السهلية: نتركها في الوقت الحاضر .

سلم لي الإخوة المنطقة الجبيلية، وبدأنا العمل، وقبل أن نبدأ العمل استشرت أمان الله هاشمي (رستاق) تخار، فأرسلته إلى

برهان الدين ليشرح له الخطة، فأرسل رباني رسالة تأييد وليس رسالة إمارة رسمية، وكانت هذه خطوة نحو الإمام ، ومما ساعدنا

رسالة أخرى أرسلها رباني إلى عبد الحي حقجو/نهرين ، ولما وصلنا إلى هذه النتائج كتبت تقريرا إلى رباني فقرأه واستحسنه ،

وقال : أنا مؤيد لما توصلتم إليه ، وهذا من محاسن رباني .

ومما يذكر من محاسن رباني أنه كان يميز بنجشير، فيعطي بنجشير ٨٪ وبيروان وكابيسا ٦٪، فهذا معاً ساعدني في توزيع السلاح أنه يرفع سهم بنجشير .

جملة معترضة: المساعدات الأجنبية : وهنا سألتاه عن المساعدات الأجنبية الأمريكية وغيرها (السلاح والمال) فقال: لم يصلني أي مساعدة ولذا عندما جاني «سان ديغول / صحفي بريطاني» وقد زارني مرتين فقال: ماذا تريد من ضياء الحق، قلت له : ليتق الله فينا ويرسل بعض المساعدات إلى هذه الجبهة التي أذل الله فيها روسيا .

أما الفرنسيون والضجة الصاخبة التي أثارت حولي بسببهم فعلم الله أنني لم يصلني منهم سوى ربع مليون روبية خلال هذه السنوات، إذ أن بعض الصحفيين قد وصلوا بنجشير من فرنسا ورأوا ضيق حالنا وشدة كرينا، فطلبوا مني أن أكتب لهم رسالة يوجهونها إلى الشعب الفرنسي لجمع التبرعات، فكتبت الرسالة، وذهبوا وجمعوا التبرعات وأكلوها ولم يرسلوا لي سوى ربع مليون .

الدفاع الاستراتيجي:

مازلنا في مرحلة الدفاع الاستراتيجي ونبحث عن قواعد جديدة .

معاهدة جنيف :

لا بد لأي إنسان يقاتل أن يعرف مرحلته ويخطط لها، وجنيف وبداية خروج الروس نشأت ظروف جديدة تلخص في أربعة خطوط رئيسية :

١- قصر الزمن. ٢- مرحلة حاسمة مصيرية. ٣- التغيرات الشديدة السريعة. ٤- كل الأمور الجارية الآن قابلة للتغيير والزوال، فيمكن أن تزول أحزاب وتنشأ أخرى، وأخطر مرحلة هي هذه السنة أو هذه السنة التي بعدها وهي التي تحدد مصير أفغانستان ومستقبلها -الله أعلم-.

فالدول التي ساعدت الجهاد ساعدته من أجل ضرب روسيا وتحطيمها، ولم تساعد لقيام حكم إسلامي، فقد ساعدت الدول الجهاد لتقطف الثمرة، والمجاهدون يريدون قطف الثمرة، وضرب مثالين: الجزائر، عبدالناصر، أفغانستان.

مرحلة قطف الثمرة

هي أخطر المراحل، فيمكن أن تخرج مجموعة جديدة لتحكم أفغانستان، وبعد خروج الروس نحن نرى أن قضية أفغانستان لا يهتم بها عالمياً، وتصبح قضية محلية، فسياسياً قد يقل الاشتغال بها، ولكن في داخل أفغانستان قد يرتفع الرسم البياني لصالحنا، لأن الناس قد يأتون إلينا.

وبعد خروج روسيا نهائياً : لا بد من الإطاحة بالدولة مباشرة محلياً أو عالمياً، وإلا فكل يوم يمر هو ضرر بمصالح الجهاد، وغض من مكانته في نفوس الناس هنا، وفي العالم الإسلامي، بل العالم كله .

الأمر من الناحية العسكرية:

كنا في حالة دفاع، أما وقد بدأ ينسحب الروس فإننا قد انتقلنا من الناحية الدفاعية إلى الهجوم رغم إرادتنا، والهجوم يحتاج إلى أربع نقاط :

١- أرض مناسبة. ٢- امكانيات مناسبة .

٢- تنظيم مناسب. ٤- وقت مناسب .

الأرض المناسبة: السيطرة على الأماكن الاستراتيجية، ولا بد أن تكون مناطق المجاهدين متصلة مع بعضها، لا بد أن يكون هناك محور يدور حوله الجهاد (أي قيادة مركزية مسؤولة عن الأمراء وقوية)، فلا بد من قيادة سياسية واحدة حتى تكون القيادة العسكرية واحدة .

القيادة السياسية:

أولاً: بدانا بعشر ولايات فقسمنها إلى أربع مناطق، كل منطقة (زون):

- ١- بدخشان، تخار، كنز، بغلان، آرينبود
- ٢- برون، كاييسا، شمال كابل، باميان: يعين أميرها في المجلس القادم.
- ٣- لغمان، تجاب نجراب، نجرهار، جنوب شرق كابل : طارق .
- ٤- سمنجان، بلخ، فارياب، جوزجان: خليل الله.
- ثانياً:- تحسين العلاقة مع بقية قادة الجمعية.
- ثالثاً:- تحسين العلاقة مع بقية القادة المعروفين في أفغانستان خاصة حول كابل : جلال الدين.
- رابعاً:- تشكيل جيش : تسعة آلاف :
- أ- ثلاثة آلاف قطاعات مركزية.
- ب - ستة آلاف للهجوم .
- تشكيل جناح آخر للجيش بالطريقة الرسمية، هؤلاء لا نخلطهم بالمجاهدين .
- التفكير العام حتى تكون الخسارة بالمجموع .
- الأحزاب الأخرى : إن استطعنا تنظيمهم والاستفادة منهم .

القتال:

- ذكرنا الاستعداد ثم القتال والتصفية :
- ١- تبدأ بتصفية الولايات الشمالية .
 - ٢- تصفية الطريق الوطني .
 - ٣- لابد من تنظيم المجموعات حول كابل لتصفية المناطق حولها .

لقاء مع محمد بانا في يوم الأحد ١٢ أكتوبر ١٩٨٨م:

في صباح هذا اليوم عدنا من قرية أبود إلى خانقاه (مركز ورسج)، والتقيت مع شاه محمد ومحمد بانا ، وحدث محمد بانا: سنة ١٩٨٢م بعثني الأمير إلى سالنج مسؤولاً عنها، وذات مرة ركبت من قرية نواج في سالنج إلى قرية أولانج (سالنج)، ركبت في سيارة وكانت تحمل العشب (الكلا) للأبقار، فكانت الشاحنة ثقيلة، فمرت بي دبابة من دبابات الروس فعرفني أحدهم، ويسرعة لف دبابته ووقف أمام السيارات، فوقفت السيارة، وجاء أحد عشر روسيا وأحاطوا بالسيارة، كل واحد منهم يحمل كلاكوفاً، فقالوا أنزل، فنزلت من جهة السائق، لأن العمر قد يكون فيه زيادة دقيقة، فقال الروس : من أين أنت؟ ، فقلت: من هنا، فارادوا أخذي إلى المركز، فضربت أحدهم على عينه (وقد كان ممسكاً بي) فسقط الروسي.

وصن الحسام ^(١) ولا تذله فإنـه	يشكو يمينك والجماجم تشهد
جف النجيع ^(٢) عليه وهو مجرد	من غمده فكانما هو مفعد
ريان ^(٣) كورنلف الذي أسقيته	لجري من المهجات ^(٤) نهر مزبد
ما شاركته منية ^(٥) في مهجة	الا.وشفرتها على يدها يد
يلفك مرتديا بلحمر من لم	ذهبت بخضرته الكلى ^(٦) والأكبد

وهربت، ففتحت علي أحد عشر كلاكوفاً، فهربت، وكان بجانبنا نهر(أرناماك)، وكنت أركض على حافته، فالتفت وراثي فوجدت أن الروس لم يلاحقوني، وكان فوقنا مركز للروس يطل علينا، فجلست أريد أن ألبس على المركز الذي فوقنا بيتي فلاح من الأهالي، فجلست على النهر أشرب الماء وألقط أنفاسي حتى أبحث عن حيلة أخرى لمخرج (لنجاتي)، وكان أمامي امرأة وابنها، فاربت اللحاق بهم حتى أمر معهم كأتي رب العائلة، فكننت أسرع إثرهم في مشيهم، فلم أستطع اللحاق بهم، فجئت بجانب جبل وتسلقته

(١) الحسام: السيف (٢) النجيع: النجم (٣) ريان: مرثي (٤) المهجة: المرح (٥) منية: الموت (٦) الكلى: الرئيس

ونزلت من الجهة الأخرى للجبل، وعندما وصلت القاعدة بدأ المجاهدون ييكون فرحا بقومي، وكان الخبر قد وصلهم بإلقاء القبض علي، وكانت شبابي محترقة من الرصاص وكذلك عمادتي، وقلت: غدا الحساب مع الدبابة التي أَلقت القبض علي، وسنرى ضابطها، وفي اليوم التالي وضعت لغما كبيرا لها، فمرت عليه وارتفعت أربعين مترا في السماء، وأما الضابط فقد مرق إربا إربا:

هو الموت فاختر فاعلا لك ذكره فلم يمت الإنسان ما حيي الذكر
ولا خير في دفع الردي بمذلة كما ردها يوما بسواته عمرو

شهر عسل لمحمد باننا:

قال باننا: تزوجت وسكنت في بيت قريب من مراكز الروس، واستطلع الروس مكان البيت، وكنا نسكن عشرين نفرا في البيت . نصب أتروس كمينًا خارج البيت في الوادي، وجاءت الطائرات وقصفت البيت لتضطرني للخروج إلى خارج البيت في الوادي . وبدأت الحم تتساقط على البيت، فهرعت خارج البيت، ولكن الله - عز وجل - قدر لي أن أصعد الجبل، بقيت الطائرات مستمرة في القصف، فرأيت قذيفة وقعت في وسط البيت، فنزلت من قمة الجبل لأتفقد الأسيرة وأنقذ الجرحى وأخرج القتلى، ثم أُلقيت بسمي إلى الأرض لعلني أسمع صراخا أو أحس منهم ركزا، وبدأنا نخرج الأفراد من تحت الركام، فوجدت زوجتي وابنة أخي قد أسلمتا الروح، ولم يمض على زواجنا سوى ثلاثة أشهر . وعندما دخلت البيت أحاط الروس بالبيت، ولكن الله - عز وجل - أعانني أن أحترقهم وأنجو بنفسي :

أسد دم الأسد الهزير خضابه موت فريص الموت منه ترعد

قصص من قومندان مسلم:

عمره ٢٦ عاما، من أكثر المجاهدين الذين خاضوا المعارك في بنجشير، ويعتبر بالنسبة لصغر سنه أكثر قائد دمر للروس من الآليات خاصة في (جنكك وما لاصبا)، حيث دمر حوالي ثلاثمائة آلية، وهو شاب متحمس للعمل بالسنة، وقد كان يقودنا في سيارة .

حدثنا مسلم في فرخار بحضور القومندان جادا :

الشهيد حشم (قومندان يشهد له بالقوى): استشهد ورفض أن يسلم سلاحه للروس، فجاء الروس وقصوا حزام الكلاشنكوف الذي يحمله وأخنوه .

وزير أحمد (مهندس كان يدرس في معهد من المعاهد ويشهد له بالصلاح) انفجر فيه لغم فقطعت رجلاه وفقت عينه، وكان أثناء الاحتضار يقول لي (لمسلم): أبعد عن الطاقة حتى أرى الحقائق، وقاضت روحه وهو يقول هكذا، وعندها جاء إخوانه ويكوه ويدفنوه ورجعوا وفي الطريق وهم ييكون وإذا بهاتف يناديهم ويصوت أخيهام الشهيد: لماذا تبكون؟ وبعد عشرين يوما هجم الروس علينا بحملة ليلية وكنا نائمين، وكان معنا شاب اسمه وكيل (شاب من الصالحين)، فجاء الشهيد وأخذ يوقظه بصوته ويده قائلا قم هجم عليكم الروس ثلاث مرات وهو يوقظه، فاستيقظنا فوجدنا الروس وقتلنا قسما منهم .

وحيد : وفي سنة ١٣٦٢ تكررت نفس الحادثة مع وحيد الشهيد، فقد هجم الروس علينا ليلا ونحن نيام، فجاء الشهيد إلى المجاهد عبدالرحيم يهتف به في المنام: قوموا فالروس متقدمون إليكم، فتنبهنا من نومنا وواجهنا الروس وقتلنا قسما منهم .

بير محمد: استشهد بير محمد، وبعد سنة جاء والده من بيشاور فأصر أن يفتح قبر ابنه ويراه، ففتحه فوجد ابنه لا يزال سالما وقد طالت لحيته ، قال قومندان مسلم: لقد رأيت هذا بنفسي .

نذير: وهو قريب لي: استشهد، وبعد سنة جاءت أمه لتراه، ففتحت القبر فوجدته كيوم استشهد، ودمه لا زال ينزف ، ولكن كفه بدا فيه بعض التغيير .

علي أحمد: (شجاع كالأسد) هجم على الروسي الذي يطلق على قاذفة القنابل (نارنجاك اندوز) وأراد أن ينتزع القاذفة من يد الروسي، فانتبه إليه الروسي بعد أن أمسك بها (بالقاذفة) فأطلق عليه قنبلة في وجهه واستشهد، ثم مثل به الروس بالحرايب طعنا، وبعد فترة هجمنا على المركز واحتليناه فوجدنا الشهيد لم يتغير .

عبدالواسع من قرية منجهور (قرية صفى الله الشهيد): قامت معركة بيننا وبين الروس وافتقدنا عبدالواسع، فظننا أنه أسر، وكنا في هذه الفترة نرى نورا فوق رأس الجبل، فوقع في نفوسنا أن الروس قد أقاموا مركزا فوق رأس الجبل، وبعد ستة أشهر وصلنا الموقع، فإذا به عبد الواسع، وإذا بالنور من جسده ولم يدفن بعد .

قصي من قومندان مسلم في جلال آباد^(١)

٢١ رمضان ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٦/٤/١٩٨٩م

١- قصة غلام علي:

غلام علي من قريتنا (جنكل)، وهو قريبي، وقد جعله مسعود قائداً لقطعة متحركة، فاشتهر أمره، وذات مرة أغارت عليه طائفة ورمته بالصاروخ واستشهد، ودفن في القرية سنة ١٩٨١، وأخذ المجاهدون يلاحظون خروج النور من قبره، وصار الشيوعيون يقصفون المكان بظنونه مركزاً جديداً للمجاهدين.

وذات يوم لقي الشهيد بصورته ابن أخيه الصغير وعمره ثماني سنوات وسلم عليه، فرجع الطفل إلى والده فقال: لقد رأيت عمي وسلم علي.

وبخل الشيوعيون جنكل سنة ١٩٨٤ ولم يبق فيها أحد من المجاهدين، وذات مرة دخل الحنود الشيوعيون فقتل منهم أربعة ولم يكن في القرية أحد.

قال مسلم: وانفجر لغم تحت قدم أحد الكفار، مع أنني لم أزرع لغمًا في ذلك المكان، وأنا المسؤول عنه.

٢- الجن المؤمن يساعدون المجاهدين:

قال مسلم: لقد حصلت عدة قصص ورأيت بعضها بنفسني في منجور أن يطلق على الكفار رصاص ولم يكن من طرف المجاهدين ولا يعرف من أطلقها.

وحصل لي ذات مرة أن اتفقت مع القائد (صفي الله) على اقتحام مركز في منجور، وحددنا المسؤولية، فكانت مسؤوليتي: الإطلاق على الأسلحة الثقيلة (المدفعية والهاوان)، وبعدها يقتحم صفي الله، واتفقتنا على اليوم والساعة، وفي ذلك اليوم جاءت الطائرات وأشعلتنا عن أنفسنا. وفي نفس الساعة المحددة بدأت المدفعية تطلق على الكفار (ولا يعلم من يطلق)، وبعد أن توقفت المدفعية تقدم صفي الله واحتل المركز.

وبعدها لقيني صفي الله وقال لي: جزاك الله خيراً، لقد كانت رمايتك في نفس الهدف، فقلت له: والله ما أطلقت طلقة واحدة. وبعدها بفترة أصيب صفي الله بالجن، فأحضر له مسعود مولوي (عالماً) اسمه ظاهر لإخراج الجن، فجاء الجن بالمصحف يستشفع للمولوي أن يتركه مع صفي الله، وقال الجن: إنني أساعد صفي الله في القتال، فقال له العالم وكيف ذلك؟ فقال الجن: من الذي كان يطلق على المدفعية الثقيلة يوم أن اقتحم صفي الله مركز منجور؟

٣- (وما النصر إلا من عند الله):

قال مسلم: فتحنا بشغور في رمضان سنة ١٤٠٥، وكان ذلك في العشر الأوائل من رمضان، وأسروا أربعمائة أسير بينهم (٨٧) ضابطاً بينهم الجنرال أحمد الدين الذي قتله المجاهدون، ونكست كابل عليه أعلامها ثلاثة أيام. وبقينا ننقل الغنائم على ظهور الأسرى ثلاثة أيام متواصلة.

وفي العشر الآخر هجم الروس بقوة ضخمة يصل عدادها إلى ثلاثة آلاف آلية (بين دبابية ومصفحة وناقلة وسيارة)، وقارمناها، وكانت القوة على طول بنشير، وكان معهم أربعون راجمة صواريخ (BM41 - BM21)، ومعهم ١٢ مدفعية D30 تطلق قذائفها بالكهرباء، ويصل قطر القذيفة ٢٤٥ ملم.

وكانت الطائرات تغير، وقد رأيت مرة وإحدى وستين طائرة مصفحة (Gun Ship) كانت تطلق على بشغور بعد سقوطها.

قيام ليلة القدر:

وتعبنا من المقاومة، وأنهكتنا الحرب، فقمنا ليلة القدر ليلة ٢٧ رمضان، ودعونا الله عز وجل أن يعيننا ويخفف عنا. قال مسلم:

١- يبدو أن الشيخ قد التقى قومندان مسلم في جلال آباد لاحقاً واستمع منه إلى هذه القصة حيث أن هذه الفقرة ألحقها الشيخ بالكتاب خلال معارك جلال آباد.

وفي صبيحة اليوم التالي يوم ٢٧ رمضان وقريب الساعة التاسعة صباحاً مرت عشر أليات قرب (نواليج) وكنت قائدها فهجمنا عليها ودمرناها.

الكرامة:

وبعد قليل وإذا بطائرة هليكوبتر تطير ثم تسقط وحدها دون أن يطلق عليها أحد، فسقطت بين الدبابات وانفجرت، وانفجرت صواريخها، نسر، ثعابين آلية قربنا في (رحمن خيل)، ونحن نرى الأليات وهي تنفجر، وقد تقطعت أجساد سبعين جندياً.

كرامة أخرى في رخا (مركز بنشير) :

وفي رخا لم يكن هناك مجاهدون أبداً، وبدأت الدبابات والأليات دون أن يعرف من فجرها ولا كيفية تفجيرها، يقول مسلم : وبلغ عدد الأليات التي بعثت بالكرامات ويأتي المجاهدين في تلك المعركة وعلى طول بنشير حوالي سبعمائة آلية. وقد كان عدد الأليات المدمرة قرب مركزي (ما بين نواليج ورحمن خيل وجنكلك وما لاصبا) أربع قرى متجاورة حوالي مائتي آلية. ولا تستغرين أيها الأخ الكريم هذه الأرقام، فلقد رأيت بعيني حوالي ثلاثمائة آلية مدمرة قرب هذه القرى. يقول مسلم: هذه الأليات التي لم تستطع روسيا أن تجرها من بنشير في سنتين ٨٦ - ٨٧ بعد أن نظفت بنشير ثلاث مرات من الأليات المدمرة.

معاركنا مع اليهود

والحق أننا لم نهزم في معاركنا مع اليهود إلا بذنوبنا ومحاددتنا لله ولرسوله، ولو دخلنا معاركنا تحت راية لا إله إلا الله وابتغاء مرضاة الله ولتكون كلمة الله هي العليا فإننا لا يمكن أن نهزم، ولا يمكن لليهود أن يثبتوا أقدامهم في فلسطين.

الذنوب بسبب الهزائم

(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)، ويقول عز وجل (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حلیم) روي أن الأمراء في اليرموك لما كتبوا إلى أبي بكر و عمر رضي الله عنهما يعلمونهما بما وقع من الأمر العظيم، وما يقابلونه من خطر داهم، وعدو لا قبل لهم به، كتبوا إليهم: (أن اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً، والقوا جنود المشركين، فأتكم أنصار الله، والله ناصر من نصره وخاذل من خذله، وإن يؤتي مثلكم عن قلة، ولكن من تلقاء الذنوب، فاحترسوا منها). (ولما أمر سعد بن وقاص جيشه بعبور دجلة وليست هناك سفن ولا جسر، والعرب لا عهد لهم بالسباحة وعبور الأنهار، قال حسبنا الله ونعم الوكيل، والله لينصرن الله وليه، وليظهرن الله دينه، إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات)^(١). وكتب سيدنا عمر بن عبدالعزيز إلى قائد جيشه قال فيه: وأمره أن لا يكون من شيء من عدوه أشد احتراساً منه لنفسه ومن معه من معاصي الله، فإن الذنوب أخوف عندي على الناس من مكيدة عدوهم، وإنما نعادي عدونا وننصر عليهم بمعصيتهم، ولو لا ذلك لم يكن لنا قوة بهم، لأن عدونا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فلو استوينا نحن وهم في المعصية كانوا أفضل منا في القوة والعدد، فإننا لا ننصر عليهم بحقنا ولا نغلبهم بقوتنا، ولا تكونوا بعداوة أحد من الناس أحذر منكم لذنوبكم، ولا تكونوا بالقدرة لكم أشد تعاوداً منكم لذنوبكم)^(٢).

كرامة: الروس يمرضون ويموتون من الحشرات

حدثنا مسلم قال: بعد هجوم سنة ١٩٨٤ مرض كثير من جنود الروس بسبب البعوض والذباب والبق في بنشير، وأصاب كثير منهم الحساسية، ومات قسم منهم .

١- البداية والنهاية ١٢/٧٧. ٢- سيرة عمر بن عبد العزيز لمحمد بن عبد الله بن الحكم

كرامة: عقوبات المجاهدين الذين خانوا وغلوا

منالك بعض المجاهدين باعوا بعض الأسلحة أو الذخائر، أو غلوا بعض الأموال، فرأيت الله يعاقبهم بقطع اليد أو الرجل أو قبح العين أو شلل.

قصة داد محمد (شقيق القومندان مسلم)

تخرج من الكلية العسكرية العليا في كابل طياراً، إذ أن والده (نيك محمد) كان يعمل ضابطاً في الجيش برتبة كولونيل ثم تقاعد، فأنخل ابنه داد محمد في كلية الطيران، وتخرج منها، ثم أرسل إلى روسيا، وواصل دراسته وتدريبه في روسيا لمدة ثلاث سنوات، ثم عاد إلى كابل.

وعندما عاد إلى كابل عرض على والده أن يهرب من الجيش بطائرته، وأقنع ثلاثة من زملائه بالهرب إلى باكستان مع طائراتهم الجديدة SU22 M (سوخوي ٢٢)، وطلب من والده أن يعرض الأمر على أحمد شاه مسعود، فرفض مسعود، وطلب منه البقاء في الجيش لإقناع بقية الطيارين بالعمل مع المجاهدين. وكان داد محمد شخصية قوية محبوبة مؤثرة، وصار يؤثر على زملائه الطيارين. وكان يرسل بين الحين والآخر لمسعود أن يهرب إليه مع مجموعة، ولكن مسعوداً يلح عليه بالبقاء، وفي معركة بنشير سنة ١٩٨٤ كان أحد الذين يكفون بقصف بنشير، فضرب طائرة جيت روسية بصاروخ وأسقطها.

قصف مديرية خنجان : وخنجان تقع في سالتج الشمالي، فأرسله الروس لقصف المجاهدين، فقصف الحي الذي يسكنه الروس وقتل منهم حوالي خمسمائة ودمر مستعمرتهم.

شك الروس:

وقد حصلت عدة حوادث جعلت الروس يستريبون (يشكون) في أمره، وفي داخل الطائرات ألغام يمكن تفجيرها بالتوجيه (ريموت كنترول)، وذات مرة أرسلوه في مهمة ثم فجروا طائرته في الجو، فأنخذ المظلة وقفز، ولكن المظلة لم تفتح، وتحطم فوق جبال كوهستان/ كابيسا.

الأحد ١٣ أكتوبر ١٩٨٨ من ورسج إلى فرخار:

تحركنا من أبرو إلى خانقاه، ورافقنا على الطريق نهر بير الذي يصب في نهر ورسج، وعندما وصلنا إلى خانقاه (عاصمة ورسج) نحن ومسعود وجكري والدكتور نجيب رئيسي اللجنة السياسية في الجمعية، فوجدنا أن الناس في انتظارنا، وبسرعة فأنقذنا أكلنا لقيعات على الفطور، ثم انطلقنا يقود سيارتنا قومندان مسلم، وعندما وصلنا قرية [ساري تنجي] كانوا قد أعدوا سرادق، وخرج أهل القرية للاستقبال، وألقى الشيخ رباتي كلمة، وألقيت كلمة، وتناولنا طعام الفطور (السك والعصافير)، ثم انطلقت السيارة وكان مسعود وربياني وأرينبور في السيارة.

حديث مسعود في السيارة:

وطلبت من مسعود أن يتحدث عن سنة ١٣٦١ هـ - ش فقال: لم نذق غصصاً، ولم نواجه مشاكل في حياتنا الجهادية بعد سنة ٦١ الـ سنة ٦٣، لقد كانت سنة ٦٢ قمة المصائب والعقبات، وبعدها تأتي مشاكل سنة إحدى وستين .
لقد قمنا بتعمير الطريق في مكان (راي نانج: الطريق الضيق) في مدخل بنجشير عند شتل- حتى لا تدخل الدبابات إلى بنجشير .

الحملة الخامسة: ولأول مرة يدخل الروس قواتهم بواسطة الجبل، فانزلوا في اليوم الأول في أعنابة وتاواخ وديشتك ورخا ، وأستانة /حوالي خمسة آلاف .

وفي اليوم الثاني: في خنج وخنجو، وفي هذا اليوم لا نعلم العدد، فكانت الطائرات تحط على ظهر الجبل وينزل منها الجنود [وكان عدد الجنود الروس فرقتين < عشرين الفا>، وفرقة من الأفغان عشرة آلاف].

ملاحظة: الحملات الروسية :

- ١- الأولى : ١٢ حمل سنة ٥٩ هـ - ش: خمسة آلاف وصلوا إلى باريان، المجاهدون حوالي ستين مجاهدا .
- ٢- الثانية: ٢٠ سنبلة سنة ٥٩ هـ - ش: عشرة آلاف وصلوا دشت ريوات سفيد جير - ثلاثمائة مجاهد.

• قبالة مع الكومندان جادا محمد:

الوالد: باز محمد من دشت ريوات ، العمر : ٤٢ عاما

التحاقه بالجهاد المسلح: سنة ٥٨ هـ . ش منذ بداية أحمد شاه مسعود -

الوالد: متوفى قبل الانقلاب .

منذ سنة ٥٨ وحتى الآن وأنا في القتال ، أرسل إلينا مسعود رسالة من بيشاور أنني قادم للجهاد في بنجشير فتعالوا لقاتلتي في نورستان، وبعدها نزلنا دشت ريوات، وكان مع مسعود (شلدز)، (PRG7) معه خمس قذائف، واشترينا كلاشنكوف عدد (٢) .

في دشت ريوات :

لابد من الحركة بالخفاء، فتحركنا من دشت ريوات إلى باريان، إلى سفيد جير، وكل ذلك بالخفاء، فوصل الخبر للدولة، فداهمت البيت الذي كنا فيه فقاومنا .

فأرسلنا إلى سفيد جبر حيث كان الأمير وقتنا له: اقطعوا الطريق ونحن بإذن الله سنأسر المجموعة، وبالفعل قتلنا الحاكم وأسرنا المجموعة، وفتحنا مديرية (علاقة داري/شعبة)، وبعد هذا ارتفعت معنويات الناس، وخرج الناس بالفؤوس والعصي ووقفوا ضد الدولة، وانتقلنا من السرية إلى العلنية.

بعد فتح شعبة صممنا أن نفتح (داره) المديرية الثانية بعد شعبة، فزاد الناس بجانبنا، فأخرج الناس أسلحتهم، وأصبح معنا مائتا مسلح فأرسلنا مائة إلى داره، ومائة أخرى إلى بازارك، ففتحنا بازارك ولم تفتح داره، وجاءت البطائرة وقصفت فاستشهد عشرون منا .

أما داره فقد قاومت ثم فتحت، فتجمعنا في بازارك للتوجه إلى رخا، فدفنا الشهداء وأخذنا الجرحى ثم هجمنا على رخا، واستجدوا بالدولة، فانتقلنا إلى سالنج وجلبهار وجاهدنا شهرا .

وفي هذه الفترة نفذت ذخيرتنا التي غنمناها، وحملت الدولة علينا، فجرح مسعود في سالنج، وأصابته رصاصة في إبطه، وكان الحادث في [كوهي سرخ]، وبعد أن هجمت الدولة تراجع الشعب مع الدولة، وأنسحبنا إلى باريان، وبقي معنا بعض المخلصين .

فاتفق زعماء القرى وعمدتها على إلقاء القبض على مسعود وزمرته وتسليمهم إلى الدولة للتخلص من التدمير والقصف، فجاأنا بعض المخلصين وأخبرونا، فكنا خمسين شخصا ولم يكن بيننا رجل يعلم شيئا عن العسكرية سوى مسعود، فقمنا بدورة عسكرية وكان يدرينا فيها .

وتعاهدنا على الجهاد حتى آخر لحظة:

كانت الدورة مدتها شهر، فانتقسما إلى قسمين بترتيب مسعود :

أ- خمسة وعشرون نزلنا إلى بازارك مع مسعود .

ب - خمسة وعشرون ذهبوا إلى شعبة ومسؤولها أنا - جادا- .

ثم بدأنا الجهاد من جديد: فصممنا أن تكون خطتنا ضرب آليات التعوين التي تمون شعبة، فانسحبوا، وكنا في رأس الجبل، فاضطرونا أن نبعث أحدها للتأكد من الخبر، ثم أرسلنا مجموعة أخرى لكشف بطن الوادي، فوجدوا جنود شعبة يريدون الانسحاب، فحاصرناهم وأسروناهم وغنمنا (٢٠ بندقية إنجليزية) ومستسدين مع الوثائق بأسماء المخايرات من الشعب المتصلين بالدولة .

ثم أخذنا شعبة «وداره»، فأرسلنا رسالة إلى مسعود ماذا نصنع؟ فأجابنا: ابدأوا بالمساجد، وأعيدوا تجنيد الناس مرة أخرى، فمن رفض الانضمام فاطلبوا منهم الأسلحة التي غنموها أول مرة من الدولة، وإلا فلنعرف ماذا عنده من السلاح .

وبدأنا حملة المساجد ولمدة ثلاثة أسابيع، ووصل الأمير وبدأنا ندرب الناس على شكل مجموعات، كل منها خمسة، وبعد التدريب نعيدهم إلى قراهم ليكونوا عوناً لنا على النولة دون أن نسلحهم، وبدأنا نهدد الناس المرتبطين بالنولة ليلاً. استمرت هذه الحالة ثلاثة أشهر، وبعد أن نظمت المنطقة جيداً فصار لنا في كل بلدة عشرون (بازارك - فراج - أعتابه، أبرد، شتل).

دور العلماء:

وقد قام العلماء بدور بارز، إذ كانوا يفتون بكفر الشيوعيين، ويرسل لنا العلماء الشباب لتدريبهم.

ثم جاء دور تسليح المدربين (عشرون في كل بلدة):

وأعلمنا وجوب قطع الإمدادات عن النولة (رخا)، وانقطعت الإمدادات بالسيارات، ثم بدأنا نرسل السرايا (بالعشرينات) إلى باكستان للتدريب، فجاءنا دوشكا نصبتها على (رخا) وبدأنا نرمي عليها، وانقطعت الإمدادات البرية، والشعب مسلح، وانتهت سلطة النولة، فلم يجدوا بداً من الانسحاب، فصارت بنجشير كلها محررة، فتحررت بنجشير كلها من الشيوعيين في أيام أمين.

دخول روسيا:

كان عندنا لدى دخول روسيا ٢٤ مركزاً، كل مركز فيه (٥-١٠) مسلحين، والبقية بدون سلاح، فأخذ الأغنياء في بنجشير يمدوننا، وبدأت الغنائم تتهاقت علينا بسبب المعارك مع الروس، فعزمنا على عدم مقاتلة الروس حتى يدخلوا في الوادي كله، وقد فعلوا، فكنت أقود المجاهدين من (رخا - شتل)، ومسعود من (رخا إلى باريان)، فقال لنا: اصعدوا من عندكم واضربوا نقاط الضعف، فضربنا ضربة شديدة، ومسعود ضرب كذلك في نقاط كثيرة، وهزم الروس، وزادت غنائمنا، وتقت مراكزنا، وارتفعت معنويات المجاهدين. وأذكر في هذه الفترة أن الشيوعيين هجموا سنة ٦١ هـ - ١٠ ش فأسرنا الجيش بكامله، وكان عددهم ألفاً ومائتي جندي معهم سبعون آلية، وكانت المعركة في برجمان، فوزعت المجاهدين، وبدأنا القتال معهم، فقتلنا ثلاثين واستسلم الباقي، وكنا آنذاك مائتين وخمسين مجاهداً، ومن القوائم مدفعان (D30)، وهاونان غرناي وهاون وسط خمسة:

سيثار للعز المحطم تاجه رجال إذا جاش الردى فهم هم
رجال يرون النذل عارا وسببة ولا يرميون الموت والموت مقدم

لقاء مع عارف خان قائد كندز / للجمعية

الثلاثاء ٥ أكتوبر ١٩٨٨ الموافق ٢٤ صفر ١٤٠٩ هـ

في هذا الصباح التقينا مع عارف خان قائد عمومي «كندز/ للجمعية»، ومعه قائد وإسوالي إمام صاحب واسمه محمد عبدالله، وأرانا عارف خان رسالة من القائد الروسي وأخرى من والي كندز الشيوعي، وقد جاءه شريط من نجيب يقول له: إن شئت أن نتعاون في حكم كندز مقابل أن تكف عن قتالنا، وفي الشريط شتانم على ضياء الحق ورباني.

قال عارف: إن موظفي النولة اليوم يتنقلون بلا أسلحة، ورفضوا أن يتسلموا أسلحة من النولة، لأنهم قالوا لنجيب: لقد أصدر المجاهدون العفو العام عنا، ونخشى إن حملنا السلاح مرة أخرى أن يقتلونا إن فتحوا المدينة للمرة الثانية.

يقول عارف: لقد أثر العفو العام في نفسيات الشيوعيين، حتى جاءوا إلي ليحرسوني ويقولوا لي: نحن من الملة الأفغانية، فكيف تخرجوننا من ملة أفغانستان (شعب أفغانستان)، وتعاملوننا كالكفار، وعندما دخل نسيم مستشار وزير الداخلية (جولاب زوي) أمسك نسيم بأذني نفسه وقال: توبة توبة من حزبكم.

قال محمد عبدالله - قائد إمام صاحب - : عندما هجمنا على الروس (مركز الكتيبة) التجأ الشيوعيون الأفغان إليهم، فرفع الروس الرايات الخضراء والبيضاء وقالوا: نحن وقعنا في جنيف ولا نريد قتالكم، خذوا هؤلاء الأفغان وشأنكم بهم، فأخذنا الضباط الأفغان وعندما صدر العفو العمومي عنهم صاروا يمشون أمامنا ناكسي رؤوسهم خجلاً وحياء.

وجاء محمد بانا (حديث عن سنة ١٩٨١):

جاءنا تقرير من كابل أن الروس سينزلون عليكم جويًا، وجاءت الطائرات فكان عددها حوالي مائة طائرة هليكوبتر، ولم يكن لدينا سوى دوشكا واحدة وزيكويك واحد، وللهول الموقف أصاب الشاب الذي على الدوشكا الذهول، ولم يستطع أن يفتح عليهم النار، فأمرت (شاه سليمان) الذي على الزيكويك أن يطلق، ففتح نيران رشاشه، فأسقط خمس طائرات دفعة واحدة، فركزت الطائرات في قصفها على الزيكويك، فتركنا الزيكويك، وزحف الكوماندوز نحونا، ودارت معركة، وسقط حوالي خمسين روسيًا، وتقدمنا إليهم وعندما حوالي ثلاثين كلاكوف، و R.P.J7 اثنين، وصاروخ سام ٧، وقاذفة القنابل اليدوية «فانجك أنداز» تلقي القنبلة على مدى ألف وسبعمائة متر، ويوجد فوق كلاكوفين منظاران ليليان (الأشعة تحت الحمراء). وعندما هجمنا على الروس لأخذ الغنائم وجدنا أن القنابل اليدوية مسعوية فتحة الأمان، وقد مات الروسي والقنبلة بيده، فعندما كنا نأخذ سلاحه تنفجر القنبلة وتقطع، وجرح بعض المجاهدين.

الغنائم:

وسأل عبدالله أنس بانا قائلا: كم غنمت؟ فقال: ماتني كلاكوف وماتني كلاشنكوف، ودمرنا حوالي أربعين دبابة ومصفحة، وحوالي أربعمئة سيارة، وقد دمرت حوالي مائة سيارة يقودها الروس، وذات مرة دمرنا مائة وخمسين سيارة محملة بالذخيرة، وقد أحرقنا سيارة منها فاحترقت جميعا، وقد بقي الروس لمدة أسبوع يجمعون لحوم القتلى المتناثرة، وكان ذلك في سالتج، وقد أطلقنا على سيارة (تلك البنزين) فاحترقت، وبدأت السيارات تحترق وتتناثر شظاياها على بعد أربعمئة متر، وقد احترقت كل المباني التي يسكنها الأهالي على الجانبين على بعد عن الشارع لا يقل عن مائة متر، وكان هذا سنة ١٣٦٤ هـ، ش (سنة ١٩٨٥م).

لقاء مع مساعد عند إسلام الدين:

الثلاثاء ١٩٨٨/١٠/٥:

اللقاء مع أرياب خدائي داد (عطاء الله)، وهو مساعد عند إسلام الدين، والقائد سيد إكرام الدين (أمير اشكمش)، وسيد عبدالكريم هاشمي المسؤول الثقافي وأمير خوست فرنج، سر معلم طارق (مسؤول جناح من اشكمش)، وسيد أكبر «عالم كبير مجاهد»، د. عبدالرحمن نائب الأمير مسعود، سارنوال منير خريج الحقوق (مدعي عام شوراي نظار).

وقد تكلمت عن المؤامرة العالمية وتاريخها على الخلافة، وأسباب ضرب الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي. ثم تكلم هاشمي المسؤول الثقافي فقال: إن عنواننا الأول هو الجهل، ونحن نأمل من الدعاة أن يساهموا في اجتيازنا هذا المازق الضيق الذي يهدد مسيرة أفغانستان المسلمة.

ثم جاء القائد الكبير جادا ليكمل قصته:

يقول عبدالله أنس: إنني لا أخرج عندما أطلق كلمة جنرال على جادا، لأن عنده من الموهبة العسكرية والتجربة الشخصية ما تؤمّله لأكثر من مرتبة جنرال:

خفيف إذا ما أثقل الفرس اللبد ^(١)	ضروب لهام الضاربي الهام في الوغى
ولو خبثته بين أنيابها الأسد	بصير بأخذ الحمد من كل موضع
لضرب ومما السيف منه لك الغمد ^(٢)	وسيف لأنت السيف لا ما تسلسله
نجيما ولولا القدح لم يثقب الزند ^(٣)	ورمح لأنت الرمح لا ما تسلسه

الحملة الثانية على ينجشير:

في الحملة الثانية كانت القوة أضعاف الأولى حتى لا تقدم خسائر كالحملة الأولى، وفي الثانية تركناهم يدخلون إلى سفيد جير.

١- لهام: الروس... اللبد: ما يوضع تحت السرج من قماش... أي ضرب لهام الشجعان الأبطال في الحرب ومرحطيف مسرع إلى الحرب... ٢- إذا لمست الدرع كنت فيه كالسيف في الغمد: أي أنت السيف حقيقه لا السيف الذي تضرب به... ٣- لم يثقب الزند: لم تضرب القذاحة، أي لولا جودة طعنه لم يعمل الرمح كما أنه لو لا القدح لم تضرب النار.

وانسحب الأهالي من بيوتهم، وتوزع المجاهدون مواقعهم على طول الوادي، وتركنا الروس يقيمون مراكزهم، ثم حملنا عليهم حسب رجل واحد. وقد كانت هذه الحملة بالديابات، ثم انسحب الروس بعد خسائر ضخمة، وقد تسمر العدو عشرون إلى ثلاثين دبابة، وأرد قتلنا فكانوا عددا كبيرا.

الحملة الثالثة:

كانت ستة أضعاف الثانية لأن الروس وجدوا أن الحملتين الأولى كانتا سببا في إثراء المجاهدين بالفتائم والأسلحة الثقيلة. وفي هذه الحملة جاء المشاة مع الديابات، وفي هذه الحملة لم يستطيعوا أن يتجاوزوا بازارك، وفي هذه الحملة غيرنا التكتيك، فحشدنا المجاهدين من سفيد جير وباريان وخنج وبشت ريووات، أخذنا من كل منطقة سرية عداها ثلاثون مجاهدا، والسبب في هذا أن أبناء المنطقة لا يضربون الديابات بشدة في قريتهم حتى لا تهدم القرية بكاملها، وقد أثبتت لنا التجربة أن أبناء المنطقة لا يضربون ضربات قاصمة، فجننا بأبناء المناطق العليا من بنجشير ليقاتلوا في المناطق السفلى (شتل وأعنايه ورخا)، فقاتلوا قتالا مريرا، وعندئذ استعيا أبناء المنطقة وقاتلوا معهم، وكانت الضربة الشديدة، فوزعنا المجاهدين في تانجي (في شتل) إلى مراج تواخ، زمانكور، حصارك كاركاو.

كانت الديابات تسير في الوادي والروس في رؤوس الجبال، فكان المجاهدون يبدأون بضرب الروس في رؤوس الجبال، ثم نهرو، ويظن الروس أن المنطقة خلت، ثم تعود وتلف من فوق رؤوس الجبال على الديابات وتدمرها. فانهارت معنويات الروس، والتفتوا في بازارك وتشاوروا فيما بينهم، ثم صمموا على العودة. وقد كنا نعتمد كثيرا على الاطلاعات (العيون) التي لنا في كابل، فكانت تصلنا رسالة من كابل من الجنود في الجيش عن موعد الحملة قبلها بأيام، فنستعد للحملة قبل أن تصل، وهنا انقطع حديث جادا إذ جاضي عبدالله أنس يخبرني بقرار الرحيل المفاجيء.

أمر الرحيل المفاجيء:

قرر رباني في هذا اليوم مغادرة المركز التعليمي إلى ورسج في طريق عودته إلى باكستان، فجاءني عبدالله أنس وقال: ليس أمامنا إلا بضع ساعات حتى نزود الإخوة العرب في سد بوركا / آغا وليد (سيد جمال)، وأخبر عبدالله شاء محمد أننا نزمع السير إلى طالقان، فأحضر شاء محمد سيارة الغنيمة وركبنا فيها وانطلقنا نحو طالقان.

٥ / ١ / ١٩٨٨م الموافق ٢٤ / صفر / ١٤٠٩هـ

غانرنا قبل العصر مع شاء محمد نحو طالقان، وشاء محمد هو أمير طالقان بعد فتحها، وهو عالم من العلماء الطيبين ويذكره الناس بخير، وقد توجهنا إلى طالقان لرؤية الإخوة العرب مع قائد الحزب آغا وليد (سيد جمال) الذي أرسلنا إليه آبا إبراهيم وقاتلته المشهورة التي تعد واحداً ومشرين غريبا، وفي الطريق (في فرخار) وإذا بمجموعة من الإخوة العرب يقودهم أبو الشهيد اليماني والدكتور صلح الليبي، ومعه فاتح شقيق أبي الشهيد، ومصعب، وجعفر، وأبو صهيب وكلهم من اليمن، وركب أبو الشهيد بجانبنا في السيارة، وكان لقاء حارا، وتركوا خيولهم في فرخار وواصلوا معنا.

لم يكن أمامنا إلا هذه الليلة، لأن الشيخ رباني قد تلقى رسالتين إحداهما من الشيخ سياف وخالص والثانية من الحكومة الباكستانية تستحثه الخطى وتستعجله القنوم، فقرر الشيخ رباني السفر.

كان لا بد أن نذهب إلى طالقان ونوصل بأغا وليد من أجل أن تلقني به ويأخذني أبي الدرداء، وانطلقنا إلى طالقان، ووصلناها بعد المغرب مع شاء محمد (أمير طالقان)، ونزلنا في بيت أحد الأثرياء، وعمل لنا العشاء وتعشينا ونمنا، ولا أنسى أننا ذهبنا أولاً إلى بيت ظننته بيت شاء محمد فلم يجد عشاء وفي الصباح تجولنا في المدينة وزرنا اللجنة الثقافية للحزب الإسلامي وكان فيها (سيد ميرزا: شقيق آغا وليد (سيد جمال) وهو قائد يشهد له بالشجاعة)، وهو من فاتحي طالقان، وقد كان سروره بلقائي عظيما، وتكلمت كلمة حييت فيهم شجاعتهم وإقدامهم وصبرهم، وأوصيتهم بمواصلة المسيرة حتى تقوم الدولة الإسلامية مع الإخوة، والمحافظة على الدماء والأموال والأعراض، وبينما كنا في اللجنة الثقافية كانت قذائف العدو تتساقط في المدينة حيث تجمع العدو في حديقة اسمها (باغ ذخيرة) وهي محصنة وبها حلاجي تحت الأرض إسمنتية، وحاول المجاهدون اقتحامها إلا أنهم تكبوا خسائر ضخمة، ولم يستطيعوا فتحها، وكذلك كان في الجبل المطل على طالقان رجل اسمه (كورمالي: الخازن الأعور) من حزب ستم ملي (شيوعي صيني) وكان يطلق قذائفه على المدينة.

في مسجد طالقان :

ثم ذهبنا إلى مسجد طالقان، وصليت فيه ركعتين، وهنا لرفت عيناى وأنا أتذكر الصحابة الكرام الذين فتحوا هذه المدينة أول مرة، ومّر في خاطري أثناء الصلاة الأحنف بن قيس وعبدالرحمن بن سمرة اللذان فتحا هرات وكابل، وطالقان آنذاك بهذا الاسم، وتجار وكانت بهذا الاسم (تجارستان).

ثم غادرتنا طالقان إلى قرية تقع على نهر فرخار اسمها (دانة)، وصلينا فيها الظهر، وانتظرنا أغا وليد، ووصلنا قرب المغرب على حافة النهر حيث صلى بنا عبدالله أنس، ثم اقترحنا على أغا وليد أن يأتي معنا للسلام على رباتي، فوافق وكان سهلا ولم يعارض وانطلقنا .

ملاحظة: (ستم ملي):

حزب شيوعي صيني أسسه طاهر البدخشي، وكذلك بحر الدين باعث من درواز، وقد بدأ تأسيسه أيام ظاهرشاه، وهو يدعو لرفع الظلم عن التاجكستان الذين يعتبرهم مظلومين، ثم انشق الحزب إلى قسمين بعد مقتل مؤسسه طاهر البدخشي في أيام تراقي في السجن:

١- سارزا «سارزمان انقلابي زحمت كشان أفغانستان».

٢- سزا «سارزمان زحمت كشان أفغانستان» (بدون انقلاب)، ومؤسس سزا بحرالدين باعث . ويتزعمه الآن بشير البغلاني وزير العدل في حكومة نجيب .

والأول يرأسه: عبد الحميد جران وهو أستاذ في كلية الزراعة في جامعة كابل .

بصحبة أغا وليد وشاه محمد:

وعلى الطريق من دانة إلى فرخار (المركز التعليمي) وقد تحدث أغا وليد إليّ مرحبا بي، وقال : لقد فرح الشيوخ والكبار عندما علموا بمقدمك. وكان أملا أن تزور أفغانستان الشمالية ، وتحدث أغا وليد عن الجهاد، فقلت له أخبرنا عن كرامات الجهاد .

فتح طالقان وفتحها الحقيقي أبو إبراهيم :

قال أغا وليد : إني لأعتبر أن أعظم كرامه في الجهاد فتح طالقان الذي لم يحتمل سوى بضع ساعات، وأعتبر فاتح طالقان الحقيقي هو أبو إبراهيم العراقي بالبيانات التي كان يطبعها ويوزعها، وكان بسام (الطابع) يوقع عليها، فكان الضباط يسألوني عن هذا الاسم ويظنون أنه منظمه جديدة، فقلت لهم: إنه الطابع .

كانت المنشورات تدعوهم إلى الاستسلام وترك الشيوعيه، وتثير الرعب في أعماقهم، وقد أدت هذه المنشورات مفعولها الحقيقي، وقد كان الضباط والمسؤولون يأتونني ليلا ويبايعون على محاربة الشيوعيه، وحتى النساء في تنظيماتها كانت تبايع، وقد اتصل بي أخي سيد ميرزا من أبواب طالقان وقال نحن الآن في حصارها، وأرسل لنا ذخيرة، فجهزت الذخيرة واتصلت به باللاسلكي بعد عدة ساعات، فقال إنتي أكلمك من داخل طالقان وقد افتتحناه، تعجبت لهذا التيسير الإلهي للفتح .

قصة الشهيد:

وحدثني وليد عن شهيد استشهد فجاء الروس وشوهوه ومثّلوا به ثم أخذناه ودفناه، وبعد فترة جاني في المنام وقال لي إن بعض أسناني وعظامي بقيت في مكان استشهادي فأحضرتها لتدفنها معي. فذهبت فوجدت بعض أسنانه وعظامه فأحضرتها ودفنتها معه .

أما شاه محمد فقد حدث عن المعاملة الاسلاميه للأسرى فقال : كانت القوة متجهة من طالقان إلى كلفغان، وعندما مرت بنا في (نمك فروش) هجمنا عليها فدمرنا ثمانى شاحنات، وقتل قسم من الروس والشيوعيين المحليين، فهربوا، وكانت ناقلة تحمل الأولاد والنساء فكانت سائلة وتركوها وراءهم، فأخذنا النساء والأولاد ووضعناهم في غرفة مدفأة، ولم نفتش امرأة، وكانت النساء تحمل فلوسا فلم نأخذ شيئا، وفي الصباح جمع الشيوعيين الشيوخ (كبار السن) وشكلوا وهذا ليرسلوه إلى المجاهدين. ولكننا أرسلنا النساء

والأولاد إلى طالقان قبل أن يأتونا، وعندما وصلت النساء إلى أزواجهن سألوهن ماذا فعل بكن الأشرار؟ فأجابتهن النساء: نحن كنا نسمع منكم أنهم أشرار فوجدناكم أتمم الأشرار، وأنتم (وطن قروش) بانهو الوطن، أما المجاهدون فقد وجدناهم أمناء طاهرين، حتى الفلوس التي في جيوبنا فإنهم لم يتعرضوا لها .

وصلنا المركز التعليمي:

وسألنا عن الشيخ رباني فأخبرونا أنه قد غادر إلى «درسيج» ثم أحضر لنا قومندان مسلم وإخوانه العشاء والشاي، وصلينا العشاء ونعنا وقد أوصاني أبو الشهيد أن أوصي بحراسة أغا وليد جيذا في عودته، ولقد كان مجيء أغا وليد معنا يدل على شهامة عالية وشجاعة فائقة، إذ أن المنطقة فيها بعض أعدائه ممن فروا من عنده، ونمت وإياه مع الأولاد وشاء محمد في غرفة واحدة، وعندما استيقظت للفجر وجدته يقرأ القرآن على نور السراج، وصلينا الفجر ثم تحركنا بسرعة .

ووصلنا خانقاه (مركز درسيج) فسألنا عن الأستاذ رباني فقالوا إنه غادر إلى (بيو أبرو)، وهو ينتظر هناك، فأفطرنا في خانقاه واشترت بنطالا من المخمل ثم تحركنا، وعلى مشارف خانقاه وجدنا (عبدالحى حقجو) أمير نهرين راجعا من بيو، وكان أبو الشهيد قد أخبرني بالأمس أن عبدالحى قدلقى القبض على قافلة ضخمة للمهندس بشير، فانتحيت به جانبا وتكلم عبدالله أنس بحضور أبي الشهيد أنه لا بد من إخلاء سبيل القافلة، ولكن فاتحة عهد بينكم وبين الحزب في المنطقة، فشكا لي بعض الآلام التي تجرعا من الحزب في المنطقة، فقال له عبدالله أنس أخيرا: ليكن إخلاء سبيل القافلة ضيافة الشيخ، فوافق واستعفى وعاهد أن يتركها .

وصول سعيد وعبدالعظيم :

وقد فاتني أن أنكر أننا لدى دخولنا إلى درسيج أخبرنا بوصول القاريء سعيد الجزائري وعبد العظيم المغربي، وكانت فرحتي بلقائهما شديدة وعظيمة، وأفطرنا مع بعضنا .

ثم توجهنا في سيارة مع عبدالله أنس إلى بيو، ووصلنا بيو فوجدنا رباني منتظرا مع القافلة، وكان مسعود حاضرا فأوصيته بالقاريء سعيد وعبد العظيم وبأبي الشهيد خيرا . وسلم أغا وليد على رباني، وسر رباني لمقدمه وجلس وإياه، ثم تناولنا طعام الغذاء، وصلينا الظهر، ثم طلب شاء محمد وسيف الدين وهما من قادة الجمعية الاجتماع بي منفردين، وشكا لي كل واحد مشاكله الاقتصادية، وقال سيف الدين: أن البوابات التي كنت تراها في الاستعراض أنا الذي غنمتها في طالقان .

ثم جلست لتفاتي مع (أرينبور) و(أمير مجاهد)، فقلت لهما أنتما من أكثر الناس الذين كنت مشتاقا لرؤيتهم، فرد أمير مجاهد بنفس الكلام، فقال أرينبور: لقد فرحت وحزنت، فرحت برويتك إذ كنت أزمع السفر إلى باكستان لرؤيتك، ولكني كنت أكره السفر خارج أفغانستان، فالحمد لله، لقد جاء الله بك، وحزنت لأنني لم أجد وقتا لأجلس معك وأبثك مشاعري وأحاسيسي .

ثم تحركنا من بيو إلى وادي بيو «المركز التعليمي»، وبعد صلاة العصر ودعنا الناس وركبنا الخيل وسرنا ساعتين ونصف على ضفاف نهر بيو، وقد سرنا ساعة بعد المغرب وكان الظلام قد أرخى سدوله، وصلينا المغرب على الطريق .

ووصلنا المركز التعليمي الذي أنشأه مسعود، وكان قد قضى فيه شهرا ونصف مع عبدالله أنس مع القطاعات المركزية (مائة وخمسين شخصا)، وهذه القطاعات تعتبر نواة الجيش الإسلامي المنتظر، وقد كانت هذه الدورة من بداية رمضان سنة ١٤٠٨هـ إلى منتصف شوال، فكان عبدالله أنس يقوم به رمضان والصيام فرض من رب العالمين، وقد تولى مسعود النواحي العسكرية والإدارية، وتولى عبدالله أنس النواحي القرآنية والفكرية، وقد كانت دورة مفيدة وناجحة، ولم يخبر مسعود ولا عبدالله أنس أحدا .

نزول طائرتي هليكوبتر قرب شيرا:

وفي هذه الفترة حصل حدث مفاجيء أن نزلت طائرتا هليكوبتر قرب شيرا (المركز الذي كان يقيم به مسعود في إشكمش)، وقد كانت الطائرتان قد ضللتا طريقهما وعند نزولهما وجدا قلاحا يزرع أرضه فسألاه عن المكان فأجابهم (إنها شيرا) فهرعا إلى الطائرتين ثم أسرعا في الهرب .

وكانت فرصة سانحة أن تتكرر حادثة الإفك التي حصلت بعد غزوة الريسيغ للسيدة عائشة رضي الله عنها، وإذا بعلماء من

الأحزاب الأخرى يجتمعون وتصدر الفتوى بتكفير مسعود ووجوب قتاله.

كان هذا في الوقت الذي كان مسعود منهمكا بتربية الجيل القرآني الذي يعدّه ليقوم بمهمة تقويض الحكم الشيوعي واقتلاع جنوده إلى الأبد داخل أفغانستان - إن شاء الله-.

العودة من بيو إلى أنجمن:

الجمعة ٧/١٠/١٩٨٨م الموافق ٢٧/صفر/١٤٠٩هـ

صلينا الفجر في (بيو). ثم تحركنا ولم أكن أعلم أن الأمير مسعود وأرينبور والقادة سيرجعون من هذا المركز، ولذا تحركت دون أن أودعهم، فبحثوا عني، وكنت قد ركبت فرسي وشرعت في المسير، وقد كانت الفرس التي قدّرها الله لي هذا اليوم عجفاء تطلع في سيرها، فرغم أنني خرجت أول من خرج إلا أن الإخوة كلهم سبقوني، وقد سألت صاحب الفرس: ما اسمك؟ فلم أستطع أن أعني ما قال لأنني سمعت (مشاء) فقال لي الإخوة: اسمه أحمد شاه وكان يوصيني بالفرس كثيرا أن لا أسرع بها، وأن لا أضربها ويأثني بين الحين والآخر يقول لي (إنه فرس ضعيف: بلغته الفارسية)، ويلتمس الي أن أنزل عن الفرس ونحن نتسلق قمم الجبال لتلتقط الفرس أنفاسها، وكان الثلج ينزل بين الحين والآخر .

أفطرنّا على الطريق (لحم غزلان)، في إحدى المقاهي التي يسمونها سماوات ولكن اسمها بالفارسية القصوى «سماوار»، ومن عادة هذا المقهى أن يخرج صاحبه ويصطاد الغزلان ثم يطبخها، وبعد أن أكلت صحناً من لحم الغزال أعجبني، فطلبت آخر ولكن المهندس عتيق كان قد أخبرني في الصباح أن أهل هذه المنطقة من الإسماعيلية، وكان بجانبني على الإفطار (نور الدين البلخي وهو خريج معهد الأنصار العالي من بلخ)، فقلت له: أن يسأل صاحب المقهى أ هو من الطائفة الإسماعيلية؟ فأجاب نعم، وعندها أعدت الصحن الثاني وأكلت قطوري خبزاً وشايًا، ومن العادة أن يقدم على الإفطار بجانب الشاي الجوز الذي يؤكل مع الخبز، يشتره المجاهدون وهو رخيص. وقد استغرق صعود الجبل (ثمانى ساعات)، واسم الجبل (ويشتي)، لأنه يطل على قرية ويشتي وهي قرية تعتبر مفرق الطريق بين ورسج وبينجشير .

وصلنا أنجمن الساعة الرابعة مساءً، وصلينا الظهر والعصر جمع تأخير، وقرأ علينا عبدالله أنس سورة الكهف.

سكن الإسماعيلية:

والشيء الذي لفت نظري هو سكن الإسماعيلية، ومن المعلوم أن الإسماعيلية طائفة باطنية كافرة باتفاق الإثمة، وهم يؤلهون (أغا خان) زوج المعثة الفرنسية، ولهم عباداتهم الخاصة، وطقوسهم المخالفة للشعائر الإسلامية، ولذا فإن ذباحهم لا تحل، ولا يحل نكاح نسائهم، ولا رد السلام عليهم، ولا يصلّى عليهم ولا يقبرون في مقابر المسلمين، والحكم الشرعي فيهم أنهم إما أن يلتزموا الإسلام أو يخرجوا من بلاد الإسلام، والذي لفت نظري مساكنهم الحصينة في قلال الجبال، فسكنهم في أفغانستان في منطقة وأخان هضبة بامير، في أعلى جبال ورسج في منطقة بيو، وفي كران منجان، وكذلك سكنهم في باكستان في مناطق جبلية حصينة صعبة الاجتياز، فما بالك بالسكن فيها؟ فهم في مناطق جترال المرتفعة وفي جلجت [المناطق الفاصلة بين باكستان وبين الصين]، وكذلك سكن النصيرية في الجبال الفاصلة بين سوريا وتركيا والتي يسمونها سلسلة جبال (العلوين)، وكذلك في اليمن الشمالي في (حراز) طائفة المكارمة، ولم يكن هذا الأمر مصادفة ولا طرفة بل تخطيطاً واستراتيجية لهذه الفئات الباطنية، ولقد علمهم الحسن الصباح الذي اختار (قلعة الموت) مركزاً له يخطط لاغتيال قادة المسلمين خاصة (صلاح الدين) إبان الحرب الصلوس التي كان يخوضها ضد الصليبيين.

ولقد قيل: أن بعض هذه الطوائف قد لقيت محاصرة من قبل المسلمين، بالإضافة إلى النبذ والازدراء الذي كانوا يواجهونه من قبل أهل السنة والجماعة، فاختاروا العزلة بدينهم، والسكن في باطن الجبال بباطنيّتهم .

من أنجمن إلى إسكازر

السبت (٨/١٠/١٩٨٨):

تحركنا بعد تناول طعام الإفطار في أنجمن . وقد كانت الأنواع التي وضعت أمامنا كثيرة، فقال لي الشيخ رباني: إن كل بيت

يأتي من عنده بطعام، ولا بد لك أن تأكل من كل طعام حتى لا يفضب أصحاب الطعام الذين تبرعوا به، وعلى فقرهم فإنهم كرماء يحبون الضيوف، ومهما كان الضيف فإنه يجب إكرامه، ولقد حصلت قصص كثيرة مع العرب تؤكد هذه السجية وهذا الطبع الذي جبل عليه الأفغان .

ماليشيا الدولة الشيوعية يحترمون العرب لأنهم ضيوف:

ولقد حصلت حوادث كثيرة تجعلك تقف احتراما لهذه الفطرة التي فطر الله عليها هذا الشعب .

ولقد ذكر أن الملك محمود الغزنوي كان ذات يوم يصطاد، فرمى سهمه على غزال فأصابه، وجرح الغزال، ثم أوى إلى خيمة أعرابي أفغاني، فلحقه الملك، وإذا بالأعرابي يمنع من دخول الخيمة لأخذ الغزال، فقال إنه صيدي، فقال الأعرابي إنه ضيفي، فقال الملك : ألا تعلم أنني الملك محمود الغزنوي؟ فقال الأعرابي: الآن علمت، ولكنني لن أسمح لك إيذاء ضيفي، فأكبر الملك هذه الروح ورجع احتراماً لكرمه .

قصة أحمد المبارك:

أحمد المبارك صومالي أرسلناه للجهاد في بروان، وذات ليلة قام المجاهدون بعملية على المركز الشيوعي، فبدأت المدفعية الشيوعية تدك الأرض تحت أقدام المجاهدين فتفرقوا ولم يعلم أحمد المبارك أين يذهب، وبقي طيلة ليلته يلتمس طريقه إلى قاعدة المجاهدين، فوجد نفسه بعد الصباح في بستان، ولكن شكله يدل على أنه ليس من أفغانستان، فرآه صاحب البستان وعرف أنه عربي . فعرفه صاحب البستان أننا قرية تتبع الدولة الشيوعية، وأراه المطار والمركز الشيوعي والقاعدة الروسية من وراء سياج البستان، فقال أحمد المبارك : فعرفت أنني وقعت في الأسر - وبعد قليل قدم لي صاحب البستان الفطور، ثم جاء بسيارة فيها مجموعة من أصحابه، وأخرجوا مبلغاً من المال ودفعوه لي فرفضت قبوله قالوا: إنك ضيف وغريب حتى تستعين به على أمورك فأبيت بإصرار، وسارت السيارة، ودار في خلدي أنهم ذاهبون بي لتسليمي إلى الروس وعلى مقربة من قاعدة المجاهدين وقفت السيارة وودعوني وعابوا وعندما رأني المجاهدون فرحوا فرحاً عظيماً . وكان بإمكانهم أن يسلموني إلى الروس، مقابل مبلغ ليس قليلاً من المال .

قصة عبدالله طاهر في هرات:

قال عبدالله: دارت معركة بين الشيوعيين الأفغان وبين المجاهدين، وكنت مع المجاهدين، فاتصل المجاهدون بالشيوعيين وقالوا: عندنا ضيف ونخشى أن يقتل، وهذا عار عليكم وعلينا، فقال الشيوعيون: إذن نوقف المعركة حتى تبعوا الضيف فابعثوني ثم عادت المعركة للاستمرار من جديد .

قصة د . محمد عمر من العراق:

شاب متحمس خريج كلية الطب، ويعشق القتال ويبتغي الموت مظانه، خدم في هرات طبياً وداعية ثم في طالقان/ سد بركة عند سيد جمال، وأنشأ مع أخيه د . صالح ود . أبي النرداء مستشفى، خرج دورة أو أكثر من المرضى، وقد اشتدت المعارك في تخار في جانب ورستان فيم شطرها، وهناك بينما كان سائراً بين ينكي قلعة ودشتي قلعة مع أخ آخر مرت بهم بياة وأسوته، وعلى الطريق عرفوا أنه عربي، فقال المليشيا الأفغان الذين في الدبابة قالوا: (وتحن كذلك أصلنا عرب)، وأكرموا ثم ودعهم وعاد إلى قاعدة المجاهدين، وهذه القصص إن دلت على شيء فإنما تدل على أصالة إكرام الضيف في أعماقهم .

القائد عباس والدكتور محمد عمر العراقي:

في دشتي قلعة تخار - واقعة بين نهري كوك جا وجيخون (آمو داريا: ومعنى داريا بالفارسية : النهر)، وقد خططوا لحملة على الشيوعيين، فهجم الشيوعيون الأفغان عليه قرب جاه آب، فهزم الشيوعيين وقتل منهم ستون شخصاً، ثم هجم الروس وقتل منهم عشرون إذ أسقطوا طائرة فيها عشرون روسياً، وفي أثناء المعركة جرح عباس واندلقت أمعاؤه، فجاء د . محمد عمر وأعاد أمعاه وخاط بطنه بخيط حادي وإبرة عادية، وكان يطهرها على شعلة السراج، وعاد عباس يتمتع بصحة طيبة، وقد أهدى عباس حصانه إلى د . محمد عمر ليعود عليه، لكن محمد عمر اعتذر .

مع جعفر الطيار اليمني من أنجمن إلى إسكازر:

وجعفر راجع من سد بركة الخاضع لسيد جمال {أغا وليد}، وقد قضى عشرة أشهر في الشمال زار فيها منطقة جاب ورستاق ومنطقة ينكي قلعة ودشتي قلعة، وقد دخل ينكي قلعة بعد فتحها بيوم واحد، وقد فتحها القاضي كبير من الحزب الإسلامي .
وحدث عن القاضي كبير الذي كان تابعاً للجمعية، ولكن المسؤول وهو (عبدالصمد) قد أضله الله على علم وانضم للدولة، وقبل انضمامه طالب القادة التابعين له بإزالة الحزب الإسلامي، ولكن القاضي رفض وانضم إلى الحزب، وانضم عبدالصمد إلى الدولة، ومركزه الآن في مدينة رستاق، وعنده طائرات ودبابات، ويتصل بروسيا مباشرة، والمجاهدون الآن يحاصرون رستاق، وقريباً تفتح يائذن الله .

قلت لجعفر: أي شيء في الجهاد أثر فيك في هذه المرحلة خاصة، قال: أكثر من أثر في إبراهيم :

إبراهيم به حبا وعشقا وألفة أيام شجيرات الحدائق بالطير

ثم يقول عن مجالسه مع أبي إبراهيم:

كانت مجالسنا في كل مكان إيماننا طعمه قد أخل العسل

وهذا البيت من شعر أبي الشهيد اليمني .

وكذلك علمت مقالة سيدنا عثمان رضي الله عنه عملياً (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)، فقد رأيت أحد القادة «المهندس قسيم» قد منع النسوار والدخان وأمر بإعفاء اللحى، فالتزم المجاهدون إلا واحداً، فضربه بالسوط، فقلنا ما بالك تجلده بالسوط؟ فقال: (لم يفهم بالحكمة والموعظة الحسنة فالسوط يفهمه).

والقائد الآخر واسمه (القومندان أمين الله) أخبره أن أهل القرية (برستكا) من ضواحي چاه آب لا يشهدون الجماعة، فجمعهم في المسجد وصلوا الظهر، ثم أمرهم أن يبقوا حتى العصر، فصلوا، ثم إلى المغرب، ثم إلى العشاء، وأخيراً أمرهم بالنوم في المسجد ليصلوا الصلوات الخمس جماعة.

ثم وافقني على إعجابه بكرم الأفغان وحياء نسائهم وغيبتهم.

وصلنا إسكازر الساعة الرابعة مساءً

السبت ٨/١٠/١٩٨٨:

وفزلنا في بيت والد (ملا محمد جان)، وابنه هذا أول من جاهد في بدخشان، وخلص (كران ومنجان) من الدولة الشيوعية، وذلك في ١٨ حمل ١٣٥٨ (في العاشر من إبريل ١٩٧٩)، فإرادت الدولة استردادها، فعمل لهم (محمد جان) كميناً وأسرتين من جنود الدولة بأسلحتهم، ثم أصبح ملا محمد جان حاكماً (لكران ومنجان) وبعد فترة انضم أهل المنطقة وهم من الإسماعيلية إلى الدولة، ومن المعلوم أن كران ومنجان ناحية (علاقة داري) مكونة من قسمين:

أ- من أنجمن إلى رباط تسمى كران وأهلها من أهل السنة ورياط من كران .

ب - من رباط إلى مجاهد كوتل منجان وكل أهلها من الإسماعيلية .

فهجمت الدولة مع أهل منجان على (محمد جان) في ١٢ جوزاء ٥٩ هـ - ١٠ ش، وذلك بعد دخول الروس بخمسة أشهر، واستشهد محمد جان في ٢٢ مايو ١٩٨٠، واحتلت الدولة الناحية، وبقيت محتلته حتى احتلها مسعود . وكان عمر محمد جان عند استشهاده ثمانية وعشرين عاماً .

وقد كان (عبدالبصير خالد) معلماً في إسكازر، وقد بدأ الجهاد مع (ملا محمد جان) - وقد استشهد وترك زوجة وثلاث بنات .
التعبير بالفارسية: قال الوالد ترك (سه عاجزة)، فعبّر عن البنت الصغيرة بالعاجزة، أما الزوجة فيطلقون عليها (سياء سر) أي (الرأس الاسود) ، وكثنتهم يشيرون إلى حديث عائشة في نساء الأنصار بعد نزول سورة النور (فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم كالفريان).

وفي إسكازر التقينا بفورمول (أمين مخازن السلاح عند مسعود)، وقد حدثنا قصة طريفة عن أهل خوست فرنك وعن قرية (فرنك) بالذات، فقال: في ٦٣ هـ - ١٠ ش (الهجوم التاسع) خرجت مجموعة كبيرة من مجاهدي بنجشير إلى خوست فرنك، وكانت

الطائرات تتابعنا حيثما سرنا وأينما حللنا، تقصف من الجو ثم تنزل الكوماندوز.
وقد جاءتني رسالة من الأمير مسعود ذات يوم أن الكوماندوز سيهبطون غداً في (خوست فرنك)، فأخبرت أهل خوست حتى يغاثروا بيوتهم إلى الجبال، وأرسلت أحد الشيوخ الكبار إلى أهل (فرنك) ليخبرهم، فألقى الروس عليه القبض، ولم يصلهم الخبر، فنزل الكوماندوز في اليوم التالي وقتلوا (٤٨) من أهاليها. وبعد أيام ذهبت إلى القرية لأعزيهم، فقالوا: إن نزولكم عننا قد أتنا بالبلاء والدمار.

فقال فورمول لهم: إنكم منذ بداية الإطلاق لم تجاهدوا، فساق الله لكم هذه النعمة، فهؤلاء ثمانية وأربعون شهيداً، وكل واحد منهم سيدخل معه سبعين يشفعه الله بهم، وإن شاء الله فلعن الله يغفر لكم تقصيركم السابق .

من اسكازر إلى الغابة (جنگل)

يوم الأحد ١٠/٩/١٩٨٨:

لم يكن لدينا خيول نركب عليها، فكان لابد للمهندس عتيق الله الذي يعتبر العقل المدبر للرحلة أن يستأجر لنا خيولاً، فاستأجر لي ولأبي الحارث ولإبراهيم ولعبد الله أنس خيولاً، وكانت أجرة كل حصان عشرين ألف روبية أفغانية (ألفي روبية باكستانية بحيث توصلنا إلى باكستان)، أما حذيفة فقد كان قد استأجر حصانه من أنجمن بخمسة عشر ألف روبية أفغانية، وذلك لأن الخيول في أنجمن أكثر وتديرها أسهل.

ركبت حصاناً قوياً وسرت به وبجانبني الشيخ رباني الذي كان يركب طيلة رحلته حصاناً واحداً ويعتبر من أقوى الخيول، وبدأ حصاني يسابق حصان رباني، وأخذتنا نشوة الطراد على الخيل وسباقها، وفتنا بقية الإخوة، وقد كانت الفرحة التي تغمر جوانحنا فوق هذه الخيول التي تذكرنا بالسلف الصالح وبالصحابة الذين فتحوا هذه البلاد، وما قابلت صعوبة ولا اعترضتنا مشكلة عويصة، إلا وتذكرت الصحابة الذين ساق الله النور إلى أفغانستان على أيديهم.

فإذا واجهتنا قمم الجبال بمصاعبها، أو الثلوج بعواصفها، أو الليالي بزمهريرها كنت أنصر الله لهؤلاء الصحابة .

سيام بأبواب القباب^(١) جيارهم وأشخاصها في قلب خائفهم يمد

الجيل الرباني الفريد :

كانت الخواطر التي تشغل مخيلتي وتتوارد على ذهني وأنا على ظهر الحصان، والحصان يتسلق بي الجبال، أو يهوى بي من قمته، يعثر أحياناً ويزلق أخرى، يكبو وينهض، وقد ألقاني ذات مرة بين الصخور إذ انزلت أقدامه، ولكن الله عز وجل نجاني من أن يطا في بطني أو يقع حاقره على وجهي .

أقول هذه الخواطر التي كانت تمر على مخيلتي كانت تزيدني إعجاباً بذلك الجيل الذي فتح الله على يديه أفغانستان أيام عمر وعثمان، كان عبدالرحمن بن سمرة الصحابي الجليل الذي فتح كابل ووُزع الغنائم فيها، ففي سنن أبي داود (حدثنا عبدالرحمن بن سمرة في كابل قال - . . .)، وكذلك الأحنف بن قيس الصحابي الذي فتح هرات وغرب أفغانستان، وكذلك التابعي الجليل صلة بن أشيم المجاهد الزاهد العابث الذي بقي يجاهد رغم أن عمره قد بلغ المائة والثلاثين عاماً، واستشهد هو وابنه في معركة واحدة في منطقة في سيستان (وهي غالباً فرح ونمروز) من الولايات الغربية الجنوبية من أفغانستان، وهي تقع جنوب هرات، وقد كان جهاده حول كابل .

وقد حدثت عنه أحد التابعين أثناء إحدى الغزوات حول كابل فقال: قمت أراقبه في الليل، فتسلل تحت جناح الظلام، ودخل الغاية، فاتبعت أثره، فتوضاً ثم قام يصلي في الغاية، وبينما كان يصلي إذ أقبل الأسد فطار قلبي هلعاً، فتسلقت شجرة كبيرة لأرى ما يصنع به الأسد، وما قطع صلة صلته، وواصل تبثله وركوعه وسجوده، فوقف الأسد طويلاً بجانب صلة ثم مضى دون أن يصيب صلة بسوء .

١- (القباب: القيام ... جيارهم : خيلهم).

مقارنة من خلال الواقع:

كنت أقول في نفسي: نحن في قافلة مجهزة أميرها هو أمير الجمعية الإسلامية، معه حرسه وطعامه وخدمه وسائره خيله، وعندهم الملابس المهيأة والطعام المجهز، ومحطات الاستراحة على الطريق، والمجاهدون يتسابقون لتقديم خدماتهم، والشعب الأفغاني المسلم يعيش تشوة فرح كبيرة بزيارة قائد من قادته المعروفين، والذي يزور هذه المنطقة لأول مرة، ومع هذا فقلوبنا تبلغ الحناجر لهول - رأي - راسوية ما يعترضنا من مشاكل فكيف بمؤلاء الصحابة القادمين من الجزيرة، جوها حار صحراوي، لم يروا بأعينهم ثلوجاً طيلة حياتهم.

لم يعدوا لجهادهم ذاك ما أعدنا من ملابس وأطعمة، وكانوا يجاهدون أهل هذه البلاد، فهم لا يستقبلون إلا بالسيف، ولا يواجهون إلا بالأسنة والحراب، بينما نقابل نحن بالاناشيد والترحاب .

قبل أن نجتاز جبل (مجاهد كوتل) عاندين جاحا الخير أن خمسة من المجاهدين من كندز قد وجدوا متجمدين فوق الجبل وبجانبيهم عجوز قد بلغ من العمر عتياً قد تجمدت أرجله، وبقيت فيه بقية من الحياة، فالتقطوه وقطعوا رجله .
وهناك ثلاثة آخرون قد فقدوا، ومؤلاء الثلاثة لا يجدون جثثهم إلا بعد أن ينوب الثلج بعد ستة أشهر .

هذا في أول الشتاء وقبل أن يشتد البرد وتغلق الطرق نهائياً، فكيف بجبال نورستان السبعة؟! كم دفن تحت ثلوجها من الجثث الطاهرة؟ وكم ضمت بين أحجارها من مجاهدين لا يعلم أماكنهم سوى رب العالمين الذي يبعثهم يوم الدين؟ وكم ابتلعت أسود هذه البلاد من الصحابة والتابعين يجمع الله عظامهم من بطونها إذا بعث ما في القبور؟ وكم افترست وحوشها من نماذج؟ وكم أغرقت أنهارها من أفذاذ؟

أفكار تتوالى، وخواطر تند تباعاً، والشريط التاريخي لا يتوقف عن الدوران، وكلها تصب في بوتقة واحدة .

عظمة جبل الفتح الأول :

وكننت أردد أمام الإخوة: ما أظن أحداً من الفاتحين الأوائل خاصة من الصحابة الأبرار أكثر أجراً من الذين فتحوا هذه البلاد (شمال أفغانستان وخراسان) حيث الثلوج والغابات ، الوحوش والهوام والأفات .
إنها نماذج تقف أمامها أقزاماً صفاراً، ونحس بهذا ونحن نثوق جزءاً صغيراً من الآلام التي تجرّعها هؤلاء .
أولئك آبائي فجنني بمثلهم إذا جمعنا يا جرير المجامع

دور الخيل والبغال في الجهاد :

وتبادر على لساني سؤال ملح وجهته للشيخ رباني قائلاً: ما سبب تأخير هذه القوافل ؟ ولماذا ينتظرون حتى يبدأ الثلج يتساقط ؟ فأجاب : إن تجهيز القوافل أمر ثقيل خارج عن طاقتنا، فكل جبهة تنتظرنا حتى نجهز قافلتها، وتبقى أجرة القوافل، وهو أمر يشكل لنا معضلة كبيرة، فأجرة الحصان والبغل يصل إلى ثلاثمائة دولار أحياناً، فإذا كانت القافلة مائة حصان فإن أجرة القافلة تكلف حوالي ثلاثين ألف دولار فكيف إذا وصلت القافلة إلى ألف حصان ؟ فهذا يعني أن أجرتها تصل إلى ثلاثمائة ألف دولار .

وقد يتبادر إلى الذهن أن هذا المبلغ يمثل رقماً كبيراً هائلاً: إن أجرة الحصان هذه تصل إلى نصف الثمن أو تزيد، فلماذا لا يشتري المجاهدون الخيول ويربونها حتى ينقلوا عليها أمتعتهم وجهازهم؟ وهذه قضية مدروسة، وقد قمنا بعمل دراسة اقتصادية لهذا فوجدنا أن الاستئجار أخف وأفضل وأقل تكلفة وأكثر راحة .

ذلك لأن صاحب الحصان يضع في حسبانته أن جواده غالباً يموت في هذه الرحلة، هذا في حالة سلامة الدرب واستبعاد العدو من الحسبان، أما قبل سنتين أو ثلاث فقلما تنجو قافلة من كمين على الطريق، سواء بالدبابات أو طائرات الهليكوبتر، وغالباً يسبق خبر القافلة إلى مسامع العدو من خلال أعينه وجواسيسه الذين جند لهم الأموال الضخمة، وذرع جنداً في كثير من الجبهات يعملون لحسابه ويبلغونه تفاصيل الأمور .

وإن كنت أنسى فلا أنسى قافلة الشهيد القائد (ميرحد) التي كانت مبيعة شطر پروان، وفيها مائة جمل، ولم يصل منها إلا جمل واحد، وأما البقية فقد لاقت مصرعها بواسطة الطائرات التي تابعت القافلة على طول الطريق حتى أهلكتها .

هذا في الأماكن التي تكون الجبال غالبية سطحها، أما الأماكن التي تتراعى بيداؤها في معظم الطريق، ويستغرق قطع

مفاوزها الشهر تقريباً كما هو الحال في هرات من قندهار إلى هلمند ثم غور ثم هرات، ولا يتخلل الطريق تلال ولا جبال ولا أشجار تزويهم، ولا صخور تحميهم. فهذه حدث عن الخسائر فيها ولا حرج، فقلما تتجو قافلة من الهلاك.

وتذكرني هذه الطريق بالشهيد أبي حمزة الفلسطيني (ماهر جوده) وأبي عثمان الكورتي (عبدالله رجب الفيكلوي) أول شهيد من مكتب الخدمات الذين لقيا الله في هلمند وهما يشقان طريقهما في مهمة (صحراء هلمند نحو هرات). ولقد ترك استشهادهما أعمق الآثار في قلوب الإخوة الذين من بعدهم، وأصبح ذكرهما يثير أشجاناً عميقة في القلوب .

أبني الهدوء ولا هدوء وفي صدرى عباب غير مأمون
يحتاج إن لج الحنين به ويئن فيه أنين مطعون
ربيع الحنين وما يجرعني من مره ويبيت يسقيني

ولذا مهما طلب صاحب البغل أو الحصان من أجر فهو قليل. لأنه يقوم بخدمة حصانه وإطعامه والاهتمام به طيلة الرحلة، فكل حصان يحتاج إلى سائس يقوده في المرتفعات الحادة وفي المنحدرات السحيقة. ويعلم متى يطعم البغل ومتى يسقي، فقد كانوا في الرحلة يرافقوننا الطريق. كنت أستاذ الحصان فكان صاحبه يلزمك في كل خطوة تخطوها، لأن قلبه معلق بحصانه .

أنواع الخيل:

لقد قامت بيني وبين الخيل إلفة ومودة، فتعلق القلب بها، وحسرت أفهم بعض المعاني التي كانت تشير إليها الأحاديث الشريفة. وما ورد في أشعار العرب قبل الإسلام وبعده.

وقد فهمت حديث رسول الله ﷺ الذي رواه أحمد عن ابن مسعود مرفوعاً (الخيول ثلاثة: ففرس للرحمن، وفرس للشيطان، وفرس للإنسان، فأما فرس الرحمن فالذي يرتبط في سبيل الله، فعلفه وروثه وبوله في ميزانه، وأما فرس الشيطان فالذي يقامر أو يراهن عليه، وأما فرس الإنسان فالذي يربطها الإنسان بلمس بطنها، فهي ستر من الفقر) صحيح.

وفي حديث آخر (خيول أجرة، وخيول وزر، وخيول ستر)، فخيول الأجرة: هي خيل الرحمن، وخيول الوزر: خيل الشيطان، وخيول الستر هي خيل الإنسان.

وقد عرفت خيل الإنسان أو خيل الستر. إذ أن أصحابها يعيشون على كرايتها، سواء للركوب أو للحمل، ويبقى صاحبها ملاصقاً بك ويسابقك في السير، ووجه معلقة بها، يخشى عليها الردى أو الضعف .

إذا حاولت مع الجواد الطراد احمر وجهه واصفر ... وفي طريقنا من إسكاند إلى الغابة استأجرت مع أبي الحارث وجعفر وأخذتنا نشوة الطراد ونحن نشق هذه البيداء (صحراء كران)، وما كنا نعلم أن هذا يؤذي أصحابها، ودعانا أمين خان / قائد مع عبدالبصير خان - على الطريق، وعرجنا عليه في مركزه عند الفتح في شيران، وربطنا خيولنا على أبواب الغند، ولمشدة ما كانت دهشتنا عندما خرجنا من الغداء لتواصل مسيرتنا إلى الغابة أن لم نجد خيولنا، وتحيرنا في الأمر، ثم علمنا من بعد أن أصحابها غضبوا أشد الغضب، وكان أحدهم يبكي ونحن في طراد الخيل ويقول: مات الحصان، مات الحصان .

ولذا فعندما وصلوا (معسكر الفتح) حطوا خيولهم ثم عادوا وتركوا أجزتها، وهذا يذكرني بقول الشاعر الجاهلي عن فرسه واسمها (سكاب) فيقول :

أبيت اللعن أن سكاب علق^(١) نفيس لا تعار ولا تباغ

واهتمام المالك بفرسه عجيب، إذ أنها مصدر رزقه، وتراه مهتماً بسوطه وسرجه وتبته وشعيه، فكانوا يقومون الساعة الثانية ليلاً من أجل إعلائها .

من شيران مركز الفتح إلى الغابة:

عندما وجئنا خيولنا قد أخذت احترنا كيف توأصل السير، وإذا بالقائد أمين يقدم لي حصانه واثنين من جنده ليرافقاني الطريق وتقدم لي بهدية وهي (جبن : كبرت من الصوف من صنع يدوي في بدخشان)، وقدم للأولاد هدايا من محارم اليد المطرزة

١- (واللق: النفيس)

المزكشة، وطاقيه، وكلها صناعة أفغانية جميلة تعتبر كالتحف التي تقدم كهدايا للأعزاء والأحباء، وسرت وكان يراني أبو الحارث ومعه إبراهيم على جواد، وأما حذيفة فقد بقي على حصانه وقد تأخر عنا قليلا، وبدأت الشمس تلم أذيالها وتودعنا، وانتشر الظلام وأرخى الليل سدوله، وبدأ البرد يزداد حدة، ووقفنا وصلينا المغرب مع الأفغان، وجمعنا مع العشاء والأفغان يظنون أننا نصلي سنة المغرب، لأن الجمع بين الصلاتين عمل غريب في نظر الأفغان، لأن المذهب الحنفي لا يجيز الجمع لا في السفر ولا في الحضر إلا في الحج بين الظهر والعصر في عرفة جمع تقسيم، وبين المغرب والعشاء جمع تأخير في المذلة، وحتى هذا الجمع إنما يعتبر لدى الحنفية من مناسك الحج، وإذا فإننا لا نجري أن نجمع أمامهم لا في السفر ولا في الخوف والخطر.

قضية مهمة :

إن مراعاة المذهب الحنفي من قبل المجاهدين العرب أمر ضروري وشرط أساسي لنجاحهم داخل أفغانستان، ولا يمكن للعربي أن يصل إلى قلب الأفغاني إلا إذا أحترم دينه، والدين في ذهن الأفغاني متمثل في المذهب الحنفي، فمن خالفه فإنما يخالف الإسلام نفسه، وأي عربي يخالف المذهب الحنفي فإنما هو وهابي، والوهابية في نظر الأفغاني العامي إنما هي طائفة من الطوائف الضالة الخارجة عن الملة الإسلامية كالنصيرية والقاديانية والدروز والأسماعيلية، ولقد عملت عوامل كثيرة على تعميق هذه النظرة تجاه الوهابية، وهذه العوامل ذات جذور تاريخية تمتد قرونا ... على رأسها :

١- الخلاف بين الدولة العثمانية وبين الوهابية، والدولة العثمانية لها احترام كبير في نفوس الهنود والباكستانيين والأفغان، لأنها دولة الخلافة ومناصرة الإسلام .

٢- الإعلام البريطاني الذي مكث فترة طويلة يعمق هذا الشرح ويزيد هذه الهوة، ولا زالت إذاعة بي. بي. سي تبث، سمومها يوميا لهدم الثقة بين العرب والأفغان .

٣- الصوفية التي كان لها سيطرة على نسبة من الناس.

٤- الشيعة وهؤلاء سواء في إيران أو في داخل أفغانستان لازالوا يضربون بمعاولهم ويحاولون أن يهدموا الصلة بين العرب والمسلمين في أفغانستان وباكستان وغيرها .

ولأجل هذا كله فقد كنا نرجو الإخوة العرب أن يتركوا بعض هيئات الصلاة المخالفة للمذهب الحنفي، وفي هذا فتاوى كثيرة من العلماء وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل والإمام مالك وابن تيمية .

أما ابن تيمية فقد كتب رسالة خاصة بهذا الموضوع اسمها (اختلاف الأمة في العبادة)، ونص في كثير من المواضع في مجموع الفتاوى على هذه القاعدة الشرعية العظيمة وهي: المصلحة، وخلصتها إذا كانت بعض المنويات أو السنن تثير الفتن، وتورث الحزازات في القلوب، وتؤدي إلى الاختلاف وفساد ذات البين، فالأولى تركها، لأن محبة المسلمين واجبة، واتلاف المسلمين فرض، والهيئات مندوبات، والفرض مقدم على المنسوب باتفاق الأمة .

وقد نص الإمام ابن تيمية على هذا في أماكن كثيرة :

١- في الفتاوى الكبرى (خمس مجلدات) مجلد ١ ص (١٢٨-١٤١) ٢- في مجموع الفتاوى (٣٧ مجلدا) في أماكن كثيرة ... في آخر المجلد الأول حين سئل عن القيام .

والترجيح بين المصالح يحتاج إلى علم شرعي وعقل ونضوج، بحيث تكون الأصول التشريعية واضحة في ذهن من يفتي في هذه القضية، وكذلك المعرفة بأرض الواقع الذي يفتي له، ورحم الله ابن تيمية إذ يقول: (وأمر الجهاد إنما يستفتى به من له علم بالدين الصحيح وعلى معرفة بما عليه أهل الدنيا) .

ولقد واجهنا بسبب هذه القضية معارضة كبيرة من بعض الشباب المتحمس لتطبيق السنة دون معرفة بقواعد الشرع وأصوله، أو دون معرفة بواقع الحال في داخل أفغانستان، وحساسية هذا الموضوع بالنسبة للشعب الأفغاني .

وانطلق قسم من هؤلاء الشباب يبدئون ويعينون أن الشيخ عبدالله مذهبي، وضد السلفية، ويحارب السنة، سبحانه ربي إن هذا إلا خطأ عظيم أو إفك مبین .

ولكنها تعارض فريضة الجهاد مع بعض هيئات الصلاة، فإذا طبقنا هذه الهيئات حرمتنا من فريضة الجهاد، وضرب بيتنا وبين قلوب الأفغان أكنة وحواجز تحول دون قبولهم كلامنا أو توجيهنا، أو محاولة الإصلاح في جهادهم أو طريقة تفكيرهم .

شخصيات ناضجة:

ولذا فإن نداء الضرورة الملحة في داخل أفغانستان هو الدعاة الناضجون الذين لهم نور كبير في الجهاد الأفغاني، وتنتظرهم مشاكل ضخمة -بإذن الله- هم مفتاح حلها، وعلاجها الناجع وبلسمها الشافي .

ولقد بحث أصواتنا ونحن نطلب هذا الصنف من الناس - الدعاة الذين نمرسوا بالدعوة في بلادهم - ليدلوا بدلهم في قضية من أخطر القضايا الإسلامية إن لم تكن أهمها على الإطلاق في الواقع المعاصر .

لقد كانت قضية أفغانستان هدية من رب العالمين، وبظروفها التي وانتها وراكبتها، وكان على الدعاة أن ينهالوا من كل حذب وصوب ليعذبوا إلى الله في محاولة إقامة مجتمع إسلامي، ويؤدوا عبادة الجهاد وفريضة القتال التي افترضها رب العزة عليهم من فوق السبع الطبايق، وطالما راودتهم أحلامهم أن يؤدوا هذه العبادة .

لقد فتحت أبواب الجهاد في أفغانستان بجميع مصارعها، وكان لابد من الولج وبالسرية الممكنة، ولم يكن التأخر في صالح الإسلام ولا في مصلحة المسلمين وهذا الدين .

إنه سرق عقد ويكاد أن يتفرض، ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر .

نعمة الله العظمى:

واني اعترافاً بفضل الله عليّ، ومنته العظمى على قلبي، أدرك الخير الذي ساقه الله إلي بأن يسر لي خدمة الجهاد الأفغاني، وأقول بعد سبع سنوات: ما من نعمة أنعم الله بها عليّ بعد الإسلام أعظم من خدمتي في الجهاد الأفغاني

إنها نعمة أسبغها الله عليّ، فأثريته نفسي ونضجت، وصفت روحي وحلقت، وصغرت الدنيا في نظري وتضاطت، وتعمقت نظرتي للأمور والشخصيات، ونضجت تجربتي مع سائر الاتجاهات والحركات، ووردنا منهل كثير من المدارس الإسلامية، وعاشنا كثيراً من المشارب والموارد .

وكانت تجربة ضخمة، أعطتني مقياساً أسبر به غور أبناء الحركات، وأدرك فيه عمق أتباع الدعوات، ومن فوق أرض الواقع، ومع سخونة الأحداث استطعت أن أزن أبناء الصحوة الإسلامية وحجمهم الواقعي، وقدرتهم على مواجهة الأحداث، وطاقاتهم على مسابرة الجماعات، والتجاوب والتعاون مع الذين يعملون على الساحة .

وما كان لي أن أخطئ بهذه الدعوات المختلفة، وأن أعيش هذه المشارب الإسلامية المتنوعة إلا في مثل هذه الظروف، حيث تبدى الفطرة الإنسانية على حقيقتها أمام أهوال الأحداث، وتتكشف السجايا البشرية والشخصية وهي تواجه الوقائع اليومية .

وأدركت أن التربية ركن ركين وجزء أساسي في الإعداد لأي عمل جهادي، وقبل امتشاق الصمام وانتشال السلاح، ولا يمكن للنفس المقصورة أن تتسلق إلى قمة سنام الإسلام وهي عاجزة عن صعود أولى درجات السلم، ولئن قفزت فوصلت فإنها لا تستطيع الصمود، فإن استطاعت بطاقة انبعاثها وحماسها على الصمود فإنها لا تطيق طويلاً الصمود، وعندها تسقط من فوق القمة .

وبالمعاشية : أعطى الإنسان نفسه وزنها وعرف حدها ووقف عنده، وأدرك جوانب النقص في المدرسة التربوية التي ساقه الله إليها منذ نعومة أظفاره، واستطاع أن يزن جماعته وزنها الحقيقي، ونزل من بروج العاجية التي يعيش فيها إلى أرض الواقع وميدان الحركة والتدافع .

وبالمعاشية: استطاعت النفس المتصفة التي تجاوزت الشئان للمخالفين، وتناست الأتقاد الصغيرة للمعارضين أقول: استطاعت النفس أن تعطي للناس حقوقهم ولو في قرارة أعماقها، وأن لا تظلم الناس في أوزانهم، وأن لا تهضم حقوقهم .

وبالمعاشية: تعلمت النفس الجرأة على ذاتها، وعلى أحبائها، بالمصارحة بالتقصير، والمواجهة بالأخطاء والتقصير .

وبالمعاشية مع الإنصاف: يمكن أن تنوب كثير من الخلافات بين الجماعات، وتنصهر الطاقات من شتى المازب والدعوات في بوتقة العمل الواحد، وعلى حرارة الأحداث وسخونة الوقائع والمشكلات .

وبالمعيشة فوق أرض المعركة: تبذرت كثير من الأوهام، وزال كثير من الغيش واللبس الذي نشأ في الظلام، وأدرك الإنسان أن العمل الجدي الواقعي غير الأحلام العذبة التي تداعب الخيال، وإن الآمال لا بد لها من عظام الرجال لينقلوها إلى وقائع وأفعال .

وبالتجربة الحية الواقعية: أدركت أن الجماعات الإسلامية يكمل بعضها بعضاً، ولا غنى عن التعاون على البر والتقوى، ولا يمكن لأية حركة أن تقيم مجتمعاً إسلامياً بدون الاستفادة من طاقات المسلمين، وأن تكسب كل ذرة خير تستطيعها في صالح العمل الإسلامي ابتغاء مرضات الله ونصرة دينه .

وأخيراً وصلنا إلى الغابة:

حيث النيران التي تشعلها القوافل التي تأخذ طريقها إلى داخل أفغانستان ذاهبة أو آية منها، وليس هنالك نوم، فالبرد شديد، ودمتان يخرى إليّ المتجملون سوى أن يستدفئوا بالنيران التي يوقنونها من حطب الغابة، ويضع كل واحد رأسه على ركبته محتبياً ثم يسهو أو يختلس دقائق من النوم ينقص عليه استمرارها الأصوات المرتفعة، وصهيل الخيول ونهيق الحمير، وبجانب حفرة أقام فوقها صاحب مطعم صغير خيمة أوى الأستاذ رباني، وكان تكريماً عظيماً من صاحب المطعم أن يؤويه ودعوت حنيفة وإبراهيم وبجانب الأستاذ رباني وفي هذا المكان الضيق القينا بأنفسنا مجهدين منهكين، وكل منا يشكل في نومه قطعة من قوس دائرة أو خطاً كثير الاعوجاج، وفي الغابة قابلت بعض الإخوة العرب، فسلمت عليهم، وكانوا في طريقهم إلى أفغانستان بعد أن قطعوا في ذلك اليوم جبل مجاهد كوتل، ولكن الذي أحزنني أنني رأيتهم يتلون بهيئات الصلاة التي ينفر منها الأفغان، كوضع اليدين على أعلى الصدر، والجهر بأمين، ولطالما نصحت هؤلاء الإخوة في هذه القضية، ولكنهم أبوا عليّ هذا، ولم ينفعهم نصحي بعد أن محضتهم خالصه، والذي حزنني نفسي أن هؤلاء الشباب سيعاملون من قبل الأفغان كمن يعامل أبناء الهيئات القريبة السويدية أو الألمانية، فالشعب الأفغاني يأخذ منهم النواء أو الأتلام والدفاتر والكتب ولكنهم لن يأخذوا منهم كلمة، ولا يصلون دراسهم، ولا يقبلون نصحتهم، ولا يعاملون معاملة الأخوة الإسلامية الحقّة، وبالحب والوفاء والمودة والحياء وغيرها من السجايا التي فطر عليها الشعب الأفغاني، ويقابلون بها ضيوفهم المسلمين .

أصعب يوم في حياتي:

من الغابة إلى مجاهد كوتل في اليوم العاشر من أكتوبر.

كانت الغابة جد قريبة من مجاهد كوتل، وفي الصباح الباكر صلينا النجر، وكان الضوء من ماء قد تحول سطحه إلى جليد في بعض أنحائه كثرة الزجاج، ولم يكن لدي حصان، إذ أنني رأيت القائد أمين قد وصل الغابة ليراجع الأستاذ رباني ببعض احتياجاته الجهادية، وكان لابد له أن يرجع بحصانه، إذ العقبة الكؤود التي تنتظر المجاهدين هذا اليوم قد تؤدي بالحصان، واستأجرنا خيولاً جديدهم وركبناها ومضينا .

ولم أر في حياتي كلها يوماً أشد عليّ من هذا اليوم، فقد غادرنا الغابة قرابة الساعة السابعة صباحاً، ومضينا ومررنا على الطائرة التي حولها المجاهدون إلى مطبخ أقاموا فيها المواقف لقلي الشاي، وبدأنا نتسلق مجاهد كوتل، وقد تحولت التوج التي تساقطت في الأيام الماضية إلى جليد يجعل المشي عليه ضرباً من التزحلق على الجليد .

لم يعد بإمكانني أن أركب الحصان، إذ أن امتطاء صهوة الحصان مغامرة خطيرة، ومغبتها وخيمة قد تسلمك إلى الهاوية التي تلقى فيها مصرعك، وألقيت الجاكيت على ظهر الحصان الذي استأجرته، لأن الجاكيت يصبح عبئاً ثقيلاً ينوء بحمله كاهلي أو ساعدي، وبدأت أحبو على أربع، إذ أن الاستمرار بالمشي قائماً يصحب كثير من المزالق، ويتعثر معه مواصلة المسيرة، وبينما كنت ألتقط أنفاسي بصعوبة بالغة يقطعها اللهاث المتواصل كانت قوافل المجاهدين من البغال والخيول والحمير تنحدر نحو أسفل الجبل، هذه الدواب المحملة بأثقالها من ذخيرة ومتاع وطعام، وكل دابة منها يمكن أن تؤدي بحياتك فيما لو انزلت قدمها وهي تواجهك في هبوطها .

ولقد حصل أن حمارة انزلت رجله، وكان الأستاذ رباني يشق طريقة صاعداً إلى قمة الجبل، وكاد الحمار أن يجرف الأستاذ رباني، لولا أن الله ساق أحد حراسه وألقى بنفسه تحت الحمار وأخذ بحزام الحمار وأوقفه .

وعلى مقربة من القمة إذ لم يبق سوى مائة متر تقريباً عن القمة وأنا أعجب من نفسي إن كان بإمكانها أن تواصل مسيرتها

إلى قمة الجبل، أم أن نياط القلب ستنقطع لشدة الجهد الذي أكبده، والعناء والإرهاق الذي يتخلل كل خلايا جسمي، وبينما كنت عر هذه الحال وإذا بمنظر حمار يتنحرج من القمة بحمولته وصاحبه يتقلب معه فثأناً أنه سيعني حمارة من أن يلتقي مصيره محطماً في قاع الوادي، ثم أدركه اليأس ليسلم حمارة إلى مصيره الحزين، ونهايته البئيسة، وهنا لم أستطع أن أتمالك نفسي لشدة الموقف فانفطرت ضاحكا (وإن كان ضحكا كائيكاً)، وإنه لمن العسير علي أن أترجم الآلام التي يتحملها هؤلاء القوم، أو أثقل الأحوال التي يكابدونها، سواء في الحل أو الترحال، وأقول في نفسي :

لا أبعد الله عن عيني غطارفة جفا إذا ركبوا إنسا إذا نزلوا

ولكنها الجنة: «أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الغائبين» أن عمران، ولقد أدركت أنه يكاد أن يكون مستحيلا أن تجد الآن شعبا يدب فوق هذه الغبراء يستطيع احتمال ما احتمله الأفغان، ولعل هذه هي الحكمة التي اختار الله لأجنبا الشعب الأفغاني في هذه الآونة الحالكة من تاريخ هذه الأمة، وذلك لإنقاذها من هوة اليأس ووهدة الاستسلام والضباب .

وإنه لأجر عظيم ذاك الذي سينتظر هذا الجيل المجاهد فيما لو توفر الإخلاص، أو راكبت الاستقامة، وكل أجر دون الجنة فهو زهيد، وكل عوض غير الفردوس فهو ضئيل، ورحم الله جعفر الصادق إذ يقول :

أثامن بالنفس النفيسة ربها وليس لها في الخلق كهم ثمن

بها تشتري الجنات إن أنا بعثها بشيء سواها إن فلكم غبن

لئن ذهبت نفسي بدنيا أصيبتها لقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن

قال الحسن: مر أعرابي على النبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية: «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» (التوبة):

(١١)، فقال: كلام من هذا؟ قال: كلام الله، قال: بيع والله مبيع لا ثقله ولا نستقيل، فخرج إلى الغزو واستشهد .

مات الحصان : وقرب القمه جاحي دين محمد - سانس الحصان - الذي كنت أركبه وعلى ظهره خرج فيه أمتعة ثم قال بلهجة

حزينة: شيخ (اسب مرد) مات الحصان .

نعم لقد مات الحصان، وكم نفق على طول الطريق من الدواب، فترى على طول الطريق هذه الدواب المتناثرة أنيثة بعد أن أعيها المسير، وأزهق روحها مكابدة مشاق الطريق حتى لقيت حتفها، وقد مشت إليه بظلفها، وعلى طول الطريق ترى الناس هذا يدفع حمارة أملا أن يبلغ به غايته، وكلما عثر الحمار أو زلقت الدابة نظر إلى المارة يستنجدهم ليرفعوا معه حصانه وهو ين تحت حمله الثقيل، وتراه يخاطب الناس (أو لم تتلقوا بالكلمة؟)، أي أولم تتفوهوا بالشهادة وكلمة التوحيد؟ فدخلت معكم في عقد الأخوة الإيمانية الذي يوجب عليكم مساعدتي؟

أما المجاهدون وأصحاب الدواب (كراكاش) فأحيانا تجد أحدهم وهو ينتفض لشدة البرد ينتظر مصيره المجهول، ولا يدري أين

توافيه منيته؟

وأخر ماسكا رأسه بكفتا يديه وعيونه تحدق بالمارة لعله يرى رجلا يأنس فيه الخير فيستدعيه ليقراً على رأسه ويرقيه بأدعية ويسأل عن حبة بواء تسكن آلامه، وثلاث يتن واضعا يده على معدته يرجو رحمة ربه ويرقب الخلاص من الألم الذي يأخذ بمجامع نفسه كلها .

ومع هذا كله فالحركة لا تتوقف، وسيل القوافل متدفق ولا تجد وحشة على هذا السبيل لكثرة السالكين الذين يواصلون العطاء

رغم مرارة المحن وشدة البلاء..

فتلك ريوعهم بالدافق الموار تغتسل

وتلك جماجم الأطفال تسحق وهي تبتهل

وأعراض النساء بها يعيث الملحد الثمل

فما ذل الإباء بهم وما بهم احتفى الفشل

ورأس الشعب مرتقع وموج البذل متصل

وأخيرا وصلنا القمة : الساعة الواحدة بعد الظهر، وكنت أود أن أجمع الظهر والعصر، ولكن أنى لك بالماء الذي به تتوضأ؟ وأين

تجد المكان الذي يمكنك فيه السجود؟ وجاء وقت الانحدار عن السفح الآخر، وبدأنا نهوي، وهنا يقابل الرهق الذي يواكب الصعود، تعب آخر الانزلاق وأنت أخذ طريقك في الهبوط، وجاء أبو الحارث وسار أمامي لأن حذائي لم يكن من النوع الذي يثبت فوق الجليد، فكان لا بد لي أن أتكئ على أبي الحارث مثل أن أضع قدمي ويدي الأخرى عصاي التي أتوكأ عليها، ولا أنري أكون المنزلق من منسائي أم من حذائي؟ وطالت المسيرة ونحن نأمل أن نترك الخيمة التي تقبع أسفل الجبل قبل الغروب لتلحق صلاة الظهر مع العصر وبدأت الشمس تصفر ونحن نواصل السير، وجدنا بنا المسير ونحن نسابق الشمس التي بدأت تلم أذيالها وتحني برأسها نحو الغروب.

وقبل الغروب بقائق وصلنا الخيمة، وبمثل البرق الخاطف توضأنا وصلينا الظهر والعصر، ثم أذن المغرب وصلينا المغرب وشرينا بعض الشاي، ولأول مرة نطعم أو نشرب بهذا اليوم.

ووجدت الشيخ ربابي قد غادر الخيمة متوجها نحو الحاج متين مع ولدي (حذيفة وإبراهيم) وكانوا قد سبقونا بكثير، إلا أنني وجدت أحد حراس الشيخ ينتظرني، وكان ربابي قد أوصاه أن ينتظرني في الخيمة حتى الغروب، وإلا فليتوجه نحو الجبل، وإلغني ببطانية ولحملي على ظهره إن احتاج الأمر.

وفرغ الحارس بوصولي كثيراً، وطار يخبر الشيخ ربابي، أما أنا فدون وصولي إليهم، عند الحاج متين خرط القتاد، إذ أن الظلام أرخى سدوله، وأطبق الفسق، وبينهم طريق كانه الحرة، مسخور كثيرة لا أستطيع أن أمشي عليها في الليل، ومن الصعب على الحصان أن يمشي ثلاث ساعات في هذا الطريق المضي.

من مجاهد كوتل إلى الحاج متين :

وأثرنا المبيت لتواصل مسيرتنا في الصباح الباكر بعد صلاة الفجر، وسرنا نحو الحاج متين أنا وعبدالله أنس وأبو الحارث ومعنا حصان واحد، وأخيراً وصلناه قرب الساعة التاسعة، فوجدنا الأولاد ينتظروننا مع جعفر اليماني عند الحاج متين .

الطور يوم ١١ أكتوبر ١٩٨٨ عند الحاج متين:

الحاج متين: رجل مضياف له قرية صغيرة باسمه، يذكر كرمه بحاتم، إذ أن بيته أصبح مستراح العناء، ومحطة الاسترخاء بعد طول ضناء، وتعجب أن خدمته لقوافل المجاهدين لا تتوقف، فتراه وهو في الستينات تقريباً يقوم بنفسه وأولاده على خدمة المجاهدين دون كلل أو ملل، ودون أن ينتظر من القوافل أي جزاء أو مقابل، وبذلك أن تتصور مئات المجاهدين بل الآلاف أحياناً يعمرون بهذا البيت الذي لا يكاد دخانه ينقطع، ولا ترى أهله يعرفون الراحة أو الاستقرار، وما أجمل أبيات حاتم في عبده وهو يخاطبه:

أوقد يا غلام فالليل ليل قمر والريح يا غلام ربح صر

إن جلبت ضيفا فانت حر

لقد كان الكرم سجية لدى الأوائل:

قوم إذا أخوت^(١) النجوم فإنهم الطارقين النازلين مقاري

وأفطرنا عند الحاج متين، وجاء لنا بالزبدة واللبن، وصنع لنا خبزاً جديداً بالإضافة إلى العسل .

من الحاج متين إلى حدود باكستان في الحادي عشر من أكتوبر :

بعد قطورنا عند الحاج متين أخذنا الخيول التي تركها لنا الأستاذ ربابي، وعلونا صهوتها، وأخذنا نشق طريقنا الصعب، وإلى المرتقى السامق صاعدين إلى قمة الجبل .

صلاة الظهر والعصر: ووصلنا القعة الساعة الواحدة، وصلبت فوق الثلج جمعا وقصرا، ثم بدأنا نهوي إلى أسفل الوادي .

الثلوج المتساقطة :

ومعنا سقوط الثلج الذي صار يتزايد تدريجياً، وكان لابد لنا أن نقطع طريقنا قبل الغروب، وقبل أن تتراكم الثلوج فوقها، مما يؤدي إلى اختفاء معالمها، وضياح السالكين عليها، وكان عباس برفقتنا مع أبي الحارث وحذيفة وإبراهيم وازداد تساقط الثلج،

١ - (خوت النجوم، أجبت السماء مقاري: من قرئ الشيف والطعام)

وأخذت معالم الطريق بالاختفاء، وكنت أدعو أن يقينا الله شر الثلج والطر، وصار الشج يتراكم علي وأنا فوق صهوة جوادي، وابتدت ملابسي، وأخذت الأرجل تبرد تدريجيا، فكان لزاما علي أن أترجل عن حصاني وأمشي لأتغلب بحرارة الحركة على برد الجو وزمهريره، وكانت الوديان تعترض مسيرتنا، وأحيانا تفرق أرجلنا بالوحد، وأخرى بالمياه، وهذا أمر يسير .

إذا اعتاد الفتى خوض النايأ فأهمل ما يمر به الوحد

وكنا نسابق الشمس حتى لا تدعنا وحدنا صيدا للظلام ونهباً للثوج التي ستتراكم علينا فيما لو أدركنا الدجى وضاع الطريق، وكمن من المجاهدين قضوا نحبهم في مثل هذه الليالي، ودعك عن قطعان الذئاب التي تنطلق في مثل هذه الظروف بحثا عن فرائسها، وطمعا في سد جوعتها، ولا نستطيع الوقوف، بل لابد من حث الخطى وجدأ السير حتى لا يملكنا الضياع. وساق الله إلينا أفغانيا فتشبتنا به حتى يكون الهادي الخريت (الماهر) على هذه الجادة، وكلما سبقنا يبغله أسرعنا الخطى في أثره، حتى إذا أعيانا إدراكه نرفع صراخنا نحوه مستوقفين له .

شبح الموت :

وكانت الخواطر تتوالى على مخيلتي وكلها علامات استفهام حول المصير!! أهي النهاية المحتومة التي ساقطنا أقدارنا نحوها لنلقى حتفنا؟ أتكون المنية بين هذه الجبال؟ وكنت أردد في مخيلتي:

ما كنت أحسب أن تكون منيتي بين الثوج على طريق مدنف

والتوجسات التي تمتلك الإنسان في مثل هذه الظروف وكأني ببناء من أعماق أعماقي يقول: إنها شهادة فلا بأس (من وضع رجله في الركاب فاصلاً فرقتيه وابته فمات، أو لدغته هامة فمات، أو مات بأي حتف مات فهو شهيد وأن له الجنة) حسب صحيح.

ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله . (الباء: ١٠٠).

(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعلهم حكيم) الحج ٥٨-٥٩. وقد جاء في الصحيح أن فضالة بن عبيد الصحابي كان في إحدى الغزوات فاستشهد أحد المجاهدين ومات آخر، فجلس فوق رأس الميت (عند رأسه في القبر)، فقال له المجاهدون: أجلس فوق رأس الميت وتدع الشهيد؟ فقال: والله ما أبالي من أي الحفرتين بعثت، أمن هذه أم من هذه، لأن الله عز وجل يقول (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا) فقد سوى الله بين القتلى والموتى ووعدهم الرزق الحسن والمدخل المرضي .

ولكن الذي كان يتنازعني هاجس الخوف على ابني، ووددت لو لم اصحبهما معي في السفر، وكلما سرنا مسافة نسال المارة أما أن لهذا الطريق أن ينتهي؟ أو ليس لهذه المسيرة من حدود؟ والأجوبة تأتيك بقيت عليكم ساعتان، بقيت ساعة، وهكذا، والنفس راغبة في النجاة .

إذا عناها كلال السير أوعدما روح القوم فتحيا عند ميعاد

وقرب الغروب أشرفنا على الحدود الباكستانية، وأشرقت النفوس، وتهللت الوجوه فرحا، وهناك وفي تلك الخيام التي تشكل معسكر الانطلاق إلى الداخل بخلنا، وأخذ المجاهدون ورفقاء الطريق يهتفون بقبولنا، وبدأت النيران تطلع في الجو استبشارا كلما قدم قادم أو حط رحله مسافر .

وكان الجميع تقريبا بانتظارنا، إلا أن الشيخ رباني كان قد غادر نحو چترال - المدينة الباكستانية الحدودية -، وبدأنا نلتمس نارا نجفف ثيابنا الفارقة بالمياه، وخلصنا أحذيتنا، وتحلقنا حول النيران المشتعلة، ويود أحدنا لو جلس على النار طمعا في الدفء وخلصا من الماء الذي يفرق أجسادنا وملابسنا .

وفي الساعة التاسعة تقريبا جاعتنا السيارة من الشيخ رباني، وركبنا وتوجهنا نحو شترال، وبعد الواحدة تقريبا وصلنا إلى دار المجاهدين، وأوينا إلى الفراش، وطوبنا بقية ليلتنا حتى الصباح، وفي ضحى اليوم التالي كان الشيخ رباني قد حفظ لنا مقعدين في سيارته (لي وإبراهيم)، أما عبدالله أنس وأبو الحارث وحذيفة فقد ركبوا في سيارة أخرى وسبقونا على الطريق، ووصلنا بيشاور في الثاني عشر من أكتوبر ١٩٨٨م (أيون تائبون لدينا حامسون) .

وقفات على أعتاب الرحلة

١- لقد كان لهذه الرحلة أثراً عميقاً لم تتركه مثلها رحلة طويلة العمر، وكأنني أرى الجهاد الأفغاني لأول مرة، وأقف أمام بعض عمالقة مع أنني أعيش الجهاد بنفسه وروحي وأعصابي ولساني وقلمي منذ سبع سنوات ونيف، ولقد أعطتني هذه الرحلة دفعة قوية إلى الإمام، وعدت مطمئناً إلى مستقبل الجهاد وهويته وخطه ومرامييه.

٢- لقد رأيت التفسير العملي الواقعي للآية الكريمة (كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال).

قد يغطي الحق فترة من الزمن، وقد يغيب تحت ضجيج الإعلام حقبة، وقد يخدع جماهير الدهماء والغوغاء بالاتهامات التي تشن على البراء، ولكن الله تكفل بإظهار الحق، لأن الحق دائماً أبلج، والباطل لجلج «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون» الآية..

ولذا فدع الناس يتهمون، ونسي طغيانهم يعمهون (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون)، واشتغل بنفسك، وطوبى لمن شغله عييه عن عيوب الناس.

وانطلق في مسيرتك تعمل وتربي وتدرّب وتوجه، وتوكل على الله (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً).

وأوكل أمرك إلى الواحد القهار العزيز الجبار (إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل مختال فخور)

وضع نصب عينك والناس لك يكتنون، ولصاندهم ينصبون، ولجبالهم يلقون، قواعد وقوانين لا تتخلف أبداً:

أ- القاعدة الأولى: ولا يحق المكر السيء إلا بأهله، قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: إنا لنجد في التوراة: (من حفر حفرة ل أخيه وقع فيها)، فقال ابن عباس: وهي في القرآن (ولا يحق المكر السيء إلا بأهله) فاطر ٤٣.

ب- القاعدة الثانية: إن الحق باق ثابت منتصر، لأنه قوي يستمد قوته من الحق، والحق متناسق مع نظام الكون، لأنه خلق بالحق (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) الحجر ٨٥. (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل).

(ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) إبراهيم ٢٤-٢٧.

ج- دع الأمور إلى خالقها، وكل أمرك إليه يدافع عنك (إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور)، والباطل من كيد الشيطان وهو ضعيف (إن كيد الشيطان كان ضعيفاً).

د- الظلم مرتعه وخيم والله ينتصر للمظلوم ويستجيب له ولو كان كافراً، كما جاء في الحديث الصحيح: (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم يغفر عليه لينصره الله إن الله لعلو علو) الحج ٦٠.

وقد كان ابن تيمية يقسم قبل معركة شقحب (٧٠٢هـ) في رمضان أن المسلمين إذا دخلوا معركة لينتصروا، فكانوا يقولون له قل إنشاء الله، فيقول: أقولها تحقيقاً لا تعليقاً، وكان يستشهد بهذه الآية (ذلك ومن عاقب بمثل ما عاقب به) (٠٠٠٠).

هـ - إن الصبر والتقوى هما خير عدة على الطريق، لأنهما درع يتحصن به المؤمنون من أعدائهم (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط) آل عمران.

وهما مفتاح الإحسان، وبهما يرفع الله الإنسان (قالوا أهلك لأنك يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) سورة يوسف.

وبهما تستنزل ملائكة النصر من السماء (يلى إن تصبروا وتتقوا وبأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسرمين) . قال أكثر من واحد من التابعين: هذه الخمسة آلاف من الملائكة عدة لكل عسكر صبر واحتساب وإلى يوم القيامة، ولقد ثبت في الجهاد الأفغاني أن الذين صبروا واحتسبوا وعملوا بصمت دون ضجيج ودون لغة كانوا سبياً في إلال روسيا بإذن الله، وأما الذين انشغلوا بتتبع عيوب الناس فقد بان زيفهم وانكشف أمرهم وعاد محبهم ذاماً.

وماذا يصنع الحاسد مع الرازق ؟ وهل يرد الحساد قدر رب العباد ؟
(يا معشر من آمن بلسانه ولم يفيض الإيمان إلى قلبه لا تختابرا المسلمین ولا تنبعوا عراواتهم، فإن من نبتع عورة أخيه المسلم نبتع الله عورته، ومن نبتع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته) .

٢- إن دراسة أية قضية من بعيد لن يكون صحيحا ما لم تخض في أعماقها، وتفحص في لبها، وقضية الجهاد في أفغانستان بل كل جهاد لا بد أن تكون قيادته في خضم المعركة حتى تكون الأحكام صائبة والأوامر قابلة للتنفيذ .
وإن التدخل في أية قضية دون أن تخوض غمارها مفسدة لها مهما كانت النية خالصة في جمع الشمل، وصداقة في إصلاح ذات البين .

٤- بقدر ما تبذل على جندك الذين حولك من وقتك، وتتعب في تربيتهم وتوجيههم بقدر ماتكون النتائج طيبة، والجهود مثمرة، وكلما عايشت أتباعك ومحبيك، واحتملت أخطأهم، وتجذعت غصص مخالفتهم لك، فإنك تزيد من حبهم لك واحترامهم لشخصك، وتضحيتهم للمبدأ الذي به تنادي، والفكر الذي إليه تدعو، وإذا غبت عنهم، وانشغلت بغيرهم -مهما كانت الأمور التي صرفت بها وقتك مهمة- فإنك تفقد ودهم تدريجيا، ويتقلثون من بين يديك شيئا فشيئا .

٥- إن هذا الدين لا يفتح أسرار له لفقير قاعد، ولا يعطي مكنوناته لإنسان جامد بارد، بل بقدر ما تعطيه يعطيك، وحسب ما تبذل له في معركتك مع الجاهلية حولك بقدر ما يكشف لك عن مخزون أسرار وأسباب انتصاره، والذين يجاهدون هم الذين يفقهون هذا الدين (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) التوبة، وهذا الرأي الذي مال إليه ابن عباس رضي الله عنهما ورجحه الطبري .

فالطائفة التي تنفر هي التي تدرك أبعاد هذا الدين وتفهم أسرار وتفسير أغواره، والحق أن الجهاد ينضج النفس البشرية على حرارة الابتلاء، ويرفع درجاتها في ضرام المعركة واللأواء .

والذين يعيشون بين صفحات الكتب ورفوف المكتبات سيقون يعيشون في أبراج عاجية مغلقة في السماء، يستنبطون البذر في الهواء . والذين يتعاملون مع هذا الدين من خلال آراء يقرأونها، ومدارس يثبونها - أقولها بصراحة- إنهم سيقون يتعاملون مع نظريات تعيش في مخيلتهم، ليس لها تطبيق في عالم الواقع كما يتخيلون، وذلك لأن أرجلهم لاتدب على الأرض، سيقون في مثالية سامية بعيدة عن واقع الأرض، يستعذبونها أمانيا وأحلاما، ولكنهم لا يعلمون كيف ينقلونها إلى واقع الأرض أحداثا جساما، وذلك لأنهم لم يتكبدوا في سبيل إقرارها غصصا، ولم يتجرعوا ألما، وهذا أمر ملموس قطعي حتى في الأمور الحسية الحياتية، فالطبيب الجراح بقدر ما يجري عمليات جراحية فإنه يصبح ماهرا بمهنته محترم بين أبناء حرفته، وموثوق لدى العام والخاص، وكذلك المهندس والمزارع، وحتى الحداد والنجار والحداد، فكيف بدين الله الذي قامت عليه السموات والأرض؟

٦- إن إقامة دين الله في الأرض وبناء المجتمع المسلم والنولة الإسلامية لها قانون ثابت لا يتغير، وهو القانون الذي قام به هذا الدين أول مرة على يد سيد المرسلين، وهو يمر في خطوات مرحلية مرتبة ترتبها زمنا ضروريا:

أ- مرحلة إعلان الدعوة من قبل رجل مؤمن بها، ممتلئ بضرورة وجودها، ويعلن التوحيد الخالص من أول خطواتها .
ب- مرحلة الحرب الكلامية الباردة، وشن حملة إعلامية من تشوية وتزوير وتبكيث، وأما الحركة الإسلامية فإنها يجب أن تنشغل ببناء أفرادها وتكوين قاعدة صلبة منهم .

ج- مرحلة الحرب الساخنة من نفي واضطهاد وتجويع وتعذيب وسجن، وتنتهي هذه المرحلة بإعلان الجهاد، وكلمة الجهاد إذا أطلقت فإنما تعني استعمال السلاح كما قال ابن رشد، وحيثما أطلقت كلمة الجهاد فإنها تعني (قتال الكفار بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) .

والناس يقفون في الساحة متفرجين على المعركة التي تدور رحاها بين الطواغيت من جهة وبين الحركة الإسلامية من جهة أخرى، وينضم الناس تدريجيا إلى الحركة كلما حققت نصرا أو خطت خطوة إلى الأمام، وفي نهاية هذه المرحلة مع ثبات الفئة المؤمنة ينتزل النصر بالتأييد الإلهي على الفئة المؤمنة . (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) غافر .

د- وبعد النصر يدخل الناس في دين الله أفواجا . (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح

بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) .

ولذا كان العام التاسع والعاشر للهجرة بعد فتح مكة عامي الوفود التي جاءت تعلن إسلامها بعد أن هزم الطاغوت الأكبر في المعركة، ويعد أن تحطمت أصنام هذا الطاغوت في رمضان سنة ٨ هـ. (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) .

٧- لقد وجدت من خلال الجهاد الأفغاني أنه لا يمكن لحركة إسلامية أن تتفرد وحدها في إقامة دين الله، فلا بد لاية حركة إسلامية تقوي نصرة دين الله في الأرض أن تتعاون مع كل الحركات الأخرى، ولا تبتخسها حقها، ولا تعتبر نفسها الوارث الشرعي الوحيد لدين الله، وتعلن في العالمين كما أعلن أهل الكتاب من قبل. (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وإحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق) . (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانتكم إن كنتم صادقين) .

٨- وأدركت من خلال التعايش مع الجهاد أن كل حركة إسلامية إنما تكون جدولاً صغيراً أو كبيراً يصب في نهر الإسلام العظيم، وأن أية محاولة لتحطيم حركة إسلامية إنما يعني تجفيف جدول من الجداول التي ترفد النهر الإسلامي، وبالتالي إضعاف للإسلام ذاته، وتكون قد حاولنا في إيذاء مبدئنا أو قتله كذاك اللب الذي قتل صاحبه وهو نائم لأنه ضرب ثيابة حطت على وجهه وهو نائم بحجر ضخم أودت بالثيابة وبصاحبه .

٩- ولابد لتحقيق المبدأ السابق أن نكف ألسنتنا عن مهاجمة الحركات، ولابد من الانشغال بنشر جوانبها الإيجابية دون التركيز على الجوانب السلبية فيها .

وما أعمق نظرة حسن البنا وهو يوصي أتباعه (تجنب تجريح الهيئات والأشخاص)، ولزيادة المحبة وتعميق الاواصر بين الحركات لابد من ذكر حسناتهم، والكف عن سيئاتهم، فهذا مما يورث المحبة، ويعمق المودة، ويبعد نزغ الشيطان بينهم. (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ٥٠٠ الإسراء: ٥٣١) . وقلوا للناس حسناً).

١٠- هنالك قادة ومجاهدون شاركونا هذه الرحلة، أو التقينا بهم فوق أرضهم التي فرشت بالجديد، وغسلت بالنجيع، ومن هؤلاء الذين لازالت بعض كلماتهم ترن في أذني أو تسري مع عروقي . .

الأستاذ رباني : الذي رأيت فيه مثال الدماثة والأدب واللفظ والاحترام لصاحبه في السفر، فقد كان لا يجلس إلا ويدع بجانبه مكاناً لي ولابني الصغير إبراهيم، ورأيت فيه جلدًا وعزيمة لا تبدو عليه لأول وهلة، ولقد كان سباقاً في تسلق الجبال وتحمل المشاق .
الآخ أحمد شاه مسعود : ولقد أعجبتني فيه التواضع وقلة الكلام، فما كان يتقدم على الأستاذ رباني ولا عليّ سواء كان راجلاً أو راكباً، وأما إذا دخل المجلس فإنه يجلس حيث ينتهي به المجلس، ولقد استقبل رباني كجندي من جنوده، أو تلميذ من تلاميذه، وزاد إعجابي به عندما علمت أنه خطب ابنة حارس فقير من حراسه (تاج الدين)، بينما تتمنى كل فتاة في أفغانستان أن تكون صاحبة الحظوة بهذا الشرف العظيم والمجد الرفيع .

والأستاذ أرينبور: بقية من السلف في زهده وتواضعه وإخباته وأدبه، كنت أتمنى أن أسمع، ولكنه كان يؤثر الصمت دائماً إلا إذا سئل، وسأله ذات مرة عن سر صعبته فقال (ما كان لي أن أتكلم في حضرة الشيخ عبدالله عزام)!!
والذي لا يعرفه يظنه أحد الخدم الذين يقومون بخدمة الضيوف، وقال لي: كنت أريد أن أتي إلى باكستان لأراك، فالحمد لله لقد كفيتني هذا الهم .

والآخ أمير مجاهد (أمير تخار) : الذي يمثل العزة الشامخة مع الأدب الجم رغم أنه أصيب في رجله .
والقائد مسلم : وعلى صغر سنه فهو محبب إلى القلوب، قريب إلى النفوس، وله في ميدان القتال صولات وجولات يعرفها كل من عايشه، وتنبئك الآليات المدمرة على باب قريته (جنكك) عن شجاعته وبطولته .
والآخ سايف رئيس الاطلاعات: أعجبتني احترامه للناس، وأدبه في التعامل، ودماثة الخلق، وإيجابيته في التعامل مع رفاق الطريق .

والآخ جكري : ويعجبني وقاؤه لإخوانه وأصدقائه .
وسيد أكبر - مجاهد كوتل - الذي ناء بحمل كثير من تكاليف الرحلة .
وإنجنير عتيق الله: وأعجبتني أدبه وحيائه، وعلو همت ورفعة اهتمامه .

والدكتور نجيب: رئيس اللجنة السياسية، فقد لمست فيه حياءً وورعاً وأدباً والتزاماً خلقياً إسلامياً .
وسارنوال محمود (أمير بنجشير) : وقد سمعت عنه كثيراً من الخير، وما رأيت منه إلا الخير .
وشاه محمد - أمير طالقان - : فهو على علمه مثال التواضع وقمة الأخلاق .

والدكتور صالح الليبي الذي لا تزيدني الأيام إلا محبة له وثقة به .

وأبو الشهيد اليمني: الذي ودعني قائلاً (إنك لأحب إليّ من نفسي وأهلي)، فأحبه الله الذي أحبني فيه، وأبتهل إلى الله أن يجعلنا خيراً مما يظنون وأن يغفر لنا ما لا يعلمون، وكذلك الإخوة الآخرون الذين رافقوا أبا الشهيد في ملاقاتي .. منهم أبو ذر، وسيد جمال (أغا وايد) أعجبني فيه تواضعه وأدبه، ورجولته وشجاعته، وأخوه سيد ميرزا: الذي ناولني الكلاكوف الذي يحمله هدية لي وأصر أن أخذه فرفضت .

د . تارشي، ورحمة الله من قارياب: أعجبني أدب الأول وصفاء الثاني .

وأما عبدالله أنس وأبو الحارث : فقد كانا اليد والرجل والعين والأذن .

وما من أخ شاركنا المسيرة إلا وترك في نفسي أثراً مهما قل أو كثر، واعتذر للإخوة الذين نسيت أسماعهم أو غابت عني أشخاصهم .

خاتمة

وفي الختام أهدي الشعب الأفغاني بشرى رسول الله ﷺ:

(إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرفه كلها، فبعد له في طريق الإسلام فقال: تسلم وتذر دينك ودين آبائك وآباء آبائك؟ فعصاه فأسلم. ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتدع أرضك وسماطك وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول (الحبل)؟ فعصاه فهاجر. ثم قعد له بطريق الجهاد فقال: نجاهد فهو جهد النفس والمال، فتقاتل فتقتل فتفترق المراء ويقسم المال؟ فعصاه فجاهد. فمن فعل ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وإن قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وإن وقصته دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة) (١)

فمن آمن وهاجر وجاهد كان حقا على الله أن يدخله الجنة، وفي النظم الكريم (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) البقرة ٢١٨ .

والبشرى الثانية من رسول الله ﷺ (أنا زعيم^(٢) لم آمن بي وأسلم وهاجر ببيت في رضى الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى الجنة، وأنا زعيم لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في رضى الجنة، وبيت في وسط الجنة، وبيت في أعلى الجنة، فمن فعل ذلك لم يدع للخير مطلباً، ولا من الشر مهرباً، يموت حيث شاء أن يموت). فهنيئاً لمن آمن وهاجر وجاهد* .

١- حديث صحيح رواه أحمد والنسائي وابن حبان من سموة.

٢- زعيم: كفيل، رضى الجنة: أمانها، لم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً: أي فعل كل وجهه البر وترك كل وجهه الشر. يموت حيث يموت: له الجنة حيث مات.

* ملاحظة: حذف من هذا الموضع (رسالة إلى أحمد شاه مسعود) لتكراره لي سجلت (كلمات من خط النار الأول) من الموسوعة.

ملاحظة: هذا الكتاب (شهر بين الحماقة) رحلة الإمام الشهيد عبادك عزام إلى شمال أفغانستان بمسحبة الشيخ برهان الدين رباني بتاريخ ١٩٨٨/٩/٨م.

وقد كان لهذه الرحلة الأثر العظيم في نفس الشيخ إذ طاف فيها بنفسه على الولايات الشمالية اليعينية التي كان يسمع بها ويأخذ تقارير أخبارها من الإخوة العرب الذي عاشوا فيها، فمن خلال هذه الرحلة تعرف بنفسه على تلك المناطق وطرف بين التنظيمات الجهادية وبين قادة الجبهات وتعرف على أحوالهم، وأدرك من خلال رحلته أن هذا الجهاد على خير وقوة، وعاد مطمئناً على نتائجها ونهايت. فالكتاب عبارة عن قصص وأخبار وروايات وأحداث سمعها رواها بنفسه هناك ثم نتاج هذه الرحلة الشيعة.

وكان على أمل أن يخرج هذا الكتاب في حبه إلا أن بعض العقبات حالت دون ذلك وقد أشرنا إلى بعضها في مقدمة الكتاب. ولجئ من الله القبول وحسن الخاتمة (الناشر)

فهرسة المجلد الثاني من المجموعة

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الاهداء إلى والدته.....	٢	لا بد للعرب من إعادة نورهم من جديد... معاذ الله أن	
مقدمة الكتاب بخط الشيخ.. أحداث.. تجارب.. محن..	٣	نفساك يا فلسطين.. إنقاذ فلسطين جزء من ديننا وعقيدتنا ١٩	
ثمان حجج طوت من عمر الشيخ.....	٣	الفرق بين القلوب الحية والميتة.. كيف صبروا.. هم	
عقد كثيرة حلت في نفس الشيخ.. ادراك الشيخ لبعض	٣	عالية.....	٢٠
القضايا في النفس البشرية.. عصارة أحداث.. في نفس	٣	نماذج رفيعة.. عفة وطمهر.. الأجل والرزق.....	٢١
الشيخ الكثير لم يستطع نقل انطباعاتها على الأوراق...	٣	الصبر والشكر.. معدن صقله الاسلام.. مقارنة بين المرأة	
أعمدة الجهاد.. العزة.. الصبر وأنواعه.....	٥	العربية والمرأة الأفغانية.....	٢٢
إلى المتأقلين عن الجهاد..... إلى الانتصار..... فريضة	٥	صفات أصيلة للشعب الافغاني.. وقفوه إنهم مسؤولون..	
الجهاد لا تنتظر تكافؤ القوى الظاهرة.....	٦	قوانين ونواميس تسيير حسبها الحياة الاجتماعية والأجيال	
القاعدون يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما	٦	عبر تاريخ البشرية.. قانون الدفع.. جبهة الحق يمثلها	
يخسرون في الكفاح والجهاد ويقدمون على مذبح اللذل	٦	الرسول جبهة الباطل يمثلها أهل الكتاب.....	٢٣
أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا لها الفداء.....	٦	فلسطين من الشواهد الكبرى على حقد أهل الكتاب..	
إثم القعود لا يسقط عنك فيما لو قدمت مالا.....	٧	ملاحقة الشعب الفلسطيني في كل مكان.....	٢٤
الغريب.. تعس عبدالدينار.. الحديث.. تقسيم الناس إلى	٧	أين الصحفي المسلم.. محاربة مع صحفي فرنسي.....	٢٥
قسمين.. أهل الدنيا وأصحاب المبادئ.....	٨	مقارنه بين الصحفيين المسلمين والصحفي الكاثوليكي	
فاستبقوا الخيرات.. اغتنام الفرص.. حرص سلفنا	٨	الفرنسي.....	٢٦
الصالح على وقتهم.....	٩	المعركة بين طائفة الجت والحصان.. دور الحصان في	
اغتنم خمساً قبل خمس.. الحديث وما يتبعه من ظلال.....	٩	الجهاد.....	٢٧
من يحفظ الأعراض إذا تعرضت للانتهاك؟.....	١٠	صدقات المسلمين لا تكفي نفقات الجهاد خبزاً..... بعض	
دعوة الشيخ للمسلمين بعدم اضاعة فرصة أفغانستان كما	١٠	المتحمسين يطعنون الجهاد طعنة نجلاء.....	٢٨
ضاعت فرصة فلسطين في عام ١٩٦٧ - ١٩٧٠م... أشق	١٠	معادلة رياضية.. الجزء من جنس العمل.....	٢٩
عبادة على النفوس هي الجهاد.....	١١	بقدر اشتغالك في أمور الآخرة ييسر الله لك أمور الدنيا..	٣٠
لا يعدل أجر الجهاد شيء بإجماع العلماء.. أصعب شيء	١١	التأييدات الريفاتية والتكريمات الرحمانية واضحة جلية... ٣١	
في الجهاد هو المرابطة لانتظار المعركة وهو أصعب من	١١	يجب أن لا يغيب عن بالنا قضايا منها استشهاد عدد من	
المعركة ذاتها.. أبرز مبررات العودة من أرض الجهاد.....	١٢	قادة المجاهدين.. تعرض الجهاد لحملة تشكيك.. مؤامرة	
قصة واقعية تدل على أن البعد من المعركة لا ينجي من	١٢	عالمية على الجهاد لاحتوائه وقطف ثمرته... المعاناة من	
الموت.... الجهاد رحلة العمر والمعركة مداها الأرض كلها..	١٢	الهجرة والفقرة... ولكن الروس لا يعلمون.. فطرة الله	
الغرض الاسمي للجهاد..... لا بد أن يستقر في أعماق	١٢	ومحاولة النصاري تعطيل خط الجسد... ينطلق خط الروح	
المجاهد أمور.....	١٣	برهانياتها تحت شعار (عذب الجسد تسمعوا الروح) ٢٢-٢٤	
الجهاد والصيف.....	١٤	اليوم أفغانستان وغداً عريستان.....	٣٥
الدعوة إلى الانفاق في سبيل الله.....	١٥	صرخنا حتى بحث أصواتنا لمساعدة أفغانستان ..	٣٦
من يحيي الأعراض من الانتهاك.. مسؤولية العرب أمام	١٥	تحذير إلى أهل الجزيرة العربية.. القبائل والجهاد..	
الله.... دور العرب في حمل رسالة الاسلام.....	١٦	مشكلة بشتونستان.. القبائل تشكل حزاماً أمنياً	
مكانة العربي المسلم في نفوس المسلمين غير العرب.....	١٧	لأفغانستان أسباب فشل روسيا وعدم نجاحها في	
		الاتصال مع القبائل.. أسماء القبائل ورواياتها.....	٢٧

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الآن حمي الوطنيس.....	٢٩	الله جماع الايمان.....	٥٢
استماتة الروس لسد متفذاً من منافذ المجاهدين على الحدود.....	٤٠	المرجفون المفروضون أو الجاهلون الصادقون.. عشرون	
اغلاق الكهف على أبي الحسن والشيخ حقاني ثلاثة أرباع الساعة....		عاماً على شهادة سيدقطب.....	٥٣
الهندية طيلة تاريخها كما شهد بذلك عسكريون باكستانيون....		ميراث سيدقطب....	٥٤
استغاثة الشيخ بالمسلمين لنجدة اخوانهم الأفغان.....	٤١	سيدقطب يضمن شقيقته حميدة.....	٥٥
الساثرون على الجمر.. الجهاد أشق عبادة..الجهاد أفضل من جوار المسجد الحرام باجماع العلماء.....		تركيز سيدقطب على العقيدة وشرح لا إله إلا الله.....	٥٦
معارك جاجي عام ١٤٠٦هـ يسردها الشيخ باعتباره أحد شهود المعركة.....	٤٢	البسم الشافعي.. كثير من الاخوة المجاهدين شفاهم الله من أمراض مزمنة في أرض الجهاد.....	٥٧
أمريكا وتجارة الدماء.. قوانين وسنن أنزلها الله في كتابه يبين العزيز فيها المعركة المستمرة بين الكافرين والمؤمنين ...		الشيخ الرهيب.....	٥٨
نقمة أهل الكتاب علينا....		ماذا على المسؤولين في العالم الاسلامي لو خلوا بين هؤلاء الشباب وبين الجهاد الافغاني.....	٥٩
تولي أهل الكتاب بعضهم لبعض ضداً... استحالة رضا اليهود والنصارى عنا.....	٤٤	الربيع العالمي من الجهاد- تشويه الجهاد- كل من جاهد في فلسطين كان جزاؤه الاعدام أو السجن.....	٦٠
موقف أمريكا من الجهاد.. الطاغوت هو الطاغوت .. أمريكا وروسيا تبحث عن البديل بعد انسحابها - الشرع الذي يطبق على الشعب هو الذي يحدد هوية الحاكم من حيث الكفر والايمان..		مزيفة أم خديعة -مؤتمر لقادة الجهاد في ١٧/١/١٩٨٧	٦١
شروط الاستعانة بالكفار.....	٤٥	الاختلاف في تحليل موقف روسيا من الانسحاب من أفغانستان.....	٦٢
قضايا أولية وأساسية قد تغيب عن الأذهان مثل الركون إلى الكفار يعيق النصر.. الجهاد بدأ ضد الروس....		توقع الشيخ عبدالله ما بعد انسحاب روسيا من أفغانستان.. جهاد لا إرهاب.....	٦٣
الجهاد قام لاقامة نظام اسلامي في افغانستان...		الحملات الشعواء على الجهاد.....	٦٤
انحراف الجهاد سقوطه نهائياً الحل السياسي الذي تسعى إليه أمريكا وروسيا باطل شرعاً ممنوعاً عقلاً ..		خطط الغرب لقتل روح الجهاد في الأمة المسلمة.....	٦٥
زيارة نكسون لأرض الجهاد.....	٤٦	نحن لا نستحي من ديننا.. نقولها بصراحه دون تلغثم السيف لازالة الحواجز ولاكابر مجرميها وسدنة الكفر وآئمة الطفيان الذين يعيدون البشر لانفسهم من دون الله..	٦٦
استدراج قادة الجهاد لمقابلة ريجان.. قمة ريجان غورباتشوف في نوفمبر ١٩٨٥..		أيام الشدائد .. أعداء الله يتناوشون المسلمين من كل جانب كالخراف في الليلة الشاتية.....	٦٧
مفكر امريكي يحذر من الجهاد الافغاني.. صدم الصادقون للقاء الذي تم بين ريباني وريجان مع التأكيد على بعض القضايا.....	٤٧	حفنة من اليهود أصبحت تقض مضاجع المسلمين في كل مكان.....	٦٨
المفتي جل الرحمن.....	٤٨	محاورة بين الشيخ عبدالله عزام والحركة الاسلامية.....	٦٩
مفتي القدس يصرح بأن الشعب الأفغاني ينتحر لأنه يراجه روسيا....		الاسلام بين العالمية والاقليمية.....	٧٠
الفرع العالمي بسبب استمرار الجهاد.....	٤٩	تمزيق النولة الاسلامية العثمانية واستبدال القومية بالاسلام	٧١
الصلح مع الكفار باطل إذا تعين الجهاد.....	٥٠	الغيرة قتلت عند كثير من الدعاة وأكبر مثال هو أفغانستان	٧٢
المرجفون والأمل العريض.. المحن وأحوال القتال وضرورة المعركة وشراسة اللقاء ضرورة ماسة.....	٥١	ثمة الشرف والفخار.. آثار العرب في داخل أفغانستان ومدى حب الافغان للعرب.....	٧٣
لا بد من الغاء اليأس من قاموس الدعوات... التوكل على		الشباب العرب داخل أفغانستان مفاتيح للخير... أسود خضابهم دم الأسود....	
		قصص رائعة في السير والمغازي.....	٧٦
		قصة الشيخ عبدالوهاب في درواز.....	٧٧

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
قصة عبد البصير من هيرات.. محمد بانا... محمود		الجهاد... عقيدة القدر لا تكون واضحة إلى في ساحة	
الغزنوي... ٧٨		الجهاد... ٩٩	
ملحة الايمان (الشرارة)... معركة جاجي المشهورة...		أكبر عقدة في حياة الدعاة هي عقدة المخابرات (الخوف	
١٩٨٧م... ثلاثون دقيقة مع الموت.. طلب النجدة ...		على الرزق والأجل) ... المسلم أعز إنسان في الأرض ..	
الانسحاب من (تبة) القيادة إلى الغرفة المتقدمة في		الاسلام شجرة لا تعيش إلا على الدماء... ١٠٠	
جاجي... ٨٠		الجهاد ضروري للحركة الاسلامية والحركة الاسلامية	
العودة إلى المأسدة يوم العيد.. مرثيات وأسباب ومعطيات		ضرورية لاشعال زناد الجهاد والشعب ضروري للحركة	
المعركة... ٨١		الاسلامية... هذا الدين لا يفهم إلا من خلال الجهاد به	
الأسباب الرئيسة التي حولت المعركة لصالح المجاهدين...		لاقراره ... واقعاً في الأرض... النولة الاسلامية لا	
استشهاد أبي حفص الفلسطيني هشام هاني منصور... ٨٢		يمكن أن تقم إلا من خلال جهاد شعبي طويل.. النولة	
استمرار المعركة.. قصة مستري... ٨٣		الاسلامية التي تقم من خلال الجهاد لا يمكن القيام	
رسائل من الشيخ عبدالله عزام إلى أمراء الأحزاب		بانقلاب عسكري عليها... ١٠١	
الجهادية بشأن معركة جاجي... تحطيم القيود- إمطة		الجهاد أفضل وسيلة لتربية النفس البشرية... ١٠٢	
الظلم عن أنفسنا... ٨٤		الجهاد أكبر عامل لتوحيد الأمة الاسلامية ولم شتاتها	
إزالة الظلم... ٨٥		وجمع شعبها... القيادة والمسؤولية لا بد أن تسلم	
إقرار منهج رباني قائم على العدل تطبيقه الجماعة المسلمة		للمخلصين الصادقين... التربية ضرورية قبل حمل	
على نفسها قبل أن تطبقه على غيرها... ٨٦		السلاح وإلا يصبحون كالعصابات المسلحة... الصبر	
الذين لا يتحركون لرفع الظلم وانصاف المظلومين هؤلاء		عمود الجهاد بل رأس هذا الدين ولا جهاد بلا صبر...	
تجار إلى الله عليهم دعوات المستضعفين... ٨٧		الهالات الكبرى مثل روسيا وأمريكا لا تساوي شيء أمام	
ونحن نقول عن غريضة الجهاد بعد أن ظلمنا في كثير من		قوة رب العالمين... ١٠٢	
البلدان الاسلامية... ٨٧		أصالة الشعب الافغاني المسلم... ١٠٣	
عزيمة وتصميم... مقاصد دخول العرب إلى أفغانستان		احترام حامل القرآن عند الافغان... ١٠٤	
ثلاثة أسباب .. مفتاح حل كثير من المشاكل داخل		الافغان فرضوا المصطلحات الاسلامية على العالم...	
افغانستان بيد العرب... ٨٩		الاصالة ضرورة لبناء المجتمع المسلم... مدرسة الجهاد	
دور العرب في أفغانستان.. مخاوف اليهود.. مصارحة مع		الافغانية... ١٠٥	
اليهود وأنابهم... ٩٠		الجهاد ضد الشيوعية... طول مدة الجهاد غدت مدرسة	
التصميم على الموت... ٩١		جهادية يتلمذ عليها العالم الاسلامي... ١٠٦	
أخذنا على أنفسنا أن نواصل تحريض الشباب العربي		عقيدة التوكل على الله.. أثر الجهاد الافغاني في نفوس	
بالقعود إلى أرض الجهاد وأن لا تتوقف في مسيرتنا... ٩٢		الشعوب الاسلامية.. زعر اليهود .. موقف الاعلام اليهودي	
مسيرة شعب الإباء... اجماع المراقبين أن الجهاد الافغاني		الذي يسيطر على الغرب... ١٠٧	
خارقه من خوارق العصر.. بروز أحمد شاه دوراني		التكالب الغربي والشرقي على إيقاف الزحف الاسلامي...	
١٧٤٧-١٧٧٣.. الانتفاضات التاريخية السبع... ٩٣		ثمار المدرسة الايمانية الدانية... ١٠٨	
مصانع الأبطال.. نماذج رفيعة من الأمهات داخل		إن الحكم إلا لله.. شروط معاهدة لوزان بعد الاطاحة	
افغانستان والعالم الاسلامي.. قصة غاطمة أم فيصل		بالخلافة وقد اتفق العالم كله على عدة قضايا... ١٠٩	
المكية... ٩٧		انتهاء الحروب الانجليزية الثلاثة بمجيء رجل غير	
فتيات جامعات يتسعين وجود محرم يحضرهن إلى أرض		مجاهد... الجهاد الافغاني على أبواب قطف ثمرته...	
الجهاد... قصة أم سعيد الجزائرية... هكذا علمني		جاء دور التكالب العائلي... ١١٠	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الاجماع على ارجاع ظاهر شاء..... اشتراك أي جهة	١١١	على القيادة والحكم..... ١٣١	
لحرمات الشعب الأفغاني المسلم من تحقيق مدغه جريمة	١١٢	هل يستطيع الأفغان أن يقيموا دولة؟... قانون إنشاء	
تاريخه وخيانة كبرى..... ١١١		المجتمع المسلم..... الطريق إلى طلقان..... ١٣٢	
القاعدة الصلبة .. كل مبدأ من المبادئ يحتاج إلى طليعة	١١٣	أحداث من مسيرة الشيخ إلى طلقان..... ١٣٣	
تضحي من أجل هذا المبدأ حتى يتحقق النصر..... قاعدة	١١٤	شخصية اريينور..... ١٣٤	
أساسية لبناء المجتمع الاسلامي... الخطوط الرئيسية	١١٥	إمكانات أفغانستان..... ١٣٥	
لتربية العصبية المؤمنة والطليعة الرائدة .. الأسباب الرئيسية	١١٦	البغل بمائة شيوعي.. لقاء ومحاورة مع بعض القادة	
للتربية الطويلة..... ١١٦		الميدانيين حول كابل..... ١٣٦	
التربية النبوية للجيل الأول.. المحنة تصقل الأرواح..	١١٧	الحكومة الشيوعية تصدر مرسوماً يقضي بفصل أي	
الزهد.. مشاركة القائد للجند..... ١١٣		موظف يتغيب ثلاثة أيام عن صلاة الجمعة..... ١٣٨	
زاد الطريق.. الولاء والبراء.. أهمية القاعدة الصلبة في	١١٤	الحكومة الشيوعية تطلب من روسيا التحمل في الانسحاب	
الجهاد..... ١١٤		من داخل أفغانستان..... ١٣٩	
تجارب الشعوب في الجهاد غالباً ما يقطف ثمرتها غير	١١٥	مسيرة عقد في جفن الروي..... الشيخ يتكلم عما ذاقه من	
أصحابها الحقيقيين..... وأجب العالم الاسلامي تجاه	١١٦	الحلاوة والمرارة في طريق الجهاد..... ١٤٠	
الجهاد... حلوى رمضان أم طبق فلسطين وأفغانستان.. ١١٥		القوارع الربانية على روسيا.. الصنم الذي هوى	
مآذب رمضان.. إذلال روسيا..... ١١٦		(الشيوعية)..... ١٤١	
عيدالاسلام وعيدالمسلمين..... ١١٧		المؤامرات على الاسلام.. فشلت روسيا من حسم القضية	
الأم والام ... المسلمون في عيد المسلمين .. ١١٨		عسكرياً... ماذا على المسلمين... والله غالب على أمره...	
قوائم محمد بن مسلمة.. قصة مصرع كعب بن الاشرف ١٢٠		أعظم خارقه خلال القرون الثلاثة الأخيرة.. المعركة بين	
نصان واضحان قاضعان يدلان على جواز اغتيال رؤوس	١٢١	اشرف شعب وأشرس دب... .. الروس منسحبون	
الكفر... الحكم الشرعي لاغتيال رؤوس الكفر... ضابط	١٢٢	لامحاله.. روسيا تحسب ألف حساب للخائن المكس في	
بهذا الشأن... اغتيال قادة الكفر سنة مهمة..... ١٢١		أفغانستان.. عقاب على الطريق أمام العالم..... ١٤٢	
إحياء سنة اغتيال قادة الكفر .. خلاصة في موضوع	١٢٢	عقبات أمام دولة المجاهدين القادمة تخوف الأعداء من	
اغتيال أئمة الكفر..... ١٢٢		خطر الزحف الاسلامي القادم..... ١٤٥	
عقيدة الولاء والبراء..... ١٢٣		الدول الغربية والشرقية لن تقف مكتوفة الأيدي تجاه الدولة	
لا يمكن لصاحب عقيدة الولاء والبراء أن يكون جاسوساً	١٢٤	الاسلامية في أفغانستان... جاء الحق وزهق الباطل...	
للمخابرات المركزية الأمريكية أو الروسية أو أي جهة	١٢٥	البشر والقدر..... ١٤٦	
معادية للاسلام..... ١٢٥		محاولات لانقاذ الموقف العسكري الروسي... العد	
لغة البيض والسمر... عندما كنا نستعمل لغة القوة كان	١٢٦	التنازلي الروسي..... ١٤٧	
الأعداء يفهمون علينا..... ١٢٦		التنازل الروسي... مؤتمر الشورى في روليندي... المؤامرة	
حالة الأمة بعد أن تركت لغة القوة... لغة أهل	١٢٧	العالمية على هذا الدين..... ١٤٨	
الهندوكوش..... ١٢٧		خطورة تولي قيادة الأمم من أناس لم يتمرسوا بهذا الدين	
أثر تطبيق لغة القوة في أفغانستان..... ١٢٨		من خلال معاناة طويلة وتضحيات باهظة..... ١٤٩	
القرار التاريخي من الحركة الاسلامية باعلان المواجهة مع	١٣٠	من يعلق الجرس.. الكرامات السياسية التي تلت معاهدة	
داود..... ١٣٠		جنيف.. معاهدة جنيف ربطت ثلاث قضايا بخيط	
الحركة الاسلامية في أفغانستان عمرها صغير.. كانت		واحد..... ١٥٠	
رأس حربة.. عاشت مع جميع طبقات الشعب.. تمرست		ضياء الحق مع قادة الجهاد.. توقيع معاهدة جنيف.....	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
موقف جونيغو ونوراني من المعاهدة.. الانسحاب الروسي ١٥١		رجال وأحداث ... هدفين رئيسيين كان محور الحديث الذي	
موقف ضياء الحق بعد معاهدة جنيف.. التراجع		كان يدور بين الشيخ عبدالله وحكميتيار أثناء طريقهم إلى	
الروسي.... زيارات كوربوقين بعد توقيع معاهدة جنيف....		جاريكار... الشيخ يؤكد لحكميتيار أن الحزب الاسلامي لا	
موقف يونس خالص.....	١٥٢	يستطيع وحده فتح الثغور المهمة في أفغانستان..... ١٧٢	
العروض على المجاهدين.. مجلس شورى المجاهدين في		قذيفة حمقاء تبدد آمال العقلاء.. مقتل قادة مسعود ..	
روابندي .. التحدي الكبير.....	١٥٣	الشيخ يتوجه إلى بنشير .. خلاصة الحادث.. الأجهزة	
لن تطفئوا نور الله... معركة جلال آباد والتساؤلات من قبل		الغربية والاعلام المعادي..... ١٧٣	
الذين يرقبون المعركة.....	١٥٤	مقابلة الشيخ مع مسعود.. الراحة النفسية للشيخ بعد	
الاعتذار عن المجاهدين... موقف أصحاب الشمال العربي		عودته من داخل أفغانستان.. حادثة بنر الرجيع ويثرمعونة	
وما يشيعونه ضد الجهاد.....	١٥٥	.. بشائر على طريق العودة إلى باكستان..... ١٧٤	
فتنة الحرب الأهلية.....	١٥٦	مسيرة شعب.. أملنا بالنسبة لكابل... حل الأفغان..... ١٧٥	
ما أشبه الليلة بالبارحة.....	١٥٧	مفاتيح حل الطلاسم والمعصيات في الخلافات عند الشعب	
جيش أحمد خان.. العودة إلى دلهي.. بيعة على الجهاد ١٥٨		الأفغاني..... ١٧٦	
أحمد عرفان هدفه... هجرته.....	١٥٩	فذلقة تاريخية.. الصحابة خاضوا معارك شرسة ضد	
معركة شينو... بيعة زعيم القبيلة لأحمد عرفان.....	١٦٠	الأفغان حتى استطاعوا ادخال الاسلام إليهم... الوقوف	
مزيفة القائد الفرنسي فينتور أمام جيش أحمد عرفان..		باجلال أمام الأجيال الأولى التي فتحت أفغانستان....	
معركة زيدة.. معركة تورده.. فتح بيشاور.....	١٦١	شعب كامل يحمل السلاح ضد أعدائه وقد يستغله بعض	
تولية سلطان محمد خان على بيشاور.. مؤامرة الوهابية		الفاسق ضد النساء والأطفال لتنفيذ مآريهم.. تجريتي في	
ضد أحمد عرفان.. أتباع أحمد عرفان واصلوا		فلسطين... تجربة الحركة الاسلامية..... ١٧٧	
لمعركة.....	١٦٢	الكفة راجحة لصالح المجاهدين لأسباب..... ١٧٨	
بريطانيا تستعمل مؤامرة الوهابية اليوم في أفغانستان		نور الاعلام في طمس جهاد الاعلام... البروتوكولات	
كما استعملتها ضد أحمد عرفان الشهيد.. حضارة الأرض		اليهودية..... ١٧٩	
لثالث .. محاوره وعتاب من بعض الاخوة على الشيخ..		اليهود يمسون زمام الاعلام الغربي ... المحور الذي تدور	
تضية أفغانستان واقعها أكبر من إعلامها.....	١٦٣	حواله أجهزة الاعلام... نظرة الناس إلى الجهاد..... ١٨٠	
بقتل ضياء الحق.....	١٦٤	الاعلام الغربي.. الاسلام أخطر من الشيوعية في نظرهم...	
عادة عجلة الجهاد إلى الوراء... الحائط المسند أمام		... دور الاعلام الغربي الآن تجاه الجهاد ... أحشفاً وسوء	
لجهاد.. صفحات من التاريخ كفتح الطرق وحصار		كيلة ... حديث شامل أمام المراسلين والصحفيين في	
لطائف.....	١٦٥	الكريت..... ١٨١	
نق الأوراق وفقه الحركة.. أريد حياته ويريد قتلي.....	١٦٦	الأدلة القاطعة بين الاحتمالات والتوقعات وبين النتائج	
لطريق إلى كابل.. الوصول لمركز الفتح.. اللقاء مع الاخوة		الدامغات.. محاولات يأسه من أمريكا لانقاذ الدب	
لعرب.. القيادة الموحدة أو مجالس الشورى أكثر ما كان		الروسي... مقارنة بين جهاد أفغانستان وحرب فيتنام... ١٨٢	
يشغل الاخوة العرب.....	١٦٧	الصحف العربية تحمل لواء تحطيم وتشويه الجهاد	
حديث التاريخ وعابر من هذه المنطقة من قادة وفتوحات		الأفغاني... أبناء لا يعرفهم أحد ولا يعرفون لهم قريبا... ١٨٤	
سلامية.....	١٦٨	تزوجته ليكون معي محرماً.. الكفة راجحة لصالح	
حكمتيار يسرد تفاصيل المعركة القادمة.. القدر لا يخضع		المجاهدين.. خسائر الشيوعيين بعد الهزيمة الروسية ... ١٨٥	
بشر.. أمور يتفرد بها العرب.. أعداء الله يدركون خطر		عمليات الشيخ تميم العدناني..... ١٨٦	
لعرب والنور الكبير الذي يقومون به... القدر والبشر... ١٦٩		ملاحظات مهمة تعقيباً على افتتاحية العدد ٤٩ (البغل	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
انتهاه الفصل الأول من مذبحة الفلسطينيين في الأردن.. ٢٠٨		بمائة (شيوعي) ١٨٧	
منبحة هيرات.. الأحداث في بيت المقدس..... ٢٠٩		كتاب حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد	
الفصل الثاني من المذبحة تجمع الفدائين في احراش		كلمة أدبية رائعة عن حركة حماس..... ١٨٩	
جرش وعجلون وقسم آخر إلى سوريا ولبنان ... مذكرات		يا جبل الدموع... ما نسيناك يا فلسطين... أنا هاهنا فوق	
ابن غوريون سنة ١٩٣٧ واحلام اليهود في لبنان..... ٢١٠		الكبير..... ١٩٠	
الفلسطينيون ولبنان.. الترتيبات بين الكتاب والنصيرية.. ٢١١		هل نحن صادقون.. كلمة عن أبي جهاد..... ١٩١	
قضية فلسطين والحل الاسلامي.. فلسطين قضية اسلامية		اسرائيل دولة فكرة ... موقف الشعوب من عقيدة الولاء	
لا ينقذها إلا الاسلام..... ٢١٢		وانبراء.. احلام أم يقظة ... أحداث بطولية في مسقط	
اليهود خططوا لضرب العالم على ثلاثة محاور.... أسماء		رأس الشيخ..... ١٩٢	
أعضاء المكتب السياسي الأول للثورة الشيوعية..... ٢١٣		أصوليون ومعتدلون..... ١٩٣	
النسب التاريخي لليهود انعام..... ٢١٤		نحن رهابيون لأعداء الله... رسالة الاخلاص..... ١٩٤	
كلما أراد اليهود أن يفتنوا قفزة ضغط الأعداء على العالم		رسالة الزهد والتكشف.. أخطر داء يودي بحياة الأمم هو	
العربي لتضرب الحركة الاسلامية..... ٢١٥		داء الترف..... ١٩٥	
اغتيال البنا وقافلة شهداء الاخوان... فتنة ايلول..... ٢١٦		رسالة الورع..... ١٩٦	
التحذير من الصلح مع اليهود والناس أحد فريقين بالنسبة		رسالة الأخوة والمحبة..... ١٩٧	
للصلح أو التوسع... ماهو الحل الآن..... ٢١٧		أتراسوا به.. كل قضية اسلامية تقترب من النصر يتكالب	
الحرب الفدائية والمقاطعة الاقتصادية ٢١٨		عليها الأعداء..... ١٩٨	
وصايا للشباب المسلم..... ٢١٩		تخففوا يا أبناء فلسطين.. الشعار الجديد ليس من متاع	
كتاب كلمات من خط النار الأول		جديد..... ١٩٩	
مقدمة الكتاب.. اهتمام العالم الاسلامي بقضية		من كابل إلى القدس..... ٢٠٠	
أفغانستان..... ٢٢٠		خمس دقائق للقضية أم للطاقي..... ٢٠١	
خير الأعمال أومها وإن قل... انفرط عقدهم... الحمار		عهد على القادة.... ما رأيت قضية تاجر بها الفجار وظلم	
يستبدل بستين شيوعي..... ٢٢٢		أصحابها الحقيقيون مثل فلسطين..... ٢٠٢	
لن تغلبوا القدر.. الحرب في أفغانستان عالمية ٢٢٣		هزيمة عام ١٩٦٧م- الشيوعيون العرب يدافعون عن	
شرقات الموت للرجل المريض..... ٢٢٤		اليهود المظلومين..... ٢٠٣	
الحسم للحسام..... ٢٢٥		عبدالناصر استشار الأمريكان حول الشعار الذي	
قانون ثابت.... ناموس إقامة المجتمع المسلم..... ٢٢٦		سيرفعه... طرح مبادئ بعيدة عن الاسلام لا ضلال	
ليس الصبح بقريب؟... تنازل الاتحاد السوفياتي من علياء		الشعوب... القومية..... ٢٠٤	
أبهته..... ٢٢٧		الحديث عن اليقظة الاسلامية عبر جريدة هأرتس	
خدمت نارهم وفقد كبيرهم طلبات غورباتشوف .. من		الاسرائيلية.. هزيمة ١٩٦٧م.. حركة فتح تستنفر المسلمين	
فوق منبر الامم المتحدة..... ٢٢٨		لتخليص المسجد الأقصى... الأحزاب الشيوعية والقومية	
رد المجاهدين على خطاب غورباتشوف..... ٢٢٩		اخترقت حركة فتح..... ٢٠٥	
كل نفس ومسؤوليتها.... لا يمكن للنفس البشرية أن تفهم		الشعارات والمزايدات الثورية... توتر الجو بين فصائل	
الاسلام إلا بقدر المعاناة والتضحيات التي تقدمها لهذا		المقاومة وبين الحكومة الأردنية..... ٢٠٦	
الدين..... ٢٣٠		سهم أصاب الثورة في مقتلها .. مقتل الثورة.. ساعة	
محاولات ياشنة من قبل الروس..... ٢٣١		الصفير في الصدام مع الحكومة الأردنية.. مبادرة روجرز	
ما ظننتم أن يخرجوا... الروس بدأوا بالانسحاب من		وعبدالناصر في شهر آب عام ١٩٧٠م..... ٢٠٧	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
أفغانستان.. انتصار الجهاد في أفغانستان معجزة القرن الثلاثة..... ٢٣٢	٢٣٢	معسكر الكفر الغربي والشرقي.. نور إذاعة B.B.C. ٢٥٢	٢٥٢
تصفية نجيب وحكومته.. هدية النصر.. على أبواب كابل..... ٢٣٣	٢٣٣	الربيع العالمي من الاسلام.. حرمة الاستماع إلى إذاعة الكفر وغيرها... مغامرات غرين دايز... معارك عنيفة وانتصارات رائحة حول جلال آباد..... ٢٥٤	٢٥٤
أليس الله بكاف عبده..... ٢٣٤	٢٣٤	بعض شهداء جلال آباد..... ٢٥٥	٢٥٥
ويل للمطفئين..... ٢٣٥	٢٣٥	من معارك جلال آباد ... اقتراح على المربين ورجال الاعلام.. المرميا(ظاهر شاه)..... ٢٥٦	٢٥٦
انهيار كيان الدولة الشيوعية.... المؤامرة السياسية على هذا الجهاد ٢٣٦	٢٣٦	مؤامرة قندهار لارجاع ظاهر شاه... مؤامرة بريطانيا ضد حبيب الله (ابن السقا)..... ٢٥٧	٢٥٧
لا بد للمخاض من آلام.. المسلمون يتابعون المؤامرات على الجهاد..... ٢٣٧	٢٣٧	نادرشاه يلقي القبض على حبيب الله ويعدمه... رصاص المجاهدين ينتظر ظاهرشاه..... ٢٥٨	٢٥٨
الشيخ يطمئن المسلمين بما يفتلج في صدره..... فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب..... ٢٣٨	٢٣٨	المعادلات الصعبة .. فزع الأمريكان من انتصار المسلمين في أفغانستان واستلام الحكم..... ٢٥٩	٢٥٩
الحملة الاعلامية وراها الحقد اليهودي..... ٢٣٩	٢٣٩	خلاصة المؤامرة على الجهاد.. (١٥) مليون دولار أجرة ترحيل المعدات والاسلحة إلى داخل أفغانستان عن طريق مكتب الخدمات..... ٢٦٠	٢٦٠
مسرحيات الذئاب أم قضية كتاب قصة كتاب سلمان رشدي غطت أحداثه على أضخم نصر للمسلمين..... ٢٤٠	٢٤٠	ظاهر شاه متحمس للعودة إلى أفغانستان ... تبعة ثقيلة ٢٦١	٢٦١
تشكيل حكومة المجاهدين في رولبندي..... ٢٤١	٢٤١	هجرة العقيدة.. جولة واسعة مع حكمتيار حول نجرهار ٢٦٢	٢٦٢
التحدي الكبير..... ٢٤٢	٢٤٢	ماذا عن فتح جلال آباد ؟ ... مع المهندس حكمتيار..... ٢٦٣	٢٦٣
في الصباح يحمد القوم السرى... شهر الشهداء...	٢٤٣	حرب الأفيون .. إفرازات الانظمة الجاهلية..... قضية المخدرات مرتبطة بالدين والقيم..... ٢٦٤	٢٦٤
اشتداد القتال..... ٢٤٣	٢٤٣	شركة الهند الشرقية البريطانية (قاتلة النفوس)..... ٢٦٥	٢٦٥
الشباب يتساقطون جرحى وشهداء..... ٢٤٥	٢٤٥	مشكلة الأفيون.. الاسلام هو الحل.. مع حكمتيار حول جلال آباد..... عقد ضروري بين المجاهدين والغرب بعدم تصدير الفساد من قبل الأمريكان للمسلمين مقابل أن يلتزم المجاهدون أن لا يصدر لهم الحشيش والمخدرات.. ٢٦٦	٢٦٦
يوم الأقصى... بداية الثورة الفلسطينية بداية لا نظير لها في التضحية والبذل والصبر والاحتمال... بروز شخصيات فلسطينية مشبوهة على دماء الشهداء..... ٢٤٦	٢٤٦	لا نكول عن الطريق ... مؤامرة ظاهرشاه عن طريق قندهار..... ٢٦٧	٢٦٧
الحرب الأهلية.. الاعلام الغربي وأهل اليسار يهدفون من إشاعة الحرب الأهلية عدة قضايا..... ٢٤٧	٢٤٧	اجابة على علامات استفهام.. التعجل في ضرب مواعيد قريبة لسقوط الدولة الشيوعية.... الحكومة الشيوعية أيلة إلى السقوط وإنما القضية لا تعدو أن تكون زمنية... مغنويات الشيوعيين متحطمة..... ٢٦٨	٢٦٨
صناعة التاريخ.. أفضل طريقة لتربية الأجيال هي تدريسها تاريخ أمجادها من خلال سير مصلحيها وقادتها وابطالها..... ٢٤٩	٢٤٩	انتصارات يومية في أفغانستان.. حصار جميع المدن داخل أفغانستان..... ٢٦٩	٢٦٩
الحقد اليهودي الصليبي... حملة شرسة ضد المجاهدين العرب من قبل B.B.C. ٢٥٠	٢٥٠	بين جلال آباد وتُستر الاتفاق على عودة ظاهرشاه ولكن الخلاف بين روسيا وأمريكا على شكل الدولة التي ستحكم في المستقبل..... ٢٦٩	٢٦٩
العرب حجر عثرة أمام الغربيين..... ٢٥١	٢٥١		
دور بريطانيا في محاربة الاسلام وخاصة دولة الخلافة العثمانية..... ٢٥٢	٢٥٢		
بريطانيا هي التي زرعت اليهود في فلسطين.. بريطانيا دمرت مصر- بريطانيا جاءت بالشيوعيين إلى اليمن الجنوبي.. جاءت بالحكم البعثي إلى العراق ١٩٦٨م.... المخابرات البريطانية تشكل العقل المفكر والمستشار لكل			

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
التأخر على أبواب المدن الأفغانية أمر طبيعي والتاريخ يؤكد ما نقول..... ٢٧٠		النفوس لا تحتل كلمة سيئة أو أي شائعات في جو المعارك..... ٢٨٧	
المسلمون قادمون .. حضارة الغرب تتهار تدريجياً..... ٢٧١		الآثار البعيدة التي أوقعها الله في الأرض بسبب الجهاد المبارك..... من عبر الأيام... النهج الحق..... منهج رباني	
طريق الخلاص... التجربة الضخمة وقرب قطف الثمار.. أمريكا تبحث عن حل لازماتها ومشاكلها الاجتماعية المعقدة ٢٧٢		بجهد بشري..... طريق الدعوة والبناء... بعث الرجيع... ٢٨٨	
دعم الجهاد انقاذ للبشرية.. الحضارة الغربية بشقيها الرأسمالي والاشتراكي أخذ بالاضمحلال ٢٧٣		الآن ماذا عن فرخار وأفغانستان... القضية الكبرى الاطاحة بحكومة الشيوعيين في كابل... العبث بالمقدسات	٢٩١
طبيعة أوروبا .. الأفغان نالوا احترام الغرب..... ٢٧٤		نقاط مهمة جداً عن أفغانستان ٢٩٢	
وزن الجهاد الأفغاني في ميزان الغرب..... نظرتي إلى الصحف اليسارية (أهل الشمال).. دعم الجهاد انقاذ للبشرية..... عقوبة الشبطين..... ٢٧٥		فضل المجاهدين..... ماذا لو سقط الجهاد الأفغاني..... ٢٩٣	
لا تفكروا في الشتاء.. حكمتيار أوصى أبناء الحزب السلامي إذا وافته المنية أن يدفن في مركز الفتح..... الحديث حول فتح كابل... الموازين المنظورة في الحسم العسكري..... ٢٧٦		رد على أصحاب البروج الحاجية... صبر جميل..... ٢٩٤	
التكالب العالمي للحيولة بين المجاهدين وقطف ثمار جهادهم... أية قاهرة تدعم المقال بواقع الحال..... ٢٧٧		لا بد أن يعلم الناس أن هذا الجهاد جهاد شعب..... ٢٩٥	
أمطرت السماء صواريخ (خلال رحلة الشيخ عبدالله إلى ميدان)..... ٢٧٨		لا بد أن تضع نصب عينيك أنه ما من تنظيم إلا وفيه من الأبرار والأشرار والخيار والأغرار... السؤال الكبير كيف يرض أمراء الأحزاب في بيشاور بالمفسدين وقطاع الطرق وغيرهم في تنظيماتهم؟..... ٢٩٦	
هجرة من أجل العقيدة ... برنامج أبو الحسن وأبو الدرداء... القذائف بدأت تصب علينا..... ٢٧٩		كيف الخلاص من المفسدين وقطاع الطرق حتى لا ندع هؤلاء يهلكون الحرث والنسل؟..... ٢٩٧	
إجابة حكمتيار على من يقال أن عقيدة الولاء والبراء ليست واضحة لدى قادة المجاهدين..... ٢٨٠		صيف ساخن... الشيخ لا يتوقع سقوط الحكم الشيوعي في الصيف... نماذج فائقة ويطولات خارقة..... ٢٩٨	
أفغانستان بين الخوف والرجاء... الشيخ يطعن المسلمين أن الروس لن يرجعوا مرة أخرى إلى أفغانستان... أمريكا حاولت أن تسحب البساط من تحت أرجل الأصوليين..... ٢٨١		أفغانستان بين الرزايا والعطايا... الثبات على طريق الجهاد أمر شاق على النفوس... كثرة استشهاد القادة الصادقين..... ٣٠٠	
الشيخ يطعن المسلمين أن أفغانستان لا يهملها الحصار الاقتصادي .. إيران لا تستطيع أن تحتك بأفغانستان .. من جاري كار إلى جلبهار... قوالي المصائب تنسي بعضها بعضها..... ٢٨٣		حرقه أنصار الجهاد على الجهاد..... ٣٠١	
اختراق صفوف المجاهدين للافساد بينهم والطعن بهم ... خبر شماس بن قيس..... ٢٨٤		بشما جزيم العضباء... الحملات الاعلامية المسعرة ضد الجهاد وقادته..... ٣٠٢	
الأمل المرتقب الذي سعى إليه الشيخ في جمع القائد حكمتيار مع مسعود في رحلته الشهيرة إلى جاريكار ... النيا المزلزل الذي ذهب ضحيته مجموعة من قادة مسعود..... ٢٨٥		كارلوتشي يقول: لقد أجبر الجهاد الأفغاني غورباتشوف أن يغير سياسته تجاه العالم أجمع..... القيمة الأفغانية والعمامة القندهارية مفخرة للعالم ٣٠٣	
حرب الشائعات .. من هم أولو الأمر..... ٢٨٦		المؤامرات الذي عزف عليها الاعلام الغربي تحولت إلى الفام موقوته نسفت كثير من أواصر الصلة الاسلامية العميقة بين الشعوب الاسلامية وبين هذا الجهاد..... ٣٠٤	
		لكن حمزة لا يواكي له... من الصعب على النفس البشرية التي تنوقت حلوة الجهاد واستعذبت المعاناة على طريقه أن تستريح إلا بين أنغام الرصاص وعزف المدافع ٣٠٥	
		الجهاد مفتاح الأسرار الجهاد للمجاهد كالماء للسماك..... الناس تجاه الجهاد فئات..... ٣٠٦	
		الرد على الفئات التي تنتظر إلى هذا الجهاد بنظرات	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
مختلفة	٢٠٧	اللعبة الدولية.. هدف الغرب من تشويه الجهاد.....	٢٠٨
الجهاد الإسلامي في أفغانستان.....	٢٠٩	حملة الاعلام العالمي ضد الجهاد وموقفنا تجاه التشكيك بالجهاد.... القواعد التي نتطلق منها ونحن نتعامل مع الجهاد الإسلامي في أفغانستان.....	٢١٠
كلمة إلى أنصار الجهاد... في السيرة عبرة.... الصعوبات التي تواجه الجهاد.....	٢١٠	دفع المجاهدين نحو كابل... انعراغ الكبير في المناطق المحررة.....	٢١١
الحملة الاعلامية المسعورة على الجهاد يقابلها الشح في العطاء من الأصدقاء... القانون الرياني كلما اشتدت الأزمة يقترب الفرج.....	٢١٢	فرائض منسية... الحلقات بدأت تضيق على الجهاد.....	٢١٣
مقابلة التجار والحرب الأهلية.....	٢١٤	حكم الجهاد بالمال... هدية إلى الأغنياء وهي بشرى من رسول الله ﷺ.....	٢١٥
طريق المأسى.. طاعون عمواس.. دعاء المجاهدين	٢١٦	صنائع المعروف تقي مصارع السوء.....	٢١٦
الاخلاص في الانفاق .. قصص هزتني من أعماقي.. قصة أم عبداللطيف.. الشعب الفلسطيني مصمم على المسيرة نحو الأقصى.....	٢١٧	أبناء فلسطين تبرعون لأفغانستان... البذل لأفغانستان.....	٢١٨
إخوة الايمان.....	٢١٨	مصارع السوء.. انفقوا تنعموا ولا تمسكوا فتحرموا ...	٢١٨
يا أقدام الصبر إحملي... انتصارات المجاهدين.....	٢١٨	تعاون الحزب والجمعية- حملة التشكيك بالجهاد عبر الاعلام العالمي.. الصدمات النفسية جراء حملات التشكيك بالجهاد... الواجب الشرعي بالنسبة للمسلم.....	٢٢٠
الواجب الشرعي تجاه أفغانستان.....	٢٢١	عمليات الشيخ تميم العدناني.....	٢٢٢
مواقع ضربات المجاهدين والرد من قبل الحكومة.....	٢٢٢	ضرب قصر نجيب وتصريحات نجيب ضد العرب....	٢٢٢
اغلاق مطار كابل.....	٢٢٤	الاسود الجائعة... أسباب الشجاعة.....	٢٢٥
الاقتداء بالنماذج ... بطولات شكر دراً تعيد إلى اذهاننا	٢٢٦	تصص حمزة والمقداد.....	٢٢٦
النصر غالباً يتوقف على فئة بأسلة تغير موازين المعركة	٢٢٧		
يا علماء الأمة من يسد مكان الشهيد... كلمة رثاء من الشيخ عبدالله عزام بمناسبة استشهاد الشهيد كمال السناني.....	٢٢٨	التجربة العملية.. دعوة الله تبدأ ببعض الحجج والبراهين	٢٢٩
نظام الدفع الرياني تحمي به الشعائر... الدعوة الإسلامية في أفغانستان.....	٢٢٩	دروس وعبر من خلال تجربة الدعوة الإسلامية الأفغانية	٢٣١
مقابلة مجلة الموقف مع الشهيد عبدالله عزام... استعدادات للتغلب على فصل الشتاء في أفغانستان....	٢٣٢	مدى إمكانية الوقوف أمام التشويه الاعلامي الغربي الشرس ضد الجهاد الأفغاني.....	٢٣٤
الحاج الاعلام الغربي على عودة ظاهر شاه.....	٢٣٤	موقف أمريكا وباكستان وإيران من الجهاد في أفغانستان ... الاعلام الأمريكي يرمي إلى قضيتين.....	٢٣٥
أحداث فرخان.. دور العرب.. قلة المساعدات ودعوة المحسنين للوقوف مع المجاهدين.. بعض العرب الذين تكلموا بحق شخصية الشيخ وما يتطرق بالعقيدة السلفية والرد عليهم من قبل الشيخ.....	٢٣٦	مقابلة جريدة عكاظ مع الشهيد عبدالله عزام... الرد على المشككين في الجهاد والمجاهدين... قضية ذكر الإيجابيات لـون السيئات في الجهاد.....	٢٣٧
الرد على من يقول أن مسعود يعمل لحساب فرنسا وأن مسعود أوقف العمليات العسكرية.....	٢٣٨	حادثة تخار حلقة من مخطط.....	٢٣٩
الوضع العسكري حول المدن... خطة المجاهدين في موسم الشتاء البارد.. إلى كل مسلم في الأرض.....	٢٤٠	المعركة شديدة.. ما نسينا فلسطين.. المعركة تحتاج إلى مشاركة مشاعر المسلمين وجيوبهم تساهم.....	٢٤١
الرسالة الأولى إلى أبي الجنيد.. مهمة الاخوة العرب.. ثواب الجهاد ..	٢٤٢	الصبر على نرب الجهاد.. شرف العرب بحمل هذه الرسالة .. قرب النصر.. وصايا إلى الاخوة العرب.....	٢٤٣
الرسالة الثانية إلى أبي الجنيد أمير سرية حمزة بن عبدالطلب.....	٢٤٤	طلّاع أمة إسلامية عداها ألف مليون... من أراد أن يسلك هذا الطريق لا بد أن يعلم ضخامة التكاليف ... وصايا إلى الاخوة العرب.....	٢٤٥

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
حكم قتل الشيوعي والجاسوس وتقسيم الغنائم..... ٣٤٧		انتصارات..... الشيخ يتوقع عام ١٤١٠هـ أن يكون عام	
رسالة إلى أحمدشاه مسعود... سنن وقوانين لا تتخلف... ٣٤٨		الفتح..... ٣٥٩	
زيارة الشيخ للشمال وأثرها في نفسه..... وصايا..... ٣٤٩		رسالة إلى قافلة الشمال (أبو الشهيد وأخوانه د. صالح د.	
لا بد للناس من حاكم يحمي الثغور..... التحذير من البغي		أبي الرداء)... وصايا إلى الأخوة العرب.. (إن مهمتكم	
وظلم الآخرين... انفراد أي قائد بمحاولة إقامة دولة		في الإصلاح في داخل أفغانستان فكرونا معتلين في	
إسلامية اقتراء على الآخرين وتعدياً عليهم... أقصر		حكمكم فلا تميلوا مع جهة فتفقدوا مهمتكم)..... رسالة	
الطرق لإقامة دين الله التنسيق بين المجاهدين .. وصية		إلى القائد فريد... والتذكير بأن الخلاف يكثر بعد النصر	
الشيخ لأحمد شاه الوصول إلى حل مشترك في فتح كابل		على الغنائم..... ٣٦٠	
مع القادة الذين يؤمل فيهم الخير .. نصيحة الشيخ		وصايا إلى القائد فريد... نموذج من رسائل إلى قادة	
لأحمدشاه بالطاعة أمير الدولة الإسلامية فيما لو التقى		الجيهاة..... ٣٦٢	
عليه أهل الحل والعقد..... ٣٥٠		وصايا إلى قادة الجيهاة بمحاربة البدع صغيرها وكبيرها	
وصايا لأحمدشاه..... ٣٥١		وعدم حمل الرقى والتعائم وعدم التمسح بالقبور وألا	
رسالة إلى انتصار الجهاد الأفغاني... استلة يطرحها		يضعوا عليها الأعلام والزهور وألا يبنوا عليها المساجد	
الشيخ لدفع الناس للاتفاق على هذا الجهاد..... ٣٥٢		وألا يبنوا القبور فإن بناء القبور حرام وغيرها من	
تضاغط حاجات المجاهدين باشتداد المعركة.. لماذا ظل		الوصايا القيمة..... ٣٦٣	
كف البذل..... ٣٥٣		رسالة مفتوحة إلى العلماء.. إنما تحيا الأمم بعقائدها	
رسالة إلى أبي علي المالكي أمير جبهة العرب في شكر دة ٣٥٤		وأفكارها وتموت بشراقتها ولذااتها.. حياة الأمة إنما ترتبط	
القدرة على العيش بين أحزاب مختلفة دون تعصب نعمة		بعداد العلماء ودماء الشهداء... دعوة العلماء أن يلجوا	
كبرى..... القدرة على الاختلاط بالناس والصبر على		طريق الجهاد..... ٣٦٤	
أذاهم منة كبرى تكالب الدنيا على المجاهدين وتسمية		نداء لعلماء الاسلام يعرضهم ويحفزهم لحمل الراية..... ٣٦٥	
العرب بالمرتزة العرب..... ٣٥٥		رسالة عاجلة إلى أطباء المسلمين ... الصليب الأحمر	
الشيخ يوصي العرب باحترام المذهب الحنفي وترك هيئات		يقطع(٣٥٠٠) قدم من أقدام المجاهدين..... ٣٦٥	
الصلاة بناءً على أقوال العلماء وخاصة شيخ الاسلام ابن		أرقام عن عمل الغربيين في سياحة الجهاد ومقارنة بين	
قيمته..... ٣٥٦		أعمال الغربيين وما يقدمه المسلمون في هذا من اعمال... ٣٦٦	
ترك السنة واجب إذا أدى فعلها إلى تضييع واجب.. هذا		رسالة إلى الشباب المسلم... أجمع العلماء أن الجهاد في	
قول الشاطبي في الموافقات وكذلك قول الشيخ ابن باز		سبيل الله أفضل من جوار الحرميين..... ٣٦٧	
والشيخ الألباني... حكم الشيوعي الأسير... حكم توزيع		الجهاد في أفغانستان أروع صورة للجهاد في العصر	
الغنائم من السلاح الخفيف والثقيل مثل الدبابات والمدافع		الحديث... الجو العام في أفغانستان ثقيل على النفس	
والراجعات..... ٣٥٧		البشرية.... الشعب الأفغاني يحب العرب ويحترمهم.....	
رسالة إلى الشيخ أبي بكر الجزائري... تركيز الاعلام		مدارس كثيرة فوق أرض أفغانستان من مشارب متعددة	
الغربي على قضايا بعد قرار انسحاب روسيا من		... الصورة في بيشاور غير الصورة في داخل	
أفغانستان... الغرب والشرق لا يسمح بإقامة دولة		أفغانستان..... ٣٦٨	
إسلامية... المؤامرة العالمية تركز على خنق الجهاد تحت		رسائل متبادلة بين داعية وقائد..... أول رسالة من الشيخ	
شعارات براءة... قضية فتح المدن قضية شائكة تحتاج		لمسعود..... ٣٦٩	
إلى تكاليف.... الشيخ يحض الشيخ أبوبكر الجزائري أن		وصايا للقادة ... الدعوة لمحاربة البدع..... ٣٧٠	
يكون له دور في هذا الجهاد..... ٣٥٨		رسالة من القائد ارينبور رداً على رسالة معائلة..... ٣٧١	
الشيخ يطمئن الشيخ الجزائري بما حققه الجهاد من		أضرار النفاق..... ٣٧٢	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
رسالة من زوجة الشهيد إلى المؤتمر الاسلامي النسائي في أمريكا والسويد..... ٢٧٢		الرسالة الأخيرة من الشهيد يحيى سنور..... بوابة المجد..... الأمم تحيا بالنماذج الفذة وتنتصر بتضحيات الأفراد الأقداد..... ٢٩٠	
رسالة من زوجة الشهيد إلى قادة الجهاد الأفغاني..... ٢٧٦		الشهداء هم: الأذكى... القادة... الملوك... هم الذين يخطون تاريخ الأمم... الشهداء يقتلون حتى تحيا أمهم..... ٢٩١	
مقتطف من كلمة الشيخ في أسبوع التضامن مع حركات التحرر العالمية... مقابلة مع الشيخ في الذكرى التاسعة لدخول الروس أفغانستان..... ٢٧٨		معظم الشهداء تجمعهم صفات..... الشهيد عبدالوهاب بن عبدالله بن سعيد..... وصية الشهيد عبدالوهاب... وصية إلى ابنته..... ٢٩٢	
روسيا منسحبة..... نور العلماء بعد قيام دولة الاسلام في أفغانستان... رأي الشيخ في مفاوضات الطائف والسلام في..... انتاحية جنة ذات الشائقي..... ٢٧٨		وصية عبدالوهاب الشرعية.. رسالة الشهيد عبدالوهاب إلى والته... رثاء الشهيد عبدالوهاب..... ٢٩٣	
حسن البنا ورسالة الماثورات..... الاهتمام بالنصوص الصحيحة وتخريج الأحاديث... التعريض بأشخاص الأئمة من قبل الجبهة..... ٢٧٩		الشهيد عبدالصمد مفتاح..... سعود البحري يوصي بعدم ذكر اسمه بتصريح أو تلخيص.. رسالة الشهيد عبدالصمد إلى أهله..... ٢٩٤	
شخصية البنا العلمية.. المنهاج الإلهي فوق البشر وأن خطأ الأفراد خير من أن ينحرف هذا المنهاج فتفسير الأجيال مع منهاج معوج أو مشوه فتخرج الأجيال ذاتها شوهاء حسب القالب التي نمت فيها عقليتها وطريقة تفكيرها وهنا لا بد أن نقول أن الحركة الاسلامية بحاجة إلى خط ابن تيمية وخط حسن البنا..... الفرق الهائل بين مجموعة درست العقيدة يتفصيلها من خلال المناهج الجامعية وبين مجموعة تلقت هذه العقيدة من خلال التربية الحركية في الجماعة الاسلامية... الاعتناء بالتربية الروحية إلى جانب البناء العقدي... شخصية البنا العلمية..... ٢٨٠		خاطر في أفغانستان (كان بالأمس بيننا).. رسالة الشهيد حمدي البنا إلى أهله..... ٢٩٥	
قالوا عن الجهاد الأفغاني وقتلنا... روسيا مختلفة داخل أفغانستان... احصائيات وأرقام عن ضربات المجاهدين لمواقع الروس والشيوعيين.. الجهاد فوق أرض الواقع... الجهاد ليس حرياً قلبية..... ٢٨٢		وصية الشهيد حمدي البنا... كيفية اخبار أهله..... ٢٩٦	
الهدف من الجهاد إقامة دولة اسلامية... قضية فلسطين والجهاد الأفغاني... من كابل إلى القدس..... ٢٨٤		رسالة من أم الشهيد حمدي البنا يظهر فيها الصبر والاحتساب والايقان بالله..... ٢٩٧	
الجهاد فرض عين... دفع الصائل عن أرض الاسلام أهم فروض الأعيان..... ٢٨٥		الشهيد أبو عقبة التونسي أول شهيد تونسي على أرض أفغانستان.. وصية الشهيد أبو عقبة... رسالة الشهيد أبو عقبة إلى زوجته..... ٢٩٨	
كارثة عام ١٩٦٧م..... ٢٨٦		والد الشهيد أبو عقبة يتحدث لمجلة الجهاد..... ٢٩٩	
كتاب عشاق الحور		تفاصيل مثيرة عن استشهاد أبي عاصم (محمد عثمان) ٤٠٠	
الشهيدان- أبو عثمان وأبو حمزة... الشهادة درجة عالية لا يهبها الله إلا لمن يستحقها..... ٢٨٨		والحق أبو عبد الحق بالركب..... ٤٠٢	
تهنئة من العقيد محمد اسماعيل بمناسبة استشهاد (أبي حمزة وأبي عثمان).... وداعاً يا يحيى..... ٢٨٩		الشهيد أبو دجانه..... ٤٠٤	
		وصية الشهيد أبو دجانه لقادة الجهاد..... ٤٠٦	
		الشهيد أنس تركي الهذلي... الشهيد عبدالرحمن (عبدالله الجمان)..... ٤٠٧	
		الشهيد أحمد التونسي (نبيل مبارك)... الشهيد عبدالجبار (أيمن كمال عباس)..... ٤٠٨	
		ومضى منشد الطائف (الشهيد أحمد الزهراني)..... ٤٠٩	
		رسالة من الشيخ عبدالله عزام إلى أهل الشهيد أحمد الزهراني..... ٤١١	
		من والد الشهيد أحمد الزهراني إلى الشيخ عبدالله عزام... وصية إلى أولياء الشهداء..... ٤١٢	
		ضيوف الرحمن في يوم الجائزة... الشهداء الثلاثة حسين وعلي ونورالحق..... ٤١٣	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
صاعقة على رجال الصاعقة.....	٤١٤	الشهيد أبو جعفر الشامي.....	٤٤٧
الشهيد منصور..... الشهيد أبو الفضل..... الشهيد عبدالله		وصية الشهيد أبي جعفر..... رسالة إلى أبي جعفر من	
المصري.. الشهيد أبو خالد الجزائري.....	٤١٥	أخيه.....	٤٤٨
الشهيد أبو سهل الصغير.....	٤١٦	رسالة من زوجة أبي جعفر..... أصدقاء الشهادة.....	٤٤٩
الشهيد أبو الوليد السعودي.....	٤١٧	صقر مهد الرشيد..... أرواح الشباب في العالم	
الشهيد بشير المصري وسراقة وأبو الذهب.....	٤١٨	الاسلامي تعرف للوصول إلى أرض الجهاد.....	٤٥٠
الشهيد عبدالرحيم أبو عرجة.....	٤٢٠	الشهيد محمد فاروق (علي مصطفى).....	٤٥١
حب المجاهدين الأفغان للعرب... الشهيد أبو حامد مروان.....	٤٢١	قافلة الغرباء... الشهيد مرزوق.....	٤٥٢
قصة العيلاء... بعض صفات الشهيد أبو حامد مروان.....	٤٢٣	الشهيد أبو الحارث اليماني... الشهيد أبو جهاد (أحمد أبو	
الشهيد أبو حفص هشام هاني منصور.....	٤٢٤	غوش).....	٤٥٣
حكمة الشيوخ بحماس الشباب... رحلة الخلود وخبر		من وصية الشهيد أبو جهاد.....	٤٥٤
استشهاد أبي حفص... رسالة من والدته أبي حفص.....	٤٢٥	الشهيد اليماني أبو محمد (خالد علي محمد الشرحبي).....	٤٥٥
الشهيد سبع الليل اليماني... جراته.....	٤٢٦	هنيئاً لك الشهادة... كنت تلميذاً فصرت لنا اليوم أستاذاً..	
خطبة الشهيد سبع الليل.. غيرته على الجهاد... أعجاب		علمتنا أن جنسيتك عقيدتك ووطنك هو دار الاسلام.....	٤٥٦
الأفغان به.. راحة دمه... وصية الشهيد سبع الليل.....	٤٢٧	الشهيد حذيفة المدني.....	٤٥٧
الشهيد صفى الله أفضل... نشأته.....	٤٢٨	الشهيد أبو طارق الفلسطيني.. الشهيد أبو الحسين	
كارثة هرات... طبيعة هرات... المجاعة.....	٤٢٩	السوري... الشهيد عبدالحميد عبدالله البحريني.....	٤٥٨
استشهاد اصحاب صفى الله... استشهاد عتيق الله بن		الشهيد عبدالرحمن المصري.....	٤٦٠
عم صفى الله... دخول قلعة قزل اسلام... استشهاد فقير		ليث بروان وشهيد رمضان (موحد الأفغان).....	٤٦١
أحمد... تواضع صفى الله مع شجاعته.....	٤٣٠	الشهيد خالد على القبلان (أبو الوليد).....	٤٦٢
إعجابنا بصفى الله..... شفافيته.....	٤٣١	الشهيد مازن ملوش (أبو عمر المكي) مؤذن الجامعة.....	٤٦٤
قصيدة بعنوان أسد هرات لشاعر طيبة تتكلم عن الشهيد		صرخة من الشهيد أبي عمر المكي (مازن ملوش) قبل أن	
صفى الله.....	٤٣٢	يستشهد.....	٤٦٥
الشهيد خالد الكردي وعبدالمنان وعبدالرحمن المصري..	٤٣٣	الشهيد أبو فهد المكي.....	٤٦٦
بعض مناقب الشهيد عبدالمنان المصري.....	٤٣٥	الشهيد علي قدرى صالح الجومري.....	٤٦٧
وصية الشهيد عبدالمنان.....	٤٣٦	الشهيد عبدالعزيز.....	٤٦٨
الشهيد عبدالرحمن المصري.....	٤٣٧	الشهيد هاني أحمد رشيد (أبو زهير) أمير المركز	
وصية الشهيد عبدالرحمن.....	٤٣٨	الاسلامي اسلام اباد.....	٤٦٩
الشهيدان هشام وزكريا الفلسطيني.....	٤٣٨	وصية إلى أولياء الشهداء.....	٤٧٠
دماء الشهداء حياة شجرة الاسلام.....	٤٣٩	وصية الشهيد أبي زهير... الشهيد عبدالله المحارب.....	٤٧١
الشهيد هشام بن عبدالوهاب الديلمي.....	٤٤٠	الشهيد سيد أحمد خليفة.....	٤٧٣
والد الشهيد هشام الدكتور عبدالوهاب الديلمي يتحدث		شهداء يوم التروية... الشهيد المهندس أشرف بدوي	
لجنة الجهاد.....	٤٤١	السيد (صديق المصري).....	٤٧٤
وداعاً أبا مصعب - زكريا أبو الهنود.....	٤٤٢	الشهيد خالد مصطفى المصري... أصغر شهيد عربي في	
تألق فرسان الجزيرة.....	٤٤٤	أفغانستان.....	٤٧٥
الشهيد أبو شهاب (شاكر حسن قرشي).....	٤٤٥	موسى داعني البلوشستاني.. الشهيد عبدالولي الذهب	
الشهيد حمزة (جبران شريف ناصر).....	٤٤٦	(أبو عمر اليماني).....	٤٧٦

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الشهيد تيسير بخيل الله بن سالم الربيع (القاريق)..... ٤٧٧		الشهيد أبو البعاج الليبي... الشهيد محمد أحمد الحق	
الشهيد أبو حفص اليمني..... ٤٧٨		أبو حفص اليمني..... ٤٧٨	
رسالة من أبي حفص (محمد أحمد الحق) إلى والده..... ٤٧٩		رسالة من أبي حفص (محمد أحمد الحق) إلى والده..... ٤٧٩	
عادل الوريك (خلاد)..... ٤٨٠		عادل الوريك (خلاد)..... ٤٨٠	
الشهيد أسد الرحمن المصري..... ٤٨١		الشهيد أسد الرحمن المصري..... ٤٨١	
شهداء قطر الثلاثة..... ٤٨٢		شهداء قطر الثلاثة..... ٤٨٢	
الشهيد عبدالله صالح الخلفي (أبو يوسف) .. من رسائل		الشهيد عبدالله صالح الخلفي (أبو يوسف) .. من رسائل	
الشهيد..... ٤٨٣		الشهيد..... ٤٨٣	
الشهيد عبدالله البيرك (الفلسطيني القطري)..... ٤٨٣		الشهيد عبدالله البيرك (الفلسطيني القطري)..... ٤٨٣	
الشهيد حسن العوضي..... ٤٨٤		الشهيد حسن العوضي..... ٤٨٤	
خالد زبير الشهيد..... ٤٨٥		خالد زبير الشهيد..... ٤٨٥	
الشهيد أبودجانه اليمني - جمال محمد ناصر الحنيني ٤٨٦		الشهيد أبودجانه اليمني - جمال محمد ناصر الحنيني ٤٨٦	
قائد كتبية الملائكة الشهيد عبدالفتاح بن مولوي عادل..... ٤٨٨		قائد كتبية الملائكة الشهيد عبدالفتاح بن مولوي عادل..... ٤٨٨	
ضيوف الرحمن... الشهيد أبوجندل الفلسطيني (مروان		ضيوف الرحمن... الشهيد أبوجندل الفلسطيني (مروان	
شفيق عبدالجبار الوزني)..... ٤٨٩		شفيق عبدالجبار الوزني)..... ٤٨٩	
الشهيد أبو حذيفة الأردني (ياسين حمدان عبدالشكور		الشهيد أبو حذيفة الأردني (ياسين حمدان عبدالشكور	
الحمايدة) ٤٩٠		الحمايدة) ٤٩٠	
الشهيد أبو البراء المدني (أحمد عبدالعزيز قاسم الركوز ٤٩١		الشهيد أبو البراء المدني (أحمد عبدالعزيز قاسم الركوز ٤٩١	
الشهيد أبو عبيدة السعودي (عبدالله بن مبارك		الشهيد أبو عبيدة السعودي (عبدالله بن مبارك	
القحطاني)..... ٤٩٢		القحطاني)..... ٤٩٢	
الشهيد أسد الله القاتح (أبو جبل المصري)..... ٤٩٣		الشهيد أسد الله القاتح (أبو جبل المصري)..... ٤٩٣	
الشهيد أبورقية (حسن محمد هادي وهيط بن حنيش .. ٤٩٥		الشهيد أبورقية (حسن محمد هادي وهيط بن حنيش .. ٤٩٥	
الرسالة التي بعث بها الشهيد أبورقية قبل استشهاده		الرسالة التي بعث بها الشهيد أبورقية قبل استشهاده	
لنشرها في مجلة الجهاد... في الشهادة والشهداء..... ٤٩٦		لنشرها في مجلة الجهاد... في الشهادة والشهداء..... ٤٩٦	
التاريخ البشري في المنظور الاسلامي..... التفسير المادي		التاريخ البشري في المنظور الاسلامي..... التفسير المادي	
للماركسي..... صناعة التاريخ. أفضل طريقة لتربية		للماركسي..... صناعة التاريخ. أفضل طريقة لتربية	
الأجيال..... ٤٩٧		الأجيال..... ٤٩٧	
الخيار الصعب في مواجهة وصايا الاخوة العرب الذين		الخيار الصعب في مواجهة وصايا الاخوة العرب الذين	
يستشهدون..... ٤٩٨		يستشهدون..... ٤٩٨	
الشهيد أبو مسلم الصنعائي (عبدالله النهمي)..... ٤٩٩		الشهيد أبو مسلم الصنعائي (عبدالله النهمي)..... ٤٩٩	
وصايا الشهيد (أبي مسلم الصنعائي) إلى أهله وذويه .. ٥٠٠		وصايا الشهيد (أبي مسلم الصنعائي) إلى أهله وذويه .. ٥٠٠	
وصية إلى عمه وزوجته..... ٥٠١		وصية إلى عمه وزوجته..... ٥٠١	
الشهيد أبو اليسر المصري (علي عبدالفتاح..... ٥٠٢		الشهيد أبو اليسر المصري (علي عبدالفتاح..... ٥٠٢	
الشهيد عابد الشيخ محمد..... ٥٠٤		الشهيد عابد الشيخ محمد..... ٥٠٤	
الشهيد بلال المأسدة (محمد خلف الصخري)..... ٥٠٥		الشهيد بلال المأسدة (محمد خلف الصخري)..... ٥٠٥	
الشهيد سراقه (سعد خالد الخالدي) ٥٠٦		الشهيد سراقه (سعد خالد الخالدي) ٥٠٦	
الشهيد أبو بدر الحربي (خالد بن معلا الأحمد		الشهيد أبو بدر الحربي (خالد بن معلا الأحمد	
الحربي)..... ٥٠٧		الحربي)..... ٥٠٧	
وصية أبي بدر الحربي السعودي (خالد بن معلا الأحمد		وصية أبي بدر الحربي السعودي (خالد بن معلا الأحمد	
الحربي)..... ٥٠٨		الحربي)..... ٥٠٨	
الشهيد أبو الدرداء (اسماعيل عبدالله محمد المطوع)..... ٥٠٨		الشهيد أبو الدرداء (اسماعيل عبدالله محمد المطوع)..... ٥٠٨	
الشهيد أبو حسام السوري (رضوان ابراهيم المرعي		الشهيد أبو حسام السوري (رضوان ابراهيم المرعي	
الحموي)..... ٥٠٩		الحموي)..... ٥٠٩	
الشهيد عبدالرحمن الاماراتي (محمد عبدالله راشد زايد) ٥١٠		الشهيد عبدالرحمن الاماراتي (محمد عبدالله راشد زايد) ٥١٠	
الشهيد عوض المالكي (عبدالله عزم الله)... الشهيد أبو		الشهيد عوض المالكي (عبدالله عزم الله)... الشهيد أبو	
سهل المكي (ابراهيم بن مرجي عائذ السهلي الحربي) .. ٥١١		سهل المكي (ابراهيم بن مرجي عائذ السهلي الحربي) .. ٥١١	
الشهيد أبو عبدالله الجزائري (مجاهد بريك).... الشهيد		الشهيد أبو عبدالله الجزائري (مجاهد بريك).... الشهيد	
أبو عمر المدني (ماجد عبدالعزيز المغربي)..... ٥١٢		أبو عمر المدني (ماجد عبدالعزيز المغربي)..... ٥١٢	
الشهيد عكرمة الجزائري (بيبي عبدالمالك)..... ٥١٣		الشهيد عكرمة الجزائري (بيبي عبدالمالك)..... ٥١٣	
الشهيد أبوسيف المصري (جمال رشدي عبدالغفار)..... ٥١٤		الشهيد أبوسيف المصري (جمال رشدي عبدالغفار)..... ٥١٤	
الشهيد أبو أحمد (عبدالله أحمد أحمد حكيم)..... ٥١٥		الشهيد أبو أحمد (عبدالله أحمد أحمد حكيم)..... ٥١٥	
ليت قومي يعلمون.... الحديث عن أثر الذين نفروا من		ليت قومي يعلمون.... الحديث عن أثر الذين نفروا من	
بلادهم ثم كانت الخاتمة شهادة في سبيل الله ٥١٦		بلادهم ثم كانت الخاتمة شهادة في سبيل الله ٥١٦	
الشهيد عوض بن علي العراة (اليمني)..... ٥١٧		الشهيد عوض بن علي العراة (اليمني)..... ٥١٧	
الشهيد أبو أحمد الجزائري (فوزي بن علي).... الشهيد		الشهيد أبو أحمد الجزائري (فوزي بن علي).... الشهيد	
أبو حامد الغامدي (عبدالواحد حامد آل حمدان		أبو حامد الغامدي (عبدالواحد حامد آل حمدان	
الغامدي)..... ٥١٩		الغامدي)..... ٥١٩	
ما يحز في نفس الشيخ أن الأذكيا يوجهون لدراسة		ما يحز في نفس الشيخ أن الأذكيا يوجهون لدراسة	
الطب والهندسة وأما الذي لا يقبل في الكليات العلمية		الطب والهندسة وأما الذي لا يقبل في الكليات العلمية	
يتوجه نحو كلية الشريعة وأصول الدين... إن دين الله		يتوجه نحو كلية الشريعة وأصول الدين... إن دين الله	
أولى بهذه العقلان أكثر من الاهتمام بالطب والهندسة		أولى بهذه العقلان أكثر من الاهتمام بالطب والهندسة	
والعلوم..... ٥٢٠		والعلوم..... ٥٢٠	
الشهيد فوزي بن علي الجزائري..... أهل الوادي يكتبون		الشهيد فوزي بن علي الجزائري..... أهل الوادي يكتبون	
للمجاهدين تفاعلاً مع استشهاد أبي أحمد الجزائري..... ٥٢٢		للمجاهدين تفاعلاً مع استشهاد أبي أحمد الجزائري..... ٥٢٢	
الشهيد عبدالقادر (عز الدين بلحواجب)..... ٥٢٣		الشهيد عبدالقادر (عز الدين بلحواجب)..... ٥٢٣	
الشهيد أبو الخير اليمني (مرشد حمادي محمد مقبل).... ٥٢٤		الشهيد أبو الخير اليمني (مرشد حمادي محمد مقبل).... ٥٢٤	
الشهيد أبو الليث السوداني (الصادق الهادي عبدالله).... ٥٢٦		الشهيد أبو الليث السوداني (الصادق الهادي عبدالله).... ٥٢٦	
الشهيد عبدالسلام (عبدالرحمن هادي اليمني الياضي) ٥٢٧		الشهيد عبدالسلام (عبدالرحمن هادي اليمني الياضي) ٥٢٧	
الشهيد عبدالرحمن الهندي..... ٥٢٩		الشهيد عبدالرحمن الهندي..... ٥٢٩	
رواد القوم... توقف القلم عن متابعة الكتابة عن		رواد القوم... توقف القلم عن متابعة الكتابة عن	
الشهداء.... كم من مؤسس ترك شركته أو مصانعه لأن ابنه		الشهداء.... كم من مؤسس ترك شركته أو مصانعه لأن ابنه	
قد سبقه إلى أرض الجهاد..... ٥٣٠		قد سبقه إلى أرض الجهاد..... ٥٣٠	
الشهيد أبو قتيبة (طالب عبدالعزيز النجار)..... ٥٣١		الشهيد أبو قتيبة (طالب عبدالعزيز النجار)..... ٥٣١	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
لقاء الجهاد مع والد الشهيد أبي قتيبة.....	٥٣٢	القعة الشامخة (الشيخ تميم العدناني).. نبذة عن حياته ٥٦٣	
الشهيد أبو خليل (معتوق فارس خليف العبدلي).....	٥٣٣	وصية من وصايا الشيخ تميم العدناني.....	٥٦٤
الشهيد أبو مبارك اليماني (عامر أحمد صالح الجبري).....	٥٣٤	مكتب الخدمات يودع فقيده الشيخ تميم العدناني .. رسالة	
الشهيد أبو العباس.....	٥٣٥	تعزية من القاضي حسين أحمد إلى الشيخ عبدالله عزام...	
الشهيد أبو إبراهيم (ناصر علي حسين علي اليماني)...	٥٣٦	جمعية الإصلاح تنعي الشيخ تميم العدناني.....	٥٦٥
الداعية المهاجر.....	٥٣٦	اتحاد الطلاب المسلمين بباكستان ينعي الشيخ تميم ..	
رسالة الشهيد أبي الطيب المغربي إلى أسرته.....	٥٣٨	لجنة البر الإسلامية تنعي الشيخ تميم العدناني... الشركة	
الشهيد أبو عبدالله المأربي (سالم عمر سالم الحداد).....	٥٣٩	العربية المركزية تنعي الشيخ تميم العدناني.... رابطة	
الشهيد أبو ساعد الجدادي (رضوان خليفة).....	٥٣٩	الشباب المسلم في أمريكا تنعي الشيخ تميم ..	٥٦٦
خرسان أفغانستان وما حولها .. قطعت إلى ثلاثة قطع ..	٥٤٠	منظمة العون الإسلامي تنعي الشيخ تميم.. تعزية وتقدير ٥٦٧	
الشهيد الدكتور ناصر الجزائري (حلواجي عمّار).....	٥٤١	الشيخ عبدالفتاح أبو غده يعزي بالشيخ تميم.....	٥٦٨
الشهيد جمال الدين الجزائري (رشيد الغولي).....	٥٤٢	رسالة تعزية بالشيخ تميم العدناني.....	٥٦٩
الشهيد ياسين الجزائري (عبد رب النور حميد).....	٥٤٣	في رثاء الشيخ تميم العدناني (شعر).....	٥٧٠
الشهيد شفيق إبراهيم المدني.....	٥٤٤	هيئة الاغاثة تعزي بالشيخ تميم رئيس مسجد النور	
الشهيد حبيب (محمد المشاري العرعري).....	٥٤٦	في أمريكا... كلمة الشيخ سياف بعد رحيل الشيخ تميم ٥٧١	
الشهيد أبرياض.. (محمد سعيد الزهراني).... الشهيد		رثاء الشيخ تميم العدناني (شعر).....	٥٧٢
المهندس شمس الدين الأفغاني.....	٥٤٧	حوار مع ابن الفقيده - ياسر.....	٥٧٣
الشهيد أبو عاصم الصنعاني (عادل حسني الوادي)....	٥٤٨	كلمات قصيرة ممن عاصروا الشيخ تميم ..	٥٧٥
الشهيد أبو دجانه الجزائري (عناية محفوظ / خميس		كلمة ياسر تميم العدناني على قبر والده... رؤيا عن الشيخ	
مليانة).....	٥٤٩	تميم.....	٥٧٦
الشهيد ضرار عيسى موسى الشيشاني (محمد منصور) ٥٤٩		رسالة من الشيخ تميم العدناني إلى البنين ..	٥٧٧
رسالة الشهيد ضرار إلى ولده ... رسالة ثانية كتبها		قصيدة في رثاء الشيخ تميم (شعر).....	٥٧٨
الشهيد ضرار إلى ولده.....	٥٥١	لقاء مع زوجة الشيخ تميم العدناني.....	٥٨١
الشهيد أبو ياسر البعني (عبد علي فارغ البحري).....	٥٥٢	هكذا عرفت الشيخ تميم.. وداعاً والدي البطل.....	٥٨٦
الشهيد أبو مهاجر (حمد سعد اليماني).....	٥٥٣		
عبارات يرددونها المرجفون.....	٥٥٤		
الشهيد الدكتور صالح محمد الفارسي (أبو حاتم)	٥٥٥		
كرامة الدكتور صالح.....	٥٥٦		
نشيد الدكتور صالح ... الشهيد أحمد مبارك الصومالي ٥٥٧			
أسر الشهيد أحمد المبارك.... حب العربي عند الأفغان... ٥٥٨			
الدكتور صالح وأحمد الصومالي في قذيفة واحدة.....			
لم أصب بمثلك قط (الشهيد الشيخ تميم العدناني).....	٥٥٩		
من مناقب الشهيد الشيخ تميم العدناني.....	٥٦٠		
رحلته الأخيرة.... الرباط... رحلة الخلود.... الشيخ تميم			
والشهادة.....	٥٦١		
اتفاق المنزلة مع اختلاف الميتة... المهاجر له الجنة مهما			
كانت منيته... أخيراً لم أصب بمثلك قط	٥٦٢		

كتاب حاضر العالم الاسلامي

الشيوعية، أقوال ماركس ولينين وستالين.. حياة ماركس ٥٩٠	
لينين... ستالين.....	٥٩١
الثورات الشيوعية يهودية... الشيوعية في العالم العربي ٥٩٢	
الشيوعيون وفلسطين.....	٥٩٣
دعم الشيوعية لليهود... أمريكا تدخل الحرب لحماية	
الشيوعية... الفلسطينيين واللقاء مع اليهود.....	٥٩٤
الحزب الشيوعي الأردني.....	٥٩٥
الشيوعيون في فرنسا.....	٥٩٦
المسلمون في الاتحاد السوفياتي.... الشيوعية والمسلمون	
تحت حكمهم.....	٥٩٧
الشيوعيون والمساجد والعلماء.....	٥٨٩
الدعاية ضد الاسلام... نقد النظرية الماركسية.....	٥٩٩

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
الماسونية واليهود.....	٦٠١	الكمالية... بين العرب والترك. استمرار تطور الدين.....	٦٢٧
فروع للماسونية... الماسونية... الماسونية والأخلاق.....	٦٠٢	كره الأتراك... باكستان.. سبب فشل وجود دولة اسلامية	
الماسونية والأديان... الروتاري... الحملات على اللغة... ..	٦٠٢	في باكستان... أنواع الاسلام التصوف... فضل	
الاعلان العالمي لحقوق الانسان.....	٦٠٤	الحضارة الغربية.....	٦٢٨
التخوف من الاسلام.....	٦٠٥	القومية التركية... الاسلام والغرب والمستقبل	٦٢٩
اوروبا وأمريكا من الداخل.....	٦٠٦	الافغاني ومحمد عبده..... دوافع الغرب التي حركتهم	
احصائيات من أمريكا سنة ١٩٧٦م.....	٦٠٧	لتحريض مصطفى كمال للقيام بالثورة.....	٦٣١
من أهم مراكز عليه المستشرقون.....	٦٠٨	حاضر العالم الاسلامي الجزء الثاني.....	٦٣٢
الهرب من إله الكنيسة... اسس قضية معارضة الدين ..	٦٠٩	تجار الحروب... آل روتشيلد.. الثورة الفرنسية عام	
التبشير... مقارنات بين عقائد الوثنية في دياناتها		١٧٨٩م.....	٦٣٣
والنصرانية في عقائدها الحالية.....	٦١٠	أثر اليهود في حروب نابليون.....	٦٣٤
مقارنات بين عقائد المسيحيين حالياً وعقائد الوثنيين من		أثر اليهود في أغلب ثورات القرن التاسع عشر.....	٦٤٢
البراهمة.....	٦١٢	أثر اليهود في الحربين العالميتين..... الخسائر البشرية	
مقارنة بين محاكمة المسيح ويعمل إله البابليين... القومية		في الحرب العالمية الأولى.....	٦٣٥
العربية.....	٦١٤	الحرب العالمية الثانية.. خسائر أمريكا في الحرب	
المبشرون بداية القومية... قوة الغرب إبقاء للقومية.....	٦١٥	الثانية... الخسائر البشرية في الحرب الثانية... اليهود	
أقسام القوميين عندنا وأجوبة كل قسم	٦١٦	والثورة الشيوعية.....	٦٣٦
الحرب العالمية والثورة العربية الكبرى.....	٦١٧	المكتب السياسي الأول للثورة الشيوعية.....	٦٣٧
حزب البعث.....	٦١٨	إعلان من اللجنة المركزية للاتحاد اليهودي في بتروغراد	٦٣٨
قادة حزب البعث.....	٦١٩	الأفنى اليهودية في بلاد المسلمين تحت الحكم الشيوعي...	
الغرب والمستغربين ... الاسلام سبب الحواجز بين الشرق		البعث واليهود.....	٦٣٩
والغرب... - مخاطر التطوير بين المقلدين المستغربين		هدف الغرب..... الغزو الفكري	٦٤٠
والمتحمسين القادمين.....	٦٢١	القومية العربية.....	٦٤١
فائدة التطوير (القنطرة)..... اتاتورك والحكم.....	٦٢١	الغزو الفكري الاستشراقي... التبشير... التعليم.....	٦٤٢
الدعوة إلى النوبان في الغرب..... الأزهر ومخاربه /		الصحافة واتجاهها اللاديني... إلغاء المعاهد الدينية...	
مدرسة القضاء الشرعي.. اللغة العامية والأحرف		البربرية عنصر أحيته فرنسا.....	٦٤٣
اللاتينية.. الجامعات... ظهور التأثير... فوائد المؤتمرات		اليهودية العالمية... الحكومة اليهودية المستورة... القومية	
الغربية وأصول الثقافة الغربية إلى الشرق.....	٦٢٢	والشيوعية.....	٦٤٤
المرأة... الآثار... التراث الاسلامي دعاية لايجاد التفاهم	٦٢٣	الرأسمالية... الصراع بين الكنيسة والعلم... الصراع بين	
مصر من عام ١٩٧٠.. اليونانية والمسيحية.....	٦٢٤	البابوية والامبرطورية.....	٦٤٥
الحرية... الانقلابان العسكرية العلمانية... التحريرون		الاخلاق في الكنيسة ... أسباب خطورة الغزو الفكري	
والمناصب العليا... فشل الليبرالية والأنظمة الغربية...		أهداف الغزو الفكري... منع روح الاسلام من الانتشار	
الدين العالمي.....	٦٢٥	يشوه الاسلام من عدة طرق.....	٦٤٦
أصف علي فيضي الاسماعيلي... أخذ الحضارة ككل ..		ضرب الاسلام من الداخل.....	٦٤٧
صك الانتداب / فلسطين... الاسلام الكلاسيكي والاسلام		إثارة الخلافات العقائدية بين المسلمين	٦٤٨
الحديث... العلمانية.....	٦٢٦	افساد صفاء العقيدة.....	٦٤٨
تركيا/ الاصلاح الاسلامي الكمالي... حب استمرار		العصبية والتقميات.....	٦٤٨

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
طرح النظريات والمذاهب... دعم وتأسيس الحركات المعادية للإسلام.. القاديانية.....	٦٤٩	(رحلة الشيخ عبدالله إلى الشمال)	
مرحلة تشبه الميرزا بالمسيح.....	٦٥٠	مقدمة الكتاب.....	٦٧٧
البهائية.....	٦٥١	وادي الموت.....	٦٧٨
التسلسل تحت شعارات خادعة.....	٦٥٢	ابتداء الرحلة.....	٦٧٩
النصيرية.....	٦٥٢	يوم آخر من الزمان محجل ... أشد الأيام تأثيراً في أعماق النفس... محرقة الآليات... رخا (حدايق الموت).....	٦٨٠
طوائف النصيرية الحالية.....	٦٥٣	أهل رخا والهجوم.....	٦٨١
وثيقة خطيرة عن النصيريين.....	٦٥٤	اقتحام مركز أعنابة.... أين العالم الاسلامي... خلاصة القول في وادي بنجشير.....	٦٨٢
فتوى ابن تيمية عن النصيريين.. العبادات عند النصيرية	٦٥٤	قصص لا تنسى.. الوصول إلى رخا.....	٦٨٣
الصيام عند النصيرية.. جواب ابن تيمية.....	٦٥٥	الهدنة سنة ١٩٨٢م.....	٦٨٤
فتاوى العلماء في النصيرية.....	٦٥٦	شروط المعاهدة.. الحوادث وأسباب قبول الهدنة... أثناء الهدنة .. خروج مسعود إلى الشمال واكتشاف الخطة... هلاك أندريوف ومقدم شيرنتكو وموقف بابر كاركمل من المعاهدة.. القيادة العسكرية الروسية.....	٦٨٥ ٦٨٦
الدروز... اليونسكو.....	٦٥٧	الخطة الروسية... محاولات الاغتيال... كمران.. المحاولة الأخرى.....	٦٨٧
الدراسات الاستشراقية... (التغريب) الاستشراق والمبشرون.....	٦٥٨	هجرة أهل بنجشير... استدعاء نجيب لكبراء بنشير وتفاصيل خطة الهجوم.....	٦٨٨
فولتير (محمد والتعصب)... بروكلمان.....	٦٥٩	الخيار الصعب أمام المجاهدين... خطة مسعود في مواجهة الهجوم.. الاشاعة... الخطة الحقيقية..... قرار مسعود.. افلاق ممرسالتج.. رسالة حاطب بن بلقعة....	٦٨٩
لورنس الأعمدة السبعة، جلوب الفتوحات العربية الكبرى الوجودية.....	٦٦١	انسحاب المجاهدين.....	٦٨٩
الشيوعية... المنظمات الشيوعية العربية كلها يهودية	٦٦٣	المعركة الكبرى - الهجوم التاسع ٢٢ ابريل ١٩٨٤م.....	٦٩٠
مخطط الهدنة اليهودي.....	٦٦٤	المشاكل التي اعترضت مسعود.....	٦٩١
فصل الدين عن السياسة.....	٦٦٥	ثلاثة أشهر والمجاهدون يأكلون الفول المسلوك.....	٦٩٢
الحروب الصليبية ... التدمير باسم العلم والشهادات....		معركة ٢٢ نيسان ١٩٨٤م (الهجوم التاسع)... مجزرة الكفار في معركة (ماله).....	٦٩٣
السلطان عبد الحميد... من أقطاب اليهود.....	٦٦٦	قصص لا تنسى.. دروس وعبر (نتائج معركة عام ١٩٨٤م.....	٦٩٤
المقررات السرية لليهود.. حملة أعداء الاسلام على القرآن الحملات على السنة... الحملات على الرسول ﷺ	٦٦٧	خطة الروس في مواجهة المجاهدين.. حرب الاستنزاف... حرب الاستحكامات والخنادق.. التقلب على حقول الألغام.....	٦٩٥
الحملات على التاريخ الاسلامي.....	٦٦٨	محاولة روسيا استنقاذ الأسرى.....	٦٩٦
الحملات على اللغة ... المستشرقون... لمحة عن بعض المستشرقين.....	٦٦٩	مقابلات مسعود مع القادة ... روسيا قررت ضرب مقر مسعود وقرار المجاهدين إما الانسحاب وإما الثبات في المكان.....	٦٩٧
الحملات على التعليم.....	٦٧٠		
بنود القاهرة التحضيرية... آخر خمس تنازلات للسادات ... الخلاف بين المتطرفين والمعتدلين اليهود.....	٦٧١		
الخطة العشرية اليهودية.....	٦٧٢		
الحق التاريخي البشري للمسلمين في فلسطين.....	٦٧٢		
اسلام أمريكي غربي... مقارنة بين التبشير والاستشراق ... أنواع التبشير.....	٦٧٤		
أرقام عن التبشير.....	٦٧٥		
		شهر بين العمالقة	

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
معركة شوال ١٤٠٦هـ ... نتائج المعركة... ليلة شديدة لا يعلم البود الذي تجرعتا مرارته في هذا اليوم إلا رب العالمين..... ٦٩٨		أنواع الخيل..... ٧٢٦	
سؤال كبير يوجهه مسعود للشيخ حول تقصير الحركة الإسلامية في الجهاد..... ٧٠٠		مراعاة المذهب الحنفي من قبل المجاهدين العرب أمر ضروري... العوامل التي عمقت اشاعة الوهابية ضد العرب ومراعاة المذاهب نصر عليها بن تيمية رحمه الله.. ٧٢٧	
... مسعود يصرح بأن الدولة عرضت عليهم اقتسام السلطة.... خدعة خطيرة لتشوية سمعة المجاهدين ... لقاء مع مسعود..... ٧٠٢		لقد بحث أصواتنا ونحن نطلب دعاة ناضجين... تجربة الشيخ في الجهاد والمعايشة مع المدارس المختلفة..... ٧٢٨	
دراسة مسعود... انقلاب ذاود ١٩٧٢م ترتيب صفوف الحركة الإسلامية..... ٧٠٤		أصعب يوم في حياتي..... ٧٢٩	
الاتصال بين مسعود وحكمتيار... المخطط القتالي العام... مدارس حرب العصابات الحديثة.. مراحل صلة الشيخ بمسعود.... مسعود يتكلم ما في نفسه..... ٧٠٥		في طريقة العودة إلى باكستان..... ٧٣١	
الشيخ يذكر مسعود بالله... التخطيط العام وخطوات العمل في بداية الجهاد..... ٧٠٧		شبح الموت الذي سيطر على مخيلتنا..... ٧٣٢	
المشاكل التي اعترضت مسعود في بداية معاهدة جنيف... مرحلة قطف الثمرة..... ٧٠٨		وقفات على أعتاب الرحلة من خلال التجارب.... قواعد وقوانين لا تتخلف ولا تتبدل..... ٧٣٢	
القيادة السياسية والتقسيمات الادارية للمناطق..... ٧٠٩		بناء المجتمع المسلم واقامة النولة الإسلامية لها قانون ثابت لا يتغير..... ٧٣٤	
قصص من قمندان مسلم... شهر عسل لحمد بانا.... قصص من قمندان مسلم في جلال آباد ٢١ رمضان ١٤٠٩هـ..... ٧١١		خاتمة..... ٧٣٦	
معركتنا مع اليهود.. الذنوب سبب الهزائم..... ٧١٢			
الحملات الروسية..... ٧١٥			
لقاء مع عارف خان قائد كندز.. نور العلماء..... ٧١٦			
الحملة الثانية على بنشير..... ٧١٧			
الحملة الثالثة على بنشير..... ٧١٨			
رباني يقرب العودة إلى باكستان فجأة بناءً على رسالتين من الشيخ سياف والشيخ خالص والرسالة الثانية من الحكومة الباكستانية تستعجله القدوم بأسرع وقت إلى باكستان..... ٧١٨			
فتح طالقان .. تعريف حزب (ستم ملي)..... ٧١٩			
سكن الاسماعيلية..... ٧٢١			
ماليشيا النولة الشيوعية يحترمون العرب لأنهم ضيوف وقصص حول هذا الموضوع..... ٧٢٢			
الجيل الرياني الفريد..... ٧٢٤			
مقارنة من خلال الواقع.... عظمة جيل الفتح الاول... نور الخيل والبالغال في الجهاد..... ٧٢٥			

الفهرس

الصفحة	إسم الكتاب
أ	مقدمة الناشر
ج	كلمة قصيرة
١	في خضم المعركة
١٨٨	حتى لا تضيع فلسطين إلى الأبد
٢٢٠	كلمات من خط النار الأول
٣٨٧	عشاق الحور
٥٨٩	حاضر العالم الإسلامي (الجزء الأول)
٦٣٢	حاضر العالم الإسلامي (الجزء الثاني)
٦٧٦	شهر بين العمالقة



صور الشهداء



الشهيد هاني (أيمن زهير)



الشهيد محمد فاروق



الشهيد أبو دجانه



الشهيد عبد الفتاح



الشهيد عبد القادر بلعراجيب



الشهيد أبو عبيد الحسين



الشهيد أبو حنظل الفلسطيني



الشهيد أبو دجانه اليمني



الشهيد علي الجومري



الشهيد عبد الله الزهبي



الشهيد أبو الدرداء



الشهيد أبو الحسن السوري

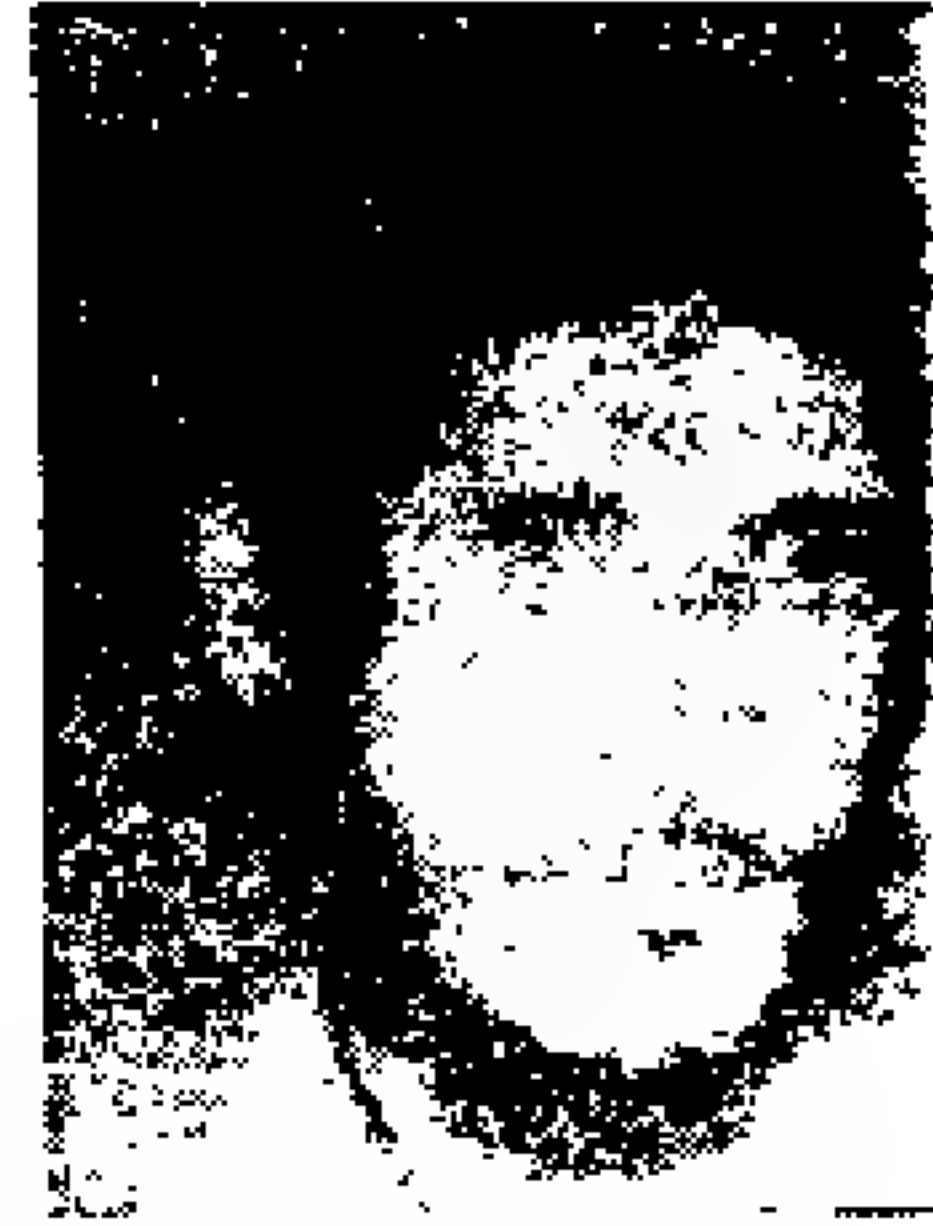
صور الشهداء



الشهيد حمدي البنا
عبد الرحمن عبد الله البنا



الشهيد أبو عبد الله المأري



الشهيد مرحد



الشهيد أبو حمزة



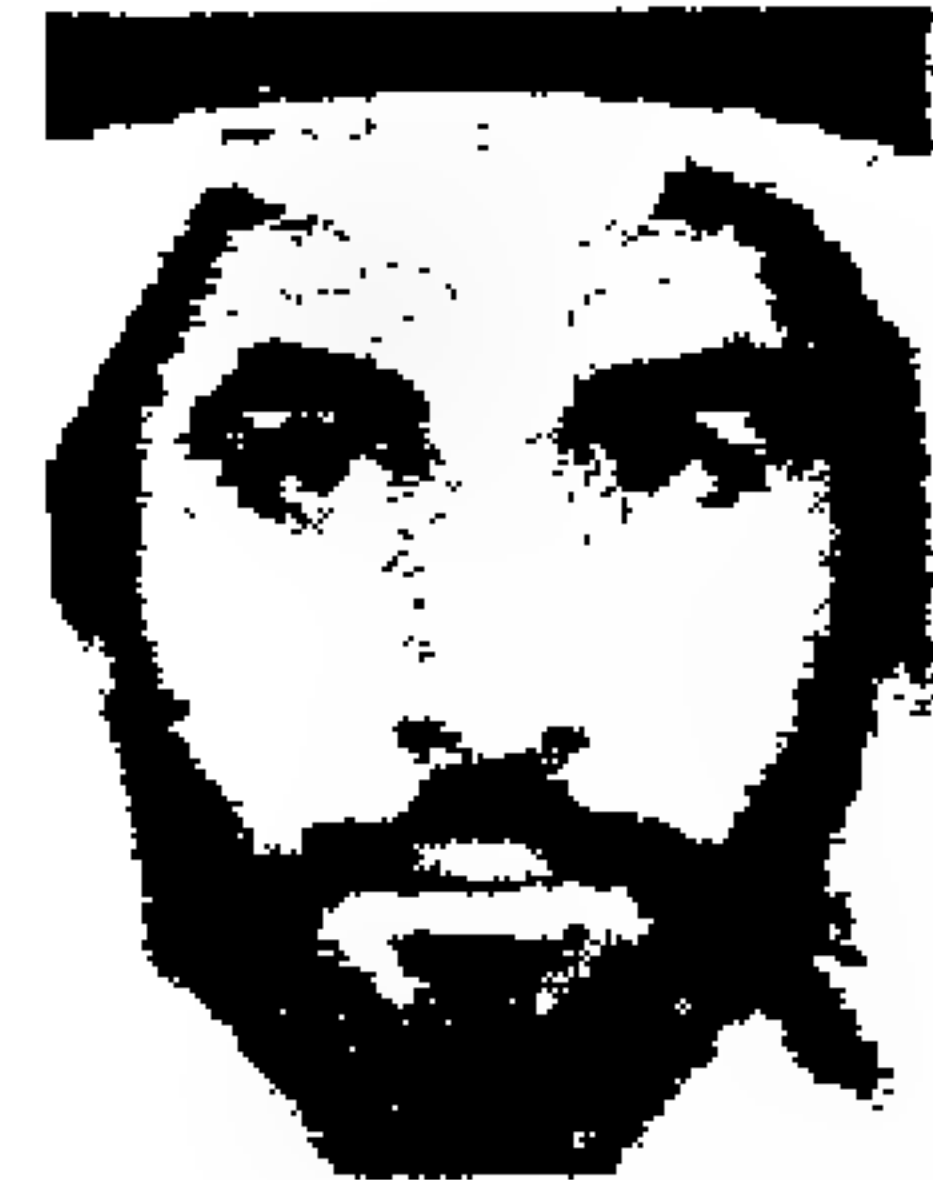
الشهيد أبو عبد الله الجزائري



الشهيد عبد المنان



الشهيد هشام الدوبلي



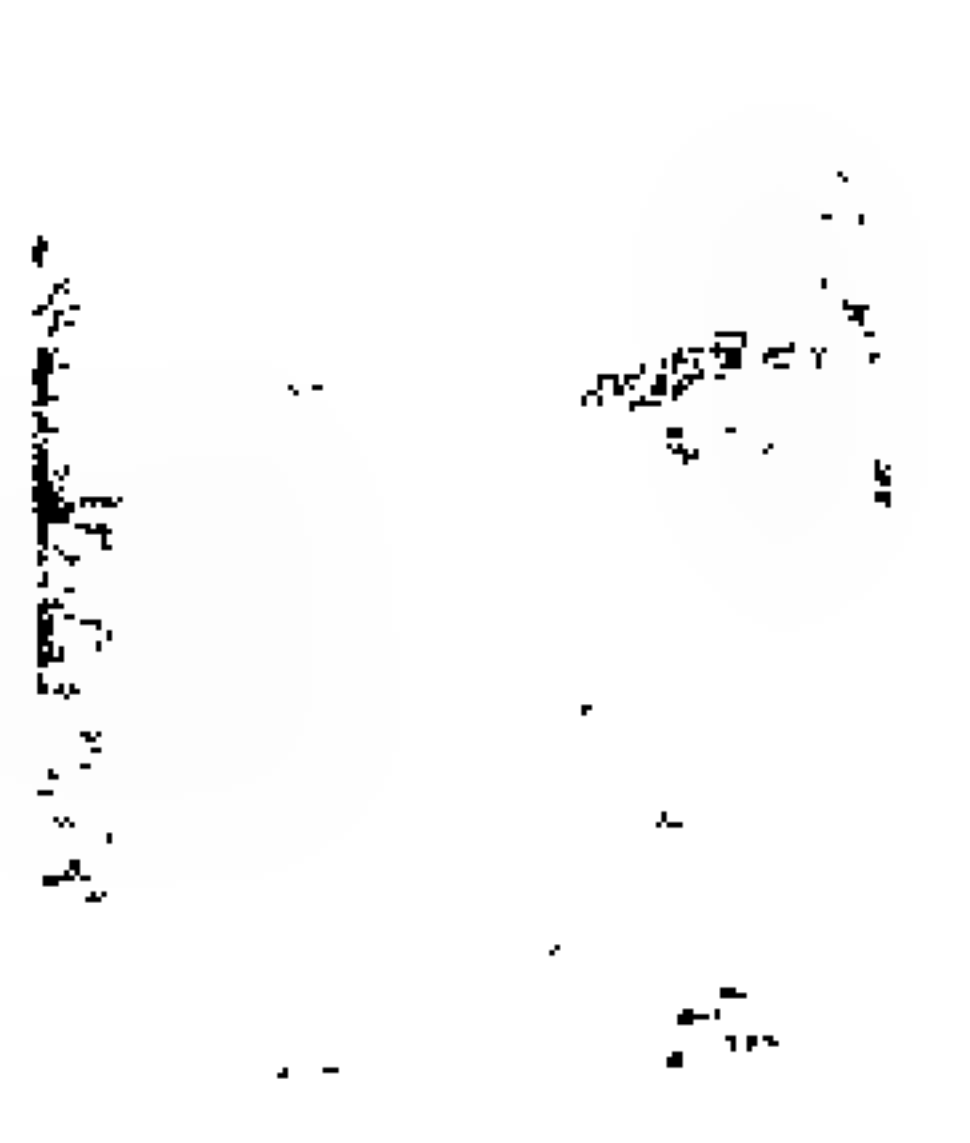
الشهيد أبو عثمان



الشهيد أبو حذيفة الأردني



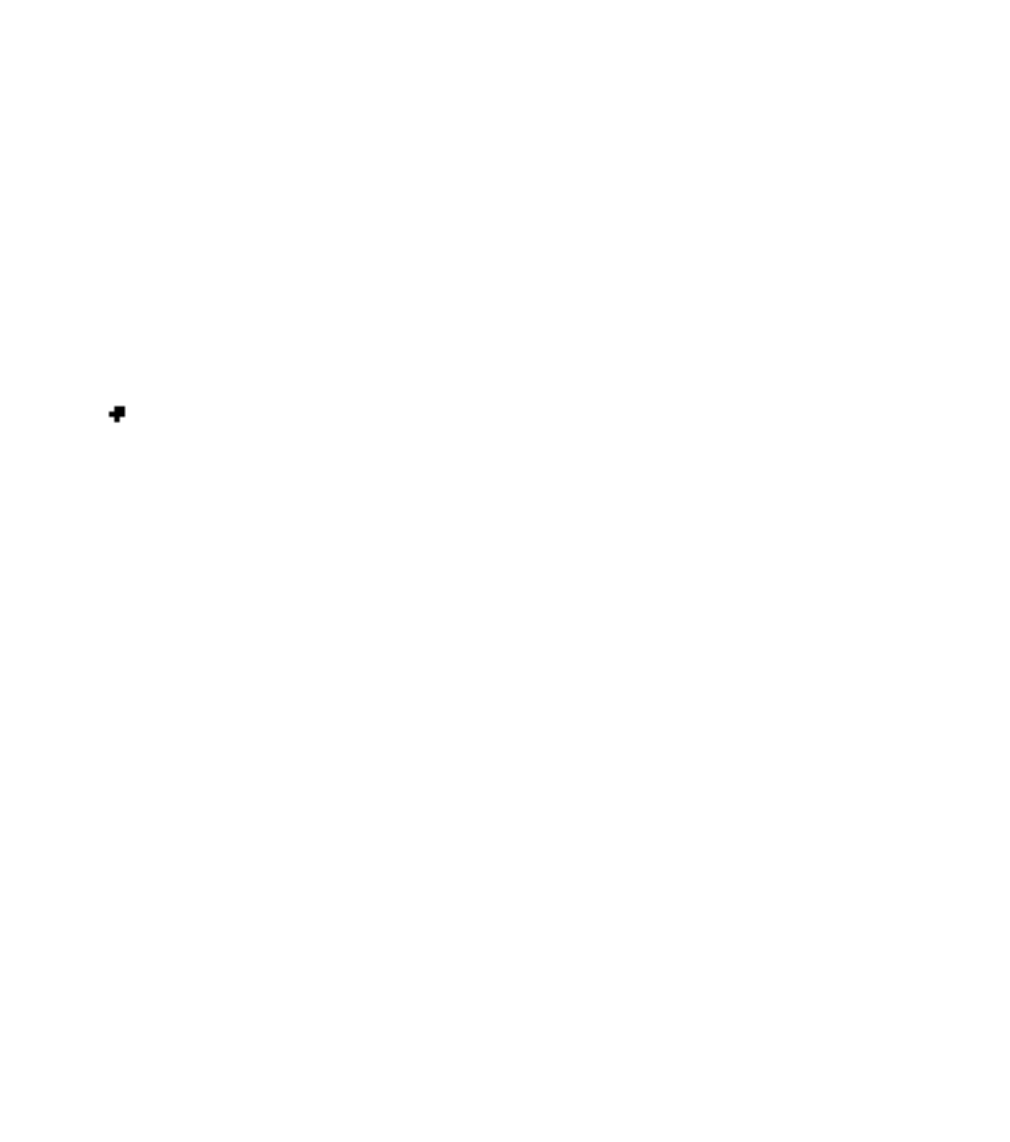
الشهيد أبو الخارث البستاني



الشهيد نعيم سالم سبيع



الشهيد أحمد الزهراني



الشهيد أبو حمزة



الشهيد قمر محمد القيسي (أخو)

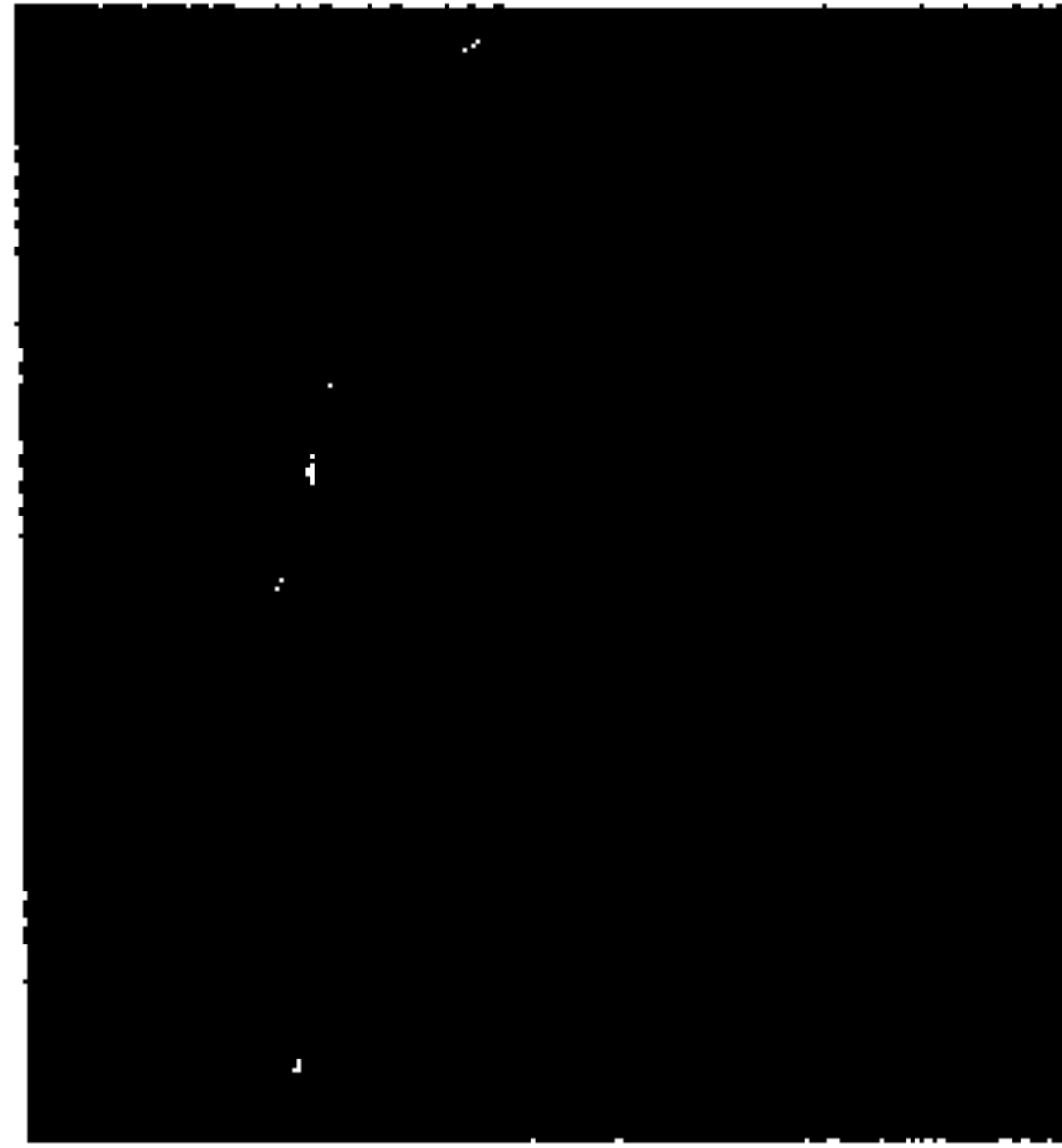


الشهيد حسن العريضي

صور الشهداء



الشهيد شفيق المدني



الشهيد أبو عاصم المصغاني



الشهيد نور الحق



الشهيد ناصر الجزائري



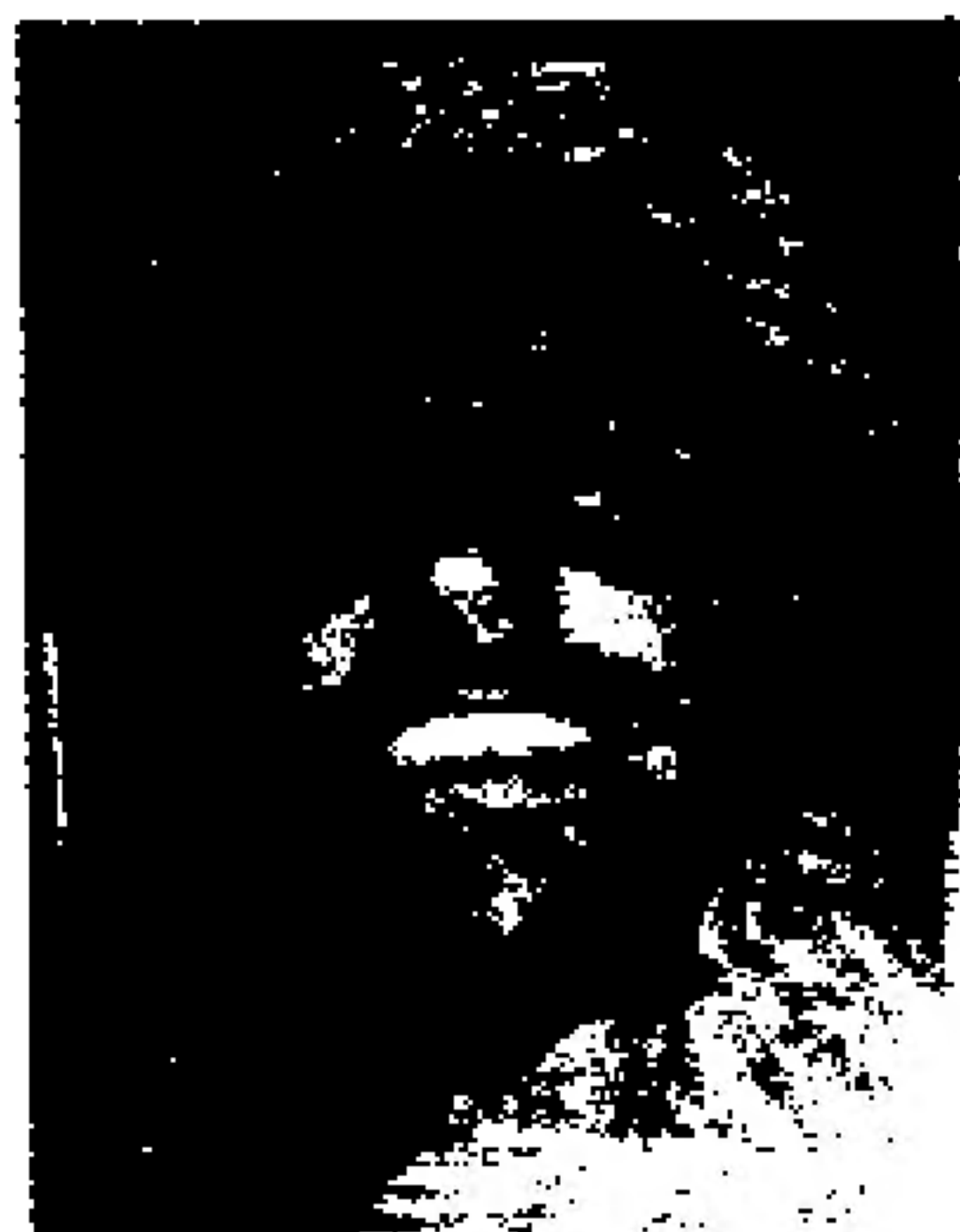
الشهيد أحمد التونسي



الشهيد أبو طارق السني



الشهيد أبو عاصم بجانب مدرعة غتمها
المجاهدون في انتفاضة 1988



الشهيد أبو حفص



الشهيد أبو أحمد الجزائري



الشهيد حبيب محمد الشاري

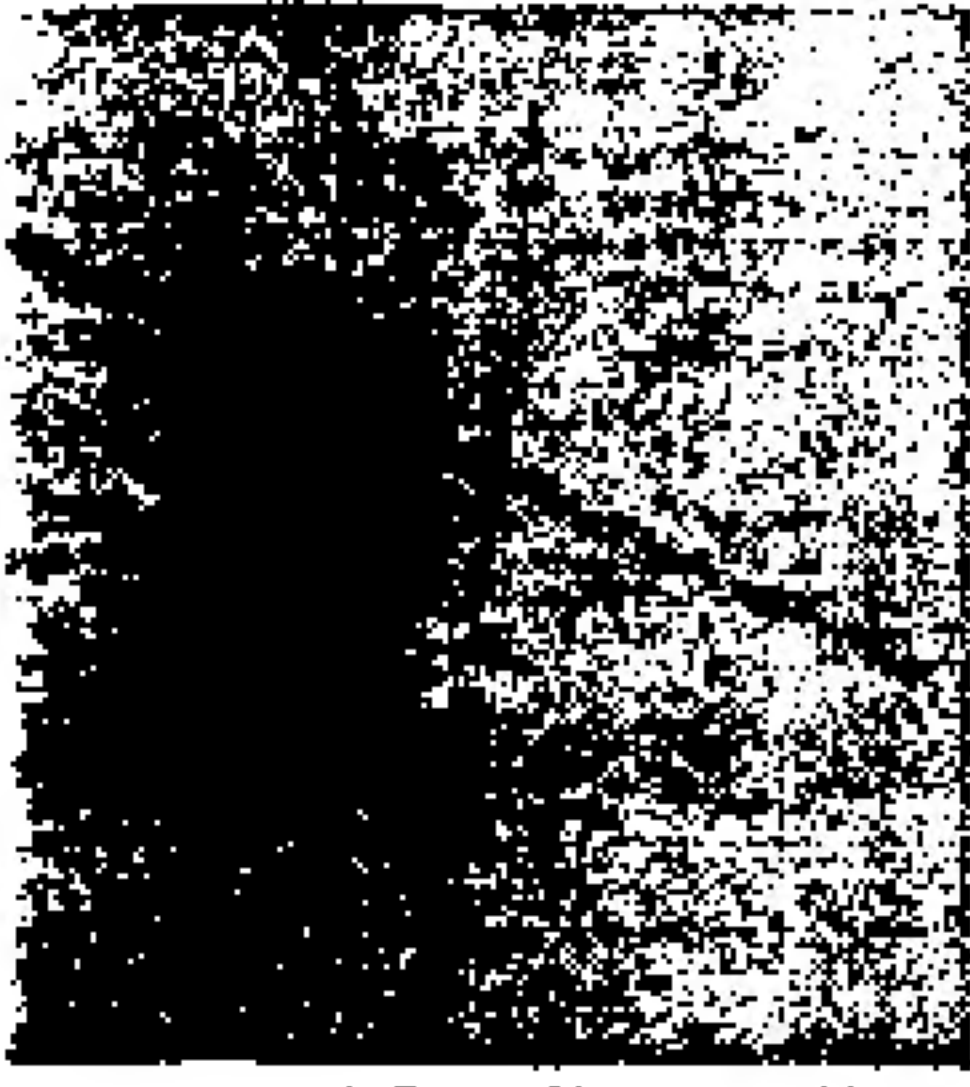


الشهيد حبيب حميدة



الشهيد أبو بدر العربي

صور الشهداء



لقطة من دم الشهيد التي كانت تنزف
بفجأة بعد (٢٤) ساعة من استشاده
الشهيد يحيى سنبر



الشهيد أبو جهاد



الشهيد صديق المصري



الشهيد أبو مسلم الزهيري



الشهيد حمزة



الشهيد أبو البسر



الشهيد أبو قتيبة على نهر جيحون



الشهيد أبو عقبة التونسي
أبو عقبة (محمد بن إبراهيم)



الشهيد منصور



الشهيد عبد خليفة



الشهيد ياسر أبو النور



الشهيد أبو بدر الحربي

صور الشهداء



الشهيد سيع الليل



الشهيد مرزوق الجزائري



الشهيد عبد الرحمن المصري في
موقع للمجاهدين بمنطقة جاجي



الشهيد عبد الله الحري



الشهيد أبو الطيب المغربي



الشهيد ياسين الجزائري



الشهيد عبد الحميد



الشهيد جمال الدين الجزائري



الشهيد أبو عاصم قبيل دفة



الشهيد أيمن الشيباني



الشهيد المهنس شمس الدين الأنفاسي



الشهيد أبو حسان السوري

صور الشهداء



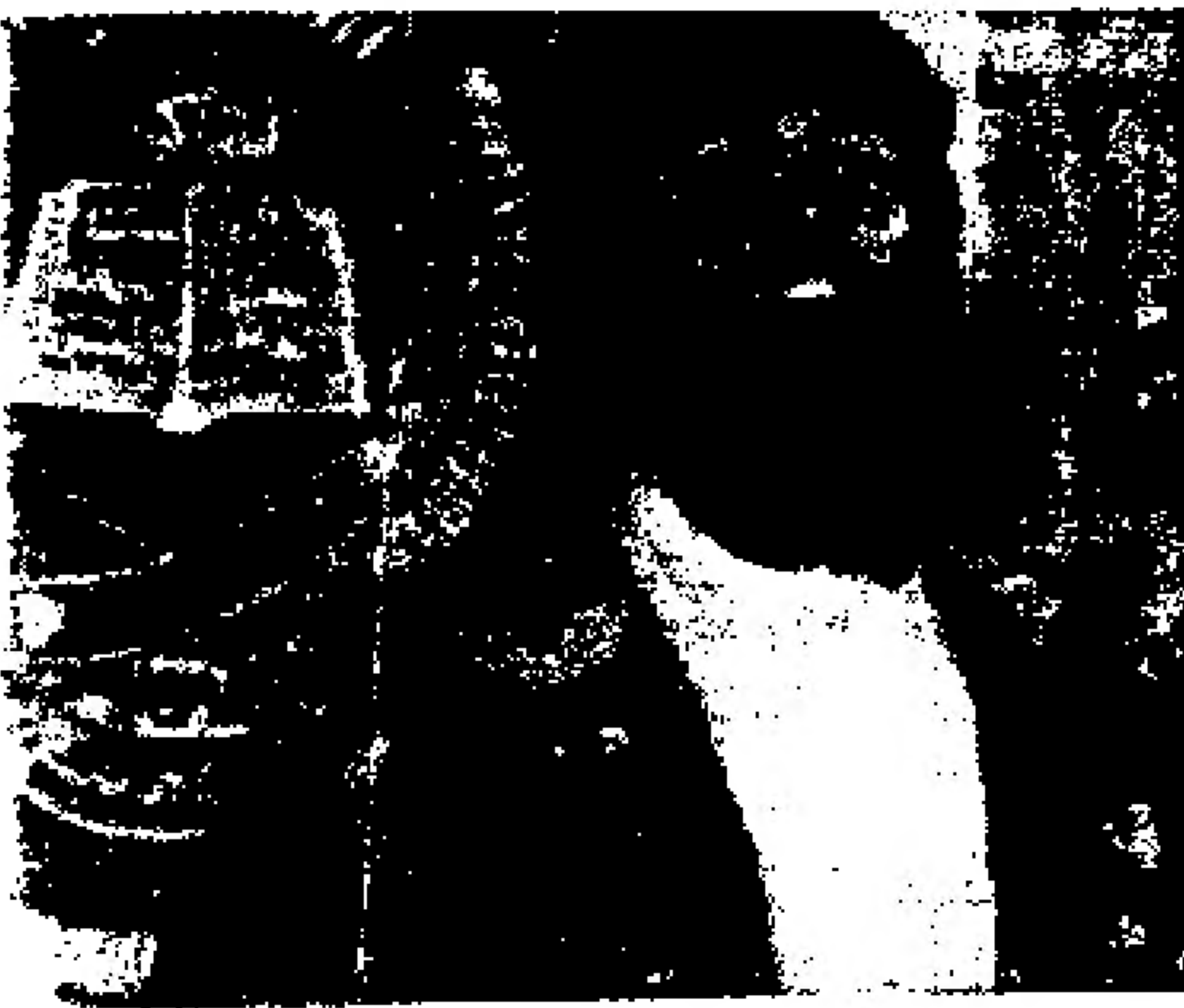
الشهيد يحيى مخضماً بدمانه



الشهيد خالد الزهير يسوق الأتري الشيرعيين



الشهيد أبو جعفر الشامي رحمه الله



الشهيد صفي الله أفضلي



الشهيد فراز الشيشاني



الشهيد يحيى سيبور واقفاً مع سلاحه



الشهيد الشيخ تيم داخل أفغانستان



الشهيد عبد الجبار



الشهيد الدكتور صالح الليبي